

ABU ABDO ALBAGL

# مذكرات أكرم الخوراني



الناشر: مكتبة مدبولي

مدونة أبو عبدو



**1958: عبد الناصر يغادر سورية دون اي تعليمات للمجلس التنفيذي ولنواب الرئيس - اقالة عفيف البزرة من قيادة الجيش الاول - تطور الاوضاع الدولية والعربية في السعودية ولبنان - ضابطان سعوديان يزوران في دمشق ويستشيراني لقلب الاوضاع في السعودية - بعد ثلاثة اشهر من قيام الوحدة وضعت مذكرة اطلب فيها اعفائي من المسؤولية - السفر مع عبد الناصر الى الاتحاد السوفيتي وايضا في ليلة السفر من قبل المخابرات المصرية لتفتيش حقائبي - السوفيت ناقموني على حزب البعث لعدم تعاونه مع الشيوعيين وخالد العظم، تطور الاحداث في لبنان خلال وجودنا في الاتحاد السوفيتي.**

### **عودة جمال عبد الناصر الى القاهرة**

سافر جمال عبد الناصر وصحبه: عبد اللطيف البغدادي والمشير عامر وانور السادات من حلب رأسا الى القاهرة فودعته وانصرفت دون ان اتلقى منه اية توجيهات او توصيات، وفي صبيحة 58/3/17 عدت مع شكري القوتلي وصبري العسلي وعبد الحميد السراج على طائرة خاصة الى دمشق.

لقد غادر عبد الناصر سورية الى القاهرة وتركنا غارقين في بحر من الفوضى اذ لم يحدد اختصاصات نوابه ولا اختصاصات المجلس التنفيذي، بالوقت الذي اصدر فيه بعض القرارات التي تضم ملاك رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزارة الى رئاسة الجمهورية في مصر، كما ضمت هذه القرارات وزارة الاعلام والاقواف الى وزارة الاعلام والاقواف المصرية، واصدر قرارات بانشاء ملاكات جديدة لوزارة البلديات والشؤون القروية التي استحدثت في سورية، وعدل اسماء بعض الوزارات بما ينسجم مع ما هو موجود في الاقليم المصري، واصدر بعض القوانين والتشريعات التي

يتطلبها الوضع الجديد في الاقليم السوري، هذا في الوقت الذي كانت اجهزة الاعلام تعلن كل يوم، طيلة مدة الثلاثة اسابيع التي قضاها جمال عبد الناصر في سورية ان الرئيس على وشك اصدار القرارات اللازمة التي ستحدد اختصاصات نوابه في الاقليمين، كما سيصدر قرارات بتحديد اختصاصات الوزارات والوزراء ومسؤولياتهم في المجلسين التنفيذيين، ولكن هذه القرارات لم تصدر وكان ذلك يتيح لعبد الناصر ان يتحكم مباشرة وبواسطة اجهزته بالسلطة دون ان يشرك بها احدا في سورية، كما بدأ يتبين منذ الاسابيع الاولى للوحدة انه اعتبر السراج في تلك المرحلة عينه وسوطه واداته للتخويف والسيطرة.

عاد عبد الناصر الى القاهرة ولم يترك يده من السلطة الا ما املكه من علاقات خاصة وثقة واحترام متبادل مع الوزراء وكبار الموظفين للتنسيق بين اجهزة السلطة التنفيذية "قال السيد الحوراني لو كالة الانباء السورية انه سيستأنف اجتماعاته من السادة الوزراء لتنظيم وتنسيق عمل الوزارات" (صف 58/3/19).

اما السيد فهمي السيد مستشار الرئيس عبد الناصر للشؤون القانونية فقد صرح لهذه الوكالة في التاريخ نفسه: انه "يتابع" موضوع تنظيم اختصاصات الوزراء، وعندما تحدث عن صلاحيات نواب الرئيس قال:

"ان صلاحية نائب رئيس الجمهورية ان يدعو الوزراء الى اجتماعات عامة لبحث المشاكل التي يعهد بها اليهم سيادة الرئيس جمال عبد الناصر، ولسيادته ان يكلف اي نائب من نوابه الاربعة بدراسة اي موضوع يريده مع الوزراء"

ان تصريح فهمي السيد هذا كان يعني ان اقبض راتب نائب رئيس الجمهورية وان اظل بلا عمل، لان الرئيس جمال عبد الناصر لم يكلفني قبل مغادرته دمشق بأية مهمة، ولم يكن باستطاعتي ان ابقى مشلولاً وان اترك الامور سائبة كما ارادها جمال عبد الناصر بينما يعتبرني الشعب في سورية مسؤولاً، ولست اشك الان ولا سيما بعد استعراض الوقائع التي سيرد تفصيلها في حينه

ان جمال عبد الناصر كان يقصد ان يظهرني بمظهر العاجز والمسؤول عن الفوضى امام الرأي العام، ولذلك كان لا بد لي من اخذ زمام المبادرة لاعالج الامور التي لا بد من معالجتها واطلاع محمود رياض عليها الذي كان يعرضها بدوره على جمال عبد الناصر، وكثيرا ما كنت ادعوه لحضور مناقشات مجلس الوزراء ليكون شاهدا تجاه ما يمكن ان تدسه اجهزة المخابرات المصرية لدى عبد الناصر.

□

بعد شهر واحد من قيام الوحدة اذيع من القاهرة نبأ استقالة الفريق عفيف البزرة، وكان المشير عامر قد رفعه قبل ذلك الى رتبة فريق وعينه قائدا عاما للجيش الاول في الاقليم السوري، وقد فوجئت بهذا النبأ كما فوجيء غيري به، وفي اليوم الثاني جاءني عبد الحميد السراج باذي القلق لهذا الاستعجال فقلت له انني لا اعرف اسباب الاستقالة وقد فوجئت بها كما فوجئت انت وعندما سألت محمود رياض عن اسباب الاستقالة لم يعطني جوابا شافيا عن ذلك.

قلت في نفسي يومذاك:

ما اشد غباء المشير عامر وغدره، اما كان من الاولى له تعيين عفيف البزرة وزيرا بدلا من تسريحه على هذه الصورة المهينة، وماذا سيقول الناس الان؟ الم يكن عفيف البزرة الى بضعة ايام خلت يخطب بالجماهير بدمشق وحلب الى جانب عبد الناصر والمشير عامر؟

وفي اليوم الثاني استدعاني جمال عبد الناصر الى القاهرة لحضور اول مؤتمر شعبي ينظمه الاتحاد القومي - كما قيل لنا - فسافرت يوم 58/3/20 بصحبة صبري العسلي وعدد من الوزراء، وكان في الطائرة ايضا عفيف البزرة مسافرا الى القاهرة التي استدعي اليها، كما رافقنا العقيد عبد المحسن ابو النور والفريق فتحي رزق وكيل وزارة الدفاع، وكان في وداعنا عدد من ضباط الجيش، وعندما اجتمعت مع عبد الناصر والمشير عشية وصولي

الى القاهرة سألت عن اسباب التسريح فأجابني المشير ان الفريق عفيف البزرة احتج على نقل الضابط احمد حنيدي الى مكتب المشير في القاهرة دون اطلاعه، كما احتج على بعض التنقلات الاخرى التي تمت دون رأيه في الجيش الذي هو قائده، كما اتهمه الرئيس والمشير بأنه خرج عن حدوده في المناقشة، واسفر عن عدائه الشديد للوحدة، ومن الغريب ان يتهمني عبد الناصر في احد خطبه بعد الانفصال بأنني طلبت منه اقالة عفيف البزرة مع انني لم اعلم بهذه الاقالة او الاستقالة الا من الاذاعة.

□

كان موعدا مع جمال عبد الناصر ان نحضر في اليوم الثاني الى منزله في منشية البكري فوجدناه يعد الخطوط العامة لخطابه الذي سيلقيه على الجماهير المحتشدة في ميدان الجمهورية وعندما دخلنا طوى اوراقه وهو يقول ضاحكا:

لقد اضطرت ان اعود الى كتب اولادي لاتذكر معاركنا التاريخية مع التتار والصليبيين.

رافقنا عبد الناصر في سيارة مكشوفة الى سرادق الاحتفال حيث القى بالجماهير المحتشدة والتي قدرت بنصف مليون نسمة خطابا تحدث فيه عما شاهده في الاقليم السوري من عروبة اصيلة وشعور فياض وحماسة متقدة وقال انه عرف هنالك الظروف الحقيقية التي خاض فيها شعب سورية معاركه مع الاستعمار فلم تثنه التهديدات ولا الحشود العسكرية.

ثم قال ان الامة لا تستطيع ان تصد العدوان ضد العالم العربي الا بوحدها وان الوحدة هي التي هزمت في الماضي التتار في عين جالوت والصليبيين في حطين، وذكر ما قاله للنبي عندما دخل القدس في الحرب العالمية الاولى "اليوم انتهت الحروب الصليبية" وما قاله غورو في دمشق امام قبر صلاح الدين وكان خطابه يظهر بوضوح مدى الاثر الذي تركته زيارة سورية في نفسه، وقد كنت مرتاحا لخطابه كل الارتياح وقد قابلته الجماهير

بحماسة صادقة غير مصطنعه ولا زائفة، ولم يكن للاتحاد القومي اي علاقة في تهيئة هذا الاجتماع الجماهيري الحاشد.

كان راديو القاهرة قد اذاع في صبيحة ذلك اليوم كما نشرت الصحف قرارا جمهوريا بقبول استقالة اللواء عفيف البزرة من منصبه وربما كان من اغراض هذا الاجتماع الجماهيري ان يكون وسيلة لاعلان استقالة البزرة دون ان تترك اي اثر او شكوك في نفوس الناس، وكان عبد الناصر شديد الحرص على المظاهر وبارعا في تغطية ما يريد تغطيته امام الرأي العام.

وقبل عودتنا الى دمشق بحثنا معه ما نلاقه من فوضى في الاقليم السوري نظرا الى تأخره في اصدار القرارات التي تحدد الصلاحيات والاختصاصات، ولفتنا نظره الى صعوبة الاتصال به مما يعرقل سرعة التنفيذ ويسبب الفوضى والضياع ولا سيما بالنسبة للتدابير العاجلة والمشاريع المستعجلة، وكانت قرارات المجلس التنفيذي والمشاريع المقترحة السياسية والتنظيمية والتشريعية ترسل الى القاهرة عن طريق محمود رياض الذي كان لا يزال كأنه سفير لمصر في دمشق من الناحية الواقعية، مما ادى لان تصبح السفارة المصرية سابقا وبطبيعة الحال محط انظار المراجعين واصحاب المصالح والمشتكين والمتظلمين ومرجعا اعلى من نائبي الرئيس والوزراء في الاقليم السوري.

اقترح جمال عبد الناصر حلا لهذه المشاكل ان ترسل الوزارات مشروعات القوانين التي تعدها والقرارات التي ترغب في اصدارها الى نواب الرئيس كل في حدود اختصاصه، ويتولى نائب الرئيس دراسة هذه القوانين او المشروعات عن طريق اللجان الفنية الملحقة بمكتبه، او عن طريق لجنة التنسيق التي تتألف من وزراء القطاع الذي يشرف عليه كل من نواب الرئيس، وترفع هذه القوانين والقرارات الى رئيس الجمهورية لتصدر عنه.

ويجوز لنواب الرئيس بمقتضى التفويضات المخولة لهم من رئيس الجمهورية ان يصدروا بعض القرارات التنفيذية التي يقرر رئيس الجمهورية تفويضهم في اصدارها، ويتم تبادل المكاتبات بين

نواب الرئيس والوزارات في الاقليمين الشمالي والجنوبي بواسطة الحقيبة التي تصل يوميا الى رئاسة الجمهورية في القاهرة او ترسل من القاهرة الى دمشق وقد اشارت جريدة الاهرام آنذاك للتنظيم الجديد تحت العناوين البارزة التالية:

نظام تنسيق العمل بين نواب الرئيس وكيفية صدور القوانين والقرارات - مكاتب لنواب الرئيس في كل من القاهرة ودمشق وتشكيل المكاتب الفنية الملحقة بهم وتنظيم طريق الاتصال المباشر بين دمشق والقاهرة.

وبعد عودتنا الى دمشق اصدر عبد الناصر بتاريخ 29 آذار القرار التالي:

مادة اولى: يختص السيد عبد اللطيف محمود البغدادي نائب رئيس الجمهورية بالنظر في رسم وتنسيق السياسة العامة في الجمهورية العربية المتحدة في الشؤون الاقتصادية والانتاجية ومراقبة التنفيذ بعد اعتمادها.

مادة ثانية: يختص السيد اكرم الحوراني نائب رئيس الجمهورية بالنظر في رسم وتنسيق السياسة العامة للجمهورية العربية المتحدة في الشؤون الاجتماعية والخدمات العامة ومراقبة التنفيذ بعد اعتمادها.

ثم اصدر الرئيس عبد الناصر تباعا قرارات اخرى بتشكيل المجلسين التنفيذيين للاقليمين ولجنة وزارية للشؤون التنفيذية ولجنة للشؤون التشريعية لكل منهما، وفيما يلي نص هذه القرارات.

### **المجلسان التنفيذيان**

مادة اولى: يشكل المجلس التنفيذي في كل من الاقليمين المصري والسوري من السادة نواب رئيس الجمهورية والوزراء في كل اقليم.

مادة ثانية: يختص المجلس التنفيذي بدراسة وبحث الموضوعات التي تتعلق بتنفيذ السياسة العامة للاقليم.

### **لجنة الشؤون التنفيذية في الاقليم المصري.**

مادة اولى: تشكل في الاقليم المصري لجنة وزارية للشؤون التنفيذية من السادة وزير الداخلية رئيسا ووزير التربية والتعليم ووزير التموين ووزير المواصلات ووزير الصحة ووزير الاوقاف ووزير الاشغال.

مادة ثانية: تختص هذه اللجنة بدراسة المسائل التنفيذية والاتفاق عليها على ان ترفع اللجنة ما تتخذه من قرارات بشأن هذه المسائل الى رئيس الجمهورية.

### **لجنة الشؤون التنفيذية في الاقليم السوري**

مادة اولى: تشكل في الاقليم السوري لجنة وزارية للشؤون التنفيذية من السادة اكرم الحوراني نائب رئيس الجمهورية رئيسا ووزير الخزانة ووزير الداخلية ووزير الشؤون الاجتماعية ووزير المواصلات.

مادة ثانية: تختص هذه اللجنة بدراسة المسائل التنفيذية والاتفاق عليها على ان ترفع اللجنة ما تتخذه من قرارات بشأن هذه المسائل الى رئيس الجمهورية.

### **لجنة الشؤون التشريعية لمصر**

مادة اولى: تشكل في الاقليم المصري لجنة للشؤون التشريعية من السادة وزير العدل رئيسا ووزير الصناعة ووزير الزراعة ووزير الارشاد ووزير الاقتصاد والتجارة ووزير الشؤون البلدية والقروية..

مادة ثانية: تختص هذه اللجنة بدراسة جميع المسائل التي تعرض على مجلس الامة بما في ذلك القرارات المالية على ان ترفع اللجنة ما تتخذه من قرارات بشأن هذه المسائل الى رئيس الجمهورية.

### **لجنة الشؤون التشريعية لسورية**

مادة اولى: تشكل في الاقليم السوري لجنة للشؤون التشريعية من السادة صبري العسلي نائب رئيس الجمهورية رئيسا ووزير العدل ووزير التخطيط ووزير الاقتصاد والتجارة ووزير الشؤون البلدية.



مادة ثانية: تختص هذه اللجنة بدراسة جميع المسائل التي تعرض على مجلس الامة بما في ذلك القرارات المالية على ان ترفع اللجنة ما تتخذه من قرارات بشأن هذه المسائل الى رئيس الجمهورية.

ويظهر للقارىء بوضوح من فحوى هذه القرارات التي صدرت باسم تنظيم اداة الحكم في الاقليمين وفي الجمهورية العربية المتحدة، انها لم تحدد مدى صلاحية نواب الرئيس بالنسبة للمجالس التنفيذية في كل اقليم، ولم تمنح هذه المجالس سوى حق الدراسة والاقتراح شأنهما في ذلك شأن اي لجنة حكومية، كما سلب من هذين المجلسين حق المشاركة في رسم السياسة العامة للدولة، وحق اصدار المراسيم التنظيمية التي هي عادة من اختصاص مجلس الوزراء، كما وزع على اللجنتين التنفيذيتين والتشريعيتين في الاقليمين حق الدراسة والاقتراح ومراقبة التنفيذ، وفي ذلك ما فيه من الفوضى في تنظيم وتوحيد شؤون الاقليمين.

كما ان اختصاص نواب الرئيس بالنظر في رسم وتنسيق بعض شؤون الجمهورية العربية المتحدة ظل تعبيرا نظريا ولا سيما بالنسبة لنواب الرئيس من السوريين، وهكذا استمر الحال في سورية كما كان قبل صدور هذه القرارات، بل ازداد فوضى وتشابكا في الصلاحيات والاختصاصات، فأصبح نائبا الرئيس المشير عامر والبغدادي والوزراء المصريون الموفدون اصحاب السلطة الحقيقية في سورية مما اثار النزاع بين السوريين والمصريين في اجهزة الدولة، وحتى بين اجهزة المخابرات السورية والمصرية، ومع ذلك فقد تابعنا اجتماعاتنا المنظمة للمجلس التنفيذي لمعالجة شؤون الدولة في سورية، وكنا نرفع للرئيس جمال عبد الناصر جميع ما نتوصل اليه من الدراسات والاقتراحات والمراسيم التنظيمية والتشريعية ولكنه لم يكن يوافق على احدها ما لم اذهب بنفسى الى القاهرة او يذهب الوزير السوري المختص الى القاهرة لاقتناعه بها.

اما بالنسبة للمسؤولين المصريين كالمشير عامر وزكريا محيي الدين وعبد اللطيف البغدادي وكمال الدين حسين فكان

الرئيس يوافق على اقتراحاتهم ويتبنى وجهات نظرهم فيما يتعلق بالشؤون السورية، وكان هذا الوضع الشاذ ناشئاً عن ان جمال عبد الناصر كان يفترض حياد المسؤولين المصريين في معالجة شؤون سورية، ومن جهة اخرى فقد كان يرى ان من مصلحته اشغالهم في شؤون سورية وارضاءهم بذلك تخلصاً من شكوكه وحذره منهم ومتاعبه في مشاركتهم له في شؤون مصر.

كان زخم الوحدة ما يزال قويا في نفوسنا جميعا فلم يداخل حماستنا اي فتور او وهن، بل شرع كل منا يعمل ضمن حدود اختصاصاته بالدراسة والبحث والاقتراح مع اخوانه من المسؤولين والموظفين السوريين والمصريين على السواء:

"صدر السيد الحوراني نائب رئيس الجمهورية امرا بتأليف اللجان التالية:

- 1- لجنة لدراسة اوضاع السجون
- 2- لجنة لدراسة المياه الجوفية في قضاء السلمية.
- 3- لجنة لدراسة شؤون اللاجئين الفلسطينيين.
- 4- لجنة لشؤون الدفاع المدني.
- 5- لجنة لدراسة انشاء مديرية للسياحة والاصطياف.

وتقول وكالة انباء سورية ان السيد الحوراني طلب من اللجان المذكورة ان تشرع فوراً بعقد اجتماعاتها لانجاز مهماتها" "اصبح القصر الجمهوري السابق اعتباراً من 31 آذار 1958 مقراً لثلاث مكاتب دائمة لكل من عبد اللطيف البغدادي واکرم الحوراني وصبري العسلي ومحلاً لاجتماعات المجلس التنفيذي، كما انتقل اليه مكتب محمود رياض الذي عين مستشاراً لرئيس الجمهورية في الاقليم السوري"(النصر 1-4-58).

## **علم الجمهورية العربية المتحدة يرتفع على قصر الضيافة وعلى الدوائر الحكومية**

صدر الرئيس عبد الناصر في العشر الاول من نيسان 1958 قراراً بشأن العلم الوطني للجمهورية العربية المتحدة فجاء مكوناً -

كما اقترحت خلال زيارة الرئيس مدينة حلب - من ثلاثة الوان الاحمر والابيض الذي تتوسطه نجمتان خضراوان ذات خمسة شعب ثم اللون الاسود، وقد احتفلنا برفع هذا العلم على قصر الضيافة بحضور شكري القوتلي وصبري العسلي وكمال الدين حسين وعدد من كبار الموظفين والزعيم جمال فيصل الذي عين قائدا للجيش عوضا عن الفريق عفيف البزرة، مع عدد من كبار الضباط، وعندما ارتفع العلم الجديد بدلا من العلمين السوري والمصري حلقت الطائرات وعزفت الموسيقى ولكن هذا العلم هبط فجأة فأعيد رفعه، وكان هذا الحادث مدعاة للتشاؤم، كما ثارت شكوك هامسة تقول ان هذا الامر كان مقصودا... وفيما يلي نص الكلمة التي وجهتها للمواطنين بمناسبة رفع العلم:

ان هذا العلم - علم الجمهورية العربية المتحدة - يرمز الى كفاح العرب المرير ضد الاستعمار والطغيان والفساد فهو علم الثورة العربية الحقيقية التي قادها الرئيس عبد الناصر فالتقت مع ثورة الشعب العربي في سورية ومع ثورة كل قطر عربي لان اهدافها ومبادئها هي اهداف ومبادئ العرب المخلصين... ان الوان العلم الجديد ذات دلالة فالاسود يمثل الطغيان والفساد والاحمر يرمز الى الثورة على الاستعمار والفساد والابيض يرمز للمستقبل ومبادئ الثورة والنجمتان الخضراوان ترمزان لقطري الجمهورية العربية المتحدة.

وبالاضافة الى هذه الشعارات التي نبعت من صميم تاريخنا الثوري القريب فان علمنا الجديد جمع الوان اعلام الدول العربية في الماضي، وان في ذلك تذكيرا لامتنا بماضيها المجيد عندما سادت الدنيا حضارة ومدنية وعلما وعدلا، واننا نتطلع الى اليوم العتيد والقريب، ان شاء الله، الذي تخفق فيه راية الثورة العربية في سماء بلاد العرب. واذ ذاك تطمئن ارواح الشهداء الذين بذلوا دماءهم رخيصة في سبيل رفع راية الامة العربية عالية في سماء العروبة وتطمئن نفوس العرب الى انهم سيحيون حياة ملؤها الحرية والكرامة والمجد في دولة قال عنها الرئيس عبد الناصر:

تحمي ولا تهدد، تصون ولا تبدد، تقرب ولا تبعد، توحد ولا تفرق، تسالم ولا تفرط، تؤكد العدالة وتدعم السلام..

## مهرجان افتتاح اسبوع الجزائر

بدأ اسبوع الجزائر يوم الاحد 58/3/30 في الاقليمين السوري والمصري والبلاد العربية الاخرى والاقطار الاسيوية والافريقية وفقا لقرارات مؤتمر التضامن الاسيوي الافريقي الذي عقد في القاهرة مؤخرا. وقد توقفت حركة المواصلات والاعمال في الاقليم السوري لمدة خمس دقائق عند تمام الثانية عشرة حدادا على شهداء الجزائر، وطافت موسيقى الدرك والشرطة في الاسواق والساحات العامة تعزف الالحان والاناشيد القومية، والقيت المحاضرات والخطب في جميع مدارس سورية وخرجت مظاهرات الطلاب تهتف بحياة الجزائر واستقلالها.

وفي مدرج جامعة دمشق اقامت الحكومة مهرجانا خطابيا تحت رعاية شكري القوتلي وبحضور، وتكلم في المهرجان القوتلي وعفلق والسراج ونوري ايبش والسيد الغسيري ممثل جبهة التحرير الجزائرية، ثم جرى بعد ذلك فتح باب التبرعات ف تبرع شكري القوتلي بخمسة الاف ليرة سورية.

كنت قد عذمت قبل حضوري ان أتبرع بكل ما املكه من مال منقول وهو راتبي عن شهر ويعادل ثلاثة الاف ليرة وسيارتي البونتيك التي لم يمض على شرائها سوى شهر واحد، ولم تسدد بقية اقساطها، كما اتفقت مع زوجتي على التبرع بكل ما تملكه من حلي للجان الاتحاد النسائي وكان ذلك تافها جدا بالنسبة للدماء الغالية التي يهدرها اخواننا في الجزائر دفاعا عن عروبة الامة العربية وحريتها.

كان لهذا التبرع ايضا معناه على مستوى الجمهورية العربية المتحدة اذ ان المجلس التنفيذي في سورية كان قد قرر رفع التعرفة الجمركية على السيارات وغيرها من الكماليات، فأردت ان يكون المسؤولون قدوة لشعبهم في الحياة البسيطة والابتعاد عن البذخ ولم يخطر ببالي ابدا ان يسبب هذا التبرع اي احراج للاخرين ولكن جمهور الطلاب المحتشد في القاعة طلب من القوتلي ان يتبرع بسيارته فانزعج القوتلي كثيرا وصرخ في وجه الطلاب وامتنع

عن التبرع، اما صبري العسلي فقد تظاهر بالقبول ولكنه امتنع فيما بعد عن تسليم سيارته الى لجنة التبرعات.

ومن غريب الصدف انه بعد شهرين، وفي اليوم الذي جاءت فيه لجنة جمع التبرعات لاستلام سيارتي تلقيت من سفير الاتحاد السوفيتي سيارة الفولغا التي قدمت هدية من حكومته لنواب الرئيس جمال عبد الناصر وللوزراء الذين رافقوه في رحلته للاتحاد السوفيتي، كما قدمت طائرة هدية له.

□

لم يحظ اسبوع الجزائر من قبل السلطات المصرية بالاهتمام ذاته الذي احيط به في سورية، لذلك كانت حصيلة التبرعات في سورية اكبر من حصيلتها في مصر، وقد علمت بعد ذلك بأسف ان السلطات المصرية امتنعت عن تسليم جبهة التحرير الجزائرية حصيلة التبرعات نقدا، وحاولت ان تستبدلها ببعض المؤونة والتجهيزات.

اما المخصصات السرية التي كانت مقررة في الموازنة السورية لرئاسة الجمهورية ومقدارها مليون ليرة والتي انتقلت لتصرفي كنائب لرئيس الجمهورية، فقد خصصت منها نصف مليون ليرة سورية لشراء القمح لاخواننا المجاهدين في الجزائر، ووزعت النصف الاخر على بلديات سورية، فنالت منها بلدية حماة مئة الف ليرة.

### الاحتفال بعيد الجلاء

قبل يومين من الاحتفال بعيد الجلاء الذي يجري في 4/17 من كل عام زارني محمود رياض وقال لي:

هل ترى مانعا ان يكون شكري القوتلي شريكك في رعاية العرض العسكري الذي سيجري في هذه المناسبة؟ قلت له:

لا مانع عندي ان يجري هذا الاحتفال برعاية شكري القوتلي كما كان يجري في السابق فقال:

ان هذا لا يجوز فانت نائب رئيس الجمهورية وممثله في هذا الاحتفال، والحقيقة انني لم اكن حريصا على رعاية الاحتفال بسبب نفوري الطبيعي من المظاهر الرسمية، كما انني شعرت ان مشاركتي للقوتلي او مشاركته لي في رعاية الاحتفال امر غير مستساغ بنظر الجمهور الذي كان يتطلع للتغيير مع مطلع الوحدة وعهدها الجديد، ولكنني مع ذلك لم اعلق على الموضوع كبير الاهمية، وهكذا جرى العرض العسكري كما كان يجري سابقا في مدخل مدينة دمشق من الغرب حتى ساحة الامويين، وقبل الموعد المحدد زرت القوتلي في منزله ثم خرجنا معا في سيارة مكشوفة الى مكان العرض حيث القى القوتلي كلمة جاء فيها ان الجلاء عن سورية كان حجر الاساس في بناء الوحدة، ثم تبعته فألقيت كلمة استعرضت فيها نضال الشعبين السوري والمصري وكان استهلال الكلمة وختامها كالاتي:

ايها الاخوة المواطنين

باسم الله العلي القدير وباسم العروبة المكافحة الخالدة... وباسم محررها وقائد ثورتها جمال عبد الناصر... يشرفني ويسعدني ان اتوجه بمناسبة هذا العيد القومي الكبير:

الى كل مواطن ومواطنة من ابناء هذا الاقليم وقد طردوا الاجنبي المحتل وحققوا بدمائهم الاستقلال.

الى كل فلاح وفلاحة وقد تحرروا من سياط البرابرة...

الى كل عامل وعاملة وقد تحطمت من حولهم اغلال المستعمرين... الى كل طالب وطالبة وقد طمست من برامجهم اراجيف المحتلين، وامحي من تاريخهم زور الغاصبين.

الى كل ام تكلى فقدت فقيدا ولكل اسرة قدمت شهيدا...

الى كل ضابط وجندي من آساد جيشنا الباسل..

اليكم جميعا ايها الاخوة المواطنين اتوجه في عيد الجلاء ... عيد انتصاركم الساحق على الظلم والبغي والعدوان... عيد تحرركم من رجس

الاحتلال وندس الاستعمار... عيد وضعكم الحجر الاساسي الاول في بناء الجمهورية العربية المتحدة.

ايها الاخوة، يا ابناء الجمهورية المتحدة ان هذه الجمهورية، التي بنيتم كل لبنة من لبناتها بدم المهج، وعرق الجبين ودموع العين، انما تدعوكم فردا فردا لحمايتها والذود عنها والتمكين لها في الارض.

ان مسؤولياتكم القومية، مسؤولياتكم جميعا انما تصاعدت بتصاعد الانتصارات القومية التي احرزتموها..

انكم في نضالكم - ايها الاخوة - لترسيخ جذور الوحدة وفي سعيكم لتمتين عراها وتقوية اواصرها لا تعملون حفاظا على بقائكم ووجودكم وحدكم وانما تعملون وتكافحون، لبقاء وجود القومية العربية.

الا فاعلموا - ايها الاخوة - بانه على سلامة جمهوريتكم ونهوضها يتوقف مصير اخوانكم المجاهدين البواسل في الجزائر الذبيحة وفي بقية اصقاع المغرب العربي الا فاعلموا - ايها الاخوة - بأنه على سلامة جمهوريتكم ونهوضها يتوقف حلم اجيال امتكم في الوحدة الشاملة وفي بناء مجتمع اشتراكي حر.

ان جمهوريتكم اليوم في امس الحاجة الى كل فرد منكم..

فالجندي على حدودها يرفع امنها وسلامتها والعامل والتاجر والفلاح والمزارع يفجرون خيراتها... وينمون ثرواتها والعلماء والفنانون والمعلمون والطلاب يبنون حضارتها وينشرون الوبة العلم والفن والتقدم فوق ربوعها.

هذا نداء الجمهورية لكم يا ابناء الجمهورية الاحرار، وعلى تلبيتكم لهذا النداء يتوقف مصير الجمهورية وعلى هذا المصير يتوقف مصير العرب. فاعملوا لمجد هذا المصير، فالله والتاريخ شهيد على ما تعملون.

## **تطور الاوضاع العربية والدولية بعد قيام الوحدة**

استمر الصراع على النفوذ بين الولايات المتحدة وبريطانيا بعد قيام الوحدة، فشرعت الولايات المتحدة بشكل ملحوظ، بتحسين علاقاتها مع جمال عبد الناصر، سواء في توجيه اجهزة اعلامها او تصريحات مسؤوليها تجاه سياسته العربية، ويتجلى

ذلك في كشف المؤامرة السعودية وهجوم عبد الناصر على الملك سعود في خطبه اكثر من اسبوعين حتى اضطر للتنازل عن جميع سلطاته تحت ضغط الامراء لاختيه الامير فيصل وكان ذلك مؤيدا من الولايات المتحدة، وقد صدر فيه المرسوم التالي:

- 1- يمنح رئيس وزرائنا (يعني فيصل) المسؤولية التامة للاشراف على تنفيذ جميع السلطات الادارية فيما يتعلق بالشؤون الداخلية والخارجية والشؤون المالية.
- 2- يعاد النظر في نظام مجلس الوزراء بغية ادخال التعديلات الضرورية على النظام الحالي لهذا المجلس.
- 3- كلفنا رئيس وزرائنا بتحقيق هذه الرغبات والله ولي التوفيق.

□

كانت اجهزة اعلام الجمهورية العربية المتحدة، منذ كشف محاولة الملك سعود، تحط من قدر الملك وتدعو في الوقت نفسه لاختيه الملك فيصل وتصفه بالوطني الغيور وقد كتب محمد حسنين هيكل مقالا بهذا المعنى.

اما وزير خارجية الولايات المتحدة دلس فقد صرح اثر تخلي الملك سعود عن سلطاته: "ليس هناك اي سبب يدفع للاعتقاد بأن الامير فيصل يحمل اي شعور مناوىء للامريكيين" وقال: "ان قيام الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد العربي الهاشمي اوجدا عناصر جديدة في الشرق الاوسط"

والحقيقة ان الاوساط الاميركية وشركات البترول كانت منزعة من اسراف الملك سعود وضغطه المتواصل للاستلاف من شركات البترول، ولطلب المساعدة من الولايات المتحدة بعد ان اصبحت المملكة العربية السعودية على شفا الافلاس مما يؤدي الى مضاعفات سياسية، فكان من نتيجة ارغام الملك سعود للتخلي عن صلاحياته المطلقة لاختيه فيصل المعروف بحرصه واقتصاده مصلحة اساسية للولايات المتحدة، وقد اعتبر جمال عبد



الناصر تخلي الملك سعود عن سلطاته المطلقة لاختيه الملك فيصل نصرًا عظيمًا له.

وعندما سئلت بتاريخ 58/3/6 من قبل وكالة الأنباء السورية عن هذا الحدث اجبت:

"انني انتظر المزيد من المعلومات، ويمكن اعتبار هذا الحدث خطوة الى الامام نرجو ان تتبعها خطوات لخير العرب والقضية العربية" وقلت ايضا: "بات للوعي العربي بين جماهير الشعب اثر كبير في جميع القضايا والامور العامة".

□

عشية اليوم الثاني من زيارة جمال عبد الناصر لدمشق وقبل ان يكشف في خطبه عن المحاولة السعودية، زارني في بيتي رجلان قالا انهما من ضباط الجيش السعودي وانهما موفدان من قبل رفاقهم ليستشيراني بانقلاب عسكري اعدوا له في المملكة العربية السعودية فقلت لهما:

هل تودان ان ارسلكما الى عبد الحميد السراج او اجمعكما بجمال عبد الناصر؟ فرفض الرجلان ذلك وقالوا:

لقد جئنا لنستشيرك بمفردك، ونرجو ان تكتم سرنا عن الجميع.

كان هنالك احتمالان لا ثالث لهما: فاما ان يكونا صادقين، واما ان يكونا مرسلين من المخابرات السعودية، ومع ذلك فقد تحدثت بما يمليه علي ضميري وقناعتي.

سألتهما اولا عن قوة التنظيم، فقالا انه تنظيم قوي وانه قادر على القيام بانقلاب، ثم سألتهما: هل يجمع التنظيم بين الضباط النجديين والحجازيين؟ فقالا انه مقتصر على الضباط الحجازيين، وعندئذ سألتهما:

الم يرد في تقديركم انه في حال القيام بانقلاب عسكري يعتمد على الضباط الحجازيين فان ذلك تهديدا للمملكة السعودية بالانقسام، وفي ذلك ما فيه من خسارة للحجاز

المحروم من الموارد البترولية، وعندما لم يجب الضابطان  
استطردت قائلاً:

انني اوصيكم الا تفكروا بالقيام باي انقلاب، فالولايات  
المتحدة لا يضيرها ان ينفصل الحجاز عن نجد طالما هي مسيطرة  
على الموارد البترولية، وانما يضير القضية ويضير الحجاز ان يقع  
مثل هذا الانقسام وعندما سألاني عن الحل قلت لهما:

اوصيكم بالصبر الطويل لان المجتمع العربي في السعودية لا  
يحتمل الا دفع عجلة الاصلاح الى الامام بالطرق الممكنة.

انني لا ادري اذا كان هذان الشابان ضابطي مخابرات  
ارسلوا الي لاصطناع مؤامرة على المملكة العربية السعودية ردا  
على المؤامرة التي استدرج اليها الملك سعود وعمه ابو زوجته  
التي اوردوا اسمها ايضا عند كشف عن المؤامرة.

قصارى القول ان استلام فيصل لسلطات اخيه الملك سعود قد زاد  
من شأن جمال عبد الناصر عربيا وعالميا.

كان فيصل منذ ثورة عام 1952 حريصا على صداقة مصر  
بشخص عبد الناصر ورجال الثورة، متمشيا في ذلك مع سياسة  
والده عبد العزيز في حرصه على صداقتها تجاه نفوذ الاسرة  
الهاشمية في الهلال الخصيب، وهكذا اصبحت سورية بعد استلام  
فيصل وبعد قيام الجمهورية العربية المتحدة في مآمن من تأمر  
المملكة العربية السعودية، كما اصبحت حلف بغداد بايدي الارتباك  
والوهن في تنفيذ مخططاته التأميرية ضد سورية بالتعاون مع كميل  
شمعون كما يظهر من وثائق حلف بغداد.

كانت بريطانيا والولايات المتحدة تتخذان من لبنان وكرا  
للتأمر على الحكم الديموقراطي في سورية خلال الاعوام التي  
سبقت الوحدة، اما بعد قيامها فقد اصبحت لبنان نفسه ضحية لهذا  
التأمر.

ولا بد لنا هنا من العودة قليلا الى الوراء لتتجلى لنا الصورة الحقيقية لتطور الاحداث على المسرح اللبناني بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة:

في اواخر عام 1957 بلغ الصراع اوجه بين القوى الوطنية وبين كميل شمعون بعد ان اصبح تزوير الانتخابات الحد الفاصل بين هذه المعارضة وبين شمعون، كما ان اصراره بعد تأمين الاكثرية النيابية على تعديل الدستور وتجديد مدة رئاسته مرة اخرى كان يقضي على كل امل بأن يصبح لبنان حياديا.

كان زعماء لبنان يزورون سورية باستمرار، التقدميون والتقليديون على السواء، كالسيد كمال جنبلاط وحميد فرنجية واحمد الاسعد ورشيد كرامة وغيرهم قبل الانتخابات اللبنانية وبعدها اذ ان الصراع بينهم وبين كميل شمعون كان يزداد حدة ويتصاعد باستمرار وانني لا ازال اذكر ما قاله لي صبري حمادة:

"ان كميل شمعون سيزور الانتخابات اللبنانية ثم يعمد لتعديل الدستور وتجديد رئاسته بمساعدة الولايات المتحدة وبريطانيا، وأنه ليس بمقدور المعارضة ان تحول دون ذلك، كما ان الولايات المتحدة مستعدة لارسال قواتها الى لبنان كما اكد لي ذلك السفير الاميركي فيما اذا حاولت المعارضة ان تفرض رأيها بالقوة".

لم آخذ تحذير صبري حمادة آنذاك على محمل الجد فقد كنا نستبعد آنذاك نزول القوات الاميركية في لبنان، ولا سيما ان المعارضة اللبنانية كانت تشمل قاعدة واسعة جدا من مختلف المذاهب الاسلامية والمسححية، وبصورة خاصة زعماء كبار من الموارنة كالبطريرك المعوشي الذي كان لقبه آنذاك بطريرك العرب وحميد فرنجية وسواهم من الذين تجمعنا بهم اوثق اواصر الثقة والتفاهم.

كانت علاقاتنا بزعماء المعارضة اللبنانية التقليديين والتقدميين علاقات نزيهة لا تشوبها شائبة، واذكر ان صائب سلام زار القوتلي ثم زارني وطلب مساعدته بحوالي مليون ليرة سورية لدعم قائمته الانتخابية، فرفضت طلبه، وتحدثت مع القوتلي عن

مخاطر هذا الاسلوب في بلد شقيق، وقلت له ان شعب لبنان شعب واع يدرك جيدا ان سياسة كميل شمعون تضر بمصالحه اكثر مما تضر بمصالح سورية، ولكن محمود رياض اخبرني بعد ذلك ان مصر ستؤمن لصائب سلام المبلغ الذي طلبه.

كان غريبا الا يتذكر كميل شمعون ان عهدي شكري القوتلي وبشارة الخوري في سورية ولبنان قد اطيح بهما عندما لجأ الى تعديل الدستور وتجديد الرئاسة، وان المعارضة اللبنانية هي التي اطاحت بالشيخ بشارة الخوري بانقلاب ابيض وهي التي اوصلته الى رئاسة الجمهورية.

□

تطورت الاحداث في لبنان بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة، وبلغ صراع كميل شمعون مع المعارضة اللبنانية حدود اشعال الفتنة الطائفية، معتمدا في ذلك على الكتائب اللبنانية، وعلى الحزب السوري القومي، وكنا دائما نحذر زعماء لبنان من المنزلق الذي يحاول كميل شمعون ان يدفع اليه لبنان، فتصبح المعركة السياسية معركة طائفية... وفيما يلي مسلسل الحوادث كما تطورت بعد زيارة جمال عبد الناصر لسورية:

"دعا كميل شمعون في خطابه الذي القاها في بطريركية انطلياس الارمن الى لعب دورهم في معركة تجديد الرئاسة" "وزعت في احياء معينة في بيروت اعداد كبيرة من المسدسات والبنادق، واعطيت تعليمات خفية الى ضباط الدرك لاجراء تدابير استفزازية وايقاط الخصومات والنزعات الثأرية القديمة، وردت مدينة طرابلس على هذا العمل باجراء مصالححة وطنية بين زعمائها عاد معها الصف الوطني الى وحدته، وقد تجمعت في جبهة معارضة التجديد قوى لم يسبق لها ان اجتمعت على امر واحد في تاريخ لبنان، وباستثناء فئة القوميين والكتائب لا يجد المراقب هيئة سياسية تؤيد تجديد رئاسة شمعون" (النصر 25 آذار 1958)

"بحث المجتمعون في منزل السيد هنري فرعون وهم من مختلف الاحزاب والهيئات والطوائف في لبنان قضية تعديل الدستور وتجديد ولاية الرئيس شمعون، فاعتبر ذلك مجازفة بمصير الوطن وجريمة بحق الوحدة

الوطنية وخطرا على لبنان، وكان في مقدمة الموقعين على بيان بهذا المعنى: هنري فرعون، عبد الله اليافي، احمد الاسعد صائب سلام، كمال جنبلاط، يوسف سالم، الدكتور ادمون رباط، شارل حلو، محسن سليم، فؤاد عمون، جورج نقاش، غسان تويني، عبد الله مشنوق، نجيب صالحه، يوسف حتي، حسن البحصلي" (النصر 58-3-28)

"قتل بتاريخ 2-4-1958 خمسة اشخاص وجرح اكثر من 15 شخصا في مدينة صور عندما اطلق رجال الدرك النار على المتظاهرين، وكان بينهم عدد من النسوة والاطفال، وقد اصدرت جبهة الاتحاد الوطني بيانا اتهمت فيه السلطات الحاكمة بأنها هي التي دبرت حوادث صور، وانها حلقة اخرى في سلسلة المآسي التي يحاول الحاكمون عن طريقها فرض ارادتهم بتعديل الدستور وتجديد رئاسة كميل شمعون، وقد اضربت جميع مدن وقرى لبنان الجنوبي احتجاجا على الحادث" (النصر 58-4-3).

"اعلن بلاغ رسمي لبناني بتاريخ 10-4-58 ان 3 اشخاص قتلوا وجرح كثيرون اثر اشتباكات مسلحة وقعت في جبل الكنيسة القريبة في ظهر البيدر وفي منطقة وادي الدلم في محافظة البقاع، واعلن البلاغ ان قوات الجيش والامن لا تزال تتعقب الرجال المسلحين" (النصر 58-4-11)

- "نشرت وكالة يونائتدبريس بتاريخ 2/4/58 ان التوتر يزداد في مختلف انحاء لبنان وان هذه الاضطرابات تبدو جزءا من معركة تعديل الدستور وتجديد الرئاسة لكميل شمعون"

- "خطب النائب معروف سعد في مجلس النواب اللبناني بتاريخ 15 نيسان قائلاً: ان فساد جهاز الحكم، والتمييز بين المواطنين والسياسة الخارجية المشبوهة، والفضائح والصفقات التي يرتكبها المسؤولون، وقضية تجديد الرئاسة هي سبب الحوادث الاخيرة الدامية، وان جميع الفتن والمؤامرات تدبر لهذه الغاية، ثم ابدى خشيته من ان تتجدد مذابح عام 1960" (النصر 58/4/16)

كما اذاع مؤتمر الاحزاب والشخصيات الوطنية في لبنان بيانا ندد فيه بالخطب الرسمية التي يلقيها المسؤولون في المناسبات الدينية، وهاجم البيان المظاهرات المسلحة التي انطلقت في

بيروت تأييدا لفكرة التجديد، ودعا المسؤولين الى ضرورة العودة الى اوضاع سليمة ديموقراطية.

□

كان واضحا منذ البداية ان بريطانيا وحلف بغداد هما وراء دفع ودعم كميل شمعون لتجديد ولايته كي يبقى لبنان مركزا للنفوذ البريطاني، ووكرا للوثوب على سورية مفتاح المنطقة العربية، ولم يكن اشتراك اسرائيل في ذلك بعيدا عن حسابنا، اما دور الولايات المتحدة فلم يتضح لنا الا بعد نزول قواتها في لبنان، وهذا هو السبب الذي جعلني لا آبه كثيرا لتحذير المرحوم صبري حمادة الذي اشرت اليه سابقا، ولا سيما ان بوارد الود والتأييد للجمهورية العربية المتحدة اصبحت تتردد في تصريحات المسؤولين الاميركيين فقد سحب دالس مزاعم حكومته عن النفوذ الشيوعي في الجمهورية العربية المتحدة، واعقبه وكيله راون تري فتحدث في محاضرة القاها عن امانى العرب التاريخية في الوحدة العربية، كما طلب كرين رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الاميركي وجوب تقديم مساعدات للجمهورية العربية المتحدة، هذا الى جانب تصريحات السناتور كندي التي تؤيد ثورة الجزائر على الاستعمار، وقد كان عبد الناصر متجاوبا مع هذا الود الاميركي في جميع احاديثه للصحافيين الاميركيين.

وقد بدأ التمهيد للتدخل الاميركي في لبنان عندما اعلن شارل مالك وزير الخارجية بتاريخ 58/4/24 امام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب ان هنالك اتفاقا بين الحكومتين الاميركية واللبنانية يفرض على الولايات المتحدة نجدة لبنان اذا تعرض للاعتداء من احدى الدول او من اسرائيل، وقد احتج نواب المعارضة على تجاوز الحكومة وطلبها العون العسكري من دولة اجنبية بمعزل عن الدول العربية.

□

هكذا كان الوضع في لبنان عندما ابلغني محمود رياض بتاريخ 58/4/25 انني سأرافق الرئيس عبد الناصر في زيارته

للاتحاد السوفيتي التي ستبدأ بتاريخ 58/4/29، وعندما رجاني ان تكون حقيبتني صغيرة ومقتصرة على الضروري قلت له، هل تظن انني سأحمل معي غير الضروري؟ قال محمود رياض:

ان عدد مرافقي الرئيس سيكون محدودا، وان استيعاب الطائرة وحمولتها سيكونان محدودين ايضا، وهكذا لم يخطر في بالي ان أخذ معي اي مرافق يعفيني عندما احتاج لبعض الامور من التجول في دهاليز الكرملن وهو الامر الذي حدث معي خلال تلك الزيارة.

كنت قبل التوجه الى القاهرة قد قمت بزيارة خاصة لمحافظة حماة وحلب واللاذقية لاطلع بنفسي على الموسم الزراعي الذي كان مهيدا بالبوار لانحباس الامطار في فصل الربيع، الامر الذي استمر طيلة سنوات الوحدة فأحدث مجاعة حقيقية في سورية وانعكس اثره الاقتصادي والسياسي والنفسي على الوحدة مما سآتي على ذكره بالتفصيل.

**لقد سمعت من افراد الشعب وخصوصا من الفلاحين في الريف وبصوت مرتفع شكاوى مريرة من تأخر صدور قانون حماية الفلاح والاصلاح الزراعي، ومن انحياز السلطة للاقطاعيين بشكل مفضوح حيث شرعت بتنفيذ مئات من احكام التهجير ونزع يد الفلاحين عن الارض، وكانت هذه الاحكام موقوفة عن التنفيذ قبل قيام الوحدة، وكانوا يتساءلون:**

**كيف يجوز ان يحدث هذا وانت نائب لرئيس الجمهورية ورئيس للمجلس التنفيذي؟**

كنت اطمئنهم واقول لهم ان هذه التجاوزات امور عارضة ستزول في القريب العاجل، وكان رفاقنا الحزبيون السابقون يبدون تخوفهم من تسلق الرجعيين على اكتاف عهد الوحدة وكنت اشاركهم هذا الشعور فوضعت مسودة مذكرة بهذا الخصوص اطلب فيها من الرئيس عبد الناصر اعفائي من المسؤولية..

غادرت دمشق في 27-4-58، وكان يرافقني في الطائرة وزير التربية والتعليم كمال الدين حسين و خليل كلاس الذي كان على رأس وفد اقتصادي يضم مدير الشؤون الاقتصادية ومدير مصرف سورية المركزي ومدير الابحاث الاقتصادية ليلتقي هذا الوفد في بون مع الوفد الاقتصادي المصري برئاسة عبد المنعم القيسوني لاجراء مباحثات اقتصادية ومالية مع المانيا الغربية، وعند وصولنا الى القاهرة طلب الي ان اتوجه فوراً للاجتماع بعبد الناصر الذي قابلني بود ظاهر وقال لي:

كل يوم تصلني مئات التقارير والكتب والرسائل وكلها تحذرنني منك وتحمل عليك كأنه ليس للرجعية في الدنيا عدو سواك، انني غير غافل عن انحراف الوضع في سورية، واطن ان ذلك بسبب تأخرنا في اصدار قانون حماية الفلاح والاصلاح الزراعي ولا يجوز ان تتأخر اكثر من هذا، والا نكون قد انحرفنا عن مبادئنا، ثم قال:

ان سفرنا للاتحاد السوفيتي سيتيح لنا فرصة التعرف على بعضنا اكثر، وعندما سألني عن الاوضاع في سورية قلت له:  
انك كما يظهر مطلع على حقيقة الوضع في سورية، وصرفت النظر عن تقديم المذكرة.

كان من اساليب عبد الناصر التي اصبحت معروفة فيما بعد انه كان يكلف رجال مخابراته باستطلاع افكار زواره قبل اجتماعهم به ليبهرهم بالاجابة على افكارهم قبل ان يتحدثوا بها، وليفاجئهم بالاجابة على اسئلتهم قبل ان يطرحوها.

وقبل سفرنا الى موسكو عقد عبد الناصر اجتماعاً حضرته مع عبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادي، وقد تساءل ناصر عما يجب ان نطلبه من الاتحاد السوفيتي فقال المشير ان اهم ما نطلبه هو تزويدنا بالاسلحة الحديثة، فثنيت على اقتراحه وقلت للرئيس ان زيارتك للاتحاد السوفيتي بعد قيام الجمهورية العربية



المتحدة مناسبة جيدة سيلبي بها السوفيت كل ما نطلبه من اسلحة.

ان المشير ادري مني بالطبع بأنواع الاسلحة، ولكنني اقول على سبيل التذكير ان جيشنا بحاجة للصواريخ لان اسرائيل ستجابهنا قريبا بتحويل الاردن فعلينا ان نكون مستعدين لهذه المجابهة.

لم يعلق عبد الناصر بشيء على هذا الاقتراح، وكان يبدو ان الذي يهمله بالدرجة الاولى من هذه الزيارة هو المزيد من المعونات والقروض والمحافظة على سياسة التوازن بين المعسكرين.

□

في ليلة رحيلنا الى موسكو بتاريخ 58/4/29 داهم رجال المخابرات المصرية غرفتي، فاستيقظت من نومي منزعجا فقالوا انهم يريدون تفتيش حقائبي ولكنهم لم يجدوا في الغرفة سوى حقيبة صغيرة فلبوا ما فيها ثم خرجوا مسرعين، وبقيت في سريري متمددا افكر في هذه المفاجأة ولم انم حتى حان موعد السفر صباحا، فذهبت الى منزل عبد الناصر، ومن هناك توجهنا الى المطار ابو صوير الذي كان يعج بعدد كبير من المودعين، فركبنا طائرة ضخمة من طراز (تي يو 104) وكان عدد المرافقين لجمال عبد الناصر من رجال المخابرات والصحافيين وموظفي الاعلام والمصورين والسكرتارية والخدم كبيرا جدا لا كما قال لي محمود رياض.

جلست الى جانب عبد الناصر في الطائرة حسب طلبه، وجلس احمد عبد الكريم وعبد اللطيف البغدادي وكمال الدين حسين ومحمود فوزي وحسين الشافعي في المقاعد الاخرى، اما صلاح نصر فقد جلس مع رجال الاعلام والصحافة والمخابرات في بهو الطائرة، ولكنه كان يطل علينا بين فترة واخرى.

وحاولت ان اقضي الوقت بالحديث مع عبد الناصر، ولكنني لاحظت ان ليس لديه رغبة بالحديث، فتركت مكاني وجلست الى جانب احمد عبد الكريم الوزير السوري الوحيد في هذا الوفد

وظفنا نتحدث عن شؤون سورية وضرورة التآزر والتعاون للنهوض بالوحدة وانجاحها، وكانت تجربتي مع احمد عبد الكريم وامين النفوري القصيرة في الوزارة تثبت لي يوما بعد يوم ان تقييما لهما في الماضي - بتأثير رفاقنا العسكريين - كان تقييما خاطئا، وقبل وصولنا الى مطار بودابست نهض عبد الناصر من مقعده واشترك معنا في الحديث.

كان من عادة عبد الناصر - كما خبرته فيما بعد - ان يسيء الظن كلما لمح اثنين يتحدثان على انفراد، ولا اشك انه قضى وهو محروم من شعور الثقة بالآخرين وسيء الظن بجميع من حوله.



استقبلنا في مطار بودابست رئيس وزراء المجر وكبار القادة العسكريين وعلى وجوههم كآبة خرساء عللها عبد اللطيف البغدادي بأنها اثر من آثار المأساة التي عاناها الشعب المجري من اجتياح الجيش السوفيتي، وعندما وصلنا الى موسكو حوالي الظهر كان على رأس مستقبلينا السادة فوروشيلوف وخروشوف وبريشنكو وكازنوف ومحدينوف وكوسجين وغروميكو والمارشال روكوفسكي وجميع وزراء الاتحاد السوفيتي، وعلى جانبي الطريق الذي يبعد عن موسكو 35 كيلو مترا اصطف اهل موسكو في جمع ليس له مثيل لاستقبال جمال عبد الناصر..



نزلنا في الكرملين وكانت المرة الاولى التي يحل فيها رئيس دولة اجنبية. بدت لي موسكو كما كنت اتصورها في قبل المدينة الكبيرة الضخمة التي تختص بطابعها الفريد.

كنت اشعر وانا اتطلع حولي في القصر ان في كل ركن وزاوية سر من اسرار التاريخ او طيف من اطياف الماضي، فها هي مدافع نابليون المهزوم ما تزال مصوبة في باحة القصر، وها هي غرفة لينين ما تزال على حالها، بسيطة متواضعة، وها هو جثمانه الى جانب ستالين يستقبلان كل يوم الاف الزائرين.

عقدنا بعد ظهر اليوم الاول من وصولنا اول اجتماع بمكتب خروشوف، وكان جمال عبد الناصر على رأس الوفد العربي الذي ضم عبد اللطيف البغدادي، اكرم الحوراني، كمال الدين حسين، محمود فوزي، علي صبري، احمد عبد الكريم، صلاح نصر، محمد عوض القوني سفير الجمهورية العربية المتحدة في موسكو، بينما كان خروشوف على رأس الوفد السوفيتي الذي ضم ميكويان وكوزومولوف وغروميكو وزورين وليتوف وكيسيليف سفير الاتحاد السوفيتي في القاهرة.

افتتح خروشوف الاجتماع بالترحيب بعبد الناصر والوفد وتحدث عن الموقف المخلص والمؤيد الذي وقفه الاتحاد السوفيتي من الجمهورية العربية المتحدة، ثم اشار بأسلوب فيه سخرية وقسوة الى ان اخبار المناقشات بين الجانب السوفيتي والمصري كانت تتسرب الى الغرب دائما، كما لفت نظر عبد الناصر الى وجود عناصر غير مأمونه بين موفديه، ثم ندد بسياسة اللعب على الحبلين وابتزاز الاموال، وقال اننا لا نجهل ارتباطكم بالغرب ولكن لا بأس ان تأخذوا من هؤلاء الخنازير الغربيين القروض والمساعدات، اننا سننظر اوفياء ومخلصين لقضاياكم.

كان خروشوف يتكلم والدماء تغلي في رأسي، وكنت اقول في نفسي:

كيف تستقبلنا موسكو بهذه الحفاوة التي لم يسبق لها مثيل ثم يتهمنا خروشوف بالتواطؤ مع الغرب، اما عبد الناصر فقد امتقع وجهه ولكنه لم ينبس ببنت شفة، وكادت انفجر فيه وجه خروشوف، ولكنني لم ارد ان اسبب ازمة في اول زيارة لنا للاتحاد السوفيتي ولم أشأ ان اتخطى الرئيس عبد الناصر.

عندما خرجنا من غرفة الاجتماعات سألتني عبد الناصر: ما رأيك في اقوال خروشوف؟ قلت له:  
انني اعتبرها اهانة واتهام.

لم يعقب عبد الناصر على كلامي، ثم طوتنا دهاليز الكرمليين في طريقنا الى الاجنحة المخصصة لكل منا.

عقدنا في اليوم الثاني اجتماعا آخر في الكرمليين ضم جميع الذين حضروا الاجتماع الاول، وقد استهل خروشوف هذا الاجتماع بكلمة صغيرة تتصف بالظرف والدعابة، ثم توجه الي بالكلام قائلا:

من منكم ظن انني أسأت اليه في اجتماع البارحة؟

انني لم اقصد الاساءة ابدا، واذا كان الترجمان قد قصر في ترجمة كلامي فأنني سأعاقبه، وعلى كل حال فأنني اعتذر اذا كان احدكم قد ظن ذلك، فلم اعلق بكلمة على هذا الاعتذار، ولا ادري كيف انتقل حديثي مع عبد الناصر اليه.

استعرض عبد الناصر الوضع العربي بشكل عام والوضع المتفجر في العراق بشكل خاص، وقال انه بوسع الجمهورية العربية المتحدة ان تشعل الثورة في العراق، وان تطيح بحلف بغداد وبجميع الانظمة الرجعية المتواطئة مع الاستعمار، وتساءل عن موقف الاتحاد السوفيتي ومدى دعمه وتأييده للجمهورية العربية المتحدة في مثل هذه الحال، وكاد ناصر ان يصل الى نهاية حديثه، فكتبت له ورقة صغيرة اذكره فيها بثورة الجزائر وضرورة تأييدها ودعمها فقرأ ملاحظتي وملاحظة اخرى كتبها عبد اللطيف البغدادي دون ان يتعرض لما فيهما.

كان رد خروشوف على استعراض جمال عبد الناصر وتساؤله عن مدى دعم الاتحاد السوفيتي للثورات العربية يتضمن النقاط التالية:

- 1- ضرورة التعقل تجاه اذكاء الثورات الوطنية في المنطقة العربية.
- 2- الاشارة الى ما تملكه الجمهورية العربية المتحدة من مواقع استراتيجية هامة على البحر الابيض المتوسط.

3- استعداد الاتحاد السوفيتي لتقديم كل انواع المساعدات العسكرية والاقتصادية والسياسية للجمهورية العربية المتحدة.

بعد هذا الاجتماع اصبحت الاجتماعات تعقد على انفراد بين عبد الناصر وخروشوف.

□

منذ الايام الاولى لزيارتنا للاتحاد السوفيتي بدأت اشعر بضيق وارتباك لانني كنت محروما من مرافق يساعدني على تدارك بعض الامور الضرورية التي لا يمكن ان اقوم بها بنفسي.

كان عبد اللطيف البغدادي ينزل بجواري، وكان مستصحبا معه هو ورفاقه من اعضاء الوفد عددا من المرافقين والفراشين، فكان اتصالهم وتفاهمهم ميسورا مع المضيفين السوفيت.

كنت مزعوجا جدا من محمود رياض الذي اوصاني الا اصطحب معي مرافقا وان تقتصر حقيقتي على الحاجات الضرورية جدا، وبدأت اشعر وكأن حصارا مضروبا حولي، وان اهمالا مقصودا تجاهي سواء من السوفيت او المصريين.

وعندما زارني بشكل مفاجيء نيدوسيكيين القائم بالاعمال في السفارة السوفيتية قبل الوحدة، وقد تحدثت عنه سابقا في هذه المذكرات، وهو يتكلم العربية، لاحظ ما يبدو من حاجتي لمرافق يعنى على الاقل بحمل حقيقتي في هذه الرحلة الطويلة فخصص لي مرافقا روسيا لهذا الغرض، ولكنني كنت اجد صعوبة بالتفاهم معه لانه كان يجهل العربية تماما بالوقت الذي كان فيه عدد من التراجمة الشباب يرافقون الوفد المصري.

كان السوفيت ناقلين على حزب البعث العربي الاشتراكي منذ ان بدأ خلافه مع الحزب الشيوعي وخالد العظم، ثم ازدادت هذه النقمة بعد قيام الوحدة بين سورية ومصر، وكان الاتحاد السوفيتي قبل الوحدة بزمن قصير قد وجه الي دعوة رسمية لزيارته مع وفد اختاره حسب رغبتني، فاعتذرت عن تلبية هذه

الدعوة في القريب العاجل نظرا لظروف التآمر التي تمر بها سورية سواء من قبل حلف بغداد او الولايات المتحدة، وقد شعرت فيما بعد بالخطأ الذي ارتكبته بعدم تلبية الدعوة، لان هذه الزيارة ربما ساعدت على حل العقد التي تسبب سوء التفاهم بين حزب البعث والاتحاد السوفيتي، كما كانت مناسبة لي لطرح القضية العربية كما يفهمها حزب البعث امام قادة الاتحاد السوفيتي.

اما اهمال المصريين المتعمد لي اثناء زيارة الاتحاد السوفيتي فيرمي - على ما اعتقد - الى ارضاء السوفييت والاميركيين في آن واحد، والدليل على ذلك انني علمت بعد عودتي لدمشق ان حملة اعلامية لثيمة وجهت الي شخصيا اثناء غيابي، ولما استفسرت من محمود رياض مستشار الرئيس جمال عبد الناصر عن اسباب هذه الحملة في غيابي قال:

ان جريدة البعث كانت هي البادئة بالهجوم علي الاقطاعيين والرجعيين وقد قابلت صحفيهم هذه الحملة بالمثل فأجبت: انني اولا لست مسؤولا عما يكتبه جمال الاتاسي وعبد الكريم زهور (اصدر عبد الكريم زهور وجمال الاتاسي بعض الاعداد من جريدة البعث بعد حل الحزب ثم توقفت الجريدة عن الصدور) ثانيا: ان الصحف التي هاجمتني هي صحفكم، وقد اصبحت تابعة لوزارة الاعلام بالقاهرة منذ بدء قيام الوحدة وهي تحت سيطرتها وليست تحت سيطرة الرجعيين، ثالثا: هل اصبحت مهاجمة الاقطاع والرجعية بنظركم جريمة استحق عليها العقاب بأحكام غيابية؟؟ ثم طلبت منه ان يبلغ الرئيس ان هذا الاسلوب يسيء اليه والى نظامه والى الوحدة بين سورية ومصر اكثر مما يسيء الي شخصيا..

□

زرنا في موسكو معملا ضخما للسيارات يعمل فيه 50 الف عامل ومهندس، وهو يظهر الوجه الصناعي الذي حققه الاتحاد السوفيتي، اما وجه الشعب فقد رأيناه في عيد اول ايار من على المنصة الكبرى التي اقيمت فوق ضريحي لينين وستالين، لقد

سارت بعد العرض العسكري، وكان ضخما رائعاً بأسلحته الحديثة الجبارة، مواكب الشبيبة والشغيلة بمئات الالوف حتى كدت اشعر بالدوار وانا انظر الى هذا البحر البشري المتدفق، ولفت نظري ان علائم الفرع والبهجة كانت باادية على وجوه الناس، ولكن الذي ألمني ان اشاهد بولغانين ونحن متوجهون الى المنصة الكبرى وهو يسير في المؤخرة، وعلائم الخجل والانكسار باادية على وجهه، فبالامس كان قائد الاتحاد السوفيتي الذي وجه الانذارات الشهيرة الى الغرب في حرب السويس عام 1956، وها هو اليوم يسير كسيرا في المؤخرة، دون ان يعلم الناس اسباب هذا الانقلاب المفاجيء، ثم حدث الشيء نفسه بعد سنوات مع خروشوف وهكذا.

ان كل الامم والشعوب كانت وستظل تجاهد في مسيرتها الطويلة في سبيل اقامة النظام السياسي والاجتماعي الاكمل.

قبل هذا العرض زرنا المتحف الملحق بالكرملين، واطلعنا على تحف القياصرة التي تدل على حياة بذخ وترف ليس لهما نظير.

كانت سروج الخيل مرصعة بالاحجار الكريمة والركائب من الذهب الخالص، بينما كان الملايين من ابناء الشعب يعانون الفقر والمرض والجهل والاضطهاد... ان كنوز هذا المتحف وحدها تبرر وتفسر الطريق الذي سلكه الشعب الروسي للوصول الى الساحة الحمراء على جسور من الضحايا وكثير من الدماء.

□

لقى السيد خروشوف في المأدبة التي اقامها على شرف جمال عبد الناصر والوفد المرافق له خطابا جاء فيه:

"اثناء زيارتنا مع بولغانين لانكلترا في نيسان 1956 اجرينا مفاوضات مع قادة الحكومة البريطانية الذين صرحوا آنذاك بأن توازن القوى في الشرقين الادنى والاوسط ليس في صالح العرب وان بوسع اسرائيل ان تحطم الدول العربية.. اما نحن فقد اجبنا على ذلك بقولنا انه اذا كان هناك من يفكر هذا التفكير فانه يعبث كل

العبث.. ان عدد سكان اسرائيل يبلغ حوالي مليون ونصف مليون نسمة، اما عدد سكان البلاد العربية فأكثر من سبعين مليون نسمة... وقلنا ايضا: ان اسرائيل في حالة عدوانها على البلدان العربية فالعرب في رأينا سيخوضون حيزد غمار حرب مقدسة ضد المعتدين، وان معركة كهذه لا بد ان تنتهي بتحطيم المعتدين لان الانسانية التقدمية ستكون لا محالة الى جانب الشعوب العربية وفي مثل هذه الحالة لا بد ان تتبع المساعدة المعنوية مساعدة مادية من المتطوعين ليحاربوا جنبا الى جنب ضد المعتدين" وقال ايضا انه نصح ايدن بالا تشن بريطانيا حربا على العرب فقال له ايدن اذا امتنع العرب عن تزويد بريطانيا بالنفط فانها مستعدة لخوض الحرب فأجابه خروشوف: ان الايام التي كان يزأر فيها الاسد البريطاني فتترنح لذئيره المعمورة قد ولت، لان الاسد البريطاني لم يعد يخيف احدا.

وقد رد جمال عبد الناصر على خطاب خروشوف بخطاب خلاصته: ان تجربة تعاون العرب مع السوفيت اثبتت انهم يساعدوننا دون قيد او التزام خلافا لما تدعيه المزاعم الاستعمارية، وان محادثات موسكو اثبتت التفاهم الكامل، وقال ان الجمهورية العربية المتحدة تنظر الى الاتحاد السوفيتي كصديق يساعدنا دون مصلحة خاصة، كما اكد تمسكه بمبادئ باندونغ.

وفي يوم 2-5-58 اجتمع عبد الناصر مع خروشوف اجتماعا خاصا لم يطلعنا على ما دار فيه من احاديث، ثم غادرنا موسكو بعد يومين مسافرين بالطائرة لزيارة اوزبكستان.

كان جمال عبد الناصر يستفسر اثناء الرحلة من محدينوف وكوسيجين عن تجربة الاتحاد السوفيتي في ميدان الصناعة والزراعة والتجارة الداخلية والخارجية، فقال له كوسيجين الذي رافق التجربة السوفيتية منذ بدايتها: ان النجاح في تأميم الصناعة كان اسهل علينا من تأميم الزراعة، وقد واجهنا مصاعب وتعقيدات كثيرة في تأميم التجارة، ونصح جمال عبد الناصر ان يعالج تأميم التجارة ولا سيما الداخلية بكثير من الصبر والحذر، وبعد ان انتهى جمال عبد الناصر من احاديثه معهما انتحى بي قائلا:



اتدري ماذا طلب مني خروشوف في اجتماعي المنفرد معه  
في منزله الريفية؟؟ لقد طلب مني ان اتعاون مع خالد العظم بدلا  
منكم فرفضت طلبه. قلت لعبد الناصر:

استغرب ان يطلب خروشوف ذلك وهو امر يتعلق بشؤوننا الداخلية  
فعلق عبد الناصر على ذلك:

ليس من السخرية ان يطلب مني زعيم العالم الاشتراكي  
ان اتعاون مع اكبر اقطاعي في سورية؟؟

كان هذا هو الجانب الوحيد الذي كشفه جمال عبد الناصر  
من جوانب مباحثاته المنفردة مع خروشوف ومع ذلك فانه لم يكن  
صادقا في روايته تماما كما ستظهر ذلك الايام القليلة الالية.

□

خرج اهالي طشقند عاصمة جمهورية اوزبكستان عن بكرة  
ابيهم للترحيب بجمال عبد الناصر والوفد المرافق له، وهم يهتفون  
بالعربية اهلا وسهلا بكم، وقد لفت انتباهي عند نزولنا من الطائرة  
وفد رجال الدين، وكان على رأسهم والد محدينوف وهو شيخ  
مسن، ولما اصر على تقبيل يد جمال عبد الناصر نظر اليه ولده  
محدينوف نظرة مليئة بالسخط.

اختلفت صورة الاتحاد السوفيتي عندما زرنا طشقند، ومن  
بعدها باكو عاصمة اذربيجان، لقد شعرت بالانس واننا في عالم  
قريب من عالمنا كل القرب وتساءلت في نفسي: ترى كيف وصل  
العرب الى هذه الامكنة النائية عن الجزيرة العربية بعد فترة قليلة  
من فجر الاسلام؟ كيف حافظت هذه الجمهوريات على طابعها  
الاسلامي حتى الان؟

لا شك عندي ان المعجزة الحضارية هي التي اوصلت  
الاسلام الى هنا، وليست المعجزة العسكرية.

زرنا في طشقند اكااديمية العلوم، وتعرفنا فيها على اهل  
العلم، فعرضوا علينا ما قاموا به من جهود، وما نشروا من بحوث،  
وما حققوا من مخطوطات... ثم زرنا جوامعها الجميلة ومصانعها

العديدة وتعاونياتها الحديثة وسهرنا ليلة شرقية في دار الاوبرا والبالية في طشقند.

زرنا بعد ذلك باكو عاصمة اذربيجان التي تشبه الى حد كبير مدن بلادنا... رأينا فيها آبار البترول ومساجدها القديمة، وفي المساء اقام لنا رئيس الجمهورية (عبد اللايوف) حفلة القيت فيها كلمة قصيرة بناء على ايعاز من الرئيس عبد الناصر وطلب من كوسيجين اتيت فيها على ذكر ما بذله الاتحاد السوفيتي من دعم وتأييد ومساعدة للعرب، ولا سيما خلال حرب السويس عام 1956، وتمثلت خلالها بالقول العربي الدارج: الصديق عند الضيق، وقد لاحظت بعد القاء هذه الكلمة انفراج اسارير كوسيجين وانه اصبح اكثر مودة من قبل.

□

وصلنا الى ميناء (سوخومي) الواقع على الساحل القفقاسي قادمين من باكو ثم ابحرنا على متن الطرد ميخائيل كوتوزوف متجهين الى سوتشي.

كان ساحل البحر الاسود ما يحيط به من غابات جميلة فاتق الجمال ذكرني كثيرا بشواطىء شرقي المتوسط، وقد استمتعنا بنزهة بحرية لن انساها ابدا ولكنها لم تمر بدون منغص عارض عابر:

كنا نتناول طعام الغداء على سطح الطراد، وكانت حلقتنا على المائدة تضم اميرال الطراد والسيد كوسيجين والدكتور محمود فوزي، فشرب الاميرال بعد ان القى كلمة جميلة نخبنا ونخب الصداقة العربية السوفيتية، وبينما كنت اعد نفسي لالقاء كلمة جوابية التفت كوسيجين الى الدكتور محمود فوزي وقال بانفعال شديد: اهكذا تعاملون في بلادكم قادة الجيش؟؟ وقفت فورا والقيت كلمة عاطفية حييت فيها الصداقة العربية السوفيتية وشربت على اثرها نخب قادة الاتحاد السوفيتي ونخب مضيفينا الاوفياء الكرماء، فانفجرت اسارير كوسيجين وعدنا الى جونا الحميم.

كان شعوري خلال هذه الرحلة ان الشعب السوفيتي يشبهنا نحن الشرقيين في بعض طباعنا ... انه الطابع الاسيوي الذي يطغى في بعض جمهوريات الاتحاد السوفيتي على الطابع الاوروبي.

قلت لميكويان مرة: ترى ما السبب الذي يجعلني اشعر عندما اجتمع بكم وكأنني اعرفكم من قبل؟؟ قال ميكويان على الفور:

ان منشئي من بيئة بسيطة، وكذلك منشأ كل من تعرفت عليهم من قادة السوفيت.

عندما وصلنا الى سوتشي خرج الالوف من اهلها في المراكب والزوارق المزينة الى عرض البحر لاستقبالنا، وقد خاطبنا (السيد صايب) رئيس البلدية قائلاً:

لقد زرتم موسكو وأوزبكستان واذربيجان حيث رأيتم شعبنا كيف يعمل، وسترون في مدينتنا كيف يتمتع هذا الشعب بقضاء اوقات فراغه.

قضينا يومين في سوتشي في احدى استراحات القادة السوفيت المطلة على البحر الاسود وزرنا خلالهما المصحات ومراكز الاستشفاء واستراحات العمال، حيث يقضي الكثير من عمال المناجم والصناعات الاخرى اوقات عطلم في هذه المناطق التي تعتبر من اجمل مناطق العالم، وكانت استراحة القادة السوفيت التي نزلنا فيها استراحة متواضعة.

خلال الاقامة في سوتشي خرجنا مرات عديدة للنزهة بصحبة عبد الناصر وكوسيجين ومحدينوف، وفي احدى تلك النزهات، وكنا نجتاز طريقا بين الاحراج، عن لعبد الناصر ان يلتقط صورة لكوسيجين ومحدينوف وهما يقفزان من احد المنحدرات وقد امثل الضيفان برحابة صدر لطلب عبد الناصر مع ما في هذا الطلب من غرابة، وخرجا من التجربة سالمين.

وصلنا الى كييف عاصمة اوكرانيا بتاريخ 8-5-58 ومن هناك سافرنا الى ستالين غراد، كنت متشوقا لرؤية هذه المدينة التي شهدت اعظم المعارك التاريخية ابان الحرب العالمية الثانية. لقد خرجت من الحرب وقد زالت معالمها، ولكن السوفيت شرعوا في بنائها من جديد، زرنا هضبة (ماماي) حيث سمعنا عرضا ووصفا على الطبيعة للمعارك التاريخية التي دارت في تلك الرقعة، ثم زرنا المكان الذي استسلم فيه قائد الجيش الالمانى المنهزم (فون باولوس).

كان خروشوف كما فهمنا من شرح سير المعركة في مركز القيادة العسكرية، كما كانت جميع اطارات الحزب تخوض المعركة جنبا الى جنب مع العسكريين.

شاهدنا في ستالين غراد احد السدود السبعة التي بدأ الاتحاد السوفيتي بانشائها بعد الحرب وهي من اضخم السدود في العالم، وكان الهدف من بناء السد الى جانب اغراض الري، توليد الطاقة الكهربائية من 22 توربينا مائيا يولد كل منها 100.000 كيلو واط، اما البحيرة التي سيشكلها السد فستكون بطول ستمائة كم وعرض 40 كم، ولا بد لي هنا من الاشارة للمساعدة التي قدمها الاتحاد السوفيتي للعرب بانشائه سدي اسوان في مصر والطبقة في سورية اللذين لا يقلان اهمية بالنسبة لنا عن السدود التي انشأها السوفيت في بلادهم، بالاضافة الى المساعدات والمعونات الاخرى.

بدا لنا الاتحاد السوفيتي خلال تلك الزيارة كاحدى القارات بكبره واتساعه وتنوع مناخه وعظم ثرواته الزراعية والمعدنية، وبالرغم من تنفيذ برامج التنمية الضخمة التي تحققت بعد ثورة اكتوبر فان الطريق لا يزال طويلا امام الاتحاد السوفيتي للوصول الى استثمار ثرواته الطبيعية، وربما كان ذلك احد الاسباب التي دعت الاتحاد السوفيتي لانتهاج سياسة التعايش السلمى مع الانظمة الرأسمالية.

كان برنامج زيارتنا للاتحاد السوفيتي واسعا ومتنوعا ومفيدا وكثيفا الى حد الازهاق، فقد عدنا من رحلاتنا في الوسط والجنوب والشرق لزيارة لينين غراد في الغرب، تلك المدينة الجميلة التي تطالع زائرها بوجه اوروبي، ولقد بدا لي انه ليس من قبيل الصدفة ان تنطلق ثورة اوكتوبر الاشتراكية من هذه المدينة التاريخية، اليست الماركسية نتاج الحضارة الاوروبية في القرن التاسع عشر؟

بعد ان شاهدنا الشرفة التي اطلق منها لينين صيحة الثورة الاشتراكية الكبرى زرنا متحف الارميتاج والقاعدة البحرية في كرونشتاد ثم عدنا الى موسكو حيث زرنا معهد الابحاث الذرية للاغراض السلمية، وفي تاريخ 58/5/15 وبنهاية الزيارة التي استمرت 16 يوما اذيع البيان المشترك العربي السوفيتي وهذا نصه:

تعلن الحكومتان ارتياحهما الى العلاقات الوطيدة الاخذة في النمو بين البلدين وستعملان على توطيد العلاقات وتعزيزها مسترشدة بالمبادئ الاتية: الاحترام المتبادل لسيادة جميع الدول وسلامة اراضيها.

الامتناع عن اي تدخل في الشؤون الخاصة الداخلية لدول اخرى باي صورة من الصور، حل المشاكل العالمية بالطرق السلمية فقط وعدم استعمال القوة والعنف او التهديد بهما ضد السيادة او الاستقلال لاي دولة من الدول، عدم جواز استعمال الضغط السياسي او الاقتصادي، المساواة التامة في العلاقات بين الدول والشعوب، تسترشد الحكومتان بمبادئ التعايش السلمي بين الدول رغم تباين انظمتها السياسية وتعتبر ان هذا المبدأ حجر الزاوية في تنمية العلاقات الودية بينهما كما يتجاوب مع السلام بين الشعوب.

ويرى الجانبان ان وقف الحرب الباردة التي تلحق ضررا جسيما بالعلاقات بين الدول يتمشى والمصالح الاساسية لجميع الشعوب كما انه يساعد على تنمية علاقات حسن الجوار وتعزيز الثقة المتبادلة بين الدول.

تندد الحكومتان بالاستعمار في جميع مظاهره واشكاله وتؤيدان حق الشعوب في تقرير مصيرها وفي الحرية والاستقلال كما تنددان بوجود القواعد الغربية لدولة ما على اراضي اي دولة اخرى ومثل هذه القواعد تشكل خطرا

جسيما على السلم العالمي وتعتبر خرقا لاستقلال الدول التي توجد فيها ويجب تصفيتهما.

تستنكر الحكومتان العدوان الاستعماري على اليمن والمحاولات التي ترمي الى التدخل في شؤون اليمن الداخلية وتؤيدان تأييدا كاملا استقلال اليمن وسيادتها وسلامة اراضيها كما تستنكر الحكومتان الحرب الهمجية التي تشنها فرنسا ضد الشعب الجزائري والجزائر التي تركبها القوات المسلحة الفرنسية في حق هذا البلد العربي الباسل وتلفت الحكومتان نظر الرأي العام العالمي الى تصرفات السلطات الفرنسية التي تطرد بالقوة مئات الالوف من منطقة الحدود الجزائرية التونسية. هذه التصرفات التي خلافا لحقوق الانسان شردت سكان المنطقة من نساء واطفال وادت الى تشريد قرى باكملها.

وتؤيد الحكومتان كل التأييد حق الشعب الجزائري في تعزيز مصيره والاستقلال وتدعوان بالحاح الى تسوية القضية الجزائرية على هذا الاساس بالوسائل السلمية وهما واثقتان بأن هذا سيتفق ومصالح البلدين.

وتعرب الحكومتان عن عميق قلقهما بمناسبة اعمال التدخل التي تقوم بها حكومات بعض الدول الاجنبية في الشؤون الداخلية لاندونيسيا وهما تنظران الى هذا التدخل كخطر يهدد السلام العام والامن وكنقض لميثاق الامم المتحدة وتعلنان ان من الواجب ان يوضع حد لذلك وان استقلال وسيادة اندونيسيا يجب ان يحترم وتؤمن الحكومتان بأهمية هيئة الامم المتحدة وبدورها في قضية صيانة السلام والامن وتسوية المسائل الدولية تسوية سياسية وهما تعتبران ان من الواجب بذل الجهود لتعزيز هذه المنظمة بجميع الوسائل لكي تستطيع ان تؤدي مهامها بصورة فعالة.

وتعتبر الحكومتان على حد سواء ان من الواجب ان تمثل جمهورية الصين الشعبية في هيئة الامم المتحدة لغرض تحسين الوضع المتوتر الراهن ولصالح التعاون الدولي وتخفيف التوتر في الشرق الاقصى وفي العالم كله وتؤكد الحكومتان تأييدهما للمبادئ المعلنة في باندونغ، المبادئ التي ما زالت تجمع بين شعوب آسيا وافريقيا وتلفت اليها كل اهتمام الرأي العالمي المتلهف والتي ارسيت مرة اخرى في مؤتمر تضامن شعوب اسيا وافريقيا الذي انعقد في القاهرة في عام 1957 والذي اعرب عن امال واماني هاتين القارتين وتعلن الحكومتان كذلك تأييدهما للمبادئ التي اعلنها مؤتمر الدول

المستقلة في افريقيا الذي انعقد في نيسان عام 1958 وتعرب الحكومتان عن قلقهما العميق من سباق التسلح الذي هو واحد من اكبر الاخطار المهددة للسلام العالمي والذي يمكن ان يؤدي الى حرب نووية مبيدة، وتعلن الحكومتان ان تجارب السلاح الذري والهيدروجيني يجب ان توقفها جميع الدول التي تنتج هذه الاسلحة، وان تعقد الاتفاقية اللازمة واتفاقية تحرم جميع انواع السلاح النووي تحريما نهائيا غير مشروط، وكذلك وقف انتاجها وحذف السلاح الذري من اسلحة الدول واتلاف مدخرات هذا السلاح، وتعلن الحكومتان ان الطاقة الذرية والهيدروجينية يجب ان تستخدم فقط للاغراض السلمية وان على جميع الدول ان تتعاون في هذا الحقل لغرض رفع مستوى معيشة الشعوب، خاصة شعوب البلدان ضعيفة التطور. وتعتبر الحكومتان ان على الدول ان تزيد من جهودها لغرض عقد اتفاقية مناسبة بشأن التخفيض من القوات المسلحة واسلحة الدول تخفيضا مناسباً.

وتؤيد الحكومتان الرأي القائل بأن احدى وسائل تخفيف التوتر الدولي هو عقد معاهدات بشأن عدم الاعتداء بين الدول وتعتبر ان عقد مثل هذه المعاهدات يتفق والاعراض السلمية وميثاق هيئة الامم المتحدة.

وتعتقد الحكومتان اعتقاد جازما ان تطوير العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الدول يجب ان يدعم كوسيلة لإقرار التفاهم المتبادل بين الشعوب من اجل تخفيف التوتر وكوسيلة تتفق واغراض صيانة السلام وهذه علاقات لا يجب ان ترافقها اي شروط او دوافع تستهدف اقامة سيطرة بلد ما على بلد اخر.

وتعلن الحكومتان ان الاتفاقات الاقتصادية والثقافية المعقودة بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة تتفق مع هذه الشروط وتبني على اساس المبادئ الصحيحة كما تعلنان ارتياحهما الكامل لتطور التعاون الاقتصادي والثقافي والتبادل التجاري بينهما.

وبهذه المناسبة تعلن حكومة الجمهورية العربية المتحدة عن امتنانها للقسط الكبير الذي ساهم به الاتحاد السوفيتي في تنفيذ برنامج التصنيع في الجمهورية ودعا الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة فوروشيلوف رئيس هيئة مجلس السوفيت الاعلى ونيكيتا خروشوف

رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي وغيرهما من قادة الاتحاد السوفيتي  
لزيارة الجمهورية العربية المتحدة.

هذا وقد قوبلت هذه الدعوة بالامتنان الشديد.

## **الاثار التي خلفتها في نفسي زيارة الاتحاد السوفيتي مع الوفد المصري**

كشفت زيارة الاتحاد السوفيتي اسفاف جهاز عبد الناصر  
السياسي والاعلامي وتخلفه الى درك يدعو للثناء والحزن.

ربما كان مؤذيا وبعيدا عن طبعي ان اتبسط في هذا  
الموضوع ولكن الامر في اعتقادي كان يتعلق بالجماهير التي  
امثلها اكثر مما يتعلق بشخصي، ومع ذلك فانني اترك للسيد  
احمد عبد الكريم وزير الشؤون البلدية والقروية واحد اعضاء الوفد  
ان يتحدث عن تصرفات الوفد المرافق، يقول احمد عبد الكريم في  
كتابه اضواء على تجربة الوحدة:

ومما لاحظته خلال هذه الزيارة الاهمال المقصود للسيد اكرم  
الحوارني وعدم الاهتمام به اثناء الاحتفالات الرسمية. حتى لقد اضطرت اكثر  
من مرة ان احميه بمنكبي من زحام المرافقين والحاشية المصرية الضخمة  
المحيطة بالرئيس، وكنت اشعر بالالام عندما كانت تتكرر هذه التصرفات  
البعيدة عن اللباقة والادب، وكنت ارى فيه ممثلا لسورية: احد الطرفين اللذين  
قامت عليهما الجمهورية العربية المتحدة.. وان من حق الشعب العربي في  
سورية ان يظهر ضمن هذه الوحدة على قدم المساواة مع الشعب المصري  
وصرت في كل مرة افاقرن بين مسلك الرئيس وحاشيته تجاه عبد اللطيف  
البغدادي نائب رئيس الجمهورية المصري واكرم الحواراني نائب رئيس  
الجمهورية السوري، فيصعد الدم الى رأسي، ولم يعد يهمني في الرحلة  
سوى ان اجد الحواراني في مركز محترم يتفق مع مكانة سورية من الوحدة  
ومكانة الشعب السوري في العالم العربي كله.. وكنت في ذلك مدفوعا  
بالرغبة الملحة التي تسيطر علي والتي تهدف الى اقناع السوفييت بأن  
الوحدة امر طبيعي وان موقفهم الفاتر منها ولم يكن له ما يبرره، وان الصورة  
التي صورها لهم الشيوعيون في سورية والممثلون الدبلوماسيون عن الوحدة  
مغلوبة وان الايدي والعقول التي رسمتها لم تكن خالية من الغرض او الخطأ.



ولكنني لم اصل - ويا للأسف - الى ما تمنيته، بل لقد اثبت كل يوم قضينا في الاتحاد السوفيتي ان لا تكافؤ في الوحدة بين الاقليمين او على الاقل هكذا خيل الي.

وزاد من اقتناعي بهذا الرأي ان الرئيس لم يترك لي طوال الرحلة اي مجال للكلام في الاحتفالات التي كان يقيمها لنا السوفيات في المدن والمؤسسات التي كنا نزرها والتي يتكلم فيها الجميع رغم انه طلب الى كافة الوزراء المصريين ان يتكلموا". (ص 141)

ثم يقول:

"وانتهت الزيارة.. واثناء العودة لاحظت ان السيد اكرم الحوراني كان يقاسي الكثير مما لقيه من اهمال وفي حديث معه اظهر لي كل ود وتمنى لو اننا نسينا كل ما كان بيننا من شكوك واقمنا علاقاتنا من جديد على اساس من الود والثقة والصراحة، وان نتعاون لكي يكون عهد الوحدة عهد خير وبمن وبركة على سورية وعلى كل المواطنين بصرف النظر عن اتجاهاتهم السابقة، وابدت له كل استعداد للتعاون في سبيل حماية الوحدة ودعم الجمهورية المتحدة، وتشجيع المواطنين على الالتفاف حول هذه الوحدة، ومن جهة ثانية للوقوف في وجه المحاولات التي يقوم بها بعض الموظفين المصريين غير المسؤولين لاعطاء انفسهم صلاحيات غير قانونية، يتجاوزون فيها على صلاحيات المجلس التنفيذي والوزارات، فيسيئون الى الوحدة لا في سورية وحدها بل وفي العالم العربي كله" (ص142).

□

حطت طائرتنا في مطار (ابو صوير) ومن هناك توجه عبد الناصر الى منزله في سيارة مكشوفة، وسط احتفالات شعبية مهياة، والى جانبه عبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادي.

اما انا فقد ذهبت مع صبري العسلي والوزراء الذين اتوا من سورية لاستقبال عبد الناصر بعد ان نال كل منهم نصيبه من اللكم والدفش من قبل رجال المخابرات، وكاد صبري العسلي بسبب ضخامة جسمه ان يقع على الارض لولا ان تناولته الايدي مما جعل بعض الصحفيين السوريين يبدون استياءهم واحتجاجهم على ما لحق بنواب الرئيس والوزراء السوريين من مهانة وبهدلة.

□

بعد عودته مباشرة، القى عبد الناصر خطابا عن نتائج رحلته للاتحاد السوفيتي، لم يأت فيه بجديد وإنما كرر ما كان يقوله في خطبه السابقة مضيفا إليه هذه العبارة:  
"قبل ان اقوم بهذه الزيارة ابلغتنا الولايات المتحدة الاميركية انها تتبع سياسة جديدة نحو الجمهورية العربية المتحدة.  
انها تحترم حيادنا وتحترم استقلالنا ولاول مرة تعترف بهذا الحياد وتعلن الاحترام له، وانها تهدف الى اقامة علاقات مبنية على الصداقة مع بلادنا، انه لاول مرة تعترف بهذا.  
اننا نبغي الصداقة وارجو ان تكون هذه النيات خالصة، واننا نرحب بهذه الصداقة"

وكان هذا الاعلان عن الصداقة المستجدة بين الجمهورية العربية المتحدة والولايات المتحدة الاميركية مفاجئا لي، ولا سيما انه يأتي بعد زيارة جمال عبد الناصر للاتحاد السوفيتي مباشرة.

□

بعد عودتي الى دمشق علمت ان المخابرات ملأت سورية اثناء غيابي بالشائعات التي تتحدث عن استبعادي وارسال عبد اللطيف بغدادى بدلا عني الى سورية، كما اعلمت بما كتبه الصحف القاهرية بهذا الصدد، وقد رافق ذلك حملة مركزة من الدسائس قام بها بعض المسؤولين المصريين، مما ولد جوا من الاستغراب والشك والارتياب تجاه جميع المصريين، وفيما يلي نموذج من هذه الدسائس كما رواها السيد احمد عبد الكريم في كتابه اضواء على تجربة الوحدة وقد اتت تحت عنوان: عبد المحسن ابو النور يلعب دورا قذرا لتقسيم المجلس التنفيذي:

"كنت ذات يوم في مكثبي بعد عودتي من زيارة الاتحاد السوفياتي فاذا بعبد المحسن يطلب موعدا لزيارتي، وكان قد مر وقت طويل دون ان نلتقي بعد حادث الاركاب الذي حوره، واعلمني بعد حديث طويل من المجاملة انه كان في القاهرة وان الرئيس اوصاه بأن يبلغني ضرورة الانتباه لمناورات اكرم الحوراني في المجلس التنفيذي لان لديه معلومات تفيد بأن اظافر الحوراني اصبحت طويلة زيادة عن اللزوم وانه يحاول اثارة الوزراء للمطالبة

بصلاحيات اوسع، كما يلح على الرئيس بتحديد اختصاصاته واختصاصات السيد صبري العسلي.. وان ذلك يعتبر مؤامرة ضد الرئيس.. ولا بد من تسليم اطراف الحوراني كيلا يشتت في هذه المناورات.. واذاف يقول بأن العسلي عاتب علي وعلى امين النفوري لاننا لا نتردد على مكتبه عندما نأتي للقصر الجمهوري.. رغم انه يقع مقابل مكتب اكرم الحوراني.. والحقيقة انني سررت من اعماقي حينما وجدت عبد المحسن يسترسل في هذا الحديث الخطير وكنت اشعر طيلة استرساله بأن الفرصة سنحت لي لانتقم منه واضع حدا لمداخلاته التي تعتبر منافية لقواعد الحكم الدستوري من جهة وللمبدأ الذي فرضه الرئيس على العسكريين والذي يمنع عليهم التدخل بالامور السياسية.

وكم كانت دهشة عبد المحسن بالغة وكم كان وضعه محرجا عندما وجدني اجيبه في برود بأنني لا استطيع بحث هذا الموضوع معه لانه عسكري لا يجوز له التدخل في امور خارجة عن نطاق عمله مما يتعارض مع توجيهات الرئيس والقائد العام اولاً، وانه اذا كان للرئيس ما يريد مني فانني اعتقد انه سيطبني الى القاهرة وبلغني اياه مباشرة، لانه ليس هناك واسطة بين الوزراء والرئيس لذلك فانني اعتبر هذا الموضوع كأن لم يكن بانتظار مفاتيحي به من قبل الرئيس بالذات" (ص147)

□

لم اكن مطلعاً على تطور الاوضاع في لبنان خلال غيابتي في روسيا سوى ما اخبرني به جمال عبد الناصر عندما سألتني: هل تعرف نسيب المتنبي؟ قلت له:

انه صديقي وقد سبق لي ان كتبت في صحيفته (التلغراف) بعض المقالات عندما كنت لاجئاً سياسياً في لبنان في عهد الشيشكلي، وعندما اخبرني بنبأ اغتياله قلت له:

اظن ان المخابرات المركزية والانكليز وراء اغتياله، لانه ليس من المعقول ان يغتاله لبناني بدافع من الحقد الشخصي او السياسي، فلم يكن - رحمه الله - كبعض الصحافيين سليلت اللسان، بل كان مهذباً في معارضته، لبقاً في عرض آرائه ثم علقت على ذلك بقولي:

اخاف ان يكون الغرض من اغتياله دفع الشعب اللبناني الى هوة الحرب الاهلية ثم رجوته ان يرسل برقية تعزية الى عائلته، وقد فعل.

بعد فترة قليلة من اغتيال المتني صح ما توقعته ما احداث، اذ ان الحرب الاهلية قد شملت معظم ارجاء لبنان، ثم شرعت الولايات المتحدة باعداد الاجواء الاعلامية والسياسية لارسال قواتها، فأعلنت الخارجية الاميركية رسميا عزمها على زيادة شحنات الاسلحة الى لبنان، وعن تعزيز الاسطول الاميركي السادس في شرقي البحر الابيض المتوسط، كما اعلن دلس وزير خارجية الولايات المتحدة لانزال قوات اميركية في لبنان اذا طلبت منه ذلك حكومة شمعون واذا تقدمت بالشكوى الى مجلس الامن احتجاجا على تدخل الجمهورية العربية المتحدة، واعلن ان تدخل الولايات المتحدة العسكري سيكون بالاتفاق مع بريطانيا..



فور عودتي الى دمشق وفي هذه الجو المتفجر في لبنان وجه الى مندوبو الصحف ووكالات الانباء بعض الاسئلة عن الاتحاد السوفيتي، وعن احداث لبنان، وعمما يشاع عن استبعاد من سورية الى القاهرة، فاعتذرت في البداية عن الاجابة، ولكن احد الصحافيين اخبرني بأنهم مكلفون بتوجيه هذه الاسئلة الي فأجبتهم بما يلي:

استقبل الرئيس جمال عبد الناصر والوفد المرافق له في الاتحاد السوفيتي استقبالا لم يجر لاي وفد آخر، ولم يكن ترحيب الشعب السوفيتي مصطنعا، وانما كان صادرا عن القلب، ويرجع ذلك الى تقدير الشعب السوفيتي لنضال الاقليمين السوري والمصري في سبيل الحرية والاستقلال. ان هذه الزيارة قد وثقت العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة وبين الاتحاد السوفيتي الذي يوافق كل الموافقة على السياسة التي تنتهجها الجمهورية العربية، وهي سياسة الحياد الايجابي والتعايش السلمي وفق مبادئ ومقررات باندونغ. ان توثيق هذه العلاقات بين الطرفين لا يعني اي تدخل في

شؤنا الداخلية، ولقد كان البيان المشترك الذي صدر عقب انتهاء الزيارة دليلا قويا على تأييد الاتحاد السوفيتي ودعمه لكافة القضايا العربية دون ان يتدخل في شؤونا الداخلية. وقلت:

ان وفد الجمهورية العربية لمس وتأكد خلال اتصالاته التي اجراها مع الشعب السوفيتي والقادة السوفيت ان دعوتهم للسلم هي دعوة صادقة، وليست من قبيل الدعاية كما يحلو للبعض ان يصورها لانه يعتبرها احدى قضايا الاساسية، وقلت ايضا:

ان الاتحاد السوفيتي قد بلغ درجة عالية من التقدم العلمي والصناعي، وهو ينفذ الان برنامجا لتوسيع الصناعة الكيماوية على مختلف فروعها، واصلت ان الرئيس جمال عبد الناصر وجه الدعوة الى السيد خروشوف والى القادة السوفيت لزيارة الجمهورية العربية فوعد بتليتها عندما تسمح الظروف وعندما سئلت عما نشرته صحف القاهرة وتناقلته الصحف الاخرى عن انتدابي للعمل في القاهرة مقابل مجيء السيد عبد اللطيف البغدادى لدمشق اجبت بأنه ليس لدى علم بذلك، وان هذا من قبيل الدس كما ان السيد رئيس الجمهورية لم يبحث معي هذا الموضوع.

واعلنت بالنسبة لاحداث لبنان ان الجمهورية العربية المتحدة لن تتدخل في شؤونه الداخلية، وان الاحداث التي تجري في الساحة اللبنانية ان هي الا نتيجة خلاف شعب لبنان مع حكامه، ولا يمكن للجمهورية العربية المتحدة او اي دولة اخرى ان تعرض شعبا على حكامه اذا كان الحكام على صلة وثقى بشعبهم، وابنت ان خلاف الشعب مع حكامه في لبنان واقع قبل ان تقوم الجمهورية العربية المتحدة، وان ما يحدث الان انما هو متصل بوقائع الماضي واستنكرت الاجراءات التعسفية التي تقوم بها الحكومة اللبنانية ضد رعايا الجمهورية العربية المتحدة وطردهم الى الخارج، وقلت ان نتائج هذه الاعمال وخيمة العاقبة على حكام لبنان، وانه لا يوجد احد يقر مثل هذه التدابير التعسفية واعمال التنكيل والتعذيب التي يتعرض لها ابناء دولة شقيقة للبنان.

## **انحراف خطر في سياسة الجمهورية العربية المتحدة**

كشفت الولايات المتحدة جهارا - كما سبق - عن مخططاتها العدوانية تجاه لبنان على لسان مسؤوليها وتصميمها على تفجير

الحرب الطائفية ومحاولاتها تحميل الجمهورية العربية المتحدة مسؤوليةتها لتبرر انزال قواتها فيه بحجة طمأنة المسيحيين والطائفة المارونية من "المسلمين المتحالفين مع الشيوعية الدولية لاحتواء لبنان المسيحي"، ولتبرير ذلك اخلاقيا ودوليا فانها طلبت من كميل شمعون ان يشكو الجمهورية العربية الى الامم المتحدة، وان يطلب بشكل رسمي من واشنطن انزال قواتها في لبنان، وهكذا فان اللعبة القذرة للولايات المتحدة وحلفائها لم تكن في طي الكتمان والخفاء.

لقد صرح كميل شمعون بتاريخ 21 ايس 1958 للصحافيين الاجانب بمناسبة مرور 11 يوما على ثورة لبنان، فأنكر كل تصاريحة السابقة عن تعديل الدستور لتجديد رئاسته، وقال بأنه رفض فكرة التجديد عندما عرض عليه اصدقاؤه ذلك، واتهم الجمهورية العربية المتحدة بأنها وراء الاضطرابات في لبنان، واعلن بأنه سيرفع شكوى الى مجلس الامن ضد تدخل الجمهورية العربية المتحدة في شؤون لبنان، وقال بأن تدخل الجمهورية العربية المتحدة يرمي الى احداث تغيرات جوهرية في سياسة لبنان، وقال: ان الاضطرابات لم تحدث بسبب عزمه على تجديد الرئاسة وانما بدأت عام 1956 عندما اخذت مصر وسورية تتدخلان في شؤون لبنان، وادعى ان الرعايا السوريين الذين اخرجوا من لبنان كانوا دون عمل وان كل شيوعي في لبنان له يد في الاضطرابات.

كان كميل شمعون بدعم من الاجهزة الاميركية والاسرائيلية وحلف بغداد يعزف على الوتر الطائفي ويدعي ان بقاءه في رئاسة الجمهورية يحمي الامتيازات الطائفية الممنوحة للمسيحيين، وانه يحمي لبنان من هجمات المسلمين التي اصبحت تطوق لبنان من كل جانب، وان الجمهورية العربية المتحدة ما هي الا طغيان اسلامي يكاد يغرق لبنان ويبتلعه، وان انتصار الجبهة الوطنية يعني ان الزعامة المارونية اصبحت تحت رحمة المسلمين.

لم يظهر من قبل الجمهورية العربية المتحدة، لا في نهج سياستها ولا اعلامها، اي فضح حقيقي لهذه المؤامرة القذرة، بل كان عبد الحميد السراج يسير بتصرفاته بشكل متواز غير متعارض

مع اهداف المؤامرة التي يشترك بها حلف بغداد وايران واسرائيل وبريطانيا بقيادة المخابرات المركزية الاميركية، ولم يكن تأمر هؤلاء خافيا بل كان واقعا ملموسا مكشوفاً قبل ان تفضحه وثائق حلف بغداد فيما بعد، والرسائل المتبادلة بين بن غوريون وموسى(1) شاريت والياهو ساسون، وما نشره الجنرال بختياري في السبعينات في الصحف العربية قبيل اغتياله من قبل شاه ايران، وما ورد في كتاب كوبلند رجل المخابرات الاميركية الشهير... كان كل ذلك معروفاً من قبل ومنشوراً في الصحافة العربية والاجنبية في حينه.. فقد نشرت الصحف السورية واللبنانية تحت عناوين بارزة:

"ارسال ايران وحلف بغداد وبن غوريون الاسلحة والاموال الى كميل شمعون" (النصر 58/5/29)

والسؤال الان: كيف كانت سياسة جمال عبد الناصر التي كان ينفذها عبد الحميد السراج تسير بشكل متواز مع اهداف المؤامرة؟

الجواب على ذلك يظهر بوضوح بالرجوع الى اساس المشكلة.. وهي ان المعارضة اللبنانية التي تبلورت بالجبهة الوطنية اللبنانية فيما بعد، والتي كان يدعمها شخصيات لها شأنها ووزنها في الطائفة المارونية نفسها كحميد فرنجية والبطيرك المعوشي وبشارة الخوري وغيرهم من زعامات الطوائف المسيحية الاخرى بالاضافة الى جميع زعامات الطوائف الاسلامية في لبنان كانت تناضل منذ عام 1956 ضد سياسة كميل شمعون وانحيازه لمبدأ ايزنهاور وتأمره مع حلف بغداد بما يعود بالضرر على لبنان، ويخل اخلاقاً كاملاً بالميثاق الوطني الذي قام على اساسه كيان لبنان تحت شعار ان يكون لبنان متحرراً سيدياً والا يكون (ممرراً ولا مستقراً للاستعمار).

(1) يمكن الرجوع الى الرسائل والمناقشات المتبادلة بين بن غوريون وشاريت فيما يتعلق بلبنان والعمل على إقامة وطن مسيحي فيه الى كتاب ليفيار وكاخ : قراءة في مذكرات موسى شاريت ص 50.

وهكذا التقى نضال الشعب في لبنان ضد سياسة كميل شمعون التأميرية مع سياسة مصر وسورية ونضالهما التحرري منذ عام 1956 الى ما بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة عام 1958، وكان هدف المعارضة في لبنان والجمهورية العربية المتحدة منع كميل شمعون من تعديل الدستور وتجديد رئاسته، وذلك لوضع حد لانحراف سياسته الداخلية والعربية والخارجية بما يناقض الميثاق الوطني.

وبالفعل فان المعارضة اللبنانية التي تعاضمت واتسعت ضد كميل شمعون تمكنت من منعه من تعديل الدستور واضطرته لاعلان تراجعه عن فكرة تجديد رئاسته التي لم يبق على مدة انقضائها سوى شهرين فقط.. اذن لم يعد من الجائز ان تصر المعارضة اللبنانية بتحريض من الجمهورية العربية المتحدة على اشتراط استقالته الفورية، بعد ان تكشفت نوايا الولايات المتحدة على دفع لبنان الى تفجير الحرب الطائفية.

كان عبد الحميد السراج يرسل المتطوعين والمال والسلاح الى لبنان ويدفع به الى هوة الحرب الطائفية اكثر مما تدفعه الولايات المتحدة وحلف بغداد واسرائيل الى ذلك... كان يبذل المال والسلاح ويقدم كل انواع الدعم الاعلامي والسياسي الى الزعامات الاقطاعية في لبنان.

لقد نبهت عبد الحميد السراج الى خطورة السياسة التي تنتهجها اجهزة مخابراته والمخابرات المصرية بقيادة عبد الحميد غالب سفير الجمهورية العربية في لبنان، كما نبهت مرارا محمود رياض الى ذلك وطلبت اليه ان يرفع ملاحظاتي وافكاري للرئيس جمال عبد الناصر، ولكن محمود رياض - رغم اقتناعه بكل ما ابديته من آراء - كان يائسا من اي تعديل في السياسة التي يطبقها عبد الحميد السراج وعبد الحميد غالب، لأنهما كانا ينفذان بالحقيقة اوامر الرئيس جمال عبد الناصر بشكل مباشر.

قد يستغرب القارئ تكليفي محمود رياض بنقل ملاحظاتي للرئيس جمال عبد الناصر، ولكن استغرابه يزول عندما يعرف ان الرئيس جمال عبد الناصر اصدر مرسوما حدد فيه اختصاصات



محمود رياض اوجب فيه مرور كافة قرارات المجلس التنفيذي عليه وحقه بالاحتفاظ ببعضها اورد بعضها الاخر للمجلس التنفيذي، وفيما يلي مثل من مئات الامثلة على سوء تصرف عبد الحميد السراج":

كلف عبد الحميد السراج السيد (لوسيان دوسان) (1) قنصل بلجيكا العام بدمشق في الوقت الذي كان فيه كميل شمعون يعرض شكوى لبنان من الجمهورية العربية على مجلس الامن والجامعة العربية، حمل بعض الاسلحة الى رجاله في لبنان، فألقت المخابرات اللبنانية القبض عليه وصادرت الاسلحة، فاعترف بأن عبد الحميد السراج كلفه بنقلها الى لبنان، ولا شك ان هذه الفضيحة شكلت دليلا ملموسا على تدخل الجمهورية العربية المتحدة في احداث لبنان الدامية مع العلم ان المخابرات السورية تعرف طرقا عديدة مأمونة لايصال السلاح الى لبنان غير هذا الطريق الذي لا يوصل الا عددا ضئيلا من السلاح.

لقد اشتبهت بهذه الفضيحة التي كان بطلها (لوسيان دوسان) وسبب اشتباهي ان السيارات الدبلوماسية لا تفتش عادة ولان اقدام القنصل البلجيكي على تهريب بعض السلاح في سيارته الدبلوماسية امر لا يتم عادة بمثل هذه السهولة.

كانت سياسة عبد الحميد السراج وعبد الحميد غالب في لبنان موضع احتجاج من التقدميين في سورية ولبنان كما كانت موضع احتجاج الوزراء السوريين المسؤولين فقد ورد في كتاب اضواء على تجربة الوحدة للسيد احمد عبد الكريم قوله:

"وتكررت الحوادث والتصرفات والاقاويل التي تنال من سمعة الحكم، ومن بينها ثورة لبنان وعدم اطلاق الوزراء (السوريين) على

(1) لوسيان دوسان قنصل بلجيكا في سورية عام 1958 خلال الحرب الاهلية في لبنان، كان يدعي حب الشرق والاثار ولذلك فقد اشترى بيتا اثريا في حي الشاغور بدمشق وصرف على اصلاحه اموالا طائلة، ثم سكنه مع زوجته التي قيل انذاك انها هندية.. كان يقضي سهراته على الطريقة الشامية مع قبضيات الشاغور متحدثا معهم عن حبه للعرب وعن حماسته لقضية الوحدة مع مصر، وقد زارني ودعاني لمشاهدة مقره الذي جعل منه تحفة اثرية فلبيت الدعوة.. سمعت فيما بعد انه استقر في سورية وانه اسس مزرعة لزراعة الفريز في قرية (عرنة) الواقعة تماما على الحدود الاسرائيلية وانه تزوج فتاة من القلمون وان السلطات السورية اجلته من المزرعة بعد هزيمة حزيران.

الوضع العام وانفاق الاموال الطائلة على المرتزقة من العملاء الامر الذي زاد في حدة الصراع الطائفي ولم يؤد الى اية فائدة بالنسبة للشعب في لبنان او للامة العربية وحصر قضايا هذه الثورة بعبد الحميد السراج وحده وعدم اطلاق المجلس التنفيذي على مجرى الحوادث" (ص154).

لقد تساءلت آنذاك: ما العمل؟ ولما لم يكن لنا من الامر شيء، فقد رأيت ان انقذ ما يمكن انقاذه عن طريق المساهمة الاعلامية والتوجيه السياسي لانني كنت اظن في البداية ان اخطاء جمال عبد الناصر تجاه احداث لبنان نابعة في الاساس من عدم اطلاعه كما يجب على شؤون لبنان ومشاكله لاسباب جغرافية وتاريخية معروفة، ولم يدر بخلدي آنئذ ان هذه المساهمة المتواضعة المفيدة لاهداف الجمهورية العربية المتحدة لا تنسجم مع اهداف جمال عبد الناصر السياسية ولا مع طريقته في الحكم، وانها ستثير وساوس عبد الناصر، وستكون حجة له لاقصائي الى القاهرة بعد فترة وجيزة، وهو الاقصاء الذي كان يفكر فيه عبد الناصر من الايام الاولى لقيام الوحدة.

ان التصريح الذي ادليت به لوكالة الانباء السورية بتاريخ 22-5-58 ردا على تصريحات كميل شمعون التي اشرت اليها قبل قليل، كان يعبر عن وجهة نظري تجاه احداث لبنان واسلوب المعالجة السياسية لمشاكله آنذاك (الصحف السورية 1958/5/22).

"لقد ناضل الشعب في لبنان طيلة فترة الانتداب الى جانب الشعب في سورية ضد الاستعمار الفرنسي وما يزال كل سوري يذكر الدماء التي اريقت في ثورة 1925 في لبنان، تلك الثورة المجيدة التي وقف فيها شعب لبنان وسورية جنبا الى جنب دفاعا عن الحرية والاستقلال، فشعب سورية ولبنان يجمعهما تاريخ مشترك من النضال المشترك ضد الاستعمار الفرنسي.

لقد اصبح من البديهيات العامة في حياة كل سوري بعد ان نال البلدان استقلالهما ان كل ما يمس استقلال لبنان وحرية يمس استقلال سورية وحرية وهو اليوم يمس استقلال وحرية الجمهورية العربية المتحدة، ومن هنا

يتضح ان موقف سورية من لبنان ليس موقفا عاطفيا فحسب يستند الى الجهاد المشترك والروابط القومية، بل انه فوق هذا يستند الى المصير المشترك وكل تهديد لاستقلال لبنان هو تهديد لاستقلال الجمهورية العربية المتحدة.

ولكن بالرغم من هذه الحقيقة فان المسؤولين في لبنان قد جعلوا من لبنان منذ سنوات قاعدة للدول الاستعمارية لتبث سموم الدعاية القاتلة ضد القضية العربية، وقاعدة للتآمر ضد استقلال سورية ومصر من قبل والجمهورية العربية المتحدة اليوم. وهل ينسى احد عشرات الدعاوي التي ثبت فيها قضائيا اشتراك بعض المسؤولين في لبنان في المؤامرات على سورية؟ ان جميع المؤامرات التي وجهت الى سورية قد انطلقت من لبنان وتمت برعاية واشتراك المسؤولين، وما مقتل الشهيد العقيد عدنان المالكي بيد السوريين القوميين بعيد.. فقد ثبت قضائيا اشتراك شارل مالك الذي كان وسيطا بين القتلة وبين الجهات الاستعمارية. ان كل الدعاوي التي انتهت الى احكام قضائية في المؤامرات على سورية قد اثبتت ان المسؤولين في لبنان جعلوا من لبنان وكرا للتآمر على استقلال وكيان الاقليم الشمالي من الجمهورية العربية.. ولاحداث الانقلابات لمصلحة الدول الاستعمارية.. وكل عربي يذكر ان سورية عاشت طيلة اعوام في حالة من القلق والاضطراب مصدره المؤامرات التي كانت تبيت لها في لبنان الشقيق.

ورغم احتجاج الحكومات السورية انذاك ورغم احتجاج الشعب بلبنان فقد استمر المسؤولون في لبنان يجعله منطلقا للمؤامرات والدعاية الاستعمارية ضد سورية والقضية العربية عامة ورغم ذلك لم تبدا بادرة من سورية تسيء للبنان واكتفت بتحذير وتنبية المسؤولين في لبنان لوضع حد لاعمال الارهاب والنشاط التخريبي وتهينة الانقلابات ضد الاقليم الشمالي.

ومن المضحكات المبكيات معا، ان المسؤولين اللبنانيين كانوا يزعمون في مناسبات عديدة انهم لا يستطيعون وضع حد لاعمال الارهاب والمؤامرات التي يقوم بها عملاء الاستعمار في لبنان بحجة ان الاستعمار هو الذي يسيطر ويوجه اجهزة السلطات في لبنان وكان هذا عذر الحاكمين الذي تذرعو به.

ولم يقتصر على المسؤولين وعملاء الاستعمار في لبنان عمل النشاط الاجرامي ضد سورية فقد قامت العصابات التي سلعها الاستعمار بواسطة المسؤولين في لبنان باعمال القتل والاجرام والاعتداء على شعب لبنان الامن المطمئن وما يزال دم الشهيد نسيب المتنبي مائلا امام الضمير العربي في شتى اقطار العرب وهي الجريمة التي ثار من اجلها شعب لبنان ضد الضغاة، والمسؤولين من الحاكمين عن اعمال التخريب والاجرام، وتهديد استقلال وكيان لبنان واستقلال وكيان البلاد العربية.

واذا كان مقتل الشهيد المتنبي الشرارة التي انفجرت منها الاحداث فان شعب لبنان قد صبر طويلا على الاذى وخنق الحريات والاعتداء المتكرر والاساءات البالغة والفساد وجعل اجهزة الحكم اداة طيعة في يد الدول الاستعمارية. مما جعل لبنان الجميل، جحيما لا يطيقه الاحرار.

والغريب ان تبلغ الوقاحة حدا يتهم فيه العملاء الجمهورية العربية المتحدة بالتدخل في شؤون لبنان بل تصوير الجمهورية العربية وكأنها هي التي دفعت شعب لبنان ليثور ضد حكومته، ان شعب لبنان في طليعة الشعوب العربية وعيا ولا يمكن ان يثور بغير دوافع وطنية وقومية، وليس هو بالاداة المسخرة في يد احد.

/ ان سورية الاقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة تعتبر استقلال لبنان ووحدته استقلالها ووحدتها، اما عملاء الاستعمار في لبنان فهم الذين ارادوا ان يثيروا الفتنة الطائفية والنعرات وان يفتتوا وحدة الشعب في لبنان وينتهكوا قدسية الميثاق الوطني.

ولكن شعب لبنان الحبيب الواعي احبط مؤامراتهم وقضى على ما اثاروه من نعرات طائفية وادعاءات باطلة واتهامات كاذبة والحقيقة الواقعة تؤكد ان الجمهورية العربية ليست هي التي تتدخل في شؤون لبنان وانما هم حكام لبنان الذين ارادوا اتهام الجمهورية العربية المتحدة تبرير دعوتهم للدول الاجنبية علنا للتدخل في امور لبنان الداخلية وما ذلك الا لحماية انفسهم على حساب استقلال لبنان، وسلامة لبنان ووحدته لبنان.

ومما يثبت التواطؤ بين الدول الاستعمارية وحكام لبنان ان هذه الدول ايدت دعوى المسؤولين في لبنان بأن الجمهورية العربية المتحدة تتدخل في شؤونه الداخلية، وسارعت الى ارسال السلاح علنا، ليقتل ابناء لبنان وليحولوا

لبنان الى جحيم، وهو جنة البلاد العربية... وما ذلك الا لتؤيد الدول الاستعمارية عملاءها في لبنان، ولتمدهم بما يجعلهم اقدر على سفك الدماء وقتل الابرياء.

فمن هو المتدخل بعد كل هذا... ومن هو الذي طلب التدخل؟ ليست هي الدول الاستعمارية التي جعلت من لبنان مقرا وممرا لاستعمار البلاد العربية وعندما قاومها الشعب، وقاوم عملاءها، سارعت الى ارسال الاسلحة ليسيل الدم ولتعم المذابح ربوع لبنان ولتجعل من اجهزة الحكم في لبنان عصابات مسلحة تقتل الشعب البريء الاعزل.

انه من المؤكد ان كل تدخل في شؤون لبنان وكل اعتداء على حرية لبنان وسيادته هو تدخل واعتداء على استقلال الجمهورية العربية المتحدة. والسلاح الذي يرسل الى لبنان موجه ضد كل العرب، ضد حريتهم واستقلالهم، ولا يخفي على احد ما يترتب على ذلك من نتائج وخيمة على الامن والسلام في منطقة الشرق الاوسط.

ان مثل هذه الاعمال لا يمكن ان تنحصر في لبنان الشقيق، بل يمكن ان تتعداه الى العالم العربي وتهدد امن الشرق الاوسط بل امن وسلام العالم.

وان الحرب التي اثارها ويشيرها الاستعمار في بلدان متعددة من اسيا وافريقيا في اليوم اقل خطورة من ارسال السلاح الى لبنان وإثارة الفتنة بين شعبه. ولو ترك لبنان لشأنه لساهم مساهمة ايجابية في خدمة الثقافة ولقام بدور فعال بالنسبة للبلاد العربية، ولعاش شعبه في وئام وسلام مع بعضه ومع اشقائه العرب.

ان مشكلة لبنان هي مشكلة داخلية... مشكلة دستورية... هي مشكلة شعب بمختلف طوائفه ضد الحاكمين المدسوسين من الاستعمار وضد العصابات التي سلحتها الاستعمار واطلقها تعيث في الارض فسادا لحسابه.

وانني لا ادري اذا كانت الدول الاستعمارية التي تمد طغاة لبنان بالسلاح والمال تقدر مدى الاجرام الذي ترتكبه بحق الانسانية والنتائج الوخيمة التي تترتب على موقفها هذا.

ان الاكاذيب والافتراءات والتلويح بالشيوعية وبالبلدان  
الخاضعة للنفوذ الشيوعي لا يمكن ان تستر اليوم الاجرام  
الاستعماري ضد العرب خاصة ضد امن وسلام العالم.

1958: اجتماع عبد الناصر في القاهرة مع اعضاء المجلس التنفيذي - عبد الحميد السراج يكتشف انه لا يوجد اقطاع في سورية - جهاز عبد الناصر ضد قانون الاصلاح الزراعي في سورية - الحرب الاهلية في لبنان والتباين بين موقف فرنسا والولايات المتحدة من الاحداث اللبنانية - المجلس التنفيذي السوري يلغي امتياز شركتي منهل وكونكورديا البتروليتين رغم المعارضة المصرية - عبد الناصر يضيف على سلطاته الواسعة صلاحية منح الامتيازات البترولية - الاختلافات بين عبد الناصر والمجلس التنفيذي السوري.

## استدعاء نائبي الرئيس والمجلس التنفيذي السوري الى القاهرة

في هذه الفترة ابلغني محمود رياض، عن لسان عبد الناصر بضرورة سفر المجلس التنفيذي الى القاهرة، فرأيتها مناسبة لمعالجة المشاكل المشكو منها كاعادة بعض المشروعات التي اقرها المجلس التنفيذي السوري بدون توقيع الرئيس عبد الناصر، وتأخير بعض المشروعات كتعديل الاتفاقية البترولية مع شركة التابلاين، وعرقلة تنفيذ اتفاقية التعاون الاقتصادي مع الاتحاد السوفيتي التي عقدتها سورية قبل قيام الوحدة. وعرض مشروع الموازنة السورية على الرئيس ناصر قبل اقرارها من قبل المجلس التنفيذي، كما كان الاجتماع بالرئيس ناصر ضروريا لبحث مشكلة لبنان التي تحولت الى حرب اهلية خطيرة، فعقدت قبل يوم واحد من سفرنا للقاهرة بتاريخ 23-5-58 اجتماعا للمجلس التنفيذي بحثنا فيه تطور الاوضاع في لبنان وكيفية معالجتها على ضوء تصريحات كميل شمعون واتهاماته للجمهورية العربية المتحدة، وناقشت القضايا الهامة المستعجلة التي اشرت اليها، والتشريعات التي اعدتها الوزارات وناقشتها اللجنة التشريعية، كما اقرنا الخطوط العريضة لموازنة الاقليم السوري

كما اعدتها وزارة المالية، واتخذنا التدابير اللازمة لايواء ومساعدة اللاجئين من سوريين ولبنانيين الى سورية (النصر 5-5-58).

وصلنا الى القاهرة ونحن آملين ان تحل اجتماعاتنا بالرئيس عبد الناصر المشاكل التي اشرت اليها فكانت حصيلة اجتماعاتنا المستمرة حتى عودتنا الى دمشق بتاريخ 58/5/29 هي تحريض صبري العسلي وفاخر الكيالي والطبقة الاقطاعية ضدنا، فقد شجعهما - فيما يتعلق بالاصلاح الزراعي في سورية - الموقف المعلن والجديد لعبد الحميد السراج الذي قال في هذه الاجتماعات انه كان مخدوعا في الماضي، وانه لا وجود للاقطاعية في سورية، بينما كان عبد الناصر يقف في هذه الاجتماعات موقف المستمع دون ان يبدي رأيه تجاه الفريقين؛ فريق صبري العسلي وفاخر الكيالي وعبد الحميد السراج، والفريق الاخر الذي كتته مع احمد عبد الكريم وامين النفوري ومصطفى حمدون، وانه لا حاجة بي لتكرار الحجج والاسانيد التي ذكرها كل من الفريقين فقد تكررت باستمرار خلال خمسة عشر عاما من كفاحنا ضد الاقطاعية.

وفي اعتقادي ان السراج لم يكن ليقف هذا الموقف لو لم يكن متفقا عليه مع عبد الناصر، ولا شك ان ذلك كان بتأثير من وزير الاصلاح الزراعي المصري سيد مرعي.

**وهنا لا بد لي من القول ان الحقائق التاريخية مهما غابت او عمل على تغييبها وطمسها فانه لا بد ان تظهر مهما مر عليها من الزمن، وان وسائل الاعلام مهما بلغت في هذا العصر من القدرة على تمويه الحقائق وتضليل الرأي العام فانها تظل عاجزة عن طمس الحقائق التاريخية التي لا بد لها بعد سقوط الديكتاتورية ان تتكشف شيئا فشيئا.**

فبعد خمسة وعشرين عاما من اصدار وتطبيق قانون الاصلاح الزراعي في سورية يتحدث السيد مرعي (الذي كان وزيرا للاصلاح الزراعي ونائبا لرئيس الوزراء لشؤون الزراعة عدة مرات ما



بين عامي 1956 و1971 وشغل في عهد انور السادات منصب الامين العام للاتحاد الاشتراكي ومنصب رئاسة مجلس الشعب ثم اصبح مساعدا للسادات ومستشارا له) الى مجلة الحوادث (العدد 1391 تاريخ 83/7/1) مجيبا على السؤال الذي وجهه اليه مندوب المجلة عن الاصلاح الزراعي وتطبيقه في سورية في عهد الوحدة فيقول:

"لو رجعت الى التاريخ والى محاضر مجلس الوزراء في ذلك الوقت (اي في عهد الوحدة) لتبينت انني لم اكن موافقا ابدا على تطبيق الاصلاح الزراعي في سورية، وهذا واضح في كل التقارير التي وضعتها وليس مجرد ادعاء. تسألني عن السبب؟ وببساطة اقول:

انا عندما ذهبنا الى سورية بناء على طلب اكرم الحوراني، على ما اعتقد، تناقشنا بهذا الموضوع بصراحة، وانا عارضت بشدة تطبيق الاصلاح الزراعي في سورية، ولما سئلت كيف توافق على تطبيقه في مصر وتعارض تطبيقه في سورية اجبت:

انني وافقت على تطبيق الاصلاح الزراعي في مصر لان 80% من الاراضي الزراعية المصرية مؤجرة، وكل الذي افعله هو انني اقول للمواطن استمر في عملك وانا املك هذه الارض بزيادة بسيطة، وبدلا من ان تورد القيمة الايجارية المرتفعة الى المالك اوردها الى ما يسمى بالاصلاح الزراعي.

ان الوضع في سورية كان مختلفا فالمالك السوري هو الذي يزرع وهو الذي يستصلح وهو الذي يبذل الجهد فاذا اخذنا الارض منه فعلى من سنوزعها؟

## **هل نوزعها على البدو الذين لا يقرون بمبدأ الاستيطان؟**

هذا الكلام قلته في اجتماعات مجلس الوزراء... بعد ذلك طلب الي جمال عبد الناصر ان اجتمع الى السيد اكرم الحوراني ومعه لجنة مختصة، وقد قال لي اكرم الحوراني بصريح العبارة:

لا بد من تنفيذ قانون الاصلاح الزراعي وهذا هو رأينا وهو  
ايضا رأي عبد الناصر وكل ما نطلبه منك ان تمهد الطريق" ثم يقول  
سيد مرعي:

لقد زاد الطين بلة ان مصطفى حمدون وزير الاصلاح الزراعي  
في سورية تمسك بأنه لا يجوز لملاك الارض تحديد اراضيهم التي  
يسري عليها القانون بأكثر من موضعين وهي بحد اقصى (4000  
دونم) واتفق معه بالرأي جمال عبد الناصر واختلف معه عبد  
الحكيم عامر وزكريا محيي الدين، لكن مصطفى حمدون بدأ يعلن  
وجهة نظره علنا، وكان هذا احراجا علنيا لعبد الحكيم عامر الذي  
عين في اكتوبر تشرين الاول 1959 نائبا وحيدا لرئيس الجمهورية  
في سورية بصلاحيات الرئيس جمال عبد الناصر، وقد انتهى هذا  
الصراع باستقالة الوزراء البعثيين الاربعة مصطفى حمدون، اكرم  
الخوراني، صلاح البيطار، وعبد الغني قنوت" وقد نسي مرعي  
وزيرا خامسا للبعث هو وزير الاقتصاد خليل الكلاس.

ان السيد مرعي بهذا التصريح لا يكشف تفاصيل جديدة فقد  
عشنا هذه القضايا في صراعنا مع بيروقراطية نظام عبد الناصر،  
ولكن اهميته تتجلى في نظرة اركان النظام الى القضايا  
الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقومية.

انني هنا لست بمعرض شرح عقلية اركان هذا النظام  
ويكفي ان استشهد بما جاء في مقدمة حديث سيد مرعي  
لمجلة الحوادث "بأن احد اعضاء مجلس الثورة المصري وصف سيد  
مرعي عندما اختير لتنفيذ اول قانون للاصلاح الزراعي بأنه ثري  
رجعي ولكن عبد الناصر اكتشف في هذا الثري الرجعي فكرا  
متطورا متقدما لا مثيل له".

ان هذه العقلية الرجعية البيروقراطية كانت ولا شك سببا  
رئيسيا من اسباب سقوط الوحدة بين سورية ومصر، هذه الوحدة  
التي اقامها الشعب لا الاقطاع بنضاله وتضحياته.

اما الجديد الذي يكشفه لنا حديث السيد مرعي فهو ان  
المشير عامر وزكريا محيي الدين من اركان النظام كانوا ضد تطبيق

الاصلاح الزراعي في سورية وعلى هذا فان عبد الحكيم عامر شكل لجنة للتحقيق بمساوىء تطبيق الاصلاح الزراعي في سورية احراجا للوزراء البعثيين، مما ادى الى استقالة مصطفى حمدون وعبد الغني قنوت فور تشكيل لجنة التحقيق، بالرغم مما سنذكره بالتفصيل من اننا اوصينا مصطفى حمدون وعبد الغني قنوت وخليل الكلاس بعدم الاستقالة من الوزارة التنفيذية لئلا يعتبر جمال عبد الناصر ان استقالتي وصلاح البيطار التي تزامنت بدون قصد مع استقالتهم قرارا حزبيا.

□

اما بالنسبة لبحث اسس قانون العمل الجديد، فقد كان موقف عبد الناصر في هذه الاجتماعات واضحا في تبنيه لاسس قانون العمل الموحد الذي صدر فيما بعد، والذي قضى على العديد من المكتسبات المادية والديموقراطية للعمال في سورية قبل الوحدة عندما الغى الحريات النقابية وسلط المباحث والاتحاد القومي على النقابات، مما جعل منظمة العمل في جنيف تضع الجمهورية العربية المتحدة في قائمة الدول التي تضطهد حقوق العمال.

□

وفيما يتعلق بالمشكلة اللبنانية فقد تجاهل عبد الناصر تماما ما كان يجري في لبنان ولم يبحث مع المجلس التنفيذي موقف الجمهورية او خطته تجاه تلك الاحداث، ولم نخرج بنتيجة من هذه الاجتماعات التي استمرت في اخرج ايام الازمة اللبنانية سوى موافقته على الخطوط العامة للموازنة السورية التي اعدتها وزارة المالية، وسماحه للمجلس التنفيذي في سورية ببحثها ودراستها، وهكذا عدنا الى سورية ونحن نحمل خلافاتنا مع صبري العسلي وفاخر الكيالي وطبقتهم التي زادت في اثارها تلك الاجتماعات، وكانت اثاره الخلاف بيننا وبين العسلي والكيالي وطبقتهم وبيننا وبين النفوري واحمد عبد الكريم قد بدأت قبل دعوتنا للقاهرة بواسطة اجهزة عبد الناصر المدنية والعسكرية.

يقول احمد عبد الكريم في كتابه اضواء على تجربة الوحدة (ص150):

"جاءني العقيد جادو عز الدين الذي كان آنذاك قائدا للجبهة يبحث معي بعض مشاكل مياه الشرب في قرى الجبهة، ولكنني شعرت ان الزيارة لم تكن لهذا الغرض فحسب عندما اخذ يشرح لي الاقوال التي تتردد عن تعاوني وامين النفوري مع اكرم الحوراني، واننا اصبحنا لعبة في يده، وانه يسخرنا من اجل الضغط على الرئيس لاختذ صلاحيات واسعة والسيطرة على الاقليم، واخذ يذكرني بالمواقف العدائية التي كانت لاكم الحوراني وقيادة حزبه من جميع الفئات ومن كتلتنا بالذات.. واستطعت ان استخلص من حديثه ان عبد المحسن ابو النور قد زاره في الجبهة، وانه بعد ان فشل في اقناعي بمهمته (اي عبد المحسن) لجأ الى تحريض رفاقنا العسكريين، وخاصة منهم جادو عز الدين وطعمة العودة الله، قائلا لهم اننا بعناهم بعد ان اصبحنا وزراء واخذنا نتآمر مع اكرم الحوراني على حسابهم ونسينا ما كان بيننا وبين البعثيين"

وهنا لا بد لي من التوقف قليلا للاشارة بوضوح الى ما كانت تعكسه طريقة عبد الناصر وعبد الحكيم عامر في الاعتماد على اجهزة المخابرات من آثار مدمرة على كل المرافق الحيوية، منذ ما قبل قيام الوحدة الى هزيمة الخامس من حزيران التي اعلن عبد الناصر بعدها سقوط دولة المخابرات:

قال لي عبد الغني قنوت:

لقد نشأت خلال وجودي في الجيش المصري الذي نقلت اليه اثر قيام الوحدة صداقة بيني وبين احد المصريين من الاساتذة الضباط في كلية الاركمان، وكنت اتعجب مما بدا لي من ازدواج شخصيته، فهو في مجالسه الخاصة انسان مثقف ذكي، ولكنه لم يكن كذلك خلال عمله في كلية الاركمان، ولما سألته عن سر هذا الازدواج في شخصيته قال لي:

"انني مضطر الى ذلك يا عبد! فأنا احاول ان ابقي اكبر مدة ممكنة في الجيش ولا اريد ان اسرح منه ولكنني اظن ان ذلك لن

ينفغني طويلا لان المشير له عيون ترصد الضباط فتسرح من تعتقد بخطرته على الوضع بسبب قدرته واستقامته."

**ومن المؤسف ان الازدواجية في شخصية الانسان العربي لم تعد مقتصرة على فئة قليلة من الناس، وانما اصبحت طابعا عاما للشخصية العربية في البلاد التي تستشري فيها اجهزة القمع، مما دعى بعض الدارسين النفسين الى الاهتمام بهذه الظاهرة المؤسفة التي تساهم في تحطيم شخصية الانسان العربي.**

وقال لي قنوت ايضا: لقد كنا نتسلى عند اجتماعنا بأخواننا الضباط المصريين بالتنبؤ عن ستطاله قوائم التسريح، وكثيرا ما صدقت هذه التنبؤات حتى ان احد زملائنا المصريين علق على ذلك مازحا:

ازاي عم تعرفوا قوائم التسريحات؟ دانتمو مخابرات؟ قلنا له:

اننا نتنبأ بتسريح من يتمتع بالاستقامة والمقدرة. ثم وصف قنوت النظام قائلا: ان هذا الوضع هو نظام مخابرات ومباحث من رأسه الى اخمص قدمه، وابدى تشاؤمه الشديد من المستقبل، وكان هذا الحديث بعد شهر من قيام الوحدة.

□

هذه هي الحصيلة التي عدنا بها من القاهرة بعد اجتماعنا بعبد الناصر، ومع ذلك فقد كان تصميمنا على الكفاح لدعم الوحدة راسخا لا يعتريه الوهن.

وبتاريخ 29 ايار من كل عام وهو تاريخ العدوان الفرنسي على سورية وعلى الحياة الديموقراطية الذي تمثل بقصف مجلس النواب واحياء دمشق وغيرها من المدن السورية وبثورة الشعب وصموده ودحره للعدوان، سارع صبري العسلي الى توجيه كلمة في الاذاعة اشاد فيها بالرعييل الاول وجهاده وجهاد القوتلي بطل الجلاء، وعندما دعيت لالقاء كلمة بهذه المناسبة في الاحتفال الذي اقامته على مدرج الجامعة السورية الحلقة الاجتماعية

لخريجي المعاهد العالية رددت بشكل غير مباشر على كلمة صبري العسلي فقلت: "ان الشعب في سورية هو وحده بطل الجلاء" كما تعرضت في كلمتي الى تخاذل الطبقة الحاكمة في سورية وموافقها بعد 29 ايار عام 1945 على الاتفاقية الفرنسية البريطانية (اتفاقية بيغن - بيدو) التي كان هدفها اقتسام النفوذ فتكون سورية من نصيب بريطانيا ولبنان من نصيب فرنسا ولكن شعب سورية احبط هذه المؤامرة فورا، كما رأيتها فرصة للتعبير عن رأبي فيما يتعلق بحوادث لبنان حيث قلت:

"الى جوارنا يقوم اخواننا شعب لبنان العربي بثورة على البغي والظلم والاستهتار والعبث بالدستور وبكل القيم القومية والانسانية الخيرة دفاعا عن حقهم في الحكم الذي يريدون وصيانة لاستقلالهم الذي امتزج بدماء الشعب العربي في سورية وبدماء الشعب العربي في لبنان منذ مطلع هذا القرن.

ولهذا فان المحافظة على استقلال لبنان وحرية وسلامته امر قومي وحيوي لنا كما هو قومي وحيوي لشعب لبنان الثائر، واذا كانت ثورة الشعب العربي في لبنان ثورة محلية صرفة تقوم على سواعد ابنائه الشرفاء المخلصين، فان من التنكر لقوميتنا ومثلنا والمصالح الازلية لعروبتنا، بل من الخيانة لسلامة جمهوريتنا العربية واستقرارها وامنها ان يدعي احد بأن ثورة الشعب العربي في لبنان لا تعيننا".

□

كان اهم ما يشغلني خلال شهر حزيران من عام 1958 اربع قضايا محورية هي:

اولا: تحول احداث لبنان الى حرب اهلية

ثانيا: البحث في توازن موازنة الاقليم السوري بقسميها العادي والاستثنائي في سنة مجدبة ووضع اقتصادي صعب.

ثالثا: الدفع لتنفيذ اتفاقية التعاون الاقتصادي مع الاتحاد السوفيتي، وهي الاتفاقية التي كان المصريون لا يهتمون بتنفيذها.

رابعا: تأميم البترول السوري.

## كيف تطورت احداث لبنان خلال شهر حزيران

سأكتفي في هذا المجال ببعض العناوين التي نشرتها الصحف والتي تصور مسلسل هذه الاحداث:

**2 حزيران:** مقتل 23 من العصابة التي ارسلت من الاردن لنجدة شمعون - قوات شمعون تهاجم بوحشية معسكرات اللاجئين في صور وصيدا - الطائرات العراقية تتابع نقل السلاح والذخيرة الى شمعون.

**5 حزيران:** تقدم نواب المعارضة اللبنانية بعريضة يطالبون بها كميل شمعون باعتزال الرئاسة - أده يطلب دعوة البرلمان لانتخاب رئيس جديد - مؤتمر المطارنة يؤيد البطريرك المعوشي في موقفه ضد شمعون.

**8 حزيران:** قداسة البابا يؤيد مواقف البطريرك المعوشي.

**11 حزيران:** حلف بغداد يتابع ارسال الضباط والجنود والمعدات في الطائرات الى لبنان.

**11 حزيران:** موافقة مجلس الامن على ارسال فريق من المراقبين الدوليين الى لبنان.

**15 حزيران:** وصول المراقبين الى الحدود السورية واللبنانية.

في تلك الفترة سافر عبد الحميد السراج الى القاهرة واجتمع بالرئيس عبد الناصر، ولما عاد اردت ان استوضح منه عن تطور سياسة الجمهورية العربية المتحدة تجاه احداث لبنان، فلم يشر الى اي تغيير، بل اصبح اكثر حماسة واندفاعا في ارسال المال والسلاح الى لبنان بالرغم من الحواجز التي اقامتها قوات المراقبة الدولية على الحدود والتي ظهر انها لم تكن مجدبة

بسبب طول الحدود وتداخلها، وقد اصبح موقف الجمهورية العربية هذا مستغربا بعد عدول شمعون عن تجديد رئاسته وتعديل الدستور.

في ذلك الوقت اخبرتني وزارة الاعلام بأن مراسلين من مجلتي تايم ولايف لديهما بعض الاسئلة عن الاوضاع في سورية وبصورة خاصة عما يحدث في لبنان، وفي هذه المقابلة التي لم يسعني فيها الا ان انفي تدخل الجمهورية العربية المتحدة في لبنان، قال لي احد المراسلين انه التقى في لبنان بالنائب ريمون اده الذي ابدى مخاوفه من ان تنقلب المعركة الى معركة طائفية بين الاسلام والمسيحيين واذا ما حدث هذا فمعناه ان يزحف 40 مليون مسلم على لبنان... قلت للصحافي:

"لا محل لهذا الخوف واذا درستم الوضع في لبنان وحدثم ان المسيحيين والمسلمين يشتركون معا في الثورة على عهد شمعون وخير مثال على ذلك موقف غبطة البطريرك المعوشي، اما الحديث عن زحف اسلامي عربي، فانا اذكر لكم الواقعة التالية: عام 1943 حين اشتد نضال الشعب في سورية ولبنان ضد الاحتلال الفرنسي كان هناك موضوع طرابلس والاقضية الاربعة، وكان يقال ان سورية تصر على ضم هذه الاقضية اليها ولكن جميع الاحزاب في سورية والفئات والجمعيات والمواطنين، اعلنوا ان طرابلس والاقضية الاربعة هي جزء من لبنان.

اما القول بأن العرب يهددون مسيحي لبنان، فهناك 1370 عاما تشهد بعكس ذلك.. واحب ان اقول لكم ان المسيحيين العرب من الناحية التاريخية ليسوا اقل عربوة من المسلمين، بل لعلمهم أنقى عربوة فالمسلمون العرب اختلطوا بالامم الاسلامية الاخرى، في حين ان المسيحيين العرب حافظوا على نقائهم ولقد كان لمسيحيي لبنان مشاركة واسعة في بعث القضية العربية وساهموا في حماية التراث العربي واللغة العربية وما تزال اثار المعلوف والبستاني واليازجي شاهدة على ذلك".



وردا على سؤال لاحد الصحفيين حول موقف الرئيس عبد الناصر من هذه الثورة، وما اذا كان يفضل حقا لو تأخرت، لينصرف الى معالجة بعض المشاكل السياسية، وتقوية الجمهورية العربية وحل المشاكل الناشئة عن قيام الوحدة بين سورية ومصر "ان الرئيس عبد الناصر لا يملك ان يمنع الثورة التي حدثت من ان تحدث، ولا ان يقدمها او يؤخرها، لانه يعتبرها ثورة داخلية تقررها ارادة الشعب اللبناني، الذي يملك وحدة حق تقدير ظروفه، واوضاعه وموقفه منها، في الطرف والمكان الذي يريد...

ولقد تذكرون ان الشعب اللبناني وقف عام 1952 ضد عهد الرئيس بشارة الخوري، وكان شمعون في المعارضة فاختار السيد الخوري الاستقالة تحنبا للاضطراب وحققنا للدماء... وقد تكرر الوضع نفسه عام 1958 واصبح شمعون هدفا لقضية الشعب ونقمته بنتيجة السياسة الاستعمارية التي يتبعها، والمظالم التي يعانها الشعب، والفساد الذي عم لبنان والشعب الذي اكره بشارة الخوري على التخلي عن الحكم امس هو الذي يطالب شمعون بالتخلي اليوم.. ولعلك تعلم ان الجمهورية العربية المتحدة لم تكن قد قامت عام 1952".

□

في تلك الفترة ارسل الى البطريرك بولس المعوشي موفدا من قبله يحمل رسالة شفوية ودية، وكنا قد اصبحنا صديقين، دون ان نلتقي، بسبب ما تناقلناه من رسائل شفوية حملها اصدقاء الطرفين.

لقد ازداد تقديري للمعوشي بسبب موقفه الصلب مع المعارضة اللبنانية ضد تزوير الانتخابات من قبل كميل شمعون وضد تعديل الدستور، وقد نشر موفد المعوشي في الصحف السورية فحوى الرسالة الشفوية الودية وفيما يلي نصها:

قال موفد غبطة البطريرك المعوشي اثر مقابلته للسيد اكرم الحوراني نائب رئيس الجمهورية انه نقل له رسالة شفوية ودية من غبطة البطريرك المعوشي يعرب فيها عن تقديره، وازاف:

بأن سياسة الصرح الماروني التقليدية لم تتبدل قط وهي تقوم على تحقيق وحدة الصف العربي وجمع كلمته ليؤدي للعالم العربي رسالته الانسانية، ويسهم في بناء الحضارة والاستقرار والسلام العالمي، وان غبطة ابينا مار بولس المعوشي اثبت هذه السياسة التقليدية في كافة مواقفه واجراءاته التي اتخذها من ازمة لبنان قاطعا الطريق على الاستعمار وعملائه الذين حاولوا تشويه نضال الشعب في لبنان وصبغه بالصبغة الطائفية، واعاد الى الاذهان ان غبطة سلفه البطريرك حويك عندما ذهب الى باريس طالب الفرنسيين باستقلال سورية ولبنان معا... وقال موفد البطريرك: ان غبطته ما زال يصر على ان يستقيل كميل شمعون من رئاسة الجمهورية في لبنان على ان يقوم المجلس النيابي القادم بانتخاب رئيس جديد للجمهورية اللبنانية، وقال بأن غبطته يرى ان اللواء شهاب خير من يضطلع بهذه المهمة" (النصر 16-6-58).



كانت المرة الاولى التي يرد فيها اسم اللواء فؤاد شهاب كمرشح لرئاسة الجمهورية خلفا لكميل شمعون، وكان معروفا عن اللواء شهاب انه قد امتنع عن توريث الجيش اللبناني في الحرب الاهلية، كما كان معروفا عنه الاستقامة والنزاهة.

في تلك الفترة ايضا وقبل ذلك بقليل صدر تصريح للنائب ريمون اده اعلن فيه ان موضوع تكليف فؤاد شهاب بتشكيل حكومة جديدة في لبنان قد اصبح غير ذي موضوع منذ ان اعترض عليه الطرفان المتنازعان، لدرجة ان اللواء شهاب لم يعد يرضى ببحث هذا الموضوع، ولان الجبهة الوطنية ترشح السيد حميد فرنجية لرئاسة الجمهورية.

ولا بد من الاشارة هنا الى انه كان لفرنسا والولايات المتحدة موقفان متعارضان من قضية لبنان، ولقد تحدد موقف فرنسا من احداث لبنان بصورة واضحة بعد تسلم الجنرال ديغول الحكم اول شهر حزيران 1958 اثر نواله ثقة الجمعية الوطنية على اساس برنامج الوزارى وانتهاجه سياسة دولية مستقلة عن الولايات المتحدة... فقد صرح مسؤول فرنسي ان فرنسا الحت

على حليفها بوجوب اتباع لبنان سياسة الحياد على غرار حياد السويد وسويسرا، كما ترى ان لبنان اضعف من ان يأخذ على عاتقه السير مع الغرب وهو لا يستطيع ان ينفرد من دون دول الشرق الاوسط بتحمل عبء تنفيذ مبدأ ايزنهاور، وان وجهة نظر فرنسا هذه عرضت على رئيس الوزراء البريطاني مكميلان، وقيل لمكميلان ان فرنسا تعارض تدخل حلف بغداد وتفضل صيغة البيان الثلاثي، كما صرح المسؤول ان فرنسا تعارض التدخل الاميركي البريطاني في لبنان (النصر 1-7-58).

في هذا التاريخ نفسه كان دلس يتحدث في مؤتمر صحفي عن موقف الولايات المتحدة تجاه احداث لبنان بشكل يمهد لانزال القوات الاميركية فقال:

"ان اية مساعدة عسكرية اميركية مباشرة الى لبنان ستكون آخر سهم يلجأ اليه، ومع هذا فان الولايات المتحدة لم تعتقد ابدا ان العمل لا يمكن اتخاذه الا عن طريق اجراءات الامم المتحدة، فالحقيقة ان المادة الخامسة من الميثاق وضعت بقصد مجابهة الحالة الطارئة عندما يكون من غير العملي الحصول على عمل مناسب عن طريق الامم المتحدة" (النصر 2-7-58).

هكذا فسر دالس المادة الخامسة من ميثاق الامم المتحدة قبل اسبوعين من ثورة الرابع عشر من تموز في العراق ليبرر عملية انزال القوات الاميركية الى لبنان.

□

لم يكن باستطاعتي حل الالغاز والاحاجي في موقف الجمهورية العربية تجاه احداث لبنان حتى قرأت مقالا للاستاذ محمد حسنين هيكل في جريدة الاهرام بتاريخ 58/6/17 تحت عنوان الخديعة الكبرى، وقد اتخذ هذا المقال شكل مسرحية مكونة من سبعة مشاهد بطلا الحوار فيها السفير الاميركي ريموند هير ورئيس الجمهورية العربية المتحدة جمال عبد الناصر، وكان موضوع الحوار يدور حول الازمة اللبنانية، وقد قصد جمال عبد

الناصر ان يعلن بطريقته عن اتفائه مع الولايات المتحدة على حل الازمة، على الاسس الالية:

1- ان الولايات المتحدة قد غيرت سياستها تجاه القومية العربية وتجاه الجمهورية العربية المتحدة، وانها تعهدت بمساعدته في حال تعرضه لاية ازمة (وكان هذا ما اعلنه عبد الناصر ايضا يوم عودته من الاتحاد السوفيتي).

2- اعلن ان الولايات المتحدة كلفته ان يساعدها على حل عاجل للازمة اللبنانية بنفوذه الشخصي وانهما اتفقا، بناء على اقتراحه على ترشيح اللواء فؤاد شهاب لرئاسة الجمهورية.

3- ان جمال عبد الناصر يقدر للولايات المتحدة حراة موقفها تجاه اعلان اتفائها معه، لان في المنطقة دولا تتجه بالولاء لها، ولربما يخطر في بال هذه الدول ان الولايات المتحدة قد تخلت عنها.

4- ان عبد الناصر لم يكن مكترثا بعرض الشكوى اللبنانية امام الجامعة العربية ومجلس الامن، ويقول هيكمل على لسان عبد الناصر في تلك المسرحية:

"وقد يخطر في بالكم مثلا ان عرض المشكلة امام الجامعة العربية على اساس شكوى لبنان يضايقني، او ان عرضها على مجلس الامن على هذا الاساس نفسه قد يسبب لي احراجا ارغب في تجنبه بالاشترك معكم في ايجاد حل للازمة، ولكنني أوكد ان هذا كله ليس في اعتباري فانا اعرف موقفي جيدا واثق بسلامته".

كان اخطر ما ورد في هذا المقال ما كتبه هيكمل على لسان عبد الناصر بأنه كان من الممكن حل الازمة اللبنانية على اساس تعهد كميل شمعون بعدم تعديل الدستور لتجديد رئاسته، وقد كان للمجلس الحق بموجب احكام الدستور انتخاب بديل عنه خلال الشهرين الباقين من مدة رئاسته، فيتفادى لبنان مزيدا من الدماء والخراب وتعميق الفرقة الطائفية التي اخرجت شمعون في نهايتها بطلا في نظر المسيحيين اللبنانيين، والتي مهدت للحرب الاهلية المدمرة التي انفجرت من جديد عام 1975.

ومن الجدير بالذكر ان كوبلاند في كتابه لعبة الامم يشير الى ان البورجوازية اللبنانية كانت تستغيث بالاميركيين لايقاف القتال حرصا على مصالحها التي تتعرض للدمار ولكن الولايات المتحدة لم تعر هذه الاستغاثة اذنا صاغية وثابتت على سياستها في استمرار القتال حتى تحقق هدفها من تثبيت نفوذها في لبنان.



## **صورة الوضع الداخلي في سورية قبل قيام ثورة الرابع عشر من تموز في العراق**

كان همي الاول في تلك الفترة الانتهاء من موازنة الاقليم السوري - كما اسلفت سابقا - ولذلك نظمت اجتماعات يومية للمجلس التنفيذي لبحثها ومناقشتها لاقرارها ورفعها للرئيس ناصر كي تقترن بتصديقه ليجري تنفيذها فوراً عوضاً عن الموازنة الاثني عشرية، وقد تمكنا فعلاً من انهاء بحثها في منتصف شهر حزيران، فخرجت موازنة رغم سوء الموسم الزراعي، ورغم التوسع في الخدمات والمشاريع الانشائية سواء في الموازنة العادية او الاستثنائية، وقد سجلت ارقاماً قياسية بالنسبة للموازنات السابقة وانتهجنا في دراستها سياسة التقشف والاقتصاد بالنفقات الهالكة والمشاريع غير المنتجة، ولم يكن امامنا اي عائق او معرقل من ضغوط النواب التي كانت تجري عادة في المجلس النيابي والتي تعرقل التركيز على الاوليات.

وقد تطلب ذلك بذل جهد كبير من قبل المجلس التنفيذي والاجهزة الفنية للوزارات، وعند الانتهاء من البحث قام وزير المالية بعرض الموازنة على عبد الناصر قبل سفره الى يوغوسلافيا بتاريخ 58/7/1، ليجري اقرارها والبدء بتنفيذها وبما ان موازنات الدولة هي المرأة التي تعكس اوضاع الدولة وشؤون المجتمع سياسياً واجتماعياً وثقافياً وحقوقياً ومالياً واقتصادياً وعسكرياً، كان من الطبيعي ان تقترن دراستها بتبديل بعض القوانين والانظمة، او اصدار قوانين جديدة تعالج المشاكل التي تعرقل او تعيق تنفيذها،

ولما كان وضع الموازنة على هذا المستوى من الاهمية اضحى من الواجب ان تطرح الصورة الحقيقية عنها امام الشعب وهذا ما استهدفته بالبيان الذي ادليت به للصحافة بتاريخ 11/6/1958 قبل اقترانها بتصديق رئيس الجمهورية.

□

كانت سياسة سورية الانمائية قد تركزت بعد نضال سياسي على اتفاقية التعاون الاقتصادي التي ابرمت مع الاتحاد السوفيتي قبل قيام الوحدة لاستثمار ثرواتها المائية والمعدنية والزراعية والصناعية، والذي كان يدعم الاقتصاد السوري رغم الظروف الصعبة عوامل ثلاثة هامة:

1- ذكاء ونشاط الشعب في سورية.

2- وضع سورية الجغرافي الفريد كحلقة اتصال بين اوربا وآسيا.

3- غنى ثروات القطر السوري الطبيعية.

وقد سبق للقارىء ان اطلع على جميع المراحل التي مرت بها سورية في مختلف شؤونها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية، وقد اشرت فيما سبق وفي عدة مواضع الى ان النفقات العسكرية كانت تستنزف ولا تزال اكثر من 50% من موارد البلاد ابتداء من عام 1948، بينما لم تتلق سورية اية قرض او معونة خارجية تمشيا مع النهج التحرري الذي سلكته داخليا وعربيا ودوليا.

كان اول اهتماماتنا عند دراسة الموازنة الاستفادة من ثروتنا البترولية، ولذلك كلفت اثناء بحث الموازنة بعثة من الخبراء السوفيت بوضع برنامج للتحري والتنقيب عن النفط وقد "عادت البعثة الى دمشق بعد ان قامت بالكشف عن المناطق البترولية التي تعمل فيها شركتا منهل الاميركية وكونكورديا الالمانية الغربية وعكفت البعثة على اعداد تقريرها النهائي حول الوضع البترولي العام في الاقليم السوري بموجب الاتفاقية المعقودة بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتي" (النصر 2-6-58).

بعد ذلك تقدم الخبراء السوفيت بتقريرهم للمجلس التنفيذي مصحوبا بالخرائط ونقلوا بأمانة ما شاهدوه في مواقع العمل التي يجري فيها التنقيب، وهي كراتشوك (شركة منهل) وحقل الغونة (شركة كونكورديا) وقد ظهر لهم ان احتمال ظهور البترول هو 90% في الشمال و 60% في وسط سورية واما القسم الجنوبي فالاحتمال ضعيف جدا.

كانت شركة كونكورديا غير جدية في عمليات التنقيب في منطقة ترخيصها، وكانت تتباطأ عن عمد املا في منحها امتياز استثمار البترول، اما بالنسبة لشركة منهل فقد استوضحت رسميا شركة اتلانتيك البترولية الاميركية من الدوائر المختصة في وزارة الاشغال العامة حول منح شركة منهل للتنقيب عن البترول حق الاستثمار، فكان الجواب هو ان الترخيص الممنوح لشركة منهل انما هو ترخيص تنقيب فقط، وقد اظهر هذا الطلب ان شركة اتلانتيك الاميركية هي الشركة التي تقوم فعلا باستغلال رخصة التنقيب التي يحملها منهل فهي تقصد من استفسارها عن حق الاستثمار ان تطمئن الى مصير الاموال التي انفقتها على اعمال شركة منهل (النصر 29-5-58).

وهكذا ظهر بأن شركة منهل كانت ستارا لشركة اتلانتيك الاميركية مما يخالف شروط الترخيص، ومما يسمح لسورية من الناحية القانونية ان تفسخ العقد مع شركة منهل، اما شركة كونكورديا فقد خالفت شروط الترخيص لانها تجاوزت المدة المحددة لها، وبعد اجراء الدراسة القانونية قرر المجلس التنفيذي بالاجماع الغاء رخص التنقيب الممنوحتين لشركة منهل وشركة كونكورديا والشروع في التنقيب عن البترول واستثماره وطنيا بمساعدة السوفيت بموجب اتفاقية التعاون المعقودة بين البلدين.

□

كان محمود رياض مستشار رئيس الجمهورية واللواء رزق منزعجين جدا من الغاء رخص التنقيب الممنوحتين لشركتي منهل وكونكورديا، فقد طلبا الي ان يحضرا اجتماعات المجلس التنفيذي

لابدء وجهة نظرهما بداعي ان هذا القرار هو غير سليم من وجهة النظر القانونية، ولما كانا بالطبع يمثلان وجهة نظر عبد الناصر، فقد رأيت انه من المفيد حضورهما واشتراكهما بالمناقشة معنا، فاستعرضنا الموضوع من جديد ولا سيما من الناحية القانونية واستمعنا الى تقرير وزير الاقتصاد خليل كلاس، وتقرير وزير الداخلية عبد الحميد السراج، فقرر المجلس التنفيذي مرة اخرى الغاء الرخصتين بالاجماع، ولم يبد محمود رياض او اللواء رزق اية حجة مقنعة للعدول عن هذا القرار، ولعلمهما كانا يظنان ان حضورهما وابداء وجهة نظرهما التي هي وجهو نظر عبد الناصر كفيل بالرجوع عن قرار المجلس التنفيذي.

كان حضور محمود رياض طبيعيا باعتبار انه همزة الوصل او ضابط الاتصال بين المجلس التنفيذي في سورية وبين عبد الناصر، ولكن حضور اللواء رزق هذا الاجتماع وهو وكيل وزارة الدفاع كان امرا مستغربا، ولعل عبد الناصر قد قصد ان يشير الى ان اللواء هو ممثل المشير او ممثل الجيش على الارجح

## التالين تراوغ ايضا

اما بالنسبة لشركة التالين التي تمر انابيهها في جنوب سورية حاملة البترول السعودي الى ميناء الزهراني في جنوب لبنان، فقد ظلت تراوغ وتماطل في تعديل الاتفاقية ورفع العائدات، وكانت شروط الاتفاق معها توجب التعديل في حال تعديل اتفاقية مرور انابيب شركة (الاي بي س) اي شركة نفط العراق، وهو التعديل الذي جرى في ذلك العام، وقد صيرت سورية قبل قيام الوحدة على مماطلة ومراوغة هذه الشركة وامتناعها عن زيادة العائدات اسوة بشركة نفط العراق، فلم تتخذ سورية اية اجراء رادع كايقاف ضخ البترول الذي يمر لان اطراف التجمع القومي الاخرى ورئيس الجمهورية شكري القوتلي لم يكونوا مستعدين لاتخاذ مثل هذا الاجراء بداعي ان الزيادة المرتقبة في العائدات لا تستحق مثل هذه المغامرة، اما الحقيقة الكامنة وراء هذا الادعاء فهي ان هذه الاطراف لم تكن مستعدة لاغضاب المملكة العربية السعودية، اما وان الاسباب المانعة قد زالت بعد قيام الوحدة فقد



عرضت على المجلس التنفيذي هذا الموضوع فأصدر مشروع قرار بتعديل الاتفاقية مع شركة التابلاين بعد ان رفضت رفع معدل العائدات اسوة بشركة نفط العراق.

لم يخطر ببالي آنذاك ان يجيئني عبد الناصر عندما فاتحته بضرورة الموافقة على هذا المشروع بأنه لا يمكنه ذلك لان هذا الامر هو موضع مساومة بينه وبين الولايات المتحدة لقاء مساعدتها بتعميق قناة السويس وانه لا يوافق على اتخاذ اي اجراء تجاه الشركة.

تلقيت جواب عبد الناصر، كما يتلقى الانسان الارض عندما يلقي به من حلق، ولم اتصور ابدا ان تصبح مصلحة سورية موضع مساومة قطرية من جمال عبد الناصر، تضاءل العملاق كثيرا كثيرا ولكنني كتبت مشاعري وقلت له:

ارجوك ان تعيد النظر في هذا الموضوع لان وضع سورية المالي - كما تعلم - صعب، وهي محتاجة لكل ليرة تدفع لها، وهكذا كان الخلاف بيننا وبين عبد الناصر على موضوع سياستنا البترولية وغيرها من المواضيع يدور حول هذه النقاط:

اولا: ارغام شركة التابلاين على تعديل الاتفاقية ورفع العائدات.

ثانيا: الغاء رخصتي التنقيب لشركة منهل الاميركية وشركة كونكورديا الالمانية.

□

**لم يكن الغاء رخص التنقيب وارغام شركة التابلاين على تعديل الاتفاقية مما ينزل اضرارا مادية تذكر بالنسبة لامريكا والغرب، ولكن الخطورة البالغة في نظرهما كانت في انتهاج سياسة حرة في تعديل الاتفاقات البترولية والتنقيب عن البترول واستثماره وطنيا، مما يشكل تهديدا لمصالح الغرب البترولية في المنطقة العربية، وهي المصالح القائمة على النهب والسلب والاستغلال وهذا**

## يعني فتح الباب لتحقيق الشعار الذي كان الشعب يرفعه في سورية وهو: بتحول العرب للعرب.

وبدلاً من أن يعقد عبد الناصر قبل سفره ليوغوسلافيا في مطلع تموز عام 58 اجتماعاً مع المجلس التنفيذي يطرح فيه هذه الأمور لتدارسها وإيجاد حل لها، لجأ إلى وسائل الإعلام وإلى أجهزة المخابرات المدنية والعسكرية لترويج الشائعات المسيئة وإلى إصدار القرارات التي تمنحه مزيداً من الصلاحيات:

فقد أوعز أولاً للصحف أن تنشر الخبر التالي تحت عنوان: حقل بترول ضخم في منطقة الغونة: "ستعلن في هذا الأسبوع نتائج سارة عن حفر البئر البترولية الأولى لشركة كونكورديا الألمانية في منطقة الغونة تحت إشراف مديرية المعادن، وقد علم أن هناك حقلاً بترولياً ضخماً نفذ إليه البئر" (النصر 22-6-58)

ثم أصدر في التاريخ نفسه قراراً جمهورياً رقم 61 عدل فيه قانون المعادن السوري بشأن منح الامتيازات المتعلقة باستثمار مواد الثروة الطبيعية والمرافق العامة جاء فيه:

**"المادة الأولى:** يكون منح الامتيازات المتعلقة باستثمار موارد الثروة الطبيعية والمرافق العامة، وكذلك أي تعديل في شروط الامتياز يتعلق بشخص صاحب الامتياز أو مدة الامتياز أو نطاقه أو الأتاوة (العائدات) بقرار من رئيس الجمهورية بعد موافقة مجلس الأمة، ويكون تعديل ما عدا ذلك من الشروط بقرار من الوزير المختص.

**المادة الثانية:** تلغى الأحكام المخالفة.

**المادة الثالثة:** ينشر هذا القانون في الجريدة الرسمية ويعمل به في إقليم الجمهورية من تاريخ صدوره"

كان الاستغفال ظاهراً في هذا القرار الجمهوري الذي منح به نفسه بشكل مطلق جميع حقوق منح الامتيازات في أخطر الشؤون وهو استثمار ثروات البلاد الطبيعية والمرافق العامة، ولكنه تستر على هذا التجاوز فأشار في المادة الأولى إلى

موافقة مجلس الامة على قراراته، مع ان الدستور المؤقت منحه جميع صلاحيات مجلس الامة طوال الفترة الانتقالية التي لم تحدد في الدستور الانتقالي، والادعى للعجب في هذا منحه للوزير المختص بقراره هذا صلاحيات لا وجود لها، بعد ان سلبه وسلب مجلس الامة كل صلاحية بهذا الخصوص.

وهكذا بدأ جمال عبد الناصر يفقد شيئاً فشيئاً الثقة به في قلوب المسؤولين السوريين كلما تكشفت لهم اساليبه في الاستغفال التي كان يلجأ اليها مستعينا بجميع ما يملك من وسائل وأجهزة.

والى جانب ما نشأ من خلاف حول السياسة البترولية، كانت هنالك بعض المواضيع التي أدت الى كثير من التوتر:

اولاً: امتناع عبد الناصر عن التوقيع على قرار تنظيم الاستيراد الذي أقره المجلس التنفيذي السوري اثناء بحث الموازنة، وايعازه للصحف في القاهرة بمهاجمته ومهاجمة المسؤولين في دمشق، واتهامهم بارهاق المواطنين بضرائب جديدة.

ثانياً: اعادة كثير من المشروعات الى دمشق بدون اقرارها والتوقيع عليها.

ثالثاً: عرقلة تنفيذ الاتفاقية الاقتصادية مع الاتحاد السوفيتي.

رابعاً: تحديد اختصاصات محمود رياض ومرور كافة القرارات عليه واحتفاظه ببعضها او اعادة بعضها الاخر الى المجلس التنفيذي.

خامساً: زيارات موظفي رئاسة الجمهورية المفاجئة المتكررة للاقليم السوري وطلبهم من الوزراء عقد اجتماعات مع موظفي وزاراتهم بحضورهم ومناقشتهم للوزراء في امور وزاراتهم بحجة نقل توجيهات السيد الرئيس والتحقيق عنهم من قبل اشخاص معروفين بانتسابهم للمخابرات الامر الذي اصبح موضع تندر الناس (انظر اضواء على تجربة الوحدة).

سادساً: طلب وزارة التربية ارسال 500 معلم من الاقليم الجنوبي الى سورية كدفعة اولى، وعدم توظيف حاملي البكالوريا من

السوريين كمعلمين في المرحلة الابتدائية (وكان عدد المتقدمين كبيرا في تلك السنة العجفاء).

سابعاً: لم يعين عبد الناصر وزيراً للتربية والتعليم ولا وزيراً للصناعة وبقيت هاتان الوزارتان ملحقتين بوزراء الاقليم المصري مباشرة، وقد ولد هذا الامر شللاً في اعمال الوزارتين ومفارقات عديدة، وعلى سبيل المثال حضر كمال الدين حسين احد اجتماعات المجلس التنفيذي عند بحث الموازنة بصفته وزيراً للتربية والتعليم في سورية، فكانت ملاحظاته وآراؤه موضع دهشة واستغراب من جميع اعضاء المجلس منها اصراره على عدم قبول منح البعثات المقدمة من قبل الاتحاد السوفيتي واوروبا الشرقية بداعي ان ذلك يشكل خطراً بانتشار الشيوعية، وعيها حاولنا اقناعه بان الشيوعية عندما انتشرت في سورية لم تنتشر عن طريق الاتحاد السوفيتي وانما عن طريق البعثات التي ارسلت للغرب، كما ان كثيرين ممن ارسلوا للبلاد الغربية امتنعوا عن العودة الى بلادهم بعد اتمام دراستهم.

ولكن كمال الدين حسين لم يقتنع بذلك فحرمت سورية من هذا المنح الدراسية في وقت كانت فيه في امس الحاجة الى المتخرجين من الدول الاشتراكية بعد ان اعتمدت على هذه الدول في تسليحها وفي بناء اقتصادها القومي..

□

لقد قرأت بدهشة فيما بعد عندما نشرت مصر مباحثات الوحدة الثلاثية التي جرت بعد انقلاب الثامن من آذار عام 1963 قول عبد الناصر في هذه المباحثات:

فيما يتعلق بالتجربة السابقة فانني شخصياً لم اكن احكم سورية وانما كان يحكمها السوريون.. على سبيل المثال كان الحوراني رئيساً للمجلس التنفيذي آنذاك واتخذ قراراً برفع رسوم الجمارك على كل شيء في سورية حتى على الاكل، واتخذ قراراً بغير علمي، ومع كدة تنصل هو من المسؤولية (ص10 مباحثات الوحدة الثلاثية - الطبعة الاولى - دار الاهرام)

كما قرأت في موضع آخر قوله:

"كان للمجلس التنفيذي كل الصلاحيات والسلطات"

"لقد سبق ان قابلت الحوراني ووضحت له اختصاصاته وسلطاته الكاملة" (ص13)

والذي اريد ان اوضحه هنا هو ما يلي:

1- ان المجلس التنفيذي في سورية لم يكن له اي صلاحيات، وكان بعض الوزراء يتصلون رأسا بالقاهرة وبالوزراء المصريين مباشرة امثال كمال الدين حسين وسيد مرعي والشافعي والمشير نفسه.

2- ان الاختصاصات والسلطات لا تعطى شفويا وانما بقرارات كما يعرف كل من مارس الحكم.

3- لقد اقر رفع الرسوم الجمركية الذي تحدث عنه عبد الناصر كمشروع قانون في المجلس التنفيذي ثم ارسل الى عبد الناصر كغيره من مشاريع القوانين التي كانت ترسل الى القاهرة بواسطة محمود رياض للتصديق عليها، وكنا قد مهدنا لهذا القانون بخطوات تنفيذية الغاية منها قطع دابر الاستغلال في حالة تسرب معلومات عنه، كما كنا واثقين من اقرار هذا القانون نظرا لوجود ما يماثله في مصر، ونظرا للاتجاهات الاشتراكية التي كانت الطابع العام لخط عبد الناصر وقد كان باستطاعته الا يوافق عليه.

لقد كان الرئيس عبد الناصر يصدر باختياره التشريعات او القرارات التي كان يعرضها على اللجان المختصة ثم يصدر ما يشاء ويطوي ما يشاء، حتى ان اللجان المركزية الثلاث التشريعية والاقتصادية والتنفيذية التي انشئت بعد تشكيل الوزارة المركزية كانت معطلة تقريبا.

كما لا بد لي هنا من القول ان قرار رفع الرسوم الجمركية لم يكن على كل شيء حتى الطعام كما تحدث ناصر، وانما كان ذلك على الكماليات فقط، ومن جملتها العطور ومواد التجميل

والسيارات الخاصة والزهور التي تستورد من هولندا، ولم يكن من الطعام ما هو داخل ضمن الاشياء التي رفعت رسومها الجمركية الا ما كانت سورية منتجة له بل ومصدرة له كالجبن مثلا.

### **جمال عبد الناصر وعائلته في يوغوسلافيا**

كانت هذه صورة الوضع في سورية عندما غادر عبد الناصر مصر في مطلع شهر تموز الى يوغوسلافيا هو وزوجته واولاده على متن يخت مصري للراحة والاستجمام، وهكذا ظل الاقليم السوري يعيش فترة ارتباك وتوقف في الاعمال طيلة اقامة الرئيس عبد الناصر في يوغوسلافيا. هذه الاقامة التي انتهت ثورة 14 تموز في العراق.

كانت احداث لبنان تتسع وتتفاقم وبدأ تواطؤ كميل شمعون والانعزاليين يأخذ شكلا خطيرا للغاية وقد نشرت الصحف تحت عناوين بارزة نص المذكرة التي بعث بها توفيق طوقان مدير مكتب اللاجئين الفلسطينيين في جنيف الى سكرتارية الامم المتحدة، اعلن فيها ان الحكومة اللبنانية والقوميين السوريين والكتائب قد شنوا حملات اضطهاد عنصرية ضد اللاجئين الفلسطينيين المقيمين في لبنان، مما ادى الى مقتل عدد كبير من اللاجئين يقدر بـ (1800) قتيل اثناء الحملات الارهابية التي شنتها العصابات المذكورة على مخيمات اللاجئين في مخيم شاتيلا في بيروت وتل الزعتر وجاء في المذكرة نفسها ان ما يربو على (15) الف لاجيء من اصل 150 الف فلسطيني مقيم في لبنان قد طردوا من الاراضي اللبنانية.

كما نشرت الصحف انباء الاجتماعات الرسمية بين شارل مالك وزير الخارجية اللبنانية مع ابا ايان في مكتب دلس وزير خارجية الولايات المتحدة، وصرح ايان اثر الاجتماع بأن الهدف منه هو الحصول على تأكيد رسمي من حكومة لبنان بالمحافظة على حدودها مع اسرائيل.

□

كنت وكان جميع المسؤولين في سورية متفرجين نطلع على احداث لبنان وما يرافقها من تطورات سياسية خطيرة مما تنشره الصحف العربية والاجنبية لان الرئيس عبد الناصر حصر قضايا لبنان بعبد الحميد السراج وحده الذي كان يتهرب من اطلاق اعضاء المجلس التنفيذي على ما يجري هناك، وربما كان هو لا يعلم الا ما كان يكلفه به الرئيس عبد الناصر، لان عبد الحميد غالب سفير الجمهورية العربية المتحدة في لبنان كان مطلق الصلاحية في كل ما يتصل بالشؤون اللبنانية، حيث كان موثوقا من عبد الناصر الى درجة كانت تثير غيرة عبد الحميد السراج كما كانت تصرفاته الشاذة في لبنان تثير محمود رياض.

□

1958 - ثورة 14 تموز 1958 في العراق -  
انعكاسات الثورة على الصعيدين العربي والدولي -  
الانزال العسكري الأميركي في لبنان والبريطاني  
في الأردن - عبد الناصر في موسكو ثم في  
دمشق - عبد السلام عارف ووفد حكومي عراقي  
في دمشق- البيان المشترك للجمهورية العربية  
المتحدة وأعضاء الوفد العراقي- بعض وثائق حلف  
بغداد حول أحداث لبنان في هذه الفترة.

### ثورة الرابع عشر من تموز في العراق.

قبل البحث بثورة الرابع عشر من تموز في العراق لا بد لنا  
من إلقاء نظرة شاملة على الثورات العربية التي سبقتها، إذ إن  
الأقطار العربية كالسلسلة المتصلة الحلقات إذا اهتزت إحداها  
تجاوبت معها الحلقات الأخرى.

وبالاستناد الى هذه الحقيقة بنت فرنسا وبريطانيا وبعدهما  
الولايات المتحدة استراتيجيتها الاستعمارية في الاقطار العربية،  
واننى لا أزال أذكر ما كتبه الجنرال كاترو في مؤلفه الصغير عن  
سورية من أن تمسك فرنسا الشديد بوجودها في سورية بالرغم  
من كل ما عانت من متاعب ومصاعب وثورات وانتفاضات مستمرة  
طيلة عهد الانتداب هو بسبب المحافظة على وجودها في تونس  
ومراكش وبخاصة في الجزائر. ولقد أشار الى هذه الحقيقة أيضا  
انتوني ايدن عندما خاطب الشعب البريطاني بعد تأميم قناة  
السويس بقوله:

"ان نجاح ناصر في تأميم القناة سيفضي الى حرمان  
بريطانيا من ثروة العراق النفطية وهذا ما سيؤثر على مستوى  
معيشة الشعب البريطاني".

وبالاستناد الى هذه الحقيقة كان من المفترض أن تؤدي  
ثورة سورية عام 1945 التي انتهت بجلاء الجيشين البريطاني  
والفرنسي عن سورية ولبنان عام 1946 الى ثورات مماثلة في



الاقطار العربية الاخرى، سواء في المغرب العربي أو في مشرقه وخاصة في مصر والعراق. ثم جاءت أحداث عام 1948 عندما هزمت الجيوش العربية في فلسطين وانكشف تواطؤ الغرب الاستعماري مع الصهيونية ضد العرب ولا سيما بريطانيا وما رافق ذلك من مواقف الحكام العرب، فكانت قضية فلسطين السبب المباشر في تعاقب الانقلابات والثورات العربية على فترات زمنية تتصل بتطور الأوضاع العربية وبالتناقضات الاستعمارية بالنسبة لكل قطر، كما تتصل عموماً بتطور الأوضاع الدولية وميزان القوى العالمية.

لقد ألهمت هزيمة الجيوش العربية في فلسطين عام 1948 الروح الثورية في جميع الاقطار التي دخلت حرب فلسطين، وكانت سبباً للانقلابات العسكرية الاولى التي وقعت فيما بعد، إذ كان جميع قادة هذه الانقلابات من الضباط الذين شاركوا في تلك الحرب سواء من نجح في الاستيلاء على السلطة كما جرى في مصر وسورية والعراق أو من أخفق في محاولاته الانقلابية كما جرى في الأردن، وان جميع الخلايا الانقلابية التي تكونت في الجيوش العربية كان تكوينها اما اثناء حرب فلسطين أو إثرها مباشرة.

وهكذا جرى أول انقلاب عسكري في سورية عام 1949، ثم تلاه الانقلاب الذي أطاح بالحكم الملكي في مصر عام 1952، وبعد ذلك بست سنوات أي في عام 1958 حدثت ثورة الرابع عشر من تموز في العراق وهي الثورة التي نحن بصدد الكتابة عنها الآن.

كان بعض الضباط العراقيين كرفعة الحاج سري وصالح مهدي عماش وسواهم قد شرعوا في تكوين بعض الخلايا الانقلابية في الجيش منذ عام 1949، وقد ذكرت هذين الاسمين بالتخصيص لدورها الهام في تغطية وانقاذ بعض التشكيلات السرية العسكرية الأخرى التي كان يحوم حولها الشك من قبل النظام الملكي، حيث خدم هذان الضابطان في المخابرات العسكرية العراقية بعد كارثة فلسطين، وكنت قد أشرت سابقاً الى نشوء مثل هذه الخلايا الانقلابية في الخمسينات، كما أشرت

الى الاتصالات التي جرت في الأردن بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف وبين بعض ضباط القيادة العسكرية في سورية. كما لا بد لنا من الإشارة الى الجذور العميقة المتصلة التي تربط ثورة الرابع عشر من تموز في العراق بثورة الجيش التحررية عام 1941.

ان الظروف التاريخية التي هيأت للثورة الشعبية الديموقراطية التحررية في سورية بقيادة الاحزاب الوطنية فأدت أخيرا الى الاستقلال عام 1946 تختلف في نشأتها ومراحل تطورها عن الظروف التي هيأت لثورة الجيش في مصر عام 1952 وثورة الجيش العراقي عام 1958.

لم تكن سورية تمتلك في عهد الانتداب جيشا وطنيا، كما كان عليه الحال في مصر والعراق اذ كانت فرنسا قد عمدت فور احتلالها لسورية الى حل الجيش الوطني الذي انشأه الملك فيصل خلال فترة حكمه القصيرة، وأنشأت بدلا عنه ما يسمى بالقطعات الخاصة لجيش الشرق على أسس عنصرية وطائفية وعشائرية وكانت هذه القطعات تعتبر كوحدات تابعة للجيش الفرنسي، وهكذا كان استقلال سورية بطريق الثورة الشعبية، وخلال ذلك رفضت بعض القطعات الخاصة وضباطها قصف المدن السورية والتحققت بالقوى الثورية والحكومة الوطنية، وكان ذلك دليلا على أن الاستعمار لا يمكنه أن يعزل الجيش عن تفاعله مع الشعب، مهما تفنن في أساليب عزله وإقصائه، فلا بد أن يظهر أثر هذا التفاعل بثورة الجيش على النظام التابع للاستعمار كما جرى في مصر والعراق، أو بالتحاق بعض قطعات الجيش وضباطه بالثورة الشعبية كما حدث في سورية، وعندما تنهياً الظروف الموضوعية داخلها وعربيا ودوليا فلا بد من انفجار الثورة ضد الاحتلال بقيادة الاحزاب الوطنية أو بقيادة العسكريين انفسهم عند تردد أو غياب قيادة هذه الاحزاب كليا أو جزئيا عن تحمل تبعات ومسؤوليات تفجيرها.

ولسنا الآن بصدد ذكر اثر الجيوش وتفاعلها مع حركة الثورة العربية في مراحلها المتعاقبة، وحسبنا هنا أن نشير الى ان الجيش المصري الذي نشأ كجيش حديث في عهد محمد علي

باشا الكبير. كان أول جيش عربي يقوم بالثورة ضد حكم الخديوي توفيق بقيادة أحمد عرابي، كما نشير في هذا المجال الى ثورة الجيش العراقي في الأربعينات بقيادة العقلاء الشهداء.

كان الجيش العراقي منذ نشأته متأثرا بأفكار الثورة العربية التي سادت خلال الحرب العالمية الأولى، ثم أصبح متفاعلا مع الافكار العربية التي كان يدعو اليها نادي المثني والقوميون العرب في الثلاثينات وتجلى التعبير عنها في ثورة الجيش عام 1941 بقيادة العقلاء وقد كانت القضية الفلسطينية محور هذه الثورة ويمكننا أن نقرر بمسؤولية ان ثورة الجيش العراقي عام 1941 كانت أول ثورة يقوم بها جيش عربي وبأهداف تحررية وحدوية شاملة، وكان من سوء طالع العرب أن يهيء اخفاق ثورتي عرابي في أواخر القرن التاسع عشر وثورة الجيش العراقي في النصف الأول في الأربعينات للاستعمار البريطاني أن ينزل بالجيش المصري والجيش العراقي ضربة قاصمة قضت الى حد كبير على النخبة العسكرية التي تكونت فيهما بفترة طويلة من الزمن.

□

لم تفكر الاحزاب الوطنية في الاقطار العربية أن تنشئ تنظيمات حزبية في الجيش فقد نشأت جميعها أحزابا ليبرالية، وهكذا كان شأن الأحزاب الوطنية في العراق كالحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال.

والى جانب هذه الاحزاب الليبرالية كان في العراق حزبان يساريان هما الحزب الشيوعي وحزب البعث العربي الاشتراكي، وقد نشأ الحزب الشيوعي في مطلع العشرينات من هذا القرن ورغم كل الضربات التي وجهت اليه سواء من داخله أو من خارجه من قبل الانكليز أو سلطات العهد الملكي فقد استمر في نشاطه واتسعت قواعده حتى أصبح أكبر حزب شعبي في العراق، كما أصبحت له قواعد واسعة وتنظيم قوي ودقيق في الجيش امتدت جذوره الى صفار الضباط وصف الضباط والجنود، ورغم ذلك لم يكن من استراتيجيته الوثوب الى السلطة في العراق لأنه لم يكن من

رأي الاتحاد السوفيتي ذلك لعجزه عن حمايته من السقوط حيث ستكون نهايته المحتومة.

أما حزب البعث في العراق فقد نشأ قبيل الخمسينات فكان بالنسبة للحزب الشيوعي والاحزاب الاخرى حديث النشأة، ولذلك كان عدد الموالين له في الجيش محدودا جدا حتى ثورة الرابع عشر من تموز 1958، حيث اقتصر نشاطه في البداية- كما قيل لي- على عدد ضئيل من الضباط الموالين أمثال صالح مهدي عماش وحسن النقيب وستار عبد اللطيف ثم انضم اليهم عدد آخر من الضباط أمثال منذر الوندائي وعلاء الجنابي ومحمد علي سباهي وعبد الرزاق القراغولي، ومن ذلك نستنتج انه لم يكن للأحزاب اليسارية في العراق بشكل مباشر يد في تفجير ثورة الرابع عشر من تموز عام 1958.

ولكن لا بد لنا أن نتساءل عن الاسباب التي أرجأت ثورة الجيش العراقي عامين بعد انهزام بريطانيا في معركة السويس عام 1956 وظهور التناقض الاستعماري في المنطقة بين بريطانيا والولايات المتحدة وتعاضم قوة الاتحاد السوفيتي، وهي جملة تحولات ومعطيات تجعل لثورة الجيش في العراق آنذاك حظا كبيرا في النجاح على عكس الظروف التي واجهت ثورة الجيش في العراق عام 1941.

ان القيادات السياسية اكثر قدرة من القيادات العسكرية على ادراك تقلبات السياسة الدولية وتحولات الظروف الداخلية والعربية، هذا الادراك الذي يستطيع أن يحدد بدقة ساعة الصفر، ان ذلك لم يحدث بالنسبة لثورة الرابع عشر من تموز التي انفرد العسكريون بتنظيمها وتوقيتها. لقد انفجرت هذه الثورة بعد قيام الوحدة السورية المصرية بخمسة أشهر حيث أصبح لها - شعبيا وعربيا ودوليا- سند قوي عجل بانفجارها بعد أن عانى الشعب في العراق طويلا من خيبات الأمل في ثوراته المتعاقبة وبعد أن دعم الانكليز الحكم الملكي بواسطة حلف بغداد عام 1995.

في صبيحة الرابع عشر من تموز عام 1958 انطلقت محطة بغداد بشكل مفاجيء تذيع نبأ الثورة الذي انتشر بين الجماهير السورية بسرعة خاطفة فهرع الشعب من كل مكان الى الشوارع يعانق بعضه بعضا. ولم لا؟

لقد حدثت المعجزة وسدلت القومية العربية أكبر ضربة لأكبر معقل من معاقل الاستعمار البريطاني فسارت المظاهرات في جميع انحاء سورية وهي تردد أهازيجها: عبد الكريم منوجهلك تحية .. أحسن زعيم للأمة العراقية .. تنهى شعب العراق بإعلان الجمهورية.

اتجهت فور سماعي نبأ الثورة، بدلا من القصر الجمهوري، الى السفارة المصرية السابقة التي اصبحت بعد الوحدة مقرا لمحمود رياض مستشار الرئيس جمال عبد الناصر، وذلك لامكانية الاتصال بالرئيس بشكل مستعجل، وقد حضر للسفارة معظم الوزراء، وكان الجميع مبتهجين، ولكنهم كانوا مرتبكين يتساءلون بحيرة عن التدابير العاجلة لحماية الثورة في العراق فاقترحت على السيد محمود رياض أن يتصل فورا بالرئيس عبد الناصر ويبلغه ضرورة اصدار بيان عاجل باسم الجمهورية العربية المتحدة يعلن فيه ان اي عدوان على الجمهورية العراقية يعتبر عدوانا على الجمهورية العربية المتحدة وفقا لميثاق الضمان الجماعي العربي، فوافق الجميع على اقتراحي، وقد تمكن محمود رياض من الاتصال بجمال عبد الناصر وهو في طريق عودته بحرا الى القاهرة فوافق جمال عبد الناصر على هذا الاقتراح، وبالفعل صدر هذا البيان في اليوم الثاني الذي تم فيه انزال القوات الاميركية في لبنان.

□

فتحت أمامنا موافقة جمال عبد الناصر على هذا البيان مجال التحرك والعمل لمساعدة ثورة العراق فعقدت مساء يوم الرابع عشر من تموز اجتماعا للمجلس التنفيذي في القصر الجمهوري، قررنا فيه ربط اذاعة دمشق وأجهزة الاعلام بوزير الدولة الاستاذ صلاح البيطار فورا تلبية للضرورة الملحة التي

تقتضي سرعة التوجيه والاشراف في مثل تلك الظروف، وهو ما يتعذر تحقيقه في حالة بقاء تلك الاجهزة على ارتباطها بالقاهرة، وكان ذلك من صلاحية رئيس الجمهورية وليس من اختصاص المجلس التنفيذي، ولكن الضرورات تبيح المحظورات، ثم استدعينا جمال فيصل قائد الجيش الأول ومساعدته عبد المحسن أبو النور، وطلبنا اليهما استنفار الجيش أولاً ثم استنفار تنظيمات المقاومة الشعبية، والاستعداد لمد العون العاجل بالأسلحة والذخيرة لجيش العراق بعد الاتصال به، وابلاغ المشير عامر بقراراتنا هذه لتحظى بموافقته ولتكون منسجمة مع التدابير التي سيتخذها في الاقليم المصري، ولكن هذه القرارات لم يقدر لها أبداً أن تنفذ فبينما كان الشعب يعيش لحظات فرح لا توصف ويضع يده على قلبه فرقا على الثورة الوليدة كان جمال فيصل ومساعدته عبد المحسن أبو النور يتصرفان حسب ما تمليه العقلية المريضة لأجهزة المخابرات، وهكذا ذهبنا الى منزل شكري القوتلي وجلسنا يتقبلان التهاني عوضاً عن اجتماعهم فوراً بالمسؤولين وهم نواب الرئيس واعضاء المجلس التنفيذي.

كان مخطط ناصر وعامر يهدف في تلك المرحلة إلى إثارة القوتلي ودغدغة غروره والتقرب اليه واستخدامه هو وطبقته ضد المسؤولين من الذين كانوا اعضاء في حزب البعث السوري.

وفي القاهرة لم يأبه عامر لقرارات المجلس التنفيذي فلم يتخذ أي تدبير، ولم تكن العناوين التي تنشرها الصحف: (تعبئة جميع القوى ... استنفار المقاومة والدفاع المدني... منظمات المقاومة تسلمت مراكزها..) سوى كلمات فارغة لا شيء وراءها.

كنت أحلم لو كان بمقدورنا إلغاء الحدود بين البلدين فور سماعنا نبأ الثورة، ليتم الاتصال الكامل بين القطرين شعباً وجيشاً وسلاحاً، ولنذهب فوراً الى بغداد للتفاهم على الخطط الكفيلة بصيانة الثورة والبدء بتحقيق الاتحاد بين البلدين.

كان ذلك حلماً لم يعد بأيدينا تحقيقه.

أما قيادة حزب البعث في العراق فلم يعد لنا بها أي اتصال، وقد أخبرني على صالح السعدي فيما بعد ان صلاح البيطار وجه رسالة قبل الثورة لقيادة الحزب في العراق مع شخص يدعى محمد كبول بقصد الثقة به باعتباره من حزب البعث مع ان علاقته بأجهزة المخابرات المصرية كانت معروفة ومفضوحة، وهكذا أصبحت العلاقة مع الحزب في العراق عن طريق كبول ورجل آخر من المخابرات المصرية اسمه محمد المصري.

□

لقد أصبحنا نجعل جهلا تاما بعد قيام الوحدة ما كان يجري في العراق، لأن اتصال الحزب أصبح مباشرا مع المخابرات المصرية التي كانت تعمل على قطع أي صلة لقيادة الحزب السابقة في سورية بفروع الحزب في الاقطار العربية الأخرى، وكان اتصال الحزب في العراق بالجمهورية العربية المتحدة يتم أحيانا عن طريق السفير المصري الذي أفهم الحزب بعد الثورة مباشرة أن تتصل بالملحق العسكري المصري العقيد (عبد المجيد فريد) لأنه معتمد من قبل جمال عبد الناصر في العراق، ومن هنا بدأت أجهزة المخابرات المصرية تعمل فيما بعد على شق قيادة الحزب في العراق كما سيرد تفصيله في حينه.

وقصارى القول أننا كنا نجعل عند اندلاع ثورة الرابع عشر من تموز أي شيء عن ثورة العراق، كما كنا عاجزين عن اتخاذ أية مبادرة احتياطية لحماية سورية بعد نزول القوات الاميركية الى لبنان، وقد كان حال المجلس التنفيذي للاقليم السوري كما كتب أحمد عبد الكريم في كتابه (اضواء على تجربة الوحدة):

"لم يعد للاقليم السوري وجود من الناحية السياسية، ولم يعد أحد من السوريين يساهم في رسم السياسة الخارجية أو العلاقات مع الدول العربية، وظهر ذلك جليا في زيارة السامرائي واجتماعه بالمجلس التنفيذي بعد ثورة العراق. اذ شعر الجميع يومها بأنهم لا يستطيعون بحث أي موضوع معه (وكان في طريقه

الى بغداد) واكتفى المجلس بالاستماع الى الاذاعات ليتابع تطورات الأوضاع حول سورية رغم خطورتها" (ص 136)

## نص البلاغين الأول والثاني اللذين أذيعا من بغداد.

بعد الاتكال على الله وبمؤازرة المخلصين من أبناء الشعب والقوات الوطنية المسلحة أقدمنا على تحرير الوطن العزيز من سيطرة الطغمة الفاسدة التي وضعها الاستعمار لحكم الشعب والتلاعب بمقدراته ومصالحته وفي سبيل المنافع الشخصية. أيها الاخوان: ان الجيش هو منكم واليكم وقد قام بما تريدون وأزال الطغمة الباغية التي استهترت بحقوق الشعب، وما عليكم الا أن تؤازروه في رصاه وقنابله وزئيره المنصب على قصر الرحاب وقصرنوري السعيد، واعلموا ان الظفر لا يتم الا بتوحيد الصفوف والمحافظة عليها من مؤامرات الاستعمار وأذنبه.

اننا نوجه اليكم نداءنا للقيام باخطار السلطات عن كل مفسد ومسيء لاستئصاله، ونطلب اليكم أن تكونوا يدا واحدة من السليمانية الى الرطبة ومن زاخو الى الفاو للقضاء على هؤلاء المجرمين وعلى أعوان الانكليز والتخلص من شرهم.

أيها المواطنين: اننا في الوقت الذي نقدر فيكم الروح الوطنية الوثابة والآمال المجيدة ندعوكم الى الخلود للسكينة والتمسك بالنظام والاتحاد في سبيل مصلحة الوطن. وطن واحد وشعب واحد.

لقد اقسمنا أن نبذل دماءنا وكل عزيز لدينا في سبيلكم ، وكونوا على ثقة واطمئنان بأننا سنواصل العمل من أجلكم. ان الحكم يجب أن يعهد به الى حكومة تنبثق من الشعب وتعمل بوحى منه، وهذا لا يتم الا بتأليف جمهورية شعبية تتمسك بالوحدة العراقية الكاملة شمالا وجنوبا وغربا وشرقا، وترتبط برباط الاخوه مع الدول العربية والاسلامية، وتعمل بمبادئ ميثاق الأمم المتحدة وتلتزم العهود والمواثيق وفق مصلحة الوطن وبقرارات مؤتمر باندونج وعليه فان هذه الحكومة الوطنية سميت منذ الآن بالجمهورية العراقية وتلبية لرغبة الشعب فقد عهدنا برئاستها بصورة وقتية الى مجلس سيادة يتمتع بسلطة رئيس الجمهورية ريثما يتم استفتاء الشعب بانتخاب الرئيس والله نسأل أن يوفقنا في أعمالنا لخدمة وطننا العزيز انه سميع مجيب.

القائد العام للقوات المسلحة.. بالنيابة



بناء على ما تقتضيه المصلحة العامة واستنادا الى ما جاء في البلاغ رقم 1 الصادر في 26 ذي الحجة عام 1377 الموافق 14 تموز عام 1958 تم تأليف مجلس السيادة للدولة على الوجه التالي..

الفريق الركن نجيب الربيعي رئيسا

محمد مهدي كبة عضوا

خالد النقشبندي عضوا

القائد العام للقوات المسلحة..

ثم تتابعت اذاعة المراسيم الجمهورية وكلها تتعلق بتعيين قادة فرق الجيش الجدد وإحالة بعض الضباط على التقاعد، وإعادة بعضهم الآخر الى الخدمة في الجيش، كما وجه نداء الى ضباط الطيران الموجودين في لبنان للالتحاق بالقوات الشعبية الثائرة في لبنان، أو العودة اذا أمكنهم بطائراتهم، وكان نوري السعيد وحلف بغداد قد أرسلوا هؤلاء الضباط مع طائراتهم المحملة بالاسلحة لدعم كميل شمعون والفئات الموالية وله، ونشير هنا أيضا الى وجود ضباط عراقيين ومقاتلين أردنيين في لبنان، ووجود رتل عراقي في الأردن ينتظر تطور الأحداث في لبنان.

### كيف تم تنفيذ ثورة الجيش العراقي.

اذاعت محطة بغداد منذ صباح اليوم الأول للثورة مع المراسيم المتلاحقة نبأ اعدام عبد الاله ولي عهد العراق شنقا وان جنته قد علقت أمام مبنى وزارة الدفاع، ولكنها لم تعلق شيئا عن مصير الملك فيصل والعائلة الملكية وأركان العهد الملكي السابق، ومنذ اليوم الثاني بدأت الصحف ووكالات الانباء تنشر بعض التفاصيل عن ثورة العراق جاء فيها ما ملخصه:

كان العهد الملكي قد استدعى القوات العراقية المتحركة الى بغداد لإرسال بعضها للأردن وبعضها الآخر الى لبنان، فنفذ قادة الثورة أثناء مرور قواتهم في بغداد حركتهم الموفقة فاستولوا على الاذاعة واجتاحوا قصر الرحاب الذي قتل فيه عبد الاله ثم

علقت جثته أمام وزارة الدفاع في المكان الذي اعدم فيه شنقا العقداء الشهداء صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد ومحمود سلمان والمحامي يونس السبعائي، وكان عبد الله قد أمر آنذاك بابقاء جثة الصباغ معلقة أمام مبنى الوزارة، ثم أذاعت قيادة القوات العراقية المسلحة بيانا أعلنت فيه مقتل نوري السعيد أثناء خروجه من إحدى الدور القريبة من الباب الشرقي وهو في زي امرأة مرتدية عباءة سوداء، ولم يكن ما أذيع ونشر عن انباء الثورة آنئذ بعيدا عن الحقيقة، وفيما يلي بعض الدقائق والتفاصيل التي اطلعنا عليها فيما بعد.

1- اصدرت حكومة نوري السعيد امرا عسكريا بتحريك اللواء عشرين الى الأردن، وقد سبق أمر اللواء قطعاته أثناء مرورها من بغداد مع بعض حرسه وأركانها الى المكان المتفق عليه خارج بغداد، لتنتقل بعد تجمعها هنالك الى الأردن، وعندما كان بانتظار وصولها اعتقله ضباطه حسب الخطة المرسومة سابقا مع قيادة الانقلاب.

2- تحركت افواج اللواء الثلاثة، وكان أحدها بقيادة عبد السلام عارف والفوج الآخر بقيادة الضابط العقيد عبد اللطيف الدراجي، وكلاهما من التنظيم الثوري أما قائد الفوج الثالث ياسين السامرائي فقد تم اعتقاله من قبل عبد السلام عارف وهو في طريقه الى بغداد.

3- كانت اعداد كبيرة من الضباط متواجده في بغداد في حالة انذار صادر من قائدي الثورة عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف، وفور دخول أفواج اللواء الثلاثة الى بغداد احتل عبد السلام عارف دون مقاومة وزارة الدفاع والاذاعة بينما سيطر الضباط المنذرين في بغداد على معسكراتهم فورا ولا سيما معسكر الرشيد الذي يضم القوات الأساسية في منطقة بغداد، وكان يعسكر فيه لواء مدرع بقيادة عبد الرحمن عارف شقيق عبد السلام عارف، ومن الأمور التي تستحق الانتباه أن عبد الرحمن عارف لم يكن على سابق علم بالثورة الا بعد أن وصلت قطعات عبد السلام عارف الى مشارف بغداد

وعندها أرسل عبد السلام عارف الى أخيه كتابا يخبره فيه بأمر الانقلاب ويطلب منه الاشتراك والمساعدة.

4- بعد امتلاك الاذاعة ووزارة الدفاع وسيطرة الثورة على معسكر الرشيد، توجهت احدى القطع العسكرية بقيادة وصفي طاهر ومساعدته بهجت سعيد الى منزل نوري السعيد ولكن وصفي طاهر أمر باطلاق الرصاص قبل الوصول الى منزل نوري السعيد فسهل هذا العمل فراره الى الضفة الغربية الأخرى من دجلة حيث لجأ الى بيت أحد أقارب ضياء جعفر الذي كان من وزراء وأركان العهد الملكي.

5- كانت على مقربة من قصر الرحاب قوة عسكرية بقيادة الضابط عبد الستار العبوشي الذي شن هجوما على القصر قضى على جميع أفراد الأسرة المالكة، ولم يبق منها على قيد الحياة الا زوجة عبد الاله.

6- علقت جثة عبد الاله بعمود مقابل وزارة الدفاع بعد مقتله قرب المكان الذي اعدم فيه العقيد صلاح الدين الصباغ، وعندما شاهدت جماهير بغداد في الصباح جثة عبد الاله مزقتها حتى لم يبق منها أثر.

7- أما نوري السعيد فقد اكتشفه أحد الأهلين فأطلق عليه الرصاص وكان يستعد للهرب خارج العراق فدفن الجيش جثته في مكان مجهول ولكن الجماهير تمكنت من معرفة المكان الذي دفن فيه، فنبشت القبر وسحلت جثته في شوارع بغداد حتى لم يبق لها أثر..

- قتل وزيران أردنيان من وزراء الاتحاد الهاشمي وسحلت جثتهما في الطرقات..

- بعد يومين من مقتل نوري السعيد ظهر صباح نوري السعيد قرب الاذاعة فقتله أحد الجنود، ثم تتالى اعتقال جميع وزراء وأركان العهد الملكي السابق وكان آخرهم اعتقال فاضل الجمالي الذي كان مختبئا في غابة شمالي بغداد..

كان عبد السلام عارف نائب عبد الكريم قاسم يتكلم ويتصرف في قيادة الجيش والحكومة منذ الأيام الأولى للثورة وكأنه قائدها، وكان عبد الكريم قاسم ما هو إلا واجهة الثورة، لقد شعرت من تصريحاته المتلاحقة انه رجل خفيف ومغرور، ثم ساءت نظرتي إليه أكثر بعد مجيئه الى دمشق، أما قاسم فلم تسمح لي الظروف بالتعرف عليه وكان يبدو عليه في الفترة الأولى للثورة الدهاء والرصانة ثم ما لبثت خطبه واقواله وتصرفاته أن كشفت عاهاته النفسية والفكرية.

ومنذ الأيام الأولى للثورة بدأت أعراض التسابق على تزعمها بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف بما يشير بأن أحدهما سيصفي الآخر في المستقبل القريب، وكان من مصلحة أطراف كثيرة آنذاك، داخلية وعربية ودولية استغلال هذا الخلاف وتعميقه بين قائدي الانقلاب. **هذا بالوقت الذي لم يكن فيه لقيادة الثورة وتنظيمها العسكري سوى بعض شعارات غير محددة المعالم، ومن هذه الجهة كانت قيادة ثورة عام 1941 متقدمة من حيث وعيها السياسي والفكري على قيادة ثورة الرابع عشر من تموز عام 1958.**

لقد تألفت حكومة الثورة من اعضاء ينتمون للجبهة الوطنية التي تشكلت عام 1956 دون أن يكون لها منهاج عمل أو ميثاق مرحلي واضح الحدود والمعالم، لأن بناء الجبهة في الأساس وارتباطها الفكري والتنظيمي كان هشاً وواهياً الى حد كبير بل كانت تناقضاتها الفكرية والسياسية والقومية والاجتماعية المختبئة وراء اسم الجبهة لا تسمح بتحقيق قاسم مشترك بين أطرافها وفي الوقت نفسه لم يكن للأحزاب السياسية علاقة سابقة أو معرفة بقيادة الانقلاب ولا بتنظيمهم العسكري، وكان مثل هذا الوضع لا يمكن ان ينبىء إلا بقيام دكتاتورية عسكرية وصراعات دامية، ولا سيما في بلد مقهور ومظلوم ومكون من أقليات دينية ومذهبية وعرقية متعددة.

وأخيرا لا بد من التركيز على ان تأثير ثورة عام 1941 على ثورة 14 تموز عام 1958 كان عميقا، سواء على مستوى الجيش الذي علق مشنقة عبد الاله أمام مبنى وزارة الدفاع في المكان الذي أعدم فيه عبد الاله رجال ثورة عام 1941، أو على مستوى الشعب الذي مزق جثتي نوري السعيد وعبد الاله تمزيقا.

لقد كان الثأر لثورة عام 1941 الهاتف الذي يهيب بالضمير العربي ليس في العراق فحسب وإنما في سورية التي أعادت صحتها للذاكرة فورا أحداث ثورة عام 1941 وتحدثت عن الثأر لشهدياتها، وفيما يلي نماذج من عناوين كتبت آنذاك في صحيفتي النصر والصرخة السوريتين:

"عدالة السماء تثار لشهداء العروبة. ان رفاق قادة انتفاضة العراق الكبرى عام 1941 كانت تؤرق اجفانهم صيحات الضحايا من قبورهم وتدعوهم لحمل مشعل الحرية ومتابعة الرسالة التي دفع صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد ومحمود سلمان ويونس السبعائي أرواحهم الطاهرة ثمننا لها ... لقد صفى الشعب العربي حسابه مع الاستعمار وجلاديه والمتاجرين بمقدراته"

ولم يكن الاستعمار البريطاني غافلا عما خلفته جرائمه ضد ثورة عام 1941 من أثر عميق في الضمير العام في المشرق العربي، ولذلك كانت كل محاولاته لاختضاع سورية وادخالها ضمن نطاق نفوذه واحلافه مموهة بمشاريع وحدوية زائفة كمشروع سورية الكبرى أو مشروع اتحاد مع العراق ينصب فيه عبد الاله ملكا على سورية..

## **انعكاسات الثورة على الصعيد العربي والدولي**

كان وقع ثورة العراق على الصعيدين الدولي والعربي صاعقا، ففي لندن وواشنطن كان وجوم وذهول وقلق. كان من المقرر أن يعقد حلف بغداد مؤتمرا في استنبول عشية يوم الثورة يحضره الملك فيصل وشاه ايران ورئيسا جمهورية باكستان وتركيا لبحث امكانية مساعدة كميل شمعون عسكريا، واستعدادا لذلك أصدرت الحكومة العراقية أمرا لأحد الألوية العراقية بالتوجه نحو

الأردن فكانت المناسبة التي فجرت الثورة . وفي تاريخ 1958/7/15 تلا متحدث باسم البيت الأبيض بيانا من الرئيس ايزنهاور جاء فيه.

ان الرئيس تلقى صباح الاثنين 14 تموز نداء مستعجلا من كميل شمعون لارسال قوات اميركية الى لبنان لحفظ الأمن وإغلاق الحدود اللبنانية للدفاع عن سيادة لبنان وسلامته وان الحكومة الاميركية استجابت لطلب شمعون نظرا للتطورات الخطيرة في العراق وان القوات الاميركية لم ترسل الى لبنان للقيام بأي عمل عسكري. وان عددها الذي نزل في الأراضي اللبنانية لا يتجاوز الخمسة آلاف جنديا.

وفي الوقت نفسه أعلنت الحكومة العراقية الجديدة انسحابها من الاتحاد الهاشمي وحددت سياستها الخارجية "وفقا للعهد الدولية ولمصلحة الوطن" وعلنت ان علاقاتها الخارجية مع جميع الدول ستكون وفقا لميثاق الامم المتحدة، ثم اعلنت بعد فترة قليلة انسحابها من حلف بغداد.

وبتاريخ 58/7/17 اصدر رئيسا جمهورية باكستان وتركية وشاه ايران بلاغا رحبوا فيه باحتلال القوات الاميركية لبنان، وطالبوا بتوسيع هذه المبادرة بحيث تشمل الاقطار المهتدة تهديدا مباشرا، وكانوا يقصدون الاردن.

أثار الانزال الاميركي في لبنان قلقا شديدا في نفوسنا وخيل الينا ان خطر الحرب قد اصبحت من المنطقة قاب قوسين او ادنى برغم التطمينات الواردة في بيان ايزنهاور من ان القوات الاميركية لن تقوم بأي عمل عسكري لأن المندوب الاميركي اشار في بيانه في مجلس الامن بتاريخ 15 تموز الى ان الاردن قد يتعرض لخطر مماثل لما يتعرض له لبنان وانه سمع بمقتل فاضل الجمالي بعمل وحشي في العراق. أصبح من المحتمل اذن انزال اميركي او بريطاني في الاردن بكل لحظة لا لحماية النظام فقط وانما لغزو العراق كما فعل الانكليز عام 1941 . هكذا خيل الينا آنذاك، وكنا نتلهف لعودة جمال عبد الناصر من يوغوسلافيا حيث

كنت الحظ ان جمال فيصل وعبد المحسن ابو النور لم يأخذا اوامرنا  
بضرورة الاستعداد العسكري بمعرض الاهتمام والجد.

□

من خلال هذه الصورة القى مندوب الاتحاد السوفيتي في  
مجلس الامن بيانا أذاعه راديو موسكو بتاريخ 16 تموز أكد فيه  
المخاطر التي تتعرض لها المنطقة العربية:

"ومما يدل على وجود مشاريع تدخل استعماري واسع في  
الشؤون الداخلية لدول الشرق العربي تصريح سلفين لويد وزير  
خارجية بريطانيا حيث قال : ان الحكومة البريطانية عرفت سلفا  
رغبات الحكومة الامريكية في انزال قواتها بلبنان وان الحكومة  
البريطانية تؤيد كل التأييد الرغبات الأميركية، وان القوات المسلحة  
البريطانية الموجودة في هذه المنطقة على استعداد للقيام  
بعمليات عسكرية".

واختتم الاتحاد السوفيتي بيانه بموقف صريح حازم : "ان  
الحكومة السوفيتية تدعو الحكومة الاميركية بإصرار الى وقف  
تدخلها المسلح في شؤون البلدان العربية والى سحب قواتها فورا  
من لبنان، وتعلن الحكومة السوفيتية ان الاتحاد السوفيتي لا يمكن  
ان يقف موقف المتفرج حيال هذه الاحداث التي تشكل خطرا في  
منطقة مجاورة لحدوده، وأنها تحتفظ لنفسها بحق اتخاذ التدابير  
الضرورية التي تفرضها مصالح صيانة السلام والامن".

هذا البيان الواضح من جانب الاتحاد السوفيتي لم يكن في  
نظرنا كافيا وان صلابة موقفنا واعتمادنا على قوتنا الذاتية يبقى  
العامل الاول والاساسي في ردع العدوان او احباطه قبل وقوعه.

وفي تلك الفترة زارني موفد خاص من البطريرك الماروني  
بولس المعوشي وابلغني رسالة شفوية مشفوعة بمودة  
البطريرك ورأيه في ان حل الازمة يجب ان يكون حلا لبنانيا.. وقد رد  
الموفد على سؤال لوكالة الانباء السورية حول الموقف في لبنان  
فقال ان غبطة البطريرك قد شجب عملية نزول القوات الاميركية  
في الأرض اللبنانية، وان غبطته ما زال عند رأيه بأن الازمة في

لبنان هي ازمة داخلية يسويها شعب لبنان ثم قال : ان العلاقات الطبية والودية بين القوات الشعبية والجيش الذي هو من ابناء لبنان قد اخذت طريقها نحو التحسن، وانه يعتقد ان هذا الموقف سيساعد على تسوية المشكلة اللبنانية بشكل يحقق كامل الرغبة...  
(النصر 17-7-58).

□

بعد يومين من الانزال الامريكي العسكري في لبنان، اعلن رئيس الوزارة البريطانية مكميلان في مجلس العموم بتاريخ 7/17 ان قوات عسكرية بريطانية نقلت الى الاردن، وكان ذلك بحجة ان الاردن مهدد بمحاولة توشك ان تقوم بها الجمهورية العربية المتحدة لقلب نظام الحكم على غرار ما جرى في العراق وان القوات السورية تهدد حدود الاردن.. فما هي الاستعدادات التي قمنا بها في غيبة جمال عبد الناصر تجاه هذه المخاطر المطبقة على سورية والعراق.

كنت متجها في مجال الاستعداد الى الاعتماد على المقاومة الشعبية، اولا لان قيادة الجيش كانت بيد المشير عامر، وثانيا لاعتقادي ان الاعتماد على الجيش وحده سيؤدي الى نكبة جديدة كما جرى في عامي 1948، 1956 وكانت الحماسة الجماهيرية المنقطعة النظير التي اشعلتها ثورة العراق في سورية قد جعلت من التعبئة الشعبية امرا واقعا، كما كنت مع الاستاذ صلاح البيطار نتولى الاشراف المباشر على توجيه الاذاعة ووسائل الاعلام، وقد كان المجلس التنفيذي بحالة انعقاد دائم: "ان نائب رئيس الجمهورية الغي سفره الى القاهرة لاستقبال سيادة الرئيس جمال عبد الناصر عند عودته من يوغوسلافيا بسبب الظروف الحاضرة وقد عقد امس سلسلة من الاجتماعات مع كل من السيد محمود رياض مستشار رئيس الجمهورية ووزير الشؤون البلدية والقروية احمد عبد الكريم ووزير الدولة صلاح البيطار ووزير المواصلات امين النفوري وانضم الى المجتمعين اللواء عبد المحسن ابو النور نائب قائد الجيش وقد



اجتمع المجلس التنفيذي اجتماعاً آخر في المساء لمتابعة التطورات وذكر مخبر الصحف ان المجلس التنفيذي يعتبر في حالة انعقاد دائم". (النصر 17-7-1958).

□

في تاريخ 17-7-58 اذاعت رئاسة الجمهورية في القاهرة بيانا عن اجتماع الرئيس عبد الناصر مع الرئيس خروشوف وانهما تشاورا حول تطورات الموقف الدولي وما تقتضيه المحافظة على السلام وعلى استقلال البلاد العربية. وهكذا عرفنا ان جمال عبد الناصر كان في موسكو ولم يعد مبحرا في المتوسط في طريق عودته الى مصر، وقد ادخلت هذه الزيارة بعض الاطمئنان الى قلوبنا واعتبرناها بادرة موفقة ومهمة للغاية في تلك الظروف، وقد عرفنا فيما بعد ان ناصر قد رجع الى يوغوسلافيا بعد ان ابحر في الأدرياتيک ومنها توجه بالطائرة الى موسكو، وبعد ظهر الجمعة 18-7-58 وصل عبد الناصر الى دمشق فكان وصوله مفاجأة سارة اخرى سارعنا على اثرها الى قصر الضيافة فكننت اول القادمين، ثم وصل بعد ذلك صلاح الدين البيطار ومحمود رياض وعبد المحسن ابو النور وعفيف البزرة عضو مجلس التخطيط والسيدان رشيد عالي الكيلاني وشكري القوتلي.

ولم يمض بعض الوقت حتى تجمعت الجماهير بسرعة مذهلة فغطت ساحة الجلاء والشوارع المتفرعة عنها وهي تهتف بحياة جمال عبد الناصر والقومية العربية وقادة الثورة في العراق.

□

في صبيحة اليوم التالي اي بتاريخ 19-7-58 ابلغت ضرورة التوجه فورا الى مقر المشير عامر في ابي رمانة ففوجئت هناك بوجود العقيد الركن عبد السلام عارف والوزراء العراقيين : الدكتور عبد الجبار جومرد وزير الخارجية والسيد محمد حديد وزير المالية، وصديق شنشل وزير الارشاد وبصحبتهم عدد من العسكريين العراقيين، وقد عقد الرئيس عبد الناصر على الفور اجتماعا مع الوفد العراقي حضرته مع الدكتور محمود فوزي وزير الخارجية وعبد

الحميد السراج وزير الداخلية السوري واللواء جمال فيصل قائد الجيش الاول عن جانب الجمهورية العربية المتحدة، حيث انتحى العسكريون العراقيون مع قائد الجيش الاول جمال فيصل جانبا من غرفة الاجتماع للبحث في تلبية احتياجات الجيش العراقي العاجلة في الاسلحة والذخائر، وبقي عبد السلام عارف ورفاقه الوزراء العراقيون معنا للبحث في البيان السياسي ولشد ما كانت دهشتي عندما طال النقاش بين صديق شنشل والدكتور محمود فوزي وزير الخارجية حول صيغة البيان، حيث كان السيدان صديق شنشل ومحمد حديد يحاولان -وكلاهما من قدامى القوميين- ألايستشف من صيغة البيان اي ارتباط خاص مع الجمهورية العربية المتحدة يتعدى حدود ميثاق الجامعة والضمان العربي.

كان الرئيس جمال عبد الناصر يصغي الى هذا الجدل والنقاش الدائر دون ان يتدخل فيه، اما انا فقد كنت مدهوشا ومستغربا اقول في نفسي :

ليس من مصلحة العراق في هذه الظروف الحرجة ان ياتي البيان الصادر عن هذا الاجتماع قويا؟؟ كنت اطرح نفسي احيانا طرفا في هذا النقاش، كما كنت احاول اقحام عبد السلام عارف به، ولكنه كان يرد علي همسا وبصوت يكاد يكون مخنوقا كأنه غير قادر على الكلام.

وهكذا خرجت صيغة البيان بعد ساعات من النقاش والحوار ضعيفة هزيلة لا تختلف عن صيغة البيانات التقليدية وفيما يلي نص البيان.

في اليوم الثاني من شهر محرم عام 1378 الموافق لليوم التاسع عشر من شهر تموز عام 1958 اتفق وفد الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية على ما يلي :

أولا : تأكيد ما يربط البلدين من عهود ومواثيق وفي مقدمتها ميثاق الجامعة العربية وميثاق الدفاع المشترك بين الدول العربية.

ثانيا : تأكيد ما اعلنته حكومتا البلدين من ارتباط وثيق بينهما ازاء الموقف الدولي وأنها مصممتان على الوقوف كبلد واحد في الدفاع ضد اي

عدوان عليهما او على اي منهما، والبت حالا في اتخاذ ما يقتضيه ذلك من خطوات عملية.

ثالثا : التعاون الكامل في المحيط الدولي للمحافظة على حقوق البلدين والمساهمة الفعالة في تأييد ميثاق الامم المتحدة وفي دعم السلام في الشرق الاوسط وفي العالم.

رابعا : اتخاذ الخطوات العاجلة العملية لتنمية التعاون الاقتصادي والثقافي في البلدين.

خامسا : الاتصال والتشاور المستمران بين البلدين في كل الشؤون التي تعنيهما.

عن الجمهورية العربية المتحدة : جمال عبد الناصر

عن الجمهورية العراقية : عبد السلام

عارف

□

بعد الاتفاق على صيغة هذا البيان تحلقنا حول مائدة الغذاء، فجلست بجانب عبد السلام عارف الذي استمر معذرا عن الكلام، ولم يكن الامر مقصودا بالنسبة لي فقط، وانما كان هذا موقفه تجاه الجميع بمن فيهم جمال عبد الناصر، وقد اشفق الحاضرون على صوته المبحوح فامتنعوا عن التحدث اليه، وهكذا انصرفت بالحديث الى الدكتور عبد الجبار جومرد وزير الخارجية فعرفني بنفسه برقة وتواضع قائلا انه خريج معهد الحقوق بدمشق وطفق يحدثني عن ذكرياته فيها وحبه الصادق لها بلغة الاديب والمثقف، فشجعتني حديثه ان اسأله لماذا كنت حذرا ومجانبا في النقاش الذي اثير حول البيان وانت وزير الخارجية وصاحب الحق الاول في هذا النقاش، فقال :

كان الله في عون العراق وما سيمر على راس العراق في المستقبل. ان اي ثورة يقودها العسكريون لا يمكن ان تؤدي الا الى ما أدت اليه الانقلابات العسكرية الماضية من فواجع ونكبات. قلت له :

أنت متشائم الى هذا الحد ولما يمض على تعرفك على قادة الثورة سوى ايام قلائل؟ فعاد جومرد واكد لي تشاؤمه. فقلت له :  
يا لخسارة العرب والعراق اذا صح تشاؤمك، انني لم ار في حياتي شعب سورية قد تحمس واندفع اكثر مما اراه الان، ولاشك ان الشعب في العراق لا يقل حماسة واندفاعا عن الشعب في سورية، قال جومرد :

ولكن ما جدوى الحماسة اذا كان قادة الثورة مجانيين؟؟ سنودع الشام غدا، وسيجتمع الجماهير بلاشك مساء هذا اليوم حول قصر الضيافة وتطلب منا الكلام، ونحن اعضاء الوفد العراقي مستعدون لمخاطبتها، وسوف تسمع مساء صوت عبد السلام عارف يهدر مرتفعا اكثر من كل صوت اخر، لقد تظاهر بأن صوته مبوح لئلا يشترك في المناقشة وستتبين في المساء صدق ما اقله لك!

بعد انتهائنا من طعام الغداء واثناء خروجنا من مقر المشير قلت للرئيس عبد الناصر : ان البيان الذي سيذاع عن اجتماعنا سيصدم الرأي العام لانه بيان ضعيف في ظروف صعبة، ان الرأي العام ينتظر منا ان نحقق الاتحاد مع العراق فسكت الرئيس ناصر ولم يجب بكلمة.

وفي المساء تجمعت الجماهير حول قصر الضيافة فخرجنا لتحتها، وقد قدم الرئيس ناصر اعضاء الوفد العراقي وعلى رأسهم العقيد الركن عبد السلام عارف الذي خاطب الجماهير بصوت مرتفع خال من اي بحة وضعف! ثم اعقبه بالكلام عبد الجبار جومرد وصديق شنشل ومحمد حديد وشكري القوتلي وطلب مني عبد الناصر ان اتكلم فاعتذرت، وكان اعتذاري موضع استغرابه والحقيقة انني اصبت بصدمة وخيبة امل جعلتني كارها للكلام.

اكد عبد السلام عارف وصديق شنشل في خطابيهما على وحدة العراق دون ان يتعرضا لأي مشروع اتحادي مع الجمهورية العربية المتحدة، كما تساءل عبد الناصر في خطابه عن السبب في انزعاج الغرب من ثورة العراق بعد ان اكدت جمهورية العراق حرصها على استمرار تدفق البترول في مسالكه الراهنة واستعدادها

للمحافظة على مصالح الغرب المشروعة، كما أكد على ذلك عبد السلام عارف في خطابه، وقال صديق شنشل إن البترول العراقي سيظل متدفقا ولن ينقطع عن الأسواق التي تعتمد عليه، ولو كان قلق الغرب منبعثا فقط عن مصير البترول لكان في وسعه التماس ضمان تدفقه بالطرق المشروعة وبالديبلوماسية المعقولة.

وبعد عودته للعراق كشف صديق شنشل وزير الإرشاد من الإذاعة العراقية أن بعض ما تم الاتفاق عليه إبان وجود وفد الجمهورية العراقية في دمشق مع عبد الناصر الاتفاق على مد خط بترولي جديد من كركوك إلى الساحل السوري.

□

وفي اليوم نفسه أي في 19-7-58 نشرت وسائل اعلام الجمهورية المتحدة ان السفير الاميريكي بالقاهرة (ريموند هير) ابلغ السيد علي صبري وزير الخارجية بالنيابة ما يلي :

"ان انزال الجنود الاميركيين في لبنان بناء على طلب الحكومة اللبنانية انما هو للمساعدة في الحفاظ على استقلال لبنان ولتأمين سلامة الرعايا الاميركيين هناك". ثم جاء في ختام الخبر وهو المقصود "ان رغبة الحكومة الاميركية المخلصة هي ان تنتهي مهمتها في لبنان على صورة لا تسبب اقل اثر على علاقتها مع الجمهورية العربية المتحدة، ولكن اذا هوجمت القوات الاميركية من قبل قوات الجمهورية العربية المتحدة او أية عناصر تعتبرها الحكومة الاميركية تعمل بايحاء الجمهورية العربية المتحدة او بأوامرها فسيكون هنالك خطر من ان تتسع رقعة هذه المشكلة كما تتأثر علاقات الحكومة الاميركية بالجمهورية العربية المتحدة تأثرا بالغا وهو الموقف الذي تود باخلاص تفاديه".

لقد لفت نظري اسلوب نشر هذا الانذار الاميركي الذي أكد على ذكره جمال عبد الناصر في خطابه عندما قال :

"أن أميركا ابلغتنا في الامس ان الجمهورية العربية المتحدة تعتبر مسؤولة عن امن الجنود الاميركيين في لبنان وانا لا اعرف كيف يدخلون لبنان ويحتلونهم ونعتبر نحن مسؤولين عن حماية الاحتلال".

ولابد للقارئ ان يتساءل عن السبب في لجوء الولايات المتحدة الى هذا الانذار وعن سبب نشره في وسائل اعلام الجمهورية العربية المتحدة ثم تأكيد عبد الناصر له واعلانه في خطابه مرة اخرى.

اعتقد ان ذلك كان نتيجة للاجتماع الذي عقده للمجلس التنفيذي عشية انزال القوات الاميركية الى لبنان، وكان جمال عبد الناصر غائبا في يوغوسلافيا، وقد شرح السراج للمجلس الوضع في لبنان بصورة يفهم منها ان القوات الوطنية هناك غير مأذونة بالتصدي للقوات الاميركية فقلت له متسائلا: هل القتال في لبنان قتال طائفي ام قتال وطني؟؟ فأجابني، السراج بلهجة التحدي :

هل تريد ان تتصدي قواتنا لمجابهة القوات الاميركية؟؟ ثم قام بعصية ظاهرة الى الهاتف واتصل بصائب سلام طالبا منه التصدي للقوات الاميركية!! كان مفهوما لدينا لماذا اتصل السراج بصائب سلام بالذات، وكان ذلك يدل على ان السراج لم يكن غافلا عن ابعاد ما يجري في لبنان.

لقد خرجت من هذه الاجتماعات الرسمية ومن فحوى الخطب النارية التي القاها جمال عبد الناصر والوفد العراقي بالنتائج التالية :

اولا : ان جمال عبد الناصر قد وعد الولايات المتحدة بحماية جنودها في لبنان ومنع القوى الوطنية بنفوذه من التعرض لهم او مهاجمتهم، وهذا ما يفقد نضال الفريق الوطني معناه الحقيقي ويجعل القتال في لبنان وكأنه كان اقتتالا طائفيا محضا وهذا ما جرى فعلا.

ثانيا : ان جمال عبد الناصر والحكومة العراقية قد تعهدوا للولايات المتحدة وبريطانيا بعدم تعديل اتفاقيات النفط الجائرة مع شركة الاي بي سي البريطانية وقد طلب منهم ان يكون هذا التعهد وسط الاحتفالات الجماهيرية بدمشق، مما سيكون له تأثيره وانعكاسه النفسي على جماهير الشعب المتحمسة في العراق في وقت كانت الاوساط البترولية في لندن تخشى تعديل هذه

الاتفاقيات، وان تبدأ الحكومة العراقية باعادة النظر في الاتفاقيات المعقودة مع شركات البترول الغربية وان تتبع هذه الخطوة خطوة اخرى هي تأمين البترول العراقي، وقد أشارت الى هذه المخاوف بعض الصحف البريطانية.

ثالثا : اتفاق جمال عبد ناصر والحكومة العراقية على استبعاد اي مشروع اتحادي بين العراق والجمهورية العربية المتحدة وقد ظهر ذلك واضحا في صيغة البيان المشترك والخطب التي القيت.

رابعا : كان واضحا ان عبد الناصر سيراهن على عبد السلام عارف ليكون تابعه في حكم العراق بدلا من عبد الكريم قاسم والاحزاب العراقية.

خامسا : كان يبدو على جمال عبد الناصر واعضاء الوفد العراقي الاطمئنان التام رغم الانزال الاميركي في لبنان والبريطاني في الاردن وبالفعل فإن الولايات المتحدة وبريطانيا قد اعلنتا في اليوم الثاني لزيارة الوفد العراقي لدمشق انهما اتفقتا على عدم الاعتداء على العراق وتجميد الموقف في الشرق الاوسط ريثما يتم خلال اسابيع سحب الجنود الاميركيين من لبنان وشرق الاردن، وفي الوقت نفسه كانت فرنسة تعلن سخطها وغضبها من اهمال حليفيتها في اشراكها بشؤون واحداث الشرق الاوسط ولا سيما في لبنان، هذا بالوقت الذي كانت فيه أنباء المناورات السوفيتية تشغل حيزا كبيرا من اعمدة صحف العالم واهتمامها : "خمسة ملايين جندي سوفيتي على طول الحدود من الشرق الأقصى لاوروبا" وقد قدرت المصادر الغربية الحشود السوفيتية على الحدود الايرانية والتركية فقط بـ 24 فرقة تضم اكثر من نصف مليون جندي.

□

كنت اتحسر آنذاك في داخلي على ان سورية لم تكن مالكة امرها لاعلان الاتحاد بينها وبين العراق منذ صبيحة الرابع عشر من تموز، اذن لاختلفت الصورة ولانقلبت طاولة اللعب على اللاعبين ولاخذت الثورة مسيرتها الحقيقية.

ربما كان تنفيذ هذا الامل مغامرة غير مضمونة النتائج ولكن متى كانت الثورات تخلو من المغامرة؟

ان الظروف الثورية التي كانت تتفجر بها المنطقة العربية والوضع الدولي كانا يبرران الاقدام على مثل هذه المغامرة.

□

## بعض الوثائق التي تتعلق بأحداث لبنان عام 1958

جاءني السفير البريطاني في انقرة وابلغني نص برقية السفير البريطاني في بغداد الى وزير الخارجية البريطانية يخبره فيها ان فخامة رئيس وزراء العراق زاره مساء يوم 16 كانون الثاني 58 وابلغه انه تلقى برقية من صاحب السمو الملكي ولي العهد المعظم في بيروت بأن الرئيس شمعون نظرا لقرب موعد الانتخابات القادمة في لبنان فإنه يخشى ان ينجح غيره في لبنان ولذلك فإنه يطلب من العراق مساعدة مالية قدرها ثلاثمائة الف باون لاستعمالها في الانتخابات وقسم منها لمساعدة اللاجئيين السياسيين السوريين في لبنان وان سمو ولي العهد يطلب ارسال هذا المبلغ سريعا وفي حالة عدم ارساله فان سموه سيعود الى بغداد ويصرف النظر عن سفرتة الى تركيا وامريكا.

وبين فخامة رئيس الوزراء للسفير ان الوقت كان مساء والبنوك مغلقة وعلى اي حال فإن سمو ولي العهد لم يكن مستشارا مسؤولا..

ان هذا الطلب لا بد ان يكون قد قدم بعد عشاء دسم، في حين ان صرف هذا المبلغ يجب ان يدرس في حالة اكثر صحوا.

وعلى اي حال فإن العراق لا يستطيع ان يدفع هذا المبلغ بمفرده ولذلك ونظرا لاهمية نجاح الرئيس شمعون لكل من بريطانيا وامريكا وتركيا والعراق فهو يرى ان تساهم في دفع هذا المبلغ كل من العراق وبريطانيا وامريكا وربما تركيا ايضا وان العراق في هذه الحالة مستعد ان يدفع اكثر من حصة متساوية مع الدول الاخرى، وان رئيس وزراء العراق مسافر الى انقرة ولذلك فهو يرجو ابلاغه برأي الحكومة البريطانية في الموضوع بواسطة السفير العراقي في انقرة، وان فخامة رئيس الوزراء سيبحث المسؤولين الاتراك في الموضوع خلال وجوده في انقرة.

وقال السفير البريطاني في انقرة انه تلقى تعليمات من وزارة الخارجية البريطانية لابلاغ فخامة رئيس الوزراء بواسطة السفير العراقي في انقرة ان



الحكومة البريطانية توافق تمام الموافقة على اقتراح فخامته وانها مستعدة للمساعدة بنصيبها في المبلغ الذي يتقرر دفعه على ان يدرس الموضوع بدقة من قبل خبراء يفهمون الموضوع.

ملحوظة- كذلك زار السفير الامريكى السفير العراقي قائلا ان دفع المبلغ بهذا الاسلوب يؤدي الى انفضاح القضية وعدم امكان اخفائها واجرى اقتراح المساعدة بصورة غير مباشرة.

(ص1379 الجزء الرابع-محكمة الشعب)

تليت هذه الوثيقة خلال  
محاكمة برهان الدين باش  
اعيان وزير الخارجية

## وثيقة من وثائق كثيرة تتعلق بالقوميين السوريين وحلف بغداد:

سري وشخصي

سيدي فخامة الدكتور الجمالي المحترم

تحية واحتراما

اقدم بين يديكم المذكرة التي قدمها الى الاستاذ اسد الاشقر يوم امس 1958/4/14 بغية تأمين ايصالها الى فخامتكم يرجى التفضل بالاطلاع والامر بما تنسبونه.

المخلص

صالح مهدي السامرائي (الملحق العسكري في

لبنان)

عطفا على المذكرتين السابقتين اللتين قدمناهما من قبل نرسل لكم اليوم ملحوظاتنا حول الوضع الطارئ في لبنان والنتائج المحتملة لتطور هذا الوضع.

لقد صح ما سبق وتوقعناه عن حراجة الموقف في لبنان وعن التصميم الفعلي من قبل العناصر الهدامة. على نقل المعركة عمليا الى لبنان.

موقف الحكومة:

ليس هناك ما يدل على ان الحكومة راغبة في الضرب بشدة وان كانت تبدو غير خائفة حتى الان.

موقف الحزب:

ان تركيب اجهزة الحكومة في لبنان لا يتيح للسلطات مجالا واسعا للتحرك والعمل كما تريد. لذلك فإننا نلاحظ بأسف ان التنفيذ غالبا ما يكون بطيئا وفي بعض الاحيان معدوما وهذا ما يكون الى ضرورة وجود اجهزة شعبية فعالة كالحزب يمكنها ان تكون عنصرا حاسما في المعركة. والحزب حتى الان يحمل ثقل المعركة في لبنان، فقد وزعت الاسلحة على المناطق والاعضاء متيقضون ليلا ونهارا في جميع الانحاء.

الامكانيات والوسائل

لا بد لنا ان نلاحظ ان القواعد التي قدمناها في المذكرتين السابقتين ووجب الاتفاق عليها، لا تزال حتى الان دون تنفيذ ونحن نكرر ان السرعة في تلبية هذه الحاجات الضرورية للمعركة امر حيوي في تقرير مصير المعركة وخاصة السيارات والاسلحة والمال حسب التفاصيل التي اوردناها في مذكرتنا الثانية التفصيلية.

كما انه لا بد لنا من الاشارة الى ان السيد مغيبب لم يسلم حتى الان الباقي من شهري شباط وأذار ومقداره 110 الاف ليرة بحجة انه محتاج للمال، كما ان ثقل المعركة الذي يقع علينا يستنفذ كل إمكانياتنا ويضع علينا اعباء جديدة مرهقة، ومن الواجب ان نشدد على ان الساعات في معركة هذه طبيعتها ذات قيمة كبرى وان كل تأجيل او تردد او تأخر يجعل زمام الامر يفلت من ايدينا كما يجعل معالجة الموقف اكثر صعوبة.

واخيرا فإن امامنا احتمالا كبيرا لدراسته واتخاذ قرار سريع بشأنه وهو امكانية التحرك العام في الهلال الخصيب لانهاء الاوضاع المصطنعة التي فرضت فيه، فإذا كان الاستعداد للقيام بهذا التحرك العام موجودا لديكم فان بالامكان الاستفادة من ان التسلل الى لبنان اذ يتم باشراف الحكومة الشامية وبذلك

يمكن التحرك لحماية لبنان من هذا الاعتداء الخارجي الواضح كما يمكن من الجهة الثانية الاستفادة من القضاء الحازم على المتسللين الى لبنان ونقل المعركة فورا الى الشام وانهاؤها بسرعة وهذا يستلزم بطبيعة الحال تخطيطا هاما شاملا مدروسا وتنفيذا متقنا في حالة اقراره. اننا ننتظر ان نتلقى مع عودة الرسول دليلا على العزم الاكيد الذي وثقنا منه عندكم.

(ص1135 الجزء الثالث-محكمة الشعب)

تليت هذه الوثيقة خلال محاكمة الجمالي فاضل الجمالي

الرقم : 332

من : الاستخبارات

التاريخ :

الى : الملحق العسكري في بيروت

1958/4/17

ستحول الخارجية اليوم ما يعادل 125 الف ليرة لبنانية وستسلم اليكم لتسليمها الى الحزب القومي وسيدفع الاردن مثلها.

(ص516 الجزء الثاني-محكمة الشعب)

تليت هذه الوثيقة خلال محاكمة احمد مرعي رئيس المخابرات

**وثائق تتعلق بشكوى لبنان على تدخل الجمهورية العربية المتحدة  
بالاحداث الجارية فيها.**

حكومة الاتحاد العربي

وزارة الخارجية-الدائرة العربية

1958/5/31

"سري للغاية"

تهدى وزارة الخارجية تحياتها الى السفارة اللبنانية في بغداد وبالإشارة الى مذكرتها المرقمة 58/103 والمؤرخة 1958/5/20 تتشرف أن تعلمها بان ليس من رأى هذه الوزارة تقديم شكوى الحكومة اللبنانية الشقيقة ضد الجمهورية العربية الى مجلس جامعة الدول العربية اذ تعتقد بان لا فائدة منها بناء على

ما لديها من خبرة سابقة واخشى ما نخشاه ان يجري نظر تلك الشكوى بشكل يؤدي الى ضياع حقوق لبنان وخروجه من الاجتماع خاسرا بالنظر لاتقان خصوم لبنان فنون الدعاية. وهي ترى ان الاجدر تقديم تلك الشكوى الى مجلس الامن وقد ابرقت الوزارة اخيرا لسفارتها في بيروت لابلاغ ذلك الى مقام وزير الخارجية اللبنانية، كما انها ابرقت اليوم الى السفارة طالبة الاستفسار من معاليه. اما اذا كان لذلك مانع لدى الحكومة اللبنانية من تقديم الشكوى الى مجلس الامن وفي الحالة عدم وجود مانع فان الوزارة تعتقد بان الاسراع في تقديم الشكوى الى مجلس الامن سيفضح الدعايات السوفيتية ومن يسير في ركابها. تنتهز الوزارة هذه الفرصة للاعراب عن فائق تقديرها واحترامها.

(ص 2477 - الجزء السادس - محكمة الشعب) تليت خلال محاكمة توفيق السويدي

وزارة الخارجية

على الفور

الدائرة العربية

الموضوع/ شكوى لبنان ضد الجمهورية العربية المتحدة

نرسل اليكم طيه صورة المذكرة الشفهية التي وزعتها وزارة الخارجية اللبنانية يوم 1958/5/29 على رؤساء البعثات الدبلوماسية في بيروت حول الشكوى اللبنانية ضد الجمهورية العربية المتحدة للاطلاع والاستفادة منها في دعم موقف لبنان امام مجلس الامن.

المذكرة

تقدمت الحكومة اللبنانية بشكويين ضد الجمهورية العربية المتحدة قدمت الاولى الى جامعة الدول العربية بتاريخ 21 ايار 1958 بسبب تدخل الجمهورية العربية المتحدة في شؤون لبنان الداخلية. ان الحالة الراهنة في لبنان هي وليدة خطط تبدو مدبرة منذ زمن غير قريب واذا كانت المعارضة المتطرفة قد تحولت في وسائلها عن التقليد اللبناني في المناقشة الحرة والديمقراطية الصحيحة الى سلوك سبيل التدمير والتفتيل وبث الفوضى فلان الجمهورية العربية المتحدة قد غمرتها بجميع عناصرها ومدتها بالدعاية والمال والرجال والعتاد ولأن حكومة الجمهورية العربية المتحدة نصبت نفسها عونا للمعارضة المتطرفة في لبنان فتدخلت في شؤون لبنان الداخلية وتظاهرت على

اللبنانيين تستعدى بعضهم على بعض بواسطة اذاعاتها الرسمية وصحافتها الموجهة محرصة كل نهار وليل على الشغب والفتنة مثيرة فريقا من اللبنانيين ضد حكومتهم داعية الى القضاء على حياتهم الدستورية بالعنف والقوة.

إن تدخل الجمهورية العربية المتحدة في شؤون لبنان الداخلية يبدو واضحا من النشاط المستمر المتزايد الذي ما يزال يقوم به عملاء الاجهزة الرسمية في الجمهورية العربية المتحدة كالمكتب الثاني السوري ورجال امن الحدود السوريين والذي ادى الى حوادث بين العشائر وجبل الكنيسة وبعض مناطق الشوف والاعتداء المجرم على مخفر الكمارك في المصنع وبعض مخافر الدرك في الشمال.

(ص2480 الجزء السادس لمحكمة الشعب) تليت هذه الوثيقة خلال محاكمة توفيق السويدي

**وثائق تتعلق بالشكوى اللبنانية في مجلس الامن من تدخل الجمهورية العربية المتحدة بالاحداث اللبنانية.**

الى - الممثلة العراقية في نيويورك

فيما يلي معلومات موثوقة نعتمد عليها عن حركة العصيان في لبنان وتدخل السلطات السورية والمصرية فيها نرجو اعطاءها لوزير الخارجية اللبنانية لاطلاع المراقبين عليها.

تبذل سلطات القاهرة ودمشق جهودها في دعم حركة العصيان المسلح وتمد العصاة بالسلاح وبكل اسباب القوة بصورة مستمرة لمقاومة قوات الحكومة اللبنانية ويلاحظ العراقيون المعتمدون وشاهدو العصيان ان حمص اصبحت وكأنها ساحة حرب حيث يجري تجنيد المتطوعين وتسليمهم السلاح للعبور الى طرابلس وعكار وغيرهما من مناطق لبنان الشمالية. كما يجري التجنيد بصورة سافرة في ساحة المرجة في دمشق امام فندق امية وغيره من الفنادق التي يتردد عليها زعماء حركة التمرد مثل احمد الاسعد وصبري حمادة وغيرهما فيسلم المجندون بنادقهم ورشاشاتهم ويدفع لكل منهم 300 ليرة وهو راتب الشهر الاول على الحساب، ويطلب اليهم الذهاب الى لبنان والقيام بأي عمل من اعمال المقاومة والتخريب والارهاب وينقلون بالباصات الخاصة الى الحدود ثم يتسللون الى مناطق الهرمل وبعبك وجبل عامل والشوف وغيرها عن طرق غير اعتيادية وقد جرى لباس كثير من رجال الجيش السوري

اللباس المدني وارسلوا الى لبنان لقيادة المعارك واستعمال الاسلحة  
الاورتوماتيكية التي لا يحسن الافراد العاديين استعمالها كالمدافع لمقاومة  
الطائرات ومدافع الهاون والرشاشات والمدافع المضادة للدروع وغيرها.

(ص2480 الجزء السادس-محكمة الشعب) وقد تليت خلال محاكمة توفيق  
السويدي

التاريخ 1958/6/18

اجتمعت بالدكتور مالك ثم ذهبنا الى بيت السير برسن دكسون واستعرضنا  
الموقف في لبنان وقضية لبنان في مجلس الامن وفيما يلي خلاصة ما دار من  
احاديث:

1- يخشى الدكتور مالك ان همرشولد المتهم بتجيزه لعبد الناصر قد يحمل  
الرئيس شمعون والغرب على التساهل ويجاد حل وسط مع الثوار، وهذا  
معناه خطر على مستقبل لبنان والدول العربية الاخرى. لأن اي تساهل  
مع الثوار معناه انتصار عبد الناصر. لذلك فيرجو الدكتور مالك ان يقوم  
العراق بحمل دول ميثاق بغداد ومن ضمنها الولايات المتحدة الامريكية  
لدعم شمعون وعدم تساهلها ازاء الثوار.

2- ان المراقبة التي بعث بها همرشولد الى لبنان غير كافية وانها لم تصل  
الى الحدود السورية بعد. وقد بحثنا في امكان تزايد هذه القوة لتستطيع  
المراقبة فقط ضد تسرب السلاح والرجال من سوريا.

3- اقترحت عقد اجتماع مجلس الامن لاتخاذ قرار يطلب من مصر ايقاف  
حملة الدعاية وابعاد السوريين من المعارك اللبنانية وتكليف عبد الناصر  
بدعوة الثوار لايقاف النار وارسال قوة دولية الى لبنان على غرار ما حدث  
في غزة.

ان روسيا قد تستعمل حق الفيتو ولكن الجمعية العمومية تستطيع ان تجتمع  
في خلال يومين وتصدر القرار.

البت في هذه الاجراءات يتوقف على عودة همرشولد لتقديم تقريره. بحثنا  
امكان ارسال قوة عراقية الى لبنان لحماية الحدود.

يرجى التأكيد على الرئيس بان لا يلين والتأكيد على دول ميثاق بغداد بان  
تقوم بالدور ذاته.

(ص1144 الجزء الثالث من كتاب محكمة الشعب) تليت خلال محاكمة الجمالي

**سفير العراق في لبنان يبحث مع شمعون موضوع ارسال جيش عراقي الى لبنان، شمعون يتحفظ لأنه من المعروف ان الجيش العراقي لا يقاتل ولا يفتح النار على اي عربي، والجمالي يطلب تصحيح معلومات شمعون.**

1958/6/21

بيروت

اشارة الى برقية رئيس وزراء الاتحاد في عمان المرقمة بتاريخ 19 الجاري.

قابلت رئيس جمهورية لبنان مدة ثلاث ارباع الساعة وعرضت عليه ما جاء في البرقية فاعلمني ان همرشولد معروف لديه جيدا وقد كنت صلبا معه. وقال لقد اوقفته على وجهة نظري على مصادر الفتنة واعلمته ان لا حل لها الا على اساس القائمين فيها عصاة خارجون على القانون يجب تأديبهم حفظا على كيان لبنان واستقلاله. وقد اعلمته بثقتي وثقة حكومتي بجمعية الامم المتحدة وطلبت اليه زيادة عدد المراقبين زيادة تؤمن عدم التسلل. وفي هذه الحالة يكون في استطاعة الحكومة السيطرة على الوضع. اما اذا تعذر ذلك واستمر عبد الناصر في ارسال مساعدات فسنضطر الى تطبيق البيان الثلاثي او مشروع ايزنهاور. قلت لفخامته لابد ان الدكتور مالك قد اوقفكم على مباحثاته مع الدكتور الجمالي حول امكان ارسال قوة عراقية. فأجاب انه يشكر العراق ومواقفه الطيبة نحوه ثم قال: ولي فيه اخوان اعتمد عليهم واخلص لهم ويخلصون لي واتمنى من صميم قلبي ان تكون على حدودنا قوة عراقية الا ان هذا لا يتماشى مع ما اسمعه وهو المعروف عن الجيش العراقي انه لا يقاتل ولا يفتح النار على اي عربي.

وما يقال عن القوة العراقية يقال عن المعاهدة العراقية التي طلب الى بعض النواب وبعض الوزراء عقدها مع العراق واريد ان اعرف مدى صحة هذا القول قبل الشروع بطلب القوة او عقد معاهدة فسألته عن حقيقة عزمه كرسول للذهاب الى القاهرة فقال لقد بحث معي.

سألته هل صحيح ما يقال عن انقسام الجيش اللبناني فاجاب وان كان يوجد فيهم من لا يتحمس معنا فيامكاننا الاعتماد عليه اما عن عدد المراقبين فقال لا اعتقد ان في نية همرشولد زيادتهم الى 500 شخص اما عن ارسال قوة

بوليسية الى لبنان قال همرشولد ان ذلك يحتاج الى قرار من مجلس الامن  
واخيرا شكر العراق.

### **الجمالي يرد على سفير العراق في بيروت**

برقيتكم في 1958/6/21.

يرجى مقابلة رئيس الجمهورية. صححوا انطباعاته عن الجيش العراقي واكدوا  
له ان الجيش العراقي قوي متشعب بروح النظام ذو معنويات عالية لا يتأثر  
بالدعايات بخصوص المساعدات المطلوبة يرجى بيان مضامينها.

وردت هذه الوثيقة في موضعين :

(ص2482 الجزء السادس - كتاب محكمة الشعب) وذلك خلال محاكمة توفيق  
السويدي، كما وردت في الصفحة 1145 من المصدر نفسه خلال محاكمة  
فاضل الجمالي.

### **العراق يفكر بجعل لبنان ينضم للاتحاد العربي الهاشمي، وفاضل الجمالي يشبه احداث لبنان بالاوزاع في كوريا.**

1958/6/25

برقية رمزية واردة

زرت واشنطن مرتين واجتمعت بالمستر دالس مرتين للمداولة باوضاع الشرق  
الاوسط كما اجتمعت بكبار رجال الخارجية الذين يعينهم الامر.

ابدى المستر دالاس تخوفه من بطء الاتحاد العربي والسير في سبيل الاتحاد.  
طمنته على ذلك، واكدت له اننا نسير سيرا طبيعيا في الموضوع ولكن قوة  
الاتحاد تتطلب انضمام الكويت.

ابدى اهتمام الولايات المتحدة الامريكية بذلك واكد ان الانكليز يؤيدون ذلك  
ايضا. الا انه وافقني بأنهم ليسوا مندفعين في الامر ولو اندفعوا لسار شيخ  
الكويت في هذا السبيل بسرعة.

علمت ان الولايات المتحدة الامريكية قررت سد عجز الاتحاد في الميزانية  
بخمسة وعشرين مليون دولار وان البريطانيين سيتبرعون باربعة ملايين دولار.

اسهبنا في بحث الخطر الذي يدهم الشرق الاوسط من الناصرية وان معركة  
لبنان ستقرر انتصار الناصرية او اندحارها. وأنه لا يجوز بحال من الاحوال ان



تنتصر الناصرية فإن زوال الحرية في لبنان معناه زوال كافة اقطار الشرق الاوسط الباقية.

الرأي المتفق عليه هنا هو ان الرئيس شمعون جبان يندفع اكثر في الدعاية فالعالم يجب ان يفهم ان الوضع يشبه التغلغل في كوريا ثم انه لم يستخدم كل ما لديه من قوى وامكانيات بعد. فالى الان لم تعلن الاحكام العرفية كما ان الجيش اللبناني لم يضرب ضربات قوية بعد.

ثم يجب ان تستنفذ امكانيات مجلس الامن فيجب ان يجتمع مجلس الامن ثانية فيقرر ارسال القوة الدولية فان حصل الفيتو ينظر في دعوة الجمعية العامة وذلك اذا ضمنت الثلثين للتسوية لجانبها وفي الوقت نفسه تفكر في تطبيق المادة 51 من الميثاق التي بموجبها يحق للبنان طلب المساعدة بمن يشاء للدفاع عن نفسه. وفي هذه الحالة يجب ان يوجه طلب المساعدة للاتحاد العربي والى الدول الغربية بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية.

ارجو تزويدي عن موقف الاتحاد العربي اذا استطاع التلبية فإنني احتاج الى وسائل للنقل الجوي والمعونة التي يجب ان تهيئها الولايات المتحدة وبريطانيا. هذا وقد اكدت ان احسن صفة توجه للناصرية هي اعلان لبنان عزمها على الانضمام للاتحاد العربي ولكن ذلك غير ميسور الان على ما يظهر.

الدكتور مالك يؤيدني لكل ما دار بشأن لبنان. بحثنا قضايا الشرق الاوسط لاسيما فلسطين والجزائر والتغلغل الشيوعي في المنطقة. ارجو تزويدي بأرائكم في الموضوع.

التوقيع: فاضل الجمالي

(ص1146 الجزء الثالث- المصدر السابق) تليت هذه الوثيقة خلال محاكمة فاضل الجمالي

**برقية مرسلة من الجمالي الى وزارة الخارجية العراقية :**

في 1958/6/28

الممثلة العراقية في نيويورك

اجتمعت بالمستمر همرشولد. وابلغته اهتمام العراق بالوضع في لبنان وما سيؤديه انحياز لبنان للناصرية والشيوعية من اضرار بسلامة العراق والشرق الاوسط. وان مرور الوقت ليس من صالح المعسكر الحر. وقلت له ان الاجراءات التي اتخذها مجلس الامن غير كافية. وان الضرورة تقضي بايقاف مصر دعائها وسحبها رعايا الجمهورية العربية المتحدة من صفوف الثوار. وعلق الحدود من قبل قوة دولية مرابطة.

انه يعارض ارسال قوة من مجلس الامن. ولا يرى امكان ارسال قوة تصطدم بالثوار. ويقول ليست هنالك دول حيادية مستعدة لتقديم قوات تهدئة. انه يعتقد بأن لبنان ليس جادا بمعاركه وان القضية ستحل نفسها بنفسها. وان تدخل مجلس الامن سيكون معنويا فقط.

انه يمتدح عبد الناصر وادراكه للحقائق السياسية. قابلت شارل مالك وكنت قد قابلت السير ترسن دكسون. نحن لا نشارك همرشولد وجهة نظره، السير ترسن ينتظر تعليمات لندن بعد المداولة مع واشنطن، لاطلاع فخامة السعيد.

(ص1139 الجزء الثالث المصدر السابق) التوقيع: فاضل الجمالي

**رسالة من فاضل الجمالي الى نوري السعيد يحثه على خطوة جبارة هي ادخال لبنان في الاتحاد الهاشمي.**

2958/6/29

اخي الجليل

اعانك الله ووفقك على المهمة التي تقوم بها وهي انقاذ لبنان والشرق الاوسط من خطر توسع الناصرية والشيوعية.

ان الاوضاع الحالية تدلنا صراحة على ان الامم المتحدة مشلولة. وان لبنان يحتاج الى معونة خارجية وان هذه المعونة يفضل ان تأتي من بلد عربي. ولذلك لا بد من ايجاد صفة شرعية للتدخل العربي.

ان في التاريخ ساعات حازمة تتطلب الحزم والجرأة والاقدام واني اتوسم هذه الصفات كلها في شخصكم الكريم ولذلك اقترح ما يلي :-

1- ان اكبر ضربة توجه للناصرية وتكسب افكار العرب وقلوبهم هي انضمام لبنان الى الاتحاد العربي وارجو ان يكون الاقدام على هذا ممكنا بخطوة جبارة تخطونها.

2- فإن لم يمكن فعقد معاهدة اخوة وتحالف بين الاتحاد العربي ولبنان على نمط ما كان بين العراق والاردن. وبموجب هذه المعاهدة يستطيع لبنان ان يطلب قوة من الاتحاد العربي لمساعدته على قمع ثورة داخلية. قد يكون هذا الاجراء هو ما يوافق الظرف الحالي.

3- فإن لم يكن فاتحاد عسكري على نمط ما كان بين مصر وسوريا والاردن والسعودية وذلك قبل ان تبدأ المؤامرات الناصرية وهذا في رأيي اضعف الايمان.

هذه هي آرائي الشخصية لم افاتح بها بغداد اضعها امام فخامتكم علها تكون مفيدة.

احترامي المقرون بدعائي الى الله تعالى ان يوفقكم ويحرسكم.

(ص1141 الجزء الثالث- المصدر السابق) المخلص: فاضل الجمالي

التاريخ 1958/7/6

من الخارجية (العراقية)

الى - بيروت

اتصلوا بفخامة كميل شمعون وبينوا له ما يلي مع اعلامنا النتيجة.

اولا - اتصلنا بالسفير البريطاني والامريكي في بغداد واخبرناهما باقتراح عقد الحلف وطلبنا منهما ابداء رأي حكومتيهما فيه فوردنا الجواب البريطاني بالموافقة على المبدأ الا انه يخشى ان يكون انجاز هذا العمل فورا في هذه الايام مدعاة لزيادة الحالة في لبنان مع العلم ان هذا التريث لا يعني عدم تشجيع بريطاني على المضي في المشروع.

ثانيا - نخشى ان يفهم فخامة الرئيس بأننا نميل ايضا الى التأجيل، اكدوا له ان الاستعجال في هذا المشروع او التريث به وتقدير الموقف لذلك مودع تماما لفخامته فإن رأى ضرورة ملحّة للاقدام عليه فليعلمنا وليعلم السفارة البريطانية في بيروت. انبؤونا.

(ص2483 الجزء السادس-محكمة الشعب) تليت خلال محاكمة توفيق السويدي

1958: الغرب يعترف بالوضع الجديد في العراق -  
التنافس على زعامة الثورة بين عبد السلام عارف  
وعبد الكريم قاسم - الوحدة والاتحاد يصبحان  
شعارين لتمزيق الوحدة الوطنية لشعب العراق.

عبد الناصر يعلن افلاس سورية ثم موافقته على  
الموازنتين العادية والاستثنائية - الضباط البعثيون  
يفكرون بالانقلاب على الوحدة - ايزنهاور ينقلب الى  
داعية للوحدة على أساس حفظ كيان اسرائيل -  
انتخاب اللواء شهاب رئيسا للبنان.

تشكيل الوزارة المركزية والوزارتين التنفيذيين -  
صدور قانون الاصلاح الزراعي - كان ابعادي عن  
سورية نتيجة لمشاورات عبد الناصر مع ميشل  
عفلق وصلاح البيطار- صبري العسلي يطلب اعفاء  
من نيابة الرئاسة بعد ظهور وثائق حلف بغداد.

### تطور أحداث العراق داخليا وعربيا ودوليا

خلال الأيام العشرة التي اعقبت عودة الوفد العراقي من  
دمشق الى بغداد أعلن الغرب اعترافه بالجمهورية العراقية بالرغم  
من انسحابها من حلف بغداد واعترافها بالصين الشعبية وإعادة  
علاقاتها مع الاتحاد السوفيتي.

وقد أرسل الرئيس الاميركي مبعوثا خاصا (مورفي) لزيارة  
العراق الذي صرح بعد اجتماعه بصدیق شنشل: "لقد حصل لي  
انطباع حسن بعد اجتماعي بالسيد شنشل وأنا الآن اكثر إماما  
بهذا الخصوص (أي بسياسة العراق) وأكثر فهما عما كنت عليه  
قبل مجيئي الى بغداد.

أثناء ذلك كان الغرب يبحث في إنشاء حلف جديد بدلا عن  
حلف بغداد، فقد جاء دلس وزير خارجية الولايات المتحدة الى  
لندن، وبدأ مباحثاته مع رئيس الوزراء البريطاني بحضور وزير

الخارجية والدفاع البريطانيين، ثم اجتمع برؤساء الوزارة التركية والایرانية والباكستانية، وأذاعت المصادر الغربية ان دبلوماسي الغرب الموجودين في لندن يدرسون الآن خطة للتمشي مع القومية العربية والرئيس جمال عبد الناصر، وان المباحثات تناولت استبدال حلف بغداد بحلف جديد، وان الحكومة البريطانية شرعت بوضع الخطط لإنشاء حزام الدفاع الشمالي عن الشرق الأوسط، وان اجتماعات المجلس الوزاري لحلف بغداد السابق الذي سيفتتح في لندن بتاريخ 28-7-58 سيقر الخطط الجديدة، وان رؤساء وزارات باكستان وایران وتركیة ألحوا على دلس أن تصبح الولايات المتحدة عضوا كاملا في الحلف الجديد.

أما على مستوى الوضع الداخلي في العراق، فقد اتجه ظاهريا نحو الاستقرار حيث ان عبد الكريم قاسم أعلن بتاريخ 27-7-58 مواد دستور مؤقت نص في مواده الثلاثين على احترام حقوق الاكراد القومية ضمن الوحدة العراقية وعلى تحديد وتنظيم الملكية الزراعية بقانون، وقد منح لمجلس السيادة المؤلف من رئيس وعضوين صلاحيات رئيس الجمهورية، كما منح مجلس الوزراء السلطة التشريعية بتصديق مجلس السيادة، الى جانب صلاحيات السلطة التنفيذية، أما بقية مواد الدستور فقد نصت على ضمانات الحريات الشخصية والعامّة، وعلى عدم تسليم اللاجئين السياسيين، كما نصت في الوقت نفسه على حظر انشاء تشكيلات عسكرية او شبه عسكرية.

كان الدستور بمجملة نسخة مشوهة عن دساتير الدول الغربية، حيث ازيلت منه معالم تحديد وتعاون السلطات التأسيسية والتشريعية والتنفيذية، فأنت مختلطة ببعضها البعض، وانعكاسا للوضع السياسي في العراق في تلك الفترة، وأعني بذلك انه لم تكن للثورة اية خطة واضحة توجهها، كما لم يكن على رأس الدولة قائد على مستوى مشاكلها المعقدة، وكان ذلك احد أهم أسباب الصراع الدامي والفوضى التي غرق بها العراق بعد قليل.

ولا بد لنا هنا من أن ناتي بإيجاز على المناخ الذي نمت فيه بذور أحداث المستقبل: ففي ليلة الخامس عشر من تموز تمكن حزب البعث أن يصدر جريدة الشعب العائدة ليحي قاسم باسم الجمهورية، وكان على رأس تحريرها سعدون حمادي، وبعد أيام أصدر يونس الطائي جريدة الثورة الممائلة لعبد الكريم قاسم، وكان صاحبها معاديا في قرارة نفسه للشيوعية.

كان تأثير الحزب الشيوعي بعد الثورة قويا في الشارع ضعيفا في الحكومة، ولم يظهر تأثيره على الحكم إلا بعد أن اشتد الخلاف بين عبد السلام عارف وعبد الكريم قاسم كما سيرد تفصيله فيما بعد.

خرج حزب البعث بعد الثورة من تحت الأرض وبدأ ينمو ويكبر وزنه وتتسع قواعده بسرعة، أما الأحزاب الأخرى كالحزب الديموقراطي وحزب الاستقلال فقد بدأ حجمها يتضاءل، وهكذا اصبح العراق بعد مضي زمن قصير يتجاذبه الحزب الشيوعي من جهة، وعبد السلام عارف والقوميون العرب وحزب البعث من جهة أخرى، اما حزب البارتني المؤيد من جماهير الاكراد فلم يكن له في البداية اثر بارز في مجرى الاحداث إلا بعد رجوع البرزاني من المنفي الذي تزعم الحزب والحركة الكردية.

لقد عاد البرزاني بناء على البرقية التي تلقاها من عبد الكريم قاسم في ايلول عام 1958 وكان نصها:

"اتخذنا جميع التدابير للعفو عنكم وتسهيل عودتكم ومن معكم"

كنت في القاهرة عندما زارها البرزاني في طريق عودته الى العراق وقد قال لي جمال عبد الناصر آنذاك عن البرزاني:

ان هذا الرجل ليس عميلا للاتحاد السوفيتي كما يزعمون بل انه رجل مسلم متعصب "اننى لم اتمكن من نزع يدي من يده عندما قابلني إلا بعد أن قبلها" ترى هل كان البرزاني في تصرفه ذلك قد اكتشف نقطة الضعف عند عبد الناصر.



بدأ التنافس على الزعامة بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف يتصاعد شيئا فشيئا اثر عودة الاخير من دمشق، وبعد جولاته التي اخذ يقوم بها على قطعات الجيش والمحافظات وسط مهرجانات شعبية ضخمة.

لم يكن المتنافسان يحملان في البدء اية افكار متناقضة، ولكن عبد السلام عارف اعتمد في معركته على تبنى سياسة ناصر وطريقته، وقد ساعده على ذلك انه كان خطيبا جماهيريا "بالنسبة لعبد الكريم قاسم" الذي كان محروما من كل موهبة خطابية، ولكنه كان اكثر رصانة ودهاء، فبدا ينظم انصاره في الجيش، ويعتمد في شعبيته على الحزب الشيوعي، بينما كان عارف يعتمد على تأييد جمال عبد الناصر والقوميين وحزب البعث العربي الاشتراكي.

وفي اعتقادي ان جمال عبد الناصر قد اخطأ بالتزام عبد السلام عارف، الأمر الذي شجعه على فتح المعركة مع عبد الكريم قاسم، وعلى كل حال فإن المعركة الإعلامية بين عارف وقاسم على الزعامة قد بدأت تأخذ شكلا مكشوفاً عندما شرع عبد السلام عارف يكشف أسرار الثورة ويعلن أنه مع أخيه عبد الرحمن عارف هما صاحباً الفضل في تنفيذها وان دور عبد الكريم قاسم كان دوراً هامشياً، فقد نشرت جريدة الجمهورية العراقية تحت صورة كبيرة لعبد السلام عارف وأخيه عبد الرحمن وتحت عنوان كبير هو: "وثائق الثورة في يوم نصرها العظيم في ساحات الفتح الأولى" رسالة بالزنكوغراف ارسلها عبد السلام عارف إلى شقيقه عبد الرحمن يبيئه باحتلال بغداد ويطلب إليه المساعدة في الهجوم على قصر الرحاب، ثم رد عبد الرحمن عارف، ثم رسالة اخرى جوابية من عبد السلام، وقد نشرت هذه الرسائل دون ان يذكر أي دور لعبد الكريم قاسم في تحضير الثورة.

وقد بالغت جريدة الجمهورية في ابراز عبد السلام عارف بقولها: "إذا كانت الثورة في مصر قد اظهرت قوادا عظاما كجمال عبد الناصر فإن لثورتنا المجيدة قوادا عظاما كعبد السلام عارف".

□

أوعز عبد الناصر لفواد جلال رئيس لجنة الاتصال للمؤتمر الشعبي بتشكيل وفد لزيارة العراق مؤلف من السيد يوسف رويسى والسيد توفيق المدني رئيس مكتب جبهة التحرير الوطني الجزائري في القاهرة والسيد ميشيل عفلق والسادة اللاجئين الى سورية وهم: سليمان فرنجية، كمال ناصر النائب الأردني عن حزب البعث، فؤاد نصار من أقطاب الحزب الشيوعي في الأردن، شفيق رشيدات من الحزب الوطني الديموقراطي، وقد استهدف عبد الناصر من جعل ميشيل عفلق عضوا في الوفد الاستفادة منه في كسب تأييد حزب البعث العربي الاشتراكي لسياسته ريثما تتغلغل مخابراته التغلغل الكافي في صفوف الحزب، وهو الأمر الذي أدى فيما بعد الى كثير من التصدعات والانشقاقات.

بعد عودته من العراق اشتكى لي فؤاد جلال بان ميشيل عفلق كان يحرض في أحاديثه في فندق بغداد على رفع شعار الوحدة الفورية بين العراق والجمهورية المتحدة مما كان يثير الفرقة بين البعث وبين الأحزاب العراقية الاخرى، بينما كان الجميع بما فيهم اعضاء وفد لجنة الاتصال يرون ضرورة التأكيد على الوحدة الوطنية في العراق قبل أي هدف آخر، والحقيقة ان جميع من اجتمعت بهم من اعضاء الوفد كالاستاذ الروسي والرشيدات كانوا من وجهة نظر الاستاذ فؤاد جلال.

والذي يعود لمجموعة صحيفة الجمهورية آنذاك يلاحظ ان هذه الجريدة لم تطرح في الافتتاحيات التي كتبها سعدون حمادى وخالد الدليمي وعلى صالح السعدي والافتتاحيات الأخرى للجريدة شعار الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة كشعار له الأولوية، بل أكدت هذه الافتتاحيات على الوحدة الوطنية وعلى



معالجة الأمور ديموقراطيا وشعبيا بشكل يحمي الثورة سياسيا واجتماعيا داخليا وخارجيا من خصمها الاستعمار والرجعية.

لم يعد الاسناد ميشيل عفلق الى دمشق مع أعضاء وفد لجنة الاتصال، ولعل ذلك هو الذي أثار نقمة فؤاد جلال، إذ لا يخفى ان تمديد عفلق زيارته لبغداد يزعج جمال عبد الناصر، فهذا التمديد قد تعدى فيه عفلق الحدود المرسومة للوفد وكان ناصر حريصا على إبعاد القيادة السابقة عن الحزب، ولكن هذه الزيارة وثقت علاقة ميشيل بالحزب ويظهر ذلك جليا من استقبال جريدة الجمهورية له عند قدومه الى بغداد (الفيلسوف العربي المعروف) وعند توديعه (عميد الحزب ورائد البعث العربي الاشتراكي).

في الوقت نفسه كان مورفي مبعوث ايزنهاور في الشرق الأوسط يصرح بعد اجتماعه بالزعيم عبد الكريم قاسم بحضور وزير الخارجية والمالية بتاريخ 3-8-58 "بأن زعماء العراق لم يشيروا في أحاديثه معهم الى احتمال تحالفهم مع الجمهورية العربية المتحدة" ثم سافر مورفي من بغداد الى القاهرة حيث اجتمع بالرئيس جمال عبد الناصر، وقد صرح ناصر بعد هذا الاجتماع: "انه لا يرى ضرورة الاستعجال في مسألة الاتحاد بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية".

كانت الولايات المتحدة وبريطانيا واسرائيل والغرب عموما والدول العربية والحزب الشيوعي العراقي ضد اتحاد العراق مع الجمهورية العربية المتحدة، بل وضد اي تقارب حقيقي بينهما، لأن ذلك يخل بميزان القوى في المنطقة، أما الأحزاب الليبرالية الأخرى فلم تكن تعادي فكرة الاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة، بل كانت تشترط ان تكون الحريات الديموقراطية أساسا لهذا الاتحاد، الأمر الذي لم يكن ممكنا تحقيقه بقيادة جمال عبد الناصر فهو الذي حل الأحزاب في سورية وقضى قضاء تاما على أوضاعها الديموقراطية الأمر الذي لم يكن خافيا على أحد.

لقد كانت جميع الاطراف متاكدة ان اتحاد العراق مع الجمهورية العربية لم يكن أمرا وارد آنذاك لا عربيا ولا دوليا (لا

شرقاً ولا غرباً) ولا بالنسبة لعبد الناصر نفسه الذي كان جل ما يطمح إليه هو ان يقيم وضعاً في العراق يكون منسجماً مع سياسته وتركيبه نظامه، أي تابعاً له في زعامته وهذا ما راهن عليه بواسطة عبد السلام عارف، وتمكن من تحقيقه فيما بعد خلال حكم عبد السلام عارف وأخيه في العراق.

اننا لن نكون ظالمين إذا قلنا ان موقف عبد السلام عارف لا يختلف تجاه الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة عن موقف عبد الكريم قاسم، وانما كان اختلافهما في الطرق التي توصل كلا منهما الى الزعامة والاستفراد بحكم العراق، وهكذا تطورت الاحداث فاصبح الحزب الشيوعي مطية لعبد الكريم قاسم كما أصبح البعث مطية لعبد السلام، وكان الخاسرون في هذه المعركة شعب العراق الذي غرق بالفتن والدموع والدماء وحزبا البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي.

□

كان حاكم الكويت الامير عبد الله السالم الصباح مصطافاً في دمشق قبل قيام ثورة الرابع عشر من تموز في العراق، وقد زارني بالقصر الجمهوري فرحبت به وتمنيت له إقامة طيبة دون أن نتطرق الى بحث أي موضوع سياسي، ثم قمت بصحبة السيد صبري العسلي برد الزيارة له وقد تطرق الامير بأسلوب سياسي إلى ضرورة الاتفاق والتضامن الحقيقي بيني وبين العسلي لأن اختلافنا يوقع الضرر بمصلحة سورية، ففهمت ما يقصد وقلت له اننى وصديقى صبري العسلي متفاهمان ومتضامنان. قال الأمير لا، انه من الخير لبلدكم ألا تتفرقوا وكان يقول ذلك ناصحاً، ولم يكن من المصلحة ان اجيبه بصراحة واقول له ان صبري العسلي وشكري القوتلي هما المتجنبان وانهما يعملان لإقصائي عن المسؤولية املاً بعودتهما إلى الحكم، وهذا وهم لأن عبد الناصر يستخدمهما لامن اجل عودتهما، بل من اجل إقصائي ليتاح له تشديد قبضته على الاقليم السوري.

وهكذا انتهت الزيارة لأمير الكويت الذي كان في قرارة نفسه قلقا على الوضع في سورية دون ان يصرح بذلك، وقد اشاعت مخابرات السراج ان امير الكويت اهدى القوتلي المنزل الذي يسكنه قرب ساحة الجلاء ليسيء إلى سمعته، وكان السراج يكره القوتلي.

وثناء وجود الوفد العراقي بدمشق قام جمال عبد الناصر مصطحبا شكري القوتلي لزيارة امير الكويت وقد نشرت الصحف في صفحاتها الأولى صورهما مع تعليقين من المهم إيرادهما.

"إن حاكم الكويت استبشر خيرا بزوال حكم عبد الاله ونوري السعيد عن العراق لأنهما كانا يوعزان بالعدوان على حدود الكويت ويمنعان منح الكويت انبوبا من شط العرب ويساومان الكويت مساومات مؤسفة لقاء ذلك ويحاولان إرغام الكويت على الدخول في الاتحاد الاستعماري الزائف".

اما الخبر الثاني الذي نشرته الصحف فهو:

"ان المباحثات التي اجراها الرئيس جمال عبد الناصر بحضور اخيه المواطن العربي الأول السيد شكري القوتلي مع الشيخ عبد الله السالم الصباح حاكم الكويت ستعطي ثمارا طيبة في توسيع التعاون بين الكويت وكل من الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية، وستظهر آثار ذلك في وقت قريب جدا".

وفي الوقت نفسه كان الرئيس نهرو يصرح امام لجنة الشؤون الخارجية في البرلمان الهندي: "يبدو ان بريطانيا مصممة على حرب عالمية إذا تعرضت مصالحها النفطية في الكويت الى الخطر باي شكل من الأشكال".

لم يطلعنا جمال عبد الناصر - طبعاً- على مباحثاته التي اجراها مع بعض اعضاء الوفد العراقي ومع امير الكويت فطلت طي الكتمان ولكن آثارها ظهرت في الأحداث التي شهدتها العراق والكويت فيما بعد.

□

تحدث إلينا عبد الناصر بإسهاب عن زيارته لموسكو واثراً هذه الزيارة على القادة السوفيت، مما أدى إلى المناورات الضخمة التي قامت بها القوات المسلحة السوفيتية على حدود إيران وتركية تاييدا لثورة العراق ولم يحاول أبداً خلال إقامته في دمشق أن يبحث معنا شؤون الأقليم السوري، وكان الموضوع الرئيسي الذي يهتم المجلس التنفيذي التصديق على الموازنة التي رفعها إليه بعد الجهد الكبير الذي بذل في دراستها، ولحاجة الأقليم الملحة إلى وضعها موضع التنفيذ، حيث كانت جميع الوزارات ومشاريها تنتظر أقرارها وصدورها، لذلك رجوته مع الوزراء السوريين الآخرين أن يخصص بعضاً من وقته للنظر بموازنة الأقليم، وقد شرحت له في اجتماع خاص بقصر الضيافة حضره محسن أبو النور دون أن أعلم مبرر حضوره وضع الأقليم الاقتصادي والأسس التي اقمنا عليها الموازنتين العادية والانمائية وجميع التفاصيل والدقائق التي تتعلق بهاتين الموازنتين.

كان عبد الناصر يتظاهر بالاصغاء الي، وبعد انتهائي من الكلام توجه إلى عبد المحسن أبو النور وأخذ يمازحه - دون التعليق بأي كلام على الموازنة - ويستعرض معه ذكريات ما قبل الثورة وقد ذكره أبو النور - ولا أدري إذا كان ذلك عن غير قصد- بزيارة الملك فاروق لأحدى القطع العسكرية وقيام عبد الناصر بأداء التحية للملك فاروق، فكذبه عبد الناصر بين المزاح والضحك وهكذا انتهى أمر الاجتماع بين دهشتي واستغرابي.

وفي اليوم الثاني 58/7/21 سافر عبد الناصر إلى القاهرة للاحتفال بثورة 23 تموز، وكان لهذا الاحتفال أهمية خاصة في هذا العام سواء بالنسبة لمصر أو للعالم العربي بسبب قيام الوحدة بين سورية ومصر، وبسبب قيام الثورة في العراق واشتراك وفد من الوزراء العراقيين في الاحتفال وكان مؤلفاً من وزير العدل مصطفى علي ووزير التربية جابر العمر الذي قال في الاحتفال:

"ان بغداد مسحت عن وجهها العار وأتت اليكم بثورتها وجموريته لتسير معكم في قافلة العروبة المتحررة".

كنت في القصر الجمهوري عشية ذلك اليوم مع الوزراء السوريين متحلقين حول المذيع نستمع باهتمام زائد لخطاب الرئيس ولشد ما فوجئنا عندما قال:

**"اننا بحاجة الى العمل الجدي وخاصة في الاقليم السوري اذ ان الوحدة تمت بارادة الشعب. إنني لم أكن مطلعاً على الموازنة عندما تمت الوحدة، ثم بدأت الابحاث والدراسات واستغرق ذلك الخمسة أشهر الماضية ولم نستطيع أن نقوم باعمال انتاجية كبيرة خلالها، لقد اتضح أن في الاقليم السوري عجزاً بالموازنة وان الاحتياط قد صرف كله، ومع ذلك أمل ان تعوض الخمسة أشهر الماضية وأن يتعاون الاقليمان لاننا أمة واحدة".**

كانت دهشتنا كبيرة عندما استمعنا لخطاب عبد الناصر، وأذكر ان أحد الوزراء علق: "ان هذه النهاية للخطاب لا تنسجم مع بدايته" وقال آخر:

"ان هذا معناه اعلان إفلاسنا" وقال ثالث:

"ان الرئيس أساء عن غير قصد الى سمعة سورية الاقتصادية" وقال لي آخرون:

"ألم تشرح للرئيس أمورنا الاقتصادية واوضاعنا المالية وتوازن موازنتنا العادية، وانهما تقومان على موارد وأرقام حقيقية" ثم انصرفنا من القصر ونحن مضطربون حائرون.

كان وقع خطاب ناصر في احتفالات 23 تموز سيئاً على الرأي العام في سورية عموماً وعلى الأوساط الاقتصادية والتجارية خصوصاً، وهي الأوساط التي كان ناصر حريصاً في تلك الفترة على كسبها واجتذابها لتقف الى جانبه في لعبة العمل على صدام الفئات السياسية والاجتماعية بعضها ببعض ليتمكن من السيطرة التامة على الاقليم السوري، وكانت قيادات البعث الذي حل نفسه في سورية هي الهدف الأول لعبد الناصر وهو هدف لا يقتصر على سورية وانما يتناول أقطارا عربية أخرى حيث

كانت تشكيلات البعث لا تزال موجودة بتوجهاتها القومية الديمقراطية مما يجعل من البعث عدوه الأول ليس في سورية وإنما في العالم العربي.

لقد أصبح هذا الخطاب موضع تعليق من كل الاوساط فبعضها كان يسخر قائلاً:

"ان مصر الفقيرة ستعين سورية!" وبعضها الآخر كان يعلق عليه قائلاً:

"ان الاقتصاد السوري بشهادة كبار الاقتصاديين هو اقتصاد متوازن رغم النسبة الكبيرة التي تصرف على الاغراض الدفاعية والتي كانت تفوق في بعض السنوات نسبة الخمسين بالمائة. كما قال بعض الاقتصاديين:

" صحيح ان الاقتصاد السوري قد أنفق نسبة كبيرة من امواله الاحتياطية على المشاريع الانتاجية، ولكن هذا الامر يعتبر ميزة للاقتصاد السوري، اذ أنه اقتصاد مرن ديناميكي يحرك الاموال ولا يجمدها، وبالإضافة الى ذلك فان سورية كانت تمتلك دوما حاجتها من الاموال الجاهزة"

بعد يومين من الخطاب زارني فؤاد جلال وبعدها محمود رياض وسألاني عن رأيي فحدثتهما صراحة برأيي، وقد اعترفا بأن وقع الخطاب كان سيئا جدا ولا سيما في الاوساط الدمشقية.

ثم زارني بعد ذلك الاستاذ يوسف الرويسي وعدد آخر من أعضاء لجنة الاتصال الشعبي وكان رأيهم شبيها برأي محمود رياض وفؤاد جلال.

□

بتاريخ 58/7/26 عقدت اجتماعا طارئاً للمجلس التنفيذي السوري لوضع نهاية لمسرحية الموازنة التي مثلها عبد الناصر ولا سيما بعد أن اتفق الجميع بما فيهم أجهزة عبد الناصر على انعكاساتها المؤذية على الوحدة وقد تعمدت أن يحضر اجتماع المجلس التنفيذي السيد محمود رياض.

كان راي الوزراء جميعا متفقا حول صحة أرقام الموازنة وتوازنها، وقد كلف مجلس الوزراء السيد فاخر الكيالي- باعتباره وزيرا للمالية- أن يسافر للقاهرة ليعرض على الرئيس وجهة نظر المجلس التنفيذي، وبعد بضعة أيام من سفر الكيالي استدعت بشكل عاجل للقاهرة وفي الوقت نفسه جاء المشير عبد الحكيم عامر الى دمشق.

كان استقبال عبد الناصر لي وديا للغاية، وقد فاتحني بانه ينوي تشكيل حكومة مركزية في القاهرة وحكومتين اقليميتين في مصر وسورية، وقال انه يحتاج الى وجود بعض الوزراء السوريين الى قربه في القاهرة، لأن أمور سورية ومشاكلها جديدة عليه "ولا يمكن معالجتها وأنتم بعيدون عني" قلت له:

أفهم ان القصد من تشكيل الحكومة المركزية هو تسهيل عمل الحكومتين الاقليميتين ومنحهما صلاحيات واسعة والتنسيق ما بينهما بواسطة الحكومة المركزية، وهو تدبير صائب لانك لا تتصور مدى الصعوبات التي نعانيها من تأخر مشاريعنا في القاهرة كمشروع الموازنة العادية والإنمائية وعشرات المشاريع الأخرى كمشروع قانون الاصلاح الزراعي ومشروع حماية الفلاحين ومشروع قانون العشائر بالاضافة الى المشاريع الأخرى التي كان مجلس الوزراء في سورية يصدرها عادة بمراسيم تنظيمية.

اننى اعلم ما في تنقلك بين الاقليمين من صعوبة ولا شك ان هذه الوزارة ستساعد على حل كثير من المشاكل، ولكن الذي أرجوه ان تكون الحكومة التنفيذية في سورية تامة وكاملة، ما عدا الدفاع والخارجية، لأن اعمال وزارة الصناعة والتربية والتعليم والاعلام والاقواق في سورية معرقلة نظرا لأنها تابعة لوزارات الاقليم الجنوبي، وقد اضطرنا هذه المركزية الشديدة الى تخطي صلاحياتنا في بعض الاحيان، مثال ذلك عندما اضطر المجلس التنفيذي لتكليف صلاح البيطار بمهمة وزارة الاعلام عند قيام الثورة في العراق واثناء غيابك في الاتحاد السوفيتي. ان الوزراء المصريين ينوؤون تحت وطأة مسؤولياتهم واعمالهم فكيف

بهم اذا كلفوا بالاضافة الى ذلك حمل أعباء وزارات الاقليم السوري  
ايضا؟

كنت ألاحظ على عبد الناصر علامات الارتياح لحديثي وما  
كدت انهي كلامي حتى قال: انك عرفت قصدي من تشكيل  
الحكومة المركزية قبل أن احدثك عنها، وهي بالفعل كما ذكرت،  
ولكن تكليف وزراء الاقليم المصري ببعض الوزارات السورية لم يكن  
بناء على رغبتني بل على رغبة عامة في سورية تطالب بتكليف  
الوزراء المصريين بالوزارات السورية لأن الناس مرتاحون اليهم  
ويثقون بهم لأنهم غير حزبيين، وهم يأملون أن ينجز هؤلاء الوزراء  
في سورية نظير ما أنجزوه في مصر. قلت له:

اننى اوكد لك بكل اخلاص وتجرد ان اعداء الوحدة هم الذين  
يوحون بكتابة هذه التقارير لأنهم هم انفسهم الذين يقولون بين  
الناس:

هل خلت سورية من الرجال حتى يكلف عبد الناصر الوزراء  
المصريين بادارة شؤونها، انهم هم الذين يقولون للناس ايضا ان  
مصر تعرقل تصنيع سورية وتعيق تقدمها حتى تبقى سوقا  
للصناعة المصرية. لقد شعرت في نهاية الحديث مع عبد الناصر  
بارتياحه الشديد من قبولي بمشروعه الجديد الذي هو الوزارة  
المركزية.

كنت شاعرا تماما ان جمال عبد الناصر لا يقصد من تشكيل  
الوزارة المركزية سوى إقصائي عن سورية وتحديد إقامتي في  
القاهرة ليرتاح من الوسواس التي تثيرها في نفسه كل يوم  
التقارير الواردة اليه من أجهزته وكنت أقول في نفسي: ليت عبد  
الناصر يطلع على ما يجري خلف الستار ، اذن لانقلب رأيه تماما  
ولتشبت ببقائي في سورية، هكذا كنت أظن آنذاك.

□

كان مصطفى حمدون قد اخبرني قبل مجيئي للقاهرة بأن  
محمد عمران وأخاه عدنان حمدون قد كلفاه بأن يستشيراني في  
امر انقلاب أعده الضباط البعثيون ضد جمال عبد الناصر بعد أن



انكشفت نواياه واستبان مخططه الذي يهدف الى اقصائهم عن الجيش "وتشتيت شملهم سواء عن طريق نقلهم الى مصر أو الى وزارة الخارجية، أو الى وظائف مدنية أخرى، وقالوا ان عليهم أن يستغلوا الفرصة قبل أن تغلت من أيديهم طالما أنهم يسيطرون على قطعات الجيش سيطرة تامة، وان هذا الانقلاب لا يكلفهم جهدا ولا عناء فأمر الجيش لا يزال في أيديهم".

كانت كل البوادر تدل على ان عبد الناصر والمشير عامر لديهما مخطط لابعاد الضباط الموالين للبعث من الجيش منذ اليوم الأول لتشكيل أول حكومة بعد قيام الوحدة حيث وضع هؤلاء الضباط انفسهم تحت تصرف جمال عبد الناصر يفعل بهم ما يشاء لتحقيق الوحدة بين القطرين كما ذكرنا سابقا. ولم يكن يخطر على بال أحد من هؤلاء الضباط آنذاك ان يكافئهم عبد الناصر باقصائهم عن الجيش واضطهادهم بدلا من الثقة بهم والاعتماد عليهم.

والخلاصة اننى قلت لمصطفى حمدون جوابا على استشارتي أن يبلغ الضباط البعثيين بأن تنفيذ ما يفكرون فيه جريمة تاريخية كبرى، وان الشعب لن يسكت عن جريمتهم، بل سيقتلهم ويسحلهم في الشوارع، ولن يبرر فعلتهم الشنيعة غدر جمال عبد الناصر بهم، وإننى أنصحهم حرصا على الوحدة وعلى أرواحهم ان يقلعوا عما يفكرون به وأن يعدوا انفسهم لتحمل كل تضحية في هذا السبيل، وفعلا فقد ابلغوني تراجعهم عما كانوا يعتزمون.

اختلف الوضع تماما بينى وبين عبد الناصر بعد ان وافقته على مبدأ تشكيل الوزارة المركزية، وقد توهمت من وضعه معي وتصرفاته تجاهي انه أصبح فعلا يثق بي، وان هذه الثقة والصداقة ستستمر دون أن يتمكن احد من تعكيرها فقد صدق عبد الناصر على الفور ميزانية الاقليم السوري العادية والاستثنائية، وهنا لا بد لي من استعراض موجز لهاتين الموازنتين لأنهما ترسمان الوضع الاقتصادي والمالي والانمائي والاجتماعي والعسكري لسورية في ذلك الحين:

جاء في البيان الايضاحي للموازنة العادية ان موازنة الاقليم السوري لعام 1958-1959 بلغت (461) مليون ليرة، اي بزيادة قدرها 238% بالنسبة لموازنة 1952 وقد اوضح البيان تطور ارقام الموازنة منذ عام 1952 فجاء فيه:

"ولمعرفة أهمية رقم الموازنة العامة العادية لهذه السنة في بلد كالاقليم السوري لا يتجاوز عدد سكانه الاربعة ملايين نسمة، لا بد لنا من الرجوع الى أرقام الميزانيات السابقة ودراسة تطور ارقامها، فقد تدرجت الميزانية على النحو التالي:

العام	الليرات السورية بالملايين	الرقم القياسي
52	193	100
53	208	108
54	223	116
55	261	136
56	383	200 (وهو عام كانت فيه سورية محرومة من موارد النفط)
57	415	216
58	461	238

ولا تشمل الموازنة في سورية عادة الميزانيات الاخرى الملحقه والمستقلة لادارات البريد والبرق والهاتف والسكك الحديدية ومؤسسات الكهرباء ومصلحة التموين، وهي مؤسسات ذات صفة استثمارية كما انها لا تشمل مؤسسة الانماء الاقتصادي والموازنة الاستثنائية وصندوق الدين العام، وهي الميزانيات المخصصة لتنفيذ وتمويل المشاريع الانمائية الكبرى، وقد أشرت الى ذلك لأن ميزانية الاقليم المصري اعتادت ضم وادراج جميع ميزانيات الاقليم الملحقه والمستقلة وجميع موازنات المؤسسات العامة، وبهذا الاسلوب ترتفع نسبة أرقام الموازنة كثيرا عن الاسلوب السابق، وقد أخذت سورية بالاسلوب المصري عند وضع موازنتها فيما بعد بغرض الدعاية للنمو الاقتصادي الذي حققته سورية في ظل حكم

جمال عبد الناصر الامر الذي لا يتمكن الناس من اكتشاف زيفة  
وبعده عن الحقيقة والواقع.

لقد عدد بيان الموازنة زيادة النسبة المئوية للخدمات  
الاجتماعية والصحية والتعليمية فجاء فيه انها ارتفعت من 18%  
في عام 1957 الى 20.5% عام 58-59 كما ارتفعت النسبة  
المئوية الممنوحة للخدمات الاقتصادية من 5% عام 57 الى  
8.32% عام 58-59 بالنسبة لمجموع الموازنة العامة في كلا  
العامين، كما ارتفعت نسبة نفقات أمن الدولة الخارجي والداخلي  
من 50% في عام 1957 الى 58% عام 58-59 وجاء في البيان  
الايضاحي ان سبب هذه الزيادة هو الظروف الدولية الراهنة  
والالتزامات القانونية والتعاقدية التي تمت في الاعوام المنصرمة  
الماضية.

وقد قال لي وزير المالية فاخر الكيالي: "ان جمال عبد  
الناصر أصر عليه ان يدرج في الميزانية السورية مبلغ 25  
مليون ليرة كهبة من مصر لسورية على حساب الموازنة  
السورية فقلت لعبد الناصر ان هذا الاسلوب يسيء  
للوحدة لأن مصر ليست بحالة اقتصادية جيدة تمكنها من  
دفع الهبات الى سورية كما أن من حق الشعب في مصر  
أن يتبرم من هذا الكرم الذي يمكن ان تنعكس آثاره على  
شعور الناس تجاه الوحدة، ولكن عبد الناصر أصر على  
ذلك".

أما البيان الايضاحي للموازنة الاستثنائية (الانمائية) فقد  
نص على أن مجموع الاعتمادات التي ستنفق على المشاريع  
الانتاجية خلال سنة 58-59 يبلغ 127 مليون ليرة، وقد ذكر أهم  
المشاريع التي تنفذ هذا العام من الاعتمادات المذكورة وهي  
اتمام مصفاة البترول في حمص بحيث تكرر مليون طن في العام  
اعتبارا من منتصف 1959، واتمام مشروع سد الرستن لخزن مياة  
نهر العاصي وتوليد الطاقة الكهربائية واتمام تجفيف سهل الغاب،  
واتمام مرفأ اللاذقية، وانهاء الدراسات المتعلقة بالسكك الحديدية  
الجديدة، وبمشروع السدود على نهر الفرات والخابور وانهاء

الخارطة الجيولوجية، ثم تأسيس المصرف الصناعي، واطمام برامج حفر الآبار الارتوازية لتأمين مياة الشرب. وانشاء مراكز الرعي في البادية وفتح الطرق الجديدة وتوسيع واصلاح مراكز الرعي في البادية، وفتح الطرق الجديدة وتوسيع واصلاح الطرق الحالية، وتأسيس معامل للالبان والتوسع في انشاء المراكز الاجتماعية النموذجية.. الخ ثم أتى البيان على ذكر مشاريع المؤسسات المستقلة وقد قال بان الدولة انفقت من ميزانياتها الاستثنائية لتنفيذ جملة مشروعات مبلغ 230 مليون ليرة منذ عام 56 حتى منتصف عام 58 هذا فضلا عن المجهود الكبير في تسليح الجيش الأول بموازنات استثنائية وهو الجيش الذي اصبح الدرع الواقى للأمة العربية.

كان البيان الايضاحي للموازنتين العادية والاستثنائية كانه رد غير مباشر على خطاب جمال عبد الناصر الذي أعلن فيه افلاس سورية، بالرغم من عبارات المديح التي وجهت للرئيس بسبب توجيهاته المثمرة.

ترى لماذا كان اصرار عبد الناصر على ادراج منحة الـ 25 مليون ليرة في الموازنة السورية؟ هل كان ذلك تمهيدا لارسال المشير عبد الحكيم عامر حاكما على سورية؟ أو أنه كان لتغطية الفارق الكبير في النسبة المئوية لنفقات الدفاع بين سورية ومصر. وهو الأمر الذي اثير بحثه بشكل حاد خلال بحث موازنة عام 59-60 كما سيرد تفصيل ذلك في حينه؟ أم ان الهدف منه كان الاشارة الى انصراف الجمهورية العربية المتحدة عن الاستعداد العسكري الى برامج التنمية ورفع مستوي المعيشة؟

□

بعد اقرار الموازنة وفور عودتي من القاهرة الى دمشق عقدت اجتماعا للمجلس التنفيذي بتاريخ 12-8-58 شرحت فيه للمجلس استعداد الرئيس ناصر لتسهيل أعماله والاسراع بالمصادقة على مشاريعه دون تأخير، كما اعلمتهم بان الرئيس ناصر مزمع على الغاء رخصة شركة منهل للتنقيب عن البترول،

ولكنه غير مستعد لالغاء رخصة شركة كونكورديا الالمانية لانه غير مقتنع بمشروعية الغاء ترخيصها من الناحية القانونية، ولكنني كتمت عن المجلس التنفيذي ما يعتزمه عبد الناصر من تشكيل حكومة مركزية.

ثم اجتمعت مع أمين النفوري وكان عائدا من بغداد، ولم اكن مطلعاً على اسباب سفره، فشرح لي ملاحظاته عن الوضع هنالك بما لا يخرج عما ذكره أحمد عبد الكريم في كتابه أضواء على تجربة الوحدة: "عن الجفوة بين عبد السلام عارف وعبد الكريم قاسم وانه حاول مصالحتهما فتعانقا وأقسما على القرآن أمامه ألا يخلتفا وان الاحزاب تحاول السيطرة على الثورة وتوجيهها، وان اكثر الاحزاب نشاطا هو:

أ- الحزب الوطني الديمقراطي بزعامة كامل الجادرجي الذي يرى وجوب التريث بالوحدة ويفضل أن تقوم في المستقبل على أساس ضمان الحريات الديمقراطية وممارسة النشاط الحزبي.

ب- الحزب الشيوعي وهو يقاوم الوحدة ويرفع شعار الحريات الديمقراطية، ويحاول هذان الحزبان التقرب من عبد الكريم قاسم عن طريق اثاره مخاوفه من الوحدة ومن عبد السلام عارف، وتنضم اليهما التكتلات الأخرى التي تخشى من الوحدة كالأكراد وغيرهم من أقليات العراق وبقايا السياسيين القدامى... أما حزب البعث العربي الاشتراكي فهو يطالب بالوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة فورا ويحاول تبني عبد السلام عارف، ويؤيده في ذلك بعض العناصر من حزب الاستقلال والقوميين العرب.

وقد عقب النفوري على ذلك مقترحا تعيين سفير سوري لتمثيل الجمهورية العربية المتحدة في العراق ممن لهم خبرة في الشؤون العربية عامة وشؤون العراق خاصة ليعطي صورة حسنة عن الوحدة بين مصر وسورية، وقد استنكر تصرفات الملحق العسكري المصري عبد المجيد فريد الذي يحاول بشكل مثير التدخل في شؤون الجيش العراقي باسم الرئيس ناصر وهذا ما يظهره بمظهر المتحيز لعبد السلام عارف الأمر الذي يورط الجمهورية العربية المتحدة في مشاكل ليست في مصلحتها". (ص 158)

سألت أمين النفوري فيما اذا كان قد استأذن من الرئيس عبد الناصر بالسفر الى بغداد فقال لقد استأذنته بواسطة المشير عامر. كنت أجهل ما يدور بين كتلة أمين النفوري وبين المشير عامر من أمور، ولكن الذي أشيع بعدئذ وعلى نطاق واسع ان عفيف البزرة بعث برسالة الى عبد الكريم قاسم يوصيه فيها بعدم قبول الوحدة مع الجمهورية المتحدة، وان كتلة امين النفوري تقف وراء هذه الرسالة، لأنها متفقة مع الحزب الشيوعي، وقد لاحظت فيما بعد أن صحف الجمهورية العربية المتحدة شرعت بنشر بعض وثائق حلف بغداد التي ورد فيها ذكر أمين النفوري، وهي من الوثائق التي وضعت يدها عليها مخابرات السراج واسلمتها لجمال عبد الناصر اثر قيام الثورة في العراق.

لقد شعرت ان عبد الناصر ينوي تصفية أمين النفوري كما صفى العقيد البزرة، وقدرت انه لن يبت في هذ الموضوع الا بعد اقناع أحمد عبد الكريم بذلك وبالفعل فقد استدعى عبد الناصر أحمد عبد الكريم الى القاهرة، ثم عاد دون أن يطلعنى على أسباب استدعائه العاجل، ويروي أحمد عبد الكريم فيما بعد في كتابه أضواء على تجربة الوحدة: "أن المشير عامر استقبله عند وصوله الى القاهرة وأخبره ان الرئيس ناصر عازم على تشكيل وزارة مركزية من عناصر منتقاة من الاقليمين المصري والسوري الهدف منها القيام بالمهمتين التنفيذية والتشريعية على مستوى الجمهورية باقليميهما، وتخطيط سياسة الجمهورية الداخلية والخارجية مع رئيس الجمهورية، والاشراف على تنفيذ الوحدة بين الاقليمين، ورسم السياسة العربية عامة. ووضع السياسة العامة للوزارات التنفيذية في الاقليمين، ومتابعة تنفيذ هذه السياسة وتنسيق العمل بين الوزارات المختصة في الاقليمين ويقول أحمد عبد الكريم: انه رحب بالفكرة لأنه ظن ان الرئيس بدأ في معالجة المشاكل بشكل جذري،ولكن المشير انتقل من البحث في الوزارة المركزية الى الحديث عن أمين النفوري فاتهمه بمعاداة الوحدة، وانه حمل على المصريين أمام عبد الكريم قاسم وعبد

السلام عارف، وقال أمامهم بأن المصريين ينظرون الى سورية على انها مستعمرة مصرية ...الخ.

وعندما دافع احمد عبد الكريم عن صديقه تراجع المشير عن اتهاماته ثم استقبله ناصر واخبره بعزمه على تشكيل الوزارة المركزية وأوضح الأسباب التي جعلته يستغني عن صبري العسلي، وانه كان لا بد من التخلص منه بعدما فضحت وثائق حلف بغداد ارتباطه، وتساءل عما يمكن فعله بالنسبة لفاخر كيالي الذي لا يصلح لشيء ولا يؤتمن على شيء ثم قال "والله محتار أعمل فيه ايه" ومع ذلك فان عبد الناصر عينه وزيرا في الوزارة المركزية وبقي وزيرا فيها حتى الانفصال". (ص 174)

□

كان الأول من ايلول موعدا لافتتاح المعرض الدولي في دمشق من قبل رئيس الجمهورية وقد أنابني لافتتاحه عام 1958، وزاد من أهمية الافتتاح حضور وفد من الجمهورية العراقية برئاسة الدكتور ابراهيم كبه وزير الاقتصاد العراقي، فحاولت ان اشيد بسورية وتقدمها وقوة اقتصادها، ولم أقصد بذلك الرد على عبد الناصر، وانما أردت أن اضع حدا لدعايات اجهزة الاعلام المصرية التي بدأت حملة كاذبة عن تاخر الاقليم السوري وان المصريين سيتولون اعمار سورية أسوة بما أنجزوه في مصر، وقد استفحلت هذه الدعاية فيما بعد الى حدود الادعاء بنسبة كل ما انجز من مشاريع تمت منذ سنوات عديدة في سورية اليهم، مما أثار الراي العام السوري، كما قصدت في كلمتي التأكيد على الاستمرار بالاعتماد على معاهدة التعاون الاقتصادي والفني مع الاتحاد السوفيتي لتحقيق برامجها الانمائية ، لأنه ظهر لي بوضوح ان ناصر لم يكن حريصا على اعتماد سورية على المعونة السوفيتية كما كان يعتمد عليها في الاقليم المصري، ولئلا يستشتم من ذلك ما يسيء فقد اقتضرت على ما أنجز خلال تسعة أشهر من قيام الوحدة.

عندما انتهيت من القاء كلمتي بدأت التجوال في اقسام المعرض فالتفت حولي اعداد كبيرة من المواطنين يهتفون ويهزجون باندفاع وحماسة مما أدى الى انزعاج كمال الدين حسين الذي التفت الى عبد الحميد السراج قائلاً له: ايه ده يا عبد الحميد؟ فاجابه السراج بارتباك شديد انه لا علم له بهذه المظاهرة وانها طبيعية وعفوية، ولكن قول السراج لم يهدىء من غضب كمال الدين حسين ولم يتمكن من الخروج من المعرض الا بشق الانفس، أما كمال الدين حسين فقد خرج دون أن يكثرث به أحد وفي اليوم التالي قلت له: ما بالك منزعجا البارحة من المظاهرة الشعبية؟ ان هذه المظاهرة ليست الا تعبيراً عن وحدة القطرين ولو عرفتك لاحتفت بك أيضاً. اما الباقوري وزير الاوقاف في الاقليمين والذي كان يقوم بجولة في سورية، فقد عقد مؤتمراً صحافياً في مدينة حمص أعلن فيه انه سيزور منطقة العلويين وعدداً من "علمائها" ليضع حداً لعزلتها الروحية، كما تحدث عن محاولة الاستعمار الفرنسي في جبل العلويين وجبل الدروز لاثارة الفتن والاحقاد الطائفية، وقد استغلت الأجهزة الخفية زيارة الباقوري لمنطقة العلويين اسوأ استغلال، فأذاعت ان مصر جادة في قلب العلويين الى المذهب السني، وبدأت أجهزة الاعلام الاسرائيلية تستغل ذلك بما يخدم مخططها الوارد في كتاب خنجر اسرائيل، فأقامت ضجة مفتعلة حول هذا الموضوع.

لقد تألمت كثيراً من تصريح الباقوري وزيارته المنطقة دون استشارتي ثم نشرت مجلة الأزهر بعد ذلك مقالا حول هذا الموضوع فتولت الأجهزة العدو نشره واذاعته ولا سيما في أوساط المهاجرين العلويين في الامريكيتين.

□

في هذه الفترة نشرت صحف الجمهورية بعناوين بارزة، وانطلقت اذاعتها بصوت مرتفع مثير تنشر وتذيع تصريح الرئيس ايزنهاور في مؤتمره الصحافي الاسبوعي بتاريخ 58/8/16 الذي جاء رداً على اقتراح خروشوف الداعي لعقد مؤتمر لعدد من رؤساء الدول الكبرى بمناسبة اجتماع الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة لبحث قضية



الانزال العسكري الاميركي في لبنان، وقد تهرب ايزنهاور من دعوة خروشوف، ولكنه ادعى انه يؤيد القومية العربية ولا يعارض في تشكيل دولة عربية كبرى، وان اميركا مستعدة للاشتراك مع الاتحاد السوفيتي في تحقيق امانى العرب بالوحدة ورفع مستوى المعيشة عن طريق برنامج تقره الامم المتحدة، وقال بأنه مستعد للاشتراك مع الاتحاد السوفيتي في حماية الحدود بالشرق الاوسط.

في هذا الجو من الصداقة الحميمة والعواطف المتبادلة بين ايزنهاور والجمهورية العربية المتحدة انتهت المشكلة اللبنانية كما خطت لها الولايات المتحدة<sup>(1)</sup> وعبد الناصر مثلما اشار الى ذلك مصدر مصري مسؤول في بيان اذاعته القاهرة (الصحف الصادرة في 7/31 وفي 8/1 من عام 1958) فانتخب اللواء فؤاد شهاب رئيسا للجمهورية، ودعا في اول بيان له الى الوحدة الوطنية على اساس الميثاق الوطني لعام 1943، والى جلاء القوات الاجنبية من الاراضي اللبنانية، وقد رفعت صور اللواء شهاب والرئيس ناصر جنبا الى جنب في معظم البيوت والشوارع الاسلامية في لبنان.

اما المصلحة المشتركة التي التقى عندها ناصر بالولايات المتحدة في اختيار اللواء شهاب لرئاسة الدولة اللبنانية، فهي ان عبد الناصر كان يعتبر ان اي حكم ديموقراطي هو حكم نقيض لنظامه،

(1) يشير الزعيم الماروني ريمون اده الى الكيفية التي علم بموجبها خبر تأييد الولايات المتحدة وعبد الناصر لانتخاب فؤاد شهاب رئيسا لجمهورية لبنان بما يلي:

"انه كان عاندا ذات يوم الى بيروت عام 1958 مع السفير الاميركي من زيارة دعاه اليها في معقله الانتخابي في بلدة جبيل، وفي الطريق ظهرت سيارة مسرعة آتية من الاتجاه المعاكس واشارت لسيارتهما بالتوقف لينزل منها دبلوماسي مسلما على السفير ويسلمه ورقة قرأها هذا الاخير ثم التفت الى اده قائلا:

يا عميد ستكون انت اول سياسي لبناني يطلع على اسم الرئيس الجديد للجمهورية، فقد وردتني الان على عجل برقية من السفارة الاميركية في القاهرة تفيد ان عبد الناصر وافق على تعيين، (ويقول اده ان الكلمة التي استخدمها السفير هي nominated بالانكليزية وتفيد التعيين اكثر من الانتخاب) فؤاد شهاب رئيسا للجمهورية، ويضيف اده: قلت له، وانا يا سعادة السفير سأبلغك قرارا اتخذته الان، وهو انني سأرشح نفسي لرئاسة الجمهورية ... فالتفت نحوي السفير قائلا:

لماذا لم تقل لنا انك تريد ان ترشح نفسك؟ كنا ساعدناك. فأجاب العميد: لم اكن ارغب، اما الان فاني ارشح نفسي لكي احافظ على الشكل الديموقراطي، فلا يقال ان الرئيس الجديد جاء تحت حزمة الاجانب" (اليوم السابع العدد 222 تاريخ 88/8/88).

بل هو عدو له، فكانت موافقته على اختيار اللواء فؤاد شهاب الرجل العسكري منسجمة مع مصلحته.

لم يكن عبد الناصر يطمح لتحقيق الاتحاد مع لبنان، والسبب انه يعلم ان مثل هذا الاتحاد يثير له متاعب لا يمكن تجاوزها، فقد اقنعت الاجهزة الاستعمارية الرأي العام المسيحي بأن كميل شمعون يدافع عن استقلال لبنان المسيحي ضد الغول الاسلامي الذي يحاول ابتلاعه، وكثيرا ما سئلت من قبل السياسيين ورجال الفكر في لبنان بعد لجوئي اليه عام 1968 عن حقيقه محاولات عبد الناصر في ابتلاع لبنان بعد قيام الوحدة مع سورية، ولما كنت اشرح لهم زيف هذه الاشاعات كان يعترهم الدهشة والاستغراب.

لقد حقق عهد اللواء شهاب المعادلة التي جمعت بين المصالح الاميركية والناصرية معا، فقد شجع هذا العهد الحركة الناصرية في الشارع الاسلامي، وحكم اللواء فؤاد شهاب لبنان بواسطة المكتب الثاني (المخابرات) مما حقق نوعا من الانسجام مع الطريقة التي بدأ عبد الناصر يتبعها في حكم سورية، ولم يستطع عهد شهاب ان يحل واحدة من المشاكل السياسية والاجتماعية المستعصية التي يعاني منها المجتمع اللبناني، بل خلف وراءه أثارا سلبية من نوع جديد.

وعندما سافرت الى القاهرة في منتصف شهر ايلول 1958 التقيت هنالك بالسيد روني (2) معوض والسيد كمال جنبلاط وبوفد بيروت يترئسه السيد ابراهيم قليلات، وقبل ان ارى الرئيس عبد الناصر استشارني اعضاء الوفد بأمر المصالحة مع الكتائب وحلفائهم، فأشرت عليهم بالمصالحة، وقلت لهم ان استمرار القتال لا يخدم الا اسرائيل التي تعمل على الفرقة الطائفية، وعندما سئلت هل هذا رأي عبد الناصر - قلت لهم انني لم ار بعد عبد الناصر، ولكنني اظن انه سينصحكم بذلك بعد ان تولى اللواء شهاب رئاسة الجمهورية.

(2) اول رئيس جمهورية لبناني بعد انتهاء الحرب الاهلية واتفاق الطائف وقد انفجرت سيارة ملغومة اودت به بعد ايام قليلة من توليه رئاسة الجمهورية.

عدت الى دمشق على طائرة كان معي فيها السيد رونه معوض وكامل الجاردي، وكان شمعون والجميل ما يزالان مستمرين في اثاره الفتنة الطائفية بالرغم من استلام اللواء فؤاد شهاب رئاسة الجمهورية، بينما كانت يد اسرائيل ظاهرة للعيان في اثاره هذا الاقتتال الطائفي، فأكدت من جديد على رأيي خلال الحديث مع السيد معوض على وجوب ان يسعى الجانب الوطني جاهدا لوضع حد للاقتتال الذي حولته المخابرات الاسرائيلية والاميركية الى حرب طائفية قذرة، وللقبول بالصلح الذي تعرضه الكتائب على اساس لا غالب ولا مغلوب.

وفي تلك الفترة نشرت الصحف خيرا عن تأمر الجميل وشمعون على قتل معروف سعد (النصر 58/10/13) تحت عنوان "اعترافات المكلف باغتيال النائب معروف سعد يكشف عن قضايا خطيرة"

لقد اخفق اغتيال معروف سعد عام 1958 ولكنه لم يخفق عام 1975، وكان ذلك الشرارة الاولى والاشارة التي اطلقها الطائفيون في لبنان للبدء بالحرب الاهلية المدمرة.

ولكن ما هو سبب هذا الاصرار على قتل معروف سعد الذي لم يعرف عنه ابدا انه انسان طائفي، وانما هو رجل وطني تقدمي، تبنى دائما قضايا الفقراء والمستضعفين؟

ان سبب اغتياله لا يمت ابدا للحقد الطائفي او الشخصي بصلة، وانما هو حقد اسرائيلي لاشترك سعد في محاربة اسرائيل عام 1948، وان زعامته الشعبية في مدينة صيدا الواقعة في منطقة خطرة قرب الحدود مع اسرائيل هي سر اختيار رأس معروف سعد لاشعال الثورة المضادة عام 1975.

لقد كان المطلوب عام 1958 هو رأس معروف سعد، فلما لم تنجح المؤامرة استبدلوها باغتيال الصحفي نسيب المتني.

كان الوقت على متن الطائرة يسمح باجراء حوار آخر مع السيد كامل الجاردي حول موضوع اتحاد العراق مع الجمهورية العربية المتحدة، فكان رايه بهذا الموضوع واضحا وقال انه عرضه على عبد الناصر اثناء مقابلته له.

كان الجاردي غير مقتنع بإمكانية تحقيق الوحدة، ولكنه يرى إمكانية تحقيق اتحاد فدرالي مع الجمهورية العربية المتحدة، على أساس نظام ديمقراطي في العراق يضمن الحريات العامة للشعب العراقي ولا سيما الوحدة الوطنية في العراق عموماً وخصوصاً بين العرب والاكرد، وكان يرى ضرورة منح الاكرد حقوقهم القومية في اطار وحدة التراب العراقي.

بعد وصولي الى دمشق توجهت الى الجاردي بكل ما استطعت من عناية فأقمت على شرفه حفلة كبرى في القصر الجمهوري وكان قصدي من ذلك تمثيل الاواصر العربية لاحباط ما يبيت للقوى العربية التقدمية الديمقراطية من فرقة وتمزيق وتشتيت وقد صرح كامل الجاردي قبل ان يغادر دمشق بما يلي:

"ان بقاء العراق في هذه الحال (يعني معزولا) امر غير جائز وغير ممكن ويجب ان يرتبط بشقيقاته العربيات ولا سيما الجمهورية العربية المتحدة، وان نوع هذا الارتباط متروك للشعب العراقي ولكن من الانسب الان ان يكون هذا الارتباط بشكل اتحاد فدرالي" "ان العهد البائد عزل العراق عن الامة العربية عزلاً تاماً ويجب ان ينتهي هذا الوضع" (النصر 1958/9/19)

□

كان الهدف من استدعائي الى القاهرة هو التشاور مع عبد الناصر فيما اعتزمه من تأليف حكومة مركزية في القاهرة وحكومتين اقليميتين تنفيذيتين في كل من سورية ومصر، ولكن خلال اجتماعي الاول به كان يبدو ان موضوع الثورة في العراق كان شاغله الاول، فقد بدأ الخلاف يستفحل بين قاسم وعارف ويعكس اثره على الشعب وينذر بتصعد الوحدة الوطنية، وبدأت المحاولات الخارجية تطل بوجهها الكالح وراء هذه الخلافات المصطنعة، وكان قاسم قد اعفى بتاريخ 58/9/11 عبد السلام عارف من منصب القائد العام للقوات المسلحة، وهكذا اتخذ الانقسام الداخلي في العراق شكلاً حاداً وانقسم العراق الى فريقين:

الاول بزعامة عبد الكريم قاسم ويضم الحزب الوطني الديموقراطي والحزب الشيوعي واليساريين عامة وهو اتجاه يعارض الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة واتجاه آخر بزعامة عبد السلام عارف ورشيد عالي الكيلاني يطالب بالوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة ويضم حزب البعث العربي الاشتراكي والقوميين العرب بشكل عام، وقد ظهر ان كفة عبد الكريم قاسم كانت راجحة رجحانا كبيرا في الجيش والشعب عندما القى القبض على عبد السلام عارف ورشيد عالي الكيلاني وعلى عدد من الضباط والسياسيين.

كان رأي عبد الناصر ان اعفاء عبد السلام عارف سيكون تمهيدا لاستلام الشيوعيين الحكم. وكان رأيي ان ذلك لا يمكن ان يحدث الا بحالة موافقة الاتحاد السوفيتي، وهو امر خطير بسبب ما كان لبتروكوف العراق من اهمية في الغرب، وبالنسبة لبريطانية بصورة خاصة التي صرح مسؤولوها في مناسبات عديدة عن استعدادهم للحرب بسبب مصالحهم البترولية في العراق والخليج، وذكرت عبد الناصر بما اظهره القادة السوفييت خلال زيارتنا للاتحاد السوفيتي، من حذر من مد يدهم للعراق، فقال: هذا كلام.

قلت له: على كل حال ارجو ان تعالج الامور في العراق برحابة صدر، ومن الخير عدم استعجال الامور، رغم ان الحزب الشيوعي كان قد اصيب بنوبة جنون، بفعل العملاء بين صفوفه، فقد رفع الاعلام السوفيتية على عدد كبير من المنازل والدوائر الحكومية بشكل يثير الاشمئزاز وينذر بحرب اهلية.

لقد اقترحت في هذا الاجتماع اسمين للوزارة الاقليمية في سورية وهما رياض المالكي وعبد الغني قنوت فوافق عبد الناصر على ترشيح رياض ولكنه تردد بالنسبة لعبد الغني قنوت وقال انني لا اعرفه، وقد وعدته بتقديم الاسماء الاخرى عند عودتي للقاهرة، وكان ترشيحي لعبد الغني قنوت خطأ ارتكبته حيث بلغ عدد الوزراء الحمويين عند تشكيل الحكومة الاقليمية نسبة ملغته للنظر امكن استغلالها سواء من قبل اجهزة المخابرات التي كانت تتصيد مثل هذه الاخطاء، او من قبل صلاح البيطار وميشيل علق.

□

في هذه الفترة زار دمشق السيد محدينوف رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس السوفييت الاعلى، بعد ان امضى في القاهرة ثلاثة ايام في اجتماعات مع عبد الناصر ولم نطلع - طبعا - على ما دار فيها من ابحاث، اما في سورية فقد كانت هنالك رغبة عامة سواء من المجلس التنفيذي او من الشعب في ان يعبر استقبال محدينوف عن حرص شعب الجمهورية العربية المتحدة على توطيد اواصر الصداقة - بعد الوحدة - مع الاتحاد السوفيتي ولاظهار رغبة القطر السوري بذلك.

استقبلت السيد محيي الدينوف مع جميع وزراء سورية في المطار فألقى باللغة العربية الفصحى جوابا على كلمتي الترحيبية، ثم اقامت في فندق بلودان حفلة ترحيبية كبرى على شرفه، والقيت كلمة رحبت فيها بالضيف الصديق واستعرضت مواقف الاتحاد السوفيتي في دعمه وتأييده للقضية العربية، ولا سيما خلال العدوان الثلاثي على مصر، وقد اشاد الضيف بالصداقة العربية السوفيتية وحيا باسم خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي وباسم الشعب السوفيتي مواطني الاقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة، وقد علمت فيما بعد ان استقبال محيي الدينوف بهذا الشكل في دمشق لم يرق للرئيس عبد الناصر، فقد كان حريصا جدا على الا يكون لسورية اي علاقة عربية او دولية الا من خلاله ومن خلال الجهاز المصري.

□

في هذه الفترة ايضا زارني السيد محمد الغسيري ممثل جبهة التحرير الجزائري في دمشق، واخبرني ان الثورة الجزائرية سوف تعلن عن حكومة الجزائر قبل 1958/9/28، وهو الموعد المحدد لاجراء الاستفتاء في الجزائر على الدستور الذي اعلنه ديغول، وقال ان الحكومة الجزائرية التي ستؤلف ستعلن الحرب على فرنسا بصورة رسمية، لتصبح عملية الاستفتاء التي تريد فرنسا اجراءها غير شرعية، اذ ليس معقولا ولا مشروعيا ولا منطقيا ان

يكون لحكومة اجنبية الحق باستفتاء شعب وحكومته الوطنية في حالة حرب معها، وقال ان حكومة الجزائر الوطنية هي حكومة واقعية، فهي تسيطر على الجزء الاكبر من الجزائر وتحكمه وتجيبي الضرائب، وان شعب الجزائر لا يدين لغير حكومته بالولاء وسيعترف بها عدد كبير من الدول فور تشكيلها.

كان يوما سعيدا ذلك اليوم الذي علمت به من الغسيري بأن الثورة الجزائرية ستشكل حكومة وطنية، لانه اليوم الذي تجاوزنا به حدود القلق على مصير الثورة الجزائرية، ولا سيما بعد ان امتد نشاطها الثوري الى فرنسا نفسها بواسطة العمال الجزائريين البواسل.

وفي تاريخ 19-9-58 اعلن في وقت واحد في عدد من العواصم العربية والاجنبية ميلاد الجمهورية الجزائرية وتشكيل اول حكومة وطنية، وقد عقد ممثلو جبهة التحرير مؤتمرات صحافية لاعلان هذا النبأ الذي هز العالم العربي فرحا، وعقد الغسيري مؤتمرا في مقر مديرية الدعاية والانباء في دمشق حضره عدد كبير من رجال الصحافة وممثلي وكالات الانباء اعلن فيه ان حكومة الجزائر ستعلن برنامجها بعد ان يجتمع اعضاؤها في القاهرة، وقال ان الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية اب لغت جبهة التحرير الجزائرية اعترافها الفوري بها، كما اعترفت جميع الدول العربية الاخرى بها، وكذلك اعترفت الصين ودول المعسكر الاشتراكي وبعض دول العالم الثالث فيما بعد، وقد تألفت الحكومة الجزائرية المؤقتة على الشكل التالي:

عباس فرحات رئيسا للوزراء، كريم بلقاسم نائبا للرئيس ووزيرا للقوات المسلحة واحمد بن بلا نائبا للرئيس (معتقل) رابح بيطاط وزيرا للدولة (معتقل) ومحمود بوضياف وزيرا للدولة (معتقل) ومحمد خيضر وزيرا للدولة (معتقل) والدكتور محمد امين دباغين وزيرا للخارجية ومحمود شريف وزيرا للامدادات والتموين والاخضر بن طوبال وزيرا للداخلية وعبد الحفيظ بوالصوف وزيرا للمواصلات وعبد الحميد المهري وزيرا لشؤون شمال افريقيا والدكتور احمد فرنسيس وزيرا للمالية والاقتصاد ومحمد يزيد وزيرا للثقافة كما تضم الحكومة المؤقتة السادة الامين خان وعمر الصديق ومصطفى

استانبولي كتابا للدولة، وستكون هذه الحكومة مسؤولة امام المجلس الوطني للثورة الجزائرية، وان لجنة التنسيق والتنفيذ التي تمثل الثورة الجزائرية هي المرجع الذي اصدر القرار بتشكيل هذه الحكومة طبقا للسلطات المخولة له بمقتضى قرار المجلس الوطني للثورة الصادر بتاريخ 28 آب 1957، وان هذا المجلس يتألف من 54 عضوا يمثلون جميع عناصر الثورة وجميع طوائف الجزائر، وقد ارتفع علم الجزائر لأول مرة مع اعلان تأليف اول حكومة جزائرية في جميع انحاء العالم العربي مبلا بدماء الثوار ودموع فرحة الشعب العربي وتألف كغيره من الاعلام العربية من الالوان التاريخية: الاخضر والابيض يتوسطهما هلال احمر ونجمة حمراء.

وفي اوائل تشرين الاول اعلنت نتائج الاستفتاء على الدستور الديغولي الذي ترك للمستعمرات الفرنسية حرية الانضمام الى فرنسا او الاستقلال عنها، وقد اختار عدد من المستعمرات في أفريقيا الاستقلال، اما الجزائريون فقد اظهرت نتيجة الاستفتاء رغبتهم بالاتحاد مع فرنسا... لم تفاجيء هذه النتيجة احدا في العالم الذي يعرف ان المعمرين الفرنسيين كانوا يقتلون كل من يصوت ضد الاتحاد مع فرنسا فورا، فزوروا هذا الاستفتاء تزويرا مشينا مفضوحا امام العالم.

□

استدعيت مرة اخرى الى القاهرة بتاريخ 1958/9/22 لمتابعة البحث في تشكيل الحكومة المركزية والحكومتين التنفيذيتين، وفيما يتعلق بالحكومة المركزية قلت لعبد الناصر: انت اعلم مني برفاقك المصريين الذين ستختارهم للوزارة المركزية ولكن لا بد ان انقل اليك ما سمعته عن السيد مرعي هنا في القاهرة من انه رجعي وغير مخلص في تطبيق قانون الاصلاح الزراعي.. اما بشأن الوزراء السوريين فلا اعتراض لي على احد منهم، ولكنني ارى ان يعين صلاح البيطار لرئاسة الحكومة التنفيذية في سورية لا وزيراً في الوزارة المركزية، وانني لا اقول ذلك بدافع العلاقة الحزبية السابقة، فهذا امر قد انتهى كما تعلم بحل الحزب، ولكنني لا ارى شخصا اخر بين الوزراء يمكنه اشغال هذا المنصب في الوقت



الحاضر، قال ناصر: يمكنني ان اعين السراج رئيسا للمجلس التنفيذي، قلت له:

ارجو الا تظن انني احمل على السراج اي موجهة، ان علاقة حسنة تجمعني به بعد سقوط عهد الشيشكلي، وربما كان السراج رجل مخبرات جيد، ولكنه لا يصلح لرئاسة الحكومة التنفيذية، قال " اذا لم يكن السراج مناسبا لرئاسة المجلس التنفيذي فاني سأعين نور الدين كحالة، فقلت له: ان نور الدين كحالة هو رجل فني ممتاز وقد كان موضع ثناء الجميع اثناء توليه انشاء مرفأ اللاذقية، ولكنه لا يتمتع بأية كفاءة قيادية او سياسية، قال انني لا ابحت عن الكفاءة السياسية، بل ابحت عن الكفاءة الفنية، وكان يبدو على وجهه الامتعاض والاستغراب عندما اقترحت صلاح البيطار كرئيس للمجلس التنفيذي.

وفي نهاية المقابلة قلت لناصر:

انني موافق في الاساس على تشكيل الحكومة المركزية، ولكنني فكرت طويلا بأمر مخالفة ذلك للدستور المؤقت فقال:  
لا ضرورة للاهتمام بذلك بما اننا سنضع دستورا دائما للجمهورية العربية المتحدة في المستقبل القريب!

□

في اليوم الثاني استدعاني ناصر الى منزله ليلا وقال:

ان عبد الكريم قاسم سيصدر قانون الاصلاح الزراعي بعد ايام ولذلك ارسلت قانون الاصلاح الزراعي الذي اقترحتموه والحتم على اصداره الى الاذاعة هذه الليلة، فقلت له حسنا فعلت. وبصراحة فاني كنت قلقا جدا من تأخر اصداره حتى الان.

وفي اليوم التالي نشرت صحف الجمهورية المتحدة قانون الاصلاح الزراعي بعنوانين بارزة: (3 ملايين سوري يفيدون من قانون الاصلاح الزراعي، تحديد الملكية الزراعية وتوزيع الاراضي على صغار المزارعين. الحد الاعلى للملكية الزراعية 80 هكتارا للاراضي المروية والمشجرة و300 هكتارا للاراضي البعلية. تعويض الذين

تنتزع ممتلكاتهم بموجب سندات على الدولة تستهلك خلال 40 سنة، توزيع الاراضي المنتزعة كملكيات صغيرة على الفلاحين باقساط متساوية تسترد خلال 40 عاما. احدث مؤسسة الاصلاح الزراعي التي تضم مجلسا للادارة ولجنة تنفيذية، تشكيل جمعيات تعاونية زراعية) (النصر 28 ايلول 1958)

وهكذا استل صدور قانون الاصلاح الزراعي عن صدي هما ثقيلًا، وازاح عن عاتقي مسؤولية لا قبل لي باحتمالها تجاه الفلاحين وتجاه رفاقنا من مدنيين وعسكريين، ثم اتبعه ناصر بالغاء قانون العشائر فنشرته الصحف دون ان تذكر الاسباب الموجبة لالغائه جهلا منها او تجاهلا لأهميته فطلب الى الرئيس ناصر ان اتولى شرح الاثار الهامة التي تترتب على الغائه، وقد يكون وراء هذا الطلب تهرب ناصر من مسؤولية صدور هذا القانون ووضعي في مواجهة رجال العشائر الاقوياء في سورية، لانال نصيبي من غضبهم ونقمتهم، ولا سيما ان مواجهاتي السابقة لهم في المجلس النيابي منذ عام 1943 مشهورة ومعروفة، ومع ذلك فاني لم أتأخر وادليت للصحف بحديث طويل هذا ملخصه:

لقد كرس الانتداب الفرنسي الوضع العشائري في سورية بهدف الابقاء على العشائر في حالة من البداوة المطلقة لتكون اداة في يده يحتفظ بها لاثارة الاضطرابات والفتن في الاوقات التي تخدم اغراضه الاستعمارية فبقيت هذه الفئة من مواطنينا في حالة من التخلف المزري الدائم. ان النظام العشائري الذي خلفه الانتداب الفرنسي خلق وضعًا شاذًا من الناحية الحقوقية والسياسية والاجتماعية يمكن تلخيصه فيما يلي:

اولا: كانت العشائر لا تخضع للقوانين المدنية والجزائية التي يسري مفعولها على جميع المواطنين.

ثانيا: كان رؤساء العشائر يتفوقون فيما بينهم على اختيار نوابهم واقتسام مقاعدهم في مجلس النواب دون اشتراك افراد عشائرهم، وهكذا كان لهم قانون انتخابات خاص بهم.

ثالثا: كان رؤساء العشائر يفرضون الاتاوات على افراد عشائرتهم وكانت السلطة تتولى جباية هذه الاتاوات من هؤلاء الافراد البائسين الفقراء.

رابعا: امتلك رؤساء العشائر اقطاعيات واسعة بمساعدة السلطة بينما كان افراد عشائرتهم محرومين من ملكية هذه الاراضي.

خامسا: كانت العشائر لا تخضع لقانون التجنيد العام على الرغم من ان معظم افراد العشائر قد اصبحوا بحكم المتحضرين المستقرين فعلا.

سادسا: كان مسموحا للعشائر ان تملك اي نوع من انواع السلاح دون ترخيص وهو وضع يمكن ان تنجم عنه جرائم وفتن وغزوات. ثم تحدثت عن الاثار البعيدة المدى التي سوف تنشأ عن الغاء قانون العشائر فلخصتها كما يلي:

اولا: تحرر افراد العشائر من سلطة امرائهم وشيوخهم ليصبحوا مواطنين احراراً.

ثانيا: اصبح من حق افراد العشائر الفقراء الرؤساء حق تملك اراضي املاك الدولة وغيرها الذين هم احق من رؤسائهم بتملكها واستغلالها.

ثالثا: تخلص افراد العشائر من جميع المظالم التي كان يفرضها رؤساؤهم عليهم بواسطة الحكومة... وقلت:

"عندما تم جلاء الفرنسيين عام 1945 كان هناك شعار حملته الفئة التقدمية في مجلس النواب يقضي بالغاء قرارات الانتداب الفرنسي واخضاع العشائر للقوانين المدنية العامة التي تسري احكامها على جميع المواطنين وقد وقعت معارك بينا وبين رؤساء العشائر تحت قبة المجلس ولا بد لي ان اشير هنا الى ان رؤساء العشائر اشهبوا بوجهي مسدساتهم داخل المجلس عام 1945 عندما وقفت مطالباً بانهاء عهد القوانين التي خلفها الانتداب الفرنسي بهذا الخصوص" وقلت ايضا:

"لم تتمكن المجالس النيابية المتعاقبة في سورية من الغاء الوضع العشائري الشاذ لان كتلة رؤساء العشائر كان يساندها ويدعمها نواب الطبقة الرجعية والاقطاعية، وقد شكل هؤلاء ركائز للمؤامرات الاستعمارية بعد الجلاء... وفي عام 1954 توصل المجلس النيابي الى اصدار قانون تنظيم الوضع العشائري، وبالرغم ان هذا القانون كان رجعيا في مظهره وجوهره فان القوى الرجعية قد حالت دون تنفيذه (النصر 2-10-58).

كان الرئيس ناصر قد وعدني سابقا بالغاء رخصة التنقيب عن النفط الممنوحة لشركة منهل ولكنه اظهر امتناعه عن الغاء رخصة كونكورديا، ومع ذلك فقد تمهل في اصدار قرار الغاء رخصة منهل، ولكنه وافق على هذا الالغاء مع بقية القوانين التي امتنع عن اصدارها في السابق، وهكذا اصدر وزير الاقتصاد والتجارة خليل الكلاس بالاستناد الى قرار عبد الناصر قرارا بالغاء ترخيص شركة منهل للتنقيب عن النفط، وقرارا بتوقيف شركة النفط السورية العربية عن العمل والتابعة لشركة منهل وتجميد الاموال المودعة باسمها وباسم شركة منهل في المصارف اعتبارا من تاريخ 5/10/58 كما اصدر عبد الناصر - دون اطلاقنا - قانونا موحدا بشأن حالة الطوارئ في الجمهورية العربية المتحدة ليشمل هذا القانون الاقليم السوري وليتيح لعبد الحميد السراج قمع اي معارضة في هذا الاقليم.

صدرت جميع هذه القوانين كما ذكرت تباعا خلال الايام العشرة التي كنا منهمكين فيها مع الرئيس عبد الناصر بتشكيل الحكومة التنفيذية للاقليم السوري، وقد استدعى الرئيس ناصر الى القاهرة صبري العسلي واحمد عبد الكريم وامين النفوري وعبد الحميد السراج وصلاح الدين البيطار ليخرج ما اعده من ترتيبات بشأن التشكيلات الادارية الجديدة، واجتمع على انفراد بكل من احمد عبد الكريم وامين النفوري واحمد حنيدي وطعمة العودة الله، ويذكر احمد عبد الكريم في كتابه اضواء على تجربة الوحدة (ص 173-182) محاولات الدس والوقية التي جرت في هذه الفترة بينه وبين رفاقه من العسكريين.

□

كانت - على ما اذكر - قائمة اسماء الوزراء الذين اقترحهم صلاح البيطار للحكومة التنفيذية في سورية تتضمن: عبد الكريم زهور، جمال الاتاسي، عبد الله عبد الدايم، منصور الاطرش، وعندما سألني ناصر عن رأبي بهذه الاسماء اجبته على الفور انني اعرف هؤلاء جميعا معرفة جيدة ثم زكيتهم جميعا.

فصمت قليلا ثم قال ان عدد المرشحين للوزارة اصبح كبيرا لان عبد الحميد السراج يحمل ايضا اسماء بعض المرشحين، ثم اقترح ان اجتمع مع صلاح الدين البيطار وعبد الحميد السراج والمشير عامر للاتفاق على اسماء الوزراء.

فعقدنا اجتماعا في وزارة الدفاع عرض فيه صلاح البيطار الاسماء التي يحملها، كما عرض عبد الحميد السراج اسماء اخرى فلم ابد اعتراضا على احد منهم ولكن النقاش دار بين عبد الحميد السراج والمشير عامر من جهة وبين صلاح البيطار من جهة اخرى وقد اعترضنا على ترشيح منصور الاطرش "الاقطاعي العشائري" حسب تعبيرهما واستغربا ترشيحه من قبل صلاح البيطار ولما عجزوا عن الاتفاق على اسماء الوزراء تركوا امر اختيارهم للرئيس عبد الناصر.

□

كان صبري العسلي ينزل بجوار غرفتي في فندق شبرد، وكنا نجتمع احيانا في غرفته مع فاخر الكيالي وبعض الاخوان الاخرين، وكان يبدو عليه بعد مقابلته للرئيس عبد الناصر انه كان ممتنا ومرتاحا للمقابلة، وكان خلال ذلك، وبأسلوبه الطريف يعرض بشكري القوتلي ويروي لنا بعض الوقائع التي اطلع عليها بحكم عشرته الطويلة معه.

وقد ظهر لي ان السبب في ارتياح العسلي اثر اجتماعاته بناصر هو السماح له بنشر البيان الذي اصدره فور عودته من القاهرة، واعلن فيه انه طلب من الرئيس ناصر اعفاءه من منصبه ووضع نفسه تحت تصرف لجنة التحقيق في الوثائق التي تليت في محاكمات بغداد وروى السيد العسلي في بيانه الوقائع المتعلقة

بتطور فكرة الاتحاد مع العراق ودوره فيها، قائلا "انه عمل بهذا الاتحاد في وضح النهار وبقرارات مراجعه الحزبية وباطلاع رئيس الجمهورية هاشم الاتاسي" (النصر 8-10-58) ثم نشرت الصحف القاهرية ان لجنة تحقيق قد شكلت للنظر في الوثائق التي تليت في محاكمات بغداد، والحقيقة ان الرئيس ناصر لم يشكل هذه اللجنة التي اعلن عن تشكيلها، بل كان ذلك الاعلان وسيلة تهدئة للرأي العام في سورية الذي كان مندهشا من موقف الرئيس تجاه ما تفضحه هذه الوثائق من مؤامرات على سورية دون ان يحرك الدعاوى بحق المتأمرين، بينما كانت بغداد تحاكم رعاياها من العراقيين بهذه التهمة.

كان السماح للعسلي باصدار بيان تضمن طلب اعفائه - بدلا من اقالته - بعدما كشفته وثائق حلف بغداد - ترضية كافية له، وقد ظهر ان الثمن الذي قبضه ناصر من اخراج اقالة صبري العسلي على هذا الشكل هو ولاء العسلي وطبقته، ثم اتهم العسلي معظم المسؤولين السوريين وتلويث سمعتهم الوطنية بالعمل للاتحاد مع عراق نوري السعيد وعبد الاله وعلى الخصوص حزب البعث في عام 1949-1950 الذي نادى بالاتحاد مع العراق بالرغم من قيود المعاهدة البريطانية العراقية الاستعمارية.

ان بيان العسلي يكاد يكون استعراضا تاريخيا صحيحا وواضحا للدوار التي مرت بها فكرة الاتحاد بين القطرين ابان فترة الانتداب البريطاني والفرنسي عليهما، ولقد رأيت من المصلحة ايراد هذا المقطع ليعيش القارىء المراحل التي مرت بها فكرة الاتحاد في ضمير القادة والسياسيين من الرعيل الاول الذين اشتركوا في قيادة تلك الحقبة وهي حقبة الانتداب على سورية والعراق، ويقول العسلي في بيانه:

**"ومن الراجح ان اول بحث جدي جرى حول الاتحاد كان بين المغفور له فيصل الاول ورجال الكتلة الوطنية عام 1930، ولم ينته البحث الى اية نتيجة بالنظر للظروف السياسية**

التي كانت قائمة واهمها الانتداب الفرنسي على سورية  
(1)

كانت اول معاهدة عقدت بين قطرين عربيين هي معاهدة حسن الجوار بين سورية والعراق عام 1937 وكان قطب الرحى في السياسة الوطنية يومئذ ان تحصل سورية من فرنسا على معاهدة كمعاهدة العراق نضا وروحاً... ولما وقعت ثورة العراق عام 1941 اتصل بي المغفور له الشهيد يونس السباعوي هاتفياً من بغداد الى دمشق وهو يصيح بأعلى صوته: ابو شجاع (لقب صبري العسلي) ماكو حدود بيننا وبينكم وكان الاخ نبيه العظمة حاضراً يومئذ.

وفي عام 1946 قدمت حكومة العراق الى حكومة المغفور له سعد الله الجابري - وكنت وزيراً للداخلية فيها - مشاريع اتفاقات بين القطرين توحد المواصلات والجمارك والامور الاقتصادية والتجارية والري (ويقصد العسلي اقتسام مياه الفرات) وكان المرحوم سعد الله الجابري موافقاً عليها"

والحقيقة ان هذه الاتفاقات لم تقترن بأي نتيجة لان القوتلي والجابري كانا معارضين لها، لا كما قال صبري العسلي في بيانه.

□

بينما كان صبري العسلي يصدر بيانه في دمشق اعلن الرئيس عبد الناصر تشكيلات الحكم الجديد في اقليمي الجمهورية بتاريخ 58/10/7 وذلك ضمن خمسة قرارات:

القرار الاول: اعلن فيه اسماء وزراء الحكومة المركزية وهم:

عبد اللطيف البغدادي: نائباً لرئيس الجمهورية ووزيراً للتخطيط

المشير عبد الحكيم عامر: نائباً لرئيس الجمهورية ووزيراً للدفاع

(1) لم يكن الانتداب الفرنسي وحده حائلاً دون العمل على تحقيق الاتحاد، بل كان هناك سبب آخر وهو الانقسام في الرأي بين قادة الكتلة الوطنية حول هذا الموضوع حيث كان هؤلاء منقسمين في ولائهم بين السعوديين والهاشميين، فكان القوتلي وحزب الاستقلال في الكتلة الوطنية من انصار السعودية، وكان الشهبندر وحزب الشعب ومنهم حسن الحكيم وسعيد حيدر وهاشم الاناسي وعصبة العمل القومي من انصار الهاشميين.

اكرم الحوراني: نائبا لرئيس الجمهورية ووزيرا للعدل  
زكريا محيي الدين: وزيرا للداخلية  
حسين الشافعي: وزيرا للشؤون الاجتماعية والعمل  
كمال الدين حسين: وزيرا للتربية والتعليم  
محمود فوزي: وزيرا للخارجية  
حسن جبارة: وزيرا للخزانة  
عبد المنعم القيسوني: وزيرا للاقتصاد  
احمد عبده الشرباصي: وزيرا للاشغال العامة  
احمد حسن الباقوري: وزيرا للاوقاف  
فاخر كيالي: وزيرا للدولة  
صلاح البيطار: وزيرا للثقافة والارشاد القومي  
امين النفوري: وزيرا للمواصلات  
بشير العظمة: وزيرا للصحة  
احمد عبد الكريم: للشؤون البلدية والقروية  
عزيز صدقي: وزيرا للصناعة  
كمال رمزي ستينو: وزيرا للتموين  
سيد مرعي: وزيرا للزراعة والاصلاح الزراعي.  
كمال رفعت: وزيرا للدولة

القرار الثاني اعلن فيه تشكيل المجلس التنفيذي للاقليم المصري من السيد نور الدين طراف رئيسا للمجلس التنفيذي. احمد حسني وزيرا للعدل، حسن عباس زكي للاقتصاد، محمد ابو نصير وزيرا للشؤون البلدية والقروية، مصطفى خليل للمواصلات، فتحي رزق الله للصناعة، ثروت عكاشة للثقافة والارشاد القومي، توفيق عبد الفتاح للشؤون الاجتماعية والعمل، عباس رضوان للداخلية، احمد المحروقي للزراعة، حسن البغدادي للاصلاح الزراعي، موسى



عرفة للاشغال العامة، محمد نصار للصحة، حسن صلاح الدين للخزانة، احمد نجيب هاشم للتربية والتعليم.

القرار الثالث: يتشكل المجلس التنفيذي للاقليم السوري من السيد نور الدين كحالة رئيسا للمجلس التنفيذي ووزيرا للاشغال العامة والتخطيط بالنيابة، عبد الوهاب حومد للخزانة، خليل الكلاس للاقتصاد، عبد الحميد السراج للداخلية، مصطفى حمدون للاصلاح الزراعي، نهاد القاسم للعدل، احمد الحاج يونس للزراعة، طعمة العوض الله للشؤون البلدية والقروية، عبد الغني قنوت للشؤون الاجتماعية والعمل، رياض المالكي للثقافة والارشاد القومي، امجد الطرابلسي للتربية والتعليم، محمد العالم للمواصلات، شوكة القنواتي للصحة، وجيه السمان للصناعة.

القرار الرابع: يعين حسين ذو الفقار صبري نائبا لوزير الخارجية والسيد فريد زين الدين نائبا لوزير الخارجية...

اما القرار الخامس: فقد اعتبر رئيس المجلس التنفيذي في كل من الاقليمين وزيرا للدولة في حكومة الجمهورية العربية المتحدة.

□

**لم يخطر ببالي ابدأ، وحتى عام 1963، ان ابعادي عن سورية من قبل جمال عبد الناصر اواخر عام 1958 بحجة الوزارة المركزية كان بتشجيع من ميشيل عفلق وصلاح البيطار بعد ثلاثة اشهر من قيام الوحدة بزعم انني اذا بقيت في سورية فانني سأصبح حاكمها المطلق.**

**لم يخطر ببالي ابدأ ان يكون موضوع ابعادي عن سورية قد جرى بحثه بين صلاح البيطار وبين المشير عبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادي قبل اعلان الوحدة وقبل حل الحزب أي في بداية عام 1958، ولقد تكشف لي هذا الموضوع بعد نشر مباحثات الوحدة الثلاثية التي جرت عام 1963 بعد انقلاب الثامن من اذار بين عبد الناصر ووفدي حزب البعث، وقد نشرت دار الهلال الحكومية هذه المباحثات بأمر من**

عبد الناصر ولم يجر اي تصحيح لها سواء من علق او  
البيطار (2) وورد في هذه المباحثات ما يلي:

"السيد ميشيل علق: يعني... لو سمحتوا بتذكر سيادة  
الرئيس البحث الذي صارت من اجله الحكومة المركزية  
قابلناكم وقتها، يمكن قبل ثورة العراق بشهر.

الرئيس جمال عبد الناصر: يمكن انا قابلتك قبل سفري الى  
روسيا (هذا السفر كان اوائل شهر نيسان 1958 اي بعد  
شهرين من قيام الوحدة).

السيد ميشيل علق: وصارحناكم بأن اكرم الحوراني ...  
يعني اقليمي لو يثبت في سورية بصير حاكم فيها، وبهذا  
الشكل ما راح تقوم وحدة، لذلك كان اقتراحنا هو: الحكومة  
المركزية لانهم يحبوا كلهم للقاهرة وبصير التفاعل بين  
القادة هنالك.

مع الاسف ان الحكومة المركزية اعطيت لذات الفريق  
اللي هو.. يعني اقليمي ودون مستوى الوحدة، ودون  
فهمها، ودون التجارب التي تتطلبها الوحدة.. ارتبطوا  
بالوحدة لمصالح كثير رخيصة... دعمتهم اكثر من قبل. الى  
ان يقول:

النوعية هذه السلطة كلهم يعني في سورية خاصة... كان  
منهم خمسة (3) وزراء. طبعاً استطاعوا هم ان يخربوا" (ص  
56)

ان الذي اود ان اقله تعقياً على هذا الكلام هو ما يلي:

1- انني لم انظر يوماً الى البعثيين بعد اندماج الحزبين  
على انهم فريقان، لقد اندمج الحزبان في جو نضالي  
رائع خلال سنوات عدة، وكان من نتيجة هذا الاندماج  
الموقف الشجاع الذي وقفته سورية في النصف

(2) اذيعت هذه المباحثات ايضاً من اذاعة القاهرة.

(3) كان منهم : أي من أصل عربي اشتراكي.

الثاني من الخمسينات في مختلف المجالات القومية والسياسية والاجتماعية والذي توج اخيرا بوحدة القطرين سورية ومصر.

2- ان الحديث عن الوحدة والاختباء وراءها وتبرير كل سلوك انتهزي بها هو مع الاسف المدرسة التي اسسها ميشيل علق وصلاح البيطار وتلمذ عليها كثيرون حتى اصبح هذا الشعار يثير الشكوك لدى الرأي العام اكثر مما يثير الحماسة، وانني اتساءل:

هل العمل لاجل الوحدة صفحات انشائية وسطور منمقة ام مواقف عملية نضالية توضع فيها الارواح على الأكف؟

اما صلاح البيطار فقد كان سابقا لمشيل علق بطلب ابعادي عن سورية وذلك قبل قيام الوحدة بأيام، ولعل ذلك عندما ذهب الى مصر، ففي الصفحة (56) من مباحثات الوحدة الثلاثية، وفي معرض الحديث عن تشكيل اول وزارة في عهد الوحدة ورد ما يلي:

"السيد البيطار: بس سيادة الرئيس... انت هاديك الليلة بتذكر

الرئيس عبد الناصر: فاكر كل التفاصيل.

السيد البيطار: وانت عارف انا جيت لسيادة المشير، بتذكر سيادة المشير لما جينا؟ (والسؤال هنا هل كان وحده ام كان معه ميشيل علق؟)

وبعدين قبل قيام الوحدة بأيام، كمان صار بحث في موضوع اكرم، لانه في الحقيقة اكرم

المشير عامر: معايا انا؟ هل كان البحث معايا انا؟

السيد البيطار: قبل كان في مشروع ان يكون هو رئيس المجلس التنفيذي، وبعدين، بعد الاتفاق بتذكر؟

**السيد البغدادي: ثاني يوم وافقنا، وبعدين لقيتوا الحل ان يكون رئيس مجلس تنفيذي.**

الرئيس جمال عبد الناصر: هو ان الكلام يللي حصل معايا على اكرم كان فيه نوع من التلميح اكثر من التصريح، لكن ما وصل الامر الى ان نقعد نتكلم بصراحة واضحة في هذا الموضوع... يمكن طبعا الحياء بيغلب في عملية زي دي، واحد بيتكلم في موضوع وخصوصا واحد محسوب عليك، والعملية ما وصلت الى حد التصريح الا اخيرا في سنة 1959، المهم النهارده بعد خمس سنين وبعد الانفصال بقى كل واحد معاه هوية.

**الفريق لؤي الاناسي: هو الانفصال بين الاسود من الاحمر. السيد ميشيل عفلق هادا فضل الانفصال.**

□

لقد اخبرني مصطفى حمدون ان عبد الناصر خلال مشاورات تأليف الحكومة المركزية والوزارات التنفيذية قال له مستغربا ومتعجبا: ان اكرم يصر على ان يكون صلاح البيطار رئيسا للمجلس التنفيذي، بينما يحاول صلاح البيطار ان يقنعني باقضائه عن مراكز المسؤولية في سورية لان مطامعه بالحكم تجعل بقاءه خطرا على الوحدة.

لم اهتم بما قاله عبد الناصر آنذاك واعتبرته من قبيل الايقاع والتفرقة، ولكن الذي تكشف بعد نشر مباحثات الوحدة الثلاثية ان عبد الناصر كان صادقا، والحقيقة ان عبد الناصر لم يكن يحترم ميشيل عفلق وصلاح البيطار بل كان يكرههما ويستثقل ظلهما ويشك بأمرهما من قبل قيام الوحدة.

□

**الاجتماع الاول للوزارات المركزية والتنفيذية في قصر القبة**

علينا ان نشير قبل ان نذكر ما دار في الاجتماع الاول للوزارة المركزية والوزارتين التنفيذيتين برئاسة عبد الناصر بتاريخ 9-8-58 الى حدث هام جرى قبل ذلك في العراق، حيث اصدر مجلس

السيادة بناء على اقتراح رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم قرارا يقضي اولا باعفاء العقيد الركن عبد السلام عارف من منصب نائب رئيس الوزراء ووكيل وزير الداخلية، وتعيينه سفيرا للجمهورية العراقية لدى المانيا الاتحادية، ثانيا اعفاء جابر العمر من منصب وزير التربية، ثالثا: اعفاء فؤاد الركابي من منصب وزير الاعمار وتعيينه وزيرا للدولة.

□

بعد هذه الاشارة يمكننا ان نعود لوقائع هذا الاجتماع الوزاري الضخم الذي ضم حوالي 50 وزيرا اقساموا اليمين الدستورية امام جمال عبد الناصر.

تناول ناصر في كلمته التي افتتح بها هذا الاجتماع شأين هامين الاول تنظيمي والثاني سياسي:

الشأن التنظيمي: شرح جمال عبد الناصر الاسباب التي دعت لهذا التشكيل الوزاري الجديد، وقال بأنه يسد كل الثغرات التنظيمية التي ظهرت خلال تطبيق الوحدة بين الاقليمين خلال السبعة اشهر المنصرمة.

وقال بأن الوزارة المركزية ستتولى بقيادته السلطة التنفيذية والتشريعية العليا في الجمهورية العربية المتحدة، وانها مسؤولة امامه عن تخطيط وتنفيذ السياسة العامة بواسطة الوزارات التنفيذية، وقال بأن مهمة رئيسي المجلسين التنفيذيين تقتصر على تأمين الاتصال بين الوزارات وبين الرئاسة، ولما سئل عن توضيح هذه الناحية وتحديدها قال:

انه يحق للوزراء التنفيذيين والمركزيين الاتصال به مباشرة ليرفعوا اليه ما يقترحون من مشاريع وقرارات وقوانين، دون ان تعرض على الوزارة المركزية او المجالس التنفيذية، بداعي ان جميع الوزراء من تنفيذيين ومركزيين هم مسؤولون امامه. وهكذا فهم جميع الوزراء الحاضرين ان هذا التنظيم هو الغاء فعلي لصلاحيات الوزارة المركزية والمجلسين التنفيذيين الجماعية ومسؤولية رئيسي المجلسين التنفيذيين، وقد خرج بهذا التفسير الوزراء التنفيذيون

واصبحوا يشعرون بأنهم مستقلون بشؤون وزاراتهم تماما، بينما امتعض الوزراء المركزيون الذين شعروا بأنهم جردوا باسم الوزارة المركزية من اية صلاحيات او مسؤولية سوى مسؤولية حضورهم الاجتماع الذي يدعو اليه الرئيس عندما يرغب بذلك.

هكذا بذر جمال عبد الناصر باسم هذه التركيبة الجديدة التي سماها تنظيما بذور الخلافات والمشاحنات بين الوزراء المركزيين والتنفيذيين، وخلق بينهم نزاعا على صلاحيات لا وجود لها فعليا بين ايديهم الا بمقدار رضى الرئيس عن احدهم بالتقرب والزلفى.

كان من المفروض ان يناقش الوزراء اسلوب العمل وتحديد الصلاحيات والمسؤوليات لهذه الوزارات المتعددة، ولكن الرئيس افهم الحاضرين بأن الطريقة التي قررهما للعمل لا سبيل لمناقشتها.

لقد تعمد الرئيس ناصر الا يضع نظاما محددًا لهذا العدد الضخم من الوزراء لتكون تصرفاته حرة من كل قيد، لانه يرفض اية مشاركة له في سلطاته سواء كانت جماعية او فردية، فهو ينطلق بالتعامل مع الوزراء من ارتباطهم به شخصيا واستعدادهم الشخصي للاستسلام لارادته، وتنفيذ مشيئته دون اي عائق من دستور او قانون او نظام.

هكذا اصبح تعدد الوزارات المركزية والتنفيذية، وبسبب الارتباط المباشر بالرئيس عبد الناصر، اداة معطلة لامكانية التخطيط او وضع سياسة عامة سواء على المستوى الاقليمي او على مستوى الجمهورية العربية المتحدة، فانقلب هذا الجهاز الضخم الى شبكة معقدة متضاربة تصلح لتعطيل ادق جهاز سياسي او اداري، مهما بلغت كفاءة افراده وقدرتهم وعلمهم وتجربتهم.

ولتغطية الفراغ الذي ينتظر الوزراء المركزيين قال جمال عبد الناصر انه سيوزعهم على اربع لجان: تشريعية واقتصادية وتنفيذية وخدمات على ان تصدر **(فيما بعد)** القرارات التي تحدد لكل من هذه اختصاصاتها واسماء اعضائها، كما قال انه قرر تشكيل اللجنة العليا للاتحاد القومي من السادة عبد اللطيف البغدادي رئيسا

واكرم الحوراني نائبا للرئيس وزكريا محيي الدين وكمال الدين حسين وصلاح البيطار واحمد عبد الكريم وكمال رفعت اعضاء وقال بأن تنظيمات الاتحاد القومي ستضم كافة المواطنين على اختلاف طبقاتهم وطوائفهم ونزعاتهم وآرائهم، باستثناء الشيوعيين الذين اعلنوا عداؤهم للوحدة ورفضوا حل الاحزاب، وقال ان اللجنة العليا سوف تعمل باشرافه على بلورة المبادئ الفكرية والاقتصادية والاجتماعية للاتحاد القومي.

اما بالنسبة للشؤون السياسية فقد ابدى عبد الناصر تخوفه من تردي الاوضاع في العراق، اثر اقالة عبد السلام عارف وخضوع عبد الكريم قاسم لمشية الشيوعيين، وقال: "ان ذلك يلقي على الجمهورية اعباء ضخمة باعتبارها المسؤولة عن القومية العربية" وقال ان الاتحاد السوفيتي بدل سياسته في المنطقة العربية اثر ثورة الرابع عشر من تموز في العراق، حيث اتجه لدعم الشيوعيين في العراق للسيطرة على الثورة واستغلالها لصالحه...

□

بعد انتهاء الرئيس من استعراض الوضع السياسي قال عبد الحميد السراج للرئيس ناصر انه لا يستطيع ضبط الموقف الامني في سورية ما لم تتخذ تدابير فورية بحق من كشفت المستمسكات دورهم في مؤامرات حلف بغداد على سورية، وعندما اظهر الرئيس ارتياحه الى ذلك، قدرنا انه على اتفاق سابق مع عبد الحميد السراج حول هذا الموضوع، وقد ابدى عبد الناصر حرصه على استطلاع رأي الوزراء السوريين بهذا الموضوع فردا فردا، فأظهر فاخر الكيالي ونهاد القاسم الامتعاض من اقتراح عبد الحميد السراج، والاستخفاف بالمحاكمات التي تجري في العراق ومستمسكاتها، واشادوا بالماضي الوطني للكثيرين ممن ورد ذكرهم في وثائق حلف بغداد، وقال نهاد القاسم اننا اذا فتحنا هذا الباب فان هذه التدابير التي يقترحها عبد الحميد السراج ستشمل كثيرا من القيادات السورية السابقة لان معظمهم كان يعمل للاتحاد مع العراق وهذا ما لا يقره الضمير.

لقد نسي السيد نهاد القاسم انه اصبح وزيرا للعدل، وانه لم يعد ذلك الموظف في وزارة العدل الذي كان يخفي انتماءه لسياسة حزب الشعب والاخوان المسلمين.

حاول نهاد القاسم في البداية الاعتذار عن ابداء رأيه، ولكن ناصر اصر عليه وكأنه كان متفقا معه على ما قال، وكان الارتباك باديا على امين النفوري واحمد عبد الكريم لان هذه الحملة من قبل السراج كانت موجّهة ضدّهما وليست موجّهة ضدّ الحقيقيين من عملاء حلف بغداد، ولان اسم امين النفوري ورد عرضا في احدى هذه الوثائق وقد اشترت سابقا الى ان عبد الناصر قد اوعز للصحف بنشرها، اما انا فقد اجبت عبد الناصر بقولي:

"انه لا يجوز ان نعتبر ان كل من ورد اسمه بهذه الوثائق مدانا، لان عددا من السياسيين الذين وردت اسماءهم في مستمسكات حلف بغداد كالسيد صبري العسلي مثلا قد ناضل في الصف الوطني، مما ادى الى انقسام الحزب الوطني هذا الانقسام الذي افرز عملاءه عن شرفائه، كما تشير الى ذلك وثائق حلف بغداد نفسها، وان الذين ساروا اخيرا من الحزب الوطني وفي احلك الظروف في الاتجاه الوطني الديموقراطي التحرري قد ساهموا باخلاص في بناء الوحدة مع مصر، وقد قيل: ان الاسلام يجب ما قبله، وهؤلاء معروفون، اما الآخرون فيجب احوالهم الى القضاء العادل، ان الرأي العام كما قال السراج لا يغتفر لنا التغاضي عن جرائمهم.

كان عبد الناصر يهدف من اثاره هذا الموضوع بالاضافة الى الضغط على كتلة النفوري، ان يزرع مزيدا من الشقاق بين البعثيين والفئات السياسية الاخرى في سورية، فقد خرج فاخر الكيالي من هذه الجلسة وهو يشيد بعبد الناصر كمنقذ للذين تناولتهم وثائق حلف بغداد، ويحمل حملة شعواء على البعثيين المتشددين وخاصة رياض المالكي، مع ان رياض كان متفقا معي في موقفي المعتدل منهم، ولتحقيق هاتين الغايتين تقاسم عبد الناصر والسراج الادوار فظهر السراج بمظهر المتشدد وظهر عبد الناصر بمظهر المعتدل، اقول هذا وانا على ثقة من ان السراج لم يكن



ليخطو خطوة او يثير موضوعا من المواضيع دون ايعاز من عبد  
الناصر.

ثم تابع عبد الناصر دوره فتعرض لمؤامرة عبد الكريم الدندشي  
ومأمون الكزبري الاميركية فقال - انه امر بطي اضبارة التحقيق،  
وانه وضعها تحت تصرفه، بعد ان رأى عدم ضرورة احالتها للقضاء،  
نظرا للظروف التي تمر بها الجمهورية، فعارضنا ذلك معارضة  
شديدة وطلبنا منه احالتها للقضاء، وشاركني في ذلك عبد الحميد  
السراج ورياض المالكي واحمد عبد الكريم، ولكن ناصر لم يكثر  
لمعارضتنا وقال بالمصرية الدارحة: كفاية مؤامرات وخونة، وقد كان  
لهذه التمثيلية بعد ثالث، فهي تهدف ايضا الى انقاذ سمعة  
المشتركين في المؤامرة المعروفة بمؤامرة ستون مرضاة للولايات  
المتحدة، وليجعل من المتآمرين اداة بيده ضد القوى اليسارية،  
يستخدمها بالاسلوب والوقت اللذين يراهما مناسبين.

بعد انتهاء هذا الاجتماع الوزاري الكبير الى النتائج التي اتينا على  
ذكرها بالتفصيل، اجتمع عبد الناصر اجتماعات خاصة وعلى انفراد  
بالوزراء السوريين الجدد، ونظرا لما يعرفه من ارتباط صميمي بيني  
وبين المرحوم عدنان المالكي وبين اخيه الاستاذ رياض  
المالكي، حرص ان يكون اجتماعه الثاني مع رياض بحضوري في  
منزله بمنشية البكري، يقول الاستاذ رياض المالكي في كتابه  
"على درب الكفاح والهزيمة" (ص230-231)

"وقد نوه سيادته في مقابلتي الثانية له عن الاهمية الخاصة التي  
يوليها لاجهزة الاعلام، واكد انها في نظره اهم من القوات  
المسلحة واستشهد على ذلك بحرب السويس التي انتصر فيها  
سياسيا بقوة اعلامه ولم ينتصر بها عسكريا، ثم قال لم يعد  
للقات المسلحة دور كبير في مثل هذه الظروف التي تمر بها  
القضية العربية.

ولما لمح سيادة الرئيس على وجهي علامات الاستغراب  
لسماعي مثل هذا الكلام من رجل عسكري احتل المركز الاول

ومكان الصدارة لا في قيادة الشعب المصري وحده، بل في زعامة الامة العربية، قال سيادته:

ان العرب لن يقووا على محاربة اسرائيل ما دامت حكومة الولايات المتحدة تقف الى جانبها ولا تكتفي بتزويدها بالمساعدات من جميع الانواع، بل هي متأهبة وبشكل دائم لحمايتها ضد اي حرب هجومية من جانب العرب، بل هي على اتم الاستعداد لخوض المعركة الى جانبها، في حين ان الاتحاد السوفيتي لا يجاري الولايات المتحدة في هذا السبيل بالنسبة لموقفه من العرب، وان اقصى حدود مساعدته لهم تقتصر على مدهم بالمساعدات الاقتصادية والسلاح فقط.

ثم مد يده الى جيب سترته فأخرج منها حافظة نقود صغيرة حمراء، سحب منها البرقية التي كان قد ارسلها له من موسكو السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السابق عندما قام بزيارته المشهورة للاتحاد السوفيتي ابان العدوان الثلاثي عام 1956، وقرأ البرقية وهي تشير الى استعداد السوفيت لدعم حكومة مصر بالمساعدات الاقتصادية والسلاح فقط، ثم اعاد البرقية الى الحافظة قائلاً انه يحتفظ بها شخصياً بشكل دائم نظراً لاهميتها وخطورتها دون سائر الوثائق الاخرى التي يحفظها عادة في مكاتب الرئاسة، واكد انه سيحتفظ بهذا السر حتى وفاته وبعدئذ سيتركه الى من يتولون شؤون الدولة بعده ثم اوصى بكتمان هذا السر حذراً من تسربه للاعداء، لانه يتعلق باستراتيجية الموقف العربي لا بل بمصير الامة العربية كلها.

ثم يقول المالكي: وكم كانت دهشتي عظيمة عندما وقف سيادته بعد اسابيع قليلة في ميدان بورسعيد يوم عيد النصر خطيباً، فأخرج امام الجماهير المحتشدة البرقية التي ارسلها اليه القوتلي من موسكو من حافظته الحمراء ليتلوها عليهم ثم يلوح بها للجماهير ليستثير حفيظتها وعداءها ضد الاتحاد السوفيتي" (ص230-231)

لم اعلق يومذاك على كلام عبد الناصر ولم اود احراجه لان برقية القوتلي لناصر كانت معروفة لنا بعد عودة القوتلي والبيطار من

موسكو، ومن جهة اخرى فأنني كنت اقدر بأن ناصر ليس من الغباء بحيث يظن ان هذه البرقية ستبقى خافية على الولايات المتحدة، والذي استخلصته ان ناصر اراد ان يشحن رياض وان يوجهه ضد الحزب الشيوعي وضد الاتحاد السوفيتي بعد ان تولى وزارة الدعاية في سورية.

كان الذي يحيرني ان عبد الناصر قد منح الشيوعيين في تلك الفترة الحرية التي كانوا يتمتعون بها قبل الوحدة، بينما حرمت هذه الحرية على غيرهم من الفئات السياسية، وكنت اظن ان عبد الحميد السراج كان يشجعهم ويحملهم لدى عبد الناصر لانهم كانوا يتملقونه ويدافعون عنه علنا في جريدة النور التي ظلت تتابع ص دورها بعد الوحدة بينما توقفت الصحف الناطقة باسم الاحزاب الاخرى، وكان الحزب الشيوعي وصحيفة النور يخصان الوزراء البعثيين بالنقد الشديد مما اوقعنا بخطأ الانزلاق في الحملة التي شنها عبد الناصر وعبد الحميد السراج فيما بعد.

لقد كان عبد الناصر يهدف الى امرين من السماح للشيوعيين بالنقد:

الاول هو تعميق الفرقة بين الفئات التقدمية والثاني هو كشف العناصر الشيوعية الفعالة كشفا تاما ليتسنى له اضطهادها والقضاء عليها وهذا ما حدث فعلا، وقد صحونا من خطئنا عندما تجاوزت الحملة حدها الدعائي واصبحت حملة تنكيل وتعذيب وحشي للشيوعيين في سجون السراج وزبائنته، مما جعلني اوجه امام عبد الناصر نقدا شديدا لاذعا ومعارضة شديدة لما يرتكبه عبد الحميد السراج بحق الشيوعيين الامر الذي بقي غير معروف لدى الرأي العام.

يقول رياض المالكي في كتابه ذكريات على درب الكفاح والهزيمة:

"الامني الرئيس على الخطاب الذي القيته في الاحتفال الرسمي والشعبي الذي اقيم في ناحية النشابية بمناسبة افتتاح المركز الاجتماعي في قرية حران العواميد الذي انتقدت فيه مع الوزراء موقف الشيوعيين السلبي من الوحدة العربية، فقلت للرئيس ان

الكلمات التي القيت لم تخرج عن حدود النقد الايجابي البناء، فقال لي، لقد افسدنا عليه خطته في توقيت المعركة مع الشيوعيين، الامر الذي لم يكن يخطر ببال احد من الوزراء الذين تكلموا في المهرجان، وهو ان السلطات العليا تخطط لخوض معركة مع الشيوعيين او مع غيرهم، وانها تعد العدة سلفا للزج بالاعداد الغفيرة منهم في غياهب السجون، بعد ان كان عبد الحميد السراج وزير الداخلية يفض النظر عن نشاطهم المتزايد، ويمنح الحزب الشيوعي غير المرخص الفرصة الكاملة في عقد اجتماعاته العلنية وتنظيم احتفالاته ومهرجاناته الخطابية التي كان سيادته يحرص كل الحرص على رعايتها وحضورها... كان ذلك النشاط واسعا من قبل الحزب الشيوعي بينما كانت جميع الاحزاب السياسية الاخرى غائبة عن المسرح السياسي في سورية" (ص233).

وقصارى القول فان حديث عبد الناصر مع المالكي اثناء اجتماعنا به لم يذهب هباء دون ان يترك آثاره في نفسي، فقد صرت شديد الحساسية لكل ما يتعلق بقضية الاستعداد العسكري وقضية فلسطين، وصرت اربط بين حديث عبد الناصر واستهانته بالاستعداد العسكري وبين حديث عبد الغني قنوت والضباط الاخرين عن الوضع في الجيش المصري وهو الامر الذي تبدى لهم خلال دراستهم او ايفادهم الى مصر بعد قيام الوحدة.

كان عزائي الوحيد تجاه خيبة الامل التي خرجت بها من اجتماع الوزارة المركزية والتنفيذية التي كشفت سوء تقدير جمال عبد الناصر للامور وعدم صدقه وجديته في معالجة مشاكل الجمهورية العربية المتحدة، ان الوحدة اصبحت امرا واقعا ولا بد من المساهمة في انجاحها، وقد ظننت ان عبد الناصر سيفسح مجال العمل في اللجنة التشريعية التي جعلني رئيسا لها لتوحيد القوانين بين القطرين، كما ان مجال العمل سيكون واسعا في لجنة الاتحاد القومي التي كنت نائبا لرئيسها لصياغة مبادئ وافكار الاتحاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وهو مجال هام لاداء خدمات جدية للجمهورية المتحدة، هذا بالاضافة الى قربي

من الرئيس عبد الناصر الذي قد يمكنني من ان اسدي اليه بعض ما استفدته من تجربتي الطويلة في شؤون الاقليم السوري التي شعرت بأن المصريين يجهلونها كل الجهل.

لقد تصورت ان عبد الناصر لا بد ان يثق باخلاصي وتجردي عندما يستشيرني بقضايا الاقليم السوري طالما انني بعيد عن الاقليم وعن دسائس مخابراته هنالك.

كان معروفا لدى جميع الوزراء في مصر ان عليهم ان يحييوا على الاسئلة التي يطرحها عليهم محررو الصحف ومراسلوها سواء منهم العرب او الاجانب حسب ما يرغبه ويطلب منهم الرئيس عبد الناصر، وقد كنت اجهل في البداية هذا الامر فاصطدمت بتصريحاتي الصحفية في بعض الاحيان مع افكار الرئيس وخططه السياسية والاعلامية، اما لانني اجهلها واما لانني اخالفها ولا اويدها، وعندما زرت القاهرة مرة قبل تشكيل الحكومة المركزية سألني احد المحررين في صحيفة اسبوعية قاهرية لم اعد اذكر اسمها عن تصوري في تشكيل الاتحاد القومي هل سيكون حزبا ام تجمعاً؟ فقلت له:

يجب ان يكون حزبا بالمعنى الصحيح قائما على مبادئ محددة واضحة قوميا وسياسيا واجتماعيا واقتصادية، فقال: ان هذا يخالف رأي الرئيس عبد الناصر، قلت له وما ادراك قال الرئيس نفسه، قلت له: انت تسألني عن رأيي وان الذي ارسلك حر بنشره او اغفاله، عند ذلك نشرت الصحيفة رأيي بكامله.

وهكذا فقد ادليت بعد سلسلة من الاجتماعات الاولى للحكومة المركزية لمندوب الاهرام بتاريخ 58/10/11 بحديث عن مهمتنا التشريعية فقلت له:

"ان مهمتنا هي العمل على توحيد القوانين في الاقليمين، وسندرس القوانين النافذة فيهما وسنأخذ من كل منها الاحكام التي نراها صالحة للمرحلة التاريخية التي نمر بها حتى نضع مشروعات قوانين واحدة للجمهورية بأقليميهما، وفي سبيل هذه الغاية سنؤلف لجانا يتناول كل منها بحث قوانين معينة او مجموعة

من القوانين الخاصة بناحية ما" ولما سئلت اذا كانت هذه الدراسة تستغرق وقتا طويلا قلت:

"سنمضي بالعمل بالسرعة المناسبة وقد يحتاج الامر الى زيادة عدد اللجان حتى ننتهي من توحيد جميع القوانين ونرجو ان يتم ذلك قبل شهر تموز القادم الذي يتم به وضع الميزانية العامة للدولة (النصر 58/10/22)

□

قال لي بعض الاصدقاء السوريين في القاهرة بعد ان قرأوا هذا التصريح:

كيف انطلت عليك خدعة جمال عبد الناصر؟ انه سيدفك باعمال لا تنتهي في عدة اعوام ليقصيك عن المشاركة الفعالة في شؤون الاقليم السوري، الم يكفه نفيك وابعادك الى القاهرة؟ قلت لهم: انه ليسرني انجاز هذا العمل العظيم حتى ولو قصد منه دفني سياسيا.

وعندما انتهى الاجتماع الرابع الذي عقده ناصر مع الوزارة المركزية والمجلسين التنفيذيين في قصر القبة بتاريخ 58/10/12 صرح علي صبري الناطق الرسمي اثر هذا الاجتماع:

"انه لم يتحدد موعد الاجتماع القادم الذي سيتم بناء على دعوة الرئيس كلما استدعى الامر ذلك" وقد انقضت ستة اشهر على الاجتماع الاخير دون ان يرى الرئيس ضرورة لاجتماع الحكومة المركزية، كما انتهت الوحدة بين سورية ومصر ووقع الانفصال دون ان يصدر الرئيس ناصر قراراته بتحديد اختصاصات الوزراء المركزيين السوريين، بالرغم مما كانت تنشره صحف الجمهورية عن قرب صدور هذه القرارات، فقد نشرت جريدة اخبار اليوم في فترة اجتماعات الرئيس بالوزراء:

"ان توزيع اختصاصات الوزراء الاتحاديين والتنفيذيين سينتهي بحثها خلال هذا الاسبوع، او انها ستصدر بعد اجتماع الرئيس بالوزراء".

على ان هذا الاهمال المتعمد لم يكن يشمل الوزراء المصريين امثال كمال الدين حسين وعبد المنعم القيسوني والسيد مرعي وعزيز صدقي فقد اصدر الرئيس القرارات الجمهورية التي تعين اختصاصاتهم وتمنحهم الصلاحيات الواسعة للتدخل بالصغيرة والكبيرة في شؤون الوزارتين التنفيذيتين في الاقليمين.

□

بعد انتهاء حفلة تشكيل الوزارة المركزية والمجلسين التنفيذيين كان هم الوزراء المركزيين السوريين الاول هو السكن والاقامة، وقد انشغلنا بذلك وقتا ليس بالقصير لايجاد البيوت الملائمة للسكن، وكانت من بيوت الحراسة، كما سمح الرئيس بفرشها من اثاث بيوت الحراسة التي كانت سابقا للاثرياء من المصريين والاجانب، وعندما لا يشتغل الناس بكبار الامور يتلهون بصغائرها، وهكذا اصبح الوزراء السوريون يتجولون على بيوت الحراسة لينتقوا منها افخر الاثاث والتحف.

زرت بعض بيوت الوزراء المركزيين السوريين فكنت انظر بدهشة واستمتاع للاثاث والتحف واللوحات التي زينوا بيوتهم بها، ولم يكن ذلك مقتصرًا على الوزراء السوريين بل شمل بعض اللاجئيين العرب، فقد قال لي علي ابو نوار لما رأني معجبا بما في منزله، ان في اقبية المنزل بعض الاثاث والتحف التي اصابها التلف والعطب، ولما اخبرت الرئيس ناصر بالامر ولفت نظره الى ان هذه المخلفات لا يجوز ان تترك عرضة للتلف والضياع، قال انه هو نفسه يجهل ما تحويه القصور الملكية ثم التفت الى خزانة وراءه وقال:

"انني اطلعت البارحة على ما في هذه الخزانة من تحف لم اكن مطلعًا عليها من قبل". ولم اعجب عندما علمت بعد ذلك ان المتحف المصري نفسه كان باستمرار عرضة لسرقة آثارها التي لا تقدر بثمن.

□

ارشدني رجال الحراسة الى شقة صغيرة (صالون وغرفتا نوم وغرفة سفرة وغرفة جلوس)

تقع مقابل نادي الجزيرة الجميل، وقد اسررتني شرفتها المطللة على عالم لانهائي من الخضرة، فقررت ان اسكنها رغم صغرها.

كانت الشقة تعود لاحد البريطانيين وقد تركها مخلفا مجموعة من الغلايين والعصي كانت تذكرني دائما بالعنجهية البريطانية.

رجعت الى دمشق وبقيت فيها عشرة ايام زارني خلالها جميع الوزراء التنفيذيين وأظهروا لي خالص المحبة والود والثقة، ولما انهيت اعمالني في دمشق سافرت مع عائلتي الى القاهرة بتاريخ 58/10/20 وكان رفيقي في الطائرة المرحوم حسن جبارة الذي كان يبدي حماسة كبيرة لتوحيد الاقتصاد بين اقليمي الجمهورية.

خصت لي السلطات المصرية غرفة في مجلس الشيوخ المصري سابقا لتكون مكتبا لي، وبدأ الشعب في القاهرة يطلق نكاته الذكية على الوزارتين التنفيذية والمركزية، وقد سرد علي عبد الناصر بعضها، ثم ازدادت النكات بعد ان اصدر عبد الناصر قرارا تحت عنوان: اختصاصات الوزراء المركزيين ومسؤولياتهم وفيما يلي نص القرار:

المادة الاولى: يتولى الوزير المركزي الاشراف على شؤون وزارته وعلى تنفيذ السياسة العامة التي يضعها رئيس الجمهورية ويكون مسؤولا عن مباشرة مهام منصبه امام رئيس الجمهورية.

المادة الثانية: تشكل في رئاسة الجمهورية لجان للشؤون التشريعية والتنفيذية والاقتصادية وشؤون الخدمات العامة وتعرض توصياتها على رئيس الجمهورية.

المادة الثالثة: تختص اللجنة التنفيذية بدراسة المسائل التنفيذية التي يشترط ان تصدر فيها قرارات من رئيس الجمهورية.

وهكذا صدر هذا القرار الذي يصلح فيه تماما القول المأثور: وفسر الماء بعد الجهد بالماء وذلك للاسباب الاتية:

اولا: لم يكن يوجد وقت صدور القرار، ولم يوجد فيما بعد جهاز لما يسمى بالوزارة المركزية حتى يشرف الوزير المركزي على شؤونها.



ثانياً: ما هي هذه السياسة العامة للجمهورية العربية المتحدة؟  
من يحددها وفي اي وثيقة رسمية اعلنت؟

لقد كان عبد الناصر منفردا في الموافقة على القوانين او رفضها، وكان يتخذ المواقف احيانا بما تقتضيه انفعالاته وردود فعله، كما كان يتولى بنفسه الاشراف على التنفيذ بواسطة جهازه الضخم الملحق بالرئاسة وبواسطة اجهزة الدولة الاخرى.

وهكذا لم يحدد القرار شيئا واضحا سوى اختصاصات اللجنة التشريعية، وهي دراسة مشروعات القوانين، اي ان الرئيس لم يوافق كما كنت عازما على ان اتولى توحيد التشريع بين اقليمي الجمهورية، بل حصر اختصاص اللجنة التشريعية بدراسة مشاريع القوانين التي تقدم اليها، المالية منها بصورة خاصة.

وفي تاريخ 58/11/1 اصدر الرئيس ناصر قرارا آخر بتشكيل خمس لجان وزارية لشؤون التخطيط والاقتصاد والتشريع والتنفيذ والخدمات العامة ووزع على هذه اللجان الخمس جميع الوزراء المركزيين.

وهكذ استمر حال الوحدة بين الاقليمين قائما في الفراغ دون مؤسسات تنفيذية او تشريعية محددة الاهداف واضحة المعالم.

□

التزمت بعد استقراري في القاهرة الانزواء في المنزل والدوام المنظم على مكثبي في مجلس الشيوخ، ولم يكن لي من عمل سوى ما يأمر الرئيس بعرضه على اللجنة من قرارات مالية وكانت اللجنة التشريعية التي ارئسها مؤلفة من السادة:

حسين الشافعي، عبد المنعم القيسوني، فاخر الكيالي، كمال استينو، سيد مرعي، امين النفوري، حسين ذو الفقار صبري.

وقد اقتصر جهاز وزارتي المركزية على السيد موفق النحلاوي سكرتير المجلس النيابي السوري السابق، ليكون سكرتير اللجنة التشريعية التي لم يكن عملها يستغرق سوى اجتماع واحد في الاسبوع، ويقتصر على ابداء الملاحظات على مشاريع القوانين

المالية التي يأمر الرئيس بعرضها على اللجنة، وكان الاهمال من قبل الرئيس نصيب هذه الملاحظات في معظم الاحيان وفيما يلي بعض الامثلة:

احيل الينا مشروع قانون يقضي بفرض ضريبة واحد او نصف بالمائة، لم اعد اتذكر تماما، على جميع صادرات ومستوردات اقليمي الجمهورية لصالح شركة عبود باشا للبواخر التجارية، فدارت مناقشة حادة بيني وبين الوزراء المصريين المركزيين حول هذا المشروع، وكانت حجتهم ان الجمهورية العربية المتحدة بحاجة الى اسطول تجاري وان هذه الضريبة على الاستيراد والتصدير هي لصالح انشاء الاسطول لا لصالح عبود باشا، اما انا فقد كان رأيي انها لصالح عبود باشا اكبر رأسمالي مستغل في مصر وانني لن اوافق ولو قطعت يدي على فرض هذه الضريبة الا بعد تأميم شركة عبود باشا، وكان حسين الشافعي اكبر المتحمسين لفرض هذه الضريبة وفي نهاية الجدل قررت اكثرية اعضاء اللجنة التشريعية الغاء هذا القرار، ولكنني علمت بعد فترة ان القرار قد نشر في الجريدة الرسمية.

يتحدث عصمت سيف الدولة في كتابه "هل كان عبد الناصر ديكتاتورا" عن الاقتصادي المصري طلعت حرب بقوله:

ترى هل كان يعلم ان سيأتي احد تلاميذه - احمد عبود - فيستطيع ان يقيم الوزارات ويسقطها، ويدفع الثمن لمن بيده القيام والسقوط، فيكون واحدا من الذين افسدوا حكم مصر ورشحوها للثورة؟ (ص 17)

كما احيل الينا ايضا قرار يقضي برصد اعتمادات لبناء مساكن للوزراء المصريين تخصص لاصطيافهم في الاسكندرية، وهي من مخصصات وزارة الاصلاح الزراعي، وكان صاحب المشروع سيد مرعي وزير الاصلاح، فرفضت الموافقة على المشروع لانه ليس من اختصاص وزارة الاصلاح الزراعي ان تبني مساكن وشاليهات للوزراء في الاسكندرية، وقد خطر لي وانا اناقش هذا المشروع ان

وزارة الاصلاح الزراعي هي التي تولت بناء استراحة عبد الناصر في الاسكندرية (استراحة المعمورة).

واحيل الينا قرار يقضي باعفاء جميع ما يرسله الدبلوماسيون الى اسرهم من الخارج من امتعة وحوائج وادوات منزلية من الرسوم الجمركية، وكانت حجة نائب وزير الخارجية ان هذا القرار لا يغير من الواقع شيئا فالسلك الدبلوماسي يرسل كل ما يرغب بارساله من امتعة وحوائج وخلافها الى القاهرة دون ان يدفع عنها الرسوم الجمركية، فقلت له هل تريدنا ان نسبغ على هذه المخالفات صفة الشرعية، ولكن هذا القرار نشر ايضا في الجريدة الرسمية.

كان آخر ما عرضه الرئيس على لجنتنا هو مشروع قانون العفو العام، وذلك في منتصف عام 1959، وهو القانون الذي يتناول المحكومين بالمؤامرة التي حاكها حلف بغداد على الوضع الديموقراطي في سورية في فترة العدوان الثلاثي على مصر، وقد حضر السراج ليدافع عن هذا القانون، بينما كان المئات يعذبون في سجونهم ولكنني رفضت الموافقة عليه، فأصدره عبد الناصر، ومنذ ذلك الحين لم يرسل الى اللجنة اي مشروع آخر، فأصبحت اللجنة ملغاة عمليا من قبل الرئيس عبد الناصر، وهكذا اصبحت اقضي معظم الاوقات في منزلي اقرأ الصحف واستمع الى الاذاعات، ولا تزورني الا قلة من الاصدقاء، كما اصبحت شديد الحذر مما قد يكون غرس في منزلي من ادوات التجسس والاستماع، ولم اكن اذهب الى مكنتي في مجلس الشيوخ الا نادرا، وفي احدى المرات حاول المعلق الاميركي ألسوب ان يزورني فاعتذرت لانني عرفت قصده من الزيارة، ولكنني اضطررت اخيرا للقبول بها برجاء من مكتب الرئيس عبد الناصر.

ومثلما توقعت فان ألسوب ما ان دخل الى مكنتي حتى شرع يتلفت حوله ويقول بهزاء وسخرية وشماته:

شتان ما كنت فيه هناك وما اصبحت عليه هنا. مشيرا الى مقابلته لي في مكنتي في مجلس النواب السوري الذي يعتبر بناؤه احدى مفاخر البناء في سورية.

لم اترك له المجال لاتمام حديثه بل قلت:

ان مكاني هنا في القاهرة خير بكثير من مكاني هنالك في دمشق، ولكن الحقد والكراهية يعمي الاميركيين عن ادراك الحقيقة، ثم قلت:

الستم الان وراء المذابح التي تجري في العراق؟ فحاول ان ينفي هذه التهمة عن الولايات المتحدة ولكنني تابعت:

ان مخابراتكم والمخابرات البريطانية هي التي تطبع المنشورات التي توزع باسم الشيوعيين في العراق، وهي التي تدفع الغوغاء للمذابح، وتشيرها ضد الجمهورية العربية المتحدة، انكم وراء كل ما يتحمله الشعب العربي من مصائب والام سواء في فلسطين او في اي بلد آخر، فأسرع السوب بالانصراف تشييعه نظراتي الغاضبة.

□

بعد ذلك بأحد عشر عاما، عندما كنت لاجئا سياسيا في لبنان، وبعد فترة قليلة من دخول الجيش السوري الى الاردن اثر حوادث ايلول عام 1970، دعاني الضابط السابق مصطفى العيسى الذي كان مديرا لمكتب رئاسة الجمهورية خلال رئاسة امين الحافظ الى غداء خارج بيروت كما دعا صلاح البيطار وعاطف دانيال ونسيم السفرجلاني وخالد الحكيم وآخرين لم اعد اذكر اسماءهم وقد فوتحت خلال هذا الغداء بما يلي:

ان السوب قد اتصل بجريدة النهار - هكذا قالوا - طالبا الاجتماع بي، وقالوا لي بحضور الاستاذ صلاح انهم يأملون ان يكون حديثي معه حديثا دبلوماسيا لينا، لان ذلك سيكون سببا في عودتنا الى الوطن، وقال لي اثنان منهما:

لقد سئمنا حياة اللجوء التي طال امدها، فقلت لهما:

انني اقدر ان الحديث سوف يدور حول القضية الفلسطينية وقضايا البترول، وموقفي صريح من هاتين القضيتين وهو معروف لديهم، ولهذا لا ارى فائدة من هذا الاجتماع ولا سيما في ظروفنا الحالية،

وأُنني أفضل ان اعيش بقية عمري بعيدا عن وطني على ان اعود  
اليه من هذا الطريق. ولقد اشفقت على هؤلاء من الوقوع في  
الشباك التي اقتنصت كثيرين.

ان السوب لا يستحق هذه الاشارة لولا انه وامثاله قد لعبوا ادوارا  
هامة في عمليات الهدم والتخريب وكانوا ولا يزالون امضى اسلحة  
بيد الاستعمار الجديد ضد الامة العربية.

**1959 : عبد الحميد السراج يعذب المعارضين ولا سيما الشيوعيين في سجونهم - فرج الله الحلو رئيس الحزب الشيوعي اللبناني يموت تحت التعذيب فتذوب جثته بالأحماض لاختفاء الجريمة- المشير عامر وعبد الناصر ينقلان الضباط المواليين للبعث الى مصر وينقلان البعض الآخر الى الوظائف المدنية مما يعني شطبهم من الجيش -أوضاع الجيش السوري خلال الوحدة- شهادات ضباط انقلاب الثامن من آذار 1963 خلال محادثات الوحدة الثلاثية مع عبد الناصر- تشكيل الاتحاد القومي ومقاطعة معظم البعثيين سابقا لانتخابات هذا الاتحاد.**

بعد تشكيل الوزارة المركزية والمجلسين التنفيذي، وبعد أن أصدر عبد الناصر بتاريخ 58/11/1 قرارا بإحداث خمس لجان وزارية مركزية لشؤون التخطيط والاقتصاد والتشريع والتنفيذ والخدمات العامة وزع عليها جميع الوزراء المركزيين، وبعد استقراره في القاهرة وعملي في اللجنة التشريعية، حدثت الأمور التالية :

**1- افتتح عبد الناصر في خطابه في بورسعيد، بتاريخ 58/12/23 بمناسبة عيد النصر المعركة مع الشيوعيين مهاجما عبد الكريم قاسم والاتحاد السوفيتي. واستمرت هذه المعركة خلال عام 1959.**

والذي أود أن أذكره في هذه المناسبة أن عبد الحميد السراج - بأمر من عبد الناصر- لم يكتف بسجن الشيوعيين أو منعهم من النشاط في سورية، بل إن ما استعمله من وسائل التعذيب لكل من كان شيوعيا أو قريبا من الشيوعيين قد أثار عطف فريق من الرأي العام على الشيوعيين واستنكاره حملة

التعذيب التي قام بها والتي أدت إلى موت فرج الله الحلو رئيس الحزب الشيوعي اللبناني ثم تذويبه بالأحماض.

لقد كان فرج الله الحلو مناضلا ديموقراطيا وعربيا مؤمنا أشد الايمان بالقضية الفلسطينية عندما يقول :

"إن الديموقراطية الصحيحة تقرأ من الصهيونية، والديموقراطيون الحقيقيون يعرفون ويؤمنون ان الفلاح العربي والبدوي العربي والاقطاعي العربي حين يكافح الصهيونية في فلسطين، ويدافع عن أرضه ويناضل لأجل استقلال وطنه وتحريره، هو أقرب الى الديموقراطية والاشتراكية من أي صهيوني أو أي نصير للصهيونية، ولو انتسب الى أكبر الأحزاب الديموقراطية والاشتراكية في أوروبا وأمريكا (كتابات مختارة لفرج الله الحلو - دار الفارابي 1974).

لقد حاول عبد الناصر أن يحملني مسؤولية تعذيب الشيوعيين عندما أوعز للسراج أن يعتمد في أجهزة المخابرات على عدد من الضباط البعثيين الصغار الذين استغل عبد الحميد السراج حماسهم لرائد القومية العربية جمال عبد الناصر.

كل هذا كان يجري وأنا في القاهرة، ولكن الاخبار كانت تصل الي بان الشيوعيين وفريقا من الناس كانوا يحملونني مسؤولية هذه الاعمال، حتى قيل لي بان أحد الاصدقاء سمع بإذنه دعاء النسوة علي ظنا منهم بأنني أنا المسؤول عما يحل بأولادهم وأزواجهم.

لقد فاتحت عبد الناصر بهذا الموضوع وشكوت اليه حملة التعذيب التي يمارسها عبد الحميد السراج والاعتقالات الواسعة ولا سيما بعد خطابه في بورسعيد، وذكرت له أن صحافيا أرمنيا حليبا يدعى (بيير شدرفيان) قد مات تحت التعذيب وهو انسان يساري وليس شيوعيا لأنني اعرفه منذ اصدت جريدة اليقظة، وعلى فرض أنه شيوعي فهل يجوز أن يقضى عليه حرقا بالسجائر وبغيرها من أدوات التعذيب؟

لم أكن اعلم آنذاك بموت فرج الله الحلو، وقد أظهر عبد الناصر عدم اطلاعه على هذه الأمور، ولكنني لم أصدقه لأن الحملة على الشيوعيين قد ملأت أخبارها سورية والعالم بواسطة أجهزة الاعلام السوفيتية.

لقد كان رأينا ألا يسمح للشيوعيين وحدهم بالنشاط دون سواهم من الاحزاب الأخرى كما جرى بعد قيام الوحدة وحل الاحزاب، ولكن هذا لا يعني مطلقا تعذيبهم في اقبية المخابرات التي بدأت تغطي المدن السورية.

ولا شك أن عبد الناصر في سماحه للشيوعيين بعد الوحدة وبعد حل الاحزاب باستمرار صحيفتهم (النور) وبالنشاط العلني كان يهدف الى كشفهم والى تأليب الراي العام ضدهم، ولا سيما البعثيين الذين دأبت جريدة النور على مهاجمتهم والحملة عليهم وعلى وزرائهم، وخاصة وزارة الاصلاح الزراعي، لانهم كانوا يعتبرون أن الاصلاح الزراعي هو عملية اصلاحية غير جذرية، كما أنهم لم يكونوا يريدون أن يتألف الفلاحون حول الوحدة وألا يدخلوا الحياة السياسية إلا عن طريقهم. هؤلاء الفلاحون الذين ظلوا أعواما طويلة معزولين حتى بدأ حزب الشباب الذي أصبح فيما بعد الحزب العربي الاشتراكي بحركة تحريرهم والمناداة بامتلاكهم الأرض لأول مرة في تاريخ الشرق الأوسط والعالم الاسلامي.

2- نقل الضباط البعثيين الى القاهرة :

كان عبد الناصر مرتاحا جدا من عدم معارضتي لابعادي عن سورية بعد تشكيل الوزارة المركزية بما كان يديه من ود وتقرب، وفي هذا الجو اعتبر عبد الناصر والمشير عامر أن الفرصة قد سنحت لنقل الضباط الموالين للبعث ومن يظن أنهم كذلك من الجيش السوري الى الجيش المصري وإلى وزارة الخارجية، ولم يقتصر الأمر على القائمة التي قدمها مصطفى حمدون عند قيام الوحدة الى عبد الناصر.

أما قصة هذه القائمة فهي كما يلي :



بناء على طلب الملحق العسكري السابق في سورية عبد المحسن أبو النور، وبحجة ان عبدالناصر يريد تسليم المراكز الرئيسية للضباط المواليين للبعث في الجيش قدم مصطفى حمدون قائمة بأسماء الضباط والبارزين منهم، وكانت نتيجة ذلك أن هذه القائمة قد اعتمد عليها المشير في نقلهم الى القاهرة والى الوظائف المدنية في الخارجية وغيرها، والجدير بالذكر أن رفاق مصطفى حمدون ولا سيما محمد عمران قد حملوه مسؤولية اطلاق عبد الناصر والمشير على أسمائهم.

بعد عدة أشهر من انتقالي الى القاهرة وبعد أن اتسعت حركة نقل المواليين للبعث، طلب مني الضابط محمد عمران أن اجتمع به وبيعض الضباط الآخرين من المواليين، كما طلب أن يكون هذا الاجتماع سرياً، ولكن مثل هذا الاجتماع لا يمكن تحقيقه في القاهرة دون علم المخابرات المصرية التي كانت تراقبني وتحيط بي وبغيري من الوزراء إحاطة كاملة.

في ذلك الاجتماع شكوا لي الضباط شكوى مرة، من غدر (حسب تعبيرهم) عبد الناصر والمشير والمصريين بهم، ولقد حاولت بما أوتيت من حجة أن أقنعهم بأن الأمور لا بد أن تصلح، وأن المصريين لا بد أن يطلعوا اكثر فأكثر على ما فعله حزب البعث في سبيل قيام الوحدة، وذكرت لهم ما قاله لي عبد الناصر في الأيام الأولى للوحدة عن المعجزة التي حققناها في سورية، ولكنهم لم يقتنعوا، وكنت أعطيهم الحق في أكثر الشكاوى التي ذكروها وكانت نتيجة هذا الاجتماع أن قلت لهم:

**أنه لا يجوز أن نستقيل كما تطالبون ولما يمض على قيام الوحدة أكثر من سنه، وهذا أمر لا يمكن تبريره ولا الدفاع عنه أمام الرأي العام مهما كانت الاسباب وحيثه، وفي تقديري أن اللجنة العسكرية السرية البعثية التي اشتركت في انقلاب الثامن من آذار في سورية عام 1963 والتي استولت على السلطة بعد ذلك قد تشكلت ضمن هذا الجو في القاهرة.**

ان الرواتب المضاعفة التي منحها نظام عبد الناصر للموظفين السوريين المنقولين الى مصر والى الضباط السوريين المنقولين الى الجيش المصري لم تكن لترضي هؤلاء سواء الموالين للبعث أو غيرهم، وقد سمعت من موظفين وضباط لا علاقة لهم بالبعث شكوى مريرة من نقلهم الى مصر لأنه لا عمل لهم هناك. وانهم يعانون من البطالة التي لم يعتادوا عليها، لأن المصريين لا يشركونهم في الاعمال الوظيفية التي يتوجب عليهم القيام بها، وانني بهذا المجال أكتفي بما أورده عدد من ضباط انقلاب الثامن من آذار 1963 والذين هم ناصريون أو قرييون، من وصف لأوضاع الضباط السوريين في الجيش المصري والجيش السوري أثناء الوحدة بين سورية ومصر، وذلك خلال محادثات الوحدة الثلاثية التي جرت عام 1963 بين عبد الناصر ووفدي البعث السوري والعراقي:

يقول راشد قطيني (ناصرى) :

"المسؤولية طبعا كاملة لا تتجزأ، في اعتقادي أنا، من أصغر فرد في الجمهورية العربية المتحدة، الى رئيس الجمهورية، المسؤولية كاملة لا تتجزأ:

كان الاعتماد على ضباط بقيادات لا هدف لهم إلا هدف وظيفي .. لا أقول ان جميع الضباط اللي اعتمد عليهم اثناء الوحدة لهم هدف وظيفي، كلا، هذه الاشياء يقابلها طبعا ندب عدد من ضباط الجيش السوري الى الاقليم الجنوبي لم يعطوا أماكنهم كما أعطى لضباط الجيش المصري في سورية، وهذه عقدة ثانية تولدت عند غالبية الضباط الوطنيين" (ص 16 محادثات الوحدة الثلاثية - الطبعة الأولى- دار الأهرام).

ويضيف القطيني الى ذلك قوله :

"ضباط الجيش السوري أصبح لديهم شيء من الانكماش لدرجة أنه لما قام الانفصال لم يكن لديهم دافع أو حافز لمقاومة هذا الانفصال، بدليل أنه منذ اليوم الأول، لاقى قبول عند فئة، ووجوم أو وقوف سلبي عند فئة أخرى. هذه الفئات الأخرى لم

تقف موقفا ايجابيا من الانفصال إطلاقا .. بعض هذه الفئات كانت تمتلك قيادات وباستطاعتها أن تعمل شيئا، وقسم كبير منها كان بلا قيادات وجلس يتفرج على مصير الوحدة وبالتالي على مصير الأمة العربية" (ص15 المصدر السابق) كما يقول في موضع آخر :

"إن الفئة التي كانت موضع ثقة هي التي وضعت كل امكانياتها في سبيل الانفصال".

ويؤكد زياد الحريري على هذه الاخطاء بقوله :

"القيادات بالجيش السوري اتكفلت بالجماعة اللي ما لهم قدرة أصلا أن يحموا الحكم ولا على مستوى الحكم، فهم إما الشخص الشعوبي، واما الشخص الذي كان ضابطا أيام فرنسا وبقي يضرب سلام للفرنسيين حتى ارتوى، فما عنده هالشخص قدرة إطلاقا أن يحمي فكرة نبيلة تحققت بعد انفصال مئات السنين. الضباط اللي موجودين في القيادات اثناء الانفصال كانوا هؤلاء النموذج من الناس اللي ما استطاعوا أصلا أن يدافعوا عن فكرة الوحدة وهلا بعد ما راحت الوحدة عادوا بيكوا عليها".

ثم تحدث الحريري عن سوء معاملة الضباط السوريين في مصر لدرجة أن كل الضباط الذين ندبوا لدورة الأركان فيها قد طلبوا اعفاءهم من هذه الدورة (صفحة 16مباحثات الوحدة الثلاثية) أما لؤي الأتاسي (قريب من الناصريين) رئيس الدولة في سورية بعد انقلاب الثامن من آذار فيقول معلقا على أوضاع الضباط السوريين في مصر ما يلي :

"يعني هنا في جروبي مصر الجديدة (مقهى) كنت تلاقي عشرين، ثلاثين، أربعين ضابطا يوميا، قاعدين هنا، بينما لو كانوا بسورية كانوا فعلا ضمانا أكيدة ضد أي عملية انفصال" (ص 62 المصدر السابق).

ويؤكد الضابط فهد الشاعر في محادثات الوحدة الثلاثية على ما ذكره رفاقه بينما يحاول الضابط فواز محارب أن يلخص كل ذلك ويوجزه :

"الجيش لولا الأخطاء التي حدثت فإنه لا يمكن أن يكون هنالك انفصال على أساس أنه القوة الضاربة، ومهما كان في أخطاء بوزارة التربية لا يمكن أن تكون هنالك قوة تفصل الوحدة، أخطاء في الاقتصاد، أخطاء في السياسة، اخطاء في كل المجالات كل هذه سهلة، أما الأخطاء التي صارت في القوات المسلحة فهي فعلا كانت السبب المباشر للانفصال وفك الوحدة، وان شاء الله في المستقبل ها الأخطاء نراعيها حتى ما نقع فيها مرة واحدة (ص 17 المصدر السابق).

وقد جاء في مذكرات عبد اللطيف البغدادي ما يلي :

"كان هنالك أيضا خطأ جسيم ساهم في حدث سورية (الانفصال) وهو طريقة إدارة دفة الجيش السوري، وقد أدى تصرف بعض مساعدي عبد الحكيم الى جرح كبرياء كثير من الضباط السوريين، وكثيرا ما كنا نسمع قصصا بهذا المعنى، وكانت تبلغ الى جمال، بل ان مؤامرة الانقلاب نفسها (الانفصال) كان قد سبق وعلم بأمرها وذلك قبل حدوثها بثلاثة اشهر، وذكر أثناءها اسم ثلاثة من قادتها وكان النحلاوي نفسه أحدهم، ولكن عبد الحكيم استبعد الأمر لثقتة بالنحلاوي ولم يحاول التأكد من صحة هذه المعلومات، وقد أثير معه هذا الموقف بعد عودته مباشرة من سورية، بعد الانقلاب في منزل عبد الناصر فذكر أن النحلاوي قد استغل في هذه العملية" (ص 120-121 ج2).

لا بد لي في هذه المناسبة من ذكر الشهادة التاريخية التالية :

عندما بدأ المشير عامر بموافقة جمال عبد الناصر بنقل الضباط الموالين للبعث الى مصر والى وزارة الخارجية على عجل، وبأعداد كبيرة بعد تشكيل الوزارة المركزية، رأيت من واجبي تحذير عبد الناصر من نتائج هذا العمل الأرعن، والذي شجعني على مصارحته هو نقلي الى مصر واعتقادي ان ذلك يمكن أن يجعل لأقوالي أذنا صاغية لديه، قلت لعبد الناصر ونحن على درجة من الود والصفاء وكان قد دعاني لتناول الطعام في منزله:

انني أرجو ألا تأخذ ما أقوله بدافع التعصب الحزبي أو اختلاف الرأي مع الضباط الذين يطلق عليهم اسم (كتلة الشوام) والذين تجمعني برئيسهم واستاذهم الشهيد عدنان المالكي أوثق روابط المودة بل الأخوة الحقيقية:

ان الخطة التي يجري تنفيذها بإفراغ الجيش الأول من الضباط ذوي الميول البعثية بإرسالهم الى الجيش المصري والى وزارة الخارجية وملء الفراغ الذي يحدث في الجيش السوري بالضباط الشوام والمصريين يمكن أن يؤدي في المستقبل الى محذور القيام بانقلاب يؤدي الى انفصال الوحدة لأن معظم ضباط هذا التكتل من أبناء الطبقة التجارية وبعضهم من ذوي الميول الاخوانية.

انني عندما اقول لك هذا اشعر بحرج شديد من أن تظن أنني أريد الايقاع بينك وبينهم أو انني أود اقضاءهم عن الجيش السوري، ان هذا لم يخطر في بالي مطلقا، وإنني على صلات حسنة وطبيعية مع الكثير منهم، بل وعلى صداقة مع بعضهم منذ التحاقهم بالحكومة السورية في ثورة مايس 1945 ، وإنني أقدر كفاءتهم وانضباطهم العسكري. ودون أن يعلق عبد الناصر على أقوالي قرأت في وجهه عدم الاكتراث بهذه النصيحة وهذا التنبيه والتحذير.

أصدر عبد الناصر في هذه الفترة، وبشكل مفاجيء بدون إبرازه في وسائل الاعلام، قرارا يقضي بتشكيل لجنة لوضع مبادئ الاتحاد القومي مؤلفة من :

عبد اللطيف البغدادي رئيسا، اكرم الجوراني، زكريا محيي الدين، كمال الدين حسين، صلاح البيطار، أمين النفوري، أحمد عبد الكريم، فريد زين الدين، فاخر الكيالي، كمال رفعت، وتم الاتفاق على أن يكون جدول أعمال هذه اللجنة هو البحث في تحديد وتوضيح الشعارات الثلاثة الآتية :

1- القومية العربية.

2- الوحدة العربية.

### 3- الحرية والديموقراطية والاشتراكية.

كما تم الاتفاق على التشاور في موضوع الجهاز التنظيمي للاتحاد القومي.

لقد أدهشني وأدهش الاعضاء السوريين ان كمال الدين حسين بدأ المناقشة بقوله : انه لا وجود للقومية العربية، وان الكلام والدعاية شيء والواقيع شيء آخر، وان القومية العربية هي شعار يرفع، وانه لا وجود حقيقي إلا للاسلام.

كان كمال الدين حسين مصرًا على عدم وجود القومية العربية، فقلت له:

كيف تفسر إذن قيام الوحدة بين سورية ومصر؟ وإذا كان الاسلام فقط سببا لقيام الوحدة لكان من الطبيعي ان تقوم الوحدة بين سورية وتركيا قبل قيامها بين مصر وسورية، وبدأت أتحدث عن القومية كما أفهمها، ولكنه لم يقتنع وقال بأن الاسلام هو الذي حقق لشعب الجزائر الاحتفاظ بوجوده، وحضه على الجهاد من أجل حريته واستقلاله. وان الاسلام هو الذي صمد في وجه الاستعمار الفرنسي خلال أكثر من مئة وثلاثين عاما، قلت له:

هذا صحيح، وأكثر من ذلك فإن للقرآن الفضل في صيانة اللغة العربية، وان للاسلام الفضل في بقاء الأمة العربية وقيام الحضارة العربية والاسلامية، وان للاسلام الفضل في احتفاظ منطقة الشرق الأدنى بعروبيتها وهذا مالا ينكره أحد، ومن الحقائق الاجتماعية علميا التي لا يمكن انكارها أيضا أن وحدة العقيدة الدينية ركن هام من أركان الوحدة القومية، ولكن هذا لا يتنافى مع الوجود الواقعي والمادي الذي يثبت أن للعرب قومية خاصة، وللأتراك المسلمين قومية خاصة، وللإيرانيين قومية خاصة، ولا شك أن وحدة العقيدة بين الدول الاسلامية هي رابط حضاري وانساني مهم، واستشهدت بالآية القرآنية: "يا أيها الناس إنا خلقناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا" ولقد اشترك الوزراء السوريون في

هذه المناقشة بما يؤيد اقوالي، ولكن كمال الدين حسين  
أدهشني عندما التفت الي قائلا :

انتم البعثيون كفار وغير مسلمين! قلت له :

كيف تصدر علينا هذا الحكم دون دليل؟ ألا تعلم وأنت  
المسلم بأن من كفر مؤمنا فهو كافر؟ قال :

لدي دليل لأنكم لا تصلون. ولما رأينا عقم هذا الجدل وانه  
لن يؤدي إلى اتفاق حول مفهوم القومية العربية، انتقلنا الى  
موضوع الاشتراكية فقلت :

إننا نختلف عن الشيوعيين سواء على مستوى النظرية أو  
على مستوى التطبيق، إننا لا نؤمن بالماركسية كنظرية شاملة  
للحياة والوجود، ولهذا فإننا لا نقر ديكتاتورية البروليتاريا ولا نظام  
الحكم الذي ينبثق عن الماركسية، ونحن نؤمن أن الديمقراطية  
السياسية هي السبيل الوحيد لتحقيق الديمقراطية الاجتماعية  
وللتنمية ورفع مستوى المعيشة والانتاج، ولكن ذلك لا ينفي وجود  
التناقض بين الطبقات في كل المجتمعات، وهو تناقض له دوره في  
تطوير المجتمع وتقدمه نحو المزيد من الديمقراطية السياسية  
والاجتماعية.

كان عبد اللطيف البغدادي وكمال الدين حسين وزكريا  
محيي الدين يقولون بأن الاتحاد القومي يجب أن يكون إطارا  
تتعایش فيه كل فئات المجتمع، وكانت النتيجة لمثل هذا الاطار أن  
تحول الى جهاز فضفاض في خدمة السلطة، ليست له أي قيمة  
سياسية أو اجتماعية، ولا مهمة له إلا التصفيق لعبد الناصر في  
المناسبات.

عندما شعر عبد الناصر بهذا الاختلاف بين الوزراء السوريين  
والمصريين بعد عدة اجتماعات حول الافكار المطروحة. أمر باعتماد  
مبادئ ثورة تموز الستة التي أقام على أساسها الاتحاد القومي  
قبل الوحدة وهي :

1- القضاء على الاستعمار وأعدائه.

- 2- القضاء على الاقطاع.
- 3- القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم .
- 4- انشاء جيش وطني قومي قوي.
- 5- إقامة عدالة اجتماعية.
- 6- إقامة حياة ديموقراطية سليمة.



كان الأمر الذي فوجيء به الوزراء المصريون هو أن الوزراء السوريين، رغم ما كانوا يعرفونه من خلافات بينهم، كانوا متفقين في معظم ما نوقش من أفكار ومفاهيم، ولم يكن سوى كمال رفعت من الوزراء المصريين متفقا مع الوزراء السوريين في هذه المناقشة.

لم يكن عبد الناصر ورفاقه يدركون بوضوح ان المبادئ التي نؤمن بها هي مبادئ شعب لا مبادئ حزب البعث، وأنها كانت نتيجة تطور تاريخي منذ العهد العثماني، وان الاحزاب الأخرى في سورية والمشرق العربي تتفق في كثير من الافكار والمبادئ فيما يتعلق بالقومية العربية والوحدة العربية.

ان موقف عبد الناصر ورفاقه هذا لم يكن منطلقا من عداة لفكرة القومية والوحدة، بل كان القصد أن تكون عقيدة الاتحاد القومي بعيدة كل البعد عن مبادئ حزب البعث، ولما رفضنا نحن السوريين جعل المبادئ الست وحدها المبادئ التي يقوم عليها الاتحاد القومي، أوعز عبد الناصر لعبد اللطيف البغدادي ألا يدعوا هذه اللجنة الى الاجتماع بعد ذلك فأصبحت في حكم المنحلة.

وبهذه المناسبة لا بد لي من ذكر ما جاء في كتاب هيكل "عبد الناصر والعالم" (ص175). يقول هيكل في استعراضه للأوضاع في سورية قبل الوحدة:

"كانت سورية مشتتة ممزقة بين مكائد العائلة الهاشمية وأموال الملك سعود والأفكار المصرية عن القومية العربية". وهكذا



فإن هيكلي، حتى بعد وفاة عبد الناصر، يغير الحقائق عندما يعتبر القومية العربية أفكارا ناصرية وهو أمر يخالف الحقيقة.

لقد كان أملنا كبيرا في ذلك الوقت أن تعم الافكار العربية القطر المصري، وكان السبب الأساسي في زعامة عبد الناصر في المشرق العربي اعلان تبنيه لمفاهيم القومية العربية التي كانت تعم سورية والمشرق العربي كعقيدة منذ أواخر القرن التاسع عشر.

ولا بد لي من الاعتراف هنا بأن وعينا - بعد تجربة الوحدة - قد ازداد وضوحا وواقعية للموضوع الوجودي، كما أنه لا بد من الاعتراف بأن تفكيرنا آنذاك بقيام الحزب العربي الواحد، وهو ما كنا نأمل أن يكونه الاتحاد القومي هو تفكير غير واقعي وغير ديموقراطي، وان بناء أي شكل من أشكال الوحدة أو الاتحاد أو الكيان السياسي يجب أن يقوم على اساس تعدد الاحزاب التي من الضروري أن تنتظم في جبهة وطنية عريضة، وان تراعى الشخصية الوطنية والخصوصيات القطرية.

بعد توقف اجتماعات لجنة الاتحاد القومي استمر عبد الناصر بالدعاية لهذا التنظيم المزمع إنشاؤه. تلك الدعاية التي بلغت أوجها في تموز 1959 موعدا إجراء انتخابات كوادرات الاتحاد القومي، وكانت هذه الدعاية تستهدف إقناع الرأي العام في سورية خاصة بجدوى تجربة الاتحاد القومي في ملء الفراغ السياسي الذي حدث فيها بعد حل الاحزاب، هذه التجربة التي ثبت فيما بعد عبثها وسلبيتها وتخریبها.

والحقيقة أن عبد الناصر لم يكن يرض بأي تنظيم شعبي جدي، لأنه كان يعتبر ذلك سبيلا لخروج السلطة من يده وتمييع نظامه، وقد قال لي بصراحة بعد تشكيل الحكومة المركزية وبمناسبة الحديث عن مجلس الأمة المصري الذي حل بعد قيام الوحدة: إن من حسنات الوحدة انها بررت له حل هذا المجلس فقد طمع النواب وتمادوا -كما قال- حتى بلغ الأمر ببعضهم أن طالب بتشكيل حزب للفلاحين، وقد تحدث البغدادي مطولا في

مذكراته عن المتاعب والخلافات التي عاناها مع عبد الناصر بصفته رئيسا لمجلس الأمة بسبب الحرية المحدودة التي مارسها اعضاء مجلس الأمة في التشريع ورقابة السلطة التنفيذية.

كان عبد الناصر يعتقد أن حزبه الحقيقي هو جهاز المخابرات والاعلام، وكان يعتبر تشكيل الاتحاد القومي هو للاستهلاك ولالهاء الراي العام، ولطالما نشرت وسائل اعلامه ادعاء غريبا بقولها أن الحزب يفصل ما بين عبد الناصر والجماهير، وان عبد الناصر يريد أن يلتقي بجماهيره بدون وسيط.

أما بعد الانفصال فقد رأى عبد الناصر لضرورة المحافظة على زعامته في العالم العربي أن يفتش بجديّة أكثر عن ايدولوجية وتنظيم قائم على اساسها، وان هذا الأمر لا بد منه، فاستعان بحشد من مثقفي مصر على اختلاف اتجاهاتهم، وأطلق لهم حرية واسعة لمناقشة الميثاق القومي وصياغته وهو الميثاق الذي تشكل على اساسه الاتحاد الاشتراكي العربي والذي لا زالت له بعض البقايا في مصر وغيرها من البلاد العربية.

ان افكار عبد الناصر، عند مناقشة موضوع الاتحاد القومي، كانت غائمة وغيرمتبلورة، وكانت لا تتعدى الافكار التي وردت في كتاب فلسفة الثورة الذي صدر بعد انفراده بالحكم في مصر، فبعد استفحال الخلاف بينه وبين عبد الكريم قاسم والشيوعيين في العراق، وكان ذلك خلال شهر حزيران عام 1959، استدعاني عبد الناصر للاجتماع به في ذهبية على نهر النيل مقابل مجلس قيادة الثورة القديم، وقد دعا الى هذا الاجتماع كلا من المشيرعامر وزكريا محيي الدين وعبد المجيد فريد، وبعد أن شرح فريد تطور الأوضاع في العراق وموقف عبد الكريم قاسم من الجمهورية العربية المتحدة واعتماده على الشيوعيين الذين يكون العداء للقومية العربية، تساءل عبد الناصر فيما إذا كان بالمستطاع أن يكون للعرب نظرية عالمية شمولية مثل الماركسية، فاستغربت طرح الموضوع على هذا الشكل وقلت :

ان من غيرالممكن ومن غير الضروري أن نصطنع للقومية نظرية شمولية عالمية، وانما المطلوب بالتحديد للأمة العربية استخلاص وبلورة مبادئ عربية تقدمية مستقاة من ماضيها وتراثها ومنبثقة من حاجاتها وتطلعاتها في العصر الحاضر. ولما سئل زكريا محيي الدين عن ذلك أجاب بقوله :

يجب علينا أن نحصر اهتمامنا بترسيخ الوحدة ما بين مصر وسورية، وان ندع الاقطار العربية الأخرى، لأن القومية العربية بذرة موجودة يجب أن ندعها تنمو شيئا فشيئا وهذا أمر يحتاج إلى وقت ليس بالقصير.



كان الهدف الأول من اختراع الاتحاد القومي بالصيغة التي طرحها عبد الناصر بعد الوحدة هو تفتيت العلائق والوشائج التي كانت متينة وراسخة وحصيلة نضال طويل بين القواعد الجماهيرية لحزب البعث العربي الاشتراكي وبين كوادره رغم حله، ولقد بدأ بعد الوحدة بأيام معدودة ومنذ ان وطئت قدماه دمشق مباشرة بمهاجمة الاحزاب جميعا دون استثناء (راجع خطب عبد الناصر في أوائل عام 1958).

لقد كانت الاحزاب في سورية ضعيفة، ولم يكن عبد الناصر يعتبرها مهددة لسلطته في سورية، ما عدا حزب البعث والحزب الشيوعي اللذين ناصبهما العدا على حد سواء، وللوصول الى غايته كان لا بد من الاعتماد على مسؤول سوري يكن العدا لحزب البعث، يؤيده ويمنحه جميع السلطات للقيام بهذه المهمة، وقد وقع اختياره على ضابط المخابرات عبد الحميد السراج فكانت أولى خطبه ما قام به من دعايه وتلميع له بمناسبة الحديث عن المحاولة السعودية التي لم تكن تستهدفه شخصا بمقدار ما تستهدف الحركة الوطنية الديموقراطية الشعبية في سورية.

إن عبد اللطيف البغدادي يتحدث في مذكراته عن جو الإرهاب الذي اشاعه عبد الحميد السراج في سورية بقوله :

"لقد وضح لنا منذ بداية عملنا هناك (أي عمل اللجنة الثلاثية في سورية، وهي اللجنة التي أعلن عنها عبد الناصر بتاريخ 1959/1/23 وكانت مؤلفة من البغدادي وأكرم الحوراني وزكريا محيي الدين) قوة عبد الحميد السراج وقبضته البوليسية على الشعب السوري، حتى أطلق عليه أفراد الشعب اسم السلطان عبد الحميد، إشارة منهم إلى عبد الحميد سلطان تركيا المستبد في عهد الدولة العثمانية. (صفحة 57 الجزء الثاني). كما يقول في موضع آخر :

"وفي هذا التاريخ (كانون ثاني 1959) أبلغنا أكرم الحوراني احتجاج البعثيين السوريين على فصل سبعين موظفا من موظفي وزارة الحربية في سورية، وكانوا قد فصلوا بحجة أنهم ينتمون الى أنظمة سياسية".

"وقد تحدث أكرم الحوراني عن التصريح الذي كان زكريا محيي الدين قد أدلى به الى مجلة روز اليوسف، وجاء به انه ستشكل لجنة حيادية للاشراف على تنظيم الاتحاد القومي، وتساءل اكرم الحوراني عن المعنى المقصود من هذا التصريح وهل هو ابعاد البعثيين، وتكلم كذلك عن وجود فراغ سياسي في سورية بعد حل الأحزاب هناك وعن ضرورة ملء هذا الفراغ، وذكر أن اصح من يشغله هم البعثيون لايمانهم بالوحدة ودورهم في قيامها" ويعلق البغدادي على ذلك بقوله:

"وهذا صحيح ولكن جمال كانت تتنابه الشكوك بنواياهم" (ص58 الجزء الثاني).

لقد كانت زيارة عبد الناصر والمرشال تيتو الى سورية خلال اعياد الوحدة لعام 1959 مناسبة لاطهار ما تتمتع به من شعبية ساحقة مما أقلق جمال عبد الناصر وجعله يسرع في انتخابات الاتحاد القومي، ولا أزال أذكر انه قد جرى قبل تلك الانتخابات اجتماعان متقاربان :

الاجتماع الأول في القناطر الخيرية الذي دعي اليه المشير عبد الحكيم عامر وعبد الحميد السراج وزكريا محيي الدين وعبد

اللطف البغدادي وأنور السادات وعبد المجيد فريد، وقد ألمح عبد الناصر في مباحثات الوحدة الثلاثية الى ما يتنافى مع حقيقة ما جرى في ذلك الاجتماع عندما يقول :

"أما الاتحاد القومي فقد اشترك معنا اكرم الحوراني في الدراسة واجتمع منا عدة ساعات في القناطر الخيرية ولم يعترض على ما تقرر، ولم يبد اي ملاحظات، وكان عبد المجيد سكرتيراً لهذه الجلسة ولديه المحاضر الكاملة بها" (ص13- محادثات الوحدة الثلاثية). وقبل أن أتحدث عما دار في هذين الاجتماعين أحب أن أثبت ما يلي:

لقد لفت نظري في اجتماعات الاتحاد القومي التحريف والحذف الذي بدئ به منذ محضر الجلسة الأولى للجنة التي شكلت لوضع مبادئ الاتحاد القومي، فاعترضت آنذاك على التحريف، وأصررت على الاطلاع على محضر كل جلسة، وتصحيح كل تحريف وكل إضافة ومع ذلك فقد كنت أتمنى أن ينشر عبد الناصر تلك المحاضر لتبين منها خلافاتنا التي اضطرته الى فض الاجتماع وخروجه غاضباً إلى حديقة استراحة القناطر الخيرية.

لقد انصب الخلاف آنذاك على انتقاء الكوادر التي ستؤلف الاتحاد القومي، وقد كان رأيي أن الاحزاب السياسية في سورية لا تقوم جميعها على تنظيم راسخ وأفكار واضحة محددة فيوجد في الحزب الواحد، كما في حزب الشعب والحزب الوطني مثلاً، من كان سائراً في ركاب الرجعية العراقية والمشاريع البريطانية والاحلاف العسكرية، كما يوجد في الحزب نفسه من كان ضد ذلك، بالإضافة إلى اختلاف الاصول والمنشأ السياسي والطبقي بين قيادات الحزب الواحد، وقد تمثل ذلك في قيام التجمع القومي ووضع الميثاق الوطني الذي قامت على أساسه الوحدة بين مصر وسورية.

لذلك كنت أرى أن يترك للشعب حرية التصويت لاختيار المرشحين من مختلف الاحزاب السابقة، باعتبار ان كوادرها كانت تمثل قيادات فعلية في المجتمع السوري قبل قيام الوحدة، ومنها

اختيرت الوزارة المركزية والمجلس التنفيذي، فكان الوزراء ينتمون الى تكتلات وأحزاب ليست بعيدة عن بعضها كثيرا في تفكيرها السياسي ومفاهيمها القومية العربية، بل وبفهمها لبعض الأفكار الاقتصادية والاجتماعية، وقد ساهم معظمها بقيام الوحدة. ولكن عبد الحميد السراج- وعلى الأغلب بايعاز من عبدالناصر- اقترح أن يكون القوميون العرب هم العمود الفقري للاتحاد القومي فعارضت هذا الاقتراح قائلا :

أولا: ان الرئيس عبد الناصر قد اتهم القوميون العرب أمامي مرارا بتأييدهم لمشاريع الاتحاد مع عراق نوري السعيد.

ثانيا: ان القوميون العرب لا شأن كبيرا لهم في الحياة السياسية السورية، بالاضافة الى أغلبهم من أبناء الطبقة الاقطاعية الذين تخرجوا من الجامعة الاميركية، ولكنني اعترفت بالوقت ذاته بأن بينهم العديد من الشباب الوطنيين التقدميين الذين يمكن أن يكونوا كوادرا صالحة للاتحاد القومي كهاني الهندي، ولكن عبد الحميد السراج قال: ان القوميون العرب هم الحزب النظيف الذي يمكن الاعتماد عليه لأن موارده المالية هي من تبرعات الاعضاء، قال ذلك وكأنه يعرض بمشيل عفلق الذي قبض معونة مالية من مصر كما ذكرت سابقا.

لقد كان واضحا ان عبد الناصر وعبد الحميد السراج سيعتمدان على جميع خصوم البعثيين في الاتحاد القومي المزمع انشاؤه، ومنهم القوميون العرب، لما هو معروف من خصومتهم لحزب البعث، ولاشترائيته التي يعتبرونها عائقا لقيام الوحدة العربية.

ومن الجدير بالذكر في هذه المناسبة، كدلالة على العقلية التي حكمت سورية في عهد الوحدة، ان عبد الحميد السراج قبيل هزيمة حزيران عام 1967 بأسبوعين كان قد صرح في القاهرة، ونقلت تصريحه الجرائد الناصرية في بيروت، بأن أعظم منجزات عبد الناصر هي قضاؤه على الاحزاب السياسية وجعله 42 مليون مصري عربا.

اما الاختلاف الثاني بيني وبين عبد الناصر، وهو الاختلاف الذي جعله يفض الاجتماع ويخرج الى الحديقة كاظما غيظه، فهو اعتراضى على الطريقة التي قسمت المناطق الانتخابية الى احياء وحارات، وكأن الموضوع هو انتخاب مخاتير لا كوادر لتنظيم سياسى ولقد قلت في ذلك الاجتماع :

إن هذه الطريقة ستثير الخلافات الشخصية والعصبيات العائلية والعشائرية والطائفية، وستفتت المجتمع وتصرفه عن التفكير والتعلق بالاهداف الوطنية والقومية والقضايا الاجتماعية والاقتصادية، كما قلت :

المعروف في البلاد الديموقراطية ان هنالك اساليب للانتخابات، فإما على أساس القضاء أو المحافظة أو الدائرة الانتخابية، واما على أساس التمثيل النسبي، مما يساعد على إخراج المعركة الانتخابية عن دائرة النزاعات والعصبيات المحلية الى مستوى الافكار والقضايا العامة.

قلت لعبد الناصر بصراحة :

انه لا يمكنني أن أوافق على هذه الطريقة بشكل من الاشكال، فسورية منذ أول انتخابات جرت في العهد العثماني الى عهد الانتداب إلى عهد الاستقلال الى قيام الوحدة هي ضد العصبيات العائلية والعشائرية والطبقية والطائفية التي كان يغذيها الاستعمار، سورية هذه قد بلغت مرحلة متقدمة من التطور الديموقراطي في معاركها الانتخابية، ولن أوافق على هذه الطريقة التي لا تشبه لها في العالم.

هنا رد علي عبد الناصر على الفور قائلا :

إنها ذات الطريقة المتبعة في البرتغال! قلت له :

هل تريد أن نتخذ من نظام الديكتاتور سالازار نموذجا لبناء نظامنا السياسى؟ انفعل عبد الناصر كثيرا من هذا التساؤل وقال : لنخرج الى الحديقة، وطلب من المشير عامر أن يشاركه في لعبة الغولف، فوقفت جانبا مع الآخرين أتفرج على هذه اللعبة،

وكان عبد اللطيف البغدادي يشجع عبد الحكيم عامر على سبيل المزاح فقال له عبد الناصر بين الجد والهزل:

**إياك يا عبد اللطيف أن تتفق مع المشير علي فأنا رجل صعب ولا قبل لكما بي.**



كان الاجتماع الآخر الذي دعيت إليه بعد هذا الاجتماع، في مكتب المشير عامر في وزارة الدفاع، وكان عبد الحميد السراج موجودا عندما طرحت قضية الاتحاد القومي فأصررت على مواقف السابقة، وعلى أن تجري الانتخابات بطريقة حرة ونزيهة دون تدخل من السلطة، لأنني كنت متأكدا من التدخل الذي سيلجأ إليه عبد الحميد السراج، وان القضية كلها كما شعرت تستهدف بالدرجة الأولى تفتيت ما تبقى في المجتمع السوري من علاقات سياسية وعقائدية حزبية.

وقبل انتخابات الاتحاد القومي التي جرت أوائل صيف عام 1959 أعلن عبد الناصر عن تأليف لجنة سماها لجنة الشطب (شطب المرشحين الذين لا ترضى عنهم السلطة) ثم ألغاه بعد أن أشاعت المخابرات انني كنت وراء تأليفها، كما صرح أنور السادات بأن قرار الرئيس عبد الناصر بانتخاب اللجان المحلية للاتحاد هو أخطر قرار اتخذته الرئيس بعد قرار القيام بثورة 23 تموز، ثم أعلن وزير الداخلية المركزي زكريا محيي الدين بأنه سيفتح باب القيد في جداول الانتخابات بتاريخ 59/5/17 ، بعد ذلك أصدر عبد الناصر قرارا تحت رقم 977 يدعو فيه الناخبين لانتخاب اللجان المحلية للاتحاد القومي في مدن وقرى الجمهورية في يوم 59/7/15.

كانت هذه القرارات تصدر تباعا بينما كانت أجهزة المخابرات وأجهزة الاعلام تقوم بدعاية واسعة للاتحاد القومي. ففي دمشق كتب جمال الأتاسي رئيس تحرير جريدة الجماهير التي أسست بعد قيام الوحدة، بأن الاتحاد القومي تجربة غنية ودعا الصحفيين والمثقفين والكتاب لتأييد هذه التجربة الفريدة.



بعد تعيين موعد إجراء الانتخابات كان الوزراء المركزيون والتنفيذيون البادئين بترشيح أنفسهم، أما أنا فقد كنت -قبل ذلك- متفقا بالرأي مع الاستاذ صلاح البيطار تجاه تجربة الاتحاد القومي ونتائجها العبثية السلبية، وقد اجتمع بي البيطار وسألني عن رأيي فيما إذا كنت سأذهب الى سورية وأخوض المعركة الانتخابية فقلت له:

بعد خلافي مع عبد الناصر والمشير الذي أخبرتك عنه في الاجتماعات السابقة فإنني لن أسافر الى سورية، ولن أرشح نفسي لهذه الانتخابات، فهي مهزلة خطيرة لها نتائجها في المستقبل، فاتفقنا أن نمتنع عن ترشيح انفسنا، ولما كنت أخشى أن يتراجع صلاح البيطار تحت ضغط عبد الناصر، فقد حذرته كثيرا من مغبة ذهابه الى دمشق وخوضه المعركة الانتخابية، ولا سيما أن وضعه الشعبي في الأساس- ضعيف في حيه (حي الميدان) قياسا على ما ناله من أصوات في المعركة الانتخابية التي جرت عام 1954، ولكنني فوجئت بعد بضعة أيام بذهابه الى دمشق، وقد صح ما حذرته منه فقد كانت الاصوات التي نالها أقل من الاصوات التي نالها المرشحون الآخرون في حيه، كما أهانه الناخبون في أحد المراكز الانتخابية.

أما أنا فقد أرسلت الى سورية سرا ايعازا بأن يمتنع الحزبيون السابقون عن ترشيح أنفسهم، ما عدا الوزراء المشتركين في الحكم، وفعلا انسحب عدد كبير منهم، ولكن الذي يؤسف له ان صلاح البيطار بالاتفاق مع ميشيل عفلق قد شجعا جماعتهما في دمشق على ترشيح أنفسهم فسقط معظمهم، مما دعا رجال المخابرات المصرية إلى تشبيه انسحاب البعثيين الاشتراكيين الآخرين من الانتخابات دون أن يمكنوا المخابرات من اسقاطهم بانسحاب دنكره وهو انسحاب الجيش البريطاني من فرنسا دون أن يمكن الجيش الالمانى من سحقه.

بعد ترشيح الوزراء المركزيين والتنفيذيين انفسهم وامتناعي عن الترشيح والسفر الى سورية، حاول عبد الناصر إغرائني بالسفر فأوعز للصحف بنشر الخبر التالي:

"الحوارني قادم الى دمشق للاشراف على انتخابات الاتحاد القومي - ينتظر وصول نائب رئيس الجمهورية الى دمشق للاشراف على عملية الانتخابات في الاقليم الشمالي" كما بدأت تأتيني مخابرات هاتفية من أشخاص لم يذكروا أسماءهم يسألون عن موعد ذهابي الى سورية!! وعندما يئس عبد الناصر من ذهابي أوعز لجريدة الجمهورية أن تنشر في الصفحة الأولى - مع صورتي- خبر عدم ذهابي الى سورية للاشراف على الانتخابات، لأن الانتخابات ستجري بحرية تامة، وأن الحكومة حريصة على عدم تزويرها!

ومع ذلك فقد أوعز عبد الناصر إلى أجهزته بترشيحي عن حماه، ولما أعلن السراج نتائج الانتخابات وأسماء الفائزين عن أقسام مدينة حماه رتب الأسماء بحيث وضع اسمه في المقدمة، ووضع اسمي في آخرها، مع انني نلت من الأصوات اكثر من كل الفائزين ما عدا عبد الحميد السراج الذي أضيفت له اصوات مزورة لئلا أكون الفائز الأول في هذه الانتخابات.

شغلت انتخابات الاتحاد القومي الناس وجميع أجهزة الدولة خلال شهري حزيران وتموز من عام 1959، وكان عدد المرشحين في سورية 25 ألف مرشح فقط! أما عدد المرشحين في مصر فكان 41 ألف مرشح! وكان التنافس بين هؤلاء المرشحين مثيرا لكل أنواع الانقسامات والعصبيات، وكان معظم الفائزين من الأميين، وسقط معظم المثقفين الذين رشحوا انفسهم ولم ينجح منهم إلا من أرادت المخابرات انجاحه، وان كان قد تم اختيار بعض من سقطوا لمجلس الأمة فيما بعد عندما تم **تعيينه** في شهر شباط 1960 في الذكرى الثالثة لقيام الوحدة.



في أوائل شهر تموز حدد عبد الناصر في حديث له، كتبه رئيس تحرير جريدة الأهرام محمد حسنين هيكل تحت عنوان (هذا هو الاتحاد القومي) جاء فيه:

"إنه ليس حزبا لأصحاب الأموال وحدهم، وليس حزبا لملاك الأرض وحدهم، وليس حزبا للأجراء وحدهم. وليس حزبا للذين ورثوا، وليس حزبا للذين لم يرثوا. ليس حزبا لطبقة، وليس حزبا لجماعة، وليس حزبا لفرد، وإنما هو تنظيم الوطن بأكمله بلا تمييز ولا تفرقة ولو كان حزبا فأين هو الحزب في تاريخ الأحزاب ذلك الذي يتم تكوينه بانتخابات حرة عامة على نطاق وطني شامل؟"

ان شرح وتوضيح ماهية الاتحاد القومي كما كتبه هيكل وكما جاء على لسان عبد الناصر قد أصبح موضعا للتندر والنكات في القطرين، وأصبح الناس يرددونه كحزورة، والحقيقة ان الاتحاد القومي لم يكن قائما ولا موجودا، فلم يقصد منه أن يكون له أي وجود سياسي أو قومي أو اقتصادي أو اجتماعي، بل كان الغرض منه الهاء المواطنين واشغالهم دون طائل، وفي ذلك ما فيه من إستغلال للشعب وامتهان للمواطنين وللرأي العام.

**إن هذا شأن الأنظمة الفردية والعسكرية في معظم البلدان العربية ومعظم بلدان العالم الثالث حتى لقد أصبح لهذه الانظمة سمات واحدة تكاد تشترك فيها جميعا.**

لقد كان من الطبيعي أن يتخبط عبد الناصر في تحديد الغرض من وجود الاتحاد القومي، كما كان اكثر تخبطا في اتهام الاحزاب لتبرير حلها والقضاء عليها، فقد اتهم الاحزاب تبريرا لحلها بأنها إما أن تكون متصلة بالغرب أو بالشرق فهي إذن خائنة تتلقى توجيهاتها من الخارج، وقد أوضح ذلك صراحة في خطابه الذي ألقاه في تموز 1959 بعد أن تم اجراء المرحلة الأولى من انتخابات الاتحاد القومي، ومن المفيد أن نسجل خلاصة لهذا الخطاب الذي قال فيه عبد الناصر:

"كان كفاحنا من أجل الحرية والقضاء على الاقطاع فحولنا الأجراء الى ملاك، اننا أنهينا سيطرة رأس المال على الحكم وقضينا على الاحتكارات وكسرنا احتكار السلاح، وأقمنا جيشا وطنيا وهزمتنا الاحلاف وسياسة النفوذ" ثم قال:

"هل أن شعبنا هو الذي تسبب في نكسة فلسطين؟ إن السبب هو الاستعمار وعملاؤه".

"لقد أقمنا التضامن الافريقي الاسيوي، وأممنا القناة وهزمنا العدوان ثم أثنى على الجيش السوري وعرض بثورة 14 تموز في العراق عندما قال أن الثورات المنحرفة هي نكسات، وبعد أن حدد سياسته بالنسبة للاتحاد السوفيتي قال بأن معالم الطريق للمستقبل أولها سياسة الحياد الايجابي، وثانيها القومية العربية وهي السياسة التي تعيدنا إلى تاريخنا، وثالثها قيام الاتحاد القومي الذي جاء نتيجة لتجربة طويلة لأثار التفرقة والحزبية التي تحول دون وحدة الكلمة، وقد ثبت أن وحدة الشعب قد تحققت بعد الثورة بالقضاء على الأحزاب، ورابع هذه المعالم هو بناء مجتمع ديموقراطي متحرر من الاستغلال الاقتصادي والسياسي، وإن الاتحاد القومي هو ضمان لبناء هذا المجتمع، فالتجربة أثبتت فساد الأحزاب، وإن الاتحاد القومي ليس استمرارا للحزبية خصوصا بالنسبة للاقليم الشمالي حيث اشترك الجميع في انتخابات الاتحاد القومي (وقد أراد بهذا القول نفي ما شاع بأن البعثيين قاطعوا الاتحاد القومي) ثم قال :

"والذين يقولون اننا دخلنا هذه المعركة ضد البعث أو ضد غيره هو كلام الغرض منه تفريق أبناء البلد الواحد، فنحن في هذه الانتخابات كنا ننظر الى كل فرد على انه الفرد الفلاني، المواطن الفلاني الذي لا ينتمي الى أي حزب أو هيئة، وفي المستقبل بعد تكوين الاتحاد القومي علينا حساب كل من يأخذ أوامره من رئيس الحزب القديم الذي كان ينتمي اليه لأنه خائن للاتحاد القومي، ويجب مؤاخذته لأنه كفر بأول هدف من أهداف الاتحاد وعمل على كسر وحدة الأمة" ثم قال:

ان أي شخص يحاول أن يؤسس حزبا أو يعود الى حزب قديم فإنه يعتبر متآمرا على البلد كلها فلا وطني ولا شعبي ولا بعثي ولا وفدي ولا أي شيء آخر".

بعد انتهاء عبد الناصر من خطابه أمام الجماهير المحتشدة في ميدان الجمهورية، دخلنا وراءه الى قاعة المبنى الرئيس للاتحاد القومي المطل على ميدان الجمهورية، وكان عبد الناصر نشوانا من خمرة التصفيق والهتاف من قبل الحشد العظيم، وقد التف حوله الوزراء يمجدون خطابه بينما تجنبت ذلك فتوجه إلي قائلا أمام جميع الوزراء المحتشدين قائلا :

هل أعجبك خطابي؟

وجدت نفسي أحييه بصورة عفوية: والله لم يعجبني أبدا.  
تضاحك عبد الناصر كاظما غيظه من جوابي الذي كان ينتظر عكسه، وهو جواب لم يكن قد سمع مثله من أحد قبلي.  
ومن الجدير بالملاحظة أنه بعد وفاة عبد الناصر بعشر سنوات وبعد انقضاء واحد وثلاثين عاما على حل حزب الوفد واضطهاد قاداته ومحاكمتهم، يبعث حزب الوفد من جديد كأحد الفئات السياسية المصرية الهامة رغم حله واضطهاده من قبل خليفة عبد الناصر أيضا أنور السادات.  
يقول عبد اللطيف البغدادي في مذكراته :

"لم يكن هنالك تنظيم سياسي إلا تنظيم الاتحاد القومي، وهو نفسه كان تنظيما فاشلا، ولا يشارك في وضع السياسة العامة للبلاد، وحتى قراراته نفسها -ان اتخذ قرارا- لم تكن ملزمة لأحد، ومجلس الأمة، سلطة الرقابة الشعبية على أجهزة الدولة، كان قد أصبح أضحوكة الجميع، ولم يكن يباشر صلاحياته، بل وصوته لم يكن مسموعا" (ص122 الجزء الثاني).

تابع جمال عبد الناصر الاحتفالات بأعياد 23 تموز في مدينة الاسكندرية فكانت زيارتي الأولى لهذه المدينة التاريخية الجميلة، وقد نزلت مع عبد اللطيف البغدادي في أحد القصور، وأظن أنه كان يخص العائلة المالكة، ثم توجهنا في اليوم التالي الى فيلا عبد الناصر الواقعة مباشرة على ساحل البحر تحيط بها حديقة واسعة جدا من الحمضيات، وفهمت بعد زيارة هذه الفيلا السبب الذي

جعل عبد الناصر يوافق على المشروع الذي أحيل إلي في اللجنة التشريعية والذي يقضي بتكليف وزارة الاصلاح الزراعي بناء فيلات للوزراء في الاسكندرية وهو المشروع الذي رفضت الموافقة عليه.

أقيم في الاسكندرية عرض للقوات المسلحة، ثم موكب شعبي في ملاعب البلدية أطلق عليه موكب الزحف المقدس، وقد لفت نظري مرور سيارة قيل أنها من صنع المعامل المصرية، فقلت للمشير عبد الحكيم عامر الذي كان جالسا بجانبني انه لأمر مفرح أن نبدأ بصناعة السيارات فقال اننا لم نصنع هذه السيارة، فظننت انها قد جمعت في المعامل المصرية، ولكن المشير قال وحتى هذا لم نتوصل اليه حتى الآن، مع ان صحف الجمهورية نشرت بأن المعامل المصرية قد بدأت بانتاج 3600 سيارة.

وقد جاء في خطاب عبد الناصر في هذا الاحتفال:

"إننا سنصنع بانفسنا المدرعات والدبابات والطائرات والمدافع" وكان هذا القول ردا على تصريحات موسى ديان الذي هدد باحتلال سيناء والضفة الشرقية لقناة السويس إذا لم تسمح الجمهورية العربية المتحدة بمرور السفن الاسرائيلية في قناة السويس .. كما قال عبد الناصر في ذلك الخطاب قاصدا موسى ديان:

اعتقد ان هذا الرجل يخرف أو يعيش في الأوهام.. انه يحلم ويتخيل .. انه يقول "ان على اسرائيل ان تحتل سيناء ونحن نقول له اننا بالانتظار، وان هذه المعركة ستكون فاصلة وستنتهي اسرائيل، هذا هو يا إخواني حلم العرب وهذه هي أمنية الأمة العربية".

والذي ظهر بعد ثماني سنوات ان عبد الناصر الذي كان ينتظر مجيء الاسرائيليين، من الشرق طبعاً، قد جاءوا من الغرب، وان اسرائيل كانت جادة فيما تقول بينما كان العرب يتخيلون ويخرفون ويعبثون، فقد احتل الجيش الاسرائيلي عام 1967 سيناء والضفة الشرقية للقناة والضفة الغربية للأردن والجولان في

سورية، واحتل عام 1973 الضفة الغربية للقناة ومزيديا من الأراضي السورية، وكان آخر غزوات اسرائيل هو اجتياح لبنان عام 1982 وبقاؤها في الشريط الحدودي في الجنوب وسرقتها مياه الليطاني، وما زال معظم الحكام العرب يتهاونون ويختلفون ويضطهدون، وما تزال الدول العربية ليست عاجزة فحسب عن صنع الدبابات والمدرعات والمدافع كما جاء في خطاب عبد الناصر عام 1959 بل ومتخلفة كثيرا عن انتاج ما يكفي شعوبها من الغذاء والدواء والكساء.



بعد نهاية الاستعراضات العسكرية البرية والبحرية وزيارة جامعة الاسكندرية، سافرنا الى قصة (ادفينا) التي كانت ضمن املاك الملك، ثم استولى عليها الاصلاح الزراعي وتبلغ 15 الف فدان، وقد طلب مني عبد الناصر أن ألقى كلمة في مهرجان الفلاحين الذي أقيم هنالك فقلت ما خلاصته :

"إنه يحضرني بهذه المناسبة، مناسبة عودة الأرض الى الفلاحين - موقف سيدنا عمر التاريخي عندما خرجت الجيوش العربية الطافرة الى العراق وسورية ومصر حاملة رسالة نبينا محمد، رسالة المحبة والخير والعدل، وبعد ان طردوا منها الغاصبين طلب من سيدنا عمر أن يفتي هذه الجيوش المنتصرة في حقها أن يمتلك مجاهدوها الأراضي التي استولوا عليها، فاستشار عمر أصحابه شأنه في كل ما يعرض عليه من أمور المسلمين، وبعد استشارتهم أمر بأن يبقى الفلاحون في الأراضي المفتوحة وأن يتصرفوا فيها ويستثمروها ويدفعوا خراجها على أن تبقى رقيبتها لبيت المال، هذه هي فتوى عمر منذ ألف وثلاثمائة عام" وقد حرفت الصحف القاهرية كلمتي هذه وادعت أنني شبهت عدل عبد الناصر بعدل عمر بن الخطاب.

ومن الجدير بالذكر أن عبد الناصر جعل من مناسبة 23 تموز مناسبة للدعاية ليس فقط للاتحاد القومي والتهديد والوعيد لمن لا يؤيده وينتسب اليه، بل قام بحملة جائرة مضللة ضد الحياة

الديموقراطية البرلمانية السابقة في مصر وسورية، فقد جاء في خطابه في ادفيانا:

"نحن نقيم الاتحاد القومي لجميع المواطنين وليس لأتباع جمال عبد الناصر أو أنور السادات أو أي شخص آخر، لأنكم انتم في السنين التي فاتت قاسيتم من الحزبية وقاسيتم من السيطرة ورأيتم كيف ان الحزبية تتحول الى السيطرة والاستغلال، ورأيتم كيف أن الذين ينادون بالوطنية والحرية في الخطب التي يلقونها في البرلمان عندما يصلون للحكم يشتري كل واحد منهم عزة أو يكبر التفطيش أو الغيط، أما اليوم فلا يوجد ولله الحمد واحد منا يشتري الفدادين".

لقد كان في إطلاق هذا الادعاء ظلم وإساءة بالغة لعدد كبير من النواب الوطنيين الديموقراطيين، في مصر وسورية في عهدها البرلمانية، الذين لم يستغلوا ولم يثروا وكانوا مثالا للنزاهة والوطنية والشرف، أما في الأنظمة الفردية الديكتاتورية فإن المتسلطين يعتبرون أموال الخزينة أموالهم يتصرفون بها حسب أهوائهم.

قال لي جمال عبد الناصر في إحدى المناسبات انه رفض مرارا قبول أموال وهدايا ثمينة قدمها له ملوك وامراء وشيوخ البترول، مدللا بذلك على نزاهته التي لا أشك بها ولم أطلع على ما يطعنها، ثم قال متسائلا :

كيف أقبل بهدايا هؤلاء، والموازنة المصرية كلها بين يدي فأنا لست محتاجا إليهم، ولا شك أن عبد الناصر كان صادقا في رفضه ما قدم إليه من هدايا وفي رفضه قبض الثلاثة ملايين دولار التي قدمتها المخابرات المركزية والتي حولها لبناء برج(1) القاهرة، ولكن السادات الذي نصبه جمال عبد الناصر آنذاك رئيسا لمجلس الأمة الذي انبثق عن الاتحاد القومي، كان يتقاضى بمعرفة جمال عبد الناصر نفسه راتبا من السعودية بواسطة كمال أدهم، كما كان

(1) تحدث عن هذه الواقعة محمد حسنين هيكل في كتابه عبد الناصر والعالم، كما تحدث عنها مايلز كوبلاند في كتابه لعبة الأمم.



يتناول الهدايا هو وعائلته من شيوخ وأمراء البترول، ومع ذلك فقد جعله عبد الناصر نائبا له قبل وفاته. ان خليفة عبد الناصر أنور السادات طلب من كيسنجر أن يهديه طائرة هليكوبتر أعجبتة، كما طلب من الولايات المتحدة أن تسجل على اسمه مبنى كان بملكية سفارتها في القاهرة، ومن أراد أن يقف على المزيد من أخبار رئيس الاتحاد القومي ورئيس مجلس الأمة خلال سنوات الوحدة وخليفة عبد الناصر بعد ذلك فليعد الى كتاب خريف الغضب الذي ألفه محمد حسنين هيكل.

لقد قرب جمال عبد الناصر أنور السادات وجعله خليفته الذي ورثه بعد موته، بعد ان استقال جميع رفاق عبد الناصر (عبد اللطيف البغدادي، كمال الدين حسين، زكريا محيي الدين) مع انه كان ينظر إليه نظرة استخفاف، فلقد سألني مرة عبد الناصر لماذا أهاجم أنور السادات وأحمل عليه وهو "راجل غلبان"؟ ونحن نوفر له أسباب الراحة". لقد دهشت يومذاك من قول عبد الناصر وقلت له انه لم يخطر في بالي أن أحمل على أنور السادات وما نقل إليك غير صحيح.

لقد كان أنور السادات منزويا الا فيما يكلفه عبد الناصر من شؤون، ولا أذكر انه دعي مرة لاجتماع هام من الاجتماعات التي كان يحضرها رفاق عبد الناصر، بل لعله كان رقيقا عليهم.

1958-1959 : أحداث رافقت التهيئة لانتخابات الاتحاد القومي 1- تشكيل اللجنة الثلاثية العليا من عبد اللطيف بغدادي وأكرم الحوراني وزكريا محيي الدين. 2- الخلاف بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتي 3- ثورة الشواف في العراق. 4- عبد الناصر يعيد ترتيب علاقته مع الاتحاد السوفيتي. 5- تطور الوضع الداخلي في العراق خلال النصف الأول من عام 1959. 6- عبد الناصر يحاول تطبيق نظام عبد الكريم قاسم. 7- محاولة وضع تخطيط علمي للسياسة الانمائية في الجمهورية العربية المتحدة.

الآن، وبعد الاستطراد في بحث مراحل انتخابات الاتحاد القومي، أعود لأستعرض الأحداث ابتداء من خطاب عبد الناصر في بورسعيد 1958/12/23 حسب التسلسل الزمني للتعليق عليها والبحث عن الخلفيات التي تكمن وراءها.

1- أعلن عبد الناصر في احتفالات عيد النصر، في جملة ما أعلنه من أمور، تشكيل ما سماه "اللجنة الثلاثية العليا" والتي تتألف من عبد اللطيف البغدادي نائب رئيس الجمهورية رئيساً لها، وعضوية نائب الرئيس أكرم الحوراني ووزير الداخلية زكريا محيي الدين، وقال ان الهدف من انشائها هو دفع عجلة الانتاج في سورية.

لقد سألني عبد الناصر قبل إلقاء هذا الخطاب عن الوضع الشعبي في سورية قائلاً : هل يمكن أن تقع مفاجآت أثناء احتفالنا بعيد الوحدة الأول في 23 شباط؟ ان كثيرا من التقارير التي تصلني تتحدث عن تعاطف النعمة الشعبية يوما بعد يوم. قلت لناصر :

لا شك أن مصدر هذه التقارير رجال المخابرات، ولا شك أنهم يعزون هذه النعمة بالدرجة الأولى لصدور قانون الاصلاح

الزراعي، "والى حزبية البعث وتسلطه"، وليست هذه التقارير جديدة، فقد ذكرت لي أنت اثر قيام الوحدة أن التقارير كانت تنهال عليك وكلها تجار بالشكوى من وجودي في سورية، وان ذلك يسبب نقمة شعبية على الوحدة، وها أنا قد نقلت الى القاهرة، ولكن الحملة لا تزال مستمرة، لأن الغرض منها لا يزال قائما وهو استغلال الوحدة من قبل أعداء الوحدة لتحقيق مصالحهم الخاصة، ولم يخطر في بالي آنذاك أن صلاح وميشيل كانا من جملة المعارضين على بقائي في سورية، وقلت لناصر:

انك سوف ترى خلال زيارتك القادمة ان الشعب في سورية سوف يستقبلك، كما استقبلك عند قيام الوحدة، رغم الظروف الاقتصادية الصعبة التي تمر بها سورية بسبب الجفاف، والذي اقترحه ألا تقتصر زيارتك على دمشق بل يجب أن تشمل المحافظات السورية لتتعرف بنفسك على سورية وشعبها، ولتخرج من تأثير تقارير المخابرات المضللة، وانني ألفت نظرك، كما لفت نظرك في السابق إلى أن جميع المشبوهين الذين كانوا يعملون لحساب المخابرات الأجنبية في سورية قد انضموا إلى المخابرات المصرية، وانهم يتظاهرون بالحماسة للوحدة ولجمال عبد الناصر، ويتقربون من المصريين الذين يفدون الى سورية، وان عدد هؤلاء كبير لأن سورية كانت ولا تزال أرض الصراعات والتناقضات الدولية على المصالح والنفوذ في المنطقة، وكذلك أرض الصراع بين الدول العربية التابعة، وقد حذرت سابقا من خطورة هذا الوضع على الوحدة.

لقد جرى هذا الحديث بحضور عبد الغني قنوت الذي كان في مطلع الخمسينات ضابطا في المكتب الثاني في الجيش السوري فترة من الزمن، ولديه معلومات عن هذا الموضوع، ولكن عبد الناصر تجاهل ملاحظتي عن المخابرات وتقاريرها وقال لي:

إن الخطر (واستعمل كلمة رسك بالانكليزية) في مثل هذه الاحتفالات هو عندما يشك الشعب في وطنية القادة، وفي جو الشك يتمكن الاعداء من حبك المؤامرات والاعتيالات. ولعل

هاجس محاولة اغتياله من قبل الاخوان المسلمين في الاسكندرية كان سبب ما يساوره من خلق .. قلت له :

إن تجاربي الماضية تؤكد لي صحة رأيك، وان قناعة الشعب بوطنية القيادات هي التي تحبط مؤامرات الاعداء.

لقد كان غريبا أن يدعي عبد الناصر في محادثات الوحدة الثلاثية التي انعقدت في القاهرة بعد انقلاب الثامن من آذار انه كان غير مطلع على ما يجري في سورية وانه كان بعيدا عن حكمها، وان الأمر كان متروكا للسوريين وانه غير مسؤول عن كل ما جرى من اخطاء أدت الى الانفصال، لأننا لم نطلعه على ما كان يجري في سورية واننا لم ننبهه ولم نحذره، واننا لم نعترض على جميع ما جرى في عهد الوحدة ملقيا تهمة الانفصال على حزب البعث مستغلا نفاق وجبن وجهل من كان من محاوريه من البعثيين الذين لم يجرؤوا على مجابته بالحقائق خلال تجربة الوحدة.

والآن لا بد من طرح السؤال التالي :

هل كان الهدف من تشكيل اللجنة الثلاثية هو فعلا دفع عجلة الانتاج أم أن تشكيلها كان لأغراض أخرى؟

يقول البغدادي في مذكراته (ص 75 الجزء الثاني) :

"إن عبد الناصر لم يحدد لهذه اللجنة أي مسؤوليات ولم تتضح سلطاتها كذلك، وكان لا بد لها من الرجوع الى القاهرة في أغلب ما تصدره من قرارات" (ص 75 الجزء الثاني) "استمر وضع اللجنة العليا حتى حزيران عام 1959، وقد تعمدت أخيرا البقاء في القاهرة دون العودة الى دمشق، فلاحظ ذلك جمال عبد الناصر وسألني عن السبب فقلت له أن وجود اللجنة هنالك دون تحديد السلطات والمسؤوليات رغم وجود نائين للرئيس يضعف هيبتها ويقلل من قدرتها على إنجاز ما هو مطلوب منها، وان الرجوع الى القاهرة بأغلب القرارات كان معطلا لعملها، فلم يفسر لي عبد الناصر الغرض الذي دفعه لاتخاذ هذا الموقف من اللجنة" (ص64 الجزء الثاني).

وفي رأبي أن الغرض الحقيقي من تشكيل هذه اللجنة هو تكليف البغدادي وزكريا محيي الدين تقديم تقارير له عن حقيقة الوضع في سورية قبل أن يبدأ زيارته لها، ولا سيما انه كان مقررا أن يكون المرشال تيتو بصحبته في هذه الزيارة، خوفا من المفاجآت ليس بالنسبة له فقط وإنما بالنسبة للمرشال تيتو أيضا لأن عددا من اليوغسلاف المسلمين كانوا قد لجؤوا إلى سورية بعد الحرب العالمية الثانية بتشجيع من المفتي الحاج أمين الحسيني، وكان هؤلاء اليوغوسلاف رجالا شجعانا اشداء تطوعوا في الجيش السوري وحاربوا مع السوريين عام 1948 في فلسطين.

لقد أرسل المرشال تيتو الى دمشق قبيل الاحتفالات بعيد الوحدة الأمين العام لوزارة الداخلية اليوغوسلافية الذي اجتمع مع المسؤولين في وزارة الداخلية السورية لاتخاذ جميع الاجراءات والتدابير التي تحفظ حياته، ولذلك أبعد جميع اللائحين اليوغسلاف من دمشق خلال الزيارة بناء على التوصيات التي تقدم بها الوفد اليوغسلافي.

لقد قام زكريا محيي الدين وعبد اللطيف البغدادي بتحقيق واسع النطاق عن حقيقة الوضع في سورية كما يتبين من مذكرات البغدادي :

"إن مصطفى حمدون قد كذب الشائعات والافتراءات التي تعلق به وتتهمه بأنه قام بتعيين البعثيين في وزارته، وقد قدم كشوفا بأسماء موظفي وزارته ليؤكد بأن الاقطاعيين والشيوعيين هم الذين يحاولون إثارة هذه المسائل بغرض الايقاع بين عبد الناصر وبين البعثيين، وشكا مصطفى حمدون من مقال نشر في مجلة روز اليوسف ورد فيه أن الجيش السوري جيش مرتزق، وقد كان متأثرا مما جاء في هذا المقال، وأشار في حديثه الى مواقف الجيش السوري الوطنية وحمائته لاستقلال البلاد، وأن الانقلابات العسكرية التي قام بها ضباط الجيش لم يكن يعلم بها اكرم الحوراني كما يشاع، وأشار في حديثه الى تخوفه من تشكيل الاتحاد القومي في سورية في هذه الظروف، مع وجود تكتل من

عناصر مضادة ، وأوضح ان الاتحاد القومي سيكون آخر سهم في المحافظة على هذه الوحدة ولا بد من العمل على انجاحه" (ص 58-59 الجزء الثاني).

"إنه عندما اجتمع مع طعمة العودة الله وعبد الحميد السراج ومصطفى حمدون "قد أشاروا في حديثهم معه عن وجود روح من التذمر في الجيش الأول (الجيش السوري) بسبب عملية التطهير (يقصد بذلك ما جرى من نقل وتسريح وتعيين في الخارجية للضباط الوجوديين) وذلك بالاضافة إلى تولي المصريين القيادة فيه وانفرادهم ببعض الامتيازات الخاصة دون زملائهم السوريين، كالزيادة في المرتبات وتخصيص سيارات لهم إلى آخر هذه الامتيازات".

وخلصوا إلى القول :

"إن الجيش السوري له وضعه وظروفه الخاصة، وهو القوة التي يعتمد عليها في حماية الوحدة في سورية من أي محاولة لغضمها، وان قيام الضباط المصريين بتولي القيادات فيه ليس بالأمر السهل أو الهين ولا سيما في المراحل الأولى للوحدة، لعدم معرفتهم بطبائع زملائهم السوريين، ولا كيفية التعامل معهم، ولا بد أن يتولى أمر الجيش الأول ضباط يحسن انتقاؤهم واختيارهم الى فترة تدعم فيها الوحدة" (ص 62-63 الجزء الثاني).

ذلك في رأيي هو هدف إرسال عبد اللطيف البغدادي وزكريا محيي الدين الى سورية، وقد أخرج عبد الناصر هذا الموضوع ضمن إطار اللجنة الثلاثية التي كانت محرومة من الصلاحيات، والتي أصبحت بسبب ذلك وبعد فترة من الزمن بحكم الملغاة.



في تلك الفترة حاول عبد الناصر ارضاء اليمين السوري وذلك بالايعاز الى الصحف بنشر الانباء عن نيته باصدار عفو عن السياسيين السوريين الذي طالتهم الاحكام بعد مؤامرة حلف

بغداد عام 1956 خلال العدوان الثلاثي على مصر ومنهم منير العجلاني وعدنان الاتاسي، وكان ذلك موقوتا مع وصول اللجنة الثلاثية لدمشق في أواخر كانون ثاني عام 1959، وكنت قد ذكرت سابقا أن الجيش والحكومة قد رفضا رجاء القوتلي باصدار هذا العفو، ولقد دهشت عندما زارتنني زوجة منير العجلاني وقالت لي أن عبد الناصر موافق على إصدار هذا العفو ولكن أنا الذي أمنعه من إصداره.

قلت لها :

هل تصدقين انني قادر على منع الرئيس من اصدار هذا العفو؟

لم أكن في حقيقة الأمر ضد إصدار هذا القانون، ولكنني كنت أرى ضرورة التريث باصداره حتى يصبح انعكاس آثاره ضعيفا على الوضع الشعبي، ولكن عبد الناصر كان يريد أن يحملني مسؤولية العفو عن هؤلاء الذين حكموا بسبب تأمرهم على الحكم الوطني الديموقراطي في سورية، أو أن يحملني مسؤولية رفض إصدار هذا العفو في حالة عدم صدوره مما يثير نقمة الفئات اليمينية في سورية.

ويشير صلاح نصر في كتابه : عبد الناصر وتجربة الوحدة إلى هذا الأسلوب الذي اتبعه ناصر تجاه البعثيين بقوله :

" يبدو ان عبد الناصر كان يريد زيادة نقمة القوى الأخرى على البعثيين حتى يحين الوقت الذي يراه مناسباً لإخراجهم من الحكم، فإذا ما أخرجهم كان في ذلك إرضاء كاملاً وتقديراً كبيراً له من القوى الأخرى" (ص 187).

لقد اتخذ عبد الناصر من العفو عن المحكومين السياسيين ورقة صالحة لارضاء الرجعية السورية، كما فعل بطي مؤامرة مأمون الكزبري المعروفة بمؤامرة عبد الكريم الدندشي ثم نصب مأمون الكزبري مسؤولاً كبيراً في الاتحاد القومي وهو الذي أصبح فيما بعد رئيساً لأول وزارة بعد الانفصال.

لم تتمكن اللجنة الثلاثية العليا من دفع عجلة الانتاج الى الأمام رغم محاولاتها الجادة، لأنه لم يكن غرض عبد الناصر من تشكيل هذه اللجنة انجاز المشاريع الانشائية والانمائية في سورية، بل لقد كان اهتمامه منصبا على تنفيذ الاتفاقية الاقتصادية المعقودة بين مصر والاتحاد السوفيتي، بينما أهمل تنفيذ الاتفاقية المعقودة مع سورية، لأنه كان يحاول اقضاء الاتحاد السوفيتي عن أي علاقة معها ولو على حساب مشاريعها الاقتصادية لمساومة الغرب في تمويل مشاريع مصر، ولا أزال أذكر جواب عبد الناصر عندما بحثت معه موضوع إلغاء امتياز شركة كونكورديا الالمانية والموافقة على مشروع قرار المجلس التنفيذي في سورية بزيادة العائدات البترولية مقابل مرور أنابيب التابلاين، لقد قال صراحة انه ينوي مساومة ألمانيا الغربية والولايات المتحدة على ذلك مقابل مشروع توسيع قناة السويس.

**لقد تم فيما بعد سحب مشروع سد الفرات من ضمن اتفاقية التعاون الاقتصادي المعقودة سابقا بين الجمهورية العربية السورية والاتحاد السوفيتي، وتلزم هذا المشروع لألمانيا الغربية، استرضاء لها واستدرارا لمعوناتها، وليتم تركيز الاتحاد السوفيتي وانصرافه الى بناء السد العالي، وكان الاتحاد السوفيتي قد شارف على الانتهاء من الدراسات التي تتعلق بسد الفرات ، ففي الرابع من شهر كانون الثاني عام 1961 نشرت جريدة الحياة اللبنانية ما يلي :**

يواصل الخبراء السوفييت دراسة مشروع سد الفرات، وينتظر أن يتم تصميم السد التحويلي وشبكات الري في نهاية عام 1961، وقد تم وضع التصميمات الأولية للسد التخزيني، وكذلك التقرير الفني الاقتصادي في منتصف 1960 ومن المقرر الانتهاء من التصميم النهائي للسد المعتمد خلال الربع الثاني من عام 1961، وينتظر أن يبدأ مشروع حوض الفرات الأسفل في عام 62-63 وسيبدأ استغلال 50 ألف هكتار منذ عام 64-65 ، وتنقسم أعمال المشروع الى قسمين أساسيين أولهما يتعلق بري منطقة الفرات الأسفل وذلك بإقامة سد تحويلي عند "حلبيه" أو "الهرموشه" والثاني يتعلق بإقامة سد تخزيني في الحوض الأعلى عند بلدة الطبقة للري وتوليد الكهرباء.



وسيكون بالامكان ري 75 ألف هكتار في حوض الفرات الأسفل، كما ويمكن بواسطة السد التخزيني تخزين حوالي 25 مليار متر مكعب للوصول بالمساحة المروية من الفرات في حوضه الأعلى والأسفل الى 670 ألف هكتار، ويصبح السد في ذلك معادلا في أهميته للسد العالي.

ومن المتوقع أن يبدأ العمل في السد التخزيني خلال عام 63-64 وينتهي خلال 66-67 وستبلغ الطاقة الكهربائية المولدة من 100 الف الى 550 الف كيلو وات في المرحلة النهائية، وتبلغ تكاليف مشروع سد الفرات 1700 مليون ليرة سورية ستدرج ضمن الخطة الانمائية للعشر سنوات القادمة، وسيدر المشروع سنويا اكثر من 55 مليونا من الليرات السورية".

ان تلزيم المانيا الغربية مشروع سد الفرات قد تم في أوائل الشهر السابع مع عام 1961 بنتيجة المفاوضات التي جرت بين وفد الجمهورية العربية المتحدة برئاسة عبد اللطيف البغدادي، وبين وفد ألمانيا الغربية برئاسة ايرهارد.

وبتاريخ 1961/7/3 نشرت جريدة الحياة ما يلي :

"وقد تم الاتفاق على مبالغ معينة لها صفة القروض لتمويل المشاريع التي تقوم بها المتحدة، ولم تحدد المباحثات هذه المشروعات باستثناء سد الفرات، وعلم ان انجاز المشروع سيتم في وقت أقصر من المدة المحددة (أي في المشروع السوفيتي) وهي عشر سنوات ، كما علم ان المبلغ الذي ستمنحه ألمانيا الغربية لينفق على سد الفرات يبلغ 500 مليون مارك وهو قرض مدته عشرين عاما.

أما القروض الأخرى فهي :

150 مليون مارك تسدد على 12 سنة.

150 مليون مارك تسهيلات ائتمانية على سبع سنوات.

250 مليون مارك اتفاق مدفوعات لمدة عشر سنوات، وهذه القروض تضاف إلى مبلغ الـ 500 مليون مارك. كما قرر الوفدان دراسة موضوع قرض آخر لتمديد انبوب بترول من الجزيرة في سورية الى البحر الابيض المتوسط بمبلغ 300 مليون مارك".

ومن الجدير بالذكر أن اديناور صرح في 14/7/1961 ان المساعدات التي تقدمها ألمانيا للمتحدة لن تستعمل في شن هجمات ضد اسرائيل، كما قال :

ما زلنا ندفع لهذه الدولة (اسرائيل) المبالغ المتفق عليها، والقسط الأخير سندفعه عام 1963 ونحن نتمسك بالتزاماتنا الأدبية تجاه اسرائيل.



وقفت اللجنة الثلاثية عاجزة أمام الوضع المأساوي في بادية الشام، وهو الوضع الذي شرحه للجنة الضابط حيدر الكزبري، أحد ضباط العشائر، وأحد ضباط الانفصال فيما بعد، فلقد نفقت في البادية، بسبب الجفاف، ثروة سورية الحيوانية التي تقدر بمئات الملايين من الليرات دون أن تتمكن من القيام بأي عمل لمعالجة هذا الوضع، لأنه لم يكن من صلاحية اللجنة إصدار اي قرار دون الرجوع إلى القاهرة التي لم تتحرك لمعالجة موضوع الجفاف وتأثيره على الثروة الحيوانية وعلى الرعاة والبدو الذين كانوا يقضون من الجوع في البادية إلا في شهر تموز عندما أوعزت لوزارة الداخلية السورية بتوزيع 750 طنا من الدقيق، وهي مساعدة لا تسمن ولا تغني من جوع، وكانت من فائض المنتجات الزراعية الاميركية التي تقدمها الولايات المتحدة إلى مصر، فقد صرح أمين عام وزارة الداخلية يوسف مزاحم :

"إن كميات الدقيق التي تقرر توزيعها إنما شربت من بقايا بعض المبالغ التي كانت موضوعة تحت تصرف وزارة الداخلية (الجماهير 1959/7/9).

وعلى الرغم من تلف المواسم الزراعية والثروة الحيوانية بسبب الجفاف الذي استمر طيلة عهد الوحدة مما كان له تأثيره على الأوساط الشعبية والفلاحين فإن التجارة والصناعة كانتا ناشطتين لأن التجار والرأسماليين السوريين كانوا قد اتجهوا الى توظيف أموالهم في الصناعة.

وكان من الأمور التي حققتها اللجنة الثلاثية -فتح باب الاكتتاب لانشاء البنك الصناعي الذي بلغ الاكتتاب فيه بعد أيام

قليلة مبلغا يفوق العشرة ملايين ليرة سورية، ثم غطيت جميع أسهمه المطروحة، ولكن حركة التصنيع الناشطة في سورية توقفت اثر إصدار جمال عبد الناصر قرارات التأميم - بعد استقالتنا من الحكم- بتاريخ 1961/7/23، وهي القرارات التي سببت هرب رؤوس الأموال السورية، والتي قدرت آنذاك بما يقرب من المليار ليرة سورية، إلى لبنان والخارج، وكانت تلك القرارات سببا في نقمة الرأسمالية الصناعية والتجارية مما كان سببا من أسباب الانفصال ويعلق البغدادي في مذكراته على هذه التأميمات بقوله (ص74 الجزء الثاني) "ولما كان السوريون هم انفسهم يملكون الاغلبية العظمى من تلك الشركات بخلاف الوضع في مصر، لذا كان وقع تلك القرارات سيئا عند فئة من الشعب ليست بالقليلة، وزادت هذه الاجراءات من ضيقهم عما هم فيه".

## **توحيد البنك المركزي ونظام مراقبة العملات بين اقليمي الجمهورية العربية المتحدة.**

قدم الى اللجنة الثلاثية في أوائل عام 1959 مشروعان هامان وخطيران لدراستهما فيما يتعلق بالاقليم السوري، وهذان المشروعان هما :

1- انشاء بنك مركزي(1) موحد للجمهورية العربية المتحدة.

2- احداث نظام للعملات الاجنبية، أو نظام مراقبة العملات الأجنبية.

وقد أوعز جمال عبد الناصر لعبد اللطيف البغدادي بدراستهما وإقرارهما من قبل اللجنة الثلاثية، فعقد البغدادي عدة اجتماعات للجنة الثلاثية في القصر الجمهوري بدمشق بحضور القيسوني وزير الاقتصاد المركزي وعدد من الأمناء العامين لوزارتي

(1) كنت ذكرت سابقا ان من بنود الانذار الذي وجهه الجنرال غورو الى الملك فيصل الأول هو اعطاء فرنسا في سورية حق اصدار النقد، وقد تشكل مع الاحتلال الفرنسي ما يسمى ببنك سورية ولبنان، فكان مصرفا برأسمال فرنسي، له حق إصدار النقد السوري، وفي الوقت ذاته كان مصرفا تجاريا، ورغم ضآلة رأسماله فقد كان مهيمنا هيمنة تامة على الاقتصاد السوري، مما جعل فوائده دخل سورية العام تذهب لصالح الرأسمالية الفرنسية، وقد استلمت سورية حق اصدار النقد وأنشأت مصرفها المركزي عام 1957 بينما بقيت رؤوس الأموال الاجنبية مسيطرة على بنك الاصدار في مصر إلى ما بعد الوحدة، الى عام 1960 عند صدور قرارات التأميم.

الاقتصاد والمالية في القطرين، وقد استغرقت هذه الاجتماعات ساعات عديدة تولى فيها عزة الطرابلسي رئيس البنك المركزي السوري دحض الأسباب الموجبة لاصدار هذين المشروعين، وأقنع اعضاء اللجنة الثلاثية بالضرر الذي سيلحقه اقرار المشروعين بالاقتصاد وبالنقد السوري، ولا سيما ان القطر يمر بأزمة جفاف وانحباس امطار وتلف في المحاصيل الزراعية ولذلك تقرر طي هذين المشروعين.

ولا بد لي من الإشارة هنا، بمناسبة موضوع العملات الاجنبية، إلى أن سورية التي يختلف موقعها الجغرافي عن موقع مصر، هي بلد تجارة وتراخيص بين الشرق والغرب، وأن نسبة كبيرة من ثروتها القومية كانت نتيجة لهذا الوضع، ولا أدل على ذلك من أن القطع النادر خلال سنوات الوحدة كان متوفرا في السوق الحرة، وكانت قيمته لا تزيد عن السعر الرسمي فيها بالرغم من الجفاف وانقطاع الأمطار، فالقطع النادر كان متوفرا إذن للتنمية والتننيع بينما كان وضع الاقتصاد المصري مختلفا تماما. لقد كنت مطلعاً بعض الشيء على ماضي سورية الاقتصادي بحكم بقائي فترة طويلة في مجلس النواب رئيساً للجنة الموازنة، وبحكم معاشيتي لتطورات الوضع الاقتصادي في سورية، ولقد تبين لي بوضوح أثناء مناقشة اللجنة الثلاثية للمشروعين أنه يجب مراعاة خصوصية الوضع الجغرافي والاقتصادي والاجتماعي القطري في حالة إقامة الكيان السياسي الاتحادي للبلدان العربية.

وعندما كنا نناقش موضوع المشروعين في سورية، أصدر الرئيس عبد الناصر خلال شهر كانون ثاني 1959 قراراً جمهورياً بتبديل العملة المصرية ذات القطع الكبير، **وحدد مهلة للمصريين وللموجودين في مصر لاستبدال الأوراق القديمة بالجديدة ولم يمنح سورية مثل هذه الفرصة، وقد كان لدى الكثير من السوريين نقود مصرية، وبالرغم من ضالة ما يوفره استثناء سورية من فرصة تبديل الجنيهات على الخزانة المصرية فإن عبد الناصر لم يستجب الى توسلات بعض**

## السوريين لاستبدال نقودهم ومعظمهم من ذوي الدخل المحدود.

وفي تلك الفترة استدعى عبد الناصر اللجنة الثلاثية الى القاهرة، فهياً لنا عبد المحسن أبو النور طائرة خاصة أقلعت من مطار المزة، ومما يدل على العقلية التي حكم بها نظام عبد الناصر سورية أن عبد المحسن أبو النور أمر بتفتيش حقائب نائبي رئيس الجمهورية عبد اللطيف بغدادى وأكرم الحوراني ووزير الداخلية زكريا محيي الدين.

واستكمالا لهذا البحث حول المواضيع المالية بين اقليمي الجمهورية اثبت في هذا المجال فقرة من بيان أصدره السيد خليل الكلاس بعد الانفصال أوضح فيه اسباب استقالته من وزارة الاقتصاد التنفيذية في الاقليم السوري:

وبعد وصول اللجنة الثلاثية الى دمشق، وبتاريخ 1959/1/26 عقدت اللجنة اجتماعا بحضور الدكتور القيسوني وزير الاقتصاد المركزي ومعه كبار موظفي البنك الاهلي المصري وعلى رأسهم السيد ابو شادي. دعتني اللجنة الى هذا الاجتماع فاصطحبت اليه الدكتور عزة الطرابلسي حاكم مصرف سورية المركزي وكبار موظفي وزارة الاقتصاد والمصرف اذكر منهم السادة: نصوح الدقاق ويسار البيطار وكرم توما وعدنان الفرا.

ذهبنا إلى الاجتماع ونحن نعتقد أن مهمة اللجنة هي دفع عجلة التقدم والتطور والازدهار الاقتصادي كما اعلن الرئيس، الا اننا فوجئنا بالسيد عبد اللطيف البغدادي رئيس اللجنة يقول أن الغاية من هذه الاجتماعات هي بحث المواضيع التالية:

1- تحويل خمسين مليون ليرة سورية الى بنك مصر.

2- توحيد مؤسستي الاصدار في الجمهورية، اي المصرف المركزي السوري والبنك الاهلي المصري . "مع العلم أن المصرف المركزي السوري مؤسسة حكومية في حين البنك الاهلي المصري كان آنذاك شركة خاصة مصرية-اجنبية، يسهم فيها بريطانيون وفرنسيون وطيان وسواهم، شركة لم تعرب وتم تؤمم بعد".

### 3- موضوع انظمة النقد وتوحيده في الاقليمين.

كذلك اعلن السيد البغدادي، أن نواب الرئيس والوزراء سيكتفون، في اجتماعهم الاول هذا، بالاستماع الى آراء الخبراء، ثم قال لنبدأ الآن بالموضوع الاول "تحويل خمسين مليون ليرة سورية الى بنك مصر، وابدى استغرابه لاقتران هذا الطلب بالرفض حتى الآن.

بدأ الدكتور عزة الطرابلسي كلامه الذي استغرق حوالي ساعة ومما قاله:

حكاية الخمسين مليون ليرة سورية واضحة، وبنك مصر يرمي من ورائها الى وفاء ديونه في لبنان، ذلك أنه حين انفصل بنك مصر في سورية عن فرعه في لبنان أخذ فرع سورية على نفسه الديون والهالكه، في حين استوفى بنك مصر في لبنان الاموال الجاهزة، يضاف الى ذلك ان بنك مصر يسعى الى تأمين رأسماله في الاقليم السوري وتحقيق ارباح فاحشة مستفيدا من الفرق بين سعرالتحويل الرسمي للجنيه وسعره في السوق الحرة.

ومما قاله الدكتور الطرابلسي ايضا: اما بالنسبة اليها فهذه العملية تعني ان يقوم المصرف المركزي في سورية باصدار نقد لصالح بنك مصر تبلغ قيمته خمسين مليون ليرة سورية بدون تغطية، سوى تسجيل دين على الاقليم الجنوبي بالمبلغ المذكور، ونحن واثقون ان الاقليم الجنوبي لن يدفع أو لن يستطيع أن يدفع لنا شيئا من هذا المبلغ، وهو الذي لم يدفع لنا حتى الآن شيئا من ديوننا المتراكمة عليه منذ عام 1956 ، وانني اخشى الاثار السيئة على الاقتصاد السوري من جراء اللجوء الى مثل هذه اساليب لا سيما وان المواسم كانت سيئة في العام الماضي وقد تكون اشد سوءا في هذا العام، ونحن كنا نتشدد دائما في اقراض الدولة الا في حالة تمويل المشاريع الانمائية وضمن حدود. خشية النتائج الخطيرة التي قد تنتج عن ذلك، فكيف يمكننا الموافقة على اعطاء بنك مصر خمسين مليون ليرة سورية، ليحقق بها اهدافا وغايات غير مشروعة؟

ووقف بقية الموظفين والخبراء السوريين الموقف ذاته معارضين بقوة وحزم اجابة طلب بنك مصر.

**وعند ذلك قال الاستاذ الحوراني للخبراء المصريين الذي اصطحبهم البغدادي من القاهرة: ردوا على هذه الحجج والوقائع ان كان لديهم ما كان يدحضها، وسكت الخبراء المصريون، فقال البغدادي للحوراني : طيب نحن نبحت الموضوع فيما بيننا، فرد الحوراني قائلاً: بالواقع انني لا أرى مبرراً لاعادة البحث فيهذا الموضوع، فان كان لاحد من ملاحظة أو رأي فعليه ان يدلي به امام الخبراء.**

ثم عرضت المواضيع الاخرى اي توحيد مؤسستي الاصدار والنقد وانظمتها، فطلب الدكتور الطرابلسي وزملاؤه الاطلاع على المشاريع المعدة ليقولوا كلمتهم فيها، فقال البغدادي: طيب سننهني اجتماع اليوم وسندرس موضوع اطلعكم على المشاريع.

وبعد انتهاء الجلسة علمت من الاستاذ الحوراني ان موضوع اعطاء بنك مصر خمسين مليون ليرة سورية كان قد بحث في القاهرة وانه عارض فيه معتبرا ذلك بمثابة اصدار نقد سوري بدون تغطية لصالح بنك مصر وانه اذا كان لا بد من اصدار هذا المبلغ فأولى ان ينفق على مشاريع الانماء والانشاء في الاقليم السوري وانه وافق على اعادة بحث هذا الموضوع عندما قالوا له: هل هناك مانع من سماع اقوال الخبراء السوريين؟

واخيرا عادت اللجنة الثلاثية الى القاهرة، ولم تستطع ان تنفذ شيئا من الاغراض التي لا تتفق وصالح الاقتصاد السوري، بفضل معارضة الاستاذ الحوراني والجانب السوري وبعد كل ذلك ايقنت ان الاسباب الحقيقية التي تكمن وراء حملة الاكادذيب والافتراءات التي كانت تشن علي، لم تكن لمعارضتي فقط، بل ارادو منها بصورة خاصة تهديدي والضغط علي، لحملي على الرضوخ لمطالبهم فاستقلت ولم أروض.

## **2- الخلاف بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتي.**

اتجهت ثورة 14 تموز في البداية اتجاهها جبهويا بقيادة عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف، ولكن تعاضم الخلاف بينهما وبين الأحزاب المؤيدة لكل منهما أنهى الحكم الجبهوي بعد اقل من عام على الثورة عندما أصدر عبد الكريم قاسم في 1959/2/7

مرسوما جمهوريا باعفاء ستة من الوزراء الذين يمثلون الأحزاب السياسية والاتجاه القومي وهم : صديق شنشل، محمود صالح، بابا علي، عبد الجبار جومرد، فؤاد الركابي، الزعيم الركن ناجي طالب، وصدر هذا المرسوم قبل يوم واحد من صدور الحكم بالاعدام على عبد السلام عارف بتهمة محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم في مكتبه، وكان قاسم قد عزله قبل ذلك، وأقصاه عن الجيش وعينه سفيرا للعراق في ألمانيا الغربية، ولكن عبد السلام عارف عاد فجأة الى بغداد بعد شهر من تعيينه.

إن تعاضم الخلاف بين قاسم وعبد الناصر قد دعا قاسم إلى الاعتماد على الشيوعيين في العراق حتى أصبح العراق تحت سيطرتهم وتسلطهم، ولم يحل عام 1959 حتى سمح قاسم للشيوعيين بتنظيمات شبه عسكرية اطلقوا عليها اسم الحرس الشعبي، وأصبح لهذه التنظيمات سلطة التفتيش واعتقال كل من تشك في انه يقوم بنشاط ضد أمن الدولة، وقد استفحل هذا الخلاف فأصبح بين قائدي الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتي: عبد الناصر وخورشوف.

ففي أواخر كانون ثاني 1959 صرح خورشوف قائلا :

"نحن نخفي وجود خلاف بيننا وبين زعماء الجمهورية العربية المتحدة في الحقل العقائدي، ولكن موافقنا واحدة مع هؤلاء الزعماء في قضايا النضال ضد الاستعمار، وفي تعزيز الاستقلال السياسي والاقتصادي، وفي النضال ضد الحرب، واستطرد قائلا :

"لقد أقيت عدة خطب في الجمهورية العربية المتحدة ضد الشيوعية أخيرا" (مشيرا إلى خطاب عبد الناصر في 1959/12/23 في بورسعيد).

لقد اتفق جمال عبد الناصر والمرشال تيتو أن يصيح هذا الخلاف خلافا عقائديا وسياسيا بين المعسكر الاشتراكي ودول عدم الانحياز، فلم تكن صدفة زيارة تيتو للقاهرة قبل أيام من الاحتفالات بأعياد الوحدة، ثم سفره مع عبد الناصر الى دمشق وحضوره الاحتفالات في سورية، وإنما كانت للاعلان عن موقفهما



الموحد تجاه الاتحاد السوفيتي والأحزاب الشيوعية، وكانت الحملة الاعلامية السياسية والعقائدية ما تزال مستمرة بين الاتحاد السوفيتي ويوغوسلافيا، وهي الحملة التي بدأت منذ عهد ستالين واتهمت تيتو بالتحريفية والتبعية للولايات المتحدة، فقد كتبت صحيفة بوربا اليوغوسلافية ردا عنيفا على خروشوف متهمة إياه بالاختلاق والتزوير:

"لماذا يرغب الزعماء السوفييت بتسويد صفحة الاقتصاد اليوغوسلافي؟ ثم أجابت على هذا التساؤل :

إن هنالك سببين أولهما أن وضع العمال في يوغوسلافيا أفضل منه في الدول الاشتراكية الأخرى. وثانيهما ان الضرورة تبرز في سائر الدول الاشتراكية إلى اعطاء المزيد من الحقوق للشعب وإلى إلغاء المركزية وتقوية الحافز الشخصي للمنتجين، وبما أن يوغوسلافيا قد فعلت ذلك، فإن الآخرين الآن يحذون حذوها".

إن الحملة المكشوفة من قبل جمال عبد الناصر علي قاسم والحزب الشيوعي العراقي والاتحاد السوفيتي التي بدأت في بورسعيد أواخر عام 1958 استمرت الى ما بعد منتصف عام 1959 وبلغت ذروتها بعد ما أخفقت ثورة الشواف في الموصل، وقد أخذت التعبئة الشعبية في بداية الأمر شكل التسابق في اصدار القوانين التقدمية، في كل من سورية والعراق وقد ذكرت سابقا كيف ان عبدالناصر احتجز قانون الاصلاح الزراعي في سورية وكان يماطل في إصداره. ثم أرسله فجأة ليذاع من راديو القاهرة، وقال لي انه اضطر الى إرساله للإذاعة دون أن يخبرني "لأن قاسم كان سيصدر قانون الاصلاح الزراعي ولا يجوز ان يسبقنا في إصداره" ثم اصدر ناصر قانون الغاء الوضع العشائري الذي تقدمت به مع قانون الاصلاح الزراعي. وهو القانون الذي يخضع العشائر لقوانين الدولة مما يسهل تحضيرهم الأمر الذي ناضلت لأجله منذ عام 1944 مما كاد يؤدي لاغتيالي في حرم المجلس النيابي من قبل رؤوساء العشائر.

لقد أصبح عبد الناصر خلافا لمواقفه السابقة يحث على تنفيذ قانون الاصلاح الزراعي بسرعة، وكانت شبه مباراة بين سورية والعراق، ففي تاريخ 1959/2/22 صرح مصطفى حمدون وزير الاصلاح الزراعي بأن القانون سينفذ خلال ثلاث سنوات بدلا من خمس سنوات وهي السنوات التي ينص عليها القانون.



كان الاحتفال بعيد الوحدة الأول في دمشق مناسبة للتعرف على شخصية المرشال تيتو، وفي اليوم الأول من هذا العيد جرى عرض عسكري حضره الامام البدر وشكري القوتلي ونواب الرئيس والوزراء التنفيذيون والمركزيون، ثم جرى مساء احتفال شعبي كبير في الملعب البلدي حضره مئات الالوف من دمشق وخارجها ولا سيما من الفلاحين الوافدين من الريف السوري.

لقد راعني عندما هممت بدخول الملعب البلدي رؤية افراد الجيش يضربون الوافدين من الفلاحين وأبناء الشعب الآخرين ضربا مبرحا لا رحمة فيه، وكانت الدماء تنزق من الوجوه والرؤوس وسيارات الاسعاف تنقل الجرحى، ورغم هذا الضرب المبرح فقد تمكن عدد من فلاحى وأبناء الريف من الترامي على سيارتي وكان يصرخون:

انظر ماذا يفعل بنا افراد الجيش والشرطة العسكرية!

لقد فهمت فورا أهداف هذه المؤامرة التي اشترك بها عبد الحميد السراج مع عبد المحسن أبو النور لتأديب المتحمسين من قواعدا الحزبية سابقا الذين أموا دمشق ودفعوا من جيوبهم نفقات السفر ليظهروا تأييدهم للوحدة ولقاداتهم ولجمال عبد الناصر. جرى الاحتفال وأنا متألم جدا مع أنه من أعظم التجمعات التي جرت خلال الاحتفال بأعياد الوحدة، وكان ما يسمى (بالعراضات الحموية) من أبرز ما لفت نظر جمال عبد الناصر والمرشال تيتو والمحتفلين من المسؤولين.

افتتح عبد الناصر المهرجان بخطاب جاء فيه :

"ان الجميع أخوة، وليس أخذ الأرض بحقد بل لإصلاح ما فعله الاستعمار الفرنسي والاستعمار التركي اذ وزع الارض على هؤلاء وحرّم منها الفلاحين" كما أكد أن الغاية هي الديموقراطية الاجتماعية الحقيقية وتأمين العدالة الاجتماعية. بعد انتهاء عبد الناصر من كلمته دعاني لالقاء كلمة في الجماهير قائلا:  
هذا يومك يا أكرم.

وعلى الرغم من الحاحه اعتذرت لأن منظر الدماء وهي تسيل من وجوه الناس كان قد عقد لساني، ولكن ناصر أجبرني على الاشتراك مع تيتو والقوتلي على توزيع بعض سندات التملك.

بعد الانتهاء من احتفالات عيد الوحدة في دمشق بدأنا نتهيأ للسفر الى المدن السورية الأخرى، وكان برنامج الرحلة يشمل زيارة حمص وحماه وحلب وادلب واللاذقية لأن المرشال تيتو كان حريصا على تدشين مرفأ اللاذقية كحرص عبد الناصر على تدشينه مع انه افتتح وبدأ يعمل قبل قيام الوحدة، وكان تيتو يعتبر أن تدشين مرفأ اللاذقية بوجود جمال عبد الناصر وسيلة دعائية هامة ليوغوسلافيا وتقدمها لأنها نفذته بأمانة ونجاح، كما أن انتهاء الزيارة في مرفأ اللاذقية يتيح له العودة الى يوغوسلافيا عن طريق البحر لأنه كان يكره ويتطير من ركوب الطائرات.

توجهنا بالسيارات من دمشق أواخر شهر شباط الى حمص، وعندما مررنا بمنطقة القلمون فاجأتنا عاصفة ثلجية سببت جنوح بعض السيارات، وعندما بدأت سيارتي - وكان رفيقي طيلة الطريق عبد اللطيف البغدادي- تهتز وتقترب من حافة الطريق نزلت والبغدادي منها فشاهدت سيارة الباشا صلاح الشاهد المسؤول عن البروتوكول في العهد الملكي ايضا، وعندما خرج من السيارة مذعورا ممتقع اللون أردت أن أداعبه بسبب حرصه الشديد على البروتوكول فقلت له :

أرجو يا باشا أن تكون سيارتك قد جنحت حسب تعليمات البروتوكول، فتمتم الباشا بكلمات لم أسمعها.

كانت (قارة) أول قرية تصادفها وسط هذه العاصفة الثلجية، فدخلنا الى أحد البيوت الواقعة على جانب الطريق، وصادف ان كان بيت الصديق شاكر قدور الذي شارك في ثورة عام 1925 في منطقة القلمون، وقد طار شاكر قدور فرحا باستضافة جمال عبد الناصر وتناوله في بيته طعام الغداء، بينما تجمع أهل القرية للترحيب، وكان المرشال تيتو منشرجا جدا لمنظر الثلج الذي ذكره بشتاء يوغوسلافيا كما كان مسرورا بالحماسة العفوية التي قوبل بها الموكب.

تابعنا بعد ذلك طريقنا الى حمص الى احتشد أهلها بعشرات الألوف للقائنا وبعد أن ألقى عبد الناصر كلمة توجهنا إلى مدينة حماه حيث شاهدنا بحرا مائجا من البشر. من ابناء المدينة والقري، وقد حملني الجمهور مع عبد الناصر على الأكتاف وسط ازدحام لا نظير له من مدخل المدينة حتى سراي الحكومة، وعندما وصلت كنت موشكا على الاغماء.

ألقى عبد الناصر في مدينة حماه خطابا قال فيه :

"لقد خضت المعركة عام 1945 فقاومتم الفرنسيين واستخلصتم حريتكم وحررتكم وإرادة الأمة العربية".

ثم ألقى كلمة أشدت فيها بجمال عبد الناصر ورحبت بالضيوف وفصلت معارك التحرير التي قادتها مدينة حماه، وقلت ان شعبنا قد خاض هذه المعارك في سبيل تحرير الأمة العربية ووحدتها، ثم ألقى المرشال تيتو والإمام البدر كلمتين وكانا مبهورين بهذا الحشد الشعبي وبحماسته المنقطعة النظير.

قررت في هذه الرحلة أن اشيد في خطبي بعبد الناصر، وهو أمر شاق بالنسبة لي لما جبلت عليه من طباع، ولكنني كنت أريد أن أطمئنه لأنني علمت بفحوى بعض التقارير المشبوهة المغرضة التي تحذره من تعاطف شعبيتي في سورية بعد إصدار قانون الاصلاح الزراعي، ولأنني بدأت اكتشف حذره وعدم ثقته بمن حوله من رفاقه رجال الثورة.

لقد كانت تقارير المخابرات سببا في إقالة الباقوري وزير الأوقاف، قبل شهرين من تاريخ جولة عبد الناصر في سورية، كما أن هذه التقارير لم تقصر في تشويه سمعة الرجل، وأذكر انني سألت محمود رياض عن صحة ما انتشر من شائعات فنفاها نغيا قاطعا وأشاد بأخلاق الباقوري، وقد روى صلاح الشاهد كبير أمناء القصر الجمهوري بالتفصيل قصة الباقوري مع المخابرات المصرية بعد وفاة جمال عبد الناصر في مجلة الاسبوع العربي التي كانت تصدر في لبنان.

قضينا ليلة في حماه، ثم تابعنا سيرنا الى حلب، وقد استغرق الطريق اكثر من ثمان ساعات وهو عادة لا يستغرق اكثر من ساعة ونصف بسبب الجماهير المحتشدة التي كانت تجبرنا على التوقف وإلقاء الكلمات ، وقد اضطررت أن أشارك عبد الناصر بالقاء الخطب في خان شيخون والمعرة وتفتناز وفي جميع قرى وقصبات تلك المناطق التي كانت القاعدة الصلبة لنضال الحزب العربي الاشتراكي، ثم قضينا يوما وليلة في حلب حيث تكرر مشهد احتشاد عشرات الالوف للترحيب بالوفد فألقيت فيها كلمة بعد كلمة عبد الناصر، وقبل أن تغادر مدينة حلب قال لي عبد الناصر :

إن المرشال تيتو يريد أن يعود الى يوغوسلافيا بسرعة لذلك فإنني سأقوم وحدي بإلقاء الكلمات في الأماكن التي تجبرنا الجماهير على التوقف فيها، وعند وصولنا إلى مدينة أدلب تجمهر أبناء المدينة والقرى المحيطة فاضطر عبد الناصر لالقاء كلمة، ولكن الجماهير استمرت في طلبها بأن أخطب فيها فامتنعت رغم إلحاحها بسبب الانزعاج الذي بدا على وجه عبد الناصر.

في اللاذقية كانت الجماهير بانتظارنا فالقى جمال عبد الناصر وتيتو والبدر كلمات اشتركت فيها معهم، وقد جاء في احدى خطب عبد الناصر العديدة ما يلي:

"إن الديمقراطية التي تريد الجمهورية العربية المتحدة أن تقيمها، تقوم على أساس العدالة الاجتماعية، وانها ديمقراطية حقيقية لا ديموقراطية زائفة كتلك التي فرضت على العرب بعد الحرب العالمية الأولى وجعلت من القلة تتحكم بالكثرة وتستخدمها لتكديس الثروات".

**والحقيقة أن الاستعمارين البريطاني والفرنسي في البلاد العربية قمعاً بوحشية نضال الشعب العربي في سبيل تحقيق الديمقراطية، هذا النضال الذي لم يفصل أبداً عن معركة التحرر من الاستعمار، ففي كل مرحلة من مراحل النضال التحرري للشعوب العربية كان الاستعمار الفرنسي والبريطاني يحل المجالس النيابية ويضطهد الأحزاب السياسية ويقمع الحريات النقابية ويغلق الصحف ويلغى تراخيصها الرسمية ويعتقل الوزراء والقادة الوطنيين الديموقراطيين ويلغى الدساتير أو يعلق مفعولها ويقوم على أنقاض كل ذلك الحكم الديكتاتوري، وكانت آخر معارك الاستقلال في سورية قد بدأت بعدوان الفرنسيين على المجلس النيابي السوري بتاريخ 1945/5/29 عندما قصفته قوات الجيش الفرنسي بالمدافع وهاجمته بالدبابات ثم ذبحت جميع أفراد حاميته.**

**أما الكلمة التي ألقيتها في اللاذقية فقد قصدت منها ترسيخ الوحدة الوطنية السورية بعد أن لاحظت حشداً كبيراً من أبناء الجبل يشارك إخوانه أبناء اللاذقية الحفاوة بالوفد، فناديتهم بقولي : يا أبناء الجبل الأشم، مذكراً إياهم بمعارك الاستقلال وبالنضال لأجل الوحدة السورية.**

وفي المساء أقيم للوفد حفل في نادي الجيش في اللاذقية، وأذكر أنني استمعت والرئيس عبد الناصر إلى حديث للمرشال تيتو عن رحلته إلى روسيا في عهد ستالين مع رفاقه قادة الحزب الشيوعي قبل الحرب العالمية الثانية، وكيف أن ستالين قضى على رفيقه رئيس الحزب، ثم قال : "لا شك أنني نجوت من الاغتيال بأعجوبة" كما روى لنا الكثير عن فظائع

الستالينية وسوء معاملتها للأحزاب الشيوعية في البلاد الأخرى، واعتبارها أجهزة مخابرات تابعة لها، عليها أن تطيع وان تنفذ كل ما يصدر اليها من تعليمات وأوامر.

بعد الانتهاء من زيارة مدينة اللاذقية وتدشين مينائها، عاد تيتو بحرا الى يوغسلافيا وكان قد صدر سابقا في حلب بتاريخ 1959/2/28 بيان مشترك تضمن الأسس الواحدة للسياسة الخارجية للجمهورية العربية المتحدة ولدولة يوغوسلافيا وهي :  
الحياد الايجابي، تدعيم السلام، تحقيق التعاون الدولي، عدم التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان الأخرى، تأييد ثورة الجزائر، بحث مشكلة برلين، المساعدات الاقتصادية للبلدان المتخلفة.

### **3- ثورة الشواف في العراق .**

بعد رحيل تيتو قمنا بزيارة لمدن الحفة وبنياص وطرطوس، ثم عدنا إلى دمشق حيث أدينا صلاة الجمعة في جامعها الأموي الكبير، وقد هيأت وزارة الأوقاف ردا على حملات المهداوي المقذعة على جمال عيد الناصر، فأوعزت لخطيب الجامع الأموي بأن يتحدث عن دور الناصر صلاح الدين وداوود الناصر ملك الكرك اللذين انتصرا على الصليبيين وأن يشبه عبد الناصر بهذين البطلين لأنه هو المؤمل لتحرير بيت المقدس وفلسطين، كما كتبت صحف دمشق ان أحد رجال الدين قد عثر على نص في أحد الكتب التراثية ينبي بظهور الناصر جمال الدين الذي سيحرر بيت المقدس وقد ملأت هذه الشائعة أجواء دمشق.

والحقيقة أن جوا من الصوفية والرومانسية كان يسيطر على الشعب في سورية آنذاك، وقد كنت جادا وصادقا عندما خاطبت عبد الناصر في بنياص المدينة السورية التي تقع على البحر قائلا له:

"والله لو خضت هذا البحر لخضناه معك"، واستشهدت في كلمتي بما روي عن أصحاب الرسول عندما استشارهم بالقتال فقالوا له :

"إننا يا رسول الله لا نقول لك ما قالتة بنو اسرائيل لنبيهم اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، بل نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون" ولم تصبني خيبة الأمل بزعامة جمال عبد الناصر إلا بعد تراكم الاخطاء والانحرافات واليأس من إصلاح النظام، وكان موقفه من الصراع العربي الاسرائيلي هو الأمر الذي حدد موقفني نهائيا من قيادته وزعامته وأدى إلى استقالتي من حكومة الوحدة فيما بعد.

في اليوم التالي لزيارتنا للجامع الأموي، بتاريخ 1959/3/8 قامت ثورة الشواف في الموصل، وكان الاتصال بين دمشق والموصل مقطوعا، ولا يعلم أحد شيئا عن الموضوع سوى ما تذيعه بغداد التي ذكرت عدة برقيات تأييد لعبد الكريم قاسم من وحدات الجيش العراقي، كما طالبت بالقاء القبض على الشواف الذي قالت انه يحاول الهرب الى سورية، وفي مساء ذلك اليوم أذاعت محطة دمشق نبأ الثورة كما أذاعت بيان قائد الثورة العقيد الشواف مع بعض التعليقات المؤيدة للثورة، وفي يوم 9 آذار أخبرنا عبد الناصر في الاجتماع الذي عقده ليلا في قصر الضيافة بأن قاسم أرسل بعض الطائرات التي أغارت على مواقع الثوار في الموصل وانه قضي على الثورة، وان سبعة من ضباطها قد وصلوا الى سورية، وان الشيوعيين يرتكبون مجازر بشعة في الموصل وأن الفوضى تعم المدينة.

وفي تاريخ 3/10 أصدرت السفارة العراقية في بيروت بيانا اعلنت فيه القضاء على ثورة الشواف وان الأمن مستتب في العراق، كما اصدرت بيانا جاء فيه:

"إننا نلفت نظر الشعب اللبناني الشقيق الى أن ما تسمي نفسها إذاعة الموصل هي إذاعة خارجية تستهدف الدس على الجمهورية العراقية وتلفيق الاخبار الكاذبة".

والذي علمته بعد ذلك أن عبد الحميد السراج قد أرسل محطة إذاعة إلى العقيد الشواف قبل قيام الثورة، ولكن هذه المحطة لم تكن مسموعة خارج منطقة الموصل، لذلك انقطعت



أخبار الثورة بعد قيامها، وبعد انقطاع الخط الهاتفي بين الموصل وتل كوشك على الحدود السورية العراقية أصبح مصدرنا الوحيد للأخبار هو ما تديعه محطة بغداد وما يرويه الهاربون من الموصل.

وقبل أن يخبرنا عبد الناصر عن محطة الإذاعة التي كانت توجه من قرية (خرابو) في غوطة دمشق، بدلا من إذاعة الشواف في الموصل، أخبرني عنها نهاد الغادري الذي كان يعمل فيها مع بعض محرري الصحف في سورية، والذي لفت نظري واثار دهشتي واستغرابي هو ما نشرته صحف الجمهورية من صور للضباطين ناظم الطبقشلي ورفعت الحاج سري والنداءات التي كانت توجه إليهما وإلى مجموعة من الضباط بأسمائهم الكاملة من محطة إذاعة الغوطة بعد إخفاق ثورة الشواف في الموصل. وكان الطبقشلي قائدا للفرقة الثامنة في كركوك أما رفعت الحاج سري فكان رئيس مخابرات الجيش.

لقد أثرت هذا الموضوع آنذاك في أحد الاجتماعات التي كان يعقدها جمال عبد الناصر كل ليلة في قصر الضيافة الى ما بعد السحور، وكان يحضر هذه الاجتماعات عبد الحميد السراج وطعمة العودة الله ومصطفى حمدون وزكريا محيي الدين وعبد اللطيف البغدادي، ولم أكن أعلم آنذاك شيئا عن تفاصيل الاتصالات السابقة التي أجراها عبد المجيد فريد وعبد الحميد السراج مع كل من الشواف والطبقشلي والحاج سري وعلاقتهما بهذه الثورة. قلت للسراج محتجا أمام عبد الناصر:

هل تقصد يا عبد الحميد ببناءك المتكررة من محطة خرابو للطبقشلي والحاج سري ورفاقهم أن تشي بهم لعبد الكريم قاسم ليلقي القبض عليهم ويعدمهم مع رفاقهم من الضباط الآخرين؟ كيف يجوز لك ذلك؟

أجابني السراج بحقد :

ان هؤلاء يجب أن يعدموا، نعم انني أقصد ذلك!

إن الطبقشلي لم يزحف بفرقة لمساعدة الشواف في الموصل، وان عبد الكريم قاسم كان في قبضة يدي، لأنني كنت

على اتصال مع حرسه الخاص، فلماذا لم يتحرك الحاج سري في بغداد؟ قلت للسراج :

عجبا كيف يجوز لك أن تبدأ الثورة في الموصل طالما أن عبد الكريم قاسم في قبضة يدك في بغداد؟ ألم يكن من البديهي أن يقضى على قاسم بواسطة حرسه في بغداد أو أن تبدأ الثورة فيها فتتبعها بعد ذلك الموصل وكركوك؟

كان عبد الناصر يستمع الى هذا النقاش فلم يتدخل وظل صامتا.

بقي لغزا محيرا بالنسبة لي السبب الذي جعل السراج يذيع النداءات بأسماء الضباط من إذاعة خرابو في الغوطة، وإصرار السراج أمام عبد الناصر بأنه يقصد من ذلك إعدامهم من قبل قاسم لأنهم لم ينجدوا ثورة الشواف ، بل شاركني في ذلك كثيرون وكان التأويل انه ربما كان الطبقشلي والحاج سري ومجموعة من ذكرت اسماؤهم من الضباط قريبين من حزب البعث، ولذلك أجاز السراج لنفسه الوشاية بهم، ولكن الذي تبين ان هؤلاء الضباط كانوا ذوي اتجاه قومي عربي وكانوا ناقلين على ما يرتكبه الحزب الشيوعي من هيمنة وتسلط وإجرام، وهذا ما تبدى اثناء محاكمتهم.

لقد كانوا خلال المحاكمة مثال الرجولة والشجاعة والايمان، وعندما استلم عبد السلام عارف حكم العراق أمر ببناء جامع (أم الطبول) الذي يعتبر آية في الجمال والهندسة العربية، ليقيم بجانبه مثوى لهؤلاء الضباط، ثم أصبح فيما بعد مقبرة لجميع الشهداء الذين ناضلوا ضد ديكتاتورية قاسم والشيوعيين.

وفيما يتعلق بهذه القضية فقد ورد في مذكرات عبد اللطيف البغدادي التي نشرت أواخر السبعينات ما يلي (ص80 الجزء الثاني) :

كنت مع جمال في مدينة اللاذقية أثناء رحلته مع ضيفه المرشال تيتو عندما حضر الينا هناك يوم الاثنين 2 مارس 1959 ملحقنا العسكري في العراق الضابط عبد المجيد فريد. وقام بابلاغ جمال ان هناك تحركا في الجيش

العراقي بهدف القيام بانقلاب عسكري ضد قاسم للقضاء عليه وعلى نظامه. وأنه موفد من قبل قائد هذا التحرك لمعرفة موقف الجمهورية العربية المتحدة من طلبهم في المساعدة لتحقيق هذا الهدف. وأشار الى أن هذا القائد هو الضابط رفعت الحاج سري مدير المخابرات هناك.

وكان السراج قد سبق وابلغ جمال كذلك اثناء تواجده في مدينة حلب وقبل ان تتوجه منها الى مدينة اللاذقية ان الزعيم حازم الطبقشلي قائد القوات العراقية في كركوك شمال العراق قد أرسل اليه ضابطا من ضباط أركان حربه واسمه عبد العزيز وطلب هو الآخر مساعدته في القيام بثورة ضد قاسم. وأنه في حاجة الى مده بقوات عسكرية من الجمهورية العربية المتحدة ذلك بالإضافة الى بعض الأسلحة ومحطة إرسال متنقلة.

وقد وافق جمال على مدهم بما يحتاجونه من السلاح وعلى محطة الارسال كذلك، ولكنه أبدى تعذر إمدادهم بقوات عسكرية. واتفق على أن توضع هذه الأسلحة ومحطة الإرسال المطلوبة في نقطة قريبة من الحدود العراقية عند بلدة تل كوتشك السورية لتكون تحت تصرفهم الفوري عند تحركهم.

ولكن لم يتضح لنا من هذه الاتصالات مدى العلاقة بين ناظم الطبقشلي وقواته في شمال العراق ورفعت الحاج سري وقواته في بغداد. كما وأن رفعت الحاج سري لم يكن قد ذكر شيئا لعبد المجيد فريد عن وجود تعاون بينه وبين أي قوات أخرى. وقد لوحظ أيضا أن طلب كل منهما في المساعدة يختلف عن طلب الآخر.

ومع تلك الصورة وجد أنه من الأوفق أن يأخذ كل من السراج وعبد المجيد فريد حذرهما وأن لا يفصحا لأي من الطرفين عن وجود اتصال بيننا وبين آخرين. وأن يظل اتصال كل منهما بنا سرا على الآخر.

وكان عبد المجيد فريد قد ذكر في حديثه انهم لا ينوون الدخول في وحدة مع الجمهورية العربية المتحدة. واعتقد انه يقصد أن ليس في نيتهم التقدم بطلب قيامها فور نجاح الانقلاب المزعوم. ولكنه أكد لنا أن الوحدة ليست من اهدافهم.

وكنت قد علمت أيضا أن الضابط العراقي عبد الوهاب الشواف قائد لواء الموصل كان قد سبق وارسل هو الآخر أركان حربه المسمى شكر الى

الحدود السورية. وتقابل هناك مع مندوب عن السراج. وقام بالابلاغ عن المساعدات التي يطلبها الشواف والتي هو في حاجة إليها من الجمهورية العربية المتحدة أيضا حيث كان ينوي القيام هو الآخر بانقلاب ضد قاسم، وكان ذلك قد تم في منتصف شهر يناير 1959.

وفي يوم الخميس 5 مارس 1959 ، ابلغني جمال أن هناك معلومات قام بإرسالها عبد المجيد فريد وهي تفيد أن انقلاب رفعت الحاج سري في بغداد سيتم في ليلة 6 مارس. ولما سألتها عما إذا كان هناك اتفاق بين قوات بغداد والقوات الأخرى الموجودة بالموصل على ذلك الانقلاب - اجابني بالايجاب. وعلمنا أيضا أن هناك قطارا خاصا سيغادر بغداد مساء نفس ذلك اليوم متوجها الى الموصل، ويحمل عددا كبيرا من شيوعيي بغداد للاحتفال بيوم السلام هناك الذي حدد له يوم الجمعة 6 مارس.

ومضى يوم الجمعة والسبت 6 و 7 مارس - وكنا قد عدنا الى دمشق دون أن تصلنا اية اخبار عن ذلك الانقلاب المزعوم.

ولكن في صباح يوم الأحد 8 مارس علمت من جمال أن الثورة قامت بعد منتصف ليلة السبت في الموصل.

بعد هذه المعلومات التي نشرها البغدادي في مذكراته يمكننا أن نقرر ما يلي:

1- إن كلا من عبد الحميد السراج وعبد المجيد فريد كان يعمل مستقلا عن الآخر في التهيئة للانقلاب ضد عبد الكريم قاسم، ولا يخفى التنافس -بل العدا- الذي كان مستمرا الى قيام الانفصال بين المخابرات السورية التابعة لعبد الحميد السراج والمخابرات المصرية التابعة لصالح نصر، وهذا ما دعا أخيرا الى حل المخابرات السورية قبل وقوع الانفصال بين سورية ومصر.

2- لم يكن التنسيق بين الضباط المستعدين للانقلاب على قاسم كافيا، اذ لا يعقل ان يتم في ثلاثة ايام بين تاريخ 2 آذار حيث لم يكن هنالك أي تنسيق، وبين تاريخ 5 آذار عندما يقول عبد الناصر أن التنسيق موجود.

3- ان عبد المجيد فريد يؤكد أن الطبقشلي والحاج سري لا ينيوان تحقيق الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة، وهذا يعني بالنسبة لعبد الناصر أنهما غير مستعدين لان يكونا تابعين لنظامه، ولذلك قرر الاعتماد على الشواف للقيام بالثورة دون علم الطبقشلي أو الحاج سري، وربما فكر عبد الناصر خطأ أنهما سيضطران بعد قيام الثورة للمشاركة فيها، ويمكن أن يكون قد تصور أنهما لا يوافقان أن تكون الثورة بقيادة عبد الوهاب الشواف، ولذلك رأى أن يضعهما تجاه الأمر الواقع، ويمكن أن تكون هذه الاحتمالات صحيحة أو غير صحيحة، أو أن تكون هنالك اسباب أخرى داعية الى هذا الموقف.

اما تأمر السراج، بمعرفة ناصر، على ناظم الطبقشلي ورفعت الحاج سري ورفاقهما وإذاعة أسمائهم من الاذاعة مما أدى الى إعدامهم جميعا فهو أمر لا يمكن تعليله الا بانعدام الشعور بالمسؤولية.

بعد فشل انقلاب الشواف قامت في دمشق مظاهرة جمعت مئات الألوف لتشيع جنازة الرائد محمد سعيد شهاب، بعد أن وصل الثائرون الهاربون من الموصل الى سورية، وكان يتقدم هذه المظاهرة رجال الدين وينادون بثورة اسلامية ضد قاسم والشيوعية.

وفي هذه الفترة كتب محمد حسنين هيكل مقالا نسب ما ورد فيه من معلومات الى الضابط الهارب من العراق محمود عزيز الحاج عبد الله احد مساعدي الشواف وقد ورد فيه "بأن الشواف قد قتل من قبل مساعد ممرض كردي يدعى طه المختار وأنه أجهز عليه في المستشفى الذي ذهب اليه للمعالجة من جروح اصيب بها أثناء الغارة التي شنّها طيران قاسم على مقره العام، وقد استعمل مساعد الممرض مسدس الشواف نفسه، ونال جائزة من قاسم مقدارها 10 آلاف دينار".

ومما ورد في هذا المقال ايضا أن الضابط أخبره "بأن ثورة الشواف لم تكن انقلابا مخططا له (وهذا مخالف لرواية البغدادي التي دونها في مذكراته يوما بعد يوم) وإنما كانت نتيجة لاحتكاك عنيف فقد اعتدى انصار السلم على ثكنات الموصل فرد الجيش وبدأت الثورة، وقال الضابط أن الشواف كان يحاول الصمود ريثما تنضم وحدات أخرى الى الثورة الا أن الحركة انهارت بعد مقتله".

لقد كان توقيت اعلان الثورة في الموصل أسوأ توقيت رغم اتفاه مع تاريخ الذكرى السنوية الأولى لاعلان وحدة سورية ومصر، ففي هذا التاريخ كان الشيوعيون قد تجمعوا في الموصل بأعداد كبيرة جدا من كل أنحاء العراق احتفاء بعيد السلم، وقد تولت الحكومة نقلهم بالقطارات والسيارات، وكان هذا التوقيت السيء أحد أسباب اخفاق الثورة في يومها الأول، كما كان سببا في قيام الشيوعيين بمجزرة وحشية في الموصل مدفوعين بعصبيات عنصرية وطائفية ضد هذه المدينة المجاهدة العريقة، وقد أكدت الاحصاءات التي نشرت من قبل الحكومة العراقية ان عدد شهداء الموصل بلغ 2426 قتيلًا وجاوز الألف عدد الجرحى، كما جرى تدمير عدد من المنازل، ومنها مركز قيادة الشواف الذي قصفته الطائرات، وأثناء هذه الاحداث حمل راديو موسكو بشدة على ثورة الموصل وعلى القائمين بها، وكان راديو بغداد يعيد ما تذيعه محطة موسكو التي اتهمت الشواف بأنه كان وراء مقتل الشيوعي المعروف كامل القازنجي، وقد أبعد قاسم أثر ثورة الشواف ثمانية من دبلوماسيي الجمهورية العربية المتحدة من بغداد ومن بين هؤلاء عبد المجيد فريد وطلعت صدقي.



كان جمال عبد الناصر بعد إخفاق ثورة الشواف بحالة يرثى لها من الألم والانفعال، ففي ليلة 3/15 سهرنا معه الى ما بعد السحور في قصر الضيافة، بحضور البغدادي والسراج وطعمة العودة الله ومصطفى حمدون، وقد افتتح الحديث قائلاً : إن قاسم هالك لا محالة، ثم أخرج من جيبه مصحفا صغيرا وفتحته على

صفحة معينة من القرآن الكريم وقرأ من آيات تلك الصفحة هذه الآية :

(ويوم تقوم الساعة "يقسم" المجرمون ما لبثوا غير ساعة) مستدلا من أن عبد الكريم قاسم هالك لا محالة، فعادت بي الذاكرة الى طفولتي عندما كنت طالبا في المدرسة الابتدائية:

كنت أنا وأخوتي نطلب من والدتي (الاستخارة) في ايام الامتحانات، فكانت تفتح القرآن كيفما اتفق ثم تقلب سبع صفحات، ثم تعد سبع آيات، فإن جاء في الآية الأخيرة ما يطمئن أو يعد بالنصر أو الجنة أو ما شابه ذلك، فرحنا وذهبنا الى الامتحان ونحن واثقون من النجاح، أما إذا تحدثت الآية عن العذاب وجهنم وبئس المصير فكنا نذهب الى الامتحان ونحن خائفون مرتعدون.

كلف جمال عبد الناصر في هذا الاجتماع مصطفى حمدون والسراج وطعمة العودة لله بالذهاب الى جزيرة ابن عمرو في شمال سورية لتزويد القبائل البدوية السورية بالسلاح لغزو العراق، وقد تحمس هؤلاء لتنفيذ اقتراح عبد الناصر ولحسن الحظ تراجعوا عن تنفيذه، ولو تمكنوا لكانت له نتائج ضارة كثورة الشواف بل أعظم ضررا منها.

لم يكن عبد الناصر يقصد من تأكيده أن عبد الكريم قاسم هالك لا محالة تشجيعنا للموافقة على اقتراحه بغزو العراق من قبل العشائر السورية بل كان معتقدا بذلك كل الاعتقاد، فقبل بضعة أيام من هذا الاجتماع، وبعد طعام الافطار، أتيت مبكرا لقصر الضيافة فجلست مع البغدادي وزكريا محيي الدين وكان جمال ما زال معتكفا في غرفته، وبمناسبة الحديث عن النص الذي ملأت الشائعات عنه دمشق بأن أحد العلماء قد عثر عليه وان هذا النص يقول ان عبد الناصر سيحرر فلسطين وبيت المقدس كما حررها صلاح الدين قال لي البغدادي :

ان لديهم كتابا وضعه أحد القسس الأوروبيين (وذكروا لي اسما قد يكون نوستراداموس) وفيه يتنبأ بكل ما جرى خلال السنوات الماضية من أحداث عالمية فقلت له مازحا :

هل تنبأ بالحرب العالمية الأولى والثانية فأكد لي البغدادي ذلك ووافق زكريا محيي الدين، وقال لي :

إن الكتاب يتحدث عن رجل من الشرق سيهزم الغرب وإن هذا الرجل لا بد أن يكون عبد الناصر.

أثناء ذلك خرج عبد الناصر من غرفته وجلس معنا فقال له زكريا محيي الدين:

ان الأخ اكرم متعجب ومستغرب مما ورد في كتاب القس وذكروا له اسمه، فقلت: هل لي بالاطلاع عليه، فقال عبد الناصر لزكريا محيي الدين :

أرجو بعد رجوعنا الى القاهرة أن تطلعه على هذه الكتاب. وفعلا بعد رجوعنا فقد طلبت الكتاب من زكريا محيي الدين لا اقتناعا بهذه التنبؤات وإنما من قبيل الاحراج، ولكن لم يستجب لهذا الطلب.

واستطرد لهذا الحديث عن التفكير الغيبي لأركان النظام، لا بد لي من القول بأن مرض استحضار الأرواح قد تفشى في سورية خلال سنوات الوحدة، وانني اجزم بأن ذلك كان بتشجيع من المخابرات، ففي الفترات التي يراد بها إلهاء الشعوب عن قضاياها تحاول تلك الأجهزة ان تشيع الخرافات بين الناس، وما قصة ظهور العذراء في القاهرة التي شغلت مصر وصحافتها مباشرة بعد هزيمة الخامس من حزيران عام 1967 الا واحدة من هذه المحاولات.

ويروي السيد رياض المالكي في مذكراته ما يلي (ص 246)

بينما كنت اتحدث مع بعض الاصدقاء في ركن من أركان الصالة الكبرى في الفندق، لمحني السيد فاخر الكيالي من بعيد، فترك صحبه واتجه نحوي باهتمام ولهفة بالغين، وبادرني قائلا : "لك معي رسالة من القاهرة". ولما استوضحته عنها، وعن مصدرها قال لي : "من أخيك عدنان" وعندما لمح الامتعاض على وجهي لهذا الذي تصورته مزاحا غير مستحب، أردف متابعا: "اننا نعمل في القاهرة مع بعض الوزراء المركزيين على عقد جلسات تحضير



الأرواح". فقاطعته قائلاً: "انك راغب اليوم في التنكيت ولا أحسب ان لدى الوزراء المركزيين وقتا يضعونه في ممارسة (الجلال) " فأجاب مؤكداً: "لا، ليس في الأمر هزل ، والوزراء المركزيون يقضون معظم أوقاتهم في عقد جلسات تحضير الأرواح. ويجب أن تثق أن هذه مسألة علمية لا شك في جديتها، والسلطات العليا والمسؤولون الكبار في القاهرة، يهتمون بها ويمارسونها. لانها في نظرهم على غاية كبرى من الاهمية، وهي تساعدهم على حل عقد كثيرة لدى معالجة شؤون السياسة والحكم". ثم ذكر أنه وزملاءه الوزراء سعوا في احدى الجلسات وأحضروا روح المجاهد الكبير ابراهيم هنانو كما أحضروا عدة أرواح ومن بينها روح أخي عدنان ثم تابع السيد الكيالي روايته مضيفاً : "ولما سألتنا أخاك عن شخصك أنت، أجابنا: "رياض انسان صريح وجريء، ولكن عليه أن يخفف من غلوائه"... فعلمت علو قول السيد الكيالي هذا، قائلاً: "أنت تحمل لي رسالة من المخبرات لا من أخي".

#### **4- عبد الناصر يعيد ترتيب علاقته مع الاتحاد السوفيتي.**

كان لاشتداد الحملات المتبادلة بين العراق والجمهورية العربية المتحدة التي ابتدأت في أواخر عام 1958 وبلغت ذروتها بعد إخفاق ثورة الشواف، أثرها وانعكاساتها على علاقات الجمهورية العربية المتحدة بالدول العربية والاجنبية، وقد شعر عبد الناصر بضرورة اعادة ترتيب علاقته مع هذه الدول بتكتيكات سياسية أخرى.

ففي تاريخ 59/3/16 عقد عبد الناصر اجتماعا في قصر الضيافة بعد الخطاب الذي ألقاه خروشوف إثر زيارة الوفد العراقي لموسكو لعقد اتفاقية اقتصادية مع الاتحاد السوفيتي وقد جاء في هذا الخطاب ما يلي :

"ان الرئيس عبد الناصر قد أخفق في إعطاء مطالب الشعب الديموقراطية قسطها من الاهتمام،... وان ما نقوله كأصدقاء هو أن هذه السياسة ستفشل حتما" ثم قال: "وعلى كل حال ستبقى علاقات الاتحاد السوفيتي بالجمهورية العربية كما كانت عليه حتى الآن اذ كنا نعلم بآراء عبد الناصر المعادية للشيوعية".

لقد كنا متفقين مع جمال عبد الناصر بأن خروشوف قصد من خطابه تحريض الشعب السوري ضد الوحدة التي قضت على الوضع الديموقراطي في سورية، وكان جمال عبد الناصر منفعلا جدا من خطاب خروشوف، أما المشير عامر الذي جاء خصيصا من القاهرة الى دمشق ليحضر هذا الاجتماع فقد كان يرى عدم الرد على خطاب خروشوف خوفا من تراجع الاتحاد السوفيتي عن الاتفاقات الخاصة بتوريد السلاح، ولا سيما أن خروشوف قد ابقى الباب مفتوحا للمصالحة مع الجمهورية العربية المتحدة، أما الهاجس الثاني فقد كان الخشية من تراجع السوفيت عن الاتفاقية الاقتصادية ولا سيما عن القرض الذي تم توقيعه والخاص بمشروع السد العالي، وبالرغم من اصرار جمال عبد الناصر على ضرورة الرد على خروشوف فقد كان في الوقت نفسه حريصا على عدم تصعيد الخصومة معه، وكنت قبل ذلك قد سمعت أن المشير يحاول انشاء علاقة مميزة مع السوفيت وان عبد الناصر يراقب هذه العلاقة بحذر شديد، ولربما كان مجيء عامر لحضور هذا الاجتماع يعود الى هذا السبب.

كان جميع المجتمعين حريصين على مصالحة الاتحاد السوفيتي لتنفيذ مشروع السد العالي والاتفاقية الاقتصادية والاتفاقيات العسكرية، ولولا اعتقاد عبد الناصر وموافقة المجتمعين له على ان الاتحاد السوفيتي لا يمكن أن يتراجع عن تنفيذ اتفاقياته مع الجمهورية العربية المتحدة لما اصر جمال عبد الناصر على الرد بشكل معقول وغير مثير كما قال .

بعد انتهاء هذا الاجتماع عاد عبد الناصر للقاهرة بتاريخ 3/25 وكان لا بد لعبد الحميد السراج من استغلال هذه الفرصة للزلفى والتشكيك بالآخرين، فبعد أن ودعنا عبد الناصر في مطار الضمير العسكري، أعادنا السراج انا ومحسن ابو النور وجمال فيصل قائد الجيش في سيارته فلف بنا ودار اكثر من ساعتين قبل أن يوصلنا إلى منازلنا ولما سألته عن السبب أجاب :

إنه تدبير امني!!

وفيما يتعلق برد عبد الناصر على خروشوف يقول البغدادي في مذكراته:

"إن جمال عبد الناصر بعد عودته للقاهرة قد حمل سفير الاتحاد السوفيتي بمناسبة سفره لحضور المؤتمر الحادي والعشرين للحزب الشيوعي رسالة شفوية الى خروشوف، وان وزير القوى الكهربائية السوفيتي الذي حضر حفلة افتتاح السد العالي قد سلم عبد الناصر رسالة من خروشوف يعلمه فيها بموافقة السوفيت على تمويل ما تبقى من مراحل تنفيذ مشروع السد العالي من النقد الاجنبي وبشروط المرحلة الأولى، ويروي البغدادي ايضا في الصفحة نفسها ان ايرهارد وزير الاقتصاد في المانيا الغربية كان وقتئذ ينوي زيارة القاهرة لتمويل باقي مراحل تنفيذ مشروع السد العالي من النقد الأجنبي. وكان المبلغ الذي تنوي المانيا تقديمه لا يتجاوز الـ 300 مليون مارك أي ما يعادل 25 مليون جنيه وهذا المبلغ لا يكفي لتمويل تلك المرحلة. كما كانت فائدة المبلغ 6% بينما كانت فائدة القرض السوفيتي لتمويل جميع مراحل تنفيذ المشروع 2.5% على أن يجري تسديد القرض على مدى اثني عشر عاما يبدأ تسديدها بعد السنة الأولى من تشغيل المشروع." (ص103 الجزء الثاني).

## **5- تطور الوضع الداخلي في العراق خلال النصف الأول من عام 1959.**

شرع عبد الكريم قاسم ابتداءً منذ عام 1959 باقصاء العناصر القومية عن الحكم ففضى على الحكم الجبهوي الذي قام اثر ثورة 14 تموز. كما أمر بسجن عبد السلام عارف واتهمه بالتآمر، وبعد ثورة الموصل قام بحملة واسعة لتصفية العناصر القومية في الجيش فأمر في أواخر نيسان باعتقال عدد من العسكريين والمدنيين منهم الزعيم الركن شاکر محمود حمدي معاون رئيس الأركان والعقيد عبد اللطيف الدراجي الأمر السابق للكلية العسكرية والعقيد أحمد حسن البكر عضو المجلس العرفي العسكري، والزعيم الركن أحمد شيت خطاب، والمقدم الطيار عارف عبد الرزاق، كما كان التحقيق في الوقت نفسه يجري مع

سبعة عشر ضابطا معتقلا بتهمة الاشتراك في انقلاب الشواف وهم الضباط الذين أذيعت أسماؤهم من محطة الاذاعة في الغوطة خلال الأحداث وقد نفذ بهم حكم الاعدام في شهر أيلول عام 1959.

وفي تاريخ 59/7/14 الذي كان الذكرى الأولى لثورة 14 تموز قام الشيوعيون في كركوك بمجزرة رهيبة دامت عدة أيام ذهب ضحيتها 850 قتيلًا، وقد اعترف عبد الكريم قاسم بهذه المجازر التي كان الشيوعيون يصلبون خصومهم فيها على أعمدة الهاتف ويسحلونهم في الشوارع، وقد وصف عبد الكريم قاسم نفسه جرائم الشيوعيين هذه انها فاقت فظائع هولوكو.

بعد مذابح كركوك سحب عبد الكريم قاسم رخص الأسلحة التي كانت قد منحت للشيوعيين لمصلحة المليشيا الشيوعية، كما أمر بالغاء المقاومة الشعبية.

لقد كنت أظن قبل ذلك أن ما يذاع عن جرائم الشيوعيين في العراق فيه شيء من المبالغة، ولكن مجازر كركوك فاقت كل ما كان يذاع عن جرائمهم، وقد قرأت نشرة داخلية اعترف فيها الحزب الشيوعي بالفظائع التي ارتكبت ولكنهم نسبوا ذلك للغوغاء التي تسربت لقواعد الحزب الشيوعي.

في تلك الفترة فكر عبد الناصر بمصالحة عبد الكريم قاسم، وقد قال لي أنه أبدى استعدادة للاجتماع به على الحدود بين سورية والعراق، ولكن عبد الكريم قاسم اعتذر، وقال لي ناصر بأن قاسم أبدى تخوفه من أن تكون هنالك مكيدة أو مؤامرة للقضاء عليه.



لعبت بريطانيا منذ ثورة 14 تموز دورا هاما في توجيه ما جرى في العراق لمصلحتها مستغلة نفوذها التاريخي وعملاءها وخبرتها في شؤون العراق. وقد وظفت كل امكاناتها في دعم حكم عبد الكريم قاسم لأنها كانت تعتبر ان الخطر الأول على نفوذها ومصلحتها هو القومية العربية، ولم تكن تعتبر الحزب

الشيوعي خطرا على مصالحها، فقد كانت مطمئنة الى أن هذا الحزب التابع لسياسة موسكو لا يمكن أن يسعى لحكم العراق، بعد أن أبلغت الاتحاد السوفيتي رسميا خلال زيارة خروشوف وبولغانين لبريطانيا بأنها ستحارب إذا هددت مصالحها في العراق، كما كانت بريطانيا تلتقي مع الحزب الشيوعي في تلك المرحلة على هدف معاداة القومية العربية.

وقد توليت فضح السياسة البريطانية في العراق فكتبت جريدة الوحدة بتاريخ 59/4/10 تصريحاً لي جاء فيه :

"اتهم اكرم الحوراني نائب رئيس الجمهورية، أمس بريطانيا باتباع سياسة استخدام الحزب الشيوعي في العراق لمقاومة تيار القومية العربية، وقال ان هذه المؤامرة البريطانية ستفشل وستنتصر القومية العربية" "إن القومية العربية والحياد الايجابي أغلقا أبواب الشرق الأوسط في وجه الاستعمار والشيوعية على السواء، غير أن الاستعمار الغربي والصهيونية العالمية حاولا فتح الأبواب امام الشيوعية الانتهازية ليصبح العراق قاعدة لها" "ان تسلط الحزب الشيوعي على الحكم في العراق بالاضافة إلى ما ارتكبه بحق العناصر الوطنية قد فضح للرأي العام الصورة الحقيقية للشيوعية الدولية" كما أشرت في هذا التصريح إلى أن بريطانيا تستخدم الحزب الشيوعي هناك أملاً بأخذ زمام المبادرة فيما بعد لتفعل ما فعلته في إيران، وكان ذلك إشارة الى مسؤولية الحزب الشيوعي عن عودة الشاه المخلوع.

وكان عبد الناصر قد ندد في احدى خطبه بسياسة عبد الكريم قاسم قائلاً:

ان العراق لا يزال عضوا في حلف بغداد ولا زال طرفاً في تحالف ثنائي مع بريطانيا ولا زالت قاعدة الحبانية قاعدة للطائرات البريطانية وقواتها" وقد اضطر قاسم في مؤتمر صحفي بتاريخ 59/3/24 أن يعلن انسحاب العراق من حلف بغداد ابتداء من ذلك اليوم.

وعلى أثر ذلك صرح ناطق بلسان وزارة الخارجية البريطانية بما يلي:

"إن قرار الحكومة العراقية بالانسحاب من حلف بغداد لن يؤثر على قرار الحكومة البريطانية بالاحتفاظ بعلاقات حسنة مع العراق، ولكن سينتهي فعل الاتفاق المعقود بين بريطانيا والعراق الذي عقد عام 1955 والذي وعدت بريطانيا بموجبه بالمساعدة في حال وقوع اعتداء على الاراضي العراقية، كما ان المباحثات مستمرة بشأن مستقبل القاعدة الجوية البريطانية في الحباية، وقال الناطق :

ان سياسة بريطانيا الخاصة بتزويد العراق بالسلاح لن تتأثر بانسحاب العراق من حلف بغداد كما قال ان العراق لم يطلب تصفية القاعدة الجوية البريطانية في الحباية والتي تضم 600 عسكريا تابعين لسلاح الجو البريطاني وعددا من الطائرات، وان السلطات العراقية اعطت تأكيدات بأن وضع القاعدة الحالي سيبقى كما هو في الوقت الحاضر، ولكن هنالك مباحثات بشأن وضعها ومختلف الترتيبات الثنائية بيننا.

وهكذا يبدو ان بريطانيا لم يعد بإمكانها استمرار ربط العراق بحلف بغداد ولا بالمعاهدة ولا بالاتفاقات الثنائية بعد ثورة الرابع عشر من تموز، ولكنها حاولت أن تبقى القاعدة كما هي للاحتفاظ بوجود طيرانها هنالك حماية لحقول البترول ولكنها بنتيجة المباحثات وافقت على الجلاء عن قاعدة الحباية ايضا.

وتعليقا على عودة العلاقات التي كانت مقطوعة منذ حرب السويس عام 1956 بين الجمهورية العربية المتحدة وبريطانيا يقول البغدادي في مذكراته:

"إن الفضل في ذلك يعود الى محمد حسنين هيكل وليس الى وزارة الخارجية المصرية" (ص 101 الجزء الثاني).

كما أن مراد غالب مستشار عبد الناصر آنذاك ووزير الخارجية المصرية فيما بعد أخبرني أن محمد حسنين هيكل هو الوسيط بين جمال عبد الناصر والولايات المتحدة أيضا بمنأى عن وزارة الخارجية، وهذا ما اعترف به هيكل في مقالاته عندما كلفه السادات بأن يكون قناة الاتصال بينه وبين الولايات المتحدة قائلاً

انه اذا قبل أن يكون وسيطا بين ناصر والولايات المتحدة فإنه لن يكون كذلك بالنسبة لأنور السادات.

## 6- عبد الناصر يحاول تطويق حكم عبد الكريم قاسم

بعد الهزيمة التي مني بها جمال عبد الناصر في معركته ضد عبد الكريم قاسم والتي انتهت بإخفاق ثورة الشواف وبالنيكية القاسية التي حلت على اثرها بالقوى وبالعناصر القومية والوطنية في صفوف الشعب والجيش، حاول عبد الناصر اللجوء الى تطويق حكم عبد الكريم قاسم، بإقامة حلف عربي ضد نظامه وضد الشيوعية التي تسانده، ولذلك عمد الى ترتيب اجتماع بينه وبين اللواء فؤاد شهاب على الحدود السورية اللبنانية للاتفاق على الخطة الواجب اتباعها لتحقيق هذا الهدف الذي كان واحدا من أهداف أخرى لتنسيق سياستهما العربية، وذلك بمناسبة انعقاد اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في أوائل شهر نيسان عام 1959 في بيروت، لذلك أقيم صالون خشبي على الحدود بين سورية ولبنان لاجتماع الرئيسين، وقد حضرت هذا الاجتماع بصحبة جمال عبد الناصر الذي انتحى في بدء الاجتماع مع الرئيس شهاب زاوية من الصالون، بينما جلس وفدا الجمهورية العربية المتحدة ولبنان حول طاولة مستديرة وقد افتتح الحاج حسن العويني رئيس وزراء لبنان الاجتماع بطرح الموضوع الاقتصادي بين سورية ولبنان محاولا العودة الى فتح الأبواب الموصدة بوجه الاستيراد الى سورية بواسطة التجار اللبنانيين، فكان جوابي له بأن الوضع الاقتصادي في لبنان متين وأن سورية تنهج سياسة الاقتصاد الموجه لتنفيذ برامجها الانمائية، وهي ترصد في موازنتها العادية والموازنات الاستثنائية ما يعادل 50% لشؤون الدفاع، ولا يمكننا التراجع عن مسؤولياتنا الدفاعية أو برامجنا الانشائية أو الحد من استيراد الكماليات الى بلادنا ولا عن استقلالنا الاقتصادي بعد انشاء مرفأ اللاذقية.

لم يطل حديث ناصر مع اللواء شهاب فانضمنا الى الاجتماع، وقد قال لي فؤاد شهاب بلطف كبير أنه يرجو مساعدة لبنان لأن سورية بلد كبير ويمكن أن يتحمل بعض التضحية لمصلحة لبنان،

ولا بد من الاشارة إلى أن الحاج حسين العويني كان تاجرا يهيمه كثيرا هذا الموضوع حرصا على مصلحة الطبقة التجارية في لبنان.

أما مداولات عبد الناصر وفؤاد شهاب، التي لم نطلع عليها، فقد كانت بلا شك تدور حول ما سيقوم به الوفد اللبناني من تأييد لسياسة المتحدة في اجتماعات اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية، وقد انتهى اجتماع الحدود بالبيان المشترك التالي:

في يوم 1959/3/25 اجتمع على الحدود اللبنانية والعربية المتحدة كل من الرئيسين جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة وفخامة اللواء فؤاد شهاب رئيس الجمهورية اللبنانية للتداول في مختلف الشؤون التي تهم البلدين الشقيقتين مباشرة، ولتبادل الراي في القضايا العربية والدولية وقد اتفقا بنتيجة ابحاثهما على تأكيد المبادئ الآتية :

1- حرصهما على توثيق روابط الأخوة وتنمية التعاون المثمر المتبادل بين الجمهوريتين الشقيقتين في كل ما يؤدي الى دعم استقلالهما وسيادتهما وكيانهما ضمن نطاق ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الأمم المتحدة.

2- ايمانهما بضرورة تدعيم التضامن العربي ودعم القضايا العربية وتأييدها.

3- رغبتهما الخالصة في العمل على ايجاد حلول ايجابية للمسائل الاقتصادية المعقدة بين البلدين بأقرب وقت على اساس التكافؤ وحفظ المصالح المشتركة والمتبادلة تأمينا لرفاه ابنائهما وازدهار أحوالهم.

ومن أجل ذلك أصدر كل من الرئيسين توجيهاته الى حكومته لمواصلة السعي ومتابعة المباحثات دون إبطاء في هذا السبيل بنفس روح المودة والتفاهم التي سادت اجتماع الرئيسين والاخوة الخالصة التي تسود مشاعر الشعبين الشقيقتين.

في موعد انعقاد الاجتماع الأول للجنة السياسية للجامعة العربية في أوائل نيسان أعلن فائق السامرائي (من قادة حزب الاستقلال العراقي) وهو في القاهرة استقالته - وكان قد عين سفيراً للعراق في المتحدة بعد ثورة الرابع عشر من تموز- ثم أرسل برقية لجامعة الدول العربية يطلب فيها تشكيل لجنة تحقيق



بالارهاب الشيوعي في العراق، وتشكيل جبهة مقدسة من البلاد العربية جميعها لوقف الزحف الشيوعي وحمل العراق على العودة الى الصف العربي، وكان جمال عبد الناصر قد أرسل الدكتور فريد زين الدين على رأس وفد الجمهورية العربية الى اجتماعات اللجنة السياسية وهو من المثقفين الأكفاء وقد انضم إلى جهاز عبد الناصر بعد الوحدة.

منذ البداية ظهرت بوادر اخفاق الجمهورية العربية المتحدة في تنفيذ خطتها السياسية، حيث لم يحضر الاجتماعات سوى سبع دول عربية، إذ أصرت تونس والأردن ولبيبا على الاعتذار، بينما امتنع العراق عن حضور الاجتماعات. بدأ الخلاف عند وضع جدول اعمال اللجنة، إذ أصر رئيسا الوفدين السوداني والمغربي على حصر البحث والمناقشة في الخلاف بين المتحدة والعراق، بينما اصر الدكتور فريد زين الدين على حصر البحث والمناقشة في موضوع التوسع الشيوعي في العراق وضرورة مكافحته، ولكن الوفود الأخرى لم توافق على ذلك، وانتهى اجتماع اللجنة السياسية ببيان مشترك يظهر فيه جليا إخفاق المتحدة في تحقيق غرضها، لأن المغرب والسودان، فضلا عن الدول المتخلفة عن الحضور لا تؤيد المتحدة ولا توافق على مشاركة الجمهورية العربية المتحدة حملتها التأديبية ضد قاسم تحت ستار مكافحة الشيوعية.

لقد كانت الدول العربية تعتبر ان دخول العراق تحت المظلة الناصرية ينهي انشغال ناصر بالعراق وينقل نشاطه الى دول عربية أخرى، ولذلك كانت جميعها مرتاحة ضمنا لهذا الصراع بين القاهرة وبغداد، لأنه يؤخر دورها في القائمة أو يؤجله على الأقل.

حاول عبد الناصر بعد اخفاق ثورة الموصل تحسين علاقاته مع الانظمة العربية ولا سيما مع الأردن والسعودية، ولكنه لم ينجح لأن بريطانيا قد لعبت دورا هاما في تحريض الأنظمة العربية ضده ولا سيما مع الأردن، بل تعمق هذا الخلاف الى درجة إغلاق الحدود بين سورية والأردن الذي تقدم الى الأمم المتحدة بالشكوى من حشود على حدوده، وقد شنت وسائل الاعلام

الأردنية ولا سيما إذاعتها دعايات مؤثرة كانت تحرض السوريين ضد الوحدة وتدعوها عملية تمصير ينفذها نظام عبد الناصر تحت ستار الوحدة بواسطة أجهزة مخابراته، وقد بدأ يظهر في دمشق الأثر الذي كانت تحدته إذاعة الأردن ليس في أوساط دمشق التجارية فحسب وإنما في أوساط الشعب أيضا، وأصبح الناس ينتظرون إذاعة الأردن التي كانت تفتتح حملتها الدعائية بالتشيد السوري مذكرة الشعب بنضاله الباسل ضد الاستعمار الفرنسي.

أما رفض السودان والمغرب العربي لمحاولة تطويق حكم عبد الكريم قاسم في اجتماعات اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية فقد كان سببا لإساءة علاقة المتحدة مع هاتين الدولتين، فركز إعلام القاهرة على إبراز الأمير عبد الكريم<sup>(2)</sup> الخطابي الذي كان على خلاف مع العرش المغربي، وهو البطل الذي تولى عام 1920 قيادة الثورة ضد الاستعمار في منطقة الريف شمال المغرب، وقد حاربه الجيوش الاسبانية والفرنسية معا حتى تمكنت من التغلب عليه، وإن بطولة عبد الكريم الخطابي سليل الأدارسة تظهر بوضوح تأثير ماضي الشعوب وتاريخها في تحررها ونهوضها وإحيائها من جديد.

لقد شرعت صحف الجمهورية تنشر أقوال عبد الكريم الخطابي وآراءه بضرورة توحيد ثورة الجزائر وتونس والمغرب وتشكيلها جبهة واحدة ضد الاستعمار الفرنسي، ولو كتب لهذا الاتجاه الصحيح أن يتحقق لكان له تأثير كبير في تحقيق اتحاد دول المغرب العربي بعد الاستقلال، ويقول فتحي الديب ضابط المخابرات الذي أوكل إليه عبد الناصر الحرية الكاملة بالتعامل مع قادة ثورة اقطار المغرب العربي أن الامير الخطابي قدم مشروعا

(2) ولد الامير عبد الكريم الخطابي 1984-1962 سليل التراث الاسلامي في بلدة أجادير من مدن الريف، اسمه الكامل محمد بن عبد الكريم الخطابي، كان زعيما لقومه العرب المقيمين في منطقة الريف، اعلن الثورة ضد الاسبان المحتلين فأباد عام 1921 جيشا من عشرين ألفا على مقربة من مليلة، مما أدى إلى إقامة دكتاتورية بريمو ديفاليرا في اسبانيا، وفي عام 1924 طارد الاسبان حتى مدينة تطوان وتقدم الى المنطقة الفرنسية ، وبسبب الانقسام في صفوف القبائل الموالية له اضطر للتسليم الى الفرنسيين عام 1926 فنقوه الى احدى جزر المحيط الهادي، ولكنه تمكن من الفرار الى مصر بينما كان يمر في طريقه الى فرنسا منغاه الجديد. أقام في مصر مجاهدا عاملا في سبيل استقلال الاقطار العربية في شمال افريقيا وتوفي في القاهرة.

لتنظيم جيش المغرب العربي فرفضه "لتشككه في مخطط عبد الكريم الخطابي باعتبار أنه ينطلق من تفكير عتيق" ولقد كتبت سابقا في هذه المذكرات بمناسبة ثورة حماه والثورة السورية عام 1925 ما كان لثورة عبد الكريم الخطابي في الريف المغربي من أثر كبير في سورية فكريا ونفسيا، إذ انها عززت ثقة الشعب السوري بنفسه وبقدرته على مقارعة الفرنسيين وعلى التحرر من الاستعمار.



في هذه الفترة أخبرني يوسف الرويسي أن فرحات عباس رئيس الحكومة الجزائرية وبعض اعضاء حكومته يودودن الاجتماع بي سرا، وقد شكنا لي السيد فرحات عباس في هذا الاجتماع من جفاء عبد الناصر وإهماله لهم، وانهم طلبوا الاجتماع به مرارا فلم يلب طلبهم، مع أنهم يريدون أن يبحثوا معه أمورا هامة عاجلة، ولا سيما أن ثورة الجزائر تمر بأحرج الظروف ضد الاستعمار الفرنسي، فاهتممت كثيرا بهذا الأمر، لأن حماسنا لثورة الجزائر لم تكن تقل عن حماسنا للقضية الفلسطينية بل كنا نعتبر أن المعركتين معركة واحدة في مواجهة الحرب الصليبية الصهيونية التي يشنها الغرب على الأمة العربية، لذلك اجتمعت بناصر وقلت له: يا سيادة الرئيس لقد مضى على اجتماعك بالحكومة الجزائرية وقت ليس بالقصير لذلك فإنها ترجو الاجتماع بك لبحث بعض الأمور الهامة:

أجابني ناصر بانفعال وامتعاض :

إن فرحات عباس كان من أنصار التعاون مع الفرنسيين قبل الثورة، فلم أرد أن أدافع عن مواقف عباس فرحات بل قلت له:

على فرض أنه كان من أنصار التعاون مع الفرنسيين في الماضي فإنه الآن قائد من قواد الثورة الجزائرية، بل رئيس حكومتها، والاسلام يجب ما قبله، فلولا أهمية وشأن هذا الرجل لما اختارته الثورة رئيسا لأول حكومة لها في المنفى.

وفي رأبي أن غضب عبد الناصر لم يكن ضد فرحات عباس شخصيا، بل كان ضد السياسة التي انتهجتها حكومة الثورة ضد المخابرات المصرية التي حاولت أن تتغلغل الى صفوفها، وكان عبد الناصر قد جعل المخابرات المصرية وسيلة الاتصال بينه وبين الحكومة الجزائرية التي كانت تصر على الاتصال به مباشرة، كما كانت تصر على حريتها باتخاذ مواقفها السياسية وترفض أن تكون أداة من أدواته، ولذلك انتهجت سياسة الحياد تجاه الخصومات بين ناصر والحكومات العربية الأخرى، وحاولت أن تستفيد من جميع هذه الحكومات، ولا سيما ان العراق منذ عهد نوري السعيد كان من أكثر الدول العربية التي تمد الثورة الجزائرية بسخاء، وقد استمر العراق في عهد قاسم في تأييد ودعم الثورة الجزائرية أكثر من السابق، وكان قاسم يحاول أن يفوز بمباراة دعم الثورة الجزائرية تجاه الدول العربية الأخرى لأن في ذلك تحسين شعبيته وسمعته في العراق والعالم العربي.

لقد وصل الخلاف بين الثورة الجزائرية والمخابرات المصرية حدا أدى إلى قتل أحد الأشخاص الجزائريين لأنه كان عميلا للمخابرات المصرية، وبعد ثلاثين عاما من ذلك روت مجلة الوطن العربي في عددها الصادر بتاريخ 1988/10/28 عن هذا الحادث ما يلي :

"اكتشفت الحكومة الموقته بأن موظفا صغيرا يحتفظ لنفسه بنسخة عن جميع مقررات الحكومة الموقته ومراسلاتها ويسلمها للحكومة المصرية، لذلك أخذوه الى سطح المبنى الذي تحتله الحكومة ورموا به الى الأرض، لتهمد جثته الى الأبد، وانتقلت الحكومة الموقته الى تونس، وقيل في ذلك الوقت أن الحكومة الجزائرية أحببت أن تكون أقرب الى موقع الأحداث ولتشرف بنفسها على انتقال السلاح الى الثوار".

وبعد ثلاثين سنة أيضا كشف فتحي الديب ضابط المخابرات المصرية عن عقلية مشبوهة في تعاملها مع قادة الثورة الجزائرية والتونسية والمغربية من احتقار وتخريب وايقاع بينهم وهو الذي أوكل اليه جمال عبد الناصر الحرية الكاملة مع هؤلاء القادة. كما

يتحدث أحمد حمروش في مذكراته عن هذه الانحرافات الخطيرة التي كانت لها نتائج مدمرة فيما بعد بقوله : "إن نفوذ جمال عبد الناصر واحترام شخصيته لم يستطع التأثير في جبهة التحرير الجزائرية لسببين أولهما أن صلات الثورة المصرية مع ثوار الجزائر كانت تنعقد عن طريق ضباط المخابرات، وثانيهما أن مصر حتى ذلك الوقت كانت تعيش في فترة الاتحاد القومي حيث كانت الحيرة ما زالت تغلف الوضع السياسي".

وقصارى القول فإن جمال عبد الناصر كان يحاول أن يحتوي الثورة الجزائرية، وأن يجعل من قادتها تبعاً له كعبد السلام عارف وأخيه عبد الرحمن في العراق والسلال في اليمن، وقد أدت سياسة عبد الناصر هذه إلى العديد من الكوارث فمزقت قادة ثورة الجزائر، وأدت إلى اقتتالهم وإلى وقوع أول انقلاب على الحكومة المؤقتة، واستجر ذلك إلى الخلاف بين خيضر وبن بلا، ومن ثم إلى انقلاب بومدين على حكم بن بلا، ولا مجال هنا للأسهاب عن الآثار السلبية التي أحدثتها المخابرات المصرية في الجزائر إبان حكم بن بلا حتى أصبح الجزائريون ينظرون إلى المصريين الوافدين إلى الجزائر بالحذر وعدم الثقة.

وعلى كل حال فقد أثمر حديثي مع عبد الناصر بشأن تحسين علاقته مع الحكومة الجزائرية الموقته لأنه أدى إلى الاجتماع الذي عقده مع الحكومة الجزائرية في مطلع شهر حزيران عام 1959، وقد تعمد عبد الناصر الاعلان عن هذا الاجتماع لذلك أوعز إلى نائب وزير شؤون الجمهورية عبد القادر حاتم أن يصرح بأن الرئيس جمال عبد الناصر استقبل يوم 59/6/4 وفداً من الحكومة الموقته للجمهورية الجزائرية مؤلفاً من السادة:

فرحات عباس رئيس الحكومة، عبد الحميد بوصوف وزير الاتصالات العامة والمواصلات، أحمد توفيق المدني وزير الشؤون الثقافية، وأكد لرئيس الوفد تأييد الجمهورية العربية المطلق لنضال الشعب الجزائري في سبيل حريته واستقلاله.



## 7- محاولة وضع تخطيط علمي للسياسة الانمائية العربية المتحدة.

لا شك أن التخطيط لسياسة الدولة الانمائية لا يقل أهمية عن وضع الاسس الدستورية الديموقراطية لدولة الوحدة، وعندما دعانا عبد الناصر للاجتماع الأول للوزارة المركزية على مستوى مجلس التخطيط الأعلى كنت متفائلا لأنه لم يكن لدي أفكار واضحة تماما عن مشاكل الشعب المصري الاقتصادية والاجتماعية التي يسببها ولا يزال التفجر السكاني الذي يزداد عاما بعد عام، مع محدودية الرقعة الزراعية الضيقة على ضفتي النيل، وعدم الكشف عن ثروات معدنية غنية تلبي الحاجات المادية للشعب المصري.

استمرت اجتماعات الوزارة المركزية على مستوى مجلس التخطيط الأعلى أواخر شهر ايار 1959 الى أواخر شهر تموز. فما هي الافكار والانطباعات التي خرجت بها من هذه الاجتماعات ولا سيما أن بحث الخطة الانمائية للدولة لا بد أن يتعرض بطبيعة الأمر الى جميع مشاكل الدولة وأوضاع الشعب الاقتصادية والاجتماعية فهو كالمرآة التي تعكس الصورة الحقيقية للدولة والمجتمع.

بعد ثورة 23 تموز انشيء ما سمي بمجلس الانتاج، وكانت كوادره من خبراء مصر لوضع خطة انمائية تضع حلولا لمشاكلها الاجتماعية والاقتصادية المستعصية، وقد ذكرت سابقا انني زرت مجلس الانتاج عام 1956 وكان فؤاد جلال رئيسا له حيث حدثنا اعضاء المجلس آنذاك بأنهم خرجوا من أبحاثهم ومناقشاتهم بأنه لا أمل بحل مشاكل مصر الاقتصادية والاجتماعية حلا جذريا بسبب تفجرها السكاني الا على مستوى عربي، وقد عين البغدادي بعد ذلك رئيسا لهذا المجلس بعد إخفاق مشروع الوحدات المجمعمة ومديرية التحرير التي انفق على انشائها مبالغ طائلة.

وفي الاجتماعات التي عقدها عبد الناصر مع الوزارة المركزية تقدم البغدادي بمشروع للتخطيط الانمائي قام بوضعه ثلاثة وستون خبيرا لمضاعفة الدخل القومي خلال عشرين عاما.

في الجلسة الأولى لاجتماع الوزارة المركزية على مستوى مجلس التخطيط قلت لعبد الناصر:

ان هذه الخطة ستصيب الشعب بخيبة أمل كبيرة لأنه خلال عشرين عاما سيزداد عدد السكان بشكل لا يسمح برفع مستوى معيشة الشعب المصري.

لم يخطر ببالي أبدا أن يكون رد فعل جمال عبد الناصر أن يبدل بموافقة الوزراء الأرقام التي بنيت عليها الخطة لمضاعفة الدخل القومي فيجعل المدة عشر سنوات بدلا من عشرين سنة، والذي أذهلني ان جميع الوزراء قد لبوا رغبة عبد الناصر دون تردد في تغيير الأرقام وهم الذين اشتركوا مع العدد الكبير من الخبراء في تقديرها. قلت للبغدادى الذي كان جالسا بجانبى :

ألسنت أنت الذي درست هذه الخطة وتقدمت بها بصفتك رئيسا لمجلس التخطيط وشارك في ذلك جميع الوزراء الحاضرين، فكيف تبدلون أرقامها التي بنيت عليها بأرقام أخرى؟  
أجابني البغدادى بامتعاض وألم : والله لا أدري.

لقد خرجت من هذه الاجتماعات بالانطباعات والملاحظات التالية:

1- ان الخطة التي قدمت تستند في تنفيذها على القروض والمعونات الخارجية التي يمكن ان يعتمدها التغيير والتبديل حسب تطور الأوضاع السياسية، أما بعد تبديل أرقامها بايعاز من جمال عبد الناصر فقد أصبح هذا التخطيط بنظري العوبة إعلاميه للاستهلاك الداخلي، وبهذا الاسلوب نفسه جرى تعديل الخطة في سورية، فقد قرر المجلس التنفيذي تشكيل لجنة مؤلفة من الاخصائيين في وزارات الاقتصاد والخزانة والمصرف المركزي وأعضاء آخرين يمثلون مختلف القطاعات الاقتصادية لوضع خطة التنمية الخمسية، فعملت اللجنة بالتعاون مع جميع دوائر الحكومة -طيلة أربعة أشهر- وتوصلت الى النتيجة التالية :

يمكن لسورية أن تخصص من جميع مواردها مبلغا قدره 1768 مليون ليرة للخطة الانمائية خلال خمس سنوات، ورفعت اللجنة تقريرها الى الوزير المركزي عبد المنعم القيسوني فرفض الوزير هذه الدراسة وقال ان الرئيس لا يقبل بهذا الرقم ويجب أن تضيفوا اليه ألف مليون آخر. (سورية بين الوحدة والانفصال- وثائق ونصوص جمعها صلاح الدين المنجد ص 149-191 القسم الأول).

2- بالرغم من تحفظ الوزراء المصريين في طرح بعض المشاكل على حقيقتها امام الوزراء السوريين ، فانه قد أذهلني أن أطلع من تقديراتهم بأن عددا من خمسة ملايين الى ثمانية من الشعب المصري لا تعرف الدولة مصدرا لمعيشتهم.

كنت أعرف ان هنالك فقرا مدقعا تنم عليه مظاهر البؤس الكبيرة في الاحياء الشعبية، ومنظر اولئك الفلاحين الغاطسين الى الركب بالأوحال وهم يسقون مزروعاتهم بالأواني أحيانا، مما كان يسبب مرض نسبة كبيرة من الشعب المصري بالبلهارسيا، ولكنني لم أكن أظن ان ما يقرب من ثمانية ملايين مصري لا تعرف الدولة لهم مصدرا للرزق.

3- لقد عرفت ايضا في هذه الاجتماعات ان كثيرا من الأراضي الخصبة في مصر لا ينتثمرها اصحابها بسبب الملوحة التي كانت من أهم المشكلات الزراعية في القطر المصري.

4- اطلعت على ما كانت تعاني منه الصناعة من سوء الادارة والمشاكل المستعصية، حتى أن بعض المعامل، ومنها معمل الحديد والصلب لا يعمل بكامل طاقته الانتاجية، وانه يعاني من صعوبة الحصول على خليط الحديد الخام المستورد من الخارج.

كما تأكد لي أن الاعلان عن انشاء العديد من المعامل كان انشاء وهميا لا أساس له، وكان الشعب يتندر على ذلك حتى أن عزيز صدقي أصبح لقبه عند الشعب ( أبو لمعة) كناية عن المبالغة، فقد كان عزيز صدقي يتحدث كل يوم عن صناعة جديدة ويقدر مردودها على الاقتصاد الوطني بالقطع النادر حتى بلغ ذلك



المردود أرقاماً كبيرة جداً مما زاد في تندر الناس، ومما جعل عبد الناصر يسمح للتابعي بإطلاق اسم أبو لمعة على عزيز صدقي في إحدى المجلات لكي يتصل من مبالغاته. ولقد سألت آنذاك البغدادي عن شأن عزيز صدقي وكفاءته ووقال لي أنه كان موظفاً في وزارة الصناعة وأن انتهائته أوصلته إلى الوزارة.

5- لقد كشفت لي تلك الاجتماعات عن بيروقراطية وفساد كبيرين لا يرجى لهما معالجة ضمن هذا النظام، وعندما طلب مني عبد الناصر أن اشترك بمناقشة الخطة قلت له:

نحن أمام مشاكل مصر كالتلاميذ على مقاعد الدراسة، لأننا نجعل جهلاً يكاد يكون تاماً بهذه المشاكل وأسبابها وحلولها، فهي تختلف تماماً عن المشاكل التي كنا نبحثها ونضع لها حلولاً في سورية، كما قلت له:

إن كثيراً من التعابير الواردة في الخطة وعلى لسان الوزراء المصريين كانت جديدة بالنسبة لنا، بالإضافة إلى أن الوقت لم يتيسر لي لقراءة الأكداس الهائلة من التقارير التي قدمت للوزراء منذ بداية الاجتماعات.

كان أيضاً حصيلة هذه الاجتماعات أن اطلعت على طراز المعاملة التي يعامل بها عبد الناصر ووزراءه، فقد اتهم القيسوني بالعمالة للغرب لأنه كان ضد بناء السد العالي لمجرد تلميح القيسوني المعروف بميله للغرب بالشك في مردود السد العالي على الاقتصاد المصري وبالمشاكل التي يمكن أن تحصل أثناء وبعد تنفيذه، وكان القيسوني يحاول أن يوحي باستبدال هذا المشروع بمشاريع أخرى أكثر نفعاً لمصر، وهو رأي الغرب في مشروع السد العالي الذي كان انشاؤه ولا يزال حتى الآن موضع انتقاد من بعض الدوائر الغربية.

لقد اتهم عبد الناصر الشافعي أيضاً بسوء الاستعمال، وهو الذي أصبح فيما بعد نائباً لرئيس الجمهورية وكان آنذاك وزيراً للشؤون الاجتماعية.

عندما رأيت اسلوب عبد الناصر في معاملة وزرائه، مر في ذهني ما قاله لي عندما طلبت منه أن يعامل الوزراء السوريين كمعاملته للوزراء المصريين، لقد أجابني يومذاك: "لو اطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع".

كان ذلك بمناسبة احتجاجي على معاملة الوزراء السوريين، لأن عبد الناصر امتنع عن الاجتماع بالدكتور بشير العظمة خلال ستة اشهر من توليه وزارة الصحة المركزية للبحث في أمور وزارته. ثم أردف ناصر غاضبا :

انني لا أريد أن اضيع وقتي سدى مع هؤلاء!!.

بعد هذه الاجتماعات فهمت ما يقصد بقوله الآنف الذكر، كان يقصد انه يعامل الوزراء السوريين بأحسن من معاملته للوزراء المصريين.

كان عبد الناصر يبدو هادئا، ولكنه عندما يفعل كان ينفجر كالبركا ساخرا متهما، وان انفعالات عبد الناصر قد أدت الى زيادة مرض السكر وهو المرض الذي ساهم في وفاته فيما بعد.

لقد لاحظت أن المشير عبد الحكيم عامر من بين جميع رفاق عبد الناصر الآخرين من العسكريين كان يتمتع على قدم المساواة بحرية الرأي والمناقشة مع جمال عبد الناصر وقد قدرت أنذاك من هذه الاجتماعات ومن غيرها انه الند والشريك الوحيد لعبد الناصر في السلطة والحكم.

كان اقتراح المشير في تلك الاجتماعات أن تركز خطة التنمية على الكشف عن الثروات المعدنية، ولا سيما البترولية، وان يخصص لذلك مبالغ كبيرة، وان تبذل في سبيله الجهود الشاملة بعد أن لاحظ أن قلب خطة التنمية ومضاعفة الدخل القومي من عشرين عاما الى عشرة أعوام هو أمر غير معقول.

7- لقد كان عبد الناصر عاجزا عن اصلاح جهاز الدولة الاداري البيروقراطي وهياكله التنظيمية المهترئة التي خلفها النظام الملكي الفاسد، لأن ثورة 23 يوليو كانت انقلابا عسكريا، ولم

تكن ثورة ديموقراطية حتى تتمكن من فرز قيادات جديدة تحل محل الكوادر السابقة.

كان جمال عبد الناصر يعتقد كما ذكر لي مرارا ان السياسة هي الاقتصاد، وانه لا يوجد سياسة وانما يوجد اقتصاد. أما رأيي فقد كان ولا يزال هو:

ان السياسة هي الوسيلة والاسلوب الذي نستخدمه في حل مشاكلنا الاقتصادية والاجتماعية وتكوين إدارة قادرة على دفع عجلة الانتاج والتطور والتقدم الى امام.

كان عبد الناصر بحكم تفردده في السلطة يحاول بأن يقنع نفسه بأن اي تنظيم سياسي يؤدي الى مشاركة الآخرين له في السلطة ومما يؤدي الى "تميع الحكم" حسب تعبيره، وهو تميع يمنعه من انقاذ الوضع الاجتماعي والاقتصادي وحل مشاكله المستعصية.

لقد كان عبد الناصر يحاول أن يفعل المستحيل لتحرير الشعب من الفقر، وقد روى لي وهو متألم ان بعض الشباب حاولوا وهو في طريقه الى القناطر الخيرية أن يقتحموا حرسه حتى وصلوا إليه وبسطوا له شكواهم بأنهم عاطلون عن العمل، وانهم جياع، وتوسلوا اليه أن يعينهم في وظائف الدولة لأنهم حائزون على الشهادات التي تؤهلهم، وقد قال لي ناصر بألم انه استجاب لطلبهم، ولكنه تساءل هل يستوعب جهاز الدولة جميع الشباب العاطلين عن العمل؟ كان هاجس عبد الناصر تنفيذ مشروع السد العالي الذي كان يرى في انجازه تخليد ذكره وعظمته في تاريخ مصر الحديث وهو المشروع الذي دفعه في سبيل انجازه الى تأميم قناة السويس.

لقد حاولت بريطانيا بذر الشقاق والخلاف حول اقتسام مياه النيل بين مصر والسودان والحبشة، وفي أحد الاجتماعات سمعت عبد الناصر يقول للمشير عامر:

يجب ان نسرع في حل مشكلة مياه النيل والحدود مع الوفد السوداني (الذي كان يزور القاهرة آنذاك) لأن الولايات المتحدة تضغط على حكومة عبود لحل هذه المشكلة.

ولهذا الغرض سعى جمال عبد الناصر لتحسين علاقاته مع امبراطور الحبشة هيلاسيلاسي الذي زار القاهرة في 1959/6/24 فاحتفى به جمال عبد الناصر حفاوة كبيرة، وقد اشتركت مع عبد الناصر وهيلاسيلاسي بنزهة نيلية قصيرة بين القاهرة والقناطر الخيرية، وبينما كنت اتحدث مع هيلاسيلاسي الذي كان يستوضح عن أحوال سورية وطبيعة الاقليم فيها، انتقل الى جانبي وزير الخارجية محمود فوزي وقال لي ان عبد الناصر يريد أن يتحدث معي بموضوع هام:

بدأ ناصر حديثه بموضوع هجرة الفلاحين المصريين الى سورية فقال :

كان شكري القوتلي قد اقترح عند قيام الوحدة هجرة الفلاحين المصريين الى سورية، أما بعد الوحدة فلم يعد القوتلي ولا سواه (كان يقصدني بالذات) يفتح (بؤه) بكلمة واحده عن هذا الموضوع. قلت لعبد الناصر:

يا سيدي الرئيس : ان طبيعة الوضع الزراعي في مصر مختلفة اختلافا كبيرا عن سورية، فالزراعة المصرية تعتمد على ري الأرض من مياه النيل، أما في سورية فإن معظم المساحات مزروعة بالحبوب ولبعض الاشجار كالكروم والزيتون وهي تعتمد بشكل عام على مياه الامطار، وان الأراضي المروية في سورية محدودة جدا بالنسبة لما يسمى بالزراعة البعلية، وليس الفلاح المصري معتادا على هذه الزراعة. ولذلك يجب الاهتمام جديا بمشروع سد الفرات الذي يمكنه أن يروي ملايين الدونمات، وان تنفيذ مشروع هجرة الفلاحين المصريين لا يمكن أن يتحقق الا بقيام الوحدة بين الاقطار الثلاثة مصر وسورية والعراق حيث تتوفر ملايين الهكتارات من الأراضي المروية في الهلال الخصيب، ولا يخفى ان توطين الفلاحين المصريين يحتاج بعد توفر الأرض المروية

الى توفير المسكن والخدمات والآلة والبذار والغرس، وهو مشروع ضخم يحتاج إلى مؤسسة خاصة وموازنة خاصة واستعدادات خاصة، كما قلت له:

ان دعوتنا الى فتح أبواب هجرة الفلاحين هي دعوة مخلصة لانها من مصلحة سورية ومصر والقضية العربية، ولذلك أرجو أن يحظى مشروع بناء سد الفرات من قبلكم بالاهتمام ذاته الذي تولونه لبناء السد العالي، لأنهما مشروعان هدفان قوميا واحدا. وقد أصغى الى جمال عبد الناصر دون أن يتفوه بكلمة.

ترى هل كان عبد الناصر يريد أن يشعرني بشكوكه في صدق نوايانا نحو الوحدة ولكنه لم يختر المناسبة الصالحة لهذا الاتهام؟ والا فما الذي دعاه الى هذا الحديث المفاجيء؟

وفي حفل العشاء الذي أقامه ناصر للأمبراطور في حديقة قصر القاهرة وحضره كما هي العادة جميع الوزراء والسفراء، انتحيت قبل العشاء جانبا من الحديقة مع أمين النفوري وأحمد عبد الكريم، وقد أدهشني أن يأتي السفير الأميركي بشكل مفاجيء ليقول لنا بوقاحة :

أي مؤامرة تحيكون ؟ قلنا له :

إن حبك المؤامرات هو من شأن الولايات المتحدة وليس من شأننا فانصرف دون تعليق.

1959 : كان الاختلاف بيني وبين عبد الناصر حول موضوع تحويل الاسرائيليين نهر الأردن السبب الرئيسي الذي أدى لاستقالتي من نيابة الرئاسة ومن وزارة العدل في الحكومة المركزية - صفحات من البيان الذي أصدرته بتاريخ 13/6/1962 بعد انفصال سورية عن مصر والذي تحدث فيه عما جرى في جلسة الوزارة المركزية في القاهرة بتاريخ 1959/11/29.

### "تقرير همرشولد حول وكالة غوث اللاجئين".

في شهر آب عام 1959 أحالت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية المشروع الذي تقدم به همرشولد إلى مجموعة من الخبراء العرب لدراسته وتقديم تقرير عنه الى وزراء الخارجية العرب الذي سينعقد في الرباط، ويقضي هذا المشروع بنقل مسؤولية وكالة الاغاثة إلى الدول العربية، مما يعني توطين اللاجئين الفلسطينيين في البلاد العربية، ولكن مؤتمر الخبراء العرب الذي انعقد في لبنان (صوفر) أوصى برفض هذا المشروع.

وفي شهر أيلول 1959 ألقى همرشولد في هيئة الأمم المتحدة تقريراً مفصلاً حول أوضاع وكالة غوث اللاجئين، اعتبر فيه أن عمل وكالة غوث اللاجئين هو عملية إرجاء لمشكلتهم واقترح حلاً حاسماً لهذه القضية، وذلك بأن تمد الدول التي يقطنها اللاجئين بالأموال والمساعدات لتوطينهم فعلياً، وقد اقترح هامرشولد لهذا الغرض مبالغ ضخمة جداً، جعلتني أتذكر العرض الذي تقدمت به الحكومة الأميركية عام 1950 الى الحكومة السورية وهو أن تدفع لها مبلغ 275 مليون دولار مقابل توطين اللاجئين في سورية.

لقد اثار تقرير همرشولد ضجة كبرى في أوساط اللاجئين الفلسطينيين - خارج الجمهورية العربية المتحدة- أما داخل الجمهورية فلم تحدث أية ردود فعل، بل أن الصحف وأجهزة الاعلام

قد مرت به مرورا عابرا مما لفت نظري وجعلني أحاول معرفة أسبابه.

وفي إحدى الحفلات الرسمية التقيت بالدكتور محمود فوزي وكان وزيرا للخارجية فقلت له :

انني استغرب الضجة التي أثارها بعض الصحف العربية واللاجئون الفلسطينيون حول تقرير همرشولد، إذ أن هذا التقرير يقترح حلا ايجابيا لمشكلة اللاجئين وتوطينهم، وهو الحل العملي الذي ينهي هذه المشكلة التي طال أمدها، فانفجرت أسارير الدكتور محمود فوزي وقال لي :

إن همرشولد لم يغير من نص هذا التقرير حرفا واحدا، فنحن الذين وضعناه، وهو لم يفعل سوى أن ألقاه بكل أمانة بدون أي تغيير، ولو ألقيناه نحن لأدى ذلك إلى بعض ردود الفعل، فنحن العرب عاطفيون.

لقد كانت حاجة مصر الى القروض والمعونات السبب في تمرير هذا المشروع(1) وفي تغاضي جمال عبد الناصر عن مشروع تحويل نهر الأردن، كما كانت المعونات والقروض سببا في استسلام السادات في كمب ديفيد لهيمنة الولايات المتحدة واسرائيل استسلاما بلغ به حد اغراء اسرائيل باسترجار مياه النيل الى النقب.

وفي الندوة التي أقيمت في القاهرة عام 1988 تحت عنوان العمل السياسي العربي المشترك يكشف السيد محمود رياض النقاب عن مدى الهيمنة الاسرائيلية على الأوضاع السياسية والاقتصادية في مصر.

قال السيد رياض في تلك الندوة :

"عندنا الآن في مصر قانون صريح تم الاعتراف به هو تمكين الاسرائيليين من شراء الأراضي المصرية، وبدأ الاستثمار في مصر الآن والمثال واضح :

يوجد في مصر الآن الجنرال عساف ياغوري الاسرائيلي  
الذي يشارك في مشروعات زراعية وانتاجية في مصر وله شركتان  
ولا داعي لذكر تفاصيل أخرى" (القبس الدولي - العدد 1143-  
1988/10/20).



(1) وثيقة من وثائق وزارة خارجية الجمهورية العربية المتحدة بتاريخ 1961/8/10 وفيها تعليمات الى بعثات التمثيل الدبلوماسي والقنصلي بعدم إثارة قضية اللاجئين الفلسطينيين لأن ذلك يساعد على سير المفاوضات لتوقيع اتفاقية تبادل فوائض السلع التموينية مع الولايات المتحدة.

## معركة المياه العربية - وتحويل مجرى نهر الأردن.

بعد ثلاثة ايام من نشر وكالة انباء الشرق الأوسط خبر المعونات الأميركية للجمهورية العربية المتحدة، أي بتاريخ 1959/11/29 دعا عبد الناصر الى عقد جلسة مشتركة للوزراء المركزيين السوريين والمصريين، وكانت وقائع المناقشة التي جرت فيها حول تحويل نهر الأردن هي الدافع الأخير لتقديم استقالتي من وزارة العدل المركزية، ومن نيابة رئاسة الجمهورية وذلك بتاريخ 1959/12/24 لأنها كشفت موقف عبد الناصر المساوم على حساب المياه العربية.

بعد استقالتي مباشرة نشرت تصريحا في جريدة الصحافة التي كان يصدرها حزب البعث في لبنان، نوهت فيه بخطورة ما يجري من تحويل لنهر الأردن دون التعرض لعبد الناصر أو لما جرى في مجلس الوزراء، ثم قدم رفاقنا في لبنان مذكرة باسم حزب البعث العربي الاشتراكي الى وزراء خارجية الدول العربية أثناء اجتماع مجلس الجامعة في بغداد عام 1960 حول المخاطر المترتبة على تمكين اسرائيل من تحويل مجرى نهر الأردن.

بعد ذلك لم يعد أمامي أي مجال للكتابة أو الحديث عن هذا الموضوع، فقد أصبحت محاصرا في منزلي من قبل أجهزة المخابرات، هذا الحصار الذي استمر حتى الانفصال بتاريخ 1961/9/28 عندما استأنفت متابعة هذه القضية في المجلس النيابي(2) التأسيسي السوري دون التعرض لجمال عبد الناصر، ثم في البيان الذي اضطررت لاصداره ردا على مفتريات أجهزة الاعلام المصرية.

(2) أوائل عام 1962 قدمت الحكومة السورية مذكرة الى مجلس الأمن ورؤساء وفود الدول الاعضاء في الأمم المتحدة مذكرة جاء فيها :

"لقد وقفت السلطات السورية أمام مشروع تحويل نهر الأردن عندما باشرته اسرائيل في المنطقة المجردة الوسطى في أيلول عام 1953، فاحتجت اذ ذلك الى كبير المراقبين الذي اتخذ قرارا في 1953/9/23 بمنعها من التحويل إلا بموافقة الجانب السوري، ولما رفضت لجأت الحكومة السورية الى مجلس الأمن الذي قرر بتاريخ 1953/10/23 وقف الاعمال إلى أن يصدر قراره النهائي...

لما تقدم ترى حكومة الجمهورية العربية السورية من واجبها أن تلفت نظر الاعضاء في مجلس الأمن ان البلاد العربية تعتبر عمل اسرائيل لا يقل خطورة عن إقامة اسرائيل نفسها".

ففي تاريخ 13/6/1962 أصدرت بيانا مفصلا حول أهمية نهر الأردن ذكرت فيه المناقشات التي جرت في تلك الجلسة التي عقدها جمال عبد الناصر مع كافة الوزراء المركزيين السوريين والمصريين حول عزم اسرائيل على تحويل مجرى نهر الاردن، وإمعانا في الدقة والاحاطة بالمناقشات التي جرت في تلك الجلسة فإنني ساستعرض أولا شهادة أحمد عبد الكريم الوزير السوري في الوزارة المركزية للشؤون البلدية والقروية التي وردت في كتابه : أضواء على تجربة الوحدة يقول أحمد عبد الكريم :

في أحد الاجتماعات التي كانت تعقد في قصر القبة برئاسة جمال عبد الناصر والتي كانت تضم جميع الوزراء المركزيين والوزراء التنفيذيين للاقليم الجنوبي لمناقشة خطة التنمية في الاقليم الجنوبي، استعرض جمال عبد الناصر في إحدى الجلسات الوضع العام في الجمهورية العربية المتحدة وعلاقتها مع الدول العربية والاجنبية. وأتى على ذكر المباحثات الاخيرة التي أجراها وزير الخارجية محمود فوزي في اجتماعات الهيئة العامة لهيئة الأمم المتحدة في نيويورك، وذكر اجتماع فوزي بالسيد همرشولد الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة الذي تعرض لمشكلة تحويل مجرى نهر الأردن واصرار بن غوريون على تنفيذه، وعرض همرشولد وساطته في هذا الموضوع، مقترحا إحياء مشروع جونستون وأبدى استعداداه لإرسال جونستون من جديد إلى القاهرة وعواصم الدول العربية لبحث الموضوع مع الرئيس عبد الناصر وبقيّة المسؤولين العرب، وأكد همرشولد نصيحته بقبول مشروع جونستون مقابل قرض مالي تستفيد منه المتحدة يساعدها على تنفيذ برامج تنميتها لأنه واثق من ان اسرائيل ستنفذ التحويل عام 1960. وبعد ذلك طلب الرئيس من السيد محمود فوزي إبداء وجهة نظره، فأكد فوزي عدم ملاءمة الظروف الراهنة لإثارة موضوع التحويل في هيئة الأمم، لأن ذلك سيعطي فرصة للدول الغربية واسرائيل لطرح مشكلة فلسطين عامة وقضايا اللاجئين بشكل خاص، ويخشى بنتيجة ذلك أن تتخذ قرارات جديدة مناقضة للقرارات السابقة التي يتمسك بها العرب، مثل قرار التقسيم وقرار حق اللاجئين بالعودة والتعويض عليهم وقرار وقف العمل بتحويل مجرى نهر الأردن إلى آخره.

ثم عاد الرئيس الى تحليل الموقف العام والتعليق عليه فخلص إلى النتائج التالية:

1- الجمهورية العربية تعبئ جهودها الآن لأجل تنفيذ خطة التنمية التي تهدف لمضاعفة الدخل القومي **خلال عشر سنوات**، وإن أي تأخير أو إعاقة لتنفيذ هذه الخطة ليس من صالح الشعب العربي ولا يخدم القضية الفلسطينية.

2- منع اسرائيل من تحويل مجرى نهر الأردن لا يجدي إلا باللجوء إلى القوة الأمر الذي سيورط الجمهورية العربية المتحدة في حرب ليست مستعدة لها ويظهرها بمظهر المعتدي.

3- إن الوضع في العالم العربي وخاصة العلاقات الراهنة بين المتحدة من جهة وحكومة عبد الكريم قاسم والمملكة الأردنية وتونس والسعودية يشجع اسرائيل والاستعمار على تحدي الجمهورية العربية المتحدة ويجعل الظروف الحالية أكثر ملاءمة لتحقيق أطماع اسرائيل في تحويل مياه الأردن. وأنه ليؤكد بأن الدول العربية المتاخمة لاسرائيل ستقف فوق المتفرج من أي نزاع جديد بين المتحدة واسرائيل، بل قد تتعدى ذلك بتشجيع من الدول الاستعمارية فتحاول تحطيم الوحدة بين سورية ومصر وأشار هنا إلى بادرتين هما :

1- تصريح الملك سعود الذي يندد بالملاحاة الاسرائيلية في خليج العقبة محاولا إبعاد المسؤولية عن نفسه وإلقاءها على عاتق المتحدة.

2- تصريح اللواء عبد الكريم قاسم حول إحياء مشروع الهلال الخصيب، وربط بين هذه التصريحات وبين موقف بن غوريون عندما أعلن مؤخرا عن عزمه على تحويل مجرى نهر الأردن واستخلص من هذا التقدير للموقف ما يلي:

1- ما دامت المتحدة غير مستعدة للدخول في نزاع مسلح فإنه يرى قبول عرض همرشولد بالوساطة شريطة ألا يتدخل المستر جونستون بالموضوع لأن اسمه يذكر الشعب العربي بمشروعه.

2- انه يوافق مبدئيا على قدوم همرشولد نفسه إلى القاهرة لبحث الموضوع معه للاستفادة من هذه الفرصة لأخذ بعض القروض من البنك الدولي أو غيره.

3- ان مشكلة تحويل مجرى نهر الأردن، بل مشكلة فلسطين كلها يمكن حلها عندما تقوى المتحدة وعندما تسنح الظروف الدولية الملائمة في المستقبل، وواجبنا الآن هو التفرغ إلى برامج التنمية" (ص 243-244-245 من كتاب اضواء على تجربة الوحدة).



**بعض صفحات البيان الذي أصدرته بتاريخ 62/6/13 حول المناقشات التي جرت بشأن تحويل مجرى نهر الأردن في الجلسة الوزارية المعقودة بتاريخ 59/11/29 برئاسة جمال عبد الناصر والتي أدت الى استقالتي كنائب لعبد الناصر ووزير للعدل في الوزارة المركزية :**

"قبل أن اسرد حقائق هذا الموضوع أريد أن اعود بالقارئ الى جذوره التاريخية والجغرافية إذ أن ذلك يمكن القارئ أن يكتشف بنفسه مبلغ خطورة المؤامرة على الوجود العربي والمتمثلة باسرائيل والصهيونية.

فمنذ مئة سنة تقريبا أرسل اليهود بعثة من علمائهم الى فلسطين لدراسة الامكانات الجغرافية لهذه البقعة الغالية من وطن العرب فكان أن أصدرت البعثة دراستها في تقرير ورد في كتاب "أرض الميعاد" المنشور باللغة الانكليزية وقد جاء في هذا التقرير انه بإمكان فلسطين والنقب أن تستوعب خمسة عشر مليوناً من السكان.

ومنذ ذلك الحين ازداد اهتمام اليهود بالنقب، واتجهوا لدراسة إمكان إرواء النقب وتأمين المياه له، ولما بدأ اليهود في عهد الدولة العثمانية يهاجرون الى فلسطين حرصوا بصورة خاصة على الحصول على أراض في الشمال الشرقي من فلسطين ليكونوا قريبين من مصادر مياه نهر الأردن بغية الاستيلاء عليها في المستقبل".

ان هذه الفقرة بالاضافة الى ما سأسرده من حقائق تاريخية هي من وثيقة رسمية صدرت في الجمهورية العربية المتحدة، عن شعبة المخابرات في القوات المسلحة في شهر

تموز 1960 في كتاب عنوانه "اسرائيل" وقد جاء في الصفحة 73 من الكتاب ذاته :

"وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بذل زعماء اليهود جهودا قوية مع زعماء فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الاميركية لاقتطاع فلسطين عن سورية واعتبارها وحدة مستقلة عنها سياسيا وجغرافيا، وسعوا لاقتناعهم بتوسيع حدودها الشمالية بحيث تشمل الاراضي التي تنبع منها روافد نهر الأردن والتي يمر فيها نهر الليطاني أيضا".

"ولم يغمض اليهود لحظة عن هدفهم الكبير في ارواء النقب" فقد أعلن المستر تشرشل رئيس الوزارة البريطانية رسميا في مجلس العموم في خريف 1941 ان اليهود طلبوا رسميا من الحكومة البريطانية أن تطلق أيديهم في فلسطين كلها وان يضم اليها جنوب لبنان الذي يجري فيه نهر الليطاني"(ص 75).

وفي عام 1944 أصدر ميلك الخبير العالمي في شؤون المياه والري كتابا بعنوان "أرض الميعاد" جاء فيه : "إن تحويل نهر الأردن سيحقق من جملة أهدافه نقل الصناعة إلى منطقة النقب، إذ يصبح ذلك ممكنا بسبب توفر الطاقة الكهربائية وانخفاض أسعارها" (ص 76).

وفي الصفحة 182 من الكتاب نفسه معلومات تدل على مدى أهمية مشروع اسرائيل: "إن استقدام اليهود الى فلسطين المحتلة هو هدف رئيس من أهداف اسرائيل، ولتحقيق هذا الهدف لا بد من ايجاد المكان لاستقبال القادمين الجدد، وعليه فالنقب الذي يمثل نصف مساحة الأرض المحتلة هو خير مكان تستطيع قوافل المهاجرين أن تعيش فيه وتعمره". كما ورد في الصفحة ذاتها ما يلي :

"ليست الزراعة سلاح اليهود الوحيد في الحقل الاقتصادي، فقد بدأت أعمال مد الأنابيب لنقل البترول من ميناء ايلات الى بئر السبع حيث تقام مصفاة لتكريره، ومن خط آخر الى البحر الأبيض المتوسط". وفي الكتاب ذاته نقرأ أيضا :

"كتب بن غوريون في مقدمة كتاب اسرائيل السنوي لعام 1956 : "كان النقب مهد الشعب اليهودي، وهو اليوم نقطة الضعف في دولته ومصدر الخطر على مستقبله، وفي النقب ترتسم أيضا أعظم آمال هذا الشعب" ثم يقول :

"إن اسرائيل الصغيرة لا تستطيع الصبر الطويل على وجود صحراء النقب على وضعها الحالي والتي تشكل نصف مساحة أراضيها، إن هذه الدولة إن لم تستغلها فإن هذه الصحراء ذاتها سترسم النهاية الواضحة لهذه الدولة الناشئة" ويقول أيضا : "إن إعمار النقب والسكن فيه ضرورة مطلقة لسلامة اسرائيل وأمنها، وأن اليهود القاطنين على الساحل لن يطول بقاؤهم إذا لم يرتفع عدد السكان الحالي لشعبنا".

من كلام بن غوريون هذا يتبين ان تنفيذ مشروع تحويل مجرى نهر الأردن سيؤدي إلى إعمار النقب وسيرسوم مستقبل اسرائيل الناشئة، وبهذا المعنى يقول بن غوريون في إحدى خطبه :

"إن اليهود يخوضون اليوم مع العرب معركة المياه وعلى نتيجة هذه المعركة يتوقف مصير الكيان اليهودي، وإذا لم ننجح في هذه المعركة فكأننا لم نعمل شيئا في فلسطين".

ولإلقاء أضواء أخرى على هذه القضية العربية الخطيرة، سأعتمد الى بيان الوقائع والمراحل التي مر بها المشروع والتطورات والتبدلات التي طرأت عليه، معتمدا في ذلك على وثيقة رسمية أخرى صدرت عن شعبة مخابرات عبد الناصر في شهر تشرين الأول عام 1960 في كتاب عنوانه : "مشاريع المياه في وادي الأردن واسرائيل".

وجاء في هذا الكتاب "إن اليهود اغتالوا برنادوت الوسيط الدولي عام 1948 لأن مشروع التقسيم الذي اقترحه لا يمكنهم من السيطرة على جميع شمال فلسطين (حيث المياه وفيرة) كما أن مشروع برنادوت يضم النقب الى الأراضي العربية وهم

يريدون النقب لتوطين 5-6 ملايين يهودي آخر بعد إروائه". وجاء أيضا في الصفحة 93 :

ان الغرض الأول من تحويل اليهود لمجرى نهر الأردن هو نقل مياه هذا النهر لري أراضي جنوبي فلسطين، ولا سيما منطقة النقب الواسعة واستصلاحها وحشر السكان فيها، وفي هذا كله خطر عظيم على البلاد العربية عامة وعلى الجمهورية العربية بصورة خاصة، وان اليهود لا يخفون مطامعهم في التوسع على حساب الأراضي العربية، وإن لهم مطامعهم في الدلتا، وفي شبه جزيرة سيناء التي يعتبرونها أرضا يهودية مقدسة، لذلك فإن نجاحهم في نقل المياه الى النقب وريه وحشر السكان فيه يشكل خطرا عظيما على الاقليم الجنوبي بصورة خاصة، ومنذ سنوات يعمل اليهود على إنشاء مستعمرات في النقب مع الحرص على بنائها على أسس عسكرية لتكون حصونا وقلاعاً تصلح للهجوم والدفاع تسكنها الطلائع اليهودية (الحالوتسيم) التي يعتمد عليها اليهود في أعمالهم العدوانية والدفاعية". وربما كان أهم ما جاء في هذا الكتاب ما ورد في الصفحة 95 :

"يلاحظ أن المرحلة الأولى من المشروع قد انتهت، إذ أن اليهود قد أكملوا جميع الاقنية الممتدة بين الحولة والنقب ولم يبق سوى البدء بالمرحلة الثانية أي وصل الاقنية بالنيابيع في الأراضي المجردة من السلاح".

ثم تكمل هذه الفقرة بفقرة أخرى من الصفحة 143 حيث نقرأ : أما الآن (نهاية عام 1960). فتقوم اسرائيل بتنفيذ المرحلة الأولى على اساس سحب المياه من بحيرة طبريا بواسطة مضخات ضخمة ستقام قرب البحيرة وتعمل عن طريق استخدام الوقود".

هنا لا بد لنا من القول : ان الحكومات العربية كانت عام 1955 قد وافقت على مشروع جونستون لاقتسام نهر الأردن مع اسرائيل، ما عدا سورية وذلك لأن الشعب العربي في سورية قاد حملة رفض للمشروع، وبتوصية من مجلس النواب السوري، حمل



السيد سعيد الغزي رئيس وزراء سورية آنذاك رغبة الشعب في رفض هذا المشروع وسافر الى القاهرة حيث أعلن هذا الموقف صراحة في اجتماعات اللجنة السياسية للجامعة العربية، فكانت سورية بذلك الدولة العربية الوحيدة التي رفضت مشروع جونستون، بينما كانت الحكومات العربية الأخرى موافقة عليه. ثم أخذت هذه الحكومات تسحب موافقتها الواحدة بعد الأخرى بفضل إصرار سورية وتهديدها بفضح الموضوع أمام الرأي العام العربي.

ويجدر بي هنا أن أنقل للمواطن العربي فقرات مما قلته في المجلس النيابي السوري في جلسته العلنية المنعقدة بتاريخ 1955/10/6 حين رفض المجلس مشروع جونستون ، هادفاً من ذلك :

أولاً : زيادة توضيح الاهداف الاستعمارية لمشروع جونستون.

ثانياً: ان مشروع جونستون لا يؤمن لاسرائيل كمية المياه التي سيؤمنها لها مشروع تحويل مجرى نهر الأردن، إذ بينما لا يؤمن مشروع جونستون لاسرائيل اكثر من 500 مليون متر مكعب من الماء - وقد رفضناه - فإن مشروع تحويل الأردن يؤمن لاسرائيل حوالي 800 مليون متر مكعب من المياه.

ثالثاً: إن الديموقراطية الحقيقية هي الضمان الوحيد لاستلام الشعب قضاياه وانتصاره في احباط المشاريع الاستعمارية وانقاذ فلسطين.

لقد قلت في الجلسة المنعقدة بتاريخ 1955/11/6، وبالحرّف ما يلي:

**إن مشروع جونستون قائم على اساس اعطاء حق جديد لاسرائيل في المياه العربية، وان مسألة المياه مسألة اساسية بالنسبة لارواء مساحات كبيرة من اسرائيل ولتوطين أكبر عدد من اليهود الوافدين من اقطار العالم، ومن المؤسف أن هذا المشروع، عدا عن ان قبول البحث به يعني قبول الصلح مع اسرائيل، اي يعني**

التعاون الاقتصادي والاشتراك في مشروع حيوي معها، وهذا مؤداه العملي الاتصال والصلح، فهو عدا ذلك يخلق لاسرائيل مكاسب جديدة وحقوقا في المياه العربية لهذا فهو مرفوض من حيث الاساس.. ونحن نلح دائما ونقول : على سورية مسؤوليات كبرى، والواجب يقتضي ان تلعب دورها التاريخي في هذه المرحلة وانني اصر على الفكرة التي أوردتها الزميل الاستاذ البيطار من أن وحدة الصف العربي لا تكون بالمآسي والتسليم، ولا تكون بالسكوت ووضع الاغلال في اعناق الشعب العربي، وكيف يمكن ان تقف الحكومة موقفا لا يرمي الى رفض هذا المشروع رفضا باتا وقاطعا فعلى سورية ان تقرر الامر الذي هو في مصلحة الشعب العربي فلا تقبل اطلاقا اعطاء اسرائيل مكاسب جديدة تعني اقرار الصلح معها ونحن تحقيقا للبيان الوزاري وانسجاما معه نطلب الى دولة رئيس الوزراء قبل ذهابه الى الجامعة العربية ان يقول بصراحة : اننا في بياننا الوزاري رفضنا الصلح مع اسرائيل واننا كمواطنين عرب وكمسؤولين نرفض اطلاقا اعطاء اسرائيل مكاسب جديدة ونرفض مشروع جونستون واننا سنسعى ان تكون الحكومات العربية مجمعة على هذا الرفض".

كما قلت :

ليثق دالاس ان الشعب العربي يضحي بكل دمه ولا يمكن ان يضحي بقطرة ماء عربية يمكن ان تستفيد منها اسرائيل، وليثق انه لا توجد حكومة ولا يمكن ان توجد حكومة تقر هذا الامر".

وبعد قيام الوحدة، وفي شهر تشرين الثاني من عام 1959 عندما كنا في مصر نوالي اجتماعاتنا لمناقشة تحويل مجرى نهر الأردن كان بن غوريون في الشهر ذاته يعلن من الكنيست ان حكومته التي أعيد تأليفها بعد الانتخابات ، قد وضعت خطة لنقل مليونين من اليهود خلال الأعوام الثلاثة المقبلة، كما أذاع بيانا

رسميا بأن الدولة اليهودية قد وضعت مشروعا للأعوام العشرة القادمة قوامه :

- 1- نقل خمسة ملايين يهودي الى اسرائيل.
- 2- رفع عدد الجيش اليهودي الى مليون جندي وتجهيزه بأحدث الأسلحة.
- 3- تحويل مياه نهر الأردن وروافده إلى صحراء النقب.
- 4- إقامة المستعمرات لايواء الملايين من اليهود في النقب.
- 5- مد الأنابيب لنقل عشرة ملايين طن من البترول سنويا من خليج العقبة الى ميناء حيفا.
- 6- شق قناة ملاحية عبر أراضي النقب.



عندما دعا عبد الناصر كافة الوزراء المركزيين والتنفيذيين الى اجتماع في قصر القبة بتاريخ 1959/11/29 لاستعراض الموقف الدولي بمناسبة عودة وفد الجمهورية العربية المتحدة من اجتماعات هيئة الأمم، كان الوزراء السوريون الموجودون آنذاك بشير العظمة، صلاح الدين البيطار، احمد عبد الكريم، أمين النفوري، أكرم الحوراني.

في هذا الاجتماع تكلم السيد محمود فوزي رئيس الوفد فاستعرض الموقف استعراضا متفائلا يدل على أن للجمهورية العربية المتحدة في الأوساط الدولية سمعة قوية وطيبة، ثم تحدث بعد ذلك السيد فريد زين الدين عضو الوفد (من سورية) فركز حديثه على أن الموقف الخارجي للجمهورية متوقف على قوة أوضاعها الداخلية، فيقدر ما يكون الوضع الداخلي سليما متماسكا تكون سمعتنا في الأوساط الدولية أقوى وأكثر ملاءمة.

ثم تحدث عبد الناصر بعد ذلك حديثا طويلا استعرض فيه الموقف الدولي وكاد ينهي حديثه دون أن يذكر قضية تحويل نهر الأردن، على الرغم من أن المشكلة كانت مطروحة آنذاك على

الرأي العام العربي والعالمى بمناسبة إعلان اسرائيل عزمها على تحويل النهر من بقعة الأرض الحرام على الحدود، لذلك طلبت الكلام لكن عبد الناصر لم يتح لي فرصة الكلام أو السؤال إذ شعر انني سأثير هذا الموضوع (وكان هذا الحديث مطروحا في أوساط الوزراء السوريين) بل استمر في حديثه ومر مرورا عابرا على قضية تحويل مجرى الأردن وكأنه ليس باستطاعتنا أن نفعل شيئا، لذلك اعترضت قائلا :

لكي نمنع التحويل يمكننا أن نلجأ الى الاسلوب نفسه الذي لجأت إليه سورية قبل الوحدة فاستطاعت فعلا أن تمنع اسرائيل من التحويل، وان المنطقة المجردة من السلاح التي تريد اسرائيل تحويل مجرى النهر منها تقع تحت مرمى نيران الجيش الأول (حيث كانت مرتفعات الجولان تتحكم في تلك المناطق) ونحن نستطيع منع اسرائيل من إجراء التحويل بالقوة، فتضطر لجنة المراقبة الدولية للتدخل وتطرح القضية بعد ذلك على مجلس الأمن، وسيكون موقفنا في مجلس الأمن موقفا قويا من الناحية الحقوقية والواقعية لأن اسرائيل ترتكب مخالفتين بعملها هذا :

أولا: لأن عملية التحويل تجري في الأرض الحرام التي لا يحق لاسرائيل أن تحدث فيها أي تغيير أو تبديل بموجب اتفاقيات الهدنة.

ثانيا: لأن مياه نهر الأردن مياه دولية لا يحق لاسرائيل أن تنفرد باستثمارها إذ أنها مياه تخص سورية والأردن ولبنان، كما قلت :

لقد وقفت السلطات السورية قبل الوحدة أمام مشروع التحويل عندما باشرته اسرائيل في المنطقة المجردة الوسطى في ايلول 1953 فمنعته بالقوة وقدمت آنذاك احتجاجا الى كبير المراقبين الذي اتخذ قرارا في ايلول 1953 بمنع اسرائيل من التحويل إلا بموافقة الجانب السوري، ولما رفضت اسرائيل الرضوخ

لهذا القرار لجأت الحكومة السورية الى مجلس الأمن الذي قرر بتاريخ 1953/10/27 وقف الأعمال :

قال جمال عبد الناصر :

إن منع اسرائيل من هذا التحويل الآن سيؤدي إلى نشوب حرب شاملة بيننا وبينها، ونحن غير مستعدين للحرب الشاملة مع اسرائيل، وفي رأيي انه يجب تجنب الاشتباك لحرب معها قبل ان نبلغ بتصنيع بلادنا مبلغا إذا فقدنا فيه طائرة تكون معاملنا قادرة على صنع بدل منها أو فقدنا دبابة يكون المعمل قد صنع عوضا عنها. فرددت على كلام الرئيس قائلا :

انني استبعد ان يؤدي منعنا اسرائيل من اجراء التحويل الى الاشتباك معها بحرب شاملة، لأن سورية منعت اسرائيل بالقوة من التحويل فيما مضى دون أن تقع هذه الحرب الشاملة التي تفترضها، علما بأن سورية كانت تجابه اسرائيل منفردة آنذاك، أما الآن فإن قيام الوحدة وتكوين الجيش العربي الموحد يبعد افتراض الاشتباك مع اسرائيل بحرب شاملة لمجرد منعها من التحويل، وأضفت قائلا :

إن حالة اسرائيل اليوم تشبه وضعنا، إذ أنها تشتري الدبابات والطائرات من الخارج شأنها بذلك شأننا تماما، وليس لها ميزة أو تفوق علينا في ميدان التسليح خصوصا بعد أن كسرت سورية ومصر قضية احتكار السلاح قبل الوحدة، أضف إلى ذلك أن العالم، ولا سيما بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة سيقدر خطورة الأمر، وإن مجلس الأمن سيتدخل حتما حرصا على السلام العالمي، قال عبد الناصر:

يا أخ أكرم إذا أرسلت اسرائيل طائراتها لضرب دمشق فماذا يكون الموقف؟ قلت:

عندما حشدت الولايات المتحدة حشودا تركية على حدودنا الشمالية لتهديد سورية رأيت الشعب يحفر الخنادق في طول البلاد وعرضها مصمما على الدفاع عن حرته واستقلاله، فإذا كانت سورية لم ترهبها الحشود التركية التي تقف الولايات

المتحدة وراءها فكيف يمكن أن ترهبها الطائرات الاسرائيلية؟ وعدا عن ذلك فإنه عندما نطلع الشعب على خطورة هذه القضية على وجوده وحريته وبقائه فإنه سيكون أقوى استعدادا وأشد استبسالا لخوض المعركة، كما قلت :

أنت تعلم إن سورية في السنتين اللتين سبقتا الوحدة قد خصصت ما يقرب من مليار ليرة للتسلح. وهي انما خصصت هذا المبلغ الضخم لكي تكون مستعدة إذا اضطرت لمنع اسرائيل من التوسع على حساب المياه العربية، وما ذلك إلا لأن الشعب العربي في سورية كان مقتنعا قناعة تامة بأن هذا الموضوع هو موضوع حياة أو موت بالنسبة له، ثم انه بعد أن يصبح سكان اسرائيل 5-6 ملايين وبعد أن تفصل فصلا مكينا بين الشرق العربي ومغربه فلن ينفعنا آنذاك أن تكون لدينا مصانع للطائرات والدبابات، لأن اسرائيل ربما تكون قد بلغت مرحلة صنع الصواريخ، وتكون قد اصبحت دولة قوية في المنطقة، ونحن إذا كنا قد خضنا حربا شاملة مع اسرائيل عام 1948 من أجل الرقعة التي خصصها قرار التقسيم لاسرائيل، تلك الرقعة التي لم تمكنها حتى الآن من استيعاب اكثر من مليون ونصف من السكان لا يزالون يعيشون على المعونات والمساعدات الأجنبية فأحرى بنا أن نخوض حربا شاملة من أجل موقف أخطر من الموقف الذي جابهنا عام 1948، لأننا اليوم نشكل دولة واحدة بجيش عربي قوي، وعدم امكان ارتكاب خيانات كالتي حدثت عام 1948 بعقد الهدنة الأولى مع اسرائيل التي قلبت انتصار العرب الى هزيمة. عندئذ سألني عبد الناصر :

ما رأيك لو لجأت اسرائيل الى أخذ مياه نهر الأردن من طبريا؟ فهل تطلب مني أن أدخل أراضيها لأمنعها من أخذ المياه؟ ألا يكون هذا عدوانا بنظر العالم؟ ألا يشجب الرأي العام العالمي موقفنا كمعتدين؟ انه لا يخفى ان من أهم عوامل رد المعتدين في حرب السويس أن الرأي العام كان الى جانبنا. فقلت له :

يا سيادة الرئيس، حتى لو لجأت اسرائيل كما تقول الى تحويل المياه من بحيرة طبريا داخل "حدودها"، فإن ذلك لن يغير

من الموقف شيئاً لأن اسرائيل تبقى من وجهة نظر الحقوق الدولية مغتصبة للمياه العربية، كما أن الموقف من الناحية العسكرية سيظل على حاله أيضاً لأن نقطة التحويل من بحيرة طبريا هي أيضاً تحت نيران الاسلحة العربية.

ومما يلفت النظر هنا انه لم يكن معروفاً حتى هذا التاريخ أن اسرائيل ستلجأ الى سحب المياه من بحيرة طبريا ولقد كان افتراض عبد الناصر موضع استغراب منا ووطننا أنه أوردته ليعزز به موقفه من الناحية الجدلية، ولكن اسرائيل بدأت فعلاً بسحب المياه من طبريا وذلك بعد زيارة بن غوريون للولايات المتحدة في آذار 1961 عندما أقنعه ايزنهاور بتعديل المشروع مؤقتاً.

وعندما قلت للرئيس إن مشروع جونستون الذي رفضناه لا يعطي اسرائيل حقوقاً على حساب المياه العربية بقدر الحقوق التي ستحصل عليها الآن من هذا المشروع، قال الرئيس :

هل تعني من ذلك العودة الى مشروع جونستون، إن هذا الأمر متيسر فوراً قلت لا أعني هذا طبعاً، وإنما أريد أن أبين فداحة الكارثة من السماح لاسرائيل بتحويل نهر الأردن، ان هذا المشروع الجديد هو أكثر شراً من مشروع جونستون لأنه يعطيها حوالي 800 مليون متر مكعب من الماء بينما لا يعطيها مشروع جونستون أكثر من 500 مليون متر مكعب، ثم نوهت بأن موضوع تحويل نهر الأردن قد لعب دوراً أساسياً في توجيه السياسة السورية الداخلية والخارجية فكيف نسكت عليه بعد الوحدة ؟

ثم تكلم السيد أحمد عبد الكريم الذي كان عضواً في لجان الهدنة المشتركة، فشرح للوزراء الأساليب التي اتبعتها سورية في منع اليهود من تحويل مجرى النهر، وأعطى عن ذلك صورة واضحة، وكيف أن عمليات الجيش السوري كانت تنجح دوماً في منع اليهود بالقوة من اجراء التحويل، وقد احتدم النقاش بينه وبين عبد الناصر الذي قال له :

لستم وحدكم قد خضتم معركة فلسطين فإن غيركم قد خاضها أيضا، وكان الذي أثار عبد الناصر ظنه انني وأحمد عبد الكريم على اتفاق سابق.

ثم استعرض الرئيس بعد ذلك أمر الاستفادة من مياه نهر الحاصباني في لبنان ونهر بانياس في سورية، فأقر الجميع ضرورة الاستعجال في منع أي قطرة ماء عربية من الوصول الى اسرائيل ووجوب الاسراع في هذه المشاريع، ولكن على كل حال كان المتفق عليه بأن مياه هذين النهرين التي لا تشكل اكثر من 260 مليون مترا مكعبا لا تعطل مشروع اسرائيل القائم على أخذ 800-900 مليون متر مكعب من الحوض المائي الذي يتجمع في طبريا.

ولما غلب عبد الناصر على أمره في هذه المناقشة سألنا عن خطة العمل فأجبت ان الخطة هي أن نعمل اليوم ما كنا نفعله قبل قيام الوحدة أي نمنع اسرائيل بالقوة من تحويل المجرى، وفي الوقت نفسه نقدم شكوى الى مجلس الأمن فنطرح القضية على الصعيد الدولي ونشرحها مجددا للرأي العام العالمي، كما نبادر في الوقت ذاته الى تحميل جميع الحكومات العربية مسؤولياتها التاريخية علنا أمام الشعب العربي إذا لم تقف الى جانبنا في هذه المعركة الحاسمة، وقلت له انني اعتقد اننا إذا لجأنا الى ذلك فإن الغرب سيفكر طويلا بالموضوع، ولن يقف متفرجا أو مؤيدا لاسرائيل إذا لمس من العرب تصميمنا على دخول معركة حاسمة، بل إن الغرب سيلجأ إلى منع اسرائيل من تحويل مجرى النهر كما جرى في الماضي. وقبل ان ينتهي البحث الى نتيجة حاسمة اقترح الرئيس تشكيل لجنة وزارية لبحث الموضوع برئاسة السيد عبد اللطيف البغدادي وعضوية: اكرم الحوراني، صلاح الدين البيطار، أحمد عبد الكريم، علي صبري، أحمد الشرباصي، محمود رياض، ودعي للحضور مع اللجنة السيد صلاح الدين الطرزي باعتبار انه كان طيلة الأعوام الماضية متتبعا قضية منع اسرائيل من تحويل مجرى نهر الأردن ومكلفا بالدفاع عن مواقف سورية في مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة وخبيرا حقوقيا في هذا الموضوع.



حين اجتمعت اللجنة تحدث السيد البغدادي فحصر مهمتها في وضع التصاميم للاستفادة من نهر بانياس داخل أراضي سورية، متجاهلا كل المناقشات التي دارت في جلسة مجلس الوزراء، فقامت بيني وبينه مناقشة حادة وقلت له ليس الموضوع موضوع تصاميم إذ لو كان الأمر كذلك لما كان هنالك حاجة لحضوري وحضورك وحضور معظم اعضاء هذه اللجنة فأنا لست مهندسا وأعتقد أنك ايضا مثلي لا تحمل شهادة الهندسة ومثل معظم اعضاء هذه اللجنة، وإن الموضوع سياسي وقومي خطير، إنه وضع خطة لمنع اسرائيل من تحويل مجرى نهر الأردن فنهر بانياس لا يعطل لا هو ولا الحاصباني مشروع اسرائيل كما يتبين من الاحصاءات والدراسات التي قدمتموها لنا انتم بالذات، فكيف تريدون منا أن نتجاهل هذا الموضوع القومي الخطير لنبحث في أمور هندسية محضة؟ مع انني موافق والجميع موافقون على وضع تصاميم تحول دون استفادة اسرائيل من كل قطرة ماء تذهب إليها من نهر الحاصباني وبانياس وعلينا أن نقنع لبنان بذلك.

بقي البغدادي مصرا على موقفه قائلا انه ينفذ التعليمات التي تلقاها من الرئيس. فحصلت مشادة بيني وبينه لم ينهها إلا السيد علي صبري الذي استمهلنا لحظات ريثما يتصل بالرئيس هاتفيا ليأتنا بالخبر الذي يحل هذا الخلاف.

قال علي صبري :

لا بأس من بحث الموضوع من الناحية السياسية بالاضافة الى بحث مسألة استثمار مياه بانياس، فسررت لذلك واعتبرته تحولا في موقف الرئيس، ولم اكنم سروري وأردت أن اشجع اخواننا الوزراء المصريين فقلت لهم :

لا تخشوا الحرب، ولو كانت هذه القضية تؤدي إلى الحرب لأدت لها في السابق عندما كانت سورية وحدها في الميدان، ومع ذلك فلنفرض أننا دخلنا في حرب شاملة مع اسرائيل فإن هذا الموقف لا مناص منه وهو مفروض علينا.

ثم شرح السيد صلاح الطرزي الموقف من ناحية الحقوق الدولية وفي نهاية الاجتماع قررنا أن تعمل الجمهورية على منع اسرائيل من تحويل مجرى الأردن وأن نقدم شكوى بالأمر إلى مجلس الأمن وان تطرح القضية على الدول العربية، وان تؤلف لجنة فرعية برئاسة السيد احمد الشرباصي للبحث في أمر الاستفادة من مياه نهر بانياس داخل الأراضي السورية وفعلا فقد سافر الشرباصي الى سورية مع السيد محمود رياض، وان تؤلف لجنة فرعية أخرى تناط بها دراسة المسائل القانونية المتعلقة بالموضوع وقد اجتمعت هذه اللجنة بتاريخ 1959/12/9 وقدمت برئاسة حسين ذو الفقار صبري نائب وزير الخارجية محضر جلساتها الأولى وأثبتت فيه تقرير السيد صلاح الطرزي الذي أنقل فيما يلي الجزء الأخير منه:

**يقول السيد الطرزي : "ومهما يكن من أمر فإن خطورة الموقف تستدعي دعوة الدول الموقعة على اتفاقات الهدنة إلى عقد مؤتمر لتبادل المعلومات والتشاور، وهذه الدول أصبحت الآن ثلاثا وهي الجمهورية العربية المتحدة ولبنان والأردن، ونعتقد أن كل واحدة منها معنية بالأمر، فإذا تم التحويل فإنه سيقضي على نهر الأردن ويجعل منه نهرا مسخرا لخدمة اسرائيل وحدها ويساعد على تأمين توطين المزيد من المهاجرين اليهود، لذلك فإن عقد مؤتمر من هذا النوع بات ضروريا، ويمكن على ضوء ما يحققه من نتائج مراجعة الدول الكبرى وبيان المسؤوليات التي تترتب عليها حيال تمادي اسرائيل في عملها".**

وعموما فإن تقرير السيد الطرزي قد استعرض قضية تحويل نهر الأردن ومنع سورية له منذ شهر أيلول عام 1953 والمراحل التي مرت بها هذه القضية في مجلس الأمن وهيئة الأمم، ويؤكد على ضوء الوقائع والحقوق واتفاقيات الهدنة الدولية حق العرب في منع اسرائيل من التحويل، كما أشار في دراسته الى القرار الذي اتخذه

## مجلس الأمن بناء على شكوى سورية بتوقيف اسرائيل من تحويل مجرى الأردن في 1953/10/27.

بعد ذلك دعا عبد الناصر كافة الوزراء لعقد اجتماع لبحث القضية اثر اجتماع اللجنة الوزارية، ولكنني قبل بدء الاجتماع اطلعت على تقرير مقدم باسم هذه اللجنة التي يرئسها عبد اللطيف البغدادي والتي أنا عضو فيها، وأدهشني أن هذا التقرير لم يبحث إلا قضية الاستفادة من نهر بانياس، أما ما جرى من أبحاث حقوقية وسياسية ومناقشات ومقترحات فلم ترد في التقرير الذي صاغه البغدادي دون أن يكون لنا علم به ولم يشركنا بموضوعه، والظاهر أن الرئيس عبد الناصر الذي وافق على بحث الموضوع من الناحية السياسية والقومية عاد فأوعز للبغدادي بأن يضع التقرير بمعزل عنا متجاهلا ما دار من مناقشات وابحاث ومقترحات سياسية. لذلك طلبت الكلام في بدء الاجتماع فتجاهل عبد الناصر طلبي فألحفت بالطلب وسجلت اعتراضي على هذا التقرير :

أولا: لأنه وضع بمعزل عن رأي الاعضاء واطلاعههم.

ثانيا: لانه لم يلخص الأمور التي بحثت ونوقشت فعلا في اجتماعات اللجنة، بل تجاهل أهم ما فيها.

وهنا لم ير الرئيس بدا من القول : "لا بأس سنبحث ما في التقرير أولا، ثم نعود لبحث المشكلة الأساسية".

وفعلا فقد بحثنا في امكانية الاستفادة من نهر بانياس وامر اقناع الأخوة اللبنانيين بالاستفادة من نهر الحاصباني وحرمان اسرائيل من هذين النهرين. ثم انتقلنا الى بحث المشكلة الأساسية. وهنا عاد النقاش الحاد بيننا وبين الرئيس عبد الناصر، وقد تصدى له في هذه المرة السيد أمين النغوري فقال :

"إذا سكتت جميع الدول على تحويل الأردن فلا يجوز للجمهورية العربية السكوت باعتبارها طليعة النضال العربي، لقد كانت نكبة فلسطين عام 1948 سببا في الانقلاب الأول في سورية ومن بعد ذلك في مصر عام 1952، وإن تناسي هذه

الحقائق والإغضاء عن تحويل الأردن من شأنه أن يحدث في الدول العربية وخصوصا في المتحدة رد فعل سيئا وشديد الخطوة على مستقبل الحكم" كما قال:

نحن في الجمهورية العربية المتحدة لم نعمل كل ما من شأنه أخذ المبادرة من اسرائيل، فقد قمنا عام 1953 بمنع اسرائيل وبقوة من التحويل وشككتنا حينئذ الى مجلس الأمن فليس من المعقول ونحن الآن كتلة من 30 مليون نسمة أن نسمح لاسرائيل بهذا التحويل، ان الرأي العام لا يؤيد اسرائيل إلا بقدر ما يرى من تخاذل العرب، وعندما عاد عبد الناصر للقول :

ماذا يجري عندما تسقط قبلة على دمشق؟ أجابه النفوري: إن مفعول قبلة تسقط على دمشق هو كمفعول قبلة نلقبها على تل أبيب. هنا تدخل في المناقشة الفريق محمود ابراهيم وزير الدولة للشؤون الحربية، ويبدو أن عبد الناصر كان على اتفاق معه فقال :

ان بحث هذا الموضوع غير مستعجل وسابق لأوانه، وان اسرائيل لا تفكر بأخذ المياه قبل الانتهاء من انجاز برنامجها لاهياء النقب، وان المعلومات التي اتتني بها المخابرات تؤكد ان اسرائيل لن تنتهي من المشروع قبل ثلاث سنوات وهي لن تحاول تحويل المجرى قبل هذه المدة. لذلك لا أرى فائدة من الاستمرار في بحث هذا الموضوع. وهكذا كانت هذه الجلسة نهاية كئيبة للبحث والمناقشة.

ومن الجدير بالذكر أن وزيرة خارجية اسرائيل غولدا مائير قد صرحت في هذه الفترة بالذات 59/12/28 :

"إن اسرائيل ستحقق مشاريعها المائية بكل الوسائل" وبعد أربعة أيام صرح بن غوريون قائلا : "إن أهم حدث سيحصل في النصف الثاني من العقد الأول لقيام اسرائيل وذلك عندما ينتهي العمل في مشروع الأردن".

إن ما يؤسف له حقا هو ان يكون موقف الجمهورية العربية المتحدة على عكس ما كان ينتظره منها العرب جميعها، وان بيدي

الآن وثيقة تثبت ان عبد الناصر قد اتخذ هذا الموقف بناء على خطة مبيتة فقد وزع علينا السيد عبد اللطيف البغدادي بعد جلسة مجلس الوزراء الأولى التي بدأنا فيها مناقشة الموضوع مذكرة فيما يلي تفاصيل أرقامها وتاريخها:

رئاسة الجمهورية.

مكتب نائب الرئيس

3331 م مذكرة.

بسم الله الرحمن الرحيم.

السيد أكرم الحوراني نائب رئيس الجمهورية ووزير العدل المركزي.

تحية طيبة وبعد، اثبت لسيادتكم رفق هذا بصورة من المذكرة الواردة إلينا رفق كتاب سكرتارية السيد الرئيس للمعلومات رقم 11933 بتاريخ 959/12/27 وتفضلوا بقبول الاحترام.

نائب رئيس

الجمهورية

عبد اللطيف

البغدادي

ومما جاء في هذه المذكرة حرفيا :

1- تناقش سفيرا لبنان وامريكا في عمان اثناء مأدبة غداء يوم 8 الجاري بموضوع تحويل اليهود لمجرى نهر الأردن، فذكر سفير لبنان ان الحكومة الاميركية تشجع اسرائيل في هذا العمل بما تقدمه لاسرائيل من مال ومساندة في المحافل الدولية.

2- أجاب سفير امريكا بحدة ان الولايات المتحدة الاميركية هي التي تحول بين اسرائيل وتنفيذ ما تريد، وقد رفضت لها طلب عقد قرض لتنفيذ مشروعها وأنه شخصا بعث برسالة شخصية للرئيس ايزنهاور يقترح فيها أن تقوم سياسة أمريكا على أساس ان مياه الأردن لوادي هذا النهر.

3- قابل سفيرنا (أي سفير الجمهورية العربية المتحدة) يوم 14 الجاري سفير امريكا الذي أبلغه انه تناقش مع وزراء الأردن في مشكلة نهر الأردن وانه تلقى تعليمات من حكومته في هذا الصدد وتلخص فيما يلي :

أ- استعرضت التعليمات المراحل التي مر بها مشروع جونستون والتعديلات التي أدخلت عليه من الفنيين العرب وقبولهم لها مبدئياً باستثناء 30 ألف متر مكعب، ثم رفض اللجنة السياسية للجامعة العربية هذا المشروع لأسباب سياسية وأهمها خطأ جونستون لربطه المشروع بمشكلة اللاجئين وكذلك بسبب صلة جونستون ببعض أصحاب رؤوس الاموال اليهود في امريكا.

ب- ان الولايات المتحدة ما زالت ترى أن مياه الأردن يجب أن تستعمل في سد حاجة وادي الأردن وروافده وما يفيض يمكن استعماله - بموافقة الدول المعنية- في غير وادي النهر.

ج- ان امريكا ما زالت على استعداد للمعاونة في تنفيذ المشروع كما ان الأمم المتحدة يمكن أن تقدم مساعدتها بهذا الصدد.

وإذا انتقلنا إلى الفقرات : 15، 16، 17، 18 من المذكرة ذاتها نقرأ ما يلي:

15- أبلغ المجالي سفير امريكا انه لا يرضى أن تكون المعونات التي تقدمها الولايات المتحدة وسيلة للضغط عليه في هذا الموضوع، كما يلفت النظر الى أن اسرائيل تضغط على الولايات المتحدة لتمويل تحويل مجرى النهر بمناسبة قرب انتخاب رئيس الجمهورية الأميركية.

16- ثم تساءل عما إذا كانت الولايات المتحدة تعترف بمسؤوليتها الناتجة عن التصريح الثلاثي، الذي يقتضي منها عدم مساعدة اسرائيل لأنه اعتداء على الحقوق المكتسبة للدول العربية.

17- أضاف المجالي للسفير الأميركي انه لوحظ في شق قناة الغور الشرقي المحافظة على الحقوق المكتسبة فلم يؤخذ من

مياه اليرموك إلا ما هو متفق عليه في اللجنة السورية الأردنية للنهر، وترك للجزء المحتل من فلسطين الجزء الخاص به.

18- لقد أفهم السفير الأميركي انه لا يمكن للأردن أن تقف مكتوفة الأيدي ازاء هذا المشروع مهما كانت النتائج.

نلاحظ مما ذكرناه من نصوص هذه المذكرة الرسمية أمرين :

أولاً: تنصل الولايات المتحدة من مساعدة اسرائيل بتحويل مجرى نهر الأردن إلا إذا رضيت بذلك الدول العربية، والملاحظة الهامة الثانية حسبما ورد في هذه المذكرة ان سفير لبنان ورئيس وزراء الأردن قد وقفا ازاء السفير الاميركي موقفا حاسما بينما لم يكلمه سفير الجمهورية العربية بالموضوع بل اكتفى بنقل التعليمات التي تلقاها السفير الاميركي في عمان من حكومته والتي جاءت نتيجة ضغط سفير لبنان ورئيس وزراء الأردن، والمرجح أن موقف سفير الجمهورية العربية المتحدة هذا لا يمكن ان يتم على هذا النحو الا تنفيذاً لسياسة الرئيس عبد الناصر.



بعد اجتماعات مجلس الوزراء خشى عبد الناصر ان يعرف العرب حقيقة موقفه من هذه القضية فعمد الى تغطيته بأن أوعز الى أجهزة المخابرات في القاهرة لتشجيع ان اكرم الحوراني يريد توريث الجمهورية العربية المتحدة بحرب مع اسرائيل، وكان بعض الرسميين ينشطون مع شبكات المخابرات في إشاعة هذه الافتراءات، ثم بدأوا يكشفون للناس عن بعض أسرار مناقشة هذه القضية الخطيرة محرفة ومزورة بشكل يقنع الناس بأن عبد الناصر وقف موقفا حاسما أمام محاولتي توريث البلاد في حرب مع اسرائيل فاضطرت أن أقول للمسؤولين المصريين ان نشر هذه الشائعات بواسطة مخابراتكم إساءة كبيرة بحق العرب لأن هذه الشائعات قد وصلت الى كل السفارات الأجنبية وستصل حتما إلى اسرائيل فتعلم ان عبدالناصر لن يقاوم تحويل مجرى الأردن وهذا بالطبع تشجيع لها على الاقدام على تنفيذ مشروعها.

منذ ذلك التاريخ أصبح واجب تقديم الاستقالة في نظري حتمياً، إذ لم يعد لبقائنا في الحكم أي مبرر بعد الاصطدامات المتعاقبة والاختلافات الجذرية في كثير من الأمور، تلك الاختلافات التي بدأت عشية قيام الوحدة، ثم جاءت قضية تحويل نهر الأردن فكانت خاتمة أجبرني بصورة حتمية على الاستقالة.

**مؤتمر القمة الأول لتحويل روافد نهر الأردن 1964/1/13.**

بعد إثارة قضية تحويل الأردن عدة مرات في المجلس النيابي التأسيسي السوري في نهاية عام 1961 وبداية عام 1962، وبعد نشر البيان الذي وضحت فيه موقف عبد الناصر من قضية تحويل نهر الأردن، تعاقبت على سورية والمنطقة العربية أحداث هامة كحل المجلس النيابي السوري من قبل ضباط الانفصال أنفسهم، وما تلا ذلك من أحداث دموية في حلب (أواخر آذار 1962)، ثم حرب اليمن التي بدأت أواخر عام 1962، ثم انقلاب الثامن من شباط 1963 البعثي في العراق ضد نظام عبد الكريم قاسم، وانقلاب الثامن من آذار البعثي 1963 في سورية، وما أعقب هذين الانقلابين من محادثات بين عبد الناصر وبين الانقلابيين في سورية والعراق، أدت الى عقد ميثاق الوحدة الثلاثية الذي نقضه عبد الناصر والبعثيون ولم يجف مداده بعد، وعلى أثر ذلك جرت في سورية بتاريخ 1963/7/18 محاولة الانقلاب الناصري الفاشل.

في هذه الحقبة من الأحداث والاضطرابات أقامت اسرائيل احتفالاتها بتدشين تحويل نهر الأردن في نيسان 1964.

وعندما كانت حرب اليمن تستنزف أموال السعودية وأرواح المصريين واليمنيين ودماءهم، كان الصراع بين الدول العربية والحملات الاذاعية والمهاترات بصورة لم يعرف تاريخ الاعلام السياسي لها مثيلاً.. في هذه الفترة دعا جمال عبد الناصر في خطابه يوم عيد النصر 1963/12/23 الى عقد مؤتمر قمة لبحث تحويل مجرى نهر الأردن متهجماً في هذا الخطاب على الرجعية



السعودية "التي لم ترض لشعب اليمن أن يحيا"، واتهم الملك سعود بالتحالف مع بريطانيا ضد مصر واليمن.

كما هاجم حزب البعث قائلا :

"إن حزب البعث يعاني اليوم سكرات الموت، حزب البعث الانتهازي الذي لم يحسن استخدام الصفحة الجديدة التي فتحت له بالتعاون مع العناصر القومية" وخلص في خطابه الى النتيجة التالية :

"إن اجتماع رؤساء الأركان العرب واجتماع مجلس الدفاع العربي لا يجدي وانه لا بد من عقد اجتماع على مستوى الملوك والرؤساء في أسرع وقت ممكن". وقد تمت تلبية دعوة جمال عبد الناصر من قبل الدول العربية بسرعة فقرر انعقاد مؤتمر القمة الأول بتاريخ 13 كانون الثاني عام 1964.

ولا بد لنا أن نتساءل :

ماذا قصد جمال عبد الناصر من انعقاد مؤتمر القمة في ذلك الجو العربي الرهيب بعد أن أعلنت اسرائيل موعد الاحتفال بتدشين تحويل مياه الأردن؟

1- ان مناقشات وقرارات مؤتمر القمة كشفت ان القصد من عقده لم يكن منع اسرائيل من تحويل مياه نهر الأردن بل كان القصد تحويل مجرى نهر بانياس أحد فروع نهر الأردن الذي لم يكن مؤتمر القمة جادا أيضا في تحويله.

2- تنصل عبد الناصر من مسؤولية تحويل مياه نهر الأردن وتحميلها -تحت خيمة مؤتمر القمة- لحزب البعث الحاكم في سورية حيث ينبع نهر بانياس أحد روافد نهر الأردن وهو عارف بأن جميع الرؤساء والملوك العرب -برغم جميع خلافاتهم- يتفقون معه على هذا الاخراج الذي يعفيهم ايضا من تحمل المسؤولية.

3- كان عقد مؤتمر القمة مناسبة لحل الخلافات بين الملوك والرؤساء العرب، إذ عادت بنتيجة الاجتماعات الجانبية

العلاقات الدبلوماسية بين عدد من العواصم العربية، إلا قضية اليمن التي كان حلها بيت القصيد من دعوة عبد الناصر لعقد مؤتمر القمة، فقد أطلق الحسن الثاني خمسة طيارين كانوا قد أسروا خلال الحرب المغربية الجزائرية، وكذلك أعاد عبد الناصر الى الملك حسين طائرة أردنية كان طيارها قد فر لاجئاً الى مصر.

كان عبد الناصر يعلم أنه لا بد من ارضاء الشعب الفلسطيني ليتقي معارضته ويكسب تأييده، لذلك دعا الشقيري الى مؤتمر القمة بصفته مندوباً عن فلسطين في جامعة الدول العربية، ووعده بتأييد مطالبه بقيام كيان فلسطيني مستقل، ولكن الشقيري كان يعلم أن مشروعه هذا لن يمر بدون معارضة بعض الدول العربية ولا سيما الملك حسين وحزب البعث الحاكم في دمشق الذي نعت الكيان الفلسطيني المستقل بأنه :

"هزيل ورجعي، وان هذا الكيان لا يمكن أن يبنيه عملاء عبد الناصر وأجراء المخابرات المصرية والشقيري واحد من هؤلاء العملاء". ولذلك هدد الشقيري في الاجتماع الأول لمؤتمر القمة الحكام العرب بكشف حقيقة هذا المؤتمر:

"ليس عند الفلسطينيين وفرة مالية ولا خبرة ليشارك معكم في موضوع تحويل الروافد ولكن عندنا نحن الفلسطينيين ما هو أعظم من ذلك:

إن شبابنا الابطال مستعدون أن يدمروا المنشآت الاسرائيلية التي تعمل في تحويل مجرى النهر، وكل ما يحتاجه الأمر أن تردوا غارات الاسرائيليين الانتقامية وأن تصمدوا لها" (كتاب من القمة الى الهزيمة - الشقيري ص 39) كما جاء في الصفحة 40 من الكتاب نفسه :

"قلت هذا الكلام وكان صاعقة نزلت على قاعة الاجتماع وأشار إلي الرئيس عبد السلام عارف<sup>(3)</sup> الذي كان رئيس المؤتمر

(3) ترأس المؤتمر عبد السلام عارف وبجانبه الامين العام للجامعة العربية عبد الخالق حسونه وجلس حولهما الملك حسين والرئيس الجزائري أحمد بن بله والرئيس السوداني الفريق

بحاجبيه ويديه بأنني قد تجاوزت الحد، فلزمت الصمت في جو رهيب من الصمت" ويقول الشقيري في كتابه (ص41) انه بين رأيه للحكام العرب بالمشروع العربي (أي تحويل الروافد):

"لست عسكريا ولكنني اعلم أن تدمير المشروع العربي لا يحتاج الى أكثر من قبلة اسرائيلية واحدة".

وهكذا انتهى مؤتمر القمة العربي الأول وسط تهليل وتكبير أجهزة الاعلام الناصرية والعربية بقراراته الخادعة:

1- انشاء قيادة عربية موحدة يرئسها الفريق علي علي عامر.

2- تشكيل هيئة استغلال مياه نهر الأردن.

3- اقرار اعتماد بمبلغ ستة ملايين وربع المليون جنيه استرليني لتمويل المشروع العربي واعتماد 176 مليون جنيه استرليني للتعزيزات العسكرية يقسط معظمها على عشر سنوات.

4- استمرار أحمد الشقيري باتصالاته لتنظيم الشعب الفلسطيني.

وبتاريخ 15/9/1964 عقد مؤتمر القمة العربي الثاني لتحويل روافد نهر الأردن، وفي هذا المؤتمر عرض الفريق علي علي عامر مطالبه العسكرية والمالية وأوضح بأنه إذا لم تستجب هذه المطالب فإنه لا يستطيع أن يتولى حماية المشروع العربي لتحويل الروافد من العدوان الاسرائيلي واعلن ان اسرائيل ستختار الوقت الملائم لتدمير الاعمال العربية لتحويل الروافد.

والذي جرى بعد عقد مؤتمر القمة الثاني أن اسرائيل قصفت بالطيران معدات وآلات تحويل مجرى نهر بانياس في الأراضي السورية فتوقف العمل بالمشروع نهائيا، ولم يحرك الحكام العرب ساكنا تجاه عدوان اسرائيل لا عسكريا ولا سياسيا

---

ابراهيم عبود والرئيس السوري أمين الحافظ وأمير دولة الكويت عبد الله السالم الصباح وولي عهد ليبيا الامير حسن الرضا والرئيس التونسي الحبيب بورقيبة وسعود آل سعود والملك الحسن الثاني والمشير عبدالله السلال ورشيد كرامة بالنيابة عن رئيس الجمهورية فؤاد شهاب.

ولا إعلاميا. وهكذا أسدل عبد الناصر والبعث والحكام العرب الستار على مهزلة ومأساة تحويل مجرى نهر الأردن.

### **ندوة دولية تحت عنوان : اسرائيل والمياه العربية.**

واستطرادا لأهمية بحث معركة المياه التي لا تزال مستمرة فإنني سأذكر بعض المقاطع من الدراسات المهمة التي تليت في الندوة الدولية التي عقدت في عمان شهر آذار 1984 تحت عنوان اسرائيل والمياه العربية، وقد اشترك بهذه الندوة الأمير حسن بن طلال ولي عهد المملكة الأردنية وعبد المجيد فريد رئيس مؤسسة مركز الدراسات العربية في لندن والسيد محمود رياض الأمين العام السابق لجامعة الدول العربية ورئيس جامعة اليرموك السيد عدنان بدران وشخصيات عربية وأجنبية أخرى.

وقد تطرق الامير حسن في الكلمة الافتتاحية الى الحديث عن السياسة المائية الاسرائيلية وارتباطها الوثيق بسياستها الاستيطانية فقال :

"إن ما يجري اليوم في الضفة الغربية المحتلة هو خير دليل على هذا الترابط فقد أقامت اسرائيل 165 مستوطنة في الضفة الغربية وصادرت نصف الأراضي وفرضت قيودا مشددة على حفر الآبار الأرتوازية من قبل المواطنين العرب".

وقال الدكتور عدنان بدران رئيس جامعة اليرموك :

"إننا نعلم جميعا أن اطماع اسرائيل في المياه العربية وفي الأرض لم تنته بعد ، ان الكيان الصهيوني لا يزال يخطط للاستيلاء على موارد مائية جديدة تنفيذا "للمزيد من المهاجرين الجدد". وقد استعرض عبد المجيد فريد معركة المياه منذ الخمسينات حتى مشروعات اسرائيل الحالية ومنها مشروع (قناة البحرين) وانتهى الى القول :

**"إن كل الحروب التي خاضتها اسرائيل ضد العرب منذ عام 1948 هي حتى الآن هي "حروب مياه".**

وقال محمود رياض :

إن إسرائيل استنفذت كل ما حصلت عليه من استيلائها على المياه العربية في الماضي، وهي الآن في حاجة ماسة الى 400 مليون متر مكعب من المياه قبل نهاية عام 1985 وهو يعادل ما يمكنها الحصول عليه من نهر الليطاني، وهذا هو سبب عدوانها على لبنان في حزيران عام 1982 وذلك لمواجهة مطالبها المائية المتزايدة.

كما ورد في بحث ليزلي ثميدا رئيسة قسم الابحاث بالمؤسسة الاميركية لخدمات التدريب في الشرق الأوسط ما يلي :

إن إسرائيل استنفذت مواردها المائية عام 1973 مائة بالمائة، وتواجه حالياً نقصاً خطيراً، ويتوقع أن يصل حجم النقص في المياه بين 400 - 500 مليون متر مكعب مع عام 1990 ولا يوجد في الأراضي التي احتلتها إسرائيل في عام 1967 موارد مائية جديدة لسد هذا النقص. كما قالت:

ان المصادر الاسرائيلية ذكرت أنه يمكن الحصول على 400 مليون متر مكعب من نهر الليطاني إذا تمكنت من تحويل مجراه، وتستطيع ان تحصل على 800 مليون متر مكعب من هذا النهر إذا دمرت سد القرعون في لبنان، وقد درس مهندسون اسراييليون عدة خطط لتحويل مجرى الليطاني منذ عدة سنوات.

إن إقامة إسرائيل للمستعمرات في الضفة كان على حساب المياه العربية المتوفرة في الضفة وفي نهر الأردن الاعلى وتستغل اسرائيل الآن 70% من مياه الضفة، ويعتبر الخبراء الاسراييليون الضفة الغربية الخزان المائي حالياً لاسرائيل، كما أخذت اسرائيل حديثاً تضغط على الولايات المتحدة وتحثها على السعي لتأمين 35-40 مليون متر مكعب من مياه نهر اليرموك لاسرائيل.

ويعتقد المراقبون والخبراء انه إذا فشلت اسرائيل في تحقيق ذلك فإنها سوف تلجأ الى تدمير سد المقارن إذا انشيء على اليرموك، كما أن هنالك احتمال آخر هو قيام اسرائيل بتحويل

نهر الليطاني وبذلك تستطيع زيادة مواردها 50%، وانتهت الباحثة الى القول :

"إذا فشلت الدول العربية في اعتماد استراتيجية اقليمية متكاملة منسقة، ولم تتعاون فيما بينها بشكل فعال لحماية مواردها المائية فستظل سياسة اسرائيل المائية هي العامل الأساسي الذي سيديم الصراع العربي الاسرائيلي".

وجاء في دراسة للاستاذ كامل زهيري ما يلي :

إن هدف الحركة الصهيونية ثم اسرائيل في جر مياه النيل إلى سيناء ثم الى النقب يعود إلى عام (1903) عندما قامت بعثة فنية بإجراء الأبحاث لتحقيق هذا الهدف وفي الفترة الحديثة فإن أبرز المحاولات الاسرائيلية لجر مياه النيل إلى سيناء ثم الى النقب بذلت في عهد رئيس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغن خلال عامي 1978-1979 وتعود هذه الفكرة الى المهندس (اليشع كلي) الذي يعمل في شركة ناهال.

وبعد أن عقد أنور السادات مع بيغن معاهدة كمب ديفيد أشار للبدء في حفر ما يسمى بترعة السلام مشيراً إلى أنه سيجعل من مياه النيل مساهمة من الشعب المصري وتخليدا لمبادرة السلام وقد طلب إجراء دراسة علمية كاملة لتوصيل مياه النيل إلى القدس (جريدة الشرق الأوسط تاريخ 19/3/1984).

### **معركة المياه مستمرة :**

أكدت وكالات الأنباء بتاريخ 8/4/84 ان اسرائيل انهت كل الخطوات والاستعدادات اللازمة لسحب ما يقارب من 250 مليون متر مكعب من مياه نهر الليطاني الى بحيرة طبريا شمال فلسطين المحتلة وذلك عن طريق الضخ بواسطة الأنابيب.

وهكذا تستمر اسرائيل في سرقة المياه العربية ولم يجد توسل الأردن للحكومة الاميركية بأن تضع حدا لاستمرار اسرائيل في سرقة المزيد من مياه اليرموك شيئاً، ومن العجيب أن تتم سرقة المياه العربية في جو من الاهمال والاستسلام ومن

التعظيم العربي الاعلامي والسياسي، فقد كتبت جريدة كريستيان ساينس مونيتور الاميركية (نيسان 1984) إن قدرة الأردن على الاستفادة من الماء القليل الذي يأتي من نهر اليرموك قد انخفضت بسبب تكون جزيرة من الطمي الذي تراكم على مدخل النفق الذي يبلغ طوله كيلومترا واحدا، والذي يوصل مياه اليرموك الى قناة الغور الشرقية، وأوضحت الصحيفة أن نهر اليرموك يشكل خط الهدنة لما بعد حرب 1967، وإن الدائرة المسؤولة عن مياه نهر الأردن استمرت على مدى خمس سنوات بعد تلك الحرب غير قادة على دخول المنطقة المجردة من السلاح للقيام بصيانة مجرى النهر، ثم تمكن الأردن عبر وساطة الولايات المتحدة عام 1967 وللمرة الثانية عام 1979 من إزالة الصخور التي تراكمت حول جزيرة الطمي، ولكن اسرائيل منعت السلطات الأردنية من إزالة الجزيرة نفسها، وبعد أيام من إزالة الصخور من قبل الأردنيين تسلل الاسرائيليون إلى النهر ليلا وأعادوا وضعها بطريقة تزيد من تدفق المياه نحو اسرائيل وبحيث تتخطى المياه مدخل النفق نحو قناة الغور الشرقية، وقد حاولت الولايات المتحدة حث الجانبين على تبني خطة لاقتسام المياه ولكن دون جدوى.

لقد قامت اسرائيل بإفشال آخر محاولة قام بها المبعوث الاميركي فيليب حبيب عام 1981، إذ طلبت في حينه كمية من المياه اكبر من الكمية التي كانت قد وافقت عليها سابقا، وتقوم اسرائيل حاليا بضخ 100 مليون متر مكعب من المياه من نهر اليرموك الى بحيرة طبريا ومن هناك يتم ضخها إلى المستوطنات الاسرائيلية في هضبة الجولان السورية المحتلة وكذلك إلى أنظمة خزن المياه في اسرائيل، وقد أدى الفشل في حل النزاع حول المياه بين الأردن واسرائيل الى تأخير بناء سد المقارن على نهر اليرموك الذي يحتاجه الأردن لتنظيم تدفق المياه، وكان الكونغرس الاميركي قد خصص في عام 1978 مبلغ 150 مليون دولار لإنشاء سد المقارن ولكنه اشترط عدم الاستفادة من هذا المبلغ الا في حالة التوصل إلى تسوية أقليمية لمعركة المياه". (كتب هذا القسم الأخير عام 1984).





الاستقالة من حكومة الوحدة - لم تكن استقالة الوزراء البعثيين مخططا لها أن تكون استقالة جماعية- اقترحت على عبد الناصر قبل الاستقالة أن نستبدل الوحدة بالاتحاد الفدرالي- تعيين المشير عامر حاكما على سورية- ميشيل عفلق يرسل إلي عبد الفتاح زلط ليخبرني ان المشير على استعداد للاتفاق مع حزب البعث للقيام بانقلاب ضد عبد الناصر وهرب ميشيل عفلق الى لبنان- عبد الناصر يثير في محادثات الوحدة الثلاثية عام 1963 موضوع تأمر ميشيل عفلق مع مدير مكتب المشير داوود عويس.

إن الخطاب الأول الذي ألقاه عبد الناصر أثر انقسام وحدة سورية ومصر بتاريخ 1961/9/28، والذي أعلن فيه أنه هو المسؤول عن الانفصال لأنه هادن الرجعية والاستعمار وأقصى العناصر الوجودية، إن هذا الخطاب يوضح، مع موقفه من قضية تحويل نهر الأردن، اسباب استقالتي وصلاحيات البيطار بتاريخ 1959/12/24 وكذلك استقالة الوزراء البعثيين الآخرين.

## كيف نفذت خطة عبد الناصر التي أدت إلى إخراجنا واستقالتنا.

لا بد لي لايضاح ذلك من الرجوع ثانية إلى بعض وقائع انتخابات الاتحاد القومي التي جرت في شهر تموز عام 1959 هذه الانتخابات التي تحدثنا عنها سابقا بالتفصيل.

لقد أهانت المخابرات الاستاذ صلاح البيطار عندما كان يخوض معركته الانتخابية عن حي الميدان الذي هو حيه الأصلي، إذ دفعت بعض عملائها لطرده من أحد مراكز الانتخاب، كما استقبلته النساء بالعويل في مركز آخر، وقد أثرت هذه الاهانة عليه تأثيرا كبيرا أصيب بعدها في مرارته فاضطر الى دخول

المستشفى في دمشق، ثم في القاهرة حيث أجريت له عملية دقيقة.

لقد تغير إثر ذلك موقف صلاح البيطار من الاستقالة التي كان يرفض تقديمها بالرغم من الضغط الذي كان يمارسه عليه ميشيل عفلق وبعض القيادات السابقة لحزب البعث، ولكنه أصبح مقتنعا شيئا فشيئا بأن جمال عبد الناصر يقصد من إهاناته المستمرة له احراجة واضطراره لتقديم استقالته، ويشير صلاح البيطار إلى هذه الفترة بأنه فكر بالانتحار (محادثات الوحدة الثلاثية - ص 60 - طبعة دار الهلال).

كما يورد احمد عبد الكريم في كتابه أضواء على تجربة الوحدة وصفا دقيقا لوضع صلاح البيطار في القاهرة في ذلك الوقت:

"لقد أهمل صلاح البيطار، وأصبح بعض المقربين من قصر القبة يتهمونه بأنه ظل ميشيل عفلق ويتهمون عفلق بأنه يعمل لصالح الانكليز والفرنسيين. وكان واضحا أيضا الانقطاع بين الحوراني والبيطار في مصر، وقد اصبحنا نشفق على الاستاذ البيطار بسبب اهمال الرئيس له وحقده عليه وقد اطلق عليه لقب الوجه الأصفر" (ص 200).

لقد اتخذ جمال عبد الناصر انتخابات الاتحاد القومي وسيلة للقضاء على شعبية قيادات حزب البعث بالاعتماد على الفئات اليمينية والرجعية ورجال المال والأعمال، والى ذلك يشير رياض المالكي في كتابه على درب الكفاح والهزيمة بما يلي:

"لقد رافق عمليات انتخابات الاتحاد القومي موجة من التلاعب والتزوير لم يشهد لها تاريخ سورية الحديث مثيلا، لا أيام الانتداب، ولا في عهد الاستقلال، ولا حتى في أيام الديكتاتوريات العسكرية الفاجرة، وكنت أتمنى من كل قلبي أن تنتهي هذه المهزلة بإعلان سقوطي في الانتخاب كي اضع حدا لمهزلة اشتراكي في الحكم" (ص 294-296) كما جاء في الكتاب نفسه :

"انني اعلنت في اجتماع المجلس التنفيذي بدمشق تصميمي على الاستقالة من الوزارة لتعذر استمراري في معالجة شؤونها عامة وشؤون الصحافة بخاصة، بعدما وضع في طريقي من عراقيل، في المذكرة التي تقدمت بها إلى وزارة الدولة في شؤون الرئاسة، ولم تكذ تمضي فترة وجيزة إلا وصدر عن رئاسة الجمهورية قرار باعفائي من مناصبي وقد فرحت لقرار الاعفاء اكثر من فرحي يوم أفرج عني من السجن (في عهد الشيشكلي) (ص298).



بتاريخ 59/8/11، بعد انتخابات الاتحاد القومي سافرت إلى دمشق لأدرس على الطبيعة أوضاع القطر، ولأتذاكر مع رفاقنا في موضوع الاستقالة من الحكومة. وكانت العادة قد جرت أن نستأذن من الرئيس عندما نود السفر إلى سورية، ولكنني تعمدت هذه المرة ألا أفعل، ولا شك أن الرئيس عبد الناصر قد فهم مغزى ذلك، ولا سيما بعد امتناعي عن ترشيح نفسي وعدم ذهابي إلى سورية لخوض المعركة وانسحاب عدد كبير من البعثيين من خوض معركة انتخابات الاتحاد القومي، **ولم يكن من قبيل الصدفة أن يصل معي في اليوم نفسه عزيز صدقي وزير الصناعة لينوب عن جمال عبد الناصر بتدشين مصفاة البترول في حمص ومعمل السكر في عدرا مع أن كل السوريين يعلمون أن هذين المشروعين قد انشئا قبل الوحدة، وانني كنت أول من نادى بإنشائها وتابع تنفيذها.**

كان واضحا لنا أن عبد الناصر قد بدأ يساوم الولايات المتحدة والغرب وبعض الأنظمة العربية على حساب البعثيين والقوى التقدمية في سورية فقد نشرت جريدة الحياة اللبنانية<sup>(1)</sup> بتاريخ 1959/1/22 ما يلي :

(1) كانت جريدة الحياة اللبنانية التي يديرها كامل مروة واسعة الانتشار، وقد اغتالت المخبرات المصرية كامل مروة عام 1962 عندما اشتد العداء بين السعودية ومصر بسبب حرب اليمن، وأنهم بتدبير هذا الاغتيال سفير مصر في لبنان عبد الحميد غالب بالاشتراك مع جماعة ابراهيم قليلات الذي أصبح فيما بعد رئيسا لما يسمى بتنظيم (المرابطون) وذلك خلال السبعينات.

"إن شركة كونكورديا قد اعلنت عن وجود البترول في الشمال السوري (السويدية) قرب تل كوشك بعد اطمئنانها ان الامتياز سيكون لها" وقد مررت سابقا على قضية شركة منهل وشركة كونكورديا عندما طلب المجلس التنفيذي السوري من عبد الناصر إلغاء امتياز هاتين الشركتين فوافق على الغاء امتياز منهل رفض الغاء امتياز كونكورديا.

كما نشرت جريدة الحياة بتاريخ 25 آب 1959 تقريرا أذاعته وكالة الانباء العربية يوضح أهداف هذه المساومة على الساحة السورية:

"يقول سياسيون لبنانيون على اتصال وثيق بالسياسة السورية ان الرئيس جمال عبد الناصر ونائبه السيد أكرم الحوراني قد اختلفا، وأن ابرز دليل على ذلك أنه لم يتم بافتتاح معرض دمشق الدولي رغم أنه نائب رئيس الجمهورية بل قام بافتتاحه السيد نور الدين كحالة، ويقول هؤلاء السياسيون لوكالة الانباء العربية بأن هذا الخلاف قد بدأ حين أخذ عدد كبير من السوريين، وبينهم نواب سابقون ورجال أعمال وصناعيون، ينحون باللائحة على السيد الحوراني وعلى حزب البعث العربي الاشتراكي الذي يتزعمه للمصاعب الاقتصادية العديدة وغيرها في سورية، في إرسال وفود وبرقيات إلى عبد الناصر طالبين منه وضع حد لنفوذ الحوراني وجماعته، وأكد هؤلاء ولاءهم للسيد عبد الناصر، وقالوا أنه ان كانت هنالك نقمة على الوحدة مع مصر فإن الملامة تقع على عاتق الحوراني، وانضم عبد الحميد السراج الى هذه الحملة وكان يرسل تقارير يومية تقريبا إلى الرئيس عبد الناصر". وجاء ايضا في هذا التقرير :

"وقد أرسل الرئيس عبد الناصر مستشاره السيد محمود رياض السفير المصري السابق في سورية، حيث اجتمع إلى صبري العسلي الأمين العام للحزب الوطني، والى السيد ناظم القدسي والسيد رشدي الكيخيا وعلي بوظو من زعماء حزب الشعب، والى جماعة الاخوان المسلمين والعلماء ورجال الاعمال والصناعة وقد طلب جميعهم ابعاد الحوراني عن الحكم، ثم اختار الرئيس جمال عبد الناصر عددا من كبار ضباط الاستعلامات ليعملوا على انجاح المرشحين (الحياديين) واسقاط المرشحين البعثيين وهذا هو ما حدث فعلا.

ولقد أخذ السياسيون اليمينيون في سورية يشيدون بحماس بالوحدة ويؤكدون ولاءهم للرئيس عبد الناصر ويقولون :

لقد انتهينا من الشيوعيين وسننتهي قريبا من البعثيين".

أما الأسباب الحقيقية لسوء الأوضاع الاقتصادية فهي ما يشير الى بعضه أحمد عبد الكريم في كتابه اضواء على تجربة الوحدة :

لقد ساءت الحالة الاقتصادية في سورية بسبب الجفاف ورداءة المواسم الزراعية، وضجت الاوساط التجارية والصناعية بسبب اغلاق الحدود العراقية والسعودية والأردنية بوجه البضائع السورية، وأخذت بعض المعامل في دمشق وحلب تسرح عمالها لعدم تصريف منتجاتها، وأغرقت بعض السلع المصنوعة في مصر الأسواق، وارتفع الفرق بين العملة اللبنانية والسورية، وعظمت نسبة تهريب الاموال الى خارج سورية، وزاد في بلبله الاسواق المالية ما أشيع عن توقع صدور القرار بتوحيد النقد في الجمهورية، وأقبل بعض التجار والمواطنين على اقتناء الجنيه مما أدى الى خسارة الكثيرين منهم، وربط الناس بين هذا التدهور الاقتصادي، وبين توسع عمليات بنك مصر وبنك القاهرة في سورية. وتقنين رخص الصناعة بالنسبة للسوريين وجعل صلاحية منح الرخص من اختصاص الوزارة المركزية في القاهرة، وتعيين أمين عام مصري لوزارة الصناعة التنفيذية في سورية يتمتع بصلاحيات واسعة جدا فاقت صلاحيات الوزير التنفيذي. وأصبح واضحا بأن السياسة العليا ترمي إلى إعاقة برامج التنمية والتصنيع في سورية والتوسع في الصناعة في مصر ثم منع الاستيراد لجعل سورية سوقا للسلع المصرية بدون منافسة، ولعل من أبرز ما ظهر في تلك الفترة هو تعطيل مشروع سد الفرات واستثمار البترول في سورية، وكانت النعمة عارمة في سورية على نظام عبد الناصر وعلى الوزراء السوريين أيضا واتجه الرأي العام نحو اتهام الوزراء السوريين بالتآمر على مصلحة الشعب السوري والسكوت على انحراف الوحدة وتحولها الى تسلط مصري وتبعية سورية" (ص 214).



هكذا كان الوضع في سورية عندما سافرت الى دمشق بتاريخ 11 آب 1959 حيث كانت قواعد الحزب وقياداته السابقة تحثنا على الاستقالة، فعقدنا لبحث هذا الموضوع اجتماعا في الزبداني، حيث كان الاستاذ صلاح يقضي فترة النقاهة في بيت عمه، وقد ضم هذا الاجتماع ميشل عفلق ومصطفى حمدون ورئيس فرع الحزب في لبنان عبد الوهاب شميطلبي، فجرى في هذا الاجتماع تقييم نظام عبد الناصر المعادي لحزب البعث وللقوى التقدمية في سورية واستعرضنا ما ارتكبه من أخطاء وانحرافات بحق الوحدة والقضية العربية وخرجنا من هذه المناقشات بالنتيجة التالية :

انه أصبح من واجب الوزراء البعثيين أن يستقيلوا من الحكومة، وكان هذا الاجتماع قبل إثارة قضية تحويل مجرى نهر الأردن في مجلس الوزراء المركزي، وبعد أن أصدر ناصر قرارا باعفاء الاستاذ رياض المالكي وزير الثقافة والارشاد من منصبه، وقد علقت جريدة الحياة بتاريخ 15/9/1959 على هذا القرار "بأنه جاء متمما للإجراءات التي تناولت البعثيين في المدة الأخيرة وبالأخص انتخابات الاتحاد القومي في الاقليم السوري".

عدت إلى القاهرة في منتصف ايلول 1959 وقابلت عبد الناصر في اليوم الثاني من وصولي، وكنت في قرارة نفسي مترددا في تقديم الاستقالة حتى بعد اجتماعنا في الزبداني لأنني كنت مقدرا خطورة هذه الأمر، وقلت في نفسي :

يجب أن أحاول وأحاول انقاذ الوحدة التي أصبحت على شفاهاوية، ولم أر سبيلا لذلك إلا بالرجوع إلى صيغة الاتحاد الفدرالي بين القطرين، انه اقتراح جريء ومفاجيء يمكن أن يحدث رد فعل معاكس لدى الرئيس جمال عبد الناصر، ولكن ما العمل؟ كنت قانعا كل القناعة ان الوحدة بين الاقليمين ستسقط ويمكن أن يؤدي سقوطها الى مأساة قومية.

وقبل هذه المقابلة فكرت طويلا بترتيب حديثي معه حتى يكون مقنعا بأفكاره وبأسلوبه، وقد استغرق هذا الحديث مع جمال

عبد الناصر في منزله أكثر من ثلاث ساعات، والذي يمكن أن  
أعتصره من الذاكرة الآن يتلخص بالفكر التالية :

قلت لجمال عبد الناصر انني تأخرت في سورية هذه المدة  
لأنني كنت أدرس تطورات الوضع فيها، وقد تأكد لي بنتيجة هذه  
الدراسة والاستقصاء ان أوامر الوحدة بين الشعبين في قطري  
الجمهورية أخذة بالضعف والوهن، وانه لا بد لحماية الوحدة من  
اتخاذ تدابير جذرية تعالج العلل التي أدت الى ضعفها وانكماشها  
وتراجعها وهي :

أولا - كما اعتقد - الادارة البيروقراطية والمركزية الشديدة  
التي تعالج بها شؤون الاقليم الشمالي.

ثانيا- الفراغ السياسي والعقائدي والدستوري الذي لم  
يملأه الاتحاد القومي، وأن انتخابات هذا الاتحاد أحدثت في سورية  
ردود فعل معاكسة.

ثالثا- نشاط أجهزة المخابرات المصرية والسورية المضللة  
والمخرية والمشبوهة التي أصبحت تحبس أنفاس المواطنين  
السوريين، وترسم صورة للوحدة بأنها وحدة تسلط وتبعية لا وحدة  
متكافئة بين قطرين عربيين، وانني لا أرى سبيلا لمعالجة هذه  
العلل وعلل أخرى أشرت لها في أحاديثنا السابقة. إلا بعودة  
سورية إلى الوضع الديموقراطي السابق لعهد الوحدة، وهذا لا  
يتسنى بالطبع في ظل الوحدة الاندماجية، ولكنه يمكن أن يتحقق  
بصيغة الاتحاد الفدرالي، وفي ظل مثل هذا الاتحاد يمكن أن  
يتعايش النظامان اللذان كانا قائمين ومتعايشين قبل الوحدة.

وقلت لعبد الناصر أيضا :

لقد كان رايبى كما تعلم منذ البداية، وكذلك كان رأيك أيضا  
قبل قيام الوحدة الاندماجية هو قيام نظام اتحاد فدرالي لحكم  
الوحدة. وهذا ما أعلنه المجلس النيابي السوري ومجلس الأمة  
المصري اثر زيارة الوفد البرلماني المصري أواخر عام 1957، وأن  
مشروع الاتحاد الفدرالي هو ما أقره حزب البعث، وصادقت عليه  
حكومة التجمع في سورية، وحمله اليكم وزير الخارجية صلاح

البيطار بعد سفر الوفد العسكري الى القاهرة (وقد مرت تفاصيل ذلك سابقا).

كما قلت :

إن أي خطوة وحدوية يجب أن تكون واقعية وأن تأخذ خصوصيات كل قطر بعين الاعتبار. ويقدر ما تحقق الصيغة الدستورية والسياسية للوحدة انسجام وحرية ومصالح وأهداف المجتمعين العربيين المتحدين بقدر ما تكون هذه الصيغة صحيحة وموفقة وبهذا نضمن للاتحاد الاستمرار والازدهار، وقلت أيضا:

من الواجب ألا تأخذنا العواطف لصيغة الوحدة بعيدا عن واقع المجتمعات العربية وتفاوتها واختلاف مستوى تطورها بأمور عديدة وهامة، فقد خضعت هذه الاقطار فترة طويلة من التاريخ للتجزئة والحكم الاجنبي. هذا مع العلم بأن الاتحاد الفدرالي بصيغته الواسعة كان نظام الحكم للدولة العربية في صدر الاسلام وبعده.

ان الصيغة الدستورية لأي كيان سياسي متحد يجب أن تستهدف تمتين الأواصر الشعبية والسياسية والقومية والمصلحية لا أن تكون سببا في ضعفها ووهنها، وانني لأشبه الصيغة الدستورية بالرداء الذي يجب أن يفصل على قدر جسم الانسان الذي يلبسه، لأنه من غير الممكن ومن غير المنطقي والمعقول محاولة تفصيل جسم الانسان بمقياس الرداء لأن هذا من اختصاص الخالق.

قال لي جمال عبد الناصر :

هل تعني ان نعود الى صيغة الاتحاد الفدرالي بين الاقليمين؟ قلت له :

هذا ما أعنيه تماما، ويجب ألا نخاف من التراجع الى صيغة الاتحاد الفدرالي، لأن الوحدة الاندماجية التي قامت بين القطرين أخذت أوضاعا مختلفة عما نص عليه الدستور الموقت، ولا نشك أن الدستور الدائم للوحدة الذي سيجري عليه الاستفتاء في



المستقبل القريب سيكون مختلفا أيضا عن أحكام الدستور الموقت، وقد نضطر عند وضعه الى تغييرات دستورية أساسية.

انني أرى انه من المفيد والمعقول أن تعالج مشاكل الوحدة قبل استفحالتها، لأن ذلك هو الذي يمنحنا فرص النجاح في حلها حلا صحيحا.

كما قلت أيضا في تلك المقابلة :

ان الوطن العربي لم يكن قبل الفتح وبعده قطرا واحدا وانما كان اقطارا متعددة ذات مزايا وخصائص مختلفة، وإن هذا التعدد يجب أن يكون سبب خصب وغني وقوة وازدهار للكيان السياسي العربي المتحد، لا أن يكون عائقا في طريق تقدمه، وازدهاره.

كان عبد الناصر يصغي الى حديثي بكل جوارحه ويظهر بأنه لا يخالفني في هذه الافكار التي أوردتها ولم يبد على ملامح وجهه أي امتعاض أو رفض، بل على العكس فإنه شكرني على صراحتي في نهاية الحديث، وعندما أردت الانصراف قام وودعني الى الباب الخارجي من منزله. والظاهر أن عبد الناصر اشار الى هذا الحديث مع السفير اللبناني جوزيف أبو خاطر عندما قال له :

"إن شكري القوتلي لم يكن موافقا على الوحدة بل عارض قيامها الى آخر لحظة، وقد أرغمه ضباط الجيش على التوقيع، ونحن الذين جعلناه في مصاف الابطال وخلقنا هذه الاسطورة حوله" وقال أيضا :

"أما أكرم الحوراني فقد عارض قيام الوحدة معارضة شديدة وأقصى ما كان قابلا به هو الاتحاد" (ص97 من كتاب لقاءات مع جمال عبد الناصر- دار النهار- 1971).

خرجت من اجتماعي بعبد الناصر متفائلا جدا وقلت في نفسي : إن هذا التريث في تقديم الاستقالة كان صائبا يقضي به العقل في موضوع خطير كهذا، والحقيقة انني ترددت كثيرا في عقد هذا الاجتماع وما جرى فيه من مصارحة خشية من النتائج

التي تترتب عليه، وقد فعلت ذلك من تلقاء نفسي دون بحث أو تفويض من أحد لانني أردت أن أتحمّل وحدي مسؤولية أقوالي.

لم يمض سوى بضعة أيام على هذا الاجتماع حتى بلغني مكتب الرئيس عبد الناصر أن أحضر الى منزله لنذهب سوياً إلى حفلة (أضواء المدينة) التي كانت تجمع كل فنانات وفناني مصر، وقبل مغادرتنا المنزل اخبرني عبد الناصر انه قرر تعيين المشير عبد الحكيم عامر حاكماً عاماً في سورية وتخويله كل سلطات وصلاحيات رئيس الجمهورية، وقد لفت نظري أن عبد الحميد السراج كان حاضراً تلك الحفلة، والظاهر ان الرئيس عبد الناصر قد استدعاه الى القاهرة للبحث معه قبل اصدار هذا القرار.

لم أعلق بأي كلمة على تعيين المشير عامر حاكماً على سورية لأنني أدركت أن كل كلمة تصدر مني سيفسرها جمال عبد الناصر بغير ما أقصد فلزمت الصمت، وكان يترأى أمام عيني في تلك اللحظات انهيار الوحدة، هذا الحلم الذي عشنا له وناضلنا من أجله طيلة حياتنا وأخذت أردد في سري قول رسول الله :

اللهم اشهد فإنني قد بلغت.



### **المشير عبد الحكيم عامر في سورية.**

أصدر جمال عبد الناصر بتاريخ 1959/10/22 ثلاث قرارات جمهورية تقضي بتعيين المشير عبد الحكيم عامر حاكماً على سورية مزوداً بصلاحيات رئيس الجمهورية، ويقضي القرار الأول بتولي المشير الاشراف على تنظيم الاتحاد القومي في الاقليم السوري، أما القرار الثاني فيقضي بما يلي :

1- الاشراف على السياسة العامة ومراقبة تنفيذ جميع القرارات التي تصدر لتدعيم الوحدة بين الاقليمين ويكون مسؤولاً عن ذلك أمام رئيس الجمهورية، وإصدار القرارات والأوامر التي تدخل في اختصاص رئيس الجمهورية وذلك بموجب القوانين والقرارات النافذة في الاقليم السوري.

ب- اعتماد برامج المشروعات اللازمة للاقليم السوري في حدود الاعتمادات المدرجة لها في الميزانية ومتابعة تنفيذها.

ج- النظر في توصيات المجلس التنفيذي السوري وفي مشروعات القوانين وكذلك في الميزانية المقترح تنفيذها في هذا الاقليم قبل عرضها على رئيس الجمهورية.

د- الاشراف على كل ما يتعلق بتنظيم المصالح والادارات والهيئات والمؤسسات في الاقليم السوري ويكون الوزراء التنفيذيون في الاقليم مسؤولين أمام المشير في كل ما يتعلق بتنفيذ هذا القرار الذي يوضع موضع التنفيذ فوراً.

أما القرار الثالث : فهو يقضي بربط مديرية الدعاية والانباء في الاقليم الشمالي بوزير الداخلية ورئيس المخابرات السورية عبد الحميد السراج بينما كانت في السابق مرتبطة مباشرة برئيس الجمهورية.



باشر المشير مهمته فور صدور هذه القرارات بتأليب القوى اليمينية في سورية على قيادات حزب البعث المنحل بتحميلهم مسؤولية الأزمة النفسية والاقتصادية التي كانت تعصف بها، فقد نشرت وكالة انباء الشرق الأوسط وهي الوكالة الرسمية للجمهورية العربية المتحدة بتاريخ 6 تشرين ثاني 1959 ما يلي:

"ان المشير لن يأخذ بأي توحيد في النواحي الاقتصادية أو النقدية إذا كان هذا التوحيد يضر باقتصاد أحد الاقليمين لاننا ننتظر حتى يتم ذلك بشكل طبيعي دون أن ننزل أي ضرر بأحد الاقليمين" وقالت الوكالة:

"إن هذا التصريح أعلن بنص رسمي بعد الاجتماع الذي عقده المشير عامر مع ممثلي الغرف التجارية والصناعية والزراعية في دمشق".

وكنت قد شرحت سابقاً موقفنا من توحيد النقد، فقد عارضناه في اجتماعات اللجنة الثلاثية لما يلحق بالاقتصاد

السوري من ضرر في ذلك الوقت، ولكن المشير كان يريد اننا يوحى لأصحاب الرساميل والثروات اننا كنا نحن وراء توحيد النظامين الاقتصاديين بين الاقليمين.

ومن جهة أخرى فقد تعمدت وزارة الاعلام الذي أصبح مشرفا عليها عبد الحميد السراج كشف خطة المتحدة التي سينفذها المشير عامر تطمينا للأنظمة العربية وللغرب الذي يعتبر الطبقة الاقطاعية والرأسمالية ركيزة لسياسته ومشاريعه ونفوذها في سورية. وقد علقت صحيفة الحياة البيروتية على ذلك بما يلي (59/11/14).

"استطاع المشير عامر بحزمه وحكمته وبالصلاحات الاستثنائية التي زوده بها الرئيس ناصر أن يتخذ بأيام معدودات سلسلة من التدابير الشاملة كان لها اثرها الملموس في تهدئة الخواطر وتبديد التجهم الذي غمر الاقليم السوري زمنا، وقد أحسن المشير بتوسيع اتصالاته دون تمييز أو حساب، لأن الاقليم السوري هو أحوج ما يكون إلى مصالحة عائلية تدفن رواسب الماضي وتعفو عن أحكام انقضى زمنها وكشفت الأيام عن حقيقة مصدرها، وتعيد الاعتبار السياسي الى الذين جار عليهم الزمان أو تجهمت لهم حقبة مرت".

وكان ذلك ترديدا للافتراء الذي يدعيه المحكومون بمؤامرات حلف بغداد على الوضع الديموقراطي التقدمي في سورية خلال العدوان الثلاثي على مصر، تلك المؤامرات التي أثبتت وثائق حلف بغداد صحتها.

ومما لفت نظرنا أن المشير سافر إلى سورية فجأة قبل صدور قرارات تعيينه حاكما عاما، وحل في منطقة اللاذقية، ثم قام بجولات على جميع قطع الجيش وألقى فيها خطبا مطولة وهو أبعد ما يكون عن الخطابة، ولم تكن خطبه بالعامية مفهومة من السامعين ولا من القراء عندما تنشرها الصحف، واعتقد أن المشير بزيارته لقطع الجيش أراد أن يطمئن الى وضعه قبل الشروع بتنفيذ خطته السياسية، كما أن عبد الناصر كان يأمل أن يزوده عبد الحكيم عامر بالتقارير والمعلومات إضافة الى ما يزوده به عبد الحميد السراج، ولا أشك أن اجتماعي مع ناصر واقتراحي

عليه العودة الى صيغة الاتحاد الفدرالي قد جعلت ناصر يقتنع بطلب المشير تعيينه حاكما عاما على سورية، وتعيين عبد الحميد السراج وزيرا للاعلام، بالاضافة الى الداخلية والمخابرات، ليكون المشير والسراج قويين في مجابهة حزب البعث الذي ظلت تنظيماته قائمة في لبنان والعراق والأردن.

### **عبد الناصر يعمل على تمزيق حزب البعث.**

اصبح عبد الناصر وأجهزته بعد قيام الوحدة بين سورية ومصر اكثر قدرة على تمزيق تنظيمات حزب البعث في البلاد العربية لاحتوائها وضمها إلى أجهزته، ولكن ميشيل عفلق الذي ظل خارج جهاز الوحدة الحاكم في الجمهورية العربية المتحدة كان حريصا جدا على أن يظل أمينا عاما لفروع حزب البعث خارج سورية، وقد تمكن جمال عبد الناصر وأجهزته من كسب عدد كبير من أعضاء وقيادات الحزب في لبنان والأردن والعراق وطلاب الحزب في أوروبا.

كان عبدالله الريماوي -بتشجيع من جمال عبد الناصر- يسعى لأن يكون الأمين العام للحزب بدلا من ميشيل عفلق، فعقد مؤتمرا قوميا في بيروت كان من جملة مقرراته حذف جميع ما كتبه ميشيل عفلق من أدبيات الحزب في الماضي، فكان ذلك طعنه نجلاء وجهها لميشيل عفلق الذي تمكن هو الآخر من عقد مؤتمر قومي في لبنان صدر عنه بيان نشرته جريدة الصحافة في لبنان وجاء فيه :

1- تجريد أمين سر قطر الأردن عبدالله الريماوي من مسؤوليته كأمين سر القطر وكعضو في القيادة القطرية.

2- تجميد نشاطه الحزبي وتحويله للتحقيق أمام القيادة القومية.

وان المؤتمر القومي قد انتخب قيادة جديدة للحزب، وأنه درس أوضاع الحزب وتنظيماته الداخلية، كما درس وضع القضية القومية في هذه المرحلة بعد تحقيق الوحدة بقيام الجمهورية العربية المتحدة، وعلى ضوء تجربة العراق واتساع ثورة الجزائر ومدى تحرر المغرب العربي عموما. وأضاف البيان :

ان المؤتمر اتخذ مقررات تتعلق بتدعيم وحدة الحزب القومية وتطهير أجهزته ورفع مستواه التنظيمي وفعالياته النضالية. وأعلن البيان أن المؤتمر وافق على قرار القيادة القومية السابقة بحل الحزب في الجمهورية العربية المتحدة وانتخب قيادة جديدة بدلا من القيادة السابقة التي كانت تضم اكرم الحوراني ميشيل عفلق صلاح البيطار وعبدالله الريماوي وفؤاد الركابي. كما جاء في البيان :

أن المؤتمر قرر العمل على توضيح اتجاه الحزب الفكري والافادة من تجربته النضالية في تعميق وتطوير عقيدته ونظرية عمله، وأقر استراتيجية جديدة للعمل الشعبي، كما أقر تمثين وتوسيع تعاون الحزب مع قيادة الجمهورية العربية المتحدة بوجه خاص ومع قيادة الثورة الجزائرية والحركات الشعبية الأخرى في الوطن العربي.

وعلى أثر صدور هذا البيان نشرت الصحف اللبنانية بتاريخ 6-9-59 بيانا موقعا من عبدالله ريماوي أمين سر قطر الأردن وبهجت أبو غربية عضو قيادة فرع الأردن جاء فيه :

"اجتمعت القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي في الأردن ولجنة الانقاذ القومية الممثلة لمنظمات الحزب في الأردن وأجزاء أخرى في الوطن العربي، وبعد الاطلاع على ما ورد في العدد (249) من جريدة الصحافة الصادر بتاريخ 2-9-59 حول ما أسمته المؤتمر القومي الاستثنائي لحزب البعث العربي الاشتراكي وانتخاب قيادة قومية جديدة، وحول ما أسمته قرارا حزبيا يتعلق بالرفيق عبد الله الريماوي أمين سر قطر الأردن وعضو القيادة القطرية فيه، والذي يعلن تجريده من مسؤولياته وتجميد نشاطه وتحويله للتحقيق أمام محكمة للقيادة القومية فقررروا ما يلي:

1- ان ما سمي المؤتمر القومي للحزب والذي انسحب من أول جلسة منه جميع ممثلي القطر الأردني وممثلون عن منظمات حزبية في مناطق أخرى من الوطن العربي لا يمثل

الحزب إطلاقاً ولا يملك النطق باسمه أو التعبير عن إرادته في كل ما صدر أو ما يصدر عنه ولذلك فإنه غير شرعي.

2- عدم الاعتراف بالقرار المزعوم المتعلق بالرفيق عبد الله الريماوي بشقيه شكلاً وموضوعاً واعتباره غير شرعي وتخريبي على المستويين الحزبي والقومي.

3- الاعلان ان الرفيق عبدالله الريماوي هو أمين سر قطر الاردن الممارس لجميع مسؤولياته...".

ولما لجأ فؤاد الركابي من العراق في أوائل شهر كانون الأول 1959 إلى سورية استدعاه جمال عبد الناصر للقاهرة فاحتفى به ووضعه في إحدى الحفلات التي أقامها سلاح الطيران على يمينه (وهو الحريص كثيراً على تطبيق البروتوكول) فانضم الركابي الى الريماوي وجبران مجدلاني، وقد أشار الدكتور جمال الشاعر في مذكراته التي نشرها في صحيفة القيس الدولي الصادرة في لندن (87/8/20) الى موقفه من هذا الخلاف بما يلي:

"فكلفني الاستاذ ميشيل علق بالسفر الى دمشق اثناء بحث ذلك الموضوع الخطير، لمقابلة الاستاذ أكرم الحوراني الذي كان نائباً لرئيس الجمهورية العربية المتحدة، ومقيماً في دار الرئاسة في دمشق.

ابدى الاستاذ الحوراني تخوفه الشديد من موضوع ما يمكن ان يترتب على الانشقاق الذي حدث في الحزب، لا سيما وان الريماوي كان حريصاً على ربط انسحابه باتهامه للاستاذ علق والمؤتمرين بمعادة عبد الناصر والعمل على اضعاف الوحدة المصرية السورية. ونصح الاستاذ الحوراني، ببذل كل الجهود الممكنة لاعادة الريماوي ضمن اية شروط ممكنة. وقال بأن القرار المقترح بتكريس حل الحزب في سوريا ومصر، واعتبار عبد الناصر والجمهورية العربية المتحدة بديلاً له، لا يمكن ان يكون قراراً حكيماً، وانه من الافضل ان يهمل بالمرّة." كما أشار الى ذلك في موضع آخر بقوله :

"فقد رأى كل من الاستاذ البيطار والاستاذ اكرم الحوراني، ان المؤتمر القومي قد ينحرف عن حقيقة الغرض من انعقاده، بحيث يصبح مسرحا للصراع بين عفلق والريماوي، واعتبر الحوراني هذه الظاهرة على جانب كبير من الخطورة، وان نتائج المؤتمر ستكون سلبية على الاتجاه القومي والوضع العربي بشكل عام".

والذي اثبتته الأيام فيما بعد عندما انعقد ما يدعونه بالمؤتمر القومي الخامس للحزب في حمص عام 1962، وهو المؤتمر الذي نتج عنه فصم وحدة الحزب في سورية وسلخ جميع قواعد الشعبية بتحريض من ميشيل عفلق وأنصاره من اعضاء قيادة فرع العراق (على صالح السعدي، هاني الفكيكي- حمدي عبد المجيد وغيرهم) ثم ما ارتكب من أخطاء وانحرافات خطيرة عن مبادئ الحزب يدل بشكل قاطع ان تصرفات ميشيل عفلق ومواقفه السياسة كانت نابعة من دوافع انتهازية وشعور بالعجز وانعدام الشعور بالمسؤولية.

### **الاستقالة :**

لم أكن واثقا حتى بعد اجراء انتخابات الاتحاد القومي وبعد اجتماعنا في الزبداني ان يشترك الاستاذ صلاح معي بتقديم الاستقالة من الحكومة المركزية، وكنت أرى أن انفرادي بتقديم استقالتي يضعف أثرها، ويظهرني بمظهر المختلف مع الاستاذ صلاح مما يفسح مجالا واسعا لاجهزة المخابرات للشنشنه بهذا الخلاف، ولذلك تريثت كثيرا بتقديمها حتى يحسم الاستاذ صلاح موقفه منها، كما انني حاولت بالوقت نفسه اشراك الوزراء السوريين المركزيين الآخرين (أحمد عبد الكريم- أمين النفوري - بشير العظمة) الذين كانت قناعاتهم متفقة مع قناعاتنا. لقد تحدث أحمد عبد الكريم في كتابه اضواء على تجربة الوحدة عن ملابسات الاستقالة بقوله :

"إن نتيجة انتخابات الاتحاد القومي، وتعيين عامر حاكما مطلقا على سورية كانا نهاية فترة التعاون بين قيادات البعث وجمال عبد الناصر، ولذا وجدنا الحوراني يعبر عن امتعاضه واحتجاجه على هذه



التصرفات عندما حاول التأخر في سورية مهددا بالاستقالة، وفي أول حديث لي مع السيد أكرم الحوراني طلبت إليه أن نفتح صفحة جديدة في علاقاتنا، وأن نحاول إزالة الشكوك بيننا، وأن نقيم بدلا عنها جوا مبنيا على الصراحة والثقة، فأبدى استعداده باسمه وباسم رفاقه الوزراء لأن نتعاون جميعا على تحقيق الأهداف التالية :

ان المحافظة على الوحدة عن طريق تقويم انحرافها وتحقيق التساوي بين الاقليمين ضمن إطارها، وفرض مشاركة السوريين في الحكم، ورسم السياسة العليا بسورية نحو الديموقراطية واطلاق الحريات للشعب، وحمل رسالة الوحدة العربية الشاملة وهي الأسس التي آمن بها الشعب السوري وقبل الوحدة مع مصر من أجلها وفي سبيلها، حتى إذا فشلنا في تحقيق هذه الاهداف قدمنا استقالتنا الجماعية من الوزارة المركزية، وتركنا الحرية كاملة للوزراء التنفيذيين السوريين بالاستقالة أو الاستمرار بالتعاون.. وقد لاحظت تخوفا من جانب السيد الحوراني من موقف صلاح البيطار رغم تأكده من مشاركته التامة بالرأي وتقدير الموقف بشكل عام (ص 240).

لقد كان صلاح البيطار مترددا بالنسبة لموضوع استقالتنا، أما الاستاذ ميشيل فقد كان يستحثنا على الاسراع في تقديمها، وعندما أخبرت الاستاذ صلاح بما جرى بيني وبين أحمد عبد الكريم وأمين النفوري من أحاديث بعد عودتي من دمشق، ظهر لي أنه لم يقطع أمله بإمكانية البقاء والاستمرار، ففي الجلسات التي نوقش فيها موضوع تحويل نهر الأردن لم يتخذ موقفا واضحا من الموضوع بالرغم من أن الحزب كان قد حدد موقفه بدراسة وبيانات أصدرها عن التحويل قبل قيام الوحدة، ولكن تهرب صلاح من اتخاذ موقف محدد من موضوع التحويل لم يغير من اهمال عبد الناصر له، فقد جاء في مذكرات الوحدة الثلاثية جوابه لعبد الناصر عندما عوتب على تقديم استقالته بأنه كان مقالا من حكومة الوحدة قبل ذلك بعام (مباحثات الوحدة الثلاثية ص 55).

ان صلاح البيطار عندما أقدم على تقديم استقالته كان يأمل في قرارة نفسه أن يكون تقديم الاستقالة عامل ضغط على جمال

عبد الناصر ليبدل موقفه منه، وهذا ما جعله يرفض رفضا قاطعا تقديم استقالته مرفقة بالاسباب والدوافع التي دعت الى تقديمها، ولذلك بقي في القاهرة بعد الاستقالة بضعة أشهر وكان على اتصال دائم بمراد غالب مستشار عبد الناصر لشؤون الأمن القومي ومحمود رياض وبعض الوزراء المصريين، ولم يرجع الى دمشق إلا بعد أن قطع كل أمل له بالعودة الى الوزارة.

كان رايبى ورأى الاستاذ ميشيل أيضا أن تكون استقالتنا معللة، فأرسل عغلق مع عبد الفتاح زلط رسالة فيها بعض الأفكار التي يجب ترد في كتاب الاستقالة ولما عرضها على الاستاذ البيطار رفضها رفضا قاطعا، وقال انه غير مستعد للاستقالة إذا كانت ستفتح معركة مع عبد الناصر، ولما رأيت إصراره ألقيت بالرسالة في موقد منزلي، كما اشترط الاستاذ صلاح أن نستشير فؤاد الركابي وجبران مجدلاني بأمر استقالتنا وكانا موجودين في القاهرة، فأبدت له خشيتي من أن يتسرب نبأ عزمنا على الاستقالة لجمال عبد الناصر ولكنني اضطررت لموافقته فعقدنا اجتماعا مع جبران الذي لم يوافقنا على تقديم الاستقالة، أما فؤاد الركابي فقد وافق على ضرورتها بعدما أبنا له اسبابها ودوافعها بالتفصيل، وقد أشرت على الاستاذ صلاح أن يكون موعد تقديم الاستقالة في اليوم التالي لاحتفالات عيد النصر (23 كانون أول 1959) ، لأن ذلك سيحرم عبد الناصر من الادعاء بأنه أقالنا بعد أن نكون قد حضرنا الى جانبه هذه الاحتفالات، وبعد أن تنشر جميع صحف الجمهورية صورنا معه، وقد أصر الاستاذ صلاح على أن تكون استقالتنا منفصلة عن استقالة أمين النفوري وأحمد عبد الكريم، لئلا يعتبر عبد الناصر اننا وراء تحريضهما على الاستقالة، وأن ذلك أقوى لموقفنا، كما كان من المتفق عليه سابقا أن يقتصر أمر الاستقالة علينا نحن الاثنين وأن لا تشمل رفاقنا الوزراء التنفيذيين البعثيين في سورية وهكذا نتجنب -كما كان يقول الاستاذ صلاح- أن تؤول استقالتنا تأويلا حزبيا، ولنتجنب معركة غير متكافئة مع عبد الناصر الذي كان يملك كل وسائل السلطة من أجهزة اعلام ومخابرات، ولئلا يفسر هدف الاستقالة بأنه انسحاب للحزب من

الوحدة، هكذا سافرنا بتاريخ 22-12-1959 مع جميع الوزراء المصريين والسوريين المركزيين إلى بور سعيد، كما حضر عبد الحميد السراج من سورية للاشتراك بهذا الاحتفال الذي كان يقام كل عام بمناسبة معركة القناة التي جرت عام 1956.

كان عبد الناصر ودودا معي اثناء سفرنا شأنه في معظم الأحيان، فقد طلب مني أن أبقى معه في عربته الخاصة في القطار، وكان يرافقه أيضا المشير عبد الحكيم عامر، فأمضينا طريقنا الى بور سعيد بتبادل الاحاديث، وفي طريق العودة الى القاهرة رجعنا معا على أحسن حال بالرغم من تعريضه بنا في خطابه في بور سعيد عندما شرح مهمة المشير في سورية فقال بأنها تستهدف القضاء على الحزبية وتوحيد الشعب، ثم أعلن في هذا الخطاب تعلق الجمهورية بالقومية العربية والحياد الايجابي وقبولها المساعدات من أي جهة ولكن دون أي شرط، وهاجم الشيوعيين غير المؤمنين بالقومية واتهمهم بأنهم شعوبيون، وأنهم تأمروا ضد القومية وضد الجمهورية العربية المتحدة، وقد شتم في هذا الخطاب الولايات المتحدة والادارة الاميركية ومجلس الشيوخ الأميركي، ولا أزال أذكر ان مصطفى أمين قد دخل على عبد الناصر في عربة القطار واستشاره في العناوين التي يرى أن توضع لهذا الخطاب.

وبعد عودتنا من بورسعيد أخبرت أحمد عبد الكريم وأمين النفوري بما اعتزمنا عليه، وقلت لهما اننا نرحب باشتراكهم معنا إذا كانا لا يزالان عازمين على الاستقالة، ولكنهما طلبا ارجاءها الى موعد آخر. وقد ظهر لي أنهما يفضلان تقديم استقالتهما أيضا بصورة منفصلة وهذا ما كان يرتئيه الاستاذ صلاح.

هذا ما كان من أمرنا حتى تاريخ رجوعنا من بورسعيد للقاهرة بتاريخ 24/12/59 بصحبة جمال عبد الناصر، ولم نكن نعلم ما كان يجري في سورية، ثم تبين لنا بعد يومين أن المشير عامر اتهم ميشيل عفلق بالتآمر على الوحدة في المجلس التنفيذي، واتهم مصطفى حمدون بعد ذلك بالتحاميل على الاقطاعيين في تطبيق قانون الاصلاح الزراعي ثم ألف لجنة للتحقيق في

المخالفات القانونية التي يدعى بأنه ارتكبها، مما اضطر مصطفى حمدون بالتضامن مع عبدالغني قنوت الى رفع استقالتهما الى عبد الناصر بواسطة المشير عبد الحكيم عامر، هذا ما أخبرني به بعد أن استدعاهما جمال عبد الناصر للقاهرة بعد يومين من تقديم استقالتنا له..



بعد إرسال الاستقالة لجمال عبد الناصر استدعاني الى بيته، حيث دام الاجتماع اكثر من ساعتين مستوضحا عن أسباب الاستقالة، وهو يكظم غيظه، ويضغط على أعصابه، ويتظاهر بأنه في وضع طبيعي، فبدأت أعيد له كل ما سبق وشكوت منه منذ قيام الوحدة من أخطاء وارتكابات وانحرافات لم يعرها في الماضي أذنا صاغية. ثم استدعى على التوالي صلاح البيطار ومصطفى حمدون وعبد الغني قنوت وسألهم عن اسباب استقالتهم، ثم اعلن في الصحف نبأ استقالتنا.

لم يستوقفني جمال عبد الناصر تجاه أي من الوقائع التي ذكرتها له لأنه كان مطلعاً عليها جميعاً ولا يمكنه انكارها. ان جمال الذي كان يسجل كل مقابلاته معنا ومع غيرنا لم يذع تساجيل هذا الاجتماع كما أذاع محادثات الوحدة الثلاثية التي جرت عام 1963 بكل وسائل النشر من إذاعة وتلفزيون، ثم أمر بطبع هذه المحادثات في كتاب وزع منه مئات الألوف في أرجاء العالم العربي. وقد كشف جمال عبد الناصر في هذه المحادثات أموراً هامة لم نكن مطلعين عليها في السابق ومنها :

انه أخبر المشير انه سيرفض استقالة مصطفى حمدون وعبد الغني قنوت ولكن عندما تقدمت باستقالتي مع صلاح البيطار لم ير بدا من قبول استقالة الجميع. كما قال ان المشير عامر وعبد الحميد السراج أقنعه بأن استقالة الوزراء البعثيين كانت جماعية وبالاتفاق (وهذا مخالف للحقيقة) كما قال في تلك المحادثات مخاطباً ميشيل عفلق:

انكم طلبتم من الدكتور بشير العظمة وأحمد عبد الكريم أن يستقيلوا، وقد طلبتم عن طريق داوود عويس أن يستقيل عباس رضوان وتوفيق عبد الفتاح، وانني اعتبر هذه العمليات انسحاب من الوحدة.

وقال ايضا لميشيل عفلق :

"إن داوود عويس قد نقل للمشير عامر عن لسانك ان التفاهم مع المشير ممكن، ولكن التفاهم مع جمال عبد الناصر غير ممكن. وكان الغرض من ذلك خلق شعور معاد في الجيش ضد جمال عبد الناصر وخلق تنظيم في الجيش يرتبط بحزب البعث.(ص 58 محادثات الوحدة الثلاثية).

وهنا لا بد من هذا السؤال : من هو داوود عويس الذي ورد اسمه على لسان عبد الناصر؟ وما هي العلاقة بين موضوع استقالتنا، وبين قضية الضابط داوود عويس التي كشف عبد الناصر عن جانب منها لأول مرة في محادثات الوحدة الثلاثية؟

إن الذي اطلعت عليه من القضية التي سميت مؤامرة عويس هو ما يلي :

زارني ميشيل عفلق في القاهرة مرتين قبيل تقديم الاستقالة من الوزارة المركزية وقد احتفيت به، وكان لإهمال عبد الناصر له أثر كبير في هذا التقارب والتعاطف، وقد كنت منذ زيارته الأولى للقاهرة متفقا معه على ضرورة تقديم استقالتنا، ولم يدر بخاطري أن تكون له اتصالاته في القاهرة مع ضباط من الجيش المصري، وقد اطلعتني في زيارته الثانية على المناقشة التي جرت في الوزارة المركزية حول تحويل مجرى نهر الأردن ، فزاد اقتناعنا بضرورة الاسراع بتقديم الاستقالة التي كان الاستاذ صلاح كما ذكرت يتلكأ كثيرا في الاقدام عليها.

بعد عودة ميشيل عفلق إلى دمشق من زيارته الثانية للقاهرة أرسل إلي عبد الفتاح زلط الذي قال وهو يكاد يطير من الفرح :

إن ميشيل عفلق قد اجتمع مع الضابط داود عويس الذي هو رئيس تكتل ضباط المشير في الجيش والذي يتكلم باسمه، وان عويس قد ابلغه بأن المشير على استعداد للاتفاق مع حزب البعث للقيام بانقلاب ضد جمال عبد الناصر، وسيكتفى بعد نجاح الانقلاب باعتقاله لأن له سمعة عربية ودولية يمكن ان تستغل ضد الانقلاب فيما اذا قضى على حياته، كما أن المشير يقترح (كما قال الضابط عويس) أن تكون استقالتنا نحن البعثيين مع الوزيرين المصريين المحسوبين على المشير وهما عباس رضوان وتوفيق عبد الفتاح اللذين يجب أن نتصل بهما قبل تقديم استقالتنا.

عندما انهى عبد الفتاح تبليغ رسالة ميشيل عفلق لم أتمالك نفسي فانفجرت غاضبا وأوسعت ميشيل ما تيسر من النعوت والأوصاف وقلت لعبد الفتاح بلغ ميشيل بما يلي:

إن فعلته هذه ستمنح عبد الناصر مبررا ليقضي علينا وعلى سمعتنا وسمعة الحزب في العالم العربي، وسيظهرنا بمظهر المتآمرين على الوحدة. كما قلت لعبد الفتاح :

إن جمال عبد الناصر نفسه وراء تكليف المشير بحبك هذه المؤامرة لايقاعنا في فخها، ثم تابعت حديثي قائلا :

بلغ الاستاذ ميشيل بأني سأفتح عبد الناصر بهذا الموضوع واتهمه بوجهه بالتآمر علينا، فرجع عبد الفتاح الى سورية وهو لا يلوي على شيء. وفي اليوم الثاني اجتمعت بعبد الناصر في منزله وقلت له وأنا في غاية الانفعال:

هل بلغ كرهك لنا وحقك علينا نحن الذين بذلنا كل ما نستطيع لرفع لواء قيادتك وزعامتك على العالم العربي - حدا تتفق فيه مع المشير على تكليف الضابط عويس لحبك مؤامرة ضدنا؟

بدا عبد الناصر مدهوشا ومذعورا بعد أن أخبرته بتفاصيل ما جرى وقد جحظت عيناه وهو يقسم بأنه لا يعلم عن هذه القضية شيئا وانه سيتصل بالمشير فورا بواسطة جهاز الارسال ليستطلع

منه الحقيقة، وقد سافرت بعد ذلك الى دمشق لأعرف ماذا فعل المشير بعد مكاشفتي عبد الناصر بهذه المؤامرة، وفي اليوم الأول لوصولي، قصدت بيت ميشيل عفلق الذي كان قد استأجره في شارع ابي رمانه لاستفسر منه عما حدث ففتح لي الباب بحذر شديد وأدخلني الى غرفة قرب الباب الخارجي ثم تركني معتذرا بأن الضابط داوود عويس في الغرفة الثانية وأنه سيأتي الي بعد مغادرته المنزل، فكان وقع اجتماع عفلق مع الضابط عويس شديدا على نفسي وقلت لعفلق: إنك ستكلفنا ليس فقط إزهاق أرواحنا باتصالك بضباط المخابرات المصريين، وإنما ستلوث بذلك سمعتنا وسمعة الحزب، ولا شك أن عبد الفتاح بلغك رسالتي ورايي بما يقوم به هذا الضابط من تأمر علينا من المشير، فأجابني مصرا ومؤكدا بأنه يشك في نفسه ولا يشك بصدق وإخلاص الضابط عويس! وعندما قلت له انني عاتبت عبد الناصر عما يقوم به الضابط داوود عويس لم يتراجع عن تأكيد صدق عويس واخلاصه، وكان غريبا انه لم يظهر على وجه ميشيل عفلق اي علامة من علائم الخوف وكان يبدو وكأنه مطمئن الى العاقبة.

بعد يومين أخبرني مصطفى حمدون وعبد الغني قنوت ان عبد الحميد السراج والمشير عامر قد اتهما ميشيل عفلق في اجتماع مجلس الوزراء التنفيذي بأنه يحيك مؤامرة لفصل الوحدة، وقالا انهما استغربا واستهجننا هذا الاتهام ودافعا عن عفلق بحماسة وقالا للمشير وعبد الحميد السراج: إن الافتراء على الاستاذ ميشيل عفلق لفصل الوحدة انما هو اتهام لا يمكن أن يصدقه أحد.

**بعد اتهام المشير عامر للاستاذ ميشيل عفلق رأينا من الضروري أن نهى الاسباب لهربه عن طريق حمص - طرابلس الى بيروت، وذلك بسبب صدور القرار الجمهوري الجديد الذي يمنع سفر السوريين الى لبنان إلا بإذن من وزارة الداخلية، وقد اختبأ عفلق في لبنان، وكان يمارس فيه سرا نشاطه كأمين عام لحزب البعث العربي الاشتراكي، وهو خائف من أن تغتاله المخابرات المصرية**

**التي كان لبنان مسرحاً لها في عهد رئيس الجمهورية اللواء شهاب وسفير الجمهورية العربية المتحدة اللواء عبد الحميد غالب ، وبقي ميشيل عفلق في لبنان حتى تاريخ الانفصال في 61/9/28.**

وفي معرض حديثه عن الخلاف بين ميشيل عفلق وبين عبدالله الريماوي يشير الدكتور جمال الشاعر في مذكراته في القبس الدولي 87/8/18 الى هذا الموضوع اشارة عابرة فيقول :

"وعندما بدأ الاستاذ الريماوي في طرح وجهة نظره بين اعضاء الحزب في تلك الشعبة، كان قد ركز نشاطه على جمع المعلومات والوثائق التي تدين العاملين مع الاستاذ ميشيل عفلق بالتآمر على عبد الناصر، وقد استطاع بالفعل ان يحصل على بعض المراسلات والتقارير التي تعزز اتهاماته السحد ما، ولكن انتقادات مختلف التنظيمات لعبد الناصر لم تكن تخرج عن اطار التعبير عن خيبة الامل في حل الحزب، والممارسات السلبية لاجهزة عبد الناصر، ولم تصل كل تلك الانتقادات إلى حدود التبشير بالقضاء على الوحدة السياسية التي قامت بين مصر وسوريا".

**والآن لا بد لنا من طرح هذا التساؤل ؟**

هل كانت مؤامرة عويس محاولة انقلابية على جمال عبد الناصر أم أنها بمبادرة من المشير استهدفت القضاء على قيادات حزب البعث وعلى سمعتهم، ولا سيما أن مهمة المشير عندما عين حاكماً عاماً على سورية لم تكن إقصاء قيادات حزب البعث عن الحكم فحسب بل كانت اقتلاع جذور هذا الحزب من سورية وخارجها.

لم يكن يساورني أي شك عندما فاتحت عبد الناصر بمؤامرة عويس أن يكون المشير قد استهدف التآمر على جمال عبد الناصر، وقد اعتقدت أن مظاهر الدهشة والانزعاج التي بدت على وجه عبد الناصر عندما أخبرته بها سببها عدم اطلاعه على هذه القضية -كما قال- وأنها كانت بمبادرة من المشير عبد الحكيم عامر لينفرد بحكم سورية دون معارض، أو ان المؤامرة تمت بمعرفة عبد الناصر فكانت دهشته وانزعاجه من قبيل التمثيل...





كنت عازفا منذ قيام الوحدة عن اي فضول لمعرفة المشاكل التي تحدث بين جمال عبد الناصر وبين وزرائه ورفاقه من العسكريين، ولكن الذي بدا لي بوضوح منذ قيام الوحدة ومنذ تشكيل أول وزارة في دمشق ولا سيما عند تشكيل الوزارة المركزية ومجيئي الى القاهرة وإقامتي فيها ان جمال عبد الناصر كان يطلب مني عندما يقتنع بوجه نظري في أمر من الأمور أن أقنع المشير وأتفاهم معه عليها.

كان لدي يقين بأن المشير هو الشريك الفعلي الوحيد في الحكم لجمال عبد الناصر دون رفاقه العسكريين الآخرين، وان سبب ذلك الصداقة الخاصة بينهما التي توطدت منذ ما قبل قيام ثورة 23 يوليو تلك الصداقة التي اقتترنت بالمصاهرة، وقد حضرت في بيت المشير حفلة عقد قران ابنته الى أحد اشقاء عبد الناصر...



إن صلاح نصر رئيس المخابرات المصرية يشير إلى موضوع الضابط داوود عويس في كتابه الصادر عام 1976 في مصر تحت عنوان "عبد الناصر وتجربة الوحدة"، مع محاولته تبرئة المشير من هذه القضية، ولكن ما أثبتته البغدادي في مذكراته، والذي سنستعرض فقرات منه خلال الحديث عن وقائع الانفصال، لا يبريء المشير من الاشتراك في قضية عويس وفي انفصال سورية عن مصر، يقول صلاح نصر (ص 188) :

"كان ميشيل عفلق قد سعى لدى الرائد داوود عويس مدير مكتب وزير الحربية حينئذ المشير عامر كي يتصل بكل من الوزراء: عباس رضوان، وكمال رفعت، وتوفيق عبد الفتاح لأقناعهم بالتضامن مع وزراء البعث وتقديم استقالاتهم، ولكن داوود عويس أبلغ ذلك لكل من المشير عامر وعباس رضوان، ثم قام عباس رضوان بتبليغ المشير عامر باتصال داوود عويس به، ولقد تركت هذه المحاولة أثرا مضايقا لعبد الناصر تجاه الوزراء المصريين على الرغم أنهم لم يستجيبوا لنداء البعث".

لقد طرح موضوع الاتصال بالضابط داوود عويس في محادثات الوحدة الثلاثية عام 1963 مما أدى إلى كشف بعض التفاصيل التي لم أكن مطلعاً عليها من قبل كاتصال ميشيل عفلق بضابط آخرين، وسأذكر فيما يلي أهم الأقوال حول هذا الموضوع مما ورد في محادثات الوحدة الثلاثية في المناقشة التي جرت بين جمال عبد الناصر وميشيل عفلق والمشير عامر وصلاح البيطار ولؤي الأتاسي رئيس الدولة آنذاك :

لقد فاجأ جمال عبد الناصر ميشيل عفلق بطرح موضوع مؤامرة عويس في هذه المباحثات - عند الحديث عن استقالة البعثيين - ليدمغه بتهمة التآمر عليه وعلى الوحدة فأسقط بيد ميشيل واضطر للاعتراف شبه الكامل بها عندما قال :

"كانت أنظار العرب موجهة كلها نحو سورية ... نحو هذه الوحدة ولما توالى الأخطاء دون أن يؤخذ رأينا أو نقدنا أو تنبيهنا بعين الاعتبار فكرنا بالاستقالة لنفهم الشعب والرأي العام بصورة غير عنيقة أننا لا نتحمل المسؤولية لاننا رأينا أخطارا جدية فأثرنا هذا الأسلوب " (ص60 من مباحثات الوحدة الثلاثية) ويتابع ميشيل عفلق في الصفحة ذاتها قائلاً :

"أما قضية داوود عويس فإنني تعرفت عليه في ربيع عام 1959 هو ووحيد رمضان ووفاء حجازي" (ضباط في الجيش المصري) فسأله جمال عبد الناصر عن مكان الاجتماع بهم قائلاً :

في سويسرا؟؟ فيجب ميشيل عفلق بتلعثم وتردد : بل هنا في القاهرة، وقد قصد جمال عبد الناصر من هذا السؤال الإشارة إلى دور عاطف دانيال المقيم في سويسرا والذي يتهمه لؤي أتاسي بالعمالة في مكان آخر من مباحثات الوحدة(ص78). كما يلتمح عبد الناصر الى دور عاطف دانيال في هذه القضية في مكان آخر قائلاً :

"بعدين، بعد الانفصال جه هنا عاطف دانيال وقابل عبد الحكيم عامر **وبرغم الحاجات اللي قبل كده**، قلت له يشوفه" (ص 58 من محادثات الوحدة). ويتابع ميشيل عفلق قائلاً :

"لقد سهرت معهم سهرة واحدة وكان عندهم أفكار ... وفي المرة الثانية عندما عين المشير في سورية قال لي داوود عويس انه قدم مع المشير ليساعده ولذلك فإنه يريد أن يعرف رأيي في الأمور" وهنا يتدخل جمال عبد الناصر مستفسرا: بل بعد اكتوبر. ويتابع ميشيل عفلق اعترافاته :

"كان داوود عويس يتردد علي وكنت أنظر إليه كأخ وكنت أصارحه بأن الأمور لا تسير كما ينبغي فقال لي :

لماذا إذن يستمر الوزراء البعثيون في الحكم؟ لم لم يستقيلوا؟ وقد أحبته بأنه يوجد تفكير بالاستقالة، ولكن يعز علي جدا أن تأخذ هذه الاستقالة ما بين سوريين ومصريين لأن البعثيين سوريون وأتمنى لو تضامن معهم وزراء مصريون، بهذا المعنى اعتقدت أن المصلحة واحدة وأن المشير مرتاح أن ينقل إلي داوود عويس هذا الكلام" وقال لي أيضا داوود عويس :

"إن لنا إخوانا من الوزراء المصريين كعباس وعبد الفتاح، وكان هذا في اكتوبر .. بل في نوفمبر عام 1959، وفعلا فإنني تمنيت أن تتمثل المعارضة في شعبي الجمهورية وقد وعدني داوود عويس أن يعرفني على عباس وعلى عبد الفتاح، ولما سافرت إلى القاهرة اجتمعت مع الأخ صلاح وأكرم وأخبرتهم عن هذا الموضوع فأبدوا اعتراضهم وقالوا ان تضامن وزراء مصريين مع الوزراء البعثيين (في الاستقالة) شيء حسن ولكن قد تكون المسألة لعبة لذلك فمن الأحسن ألا نثير الشكوك، وقد دعاني داوود عويس أن أحضر حفلة عشاء عند عباس رضوان فلم أحضر ولم اتعرف على واحد من الوزراء المصريين" (ص60 محادثات الوحدة الثلاثية). ويعقب المشير على أقوال عفلق بما يلي :

"أنا لا أزال أذكر الكلام الذي نقله إلي داوود عويس على لسان الأخ ميشيل في شهر ديسمبر ... أتذكر ذلك؟ فيجيب ميشيل : في أواخر ديسمبر. ويسأل جمال عبد الناصر المشير ليتأكد من دور صلاح البيطار في هذه القضية : هل تكلمت مع الأخ صلاح أم مع ميشيل؟ فيجيب المشير :

انني تكلمت مع الأخ ميشيل وأخبرته بأن داوود عويس(2) قال .. فقلت له كذا وكذا (مع ملاحظة أن المشير لم يذكر ما قيل من أحاديث) وأن الوزراء البعثيين ينوون تقديم استقالتهم الجماعية لاجراج الحكومة، انني قلت لمشير هذا الكلام ولم أخفه عنه، وصارحته بما حصل، وقد سألت بعد ذلك (عن ميشيل) ف قيل لي إنه سافر"(ص 61).

وهكذا افتتح جمال عبد الناصر بمناسبة محادثات الوحدة الثلاثية محضر تحقيق بقضية الضابط داوود عويس مستجوبا ميشيل عفلق وصلاح البيطار والمشير عامر بأن واحد، دون أن يمس المشير بصورة مباشرة، فوقف باستجوابه عند هذا الحد عندما صرح بأن مؤامرة عويس كانت محاولة خلق شعور في الجيش ضد جمال عبد الناصر وأن التفاهم مع المشير ممكن ولكن التفاهم مع جمال عبد الناصر غير ممكن. (ص 58 محادثات الوحدة الثلاثية).

ان صلاح البيطار قد فهم ما يرمي إليه جمال عبد الناصر لذلك نجده ينفي أي دور له في موضوع عويس فيقول أنه اجتمع مرة واحدة مع المشير وان هذا الاجتماع كان بمثابة رد زيارة للمشير الذي زاره في دمشق أثناء مرضه في المستشفى، وإن الحديث تناول السراج الذي قضى سنوات في الشعبة الثانية (المخابرات) والذي لا يفهم سياسة الجماهير، ومع ذلك فهو السياسي الوحيد في المجلس التنفيذي ويقول صلاح أيضا وأنه تمنى النجاح للمشير في سورية بسبب ثقة الرئيس وشعبيته في الجيش، كما لفت نظر المشير إلى الفراغ السياسي الذي

(2) يذكر هاني الفكيكي في كتابه أوكار الهزيمة" ما يلي :

وبعد اسابيع قليلة على عودته المتفائلة إلى دمشق، زاره الضابط المصري القبطي داود عويس في دارته، واسترسل عفلق معه في الحديث عن الحزب وأهمية نشر أفكاره في مصر، معرجا على الخلافات مع عبد الناصر وعدم اشراكه قيادة البعث في صنع القرار وخطر ذلك على الوحدة. وبعد أيام جاء المشير عامر ليحتج على هذا اللقاء ويتهم عفلق بالاعداد لانقلاب عسكري في مصر وبتحريض الضابط المصريين على قيادة عبد الناصر. ويبدو ان زيارة عويس دبرت بمهارة مخابراتية لم يخل منها اختياره تبعا لمذهبه. والواقع ان المضايقات التي شرع يتعرض لها الاستاذ بعد تلك الزيارة هي التي عجلت في انتقاله الى بيروت. (ص 156).

أوجده الاتحاد القومي في سورية، ثم يقول أخيرا مبرئا نفسه وهو يقصد موضوع مؤامرة عويس :

"أنا لا أذكر اننا اجتمعنا غير هذه المرة - أي مع المشير - ولا أذكر حديثا غير هذا" (ص62 من المحادثات). وعندما يقول جمال عبد الناصر :

"بل الأكثر من هذا، كان فيه عملية الهدف منها خلق شعور في الجيش ضد جمال عبد الناصر، ثم خلق تنظيم وعمل في الجيش بحيث يرتبط بالبعث"(ص58 من المحادثات). يعلق صلاح البيطار على هذا القول :

بس يا سيادة الرئيس هي خطيرة.

بعد قراءتي لمباحثات الوحدة الثلاثية، وبعد الأحداث التي تلت الخامس من حزيران في مصر بدأت ظلال من الشكوك تراودني حول دور المشير في قضية مؤامرة عويس، فلقد أصبحت ميالا للاقتناع أن هذه القضية كانت محاولة جادة من قبل المشير للقيام بانقلاب - بالاتفاق مع حزب البعث - ضد جمال عبد الناصر، كما أصبحت شاكا بدور المشير في حركة 28 ايلول 1961 التي أدت للانفصال.

إن هزيمة حزيران كشفت طبيعة نظام عبد الناصر وكثيرا من أسراره، ولا سيما ما يتعلق منها بدور دولة المخابرات، ودور مراكز القوى. ووضع الجيش، والعلاقة ما بين عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر، ولكن الأدلة التي قطعت كل شك عندي هي محاولات المشير المتكررة للانقلاب على جمال عبد الناصر أو تهديده بها، تلك المحاولات التي تحدث عنها عبد اللطيف البغدادي في مذكراته التي نشرها في أواسط السبعينات وقد شرح فيها تفاصيل هذه المحاولات. (167-218 الجزء الثاني).

**1960 : عدت إلى سورية بعد الاستقالة بطائرة مصابة بعطل خطير - المخابرات السورية والمصرية تنشط لترويج الاشاعات بعد الاستقالة - عبد الناصر يأتي فجأة الى سورية ويهاجم الأحزاب - المتحدة تتلقى المعونات من الغرب - القضية الفلسطينية ووثائقها في سوق المزادات - معركة التوافق واستيلاء اسرائيل على الأرض الحرام مما يتيح لها متابعة العمل في تحويل مياه نهر الأردن - تشكيل الوزارة التنفيذية من جديد بعد استقالة وزراء البعث - محاولة فاشلة لإعادة تنظيم حزب البعث في سورية.**

### **العودة إلى سورية بعد الاستقالة :**

كان آخر من قابله عبد الناصر من الوزراء المستقيلين مصطفى حمدون بتاريخ 26 كانون أول 1959 ، وبانتهاء هذه المقابلات عازمت على مغادرة القاهرة في أول طائرة تسافر الى دمشق لأنني كنت خائفا في قرارة نفسي أن يحتجزني عبد الناصر في القاهرة، فغادرتها مع زوجتي وأنا لا ألوي على شيء صباح رأس السنة الجديدة لعام 1960، ومع ذلك فقد كنت قلقا منذ ركوبنا الطائرة المسافرة الى دمشق، ومن الصدف ان هذه الطائرة لم تتمكن من الهبوط في دمشق في مطار المزة، فاضطرت للرجوع على أعقابها الى بيروت بعد بقائها في الجو مدة طويلة كاد ينفذ فيها وقودها حتى أصبح بعض ركاب الطائرة بحالة هسترية وأجهشت بعض النساء بالبكاء. ولكن الطائرة وبشكل مفاجيء وغير متوقع هبطت في مطار بيروت في جو كثيف من الغيوم والضباب، وقد شاهدنا عند نزولنا من الطائرة رجال الاطفاء والاسعاف متأهبين للطوارئ، كأن حادثا مرتقبا يمكن أن يصيب طائرتنا. ثم علمنا بعد هبوطنا أن الطائرة كانت مصابة بعطل خطير في أجهزة قياس الارتفاع لذلك لم تتمكن من الهبوط في مطار

المزة المحاط بالجبال فاضطرت للبقاء في الجو فترة كبيرة لكي يخف ما تحمله من وقود.

من بيروت تابعنا سفرنا الى دمشق بالسيارة وكان برفقتنا في الطائرة وفي السيارة المحامي الصديق فؤاد جبارة. وانني اتساءل حتى الآن :

هل كان تعطل أجهزة قياس الارتفاع في الطائرة طبيعيا أم انه كان من نتيجة عملية تخريب قام بها رجال المخابرات المصرية؟ كانت الاخبار التي استقبلنا بها في دمشق ان مخابرات السراج والمخابرات المصرية تقوم - منذ تقديم استقالتنا - بنشاط محموم بالتهويز والافتراء علينا، ولكن هذه الحملة لم تصل الى مستوى النشر في صحافة الجمهورية. بل بقيت مجرد أقوال وشائعات في مصر وسورية.

وكمثال على الحملات الاعلامية لأجهزة المخابرات ان سعيد التلاوي صاحب جريدة الفيحاء أرسل برقية لعبد الناصر يهنئه فيها بقبول استقالتنا ويقول ان السماء قد جادت بالغيث بعد انحباس طويل اثر استقالتنا من الحكومة. ولكن الأمطار عادت إلى انحباسها من جديد فعمت الغمة وثار الغبار من جديد.

ولم تنشر الصحف برقية التلاوي ولكن رجال المخابرات تولوا طبعها وتوزيعها على الناس، وتتمة لهذا الاخراج المسرحي، دعا عبد الناصر شكري القوتلي -بعد قطيعة بينهما- الى القاهرة ليشارك مع الملك محمد الخامس بوضع حجر الأساس لبناء السد العالي إرضاء للحزب اليمينية السابقة من طبقة التجار ورجال الدين ورجال الأعمال.

وقد حاول عبد الحميد السراج أن يستغل بعض المناسبات للقيام بمظاهرات تأييدية لسياسة عبد الناصر الجديدة ، ولكنها جاءت هزيلة كاستغلاله مثلا تدشين جامع في قرية الضمير، عندما سار في موكب وسار معه في المقدمة أبو اليسر عابدين مفتي دمشق والشيخ أبو الخير الميداني والشيخ أحمد كفتارو، وحمل المشتركون في هذا الموكب صور عبد الناصر والمشير

عامر، وإذا كانت هذه المظاهرات التأييدية قد انتهت بدون حوادث فانها لم تكن كذلك في جامعة دمشق إذ انتهت بمقتل أحد طلاب الجامعة البعثيين وإصابة رفيق آخر له (شوقي البعاج) بجراح بيد عنصر من عناصر المخابرات ، وقد حاولت السلطة لفلفة هذا الحادث فلم تشر اليه الصحف السورية ولكنه نشر في الصحف اللبنانية بالصورة التي تريدها أجهزة الاعلام في دمشق وقد ورد في جريدة الحياة بالصيغة التالية:

"ورد اليوم نبأ من دمشق يقول أن الطلاب البعثيين وخصومهم قد تشاجروا في الجامعة السورية وقد اطلق (طالب) النار من مسدسه فقتل طالبا وجرح آخر، وتؤكد الانباء الواردة ان الحال في الشام هادئة ولم تقع اضطرابات كما زعمت بعض المصادر ، ولكنه جرت وما تزال تجري مظاهرات لتأييد تدابير الرئيس عبد الناصر الأخيرة... ولم يبدر حتى الآن في الدوائر البعثية أي دليل على انتهاج مسلك سلبي بعد استقالة الوزراء، ومنهم من يعد هذه التدابير ضرورة فرضتها مقتضيات السياسة العربية والدولية في المرحلة الحاضرة" (الحياة اللبنانية 1960/1/3).

هذا ما استقبلنا به رجال المخابرات في دمشق منذ الأيام الأولى لوصولنا إليها. أما ما جرى في القاهرة فقد أخبرنا به الوزراء السوريون الذين استقالوا فيما بعد فقالوا لي:

إن الرئيس عبد الناصر عقد بتاريخ 1960/1/1 اجتماعا في قصر القبة للوزراء المركزيين من سوريين ومصريين وللوزراء التنفيذيين في الاقليم الجنوبي، وقد افتتح عبد الناصر هذا الاجتماع بانفعال شديد فعلى اسباب استقالتنا بأنها كانت بغرض فرض قيادة حزب البعث رأبها عليه، وانه لا يمكن أن يرضخ لمثل هذه الأساليب، ولا يقبل مشاركة أحد في المسؤوليات والحقوق التي خوله إياها الشعب عند الاستفتاء على الدستور والرئاسة، وانه لا يمكن أن يقبل تدخل أحد في غير الاختصاص الذي حدد له، وانه لا يهتم باستقالة الحزبيين لأن الشعب الى جانبه، وانه لن يتعرض لهم ما داموا ضمن الحدود التي لا تضر بسياسته.. اما اذا حاولوا تجاوز هذه الحدود فإن منعهم عند حدهم لا يكلفه سوى



الوقوف على المنبر لبضع دقائق وفضحهم امام الشعب ليقوم الشعب نفسه بتأديبهم .. ثم قال :

إن دوافع الاستقالة لم تكن ذات علاقة بالمصلحة العامة وانما هي بدوافع حزبية. ثم ذكر ان ميشيل عفلق اقترح عليه تشكيل لجنة عليا يشترك فيها الحوراني وعفلق والبيطار لتوجيه ورسم سياسة الجمهورية العربية المتحدة والوحدة، وانه لا يمكن أن يعتبرهم ممثلين للشعب السوري وحدهم، واتهمهم بمحاولة اثاره بعض ضباط الثورة ضده، وانهم اتصلوا فعلا بالسيد توفيق عبد الفتاح وزير العمل والشؤون الاجتماعية وسامومه على ذلك، واختتم حديثه :

ليكن معلوما لدى الجميع بأنه لا يمكن تغيير اسلوبه في العمل ولا يسمح لأحد بالتجاوز على الحدود التي رسمت له، ومن لا يعجبه العمل على هذا الأساس فليستقل (أضواء على تجربة الوحدة ص 264-165).

ولا بد لي هنا من القول بأنه لم يكن لي أي علم بهذه اللجنة التي اقترحها ميشيل عفلق ، واقترح ان تكون سرية لتوجيه سياسة الجمهورية.

وللمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع يرجع الى كتاب مباحثات الوحدة الثلاثية (ص 73).



سافر عبد الناصر الى اللاذقية بشكل مفاجيء قبل حلول موعد الذكرى الثانية لقيام الوحدة فتجول في المحافظات الشمالية ولم يتعرض في خطابه لحزب البعث ، ولكنه بدأ بعد الاحتفال بعيد الوحدة بمهاجمة الحزب بشكل مكشوف عند زيارته للمحافظات الجنوبية ولا سيما في خطابه في مدينة السويداء في جبل العرب عندما قال :

"لقد انتهى عهد المناورات السياسية، والوحدة كانت ثورة من الشعب على الاحزاب السياسية ، لان الشعب حين نادى

بالوحدة انما نادى بالغاء الحزبية ، وكان يعبر عن ثورته ليتخلص من الحزبية واحقادها وانتهازيتها واتصالها بالاجنبي، وليتخلص من الحزبية التي تعمل على الحصول على السلطان والنفوذ بكل وسيلة من الوسائل".

وبلغت حملته أوجها في اجتماع عقد في دمشق بتاريخ 60/3/6 حشدت فيه المخابرات القوتلي وجماعة الاحزاب اليمينية كحزب الشعب والوطني والاخوان المسلمين ورجال الاعمال والتجار، فكان مظاهرة اعلن فيها عبد الناصر حربا شعواء ضد حزب البعث عندما قال :

"لقد كانت الحزبية والفردية (هكذا) هي سبيل الكراهية والبغضاء وكانت سبيل التعطيل لكل الاهداف" "لقد كانت هنالك دعوات لعدم اقامة الاتحاد القومي. وكان السبب لهذه المحاولات هو ان تستمر الحزبية في عملها بعد أن قرروا حل الحزبية وحل أنفسهم. انهم رأوا في الاتحاد القومي الطوفان الذي سيقضي على الفردية والانتهازية، فهبوا وقد تملكهم الذعر على أنفسهم، ولم يكن هنالك سبيل إلا أن يتحكم الذعر في أطماعهم وعلى ما يعتمل في نفوسهم وقلوبهم وبدأت أقاويلهم :

عشرة آلاف جاسوس ، عشرة آلاف خائن .. كلام لا يمكن لأي فرد أن يقبله، ولكنه كلام يعبر عن الحقد والكراهية، كلام يعبر عما يعتمل في نفوس هؤلاء الذين يريدون أن يغتصبوا هذه الأمة اغتصاباً".

وقد أثار هذا المقطع الأخير من خطابه هياجا هستيريا من الابتهاج عم المحتشدين.

كان جمال يشير في هذا المقطع الى ما نهته إليه سابقا عند تأليف الوزارة المركزية من أن عددا كبيرا من عملاء حلف بغداد وبريطانيا واميركا قد تسربوا الى المخابرات المصرية والسورية ، وتظاهروا بأنهم من أنصار الوحدة ليتمكنوا من الدس والايقاع. فكان جواب عبد الناصر على ملاحظتي فاترا عندما أجاب:

وماذا يمكنني أن أفعل ؟

وقد سبق لنا في هذه المذكرات ان ذكرنا ان سورية كانت مسرحا للصراع على النفوذ بين بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة والبيوتات العربية المالكة ولا سيما من دول النفط التي بذلت أموالا طائلة في كسب العملاء والمؤيدين لسياساتها.

لقد استغل عبد الناصر تنبهي له حول هذا الموضوع في ذلك الاجتماع الحاشد ليعيد الاعتبار إلى هذه الفئات التي فقدت اعتبارها قبل الوحدة ، وكان تهجم عبد الناصر علينا مفاجئا لنا لأننا لم نتعرض لسياسته بكلمة بعد استقالتنا التي لم يمض عليها سوى شهر واحد، فما هو السبب الحقيقي لهذه الحملة؟

لم يكن السبب خافيا علينا، ففي تاريخ 60/3/26 نشرت وكالة أنباء الشرق الأوسط الرسمية ان ناطقا باسم السفارة الاميركية في القاهرة أعلن :

"ان الولايات المتحدة ستقدم للجمهورية العربية المتحدة قروضا وأجهزة بـ 47 مليون دولار وان هذه القروض ستوقع اليوم (26 آذار) بعد أن تم اعدادها في محادثات خاصة في المدة الأخيرة".

كما أن الرئيس ازنهور قد تحدث بتاريخ 16-1-60 في تقريره النصف سنوي الذي قدمه للكونغرس بشأن المساعدات الخارجية الممنوحة لدول الشرق الأدنى فقال :

"إن العلاقات قد تحسنت والثقة المتبادلة قد ازدادت بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة".

أما جريدة الحياة اللبنانية فقد عرضت الموضوع بشكله الصريح عندما كتبت:

"إن العلاقات بين امريكا والمتحدة قد تحسنت تحسنا ملموسا لا يمكن أن يطغى عليه اتفاق عبد الناصر وخورشوف بشأن تمويل مراحل انشاء السد العالي الأخرى، وأبرز ظاهرة هي اعطاء البنك الدولي الذي تسيطر عليه امريكا وتملك أكثر أسهمه قرضا بستة وخمسين مليون دولار لتعميق قناة السويس، وهناك دليل آخر هو

قبول الاقليم السوري المساعدات الاميركية لتمويل المشاريع الانشائية الصناعية - بعد أن كانت دمشق تنحفظ تجاه المساعدات الاميركية ، حتى انه في عهد البعثيين وعهد حكومة خالد العظم كان المسؤولون السوريون يرفضون المساعدة الاميركية، وقد اعتبر الكثيرون موقف الرئيس الاميركي من المتحدة نتيجة لاقصاء الرئيس عبد الناصر عن الحكم العناصر البعثية التي كانت تعمل على أساس التباعد بين القاهرة وواشنطن" (جريدة الحياة 22-1-1960).

ولم ينس عبد الناصر أن يعلن بأنه منح سورية جزءا من هذه المساعدات. ففي تاريخ 15-3-1960 أذاع راديو دمشق حديثا للدكتور عبد المنعم القيسوني وزير الخزانة والاقتصاد المركزي ما يلي :

"إن الرئيس جمال عبد الناصر طلب أن يشترك الاقليم الجنوبي بمبلغ 36 مليون ليرة سورية بمشروعات انتاجية في الاقليم الشمالي، ويعتبر ذلك ترجمة فعلية للوحدة السياسية والاقتصادية بين الاقليمين".

وفي الوقت الذي كانت فيه المانيا الغربية تقدم التعويضات لاسرائيل كانت المفاوضات تجري بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة لتقديم بعض القروض، وقد نبهت الهيئة العربية العليا لفلسطين في بيان أذاعته ان التعويضات الألمانية لاسرائيل تشكل عاملا رئيسيا في تدعيم الكيان الاسرائيلي .

ودعت لمعالجة هذا الموضوع الخطير العظيم الاهمية بجد وحزم وعناية لدفع كارثة التعويضات الالمانية عن الوطن العربي الكبير، وقد نصت هذه المذكرة على بعض ما قدمته المانيا الغربية لاسرائيل من أموال حتى ذلك التاريخ وهي كما يلي:

"14 مليار مارك حصل عليها اليهود من المانيا الغربية تعويضا عن خسائرهم مدة غيابهم عن المانيا، 3 مليارات حصلت عليها اسرائيل بموجب اتفاق التعويضات المبرم في 5/9/1952 ، 500 مليون مارك حصل عليها المؤتمر اليهودي العالمي والمجلس

اليهودي المركزي في المانيا بموجب اتفاق التعويضات الآنف الذكر  
26 مليار سيحصل عليها اليهود تعويضات فردية من المانيا".

بعد مضي أكثر من سنتين على قراءتي هذه المذكرة  
ترجم لي أحد الشباب الدارسين في المانيا الغربية بعض  
المقاطع من كتاب يستعرض فيه المؤلف تاريخ العلاقات  
الالمانية المصرية جاء فيه : ان المانيا الغربية قد اتفقت مع  
مصر على تقديم بعض القروض لقاء سكوتها عن  
التعويضات التي تدفعها لاسرائيل وبذلك تفادت حملة  
الدول العربية ومقاطعتها اقتصاديا..



بتاريخ 20-2-1960 نشرت جريدة الحياة هذا الخبر تحت  
عنوان : وثيقة استلام فلسطين معروضة للبيع .. هل من عربي  
يهتم بشرائها ؟ وفيما يلي نص الخبر:

"وصلت الى نيويورك في هذا الاسبوع وثيقة من أعرب  
الوثائق في التاريخ لكي تباع في المزاد العلني بتاريخ 2-3-1960.

هذه الوثيقة تمت بصلة وثقى الى مأساة العرب في  
فلسطين ، ففي سنة 1920 أوفدت الحكومة البريطانية الى  
فلسطين السياسي اليهودي هربرت صموئيل مندوبا ساميا كأول  
حاكم مدني في الأرض المقدسة بعد الحرب العالمية الأولى. وحتى  
ذلك الحين كانت فلسطين منذ احتلال الانكليز لها خاضعة للحكم  
العسكري البريطاني بقيادة الجنرال لويس بولز ، ولما جاء هربرت  
صموئيل ليتسلم صلاحياته من الجنرال بولز قال له هذا :

اعطني وصلا باستلام فلسطين .

ونترك الكلام هنا للسير هربرت صموئيل في مذكراته يصف تلك  
المقابلة فيقول:

قلت للجنرال بولز : تريد وصلا بماذا؟

فأجاب : باستلام فلسطين مني .

قلت له :

ولكن لا أستطيع ذلك ولا بد أنك لست جادا، ولكن بسبب الحاح الجنرال تناول هربت صموئيل ورقة رسمية من أوراق الجيش البريطاني تحمل عنوان المقر الأعلى لإدارة أراضي العدو المحتلة في الجنوب - القدس - ثم كتب عليها ما يلي:

في 30-6-1920 استلمت من الميجر جنرال السير لويس بولز فلسطين وحدة كاملة:

اي - او - اي

وترمز هذه الاحرف الى عبارة شائعة باللغة الانكليزية معناها: ما عدا السهو والغلط، وقد احتفظ الجنرال بهذه الوثيقة بين أوراقه الشخصية وبعد موته قرر ابنه الجنرال اريك بولز بيع أوراقه فأرسلها الى شركة باركت- بارنت الاميركية في شارع ماديسون رقم 980 لكي تباع بالمزاد العلني".

وقد تمت الجريدة في آخر الخبر على الجامعة العربية أو احدى الحكومات العربية أو أحد شيوخ البترول شراء هذه الوثيقة للتاريخ حتى لا تؤول لليهود في نيويورك ..

**معركة التوافيق - استيلاء اسرائيل على الأرض الحرام بتاريخ 25 كانون أول 1959**

أعلن ناطق عسكري رسمي باسم الجيش الأول ان كميناً يهودياً أطلق النار على المزارعين والرعاة فردوا على النار بالمثل ، وان الدبابات الاسرائيلية دخلت قرية التوافيق وأطلقت النار على الاهلين، وقد تم ذلك أمام المراقبين الدوليين، ثم جرت اتصالات لايقاف النار بعد مرور 20 دقيقة.

وقال الناطق ايضا : ان الحالة على الحدود قد هدأت وان قيادة الجيش الأول قد اتخذت كل التدابير للرد بعنف على كل اعتداء جديد.

ولكن الحقيقة أن قرية التوافيق العربية قد أصبحت أثراً بعد عين بعد أن هاجمها الجيش الاسرائيلي وجعل عاليها سافلها

وقضى على كثير من فلاحيتها، أما من بقي حيا فقد هجرها هاربا الى داخل الحدود السورية، وغني عن البيان بأن الناطق العسكري الرسمي للجيش السوري يعترف بأنه طلب وقف اطلاق النار بعد مرور 20 دقيقة فأصبحت الحالة هادئة ولكنه يهدد ويتوعد بالرد بعنف على أي هجوم جديد.

وقد نشرت قيادة الجيش السوري بعد الانفصال صورة للآمر الذي أصدره المشير عبد الحكيم عامر بانسحاب الجيش السوري من المعركة بعد استيلاء الجيش الاسرائيلي على منطقة التوافيق في الأرض الحرام، فما هي أهمية قرية التوافيق؟

**إن هذه القرية واقعة بالقرب من بحيرة طبريا، وقد كان هدف الهجوم عليها وتهديم بيوتها وتهجير اهلها من قبل الجيش الاسرائيلي الاستيلاء على الأرض الحرام لتنفيذ تحويل مجرى نهر الأردن، وقد كتبت جريدة الايكونويست في أحد أعدادها الصادرة في شهر شباط اثر الهجوم على قرية التوافيق :**

**لقد اصبحت مطالبة اسرائيل بهذه المناطق (الارض الحرام) حيوية للغاية، نظرا لما لهذه المناطق من أثر في تحويل مجرى نهر الأردن، ذلك لأنه عندما يكتمل المشروع ستكون المنطقة المجردة من السلاح الى الجنوب من بحيرة الحولة الرابطة بين شبكة أنابيب المياه ونهر الأردن".**

تقدم رفيق العشى رئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة في هيئة الامم الى رئيس مجلس الأمن بمذكرة طلب توزيعها على اعضاء المجلس جاء فيها :

- لقد انتهكت اسرائيل حرمة اتفاق الهدنة العامة بارتكابها عدوانا مسلحا على قرية عربية في المنطقة المجردة من السلاح.

- أكدت لجنة الهدنة المشتركة وجود قوات اسرائيلية في المنطقة المجردة من السلاح، وطالبت المذكرة بسحب هذه القوات فورا.

وكانت لجنة الهدنة المشتركة التي قاطعها الجانب الاسرائيلي قد أصدرت قرارا قبل ذلك بادانة اسرائيل باعتدائها على المنطقة المجردة من السلاح وتحريك قواتها بصورة مخالفة لاتفاقية الهدنة.

أما أجهزة الاعلام في الجمهورية العربية المتحدة فقد كتبت بعناوين بارزة بأن المتحدة عبأت قواتها وأنها شرعت بإرسالها الى الجبهة على عجل. وان تدابير عسكرية شاملة اتخذت امام تحرشات العدو، وقد اعلن بتاريخ 60/2/21 مصدر رسمي بأن أجهزة الرادار في المتحدة تعمل باستمرار، ليل نهار، وهي تغطي سماء الجمهورية العربية المتحدة وفلسطين، وان المقاتلات العربية استعدت لمواجهة طائرات العدو بأقل من ثانية، وان قاذفات القنابل العربية يمكنها ضرب أي هدف في غضون دقائق من صدور الأوامر، وان دوريات البحرية العربية لا تتوقف عن العمل، وان المدمرات العربية استعدت لضرب العدو في الموعد المعين، وختم المصدر الرسمي تصريحه قائلا :

ان قوات الاقليم الشمالي لم تعد مجرد قوة مدافعة بل غدت أكبر قوة مهاجمة في المنطقة. فكان رد العدو على هذه التهديدات الفارغة أن أرسل طائراته لتحلق فوق قطاع غزة . وفي تاريخ 27 شباط 1960 كشف همرشولد عن نوعية هذه التهديدات فقال :

"لا داعي لانعقاد مجلس الأمن وان الولايات المتحدة تدعو العرب واسرائيل الى هدوء الأعصاب".

وهكذا أسدل الستار على إبادة قرية التوافيق وتهجير أهلها واستيلاء اسرائيل على ارضها الحرام لتنفيذ عملية تحويل مجرى نهر الأردن لإرواء النقب واستقبال المزيد من المهاجرين.

في الوقت الذي كانت فيه اسرائيل ناشطة في انجاز مشروع تحويل نهر الأردن، وفي الوقت الذي قامت فيه بالاستيلاء على الأرض الحرام، كانت الخلافات العربية بالغة ذروتها بين العراق والمتحدة وبين العراق والأردن وبين الأردن والمتحدة وبين المتحدة



وتونس الخ .. وقد كان اقتسام ما بقي من فلسطين أحد الأسباب في خلافات بعض الدول العربية.

بينما كان عبد الكريم قاسم يؤكد على ضرورة فصل الضفة الغربية عن الأردن، وانشاء دولة فلسطينية يحكمها أهلها وتساعدوا الدول العربية، وقد صرح بتاريخ 60/1/9 قائلا :

ان الوقت يسير ضد مصالح الأمة العربية وان هذا الظرف أنسب الظروف لاقامة جمهورية فلسطينية، وكشف النقاب عن مذكرة الهيئة العربية العليا التي أرسلت إليه والتي تطلب وضع الأسس لجمهورية فلسطينية.

وقد سئل الحاج أمين الحسيني عن هذه المذكرة فأكد ذلك، ولكن دعوة عبد الكريم قاسم إلى انشاء جمهورية فلسطينية لقيت معارضة شديدة من حكومة الجمهورية العربية المتحدة ومن حكومة الأردن بسبب ضم قطاعي غزة والضفة الى كل من مصر والأردن، مما أدى الى تأجيل اجتماع الجامعة العربية لبحث موضوع تحويل اسرائيل لنهر الاردن عدة مرات.

وأخيرا اجتمع مجلس الجامعة العربية في شباط 1960 مع مقاطعة العراق وتونس، وفي تاريخ 60/3/1 أذاعت وكالة أنباء الشرق الأوسط القاهرية ما يلي:

"عقد مجلس الجامعة قبل ظهر اليوم اجتماعا أنجز فيه اجتماعات الدورة باتخاذ سلسلة قرارات تتعلق بقضية فلسطين والجزائر ، وقد قرر بشأن فلسطين منع تحويل مجرى نهر الأردن، ولم يتخذ قرار بشأن الكيان الفلسطيني. أما بصدد الجزائر فقد قرر مساعدة الجزائريين في حق تقرير المصير واستنكار التصرفات الفرنسية غير الانسانية في الجزائر، كما استنكر تفجير القنبلة الذرية الفرنسية في الصحراء الجزائرية" هذا ما قرره الجامعة العربية وكفى الله المؤمنين القتال.

ومما هو جدير بالملاحظة أن أقصى المطالب العربية اصبحت فيما بعد قيام الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة ولكن اسرائيل ترفض ذلك وتعمل بنشاط على التهويد

وإقامة المتسعمرات باعتبار ان الضفة والقطاع هما من أراضي اسرائيل التوراتية، ولكن دعوة عبد الكريم قاسم لانشاء الجمهورية الفلسطينية كان لها صدى عميق عند الشعب الفلسطيني فأصبحت دعوته التي لم يكتب لها النجاح آنذ السبب - فيما بعد - لقبول الدول العربية اقتراح أحمد الشقيري وجمال عبد الناصر في مؤتمر القمة عام 1964 انشاء منظمة التحرير الفلسطينية هيكلًا خاويًا لا حول لها ولا طول ولا أرض، ودمية يتلهى بها الشعب الفلسطيني.

لكن الثورة الفلسطينية ملأت بعد هزيمة الخامس من حزيران عام 1967 فراغ هذه المنظمة وخواءها بتأييد شعبي فلسطيني وعربي واعتراف عربي ودولي، فانقلبت الى منظمة ثورية خلافا لما قدر لها أن تكون.



## **عودة عبد الناصر الى القاهرة، وملء المراكز الشاغرة في المجلس التنفيذي السوري.**

عاد عبد الناصر الى القاهرة بعد مكوثه شهرا في سورية متجولا في محافظاتها دون أن يرافقه أحد من القادة السوريين، وكانت حملاته الخطابية - التي ذكرت مقاطع منها - في المحافظات السورية تزداد عنفا على الوزراء المستقلين بشكل خاص والحزبية بشكل عام.

كان عبد الناصر يتوهم فعلا - على ما يبدو - كما قال في جلسة مجلس الوزراء المركزي الذي عقده بعد استقالتنا ان القضاء على الوزراء المستقلين لا يكلفه سوى خطاب يوجهه للشعب ولا يستغرق سوى بضعة دقائق، ولكن الشعب العربي في سورية تلقى بيروود هذه الحملة الخطابية التي أراد لها عبد الناصر أن تكون استفتاء على سياسته الجديدة، بالرغم من الحشود الضخمة التي جمعت لاستقباله في كل المحافظات التي زارها.

ومع الأسف الشديد، فإن جمال عبد الناصر دق بحملاته الهوجاء علينا دون مبرر، اعتمادا على الرجعية السورية، المسمار الأول في نعش الوحدة، كما دق المسمار الثاني في نعشها عند ملئه المراكز الشاغرة للمجلس التنفيذي السوري في نهاية زيارته لسورية فقد أصدر بتاريخ 18-3-1960 قرارا جمهوريا عين فيه:

- الدكتور عزة طرابلسي وزيرا للاقتصاد (وكان أمين عام وزارة الاقتصاد ومن الموثوقين من شكري القوتلي والتجار ورجال الاعمال والاقتصاديين عموما).

- العقيد احمد حنيدي وزيرا للاصلاح الزراعي (وكان مديرا لمكتب المشير العسكري وهو من رفاق احمد عبد الكريم وأمين النفوري).

- العقيد اكرم ديري وزيرا للعمل والشؤون الاجتماعية (وكان مديرا للعمليات العسكرية والتدريب والتنظيم في الجيش الأول السوري، كما كان من أنصار الشهيد عدنان مالكي ثم أصبح بعد الوحدة قريبا من المشير عامر وهو من الضباط الأكفاء عسكريا وأخلاقيا).

- العقيد جادو عز الدين وزير دولة لشؤون رئاسة الجمهورية (وكان قائدا للجبهة في المنطقة الجنوبية - وهو من رفاق أحمد عبد الكريم وأمين النفوري وقد أصبح بعد الوحدة مقربا من المشير عبد الحكيم عامر).

- العقيد جمال الصوفي وزيرا للتموين (وكان قائدا للمنطقة الساحلية وكان يعتبر نفسه بعثيا، ثم أصبح بعد الوحدة من أنصار المشير عبد الحكيم عامر).

- ثابت العريس وزيرا للارشاد القومي (وكان سفيرا لسورية في يوغسلافيا وكان موثوقا من اليوغوسلاف ومن عبد الناصر وهو قريب من الحزب الوطني في حلب).

لقد لاحظ أحمد عبد الكريم في كتابه أضواء على تجربة الوحدة (ص 289-291) ان ابرز ما في هذا التشكيل الوزاري هو :

- 1- اختيار أحمد حنيدي والعقيد جادو عز الدين باعتبارهما أقرب الناس له ولأمين النفوري، مما يضعه هو وأمين في موقف حرج في حالة الاستقالة من الوزارة المركزية، وكانت التفرقة هي الهدف من هذا التعيين الذي جاء متوجهاً للمؤامرات والمحاولات الكثيرة السابقة التي كانت تحاك للايقاع والتي نجح بعضها إلى حد بعيد.
  - 2- اخراج العناصر القوية من الجيش تمهيدا لتحويل الجيش إلى مؤسسة مرتزقة طيبة.
  - 3- اختيار العقيد جمال الصوفي باعتباره بعثيا سابقا كان ينطوي على معنى تكريس الانشقاق بين البعثيين بصورة خاصة.
  - 4- ان اختيار العسكريين والموظفين الفنيين لملء المراكز الشاغرة يعني ابتعاد الرئيس عن التعاون مع العناصر السياسية التي لها رأي سياسي أو لها قواعد شعبية بالإضافة إلى إبعاد الرؤوس الكبيرة عن الجيش.
  - 5- عدم ملء المراكز الشاغرة في الوزارة المركزية مما أعطي انطبعا عاما بعدم اهتمام عبد الناصر بالرأي العام السوري أو العربي لأن ذلك يجسم عدم التكافؤ بين الاقليمين.
  - 6- أصبح عبد الحميد السراج نتيجة هذا التشكيل أبرز شخصية من الوزراء في المجلس التنفيذي السوري مما يعتبر تمهيدا لاستلامه رئاسة هذا المجلس أو تعيينه نائبا لرئيس الجمهورية".
- ان جميع هذه الاخطاء التي أوردتها أحمد عبد الكريم هي حقيقية وواقعية. ولكن أخطر ما في الأمر هو ملء المراكز الوزارية بهؤلاء الضباط وإقصاؤهم عن مواقعهم في قيادة الجيش، مما هبأ للضابط عبد الكريم النحلاوي - فيما بعد- النجاح في انقلابه بتاريخ 1961/9/28 الذي أدى إلى انفصام الوحدة السورية المصرية، ولم يكن بقاء هؤلاء الضباط الأقوياء في قيادة الجيش بعد أن سلمهم المشير عامر المراكز الهامة بعد الوحدة ل يتيح لعبد الكريم النحلاوي القيام بانقلاب عسكري.

لم يكن لعبد الكريم النحلاوي المعروف بميوله الاخوانية شأن كبير بين ضباط الجيش إلا بعد تعيينه من قبل المشير عامر أمينا لسره ومديرا لمكتبه بدلا من أحمد حنيدي الذي أصبح وزيرا، فقد أوكل إليه المشير عبد الحكيم عامر شؤون الجيش. ومن المدهش ألا يدرك عبد الناصر - بالنسبة لمصلحته - ان قيمة هؤلاء الضباط الذين اصطنعهم وزراء هي بقاؤهم في الجيش، وهو لا يجهل بأنه ليس لهم أي قيمة سياسية أو خبرة فنية أو كفاءة علمية أو إدارية يستفيد منها النظام. ولا شك عندي أن شطب هؤلاء الضباط من الجيش وتعيينهم وزراء كان بدافع من المشير عبد الحكيم عامر،

### **محاولة إعادة تنظيم حزب البعث في سورية.**

بعد استقالتي، وخلال فترة السنتين الواقعة بين أول عام 1960 وأواخر عام 1961 عندما حدث الانفصال. لم أقم بأي نشاط سياسي سوى حضور الاجتماع السري في منزل عبد الغني قنوت مع بعض كوادر حزب البعث المنحل في محاولة لاعادة تنظيم الحزب من جديد في سورية.

لقد كان المشجع لعقد هذا الاجتماع رسائل ميشيل عفلق لي ولصلاح البيطار التي كانت تترى من لبنان، والتي يحثنا فيها على إعادة تنظيم الحزب في سورية لأنه كان يرى في ذلك ما يثبت مركزه في الأمانة العامة لحزب البعث العربي الاشتراكي في الاقطار العربية تجاه محاولات أجهزة المخابرات المصرية لشق الحزب، ومحاولات الناصريين-البعثيين لاقصائه عن الأمانة العامة وتنصيب عبدالله الريماوي بدلا عنه. وفيما يلي : بعض أسماء من حضر هذا الاجتماع و خلاصة ما جرى فيه من مناقشات :

لم يكن عدد الحاضرين كبيرا للمحافظة على سرية الاجتماع، وأظن أن عددهم لم يكن يتجاوز الخمسة عشر عضوا أذكر منهم صلاح البيطار ، منصور الاطرش، حمود الشوفي، خالد الجندي، عبد الغني قنوت، مصطفى حمدون، عبد الفتاح الزلط، خليل كلاس، حافظ الجمالي، واحد شباب الحزب من حوران. كما

حضر فايز الجاسم مندوبا عن جماعة دير الزور الذين أطلق عليهم بعد انقلاب الثامن من آذار اسم البعثيين القطريين وأصبحوا من أنصار صلاح جديد، وشكلوا مع الدكتور ابراهيم ماخوس، ونور الدين الاتاسي ومصلح السالم ومحمد العشراوي وسليمان الخش والضابط عبد الكريم الجندي وغيرهم اركان الحكم اثر انقلاب 23 شباط عام 1966.

لقد دعا صلاح البيطار لهذا الاجتماع منصور الاطرش وخالد الحكيم وحمود الشوفي وهم كما اعتقد من تنظيم سري خاص به، شرع بتشكيله منذ أن كان في القاهرة وقبل استقالته من الوزارة المركزية.

اجمع الحاضرون في ذلك الاجتماع على تعداد أخطاء وانحرافات تجربة الوحدة، التي افرغتها أجهزة مخابرات عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر من مضمونها الديموقراطي، فأصبحت هذه الأجهزة بديلا عن القاعدة الشعبية المنظمة التي تحمي الوحدة من أعدائها، وهذا ما يبرر ضرورة إعادة تنظيم الحزب من جديد، ولا سيما بعد أن أقصى المشير عامر معظم الضباط البعثيين من الجيش سواء بالتسريح أو بالنقل الى مصر أو الى وظائف مدنية أخرى، مما جعل مصير الوحدة تحت رحمة كتلة الضباط الشوام في الجيش.

لقد أخبرنا عبد الغني قنوت في بداية هذا لاجتماع بأن الضباط البعثيين في جهاز مخابرات عبد الحميد السراج حذروه من انقلاب يمكن أن تقوم به كتلة الضباط الشوام لتحكم سورية، وكانت الطبقة البورجوازية والتجارية في سورية تعتقد أن الوحدة ستخدم مصالحها وستفتح أمامها المجال واسعا لنشاطها الاقتصادي، ولكنها أصبحت تشعر بعد قيام الوحدة بالحيف والضرر الذي لحق بها من جراء تبعية الاقتصاد السوري للاقتصاد المصري، ومن جراء البيروقراطية والمركزية الشديدة لنظام الوحدة مما يضطر معه أصحاب المصالح من السوريين أن يسافروا الى القاهرة لحل أبسط قضاياهم ومشاكلهم، **وأذكر أن الطائرة التي كنت سأسافر فيها من القاهرة الى دمشق قد تأخرت ذات مرة**

بسبب استيقافي من قبل تاجر سوري للملابس الداخلية ، له متجر على طريق الصالحية بدمشق وأظن أن اسمه القاري. كان التاجر بيده أوراق كثيرة، وكان يكلمني وهو يكاد ينفجر من الغيظ بسبب حاجته للسفر الى القاهرة لاجراء معاملات، وهكذا دارت النكات التي تعبر عن هذا الوضع على السنة السوريين ، ومنها أن أحدهم سأل عن عاصمة الاقليم الجنوبي فقيل له القاهرة ولما سأل عن عاصمة الاقليم الشمالي قيل له المقهورة.

ولما عين جمال عبد الناصر المشير عبد الحكيم عامر حاكما على سورية متمتعا بكل سلطات رئيس الجمهورية بالاضافة الى كونه قائدا للجيش ، أصبح السوريون يتحدثون عن هذا التعيين بمرارة واستهزاء، ويقارنون بتعيين سلاطين آل عثمان الولاة على دمشق. وكان هؤلاء الولاة يتخذون من البناء الذي يطلق عليه في دمشق اسم (المشيرية) مقرا ومركزا لهم، وهو البناء الذي كان قائما مكان القصر العدلي حاليا.



استغرقت المناقشات في بيت عبد الغني قنوت ساعات كثيرة حول قائمة طويلة من الأسئلة وضعها صلاح البيطار، وجعل اتفاقنا عليها شرطا لاعادة تنظيم الحزب من جديد، ولم يكن عسيرا على الحاضرين أن يتفقوا على كثير منها، ولكن النقاش طال وتشعب حول البحث في تطبيق شعار الوحدة والحرية والاشتراكية.

لقد توقف الحاضرون طويلا عند تطبيق النظام الديموقراطي في سورية، وكان بعضهم يرى أن الديموقراطية تفتح على سورية ثغرات التآمر من قبل الأنظمة العربية المجاورة والدول الاجنبية في حالة قيام نظام وطني ديموقراطي وكان لبنان برأيهم أخطر طريق للتآمر على سورية.

كانت هذه المخاوف حجة الرافضين لاتخاذ الديموقراطية أساسا لنظام الحكم باعتبار أن سورية كانت منذ فجر الاستقلال

وحتى قيام الوحدة هدفا لكثير من المؤامرات العربية والاجنبية لادخالها في مناطق النفوذ وهو الأمر الذي مر سابقا بالتفصيل، وبالمقابل، كان هنالك نقيض هذه القناعة عند بعض المجتمعين الذين كانوا يرون أن الديمقراطية هي خشبة الخلاص متأثرين بوطاة المخابرات المصرية والسورية التي لا تطاق.

لقد قال خالد الجندي في هذا الاجتماع :

انني أفضل نظاما ديمقراطيا ولو كان اقطاعيا أو بورجوازيا على نظام اشتراكي يقمع الحريات العامة والخاصة للمواطنين كما يجري الآن في ظل الوحدة، **ولكن خالد الجندي بعد انقلاب الثامن من آذار عندما عين رئيسا لنقابات العمال، قام مع عدد من رفاقه، بالهجوم على بعض الموظفين، لانهم من البورجوازيين، فطردوهم من وراء مكاتبهم، مستعملين في ضربهم السلاسل الحديدية.**

وهنالك مثل آخر على الانتهازية والضياع العقائدي عند بعض البعثيين، بحيث ان البعث لم يكن عندهم سوى رفع بعض الشعارات، لقد قال حمود الشوفي:

إن عقيدة الحزب ودستوره يعتبران الملكية حقا مقدسا لا يجوز المساس به وأنه لا يوافق على المبدأ الاشتراكي. ولكن حمود الشوفي نفسه اصبح بعد انقلاب الثامن من آذار من أشد المتطرفين اليساريين، وشكل مع خالد الحكيم وعلى صالح السعدي وغيرهم من أعضاء حزب البعث حزبا أسموه حزب العمال الثوري.

**لقد أصرت في هذه المناقشات على العمل باتجاه أن تصبح الوحدة الاندماجية بين مصر وسورية اتحادا فدراليا، وهو ما كان موضوع حديثي مع عبد الناصر قبل استقالتي، كما أنه الصيغة التي أقرت في مؤتمر الحزب قبل حله وتبنتها حكومة التجمع في سورية، كما أصرت في هذه المناقشات على تبني الديمقراطية الاجتماعية**



## التي يجب أن يسير تحقيقها جنباً إلى جنب مع الديمقراطية السياسية.

وطال نقاش المجتمعين وتشعب حول الصيغة التطبيقية للوحدة والديموقراطية وكان صلاح البيطار مصراً على تحقيق الوحدة الاتحادية بين مصر وسورية وكان يجهد نفسه عبثاً في إظهار الفروق بين الوحدة الاندماجية التي كانت قائمة وبين الوحدة الاتحادية.

ترى هل كان صلاح البيطار جادا في طروحاته أم انها كانت وسيلة لاسترضاء جمال عبد الناصر عله يعود الى الوزارة ثانية؟

كان صلاح البيطار يرى أنه يجب ان نضحي بالديموقراطية في سبيل الوحدة، فذكرته بأن مبادئ حزب البعث تقوم على أساس النظام البرلماني الديموقراطي وان هذا النظام ليس نقيضاً للوحدة العربية بل انه النظام الذي يكفل بقاءها واستمرارها وازدهارها وجاذبيتها لتشمل بقية الاقطار العربية.. كما تساءلت:

ما الذي حدث حتى تغيرت القناعة بالديموقراطية ولا سيما بعد أن ثبتت لنا ضرورتها لتحقيق الوحدة وضمن استمرارها؟ وبعد جدل طويل ، اتهمني صلاح البيطار بأن اصراي على الديموقراطية هو من قبيل المزادة وقال بالحرف الواحد:

ستكشف الأيام من منا المؤمن بالديموقراطية، قلت له :

نعم إن الأيام ستكشف ذلك.

لقد أظهر انقلاب الثامن من آذار 1963 من منا كان مؤمناً بالديموقراطية، إذ أصبحت بعد هذا الانقلاب الذي قام به الضابط البعثيون والناصريون رهين الملاحقة والاقامة الجبرية والسجن وأصبح صلاح البيطار رئيساً للوزراء، وكان عدد اعضاء حزب البعث من جماعة صلاح البيطار وميشيل عفلق في تلك الفترة لا يتجاوز 242 عضواً، بشهادة الكثيرين من البعثيين.

لقد شكل حكم الثامن من آذار ما يسمى بالحرس القومي، وان صورة رئيس الوزراء صلاح البيطار لا تزال ماثلة في الأذهان وهو

يحمل رشاشه وسط الشارع لحراسة هذا الحكم العسكري القمعي الذي تولى فيه رئاسة الوزارة مرتين متعاقبتين الى أن أقصي عن الحكم بعد انقلاب شباط بتاريخ 66/2/23 فلجأ الى لبنان حيث أعلن انسحابه من حزب البعث العربي الاشتراكي (صحيفة "الجريدة" البيروتية العدد 458 تاريخ 67/11/10).

لقد وقف عبد الغني قنوت ومنصور الاطرش الى جانب صلاح البيطار أثناء المناقشات حتى شعرت أن عبد الغني قنوت متفق معهما ، وقد انفجر في وجهي بصورة غير لائقة عندما كنت أعرض رايي ولكنني تجاوزت ذلك وأدخلته في قائمتي الانتخابية فيما بعد.

وهكذا ظلت الوحدة والديموقراطية والاشتراكية والعلاقة بينها موضع خلاف بيننا، ولكنني بالرغم من ذلك أردت أن ينجح هذا الاجتماع حتى يعود التنظيم الحزبي لما لذلك من أهمية على مصائر الاحداث الخطيرة التي كنت أقدر أنها تتوالى على البلاد.

لقد انتهت المناقشات في هذا الاجتماع الى المبادئ التالية:

- 1- رفض الاشتراك بأي انقلاب يؤدي الى انفصام الوحدة.
- 2- العمل على قيام وحدة اتحادية بين القطرين: مصر وسورية.
- 3- أن تقوم هذه الوحدة الاتحادية على أسس ديموقراطية واشتراكية دون أن يؤدي النظام الاشتراكي الى حرمان سورية من فوائدها التجاري الممتاز.

وفي نهاية الاجتماع كلف الحاضرون حافظ الجمالي بوضع تقرير نوقع عليه جميعا كشرط لاعادة تنظيم الحزب من جديد، وقد وضع الجمالي الصيغة النهائية للتقرير، ولكن الذي فوجئنا به جميعا أن صلاح البيطار امتنع عن التوقيع ففشلت هذه المحاولة ولكن ما الذي دعا صلاح البيطار للامتناع عن توقيع التقرير؟

لقد كان صلاح البيطار يظن بأننا لن نتفق على الإجابة عن أسئلته التي صاغها وبذلك يتصل من المسؤولية بالنسبة لإعادة تنظيم الحزب تجاه ميشيل عفلق وعدد كبير من قيادات الحزب في سورية وخارجها الذين كانوا يلحون على إعادة التنظيم من جديد، ولكن حدث ما لم يتوقعه بعد اتفاق الحاضرين فلم ير أمامه مخرجا الا الامتناع عن توقيع التقرير الذي وضعه الجمالي باشراف البيطار نفسه.

ان صلاح البيطار كان يعتقد بأن إعادة تنظيم الحزب ستكون مانعا دون عودته للحكم من جديد لأن جمال عبد الناصر سيعتبر ولا شك عودة البعث الى تنظيم نفسه في سورية عملا موحها ضده.

لم يكن صلاح البيطار ذكيا في تقديره للأمور السياسية، فبالرغم من كل ما وجهه اليه جمال عبد الناصر من اهانات لم يقتنع بأن عبد الناصر لا يمكن أن يعيده للوزارة مهما اختلفت الظروف والأحوال، ولم يكن صلاح البيطار وحيدا في هذه النفسية وهذه العقلية في حزب البعث، بل كانت هنالك قيادات أخرى في هذا الحزب من النوع الذي يستهين بكل المبادئ في سبيل أهوائه الشخصية.

إن عبد الكريم زهور ادعى في مباحثات الوحدة الثلاثية التي انعقدت في القاهرة بعد انقلاب الثامن من آذار عام 1963 انه حضر هذا الاجتماع الذي تحدثت عنه مع انه لم يحضره ولم يدع اليه بسبب شتائمه واتهاماته لنا ولجمال عبد الناصر، لأنه لم يعينه وزيرا في أول حكومة للوحدة. أما بعد استقالتنا من الحكومة فقد أصبح ناصريا، ثم أصبح بعثيا-ناصريا بعد انقلاب الثامن من آذار، ثم انتهى به المطاف بعد انقلاب حافظ أسد في 13/10/1970 الى الانطواء على نفسه في المسجد ، بينما كان في السابق ماركسيا مغاليا، وفي مباحثات الوحدة الثلاثية يقول عبد الكريم زهور نفاقا لعبد الناصر ما يلي :

"قبل الانفصال وبعد استقالة الوزراء البعثيين دعيت لاجتماع على أساس إعادة تشكيل الحزب. كانت هنالك خلافات نظرية وسياسية وتنظيمية أمكن إزالتها الا خلاف واحد وهو الانفصالية والانفصاليون الذين يمثلهم أكرم الحوراني" كما يقول:

"لقد طرح اكرم الحوراني بعد 14 رمضان شعار الاتحاد مع العراق وأتانا جماعته يقولون :

كل خلافاتنا تزول من أجل أن نقيم الاتحاد مع العراق. ولكنني رفضت الوحدة مع العراق لأننا لا نبغي وحدة جزئية تمنع وحدة كلية، لا ينبغي ان نقيم وحدة لكي نغف أمام تيار تحرري متوازنين معه، إننا نريد الوحدة التي يمكن أن تمتد وتتسع لكي تشمل اقطارا أخرى، لكي تساعد أقطارا أخرى على التحرر ثم تشملها." (مباحثات الوحدة الثلاثية ص 32).

والسبب الذي جعل عبد الكريم زهور يتحدث عني بهذا الشكل في مباحثات الوحدة الثلاثية انه أرسل الي يطلب ان يكون ضمن قائمة الاشتراكيين العرب في الانتخابات التي جرت بعد الانفصال ولكنني رفضت ذلك.



إن الآراء التي طرحت في مباحثات الوحدة الثلاثية هي إفرازات العقلية الفاشية والانتهازية والسطحية من قبل الطرفين المصري والسوري، وهي العقلية التي ساهمت ولا تزال في كل المآسي والنكبات والهزائم التي تعاني منها الأمة العربية حتى الآن.

لقد دعونا فعلا كما قال عبد الكريم زهور بعد انهيار حكم عبد الكريم قاسم الديكتاتوري في ثورة الرابع عشر من رمضان (7-1963) الي قيام اتحاد فدرالي بين العراق وسورية، لأننا كنا ولا نزال نعتقد بأن قيام مثل هذا الاتحاد سيكون النواة لاتحاد عربي يشمل الاقطار العربية الأخرى فيما بعد. لأن الموقع الجغرافي لسورية والعراق يشكل عمقا استراتيجيا عظيما يمتد من المتوسط الى الخليج العربي، بالاضافة الى الثروة النفطية الكبيرة في العراق بالدرجة الأولى، وهذا ما يشكل قوة عربية عظمى في

الصراع العربي الصهيوني وفي نهوض المنطقة العربية، ولا سيما ان العوامل التاريخية والجغرافية قد لعبت دورا هاما في يقظة الوعي القومي العربي في هذين البلدين الأمر الذي يشكل عاملا مساعدا لتحقيق الاتحاد بينهما. ولكن كثيرا من قياديي البعث قد ظهروا على حقيقتهم بعد أن استولوا على الحكم، وظهر أن ما يدعونه من عقائد ومبادئ ليست إلا لافتات يخفون وراءها وصوليتهم وانتهازيتهم وفاشيتهم.

أحداث داخلية وعربية خلال عام 1960 :

سورية تبدأ بتلقي المساعدات الأميركية - الغاء  
امتيازات الصحف في سورية ومصر - الحملات  
الاعلامية والسياسية بين القاهرة وعمان - السلاح  
النووي الاسرائيلي - الخلاف بين الملك سعود  
والأمير فيصل - هاشم الأتاسي في ذمة الله.

### سورية تبدأ بتلقي المساعدات الأميركية :

بتاريخ 1960/8/11 نشرت صحف الجمهورية العربية المتحدة  
"ان وزارة الزراعة الأميركية قد وقعت اتفاقا مع الاقليم السوري  
يقضي بتزويده بالقمح والدقيق، وان القيمة التي نص عليها  
الاتفاق هي 17 مليون دولار مع نفقات الشحن وأن على الاقليم  
السوري ان يدفع ثمن القمح بالعملة المحلية مع حسم 15%  
 لتنفيذ المشاريع الانمائية."

وبتاريخ 1960/8/15 نشرت الصحف "انه تم التوقيع على  
عقد القرض الممنوح للمصرف الصناعي السوري من قروض  
التنمية الأميركية ومقداره خمسة ملايين دولار، وهدف هذا القرض  
المساعدة في تنفيذ المشاريع الصناعية التي يقوم بها القطاع  
الخاص، وذلك لتزويده بالعملات الأجنبية اللازمة للحصول على  
الآلات والتجهيزات والخدمات. ومدة هذا القرض عشر سنوات ولا  
يجوز أن يستعمل في شراء المواد والمنتجات المحلية".

كان هذا البدء بالاعتماد على المساعدات الخارجية، وهو  
الأمر الذي رفضته سورية طيلة سنوات الاستقلال، محلا للانتقاد  
الشعبي الذي بدأ همسا ثم أصبح مسموعا ضد قبول  
المساعدات الأميركية، وضد قمع الحريات الديمقراطية مما دعا  
عبد الحميد السراج لأن يخاطب عمال حمص قائلا :

"اننا نضرب بيد من حديد على يد العابثين والمضللين، وإن  
وزارة الداخلية والمباحث لا توقع الضرر بشخص صالح أبدا، لقد

اتهمونا بأننا سلمنا بلادنا للأميركيين، وهذا هراء واذاعات مغرصة،  
واننا نرد عليهم بكلمة واحدة :

إن البلد الذي لم يسلم نفسه بحرب دموية طاحنة بينه وبين  
أعدائه (يقصد العدوان الثلاثي) لا يمكن أن يسلم نفسه لقاء  
دراهم معدودات".

لقد كان عبد الحميد سراج يوجه اتهامه لنا وللشيوعيين  
في خطابه مع اننا لم نقم بأي نشاط سياسي، وكنا حذرين جدا  
من الاتصال بالآخرين، وحتى بأصدقائنا المقربين اشفاقا عليهم من  
غضب المباحث والمخابرات.

### **الغاء امتيازات الصحف :**

في شهر مايس من عام 1960 أصدر جمال عبد الناصر  
قانونا أسماه قانون تنظيم الصحافة، استكمل فيه وضع يد الدولة  
على جميع الصحف في مصر، على أن ينال أصحابها حقوقهم.  
وهكذا تم الاستيلاء على صحيفتي الاهرام وأخبار اليوم، وعلى  
دارين للنشر هما روز اليوسف ودار الهلال، وعين لكل منهما  
مجالس ادارة بمقتضى هذا القانون. أما في سورية فقد سبق ان  
ألغت الدولة امتيازات الصحف الحزبية كالبعث وجريدة النور  
الشيوعية، ثم ألغت معظم امتيازات الصحف المستقلة، وأصدرت  
صحيفتين جديدتين هما الوحدة والجماهير.

### **ملء الشواغر في المجلس التنفيذي :**

بتاريخ 1960/9/21 أصدر جمال عبد الناصر قرارا جمهوريا  
يقضي بتعيين عبد الحميد السراج رئيسا للمجلس التنفيذي ووزيرا  
للداخلية في الاقليم الشمالي، كما أصدر في شهر تموز عام  
1960 ثلاثة قرارات يقضي الأول منها بتعيين المهندس نور الدين  
كحالة نائبا لرئيس الجمهورية (الشاعر في الاقليم الشمالي بعد  
استقالتي) الى جانب نائبي الرئيس في القطر المصري المشير  
عبد الحكيم عامر والسيد عبد اللطيف البغدادي ... وفي آخر شهر  
أيلول أصدر عبد الناصر عفوا عن المحكومين السياسيين في

سورية بتهمة التآمر على الوضع الديموقراطي عام 1956 خلال العدوان الثلاثي في مصر.

أما القرار الثالث فيحدد أعضاء مجلس الأمة بستمائة عضو من الاقليمين الشمالي والجنوبي كما يعين أسماءهم ، وقد تم انتقاؤهم من اعضاء المجلسين النيابيين المصري والسوري السابقين لقيام الوحدة، بالاضافة الى تعيين عدد من اعضاء الاتحاد القومي اعضاء في مجلس الامة. وفي جلسة افتتاح مجلس الأمة، وبعد أن أقسم النواب اليمين الدستورية، ألقى جمال عبد الناصر خطابا أعلن فيه أن الوحدة بين الاقليمين كانت التفجير الذري للطاقة العربية، ثم انتخب أنور السادات. رئيسا لهذا المجلس بالاجماع، كما انتخب فؤاد جلال من مصر وراتب الحسامي من سورية نائبين لرئيس المجلس.

### **الحملة الاعلامية والسياسية بين القاهرة وعمان :**

كان الخلاف الشديد الذي اندلع بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة الأردنية من أهم الأحداث التي وقعت في النصف الثاني من عام 1960، ففي القاهرة كان عبد الله الريمائي وبعض اللاجئين الأردنيين يحاولون بمساعدة أجهزة المخابرات المصرية القيام بانقلاب في الأردن لمصلحة الجمهورية العربية المتحدة، ولقد ذكرت سابقا انني كنت دائما ضد أي محاولة انقلابية في الأردن خوفا من الاستغلال الاسرائيلي ونبهت الريمائي سواء قبل الوحدة أو بعدها بوجوب الامتناع عن هذه المحاولات الخطيرة، ولكن في أواخر تموز 1960 أعلنت عمان عن اكتشاف محاولة لقلب نظام الحكم، واتهمت المتحدة بتدبيرها، وقالت أنها اعتقلت عددا من المتآمرين. كما انفجر الخلاف عنيفا بين القاهرة وطهران ، فقد وقف الشاه مع الملك حسين في خلافه مع القاهرة، مما دعا جمال عبد الناصر أن يحمل في خطبه حملة شعواء على شاه ايران، وأمر باغلاق سفارة المتحدة في طهران، واشتركت صحف المتحدة في هذه الحملة، وذكرت ان



الاتحاد السوفيتي قد أوقف تزويد اسرائيل بالنفط خلال العدوان الثلاثي ولكن ايران عوضت ذلك.

وبالمقابل فقد تولت وسائل اعلام الأردن وبعض الدول العربية الدعاية ضد الجمهورية العربية المتحدة، واختراع الاشاعات، ومن جملتها انني هربت الى لبنان وانني تقدمت لدوائر الأمن العام بطلب الاقامة فيه.

وفي أواخر شهر آب من العام نفسه اعلنت عمان نبأ نسف مبنى رئاسة الوزارة الأردنية ومصرع هزاع المجالي رئيس الحكومة مع عشرة آخرين وجرح أربعين شخصا ، وقد تصاعد الخلاف بعد هذا الانفجار المروع مما أدى الى اغلاق جميع الطرق التي تصل سورية مع الأردن، والى وقوع العديد من الانفجارات في سورية، في الابنية الرسمية وفي السكة الحديدية، كما أدى الى اشتباكات على الحدود الأردنية السورية، مما دعا جمال عبد الناصر للقيام بزيارة مفاجئة لسورية في منتصف تشرين أول من عام 1960 خلافا لزيارته المعتادة في ذكرى قيام الوحدة.

بدأ عبد الناصر هذه الزيارة بمدينة اللاذقية حيث خطب في الحشود التي استقبلته قائلا :

"إن الاستعمار يردد ما تنشره الصحف اللبنانية من أن هنالك معارضة في القطر السوري، ثم هاجم تلك الصحف بعنف ونعتها بالصحف المأجورة. بعدئذ زار حلب وحماه وحمص ودمشق وجاء في آخر خطاب ألقاه في دمشق :

"إن الأردن هو الجزء الجنوبي من سورية ومن الطبيعي أن يعود للوطن الأم". وقد دامت هذه الزيارة خمسة أيام عاد بعدها الى القاهرة.



كان خطاب جمال عبد الناصر الأخير في دمشق تهديدا للأردن وردا على الحملات الصحافية والاذاعية الاردنية التي كانت

تلقي قبولا وحماسة من الاوساط الدمشقية بصورة خاصة، مما أقلق جمال عبد الناصر ودعاه لزيارة سورية تلك الزيارة المفاجئة.

لقد كانت الاذاعة الأردنية الموجهة الى سورية تسمع عاليا في جميع شوارع دمشق، وكانت تبدأ وتنتهي بالنشيد الوطني السوري قبل قيام الوحدة مع مصر، وكانت برامجها تحاول اثاره المشاعر السورية מזكرة بماضي سورية المجيد وبنضالها القومي وبمركزها المؤثرة والمرموق في العالم العربي الذي قضى عليه قيام الوحدة، بالاضافة الى التشهير بجميع اخطاء وانحرافات حكم الوحدة في القطر السوري.

وفي شهر كانون الأول من عام 1960 أعلن الأردن عن انتهاء التحقيق في قضية تفجير بناء مجلس الوزراء ومصرع هزاع المجالي وعشرة آخرين وعن بدء محاكمة المتهمين، وكان من بين الذين وجه اليهم الاتهام العقيد برهان أدهم وبهجت المسوتي من ضباط المخابرات السورية. وفي إبان هذه المعركة الاعلامية المستمرة بين الاردن والمتحدة حدثت عدة انفجارات في دمشق، كما شب بتاريخ 1960/8/20 حريق هائل في سوق الصاغة في دمشق استمر سبع ساعات وكاد يمتد الى الجامع الاموي، وقد أتى هذا الحريق على السوق جميعه، وعلى بعض المنازل المجاورة، واتهمت الاذاعة الأردنية المخابرات المصرية بافتعال هذا الحريق لستر سطوها على ما به من ذهب ومجوهرات وهذا ما بدأ يشيع همسا في الأوساط الدمشقية، ولكن الحكومة وصفت هذا الحريق بأنه كان حادثا سببه احتكاك الأسلاك الكهربائية مستندة في ذلك إلى شهادة والد أحد ضحايا الحريق.

أما الحادث الآخر الذي روع سورية فهو الحريق الذي شب بتاريخ 1960/10/15 في سينما قرية عامودة في جزيرة ابن عمرو وقد أودى هذا الحادث بحياة 152 طفلا مما دعا اذاعة القاهرة الى تعديل برامجها حدادا على الضحايا.

وفي اليوم التالي لحريق عامودة أي بتاريخ 16/10/1960 شب، حريق كبيرا آخر في دمشق في شارع الملك فيصل مما أدى إلى أضرار جسيمة في الأبنية.

## السلاح النووي الاسرائيلي.

أعلن خلال عام 1960 نبأ حيازة الكيان الاسرائيلي السلاح النووي بناء على ما ذكره المراسل العلمي لصحيفة (الديلي اكسبرس) بأن (ألان دالاس) رئيس وكالة الاستخبارات المركزية قد دعا الى اجتماع لرؤساء الاستخبارات الاميركية والسياسيين الأميركيين وعلى رأسهم جون كيندي الرئيس المنتخب للبحث بهذا الأمر الخطير، وقال المراسل :

"ان وزير الدفاع الاميركي والبريطاني يشعران بقلق خاص بسبب التوتر القائم في الشرق الأوسط وخطر نشوب حرب نووية" أما صحف الجمهورية العربية المتحدة فقد كتبت المقالات تحت عناوين عريضة في صدر صفحاتها الأولى ردا على هذا النبأ الخطير من هذه العناوين :

- دوائر القاهرة تلوح لاسرائيل بمقابلة قنبلتها بقنبلة عربية.

- مشاورات بشأن عقد اجتماع للجامعة العربية.

- اجتماع ايزنهاور مع مستشاريه ومع رئيس المخابرات ألن دلس ومع رئيس اللجنة الاستشارية العلمية.

- وزارة الخارجية الأميركية تعلن أنها طلبت من اسرائيل تزويدها بمعلومات عن هذه الانباء ولكنها لم تتلق جوابا عنها.

- وزارة الخارجية الاميركية تعلن أن تعاون اسرائيل والولايات المتحدة بشأن الطاقة الذرية كان محصورا بالابحاث طبقا لبرنامج الذرة من أجل السلام، وقد ساعدت الولايات المتحدة بلدا آخر طبقا لهذا البرنامج.

أما رد القاهرة الرسمي على هذا الموضوع الخطير فكان مقالا لهيكل تحت عنوان: "القنبلة الذرية واسرائيل"، وقد جاء في المقال :

"انها تهويل ومناورة اسرائيلية للضغط على العرب وان اسرائيل تستطيع أن تخلق أخبارا كهذه" وخلص الى القول :  
"ماذا لو أن أبعد الاحتمالات عن الحقيقة (أي امتلاك اسرائيل القنبلة) ، كما تبدو لنا الآن، قد وقع فعلا بمعجزة أو سحر ساحر؟

ماذا لو استطاعت اسرائيل في يوم ما، مهما بعد، أن تحصل على القنبلة الذرية؟

ان الرد ساعتها هو أنه سوف يكون في يد العرب قنبلة ذرية أيضا مهما كان الثمن ومهما كانت الظروف".

وقد اتهمت صحيفتا نيوزويك والنيويورك تايمس فرنسا بمساعدة الكيان الاسرائيلي على صنع القنبلة الذرية انتقاما من جمال عبد الناصر لأنه منح الروس مطارا يمكنهم من نقل الاسلحة الى الجزائر وافريقيا. أما بن غريون فقد صرح :

ان اسرائيل قد انشأت وبمساعدة الولايات المتحدة مولدا ذريا صغيرا.

وفي احتفال مصر بعيد النصر عام 1960، تعرض عبد الناصر في خطابه لهذا الموضوع فقال :

"إننا لن نمكن اسرائيل من التفوق علينا، سيكون لنا دائما مهما بذلنا من توضيحات التفوق في الأرض والتفوق في الجو، وإذا تأكد لنا أن اسرائيل تصنع القنبلة الذرية فمعنى ذلك بداية الحرب بيننا وبينها لاننا لن نمكنها من صنع قنبلة ذرية، ولا بد لنا أن نهاجمها ولو جندنا أربعة ملايين حتى نقضي على قاعدة العدوان.

اننا أعلننا الحياد الايجابي وعدم الانحياز وسرنا عليه رغم محاولات الدول الاستعمارية وضغطها علينا، ولكن ذلك لا يعني أن نسكت على العدوان، إننا نعادي من يعادينا ومن يصفعني أمسك بزمامة رقبته. إننا لا نقبل أن نصبح شعبا من اللاجئين ونحن مستعدون لأن نبذل كل شيء للرد على الاستعمار واسرائيل إذا ما تحالفا ضد مصيرنا".

وهكذا يظهر كيف ان استعداد اسرائيل وتآمر الولايات المتحدة والغرب كانت تقابل بتحذير الشعب بمثل هذه الادعاءات والاقوال الفارغة، وقد أعلن جمال عبد الناصر في شهر تموز من عام 1960 ان المتحدة قد بدأت بصنع الطائرات النفاثة!

وفي عام 1981 وبعد مضي أحد وعشرين عاما من امتلاك الكيان الاسرائيلي للسلاح الذري، تقوم الطائرات الاسرائيلية - متخطية الحدود الدولية - بقصف المفاعل النووي العراقي، بعد أن أصبحت مهيمنة على سماء العالم العربي من محيطه الى خليجه ، وقادرة على ضرب المفاعل النووي العراقي ومنع العرب، في أي بلد من بلدانهم، من امتلاك التكنولوجيا المتطورة.

### **الخلاف بين الملك سعود والأمير فيصل.**

في منتصف عام 1960 تولت أجهزة الاعلام السعودية في الخارج اعلان أنباء الخلاف بين أفراد العائلة المالكة السعودية وشرح الذرائع التي كان يتشبت بها كل من الفريقين المختلفين. ففي تاريخ 31 آذار 1960 نشرت جريدة الحياة البيروتية المعروفة بصلاتها الوثيقة بالمملكة ما يلي :

"وضع الامراء السعوديون في الاسبوع الماضي مذكرة رفعوها الى الملك سعود يحذرونه فيها من الوقوع في أخطاء مالية وسياسية جديدة من جراء بقاء الصلاحيات موزعة على ما هي عليه بينه وبين الامير فيصل، كما أنهم يحذرونه من المستشارين غير السعوديين (ويقصدون الفلسطينيين والسوريين) الذين يسدون إليه نصائح يعتبرها هؤلاء الامراء نصائح مؤذية.

وقد وقع هذه المذكرة جميع الامراء باستثناء الأمير طلال ونواف وبندر. كما كلف الامراء الغائبين خارج المملكة الامراء الحاضرين بتوقيعها نيابة عنهم".

لقد كانت الادارة الاميركية في الحقيقة غير راضية بل غاضبة على مستشاري المملكة من السوريين والفلسطينيين، وكان أحمد الشقيري أحد هؤلاء المستشارين وقد مثل المملكة في هيئة الأمم المتحدة فاتخذ منها منبرا للدفاع عن القضية الفلسطينية والجزائرية والقضايا العربية وفضح مؤامرات الاستعمار والصهيونية على العالم العربي.

وحول هذا الخلاف نشرت جريدة الحياة أيضا (1960/5/27):

"لقد أثار مرض الأمير فيصل واضطراره لاجراء عملية جراحية في الخارج قضية خلافة ولي العهد، فإن سعود يريد أن يستأثر بها في عائلته بينما يريدھا فيصل للأمير فهد ولا يريد إعطاء صلاحياته كولي للعهد ورئيس للوزراء الى الملك سعود في غيابه، بينما يصر الملك سعود عليها لأنه هو الذي منحه تلك الصلاحيات".

لقد اضطر الملك سعود بعد عدة سنوات للتنازل عن الملك لأخيه الأمير فيصل فغادر الجزيرة العربية ولجأ إلى مصر، وكان لتولي الملك فيصل عرش السعودية انعكاسات هامة على المستويات الداخلية والعربية والدولية انتهت باغتياله من قبل ابن أخيه اثر زيارة هنري كيسنجر للمملكة بعد حرب تشرين عام 1973.

لقد أيدت الإدارة الأميركية الملك فيصل في اعتلائه عرش السعودية بدلا من أخيه الملك سعود الذي كان مبذرا ومبدا لجميع ما تتقاضاه المملكة من عائدات البترول، مما جعله مضطرا الى طلب التسليف من الشركات البترولية بشكل مستمر لتسديد ما ينفقه وما يبذره ويبدده بغير حساب ومما جعل المملكة على حافة الافلاس، كما ساءت في عهد سعود سمعة المملكة والاسرة السعودية من جراء ما يرتكبه بعض افرادها من فضائح ولا سيما في الخارج مما دعا الملك فيصل عند توليه الحكم الى منع سفر الامراء الى الخارج وتحديد مرتباتهم ووضع موازنة عامة لأول مرة في تاريخ المملكة.

### هاشم الأتاسي في ذمة الله.

وقبل أن أختتم هذا الفصل عن أحداث عام 1960 لا بد لي من ايراد لمحة قصيرة عن حياة رجل كبير من رجالات الرعيل الأول، انه هاشم الأتاسي الذي توفاه الله في أواخر عام 1960. لم يكن هاشم الأتاسي خطيبا ولا محدثا ولكنه كان انسانا مؤمنا ورعا فهم الاسلام على حقيقته، ولذلك وقف الى جانبي عام 1949 عندما كان رئيسا للوزارة وكنت وزيرا للزراعة أمام تهديد

ووعيد المشايخ ورجال الدين الرجعيين عندما وافقت الحكومة على قانون الانتخاب عام 1949، فقد كنت رئيسا للجنة التي وضعت هذا القانون ومنحت المرأة حق الاقتراع.

لقد كان هاشم الأتاسي يذكرني دائما في مناسبات عديدة بالشعار الذي أطلقته في معركتي الانتخابية في حماه عام 1949 وهو: **"نحن نخدم الدين ولا نستخدمه"**.

كان المرحوم هاشم الأتاسي من أكثر رؤساء الجمهورية الذين تعاقبوا على الرئاسة في سورية تقيدا بتطبيق أحكام الدستور روحا ونصا، كما كان من أكثرهم التزاما ومحافظة على الوضع الديموقراطي البرلماني.

كان طاهر اليد نقي السريرة مؤمنا بقيم التراث، تلك القيم والاخلاق التي كانت سر بقاء الشعوب العربية وتطورها الحضاري.

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن هم ذهب أخلاقهم ذهبوا

لم يكن الأتاسي وحيدا بين رجال الرعيل الأول الذي يتمتع بهذه الصفات العالية، ولكن سورية خسرت معظم طلائعها الوطنية والثورية في ثوراتها المتعاقبة ضد الاستعمارين العثماني والفرنسي.

لقد نشرت جريدة الحياة البيروتية بتاريخ 6/12/1960 ملخصا لمراحل حياة هاشم الأتاسي السياسية جاء فيه:

ولد هاشم الأتاسي عام 1875 في مدينة حمص وقد بدأ حياته ملحقا بواله ببيروت عام 1894 ، ثم قائم مقام عام 1897، ثم متصرفا عام 1912، وعند ظهور الحركات العربية انضم الى العربية الفتاة.

فاز بمقعد حمص للمؤتمر السوري عام 1919، وفي تاريخ 6 آذار 1920 انتخب لرئاسة هذا المؤتمر. وفي 8 آذار أعلن المؤتمر المقررات التي تنص على استقلال سورية بحدودها الطبيعية، والمناداة بفيصل ملكا عليها، وقد عينه الملك فيصل رئيسا للوزارة،

وبعد معركة ميسلون في 24/7/1920 استقال فحل محله الدروبي، ولما تألفت الكتلة الوطنية انتخب رئيسا لها بالاجماع عام 1927، وأصبح عام 1928 رئيسا للجمعية التأسيسية، وفي عام 1936 كان رئيسا للوفد المفاوض فرنسا وبعد انتهاء المفاوضات انتخب رئيسا للجمهورية.

وفي عام 1939 استقال من رئاسة الجمهورية بسبب نكول الفرنسيين عن المعاهدة التي اتفق عليها الطرفان في مفاوضات عام 1936 وبسبب تشجيع الفرنسيين للحركات الانفصالية في الجزيرة واللاذقية والسويداء فعاد الى تزعم النضال الوطني ورفض عام 1943 العودة الى رئاسة الجمهورية ورشح عوضا عنه شكري القوتلي.

تسلم رئاسة الوزارة عام 1949 بعد الاطاحة بحسني الزعيم، وبعد اجراء الانتخابات للجمعية التأسيسية انتخب ثانية رئيسا للجمهورية.

رفض البقاء في رئاسة الجمهورية بعد انقلاب أديب الشيشكلي فحضر حركة الاحزاب المؤتلفة ضد الديكتاتورية ثم عاد لرئاسة الجمهورية السورية عام 1954.



**1961 : سورية قبيل الانفصال - خلال عامي 1960-**  
**1961 كنت محاصرا في بيتي بما يشبه الإقامة**  
**الجبرية - عبد الناصر يزور سورية في الذكرى**  
**الثالثة للوحدة ويخطب مهددا كل من يعارضه بأن**  
**يدوسه بالأحذية - عبد الناصر يصدر قرارات لتنظيم**  
**جهاز الوحدة السياسي والدستوري - الخلاف بين**  
**عبد الحميد السراج وبين الوزراء العسكريين -**  
**الخلاف بين السراج والمشير - السراج يصبح**  
**الحاكم المطلق في سورية - قرارات التأميم في**  
**سورية ومصر - الغاء المجلس التنفيذي السوري**  
**وإدارة شؤون سورية من القاهرة - استقالة عبد**  
**الميد السراج وحل المخابرات السورية.**

لم نعد بعد استقالتنا في أواخر عام 1959 مطلعين على شؤون الجمهورية العربية المتحدة، سوى ما تنشره أجهزة إعلامها خلال عامي 1960 و عام 1961، فقد كنا نجهل تماما ما يدور في اجتماعات مجلس الوزراء المركزي والتنفيذي، كما كنا نجهل تماما ما دار في الاجتماعات التي سمعنا أن عبد الناصر قد عقدها مع المشير عامر والوزراء السوريين إبان استفحال الصراع بين هؤلاء الوزراء وعبد الحميد السراج، وبين السراج والمشير عبد الحكيم عامر، وهو الصراع الذي هبأ الأجواء لانفصال الوحدة المصرية السورية، وهكذا فإنني سأستعرض ما جرى لي شخصيا خلال عامي 60 و 61 للذين لم أقم بهما بأي نشاط سياسي سوى تلك المحاولة السرية الفاشلة لإعادة تنظيم الحزب في سورية بطلب من الاستاذ ميشيل عفلق الذي كان في بيروت، والتي تحدثت عنها سابقا.

لقد كان من غير الممكن أن أقوم بأي نشاط سياسي في تلك الفترة، فلقد حاولت مثلا أن أزور مدينتي حماه بعد طول غياب، وهي بالطبع منطقتي الانتخابية، ولكن ما ان أقمت في المدينة بضعة أيام حتى جرى تهديدي بالاعتقال إذا لم أغادرها،

لأن المواطنين في المدينة والريف هرعوا للترحيب بي والسلام علي، فاضطرت للعودة إلى دمشق فوراً، وفي دمشق خشي الاصدقاء والمحبون والمؤيدون زيارتي ، فأصبح عدد الزوار قليلا جدا، ولكن الذي لفت نظري آنذاك أن مزيد المحاميد نائب الزوية سابقا قد زارني في وضح النهار وفاتحني بعمل مشترك في سورية فرفضت ذلك واشتبهت بأنه مرسل من عبد الحميد السراج، وذلك اثناء اشتداد الخلاف بين جمال عبد الناصر والملك حسين، ما أدى إلى ارتكاب أعمال إرهابية بشعة في البلدين.

كنت مقدرًا أن تشديد الحصار على في البيت كان نتيجة تقارير مخابرات صلاح نصر ومخابرات السراج وكلها بالطبع مختلفة، لانني لم أكن أقوم بأي نشاط سياسي. ثم تحول ذلك الحصار الى ما يشبه الاقامة الجبرية عندما أقيمت أمام منزلي غرفة خشبية ملئت برجال المخابرات، وكنت إذا حاولت الخروج من البيت تابعوني بموتوسيكلاتهم، وعندما حاولت ذات مرة أن أزور أحد أصدقائي تبغني رجال عبد الحميد السراج وحاولوا أن يدخلوا معي الى بيت الصديق الذي ارتاع من رؤيتهم، ولما زجرتهم كان ردهم وقحا قائلين اننا لا نأخذ أوامرنا منك وانما من رؤسائنا، ثم حاولوا أن يبدأوا معي معركة بالأيدي.

كانت زيارتي تكلف اعتقال من يزورني، ومع ذلك فإن عددا من الاصدقاء قد جازف بزيارتي فاعتقلوا وأودعوا في مركز للتعذيب تابع لمخابرات عبد الحميد السراج قريبا من منزلي في شارع حلب، يرئسه ضابط المخابرات عبد الوهاب الخطيب، وعندما جازف خالي عبد الفتاح السهيان بزيارتي ألقى القبض عليه واقتيد الى المركز المذكور حيث لم يخرج منه الا وهو على شفا الموت، وذكر لي بعض ما شاهده من ألوان التعذيب التي مورست عليه وعلى غيره من المعتقلين رجالا ونساء، وكان من جملة ما شاهده اطلاق الكلاب المتوحشة على المرأة المعتقلة لتمزق ثيابها بينما يستمتع رجال المخابرات بهذا المشهد المجرم من الاستربتيز، كما كان التعذيب بالتيار الكهربائي يتم بعد حمام بارد ليزداد التأثير بالتيار .

## الأحداث والتطورات في الجمهورية العربية المتحدة خلال عامي 1960-1961

بتاريخ 20 شباط 1961 وصل عبد الناصر الى ميناء اللاذقية، وذلك في الذكرى الثالثة لقيام الوحدة، حيث ألقى خطاباً هجومياً وجه له بعض فقراته دون أن يذكر الأسم، وفيما يلي بعض فقرات ذلك الخطاب :

إن الحزبية لا يمكن أن تعود مرة أخرى باسم الديمقراطية لأنها تريد أن تتحكم بالشعب وتخضعه الى مناطق النفوذ"

"ان من يسمون انفسهم اقتصاديين ويطالبون بالحرية الاقتصادية ليسوا الا اذئاب الرأسمالية، وان الحرية الاقتصادية السابقة لم يكن يفيد منها سوى عدد من التجار والمستغلين".

"ان الذين يحاولون ان يفرقوا ابناء هذه الأمة هم الحزبيون والمستغلون ولن نسير بأي حال وراء حزبي قتل قلبه الحقد والبغضاء، لأنه يريد أن يرفع الشعارات ليتحكم أو يحكم أو لأنه يريد أن يسيطر على هذه الأمة ولا يريد أن يحقق أهدافنا، إننا سنحقق أهدافنا ومن يقف في طريقنا سندوسه بالجزم (أي بالأحذية) وإن الوحدة السورية المصرية اليوم أقوى من كل وقت مضى". وأشار الى ما راج من اشاعات عن عريضة وضعها بعض السياسيين الحزبيين في الأقليم السوري فقال :

"إذا جاء بعض الحزبيين الذين يستغلون الوصول للحكم فانقلبوا واعلنوا انفسهم أعوانا للاستعمار لأن الخطط الاستعمارية توافقههم فهل يستطيع هؤلاء أن يضللوكم ويهزأوا بكم؟" وبعد ان كذب خبر عريضة احتجاج قدمت له قال موجهها كلامه إلي:

"إن من يريد أن يفعل شيئاً فليخرج من بيته ويواجه الشعب، لا عبد الناصر، والشعب يعرف كيف يقابل الخوارج بأقصى الشدة" ثم أردف يقول :

"إنهم يريدون الحريات ولكن هل استطاعوا أن يفعلوا شيئاً في البرلمان؟

الاصلاح الزراعي هل استطاعوا أن يحققوه؟

والعدالة الاجتماعية ماذا فعلوا بها؟

هل يعتقدون أن هذه الدسائس تنطلي على أحد؟"

ثم قال :

"لا أقول اسماء ولكن كل واحد منا يعرفهم، نحن نعرفهم واحدا واحدا وأنتم أدري وقد عرفتم ألعيبهم السياسية. اليوم ما فيش ألعيب ولا استعمار ولا ضحك على العقول، لقد قررنا أن نبني البلد ونوجه البلد ونوحد البلد ونضاعف الدخل في عشر سنين ونقيم اتحادا قوميا.. هنالك ثورة عربية ومن يخرج عن الثورة يجب أن نقومه، ونقوم كل من يخالف مبادئ الثورة وخطتها، إن كل من يخرج عن هذه الثورة يعتبر من الخوارج الذين يتنكرون لأهداف هذه الأمة".

وقد كان لخطاب عبد الناصر هذا بالاضافة الى خطاب آخر في دمشق وقع سيء لدى الرأي العام السوري ولا سيما عندما هدد الذين عناهم في خطابه بأن يدوسهم بالأحذية.

لقد اصطحب عبد الناصر معه في تلك الزيارة أنور السادات الذي ثنى على خطبه بصفته رئيسا لمجلس الأمة، وكان عبد الناصر قد عينه في ذلك المنصب قبل مجيئه الى دمشق ليعطي التنكيل بمن قصدهم بدوسهم بالأحذية الصفة المشروعة من قبل "رئيس مجلس الأمة"، هذا المجلس الذي زعموا انه يمثل الشعبين السوري والمصري.

## جهاز الوحدة السياسي والدستوري .

انعقد المؤتمر الاقليمي للاتحاد القومي في حزيران عام 1960 ثم المؤتمر العام للجمهورية باقليمها في تموز عام 1960، ومع اختتام المؤتمر العام تم تشكيل مجلس الأمة الذي ترأسه السادات وهو المجلس الذي استمر حتى الانفصال. وكان عبد الناصر قد أصدر بتاريخ 1960/6/12 بوصفه رئيسا للاتحاد القومي عدة قرارات تنظيمية خاصة بهذا الاتحاد :

1- تعيين اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد القومي في الجمهورية وتتألف من عبد اللطيف البغدادي، عبد الحكيم عامر، زكريا محيي الدين، حسين الشافعي، أنور السادات، كمال الدين حسين، نور الدين طراف، نور الدين كحالة، أحمد الشرباصي، علي صبري، رمزي استينو، عبد المنعم القيسوني، كمال رفعت، عبد الحميد السراج، أمجد الطرابلسي، طعمة العودة الله، أحمد حنيدي، جمال الصوفي.

2- تعيين أعضاء المكتب التنفيذي للاتحاد القومي السوري وهم : عبد الحميد السراج، طعمة العودة الله، جادو عز الدين، اكرم الديري، ثابت العريس، يوسف مزاحم، أحمد أبو صالح، عبد الستار السيد، راتب الحسامي.

3- كما عين اللجنة التحضيرية الخاصة للمؤتمر العام للاتحاد القومي وتتألف من كمال الدين حسين، عبد الحميد السراج، علي صبري ، كمال رفعت، أمجد الطرابلسي.

وفي تاريخ 21 حزيران 1960 افتتح المؤتمر العام للاتحاد القومي للأقليم السوري جلسته الأولى في سينما الزهراء بحضور عبد الحكيم عامر، وحضر جلسة الافتتاح رئيس سورية السابق شكري القوتلي، وذكرت الصحف انه حضر حفلة الافتتاح ألفا شخص من مختلف انحاء سورية منهم 1800 من أعضاء الاتحاد القومي المنتخبين.

لقد كانت تجربة الاتحاد القومي لعبة تمويه وعبث وتضليل وتفتيت والهاء، ساهمت في تقصير أجل الوحدة السورية المصرية، وكنت قد ألمحت سابقا الى الطريقة التي تمت بها انتخابات الاتحاد القومي في عام 1959، وما صاحبها من تدخل المخابرات المصرية لانجاح القوائم التي وضعت بالاشتراك مع المخابرات السورية.

إنها مهزلة والمهزلة لا يمكن أن تملأ الفراغ السياسي وتكون بديلا عن الديمقراطية السياسية التي كانت تتمتع بها سورية قبل قيام الوحدة.

إن صلاح نصر رئيس المخابرات المصرية، والمسؤول مسؤولة مباشرة مع المشير عبد الحكيم عامر وجماعته عما ارتكبه نظام عبد الناصر من أخطاء وانحرافات ساهمت مساهمة فعلية في هزيمة حزيران قد أصدر كتابا عام 1976 تحت عنوان (عبد الناصر وتجربة الوحدة) حاول فيه أن يبرئ نفسه ويبرئ المشير عبد الحكيم عامر من مسؤولية انفصام الوحدة وان يلقبها على عاتق عبد الحميد السراج وعلى السوريين من وزراء وأحزاب وقيادات، مع اشارات واضحة الى تحميل عبد الناصر بدلا من المشير قسطا من المسؤولية، وهو في هذا الكتاب يتعرض لبعض الوقائع غير المعروفة فيما يتعلق بالاتحاد القومي وبأسرار الصراع الذي كان دائرا بين أجهزة المخابرات المصرية والسورية برئاسة السراج، وبين السراج وعبد الحكيم عامر، وبين هذين الاخيرين وعبد الناصر في نهاية المطاف، وانني سأشير الى بعض تلك الوقائع دون الوقوع في الأحابيل المبنوثة من قبل صلاح نصر والتي تخدم أغراضه من هذا الكتاب :

يقول صلاح نصر في الصفحة 197 من الكتاب تحت عنوان "الاتحاد القومي السوري أداة تابعة وليس تنظيما سياسيا" ما يلي :

"لقد عين عبد الحميد السراج سكرتيرا عاما للاتحاد القومي ورئيسا له في الاقليم السوري، وهكذا أصبح الاتحاد القومي السوري واقعا تحت سيطرة عبد الحميد السراج اذ كون جهازا لسكرتارية من عناصر موالية له تنفذ سياسته التي تخدم أغراضه الشخصية". كما يقول في الصفحة نفسها :

"وكثيرا ما كان السراج يعمد الى تشكيل وحدات أو قيادات من الاتحاد القومي غير الوحدات المنتخبة أو المعينة بصورة رسمية، أي كان يشكل تنظيما سريا، وهذا التنظيم يقوم شخصا بتوجيهه توجيهها يخالف التعليمات واللوائح التي تصدر لتنظيمات الاتحاد القومي المعلنة (اي المنتخبة أو المعينة). ثم يخلص الى القول:

"والحق أن ذلك كان يتم بايحاء من عبد الناصر بهدف تكوين كادر سري يصلح لتولي القيادة بعد فترة لأنه سيكون أكثر ولاء من المنتخبين أو المعينين".

إن هذا بصريح العبارة يعني تكوين كادر مرتبط ارتباطاً مباشراً بعبد الناصر، متجاوزاً المخابرات السورية والمصرية وتنظيمات الاتحاد القومي الذي هو بالأصل واجهة سياسية لا قيمة لها، وهذا يذكرنا بالتنظيم السري (التنظيم الطليعي) الذي كثر الحديث عنه بالصحف المصرية بعد موت عبد الناصر، وكان ناصر قد شكله أيضاً ضمن الاتحاد الاشتراكي.

### **الخلاف بين عبد الحميد السراج والمشير عبد الحكيم عامر.**

قبل أن أخوض بتفاصيل هذا الخلاف على السلطة والحكم في سورية الذي انتهى بفصم الوحدة السورية المصرية، لا بد أن أشير إلى أن تناقضات نظام جمال عبد الناصر وطبيعته الديكتاتورية قبل قيام الوحدة، قد امتدت وشملت سورية فيما بعد.

لقد كان المشير - كما ذكرنا سابقاً - يسيطر قبل الوحدة سيطرة تامة على الجيش في مصر، وقد أنشأ فيه تنظيمًا سريًا خاصًا به، أشرنا له فيما سبق بمناسبة مؤامرة الضابط عويس، كما كان مسيطرًا على جهاز المخابرات برئاسة صلاح نصر، وله أنصاره من ضباط الثورة ومن الوزراء ومن جهاز الدولة.

كان المشير عامر يتمتع بصفات صعيدية تجعله محبوبًا، فقد كان متواضعًا ودودًا لأتباعه ومريديه، ومنفذًا لمصالحهم وعلى صلة مباشرة معهم، وذا نخوة لمساعدتهم وحل مشاكلهم، وكان يعتبر بنظر الكثيرين من المتصلين به أنه رجل شعبي وقريب من الناس وقد شعرت منذ اليوم الأول لإعلان الوحدة وإثناء المداولات في دمشق لتشكيل أول حكومة بأن المشير كان له الرأي الأول بعد عبد الناصر، وعندما كنا نختلف مع جمال عبد الناصر كان يطلب منا أن نرجع إلى المشير عبد الحكيم عامر. كما كنا نشعر بعد كل اجتماع للوزارة المركزية، بأن للمشير مكانة خاصة بين جميع الوزراء من ضباط الثورة السابقين، فهو الوحيد الذي كان يشارك

جمال عبد الناصر في صنع القرارات دون أن نشعر بأي تناقض بينهما.

كان المشير عامر يخطط منذ قيام الوحدة لأن يجعل سورية قطاعا خاصا به سواء على مستوى الجيش أو على المستويين السياسي والشعبي، ولشعوره بأن حزب البعث كان مواليا لعبد الناصر، قام منذ العام الأول للوحدة بتفريغ الجيش السوري من الضباط القريبين من البعث الذين تم نقلهم بالتدريج الى القاهرة، واستبدل مواقعهم في الجيش بضباط التكتل الشامي المناهض للبعث، كما دعم مركزه بنقل العديد من أعضاء تنظيمه السري من الضباط الى الجيش السوري واستمر في ذلك حتى تاريخ الانفصال.

أما عبد الحميد السراج الطرف الآخر من الصراع مع المشير عامر، فقد كان قبل الوحدة رئيسا للمكتب الثاني في الجيش (المخابرات العسكرية) وكان ضابطا منطويا على نفسه ينفذ أوامر رؤسائه، سواء مع أديب الشيشكلي، أو مع شوكت شقير رئيس الأركان فيما بعد، وقد أصبح مرموقا بعد التحقيق باغتيال العقيد عدنان المالكي، ثم توثقت صلته وصلات شوكت شقير مع جمال عبد الناصر ومع أجهزة المخابرات المصرية قبل اعلان الوحدة.

كان السراج بطبيعته الانطوائية ضابطا مباحثيا غير محبوب من قبل الأحزاب والفئات اليمينية بصورة خاصة، ولم تكن له أي طموحات معروفة سوى استمراره رئيسا للمكتب الثاني، ولكن تعيينه بعد الوحدة وزيرا للداخلية في الوزارة التنفيذية الأولى، وبعد أن جعله عبد الناصر منذ مجيئه الى سورية في الأيام الأولى للوحدة موضع اعتماده وثقته ولمعه بشكل مسرحي في خطابه المشهور<sup>(1)</sup> الذي كشف فيه محاولة الملك سعود للحيلولة دون

(1) يشير صلاح نصر الى هذه الواقعة في كتابه عبد الناصر وتجربة الوحدة : "أعلن عبد الناصر ان هنالك مؤامرة دبرها سعود ودفع فيها مبلغ مليونين من الجنيهات لمنع قيام الوحدة واغتياله إذا لزم الأمر ، ونسب عبد الناصر كشف المؤامرة الى السراج وأشاد بأنه رجل وطني رفض أن يبيع نفسه، وأغفل دور المجلس العسكري (السوري) في موضوع المؤامرة، ومن الطبيعي أن هذا الاعلام خدم مصلحة السراج، إذ أن عبد الناصر أصبح مدينا له بحياته أمام الرأي العام العربي، وغضب أعضاء المجلس العسكري من السراج وتبرموا من تصرف عبد الناصر، ذلك أن السراج



الوحدة، بدأ الغرور يعصف برأسه وأصبح يطمح لأن يكون حاكما على سورية في ظل جمال عبد الناصر، وأستطيع أن أجزم بل أعلم، ان عبد الحميد السراج الذي كان منغذا مطيعا لرؤسائه، لم يقم في السنوات الأولى للوحدة بأي عمل سواء كان صغيرا أم كبيرا تافها أو مهما إلا باستشارة جمال عبد الناصر.

لقد كان السراج مثل معظم ضباط البلاد الحديثة العهد بها بالاستقلال بعيدا عن تفهم واستيعاب مبادئ وقيم الحياة السياسية الديمقراطية، لذلك كان يكن الكره للحزبية وللأحزاب وقياداتها ، وهذا ما جعله في نظر عبد الناصر الرجل المناسب في الوقت المناسب بعد قيام الوحدة لتصفية جميع القوى السياسية وقياداتها، ولم يتخل عبد الناصر عن السراج الا بعد انفجار الخلاف في شوارع دمشق بينه وبين المشير عامر يقول صلاح نصر في كتابه تجربة الوحدة :

"لقد بدأ السراج يحلم بأن يكون الحاكم المطلق اليد في حمى عبد الناصر وكان يدرك تماما انه لا يستطيع ان يحكم سورية في ظل انفصالها عن مصر". كما يقول :

"لقد أبدى السراج في الفترة الأولى ترحيبا كبيرا بايفاد عبد الحكيم عامر إلى سورية مخولا بصلاحيات رئيس الجمهورية لأنه كان يأمل من تعيين المشير مساعدته على تصفية القوى الشعبية التي كانت منتمية الى البعث وقياداتها".

"أما بعد خروج البعثيين من الحكم، وبعد انكماش العناصر المحافظة ذات المرتكزات الحزبية مثل صبري العسلي وفاخر الكيالي وبشير العظمة، أصبح السراج يتطلع ويحلم بأن يكون حاكم سورية المطلق في ظل جمال عبد الناصر، ومع بداية هذه المرحلة بدأ يلعب دورا في المزيد من التقرب من عبد الناصر وفي الابتعاد تدريجيا عن المشير عبد الحكيم عامر". (ص 199)

---

احتكر لنفسه فضل كشف المؤامرة بينما لم يكن من وجهة نظرهم أكثر من منفذ لما كان يرثاه المجلس العسكري، والواقع ان عبد الناصر أراد أن يحدث انقسامًا في المجلس فأثار الغيرة داخله بأسناد فضل كشف المؤامرة الى عبد الحميد فقط وهذا الأسلوب كثيرا ما استخدمه عبد الناصر مع زملائه في الحكم في مصر" (ص 133).

ونتيجة لتقرب السراج من عبد الناصر فقد أصبح خلال عام 1960 يتمتع بسلطة في سورية لم يتمتع بها حاكم من قبل، فهو رئيس الاتحاد القومي وما يعنيه ذلك من سلطة امنية سياسية. وهو وزير الداخلية التي تسيطر على الجهاز الاداري في المحافظات وعلى الشرطة والأمن، كما كان رئيسا للمخابرات السورية بالإضافة الى الاشراف على أجهزة الاعلام من صحافة واذاعة وتلفزيون.

أما بالنسبة للمشير عبد الحكيم عامر فقد كانت التعديلات الوزارية التي جرت عام 1960 للمجلس التنفيذي السوري مناسبة لاسناد بعض الوزارات الى عدد من ضباط الجيش السوري المواليين له وهم أكرم الديري، طعمة العودة الله، جمال الصوفي وأحمد حنيدي فأصبح المجلس التنفيذي الذي تشكل من هؤلاء العسكريين ومن بعض الفنيين برئاسة المهندس نور الدين كحالة في قبضة المشير عبد الحكيم عامر.

ولا بد من الاشارة هنا إلى أن كل واحد من هؤلاء العسكريين الوزراء كان يعتبر نفسه أهم شأنًا من عبد الحميد السراج.

## **الصراع على السلطة في سورية بين عبد الحميد السراج والمشير عبد الحكيم عامر.**

لم يكن الصراع على السلطة بين المشير عبد الحكيم عامر وبين السراج قد طفا على السطح عندما استدعى الرئيس عبد الناصر في شهر آب 1960 عبد الحميد السراج والوزراء العسكريين من جماعة المشير عبد الحكيم عامر الى مصر للنظر في الخلافات التي استفحلت بين الطرفين، وكان الخلاف يبدو وكأنه بين السراج وبين الوزراء العسكريين، الذين تقدموا الى عبد الناصر ببعض المطالب للحد من سلطة السراج ولكن لا شك أن ذلك كان بإيعاز من المشير.

ان صلاح نصر في كتابه عبد الناصر وتجربة الوحدة، يكشف بعضا من أسرار الاجتماعات التي دامت عدة أيام في المعمورة

بالاسكندرية ، بين عبد الناصر والسراج والمشير عبد الحكيم عامر والوزراء العسكريين، عندما يشير الى المطالب التي تقدم بها الوزراء العسكريون والتي تعني تقليص سلطات السراج وصلاحياته الواسعة، وهي :

1- ضرورة فصل الجهاز الاداري عن الجهاز السياسي والجهاز الاقتصادي بحيث يكون كل منهما مستقلا عن الآخر ويشرف على كل منهما مسؤول واحد.

2- في اطار الأمن : الفصل بين المخابرات السورية وأجهزة وزارة الداخلية وتوحيد مخابرات الاقليمين تحت رئاسة واحدة مرتبطة برئيس الجمهورية.

3- فصل الدعاية والاعلام من صحافة وتلفزيون واذاعة عن السراج، وجعلها إما تابعة لوزير اعلام اقليمي، أو تنظيم الاعلام على مستوى الجمهورية ويتولاه وزير واحد". (ص 202) ويقول صلاح نصر :

"ان عبد الناصر بعد أن استمع ثلاثة ايام لأحاديث طويلة، أوصى الضباط بضرورة التعاون والتضامن في حل مشاكل الاقليم السوري عن طريق مناقشة الأمور بصورة جماعية للوصول الى حلول يتفق عليها الجميع، ولكن الضباط أصروا ان يكون هنالك توجيه قاطع وحاسم يحدد مدى المسؤولية، ويبين اسلوب المشاركة الجماعية التي اقترحها عبد الناصر"(ص 203).

لقد كان موقف المشير عامر بنتيجة هذه الاجتماعات واضحا وهو انه اتخذ جانب الضباط بوجوب حل معين للمشكلة وعدم تركها ضمن الغموض الذي أراده عبد الناصر والذي اعتاده في عدم تحديد الصلاحيات والمسؤوليات لتنتهي اليه أخيرا مقاليد الأمور، ومن المضحك أن هذه الاجتماعات قد انتهت بالوزراء الضباط الى النتيجة نفسها التي انتهت إليها مسرحية "الفيل يا ملك الزمان"(2) ، إذ أنها أدت الى تعيين السراج رئيسا للمجلس التنفيذي ورئيسا للمؤسسة الاقتصادية، اضافة الى سلطاته الواسعة الأخرى، مع سحب المشير عبد الحكيم عامر من سورية

(2) مسرحية تتحدث عن فيل أثير عند أحد الملوك، وكان الفيل يعيث ويخرب في المدينة مما اضطر أهلها لتشكيل وفد للاحتجاج عند الملك، وعندما قابله اعضاء الوفد سيطر عليهم الرعب فقالوا انهم جاءوا يطالبون بأنثى لهذا الفيل.

بشكل غير رسمي، وكانت حجة عبد الناصر في هذا التعيين الخبر الذي أذيع عن نسف مبنى مجلس وزراء الأردن ومقتل هزاع المجالي، أما نور الدين كحالة رئيس المجلس التنفيذي فقد عين نائبا لرئيس الجمهورية بدون صلاحيات .. ويشير صلاح نصر الى ذلك:

"استهل عبد الناصر الجلسة بالحديث عن مقتل هزاع المجالي واحتمال أن تقوم الأردن باستغلال هذا الحادث ومحاولتها إصاق التهمة بالجمهورية العربية المتحدة وبخاصة أن أجهزة الأمن السورية ستكون أكثر العناصر المتهمه، ثم قال: لذلك توصلت الى القرار التالي :

تعيين السراج رئيسا للمجلس التنفيذي في سورية وبقاء الوزراء الآخرين عدا جادو عز الدين الذي يعين وزيرا للشغال بدلا من منصب وزير شؤون رئاسة الجمهورية في الاقليم السوري". ويخلص صلاح نصر الى القول :

"كان الغاء منصب وزير شؤون رئاسة الجمهورية يحمل اشارة الى فكرة سحب المشير من سورية كمتمتع بصلاحيات رئيس الجمهورية في سورية، وفعلا تم ذلك بعد هذا التشكيل اذ لم يبق المشير عامر في سورية طويلا بعد ذلك وعاد الى القاهرة ومكث بها حتى مطلع صيف 1961" (ص 204). كما يقول :

"وتطلب هذا القرار (اي تعيين السراج رئيسا للمجلس التنفيذي وللمؤسسة الاقتصادية) سحب عبد الحكيم عامر من سورية دون الغاء صلاحياته انتظارا لنتائج هذه المرحلة الجديدة، ويجدر الاشارة هنا إلى أن قرار عبد الناصر كان مستغربا وكانت آثاره بين صفوف مختلف القوى في سورية وفي صفوف غالبية الشعب السوري غير مستحبة " (ص 214) وينتهي صلاح نصر أخيرا الى هذا التعليق :

"وهكذا تركزت جميع السلطات في يد السراج في مواجهة المشير والمخابرات المصرية"(ص 199).

إن قرار عبد الناصر تعيين السراج رئيسا للمجلس التنفيذي، وللمؤسسة الاقتصادية، بالاضافة الى سلطاته الواسعة، لم يكن قرارا مستغربا بالنسبة لطباع عبد الناصر وطبيعة حكمه، **لقد أراد ناصر أن يكون حاكم سورية المباشر بواسطة السراج،**

## وهذا ما أراد افهامه للمشير وللوزراء العسكريين الذين اعترضوا على سلطات السراج الواسعة، وطالبوا بفصل السلطات وتحديد الصلاحيات.

ويشير نصر الى واقعة يعرفها السوريون حدثت أواخر عام 1960 بعد تعيين السراج رئيسا للمجلس التنفيذي، وهي تلك المناقشة أو المشادة التي حدثت بين السراج وبين بعض الوزراء السوريين خلال أحد الاجتماعات الشعبية في مدينة حلب، ولكن الذي لا يعرفه السوريون ويذكره صلاح نصر في كتابه هو أن عبد الناصر قد تابع توجهه في تدعيم سلطة السراج تجاه الوزراء الذين احتجوا سابقا على سلطاته الواسعة ، وذلك في الاجتماعات التي عقدها في منتصف كانون ثاني 1961 تمهيدا لاصدار قانون تأميم المصارف، وكان قد بلغته اخبار اجتماع حلب، يقول صلاح نصر :

"ان عبد الناصر أنحى باللائمة على السراج لموقفه الضعيف أمام الوزراء في إدارة المناقشات والتحكم فيها واستشهد بإدارة خروشوف لاجتماعات اللجنة المركزية قائلا للسراج :

"كان خروشوف يجمع اللجنة المركزية، ويسمح لكل عضو أن يقول ما يشاء، ولكن لا يسمح لأحد أن يتجاوز الحدود التي ينبغي أن يراعيها، ثم استعمل عبد الناصر عبارة تصف تعامل خروشوف مع أعضاء اللجنة المركزية وهي:

كان يضربهم بالجزم" (ص 215).

إن هذه الواقعة التي يذكرها نصر لها ما يعزز مصداقيتها في خطاب عبد الناصر الذي ألقاه في الفترة نفسها (أواخر شهر شباط عام 1961 في مدينة اللاذقية) وأعلن عن استعداده لسحق معارضييه من القوى السياسية السورية بالأحذية، مقلدا خروشوف الذي لم يكتف باستعمال الاحذية في اجتماعات اللجنة المركزية - حسب قول عبد الناصر - وإنما خلع حذاءه ووضع على منبر هيئة الامم المتحدة مهددا أعداء الاتحاد السوفيتي من أمبرياليين

واستعماريين، وذلك في الدورة العادية لهيئة الأمم المتحدة في عام 1960.

## تأميم البنوك في الجمهورية العربية المتحدة .

في منتصف كانون الثاني عام 1961 استدعى عبد الناصر المجلس التنفيذي السوري الى القاهرة ، حيث أعلنت الصحف عن اجتماعات مشتركة مع المجلس التنفيذي المصري برئاسة جمال عبد الناصر، وقد دامت هذه الجلسات عدة أيام، وكان الهدف منها كما نشرت الصحف هو دراسة خطط التنمية في الاقليمين. ولكن الذي تبين فيما بعد أن تأميم المصارف كان أيضا من جملة الموضوعات التي نوقشت في تلك الاجتماعات، إذ صدر بعد فترة قصيرة من تلك الاجتماعات (شباط 1961) قانون يؤمم المصارف في القطرين السوري والمصري ترافق مع تعديل في المجلس التنفيذي السوري فأصبح وزير الاقتصاد حسني الصواف رئيسا للمصرف المركزي السوري. وأصبح أكرم الديري خلفا له في الوزارة ويشير صلاح نصر في كتابه الى بعض اسرار اجتماعات كانون ثاني 1961 التي جرت فيها مناقشة تأميم المصارف فيقول :

"كان رأي حسني الصواف وزير الاقتصاد السوري معارضا لفكرة تأميم البنوك لعدة أسباب، منها أن سورية بلد تجاري سوف يتأثر بالتأميم، كما ان في البنوك السورية أموالا عربية، فإذا ما أجري التأميم فإن رؤوس الأموال العربية ستخرج من سورية وستتأثر العلاقات العربية معها" كما يذكر :

ان عبد الوهاب حومد كان معارضا وكذلك نور الدين كحالة الذي ترك الأمر لعبد الناصر أما باقي الوزراء فكان رأيهم موافقا ويشير صلاح نصر الى موقف السراج بالنسبة لهذا الموضوع بقوله :

"كان رأي السراج غير واضح ويحتمل الموافقة أو عدم الموافقة، ومع أنه كان يتمتع بالقسط الأكبر من المسؤولية فلم يكن حاسما في رأيه، بل استند الى تقييم الوضع في سورية واتخاذ القرار بعد هذا التقييم".

كما يشير صلاح نصر الى أن عبد الناصر كان غاضبا من موقف السراج بعد هذه الاجتماعات، وفي منزله في منشية

البكري وبحضور عبد الحكيم عامر، جرى تأنيب السراج بلهجة حوت كل مظاهر القسوة والتأنيب والتهديد ورد فيها بالحرف الواحد:  
"انت عايز إيه يا عبد الحميد؟"

عاوز أعملك إيه حتى ترضى؟ ما تقول وتخلصنا؟ أنا قاعد ومفتح وداني وعيني لكل همسة في مجلس الوزراء، وأنت ولا أنت هنا .. هي الأمور ما تهملكش؟" (ص 220-221).

**لا شك أن سبب تأرجح السراج في موضوع تأميم المصارف ليس ناتجا عن موقف اقتصادي فلم يعرف عن السراج ان له آراء خاصة في هذا الموضوع، وإنما كان تأرجحه بين ما تعود عليه من تبعية لعبد الناصر، وبين ذلك الالتفاف اليميني من الرأسماليين وفلول الاقطاعيين الذي بدأ يتكتل حوله بسبب بطشه بكل الفئات التقدمية في سورية، وهو السبب نفسه الذي جعل أديب الشيشكلي خلال حكمه الديكتاتوري مؤيدا من هذه الفئات.**

لقد كان أهم مظهر لهذا الالتفاف حول السراج ما جرى في مدينة حماه عندما توفي شقيقه عام 1960 ، وهو شخص بسيط صاحب مخبز في حماه، فقد هرعت الى المدينة من كل انحاء سورية جميع قوى اليمين من رجال دين، وانتهازيين، ورجال أعمال، وفول اقطاعيين ، متخذين من تشييع الجنازة مناسبة لاعلان تأييدهم للسراج، ولئلا يستغل المشير هذه المظاهرة الضخمة لاثارة مخاوف جمال عبد الناصر - وكان حاضرا التشييع - فقد تملق السراج، على قبر أخيه، وبشكل ملفت للنظر جمال عبد الناصر الذي كان لا يطيق أن يكون لسواه أي قوة شعبية.

لقد كان هذا التشييع الضخم الذي قدر بالالوف من جميع أنحاء سورية مناسبة جيدة لاستغلالها من قبل المشير عبد الحكيم عامر والمخابرات المصرية لاثارة مخاوف جمال عبد الناصر من عبد الحميد السراج.

**قرارات التأميم كانت الصاعق الذي فجر الانفصال.**

لقد صدرت قرارات التأميم في شهر تموز 1961 فكانت سببا في الخلاف بين عبد الناصر والمجلس التنفيذي السوري، فألغى عبد الناصر هذا المجلس قبل الانفصال بفترة وجيزة (16/8/1961) فاعتبر الغاؤه إلغاء للشخصية السورية واستغناء عن الوزراء السوريين.

أما بالنسبة الى قرارات التأميم فقد أشار أول بلاغ عسكري صدر بعد الانقلاب الذي ادى إلى الانفصال بأنها "قرارات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب".

وقد أشرت سابقا وبالتفصيل الى تشكيل اللجنة الثلاثية التي أرسلها عبد الناصر الى دمشق بعد تشكيل الحكومة المركزية عام 1959 ولا موجب لاعادة تفاصيل ما جرى من مناقشات ولكن يمكننا القول أنهم فشلوا في اقناع الخبراء الاقتصاديين السوريين ووزير الاقتصاد خليل كلاس بمهمتهم وبقي النظام الاقتصادي السوري اقتصادا موجهها دون أن يطرأ عليه أي تعديل، ولكن عبد الناصر ظل مصمما على توحيد النظام الاقتصادي في البلدين دون النظر الى اختلاف موقع الاقليمين الجغرافي واختلاف أوضاعهما الاجتماعية والاقتصادية، ودون النظر الى طبيعة الشركات والمعامل المؤممة في سورية والتي تختلف اختلافا جذريا عن وضع الشركات التي أمتت في مصر.

لقد كانت جميع الشركات التي أمتت في سورية مملوكة من قبل السوريين، وقد انشئت بجهودهم وأموالهم ، وكان بعض هذه الأموال قد اكتسب من خارج سورية، وجرى تشجيع أصحابه لاستقدامه الى البلد وإقامة المشاريع (معامل الدبس الذي استقدم امواله من الخارج) كما ان كثيرا من أسهم هذه الشركات كان مملوكا لصغار المساهمين، وكان مألوفاً في سورية أن تشتري المرأة، ربة المنزل التي لا تمارس عملا خارج بيتها، بعض الاسهم في الشركات السورية من مدخراتها.



ومن جهة أخرى لم يكن في سورية وجود لأية شركة أجنبية، إذ أن الشركات الأجنبية (شركة كهرباء دمشق، شركة مياه حلب، شركة الخطوط الحديدية، شركة حصر التبغ الخ) قد أمتت كلها وأصبحت ملكا للدولة منذ سنة 1950 أي خلال سنتين بعد استقلال سورية، كما جرى تأمين بنك سورية ولبنان (بنك اصدار النقد السوري) وكان مصرفا فرنسيا خلال عام 1956 وقبل الوحدة بسنتين.

كان وضع الشركات التي أمتت في مصر مختلفا تماما، كما أسلفنا، عن الشركات التي أمتت في سورية، ومن هنا فإن انعكاسات التأمين في سورية قد اختلفت عن انعكاساته في مصر.

تحدث محمد حسنين هيكل في الحلقات التي نشرها في جريدة القبس ثم في الكتاب الذي أصدره تحت عنوان "سنوات الغليان" عن وضع الشركات التي أمتت في مصر عام 1956 بما يلي :

"لقد كانت السيطرة الأجنبية على القطاع الصناعي والتجاري والمالي وقطاع المقاولات شبه محكمة، وإذا اتخذت عضوية مجالس إدارة الشركات مقياسا للاستدلال، فقد كان نصف مقاعد مجالس إدارة الشركات للأجانب، وكان الربع للجماعة التي أطلق عليها وصف المتمصرين، أما الربع الباقي فقد كان متاحا للمصريين، ومعظمهم من البشوات الذين يتصدرون المجالس شكلا دون أن تكون لهم علاقة بأعمالها" (القبس العدد 1141 تاريخ 88/10/19).

أما بالنسبة للوجبة الثانية من قرارات التأمين التي أصدرها عبد الناصر في تموز عام 1961 والتي شملت الشركات السورية فقد كان وضع هذه الشركات في مصر، بعد ما يقرب من عشر سنوات من ثورة يوليو 1952 ، كما يصفه محمد حسنين هيكل :

" ولم يكن التحصين بالامن هو المطلوب الحقيقي لـ "جمال عبد الناصر". فقد كان يشعر على نحو ما أن الثورة تفقد قوة انداعها، وانه برغم كل ما تم في مجالات التصنيع وتوزيع الاراضي، وانشاء المشروعات الكبرى، وفي

مقدمتها السد العالي واسترداد المصالح الاجنبية الممسكة باعصاب الاقتصاد المصري، فان هناك حلقات ما زالت مفقودة.

وقد حدثت في ذلك الوقت واقعة لفتت نظره الى هذه الحلقات المفقودة . فقد حدث في اوائل عام 1961 ان حكومة بلجيكا التي ضايقتها سياسة الجمهورية العربية المتحدة في الكونغو اتخذت قرارا بقطع العلاقات السياسية مع مصر. وردت مصر بوضع الرعايا البلجيكين في مصر تحت الحراسة، وكان عددهم حوالي ثلاثمائة بلجيكي. وعندما بدأ جرد ثرواتهم في اعقاب وضعهم تحت الحراسة تبين ان هذا العدد من البلجيكين يمتلك قرابة مليون سهم في شركات تعمل في مصر في مختلف المجالات. وقد دفعه هذا الى طلب تقرير كامل عن ملكية الاجانب في الاقتصاد المصري. ولشهور بعد ذلك كانت اجهزة الدولة الحساسة مجندة للبحث عن السؤال الذي كان يلح على "جمال عبد الناصر" في ذلك الوقت وهو: "من الذي يملك مصر؟".

وكانت النتيجة التي توصل اليها البحث صدمة لا حدود لها. فقد تبين ان حوالي مائتي عائلة يهودية تحمل جوازات سفر بلجيكية او ايطالية او فرنسية او بريطانية - وبعضها لا يحمل جوازات سفر على الاطلاق من وقت الامبراطورية العثمانية - تملك فيما بينها مصالح عقارية او مالية موظفة في الشركات تزيد قيمتها على خمسمائة مليون جنيه بقيمة النقود في ذلك الوقت.

وكانت تلك اول نقطة على الطريق الذي ادى بعد ذلك بشهور الى قرارات يوليو الاشتراكية الشهيرة". (القبس 88/11/28 العدد 1176).



لقد أصبح الوضع ممهدا لعبد الناصر بعد استقالتنا وبعد أن جعل السراج حاكما مطلقا على سورية، وأقام حكومة عسكرية بمشاركة فنيين لا يشكلون عائقا، فأصدر بمناسبة 23 تموز 1961 سلسلة من القرارات تشمل القطرين وتقضي بأن تتخذ عشرات من كبار الشركات والمصارف والمؤسسات شكل شركة مساهمة تساهم فيها الدولة بحصة لا تقل عن 50% من راس المال ، وذلك في مهلة ستة شهور، ولا يجوز لأي كان امتلاك أسهم قيمتها اكثر

من عشرة آلاف جنيه، والأسهم الزائدة تدفع الدولة ثمنها يوم صدور القرارات التي كانت :

1- تأميم جميع البنوك وشركات التأمين، وتأميم خمسة وسبعين شركة ومؤسسة في الاقليم الجنوبي وثلاث وعشرين في الاقليم الشمالي والتعويض على حملة الأسهم خلال خمسة عشر عاما بفائدة سنوية مقدارها 4%.

2- قانون باشتراك رأس المال العام في الشركات والمؤسسات على ألا تقل نسبة اشتراك القطاع العام عن 50% والتعويض على أصحاب الأسهم خلال 15 سنة بفائدة 4%.

3- قانون بتحديد قيمة تملك الأسهم بعشرة آلاف جنيه في مصر وعشرة آلاف ليرة سورية في سورية.

4- قرار بتنظيم شركات ومنشآت تصدير القطن في الاقليم الجنوبي.

5- قرار بقصر اعمال مقاولات الحكومة والمؤسسات العامة والشركات شبه الحكومية في الاقليم المصري على المنشآت التي تساهم فيها الدولة بنسبة لا تقل عن 50%.

6- قانون إسقاط الالتزام عن مرفق ترام القاهرة.

7- قانون لاسقاط الالتزام عن ليون وشركاه.

وقد اتبعت هذه القرارات بقرارات أخرى لتسمية مجالس إدارة موقته للشركات والبنوك التي أممت وعربت.

وفي البيان التفسيري لهذه القرارات الذي أذاعه علي صبري ورد ما يلي:

"إن وجود القطاع العام في الاقتصاد أصبح أمرا بالغ الحيوية إذا أريد بناء مجتمع ذي كفاية عادلة على أساس تحويل جميع المواطنين إلى ملاك".

وبمناسبة الاستعراض العسكري الذي جرى في 23 تموز 1961 اشار عبد الناصر الى قرارات التأميم وقال : "إن الثورة

ليست ضد الملكية بصورة مطلقة ولكنها ترى أن للملكية وظيفة اجتماعية".

لقد نقلت أجهزة المخابرات لجمال عبد الناصر بلا شك ردات الفعل السلبية لدى الرأي العام السوري، ولا سيما لدى التجار ورجال الأعمال والاقتصاد تجاه قرارات التأميم التي تسببت بتهديب معظم الرساميل السورية الى لبنان والى الخارج في تلك السنوات العجاف من جراء القحط الذي اصاب سورية خلال سنوات الوحدة، ولكن عبد الناصر ألقى خطابا أمام وفد سوري من الاتحاد القومي زار الاسكندرية في أواخر شهر آب 1960، قبل شهر واحد من الانفصال، وورد في خطابه ما يلي:

"لقد ظنوا أنهم سيجدون في الاقليم السوري سبيلا الى الدس على الوحدة ولكن هذه الوحدة سارت في طريقها وهي تتدعم كل يوم".

وفي الوقت نفسه أعلن عن تشكيلات جديدة عين بموجبها سبعة نواب لرئيس الجمهورية وهم :

عبد اللطيف البغدادي للتخطيط.

المشير عبد الحكيم عامر للدفاع.

نور الدين كحالة للانتاج.

كمال الدين حسين للحكم المحلي.

زكريا محيي الدين للشؤون العامة.

حسين الشافعي للمؤسسات العامة.

عبد الحميد السراج للشؤون الداخلية.



في تلك الفترة اتصلت المخابرات المصرية، بشكل مجاني- باخواننا من الحزبيين السابقين يطلبون منهم التأييد لقرارات تأميم المصارف التي صدرت سابقا، وقرارات تأميم الشركات، وكان كمال رفعت قبيل التأميم الأخير بقليل، وبعد أن ظهرت الخلافات بين عبد

الحكيم عامر والسراج على السطح قد طلب ان يراني، بداعي انه يريد ان يسمع الاسباب التي دعت لاستقالتي فاعتذرت عن الاجتماع، وأجبت بأنني أبت للئيس جمال عبد الناصر أسبابها، تلك الاسباب التي لا تزال قائمة حتى الآن، معتبرا أن هذا الطلب هو من قبل التكتيك، ووسيلة ضغط على عبد الحميد السراج لصالح المشير عبد الحكيم عامر، وربما كان الهدف خلاف ذلك.

### **إلغاء المجلس التنفيذي وإدارة شؤون سورية من القاهرة.**

بعد إصدار القرارات الاشتراكية بتاريخ 23 تموز 1961 كان جمال عبد الناصر عازما على إلغاء المجلس التنفيذي السوري وتشكيل حكومة واحدة للأقليمين، فكان هذا الالغاء المسمار الأخير الذي دقه ناصر في نعش الوحدة.

لقد طلب ناصر في اجتماعه مع الوزراء العسكريين السوريين الذي تم قبل إصدار القرارات الاشتراكية - أن يتدارسوا موضوع الغاء المجلس التنفيذي، وأن يعودوا اليه بأرائهم، وذلك في الاجتماعات التي سيعقدها في أوائل آب 1961 بعد اعلان تلك القرارات، ويشير صلاح نصر في كتابه الى ما جرى في اجتماعات الوزراء السوريين العسكريين في دمشق :

"إن الوزراء العسكريين السوريين تدارسوا هذا الموضوع في سورية خلال عدة اجتماعات ، لم يحضرها السراج، ولكنه كان يزود عبد الناصر بتقارير عما جرى فيها .. وأن مواقفهم كانت كما يلي :

ان اكرم الديري كان معارضا الغاء المجلس التنفيذي وتشكيل حكومة واحدة مقرها القاهرة، لأن ذلك يعني -حسب رأيه- الغاء لمدينة دمشق التي هي من أهم العواصم العربية، وقد بلغ أكرم ديري برأيه الى حد التصريح بأنه على استعداد لأن يسير وراء السراج، اذا كان خلافهم مع السراج هو السبب، بالرغم من تسلطه وكثرة شكاوى المواطنين منه، وقد أيده الوزراء العسكريون ما عدا جادو عز الدين"(ص 224).

وفي الصفحة 227-228 يشير نصر الى الاجتماعات التي تمت في القاهرة في أوائل آب 1961 بما ملخصه :

"استدعى عبد الناصر الوزراء السوريين بما فيهم عبد الحميد السراج، واستقبلهم فرادى بحضور عبد الحكيم عامر، وبنتيجة هذه المقابلات الفردية وافق جميعهم ما عدا اكرم الديري، ثم التقى عبد الناصر بالوزراء السوريين مجتمعين وطلب منهم ان يدلوا بأرائهم بعد أن استمع لكل منهم في اليوم السابق، فكان رأي الجميع بما في ذلك السراج الموافقة على الحكومة الواحدة التي مركزها القاهرة، أما اكرم ديري فقد أبدى رأيه بقوله:

"انني اعتبر نفسي ضابط أركان لدى قائد، وقد بيدي ضابط الأركان لقائده رأياً مخالفاً لرأيه، ولكن حينما يتخذ القائد القرار يصبح ضابط الأركان ملتزماً بتنفيذه بكل إخلاص، وفي ذلك الاجتماع شرح ناصر مزايا تشكيل الحكومة الواحدة، وضرورة قيامها بعد مضي ثلاث سنوات على الوحدة، وبخاصة أن القرارات الاشتراكية تقضي بأن يكون هنالك تماثل اجتماعي واقتصادي وسياسي في الاقليمين، وان ذلك لا يتحقق طالما كانت الادارة الحكومية غير موحدة في الاقليمين. وهكذا صدر قرار جمهوري بتشكيل الحكومة الواحدة في 16 آب 1961 وتم أول (وآخر) اجتماع لها في 26 آب في قصر القبة برئاسة جمال عبد الناصر".

ويعلق نصر على تشكيل هذه الوزارة :

لقد كان شكل الوزارة يشير الى أن العملية هي نقل وإبعاد المجلس التنفيذي السوري من دمشق الى القاهرة، كما أن معظم وزارات الحكومة الواحدة كانت تضم وزيرين أحدهما مصري والآخر سوري، عدا بعض الوزارات الهامة التي كان يشغلها الوزراء المصريون كالأصلاح الزراعي والداخلية وغيرها، وكان يستدل من هذا التشكيل انه تشكيل موقت ولا مفر من أن يعدل فيبقى وزير واحد بدلا من وزيرين في المستقبل" (ص 228).

**لقد كان هذا التشكيل الجديد يعني بلا شك الغاء مشاركة السوريين بآدارة القطر وتصريف شؤونه ، ومن المستغرب أن يتصور عبد الناصر امكانية ذلك من القاهرة وبمساعدة الوزراء المصريين. ترى هل كانت هواجسه من نوايا المشير والسراج الباعث الذي دعاه للاقدام على هذا التصرف الذي جاء نتيجة للصراع على السلطة بين**

## الرجلين، وهو الصراع الذي ساهم في دفع الوحدة، شيئا فشيئا. إلى شفا الانهيار؟



لا شك أن إقامة السراج في القاهرة كنائب لرئيس الجمهورية لشؤون الداخلية معناه تجريده من سلطاته ، وأن عمله لن يكون الا الاطلاع على بعض تقارير وزارة الداخلية التي ترى الوزارة تحويلها اليه، وهكذا اصبحت اقامته في القاهرة منفي له كما كانت منفي لغيره من الوزراء السوريين بداعي تشكيل الوزارة المركزية، لذلك قرر السراج في أوائل أيلول 1961 السفر الى دمشق، فتيعه اليها المشير عامر، ومنذ ذلك الوقت أصبح الصراع مكشوفاً، وانتقل الى شوارع دمشق والى أجهزة الاعلام العربية والاجنبية، ولم يعد صراعا بين المشير عامر وعبد الحميد السراج كما كان في صورته السابقة، بل أصبح بين عبد الحميد والسوريين من جهة وبين المشير عامر والمصريين من جهة أخرى اي بين جناحي نظام الوحدة وأجهزتها وبين شعبي العربية المتحدة، وأخذ الخلاف طابعا قطريا مكشوفاً عندما هدد اعضاء الاتحاد القومي وبعض النقابات برفع الاعلام السورية.

إن المخابرات المصرية بالرغم من جميع ما بذلته في سورية بامكاناتها الواسعة فانها كانت تنهزم في جميع نشاطاتها طيلة ايام الوحدة في مواجهة جهاز عبد الحميد السراج، لقد شعر السوريون بالتسلط المصري على الجيش والحكومة ودوائر الدولة. فكان ذلك هو السبب الذي جعل الناس بجانب السراج في مواجهة المشير عبد الحكيم عامر في نزاعهما على حكم سورية، على الرغم من أن جهاز المخابرات السوري قد أوكل اليه من قبل عبد الناصر القيام بالاعتقالات وعمليات التعذيب طيلة ايام الوحدة.



عندما وصل السراج الى دمشق بدأ دوامه في القصر الجمهوري بصفته نائبا لرئيس الجمهورية ومكلفا بالشؤون الداخلية ولم يقابل المشير عامر، بل وجه دعوة للاجتماع الى اللجنة التنفيذية للاتحاد القومي ، بصفته أمين سر الاتحاد في الاقليم السوري، وفي اليوم التالي بدأ أول مظهر للأزمة حين صرح المشير عبد الحكيم عامر أنه بحكم صلاحياته هو المسؤول عن الاتحاد القومي في الاقليم السوري، ولكن السراج قال ان الاتحاد القومي هو هيئة منتخبة من قبل الشعب وان هذه الهيئة قد انتخبته امينا للسر، فلا يستطيع أحد أن يخلفه الا اذا جرى تصويت جديد.

وفي اجتماعه مع اللجنة التنفيذية القى بيانا مطولا عرض فيه أسباب هذا الاجتماع، فقال انه سافر الى القاهرة ليتولى منصبه الجديد هناك، ولما ذهب الى مكتبه لم يجد اي عمل له، ولما لم يتصل به أحد استدعى اليه وزير الداخلية السيد عباس رضوان وطلب منه أن يرسل اليه جميع الملفات الخاصة بوزارة الداخلية، ولكن الوزير لم يفعل ذلك فشكا أمره الى الرئيس عبد الناصر فوعده أن يحقق في الأمر ودعااه للرجوع الى عمله، وقال السراج انه فضل الرجوع الى دمشق لابلاغ هذه التفاصيل الى الاتحاد القومي.

وهكذا أصبحت مقرات الاتحاد القومي في سورية مراكز لمقاومة المشير عبد الحكيم عامر. ولانتقاد نظام جمال عبد الناصر ، كما جرت محاولات للتظاهر والاضراب (النقل الداخلي والمخابز) واستغلت عناصر اليمين التي تضررت من التأميم هذا الجو. وبهذه المناسبة أذكر أن الدكتور جمال أتاسي زارني في تلك الفترة وقال لي : ان اليمين السوري متفائل باقتراب ساعة الفرج.

لقد كان من نتيجة الجو الذي ساد سورية بعد عودة السراج أن أصدر الرئيس عبد الناصر مرسوما يقضي



بادماج الاتحاد القومي في كل من الاقليمين السوري والاقليم المصري، وبموجب هذا التدبير انتهى دورالسراج كأمين سر للاتحاد القومي في سورية، كما أرسل المشير عامر قوة عسكرية أغلقت مقرات الاتحاد القومي، اضافة الى صدور قرار بتوحيد المخابرات بين الاقليمين ، واستنادا الى هذا القرار فإن وزير الداخلية المصري عباس رضوان قد أصدر قرارا بنقل ضباط المخابرات السوريين الى القاهرة، ولما تمرد هؤلاء الضباط، وامتنعوا عن تنفيذ أوامر النقل، أصدر المشير عبد الحكيم عامر امرا بالقاء القبض على المتمردين والممتنعين توطئة لمحاكمتهم، فهرب بعضهم الى لبنان، وتوارى بعضهم الآخر.

وفي هذا الجو قدم السراج استقالته التي اعلنت يوم 1961/9/22 اي قبل عدة ايام من تاريخ الانفصال.



ولكن لماذا تمرد السراج على قرارات عبد الناصر، وهو الذي كان ضابطا مطيعا لرؤسائه في السابق؟

لا شك أنه كان يعز على عبد الحميد السراج بعد أن نفخ فيه عبد الناصر ولمعه منذ اليوم الأول للوحدة، وجعله موضع ثقته والحاكم المطلق على سورية ان يجرده من جميع صلاحياته دفعة واحدة، بالاضافة الى شعوره في قرارة نفسه، وهو شعور غالبية السوريين، ان أجل الوحدة لن يطول، لذلك أثر ان ينقذ نفسه من مسؤولية انهيارها.

لقد ذكر صلاح نصر في كتابه "ان عبد الحميد السراج قد توجه منذ اليوم الأول للانفصال الى مبنى الاركان العامة وطلب مقابلة عبد الكريم النحلاوي الذي رفض مقابلته، فقابل احد أعضاء حركة النحلاوي، ربما كان عادل الشيخ امين او زهير عقيل، واعلن السراج ولاءه لحركة النحلاوي واستعداده للتعاون معها، ولكنه ابلغ بأن يلزم بيته وعند الحاجة اليه سيجري الاتصال به، ولكنه حاول

فيما بعد الهرب من بيته فألقي القبض عليه وأودع في السجن" (ص 200).

إن هذه الواقعة هي صحيحة وقد علمت بها منذ الأيام الأولى للانفصال ، أما من اتصل بهم من ضباط الحركة فقد قيل انه حيدر الكزبري قائد قوات حرس البادية.

لقد جرى في اليوم الأول للانفصال امر له دلالتة هو المظاهرات التي قامت بها اجهزة السراج، وقد رايت بعضها يمر أمام منزلي رافعة صور السراج، ظنا منها أن حركة الانفصال هي لمصلحته ، ولكن سرعان ما اكتشفوا خطأهم، فتواروا عن الانظار، مع الاشارة هنا الى أن حيدر كزبري هو أول من عرف اسمه من ضباط الانفصال، لأن قوات حرس البادية التي كانت بقيادته أحاطت بمكان اقامة المشير والأركان وكانت الوجه الظاهر للانقلاب. يقول صلاح نصر في كتابه عبد الناصر وتجربة الوحدة:

"كان السراج يلم بنشاط حيدر الكزبري ويعرف تحركاته وصلته بعد الكريم النحلاوي".

"كان السراج يشجع الكزبري ظنا منه انه سيكون قادرا على ابقائه في نطاق سيطرته" (ص 243).

أما عن صلة الكزبري بالنحلاوي رئيس مكتب المشير المعروفة من قبل السراج فلعلها كانت وسيلة -كما يظن السراج- للاطلاع على ما يجري في مكتب المشير. ولكن الذي حدث ان الكزبري والنحلاوي كانا متفقين على القيام بحركة 28 أيلول عام 1961 التي أدت الى انفصال سورية عن مصر.

لقد اشار صلاح نصر في كتابه إلى الجو الذي ساد سورية في شهر أيلول 1961 بما يلي:

"انه في الفترة ما بين مجيء السراج الى دمشق في مطلع سبتمبر وبين تاريخ الانفصال في 61/9/28 كانت سورية محرومة من عنصر الامن، اذ ان مخبراتها ومباحثها كانت معطلة، وكانت سورية مكشوفة للتأمر عليها، وبخاصة ان مخبرات الجيش السوري

كانت مشغولة في ذلك الوقت بمتابعة النشاط التخريبي للمباحث والمخابرات العامة (السورية) الأمر الذي جعل كل أجهزة الأمن السورية معطلة تماما وهياً جوا لتأمر الانفصاليين بكل حرية" (ص 231).

لا شك ان الجو الذي يصفه صلاح نصر خلال شهر ايلول قد هياً للانقلابين الفرصة لتنفيذ انقلابهم. ولكن لا شك ان التخطيط للانقلاب بدأ قبل ذلك. وهنا لا بد لي من الاشارة الى هذه الواقعة التي حدثت معي في شهر آب 1961:

لقد أخبرني السيد مازن الصبان بواسطة شقيقته أن المحامي عمر الجيرودي يريد الاجتماع بي لأمر هام، وعندما اجتمعت به عرفني بنفسه، وقال انه مرسل من قبل الضباط الدمشقيين الذين يزعمون القيام بحركة ضد نظام عبد الناصر، وأذكر أنه استعمل تعليقا على قرارات التأميم هذه العبارة :

انها قرارات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب .. وهي العبارة نفسها التي وردت في أول بلاغ للانقلابيين صدر في 28 ايلول، كما قال ان الضباط يريدون ان أساعدهم، ولما سألته عن أرسله من هؤلاء الضباط ؟ ذكر لي اسم منيب الهندي، ولكنني لم أكن أعرفه كما لم أكن أعرف أي اسم من اسماء الانقلابيين التي عرفت بعد 28 ايلول.

لقد اعتذرت لعمر الجيرودي عن تقديم أي مساعدة، وكان موقفي منسجما مع القرار الذي اتخذناه خلال الاجتماعات السرية التي تمت بعد الاستقالة لاعادة تنظيم الحزب، وهو ألا نشترك بأي عملية ضد الوحدة بالرغم من أنها افرغت من محتواها القومي والديموقراطي.

1961 : عشرة ايام بعد الانفصال 1961/9/28 -  
 البلاغ الأول للانفصال - البلاغ التاسع - الضباط  
 الانقلابيون يتراجعون في البلاغ التاسع عن مهاجمة  
 التأميم ويحصرن الحركة بمطالب الجيش - مقابلة  
 مع الانقلابيين في الأركان العامة - مقابلة مع  
 الضابط هشام عبد ربه قبيل حركة 28 آذار 1962 -  
 الضابط المصري جلال هريدي على رأس قوة  
 مظلات مصرية تتجه الى سورية - هل كان للمشير  
 عبد الحكيم عامر علاقة بالانفصال؟ هل كان بقاء  
 عامر قائدا للجيش المصري بعد الانفصال نتيجة  
 "انقلاب ابيض" وهو التعبير الذي استعمله حسنين  
 هيكل في كتابه سنوات الغليان؟ - تشكيل الحكومة  
 السورية برئاسة مأمون الكزبري - محاولة الاتفاق  
 على ميثاق وطني - بيانات سلطان باشا الاطرش  
 وفارس الخوري وشكري القوتلي وقيادة حزب  
 البعث في لبنان (حيث كان ميشيل عفلق) بتأييد  
 الانفصال - رد الفعل الشعبي على تأليف حكومة  
 الكزبري .

في صباح يوم الخميس 1961/9/28 هرع الى منزلي العديد  
 من الاصدقاء ليخبروني بأن انقلابا وقع، وان قوات الجيش تحتل  
 دمشق منذ الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وانهم حاولوا أن  
 يتصلوا بي هاتفيا فلم يستطيعوا، لأن خط الهاتف كان مقطوعا عن  
 منزلي، وهكذا كان مصدري الوحيد للأخبار جهاز الترانزستور الذي  
 كنت استمع اليه دون انقطاع طيلة النهار مع بعض الاصدقاء. ولم  
 يعد هاتف منزلي للعمل الا صبيحة اليوم التالي للانقلاب.

لقد أحسست لدى سماعي أخبار الانقلاب بأن كابوسا  
 ثقيلًا قد أزيح عن صدري بعد عامين طويلين من الحصار والمراقبة،  
 ومنع الناس من زيارتي، واللحاق بي اينما ذهبت، حتى امتنعت  
 عن مغادرة المنزل، وفي تلك اللحظات ازداد ايماني اكثر مما

مضى بالديمقراطية التي تحترم حقوق الانسان وحرية، وتؤمن خبزه، وعاهدت ربي أن تبقى الديموقراطية - مثلما كانت دائما - في المكان الأول لكل ما أسعى لتحقيقه من أهداف وان تكون طريقي الوحيد لتحقيق تلك الأهداف، وتداعت الخواطر في ذهني بعد البلاغ الأول :

لقد كنت على حق عندما وجهت الدعوة - كرئيس لمجلس النواب السوري- الى وفد نيابي مصري على أساس البحث في الاتحاد الفدرالي بين القطرين، وكنت على حق عندما رفضت الوحدة الاندماجية بين القطرين، وأصررت على الاتحاد الفدرالي في مؤتمر الحزب الذي انعقد قبيل الوحدة، ثم عندما عرضت على عبد الناصر -بعد قيام الوحدة عام 1959- أمر الرجوع الى صيغة من الاتحاد الفدرالي، التي تحفظ للاقليم السوري أوضاعه الديموقراطية وخصوصياته القطرية، بينما أدت به الوحدة الاندماجية الى الانفصال بل الى احتمال الاحتراب بين القطرين.

واستطيع أن أوكد بأن الجيش والشعب قد تلقى بأكثرية الساحقة نبأ هذه الحركة بالترحيب وان كثيرا من الذين انقلبوا ناصريين فيما بعد انما فعلوا ذلك بعوامل انتهازية ، أو لخيبة أملهم بالوضع الجديد بعد الانفصال، أما بالنسبة للسياسيين العاملين في الحقل العام فإن ما كتبه خالد العظم في مذكراته عن ذلك الانقلاب كان معبرا عن موقف الغالبية فيهم، يقول خالد العظم :

"لقد توالى على مسمعي البلاغات فظننت أنني في حلم، وجلسنا جميعا حول المذياع نتمتع بسماع الأخبار المسرة المفرحة ولا سيما النشيد السوري الذي حرمننا سماعه، فاغرورقت عيناى بدموع الفرح لاننيار حكم بوليسي تعسفي لاقت منه سورية الامرين، ونحن مع أننا دعاء وحدة الا اننا لسنا من مؤيدي هذا النظام الذي أزال سورية من الوجود، وابعد زعماءها، ونكل بالمواطنين وأطاح باقتصاد سورية، وسلط الموظفين والمباحث المصريين على شؤون البلاد"(ص 200 الجزء الثالث).



اذاعت محطة دمشق البلاغ الأول في الساعة السادسة والنصف من صباح 61/9/28 ، ثم توالى قبل الظهر تكرار هذا البلاغ، مع إضافة سبعة بلاغات اليه تتعلق بحفظ الأمن والنظام والامتناع عن مظاهرات التأييد التي انطلقت في كل ارجاء المدن السورية، أو بإغلاق المطارات، أو بالمحافظة على الضباط والمدنيين المصريين ومعاملتهم بالكرم والعناية وروح الأخوة، ثم اعلان نجاح الحركة والطلب الى المواطنين الانصراف الى أعمالهم والكف عن التظاهر والتجمهر ، وأكتفي هنا بتثبيت صيغة البلاغ الأول :

بلاغ رقم 1: ان القيادة العربية الثورية العليا للقوات المسلحة، تعلن على الشعب العربي المكافح في سورية ومصر خاصة وفي البلاد العربية والعالم عامة، ما يلي :

ان الشعب العربي المكافح في سورية ومصر يدعمه الجيش العربي فيهما، قد قام متكلا على الله العزيز القهار، بحركة عربية ثورية منظمة لمححق الانحراف والمنحرفين: أولئك الذين ضربوا الوحدة العربية المقدسة في الصميم، تلك الوحدة المقدسة التي ضحى الاباء والاجداد في كل قطر عربي بدمائهم وأرواحهم في سبيلها، تلك الوحدة المقدسة التي سطعت انوارها الأولى من قلب العروبة الناهض، سورية الثائرة على الطغيان، سورية المؤمنة الجبارة التي قضت على المستعمرين والمتآمرين عبر التاريخ .. تزار اليوم وتثب بمزيد من عون الله العلي القدير، لتقضي على اشباه الطغاة والمستعمرين، المستغلين والمنحرفين الذين سلمهم الشعب العربي الابي في سورية كل مقدراته، مندفعاً وراء الوحدة العربية المقدسة، التي عاش من أجلها، ويعيش ويموت من أجلها.

ولكن الطغمة المتحكمة خانت الامانة، وضربت بالوحدة عرض الحائط، ونفرت الشعب العربي في الاقطار العربية الشقيقة من كل ما يتصل بالوحدة ، وأصبح كل هم هذه الطغمة الجائرة ان تثبت في كرسي الحكم السحرية لا غير، وباتت العهود والمواثيق والدساتير حبرا على ورق.

وراحت هذه الطغمة الفاسدة تفتش عن الاساليب التي تكفل تحقير للشعب وافقاره، وتقتل في نفسه الجذوة المتقدمة من الفضيلة والكرامة

والغداء، كما وراحت تبدد الاموال العامة رشوات مفضوحة في رواتب، لتشكك الاخ بأخيه والاب بابنه، فيسود في النفوس الذعر والخنوع.

كما راحت بين الحين والحين تصدر قرارات سمتها ثورية، والثورة منها براء. قرارات ظاهرها فيه الرحمة وباطنها فيه العذاب. كل ذلك ليخدعوا الكادحين من ابناء الامة، وخاصة العمال والفلاحين عصب الامة القوي ويدها الامينة المخلصة. ناهيك عن الخطة السافلة التي اتبعتها هذه الطغمة المجرمة في تصفية الجيش، سياج الامة، من ابنائه المخلصين وابطاله الميامين، وهم في ريعان شبابهم وعنفوان قوتهم.

كما راحت هذه الطغمة تنشر دعايات مضللة، بغية صرف الانظار عما يقترفون من جرائم، وما يشيعون من فساد، الى كثير وكثير مما لا يخفى على الشعب العربي، من تمثيل وادعاء وكذب وخيانات.

وقد أعمت بصيرة هذه الطغمة حمى الحكم، فنسوا أن الشعب العربي الثائر الذي سلمهم الامانة ليصونوها، قادر على سحقهم واسكات اصواتهم وانفاسهم.

والشعب الان يمد يده الشريفة القوية ليتسلم حقه المقدس، وليعمل بكل امانة واخلاص في دعم الوحدة العربية المقدسة بين الأفطار العربية الشقيقة، من الخليج الى المحيط، على اساس متين من التكافؤ والمساواة والحرية والاخاء وليصون الموائيق والقوانين والانظمة الدولية، وليتبع كل ما من شأنه تحسين العلاقات مع الدول العربية الشقيقة خاصة، ومع الدول الاجنبية عامة.

والله تعالى وحده هو نعم المولى ونعم النصير".

لم يمض على اذاعة البلاغ الأول من اذاعة دمشق سوى ثلاث ساعات حتى سمع الناس من اذاعة القاهرة صوت جمال عبد الناصر يلقي اول بياناته ضد الانقلاب. ولقد ذكر في أول هذا البيان عدة مرات انها المرة الأولى التي يأتي فيها بنفسه الى دار الاذاعة، وهو الأمر الذي لم يفعله حتى خلال العدوان الثلاثي، وأكد على تصميمه بأنه لن يفصم الوحدة، وبعد أن امتدح سورية وقال انها قلب العروبة النابض، تعرض للقرارات الاشتراكية التي

أصدرها وقال ان هذه الحركة ليست فقط ضد هذه القرارات وانما هي ضد الوحدة.

ثم أعلن ان قوات الجيش الأول (الجيش السوري) في كل مكان تتحرك الآن للزحف الى دمشق لتقاوم هذه الحركة، التي قامت بها قوة صغيرة متمردة على إرادة الشعب، ولكن إذاعة دمشق تابعت كما أسلفنا طيلة قبل الظهر إذاعة بياناتها حتى وصل عددها الى الثمانية، وعندما بلغت الساعة الواحدة والنصف فوجئ الناس بعد هذا الخطاب الحاسم من عبد الناصر تجاه الانقلابيين ان يدخل المشير عبد الحكيم عامر بمفاوضات مع ضباط الحركة، وأن يتم الاتفاق بينهم على اصدار البلاغ رقم9:

"إن القيادة العربية الثورية للقوات المسلحة التي دفعها الشعور بالخوف على وحدة الصف العربي وحماسها للقومية العربية وتأييدها لها، ودفاعا عن مقوماتها تعلن للشعب العربي الكريم انها لا تنوي المس بما أحرزته القومية العربية من انتصارات، وتعلن انها رأت عناصر انتهازية مخربة تريد الاساءة الى قوميتنا، فقامت بحركتها المباركة، وانها عرضت قضايا الجيش وأهدافه على المشير عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية وقائد القوات المسلحة العام، الذي تفهم امور الجيش على حقيقتها، واتخذ الاجراءات المناسبة لحلها لمصلحة وحدة القوات المسلحة والجمهورية العربية المتحدة. وقد عادت الأمور العسكرية الى مجراها الطبيعي، اعتمادا على ثقة القوات المسلحة بحكمة القائد العام وقائد الجيش الأول اللذين يحققان أهداف القوات المسلحة والجمهورية العربية المتحدة".



لقد أحدث هذا البيان كثيرا من البلبلة في أوساط السوريين الذين ساءهم ان يعود التسلط المصري وتسلط المباحث والمخابرات على سورية، والى هذا الجو الذي أشاعه البيان رقم 9 تشير جريدة الحياة البيروتية في عددها الصادر يوم 61/9/29 بما يلي :

"لقد أحدث البلاغ التاسع للانقلابيين السوريين بلبلة وحيرة في بيروت، فقد ظن بعض الناس أن انقلابا وقع ضد الانقلاب، وظن



آخرون ان تسوية ودية قد تمت بين الضباط، وزاد في البلبلة أن إذاعة القاهرة اكنفت بنقل البلاغ دون أن تذكر بعده أي تفصيل، وعندئذ أخذت الشكوك تحوم حول ما حدث وتكاثرت الروايات والاجتهادات".

لقد خيل الي بعد سماع هذا البلاغ ان جمال عبد الناصر لا بد ان يقبل بوساطة المشير كمرحلة أولى يهون عليه بعدها أن ينكل بقيادات الحركة واحدا بعد الآخر الذين سيضعف تماسكهم بعد انتهاء الحركة. كما لفت نظري في هذا البلاغ، اشارة لم تكن خافية، وهي ان الحركة قامت "عندما رأأت عناصر انتهازية مخربة تريد الاساءة الى حركتنا" وهي إشارة لا تستهدف في ذلك الوقت الا عبد الحميد السراج، ولا سيما ان الانقلابيين يقولون أنهم عرضوا على المشير عبد الحكيم عامر قضايا الجيش وانه تفهمها على حقيقتها واتخذ الاجراءات المناسبة لحلها لمصلحة القوات المسلحة والجمهورية العربية المتحدة، **ولذلك أعلنوا عودة الأمور الى مجراها الطبيعي اعتمادا على حكمة المشير، دون أي ذكر لرئيس الجمهورية جمال عبد الناصر، وهذا من الاخطاء التي ارتكبتها الحركة والتي أثارت بلا ريب شكوك جمال عبد الناصر بالرغم من محاولة تلافي هذا الاغفال في الاغاني والتعليقات التي أذيعت بعد البيان التاسع.**

بعد إذاعة البيان التاسع استمرت محطة إذاعة دمشق بإذاعة برنامج محطة حلب التي كانت تبث كلمات التأييد لجمال عبد الناصر، ثم فوجيء الناس مرة أخرى وذلك في الساعة الخامسة والدقيقة العاشرة بمحطة دمشق تنفصل عن إذاعة حلب وتستأنف بث الأغاني الحماسية ثم تذيع البيان العاشر الذي جاء فيه: "إن المشير الذي وعد الانقلابيين بالقضاء على الانتهازيين والمخربين مما دعاهم لإذاعة البلاغ التاسع قد نكث بوعده، ولذلك فإن القيادة الثورية حرصا منها على انتصارات الشعب العربي والقومية العربية تعلن للشعب اعتبار البلاغ التاسع لاغيا" ثم اعلنت الاذاعة في الساعة الخامسة والدقيقة 35 ان المشير عامر قد غادر دمشق الى القاهرة.

وفي الساعة السابعة من مساء يوم الانقلاب أذاع عبد الناصر بيانه الثاني الذي نفى فيه موافقة المشير على البلاغ رقم 9، وقال ان الثوار تقدموا الى عامر بمطالب لم يقبلها أبدا، وأنهم طلبوا منه أن يعلن انتهاء الحركة، ولكنهم كانوا يضعونه تحت الحراسة. والذي يلفت النظر ان عبد الناصر كرر أكثر من عشر مرات انه لن يقبل المساومة ولا الحلول الوسط، ولكنه لم يوضح ما هو هذا الحل الوسط وما هي تفاصيل المساومة التي جرت بشأنه مما دعا جريدة الحياة لأن تعلق:

"لقد ترددت في بيروت تكهنات كثيرة حول هذه الشروط فقيل ان الانقلابيين طلبوا أن يتنحى مرجع كبير ، وأن تصبح الجمهورية العربية المتحدة دولة اتحادية، ولكن الحقيقة بقيت مجهولة حتى الآن" (1961/9/30).

على كل حال فإن الأمر الذي كان واضحا من اصرار عبد الناصر على عدم القبول بالحل الوسط هو أنه صمم على اتخاذ تدابير عسكرية ضد الانقلابيين.

### **تأييد الجيش السوري لحركة النحلاوي :**

في اليوم الأول من حركة النحلاوي أي الخميس 61/9/28 انتهى تمرد الضابط حكمت الداية باستيلاء الضابط جورج محصل على مقاليد الأمور في حلب دون مقاومة تذكر، وفي صبيحة اليوم الثاني انتهى تمرد الضابط كامل زيتونة قائد المنطقة الساحلية وأعلن ولاءه لحركة النحلاوي.

ويقول صلاح نصر في كتابه تجربة الوحدة : "إن كامل زيتونة كان يلعب على الحبلين وقد أعلن ولاءه للانفصاليين قبل هبوط المظليين في منطقة الساحل" (ص 263).



كان قلقي شديدا من أن يكون البلاغ التاسع مكيدة يمكن أن تؤدي لعودة سورية لقبضة جمال عبد الناصر من جديد، ولكن في نهاية اليوم الأول وصبيحة اليوم الثاني شعرت أن الأمر قد

استقر، ولكن كان لمخاوفي سبب آخر. فقد كنت أخشى أن يشتبك الضباط السوريون مع الضباط المصريين الذين كانوا يحتلون مراكز هامة. وكان تحت تصرفهم أنواع فتاكة من الأسلحة، ولو قدر لهذا المحذور أن يقع لنتجت أكبر كارثة قومية. ولكن ذلك لم يحدث بحمد الله إذ امتنع الضباط المصريون عن أي مقاومة، ولا شك أن الروح القومية كانت العامل الأول بعدم تصادم الضباط المصريين مع السوريين ولكن هناك عاملا آخر بدا لي فيما بعد عندما قرأت مذكرات عبد اللطيف البغدادي عن التنظيم السري للمشير في الجيش المصري الذي نقل العديد من ضباطه الى الجيش السوري، وعن الخلافات بين عبدالناصر والمشير من قبل قيام الوحدة وتهديد المشير بالجيش الذي يهيمن عليه، لذلك فمن المحتمل أن يكون هنالك ايعاز من المشير للضباط المصريين من تنظيمه السري بالأ يقاوموا الانقلابيين، ويمكن أيضا أن يكون اتفاق المشير عامر مع الانقلابيين منذ اليوم الأول كان كافيا لامتناعهم عن المقاومة، لأن هذا الاتفاق لم يكن سريرا بل تم الاعلان عنه صراحة في البلاغ التاسع.

يقول صلاح نصر في كتابه تجربة الوحدة :

"حينما قابل النحلاوي المشير عامر أكد له أن حركته لا تستهدف أغراضا انفصالية وان هدفها إجراء بعض الاصلاحات منها تخفيف عدد الضباط المصريين في الجيش السوري، وخاصة برئاسته (أي في مكتب المشير) وإجراء بعض التنقلات التي عرضها النحلاوي على المشير، وتيسيرا لانهاء الحركة وسحب القوات الى قواعدها، اقترح النحلاوي على المشير الموافقة على ترحيل بعض الضباط الى القاهرة، وهم اللواء أنور القاضي والعقيد احمد علوي والعقيد احمد زكي، والعقيد محمد استنبولي رئيس شعبة المخابرات السورية، والأخير من ابناء الاقليم السوري ، كذلك اقترح النحلاوي ترحيل الوزراء العسكريين الذين كانوا مجتمعين في الأركان وقد رحل الوزراء فعلا حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر" (ص259).

ومما تجدر الاشارة إليه هنا أن الضباط المصريين الذين تم ترحيلهم كانوا معروفين بولائهم لعبد الناصر. وجاء في الصفحة نفسها من الكتاب :

"لقد اتفق النحلاوي مع المشير على صيغة بيان يعلن بعد اتمام ترحيل هؤلاء الضباط ينهي بموجبه حالة العصيان وتعود الأمور الى طبيعتها وفعلا صدر البيان رقم 9".

وجاء في خطاب عبد الناصر في مساء يوم الجمعة 61/9/29 أي في اليوم الثاني للانقلاب قوله :

"كانت قوة صغيرة هي التي بدأت التمرد ولكنهم، أرادوا أن يضلوا، قالوا ان مطالبهم تختص بالجيش، غيروا بياناتهم السياسية وقالوا (للمشير) انهم حاولوا أن يحلوا بعض مطالب الجيش، ولكن كان واضحا ان العملية هي عملية تمويه وكسب وقت، قلت أمس انه لا يمكنني في أي حال أن أقبل حلا وسطا لأنني كنت أشعر ان محاولة الوصول الى حل وسط وإلى تسوية إنما هي مرحلة تكتيكية في الطريق الذي سار فيه التمرد".

والذي يبدو أن المشير عبد الحكيم عامر الذي ذهب منذ اليوم الأول الى القاهرة قد عاود محاولته لاقتناع عبد الناصر - بعد محاولاته المتكررة من دمشق بواسطة اللاسلكي - ان الحركة لا تستهدف الوحدة، وانما تستهدف تحقيق بعض المطالب التي تخص الجيش، وهي المطالب التي اتفق معهم على حلها، ولكن جمال عبد الناصر لم يقنع بأقوال المشير على ما يظهر فألقى خطابه هذا ليقطع كل أمل بالتفاهم مع ضباط الانقلاب.

يقول عبد اللطيف البغدادي في مذكراته :

ان عبد الناصر جمع رفاقه لاستشارتهم في نقاط خطابه الذي سيلقيه في 5 تشرين أول 1961 أي بعد اسبوع من الانقلاب، وفي أحد تلك الاجتماعات قال للبغدادي :

"ان عبد الكريم النحلاوي أرسل إليه رسولا وأبدى رغبته في الحضور الى القاهرة ليتحدث مع جمال في الصلح، ولكن

جمال لم يوافق على تلك الرغبة منه، رغم ضغط المشير عبد الحكيم عامر عليه" (ص 136 الجزء الثاني).

لقد كان جمال عبد الناصر منذ صبيحة اليوم الأول لحركة النحلاوي مصمما على أن يقطع الطريق على أي تفاهم مع الحركة، فأصدر بوصفه القائد الأعلى للقوات المسلحة أمرا بعزل المتمردين وتجريدتهم من رتبهم واعفاء ضباطهم وجنودهم من كل ولاء لهم. وهذا يعني دعوة الجيش للتمرد عليهم وإهدار دمهم، وهؤلاء الضباط هم: العميد عبد الغني دهمان والعميد موفق عصاصة والمقدم عبد الكريم النحلاوي والمقدم حيدر الكزبري والمقدم منيب الهندي والمقدم هشام عبد ربه، وهو أمر يؤدي لقطع الطريق على كل تفاهم بين المشير وقادة الحركة، والحقيقة أن ضباط الحركة لم يكونوا فقط هؤلاء وإنما عرفت أسماء أخرى فيما بعد منها: فايز الرفاعي، وسعيد العاقل، فخري عمر، شرف الدين زعللاوي، برهان الدين بولس، تيسير الطباع وآخرين غيرهم.



لقد ورد في خطاب عبد الناصر الذي القاه يوم الجمعة 1963/2/29 اتهام حركة النحلاوي بأنها حركة رجعية تستهدف إلغاء القرارات الاشتراكية، وليس هدفها تحقيق المطالب التي تقدمت بها الى المشير، وان ذلك لم يكن الا تضليلا.

والسؤال الذي يطرح نفسه :

**لمذا تراجع قادة الانقلاب عن المطالبة بالغاء القرارات الاشتراكية في مفاوضاتهم مع المشير عبد الحكيم عامر ولم يرد أي ذكر لهذه القرارات في البلاغ رقم 29.**

والجواب ان هدف قادة الحركة كما تأكد فيما بعد (في حركتهم الثانية بتاريخ 1962/3/28) اي بعد خمسة شهور من الانفصال) كان حكم سورية ولم يكن ذكرهم لالغاء القرارات الاشتراكية الا من أجل التفاف اليمين السوري حولهم، هذا اليمين الذي كان التسابق على كسب تأييده موضع التنافس بين عبد

الحميد السراج وعبد الحكيم عامر، ومما لا يخفى ان حركة 28/آذار/1962 التي انقض بها هؤلاء الضباط انفسهم بعد خمسة أشهر من انقلاب الانفصال على مجلس النواب الذي انتخب بعد حركتهم الاولى في 28 ايلول، واعتقال العديد من أعضائه مع رئيس الجمهورية ناظم القدسي كانت بحجة أنهم رجعيون انتهازيون، مع أن كل ما فعله هؤلاء كان برأي ضباط الانفصال وتأييدهم.

ولقد كنت شاهدا على ما أشار إليه خالد العظم في مذكراته عندما قال لنا ناظم القدسي بحضور معروف الدواليبي وسعيد الغزي ومأمون الكزبري:

"إن الضباط بلغوه ان الجيش ثائر ضد القانونين اللذين أصدرهما مجلس النواب بشأن (إلغاء) التأميم والاصلاح الزراعي وبأنهم يطلبون العودة إلى الاحكام السابقة، فسألنا رئيس الجمهورية ، هل هذا كل ما يريده الجيش؟ فأجاب :

لا إنه يريد إبعاد الوزارة الحالية ويصر على أن يستقيل من النيابة بعض الشخصيات" (ص 264 الجزء الثالث).

لقد قيل بعد حركة 28 آذار 1962 إنها كانت بدافع من جمال عبد الناصر الذي وعد ضباطها بالتأييد، ولم يكن هدفه من تشجيعها الا القضاء على النظام الليبرالي البرلماني القائم في سورية وقد نجحت الحركة في تحقيق هذا الهدف ولكنها فشلت في السيطرة على الموقف مما أعرق سورية في دوامة الانقلابات فيما بعد.

انني لا أزال أذكر أنه قبل حركة 28 آذار 1962 دعاني الضابط هشام عبد ربه للاجتماع به مع ضابط آخر أظن انه فايز الرفاعي، وتم الاجماع في منزل في حي المهاجرين يمكن أن يكون منزله، وذلك بواسطة مصطفى حمدون، وقد فهمت منهم ان ضباط النحلاوي ينوون الاتصال بجمال عبد الناصر والقيام بانقلاب ضد الحكم الرجعي القائم الذي قضى على المكاسب التقدمية، وانهم يرغبون مشورتي في ذلك، فأوصيتهم ألا يثقوا أبدا بوعود جمال

عبد الناصر في مؤازرتهم للانقراض على الوضع القائم لمصلحتهم  
وقلت لهم :

إنني بالرغم من خلافي الشديد مع رئيس المجلس ورئيس  
الجمهورية ومع الاغلبية اليمينية الرجعية في المجلس النيابي  
التي لاقيت منها الأمرين - كما تعلمون- فإنني أفضل حل المجلس  
بطريقة دستورية ديموقراطية دون اللجوء إلى انقلاب عسكري،  
كما قلت لهم :

انه بإمكانكم الاتفاق مع رئيس الجمهورية الذي يخوله  
الدستور حل المجلس وإجراء انتخابات جديدة لمجلس آخر  
منسجم مع ما بلغته سورية من تطور وتقدم ثم قلت : لا تنسوا  
أنكم مسؤولون عن الوضع الدستوري السياسي النيابي الرجعي  
القائم، وكررت تحذيري لهم من اللجوء إلى الانقلاب العسكري لأن  
ذلك أمر خطير جدا سيودي باستقرار البلاد لمدة طويلة. ولكنني  
شعرت يومذاك ، بأنهم لم يقتنعوا بأقوالي على الرغم من أنهم لم  
يبوحوا لي بذلك صراحة.

### **إرسال قوات المظليين بقيادة جلال هريدي الى سورية:**

بعد صدور البلاغ التاسع من إذاعة دمشق توقفت إذاعة  
القاهرة عن مهاجمة حركة النحلاوي، ثم عادت لمهاجمتها بعد أن  
أصدر جمال عبد الناصر أوامره بإرسال قوات من الجيش المصري  
الى اللاذقية، مبتدئا بإرسال لواء مظلي على عجل ريثما تصل  
القوات المحمولة بحرا، والتي تلقت أمرا بالتحرك مساء يوم 28  
أيلول، وكان قوامها لوائين مشاة بأسلحتهم، والأسلحة الأخرى  
المساعدة، ولواء مدرعا وذلك عن طريق البحر، كما صدر أمر بأن  
يجري الاستيلاء على جميع بواخر النقل العربية لاستخدامها في  
نقلهم.

غير أن عبد الناصر ألغى هذه الأوامر بعد أن أذيع انضمام  
حلب واللاذقية الى حركة النحلاوي، كما أوعز للمظليين وهم في  
الجو أن يعودوا، ولكن الدفعة الأولى بقيادة جلال هريدي كانت قد

هبطت بالفعل في منطقة اللاذقية في مطار حميميم . يقول صلاح نصر :

"إن قرار عبد الناصر بإرسال قوات مصرية جاء تحت تأثيرات عاطفية انفعالية، هي إبقاء سورية بأي ثمن في إطار الوحدة، ولكن عدوله عن هذا القرار جاء نتيجة تقدير للموقف وحساب مختلف احتمالاته" ( عبد الناصر وتجربة الوحدة ص 270).

ولكن لا شك أن العامل الحاسم في عدول عبد الناصر عن قراره بإرسال القوات العسكرية هو تأييد قوات الجيش في حلب واللاذقية لحركة الانقلاب في دمشق.

يقول عبد اللطيف البغدادي في مذكراته :

"كان الموقف الذي بني على أساس تحريك هذه القوات قد تغير تماما (أي انضمام حلب واللاذقية الى الانقلاب) واستمرار تنفيذ خطتنا بعد أن تغير إلى تلك الصورة كان يتطلب منا ضرورة استخدام القوة العسكرية في تأمين إنزال قواتنا هناك حيث انه من المتوقع أن تتصدى لهذا الانزال القوات العسكرية المؤيدة للانقلاب، وفي إمكانها إعاقته ومهاجمة قواتنا بالمدفعية والطائرات، ولم يكن في مقدورنا حماية قواتنا من هذا الهجوم لعدم توفر طائرات لدينا بعيدة المدى حتى يمكن تغطية هذا الانزال. وهذا الصدام العسكري بيننا ستكون نتائجه في الغالب لصالح القوات السورية، وربما تصاب قواتنا بخسائر جسيمة، دون أن تحقق الغرض الذي من أجله قد أرسلت، والأمر سينتهي بهزيمة عسكرية لنا سيكون لها صداها الواسع في العالم العربي وفي الخارج أيضا" (ص 118 الجزء الثاني).

كما ذكر عبد اللطيف البغدادي ان جمال عبد الناصر قال في حديثه مع الوزراء السوريين العسكريين الذين ألحوا عليه بغزو سورية:

"لو حدث وأغرقت لنا باخرتين مثلا وخسرنا المعركة فإن سمعنا ستنزل الى الحضيض ونصبح دولة كدولة اليمن" (ص 119 الجزء الثاني).



وفي تقديري إن عبد الناصر لم يكن مطمئنا الى أن القوات المصرية مستعدة للاقتتال مع الجيش السوري، والدليل على ذلك ان القوات المصرية في سورية لم تبد أي مقاومة ، كما أن جلال هريدي قائدقوة المظليين التي هبطت في منطقة اللاذقية قد استسلم فورا للقوات السورية، وقد سمعت بأذني حوارا معه أجرته محطة إذاعة دمشق حمل فيه بشدة على نظام عبد الناصر، فأشفقت عليه من عودته إلى القاهرة ولكنه بقي في موقعه في الجيش المصري بعد رجوعه إلى مصر، ولا شك أن الذي حماه هو كونه من ضباط المشير.

لقد اجتاز جلال هريدي فلسطين خلال حرب حزيران 1967 من جنوبها إلى شمالها حتى دخل من الجليل الى لبنان، عندما كان مكلفا بالقيام بعمليات التخريب وراء خطوط الجيش الاسرائيلي.

**والخلاصة يمكننا أن نؤكد أن هدف ضباط حركة النحلاوي هو الاشتراك في حكم سورية تحت قيادة المشير عبد الحكيم عامر ولذا طلبوا من المشير أن يصطحبهم معه الى القاهرة، ولو قبل جمال عبد الناصر بما اتفقوا عليه مع المشير عامر لما أدت حركة النحلاوي الى الانفصال، ولكن عبد الناصر في خلافه المتكرر الطويل مع المشير والذي أشار إليه عبد اللطيف البغدادي في مواضع متعددة من مذكراته لم يخدع بهذا الموقف الذي كان حلقة تالية لمؤامرة الضابط عويس التي أشرت اليها بالتفصيل، وقد انتهت هذه السلسلة من المؤامرات بمحاولة المشير الانقلابية الأخيرة التي جرت بعد هزيمة الخامس من حزيران وكان الضابط جلال هريدي من أركانها.**



وختاما لهذا البحث ومحاولة لالقاء بعض الأضواء على الجو الذي كان سائدا ضمن بعض أوساط الجيش المصري في فترة الانفصال، وعلى موقف المشير في تلك الفترة، فإننا نثبت هنا

فقرات مما ورد في مذكرات عبد اللطيف البغدادي، وكان يدونها يومياً، عن العلاقة بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وهي علاقة أفرد لها البغدادي في مذكراته فصلاً خاصاً تحت عنوان "الشك بين جمال وعبد الحكيم" (ص 167-218 الجزء الثاني).

### **"8 أكتوبر 1961 (أي بعد حركة الانفصال بأسبوع) حول الموقف الداخلي في مصر وحول الانفصال عن سورية قال جمال عبد الناصر:**

لا يمكنني أن ابدأ باتخاذ أي إجراء قبل أن نحل مشكلة الجيش، وأعاد جمال الاقتراح الذي سبق ذكره وهو الخاص بنقل عبد الحكيم الى عمل آخر بعيداً عن الجيش وأن يتولى كمال الدين حسين قيادته بدلاً عنه، وكان كمال قد اقترح على جمال أن يتولى هو بنفسه قيادة الجيش ولو لفترة، على أن يقوم كمال من بعده بتولي قيادته، ولكن جمال رفض الموافقة على ذلك الاقتراح".

وجاء في موضع آخر من مذكرات البغدادي ذكر الضابط داوود عويس الذي تعرضت سابقاً لواقعة تأمره مع ميشيل عفلق للاطاحة بجمال عبد الناصر بما يلي:

**15 أكتوبر 1961 (بعد ثلاثة أسابيع من الانفصال) :** كان يبدو على جمال التأثير والغضب لأن هناك مجموعة من الضباط المحيطين بعبد الحكيم يقومون بعمل نشاط ضد شخصه، وطلب منا عدم ذكر أي شيء عن هذا الموضوع بحجة أنه خطير وانه يود أن يعرف تفاصيل أكثر وقال :

اتضح لي أن المنشور السري الذي سبق وأرسل للبعض منا والموقع عليه باسم الضباط الأحرار قد أرسله اليكم مدير مكتب عبد الحكيم عامر في وزارة الحربية الضابط داوود عويس ، وليس الضابط علي شفيق السكرتير العسكري لعبد الحكيم عامر، وقال بأنه كان يعتقد من قبل بأن مرسل المنشور لا بد أن يكون علي شفيق لأنه كان يعلم بأننا كنا نقوم بمناقشة استبعاد عبد الحكيم من الجيش، وأنه أمكن الكشف عن حقيقة مرسل المنشورات داوود عويس عن طريق البصمة المتكررة التي وجدت على جميع المنشورات التي أرسلت.

كما أخبرنا جمال عبد الناصر بأن صلاح نصر (مدير المخابرات العامة) يجتمع يوميا مع عبد الحكيم وانه يعمل لصالحه وأنه أمر (اي جمال عبد الناصر) بتغيير نمر تلفوناته، وقال :

ان بعض الضباط الملتفين حول عبد الحكيم كانوا يقضون الليل في معسكراتهم أثناء أزمة سبتمبر الماضي (الانفصال) عندما أقدم عبد الحكيم على الاستقالة".

### **وأخطر ما جاء في هذه المذكرات من أسرار قول جمال عبد الناصر لعبد اللطيف البغدادي:**

"ان أحد الضباط من سلاح المدفعية كان قد أبلغه عن طريق مكتبه في أوائل يناير عام 1962 عن وجود تنظيم سري في الجيش باسم الضباط الأحرار، وان هذا التنظيم يرئسه الضابط حسن رفعت، وان لهذا التنظيم لجنة تأسيسية مكونه من خمسة عشر عضوا، وانه لاحظ قبل حدوث الانقلاب في سورية (أي الانفصال في 28 ايلول 1961) بثلاثة أشهر أن أحاديثهم في اجتماعاتهم كانت تدور حول الوضع القائم في مصر والفساد والانتهازية والاستغلال، وانه لن يقضى على هذا الفساد المنتشر . إلا اذا تخلصوا من جمال عبد الناصر، وان يتولى الأمر في البلاد بدلا عنه عبد الحكيم عامر، وقال جمال:

ان ما أخبره الضابط من معلومات قد تأكد بنفسه منها وأنها صحيحة وان الضابط قال له:

ان تركيز الهجوم قد بدأ أثناء وجودهم في سورية قبل الانقلاب (الانفصال) واستمر بعد عودتهم للقاهرة، وان الاتفاق قد تم بين أعضاء التنظيم على القيام بانقلاب في شهر مايس 1962" كما جاء في مذكرات البغدادي:

"ان جمال عبد الناصر أمر بإحالة 25 ضابطا الى المعاش من المتصلين بموضوع داوود عويس المتهم بإرسال منشورات سرية باسم الضباط الأحرار، كما أمر كذلك بإلقاء القبض على اليوزباشي حسن رفعت". ويعلق البغدادي أخيرا على هذه الأحداث بقوله :

"انه لا يعلم كيف عمل جمال على تسوية الخلاف مع عبد الحكيم ولا كيف تمت هذه التسوية" "لأن جمال لم يذكر لي شيئا عنها، وقد بقيت القيادات العسكرية التي كانت من الواجب العمل على نقلها من أماكنها دون تغيير".

**وغني عن التذكير بأن مثل هذه المحاولات الانقلابية والتهديد بها كانت تستدعي في أي نظام وفي كل قوانين العقوبات في العالم ليس الاكتفاء بإحالة الضباط المتأمرين على المعاش، بل تقضي بإحالتهم للمحاكمة، ولكن جمال عبد الناصر اضطر للتسوية بإحالة بعض هؤلاء على المعاش.**

**والذي يتكرر في مذكرات البغدادي في العديد من الوقائع ان جمال عبد الناصر كان يتراجع دائما كلما هم بوضع حد للمشير عامر وياقصائه عن الجيش، ولم يختلف الأمر إلا بعد هزيمة الخامس من حزيران عندما فشل المشير وأنصاره بمحاولتهم الانقلابية ضد جمال عبد الناصر.**

**إن ما سبق يلقي ظللا من الشبهات والشكوك حول انتحار المشير اثر هزيمة حزيران، ويشير الظنون بأن السم قد دس له كما يعتقد أهل المشير وأنصاره.**

**ويشير حسنين هيكل في كتابه سنوات الغليان إشارات غامضة الى التسوية التي يتحدث عنها البغدادي في مذكراته، عندما يقول أن بقاء عامر كقائد للجيش بعد الانفصال هو نتيجة لما يسميه البعض انقلابا أبيض، وقد ورد في الكتاب ما يلي:**

"ولعل الثغرة الأساسية التي تركها "جمال عبد الناصر" وراءه في هذه الظروف (أي ظروف عام 1962) ولم يقطع فيها بطريقة حاسمة كانت هي قضية القيادة في القوات المسلحة. كانت تجربة الانقلاب في سوريا قد أوضحت له أن أحوال القيادة العامة بما فيها شخص القائد العام تحتاج إلى مراجعة. كان هذا الموضوع قد طرح نفسه في أعقاب حرب السويس 1956،

ثم عاد ليطرح نفسه بصورة أشد بعد الانفصال في سوريا، وكان لا بد من البيت فيه، ولكن "جمال عبد الناصر" أثر تأجيل البيت فيه ، فقد تخرج من ناحية دفعا لمقولة إنه يتخلص من زملائه في مجلس القيادة واحدا واحدا ، ومن ناحية ثانية، فلم يكن يريد إحداث هزة في الجيش في أعقاب الانفصال، ومن ناحية ثالثة، فإنه وهو مقبل على مرحلة يريد فيها تدعيم الجبهة الداخلية بتكثيف العمل في مجالات الانتاج والخدمات- لم يكن مستعدا لأن يعرض الأداة الرئيسية للأمن القومي لأي خلخلة في وقت تتزايد فيه التحديات من حول الجمهورية.

وكان السكوت على الأوضاع السائدة في القوات المسلحة حلا وسطا، ولم يكن بالضبط انقلابا "ابيض" -كما تقول بعض النظريات- وعلى أي حال فإن خطر الحل الوسط إزاء أوضاع من هذا النوع الذي كان سائدا لم يكن أقل من خطر انقلاب"(ص 602 الجزء الأول).

**وفي هامش الصفحة 603 من الكتاب نفسه يعلق هيكل على ما يسمى انقلابا أبيض بما يلي:**

"الحقيقة انني لست من أنصار نظرية الانقلاب الأبيض التي تروج لها بعض الاجتهادات في محاولة ساذجة - في رأبي - لاعفاء جمال عبد الناصر من أي مسؤولية عن الجانب العسكري سنة 1967- ولو كانت هذه النظرية صحيحة، فلم يكن يحق لجمال عبد الناصر أن يقبل تحدي الحرب سنة 1967 مهما كانت الظروف والا فكيف يدخل الحرب بجيش خارج عن طاعة قيادته السياسية؟!

**خطب وبيانات عبد الناصر بعد انقلاب 28 أيلول 1961.**

خلال الاسبوع الأول الذي تلا انقلاب 28 ايلول ألقى عبد الناصر بصورة متتالية عددا من الخطب المتناقضة والمتضاربة. فقد أعلن في خطابه الأول في صبيحة 28 ايلول انه لن يفك الوحدة ودعا الجيش إلى القضاء على حركة النحلاوي ذاكرة الظروف التي تمت بها الوحدة "التي فرضها السوريون" كما قال، ونوه بأهمية القرارات الاشتراكية التي أصدرها في تموز عام 1961.

أما في خطابه الثاني فقد ذكر أنه سحب قواته المرسلة الى اللاذقية حقنا للدماء ، ثم يعترف في خطابه الثالث الذي ألقاه

في الأول من تشرين الأول 1961 بمسؤوليته عن وقوع الانفصال بسبب مهادنته للرجعية والاستعمار.

وفي بيانه الرابع (61/10/5) يرفض أن تكون الحرب الأهلية وسيلة لتحقيق الوحدة، ويطلب من جميع قوى الشعب المتمسكة بالوحدة أن تدرك أن الوحدة الوطنية داخل الوطن السوري يجب أن تحتل المكانة الأولى ثم تمنى النجاح للشعب السوري. فاعتبر هذا الخطاب اعترافاً ضمناً بالجمهورية العربية السورية ولو لم يتم الاعلان عن ذلك صراحة.

**ونظراً لأهمية الخطاب الذي ألقاه في الأول من تشرين أول 1961 فإنني سأثبت بعض فقراته التي تشير بصورة واضحة إلى أهم الأسباب التي أودت بالوحدة بين سورية ومصر وأدت إلى الانفصال، كما تشير إلى أن الجيش السوري سيكون الجهة التي سيعتمد عليها عبد الناصر في خطته الهادفة إلى القضاء على الوضع الدستوري الديموقراطي الذي نشأ بعد الانفصال، خوفاً من استقرار هذا الوضع، الأمر الذي ستنعكس آثاره على مصر، مما يعرض نظامه للخطر، وتشير بعض أقوال عبد الناصر التي أوردها البغدادي في مذكراته إلى خوف عبد الناصر وأركان نظامه من ذلك الانعكاس، وهو خوف ابتدأ مباشرة بعد أيام قليلة من انفصال سورية عن مصر:**

يسجل البغدادي في مذكراته عن يوم 4 أكتوبر 1961 ، أي بعد خمسة أيام من انقلاب الانفصال في سورية انه قال لعبد الناصر :

"ما أسمعه يدل على أن الناس أصبحوا غير متحفظين في أحاديثهم لشعورهم ان أسطورة المخابرات غير صحيحة بعد أن وقع الانقلاب في سورية دون علمها" فيجيبه عبد الناصر :

"ربما كان هذا صحيحاً ولكنه في مجال ضيق ومحدود"، كما يقول :

"بالنسبة للناس هنا فروحهم طيبة، وهيكل ذهب إلى السينما لمشاهدة فيلم عن مؤتمر بلغراد للتعرف على رد الفعل عند المشاهدين عندما تظهر صورتي في المؤتمر، ويقول هيكل ان السينما ضجت بالتصفيق عندما ظهرت صورتي من أول لحظة، وإن هيكل كان متخوفا من النتيجة عندما ذهب إلى السينما"(ص 143 الجزء الثاني).

أما موقف عبد الناصر من الوحدة مع سورية مستقبلا فيشير الى ذلك البغدادي :

"قلت لعبد الناصر بأن عدم الاستقرار الذي سيحدث في سورية بعد عودة الحياة الحزبية، قد يساعد على عودة الوحدة أقوى وأكثر رسوخا مما كانت عليه، فأجابني انه لن يقدم على ذلك ثانية ثم أردف : ابقوا اعملوها انتم" (ص 136 الجزء الثاني).

كما يذكر البغدادي في الصفحة نفسها ان عبد الناصر أشار الى ضغط المشير عبد الحكيم عامر عليه لقبول الوحدة وأن رأيه كان أن نبدأ أولا بالاتحاد على أن تتم الوحدة بعد خمس سنوات من هذا الاتحاد. مع الاشارة إلى قول عبد الناصر:

"إنه لما فكر في مشكلة سورية اتضح له انه انفصال الاقليم الشمالي قد وقع، وانه إذا لم يتم اليوم فسيتم غدا، وانهم في سورية ينظرون إليه نظرتهم إلى شبح متربص بهم يتحين الفرصة للانقضاض عليهم، وانهم لهذا السبب سيظلون يهاجمونه" (4 اكتوبر 1961 ص 133 الجزء الثاني).

**الاعتراف: بعض فقرات الخطاب الذي ألقاه عبد الناصر في الأول من تشرين الأول عام 1961 :**

**قال عبد الناصر :**

"حاربنا الرجعية وحاربنا الاستعمار، وخذعنا الرجعية ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين.

يا إخواني : قابلنا كل هذا، قابلناه بصبر وقلنا ان احنا عاوزين نقيم وحدة وطنية، ولكن هل قبلت الرجعية بالوحدة الوطنية؟ لم

تقبل الرجعية بالوحدة الوطنية. هل قبل أعوان الاستعمار بالوحدة الوطنية؟ لم يقبلوا بالوحدة العربية، ومن أول يوم بدأوا يعملون ضدها.

النهار ده يا إخواني واحنا ينتكلم عن دور اعدائنا في هذه النكسة لا بد أن تكون لنا من الشجاعة ما يدفعنا الى أن نتكلم عن أخطائنا، احنا ايضا اخطأنا، أخطاء متعددة والا ما كنا وصلنا الى هذه النتيجة:

أخطأنا أولا في أننا أمنا إلى الرجعية وخدعنا بالرجعية واعتقدنا أن الرجعية يمكن أن تستكين، واحنا أخطأنا ايضا في ان احنا هادنا الرجعية العربية، وان احنا خدعنا واعتقدنا انهم تابوا وانهم بيتجهوا الى أمة عربية وإلى جمع الصف وإلى جمع الشمل، ولكن اليوم نأخذ من هذا الدرس عبرة. خدعنا أيضا أيها الأخوة المواطنين، غلطنا أيضا في إيه؟

في سنة 1956 اجتمعت العناصر الوطنية في سورية كلها وكافحت وقاتلت من أجل قيام الجمهورية العربية المتحدة، ولكن بعد قيام الوحدة أخذنا الغرور جميعا، واعتبرنا أن الأمر قد استتب لنا وبدأت الخلافات بين هذه الجبهة الوطنية، وبدأت التفتت في الجبهة الوطنية، جبهة العناصر الوطنية في سورية، بدأت الخلافات ليه؟

لأن الغرور أخذنا واعتقدنا أن الكفاح من أجل القومية العربية انتهى، وبدأ الكفاح من أجل الحكم أو من أجل السلطة أو من أجل السلطان.

كان هذا اكبر غلط، كلنا غلطنا في هذا، ودي حاجات غلطنا فيها، وبهذا تفتتت العناصر الوطنية، وبهذا تجمعت العناصر الرجعية، وبهذا أيها الاخوة واجهنا النكسة، فلنأخذ من هذا الدرس عظة وعبرة، ولنتجه إلى المستقبل ونحن نعرف ما قام به أعداؤنا ضدنا، ونعرف أيضا الأخطاء اللي احنا عملناها، وفي نفس الوقت هذه النكسة لن تكون هزيمة بأية حال من الأحوال.

لنأخذ من الدروس عظة وعبرة، أنا لا يمكن بأي حال من الأحوال أن أصدق أن الجيش الأول رجعي، أو أفكر بأن الجيش الأول



(الجيش السوري) يشك بالقومية العربية، ولكن اعتقد أن هنالك من غرر بعض الناس ويمكن بعض الناس دول خايقين يتراجعوا، ولكن أيضا بعض الناس اشترتهم الرجعية، هنالك بعض الناس اشترتهم الشركة الخماسية، هنالك بعض الناس اشترتهم ديكتاتورية رأس المال، ولكن ليتجه كل فرد إلى ضميره، وليتجه الى وطنه، وليتجه الى شعبه، كل فرد لا بد حيفهم وحيعرف ايه الموقف. وما هو الواجب الذي يتحتم عليه، كل فرد من أفراد الجيش الأول لا يمكن أن يكون سلاحا للرجعية أو سلاحا للاستعمار أو سلاحا لاسرائيل ايدا. انه دائما سلاح للقومية العربية وسلاح الوحدة العربية، انه سلاح الجمهورية العربية القوي.

#### أيها الأخوة :

في أخطاء شفناها النهارده، وان هذه النكسبة هي نقطة بداية من أجل التحرك الكامل، التحرك الكامل بكل قوانا ضد الرجعية وضد الاستغلال وضد الاستعمار ومن أجل إقامة العدالة الاجتماعية، من أجل حماية الاشتراكية ومن أجل حماية القومية العربية.

إن علينا ايها الاخوة واجبا كبيرا نحو المستقبل، وأنتم الجنود الذين سترفعون الأعلام. من أجل تحقيق هذا الواجب علينا أن نتسلح بالشجاعة نحو الأعداء والشجاعة نحو أنفسنا، حتى يحقق الله أملنا، والله يوفقكم والسلام عليكم ورحمة الله.



#### أواخر 1961:

- 1- تشكيل الحكومة السورية بعد الانفصال برئاسة مأمون الكزبري - بيان الحكومة الجديدة.
- 2- بيان من النواب السوريين السابقين وقيادات الأحزاب وبعض الفعاليات الاقتصادية.
- 3- اجتماع السياسيين وقيادات البلاد في نادي الضباط لوضع الميثاق القومي.

بتاريخ 61/9/29 وفي اليوم الذي هبط فيه المظليون  
المصريون في منطقة اللاذقية تم تشكيل الوزارة الجديدة برئاسة  
مأمون الكزبري على الشكل التالي:

نعمان الأزهري (اللاذقية) للتخطيط والشؤون البلدية.

أمين ناظيف (دمشق) وزيرا للزراعة.

عوض بركات (دمشق) للصناعة والاقتصاد.

عزت النص (دمشق) وزيرا للتربية والإرشاد.

ليون زمريا (حلب) للمال والتموين.

فرحان الجندلي (حمص) وزيرا للصحة.

فؤاد العادل (دمشق) وزيرا للشؤون الاجتماعية.

أحمد سلطان (حماه) وزيرا للعدل والأوقاف.

عدنان القوتلي (دمشق) للداخلية.

عبد الرحمن حورية (اللاذقية).

مصطفى البارودي (دمشق) للدعاية والانباء والتلفزيون.

وقد أصدر رئيس الحكومة في اليوم الثاني أربعة مراسيم:

1- المرسوم الأول ينص على تسمية سورية بالجمهورية العربية السورية.

2- يرفع بتاريخ 1961/9/30 العلم السوري فورا على جميع الدوائر والمؤسسات الرسمية ويكون النشيد والشعار نشيد وشعار الجمهورية العربية السورية السابقين.

3- تعيين البارودي وزير دولة للدعاية والانباء.

4- تسريح اللواء محمد الجراح الأمين العام المساعد لشؤون الأمن العام والشرطة وتصفى حقوقه التعاقدية ويعين اللواء فاتح باقر بدلا عنه أمينا عاما مساعدا لشؤون الأمن العام

## والشرطة، كما تم اغلاق مكاتب المخابرات في دمشق وجميع المدن السورية.

وفي الساعة 12.30 من ليل 29 - 30 أيلول 1961 أذاعت محطة دمشق البيان الوزاري للوزارة الجديدة مسجلا بصوت الدكتور مأمون الكزبري رئيس الوزارة، وقد أعلن فيه أن الحكومة موقته، وإن إعادة الاوضاع الدستورية ستتم بعد أربعة شهور، ثم بين سياسة الحكومة في الحقوق الداخلية والعربية والخارجية، واستهل الكزبري بيانه بقوله :

"في هذه الظروف التاريخية تعود سوريا لتؤكد للعرب والعروبة انها كانت وما زالت معقل العروبة الحصين وقلبها النابض وتدلل على انها كانت سباقة في ميادين التضحية والفداء وطالما فتحت صدرها لكل حركة عربية تحررية واحتلت مكان الريادة في القافلة العربية وساندت شقيقاتها الدول العربية في معارك تقرير مصيرها وحريتها.

وقال ان سوريا قد ضحت واستهانت بكل غال ورخيص لتحقيق الوحدة مع مصر، وانها ما ان تقدمت خطوات في طريق الوحدة حتى رأت ان الذين تولوا مركز القيادة فيها قد اتخذوا صفة الفردية بشكل اخذ يبعد الوحدة عن أهدافها الحقيقية ويسوقونها في طريق بعدت بها عن طريق الوحدة العربية الشاملة التي لا تسلط فيها ولا احتكار.

واضاف ان هؤلاء القادة لم يستجيبوا لنداءات الخير التي كانت تطالب بتغيير الاوضاع وتحقيق التكافؤ الكامل بين البلدين. وكانت النتيجة تصفية العناصر المخلصة من الضباط الذين حاولوا لفت نظر المسؤولين الى الحيف اللاحق بسوريا.

ثم قال وقد حاول الضباط الاباء لفت المسؤولين عن الجيش الى الوضع الاليم حتى اذا بلغ السيل الزبى وانتهكت حريات الشعب الى حد لم يعد يصح معه السكوت هبت الحركة الثورية لتعبر عن اهداف الشعب ولتقوم الانحراف الذي شوه الوحدة وجعل منها مثالا سيئا وجعل الوحدة إفقارا والاخاء استرقاقا والمصالح المشتركة ابتزازا.

وقد دعت نقمة الشعب القيادة الثورية العربية العليا للقوات المسلحة الى القيام بانتفاضتها تأكيدا وحفاظا على مصير الأمة. وتمشيا مع خطة

القيادة الثورية التي آلت على نفسها ان تنهي مهمتها، أوكلت ادارة هذه الفترة الى حكومة مؤقتة لتسيير الدفة، وتأمل الحكومة ان تنتقل بالبلاد الى الأوضاع الدستورية المستقرة في أربعة شهور، وأيضال البلاد الى حياة ديمقراطية اشتراكية سليمة بالفعل لا بالقول تؤول الى الوحدة القوية التي تريدها الامة العربية كلها.

## **في السياسة الداخلية:**

1- تهتم الحكومة باعادة الحريات العامة للمواطنين قولاً وفعلاً بكفالة حرية الصحافة والرأي وضمان جميع الحريات الفردية والعامة التي حرم منها المواطن. وتعلن فوراً الغاء قانون الطوارئ والمراقبة، وجميع التدابير التي تحد من حرية الفرد وفق شرعة حقوق الانسان. وتسهر على تكافؤ الفرص وسيادة القانون وتساوي المواطنين تجاهه فعلاً.

2- تعنى الحكومة باستكمال قوة الجيش ورفع مستوى تدريبه.

3- تعاضد النقابات وتؤمن العمال من الاجراءات الكيفية وكفالة مستوى عادل من الاجور والخدمات لهم واشتراكهم بمجالس ادارة الشركات والمؤسسات والضمان الاقتصادي على أسس اشتراكية صحيحة، وتؤمن الحكومة بأن المؤاخاة بين اصحاب العمل والعمال واقامة العلاقات الانسانية بينهم هي افضل سبيل لسير العمل والانتاج. وستعنى الحكومة بقوانين الاصلاح في الزراعة وتأمين الازدهار للعمال الزراعيين.

4- تقوم سياسة الحكومة على اساس توجيه الاقتصاد القومي لتحقيق الازدهار لجميع فئات المواطنين وتأمين الصالح العام. وتستلهم الحكومة سياستها الاقتصادية من واقع البلاد وتاريخها وموقعها الجغرافي وقابليات نموها. ومن رائد الحكومة تشجيع الادخار وتوظيف رؤوس الأموال واحترام الكسب المشروع واعادة الامور الى نصابها لبعث الطمأنينة في نفوس المواطنين وترغيب الرساميل الخارجية ولا سيما العربية وقصر اقامة المشاريع على المرافق العامة أو المشاريع التي يعجز الافراد عن ممارستها. أو التي تفرضها مقتضيات الدفاع وفي المجال المالي والنقد وتهدف الحكومة الى تأمين التوازن بين النفقات والموارد العامة وتوزيع التكاليف بالعدل واستقرار النقد الوطني وتأمين حرية تحويله الى العملات الأخرى وتنظيم النقد.

وستحافظ الحكومة على سمعتها الخارجية بحفظ التزاماتها.  
5- تعمل الحكومة على احلال الكفاءات في الادارة.

### في السياسة العربية.

اما في النطاق العربي فالحكومة تمد يد التعاون مبسوطة الى جميع الدول العربية وتعمل معها على تحقيق وحدة العرب وحدة حقيقية شاملة على اسس من الحرية والمساواة، هذه الوحدة التي طالما عملت لها سوريا وضحت وما تزال تضحي من أجلها.

وتضع الحكومة نصب اعينها العمل لاعادة الحقوق الى ابناء فلسطين وتساند نضال الجزائر وشتى ديار العرب والعروبة.

وتؤكد الحكومة احترامها ميثاق الجامعة العربية وتعمل على تدعيمه وتوثيقه وتتعاون في اطاره مع بقية الدول الاعضاء.

في الحقل الدولي تعلن الحكومة ان سوريا كانت مثالا يحتذى في الحفاظ على المواثيق والتمسك بشرعة الأمم المتحدة وبشتى المواثيق والاتفاقات. وستعمل الحكومة على تحسن علاقاتها مع جميع الدول التي تمد لها يد الصداقة، دون انحياز، مؤكدة اننا دعاء سلام واخاء وانسانية اصيلة. وختم الكزبري بيانه شاكرا الجيش مؤكدا أن الحكومة ستكون دوما حربا على الاستعمار والتسلط الفردي والاحتكار والسيطرة بكل اشكالها ولا تعمل لفئة دون فئة وجماعة دون جماعة.

## 2- بيان من النواب السوريين السابقين وقيادات الاحزاب وبعض الفعاليات الاقتصادية يطلبون فيه انتخابات عاجلة والحد من التشريعات في انتظار قيام المجلس النيابي.

بتاريخ 61/10/2 خابرنى هاتفيا صلاح البيطار ودعاني الى منزله، بالوقت الذي كان يزورني خليل الكلاس، فذهبنا سووية لمنزل البيطار حيث وجدنا عنده خالد الحكيم ومنصور الأطرش العضوين في تنظيم صلاح البيطار السري كما أشرت الى ذلك سابقا، فأخبرنا صلاح بأن اجتماعا يضم جميع الأحزاب السورية وقياداتها السياسية معقود في منزل أحمد الشرباتي، وان من

رأيه الا يفوتنا هذا الاجتماع، ولا سيما أن المجتمعين اتصلوا به ورجوا حضوره وحضوري وقال :

لا يجوز أن نعزل انفسنا في هذه الحقبة عن الاحزاب والقوى السياسية الأخرى ، كما اقترح ان يذهب منصور الأطرش وخليل الكلاس الى هذا الاجتماع، ليستطلعوا فيما اذا كان يضم فعلا ممثلي الاحزاب والقيادات السياسية والوطنية، أم انه مقتصر على قيادات الدرجة الثانية الأمر الذي يدعوننا للاعتذار عن حضوره، ولبثنا في منزل البيطار ننتظر رجوع الموفدين اللذين أفادانا بعد عودتهما بأن الاجتماع يضم فعلا عددا كبيرا يمثل قيادات مختلف الاحزاب والتكتلات الاقتصادية والسياسية في البلاد، وعندما سألت فيما اذا كان رشدي الكيخيا حاضرا الاجتماع، قيل لي أنه غير موجود وقد أصر المجتمعون على ضرورة الاشتراك، ولم أقدر آنذاك مدى استغلال هذا الخطأ اعلاميا بسبب ان الاجتماع كان معقودا في بيت احمد الشراباتي وزير الدفاع السابق، المتهم بمسؤوليته عن انهزام الجيش السوري في حرب فلسطين عام 1948.

كان منزل الشراباتي يعج بعدد كبير من رجال الأحزاب والقيادات السياسية والاقتصادية والوطنية، الذين كانوا يتداولون باصدار بيان يؤيد حكومة الكزبري وثورة الجيش المباركة -كما كانوا يقولون- وقد دخل صلاح البيطار في جدل مع الحاضرين حول فحوى هذا البيان الذي كان يرى مع تأييده لحركة **الجيش دعوة المجلس النيابي السابق للانعقاد الذي وافق على قيام الوحدة ليصدر قرارا بفكها.**

أما الحاضرون فكانوا يصرون على أن يكون البيان مقتصرًا على تاييد الحركة العسكرية، ولم أكن متحمسا لاقتراح البيطار، والسبب ان الوحدة بين مصر وسورية لم تقم بقرار من مجلس النواب فقط بل باستفتاء شعبي في سورية ومصر، وهذا يقتضي إجراء استفتاء شعبي آخر. وهو الأمر الذي جرى فيما بعد عندما تمت الموافقة على الدستور الموقت للجمهورية العربية السورية نتيجة للاستفتاء الذي رافق الانتخابات النيابية.

وقبل أن يدخل صلاح البيطار في نقاشه حول دعوة المجلس أو عدم دعوته فإنني أكدت للحاضرين بشكل جازم أننا غير مستعدين للتوقيع على بيان يؤيد حكومة الكزبري، لأن لنا تحفظات بخصوص تشكيلها وأسماء أعضائها فتراجع الحاضرون عن هذا الطلب.

ويشير الى هذا الموقف خالد العظم الذي وصل الى الاجتماع متأخرا . اذ كان مسافرا في لبنان، وما لبث أن اجتمع اجتماعا منفردا بي وبصلاح البيطار:

"كان تحفظ الاشتراكيين، أي الحوراني والبيطار، ينصب على نقطتين : الأولى تتناول الثقة بالحكومة المؤلفة، والثانية تتناول التردد في التوقيع على البيان، لئلا يقال انهما وحدا مساعيهما مع الرجعيين " (مذكرات خالد العظم ص 203 الجزء الثالث).

ويصف خالد العظم وضع صلاح البيطار في ذلك الاجتماع بما يلي: "إن صلاح البيطار كان يؤكد في هذا الاجتماع انه ذاق الامرين مما كان يجري في عهد عبد الناصر، وانه اضطر للاستقالة في آخر الأمر مع رفاقه، ثم ردد انه موافق على كل شيء ما عدا الثقة بالحكومة" (ص 202 المصدر السابق).



**عند خروجنا من ذلك الاجتماع المنفرد كلف المجتمعون صلاح البيطار ونجيب الارمنازي بكتابة البيان المطلوب فدخلوا سويا الى غرفة منفردة، وبعد فترة خرجا ببيان مكتوب بخط صلاح البيطار، وهو البيان الذي دعي من قبل الاعلام المصري بوثيقة الانفصال، وفي ما يلي نصه :**

بيان الى الشعب العربي في سوريا ومصر وفي جميع الاقطار العربية:

"عقد في دمشق اجتماع ضم عددا من العاملين في الشؤون القومية استعرضوا فيه الوضع العربي العام والوضع السوري الخاص والحالة الدولية بعد قيام الجيش العربي الأبى في سوريا بعمله

المجيد، فأجمع الرأي على تأييد القوات المسلحة السورية في ثورتها المباركة وعلى توجيه الشكر إليها، ضباطا وضباط صف وجنودا. كما اجمع الرأي على أن حكم الطغيان والتسلط والانحراف الذي اقامه الرئيس جمال عبد الناصر في كل من سوريا ومصر هو الذي افقد الوحدة بينهما معانيها السامية، فأبعدها عن أن تكون نواة للوحدة العربية الشاملة الصحيحة التي أمن بها ويتوق اليها كل عربي والتي لا تقوم الا على المساواة والتكافؤ بين البلاد العربية.

كذلك اجمع الرأي على ان هذا الحكم الذي استهدف تشويه فكرة القومية العربية والوحدة العربية وخنق الحياة السياسية والديموقراطية وواد الحريات العامة بالرغم عما بذل من نصح وتنبه وتحذير هو الذي دفع الى ثورة الجيش العربي في سوريا تلبية لنقمة الشعب واستجابة لارادته باقامة حياة ديمقراطية دستورية حرة يمارس فيها سيادته ويتمتع بحرياته العامة في التنظيم السياسي والنقابي والاجتماعي.

"ويرى المجتمعون، تحقيقا لذلك ، ضرورة الاسراع باجراء انتخابات حيادية حرة، وان يقتصر التشريع خلال الفترة الانتقالية على ما تقتضيه هذه الفترة لتسيير الامور. وان الشعب العربي في سوريا الذي دفعت عنه ثورة الجيش القومية التسلط والطغيان، يمد يده الى الشعب العربي الشقيق في مصر الرأسف في الاغلال ليتخلص من الحكم الديكتاتوري الذي أوجد التفرقة بين مصر وسوريا حتى يلتقي الشعب العربي في القطرين وفي كل قطر عربي على صعيد العمل المجدي وبلوغ الوحدة العربية المنشودة.

"ويدعو الشعب العربي في سوريا الأمة العربية في جميع اقطارها الى ان تبين موقفه وان تدرك اهدافه القومية السلمية في اقامة حكم دستوري ديمقراطي صحيح يكفل للشعب سيادته وممارسة حرياته ويحقق الديمقراطية السياسية والاجتماعية والاشتراكية الصحيحة والوحدة العربية الشاملة.

دمشق في 2-10-1961 التواقيع حسب الحروف الابدئية:  
أحمد قنبر، احمد الشراباتي، اسعد هارون، اكرم الجوراني، بشير



العظمة، حامد الخوجا، حسن مراد، خالد العظم، رشاد جبري، سهيل خوري، صبري العسلي، صلاح البيطار، فؤاد قدرى، محمد العايش، نجيب الأرمنازي ، هاني السباعي.

عندما تلي البيان وافق عليه جميع المجتمعين، ولكنني انفردت بالاعتراض على عبارة فيه تنعت حركة النحلأوي بالثورة المباركة، ودار جدل حول هذا الموضوع، وأصر المجتمعون على هذا الوصف، والحقيقة انني اتخذت من هذه العبارة حجة للتخلص من التوقيع على البيان، فخرجت من الاجتماع مسرعا وتجاوزت حديقة المنزل حيث رايت منصور الأطرش وخالد الحكيم على رصيف الشارع فتبعني عدد من المجتمعين حيث حملوني حملا الى قاعة الاجتماع، وانني لأعترف بأن الضعف امام ضغط المجتمعين قد اعتراني، ولكن ذلك لا يبرر توقيعى على هذا البيان، لا لأنني لم أكن موافقا على فحواه، بل لأن هذا الاجتماع قد حضره بعض الأشخاص الذين اعتبرهم في خط آخر غير الخط الوطني الذي كنت فيه أسير.

لقد طلب صلاح البيطار أن يوقع معنا خليل الكلاس ورياض المالكي ومنصور الأطرش ولكنني قلت له:

**"لا موجب لتوقيع هؤلاء الاخوان ولنتحمل انا وأنت وحدنا مسؤولية التوقيع على هذا البيان".**

وفي اعتقادي ان منصور الأطرش كان رسول عبد الكريم زهر الدين الى صلاح البيطار لاقناعه بضرورة حضور ممثلى البعث هذا الاجتماع.

أما إصرار صلاح البيطار في هذا الاجتماع على عودة المجلس النيابي السوري الذي انتخب عام 1954 فكان قياسا على ما جرى سابقا عندما عاد مجلس النواب المنتخب عام 1949 ليمارس مهمته التشريعية موقتا بعد القضاء على ديكتاتورية أديب الشيشكلي، باعتبار أن حكم الشيشكلي الديكتاتوري لم يكن حكما شرعيا، مع أن الامرين مختلفان شكلا وموضوعا، ولا شك أن

صلاح البيطار كان يعتقد أن عودة هذا المجلس الذي كان نائبا فيه مما يساعد على النجاح في الانتخابات المزمع إجراؤها.  
يقول خالد العظم في مذكراته :

"إن صلاح البيطار قد رشح نفسه في معركة الانتخابات النيابية في دمشق وطلب مني العون على انجازه (في انتخابات 1961) كما فعلت في انتخابات عام 1954، واشترك في الاستفتاء الذي رافق تلك الانتخابات، فوافق على الدستور الموقت المعروف على الاستفتاء، مع أنه يكرس تأسيس الجمهورية العربية السورية أي فصل سورية عن مصر، ولكن صلاح البيطار هو نفسه يحاسبنا (بعد انقلاب الثامن من آذار 1963) على اننا عملنا للانفصال وكان يريد احوالتنا الى المحاكمة والحكم علينا بتهمة الخيانة العظمى" (ص 203 الجزء الأول). **ومما تجدر الاشارة اليه بأنني كنت وراء نجاح صلاح البيطار في المجلس النيابي عام 1954 ، لا خالد العظم وذلك معروف عند الجميع، ولم يكن لتفاهمنا مع خالد العظم أهمية ملموسة على نجاح البيطار في تلك الانتخابات التي لم ينجح بها الا بشق الانفس. لأن صلاح البيطار لم يكن محبوبا، ولم يكن مقبولا حتى من بعض اقربائه. وانني زرت شخصا الشيخ بهجت البيطار وأقنعتة بمساعدة صلاح.**



كان وزير الاعلام مصطفى البارودي على اتصال مستمر بالمجتمعين في بيت الشراباتي مستعجلا صدور البيان لأن حكومة الكزبري كانت في وجل تحت وطأة اعلام عبد الناصر الذي بدأ يشن حملة شديدة مركزة على الوضع الجديد في سورية، ولا شك ان عبد الناصر قد فوجيء بصدور هذا البيان، لأنه كان مخدوعا بتقارير أجهزة المخابرات، التي كانت تصور له ان كل ما يقوم به ويعمله انما يقابل بالتأييد من الشعب السوري، وأن لا خصوم له في سورية إلا قادة حزب البعث، لذلك أصدر على الفور تكذيبا له،

وادعت اذاعته انه بيان مزور. فنشرت حكومة الكزبري في الصحف صورة لنص البيان مكتوبا بخط صلاح البيطار.

بعد صدور هذا البيان من دمشق صدر في 3 تشرين أول 1961 بيان آخر وقعه ايضا بعض النواب والسياسيين في حلب وفي مقدمتهم رشدي الكيخيا، **وقد اتخذ الحضور في نهاية الاجتماع قرارا "بتأييد انتفاضة الجيش والعهد الذي نشأ عنها معربين عن ثقتهم بأن القادة والمسؤولين سيعملون جاهدين لتحقيق الوحدة العربية في مختلف اقطار العروبة مع استعجال الحياة النيابية".**

ووقع هذا البيان والنواب والسياسيون التالية اسماؤهم :

رشدي الكيخيا - ناظم القدسي - عبد الرحمن كيالي - اسعد كوراني محمد سعيد الزعيم - فتح الله اسيون - علاء الدين الجابري - منير غنام - هنري هندية وجيه الحلاج - احمد ابو صالح - عبد الفتاح الزلط. (صحيفة الحياة اللبنانية 1960/10/4).

ومن قيادة حزب البعث في لبنان صدر بيان يحمل جمال عبد الناصر مسؤولية الانفصال وكان ميشيل عفلق متفقا معها في ذلك، وقد قال لنا بعض أفراد هذه القيادة "إن عفلق كان متوجسا من صدور هذا البيان، وكان يفكر بالانتقال الى المنطقة الشرقية من بيروت، خوفا من اغتياله من قبل المخابرات المصرية القوية في لبنان" ومن المعروف ان ميشيل عفلق كان يعيش شبه متخف في تلك الفترة في لبنان، حيث هرب اليه بعد تورطه في قضية الضابط عويس الى ورد ذكرها سابقا وبالتفصيل.

**البيانات تتوالى من القيادات الوطنية والسياسية تعلن تأييدها لحركة 28 أيلول 1961.**

توالى البيانات في سورية معلنة تأييدها للانفصال من قبل جميع القيادات الوطنية والسياسية، ومن قبل بعض وزراء جمال عبد الناصر ونائبه نور الدين كحالة، ومن عدد من النواب الذين عينهم جمال عبد الناصر أعضاء في مجلس الأمة. ولأهمية بيان سلطان باشا الأطرش الذي بثته اذاعة دمشق فاننا نثبت هنا

معظم فقراته وقد نشرته معظم الصحف السورية واللبنانية بتاريخ  
1960/10/15 :

"أذاعت محطة دمشق تسجيل حديث لسلطان باشا الأطرش أكد فيه  
انه لم يرسل برقية لأحد وكانت إذاعة صوت العرب قد أذاعت انه أرسل برقية  
لكمال جنبلاط. وقد قال سلطان باشا الأطرش:

إن ما أذاعته صوت العرب على لسانه كان لغاية، وان البرقية التي  
طيرها هي للجيش وللحكومة بتأييد الحركة الثورية. لأن الوحدة التي تمت  
بين سورية ومصر في تلك الجلسة المعلومة التي عقدها المجلس السوري،  
كانت قائمة على شيء ثم ظهر شيء آخر، وأضاف :

ولما اطلعنا على أغراض اصحاب المقاصد وغاياتهم ولم نكن في  
البداية مطلعين عليها نبذنا الشيء ولم نرد أن نسكت عليه، وقال :

شو بدك من الانسان أكثر من أن يعرض نفسه للخطر؟ الاشخاص  
الذين حكموا مع المشير قالوا له نحن في قبضة يدك، ولكن عدل لنا الأمور  
والأحوال ونحن على عهدنا وعلى ما اتفقنا عليه، وعلى مبدأ الوحدة، ولكنه  
رفض، شو بدك أكثر من هيك؟

ثم الرئيس القوتلي، رجل الوطنية، راح بذاته الى الرئيس عبد الناصر  
وقال له:

إن الوضع ما بيسوى ولازم تعديله، وأنا ذاهب الآن فأجابه :

هذا مش شغلك، اذهب أنت إلى المنفى فسأله القوتلي:

إذن أنا منفي؟ فأجابه : اذهب الى المنفى.

كانت البيانات شكل والذي يعملونه شكل آخر. قلنا مش هذا ما اتفقنا  
عليه، لذلك نؤيد الانقلاب، ونؤيد الحكومة الحاضرة، وكل انسان يشيع اشاعات  
لا يؤثر فينا، قالوا اني أبرقت لكمال جنبلاط في لبنان، ولكني لم ابرق اليه ولا  
علاقة بيننا وبينه قطعيا. هذا ما بدنا نحكيه وما في أكثر من هيك. وقال  
سلطان باشا :

لقد حاربنا الامبراطورية الثانية في العالم وهي فرنسا حين كانت أقوى  
دولة برية، وقاتلنا في سبيل الوحدة العربية 44 سنة، وعلى الملوك والرؤساء

العرب أن يتحدوا ويحققوا الوحدة العربية الشاملة لأن لا حياة لهم بدونها، وسيظلون متأخرين ما داموا متفرقين يفكر كل منهم بمسألة ، هذه نصيحتي لهم، وقد ضحينا في سبيل الوحدة وما نزال نضحى لها اننا نسعى بكل جهدنا للوحدة العربية الشاملة، وصار لنا 44 سنة نشغل للوحدة وما نزال نشغل لها، ولا يعني اذا وقع خلاف بيننا وبين مصر أن نترك الوحدة العربية ..

**وتاريخ 61/10/7 نشرت جريدة الحياة ما يلي :**

**بيان لفارس الخوري من المستشفى اذيع من إذاعة دمشق بتاريخ 61/10/6 جاء فيه :**

"استمعت مرات ومرات الى خطب عبد الناصر وأنا هنا على فراشي في هذا المستشفى (مستشفى السادات قرب قصر الضيافة في دمشق الذي كان يخطب من شرفته عبد الناصر) وقد هممت أكثر من مرة بأن أنهض لأرد عليه. وفي إحدى المرات قمت من فراشي لأخطب ولكن أحد المصريين وكان في المستشفى طلب إلي أن أصرف النظر عن ذلك، وكان جادا في كلامه، وكنت جادا في تنفيذ هذه الرغبة ، فقلت له :

ألست حرا في أن أخطب ؟ لن يستطيع أحد أن يمنعني عن ذلك،

فقال :

أنا هنا للمراقبة وأمنك من الاتيان بأي حركة لالقاء خطاب. فهل رأيتم مثل هذه الحال؟ يقف موظف نكرة ليمنع فارس الخوري من الكلام والتعبير عن رأيه، فأين هي الحرية؟ وهل بلغت الأمور حدا أن يسكتوا شخصا مثلي؟

إن الوحدة العربية ما كانت لتتحقق بمثل هذا الطريق، وقد أبلغت السيد عبد الناصر رأيي المعروف في الوحدة. وهو اننا نحن في سورية طلاب وحدة عربية شاملة كبرى، واذا اتفقت دولتان على اقامة وحدة بينهما فذلك جائز ولكن بشرط أن يكون سلوكهما مثلا يحتذى ويترك الباب مفتوحا لتسرع للانضمام اليهما باقي الدول العربية.

لقد نصحت السيد عبد الناصر أن يعمل على تحسين الاحوال الاجتماعية والمعاشية والصناعية والاقتصادية حتى تأتي النتائج مشجعة في باقي الخطوات للوحدة العربية الشاملة ولكنه عمل بعكس ما كنا ننصح به.

انني أبارك انتفاضة شباب الجيش واعتقد أنها ستكون لخير هذه الأمة التي تتطلع لوحدة عربية حقيقية ولخير الجميع، وأضاف :

لم يكن الاسلوب الذي اتبع في هذه الوحدة لينفع وكانت الخطوات خاطئة وقد كنت في جملة من نبهوا المسؤولين المصريين الى ذلك. وأشار الاستاذ الخوري الى مقابلاته مع عبد الناصر فقال :

لقد طلبت منه في إحدى تلك المقابلات أن يأمر بوقف حملات المهاترات الاذاعية والصحافية التي تغذيها مصر وتنقلها محطات القاهرة وصوت العرب التي وزعت الخيانات على كل العرب مشيرا الى ردة الفعل في نفوس العرب وخاصة العراق ولبنان، فطلب الينا أن نحدث صلاح سالم بذلك، فتحدثنا الى صلاح سالم، وعندما ذهبنا الى فندقنا لنستريح وأحببنا أن نستمع للاذاعة فإذا ما سمعناه أشد وأقذع من الحملات السابقة، وهكذا استمرت الحملات تنفر جميع العرب من حولنا، وقطعت الطريق على كل خطوة نحو الوحدة العربية الشاملة الصحيحة.

وبتاريخ 1961/10/23 أصدر رئيس الجمهورية شكري القوتلي البيان التالي:

أيها المواطنين :

إن أفضل يومين في حياتي هما يوم رفعت راية الاستقلال والجلاء في 17 نيسان عام 1946 ويوم أعلنت الوحدة مع مصر في شباط 1958.

إنكم باختياركم الوحدة ونظام الحكم الرئاسي انما كنتم تقدررون أنه ستتهيا لكم فرصة المشاركة الفعلية في بناء البلد وانكم ستشتركون عمليا في تنظيم الوحدة وتوسيع آفاقها واجتذاب قلوب العرب لها، لأن النظام الرئاسي لا يعني انعزال الراعي عن الرعية، وأنتم لا تنقصكم مزايا الواعين ولا تعوزكم فضائل العقل المستنير. إن أعز ما في الدنيا على الانسان أن يصنع بيده تصوراته وأحلامه، وقد كانت الوحدة ذروة الحلم الجميل والأمني العذاب.

انني مع الشعب والى جانبه لانني أعرف انه لا يمكن ان يجتمع على باطل ويجمع على ضلال وإن خيبة أمني كبيرة، لماذا استحالت الوحدة الى سراب ولماذا وثب كل من كان سباقا في الوصول الى الوحدة ضد هذه الوحدة؟

انني استطيع أن أقول لكم انكم لم تفقدوا حماسكم ولكن ما فقدتموه هو الاسلوب الصحيح في تجنيد الأيدي المؤمنة .. إن اليد التي كانت تخطط كانت تثيرها حربا قاسية بين طبقات المجتمع لتشعل حركة التعاون وتحول دون فعالية الطبقات في المجتمع ولولا وعي الشعب لسادت روح الحقد والكراهية بين أفرادها بسبب سياسة الحاكمين الذين ساموه اسباب التسلط والكتب والارهاب، حتى ساد الذعر وعم التذمر وبات المواطنون لا يأمنون على حياتهم بعد ارزاقهم مهما كانت الطبقة التي ينتسبون لها والجماعة التي ينتمون اليها.

ولقد كنت انبه واحذر من مغبة هذه السياسة العقيمة التي تصدر على الهيئات والفئات والطبقات احكاما جماعية وتهما غيبية، ووضحت في مناسبات كثيرة اننا في هذه البلاد لا نستطيع ان نصف الخيانة والولاء على اساس من تكوين المجتمع القائم، ولا نستطيع أن نبخس المساهمين بالحركات الوطنية خلال اربعين عاما، خدماتهم الجريئة وايديهم البيضاء على استقلال هذا الوطن العربي وكرامته.

وانه لفي استطاعة اي نظام ان يفرض على المواطنين ما شاء من الاحكام ليشارك في اموالهم مواطنيهم اشراكا عادلا تقتضيه مبادئ العدالة الاجتماعية وتقدير نصيب العمل، ولكن ليس باستطاعة النظام ان يسلب هؤلاء المواطنين نصيبهم من شرف المواطن السوري وكرامة الانسان. بل لا ندري لماذا يعمد الحاكم المسؤول الى اخراج هؤلاء المواطنين من الاعتبار القومي وقطع صلاتهم الروحية بالوطن الذي أحبوه وساهموا في حركة بنيانه ثم يقول انه في سبيله الى اتحاد قومي.

ايها الاخوة الاعزاء. أمام هذه النماذج من اساليب التفكير والتدبير وما نشأ عنها من عواقب وحوادث، صغيرة وكبيرة كانت تنتشر اخطاؤها كلها في محيطنا الصغير انتشار القصف الشديد.

اتساءل اليوم عن سر تعب نظام الوحدة ، واكاد اجد وراء كل شكوى، صغيرة او كبيرة، وكل تذمر كان يتفاقم عامة في العام الاخير، اثرا واضحا لمطلب الشعب في قضايا اساسية هي في الواقع فوق المطالب الاقتصادية المادية او السياسية، وهي كرامة المواطن والدفاع عن حرته وصيانة شعوره بانه فرد ذو كيان وحرمة، وانه مهما كان صغيرا فان لجدير بان يشارك في اي

عمل كبير، ومهما يكن من فروض العدالة الاجتماعية ان يذوب هذا الفرد في المجتمع فهو انما يذوب فيه ليعطيه من روحه وجهده ودمه لا ليذهب فيه هباء وهذرا.

قلنا ايها المواطنين منذ الايام الأولى للوحدة اننا لا نستورد المبادئ ولا نستعير العقائد ولا نخضع لصانعي المذاهب في شرق او غرب يحاولون اغواءنا عن مبادئنا وعقائدينا مما اتى به ديننا السمح وراثنا الغني وتقاليدنا الحكيمة. ولكننا لم نكن لنزيد لنظام الحكم ان يفرض تجاربه بالقسر على جمهوره ولم نكن نريد للحاكم باساليب قاهرة ان يجرع الانظمة للشعب تجريع عقاب وقصاص.

نحن نعلم ان عجلة الزمن لا يمكن ان تعود الى الوراء والشعوب التي لا تمضي مع موكب التطور تمشي عليها اقدام المتطورين. ونحن لا نستطيع كذلك ان نتنكب طريق الامم الصاعدة في سلم الحضارة وان نطرح ما استحدثت من اساليب التصنيع والتنظيم وانماء الثروة القومية وتكوين مجتمع تسوده العدالة انما الذي لا بد أن نعيه ايضا ليلبغ الاصلاح اهدافه ونتجنب من السرعة اخطارها، ان روح العدالة الاجتماعية واساليب التعايش والتعامل اقتصاديا واجتماعيا ليست في الواقع لدى كل الشعوب، مهما بلغت اشتراكيتها المتطرفة، سوى تسلسل منطقي في معركة تطوير وتدرج. والاشتراكية ليست بممارستها العملية سوى السير في مناهج مرسومة عبر مراحل طويلة، لان الخطوة الاقتصادية التي لا ترافقها حالة نفسية واجتماعية ملائمة تنزلق انزلاقا طبيعيا نحو مزالق الانهيار والضياع، وان تشريعا اصلاحيا يفرض بالقسر يمكن أن يخلق بدقائق وينفذ بساعات ولكن الوعي الاجتماعي الذي يضمن استمرار الاصلاح ويضمن نجاحه لا يمكن ان يخلق الا بالتطور وبالحسنى التي يجب ان ترافق انماء الوعي وتفتيح الذهن وتجميع الفعاليات. وعندما نقول بالحسنى انما نقول بالرفق والتبصر في العواقب ومعالجة الامور بالحكمة والتسامح اي بنظام واشتراكية مثلى.

ايها المواطنين، اخواني وابنائى طالما اشترتم الي من قريب او بعيد، فرادى ومجتمعين، في سرركم وعلنكم، وحملتكموني تبعات التاريخ وعواقب الامور. ولطالما وقفت منكم كما وقفت من المسؤولين عن مصير هذه الوحدة موقف المواطن الناصح الذي يخاطب المواطنين كما يخاطب المسؤولين. داعيا



الى الحكمة والصبر والروية. طالما قلت لكم اننا نمر بتجربة فريدة واننا مسؤولون عن نجاحها واننا لن نفرط بالوحدة في الوقت نفسه.

كنت أقول لمن بيدهم الأمر كله ان اعلان الوحدة شيء وممارستها شيء آخر. **فبالعواطف قامت وبالعقل والحكمة والغفنة تدوم**، ولقد بنيت الوحدة على جبل واسخ من الثقة. وليس الا بهذه الثقة الجماعية يدوم بقاؤها ويبقى وجودها، وكانت كل مسؤوليتي بعد ان تألف جهاز الوحدة السياسي، ان أكون مواطنا مع المواطنين اشعر بشعورهم وافرح لفرحهم واتألم لآلامهم ولم اكن ضنينا بكلمة حق اقولها سواء اعبرت عن تفاؤل او تشاؤم أو اي وجهة نظر. وقد وقفت في بعض الامور التي تمس كيان الوحدة ووجدان الشعب من ورائها موقف المحذر لا موقف الناصح او المخبر.

وكنتم اعلم في كل حال ان الاذن التي تصغي لي انما هي اذن مجاملة لا اذن وعي، وان اللسان الذي يخاطبني ليس لسان من يريد ان يعلم بأمر بل لسان من يقول انه أعلم بكل امر. ثم كنت اعود لنفسى لاتساءل: هل يمكن ان اكون اكثر حرصا على الوحدة من المسؤول عنها وهي بين يديه وحده امام الله والتاريخ واجيال العرب، ومن ذا الذي يجرؤ على التفريط بها وتبديد طاقاتها والاستهانة بالوجدان القومي الذي كان في اساس خلقها وتكوينها؟

انني لانقل اليوم شعوركم جميعا ايها الاخوة، اذ اجيب بان الذي فرط بالوحدة واخلى بينها وبين الشعب هو جهاز الحكم برمته من الاعلى الى الادنى، جهاز الحكم الذي كان يخبط في اساس الوحدة على غير هدى وتبصر، **جهاز الحكم الذي كانت له الف عين وعين ولكنه لا يبصر بعين واحدة منها**، جهاز الحكم تقديرا وتدييرا وتصميما وتنفيذا، هذا الجهاز، الذي كان شديدا في موقف السماح واللين، جبانا في موقف العزم وموقف الارادة، يتراخى عن محور الوحدة ليدور على محور النفوذ الشخصي والانانية الشخصية، جهاز تألف للوحدة دون مستوى الوحدة، قدرة وذكاء ووعيا وايمانا، وتقرب الى الشعب ولكن بوصفه جلاد الشعب، جهاز الحكم الذي تألف كيانه البوليسي من قيادات ضمن قيادات لو طال بها الزمن لال مصير الجمهورية كلها الى مجموعة اقاليم يحكمها افراد متنافرون، جهاز عجيب غريب انبت للجسم الواحد عدة رؤوس وللرأس الواحد عدة ميول ونزوات وشهوات، جهاز للحكم تناوبته الزعازع، يتمرد بعضه على بعض، ويتربص يمينه بشماله

وتنفيذه بمركزيه حتى لتغدو صورة الحكم في الاقليم مثل صورة الحكم في اخر عهود الخلافات العربية.

ولقد كان في اساس الاخطار كلها قاعدة واحدة: تأمين الاقلية وتخوين الاكثرية وتسليط هيئات مصطنعة وافراد على تنفيذ اشتراكية تعاونية لا يؤمنون بها ولا يعملون من اجلها ولا يفهمون اي مبدأ من مبادئ العدالة والتعاون، وكان كل مدار الثقة بهم انهم حاقدون يكرهون الناس ويتطيرون من وجوه الخلق.

وعندما اتحدث عن جهاز الحكم ومساوئه مصغيا الى اصوات الالوف من ابناء الشعب وعلى الاخص في هذا البلد العربي، فانني اشير بشكل خاص الى اغفال هذا الشعب اغفالا عجيبا في تقرير انظمتهم وعدم الالتفات الى هيئاتهم ومنظمتهم ونقاباتهم في استطلاع رأي على الأقل أو عرض وجهة نظرة او مناقشة موضوع. ولم يبق في الساحة كمنظمة تزعم الانتساب الى الشعب، سوى الاتحاد القومي الذي سيطرت عليه السلطة التنفيذية سيطرة غاشمة لم تترك له سوى بعض مظاهر الارادة الشعبية في مثل الشؤون البلدية كتنظيف جدار وتنوير حي وتمديد انابيب ولطالما شكا النواب المعينون في مجلس الامة من عدم جدوى وجودهم تحت قبة المجلس لان ليس لهم من وظائف التمثيل الشعبي سوى اقرار المشاريع التي كتبها موظفو الدولة والتصويت عليها برفع الايدي.

فان يكن من وراء كل هذا التحفظ والتزمت نفسية الخوف من الشعب والحذر منه، ففي التاريخ الواف الامثلة على أن الشعب لا يلبث ان يحذر من يحذرونه ويبتعد عن المبتعدين عنه ويفتح الهوة الكبيرة بينه وبينهم. وان يكن من وراء هذا الحذر خطة مدبرة لتقليص المشتركين في البناء العام عددا ونوعا فلا يبقى سوى جهاز الدولة الفني ومجموعة الاجراء الضعفاء. فان العدالة الاجتماعية والتعاون القومي بريئان من هذه الخطط ومخططيها.

ومهما يكن من شأن العقائد النظرية والسياسات العملية التي سادت مصر وسوريا خلال الاعوام الثلاثة الاخيرة، فانه من المحقق المؤكد ان البعض الذي قد يمكن تطبيقه في مصر لا يمكن ولا يجدي تطبيقه في سوريا لاختلاف البيئات جغرافيا وبشريا واجتماعيا. ومن المعروف الشائع ان خير الوحدات والاتحادات الناجحة في الدول هي التي اعطت لا مركزية واسعة

لدويلاتها او لولاياتها ومنحتها في كثير من الشؤون حقوقا تشريعية وتنظيمية لا تخالف القوانين العليا لان الوحدة في مفهومها العلمي والعملي مهما يكن نظام الحكم الذي يسودها ليست في الغاء المصالح الصغيرة والمحلية بل بالاعتراف بضرورتها والعمل على التوفيق بينها ضمن اطار رحب من السياسة العليا. وبذلك تضمن الدولة تضامن الوحدات الصغيرة وتتلافى التمزق والتفتت التي تقود اليها لزاما انظمة ضيقة ونظريات غيبية تفرض على الجماهير بالقسر والاذلال.

ومع كل ذلك أيها الأخوة والابناء الاعزاء فاني اعيدكم من ان تظنوا بأن التجربة الفاشلة في نظام الوحدة السياسية بين البلدين العربيين انما هي فشل للوحدة ذاتها كمبدأ وعقيدة وامل اجيال. أعيدكم من التشاؤم في تطلعكم الى مستقبل العرب على ضوء هذه التجربة الاولى في حياة الامة لان هزة الفشل المرعب لم تصب وجداننا ولم تصب عقيدتنا وطموحاتنا القومية بل أجدر بها أن تصيب الذين أخطأوا في اساليب النظر والعمل وابتعدوا عن واقع الامة وحقيقة الشعب وسنة التطور.

اعيدكم من الحساب العجيب بان فشل التجربة الاولى قد يعني فشل كل تجربة ومضاء في سبيل وحدة العرب. وانه لجدير بي ان أذكركم بما قلته يوم قيام هذه الوحدة بانه ليس من العجيب ان تتحد اقطار العرب، بل العجيب كل العجب أن تبقى على القطيعة والفرقة. فبوسعي ان ارفع صوتي عاليا بالتفاؤل بان التجربة الأولى في حياتنا القومية قد رسمت لنا طريقا في التخطيط بشكل من الاشكال لوحدة راسخة البناء يتوفر لها الباحثون والعلماء والمجربون، هبئات وافرادا في كل بلد عربي على ان ينظر فيها رجال الدولة والحاكمون ومجالسهم.

انني ارفع صوتي بالتفاؤل لان عمر الامم لا يقاس بالسنوات القليلة والشعوب التي تتوفر في حياتها التجارب تتوافر لها دون سواها امكانات النجاح والصواب . وان يكن من حظ هذا البلد العربي الأمين أن يكون ميدان التجربة، فانه وهو صاحب رسالة ودعوة عربية لا جدور به ان يكون اليوم اكثر حماسة واندفاعا الى دعوة عربية جريئة يتقدم بها الى الشعب العربي في جميع الديار، وفي مقدمتها مصر العربية الشقيقة.

ولكي تكونوا ايها الأخوة المواطنون على أهبة العمل ومستوى الدعوة والرسالة، عليكم ان تعلموا جميعا بأنكم يجب ان تنطلقوا من قواعد صالحة للانطلاق ومن أرض ثابتة راسخة تحت الاقدام. عليكم أن تدركوا ان وحدتكم الوطنية المدعومة بتعاون الافراد والجماعات وفي مقدمتها رجال العمل السياسي والتوجيه القومي والاصلاح الاجتماعي هي المنطلق الذي يؤهلكم لاداء الرسالة القومية، ويمهد للكلمة المخلصة الصادقة ترسلونها في سبيل العروبة والحق.

إن الوحدة الوطنية التي تلزمها ظروفكم الداخلية والخارجية ضرورة اساسية من ضرورات هذه المرحلة التي نجتازها في حياتنا القومية والدولية، لانكم شعبا وجيشا ملء عين الزمان والتاريخ ينظر الى نياتكم وامالكم. ان وحدتنا الوطنية ضرورة مبرمة من ضرورات الدفاع عن كياننا وعن قوميتنا وشرف عروبتنا، ونحن نقف على خط النار ازاء العدو الصهيوني الاثيم الذي لن نغض عيوننا عن نزوات شروره. وعدوانه، ولن نغفل في حسابنا معه مؤامرات الاستعمار ومكائد الغدر والغادرين. وان هذه الوحدة الوطنية التي يجب ان تتمسكوا بها ايها المواطنون وتدعموها بكل عزيمة وايمان في سبيلكم الى دعم جيشكم الامين في انطلاقه القوى الى اهداف امة العرب في تحرير فلسطين وكسر شوكة الغاصبين.

ان الوحدة الوطنية انما تقوم على مبادئ واهداف بينه تتلطفون حولها وتصدقون القول والعمل ولكم من تاريخكم القريب والبعيد قبل الوحدة وقبل الجلاء ومنذ طلائع الجهاد، مبادئ وعقائد لا يمكنكم أن تحيدوا عنها مهما تبدلت الظروف وانظمة الحكم وتعاقب الحكام، ففي مقدمة هذه المبادئ الهامة سلامة وطنية في جيش قوي، سيادة الدولة في الدعوة الى السلام بالعدل وعدم الخضوع لمناطق النفوذ وسياسة الحرب والمعسكرات، اشتراك وجداني وعملي في نصره القضايا العربية وفي مقدمتها فلسطين والجزائر وعمان وجميع قضايا التحرير العربي، متابعة الدأب في سبيل تحقيق الوحدة العربية والمباشرة بلا ابطاء في ارساء قواعد التضامن العربي عسكريا واقتصاديا وسياسيا، اعداد الشعب في الميدان الداخلي اعدادا منظما في مختلف نواحي النشاط الاجتماعي والاقتصادي والفكري للافادة من جميع الفعاليات على اساس من الحرية كافلة الانتاج والابداع، وفي حدود تمهيد

واقعي لانماء الثروة القومية وبسط العدالة الاجتماعية ورفع مستوى المواطنين وعلى الاخص عمالا وفلاحين.

انتم مدعوون ايها المواطنين الى وحدة وطنية بميثاق قومي تقوم على هذه المبادئ والعقائد التي هي مكاسب جهادكم وكفاحكم وانه لجدير بي في كلمتي اليكم ان اخص بتحية التقدير والاعجاب جيشكم المظفر، حامي الديار وحارس الشرف والكرامة والحرية، جيشكم الذي وضع نفسه في خدمة الحق والعروبة، واعرب في انتفاضته النزيهة الخيرة السمحاء عن الامكم وامالكم التي هي الامة واماله فاضاف الى اوسمته التي تحملها رايته الخفاقة أجمل وسام هو وسام الشعب.

ايها الاخوة والابناء الاعزاء كلمتي الاخيرة اليكم انكم انتم وحدكم مسؤولون في تقرير المستقبل وان القيادات في صفوفكم عناوين زائلة وتيقون انتم الشعب سفور البقاء والخلود. ولقد استطعت ان اتوفر على خدمة نضالكم مواطننا عادي وجنديا مكافحا لهذه الخدمة الشريفة رئيسا وحاكما مسؤولا.

وان اعظم ما يطمح اليه عامل من الحقل العام عائق القضية المقدسة منذ مطلع هذا القرن، فتى وشابا وشيخا، ان يستحق استمرار الرضى عنه في صفوف المواطنين العاديين مواطننا صالحا وجنديا امينا.

## **اجتماع السياسيين وقيادات الاحزاب ورجال الاقتصاد لوضع ميثاق قومي.**

في اليوم التاسع من تشرين الثاني 1961 وجهت قيادة الجيش دعوة لاجتماع يعقد في نادي الضباط في الساعة الخامسة من بعد ظهر الخميس لوضع ميثاق قومي تلتزم به جميع القيادات الحزبية والسياسية فاتفقت مع الاستاذ صلاح البيطار على حضور هذا الاجتماع.

عندما دخلت الى قاعة نادي الضباط وجدت عددا كبيرا جدا من رجال الاحزاب السياسية ومن الاقطاعيين والرأسماليين ومن أصحاب الفعاليات الاقتصادية وكان عددهم يربو على المئة شخص منهم على سبيل المثال : صبري العسلي، خالد العظم، جلال السيد، رشاد جبري، رشاد برمدا، أحمد قنبر، عبد العزيز الحلج، علاء الدين الجابري، أسعد هارون، لطفي الحفار، امين النفوري،

سهيل الخوري، بشير العظمة، نصح باييل، عبد الرحمن العظم، عبد السلام العجيلي، عبد الفتاح الزلط، وقد لاحظت ان هذا الاجتماع يضم وفودا من جميع المحافظات السورية وكان عدد أعضاء حزب الشعب الحلبي كبيرا، وقد جلس عبد الفتاح الزلط بجانبهم.

افتتح هذا الاجتماع اللواء عبد الكريم زهر الدين بكلمة اشاد فيها بانتفاضة الجيش الثورية وبتجاوب الشعب معها بمختلف فئاته وهيئاته، وقال إن الجيش عند وعده بتسليم الحكم الى المدنيين والعودة الى الثكنات ليقوم بواجبه المقدس، وذلك وفق المبادئ والبيانات التي اعلنتها القيادة، ثم تبعه مأمون الكزبري بكلمة تحدث فيها عن أهداف الميثاق الوطني الذي يهدف الى جمع الصف وتوحيد الكلمة وقد وزعت على المجتمعين نسخة جاهزة من مشروع لميثاق اعدته لجنة شكلتها حكومة الكزبري بالاشتراك مع الجيش - مؤلفة من عبد الرحمن العظم وعبد السلام العجيلي ومحمد المبارك وعضو بركات. وعندما قرأت المشروع لاحظت انه يقضي على جميع ما حققته البلاد في الماضي من مكاسب تقدمية، ويشير الى ذلك خالد العظم في مذكراته :

"كانت روح المشروع (الذي وضعته اللجنة) أقرب الى النظريات اليمينية منه الى النظريات الاشتراكية ولاحظنا ان انتقاء المدعويين كان ينبئ عن هذا الاتجاه" (ص 297 الجزء الثالث).

بعد تلاوة مواد الميثاق خطب عدد من المجتمعين مؤيدين وداعين للموافقة عليه واصداره بصفته ميثاقا وطنيا يلزم جميع المجتمعين.

كنت جالسا اثناء ذلك بجانب خالد العظم وهاني السباعي، فرأيت من واجبي ان ألقى كلمة مستخلصة من الماضي ومن تجربة الوحدة ومن الظروف التي أحاطت بقيامها وركزت على النقاط التالية.

1- التزام سياسة الحياد الايجابي والابتعاد عن إدخال سورية في الحرب الباردة بين العملاقين، للمحافظة على استقرار الأوضاع في البلاد، الذي يمكن ان يتعرض للمخاطر بعد الانفصال.

2- المحافظة على قانون الاصلاح الزراعي والاستمرار في تنفيذه. وعلى جميع القوانين التقدمية وحذرت من النية المبيتة لالغاء هذه القوانين، لأن ذلك، عدا عن اضراره الكبيرة، سيفسح مجالاً واسعاً لاعلام عبد الناصر الذي يستهدف تفتيت الصف الوطني واشاعة الفرقة واثارة الحرب الاهلية.

3- كما حذرت من سياسة المحاور العربية التي يستغلها الاستعمار ودعوت الى بذل المساعي لقيام اتحاد فدرالي بين مصر وسورية والدول العربية التي تقبل بهذا الاتحاد دون أن يكون اختلاف أنظمة هذه الدول عائقاً دون تحقيق الاتحاد، وهي السياسة التي اتبعتها سورية قبل قيام الوحدة الاندماجية، فهاجمني جلال السيد بانفعال وشدة وأيد الميثاق الذي وضعتة اللجنة، وكان صلاح البيطار قد ألقى خطاباً قبلي دعا فيه الى اتباع سياسة اشتراكية .. وقد جاء في مذكرات خالد العظم قوله :

"كان خطاب اكرم الحوراني قاسياً فاتهم واضعي المشروع بالرجعية وحمل الحاضرين مسؤولية اقرار مشروع كهذا يعيد البلاد سنوات الى الوراء ويفرق كلمتها بدلاً من جمعها، ثم طلب الى ان اتكلم وان اكبس (على حد تعبير اكرم) اي ان اهاجم المشروع ، ولكنني لم أفعل، بل اکتفيت بالقول أن المشروع لا يأتلف مع رأي الحاضرين . فلا بد من تأليف لجنة جديدة تضع لنا نصاً جديداً واقترحت أن ينضم اليها السيد اكرم الحوراني" (ص 207 الجزء الثالث). وفي الصفحة نفسها يقول:

"وكننت اعتبر ان الحاضرين يمثلون في اكثريةهم اليمين الحانق على قرارات عبد الناصر الاشتراكية والراغب في الغائها بجرة قلم".

لقد انتهى النقاش مع المجتمعين بتسمية لجنة جديدة اقترحها العقيد موفق عصاصة مؤلفة من أكرم الحوراني وصبري العسلي ومأمون الكزبري و عرفان الجلاد، وقد نالت هذه اللجنة موافقة المجتمعين.

انفردت اللجنة في غرفة جانبه ليهو نادي الضباط، ولكن عددا كبيرا من المجتمعين دخل الى الغرفة واشترك بالنقاش، وكنت وحيدا في مواجهتهم، فطلبت من أحد الجنود القائمين على خدمتنا ان يخرج الى البهو ويطلب من صلاح البيطار ان يحضر ليسعفني في المناقشة ، تجاه هذا العدد الكبير من المتألمين علي، ولكن الجندي عاد ليقول ان صلاح البيطار غادر الاجتماع وذهب الى بيته ويقول خالد العظم في مذكراته :

"وكان صلاح البيطار قد ترك الاجتماع عندما لم يختار لعضوية اللجنة"(ص 208 الجزء الثالث).

لقد صمدت امام ذلك الجمع، واستمر نقاشي معهم حتى مطلع الفجر، ولم أراجع أمام ادخال أي كلمة تشير من قريب أو بعيد الى تعديل قانون الاصلاح الزراعي أو القوانين الاشتراكية، وحذرت الجميع بأن تعديل هذه القوانين سيترك آثاره على استقرار الوضع الديموقراطي في سورية وقلت لهم صراحة :

ان هذه الهجمة المتسارعة غير معقولة بل مشبوهة، وعندما تفوهت بذلك أخذ بيدي عبد السلام عجيلي جانبا وقال :  
هل تقصد بذلك الانكليز؟ قلت له :

يمكن أن يكون ذلك لأن الدول الاستعمارية والدول العربية السائرة في ركابها تعتبر ان وضعا ديموقراطيا تقدما في سورية سيكون مهددا لمصالحها وأنظمتها.

لقد أثمر صمودي واستمراري في المناقشة أمام هذا الجمع الغفير الذي يئس من اصدار نص غير النص الذي اقترحته والذي يمكن اختصاره بالمبادئ التالية:



1- بعث الوحدة العربية على أساس اتحاد فدرالي بين الدول العربية.

2- عدم ادخال اي تعديل على قانون الاصلاح الزراعي والقوانين الاشتراكية.

3- اتخاذ الاشتراكية العربية والديموقراطية اساسا للحكم في سورية.

وعندما بلغت الساعة الخامسة صباحا خرجت اللجنة الى بهو النادي وبلغت المجتمعين بما اتفقنا عليه.

يقول العظم :

"وقد كنا كلما عزم احدنا على العودة الى داره منعه ضابط من الخروج، ثم أغلقوا الباب علينا وبقينا حتى خرجت اللجنة بمشروع جديد يختلف كل الاختلاف عن المشروع الأول ويكرس الاشتراكية بصراحة، فاعترض بعض التجار وطلبوا ذكر حماية المجهود الفردي، ثم جرى نقاش بينهم وبين الحوراني كاد يطول الى ما شاء الله حتى مل الحاضرون وأصبحوا مستعدين لقبول أي شيء على أن تترك لهم حرية الخروج والذهاب الى النوم" (ص 208 الجزء الثالث). وقبل خروج المجتمعين اعلن العقيد عصاصة دعوة المجتمعين غدا لتناول الغداء في نادي الضباط بضيافة رئيس الأركان عبد الكريم زهر الدين.

ولا بد هنا من الاجابة على هذا السؤال :

ما هو السبب الذي جعل المؤتمرين يتحملون عنادي واصراري على عدم تعديل قانون الاصلاح الزراعي والقوانين الاشتراكية الأخرى، مع انه كان باستطاعتهم ان يطرحوا مشروع الميثاق الذي وضعته اللجنة السابقة على التصويت لينال الاكثرية بما يشبه الاجماع؟

لقد كان الرجعيون والعسكريون يخشون انسحابي من هذا الاجتماع مما يعرض الوضع الجديد الى ضربة قاسية ليس بمقدورهم احتمالها، بالاضافة الى معارضة جمال عبد الناصر التي

كانت تقض مضاجعهم وتثير مخاوفهم، ولذلك آثروا أن يسلموا أخيراً وبعد جدل طويل بآرائني أملين أن تعرض حكومتهم القادمة هذه القوانين على المجلس الجديد فيتمكنا من تعديلها أو إلغائها بما يحقق مصالحهم بالاسلوب الدستوري الديموقراطي كما كانوا يتصورون.

## **اجتماع السياسيين والقيادات الحزبية والفعاليات الاقتصادية في نادي الضباط على مائدة عبد الكريم زهر الدين.**

بتاريخ 1961/11/10 لبي دعوة عبد الكريم زهر الدين الى الغداء في نادي الضباط جميع الذين وقعوا على الميثاق، اضافة الى عدد آخر من الزعماء والسياسيين والقيادات امثال سلطان باشا الأطرش وحسن الحكيم.

لقد احتدم النقاش، بعد الغداء، بيني وبين مأمون الكزبري بصدد التعديلات التي أدخلتها الحكومة على قانون الانتخابات السابق . وكان أحد هذه التعديلات اعطاء الحكومة الحق في تحديد وتعديل المناطق الانتخابية، وكان ذلك نتيجة اتفاق بين الحكومة وبين الاقطاعيين وحلفائهم في حماه لقسم منطقة حماه الانتخابية الى منطقتين انتخابيتين، بما يحقق امل الاقطاعيين بانجاح مرشحهم في هذه الانتخابات لأن التغيير والتعديل في المناطق الانتخابية يدل سلفا على النية المبيتة للحكومة للتلاعب بالانتخابات وانجاح مرشحها في حماه وفي بعض المناطق الانتخابية الأخرى.

قلت لمأمون الكزبري يومذاك :

انني أعارض أي تعديل لقانون الانتخاب ليس في منتطقي الانتخابية حماه بل وفي أي منطقة انتخابية أخرى في سورية ، هذه المناطق التي لم تلجأ أي حكومة الى تعديلها بعد الاستقلال. وقد تراجع الكزبري عن موقفه في بيانه الذي ألقاه اثر ذلك فقال :

اننا اتفقنا جميعا على منع المهارات في الفترة الانتخابية  
منعا مطلقا كما اتفقنا على منع كل ما يؤدي الى التعرض لسلامة  
الجيش أو الاخلال بالأمن العام وعدم نشر ما من شأنه أي  
يتعارض مع مبادئ القومية العربية.

أما فيما يخص موضوع التعديل والتغيير في المناطق  
الانتخابية فقد قال :

إن هنالك موضوعا يظهر أنه شغل بعض المرشحين، وقد ورد  
في المرسوم الاشتراعي الذي أقرته الحكومة والمتعلق بقانون  
الانتخاب حيث ورد فيه نص يقول بأن لمجلس الوزراء بقرار يصدره  
بناء على اقتراح وزير الداخلية الحق ببعض الضم أو بعض الفصل  
في المناطق الانتخابية، وهنا أحب أن أوضح ان النية من إصدار  
هذا النص لم تكن لأجل إعادة النظر في المناطق الانتخابية، انما  
الهدف منه تمكين الحكومة من اعطاء كرسي لبعض المواطنين  
الذين ربما يقل عددهم في منطقة معينة ببعض المئات، أو ربما  
بعض العشرات من الاصوات عن الحد الذي يمكنهم من أن يحصلوا  
على كرسي لمرشح في الانتخابات. وبهذا يمكنكم أن تتأكدوا أن  
الحكومة ستعمل على حفظ المناطق الانتخابية كما كانت في  
ظل القانون السابق، وبهذا يمكنكم أيضا أن تتأكدوا بأن ما أشيع أو  
ما يمكن أن يشاع لا يستند إلى الحقيقة. كما جاء في كلمته:

انني اعتقد بعد التجارب التي مرت ببلادنا قبل الوحدة  
وحتى لا نمكن أحدا من أن يستغل الجيش في المعركة الانتخابية  
وحتى نبقي الجيش بعيدا عن تلك المعركة، وحتى نمكن الجيش  
أن يقوم بالدور الذي وجد من أجله، فقد حرصنا نحن السياسيين  
المجتمعين هنا على نأخذ عهدا من الجيش بالأ يتدخل في  
السياسية.

وقد تبعه ممثل قيادة الجيش العقيد عصاصة فألقى بيانا  
مكتوبا اذيع مساء من دمشق جاء فيه :

"إن غاية الجيش تأمين الاستقرار في وطننا الحبيب، لنطوي بذلك  
صفحة الماضي القريب والبعيد بكل اضطراباته وهزاته، ومن المؤكد اننا لا

نستطيع ان نحقق ما نريده من استقرار اذا كنا لا نريد ان نستفيد من عطات الماضي وعبره" "لقد كان الجيش في الماضي تعبت به أيدي الساسة والسياسيين وتقضي على وحدته وتجعل منه كتلا وفئات. وكان هذا التدخل من السياسيين ورجال الاحزاب في الجيش هو السبب الاكبر للاضطراب وعدم الاستقرار في وطننا الحبيب".

"لقد أجمعنا كلنا على أن كل علاقة سياسية تربط رجال الجيش برجال السياسة والاحزاب هي مدعاة جديدة الى الانحراف والقضاء على الاستقرار المنشود" "لهذا نرى أن نعلن انه ليس للجيش أي غرض في الانتخابات القادمة وكل مراده ان يتم تمثيل الشعب دون تزييف أو تزوير".

بعد عشرة أيام من اذاعة بيان قيادة الجيش استقال مأمون الكزبري من رئاسة الوزارة، وتشكلت وزارة أخرى برئاسة عزت النص وبشير خالد العظم في مذكراته الى هذه الاستقالة بما يلي:

"لقد شاع بأن مأمون الكزبري قد أقصاه الجيش عن رئاسة الحكم لسبب لم نطلع عليه ، كما أن حيدر الكزبري اعتقل مدة في سجن المزة ثم أفرج عنه" (ص 217 الجزء الثالث).

لقد ألقى بيان الجيش الذي القاه موفق عصاصة مسؤولية الانقلابات العسكرية على عاتق السياسيين والاحزاب في سورية، والحقيقة ان هذا القول هو اجتزاء للحقيقة بل تزوير لها، لأن هنالك عوامل أساسية وأسباب أخرى شجعت المغامرين من العسكريين على القيام بالانقلابات سواء في سورية أو في غيرها من بلدان العالم الثالث هي الصراع بين القوى الاستعمارية على المصالح والنفوذ ولا سيما في منطقة الشرق الأوسط، وكانت الديموقراطية وحقوق الانسان واعاقه تقدم هذه المنطقة ضحية ذلك ولا سيما في سورية التي كانت أهم ساحة لهذا الصراع، ولا شك أن انقلابات هؤلاء العسكريين المغامرين الديكتاتوريين قد حظيت في سورية بدعم من بعض الانظمة العربية ومن الطبقات الاقطاعية والرأسمالية التي ليس من مصلحتها قيام حكم ديموقراطي لا يكون محققا لمصالحها واستغلالها، ولا ننسى هنا

أن المغامرین العسکریین یتخذون دائماً من قضایا الشعب وتطلعاته الحجة التي یررون بها انقلاباتهم. وسيأتي في حينه وبالتفصیل اتصال انقلابی 28 ایلول 1961 بعبد الناصر ومحاولتهم في 28 اذار 1962 الانقلاب على انقلابهم السابق بعد حلهم المجلس النيابی المنتخب، مما أدى في نهاية المطاف بدعم واشتراك من قبل عبد الناصر الى انقلاب الثامن من اذار عام 1963.

وتعليقا على ما جرى في نادي الضباط - فقد أدليت بتاريخ 61/11/11 بالتصريح التالي لوكالة الانباء العربية، لأنني لم أخدم ولا بتعهدات الكزبري ولا ببيان قيادة الجيش ولا بتوقيع الرجعيين على الميثاق الوطني "

"إن جميع المبادئ الصحيحة التي تضمنها الميثاق الوطني الذي وقعنا عليه البارحة تبقى في حيز النصوص ان لم يلتزم بها جميع الفرقاء الموقعين على الميثاق التزاما صادقا، وإن الضمان الحقيقي لتنفيذ المبادئ التي وردت في الميثاق هو إجراء انتخابات حرة حيادية نزيهة ينبثق عنها مجلس تأسيسی ونيابى يمثل الارادة الشعبية.

وقلت عن الميثاق :

**أما فيما يتعلق بالوحدة العربية فقد اتجه الميثاق الوطني نتيجة لتجربة الوحدة بين سورية ومصر الى التأكيد على أن الأساس الصحيح للوحدة العربية في المستقبل يجب أن يقوم على الديمقراطية والحرية والتكافؤ واللامركزية الدستورية كما أن الميثاق الوطني وضع الاشتراكية في نطاق الديمقراطية البرلمانية".**



**رد الفعل الشعبي على تأليف حكومة الكزبري.**

لقد قوبلت حركة 28 ایلول 1961 بالتأييد من أكثرية الشعب والجيش ما عدا مجموعات صغيرة خلفتها أجهزة المخابرات

الناصرية في سورية ، ولكن تشكيل الحكومة برئاسة مأمون الكزبري أحدث ردود فعل شعبية معاكسة، كنا أول من عبر عنها في الاجتماع الأول للسياسيين ورجال الاحزاب كما ذكرت سابقا.

اما بالنسبة للجيش فقد بدأ حيدر الكزبري يطرح نفسه كصاحب حركة 28 ايلول. حتى انه ضرب خياما حول وزارة الدفاع واستقر فيها مع قوات البادية التي كانت بامرته، وقد أحدث هذا التصرف ردة فعل ايضا في الجيش، لان ضباطه لا يقبلون أن يكون حيدر الكزبري وجه حركة 28 ايلول، فهو ليس من كبار ضباط الجيش، وانما من ضباط الصف أصلا، عدا عن علاقته التي أصبحت معروفة بالنظام الأردني وقرابته لمأمون الكزبري، وهكذا بدأ الضغط على قيادات حركة 28 ايلول من قبل الجيش ومن قبل الشعب ببعض المظاهرات التي قامت ضد حكومة الكزبري حتى أن قائد الجيش وبعض ضباط الانقلاب وجهوا إلي وإلى عبد الغني قنوت دعوة للاجتماع بهم في وزارة الدفاع وقد لاحظت غياب حيدر الكزبري عن هذا الاجتماع الذي وجه إلي فيه السؤال التالي :

ما هو السبب في ردة الفعل على حركة 28 ايلول ورفضها بعد تأييدها وما هو السبب في قيام بعض المظاهرات ضدها؟ قلت لهم :

إن الجواب واضح وجلي، فحركة 28 ايلول بتكليفها الكزبري ذي السمعة المعروفة سواء بالنسبة لعهد الشيشكلي الذي كان رئيسا لمجلسه المزيف ثم نصب نفسه خليفة له بعد فراره الى لبنان، أو سواء بالنسبة للتحقيق الذي أجري معه فيما يعرف بمؤامرة الدندشي التي كانت تهدف للاطاحة بالعهد الدستوري الديموقراطي ، وهي المؤامرة التي تسربت أخبارها للناس، ولولا تعاون عبد الناصر مع مأمون الكزبري وتعليقه إضارة التحقيق التي كانت على وشك الاحالة للمحكمة العسكرية لكان اليوم في السجن بتهمة التآمر ضد الشرعية والوضع الوطني الديموقراطي في سورية، ولقد أصغى الى الحاضرون باهتمام وظهرت على وجوههم علامات الاقتناع والتأييد.

والأمر الذي يمكن أن أذكره في هذه المناسبة أن عبد الغني قنوت الذي كان صامتا خلال نقاشي وحواري معهم قد انفجر باكيا في نهاية الحوار دون مبرر وقال لهم:

انني تركت السياسة وانني أبحث عن تأمين خبزي ومعيشتي فلماذا هذا التضييق علي ومراقبة منزلي بأشد ما كان عليه في زمن عبد الناصر؟

لقد قابل المجتمعون كلمات عبد الغني بتأثر وقاموا يقبلونه ويعتذرون منه، ووعدوه بمنع الرقابة بعد أن قالوا انهم غير مطلعين عليها، وانه رفيقهم وانهم حريصون على مودته، وعندما خرجنا من الاجتماع شعر عبد الغني بسقطته فرجاني أن يبقى هذا الموقف سرا فيما بيننا، فتعهدت له بذلك وأبقيته سرا حتى كتابة هذه السطور.

انني لم أعد أذكر تاريخ هذا الاجتماع ولكنه بالتأكيد قد تم قبل استقالة مأمون الكزبري من الوزارة. لأنني لما سألتهم في بداية الاجتماع هل سيحضر حيدر الكزبري هذا الاجتماع فأجابوا بالنفي وقالوا انه اجتماع مغلق بيننا وبينكم ولن يطلع عليه أحد.

**1961-1962: اعلان الدستور المؤقت - اختصار مهلة انتخاب المجلس التأسيسي النيابي والاستفتاء على الدستور المؤقت نتيجة لمناجعة الهجوم الناصري على الوضع الجديد في سورية - الاتفاق على اقتسام السلطة بين حزب الشعب والحزب الوطني والاخوان المسلمين ومأمون الكزبري قبل البدء بالانتخابات - نتائج الانتخابات في محافظة حماة وعلى مستوى سورية - ناظم القدسي رئيسا للجمهورية.**

### **الانتخابات النيابية والاستفتاء على الدستور المؤقت**

في مساء يوم 61/11/15 نشرت الحكومة نص الدستور المؤقت المؤلف من عشر مواد وقررت عرضه على الاستفتاء العام. كما عينت الاول من شهر كانون الاول 1961 موعدا لاجراء الانتخابات النيابية التأسيسية.

وفي ما يلي نص الدستور المؤقت:

المادة الاولى: الجمهورية العربية السورية دولة مستقلة ذات سيادة وهي جزء من الوطن العربي الكبير.

المادة الثانية: ينتخب الشعب مجلسا تأسيسيا ونيابيا لمدة اربع سنوات بطريق الاقتراع السري المباشر.

المادة الثالثة: يجتمع المجلس خلال عشرة ايام من تاريخ اعلان نتائج الانتخابات بدعوة من رئيس الوزارة الانتقالية.

المادة الرابعة: يتولى المجلس وضع دستور للجمهورية خلال مدة اقصاها ستة اشهر ثم يتحول الى مجلس نيابي.

المادة الخامسة: ينتخب المجلس في اجتماعه الاول رئيسه ومكتبه.



المادة السادسة: يمارس المجلس السلطة التشريعية خلال فترة وضع الدستور وفق الاسس التالية:

أ- يقترح القانون من الحكومة او من عشرة نواب على الاقل.

ب- يصدر القانون بعد اقراره من المجلس عن رئيس الجمهورية وينشر في الجريدة الرسمية.

ج- يحق لرئيس الجمهورية اعادة القانون الى المجلس خلال عشرة ايام لاعادة النظر فيه فاذا اصر المجلس على القانون نشره رئيسه حكما.

المادة السابعة: ينتخب المجلس رئيسا للمجلس لمدة خمس سنوات بكثرة ثلثي اعضائه في الاقتراع الاول، فان لم تحصل فبالأكثرية المطلقة وفي المرة الثالثة بالأكثرية النسبية.

المادة الثامنة: يتولى السلطة التنفيذية رئيس الجمهورية بمعونة مجلس الوزراء.

المادة التاسعة: يمارس رئيس الجمهورية ومجلس الوزراء والسلطة التنفيذية وفق الاحكام المنصوص عليها في دستور 5 أيلول 1950.

المادة العاشرة: يعمل بهذا المرسوم من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية.

كان القصد من نشر هذا الدستور المؤقت واجراء الاستفتاء عليه ترسيخ الجمهورية العربية السورية، لان الوحدة بين سورية ومصر قد تمت باستفتاء شعبي فيجب اذن ان يتم الانفصال باستفتاء شعبي آخر، وقد عقد وزير الداخلية عدنان القوتلي مؤتمرا صحافيا شرح فيه مبادئ الدستور المؤقت واهدافه كما اعلن ان الحكومة قد اختصرت مدة الاربعة اشهر التي حددتها لنفسها كفترة انتقالية الى شهرين ثم اعلن بدء الترشيح اعتبارا من الساعة الثامنة من صباح الخميس 61/11/1.

وهكذا بدأ النشاط الانتخابي الفعلي للنجاح في المقاعد النيابية التي زاد عددها عن مجلس النواب السابق ثلاثون مقعدا،

فأصبح عدد نواب المجلس النيابي السوري 172 نائبا منهم 165 نائبا من اهل الحضر وسبعة نواب للعشائر وزعت على الشكل التالي: مقعد لشمر الزور في الحسكة، وآخر لشمر الخرصة في الحسكة ايضا، ومقعدان لبادية الشام والسخنة، ومقعد لبادية تدمر (حمص وحماة)، ومقعد لعشائر الموالي، ومقعد لعشائر الحديدن (ادلب) وهكذا يظهر من تعديل قانون الانتخاب والعودة لتعيين سبعة مقاعد للعشائر ان حكومة الكزبري، مثل حكومات الانتداب والحكومات التي تعاقبت بعد الاستقلال، كان من مصلحتها ان تحتفظ لرؤساء هذه العشائر بمقاعدهم في المجالس النيابية، لانها تضمن ولاءهم وتأييدهم وشراستهم في مقاومة اقرار القوانين التقدمية التي تمس مصالح الطبقة الاقطاعية والرأسمالية هذه الطبقة التي بدأت تتحرك بعد انقلاب 28 ايلول للقضاء على قانون الاصلاح الزراعي والقوانين الاشتراكية الاخرى.

لقد اصدرت حكومة عزت النص (التي اتت بعد حكومة الكزبري) بعد ان رشحنا انفسنا في المعركة الانتخابية مرسوما ينزع عن مئات المواطنين من العشائر المتحضرة والمسجلين في دوائر النفوس في الغاب والمنطقة الشرقية (الحمرة) اسماءهم من سجلات النفوس، باعتبارهم من البدو الرحل، مع انه لا يجوز اسقاط الاسماء المسجلة في القوائم الانتخابية او في دوائر النفوس الا بصدور حكم من المحكمة، وقد جرت محاولة الاقطاعيين والاخوان المسلمين والانقلابيين في الجيش للتأثير على الانتخابات في حماة على مرحلتين:

اولا: عندما حاول الاقطاعيون والاخوان المسلمون (القائمة المؤتلفة) الضغط على الحكومة لفصل ريف مدينة حماة عنها انتخابيا ظنا منهم ان ذلك يحقق لهم النجاح.

2- حرماننا من اصوات مئات الفلاحين ذوي الاصول البدوية كما ذكرت سابقا.

ومما هو جدير بالذكر ان مدينة حماة كان يتبعها قضاءان هما السلمية ومصيف الذي الحقته فرنسا بدولة العلويين لهدفين:  
الاول: تكبير دولة العلويين كما فعلت عندما الحقت بجبل لبنان الاقضية السورية الاربعة وأنشأت دولة لبنان.  
الثاني: فصل العلويين عن أهالي مدينة حماة.

اما قضاء السلمية الذي تقطنه اكثرية اسماعيلية فقد ابقاه الفرنسيون منطقة انتخابية مستقلة تثبتا للاوضاع الطائفية في سورية، وهكذا لم يبق من الريف التابع انتخابيا لمدينة حماة سوى ناحيتين: ناحية الحمرة وناحية محرمة.

### **تشكيل وزارة جديدة برئاسة عزت النص**

بتاريخ 61/11/21 جرى تشكيل وزارة جديدة مهمتها الاشراف على الانتخابات التي حدد موعدها بتاريخ 61/12/1 بعد ان قدم مأمون الكزبري استقالته من منصبه اسوة بزملائه الوزراء الذين رغبوا بترشيح انفسهم للنيابة، وقبل الاستقالة اصدر مأمون الكزبري مرسوما ياحداث منصب نائب رئيس لمجلس الوزراء واسند هذا المنصب الى الدكتور عزت النص الذي ضم الى وزارته ثلاثة وزراء جدد عوضا عن المستقلين، وهم فتح الله اسيون والدكتور احمد السمان وعبد السلام الترمائيني.

اما التخريج القانوني لتشكيل وزارة عزت النص فقد شرحه مصطفى البارودي وزير الدعاية والانباء بقوله:

لقد اجتمع مجلس الوزراء وأصدر مرسوما تشريعا ياحداث منصب نائب رئيس مجلس الوزراء عند غياب الرئيس او شغور منصبه لسبب من الاسباب، وفي حال تقديم رئيس مجلس الوزراء استقالته الى مجلس الوزراء يصبح نائب الرئيس حكما رئيسا لمجلس الوزراء، ويمارس سلطة اصدار المراسيم الخاصة بتشكيل الوزارة وتسمية الوزراء، وقد سمي الدكتور عزت النص نائبا لرئيس مجلس الوزراء ولما كان الرئيس الدكتور مأمون الكزبري قد رشح نفسه للانتخابات عن مدينة دمشق لذلك تقدم باستقالته الى

مجلس الوزراء اسوة بالوزراء الذين رشحوا انفسهم للانتخابات وقد اجتمع مجلس الوزراء وقرر قبول استقالته فأصبح عزت النص بحكم القانون رئيسا لمجلس الوزراء".

□

تابع جمال عبد الناصر تشديد هجومه على النظام الجديد في سورية، سواء في خطبه او في اجهزة اعلامه، مما اثار مخاوف الحكم ودعا الحكومة والجيش للاسراع في اجراء الاستفتاء الشعبي والانتخابات التأسيسية النيابية ضمن الاسس التي وردت في الدستور المؤقت.

ولذلك صدرت المراسيم بتقصير مهلة الاستفتاء والانتخابات من اربعة اشهر الى شهرين، فحدد الموعد بتاريخ 61/12/1 كما اقتصرت المدة القانونية للترشيح على خمسة ايام، وقد حددت الحكومة سلفا وقبل اجراء الانتخابات موعد اول اجتماع للمجلس الجديد بتاريخ 62/1/12 لانتخاب رئيس المجلس ورئيس الجمهورية وتشكيل الوزارة ليتم بناء الدولة بمؤسساتها الدستورية.

لقد اتخذت الحكومة والجيش المظاهر التي تدل على حيادهما في اجراء الانتخابات ولذلك اصدرت بتاريخ 61/10/14 مرسوما نذبت بموجبه كبار قضاة الدولة لتولي شؤون الانتخابات في المحافظات، فانتدب القاضي فؤاد الحلبي محافظا لحلب وحسين فواز محافظا للجزيرة وشاكر الانطاكي محافظا للسويداء، كما عين محسن العباس محافظا لحوران، وعدنان الخطيب محافظا للاذقية، ولكن اصبح معروفا قبل اجراء الانتخابات ان اركان النظام الجديد قد اقتسموا فيما بينهم المناصب الرئيسية، فكان لحزب الشعب حصة الاسد في هذه القسمة، اذ ان ناظم القدسي المتفق عليه لرئاسة الجمهورية لم يرشح نفسه في قائمة حزب الشعب عن حلب، كما كان من نصيب هذا الحزب رئاسة الوزارة التي فيها معروف الدواليبي فيما بعد، وقد قيل ان استقالة مأمون الكزبري من رئاسة الحكومة لم تكن الا بعد وعده

بانتخابه لرئاسة المجلس، ويشير خالد العظم في مذكراته  
للكيفية التي تمت بها هذه المساومات:

"لقد كان للاخوان المسلمين نصيب في هذه المساومة التي ظهرت نتائجها  
بعد الانتخابات بنجاح عدد من النواب عن الاخوان المسلمين بدعم من الحكم  
والجيش، ولم يكن ممكنا نجاح هذا العدد لولا ذلك الدعم.

ان حركة النحلاوي قد ضمت عددا من ابناء طبقة تجار دمشق ذوي  
الميل الدينية، كما ضمت عددا من ضباط الجيش ذوي الميول الاخوانية  
وهؤلاء لم يجر تسريحهم او نقلهم خلال الوحدة، كما جرى للضباط ذوي  
الميل البعثية، وانما تبناهم نظام عبد الناصر، واختير احدهم وهو النحلاوي  
ليكون امين سر لمكتب المشير عبد الحكيم عامر، ومن الجدير بالذكر ان  
عصام العطار والشيخ مصطفى السباعي، من اقطاب الاخوان المسلمين في  
سورية، كانا على صلات جيدة بمحمود رياض احد اركان نظام عبد الناصر قبل  
الوحدة وخلالها، وكان هذا النظام مشجعا للاتجاهات الدينية والاخوانية في  
سورية، خلافا لموقفه في مصر" (ص224 الجزء الثالث)

ويشير خالد العظم الى هذه الصلة بما يلي:

"ان صلات عصام العطار العميقة بكثير من الناصريين التابعين لمنظمة الاخوان  
المسلمين الاعضاء في مجلس الامة في القاهرة او في الاتحاد القومي،  
واتصالاته بعبد الحميد السراج واجتماعاته به في تونس وتأييده العنيف  
لمطالب نقابة المعلمين وللاضراب الذي عملوا اليه وهم الذين تأكد بعد 8 آذار  
1963 اشتراكهم في المؤتمرات الناصرية، كل ذلك كان يثير في نفوسنا الشك  
والريبة في حقيقة اتجاههم وكان الحوراني اكثرنا تقديرا لما يضمه العطار"  
(ص 286 الجزء الثالث)

### **المشاكل التي واجهتها في اختيار المرشحين للنياية**

أصبح الفلاحون في جميع انحاء سورية بعد الانفصال يعلقون  
آمالهم على نجاح الاشتراكيين العرب في المعركة الانتخابية، ولم  
تكن خافية عليهم تركيبة النظام الجديد وما يمكن ان يلجأ اليه من  
الغاء او تعديل لقانون الاصلاح الزراعي، وعلى الرغم من الضغوط  
المختلفة وبعض الممارسات، فقد نجح في هذه الانتخابات سبعة

عشر نائبا عربيا اشتراكيا وقد نجحت قائمة الاشتراكيين العرب بصورة كاملة في مدينة حماة.

لقد كان همي الاول في ادارة المعركة الانتخابية هو انتقاء المرشحين. لهذا اجتمعت قبل ان اسافر الى مدينة حماة لقيادة المعركة بالاستاذ صلاح البيطار الذي اظهر لي تصميمه على خوض الانتخابات فشجعتة على ذلك، بالرغم من ان املي بنجاحه لم يكن كبيرا، وودت لو كنت متفرغا لمعركة دمشق لعلي اساعده على النجاح كما فعلت عام 1954، ومع ذلك فقد اجتمعت مع بعض شباب الاحياء في دمشق وشجعتهم على انتخاب البيطار، وعندما عرض علي الشباب الاشتراكيون العرب الحمويون المقيمون في دمشق وعددهم كبير، وفعاليتهم اكبر، ان يذهبوا الى حماة لمساعدتي طلبت منهم البقاء في دمشق والعمل على انجاح البيطار، وذلك لانني كنت اقدر سلفا ان اخفاقه سيثير المشاكل، وقد استعملت هذا التعبير حرفيا عندما طلبت من الشباب البقاء في دمشق لمساعدته.



كانت اول المشاكل التي اعترضتني في مدينة حمص، حيث وقع الخلاف بين عبد البر عيون السود ومظهر الحسيني على ترشيح نفسيهما، وكانت المعركة الانتخابية قد بدأت وما زال الخلاف بينهما لم يصل الى نتيجة، لذلك تركت مدينة حمص وذهبت الى منطقة الحولة القريبة منها حيث يشكل الفلاحون وزنا انتخابيا كبيرا بالنسبة لمدينة حمص، وهي منطقة لم يسبق لي زيارتها، وعندما رأيت في طريقي تجمهرا انتخابيا للفلاحين، انضمت اليهم دون سابق معرفة او تهيئة وعرفتهم بنفسي، ودعوتهم لانتخاب المرشحين التقدميين الاشتراكيين دون ان اخص بالذكر اي مرشح، ثم زرت بعض بيوتهم، بعد ذلك ذهبت عن طريق الحولة الى قرية عقرب، احدي القرى التابعة لمحافظة حماة والتي كانت تملكها عائلة الكيلاني وهناك اجتمعت مع فلاحي القرية ومع وفود من العلويين جاءت من القرى المجاورة التابعة لقضاء مصياف واستشرتهم في ترشيح يوسف الميرعلي عن القضاء

فأبدوا حماسة في تأييده دون معرفتهم به، وفي طريقي لحماية زرت قرية طلف التي تملكها عائلة البرازي حيث اجتمعت بالفلاحين، ولم يكن ثمة حاجة هنا للقيام بأي دعاية انتخابية لان المنطقة باجماعها كانت من الحزب العربي الاشتراكي واخيرا زرت قرية موسى الحولة التي تملكها ايضا عائلة البرازي.

في حماة زارني مظهر الحسيني وعبد البر عيون السود وطلب الى كل منهما التأييد في ترشيح نفسه عن مدينة حمص، فحاولت جاهدا ان ينسحب عبد البر لصالح الحسيني، لا لان الحسيني خير منه، ولكن لان امامه فرصة اكبر للنجاح، فقد كان على صلة جيدة بفلاحي ريف حمص، ولكن عبد البر لم يقتنع بذلك، فقدرت ان خلافهما سيقضي على امكانية نجاح اي منهما وبالفعل فان الحسيني لم ينجح رغم ان عبد البر لم يرشح نفسه.

## **قوائم الاشتراكيين العرب في قضاء مصياف والسلمية ومعرفة النعمان**

لا بد لي قبل البحث في موضوع الانتخابات في هذه المناطق، من القاء نظرة على تطور وضعها الاداري والاجتماعي والسياسي لان ذلك يبين صعوبة الدعوة التي واجهناها في هذه المناطق والمناطق الاخرى في سورية وحاولنا التغلب عليها في مسيرتنا الاجتماعية التقدمية.

### **الوضع الاجتماعي في قضاء مصياف**

كان قضاء مصياف، كما ذكرت سابقا، تابعا اداريا لمحافظة حماة قبل احتلال الفرنسيين لسورية، ثم الحق بدولة العلويين واعتبر منطقة انتخابية لان قانون الانتخاب الذي اصدره الفرنسيون يقوم على اساس اعتبار القضاء منطقة انتخابية مستقلة، ويشكل العلويون في هذا القضاء الاكثرية الساحقة ما عدا بلدة مصياف (1)

(1) في اواخر العهد العثماني كان لواء حماة يضم اربعة اضية هي قضاء حماة (من ضمنه مصياف وقراها) قضاء حمص، قضاء السلمية، قضاء الحميدية (كتاب الادارة العثمانية في ولاية سورية تأليف عبد العزيز محمد عوض ص 76 الطبعة الاولى).

التي يسكنها الاسماعيليون على المذهب الجعفري، وكان قضاء مصياف مركزا لاقوى زعامتين عشائريتين: آل الهواش وآل جنيد.

وعندما كنت في دمشق، اتصل بي السيد محمد سليمان علي معروف من اهالي قرية "بعمرة" التابعة لقضاء مصياف وهو ابن الشيخ سليمان العلي معروف الذي كان سابقا حاكم صلح في صافيتا، اما هو فقد عين مدير ناحية بعد الاستقلال وكان والده وعمه الشيخ علي على صلوات ود وصداقة مع عائلتنا كما ان قرية بعمرة تقع بجوار قريني قرطمان ومنتى اللتين كان يملكهما والدي، وقد طلب مني السيد محمد سليمان ان اضمه الى قائمة الاشتراكيين العرب فلم اصده، وانما وعدته ان انظر في الامر، وقد قال في تلك المقابلة انه انتسب سابقا الى الحزب السوري القومي، اما السبب الذي جعلني استبعد الاتفاق معه فهو العداء الذي نشب بين اسرته وبين آل ابراهيم الابراهيم من اهالي مصياف، وكان محمد الابراهيم قد اغتيل عندما حاول ان يتملك قرية بعمرة لقاء ديونه المترتبة على الشيخ سليمان العلي معروف وكان هذا الاغتيال قد احدث توترا بين العلويين وابناء مصياف الاسماعيليين ولا سيما انه كان لال سليمان العلي معروف ولقرية بعمرة شأن مذهبي عند العلويين.

لقد كان الاحتراب بين اسماعيليي بلدة مصياف وبين ابناء القضاء من العلويين احترابا مستمرا، وكان آخره عندما حاصر الشيخ صالح العلي خلال ثورته بلدة مصياف، فرفع الفرنسيون الحصار عنها، وجعلوها مركزا للقضاء على ثورة الشيخ صالح العلي في وادي العيون والشيخ بدر.

لقد ذكرت هذه التفاصيل للامام بالبنية الاجتماعية والسياسية والمذهبية في هذا القضاء التي ورثها عن الماضي، وحاولنا كتقدميين ان نتغلب عليها وان نتجاوزها لبناء مجتمع سوري عربي منسجم متقدم.



وهكذا حاولت بتكتيك فاشل تحدي الزعامات العشائرية والطائفية والاحقاد التاريخية في هذا القضاء، وذلك بترشيح يوسف المير علي الاسماعيلي.

كان اعتمادي في هذا التحدي على الحماسة الشعبية المنقطعة النظر في هذا القضاء لحركة الاشتراكيين العرب، ولكن كان من الانسب انتخابيا ترشيح احد الشباب الاشتراكيين العرب من العلويين بدلا من يوسف المير علي الذي كاد ان يفوز ولم تنقصه الا اصوات قليلة للفوز بالمقعد النيابي، وذلك بسبب عدم تمكننا من دعمه ماديا بتوفير اجور السيارات اللازمة لنقل الفلاحين البعيدين عن مراكز الاقتراع ومما هو جدير بالذكر ان قسبة مصيف لم تنتخب بنسبة كبيرة مرشحها يوسف المير علي.

لقد ضمت قائمتنا عن قضاء مصيف الاسماء التالية:

عبد الهادي عباس (عربي اشتراكي) قحطان الهواش (مستقل)  
يوسف المير علي (عربي اشتراكي).

وكان اختيارنا لقحطان الهواش في قائمتنا لان عائلة الهواش واكبت الحركة الوطنية بعد الاحتلال الفرنسي الذي جزأ سورية الى دويلات طائفية.

قضيت في مصيف يوما واحدا لم يكن كافيا لقيادة المعركة الانتخابية فيها اذا كان علي ان انصرف الى قيادة معركة حماة، وكنت سلفا اعرف انها ستكون معركة قاسية وان الانظار في كل انحاء سورية تتجه الى النتائج التي ستسفر عنها الانتخابات في هذه المدينة، وكان تقصير المدة الانتقالية من اربعة اشهر الى شهرين، وقصر مدة الترشيح على خمسة ايام فقط هو لمصلحة مرشحي الحكومة، اذ لم يبق امامنا متسع من الوقت للتنقل في المناطق الانتخابية الاخرى لدعم المرشحين الاشتراكيين، مما كان بالتأكيد سيزيد عدد الفائزين عن السبعة عشر نائبا الذين نجحوا في هذه الانتخابات.

على كل حال فقد فاز عن قائمة الاشتراكين في قضاء مصياف عبد الهادي عباس وقحطان الهواش، وفاز عن المستقلين محمد سليمان علي معروف.



اما بالنسبة لقضاء السلمية فلا بد لي قبل الحديث عن الانتخابات فيه من القاء نظرة سريعة على تاريخ هذا القضاء وكيف تشكلت بنيته الاجتماعية وكيف تطورت حتى انتهت الى العام الذي جرت فيه هذه الانتخابات.

لم تكن الخلافة العثمانية تسمح بالحرية الدينية للمذاهب الباطنية بل كانت تضطهدها، وقد صادرت الدولة التركية في اوائل هذا القرن الاموال التي جمعها وكلاء الاغاخان من اهالي السلمية وهي خمس اموالهم التي كانت تجبى سرا ثم ترسل للاغاخان باعتباره اماما للطائفة، وكان مركز امارة الاسماعيليين قد انتقل منذ زمن بعيد من بلدة مصياف الى بلدة السلمية، وبأموال الخمس المصادرة انشأت الدولة العثمانية في ضاحية السلمية اول مدرسة زراعية، ومن المفارقات ان حكومة جميل مردم في الثلاثينات حاولت الغاء هذه المدرسة بحجة ان موقعها غير مناسب، فتولى نجيب الريس وهو من ابناء حماة الدفاع عن هذه المدرسة في جريدته القبس، ثم انشأت الحكومات الوطنية بعد ذلك مدرسة زراعية في الغوطة وعددا من الكليات الزراعية الاخرى.

كان لمدرسة السلمية الزراعية اثر تنويري و تثقيفي على ابناء القضاء، فقد تخرج منها محمد الجندي الذي تولى الدعوة التقدمية والوطنية، وواكب الحركة الوطنية في حماة في مواجهة الانتداب الذي كان يساعد ويدعم امراء السلمية. ان دعوة محمد الجندي بالرغم من صمودها في مواجهة الانتداب وامراء السلمية، فانها ظلت محدودة التأثير، وبقي معظم ابناء السلمية اتباعا للاغاخان، خلافا لاسماعيليي مصياف والقدموس الذين تبنا المذهب الشيعي الجعفري وتحرروا من تبعيتهم للاغاخان.

كان الاغاخان مدعوما من قبل الاستعمار البريطاني في الهند، كما كان امراء السلمية مدعومين من قبل الانتداب الفرنسي، وقد سمحت الحكومة السورية في السبعينات بتنفيذ وصية الاغاخان علي خان بدفنه في بلدة السلمية، والثابت تاريخيا ان الدعوة الاسماعيلية قد وردت الى سورية من مصر اثناء قيام الدولة الفاطمية، ويقال ان ابا عبيد الله الفاطمي كان الداعية لها في سورية.

كان الريف التابع لبلدة السلمية قد تشكل من قرى انشأها العلويون المهاجرون من جبال اللاذقية في اراضي املاك الدولة المتروكة، فبنوا فيها بيوتهم ومزارعهم وهكذا لم يحن موعد انتخابات عام 1961 الا وكانت اكثرية الريف المحيط ببلدة السلمية من العلويين.

لقد رشح الدكتور سامي الجندي ابن محمد الجندي نفسه للنيابة في بلدة السلمية عام 1954 عن حزب البعث، كما رشح نفسه ايضا عام 1961، فلم ينجح في المرتين.

اما في ناحية السعن والسعين التابعة لقضاء السلمية فقد نجح العربي الاشتراكي محمد عبد الكريم ديوب، ومما هو جدير بالذكر ان فلاحى هذه المنطقة من الاشتراكيين العرب هم الذين رشحوا هذا النائب وقد فوجئنا بنجاح هذا النائب الاشتراكي الذي لم نكن نعرفه من قبل، وهذا ما يشير الى القواعد الشعبية الاشتراكية الواسعة ولا سيما في اوساط الفلاحين، وهي قواعد لم يتح لها الكوادر الحزبية المؤهلة لتنظيمها وقيادتها.

□

وفيما يتعلق بقضاء المعرة الذي كان قبل الاحتلال الفرنسي تابعا لمحافظة حماة، ثم فصله الفرنسيون عنها، ودعموا فيه اقطاع عائلة الحراكي، فقد كان حكمت الحراكي نائبة الدائم في كل الانتخابات التي جرت في عهد الانتداب وفي اوائل عهد الاستقلال.

ان حكمت الحراكي لم يكتف باقطاعات اسرته الواسعة وانما حاول عام 1943 ان يجعل مجلس النواب يوافق على الحاق قلعة المضيق بقضاء المعرة وكانت تابعة لمحافظة حماة، وذلك طمعا بتوسيع اقطاعه بالاستيلاء على اراضي منطقة الغاب التي كانت ملكا للدولة، فاعترض على ذلك نجيب البرازي الطامع ايضا بالاستيلاء على منطقة الغاب، وقد علق احد النواب الظرفاء على المباراة الكلامية التي دارت بين كبير اقطاعي سورية بقوله:

لقد اصبحت قلعة المضيق كتمر داتزيغ الذي اشعل الحرب العالمية الثانية، ومما هو جدير بالذكر ان قلعة المضيق التي كانت تدعى قديما (افاميا) قد لعبت دورا هاما في العهد السلوقي ثم في العهد البيزنطي، ثم استولى عليها الصليبيون وحررها نور الدين الزنكي عام 1139م.



في عام 1949 عندما انتشرت حركة الفلاحين وصلب عودها، قام ابناء المعرة وابناء خان شيخون بمؤازرة فلاحي القضاء بالتمرد على اقطاع عائلة الحراكي، وكانت قيادة الحركة الاشتراكية في المعرة بزعامة اسرة اليوسفي، وفي خان شيخون بزعامة اسرة النجم، وجرت منذ ذلك الوقت معارك عديدة بين الحركة الشعبية وبين عائلة الحراكي وعائلة العظم (كان صبحي العظم يملك في هذه المنطقة قرية حيش التي كان منها ابو الهدى الصيادي الذي كانت له مكانة كبرى دينية وسياسية عند السلطان عبد الحميد) وخلال ديكتاتورية اديب الشيشكلي تعرض اهالي القضاء للاضطهاد، حيث اوكل لضابط المخابرات راشد القطيني وهو من ابناء خان شيخون، تعذيب الاشتراكيين فربط احد شيوخ آل النجم الى حصان جره في ازقة البلدة، وقد اصبح هذا الضابط رئيسا للمكتب الثاني (مخابرات الجيش) بعد انقلاب الانفصال، ثم اصبح ناصريا ولعب دورا بارزا في تهيئة انقلاب الثامن من آذار 1963 وكانت عائلته من ازام عائلة الحراكي وعلى خصومة مع عائلة النجم، وقد هزم الاشتراكيون العرب عام 1954 مرشحي الاقطاعيين ففاز

عن قضاء المعرة النائبان منيب اليوسفي ونور الدين النجم، ولكنني في عام 1962 لم اتمكن من التوفيق بين مرشح من اسرة النجم ومرشح آخر من احدى قرى الغاب لكي يتنازل احدهما للآخر رغم الجهود التي بذلتها مما سبب النجاح غير المنتظر لعماد الحراكي من القوميين العرب وخريج الجامعة الاميركية، ونجح من الاشتراكيين العرب محمد نور اليوسفي.

## الانتخابات في محافظة حماة

بعد اخفاق الحكومة بفصل مدينة حماة عن ريفها، لجأت الى وسائل ضغط اخرى عليها تتمكن من فتح ثغرة في صفوف الاشتراكيين العرب لانجاح الاخرين، وكان اول هذه المحاولات الالاح المتزايد للقاضي الشرعي الاستاذ الصباغ بضم رثيف الملقى الى قائمتنا الانتخابية، وكنت قد ذكرت سابقا ان الملقى عندما شعر بحتمية سقوطه في انتخابات عام 1954 جاءنا، وبشكل مفاجيء الى مقر الحزب لابس ثياب العمال فعانقني طويلا، ورغم ان يديه كانتا ملوثتين بدم الاشتراكيين فانني رأيتها فرصة للصلح ودفن الحزازات فتركنا مكانا فارغا لاسمه في قائمتنا، ولكنه بعد نجاحه تحالف مع غيرنا في مجلس عام 1954 ولكن هذا التحالف لم يثر في نفسي اي موجدة عليه آنذاك، لانني كنت اقدر ان له الحرية في النهج الذي يراه، ولكنه عندما رشح نفسه في انتخابات الاتحاد القومي في عهد الوحدة بالاتفاق مع عبد الحميد السراج وزير الداخلية اظهر عداؤه السافر مستغلا فرصة مقاطعتي لانتخابات الاتحاد القومي وغيابي عن حماة.

كان اركان الانفصال يعتبرون ان العقبة الكأداء امام تنفيذ سياستهم في سورية تكمن في مدينة حماة، فكانوا اشد عداوة وخوفا من حركة الاشتراكيين العرب من خوفهم من عبد الناصر، وكانوا يقدرون ان رثيف الملقى النائب الذي تمرس بالنيابة يستطيع اذا نجح ان يثير المشاكل في وجه معارضتنا في المجلس النيابي وكان ذلك هو الهدف من الحاح القاضي علي بترشيح رثيف الملقى، كما ارسل ناظم القدسي من حلب رسولا يبلغني رجاءه - من جهة ثانية - بضرورة ضم ابن اختي محسن

الشيشكلي الى قائمتنا، وكان القصد طبعاً هو اثاره المشاكل في الحزب الذي سيرفض باجماعه ترشيحه، نظراً للمشاكل السابقة التي اودت بحياة اخي واصل واخيه غالب الذي تعاون مع اديب الشيشكلي.

كنت مقدر ان القائمة المؤتلفة (الاقطاعيون مع الاخوان المسلمين) ستنال في المدينة عدداً من اصوات المقترعين قد يفوق قليلاً ما يمكن ان تناله القائمة الاشتراكية بسبب تركيز المخابرات المصرية ومخابرات السراج على اضعافنا في مدينة حماة طيلة عهد الوحدة، لانها كانت تعتبرها اهم معقل لحزب البعث العربي الاشتراكي، وكانت وراء دعم وتشجيع الاتجاهات الدينية بشكل عام والاخوان المسلمين بشكل خاص، ثم جاء عهد الانفصال اكثر دعماً وتأييداً لهم، وكان عصام العطار يلعب دوراً مزدوجاً سواء خلال عهد الوحدة او خلال الانفصال.

**وحتى بعد انقلاب الثامن من آذار 1963 فقد سمح الانقلابيون الجدد لجريدة الاخوان المسلمين (المنار) بمتابعة الصدور في الوقت الذي اغلقوا فيه مكاتب جميع الاحزاب والغوا امتيازات جميع الصحف الحزبية والمستقلة، كما استثنوا الاخوان المسلمين من قوائم العزل السياسي (الاسقاط من الحقوق السياسية) وهي القوائم التي شملت كل الفئات السياسية ما عدا الاخوان المسلمين والناصريين.**

□

عند توزيع المقاعد النيابية، نالت محافظة حماة حسب عدد نفوسها سبعة مقاعد نيابية من بينها مقعد للمسيحيين سيرشح له حتماً الاستاذ خليل كلاس، وهكذا تشكلت قائمة الاشتراكيين عن محافظة حماة على الشكل التالي:

اكرم الحوراني، خليل الكلاس، مصطفى حمدون، عبد الغني قنوت، علي عدي، محمد عطورة، عبد العزيز عثمان.

اما القائمة المقابلة (المؤتلفة) فقد تشكلت على النحو التالي:

عبد الرحمن العظم (اقطاعي) مصطفى الصيرفي (اخوان) رثيف الملقى (مستقل) نعيان عروانه (اخوان) خرطو عبد الله برازي (اقطاعي) اديب نصور (عن الملاكين المسيحيين ومن الموالين لآل العظم والاتجاهات الدينية الاسلامية) واخيرا هارون خطاب من عائلة فلاحية في قرية طيبة الامام تتطلع للوجاهة والنفوذ في القرية بحكم تبعيتها لآل العظم.

لقد ضمت القائمة المؤتلفة هارون خطاب تقربا وزلفى للريف، وهم يعلمون انه ليس لهذا المرشح اي نصيب في النجاح، ورغم قناعتني بضرورة ترشيح احد شباب الريف فاني كنت محرجا لان استغناءنا عن اي واحد ممن رشحناهم في المدينة سيضعف الى حد ما موقفنا الانتخابي فيها، وهذا ما كنا نريد ان نتفاداه، في ذلك الظرف الدقيق، عدا اننا لسنا بحاجة ماسة الى التقرب من الفلاحين بهذا الاسلوب كما فعل الاقطاعيون.

□

كنا في الانتخابات السابقة نقوم بنشاط انتخابي مبكر، فكان مرشحو الحزب يقومون بزيارة احياء المدينة حيا حيا، وقرى المحافظة قرية قرية للحديث عن مبادئ الحزب وبرنامج الانتخابي الذي كنا نطبعه ونوزعه بأعداد كبيرة وكنا ننشر ذلك في صحفنا والصحف الصديقة، اما في هذه الانتخابات فلم يتح لنا طبع ونشر برنامجنا الانتخابي، لان الحكومة قد اشترطت على المرشحين عرض برامجهم على المحافظ قبل طبعها، فلم نشأ ان نعرض برنامجنا الذي سيحذف منه المحافظ كل ما يراه مخالفا لتوجهات السلطة.

وهكذا لم يتم لنا - لضيق الوقت - الا القيام بجولتين انتخابيتين في احياء المدينة وقرى الريف، ثم توجهت هاتان الجولتان باجتماعين عامين كبيرين في مدينة حماه، حيث شرحت لعشرات الالوف من ابناء المدينة والريف المتجمهرين في الساحة

التي يشرف عليها مكتب الحزب اسباب استقالتي من الحكومة خلال عهد الوحدة مع مصر، ثم ركزت في خطابي على فضح نوايا الرجعيين والاقطاعيين بمحاولة الاجهاز على كل ما حققته سورية من تطور وتقدم ومكاسب اجتماعية واقتصادية خلال نضالها الطويل، وقلت اننا سنقف بحزم بوجه هجومها الشرس على هذه المكاسب، كما اننا سنتابع خطط سورية الانمائية بالاعتماد على مواردنا الذاتية للمحافظة على استقلالنا الاقتصادي والسياسي، وسنعمل على زيادة الانتاج ولا سيما في مجال الزراعة الذي سنعطيه الاولوية في البرامج الانمائية، والذي سيكون القاعدة الاساسية لتوسعنا الصناعي ونشاطنا التجاري وتوفير امننا الغذائي ووعدت الناخبين بالعمل على رفع رأسمال المصرف الزراعي لاقرض المزارعين، ولا سيما بعد ان ازدادت الحاجة لذلك اثر تطبيق قانون الاصلاح الزراعي.

كما تعرضت بالتفصيل الى وجوب الاستفادة من كل قطرة ماء في سورية سواء بالنسبة للمشاريع الكبرى كمشروع سد الفرات او بالنسبة للمشاريع الاروائية الصغيرة كمشروع وادي بردى الذي كنا قد ادخلناه سابقا ضمن الخطة الانمائية، او كمشروع نهر الساروت الذي يقع غرب مدينة حماة والذي يمكن ان يشكل غوطة صغيرة في السهل المخصب لقريتي الربيعة وتيزين، كما عدت نماذج اخرى من السدود التي يمكن ان تبنى في غرب جبال اللاذقية على الوديان التي تصب مياهها في البحر.

اما في مجال السياسة الداخلية فقد تحدثت عن اهمية قيام المؤسسات الدستورية، وتحقيق الديمقراطية التي هي اساس لكل تطور اجتماعي وفكري واقتصادي وسياسي والتي هي الطريق السالكة لكل خطوة عربية اتحادية، كما قلت في ذلك المهرجان الجماهيري الحاشد:

ان من اهم الاسباب التي فرغت الوحدة السورية المصرية من محتواها، وحولتها عن اهدافها، فانتهدت الى الفشل، هو انتهاك نظام الوحدة لحقوق الانسان وقيام اجهزة المخابرات كقاعدة لهذا النظام بدلا من الشعب، وتسليط البروقراطية



والفردية على حكم الوحدة، وانه اذا كان من مبرر لحركة 28 ايلول فهو الامل بعودة سورية على نحو افضل الى الديمقراطية التي كانت تسود فيها قبل الوحدة، ولكن الموضوع الذي استغرق معظم كلمتي كان عن الصراع العربي الاسرائيلي واهمية منع اسرائيل من الاستفادة من مياه نهر الاردن مما يقتضي ضرورة التركيز على تنمية قدراتنا العسكرية للوقوف في وجه التوسع الصهيوني على حساب البلاد العربية.

### نتائج المعركة الانتخابية في سورية

بعد اعلان نتائج المعركة الانتخابية في حماة يوم السبت 61/12/2 قام انصار القائمة المؤتلفة رجالا ونساء بمظاهرات صاخبة تحرسها قوة من الجيش، وهو يهتفون ضد الحزب وضد الفائزين في الانتخابات محاولين مهاجمة مكتب الحزب الذي كان محاطا بحراسة شديدة من قبل جماهيرنا، فأصدرت التعليمات بعدم التعرض لهم، مقدرنا ان هذا الصخب كان تنفيسا عن فشلهم وانقاذا لماء وجههم وعرضا لعضلاتهم، ومن الغريب ان يقدموا طعنا بالانتخابات بالاستناد للمرسوم الذي اصدرته الحكومة لصالحهم باسقاط المئات من اصوات الفلاحين من القوائم الانتخابية، ولم يكن هذا الطعن جديا بالطبع لانهم يعلمون كما تعلم الحكومة ان الفارق بين اصوات القائمتين سيكون اكبر اذا اعيد الانتخاب مرة ثانية.

وبتاريخ 1961/12/5 نشرت جريدة الفداء الحموية في عددها رقم 166 جدولا يبين الاصوات التي نالها كل مرشح من القائمتين، فمن قائمة الاقطاعيين والاخوان المسلمين نال:

عبد الرحمن العظم 14838، مصطفى الصيرفي 12986، رثيف الملقى 11823، نعيان عروانه 11913، خرطو البرازي 12520، اديب نصور 11371، هارون خطاب 10179.

اما قائمة الاشتراكيين العرب فكانت الاصوات التي نالها مرشحوها كما يلي:

اكرم الحوراني 1957، مصطفى حمدون 1662، خليل الكلاس 16423، عبد الغني قنوت 16398، علي عدي 15281، عبد العزيز عثمان 15862، محمد عطورة 14956.

لقد نال معظم مرشحي القائمة المؤتلفة في المدينة اصواتا تفوق الاصوات التي نالها بعض مرشحي القائمة الاشتراكية، ولكن الفارق بين مجموع الاصوات التي نالها مرشحو كل من القائمتين كان كبيرا جدا. ومما تجدر الاشارة اليه ان نسبة ما نلته من اصوات في هذه الانتخابات مقارنة بعدد المقترعين فيها كانت اكبر نسبة نالها اي فائز للنيابة في سورية.

اما في دمشق فكان عدد الفائزين 17 نائبا منهم عصام العطار وثلاثة آخرون من الاخوان المسلمين ونال خالد العظم اكبر عدد من اصوات المقترعين ولم يحالف النجاح صلاح البيطار فتقدم بطعن شكا فيه تزوير الانتخابات، والحقيقة انه لم يرتكب في هذه الانتخابات تزوير ملموس، وانما كان لتوجيه الحكومة والعسكريين تأثير فيها ولولا عهد الوحدة وحكم الانفصال لما نجح في دمشق هذا العدد من الاخوان المسلمين، والدليل على ذلك ان الشيخ مصطفى السباعي الذي كان من اهم قادة الاخوان المسلمين في العالم العربي والذي كان مؤيدا من الدول العربية في السعودية والاردن ولبنان ومن الطبقة الاقطاعية والرجعية في سورية قد فشل في الانتخابات الفرعية في دمشق عام 1957 في مواجهة مرشح حزب البعث العربي الاشتراكي الاستاذ رياض المالكي، عندما شغل مقعد منير العجلاني بعد الحكم عليه بمؤامرة عام 1956 خلال العدوان الثلاثي على مصر.

□

كان المجلس الذي انبثق عن انتخابات عام 1961 بأكثرية من اليمين، وبدا واضحا انه سيحاول الاجهاز على ما حققه شعب سورية من تقدم، ولا سيما في مجال الاصلاح الزراعي، الامر الذي سيعرض استقرار البلد للخطر، ويفسح المجال واسعا للتدخلات العربية والاجنبية.

اما فيما يتعلق بالاستفتاء على الدستور المؤقت الذي تم مع الانتخاب في وقت واحد فقد كان عدد المقترعين 636.586 وافق منهم 617.880 وعارضه 18.706 فكانت نسبة الموافقة عليه 97.06.

□

بعد صدور المرسوم الذي يعين رسميا اسماء النواب المنتخبين بتاريخ 61/12/5 بدأ النواب يتوافدون الى دمشق، وتحدد موعد الجلسة الاولى للمجلس النيابي بتاريخ 1961/12/12، وكانت الاتصالات بين النواب قد بدأت تجري، ولكن بمعزل عن النواب الاشتراكيين ما عدا الاتصال الذي اجراه جلال السيد بواسطة النائب الوليد طالب الذي نجح بفضل حركة الفلاحين في منطقة حارم تجاه آل برمدا وآل الكيالي العائلتين الاقطاعيتين النافذتين.

قال لي الوليد طالب: ان جلال السيد يرغب بالتفاهم معنا على انتخاب رئيس المجلس النيابي ورئيس الجمهورية وكنا (كتلة النواب الاشتراكيين التي بلغت 17 نائبا) قد قررنا انتخاب سعيد الغزي رئيسا للمجلس وخالد العظم رئيسا للجمهورية والذي كان يهمننا بالدرجة الاولى هو انتخاب خالد العظم في هذه المرحلة الدقيقة التي تمر بها البلاد.

قلت لوليد طالب بلغ جلال السيد ما يلي:

انني ارحب بهذا التفاهم والاتفاق متناسيا تهجمه علي في نادي الضباط دون مبرر، فقال وليد طالب ان جلال السيد سيرشح نفسه لرئاسة المجلس فقلت له:

ان تأييدنا له مرتبط بتأييده لنا بانتخاب خالد العظم لرئاسة الجمهورية فوافق جلال السيد على ذلك، وفي يوم الثلاثاء 61/12/12 اجتمع المجلس النيابي التأسيسي برئاسة سعيد الغزي بصفته اكبر الاعضاء سنا، وبعد اداء النواب اليمين الدستورية جرى التصويت لانتخاب رئيس المجلس فبلغ عدد المقترعين 170 نائبا نال منها مأمون الكزبري 114 وجلال السيد 47 وبذلك اصبح

مأمون الكزبري رئيسا للمجلس، وعلى الرغم من ظهور شبهة التواطؤ بين الكزبري وجلال السيد فإنني كنت لا ازال مستبعا هذا الامر وقبل موعد الجلسة المخصصة لانتخاب رئيس الجمهورية طلبت من جلال السيد ان يفي بوعده بانتخاب خالد العظم فاعتذر عن ذلك، وقد صدمني عدم وفاء جلال السيد بوعده صدمة اليمه، ولم اكن اقدر ان ينحدر الى هذا المستوى.

وعندما تبين لي ان الامل اصبح ضعيفا بانتخاب خالد العظم للرئاسة عرضت عليه الامر وقلت له انك حر باتخاذ القرار فاذا قررت الاستمرار بترشيح نفسك للرئاسة فنحن مستعدون لتأييدك، اما اذا آثرت الانسحاب فاننا لن ننتخب ناظم القدسي لرئاسة الجمهورية، فقال انه يؤثر الانسحاب من المعركة وذلك خلافا لما قاله في مذكراته من اننا شجعناه على الانسحاب من المعركة، ويشير خالد العظم في مذكراته الى موقف جلال السيد:

"لقد جاءني السيد اكرم الحوراني وعرض علي ان نقف مع جلال السيد ليساندنا وجماعته في انتخابات الرئاسة الاولى فأجبتة ليس لدي اعتراض على ذلك، ثم جاءني جلال السيد هو وبعض النواب فاتفقنا على الخطة" الى ان يقول في الصفحة نفسها:

"الا انني شعرت ان الامور مبيته على وجه مدروس وان العدة اتخذت لانجاح القدسي كيفما كان الحال" (ص 223 الجزء الثالث) ويتهم خالد العظم الجيش والاميركيين بأنهم هم الذين دعموا ترشيح الكزبري والقدسي.

وقد القى خالد العظم بعد انتخاب القدسي رئيسا للجمهورية جلسة (61/12/14) كلمة تهنئة جاء فيها ما يلي:

"كان معروفا ان هنالك مرشحين لرئاسة الجمهورية هما الاخ ناظم القدسي وانا، وقد زارني الليلة الماضية لفيق من اخواننا النواب وبحثنا امر هذا الانتخاب واتفقنا على ضرورة توحيد الكلمة فيه، وقد لمست من الاخ ناظم القدسي اقداما على تحمل مسؤولية

الرئاسة فقررت ان افسح المجال امامه، راجيا للبلاد التقدم والازدهار في ظل الحريات والاخاء".

ونال القدسي في هذه الانتخابات 153 صوتا من اصل 170 اذ لم يصوت نواب الكتلة الاشتراكية لناظم القدسي.

□

بدأ القدسي اتصالاته لتشكيل الوزارة الجديدة ولما اجتمع بي بصفتي رئيسا للكتلة الاشتراكية اعتذرت له عن الاشتراك بالوزارة، ووضحت اسباب ذلك بالتصريح الذي نشرته الصحف السورية ووكالات الانباء، 20/12/1961:

"صرح السيد اكرم الحوراني زعيم الكتلة الاشتراكية بأنه يجب ان تكون خطة الوزارة الجديدة خطة واضحة ومحددة لانه بقدر الوضوح والتحديد في البيان الوزاري يكون الصدق في الالتزام بالتنفيذ.

ومن اهم ما يجب ايضا في البيان قضية الحريات العامة فالنظام الديموقراطي يبقى بلا روح اذا لم تتحقق كامل الحريات العامة، ولا يجوز بالطبع في تنظيم الحريات الخلط بين الميوعة والحرية، وازاف:

لذلك يجب ان ينص بيان الوزارة الجديدة بوضوح وتحديد على الحفاظ على المكاسب التقدمية التي حققها الشعب بنضاله الطويل.

اما عن السياسة الخارجية فان من الواجب ان تتعهد الحكومة الجديدة باتباع سياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز، اما في المجال العربي فيجب تحديد الطريق الواضح لتحقيق الوحدة العربية الكبرى، فسورية كانت في الماضي ولا تزال حاملة مشعل القضية العربية.

وعندما سئلت عن الاشتراك في الحكم قلت:

ليس في نظرنا موضوع اشتراكنا في الحكم او عدمه امرا ضروريا، ولكن الامر الضروري هو تنفيذ النقاط التي اشرت

اليها حتى يكون موقفنا كمعارضة ومراقبة في المجلس  
النيابي من مصلحة البلاد في هذه المرحلة.

1962: وزارة "الشيخ" معروف الدواليبي والجيش يتدخل في تشكيل هذه الوزارة - بيان الكتلة الاشتراكية في الرد على البيان الوزاري - كانت خطة الكتلة الاشتراكية بعد الانفصال هي البدء بالنضال الديموقراطي لتطوير اوضاع سورية الديموقراطية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية انطلاقا من التجارب الماضية، وانه لا مانع من التعاون مع اليمين دون ان نتيح له مجال افساد الحياة السياسية - ضباط 28 ايلول 1961 الذين شجعوا على تعديل قانون الاصلاح الزراعي والغاء قانون التأميم يتخذون من ذلك حجة لحركة 28 آذار 1962 عندما حلوا مجلس النواب - قضايا مختلفة بحثها مجلس النواب السوري قبل حله: موضوع الحريات العامة - او الاتفاقية البترولية مع التالين - سد الفرات - الاتفاقية الاقتصادية السورية السعودية.

بتاريخ 1961/12/22 صدرت مراسيم تشكيل الوزارة السورية برئاسة الدكتور معروف الدواليبي على الشكل التالي:

معروف الدواليبي، رئيسا ووزيرا للخارجية (من حلب - شعبي)، وجلال السيد، نائبا للرئيس ووزيرا للزراعة (من دير الزور شعبي-بعثي) ورشاد برمدا، وزيرا للتربية والتعليم (من حلب شعبي)، وعدنان القوتلي، وزيرا للاقتصاد (من الشام مدعوم) ورشيد الدقر، وزيرا للمالية (من الشام مدعوم) ومحمد عابدين، وزيرا للعمل، (من الشام مدعوم) وعبد الرحمن هنيدي، وزيرا للصناعة (من دير الزور - شيشكلي)، ومصطفى الزرقا، وزيرا للعدلية والاقواق (من حلب - من العلماء)، واحمد قنبر، وزيرا للداخلية، (من حلب - شعبي) وبكري قباني، وزيرا للاصلاح الزراعي، (من الحزب الوطني)، ومحمد الشواف، وزيرا للاشغال العامة (من اللاذقية - شعبي) وسهيل الخوري، وزيرا للشؤون البلدية والقروية (من دمشق- حزب وطني)، ومحمود العظم، وزيرا للصحة (من

دمشق - مستقل)، واحمد علي كامل، وزيراً للمواصلات (من محافظة اللاذقية - مستقل)، ونعوم السيوفي، وزيراً للتخطيط (من حلب - مستقل).

وهذه القائمة مأخوذة نسخاً عن مذكرات خالد العظم وفيها يبين العظم الصفة السياسية لكل وزير من الوزراء، اما كلمة مدعوم التي يستعملها فهي تعني انه مدعوم من قبل ضباط الانفصال ويشير العظم الى هذا الدعم قائلاً:

"جاءني عوض بركات مع رشيد الدقر ومحمد عابدين ساخطين على الدواليبي لانه لم يقبل بهم وزراء، وفهمنا فيما بعد ان هؤلاء النواب الثلاثة ومعهم فؤاد العادل وعدنان القوتلي دعمهم الجيش واشترط لقبول اسناد رئاسة الوزارة الى الدواليبي ان يضم اربعة منهم الى الوزارة على الاقل، وصارحوني انهم مستعدون للانضمام الي فشكرتهم وقلت لهم ما دام الجيش سيدعمكم فلا تخشوا بأساً، وقد تعسرت ولادة الوزارة حتى تم الاتفاق بين الدواليبي وكتلة الشباب الذين ذكرت اسماءهم فبارك عبد الكريم النحلاوي هذا الاتفاق".

## **وهذا ما يكذب ادعاءات قيادة الجيش في الخطاب التي القاها زهر الدين وموفق عصاصة، ومحاولتهم تحميل الاحزاب والقيادات مسؤولية استجرار الجيش للتدخل في الشؤون السياسية.**

كما يشير العظم الى ما رافق تشكيل وزارة معروف الدواليبي من مناورات:

"لعب الدواليبي لعبته فبعث جماعة الاخوان المسلمين في دمشق مع الشيخ مكي الكتاني ولفيف من المتعممين ليجتمعوا برئيس الجمهورية ليكلف الدواليبي بتأليف الوزارة، ففعل ذلك متظاهراً بتلبية رجاء المشايخ واصرارهم، بينما الحقيقة انه كان ينفذ الخطة التي اعدت قبل الانتخابات ثم يعلق على تشكيل الحكومة بما يلي:

"لقد قابل الشعب تأليف هذه الوزارة باستنكار شديد لانها لم تكن على مستوى المرحلة والتحديات التي تواجهها سورية، سواء من قبل النظام الناصري او من قبل الانظمة الرجعية او من قبل القوى الاجنبية" (ص229 الجزء الثالث).





في الجلسة المنعقدة بتاريخ 1962/1/8 القى معروف الدواليبي بيان الحكومة الوزاري، وكان اهم ما تعرض له البيان القضايا المتعلقة بالتأميم والاصلاح الزراعي وقضايا التصنيع، ولا بد لي قبل ان اثبت اهم الفقرات التي وردت في رد الكتلة الاشتراكية على البيان الوزاري، من استعراض سريع لوضع الاقتصاد السوري لان موقفنا من القضايا الاقتصادية والتصنيع والتأميم كان مبنيا على التجربة التي تبين حيوية الشعب السوري وقدرته على الوقوف في وجه التحديات:

لقد قامت الحركة الوطنية وقادتها بعد الاحتلال الفرنسي بتوعية الشعب الى ضرورة تصنيع البلاد حتى يصبح ما يستهلكه الشعب من انتاجه، دون اللجوء الى استيراد البضائع الاجنبية، وانني لا ازال اذكر تلك المحاضرات التي كان يلقيها ونحن لم نتجاوز العاشرة من العمر الشهيد الدكتور صالح قنبار عن ضرورة مقاطعة البضائع الاجنبية والعمل على انشاء المصانع والشركات الوطنية، وقد شرعت الحركة الوطنية فعلا بتنفيذ هذا الشعار، ولا زلت اذكر ان شكري القوتلي احد اعضاء الكتلة الوطنية في الثلاثينات قد زار حماة داعيا لتأسيس شركة للكونسروة، كما انشأت الحركة الوطنية معمل الاسمنت، وشركة مياه دمشق وبعض الصناعات في حلب اعتمادا على مدخرات الطبقة الوسطى في شراء اسهم هذه الشركات المغفلة التي نجحت وكانت رابحة.

كانت الحرب العالمية الثانية بداية مرحلة التكون الرأسمالي في سورية، وقد بدأت هذه المرحلة بعد دخول جيوش الحلفاء الى سورية، وتحسن الوضع بما انفقته الحلفاء على جيوشهم من اموال، فأنشأت الرساميل الجديدة مصانع الغزل والنسيج في حلب (الحاج وهبي الحريري - سعيد الزعيم - احمد خليل المدرس وغيرهم)

كما انشأت مصانع الشركة الخماسية في دمشق للغزل والنسيج وغيرها من الصناعات الاخرى.

لقد شجع الحلفاء والحكام السوريون آنذاك استغلال مصلحة الاعاشة لحساب هذه الرأسمالية الجديدة، كما خصت برخص الاستيراد مما دعاها لقاء هذه المساعدة للتبرع بثمن سرب من طائرات سبتفاير لسلاح الجو البريطاني، ومما افسح المجال امام الرأسماليين والتجار لافساد الحياة السياسية في عهد القوتلي والكتلة الوطنية، وكان ذلك سبيلا لمحاولة رأس المال السيطرة على الحياة السياسية، فخاضت التكتلات الرأسمالية المعركة الانتخابية عام 1943 وساندت مع الفئات الدينية شكري القوتلي وقائمتها الانتخابية في دمشق، كما ساند بعضها سعد الله الجابري في حلب، ونجح في هذه الانتخابات عدد من اصحاب الشركات في حلب ودمشق.

وقد تحدثت سابقا عن نضالنا في مجلس 1943 للوقوف بوجه هذه المفاسد مما انتهى الى اقالة وزير الاعاشة مظهر رسلان، ثم استقالة حكومة سعد الله الجابري، ومما حول المجلس النيابي الى ساحة عراك مع تكتلات الطبقة الرأسمالية الجديدة مثل الحاج وهبي الحريري واحمد خليل المدرس وبعض النواب من تجار دمشق.

ومع هذا فلا بد لنا من القول بأن بعض المصانع والشركات في سورية قد انشئ برساميل تكونت نتيجة جهود فردية سورية واستقدمت الى سورية من الخارج كشركة الدبس للمغازل والمناسج التي قمت بزيارتها بعد الوحدة وقدمت الشكر لاصحابها.



لقد خاضت الفئات التقدمية في سورية نضالا متواصلا منذ عام 1943 وحتى قيام الوحدة ضد الاقطاعية والرأسمالية لمحاولتها افساد الحياة السياسية وللحد من استغلالها للفلاحين والعمال.

وعندما وقع انقلاب الثامن والعشرين من ايلول 1961 (الانفصال) كانت قد نفذت في سورية اصلاحات جذرية سياسية واجتماعية واقتصادية لا يمكن الرجوع عنها كقانون الاصلاح الزراعي وقانون العلاقات الزراعية اللذين قد يؤدي الرجوع عنهما الى قيام الاضطرابات الدامية التي كان يحرض عليها جمال عبد الناصر بكل ما يملكه من وسائل اعلام ضخمة، وكان تصميم الرجعيين على الغاء كل ما حققته سورية بنضالها السياسي والاجتماعي والاقتصادي بالاتفاق مع الجيش مما يعرض البلاد واليمين نفسه لاشد الاخطار.

يقول خالد العظم في مذكراته:

"احببت ان استطلع رأي قادة الجيش حينما قدمت حكومة معروف الدواليبي مشاريعها الخاصة بتعديل قوانين التأميم والاصلاح الزراعي، فتكلمت بالموضوع مع فائق النحلاوي الامين العام لمجلس النواب باعتباره صديقا وقريبا من العقيد النحلاوي الذي كان الكل بالكل في تلك الايام فاتفقنا على ان نجتمع معه ليتبين رأيه فكان الجواب:

ان هذه المشاريع حائزة على موافقة القيادة (العسكرية) وبأنها كانت قد ذكرت مساوىء التأميم والاصلاح الزراعي حينما قامت في وجه المصريين واعادت الجمهورية السورية، وكان رأي النحلاوي وزملائه من العسكريين هذا قد وصل ايضا الى سائر النواب، حتى ان بعضهم اكد لي فيما بعد ان النحلاوي استدعاهم والح عليهم بضرورة الموافقة على مشاريع الحكومة" (ص255 الجزء الثالث).

لقد كانت خطتنا واهدافنا بعد الانفصال هي البدء بالنضال الديموقراطي لتطوير اوضاع سورية الديموقراطية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والتمويلية انطلاقا من تجاربها الماضية وانتهاء بتجربة الوحدة، وان نتعاون مع اليمين دون ان نفسح له مجال افساد الحياة السياسية، وكان تعاوننا في الماضي مع اليمين ضمن التجمع الوطني والميثاق ثمرا اذ حققت هذه التجربة "المعجزات" كما

اعترف لي بذلك عبد الناصر عند اول زيارة له الى دمشق، كما كنا نعتقد ان اي خطوات اتحادية مع البلدان العربية في المستقبل لا يمكن ان يكون اليمين السوري عائقا دون تحقيقها، فقد كانت تطلعات هذا اليمين، ماضيا وحاضرا الى مجاله العربي، لا كما اتهمه عبد الناصر بالانفصال، وكان هذا اليمين داعيا للاتحاد مع مصر، كما كان داعيا للاتحاد مع الاردن والعراق، وان تطلعاته الوجودية قائمة على اساس المصلحة المشتركة والدفاع عن امن المنطقة العربية في وجه الغزوات الاجنبية.

□

ناقش نواب المجلس وكتله البيان الوزاري لحكومة الدكتور معروف الدواليبي وكان اهم هذه المناقشات ما ورد في بيان الكتلة الاشتراكية الذي توليت القاءه وقد جاء فيه:

اعلنت حكومة الدواليبي في بيانها انها ستبقي على حالة الطوارئ التي فرضت على سورية بعد قيام الوحدة ليصبح هذا القانون، كما كان سابقا، سيفا مصلتا بيد المخابرات والجيش، وجاء في البيان الوزاري تبريرا لذلك:

"ان الحكومة تريد ان تلفت انظار النواب الى المخاطر التي تحيط بظروف المنطقة وما يصطدم فيها وحولها من قوى ظاهرة وخفية، وقد فوجئت الحكومة بمحاولة الانقلاب الاستعماري في لبنان، واصبحت حدودنا مع هذا البلد عرضة لتسلل العناصر المخربة وحركات اسرائيل على الحدود الجنوبية" فجاء في رد الكتلة الاشتراكية على هذا الادعاء ما يلي:

"ان الحياة الديموقراطية والحريات العامة التي وعدت بها الحكومة في بيانها انما هي لغو في ظل قانون الطوارئ والاسباب التي لوحت بها الحكومة هي نفسها التي توجب الغاء حالة الطوارئ، لقد ساعدت الحرية شعبنا دائما على فضح المؤامرات ومقاومتها واحباطها، وان

تمتعه بالحريات العامة لهو خير ضمان لرد كيد المستعمرين  
والمتآمرين".

وفي الحقيقة كان تعديل قانون الاصلاح الزراعي  
وقانون حماية الفلاح والغاء المكاسب التقدمية يقتضي  
بنظر الحكومة ان يبقى قانون الطوارئ ساري المفعول.

وفيما يتعلق بتعديل قانون الاصلاح الزراعي وقانون العلاقات  
الزراعية كان جواب الكتلة الاشتراكية في البيان الذي القيته  
باسمها ما يلي:

"ان الشروط التي ستعدل الحكومة بموجبها - كما ورد في  
بيانها - ليس لها الا معنى واحد هو القضاء على مكاسب  
الفلاحين الحالية والمقبلة، بل ان كلا من شرط الري  
ونوعية الارض والمفعول الرجعي للقانون كان لنسف  
قرارات الاستيلاء من اساسها، ففي المحافظة الواحدة بل  
في القرية الواحدة، عشرات الانواع من الاراضي كما ان  
في البلاد انواعا من الري، وان مجرد ايراد قاعدة كهذه  
معناها الا ينتهي توزيع الاراضي قبل قرن من الزمان".

"اننا نوجه تحذيرنا لاننا نحب شعبنا الذي يشكل  
الفلاحون اكثريته، ولان قانون الاصلاح الزراعي قد اصبح  
اساسا في حياته وحياة معظم الشعوب، وان نواب الامة  
لا يستطيعون ان يتجاهلوا ما يجري في العالم، فليست  
حوادث كوبا ببعيدة ولا احداث الوطن العربي مجهولة منا".

عند وصولي الى هذا المقطع من بيان الكتلة الاشتراكية  
هاج النواب الاقطاعيون، وقاموا مهددين من مقاعدهم فعلق  
الرئيس الجلسة قليلا ثم عدت بعد استئنافها لالقاء تمة البيان  
فيما يتعلق بتأميم المعامل والشركات.

لم نكن على خلاف مع حكومة الدواليبي حول مبدأ الحرية  
الاقتصادية الموجهة وجهة المصلحة الوطنية وقد ذكرت سابقا  
وبالتفصيل موقفنا في المناقشات عندما الف عبد الناصر للجنة  
الثلاثية (اكرم الحوراني، عبد اللطيف البغدادي، زكريا محيي

الدين) لتطبيق النظام الاقتصادي المصري في سورية وهو الموقف الذي كان منسجما مع رأي خبراء الاقتصاد السوريين الذي يرى المحافظة على النظام الاقتصادي السوري المحقق لمصلحة سورية الاقتصادية، مما ينسجم مع موقعها الجغرافي ووضعها الاجتماعي والسياسي، ولذلك فقد امتنعنا عن تأييد قرارات التأميم التي اصدرها عبد الناصر بعد استقالتنا لاننا كنا مقتنعين بأنه سيكون لتأميم هذه الشركات مضر كبيرة تؤدي الى تهريب الرساميل السورية الى الخارج وبصورة خاصة الى لبنان كما ان قرارات التأميم ستكون مانعا دون تدفق رؤوس الاموال العربية الى سورية، وتحرمها من موقعها الجغرافي كبلد ترانزيت بين الشرق والغرب،

ولكننا كنا نرى خلافا لرأي الحكومة ان يرجأ الغاء قرارات التأميم بعض الوقت حتى تهدأ الحملة الاعلامية التي يشنها عبد الناصر على سورية. وحتى تتبين نتائج هذه التجربة، وقد كانت تجربة محدودة لا ضرر من تجربتها بعض الوقت بينما كانت حكومة الدواليبي:

"ترى الغاء قوانين التأميم الكلي والجزئي بشكلها الراهن، وانها تتبنى في الاحوال العادية مبدأ الحرية الاقتصادية لتوجيه الاقتصاد القومي وجهة الصالح العام، وهذا يقضي باعادة حرية النقد الى سابق عهدها، وهو النظام الذي ثبت انه اكثر ملاءمة لبنية البلاد الاقتصادية وموقعها الجغرافي"

فعلقنا في ردنا على ذلك بقولنا:

"ان التأميم ليس جديدا على سورية وليس طارئا عليها بعد قيام الوحدة، فقد عرفته بلادنا منذ اكثر من عشر سنوات، وكان ناجحا بالرغم من انه لم يشمل سوى المرافق العامة، والمعروف ان كثيرا من المرافق العامة خاسرة في كثير من بلدان العالم، اما مؤسسات الشركات الاجنبية المؤممة فقد كانت في سورية رابحة بعد تأميمها وهي تقدم للشعب خدمات بأسعار معقولة هي دون اسعارها

## في البلاد الاخرى كالماء والكهرباء والهاتف والسكك الحديدية"

ثم حذرنا في بياننا من محاولة الرأسمالية السيطرة على الحكم واستغلاله لمصلحتها اذ جاء في البيان:

"ان الشعب يعرف اي دور مؤذ وخطير قام به بعض ارباب الشركات المؤممة في الانتخابات الاخيرة وخاصة الشركة الخماسية. وشعبنا يعرف جيدا ماضي هذه الشركة بالسيطرة على الحكم وتوجيهه لصالحها، واحتكار المنافع في ظل نظام الكوتا والاعاشة خلال سنوات الحرب والسنوات التي اعقبتها، وشعبنا يعرف جيدا، وفي مقدمة من يعرف التجار انفسهم كيف تسيطر هذه الشركة بواسطة فروعها واحتكاراتها على الكثير من المجالات الاقتصادية، الا اننا لا نمانع من تشجيع رأس المال الوطني مع مراقبته وتوجيهه وجهة الصالح العام والحيلولة دون تمركه واحتكاره.

واما بشأن النظام النقدي وانتقال رؤوس الاموال فلا يجوز بأية حال من الاحوال افساح المجال لرؤوس الاموال بالهروب من البلاد ولا بد من تقييد حالات انتقال الاموال وتحديدتها، فلا يسمح بهذا الانتقال الا في حالات محددة بالقانون تضمن بقاء الاموال في البلاد لتستثمر لصالح الوطن".

ثم خالصنا في ردنا بما يتعلق بالتأميم:

"اننا نرى ان يرجأ الغاء القرارات - خلافا لرأي الحكومة حتى تثبت للشعب نتائج تجربة التأميم".

ان بيان حكومة الدواليبي قد بالغ كثيرا بدور الرأسمال الوطني والجهود الفردية في المجال الاقتصادي والصناعي عندما قال:

"ان الاقتصاد السوري منذ ان تم الجلاء عن سورية عام 1945 قد بدأ يسير في طريق التصنيع خطوات واسعة بفضل المبادرة الفردية نتيجة للجهود والاموال الخاصة" فكان رد الكتلة الاشتراكية على هذا الادعاء ما يلي:

"نحن لا ننكر نصيب المبادرة الفردية والاموال الخاصة على الاقتصاد السوري ولكن الاقرار بالفضل لها فقط فيه كثير من التجني على الشعب والحقيقة.

فسورية اول بلد عربي بدأت حكومته منذ عام 1950 بتنفيذ المشاريع الانمائية، وسورية اول بلد في الشرق الاوسط وضع التشريعات اللازمة للعمل والصناعة واتبع سياسة الاقتصاد الموجه وحمى الصناعة وشجعها، وسورية اول بلد عربي في الشرق الاوسط اقام مؤسسة حكومية كالمصرف المركزي تتولى امور التسليف والفعاليات الاقتصادية، كل ذلك حدث بفضل الشعب واموال الشعب من ودائع وموجودات في المصرف المركزي التي يمنحها بواسطة المصارف وليس بفضل الاموال الخاصة والمبادرة الفردية فقط، واين فضل الاموال الخاصة والمبادرة الفردية فيما يتعلق مثلا بانشاء مرفأ اللاذقية ومشروع الغاب وغيره من مشاريع الري واقامة مصفاة البترول والمصرف المركزي والزراعي ومشاريع الري الكبرى (مؤسسة سد الفرات) والتنمية الاقتصادية."

اما في مجال القضايا القومية فقد انتقد بيان الكتلة الاشتراكية حكومة الدواليبي لمرورها مروراً عارضا على القضية الفلسطينية.

وقد حدد بيان الكتلة الاشتراكية اهداف اسرائيل في تلك المرحلة: "باحياء النقب بواسطة مياه نهر الاردن لتوطين الملايين من الصهيونيين الجدد، وبالمحافظة على ميناء ايلات مفتوحاً كرئة تنفس منها الصناعة والتجارة



الاسرائيلية، ونافذة تطل منها على آسيا وافريقيا متخلصة بذلك من قيد المقاطعة الاقتصادية العربية" ولذلك طالب البيان من الحكومة ان تقف موقفا حازما يحول دون انجاز مشروع تحويل نهر الاردن في المنطقة المجردة، وان تقوم بمساع جدية لدى جميع الدول العربية لاتخاذ موقف موحد والاستعانة بجميع الدول التي تقف الى جانبنا في قضيتنا العادلة وكفاحنا ضد العدوان والتوسع الصهيوني."

وفيما يتعلق بالقضية الجزائرية فقد اعتبر البيان:

"ان مصير الجزائر هو مصيرنا ومصير كل عربي" واوصى الحكومة بأن تضع جميع امكاناتها المادية والمعنوية تحت تصرف الثورة الجزائرية "فلا يمر العام الثامن على هذه الثورة الا ويرفرف علم الحرية الحمراء على ربوعها المقدسة" كما اوصى البيان بضرورة تقديم كل عون ومساعدة لتحرير عمان والخليج والخليج العربي من الاستعمار البريطاني".

وفي مجال السياسة الخارجية فقد جاء في بيان الكتلة الاشتراكية:

"ان سياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز هي السياسة الوطنية السورية، وسياسة جميع الدول العربية المتحررة لانها عامل اساسي من عوامل الاستقرار والتطور، وان اي محاولة لجر بلادنا الى مناطق النفوذ وسياسة الحرب الباردة انما هي خيانة لمصلحة سورية"

كما ذكر البيان انه كان على الحكومة ان تعلن في بيانها "انها ستقاوم بصرامة عملاء الاستعمار واعوانه في الداخل، لان اخطر العوامل التي عرقلت ازدهار بلادنا وتقدمها هو التدخل الاستعماري المتواصل في البلاد العربية الذي خصت سورية باوفر قسط منه نظرا لمركزها الحيوي في الوطن العربي، ولنمو الحركة الشعبية التقدمية فيها، لذلك فان الاستعمار قد انشأ الاحلاف

**العسكرية، واصطنع المشاريع تلو المشاريع لابقاء سورية ضمن مناطق النفوذ، الامر الذي كلف شعبنا جهودا وتصفيات قاسية للتخلص من شبك الاستعمار واحباط مؤامراته وأحلافه، وفضح مشاريعه العدوانية المكشوفة منها والمقنعة".**

□

لقد هاج النواب عند القائي بيان الكتلة الاشتراكية، وتوقفت الجلسة فترة قصيرة عندما وصلت في التلاوة الى ضرورة التحذير مما جرى في كوبا، وكان البيان مكتوبا وليس فيه كلمة كاسترو، والذي حدث بعد هذه الجلسة ان قام الطلاب بمظاهرة صاخبة انطلقت من الجامعة السورية ضد نواب المجلس والحكومة، وانضم الاهلون الى المظاهرة وجرى اطلاق رصاص لم ينجم عنه اي ضحايا، فاتهمتني الحكومة بأنني كنت وراء تحريض الطلاب على التظاهر، ولكنني في الحقيقة لم افعل ذلك، فقد قام الطلاب بالمظاهرة من تلقاء انفسهم احتجاجا على عزم الحكومة والمجلس على تعديل قانون الاصلاح الزراعي، لذلك فان الحكومة حرضت بعض الصحف على اتهامي بأنني هددت المجلس بكاسترو، وتبيانا لحقيقة موقفي من المظاهرة ومن اتهامي بالتهديد، فقد سجلت الكلمة الايضاحية التالية في جلسة: 1962/2/14:

ايها الزملاء الكرام، ورد على لسان بعض الاخوان اننا ذكرنا في بياننا اسم كاسترو مع ان هذا الاسم لم يرد في كلمتنا عند التعليق على البيان الوزاري ولم نذكر اسم كاسترو وانما الذي ورد والبيان الذي قيته مكتوبا وقد اعطي الى قسم ضبط جلسات المجلس- وقد ورد فيه بأنه يجب علينا ان نتعظ بأحداث العالم العربي ويجب علينا ايضا ان نتعظ بما جرى في كوبا، وبين هذا القول والتهديد بكاسترو فرق بعيد، وبعيد جدا، فنحن لم نهدد وانما التحذير وارد، ويجب ان نتبصر بالاحداث والحوادث التي تحيط بنا وتجري في العالم، وهذا لم يكن من باب التهديد بل هو من باب التبصير والتحذير، ونحن طبعا عندما نقول يجب ان نعتبر بهذه الاحداث، فمعنى ذلك بالتالي اننا لا نريد ان نتعرض بلادنا الى مثل تلك التجارب، وان نستبعدها عن بلادنا طالما ان

شعارنا جميعا الاستقرار والتطور. وهذا الشعار يقتضي الاعتاض بالماضي ويقتضي الاعتاض باحداث العالم العربي، ويقتضي ايضا الاعتاض بما يجري في العالم من احداث وتطورات كثيرة.

ثانيا: سأل احد الزملاء، وقد قال لي خارج هذه القاعة انك متهم، لانك ذهبت نهار البارحة صباحا الى الجامعة السورية واجتمعت بالطلاب وحرزتهم على التظاهر، هكذا يقولون وهذا الزميل سأل عند مناقشة البيان الوزاري هذا السؤال وارادني ان اجيب على سؤاله، فأنا أقول بكل صراحة - ونحن لا نهاب ابدا - عندما ندفع للمظاهرة، نقول امام الملأ اننا اشتركنا ودفعنا الى التظاهر، ولكن نحن في الواقع لم ندفع الى هذه المظاهرة احدا اطلاقا، وفي نهار البارحة اتصل بي دولة رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية في البيت وطلب مني الاجتماع معه في وزارة الخارجية فذهبت اليه توا من البيت الى وزارة الخارجية، واجتمعنا مع دولة الرئيس معروف الدواليبي، ومن وزارة الخارجية اتيت الى مجلس النواب ولم اخرج منه الا في الساعة الثانية عشرة ظهرا فنحن لم نشترك في تدبير المظاهرات اصلا، لا سيما وانه معروف ان حزب البعث العربي الاشتراكي لا يزال منحلا، ولم يعلن تنظيم صفوفه حتى الان، ولكن هذا لا يمنع ان اقول بهذه المناسبة، انني ارجو ان يجري تحقيق في امر اطلاق الرصاص على الطلاب وعلى المتظاهرين، واعتقد ان اطلاق الرصاص لم يكن بأمر الحكومة ولكن اطلاق الرصاص على مظاهرات سلمية امر لا يجوز ابدا.

ويشير خالد العظم في مذكراته الى هذه الواقعة بقوله:

"لنعد الى ذلك الجو الخانق المؤلم الذي اوجده اكرم الحوراني ولا سيما عندما القى تهديده بأن الاشتراكيين اذا لم تسر الامور حسب برنامجهم سيتبعون خط كاسترو في كوبا، فثار النواب عند سماعهم هذا التهديد وهجموا على الحوراني كأنهم اسود تريد اقتراس حيوان شرير، ولم يدرج في محضر الجلسة المختصر او المفصل (هكذا وردت في المذكرات) كل ما جرى حتى اسم كاسترو" (ص239 الجزء الثالث)

والحقيقة انه لا يوجد للمجلس محضران مختصر ومفصل، وانما يوجد محضر واحد، وفي نهاية الجلسة التي القيت فيها بيان الاشتراكيين العرب سلمته مكتوبا ليدرج في محضر الجلسة.

لا شك ان الجو كان خانقا بالنسبة لخالد العظم ولغيره من النواب بوجود كتلة قوية من النواب الاشتراكيين تعارض عزمهم على تعديل قانون الاصلاح الزراعي تدعمها جماهير الفلاحين الذين يشكلون ما يقرب من 60% من سكان سورية والفئات المستنيرة من الشعب، فخالد العظم هو سليل البشوات الذين نصبهم الاتراك ولاة على دمشق وحماة، وهو ابن الطبقة التي حاربنا نفوذها السياسي والاجتماعي والاقتصادي، اما تأييده من قبل حزب البعث في الانتخابات الرئاسية عام 1955 وتأييد الكتلة الاشتراكية عام 1962 فلأنه كان من اليمين المستنير المرن بالنسبة لابناء طبقته، ولانه لم يشترك في حبك المؤامرات ضد وطنه سورية، و ضد القضية العربية كما فعل الكثيرون من القيادات السياسية.

كان خالد العظم يحترم نفسه ويحب وطنه كما انه كان مخلصا في موقفه من الصراع العربي الصهيوني، وقد ذهب معظم ثروته في فلسطين ولم يفعل كما فعل البعض من ابناء طبقته الذين باعوا املاكهم في فلسطين لليهود، ولكن هذه الصفات لم تحرر خالد العظم مع عقلية طبقته وقيود مصالحها، وهذا يتراءى في العديد من مواقفه وآرائه السياسية والاجتماعية.

ان خالد العظم لم يتستر على اسباب موقفه من تأييده تعديل قانون الاصلاح الزراعي بما يشبه الالغاء، وفي تبريره لهذا الموقف يقول في مذكراته

"انني قمت في عام 1950 بمشروع ارواء في قرية اسمها (خطاب) قريبة من حماة كنت املكها ثم استولت عليها الدولة بموجب قانون الاصلاح الزراعي وقد انفقت على المشروع في بداية انشائه نحو 300 الف ليرة استدنتها كلها من مصرف سورية ولبنان (مصرف اصدار النقد آنئذ)" كما يقول ان مدخول الارض كان يصرف لشراء مضخات ومحركات وانه لم يستطع ايفاء الدين ثم يمنن الفلاحين بأن ما فعله قد حسن احوالهم المعيشية. (ص 236 الجزء الثالث).

ان هذا يبين بلسان خالد العظم كيف ان الطبقة الاقطاعية كانت تستغل اموال الشعب لزيادة مكاسبها وثرواتها بالاستناد الى نفوذها السياسي والطبقي الذي يتيح لها الاستدانة من مصرف سورية ولبنان او المصرف الزراعي، وهذا ما كان يجري بالنسبة لانشاء المشاريع الزراعية التي أنشأها الرأسماليون في الجزيرة كمشروع أصفر ونجار، وكان الياس نجار أحد ابناء مالكي هذا المشروع نائبا في مجلس 1950 وفي مجلس 1962.

لقد أصبح العديد من الرأسماليين يملكون اقطاعات واسعة كآل المدرس في حلب والحاج وهبي الحريري وغيرهم من الرأسماليين ولا سيما بعد نشوب الحرب العالمية الثانية، وقد اجروا تحسينات هامة في اقطاعاتهم سواء بما أنشأوه من مشاريع الري أو باستعمال الآلات الزراعية، ولكن عدد هؤلاء كان محدودا اما معظم الطبقة الاقطاعية فقد كانت تستغل اموال المصرف الزراعي وجهود الفلاحين دون ان تجري اي تحسين او تحديث للاستثمار الزراعي، وكانت قانعة بما يجعلها تعيش برفاهية على حساب بؤس الفلاح وفقره وجهله في معظم انحاء سورية.

لقد كان تصورنا لحياة الريف بعد الغاء الاقطاع ان تقدم الدولة للفلاحين ما كان يستغله الاقطاع من أموال الشعب في المصرف الزراعي مع زيادة رأس مال هذا المصرف وتسهيل معاملاته لتشجيع الفلاحين على انشاء المشاريع الانتاجية واستخدام الآلات الزراعية واعفائها مع غيرها من لوازم الزراعة كالاسمدة والبذور المحسنة والمبيدات من الالتزامات الجمركية بالاضافة الى التعاونيات ومؤسسات ارشاد الفلاحين.

كان هدفنا من الغاء الاقطاع ليس زيادة الانتاج الزراعي فحسب، وانما كان الهدف في الوقت نفسه ايجاد حياة فلاحية زراعية متوطنة، تستخدم الارض بنفسها، مما يزيد من تمسك الفلاحين بالارض ويحد من هجرتهم الى المدن ومما يساعد على تطوير اوضاعهم المادية

والاجتماعية والسياسية ويرسخ شعورهم بالمواطنة، ويفسح امامهم المجال للمساهمة في حياة البلاد العامة بعد ان يستردوا عزتهم وكرامتهم وانسانيتهم، كما كنا نعتقد بأن هذا النهج ستنعكس آثاره على أبناء الطبقة الاقطاعية اذ سيجعلهم يجدون في تحصيل العلم لان غالبيتهم لم تكن ترى ضرورة لتحصيل العلم كسبا لمعيشتها ليحتلوا مكانهم في المجتمع عن جدارة واستحقاق.

هكذا كان تصورنا لسورية الجديدة.



## مداخلة صبري العسلي على تعديل قوانين الاصلاح الزراعي والتأميم

في الجلسة التي جرت بتاريخ 13 شباط 1962 جرت مداخلة من قبل صبري العسلي اثناء مناقشة تقارير لجان المجلس بشأن مشاريع قوانين التأميم والاصلاح الزراعي فعرض بي وبالحزب، وشرح آراءه ومفاهيمه عن الاقطاعية فنفى وجودها بسورية حتى في عهد الدولة العثمانية قائلا:

"اذكر ان الاقطاع حتى في عهد الدولة العثمانية ويوم ان كانت اثنين واربعين ولاية لم يكن اقطاعا بالمعنى الصحيح بل لم يكن موجودا، ولكي اكون منسجما مع نفسي اقول ان هناك استثناء واحدا في تلك الدولة العثمانية حيث وجد هناك رجلان اثنان اقطاعيان: الاول اقطاعي بحق وحقيق هو طالب باشا النقيب في البصرة، اما الاخر فهو عبد الرحمن باشا اليوسف، وهو لم يكن اقطاعيا لا بباعه ولا بذراعه، ولكنه كان اقطاعيا على اساس انه يعطي مرخصي حزب الاتحاد والترقي في هذه البلاد اعطيات مالية كثيرة، يغذي بها صندوق الاتحاد والترقي.... فكان يطلب من

الوالي ان تكون حاجات عبد الرحمن باشا اليوسف واغراضه مقضية في هذه البلاد وان يكون ملتصقا" ثم قال:

"على كل حال توفي هذا وذاك واولاد طالب النقيب بحاجة الى رضاء مدير المنطقة، كما ان اولاد عبد الرحمن اليوسف يحتاجون الى رضاء رئيس المخفر".

من المدهش ان يرثي صبري العسلي لحال اولاد عبد الرحمن اليوسف الذين حاولوا في الثلاثينات بيع البطيحة والجولان لليهود، وهما من اخصب واثمن القرى والمناطق السورية في شمال فلسطين، فثارت ثائرة الشعب وتنادى رئيس عصبة العمل القومي آنذاك عبد الرزاق الدندشي لانقاذها من براثن الصهيونية فدعا لتشكيل شركة زراعية مساهمة تملك تلك الاراضي بدلا من تملك اليهود لها.

لقد حاول اليهود شراء الاراضي في سورية خلال الثلاثينات فباءت جميع محاولاتهم بالفشل بسبب يقظة الشعب وعدم رضى الانتداب الفرنسي عن تملك اليهود الاراضي في سورية، وان صبري العسلي الذي خلف عبد الرزاق الدندشي برئاسة عصبة العمل القومي لفترة قصيرة، كان غير موفق في مداخلته التي ذكرت ببيع الاقطاعيين اراضيهم للصهيونية.

وقد ورد ايضا في مداخله صبري العسلي في تلك الجلسة ما يلي:

"واذكر هنا حادثة صغيرة يعرفها نائب رئيس مجلس الوزراء حينما اشتغلت بالزراعة ووضعت مع شريكين لي (660) الف ليرة سورية في مشروع زراعي لدى (الشويطان) عند اخينا احمد الجاجان (من الميادين) وهو زميلنا في هذا المجلس وعشيرة الشويط ليس فيها شيء يستطيع ان يغري بالحياة، ولكننا جئنا ووضعنا اموالنا واتفقنا مهم على ان نستثمر (25) الف دونم من اجل ان نزرعها قطنا.

ولكنني يا سيدي (لرئيس المجلس) انا وشركائي، انا رئيس الوزراء ووزير الداخلية، وقائد المنطقة عبد الكريم العائدي،

وضابط العشائر احد ابناء الاتاسي، كلنا لم نستطع ان نرغم هؤلاء الناس ان يزرعوا القطن، وبعدها جاءني واحد من حي الاكراد في رتبة عريف او رقيب اسمه (ابو كلنك) وقال لي: ما الذي تريده؟ قلت له:

اريد ان ازرع قطنا، فقال:

امرك يا ابا شجاع سأجعلهم يزرعون القطن.

فراح اليهم وجعلهم بالاجبار يزرعون القطن، اذن يا سيدي لمن الاقطاع؟ هل هو لصبري العسلي؟ هل هو لابن الاتاسي؟ لابن سويدان؟ وهذا يملك مليونين ونصف مليون دونم".

ولا بد لي هنا من الاشارة الى ان كلمة (ابو كلنك) تعني في سورية بالعامية الدارحة (ابو العصا الحديدية).

**ومن ذلك تستبين الوسائل التي كان الاقطاع - بمعونة الدولة - يسوق بها الفلاحين، كما تدل كلمة العسلي انه ضالع مثل الاقطاعيين في استغلال اراضي املاك الدولة.**

لقد توليت في هذه الجلسة الرد على ما جاء في مداخلة العسلي التي شرح بها مفاهيمه العجيبة عن الاقطاعية والاشتراكية بالكلمة المقتضبة التالية:

سيدي الرئيس، زملائي المحترمين، اذكر انني قرأت مقالا في الصحف العربية ما زلت محتفظا به مترجما وقد كتب بعد ثورة العراق في 14 تموز، وكاتب المقال اجنبي زار العراق قبل ثورة 14 تموز مرارا وقابل في احدى زيارته نوري السعيد واجتمع به، يقول كاتب المقال ان نوري السعيد كان رجلا ذكيا وكان قويا وكان ذا تجربة ثم يضيف كاتب المقال قائلا ان نوري السعيد من افضاذ الرجال، ومع هذا فان صاحب المقال سأل نوري السعيد عما يراه من حلول للمشاكل الاجتماعية القائمة في العراق، فأجابه نوري السعيد ان لا مشاكل اجتماعية لدينا، فنحن قوم اغنياء وبلادنا تتسع لاكثر من اربعين مليون نسمة ولدينا من السهول الخصبة التي ترويهها الانهار المتدفقة، والثروات المعدنية الشيء الكثير.



وقد لفت كاتب المقال نظر نوري السعيد الى مظاهر البؤس والحرمان والى الملكية الواسعة في العراق ووضع الفلاحين فأجاب نوري السعيد قائلاً بالحرف الواحد: ان هذه الملكية ستتفتت بالارث ولدينا اراض واسعة وانه لا مشكلة اجتماعية في بلادنا، ثم يقول كاتب المقال: بهذا التفكير الساذج البسيط وصل هذا الرجل الذكي القوي الجريء الى مصيره المؤلم الذي ادت اليه ثورة 14 تموز في العراق، وقال يظهر ان مركب الزمن قد فات نوري السعيد الرجل الذكي الذي ظل زمنا طويلا يحكم العراق حتى ثورة 14 تموز.

ومنذ مدة طويلة كانت صحف كثيرة في العالم تركز على بلادنا بأنها اصبحت مسرحا للشيوعية حتى وصلت هذه الحملات في بعض الاحيان الى درجة (الهستيريا) وكنا نرى كثيرا من الصحفيين الاجانب يقولون ان بلادكم اصبحت شيوعية فكنا نقول لهم ما دام مجال التطور والتقدم يفسح امام شعبنا فاننا ابعد البلاد العربية عن الشيوعية، وكنا نقول ان العراق الشقيق في ذلك الحين هو المعرض لعدم الاستقرار وللحركات المتطرفة فكنا نرى علائم التعجب والاستغراب على وجوههم مستغربين كيف ان العراق المستقل الذي يحكم حكما قويا وكان يحكم على الشيوعيين بالاعدام لا بالسجن فقط كيف يمكن ان يتعرض العراق لهزات؟ وكيف يمكن ان يتعرض لانتشار الشيوعية وهكذا كانت امارات الاستغراب والتعجب ترسم على الوجوه، ولكن بعد 14 تموز كانت المظاهرات تسير بعدد يتجاوز المليون شخص او اكثر في شوارع بغداد.

ترد هذه الخواطر على ذهني وانا لا اعرف السبب الذي دفع بالزميل الكريم الذي احبه ابي شجاع للتعريض بي وبالاشترابية في الوقت الذي نبحث فيه مشروعات كان بإمكانه ان يبدي رأيه فيها سواء بالنسبة للمشروعات نفسها او بتقارير اللجان عليها، ولا ادري ما الذي دفع الزميل الذي نحبه ابي شجاع الى هذا التعريض واصداره احكاما وآراء ليسمح لي ان اقول انها آراء عجيبة، فيا سيدي وزميلي ابا شجاع ان الاصلاح الزراعي لا علاقة له بالاشترابية ونحن في هذه الجلسة لا نبحث موضوع الاصلاح الزراعي وانما نبحث بقرارات التأميم، ومع هذا فلا علاقة للاصلاح الزراعي بالاشترابية وكل الدول الرأسمالية في العالم طبقت الاصلاح الزراعي وعلى كل فنحن مختلفون مع ابي شجاع في هذه الامور والخلاف بيننا ليس حديثا بل يعود على ما اعتقد الى عام 1943 ومن جملة الخلافات هذا الموضوع

بالذات، وأنا اقول اكثر من ذلك: اننا كنا نتكلم بقضايا الفلاحين منذ عام 1943 ونعتبرها اخطر مشكلة اجتماعية يجب ان تحلها البلاد وهذه ضبوط جلسات المجلس التي تسجل اقوال النواب وآراءهم اكبر دليل على ذلك، وقضايا الفلاحين طرحت في هذه البلاد قبل ثورة عبد الناصر في مصر وطرحت بشكل جدي وعالجتها المجالس المتعاقبة وصدرت في بعض الاحيان قوانين عن هذه المجالس لهذه المواضيع بالذات وكذلك كتبت الصحف عنها كثيرا، واذن فالموضوع ليس بجديد.

وانما احب ان الفت نظر الزميل ابي شجاع الذي غير مكانه من الوسط الى اليمين وقد كنا مسرورين لو انه بقي في مكانه ولكنه أثر على ما يظهر ان ينتقل الى اليمين، قلت اريد ان الفت نظره الى ان استقالته من الحكومة على ما اذكر كانت قبل صدور قانون الاصلاح الزراعي وحين صدور القانون كان ابو شجاع قد ترك الحكم في العهد الناصري، وقد صدر قانون الاصلاح الزراعي هذا قبل صدور مثيله في العراق من قبل عبد الكريم قاسم ببضعة ايام قد لا تتجاوز الاسبوع.

**طلب الزميل الكريم ان نحدد مدى الاشتراكية ولم اسمع حتى الان من يطلب تحديد مدى الاشتراكية وهذا حزب العمال في بريطانيا لم يقف احد ليقول له اين تقف اشتراكيتم، وقد امموا الحديد والصلب والصناعات الثقيلة ولم يقل لهم احد اين تقفون؟**

**ان مدى الاشتراكية يا سيدي مستمر ما دام هناك ظلم اجتماعي وما دام هناك استغلال وما دام هناك نقص في العدالة الاجتماعية فان الاشتراكية باقية، واني لارجو من الزميل الكريم ابي شجاع ان يميز بوضوح بين الاشتراكية والامور الاصلاحية وبين الاشتراكية الشيوعية واذكر حينما طرحت احدى الحكومات وبعض اعضائها موجود في هذه الوزارة طلبا امام المجلس ايدانها به لتؤمم مواعين ابي هاني، فهل يمكن ان يخطر على بال احد ان يسأل الحكومة هل ستقفين عند تأميم مواعين ابي هاني واثمانها لا تتجاوز البضعة ملايين وقد شعر المجلس وشعرت الحكومة ان مجال الاستغلال غير الصحيح كان واضحا في ذلك الموضوع فقرر المجلس تأميم مواعين ابي هاني ورحم الله ابا هاني الذي توفي، وكما ذكر الزميل السيد خالد العظم أن هذا المجلس سبق له ان اصدر قرارات**

تأميم كثيرة منها الخطوط الحديدية وكل الشركات الاجنبية اممت في بلادنا على ايدي المجالس المتعاقبة الماضية.

يقول الزميل ابو شجاع انه لا يفهم الاشتراكية الا بفرض ضرائب تصاعدية وانه يوافق على تصاعد هذه الضرائب حتى ولو بلغت 80 او 90% واحب ان اقول للزميل ان هناك دولا رأسمالية بل معظم الدول الرأسمالية ارتفعت فيها نسب الضرائب حتى بلغت في بريطانيا 90% وقد تكون الان 70 او 80% وكذلك في بلاد اجنبية اخرى رأسمالية بلغت نسبة الضرائب فيها 60 او 40 او 30% اما النسبة في بلادنا فلا تتجاوز 15% على ما اعتقد وتوزيعها غير عادل ولكنها لا تتعدى هذا الرقم على كل حال، وان عمل الاشتراكية طبعا يرمي الى توزيع الضرائب توزيعا عادلا وان استخدام فرض الضرائب احدى وسائل تحقيق العدالة الاجتماعية لان من عنده ثروة يجب ان يدفع جزءا من ثروته، ولكن نظام الضرائب عندنا ظالم وجائر يدفع الشعب بموجبه ضرائب عن قوت يومه وعن كل المواد الضرورية له، والضرائب على المؤسسات والشركات في بلادنا كما قلت نسبتها ضئيلة ولكنها غير عادلة بالرغم من انها لم تبلغ 90 او 80 او 30% بل بقيت في حدود 30% ولكنها جائرة ومجحفة بحقوق الفقراء المعدمين في هذه البلاد، واعتقد انه لم تجر محاولات رغم البحث الطويل في المجالس النيابية المتعاقبة وان كانت قد جرت محاولات من قبل الحكومات جدية لاعادة النظر في الضرائب الجائرة، هذا ما اردت ان الفت اليه نظر الزميل الكريم الذي نحبه ونحترمه كما قلت فقد تعرض عن غير حق وبدون مناسبة لنا ولاشترakitنا وغمز من حزبنا واتهمنا بأننا نريد مكاسب شعبية، وانا اقول للزميل اننا لا نريد مكاسب حزبية وقد قدمنا حلولا للاصلاح الزراعي ولم نترك الامر معلقا لان اية مشكلة اجتماعية تبقى معلقة بدون حل تكون مدارا للاستغلال، ان من يطرح حلولا فلا يتهم بالاستغلال الحزبي، ولو اننا ابقينا هذه المشاكل دون ان نقدم لها الحلول وكانت الأمور على مستوى الصعيد الحزبي لكان علينا ان نلغي هذه القوانين التقدمية ونبقي هذه المشاكل معلقة تتعثر بها البلاد وتؤدي الى النتائج التي تنوّهون بها.

نحن وطنيون يا سيدي ووطنيون قبل ان نكون اشتراكيين نحب هذا البلد ونحب هذا الشعب وكنا نقول لاخواننا الملاكين ان هذه القوانين الاصلاحية هي لمصلحتكم ونحن حريصون عليها لانها كذلك ولانها من مصلحة الامة والوطن، واذن نحن لم نطرح مشاكل بدون ان نقدم لها حولا وهذا بالطبع رد بليغ على اننا لا نريد الكسب الحزبي، والزميل يعرف طبعاً بأن الاحزاب قد حلت حلا جديا ونحن لا نخشى احدا لان حل حزبنا كان بطوعنا واختيارنا واذن فان حزبنا منحل لم نعد تنظيمه في هذه البلاد وليس هناك تشكيل حزبي ولا كسب حزبي ولا من يحزنون.

## موافقة المجلس على تعديل قانون الاصلاح الزراعي وقوانين التأميم

لقد توليت مع نواب الكتلة الاشتراكية تنفيذ وفضح اهداف المجلس والحكومة من تعديل قانون الاصلاح الزراعي (انظر محاضر جلسات المجلس تاريخ 1962/2/15) كما تولى النواب الاشتراكيون من اعضاء لجنة الاصلاح الزراعي: مصطفى حمدون، عبد الهادي عباس، احمد نور اليوسفي تبيان اسباب مخالفتهم قرار لجنة الاصلاح الزراعي فرفض اقتراحهم (الجلسة التاسعة 1962/2/14) ووافقت اكثرية المجلس على قرار لجنة الاصلاح الزراعي الذي حقق جميع اهداف الاقطاعيين وقد جاء في مذكرات خالد العظم:

"وبنتيجة كل هذه المناقشات وقرار المجلس للمشروع فان النواب المياليين الى تعديل القانون الصادر في عهد الوحدة حصلوا على كل ما يطالبون به عدا امرا واحدا وهو تسليمهم في الحال المساحات الاضافية بدون شواغل" وكلمة شواغل تعني الفلاحين الذين ملكهم الاصلاح الزراعي الارض مع كل ما يتعلق بهم، اي تهجيرهم من الارض التي تملكوها، الامر الذي كان ضمن مطالب الاقطاعيين. (ص253-الجزء الثالث).

اما تقرير لجنة الاقتصاد الوطني على مشروع قانون تنظيم الشركات الصناعية ومشروع قانون تنظيم المؤسسات المصرفية فقد تولى الاستاذ خليل الكلاس عرض وجهة نظر الكتلة الاشتراكية حول هذين التقريرين (محاضر الجلسة الثامنة

1962/2/13) وفند ادعاء الحكومة بأن مشروعها استهدف ثلاث نقاط هي:

1- عدم تمركز رأس المال 2- صيانة مكاسب العمال

3- ضمان مراقبة الدولة واشرافها على المنشآت ثم برهن على ان المشروع المقدم لا يحقق هذه الاهداف، وقد اعترف خالد العظم في مذكراته بأن الكلاس: "كان مصيبا في رأيه لكن ملاحظاته ظلت غير نافذة حتى اتت حكومتي فيما بعد واصدرت تشريعا فرض على المؤسسات التي لا تخضع لقاعدة دفع ربع الارباح الى عمالها ان تدفع لهم راتب شهر اضافي في كل سنة" (ص 246 الجزء الثالث، الطبعة الاولى).

□

كانت آخر جلسة دار فيها النقاش حول الاصلاح الزراعي هي جلسة 1962/2/17 وفيها احتدم النقاش بيني وبين الاقطاعيين ووزير الاصلاح بكري القباني وهو احد المحامين في حلب اذ القى كلمة قال فيها:

"ليس اشد ايلاما على النفس بأن يظهر انسان بغير مظهره الطبيعي وان يسعى للتمويه على الحقيقة، وليس اشد وخزا للضمير من ان يتنكر الانسان لماضيه فيزعم حرصه على نشر المحبة بين المواطنين وتمسكه بالديموقراطية الصحيحة ورغبة بالاستقرار في الوقت الذي كان هو فيه السبب في ايجاد النعمة والضغينة وبعث التفرقة بين الصفوف وطعن الديموقراطية السليمة ونشر الفوضى وفقدان الثقة بين النفوس... الخ" كانت هذه الكلمة موجّهة ضدي بالذات، اذ كان ذلك ما يردده الرجعيون والاقطاعيون المستغلون في ادعاءاتهم المغرضة الكاذبة فرددت على كلمة القباني بما يلي:

الرئيس - والان يتلو عليكم امين السر..

السيد أكرم الحوراني - يا سيدي انا طلبت الكلام قبل

الرئيس - نعم وكان يجب ان تتكلم ولكن ما حيلتي وقد وردتني عدة اقتراحات بالاكثفاء بالبحث.

السيد اكرم الحوراني - وما حيلتي في أن نسب ونشتم؟ لقد شتمنا من قبل وزير الاصلاح الزراعي وانا أريد أن أسأل رئيس مجلس الوزراء ان كان هذا البيان المكتوب يمثل رأي الحكومة أو أنه يمثل رأي الوزير الاصلاح الزراعي فقط.  
الرئيس - الكلمة للسيد اكرم الحوراني.

السيد اكرم الحوراني - سيدي الرئيس سادتي الزملاء البيان الذي القاه معالي وزير الاصلاح الزراعي لا أدري اذا كنتم معي في أن هذا الكلام وهذه المقدمة قد وجهت الينا، ان هذه الشتائم تحت اقدامي، وأنا أسف أن تقدم هذه الشتائم من قبل وزير مسؤول ولذلك أرجو من رئيس الوزراء أن يبين ما اذا كان هذا الكلام يمثل رأي الحكومة أم انه يمثل رأي الوزير الشخصي فقط (ضحيج).

ان هذه البلاد تعلم اننا حملنا دمننا على اكفنا في سبيل استقلال هذه البلاد وفي سبيل ديمقراطيتها وتقدمها. جميع الشعب يعرف ذلك اما هذه الشتائم فهي تحت اقدامي (ضحيج).

الرئيس - ارجو المحافظة على الهدوء والنظام.

السيد اكرم الحوراني - "متابعا" - أردت أن أفوت عليك الفرصة فأنا اعلم سبب هذا السيل من الشتائم انه من أجل أن تطيل عمر هذه الحكومة ولتطيل بامد وزارتك، ان هذا الشعب يعرف ماضي كل انسان وحاضره والسباب والشتائم لا تعني شيئا وانما تعود على صاحبها بالذات، وأنا ما كنت اريد أن يخرج الموضوع عن البحث العلمي المنطقي المؤدي إلى ايضاح حقيقة هذا المشروع الجليل الذي يتعلق بمصير المواطنين ملاك وفلاحين ولذلك لاحظتم ايها السادة انه لم يخرج من فمنا - لا بهذه الجلسة ولا في الجلسات الماضية - لم تخرج من فمنا كلمة فيها تعريض بأحد الزملاء، كان بحثنا منصبا على الموضوع ويمكن أن ينزلق اللسان وان يتوه الفكر، ولكنني لا أتذكر اننا مسسنا انسانا من اعضاء المجلس وما ذلك لقصر في السنتنا، أو ضعف في حجتنا، وما ذلك لخور في عزائمنا ولسنا من الرعايد الجبناء، ولكننا كنا نحرض جدا على أن يناقش البحث بشكل علمي منطقي موضوعي ونريد ان يعرف الناس حقيقة الاوضاع الزراعية المعقدة في بلادنا، كنا نرغب وحتى في لجنة

الاصلاح الزراعي وفي هذا المجلس ان تعطي الاحصاءات الحقيقية الصورة الصحيحة لوضع بلادنا الاجتماعية لاننا موقنون ايها الزملاء، وهذا ليس تزلفا ولا قربى لاحد- مؤمنون بأن شعبنا الذكي العبقري الخلاق يمكن أن يتغلب على مصاعبه الاجتماعية وعلى مصاعبه الاقتصادية ويمكن أن يجمع بين الديمقراطية السياسية وبين الديمقراطية الاجتماعية لان هذا هو ايماننا، اننا نؤمن بالله وبيطولة هذا الشعب وبذكاء هذا الشعب وبفهم هذا الشعب لتحقيق العدالة الاجتماعية.

زارني منذ بضع سنوات رئيس حزب اشتراكي في الهند وشرح لي الطريقة التي يدعو بها للعدالة الاجتماعية وقال انه كان يمر على كبار الملاك في الهند ليقنعهم بأن من مصلحة الهند ومن مصلحة بلادهم ان تحقق العدالة الاجتماعية، وسألته هل كنت تلبى في نوائك هذه؟ فأعطاني ارقاما، واعتقد أن الرجل صادق، وقال ان دعوتي كانت تلبى وكنت أجد الصدى الحسن لها ودخلت في حيز التنفيذ طواعية دون اللجوء الى قانون او نظام او غير ذلك وطبعا ان الشعب الذي يريد فعلا ان يمنع الصراع الطبقي وان يجنب البلاد شر التطرف المتهور، ان الشعب الذي يريد ان يبني ديمقراطية صحيحة اذا كان ذكيا واذا كان خلوقا وقادرا فبامكانه كما قلت ان يجمع بين الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية.

وأقول لكم بكل صراحة ايها الزملاء لا سبيل الى ديمقراطية سياسية ما لم تقترن بديمقراطية اجتماعية، ان الديكتاتورية وان الحكم الفردي يقضي على الديمقراطية السياسية في سبيل تحقيق الديمقراطية الاجتماعية وهذا لا يحقق الهدف الامثل ونحن نريد السير بهما معا، وهذا متوقف بكل تأكيد على ذكاء هذا المجلس وعلى قدرة هذا المجلس وعلى خلق هذا المجلس وبما أن هذا المجلس انتخب من قبل الشعب فنحن مؤمنون بقدرة هذا المجلس وذكائه وعدالته وانه لن يكون عرضة للاثرات واما الزيد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض.

ولنعد الى المادة الثامنة عشرة، ان وزير الاصلاح الزراعي لم يعطنا الجواب على السؤال الذي كررناه في اللجنة وكررناه هنا، ما هي نسبة الاراضي التي تم فيها تسليم سندات الى الفلاحين وما هي نسبة الاراضي - كما يزعم ويدعي- اذا كان هناك اراضي مؤجرة لاكثر من عام واحد ما هي

مساحتها بالنسبة الى ما استولي عليه من الاراضي، انكم اذا اطلعتم على الرقم الحقيقي يتبين لكم عندها الصورة الحقيقية.

ان ما عطي من سندات الى الفلاحين لا يشكل اثنين او ثلاثة بالمائة من مجموع ما تم عليه الاستيلاء الفعلي ونوضح لكم الامر بكل بساطة، سندات التمليك او السندات التي أعطيت للفلاحين هي في الواقع لا تتعلق فقط بعمليات الاصلاح الزراعي، انها بالواقع تتعلق بعمليات الافراز وعمليات التحديد والتحرير وازالة الشيوخ بمعنى أن كل فلاح حتى يعرف قطعة ارضه لا بد ان تجرى على الارض عملية التحديد والتحرير أو عملية الافراز والتجميل ليعطى بعدها السند، وانتم تعلمون انه قبل قانون الاصلاح الزراعي ومن بداية عمليات التحديد والتحرير ما هي نسبة الاراضي التي تم افرازها في سورية انا أسأل الحكومة ما هي نسبة الاراضي التي حملت في سورية منذ قيام عمليات التحديد والتحرير حتى الآن؟

أنا أقول انها لا تشكل 3% طيلة السنين الماضية من سنة 930 حتى الآن او 4% على أبعد حد من مجموعة الاراضي التي حددت وحررت، هذا أمر تعلمونه كلكم، وهذه وزارة الاصلاح الزراعي اذهبوا اليها اذا شئتم وأخرجوا الاحصاءات والقيود ترون ان السندات التي سلمت الى الفلاحين لا تشكل 2 أو 3% من مجموع الاراضي التي تم عليها الاستيلاء الفعلي، ومن جهة أخرى انا أعتقد وارىد ان تعطى الينا قيود بالايجارات التي زادت عن سنة، وانا مؤمن بأن ليس هنالك عقد ايجار لاكثر من سنة لان القانون لا يسمح بذلك فاذن ليس هنالك اراض مؤجرة لاكثر من سنة واحدة، وهؤلاء أعطوا الارض لا بداعي انهم مستأجرون - بعد ان تمت عمليات الاستيلاء الفعلي- بل اعطوا، الارض باعتبارهم فلاحين ملاكين، ولأن يا سادة انا لا أقول ان هذه المادة تتعلق بالتهجير لان المادة التي تتعلق بالتهجير قد عدلت اما هذه المادة فتؤدي الى التهجير حتما :

اراض وزعت على الفلاحين واجرت لهم عاما بعد عام وهذه الاراضي تشكل 90% من الاراضي التي تم الاستيلاء الفعلي عليها هذه هي الحقيقة لا ريب فيها اصلا فعندما يعود الملاك الى أخذ اراضيهم من الفلاحين بعد أن اصبح هؤلاء بمرور الثلاث سنوات



المنصرمة يعتبرون انفسهم مالكين، فتصوروا أي مدعاة للفتن والاثارات في هذه الحالة، ملاك يستعيد ارضا اعتبر الفلاح نفسه مالكا لها خلال السنين الماضية فاذا ما أعطيت هذه الارض الى المالك فمن أين يأكل الفلاح ويعيش اذا نزعنا منه الارض؟ أنا أسأل هل في القرية صناعة؟ هل فيها تجارة؟ هل فيها وظيفة؟ هل في القرية مورد للرزق غير العمل الزراعي فاذا ما نزعت الارض من الفلاح فماذا يفعل؟ طبعاً يهاجر، كان سابقاً معتاداً على ان يكون اجيراً عند ملاك اما عندما اصبح سيداً وحراً واصبح واضعاً يده فماذا تكون النتيجة؟

ايها السادة انا ارجو من اخواننا الملاكين - والدستور يقول ان النائب يمثل الامة جمعاء وكل نائب لا يؤمن بانه يمثل الامة جمعاء فانه بالواقع لا يتقيد بحقيقة الدستور ولا بحقيقة النيابة - انا اتوجه الى اخواننا الملاكين في هذا المجلس وسامح الله الزميل السيد الجابري عندما يقول أننا نتكلم في بعض الاحيان عن سوء نية، أما أنا فلا ارد عليه القول بل أقول سامحه الله.

السيد علاء الدين الجابري - سبقة لسان

السيد اكرم الحوراني (متابعا) - طيب يا سيدي أنا ارجو من اخواننا الملاكين ان يفرقوا بين جوبين وبين وصفين، أرجو من المجلس ايضا ان يفرق بين وصفين لان القانون بهذا الشكل لم يعد قانون اصلاح زراعي، بالواقع اصبح قانون استملاك عام وان كل احزاب المجلس وهيئاته متفقة على ان يدفع الثمن الحقيقي للملاكين فهذا القانون اصبح قانون استملاك. أنا اضرب مثلاً عندما يفتح شارع هل يفكر من كانت له دار جميلة ان يذهب ويعترض ويقول ان داري جميلة ولا اريد ان تهدم لقاء الثمن لفتح او توسيع شارع؟ فما بالكم بحل قضية اجتماعية؟ انني ارجو ان ننظر الى هذا الموضوع بهذا المنطق وان تحل هذه المشكلة الاجتماعية التي هي مشكلة اساسية في حياة بلادنا.

الرئيس - والآن لدينا اقتراحان بالاكْتفاء بالمناقشة يتلوهما عليكم أمين السر.



وهكذا فإنه إثر الجلسة الصاخبة التي بذلت فيها والكتلة الاشتراكية كل ما نستطيع من مجهود للحيلولة دون تعديل قانون الاصلاح الزراعي فان المجلس اقر ما أراده الاقطاعيون من تعديلات

. فخرجت من الجلسة كئيبا متشائما ولكنني في الوقت نفسه كنت مقتنعا بأن هذه الحكومة أو اي حكومة أخرى ستكون عاجزة عن تنفيذ هذه التعديلات ، لأن الفلاحين سيحولون بالعنف والمقاومة دون تنفيذها، يساندهم الرأي العام المدني والعسكري في البلاد. ولكن لم يخطر في بالي مطلقا أن تلغى هذه التعديلات وان يستمر في تطبيق قانون الاصلاح الزراعي بعد حركة 27 آذار 1962 التي قام بها ضباط 28 ايلول 1961 انفسهم وهم الذين شجعوا -كما ذكرنا- الاقطاعيين والرأسماليين في مسعاهم لتعديل قانون الاصلاح الزراعي وقوانين التأميم.

كان الاقتصاديون والتجار والصناعيون اكثر مرونة وتفهما من الطبقة الاقطاعية لأنهم مع تعديل قوانين تأميم المصانع والشركات قد أقروا للعمال بمكاسب جديدة كالمشاركة بإدارة المعامل وتخصيص نسبة من أرباحها للعمال.

### الحريات العامة :

بعد الانفصال كان في مقدمة اهتماماتنا المحافظة على المكاسب التقدمية في ظل نظام ديموقراطي يحافظ على الحريات العامة والخاصة لتتابع سورية سيرها في الطريق الديموقراطي التحرري التقدمي الذي سارت فيه معظم سنوات الخمسينات ، فقد كنت مؤمنا -ولا أزال- بأن الاسلوب الامثل لتحقيق ما نبشر به وما نؤمن به من أهداف انما هو النظام البرلماني الديموقراطي. لذلك فقد أصبحت لا أترك مناسبة سواء في المجلس النيابي التأسيسي أو خارجه إلا وأثير هذا الموضوع.

لقد طالبنا في رد الكتلة الاشتراكية على البيان الوزاري لحكومة الدكتور معروف الدواليبي بالغاء حالة الطواريء، والمحافظة على الحريات العامة والخاصة، ووضع القوانين التي تضمن حقوق الانسان، وكان المواطنون يتيحون لنا دائما المناسبة لاثارة هذه المواضيع، فقد كانوا يرسلون للمجلس بشكاواهم على

أجهزة المخابرات التي تعتدي على المواطنين بالسجن والاعتقال والابعاد بالاستناد الى حالة الطوارئ التي كانت معلنة في مصر قبل الوحدة ثم سرت على (الاقليم السوري) بعد قيامها ولم أكن أرى أي مبرر لاشتراكنا في الانتخابات التي جرت بعد الانفصال سوى اتخاذنا منبر المجلس النيابي التأسيسي وسيلة للاستمرار بالتبشير بأرائنا ومعتقداتنا والدفاع عن حقوق مواطنينا.

لقد وقفت موقفا حازما من الحكومة منذ بداية انعقاد المجلس بسبب ايعازها للصحف بعدم نشر كلماتنا التي كنا نلقينا في المجلس، وذكرتها ولا سيما ان بعض اعضائها واعضاء هذا المجلس كانوا نوابا في المجلس النيابي عام 1943، بأن الصحف كانت تنشر أقوال نواب المجلس في ظل الاحكام العرفية والاحتلالين الفرنسي والبريطاني لسورية، فاضطرت الحكومة للتخفيف من رقابتها للصحافة، وفيما يلي احدى الكلمات التي القيت حول ضرورة صيانة الحريات وحقوق الانسان:

سيدي الرئيس اريد ان اطرح على الحكومة الكريمة سؤالا بعد ان رأينا جدول الاعمال في هذه الجلسة طافحا بمشاريع القوانين ومنها مثلا مشروع الاجهاض الساري في البقر والغنم وغيره من مشروعات القوانين التي قدمت من الحكومة ومدرجة في جدول اعمال هذه الجلسة، وني لاتساءل هل حللنا مشاكلنا الاجتماعية في بنائنا الديمقراطي؟ وهل انتهينا من جميع الاعمال الاساسية حتى نشفق على البقر والماعز ونبحث في الاجهاض الساري بالنسبة للحيوانات؟ أنا اعلم ان البيان الوزاري قد تعهد بتقديم مشروعات القوانين التي تنظم الحريات العامة سواء ما يتعلق منها بحرية الصحافة وحرية الفكر والنشر وما يتعلق بتنظيم الحياة السياسية في هذه البلاد، وبالجملة القوانين الاساسية لبناء حياتنا الديمقراطية التي هي اساسية بالنسبة للدستور وللحياة السياسية العامة، ومع ذلك فقد مضت مدة ولم تقدم مثل هذه المشاريع بل اقول بأن كثيرا من الحقوق الطبيعية للانسان وهي التي نصت عليها جميع دساتير العالم غير منغذة الآن مع اننا في

وضع ديمقراطي، ولقد شكنا لي مواطنون بانهم يحرمون من حق التوظيف في الدولة لمجرد ان احد موظفي المباحث او المخابرات قد شرح على طلبه بأنه شخص غير مرغوب فيه، وبذلك قضى على مستقبله وحرم الدولة من مواهبه بالرغم من جميع الشرائط القانونية التي يتمتع بها ذلك المواطن الشريف ومع ان هذا الحق طبيعي في جميع الدساتير، ورب قائل يقول : بأن اوضاعنا الدقيقة سواء منها الخارجية أو العربية توجب علينا التريث في بناء حياتنا الديمقراطية السياسية، ولكنني أعتقد بأن الاكثرية الساحقة بل الشعب كله مؤمن بعكس ذلك اي ان بناء حياتنا الديمقراطية السياسية على أساس صحيح وتطبيق لمبادئ الدستور هو الذي يسمح لشعبنا بأن يقف صامدا وأن يخرج منتصرا على جميع مؤامرات الاستعمار واسرائيل والصهيونية العالمية التي يحكها اعداء البلاد، أما هذا الوضع المتناقض بين مجلس نيابي قائم وحياء ديمقراطية تطعن ولا تقوم على اساساتها المتكاملة الصحية فان مثل هذا الوضع ولا شك لا يمكن أن يكون صامدا في وجه تلك المؤامرات وحيال تلك الظروف الحرجة، وانا ارجو المجلس الكريم بل ارجو الحكومة ان تعنى في الدرجة الأولى باستكمال حياتنا السياسية الديمقراطية وترسيخها وتقديم المشروعات الاساسية التي هي الشرط الاساسي للحياة الديمقراطية، كما أرجو ان تلغى جميع التدابير المناهضة للدستور والتي تحرم المواطنين من حقوقهم الطبيعية، وان تلغى التدابير المنافية لوجود مجلس نيابي وتأسيسي والمنافية للحياة الديمقراطية كفرض الإقامة الجبرية على بعض المواطنين في هذا العهد، ولا بد ان زملاءنا في هذا المجلس قد تلقوا برقيات حول هذا الموضوع وفي جداول اعمال الجلسات لهذا المجلس نجد كل يوم بعض هذه البرقيات والعرائض المتعلقة بهذه الامور الاساسية والجوهرية. (جلسة 1962/3/24).

### اتفاقية التابلاين :

لقد كنت مطالباً باستمرار ، في المجالس النيابية المتعاقبة، بتعديل اتفاقيتي الآي بي سي والتابلاين المجحفتين بحق سورية، وقد تمكنت سورية في السابق من تعديل اتفاقية

الآي بي سي لمصلحتها الأمر الذي ساعدها على تنفيذ برامج التنمية. أما شركة التابلاين فقد ماطلت وتمنعت عن التعديل لأن حكومات القوتلي كانت عاجزة عن اتخاذ مواقف حازمة تجاه هذه الشركة التي تدعمها المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الاميركية، وعندما أصبحت نائبا لرئيس الجمهورية ورئيسا للمجلس التنفيذي في سورية سنحت لي الفرصة لأحاول أن تنال سورية نصيبها العادل من عائدات المرور وفي الكلمة التي ألقيتها في المجلس بتاريخ 1962/2/28 حول اتفاقية التابلاين تبين الاسباب التي حالت دون تعديل هذه الاتفاقية آنذاك :

"سيدي الرئيس ، اريد أن الفت نظر المجلس الكريم الى ان من جملة الاسباب التي دعت الى انقضاء مدة طويلة دون أن تتمكن من اخذ بعض حقوقنا من شركة التابلاين ما يلي:

اتذكر أنه في شهر مايس أو حزيران عام 1958 أي بعد قيام الوحدة مباشرة بحثنا امر انهاء تلك المفاوضات التي لا حد لها بين سورية وشركة التابلاين، وبالفعل فقد أقر المجلس التنفيذي (الذي كنت أئسه آنذاك) وفي شهر مايس على ما أذكر أن يوجه انذارا للشركة يعلن في الاذاعة ليطلع عليه الشعب ولتلتزم الحكومة بتنفيذ مضمونه، وكان المقصود من توجيه الانذار ان تعمد الحكومة في حال عدم انصياع الشركة لاقرار حقوق سورية إلى تطبيق ضريبة الدخل او تأمين خطوط مرور الانابيب، ولكن بعد اذاعة هذا الانذار في الاذاعة والصحف ارسل الينا كتاب من القاهرة يقضي برفع هذه القضية من بين يدي المجلس التنفيذي آنذاك وان يناط أمر المفاوضات ليكون بين الشركة وبين السيد زكريا محيى الدين فتوقف المجلس التنفيذي عن بحث الموضوع.

ولقد كانت هناك ملاحقة بهذا الموضوع حول انهاء هذه المفاوضات وكانت هناك مماطلة ، الا ان آخر بحث جرى - على ما اعتقد عند طرح موازنة عام 1959- في القاهرة أثرت الموضوع امام مجلس الوزراء فقبل انه على وشك الانتهاء من الاتفاق، ثم قامت ثورة ايلول ولم تنته المباحثات مع شركة التابلاين ولكنني اذكر انني قرأت في الصحف الدمشقية قبل ثورة الثامن والعشرين من

ايلول باسبوع او اسبوعين بانه قد تم الاتفاق مع شركة التابلاين على دفع حقوق البلاد من عائدات البترول، فانا أسأل الحكومة :

هل تمت الاتفاقية بين الحكومة والشركة قبل ثورة الثامن والعشرين من ايلول؟ وما هي هذه الاتفاقية؟ وما هو الفارق بين الاتفاق السابق لايلول وبين الاتفاقية التي بين ايدينا الآن؟ انني لارجو الحكومة أن تشرح لنا بدقة الفارق بين الاتفاقية التي تمت قبل ثورة ايلول وبين هذه الاتفاقية التي تعرضها الحكومة في هذه الجلسة".

لقد أقر المجلس النيابي التأسيسي الاتفاقية التي أبرمتها حكومة الدواليبي مع التابلاين، ولا شك أن الذي سهل تعديل الاتفاقية هو مساعدة الملك سعود لسورية بعد الانفصال، كما أبرمت المملكة العربية السعودية اتفاقية اقتصادية مع حكومة الدواليبي، ولكنها اشترطت عدم تأميم البنك السعودي في سورية ، وقد وضع هذا الشرط بكتاب مرفق مع الاتفاقية ، **وعلى الرغم من قناعتني بضرورة الموافقة على هذه الاتفاقية التي تدعم الاقتصاد السوري وعدم تمسكي بقانون تأميم البنوك ولا سيما العربية منها فقد رايت وجوب وضع حد لتدخل الدول العربية في النظام الذي يرتضيه الشعب السوري فألقيت بهذه المناسبة الكلمة التالية في الجلسة نفسها :**

انني أوافق دولة الاخ السيد سعيد الغزي على كل ما قاله، لان هذه الاتفاقية بالفعل لا يمكن بحث الكتاب الملحق بها، والاتفاقية والكتب الملحقة بها لا يجوز الا ان تبحث بحثا واحدا فاما ان تقبل واما ان ترفض موحدة، وهذه الاتفاقية مع الكتب الملحقة بها اجريت ولا يزال قانون تأميم المصارف ساري المفعول في هذه البلاد حتى الآن.

**ان قانون تأميم المصارف يتعلق بنظام البلد وهو من حق السيادة في هذا البلد، وانني لا اوافق لا للمملكة العربية السعودية ولا لأي دولة أخرى ولو كانت عربية ان تتدخل بما يتعلق بنظام بلدي لان التأميم هو نظام اساسي للبلد ولا يمكن ان يكون موضوع**

مساومة مهما كانت هذه الاتفاقية الاقتصادية في خير الطرفين العربيين المتعاقدين، ولذلك كان من المنطق وكان من الاصول ان يبحث اولا ما يتعلق بالمصارف قبل ان تبحث هذه الاتفاقية وعلى ضوء الموقف الذي سوف يتخذه المجلس من قضية تأميم البنوك، يمكن أن يبحث هذه الاتفاقية.

انها بادرة خطيرة، من الناحية السياسية، ومهما كانت الفائدة الاقتصادية كبيرة فان الناحية السياسية أخطر وأهم بكثير، ولذلك ارجو من المجلس الكريم ان يتجه الى بحث قضية تأميم المصارف ويحدد موقفه منها، وبعد ذلك يمكن ان نبحث هذه الاتفاقية. وهناك متسع من الوقت امام المجلس حتى 13 آذار (اصوات، هناك عطلة العيد) اذن قبل العيد، يمكن ان نخصص جلسة غد فما هو المانع؟ وهذا أولى من ان نرتكب مثل هذه المخالفة .

وقد وافق المجلس على هذه الاتفاقية بعد الغاء قانون تأميم المصارف الذي صدر في عهد الوحدة.

### **جلسة سد الفرات (1962/2/6).**

كان لتنفيذ مشروع سد الفرات أهمية كبرى في برامج التنمية في سورية، وقد كنا نتصور آنذاك بأنه سيحقق لسورية قفزة اقتصادية واجتماعية كبيرة جدا، وكنت في المجالس النيابية المتعاقبة متابعا وملاحقا لتنفيذ هذا المشروع الذي كنا نعقد عليه كثيرا من الآمال وهكذا تابعت موضوعه بعد الانفصال وفي ما يلي الكلمة التي ألقيتها حول هذا الموضوع :

سيدي الرئيس، انا أسف اذ أعود الى موضوع السؤال المتعلق بسد الفرات بعد أن تكلم الزميل حول شؤون البلديات، وعودتي الى ذلك الموضوع هي على سبيل التنبيه ولفت النظر، والقاء نظرة ايضا على الماضي. فهذا المشروع الذي يعتبر أكبر مشروع في بلادنا يعول عليه في ايجاد العمل للايدي العاطلة ويحل مشكلة زيادة كثافة السكان خلال سنوات عديدة، وهذا المشروع الذي يجعل الاقتصاد الزراعي مستقرا في بلادنا، بأدوار ماضية كان البطء وضياح الوقت واضحا في البحث ودراسة الاساس، وأذكر أنه منذ عام 1956 وعندما وضع برنامج التنمية رصدت الاموال لدراسة هذا المشروع،

وعندما عقدت اتفاقية التعاون الاقتصادي بين سورية والاتحاد السوفياتي كان هذا المشروع من جملة المشاريع التي اشتملت عليها تلك الاتفاقية، ونحن عندما ننظر الآن وبعد مضي اكثر من خمسة اعوام نرى ان هذا المشروع لم توضع له بعد التصاميم اللازمة ولا يزال قيد الدراسة، بمعنى ان التقارير فقط هي التي قدمت بشأنه اما التصاميم فلم توضع له بعد.

واريد أن ألفت نظر المجلس الكريم الى أن ميزان القوى يقوم في الوقت الحاضر على اساس قوة اقتصاد كل دولة، وهذه اسرائيل تعول كثيرا على احياء النقب وجلب المهاجرين الجدد لتوطين ثلاثة ملايين شخص، وهي بذلك وكما كتبت الصحف كانت تضغط وتحاول مع المانيا الغربية لمنعها من الاتفاق مع سورية من أجل مشروع بناء سد الفرات، لان هذا المشروع كما هو معروف يروي أكثر من ثمانية ملايين دونم من الاراضي الزراعية ويولد طاقة كهربائية تتجاوز الثلاثمائة الف كيلوات. واني لأرجو ان يكون هذا المشروع موضع اهتمام الحكومة وملاحقتها لان الصهيونية العالمية ستحاول جاهدة منع تنفيذه وبالتالي منع استقرار الاقتصاد الزراعي في بلادنا، هذا بالاضافة الى أن المشروع يوطن أكثر من مليوني مواطن وبامكانه ان يمتص زيادة السكان خلال الخمسة عشر عاما القادمة، ويولد طاقة كهربائية ضخمة تفيدنا في تصنيع البلاد. وبما أن أكثر من خمسة أعوام مرت ولم توضع التصاميم بعد فاني أرجو أن يكون هذا المشروع موضع اهتمام وملاحقة بصورة جدية ومستمرة، واذا لم تنشأ المانيا الغربية ان تعقد معنا اتفاقا لتنفيذ المشروع فان هنالك دولا عديدة مستعدة لتنفيذه.

والذي أعرفه منذ عام 1957 انه كانت هناك نية لطرح هذا المشروع في المناقصة الدولية لوضع التصاميم النهائية، ومع ذلك أجل وأدخل في اتفاقية التعاون الاقتصادي مع الاتحاد السوفياتي، ثم وقعت بعد ذلك اتفاقية اخرى بين الاتحاد السوفياتي، وبين الجمهورية العربية المتحدة أخرج من جرائها هذا المشروع من نطاق المشاريع التي كانت في السابق ضمن اتفاقية التعاون، ثم تفاوضت الحكومة في أثناء عهد الوحدة مع المانيا الغربية وأتفق - كما كنا نقرأ في الصحف على تنفيذ هذا المشروع، وقد قيل الآن بأن الاتفاقية لتنفيذه قد أبرمت، وقد رأيت من الجواب انه لا بد أيضا من ابرام اتفاقية جديدة. لذلك أرجو من الحكومة اذا كانت مستعدة ان توضح لنا ما اذا كانت الاتفاقية قد أبرمت بين سورية و المانيا الغربية، وما هو الداعي لابرام



اتفاقية جديدة بعد التقارير والدراسات التي قام بها الخبراء السوفيت، وبعد هذه المدة الطويلة من البحث والدرس ومن تعيين موقع السد. وأنا لنرجو - اذا كان بإمكان الحكومة- ان تنير لنا هذه النقطة بالذات لنعرف المرحلة الحقيقية التي بلغها امر وضع الدراسات لانشاء هذا السد."

لقد أخرج جمال عبد الناصر مشروع سد الفرات من الاتفاقية الاقتصادية السورية السوفيتية وأناط أمر تنفيذه بألمانيا الغربية لقاء عدم إلغاء امتياز شركة كونكورديا للتنقيب عن البترول في سورية ضمن صفقة بينه وبين ألمانيا الغربية تنص على مساعدته بتنفيذ مشاريع التنمية في مصر وتقديم قرض بما يزيد عن 500 مليون مارك، ولما وقع الانفصال فإن ألمانيا الغربية لم تعد مطمئنة لعدم إلغاء امتياز شركة كونكورديا لأن المجلس التنفيذي الذي كنت رئيسه قد قرر إلغاء امتياز شركتي منهل وكونكورديا معا فوافق عبد الناصر على إلغاء امتياز شركة منهل ولم يوافق على إلغاء امتياز شركة كونكورديا كما ذكرت سابقا.

وهكذا ، فان ألمانيا الغربية اصحت تدعي بعد الانفصال بعدم التزامها بتنفيذ الاتفاقية لانها عقدتها مع الجمهورية العربية المتحدة ولم تعقدها مع سورية، وكان هذا الادعاء وسيلة ضغط على سورية لئلا تقدم على إلغاء امتياز شركة كونكورديا ، وهذا ما أقر مشروع سد الفرات. ولم يشرع بتنفيذه من قبل السوفيت الا بعد انقلاب 1966/2/23.

وهكذا فاننا بينما كنا منهمكين بملاحقة وتنفيذ هذه القضايا الاساسية في بناء المستقبل السوري، السياسي والاجتماعي والاقتصادي، فوجئت البلاد بانقلاب 1962/3/27، أي بعد ثلاثة أشهر على انتخاب المجلس التأسيسي النيابي كما سيرد ذلك بالتفصيل.

1962: أحداث هامة سبقت حل مجلس نواب 1962 وانقلاب 28 آذار: بلاغ سوري عراقي مشترك يقضي باقامة تعاون دفاعي عسكري وسياسي واقتصادي، وبمشاريع الري وسد الفرات. 2/23: عبد الناصر يلقي خطابا بمناسبة ذكرى الوحدة وفيه تفاصيل مذهلة من الملفات التي احتفظ بها طيلة سنوات الوحدة عن الاتصالات الاميركية برئيس مجلس النواب مأمون الكزبري ولطفي الحفار التي كان الوسيط فيها عبد الكريم الدندشي. 2/26 : جلسة مجلس النواب السوري التي رد فيها رئيس الوزراء معروف الدواليبي والنائب عبد الكريم الدندشي على خطاب عبد الناصر. 3/10: مقال لحسين هيكل في جريدة الاهرام يدعو فيه "لتشديد الخلافات العربية، حتى يحقق الموقف الاصوب انتصاره". 3/15: التاريخ الذي كان مفروضا أن ينعقد فيه اجتماع مجلس الدفاع المشترك الذي الغاه أمين عام الجامعة العربية وسورية ترسل وفدا عسكريا الى الاتحاد السوفيتي. 3/16-17: اعتداءات اسرائيلية كبيرة على المنطقة المجردة بهدف متابعة مشروع تحويل نهر الأردن وصمود رائع للجيش السوري. 3/21: بيان عراقي سوري مشترك يدعو الدول العربية لتحمل مسؤولياتها بسبب خطر اسرائيل المتزايد واستمرارها في مشاريعها العدوانية (تحويل نهر الأردن).

لا بد لي قبل تلخيص ما جاء في خطاب عبد الناصر من الحقائق المذهلة عن مؤامرة الدندشي، هذه المؤامرة التي سمعنا بها ولكننا لم نكن مطلعين على تفاصيلها، من التذكير بأن سورية كانت الهدف الرئيسي للدول الاستعمارية المتصارعة على

النفوذ في المنطقة العربية، ولكن الحكم الديموقراطي تمكن من كشف جميع المؤامرات المتعددة الاطراف والقضاء عليها، واحباط جميع المشاريع الاستعمارية، المكشوف منها كحلف بغداد والدفاع المشترك ومبدأ ايزنهاور، والمتستر بشعار الوحدة كمشروع سورية الكبرى والهلال الخصيب، ولقد كانت ذروة هذا الصمود البطولي للشعب السوري هي استعداد الجيش لدخول المعركة مع مصر خلال العدوان الثلاثي عام 1956، ونسف انابيب البترول العراقي الذي كان المصدر الرئيسي لتزويد بريطانيا بالطاقة ، الأمر الذي أخاف الولايات المتحدة وجعل بريطانيا تتراجع بعد أن أصبح اقتصادها على شفا الانهيار.

**إن هذه الانتصارات التي سجلها شعب سورية في معركته ضد القوى الاستعمارية في ظل الحكم الوطني الديموقراطي هي التي مكنت جمال عبد الناصر من استلام قيادة العالم العربي. ولقد ارتكب عبد الناصر خطأ كبيرا باعادة الذين صدرت بحقهم الاحكام القضائية، أو الذين اثبتت التحقيقات تأمرهم الى المسرح السياسي في عهد الوحدة، بالوقت الذي اضطهد فيه الوطنيين والتقدميين، وقد نبهت عبد الناصر مرارا الى خطورة هذا الانحراف السياسي والوطني وانعكاسه المدمر على الوحدة.**



جاء في خطاب عبد الناصر بما يتعلق بقضية مأمون الكزبري رئيس المجلس النيابي التأسيسي وبمعروف الدواليبي رئيس الوزراء ما يلي :

"لقد طالب بعض الوزراء بمحاكمة مأمون الكزبري وصبري العسلي وجميع الناس الذين سجلت عليهم قضايا مشبوهة، ولكنني في الحقيقة رفضت محاكمتهم باصرار، وقلت لهؤلاء الوزراء عفا الله عما مضى، وبكل أسف كانت هذه غلطة كبيرة مني لأنني خدعت بالطواهر.

كان الكزبري موجودا هنا في القاهرة، وكان لأخر وقت عضوا في لجنة توحيد القوانين بين البلدين، وكان من أكبر دعاة الوحدة، طبعاً كان ذلك خداعاً ورياءً منه، وانني سأحدثكم عن قضية الدندشي، والقضية لم تنشر لانني طلبت حفظها، بينما كان الجيش يطالب بالمحاكمة، لقد رفضت ذلك وقلت يجب ألا نبدأ عهد الوحدة بمحاكمات، إن اعترافات الدندشي بالمؤامرة موجودة في رئاسة اركان الجيش السوري وعندي نسخة منها، وفيها يعترف عبد الكريم الدندشي بأنه اتصل بالاميركان عن طريق الاميركي (كاسن) الذي طلب تهيئة اجتماع بينه وبين الكزبري ولطفي الحفار، فاعتذر الدندشي بأنه لا يمكنه اعداد المقابلة بهذه السرعة لأنه مضطر الى الذهاب الى قريته (تل كلخ) لتحصيل بعض المبالغ، فقال له الاميركي: إننا سنعوضك عنها وأعطاه مبلغ 5000 ليرة سورية، فاتصل الدندشي فوراً بالكزبري وقال له ان اميركا يريد الاجتماع به في منزله، وفي الاجتماع قال الاميركي للكزبري انه اختاره من بين السياسيين ليشرح له وجهة نظر اميركا التي ترى ان سورية هي أخطر نقطة في الشرق الأوسط، وهي تخاف من تسرب الشيوعية اليها، فأجاب الكزبري ان اميركا صديقة للعرب وانه على استعداد للتعاون، ولكن السيارة لا تمشي بدون بنزين، ففهم الاميركي مقصد الكزبري وأعطاه في اجتماع لاحق مبلغ 20 ألف ليره سورية، ثم هيا الدندشي اجتماعاً آخر بلطفي الحفار حيث قال له الأميركي:

إن الولايات المتحدة تعتبره مستشاراً لها في سورية ، وانه لشرف لها أن تتعاون مع شخصيات قوية، وانهما ستضع كل الامكانيات تحت تصرفه، فقال الحفار انه يعقد اجتماعات دائمة مع المشايخ والتجار ليخلق حركة قوية لمقاومة الشيوعية، فأعطاه الاميركي مبلغ 90 ألف ليرة، فأعطى الحفار منها للدندشي 10 آلاف وقال له، ان مثل هذه الخدمة التي يطلبها (كاسن) تحتاج الى الملايين، وانه سيرفض مقابلته ثانية اذا لم يحضر اليه مبلغ محترماً. وفي اليوم الثاني دفع له كاسن مبلغ (170) الف ليرة - كدفعة أولى ستعقبها دفعات ثانية - مقابل اتصالاته برجال الدين والتجار وبعض النواب لصالح السياسة الاميركية، وقال له انه على اتصال ببعض النواب وذكر له اسماء رشاد جبري وميخائيل ليان ومجد الدين الجابري وأحمد قنبر.

بعد بضعة ايام طلب الحفار من الدندشي - تلفونيا - ان يحضر لمقابلته في البيت فوجد لديه كاسن الذي قال لهما ان لديه تعليمات بأخذ رأيهما في

كيفية تغيير الحكومة (حكومة التجمع التي تشكلت نتيجة الميثاق الوطني) بحكومة أخرى يشترك بها حزب الشعب وبعض المستقلين، وان دهام الهادي (عشيرة شمّر) ومجحم بن مهيد (عشيرة عنزه) مسيطران ومتحكمان بكتلة نواب العشائر في المجلس ومستعدان لاسقاط الحكومة القائمة لتشكيل حكومة يرئسها الحفار ، فقال الحفار انه بدأ يمهد للسياسة الاميركية المطلوبة، وانه دفع لسعيد التلاوي (صاحب جريدة الفيحاء) عشرة آلاف ل.س، لأنه كتب مقالين بتأييد السياسة الاميركية. كما دفع مبلغا من المال لابن اخيه (لعله وجيه الحفار صاحب جريدة الانشاء).

وذكر الدندشي ان الاميركي كان يبدي اعجابه بجهود الكزبري والحفار ويظهر لكل منهما على حدة ان كلا منهما هو الموعد برئاسة الحكومة الجديدة، كما ان الكزبري هو وأخاه الدكتور (أيمن) قابلا الاميركي "صدفة" في الطريق، فطلب الكزبري مبلغا جديدا كما طلب أن تكون كل الاتصالات عن طريق الدكتور أيمن باعتبار ان التردد على الطبيب لن يكون موضع شك ، وذكر الدندشي في التحقيق ان الاميركي قال له انه سلم الكزبري بعد ذلك دفعيتين الاولى 65 الفا والثانية 90 الفا.

وخم عبد الناصر هذه الحقائق المذهلة المأخوذة من ضبط التحقيق

قائلا :

هذه هي خلاصة القضية التي وردت بها أيضا أسماء كثيرة لم أشر إليها.

بعد ذلك تعرض عبد الناصر في خطابه لمؤامرة حلف بغداد عام 1956 ضد الحكم الوطني الديمقراطي في سورية فقال :

انه في كانون الثاني 1965 أُلقت الحكومة القبض على 29 متهما بينهم عدنان الأتاسي وحسن الأطرش وميخائيل ليان وغيرهم، وأن خطة المتهمين كانت تتلخص في أن يدخل الضابط غسان جديد مدينة حمص مع قوميين سوريين مسلحين ويدخل صلاح الشيشكلي مدينة حماه مع مسلحين، وذلك عندما يكون الجيش السوري خلال العدوان مشتتكا بحرب مع اسرائيل(1) .

(1) لمزيد من التفاصيل عن مؤامرات المخابرات المركزية على الحكم الوطني في سورية، يرجع الى كتاب جبال من رمال لمؤلفه ولبركرائين ايفلانند مسؤول المخابرات المركزية في الشرق الأوسط

كما تعرض عبد الناصر في خطابه لرئيس الوزراء معروف الدواليبي ووجه اليه بعض الاتهامات التي تناولت العلاقة مع عراق نوري السعيد (صحيفة الجمهورية المصرية 1962/2/23).



وفي جلسة مجلس النواب بتاريخ 1962/2/26 ألقى الدكتور معروف الدواليبي رئيس الوزراء خطاباً رد فيه على اتهامات جمال عبد الناصر له ثم تلاه عبد الكريم الدندشي بكلمة مكتوبة اعترف فيها بشكل مذهل ومفاجئ بوقائع التآمر مع المخابرات المركزية، وقد ورد في خطاب الدواليبي ما يلي :

"ليس في سورية العربية من يريد اتخاذ هذه الظروف نقطة انطلاق للتفريق بين العرب، وخاصة افساح المجال للتهجم على سورية التي تحررت من الاستعمار بشكل حاسم ونهائي قبل أي قطر عربي آخر". "سورية التي كانت ولا تزال مشعل الوحدة ومنارتها هي التي حطمت مشروع الدفاع المشترك الذي أراد الأجنبي أن يكبل به مصر بعد اعلانها الغاء المعاهدة الانكليزية المصرية عام 1951، وسورية هي التي حطمت حلف بغداد، ووقفت الى جانب مصر ضد هذا الحلف، ولولا ذلك لما كان هنالك من ينادي بسياسة التحرر الى جانب مصر". "لولا وقوف سورية الى جانب مصر اثناء العدوان الثلاثي ونسفها انابيب البترول لما كان في مصر من ينادي بالحركة التحررية".

بعد ذلك بدأ الدواليبي بتفنيد التهمة التي وجهها اليه جمال عبد الناصر بالاستناد الى محاكمات بغداد فقال :

"لقد أقحم اسمي اقحاما فإن رفيق عارف (رئيس اركان الجيش العراقي) قال في المحكمة : اسألوا معروف الدواليبي، فقد جاء سنة 1953 وطلب جيشا لاجراخ أديب الشيشكلي ، فلم ألب طلبه، وهكذا أقحم اسمي بهذا الشكل في موضوع إعادة اديب الشيشكلي، مع أنه أراد أن يستنصر بي ويذكر طلبي إليه في اقحام جيش العراق لطرد أديب الشيشكلي لا لإعادته فرفض".

---

ما بين 1950-1980 ترجمة الدكتور سهيل زكار (مشق). وفي الكتاب تفاصيل كثيرة عن المؤامرة على الحكم الوطني التي كان الاميركيون يعدونها بواسطة ميخائيل ليان والمتزامنة مع العدوان الثلاثي على مصر، كما فيه بعض التفاصيل عن اتصالات الاميركي كاسن الذي ورد اسمه في خطاب عبد الناصر.

إن أقوال رفيق عارف، التي أشار إليها الدواليبي، قد وردت خلال محاكمته عام 1958 على الشكل التالي وفيها يحاول عارف أن يبرهن انه كان دائما ضد تدخل الجيش العراقي في سورية:

"كنت قد وجدت عند الالتحاق بمنصبي أن عبد الاله ونوري السعيد ورؤساء الحكومات العراقية، قد تعمقوا الى درجة كبيرة في موضوع الاتصالات بالسياسيين السوريين، وقد بذلوا مبالغ كبيرة في سبيل ذلك. وخلال الأيام الأولى من تعييني في منصبي استدعيت الى بغداد من قبل وزير الدفاع آنذاك حسين مكّي الذي أمرني أن أذهب الى مقابلة أحد الزعماء السوريين والموضوع يتعلق بالاتحاد.

وفي بغداد ذهبت الى أحد البيوت حيث وجدت الشيخ معروف الدواليبي الذي شرح لنا الموقف في سورية، وقال ان الشعب برمته يريد دخول الجيش العراقي الى سورية، وادعى ان الفعاليات التي بذلت من قبل لتحقيق الاتحاد لم تكن ناجحة ولا بد لتحريك لواء عراقي واحد وانه سيقوده هو أي الدواليبي نفسه، فلم أقتنع برأيه ورأيت ان ذلك سيؤدي الى صدام بين جيشين عربيين فرفضت الفكرة رفضا باتا. ثم اقترح الدواليبي لباس الجنود العراقيين ملابس الجنود السوريين ويقوم هو بقيادتهم، فلم نقبل طبعاً هذه الفكرة وكان حسين مكّي وزير الدفاع متفقاً معي بالرأي ثم استدعينا الى قصر الرحاب، وكلانا مصمم على رفض الفكرة، فانزعج عبد الاله لقرارنا هذا" (ص 420 الجزء الثاني محكمة الشعب).

قد يتبادر للقارئ ان نفي معروف الدواليبي لاتهامات عبد الناصر فيه شيء من الغموض ولكن الحقيقة ان معروف الدواليبي قد وضح هذا الموضوع بلا لبس ولا ابهام في رسالة علنية وجهها الى المحكمة في العراق قبل أربع سنوات من اتهام عبد الناصر (ايلول - 1958 خلال محاكمة رجال العهد السابق في العراق) وكان هدفها كما يقول الدواليبي "أن تقطع على المستثمرين طريق الاستثمار".

وهي رسالة هامة بالنسبة لحقيقة الموقف العراقي آنذاك (عام 1953) فلم يكن غرض عبد الاله وطغمته، من دعوة الدواليبي الى العراق، تخليص سورية من ديكتاتورية الشيشكلي

بمقدار ما كان غرضهم الحصول من الدواليبي على وثيقة كتابية يطلب فيها دخول الجيش العراقي الى سورية بصفته رئيسا شرعيا للوزراء فيها (الوزارة التي قضى عليها انقلاب اديب الشيشكلي أواخر عام 1951) ويقول الدواليبي في تلك الرسالة انه اشترط على عبد الاله شروطا اضاعت عليه امكان الاستغلال، مما جعل عبد الاله ينقطع عن مقابله.

أما وضع الدواليبي في العراق خلال هذه المفاوضات فتدل عليه هذه العبارات المتفرقة التي وردت خلال الرسالة.

عرض علي اللجوء فقلت انني ما جئت لذلك .. لقد حاولت السفر فأخذ القصر يميني بالانتظار حتى اعتقدت انني وقعت بمكيدة .. لذلك حاولت التلطف معهم لأجل الخروج من العراق .. وانني سأكون معهم .. وهكذا سمح لي بالخروج بعد خمسين يوما كنت فيها كالسجين ولم أكن أصدق انني سأصل سالما الى مقري" (ص 1080 الجزء الثالث محكمة الشعب).

كما ورد في رد الدكتور معروف الدواليبي في تلك الجلسة ما يلي :

"إن محطة اذاعة القاهرة أذاعت بيانا رسميا اتهمت فيه ثورة الشعب السوري عام 1954 ضد أديب الشيشكلي بأنها ثورة رجعية استعمارية، ولقد ذهبت عندما كنت في بيروت متخفيا بعد سماعي هذا البلاغ الرسمي الى السفارة المصرية وقلت لجمال حماد الذي كان ملحقا عسكريا لمصر في سورية ولبنان :

"إن مساندتكم لأديب الشيشكلي هي مساندة للاستعمار، وان أديب الشيشكلي سيسقط بعد بضعة أيام فلا تجعلوا سقوطكم تبعا لسقوطه".



بعد انتهاء الدواليبي من القاء كلمته تبعه عبد الكريم الدندشي بكلمة مكتوبة جاء فيها :

"كنت خلال الايام الثلاثة الماضية مترددا بين اتخاذ موقف المدافع عن نفسي وعن دولة الرئيس الكزبري، أو أن اتخذ موقفا موضوعيا بحثا أصف فيه الوقائع وأضع من خلاله النقاط على الحروف، ولكنني قبل هذه الجلسة بدقائق قررت أن أسرد الوقائع فقط" ثم قال مخاطبا عبد الناصر:



"لقد اتخذت من اعترافاتي في سجن المزة عام 1957 ذريعة لتحرك بها جماهير الشعب العربي، وذلك لتبعدهم عن أخطائك أثناء الوحدة، وجعلت موضوع اثارتك قضية مضى عليها اربع سنوات وأنت عالم بها متستر على عملاتها واضعا يدك بيد أكثر عناصرها" ثم قال : إليك يا أخي العربي حقيقة واضحة وإليك وقائعها بخطوط عريضة :

في سنة 1957 وبعد العدوان الثلاثي على مصر الغالية كان الوضع في سورية كما يلي:

رئيس أركان الجيش السوري عفيف البزرة شيوعي يحمل بطاقة حزبية رسمية (غير صحيح). خالد بكداش كان نائبا في البرلمان السوري. المقاومة الشعبية السورية بأكثرية اعضائها المسلحين تسليحا كاملا من أعضاء الحزب الشيوعي (وهذا افتراء كبير من الدندشي) وكانت سورية بلدنا الغالي قاب قوسين أو أدنى لتصبح إحدى الجمهوريات الاشتراكية في العالم الشيوعي ! ثم اعترف قائلا :

"إنني اتصلت بأحد المسؤولين في الشعبة الثانية (مخابرات الجيش السوري) وأخبرته بالاتصال الأميركي بي فبلغني المسؤول (لم يذكر الدندشي اسمه) ان لا مانع من الاجتماع به" ثم قال :

لا تؤاخذني يا جمال إن لم أكن دقيقة مئة بالمئة بحرفية النص فقد مضى على الحادث أربع سنوات" وتابع :

"إن كاسن الأميركي قال لي انه قادم بمهمة رسمية ، وأن اميركا كما تعلم يا عبد الكريم ليست دولة استعمارية ولكنها تحارب الشيوعية ، وأميركا تعتقد أن سورية تسير نحو الشيوعية، وأميركا تعتبر سورية النقطة الحيوية في منطقة الشرق الأوسط .. كما قال كاسن :

إن حكومتي على يقين بأن منع انحدار سورية نحو الشيوعية لا يمكن ان يتأتى بصورة حسنة مفيدة الا من قبل السوريين، وترى اميركا ان الطريق لذلك هو الاتصال ببعض السياسيين والعسكريين كما طلب مني كاسن بعد أن ألمح لي معرفته بحسن صلاتي بعدد وافر من كبار الضباط في ذلك الوقت وصلتني الحسنة بالرئيس شكري القوتلي أن أساعد للاتصال بالقوتلي وبعض العكسريين، وقد أبلغت السيد الرئيس في ذلك الوقت رغبة الاميركي،

فأحالني إلى أمينه العام فؤاد الحلبي ولا أعرف إذا تمت المقابلة أم لا؟ لأن كاسن لم يعد يطلب مني ذلك" وعاد الدندشي ليخاطب عبد الناصر:

"اسألك يا عبد الناصر ما قولك وقد قارعت سورية قبل الوحدة وأثناءها السياسة الأميركية ورفضت النقطة الرابعة (المساعدات الأميركية) وأخذتها أنت ، وقاومت سورية المبادئ الشيوعية بدون أجر وقاومتها أنت ماجورا بـ (680) مليون دولار أخذتها من المنظمات الأميركية.



بعد انتهاء الدندشي من الادلاء باعترافاته وسط ذهول النواب، خرجت من قاعة المجلس ودخلت الى غرفة امين السر فائق النحلوي فتبعني الدندشي وهو يبكي ويقول :

**"انني خلفت لأولادي وصمة عار لا تمحى، وهي خيانة أبيهم لوطنه"**



**لقد خرجت من هذه الجلسة متسائلا عن أهداف اعترافات الدندشي؟**

**ومن هي الاطراف التي كانت وراء دفعه لهذه الاعترافات المذهلة؟**

لم أشك ملطفا بأن الدندشي لا يمكن أن يدلي بهذه الاعترافات الا بضغط من قيادة الجيش (النحلوي وجماعته) . والمعروف أن الدندشي كان عميلا مزدوجا للمكتب الثاني والمخابرات المركزية، كما أن عبد الناصر كان مقدرا التفاعلات التي ستحدثها اذاعة التفاصيل المذهلة لمؤامرة الدندشي، وكان مقدرا سلفا ان ذلك سيكون لغما لتفجير الوضع في سورية .. لقد استهدف خطاب عبد الناصر وما تلاه من اعترافات عبد الكريم الدندشي اذانة اركان النظام الجديد في سورية: مأمون الكزبري وغيره ممن وردت أسماؤهم فلم يدحضوا اتهامات عبد الناصر ولم يصدروا أي تكذيب لها.

لم تكن ايضا اعترافات الدندشي بعيدة عن المخبرات المركزية الأميركية التي طالما بررت تأمرها على النظام الوطني الديمقراطي في سورية بحجة انحدارها نحو الشيوعية، وهو الادعاء الذي كانت الولايات المتحدة تجعله مبررا لكل محاولاتها الانقلابية ضد الأوضاع التحررية والديموقراطية في العالم الثالث، غير مقدرة ان نقمة الشعب العربي في سورية سببها دعم اسرائيل بكل الوسائل لتحقيق مطامعها التوسعية على حساب الأمة العربية.

والآن اذا كان جمال عبد الناصر ناقما على سورية بعد الانفصال، فإن الولايات المتحدة كانت اكثر نقمة عليها لمحاولتها بعد الانفصال أن تعيد سيرتها الأولى خلال الخمسينات، بعد أن أصبحت تتمتع بحدود دنيا من الحرية، تسمح لها بفضح السياسة الاميركية المعادية للأمة العربية والوقوف بحزم ضد اسرائيل في قضية تحويل نهر الأردن.

وهكذا بدأ عهد الانفصال بتأييد من بريطانيا وبغضب ونقمة من الولايات المتحدة وجمال عبد الناصر، وغني عن البيان ان نقول بأن اسرائيل كانت وراء تحريض الولايات المتحدة ضد الوضع في سورية لانها تعتبر أن عبد الناصر كان الكابح لموقف سورية بالنسبة لقضية فلسطين وتحويل نهر الأردن. وخلاصة القول:

إن اعترافات الدندشي نزلت كالصاعقة على رؤوس الرجعية الحاكمة في سورية، ولكنها أتت في الوقت نفسه لصالح القوى الديموقراطية التقدمية وكان باستطاعة الدندشي أن يدعي بأن اعترافاته التي أوردها عبد الناصر إنما كانت بتأثير التعذيب ، ولو فعل ذلك لما كان لخطاب عبد الناصر الأثر الكبير الذي أحدثه في الرأي العام السوري.

**لقد كان الهدف من خطاب عبد الناصر وما تلاه من اعترافات عبد الكريم الدندشي التمهيد لانقلاب عبد الكريم النحلاوي وضباطه في 28 آذار 1962 كما سيأتي تفصيله.**

**تسلسل الوقائع والأحداث الهامة حتى انقلاب 1963/3/28 :**

لقد كانت هنالك سياسة سرية وأخرى علنية أدت الى انقلاب الثامن والعشرين من آذار 1962 تلك السياسة الخفية التي لم تخرج بعض وقائعها الى النور الا بعد عام 1968 إثر صدور مذكرات عبد الكريم زهر الدين (قائد الجيش السوري بعد الانفصال) وكتاب محمد حسنين هيكل سنوات الغليان (عام 1988).

وسأبدأ الآن باستعراض الاحداث التي كانت ظاهرة على السطح ، ثم انتقل الى ما كان يجري في السر لرسم سياسة البلاد في مجلس الأمن القومي الذي لم تكن في البداية نعلم بوجوده لأن ناظم القدسي بالاتفاق مع الجيش شكل هذا المجلس ليقوم برسم سياسة البلاد، وبشكل سري، بمعزل عن الحكومة وعن مجلس النواب، وذلك تقليداً لمجلس الأمن القومي الأميركي مع الفارق الكبير بين الأمرين، لأن مجلس الأمن القومي الأميركي يلتزم في خطته بأراء وقرارات مجلسي النواب والشيوخ، وليست فضيحة تزويد ايران بالأسلحة التي حصلت في الولايات المتحدة في منتصف الثمانينات ، وجرت محاكمات هامة بسببها الا نتيجة لانفراد هذا المجلس بالعمل خلافا لقرارات الكونغرس واتجاهاته السياسية.

لقد كان تصرف ناظم القدسي مخالفاً لأحكام الدستور السوري لعام 1950 الذي كان ما يزال ساري المفعول والذي اعتبر أساساً للدستور الجديد المزمع وضعه، وقد جاء في مذكرات عبد الكريم زهر الدين (ص 184 الطبعة الأولى):

"لجاناً الى تشكيل مجلس الأمن القومي لتوجيه سياسة البلد بصورة غير مباشرة ، وكانت الأكثرية الساحقة من اعضائه

من العسكريين" لقد كان تشكيل هذا المجلس مخالفة دستورية تفضح ادعاءات الاحزاب اليمينية بأنه ضد ازدواجية الحكم وأنها أحزاب ديموقراطية وقد ارتكب ناظم القدسي هذه المخالفة الدستورية بالوقت الذي كانت فيه لجنة الدستور تعقد اجتماعاتها منذ 1962/1/11 برئاسة مأمون الكزبري ونائبه سعيد الغزي وبمقرريها خليل كلاس وأسعد الكوراني بالتعاون مع لجنة فرعية تضم 17 عضوا من مختلف الكتل النيابية لوضع الدستور الجديد للبلاد.



كان شهر شباط وأذار من عام 1962 حافلين بالاحداث التي انتهت بانقلاب 28 آذار 1962 وفي ما يلي أهمها :

### **قضية تحويل مياه نهر الاردن .**

لقد كان هاجس الجيش السوري والشعب والمجلس والحكومة الوقوف بحزم تجاه العدوان الاسرائيلي لتحويل مجرى نهر الأردن وسحب مياهه الى صحراء النقب، وقد اتجهت معالجة هذه القضية -على المستوى العربي- إلى تحسين العلاقات مع العراق باعتباره من دول المواجهة، أو بتعبير أصح باعتباره العمق الاستراتيجي العسكري والبشري والاقتصادي لسورية، **فصدر بتاريخ 62/1/25 بلاغ عراقي سوري مشترك يقضي بإقامة تعاون دفاعي عسكري بين سورية والعراق واتفاق سياسي واقتصادي وتعاون مشترك بمشاريع الري وسد الفرات**، بالوقت الذي ارسلت فيه سورية وفدها الى الجامعة العربية برئاسة عدنان الأزهرى الذي صرح عند وصوله الى مصر :

"على الرغم من الجو القائم للعلاقات السورية المصرية فإنني أذهب من بلد عربي صميم الى بلد عربي صميم".

لقد كان من المقرر أن تعقد الجامعة العربية دورة استثنائية لمجلس الدفاع العربي، بناء على المذكرة التي تقدمت بها سورية الى الجامعة تبلغها أن اسرائيل جادة في إقامة المنشآت اللازمة لضخ مياه الأردن من بحيرة طبريا لايصالها الى النقب، وقد وافق

مجلس الجامعة أثناء اجتماعه بتاريخ 1962/2/26 على دعوة المجلس المذكور الى جلسة استثنائية تعقد في 1962/3/15. ولكن أمين الجامعة العربية صرف النظر عن عقد هذا الاجتماع بداعي أن القرارات السابقة التي اتخذها مجلس الجامعة ضد كل محاولة لتحويل نهر الأردن قد أصبحت آلية، ولا موجب لدعوة مجلس الدفاع العربي من جديد، وكان السبب الحقيقي لهذا الالغاء هو امتناع مصر عن حضور الاجتماع بسبب الخلافات بين الحكومات العربية كما كتبت الصحف المصرية الصادرة في تلك الفترة، بينما كتب حسنين هيكل في صحيفة الأهرام مقالا بتاريخ 1962/3/10 طالب فيه بتشديد هذه الخلافات :

**"إن الخلافات الحاضرة ليست مدعاة للخوف وان طبيعة الثورة العربية جعلت مثل هذه الخلافات حتمية، واننا بدلا من محاولة انهاء الخلافات يجب أن نشدها بحيث يحقق الموقف الأصوب انتصاره النهائي وعلينا ألا نحاول تغطية نواقصنا التي يجب منحها أوسع انتشار بل ننشرها على أوسع مدى".**

إن هذا لا يعني بصريح العبارة الا تطمين الأعداء بأن الحكومات العربية ستبقى منشغلة بخلافاتها عن وقوفها صفا واحدا تجاه الأخطار التي تهددها من قبل المطامع الصهيونية، كما جاء في المقال :

"إننا لسنا في حاجة الى تضامن عربي وان ما نفتقر اليه ليس وحدة الصف بل وحدة الهدف" وجاء ايضا : "لقد وصلت الولايات المتحدة مرة أخرى الى حد أنها عرضت معونتها على عبد الناصر بغير حدود شرط أن يلتزم بدعوته بحدود مصر".



إن الغاء اجتماع مجلس الدفاع العربي الذي كان مزمعا عقده قد برر للحكومة السورية أن تتجه الى العراق لعقد اتفاقات اقتصادية وعسكرية وسياسية وأن تهيء لاجتماع بين رئيس الجمهورية السورية ناظم القدسي وبين عبد الكريم قاسم في بلدة الرطبة على الحدود السورية بتاريخ 1962/3/14.

هذا على المستوى العربي أما على المستوى الدولي فقد قررت سورية ارسال وفد سوري الى موسكو مؤلف من وزير الدفاع رشاد برمدا ومن كبار ضباط الجيش السوري والمسؤولين عن القضايا الاقتصادية.

وقد صرح رشاد برمدا بعد عودته من موسكو بما يلي:

"لقد تناولت محادثاتنا هنالك مسائل اقتصادية وثقافية وسواها. ويمكن أن نعتبر ان نتائجها محسوسة وظاهرة منذ الآن، وقد صدر بيان مشترك أعلن فيه الاتحاد السوفيتي والجمهورية السورية ارادتهما في توطيد تعاونهما الاقتصادي وتوسيع مداه وان وجهات النظر بينهما متماثلة تماما".

وكانت موسكو قد رحبت بالوفد ترحيبا حارا وتعهدت بدعم سورية تسليحيا واقتصاديا في مواجهة العدوان الاسرائيلي، ولا شك بأن موسكو أصبحت أكثر تأييدا للوضع الجديد في سورية بعد الاتفاق السوري العراقي، إذ كان نظام عبد الكريم قاسم مدعوما من قبل الاتحاد لسوفيتي، **وكانت سلسلة الاعتداءات الاسرائيلية في شهر آذار 1962 عند اقتراب موعد تحويل نهر الأردن من قبل اسرائيل الدافع لتوجهات السياسة السورية عربيا ودوليا..**

كان أكبر هذه الاعتداءات على الأراضي السورية في المنطقة المجردة هو الاعتداء الذي تم ليلة 16-17/3/1962، ومن مكان يشرف على مستمرة عين غيف شاهد المراسلون والصحافيون نتائج المعركة ن حيث كان الدخان ما يزال يتصاعد رغم مضي عشر ساعات على المعركة . وقد صرح قائد القطاع للصحافيين بأن الهدف من هذا الاعتداء هو اثارة الذعر بين سكان المنطقة المجردة بغية اخلائها حتى يتسنى للاسرائيليين الحاقها بالأرض المغتصبة فهي أرض خصبة بالاضافة الى ميزانيتها العسكرية. ثم قال واصفا المعركة:

"في الساعة الحادية عشرة من ليل الجمعة اصطدمت كمائننا بدوريات استطلاعية للعدو مما دل على النية المبيتة لعدوان واسع، وفي

الساعة 12 بدأت المدافع تقصف قرية النقيب العربية لعزل المنطقة المعتدى عليها ومنع وصول الامدادات، وفي الوقت نفسه خرجت دبابات من مستعمرة عين غيف يزيد عددها على 40 دبابة فأعطيت الأوامر بالقصف لايقاف زحف الدبابات التي اضطرت للانتشار في ارض المعركة وراحت تطلق النار على القرى العربية والمخافر الأمامية، وعندما عجزت عن التقدم بدأت مدفعية العدو تقصف قرى فيق والعال وبيرشكوم والهضاب العربية الأخرى، ولكن قوات المشاة الباسلة اقامت امامه سدا من النيران، فاضطر الى الانسحاب فلاحقنا العدو بمدفيعتنا التي ظلت ترميه حتى الساعة الرابعة من صباح السبت عندما انسحبت دبابات العدو من عين غيف باتجاه الارض المحتلة، فلاحقته مدفيعتنا خطوة خطوة وأعاقت انسحابه، مما اضطره الى الاستنجاد بالطيران لحماية انسحابه، وقد شن الطيران هجوما انتقاميا على بعض قرانا فألقى القنابل على قرى الحمة والعال وفيق، ولكن سلاح طيراننا لاحق العدو وأجبره على الفرار، ومنذ بدء المعركة وحتى الساعة السابعة صباحا كانت سيارات الاسعاف الاسرائيلية وزوارق الركاب تنقل ما استطاعت نقله من الجثث وانا نقدر عدد القتلى والجرحى بمئتين".

أما الناطق الاسرائيلي فقد أعلن ان هدف هذا الهجوم كان تدمير المواقع التي قصفت سابقا الزوارق الاسرائيلية (جرت اعتداءات قبل عدة ايام من قبل الزوارق الحربية الاسرائيلية التي كانت تجوب بحيرة طبريا بالقرب من شواطئها السورية لقصف المواقع المطلة على البحيرة).

وقال ان بحيرة طبريا كانت الاسبوع الماضي مسرحا لنشاط القوات السورية، وطالب بإقامة مراكز تابعة للأمم المتحدة في تلك المنطقة وقد صرح الناطق لهيئة الرقابة الدولية في القدس ان الأمم المتحدة أجرت مفاوضات لوقف اطلاق النار، كما صرح ضابط اسرائيلي ان اكثر من 500 قنبلة سقطت على مستعمرة عين غيف الاسرائيلية.



عرض الجيش السوري في ساحة المرجة بدمشق المخلفات الاسرائيلية من الدبابات والمدرمعات نصف مجنزرة التي



حطمتها القوات السورية، وقد أثارت هذه المعركة الحماسة في سورية وفي خارجها، إذ أعلن لبنان تأييده الكامل لسورية ووقوفه الى جانبها، "أعلن ذلك من اذاعة بيروت تعليقا على الاعتداءات، وحذر التعليق من محاولات اسرائيل تنفيذ أغراضها من تحويل نهر الأردن، وأعلن ان الاعتداءات الاسرائيلية ستصدم بوقوف الدول العربية صفا واحدا تجاه أي محاولة اسرائيلية عدوانية" (الحياة 1962/3/18) وقد وقفت الصحف اللبنانية جميعها معلنة بحماسة تأييدها لسورية في مجابهة العدوان الاسرائيلي.

بعد هذا العدوان تتالت الاعتداءات الاسرائيلية فوقع اشتباك جديد في طبريا فأصاب الجيش السوري زورقا حربيا للعدو عندما اقترب من موقع الكرسي وأطلق نيرانه على المخفر السوري. وبتاريخ 1912/3/21 حدثت معركة جوية أعلنت بعدها وزارة الخارجية السورية أن هذا خامس اعتداء اسرائيلي يقع على سورية في اسبوع واحد، فقد اخترقت الأجواء السورية في الجبهة اربع طائرات فتصدت لها الطائرات السورية على الفور، وبعد معركة خاطفة شوهدت اصابة طائرتين من طائرات الاسرائيليين سقطت احدهما والنار تشتعل فيها في منطقة الجاعونه.

### **خطاب معروف الدواليبي في المجلس النيابي :**

في جلسة 1962/3/21 ألقى رئيس مجلس الوزراء الدكتور معروف الدواليبي خطابا استعرض فيه الأحداث الهامة خلال الاسابيع الثلاثة الماضية من شهر اذار وكان أبرزها:

1- الاجتماع السوري العراقي على الحدود في 14 و 15 من الشهر وصدر البيان المشترك حوله.

2- العدوان الاسرائيلي الكبير الذي وقع على سورية ليلة 16-17 اذار بعد أن مهد له العدو بالاعتداءات المتكررة على المخافر السورية من قبل الزوارق الاسرائيلية في بحيرة طبريا، وفي ما يتعلق بهذا العدوان قال الدواليبي :

"لقد قدمنا بسبب هذا العدوان مذكرات الى دول الجامعة والى مجلس الامن والى دول الأمم المتحدة، غير أن صوتا عربيا واحدا -سامحه الله- اخذ

يهزأ منا وبتهمنا بالتباكي على مياه الأردن، وبشكك فينا وكأننا مع اسرائيل على وفاق، ويمتنع عن تسليم اسلحتنا وذخائرنا وطائراتنا وقطعاتنا البحرية التي دفع الشعب السوري العربي قيمتها والتي تتجاوز 200 مليون ليرة سورية وفرها الشعب من عرق جبينه ولقمته، واذا بها تمنع عنه اليوم رغم المطالبة بها وشديد الحاجة الدفاعية لها، وقد كتمنا ذلك من قبل تجنباً لكل استثمار قد يزيد في بعد الشقة (اي بيننا وبين مصر) ثم استطرد قائلاً :

"ولما كنا مؤمنين بأن الخطر الاسرائيلي الراض على حدودنا انما هو خطر يهدد العرب اجمعين ويستهدف سورية بالدرجة الأولى، ولما كان ميثاق الضمان الجماعي قد اصبح مجمداً في هذه الآونة مثله في ذلك مثل ميثاق الجامعة نفسها بحكم الظروف السياسية المؤسفة المسيطرة على دول الجامعة والمانعة من اجتماع مجلس الدفاع المشترك، لذلك كان رأينا أن نبدأ بكل اخلاص وبأسرع ما يكون بتقليب وجوه الأمر مع من يرغب ذلك ويكون وضعه العسكري والسياسي مفيداً ومساعداً على هذا الالتقاء الأولي، فلم نجد أمامنا غير مصر والعراق، غير أن مصر عزلت نفسها ووقفت تتهم سورية بالسير في ركاب الصهيونية والاستعمار في الوقت الذي كانت اسرائيل تجمع قواها لتنقض على سورية، لذلك اتجهنا الى العراق ورأينا ان يكون لقاءنا مستهدفاً أولاً التفكير في المبادئ الصالحة لا للالتقاء مع العراق وحده وانما للالتقاء مع كل بلد عربي حسب ظروفه ، فوجدنا انه من الممكن ان نلتقي مع بعض الدول العربية في اتفاق عسكري واقتصادي وسياسي وثقافي، وان نلتقي مع أكثرها في اتفاق سياسي ومع فريق آخر باتفاق اقتصادي وثقافي وهكذا صحت عزيمنتنا على ان ندعو الدول العربية الى مؤتمر عام وان تكون الدعوة عامة لجميع الدول العربية وان يختار كل منها ما يناسبه من اتفاقات حسب ظروفه واوضاعه وان يشترك في وضع تلك الاتفاقات بمنتهى الصراحة والرضا".

"لقد حاولنا أن نخص الكويت في خلافها مع العراق بفقرة خاصة هي الفقرة الثالثة من البيان المشترك الصادر بعد اجتماع الرئيسين السوري والعراقي" ثم تلا الدواليبي نص البيان المشترك :

البيان المشترك

بسم الله الرحمن الرحيم

في يومي 8 و 9 من شوال سنة 1381 الموافق 14 و 15 اذار سنة 1962 وفي منطقة الرطبة اجتمع السيد ناظم القدسي رئيس الجمهورية العربية السورية وسيادة الزعيم اللواء الركن عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة في الجمهورية العراقية وحضر الاجتماع السيد الدكتور معروف الدواليبي رئيس الوزراء وزير خارجية الجمهورية العربية السورية وسيادة هاشم جواد وزير خارجية الجمهورية العراقية وبرفقة كل منهما مستشارون مدنيون وعسكريون.

1- بحث المجتمعون الوضع السياسي العام في البلاد العربية، واستعرضوا الصعوبات والمشكلات التي تعترض العلاقات بينها، ورأوا ان بحث هذه الأمور على الصعيد الرسمي بوضوح وصراحة بين ممثلي الدول العربية واطلاع الرأي العام العربي عليها يسهل حلها، كما رأوا أن الظروف الدولية الحاضرة، وخطر اسرائيل المتزايد واستمرارها في تنفيذ مشاريعها العدوانية يفرض الاسراع في سلوك السبيل القويم العملي للحفاظ على مصلحة العرب العليا.

وبعد أن استعرض المجتمعون مختلف الوسائل التي جربت لمعالجة هذا الوضع رأوا :

أ - دعوة الدول العربية الى مؤتمر يعقد خلال ثلاثة أشهر في المكان والزمان الذي تقرره اكثرية الدول التي تلبى هذه الدعوة.

ب- تعيين لجنة تحضيرية لهذا الغرض، يسمى اعضاؤها خلال اسبوعين من تاريخ هذا البيان، وينضم اليها مندوب عن كل دولة عربية توافق على الاشتراك في هذا المؤتمر، وتقوم هذه اللجنة بالاعمال التمهيدية للمؤتمر وتهيئة ابحائه وتقديم الاقتراحات الكفيلة بايجاد حلول عملية للقضايا المعروضة عليه.

2- وقد تذاكر المجتمعون في المشاريع التي تطلع بها جهات معينة بين وقت وآخر كمشروع سورية الكبرى والهلال الخصيب او مشاريع امارات الخليج فرأوا أن كل ذلك يدخله الاستعمار على بعض ذوي النوايا الحسنة أو المطامع الخاصة، وليس من هدف له الا اعاقا السير العربي الصحيح نحو التدرج الى اتحاد يطمئن آمال الشعوب العربية ويحقق اهدافها التاريخية. وقد

رأى المجتمعون ضرورة تنبيه العرب الى اخطار مثل هذه المشاريع التي يستتر وراءها الاستعمار لانها ليست نابعة من مصالح الامة العربية.

**3- وتناول البحث خطر الاستعمار بصورة عامة في المنطقة العربية، والاستعمار البريطاني بصورة خاصة في منطقة الخليج العربي، وحق العراق في الكويت، وقد اتفق الجانبان على ان هذه القضية تهم السلامة العامة في البلاد العربية، كما تهم سلامة العراق، وان من مصلحة العرب ان تحل هذه القضية بالطرق السلمية، وان يجري بحثها على الصعيد العربي في المؤتمر القادم.**

4- ورأى المجتمعون ان يتقدموا للمؤتمر بالاقترحات التالية :

#### أ - الناحية العسكرية :

أولاً- وجوب قيام اتفاق عسكري بين الدول العربية المتحررة والراغبة في ذلك واقامة قيادة عامة مشتركة بينها تكون قادرة على العمل في كل ظرف من الظروف. وان يضع المؤتمر توقيتا سريعا ومعقولا لقيام هذه القيادة.

ثانياً- وان تؤلف بعد قيام الاتفاق العسكري لجان مشتركة لبحث الطرق السريعة والكفيلة لتطوير هذا الاتفاق بصورة تدريجية للتوصل الى ايجاد قوة عسكرية موحدة للدول الداخلة فيه.

ثالثاً- يرى المجتمعون ان قيام الاتفاق العسكري والقيادة العامة المشتركة هو التعبير الصحيح عن الشعور بمسؤولية الدول العربية المتحررة لدرء الاخطار العاجلة والأجلة المحيطة بالوطن العربي.

#### ب- الناحية الاقتصادية :

أولاً- وجوب قيام اتفاق اقتصادي بين الدول العربية الراغبة في ذلك، يشرف على تنفيذه وتطويره مجلس اقتصادي تساعده لجان تعمل بصورة خاصة على تنسيق التصنيع بين البلاد الداخلة في الاتفاق بما يتفق مع امكانيات كل منها وحاجاتها الاستهلاكية، وان تقوم بدراسة وتنسيق التكامل الاقتصادي بين البلاد العربية بغية تطوير اقتصادها.

ثانياً- ان دراسة اللجان يجب أن تكون على اساس ان الوطن العربي يؤلف مجموعة اقتصادية متكاملة ومنسقة.

ثالثا- تكون مقترحات اللجان المذكورة ملزمة لكل من الدول الداخلة في الاتفاق بعد اقرارها من قبل المجلس الاقتصادي.

- الناحية الثقافية :

أولا- وجوب قيام اتفاق ثقافي بين الدول العربية الراغبة في ذلك يشرف على تنفيذه وتطويره مجلس ثقافي أعلى تساعد له لجان مختصة تتقدم له بدراساتها واقتراحاتها حسب حاجات كل قطر وتطوره.

ثانيا- تكون مقترحات اللجان المذكورة ملزمة لكل من الدول الداخلة في الاتفاق بعد اقرارها من قبل المجلس الثقافي الاعلى.

- الناحية السياسية :

ايجاد اداة سياسية فعالة توحد السياسة الخارجية للدول الداخلة في الاتفاق العسكري وتكون قراراتها ملزمة لها كما تعمل هذه الهيئة على ايجاد الطرق العملية لتنسيق السياسة الخارجية بين هذه الدول والدول العربية الاخرى.

5- ويرى المجتمعون ان على هذه الهيئات واللجان العسكرية والاقتصادية والثقافية والسياسية ان تعالج بوضوح جميع المواضيع المعروضة عليها بغية تحقيق اتحاد عربي متطور متدرج يتمشى مع ظروف وحاجات كل قطر من الاقطار الداخلة فيه مستفيدين من تجارب الماضي لتجنب كل ما من شأنه اعاقا الوصول الى هذا الهدف السامي.

6- يرى المجتمعون ان في مقدمة اهداف الاستعمار والصهيونية العالمية واعداء العروبة اثارة الشكوك في نوايا العرب بعضهم ازاء بعض اذ يجد الاستعمار في ذلك أحسن وسيلة لتحقيق مطامعه والحيولة دون أي تقارب بناء مثمر تتوق الامة العربية الى القيام به من اجل حاضرها ومستقبلها.

7- يعلن المجتمعون فيما اتخذه من قرارات ومقترحات انهم يبغون ايجاد مناهج عملية تؤدي الى تنسيق وتوحيد الجهود كخطوة اولى يجب أن تعقبها خطوات اخرى في سبيل تحقيق الاهداف العربية المشتركة وخير الشعب، وان ذلك لا يعتبر اضعافا لجامعة الدول العربية بل هو واجب مقدس وان تحقيقه يضمن قوة العرب.

8- ختاماً فإن المجتمعين يتقدمون الى اخوانهم في ارجاء البلاد العربية بقلوب عامرة بالاخاء والصفاء وبحب الخير للانسان مؤمنة بالله وبعروبتهما ويهيبون بهم ان يضعوا المصلحة العربية العليا فوق كل اعتبار لتكون هذه الدعوة الخيرة البناءة، عاملاً قوياً في اتحاد العرب وفي تدعيم مجدهم واعلاء شأنهم، وما النصر الا من عند الله.

"واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا"

منطقة الرطبة في 9 شوال 1381 الموافق 15 آذار سنة 1962.

لقد أحدث انتصار الجيش السوري في ردع العدوان الاسرائيلي على المخافر والحدود السورية الذي كان متزامناً مع اعلان استقلال الجزائر فرحة لا مثيل لها في سورية، فأعاد لنا الثقة بأنفسنا وبأمتنا العربية وبحتمية انتصارها مما دعاني لالقاء كلمة تعليقا على البيان المشترك السوري العراقي الذي ألقاه الدواليبي حيث فيها الانتصار الكبير للجيش السوري وقد ورد فيها :

" ليست قضية فلسطين قضية انتصار في معركة، ان اسرائيل ومنذ بضع سنوات تقوم بتحقيق برنامج ضخم للتنمية يقوم على الاستفادة من مياه نهر الأردن، وكلكم يعرف أن اليهود منذ عام 1948 لم يهدأوا يوماً واحداً، وكانت جميع حوادث الحدود عبارة عن محاولة للاستيلاء على الأرض الحرام وأخذ مياه نهر الأردن ولكن الجيش العربي السوري كان لها بالمرصاد، وكان أن تقدمت سورية بالشكوى الى مجلس الأمن فأصدر قراراً بمنع اسرائيل من تحويل مياه نهر الأردن، ولكن اسرائيل بمساعدة دول الاستعمار الغربي والولايات المتحدة التي دفعت لها ملايين الدولارات لبرنامج التنمية القائم على تحويل نهر الأردن الذي تحاول اسرائيل ان تأخذ بموجبه من المياه ما يقارب من مليار متر مكعب تنقلها الى صحراء النقب قد جاء في أرقامها الرسمية انها تحاول بعد احياء النقب بمياه الأردن أن يستوعب من ثلاثة ملايين مهاجر الى أربعة من اليهود الجدد، وبذلك وبفضل المعونات والمساعدات يحاول الاستعمار الغربي أن يقيم التوازن بين اسرائيل والقوى العربية وليجعل اسرائيل دولة تضم اكثر

من ستة ملايين، وان كارثة عام 1948 لا تعد شيئا بالنسبة لهذه الكارثة التي تجعل من اسرائيل دولة كبيرة تضم الملايين وتفصل آسيا العربية عن افريقيا العربية".

وقلت تعليقا على بيان معروف الدواليبي :

انني أخالف الحكومة فيما ذهبت اليه، وكنت أرجو أن تطلب بصراحة ووضوح من جميع ملوك العرب وزعمائهم، ومن الحكومات العربية، وعلى ملاً من الناس التأزر معنا والوقوف الى جانبنا تجاه اسرائيل ومحاولتها تحويل مياه الأردن واحياء النقب، وعلى الشعب العربي ان يستلم هذه القضية ليعرف المتآمر من حكام العرب على وجوده ومستقبله ومصيره، وإن الشعوب العربية لن تتأخر عن الموقف الذي يمليه عليها حب الحياة والبقاء والحرية والشرف والكرامة، أما أن نسير في طريق آخر فانهي أتساءل : ألم يكن هناك ميثاق الضمان العربي وكان يوجب على الحكومات العربية أن تقف صفا واحدا في وجه توسع اسرائيل، وقد أقرته الدول العربية، ولكنه لم ينفذ حتى الآن وبقي حبرا على ورق؟ فالقضية إذن ليست قضية مواثيق وبروتوكولات ومشاريع لأننا أمام خطر داهم يجب أن نجعل الحكومات العربية أمامه وجها لوجه.

وأما على المستوى الداخلي فقد قلت فيما يتعلق بتحويل

الأردن :

"إننا لسنا في مستوى القضية، والمجلس قضى معظم أوقاته في بحث قضايا أقل خطرا وشأنا من قضية فلسطين وتحويل مياه نهر الاردن التي يجب ان تبحث على مستوى الاحداث التي تحيط بالبلاد العربية.

نحن هنا محتاجون وعلى المستوى السياسي ان ندعم أوضاعنا الديموقراطية ، وأن نطلق الحريات العامة التي لم نحقق منها شيئا وما يزال قانون الطوارئ قائما، وما تزال حرية الرأي والفكر والصحافة غير موجودة، وما تزال حرية الاحزاب السياسية غير قائمة، فكيف تريدون أن نجد شعبنا للوقوف صفا واحدا أمام هذا

الخطر الداهم إذا لم نطلق لهذا الشعب حرياته العامة جميعها وننمي وعيه؟

إن سلوك طريق ترسيخ الحياة الديمقراطية وتحقيق الحريات العامة من عوامل النصر في معركتنا مع اسرائيل ومع الصهيونية العالمية، وان تحقيق العدالة الاجتماعية من عوامل انتصارنا في المعركة القائمة بيننا وبين اسرائيل والاستعمار.

انها معركة كما قال أحد الزملاء الاقتصادية وعسكرية وفكرية وهي معركة دعاية وعلم وتقدم، معركة حرب تتناول جميع مناحي الحياة، ونحن في صراع مع الصهيونية العالمية والاستعمار اللذين يهددان سلامة الشعب العربي ووجوده، وعلينا أن نسلك الطريق الصحيح لنتنصر.

وما هذا الانتصار الذي احزره جيشنا الباسل الا واحدة من معاركنا التي يستحق عليها جيشنا التحية، ولكن المعارك مع اسرائيل والاستعمار تنتظرنا وعلينا أن نعد لها العدة في جميع مرافق حياتنا والسلام عليكم.

قبل انعقاد الجلسة التالية للمجلس التأسيسي في 1962/3/24 عقدت لجنة الشؤون الخارجية اجتماعا لمناقشة بيان معروف الدواليبي فكان تعليقي على البيان لا يخرج عما ألمحت إليه بشكل مختصر في جلسة القاء بيان الحكومة كما سجلت في محضر اجتماع اللجنة ما يلي :

"إن ما جرى من التقاء الرطبة بين القدسي وعبد الكريم قاسم والوفدين المرافقين لهما ما هو الا مظاهرة لا مبرر لها لتشكيل محور عربي مما يزيد في حدة الخلافات بين الدول العربية ولا سيما ان عبد الناصر سيعتبر هذا الاجتماع موجهاً ضده، ولن تكون دول الخليج مرتاحة ولا سيما الكويت والسعودية وكذلك الأردن لقيام هذا المحور، وإذا كان من ضرورة لهذا التقارب الذي أملتته ظروف العدوان وتحويل العدو لمياه نهر الأردن فكان من الأحسن أن يقتصر الاتفاق على مساعدة سورية في رد العدوان الاسرائيلي دون القيام بهذه المظاهرة، ولا سيما ان العلاقات الاقتصادية بين سورية



والعراق بدأت تأخذ شكلها الطبيعي - ودون طرح مشاريع غير عملية وغير واقعية في الظروف التي تمر بها الأنظمة العربية، كما أنه كان من الضروري ان يتجه الاعلام السوري بالنسبة لموضوع تحويل نهر الأردن الى الشعب العربي في مختلف أقطاره، الأمر الذي يمكنه أن ينعكس على مواقف الدول العربية تجاه هذه القضية".



كنت أشعر في قرارة نفسي بأن اجتماع الرطبة سيعكس آثاره السلبية علينا، حيث كان حزب البعث في العراق يخوض معركة فاصلة مع نظام عبد الكريم قاسم مؤيدا من قبل جمال عبد الناصر والأحزاب القومية في العراق ولم يكن هنالك أي أمل باستمرار نظام قاسم المعزول عربيا ودوليا وداخليا، لذلك أعلنت ملاحظاتي على السياسة التي تنتهجها الحكومة في معالجتها للأوضاع العربية، أما أعضاء لجنة الشؤون الخارجية فقد أيدوا هذا النهج السياسي لحكومة معروف الدواليبي.

### **الغاء الأحكام الصادرة على عملاء حلف بغداد :**

فوجئنا في الجلسة التي انعقدت بتاريخ 1962/3/24 بتلاوة اقتراح بقانون تقدم به النائب ليون زمريا وعدد كبير من النواب لاختراع الاحكام الصادرة من المحكمة العرفية عام 1956 بحق عملاء حلف بغداد (الذين كان الاعداد لمؤامراتهم على الوضع الوطني الديموقراطي في سورية متزامنا مع العدوان الثلاثي على مصر) الى رقابة وفحص محكمة النقض. كان هذا الاقتراح موقعا من مائة وأربعة نواب، أبرزهم خالد العظم، صبري العسلي أسعد الكوراني، مظهر الشربجي، فيضي الأتاسي، حامد الخجة، علاء الدين الجابري، منير العباس، عبد الصمد الفتوح، وقد جاء في الأسباب الموجبة لهذا الاقتراح ما يلي :

"لقد مرت بالبلاد ظروف استثنائية خاصة وأزمات سياسية خانقة كان من آثارها أن تعرضت فئة من المواطنين لأحكام جائرة صادرة عن محكمة عرفية لم تتوفر فيها الضمانات الكافية ولم يتح لمحكمة النقض الفرصة آنذاك لممارسة رقابتها وفحص تلك الأحكام التي صدرت بصورة قطعية، ونظرا لعودة

الحياة الدستورية للبلاد، وحرصا على إتاحة المجال أمام أولئك المواطنين المحكومين لعرض قضيتهم مجددا على قضاء منزه تتوفر فيه الضمانات الكفيلة برفع الظلم الذي نزل بهم، فقد جئنا مقترحين إقرار مشروع القانون المرفق - لتحقيق العدالة وطمأنة المواطنين على حريتهم آمليين أن يقترن بموافقتكم :

المادة الأولى : تخضع الأحكام الوجيهة والغيابية الصادرة عن المحكمة العسكرية العرفية المؤلفة بموجب قرار وزير الدفاع الوطني الى رقابة وفحص محكمة النقض.

المادة الثانية : تودع حكما ملفات الأحكام المشار اليها في المادة الأولى الى الدائرة الجزائية لدى محكمة النقض خلال خمسة أيام من هذا القانون.

المادة الثالثة : تتولى الدائرة الجزائية لدى محكمة النقض تدقيق وفحص الاحكام المذكورة وإعادة النظر في الدعوى والفصل في موضوعها مجددا على ضوء الوقائع المشاهدة في ملفها والبيانات المستمعة من قبل المحكمة العسكرية العرفية المشار اليها.

المادة الرابعة : تفصل الدائرة الجنائية لدى محكمة النقض في موضوع الأحكام المحالة اليها خلال شهر واحد من تاريخ إحالتها".

لقد كان غرض ليون زمريا من هذا الاقتراح تبرئة قريبة ومعلمه ميخائيل ليان ليعود الى سورية اذ كان محكوما وفارا من العدالة وملتجئا الى تركيا حيث كان له في لواء الاسكندرون املاك واسعة - فيعيد سيرته الأولى في التآمر.



ان الغباء هو صفة معروفة من صفات الفئات الرجعية، ولكن الرجعية السورية وصلت الى ذروة الغباء في سعيها اللاهث المستعجل لمحو كل ما حققه الشعب السوري من تقدم ومن تحرر في معاركه مع الاستعمار، ولقد شعرت بعد تلاوة ذلك الاقتراح الموقع من اكثر من مئة نائب بالذهول، واعتقدت جازما بأنه لن يكتب لهذا النظام البقاء والاستمرار. واذا كان تعديل قانون الاصلاح الزراعي واعترافات عبد الكريم الدندشي بالمؤامرة

الاميركية قد أصابت مقتلا في نظام 28 ايلول ووصمته بالعمالة، فان تصديق هذا القانون سيكون المسمار الاخير في نعش اليمين السوري.

لقد صدرت الاحكام في مؤامرة عام 1956 ضد الحكم الوطني الديموقراطي والمتزامنة مع العدوان الثلاثي نتيجة محاكمة علنية اصولية، كان الرأي العام في سورية يتابعها جلسة بعد جلسة وكان شاهدا على عدالتها ونزاهتها، ثم ظهرت بعد سقوط حلف بغداد 1958 الوثائق المؤيدة لهذه الاحكام.

**ومن المعروف قانونا بأنه يمكن اعادة النظر بالاحكام القضائية الصادرة اذا ظهرت أدلة مادية تخالفها ولكن لم يعرف في تاريخ الحقوق والمحاکمات انه يمكن اعادة النظر بالاحكام الجزائية بعد ظهور أدلة جديدة تثبت عدالتها.**



لقد كانت جلسة 62/3/24 التي قدم فيها مشروع القانون القاضي باعادة النظر بالاحكام التي صدرت بحق متأمري عام 1956 أخرجلسة في عمر الحكومة وعمر المجلس النيابي السوري، وقد علق النائب أمين النفوري على مشروع القانون بقوله :

"كنت أود أن تكون هذه الجلسة هادئة وكنت أود ألا يتعرض الأخ ليون زمريا للحكم الذي أصدرته المحكمة وكنت أنا شخصا عضوا فيها، ولا أريد أن أقول أكثر من هذا في ظروف دقيقة تستدعي تضامنا تجاه الاحداث الخارجية، ومع هذا فباستطاعتي ان أقول للأخ ليون زمريا في الوقت المناسب كيف بحث مجلس الوزراء في ذلك الحين هذا الأمر، وان مجلس الوزراء لو وجد هنالك خللا لكان عليه أن يقوم بواجبه، أو لو أنه اعتقد بوجود خطأ ارتكبه المحكمة، انني الآن اکتفي بهذا القول ولا أريد أن أزيد الجو توترا" كما ألقى أحمد عبد الكريم والنائب أحمد اسماعيل كلمتين مختصرتين حول هذا الموضوع.

**كنت مقدرًا قبل تقديم هذا المشروع ان الجيش لن يسكت عن تعديل مشروع قانون الاصلاح الزراعي، ولكنني أيقنت أن مشروع قانون إعادة المحاكمة سيكون المسمار الأخير في نعش هذا النظام، ولكن الذي لم يخطر ببالي أبدا أن يكون الانقلاب عليه بقيادة ضباط 28 أيلول انفسهم.**

وفي هذه الجلسة نفسها أثير من جديد موضوع الحريات الديمقراطية والغاء قانون الاحكام العرفية واطلاق حرية تأليف الأحزاب وحرية الصحافة وعودة الصحف التي ألغى امتيازاتها عبد الناصر، وكانت الحكومة لم تسمح لهذه الصحف بالصدور، ما عدا جريدة المنار التابعة للاخوان المسلمين، الأمر الذي كان موضع انتقاد من بعض نواب المجلس، فقد جاء في كلمة نائب حمص هاني السباعي:

"إن مدينة حمص يبلغ تعداد سكانها اكثر من مئة وخمسين الف نسمة تعيش الآن بدون جريدة فهل هذا من مقتضيات الحريات والديموقراطيات ومحبة الشعب، لقد كان هناك جريدة أسست على خلاف المنطق كما تقولون فأمرتم باغلاقها، ولكن لماذا لا تسمحون لجريدة غيرها بالصدور، ولا سيما وان هناك جريدة أرغم صاحبها على اغلاقها بقرار من المباحث وبأمر من رئيس المباحث في ذلك الحين، اسمحوا ايها السادة لجريدة واحدة اما جديدة واما قديمة وبالشكل الذي ترغبون ليجد الناس جريدة يقرأونها" وقد علل الدواليبي الوضع تعليلا غير مقنع :

"وهناك جريدة على ما يظهر أعطيت تعويضات، أو صدر قرار بالغاءها على ما أظن، أشار اليها بعض اخواننا نواب حمص، ولو كان الوزير المختص هنا لأجاب على الموضوع، ولكن الذي أعرفه ان هذه الجريدة صدرت وليس لها الحق في أن تصدر، أما جريدة المنار (الاخوان) فلم تمنح رخصة لصدورها من جديد، لأن القوانين التي منعت بعض الصحف، أو التي ألغيت بقرار، أو انسحبت من الميدان (في عهد الوحدة) كانت جريدة المنار من هذه الصحف لانها لم تلغ بقرار وعرض عليها تعويض فرفضته فأوقف صدورها بفعل الشرطة فقط ولم توقفها القرارات".

**إن هذا التعليل الذي تذرعه به الدواليبي كان غير مقنع، والسبب الحقيقي بالسماح لها بالصدور دون سواها من الصحف كونها تخص الاخوان المسلمين .**

كما علل عدم تحقيق الحكومة لوعدها في صيانة الحريات العامة والخاصة بما يلي:

"ففي هذه الجلسة ذاتها رأيتم كيف ان وجهات النظر في مفهوم الحريات لدى السادة النواب، ولا أقول في إرادتهم لهذه الحريات كيف انها كانت مختلفة تمام الاختلاف فيما عرض عليكم من فسح المجال ومن اعطاء الحق لمحكمة النقض لاعادة النظر فيما صدر من أحكام استثنائية امام المحكمة الاستثنائية".

وهكذا أقرن الدواليبي في كلمته موضوع الاحكام القضائية التي صدرت عام 56 بموضوع الحريات العامة، والحقيقة التي لم يعبر عنها بوضوح هي اعتبار ما ارتكبه المحكومون من قبيل الحريات العامة، فخلط بين الحريات العامة التي تضمنها الدساتير والقوانين وبين الجرائم السياسية المنصوص على عقوبتها في قوانين الجزاء في معظم بلاد العالم.



اما الجلسة التي تمت بتاريخ 62/3/27 فلم يتجاوز افتتاحها ورفعها اكثر من خمسة دقائق اذ تغيب عن حضورها مأمون الكزبري وجميع اعضاء الحكومة وكان عدد الحضور من النواب قليلا، وكانوا يتهامسون فيما بينهم بوجوه مقطبة وجلة، فعلمت ان الحكومة قدمت استقالتها وان خلافا قد نشب بينها وبين الجيش بسبب تعديل قانون الاصلاح الزراعي وقوانين التأميم ولما هممت بالانصراف أخبرني موفق النحلاوي أمين سر المجلس أن ناظم القدسي رئيس الجمهورية ينتظرنني، وفي قصر الضيافة وجدت عنده خالد العظم ومأمون الكزبري ومعروف الدواليبي وصبري العسلي وسعيد الغزي وبدأ القدسي حديثه قائلا :

إن الجيش ثائر ضد القانونيين اللذين أصدرهما مجلس النواب بشأن الاصلاح الزراعي والتأميم وانه اشترط استقالة الحكومة واستقالة العديد من النواب، ثم تبعه سعيد الغزي فقال انه اطلع على الأسماء الواجب استقالتها من النواب وان من بينهم الدواليبي والكزبري والعسلي والعظم وسواهم، وفي تلك الجلسة لمت رئيس الجمهورية وأيدني الحاضرون، لأنه كتم عن النواب - إلى أن تفجرت الأزمة ما كان يجري في الخفاء، فبرر القدسي كتمانها لما كان يجري في مجلس الامن القومي من أمور وما يتخذ فيه من قرارات باليمين التي اقسم عليها اعضاء هذا المجلس. ومعظمهم كما أشرت سابقا، من العسكريين.

وكانت المرة الأولى التي أعرف فيها ان هنالك مجلس أمن قومي، وانه يدير شؤون البلاد من وراء ستار، فنصحت القدسي في تلك الجلسة بعدم المصادقة على تعديل قانون الاصلاح الزراعي وقوانين التأميم.

لقد وصل إثرنا الى قصر الضيافة، رشاد جبري ودهام الهادي وعصام العطار وأحمد عبد الكريم ونواب آخرون، فخرجت من قصر الضيافة ذاهبا الى منزلي، مؤمنا بأن الانقلاب سيأخذ مداه وان المحاولات التي يبذلها ناظم القدسي محاولات يائسة لن يكتب لها النجاح، والذي علمته فيما بعد أن المجتمعين اتفقوا ان يؤلف سعيد الغزي الوزارة فورا وأن الغزي ورشاد برمدا ورشيد الدقر قرروا اذاعة اسماء الوزارة الجديدة صباح اليوم التالي.

وفي تلك الليلة - أي ليلة 28 اذار 1962 - استيقظت الساعة الثانية بعد منتصف الليل على رنين جرس المنزل فاذا به المحامي أسعد الطباع قد جاء لينصحنى بمغادرة المنزل والتواري لأن شرطة الجيش قد اعتقلت صبري العسلي من نادي الشرق، كما سمع انه تم اعتقال رئيس الجمهورية ناظم القدسي ورئيس الوزراء معروف الدواليبي وعدد من النواب بينهم خالد العظم، فلم أوافق على فكرة التواري والاختفاء، نظرا لمواقفي في مجلس النواب من تعديل قانون الاصلاح الزراعي وقوانين التأميم.

1962: انقلاب الثامن والعشرين من آذار 1962 -  
 حل مجلس النواب واعتقال رئيس الجمهورية -  
 اعتقال ساعتيين ثم الافراج عني - مقابلة مع قائد  
 الجيش زهر الدين، ومحاولة لارجاع الضباط  
 الموالين للبعث الذين سرحهم ضباط الانفصال الى  
 الجيش - اذاعة القاهرة تدعم احداث حلب مع  
 توجيه طائفي (التذكير بمقتل العقيد محمد ناصر  
 والتوجه بهذا النداء: أين أنتم يا أحفاد صالح العلي)  
 - مؤتمر ضباط الجيش في حمص يعلن أنه ليس  
 وصيا على الشعب مما أفشل عمليتي دمشق  
 وحلب في آن واحد - القنصل الأميركي يوزع صور  
 عبد الناصر في حلب - الاوضاع السياسية في  
 سورية بعد القضاء على الحياة النيابية - عبد الناصر  
 والاعلام المصري يتابعان زعزعة الأوضاع في  
 سورية حذرا من استقرار الوضع الديموقراطي  
 وانعكاسه على الاوضاع في مصر.

في صبحية الثامن والعشرين من آذار 1962 بدأت الاذاعة  
 السورية تذيع البلاغات التالية :

البلاغ رقم 26: ينص على تسلم الجيش زمام الأمور اعتبارا من  
 28 آذار 1962 تحقيقا لرغبات الشعب وحفاظا على  
 مكاسبه.

البلاغ 27 : اغلاق الحدود السورية .

البلاغ 28 : حل المجلس النيابي لانه عجز عن القيام بالمهمة  
 الموكولة اليه وسعى لتأمين مصالح اعضائه  
 ومنافعهم الشخصية.

البلاغ 29 : اعلان قبول استقالة رئيس الجمهورية لأسباب  
 صحية.

البلاغ 30 : اعلان استقالة رئيس واعضاء مجلس الوزراء.  
البلاغ 31 : اعلان حل المجلس، وحتى تتشكل حكومة انتقالية  
تتولى قيادة الجيش مهام السلطتين التشريعية والتنفيذية.  
البلاغ 32 : منع المظاهرات والتأكيد بأن حالة الطوارئ ما تزال قائمة.

البلاغ 33 : صدور المرسومين التاليين :

- 1- يؤازر القيادة العامة للجيش الأمناء العامون ويتولى كل منهم سلطات واختصاصات الوزير لادارة شؤون وزارته بالاضافة الى اختصاصاته.
- 2- يتولى قادة المناطق السلطات العسكرية والمدنية في مناطقهم ويخضع لهم الموظفون المدنيون.

ومن الجدير بالذكر ان انقلاب 28 آذار 1962 - على غير عادة الانقلابات العسكرية التي تبتدئ بالبلاغ رقم واحد - قد ابتداء بالرقم 26 وهو الرقم الذي انتهت اليه بلاغات انقلاب 28 ايلول 1961 للدلالة على ان هذه الحركة ليست انقلابا جديدا وانما هي تنمة لانقلاب 28 ايلول 1961.

كما أذاعت قيادة الجيش في تبريرها للانقلاب العسكري البيان التالي:

### **بيان قيادة الجيش عن أسباب الانقلاب :**

ان الجيش قام بحركة 28 ايلول 1961 لتصحيح الاخطاء وانقاذ الوحدة المقدسة، ولكن المسؤولين آنذاك (ويقصد جمال عبد الناصر) لم يتفهموا حقيقة الثورة ولا أهدافها. فأعلنوا أنهم لا يقبلون المساومة ولا أنصاف الحلول فأوكل الجيش امور السياسة في سورية الى حكومة انتقالية ، فكان على عهده في العودة الى الثكنات رغم الاخطاء التي اقترفتها الحكومة الانتقالية وسكت الجيش عن ذلك، وفي هذه الفترة كانت بعض العناصر الاستغلالية في عملاء الاستعمار تحيك المؤامرات وتدس الدسائس ، وكان



الجيش قد ظن أنها اعتبرت ورجعت عن غيرها ولكنها استطاعت أن تتسلل للسلطة التشريعية والتنفيذية، فابتعدت بهما عن مهمتهما الأساسية وعطلت القوانين ومكاسب العمال والفلاحين، وراحت تصدر التعليمات والأوامر التي تناقض التشريعات والقوانين، وتعمل على ضرب الفلاحين وطردهم من قراهم وانتزاع أراضيهم منهم، وحملهم على تركها والهجرة منها، وإعادة سيطرة انصارهم ومحاسبيهم فهدمت بيوت الفلاحين على رؤوسهم، وأحالت أراضيهم المزروعة بعرقهم الى خراب، كما راحت هذه العناصر تعمل جاهدة للبقاء على التشريعات التي تجعل مكاسب العمال صورية وغير حقيقية، فنسفت بذلك الحقوق وداست المكاسب وخنقت الحريات، ولم تعمل على تحقيق الاستقرار.

كما استطاعت هذه العناصر المتآمرة أن تنفذ الى الوزارات فملأتها بالمحاسبين والانصار، وطالبت برفع رواتب النواب واستيراد السيارات، وتوصلت الى السيطرة على أجهزة الاعلام، فجعلتها منبرا لها، وداعيا لمصلحتها وأشخاصها. هذه العناصر ظنت ومن ورائها الاستعمار وأعوانه والذين يعملون لحسابه ومصالحته، ان الجو خلا لها، فأسفروا عن وجههم، وراحوا يتآمرون على سلامة البلاد وأمنها، ونسوا أو تناسوا ان الجيش الذي كان وسيبقى أبدا الدعامة الوطنية العربية الراسخة للمحافظة على أرض الوطن.

وراح الجيش يوجه النصح والتحذير في السر والعلن ويوضح الدليل على خطورة الموقف، وان الاستعمار لم تغفل عينه عن سورية، وثبتت بالدليل القاطع نوايا الاستعمار الذي دفع اسرائيل للعدوان. ولقد راح الجيش يطالب المسؤولين بالكف عن حماية العناصر التي تأمرت على سلامة البلاد، وامتدت ايديها الى الغير فقبضت مئات الألوف ليصار الى إحالتها الى القضاء، ولم يترك بابا الا وطرقه الا انه لم يلق من المسؤولين الا حماية هذه العناصر، فراحوا يراوغون ويماطلون أملا في كسب الوقت.

وهكذا سيطرت العناصر المستغلة سيطرة لم يعد ينفع معها نصح ولا تحذير، كما لاحظ الجيش ان المسؤولين حاولوا التسلل الى صفوف الجيش بهدف استمالة بعض عناصره وذو

الخلافة والتشكيك. ولاحظ أن بعض المسؤولين يستغل اسمه ويزججه بالأمور السياسية بما يتفق مع مصالحه، لذلك ترى القيادة العامة والقوات المسلحة نفسها مضطرة لاقصاء المسؤولين عن الحكم وابعاد العناصر المتأمرة، وتسليم الزمام الى حكومة مؤقتة وهي ستحمي ثورة الثامن والعشرين من أيلول، وتقضي على كل من يقف في طريقها، وستضرب بيد من حديد على كل من تسول له نفسه تعكير الأمن. ثم أعلن البيان برنامجه السياسي :

في الحقل الداخلي : صيانة الحريات العامة وتمكين جميع المواطنين من ممارستها.

تحقيق اشتراكية عربية بناءة واضحة تساير الوضع الاقليمي وتحفظ للعامل والفلاح حقوقهما وتشجع الجهد الفردي.

في الحقل العربي : اتخاذ خطوات ايجابية لتحقيق وحدة عربية حقيقية شاملة مبنية على اساس واضحة وصحيحة مع الاقطار العربية ولا سيما مع مصر الحبيبة والعراق الشقيق واعتبار قضية فلسطين القضية الاولى للعرب.

في الحقل الدولي : الحياد الايجابي، المحافظة على الموائيق الدولية واحترام المعاهدات والاتفاقات.



في يوم 30 آذار عقد عبد الكريم زهر الدين مؤتمرا صحافيا في نادي ضباط حامية دمشق حضره العميد عبد الغني دهمان قائد موقع دمشق واللواء نامق كمال رئيس هيئة الأركان والعقيد عدنان الشيخ فضلي قائد منطقة دمشق، وقد ألقى عبد الكريم زهر الدين في هذا المؤتمر بيانا مكتوبا خلاصته :

ان هذه الحركة تنتم للحركة الثورية التي حدثت في 28 ايلول، وان المسؤولين سيحاكمون امام محكمة الشعب التي ستشكل هذين اليومين من عسكريين ومدنيين، كما شكلت لجان لاعادة النظر بالقوانين التي صدرت .

وعندما سئل عن التهم المنسوبة لبعض اعضاء الحكومة والنواب وعن اتصالحهم بالاستعمار ، أجاب :

ان محكمة الشعب ستحاكم هؤلاء وستكون المحاكمة علنية وان كل التهم ستظهر بوضوح .. وسئل عن البيان الذي صدر عن اجتماع الرطبة فقال :

ان قيادة الجيش لا تعارض هذا البيان ولا مانع لديها من نشره مرة أخرى. وسئل عن العلاقات مع مصر فقال :

لقد نادينا منذ الدقائق الأولى بأننا نرحب بجميع العلاقات بيننا وبينها القائمة على أسس صحيحة، كما قال ان سورية ستنتهج سياسة التقارب مع كل الدول العربية الشقيقة ولا سيما الدول المتحررة وهو الهدف الذي تسعى اليه القيادة حتى تتم الوحدة العربية الشاملة التي يراعى فيها التعاون على أسس تحفظ الكرامة والمساواة.

كما نشرت مجلة الجندي الصادرة في 30 آذار تصريحاً لزهر الدين جاء فيه:

"أنا أعلنت في جلسات المجلس الأعلى للأمن الوطني عدة مرات ان شعبنا لا يتساهل أبداً في ضياع مكاسبه التي حققها بدمه ودمعه في ثوراته المختلفة ونضاله العنيد المستمر، وقلت ان كل انتقاص من حقوق الفلاحين والعمال معناه اغتيال أمن الشعب وطعنه من الخلف لحساب طبقة أو فئة معينة.



في الأيام التالية لانقلاب 28 آذار 1962 بدأت بعض الاخبار المقلقة تتوارد بأن الاضطراب يعم الجيش، وان قطعات الجيش الموجودة خارج دمشق لم تتجاوب مع قادة الانقلاب، وأن تمرداً في حلب يقوده الضابط محمد عمران، وأن عدداً من الضباط قد قتل.

كانت ثلاثة أيام قد مرت على الانقلاب والموقف ما زال غامضاً، وفي اليوم الثالث وحوالي الساعة الخامسة صباحاً

سمعت الباب يطرق .. كان أحد ضباط الجيش ومعه ثلة من الجنود، وكان الضابط كما يبدو دمشقيا مهذبا، دخل وحده الى البيت، وأمر جنود بالبقاء خارجا، ثم طلب مني أن أستعد لمرافقته ، وعندما سألته: هل أعد حقيبة ثياب لمدة طويلة أجنبي بنعم.

عند وصولي الى السجن عوملت معاملة مختلفة:

كان السجن ضابطا فظا أمرني بغلظة أن أخلع رباط الرقبة وأن أفك رباط حذائي ثم أدخلني زنزانة، وعلمت فيما بعد أن مصطفى حمدون وخليل كلاس قد أدخلوا أيضا الى الزنانات.

بعد فترة قليلة لا تتجاوز الساعتين جاءني الضابط نفسه وأبلغني أمر الافراج عني وانني مدعو الى اجتماع في مبنى الأركان مع قائد الجيش عبد الكريم زهر الدين، حيث كان معه هنالك الضابط عبد الكريم النحلاوي، وقد حضر هذا الاجتماع أيضا مصطفى حمدون، وكان الاثنان مضطربين وقد أسقط في يدهما بعد التمرد الذي حدث في حمص وفي حلب وكانا يبحثان عن وسيلة للورطة التي وقعا فيها.

**كما تبين لي أن سبب اعتقالني ظن قيادة الجيش انني وراء التمرد الذي وقع في حلب لاشتراك بعض الضباط البعثيين، ولكن سرعان ما أفرج عني عندما تبين لهم أن لا علاقة لي بما حدث في حلب، فقد بدأت اذاعة القاهرة بدعم هذا التمرد مستثيرة النزعات الطائفية بصورة تؤدي الى شرح الوحدة الوطنية التي ناضل الشعب السوري لأجلها بمختلف طوائفه، وهو الأمر الذي مارسته المخابرات المصرية أيضا خلال الوحدة.**



قلت في ذلك الاجتماع لعبد الكريم زهر الدين وعبد الكريم النحلاوي وقد رأيت ان المناسبة قد جاءت لطرح قضية عودة الضباط المسرحين ذوي الميول البعثية الى الجيش:

لقد كان رأيي دائما انه لا سبيل الى الاصلاح الا بالطرق الدستورية الديمقراطية، أما الآن وبعد هذا الاضطراب الذي حصل فإن عودة الاوضاع الطبيعية للجيش لا تكون الا بعودة الضباط الذين سرحوا سواء في عهد الوحدة أو في عهد الانفصال. كما قلت :

لقد كان من جملة الاسباب التي ابديتموها عندما انقلبتم على عبد الناصر، ان عهد الوحدة قد سرح أعدادا كبيرة من الضباط، ثم اقررتم أنتم الخطأ نفسه، عندما تابعتهم هذه التسريجات وركزتم على الضباط ذوي الميول البعثية فسرحتم منهم أكثر من ستين ضابطا.

لقد ظننت بنتيجة هذا الاجتماع أن زهر الدين والنحلاوي قد اقتنعا برأيي ، اذ طلبا مني أن أعد قائمة بأسماء الضباط ذوي الميول البعثية الذين أرى ضرورة إرجاعهم الى الجيش.

بعد هذا الاجتماع عدت الى منزلي مع مصطفى حمدون وطلبت منه أن يقدم لزهر الدين القائمة المطلوبة، ولكن زهر الدين لم يف بوعده بعد أن تمكن من القضاء على الحركة التي بدأت بحمص ثم امتدت الى حلب، وصرف النظر عن اعادة الضباط ذوي الميول البعثية الى الجيش، وكان لذلك آثاره التي أدت بعد سنة الى انقلاب الثامن من آذار 1963.

## **تمرد في حمص وعصيان وفتنة في حلب ردا على انقلاب 28 آذار 1962.**

أعلن العميد بدر الأعسر قائد المنطقة الوسطى في حمص بعد ثلاثة أيام من انقلاب الثامن والعشرين من آذار مقاومته لهذا الانقلاب ، طالبا وضع حد لتسلط النحلاوي وجماعته على قيادة الجيش في دمشق، ووجوب مغادرتهم سورية فوراً، فاضطرت قيادة الجيش في دمشق الى ارسال لجنة من الضباط في اليوم نفسه الى بعض المدن السورية لاستطلاع آراء الجيش في مختلف القطعات ولبحث هذا الموضوع الخطير وتسوية الخلافات بين ضباط الجيش الذي عقدت قياداته بتاريخ 62/4/1 مؤتمرا في حمص تقرر فيه بالاجماع ما يلي :

أولا : اقضاء المتسلطين على الجيش (النحلاوي وجماعته)  
على أن يغادروا البلاد في اليوم التالي قبل الساعة  
الخامسة مساء.

ثانيا: تشكيل قيادة جديدة.

ثالثا: رفض اعادة الوحدة مع مصر فورا، والموافقة على  
تحقيق وحدة مشروطة ومدروسة، على أن يستفتى  
بها الشعب، وقرر الضباط أنهم ليسوا أوصياء على  
الشعب.

رابعا: العفو عن الذين اشتركوا بالتمرد والعصيان.

ولكن بعض الضباط البعثيين والناصرين بقيادة  
جاسم علوان في حلب تابعوا عصيانهم وأعلنوا عدم  
قبولهم بهذه المقررات فرفعوا علم الجمهورية العربية  
المتحدة وطلبوا المؤازرة من مصر ولم يلبث عصيانهم ان  
باء بالفشل بتاريخ 62/4/4 وكان حصيلته استشهاد  
الضباط : نصوح النعال، كامل عرنوس، جميل قباني،  
صفوت خليل.

لقد أصدرت محكمة أمن الدولة التي نظرت في جرائم هذا  
العصيان الاحكام التالية بتاريخ 1963./1/17

- 1- الحكم بالاشغال الشاقة المؤبدة على العقيد المتقاعد جاسم  
علوان.
- 2- الحكم عشر سنوات على الرائد حمد عبيد.
- 3- الحكم بالاعدام على الملازم الأول محمد ابراهيم العلي.
- 4- الحكم بالسجن المؤبد على الملازم الأول سعيد الدباح.
- 5- الحكم بالاعدام على العسكري المتطوع محمد مصطفى  
يوسف، والسجن بين سنة وعشر سنوات مع التجريد من  
الرتب والحقوق المدنية لباقي المتهمين، وتبرئة من لم تثبت  
عليه تهمة الاشتراك في القتل والعصيان.

وقد اثبتت تحقيقات المحكمة مساهمة القنصلية الاميركية في حلب بالتحريض على العصيان وتوزيع صور جمال عبد الناصر على المتظاهرين، كما رفعت المحكمة احكامها الى رئيس الجمهورية للتصديق عليها. (نشرت التفاصيل الكاملة لهذه القضية في ملحق خاص للعدد 589 من مجلة الجندي الصادرة عن الجيش السوري).

وبعد أن صدر قرار المحكمة بإدانة القنصل الاميركي في حلب بالتحريض على العصيان وتوزيع صور عبد الناصر، طلبت الحكومة السورية سحب القنصل، ولكن السفير الاميركي قال لخالد العظم الذي أصبح في تلك الفترة رئيسا للوزراء ان حكومته ابلاغته بأن سحب القنصل سيكون له ردة فعل غير مستحبة في أمريكا.



بعد مغادرة عبد الكريم النحلاوي وضباطه سورية، وبعد فشل عصيان حلب، وكان قد مر على الأحداث ما يقرب من اسبوع زارني في دمشق قنصل الولايات المتحدة في حلب، ولم يكن لي به سابق معرفة، فقال انه يود التعرف بي وانه يحمل عاطف ودية نحو سورية، قلت له بعد أن نددت بالسياسة الاميركية تجاه القضية العربية:

ما دمت تحمل هذه العواطف الودية نحو سورية، فلماذا إذن قمت مع رجالك بالتحريض على التظاهر في حلب وتوزيع أعداد كبيرة جدا من صور عبد الناصر؟

قال القنصل ضاحكا :

اننا فعلا قمنا بتوزيع بعض الصور في حلب، ولكنها كانت صورا لممثل أمريكي يشبه عبد الناصر.



ان السؤال الذي يطرح نفسه الآن :

لماذا أصبح الاميركيون خصوما للقائم بعد الانفصال؟

لا شك ان اتجاه الرأي العام في الشعب والجيش بعد انقلاب 1961/9/28 قد بدأ يسير في الطريق الذي كانت تسير عليه سورية قبل الوحدة.

ففي مواجهة مطامع اسرائيل التوسعية بتحويل نهر الأردن، كان الجيش وراء ايفاد وزير الدفاع مع وفد عسكري كبير الى موسكو، مما أثار أوهام الاميركيين من جديد من انتشار الشيوعية، ولا سيما بعد أن زال اضطهاد عبد الناصر للحزب الشيوعي، واتجاه الوضع الى تشكيل محور مع عبد الكريم قاسم الموالي للاتحاد السوفيتي. كما زال عزل القوى اليسارية الوطنية عن الحياة الحزبية والسياسية، هذه القوى التي هي بنظر الولايات المتحدة اكثر خطرا من الأحزاب الشيوعية، بالاضافة الى خطر اشتعال الحرب بين سورية واسرائيل، الأمر الذي يهدد الأمن والنفوذ الاميركي في المنطقة، وذلك بعد المعركة الكبيرة التي خاضها الجيش السوري تجاه العدوان الاسرائيلي مما يعرقل تحويل مجرى نهر الاردن الذي اقترب موعده، لأن انشاءات نقل مياهه الى النقب قد قاربت ان تنتهي، وكنا دائما نطالب، سرا وعلنا، بالوقوف في وجه اسرائيل في محاولتها تحويل نهر الأردن.

يضاف الى كل ذلك ان الفئات السياسية اليمينية التي استلمت الحكم بعد الانفصال والموالية للغرب قد سقطت سقوطا ذريعا امام الرأي العام السوري بعد اذاعة الحقائق المذهلة التي تضمنتها اضبارة التحقيق بمؤامرة عبد الكريم الدندشي، هذه الاضبارة التي بقيت حبيسة أربع سنوات في الأدراج السرية لعبد الناصر ثم استخدمها في 1962/2/23 في الخطاب الذي ألقاه بمناسبة ذكرى الوحدة كما اشرت الى ذلك سابقا:

لقد اصبح الوضع فيما لو أجريت انتخابات جديدة مهياً لاستلام القوى الوطنية التقدمية المعادية للصهيونية وللنفوذ الاجنبي في سورية مقاليد الأمور، هذه القوى التي ألف بينها الاضطهاد الناصري واكتسبت بعد الانقلابات التي مرت بسورية وبعد الوحدة تجربة سياسية كبرى.



لم يكن هدف الولايات المتحدة إعادة الوحدة بين سورية ومصر، رغم التحسن الكبير في العلاقات بين مصر والولايات المتحدة في تلك الفترة التي تعددت فيها الرسائل الودية المتبادلة بين الرئيس ناصر والرئيس كندي (سنوات الغليان ص 604-617) وإنما كان هدفها إقامة حكم عسكري في سورية وهذا ما جعل القنصل الأميركي وموظفيه، وخلافا للأعراف الدبلوماسية، يتدخلون في أحداث حلب. أما زيارته لي، بعد فشل الانقلاب، فلا شك أن هدفها كان التحذير من السياسة التي كنا ننتهجها والمعادية للمشاريع الاسرائيلية التوسعية المدعومة من الولايات المتحدة.

وبهذه المناسبة أذكر ان فائق النحلاوي أمين سر المجلس بلغني أوائل عام 1962 بعد الانفصال، وكان ذلك في مطلع حياة المجلس النيابي التأسيسي أن دعوة قد وجهت من الولايات المتحدة لاستضافة وفد برلماني سوري، وقد قرر الفريق البرلماني المختص بموضوع العلاقات البرلمانية الخارجية قبول الدعوة وتشكيل وفد مؤلف من ممثلي مختلف الكتل البرلمانية والمستقلين، وقال انني اخترت كممثل عن الكتلة الاشتراكية، فاعتذرت بالرغم من الحاح اعضاء الوفد وقولهم انها فرصة لزيارة الولايات المتحدة والتعرف عليها.

بعد اعتذاري اتصل بي عبد الغني قنوت وقال لي:

هل توافق على ذهابي بدلا عنك، إن في ذلك فائدة لاطلاعنا على ما سيدور من أبحاث بين الوفد وبين الادارة الاميركية، قلت له لا مانع من ذلك.

بعد عودة الوفد اخبرني عبد الغني قنوت انه خلال اجتماع الوفد في وزارة الخارجية الاميركية جرى استعراض للموقف الأميركي من القضية العربية وركز الوفد على ضرورة وقوف الولايات المتحدة على الحياد بين العرب واسرائيل، والذي لفت نظر عبد الغني قنوت واطلعنا على أعضاء الوفد ان الأميركيين قد أثنوا على سياسة صلاح البيطار وعلى صدقه واستقامته في التعامل معهم، مما دعا

أعضاء الوفد بعد خروجهم من الاجتماع ولا سيما رشاد جبري  
وفيزي الاتاسي الى الغمز والتندر قائلين:

انكم تتهمونا بعلاقتنا مع الولايات المتحدة والغرب بينما  
الذي ظهر من هذا الاجتماع ان علاقتكم هي أقوى وأكثر وثوقاً من  
علاقتنا.

كما أخبرني عبد الغني أن حديثاً أجراه معه أحد الموظفين  
الاميركيين بلغه فيه: إن الولايات المتحدة لا يمكن أن تؤيد أي نظام  
في العالم الثالث ما لم يكن فيه قائد الجيش ورئيس المخابرات  
على اتفاق تام مع الولايات المتحدة الاميركية.. وكان هذا الحديث  
رسالة موجهة اليها من قبل المخابرات المركزية الاميركية، فيما إذا  
كنا نفكر باستلام الحكم بانقلاب على الوضع القائم في سورية.

### **أسباب فشل انقلاب 1962/3/28 :**

كان من أسباب فشل انقلاب 1962/3/28 الذي قام به  
النحلاوي وضباطه هو أن الرأي العام في الجيش السوري يعتبرهم  
مشتركين بالمسؤولية مع المشير عبد الحكيم عمر والضباط  
المصريين في تسريح عدد كبير من ضباط الجيش ونقل بعضهم  
الآخر الى القاهرة حيث لم يستلموا هنالك أي مسؤولية تناسب  
رتبهم. كما نقل عدد منهم الى الوظائف المدنية، وقد استمر  
النحلاوي وضباطه بعد الانفصال بهذه التسريحات ولا سيما تسريح  
الضباط المعروفين بولائهم للبعث والتقدميين بصورة عامة، فقد  
أصدرت قيادة الجيش بتاريخ 1961/12/2 قراراً بتسريح 73 ضابطاً  
من الجيش السوري معظمهم من الموالين للبعث وان ذلك من  
الأسباب التي دعت العقيد بدر الأعسر قائد المنطقة الوسطى  
لاعلان موقفه المناوئ لتسلط النحلاوي وجماعته على الجيش  
ومطالبته معه أن يغادروا البلاد واستنكاره تعطيل الحياة الدستورية  
على هذه الصورة مع إعلان ان الجيش ليس وصياً على الشعب،  
ثم تبع عصيان حمص تمرد بعض الضباط الموالين للبعث في حلب  
وكان تدخل العقيد جاسم علوان في تمرد حلب البعثي محاولة  
ناصرية جاءت متأخرة للانقلاب على انقلاب 1962/3/28.



لقد أدى تسريح النحلاوي لعدد كبير من الضباط المواليين للبعث بعد الانفصال الى انعكاسات سيئة علي وعلى الكتلة الاشتراكية في مجلس النواب لعدم اثارنا قضيتهم في المجلس . فقد كانوا يأملون أن نستقيل من المجلس احتجاجا على تسريحهم مما جعلهم يحملونا مسؤولية التخلي عنهم.

إن تسريح الضباط المواليين للبعث سواء منه ما تم خلال الوحدة أو ما تم بعد الانفصال، كان الدافع للعصيان في حلب بمعزل عن مشورتنا ومعرفتنا، كما كانت هذه التسريحات سببا مهما من الأسباب التي أدت الى انقلاب الثامن من آذار 1963 بتحالف الضباط المواليين للبعث مع الضباط الناصريين مرحليا.

### **الآثار التي تمخض عنها انقلاب 28 آذار 1962 :**

لقد كان لانقلاب 28 آذار آثاره البعيدة المدى على مستقبل الأوضاع في سورية والمنطقة العربية. فقد أحدث هذا الانقلاب الدامي آثاره الطائفية المقيتة، فدمشق بأسرها حزنت على أبنائها من الضباط الذين أودى بهم عصيان حلب، وفي مقابل ذلك وصلتنني رسائل من بعض القرى في شرقي حمص ومن منطقة اللاذقية تستنجد بي لانقاذ الموقوفين المتهمين بحوادث حلب. وراجعني أهل العديد من الضباط الموقوفين وفيهم ضباط من حماه (رئيس العلواني وغيره) للسعي لاطلاق سراح الموقوفين، وقد زارني في تلك الفترة الضابطان المسرحان صلاح جديد وعبد الكريم الجندي للغرض ذاته، ولكنني في الحقيقة كنت عاجزا عن القيام بأي مساعدة.

كان اعتقادي ان واجبي يقضي أول ما يقضي وضع حد للآثار الطائفية التي خلفتها أحداث حلب، ثم السعي فيما بعد الى عدم تنفيذ الاحكام او التخفيف منها، ولا سيما أن مؤتمر الجيش في حمص قد قرر وجوب اصدار عفو عن المشتركين بحوادث العصيان، لذلك اتصلت بالصدیق القاضي بدر علوش وقلت له :

أنت تعلم يا بدر انني لم أتدخل في حياتي بالقضاء ، ولكن هذه القضية ليست من الجرائم العادية، انها قضية سياسية كبرى، قد يكون لها نتائجها على مستقبل الأوضاع في سورية لذلك أرجو منك أن تنقل على لساني الى عضو المحكمة أحمد الراشد (وهو من مدينة حماه) ضرورة حصر الاتهام بعدد قليل من المشتركين بحوادث العصيان.

وعندما صدرت الاحكام بحق بعض المتهمين، تابعت هذه المهمة الخطيرة فاتصلت بالاتفاق مع وهيب الغانم وفيصل الركبي وبعض الرفاق الآخرين، برئيس الجمهورية ناظم القدسي وحذرته من مغبة المصادقة على أحكام الاعدام. وشرحت له المحاذير التي ستتأتى عن ذلك وانه من الواجب صرف النظر عن تصديقها حتى تطوى صفحة 28 أذار السوداء التي كادت أن تثير النعرات الطائفية في البلاد.

## **المذكرات تساهم في الكشف عن أحداث انقلاب 28 آذار 1962 :**

لقد كشفت مذكرات عبد اللطيف البغدادي الصادرة عام 1977، ومحادثات الوحدة الثلاثية بعد الثامن من آذار 1963، ومذكرات عبد الكريم زهر الدين الصادرة عام 1967 وكتاب محمد حسنين هيكل سنوات الغليان الصادر عام 1988 كثيرا من الوقائع التي تمكنا من استعراض تسلسل الأحداث منذ الانفصال وحتى انقلاب الثامن والعشرين من آذار، ذلك الانقلاب الذي هدد بالاقتيال بين قطعات الجيش السوري واستشهد فيه عدد من الضباط، كما هدد باذكاء الفتنة الطائفية.

لقد كان ضباط الانفصال يطمعون بحكم سورية تحت قيادة المشير عبد الحكيم عامر -كما اشرت الى ذلك سابقا- ولهذا صدر البلاغ رقم 9 يوم 28 ايلول 1961 الذي اقتصر فيه ضباط الانفصال على المطالبة باصلاح أوضاع الجيش بالاتفاق مع المشير، ولكن هذه المحاولة لم تخف على عبد الناصر فرفض مصالحتهم

واعتبرهم عصاة متمردين، واستدعى المشير الى القاهرة الذي لم يتمكن من اقناع ناصر بالتفاهم مع النحلاوي وجماعته في الجيش.

هذا كان موقف جمال عبد الناصر ، أما موقف الجيش السوري فقد اثار البلاغ رقم 9 احتجاجه بل وثورته، حتى لقد هدد العديد من قطاعات الجيش النحلاوي وجماعته بأنهم سيهدمون مبنى وزارة الدفاع على رؤوسهم اذا لم يتراجعوا عن البلاغ المذكور.

لقد وقع ضباط حركة 28 ايلول في مأزق بعد أن فشلوا في التفاهم مع عبد الناصر بعد صدور البلاغ رقم 9، كما كانوا عاجزين في الوقت ذاته عن تولي الحكم مباشرة فاتخذوا من عودة الحياة البرلمانية مرحلة مؤقتة لاعادة التفاهم مع جمال عبد الناصر وتطمينه بأنهم مخلصون لقيادته دون سواه، ولكنهم بالوقت ذاته كانوا غير مطمئنين لعودة سلطة جمال عبد الناصر بشكلها السابق ولذلك طالبوا بصيغة جديدة تضمن لهم حكم سورية في ظل الوفاق والتفاهم معه، **والذي أقنعهم أكثر بضرورة هذا التفاهم هو ردود الفعل الغاضبة في الجيش على تصرفات الحكومة والمجلس النيابي التي ذكرتها سابقا وبالتفصيل، مما جعلهم يشعرون بأن هذا الوضع لن يستمر طويلا، وانهم اذا لم يتحركوا فإن غيرهم في الجيش سيسبقهم لوضع يده على مقاليد الحكم في سورية.**

**لقد كان جمال عبد الناصر مطلعاً على المأزق الذي كان ضباط النحلاوي يتخبطون فيه، فحاول استغلاله والاستفادة منه لا لاعادة الوحدة التي أجمعت المصادر على عدم اقتناعه بقيامها من جديد، بل لزعة الوضع في سورية وللانتقام من ضباط النحلاوي والأحزاب السورية مما يعيد له اعتباره كزعيم للمنطقة على المستوى العربي والدولي، وقد استخدم لتنفيذ هذه المهمة أحد وزرائه في حكومة الوحدة فريد زين الدين الذي تجمعه صلات حسنة مع عبد الكريم زهر الدين وبعض الضباط ومع**

حركة القوميين العرب، كما كان قريبا لليمين الدمشقي حيث أنه كان صهرا لعائلة العظم، وقد كشفت مذكرات عبد الكريم زهر الدين مراحل هذه الاتصالات التي جرت قبل انقلاب 28 آذار 1962 :

"كانت القيادة تبدي أسفها لفقدان الوحدة مع مصر وكانت تفتش عن الوسيلة التي تمكنها من إعادة الوحدة ولكن بشروط تحول دون انحرافات الوحدة السابقة".

"ولذلك وبعد الدراسات المتتالية والاجتماعات التي كنا نعقدتها أحيانا مع هاني الهندي (من القوميين العرب) وفريد زين الدين وغيرهما من العناصر الوجودية قررنا أن نخطو الخطوة الأولى ونرسل وفدا من الضباط لمقابلة الرئيس عبد الناصر والتداول بالمواضيع العامة والمتعلقة بالأخطاء التي ارتكبت في زمن الوحدة، وكان ما طلبناه من الوفد هو معالجة الأمور التالية :

- 1- وقف المهاترات الاداعية فورا.
- 2- الاعتراف بالوضع الحالي في سورية ليصار الى معالجة عودة الوحدة على أسس جديدة.
- 3- عقد اتفاق عسكري مشترك ما بين مصر وسورية لتطبيق الخطط العسكرية الموضوعة اثناء الوحدة.
- 4- تصفية الامور الادارية المعلقة بين سورية ومصر (أسلحة وغيرها).

لقد قررنا تشكيل هذا الوفد من العناصر التي ساهمت بـ 28 ايلول وذلك للدلالة على سلامة النية وصدق الطوية ، وقد وافق رئيس الجمهورية على هذه الخطوة .. إلا أن الوفد سافر فجأة دون علمي ودون علم رئيس الجمهورية بل بإيعاز من عبد الكريم النحلاوي الذي أهمل رغبة رئيس الجمهورية عندما رغب بالاجتماع الى الوفد قبل سفره الى القاهرة" (ص 164).

وهكذا يظهر ان هدف عبد الكريم النحلاوي وضباطه كان التفاهم مع عبد الناصر بمنأى عن قائد الجيش زهر الدين وجماعته وعن رئيس الجمهورية ناظم القدسي، ولو كتب لانقلاب 28 آذار 1962 النجاح لكانت الخطوة الثانية بعد حل المجلس النيابي واعتقال رئيس الجمهورية متابعة التصفيات في الجيش والاستغناء عن قيادة زهر الدين والضباط المواليين له.

ويقول زهر الدين أيضا في مذكراته :

"كنا نعقد اجتماعات طويلة وعديدة في مكاتب القيادة، كما عقدنا اجتماعا في منزلي ضم العناصر التالية : اللواء زهر الدين، اللواء نامق كمال، المقدم عبد الكريم النحلاوي، المقدم مهيب الهندي، المقدم هشام عبد ربه والرائد فايز الرفاعي (وكل هؤلاء من الضباط الذين خططوا وشاركوا في انقلاب الانفصال 61/9/28) والاستاذ نهاد القاسم والدكتور فريد زين الدين".

ثم يستطرد زهر الدين معترفا باتفاقهم على انقلاب 28 اذار بعد التفاهم مع القاهرة :

"وقد تداولنا موضوع التقارب مع القاهرة ودرسنا مسألة اعادة الوحدة حتى لو أدى ذلك الى انقلاب جديد" (ص 190).

وفد عبد الكريم النحلاوي الى جمال عبد الناصر :

في عام 1988 كشف حسنين هيكل في كتابه سنوات الغليان أن وفدا من ثلاثة من قادة الانفصال زاروا جمال عبد الناصر في بيته، وهم العقيد زهير عقيل والعقيد محمد منصور والرائد فايز الرفاعي بتاريخ 1962/1/13 ويروي حسنين هيكل - عن تسجيل صوتي كما يقول - الحديث الذي جرى بينهم وبين عبد الناصر وهذه خلاصته :

فبعد اعتذار الوفد عن انقلاب 28 أيلول، وبعد التوسلات للصفح والغفران، وبعد تأكيد الضباط على تمسكهم برئاسة جمال عبد الناصر مستشهدين بعبد الحكيم عامر، وبعد استعراض مخاطر اسرائيل على سورية، وبعد أن دغدغ ناصر عواطف وطموحات هؤلاء الضباط واصفا تصوراته فيما لو قام انقلاب وحدوي في سورية يعيد الوحدة فورا بقوله :

"سوف تلتهب الجماهير العربية حماسة .. القوى الاستعمارية المتربصة سوف تتلقى صفة العمر .. الرجعية سوف تفقد صوابها .. اسرائيل ستجد نفسها امام اكبر خيبة منيت بها .. إنني أكاد الآن أسمع المنطقة كلها تهدر وأكاد ألمح الجموع الشعبية تزحف رافعة أعلامها" بعد ذلك كله ينهي عبد الناصر حديثه بإشارات صريحة إلى ما يود أن يقوم به ضباط النحلاوي كشرط مسبقة للاتفاق معهم :

"أنتم تريدون عودة الوحدة في شكل جديد .. لقد قلمت هذا الآن وأنا أيضا أرى مثل هذا الرأي ، أنا الآخر أطالب بشكل جديد للوحدة".

"إننا في حاجة الى أن ندرس كل ما حدث ونتفهم معانيه، ان ذلك سوف يفرض شكلا جديدا للتجربة وكل هذه أمور تستحق الدراسة بل وتتطلبها كضرورة حيوية للنجاح، ثم هناك مسائل أخرى أقولها لكم بصراحة بينها النظام الاجتماعي انني لا أتصور أن تقوم وحدة بين مصر وسورية وتكون القاهرة اشتراكية بينما دمشق رأسمالية، كذلك بينها مسألتكم أنتم، مسألة الجيش في أي دولة، هل تتلقى الدولة من الجيش أوامرها أم الجيش يتلقى من الدولة أوامرهم؟

كل هذه مسائل لا بد أن ندرسها وهي ما لا يمكن أن تتم بالانقلاب وإنما بحثها بين حكومات وطنية تلتقي في الهدف وتتحد عليه".



وهنا يسأله الضابط فايز الرفاعي مستعجلا الانقلاب  
ومتصورا بسذاجة إمكان الحصول على فتوى صريحة بذلك  
من عبد الناصر :

سيدي الرئيس ، وهل ننتظر الأخطار المحيطة  
بسورية خصوصا من جانب اسرائيل حتى تحيء الفرصة  
لاقامة حكومة وطنية في سورية تتذاكر معكم في هذه  
الأمر كلها؟

ولكن عبد الناصر يتهرب من الجواب واعداء اياهم بأنه  
لن يترك سورية وحدها في حالة العدوان الاسرائيلي  
وينهي الجلسة بقوله :

"لقد جعت هل تتعشون معي؟" (ص 577 - 585).

ويعود الضباط الثلاثة الى سورية ويبدو أنهم فهموا أن عبد  
الناصر سيتفق معهم في حالة إطاحتهم بالنظام القائم في  
سورية وإلا لما تجرؤا على القيام بانقلاب 1962/3/28، ولكنهم  
كانوا بالغى السذاجة عندما تصوروا أنه قد صفح عنهم، فلقد كان  
الدعم الاعلامي من اذاعة القاهرة واضحا وقويا للضباط الذين قاموا  
بعضيان حلب وكانت الأحداث قد رتب لها أن تكون كالتالي :

أن يقوم ضباط الانفصال أنفسهم بالمرحلة الأولى  
من الانقلاب في دمشق وهي حل المجلس النيابي  
والقضاء على الحياة الديموقراطية، وان تكون المرحلة  
الثانية هي استيلاء الضباط الناصريين على الحكم بقيادة  
حاسم علوان بواسطة الحركة التي قاموا بها في حلب،  
ولكن الذي افسد هذه الخطة هو مؤتمر ضباط الجيش في  
حمص الذي أعلن المؤتمرون فيه أنهم ليسوا أوصياء على  
الشعب، وقرروا ترحيل ضباط الانفصال من دمشق  
ومقاومة المتمردين في حلب.

وإلى خطة الانقلاب الناصرية المزدوجة يشير صراحة الفريق  
لؤي الأتاسي (ناصرى) رئيس الدولة السورية بعد انقلاب الثامن

من آذار معتبرا اياها عملية واحدة، وذلك في محادثات الوحدة الثلاثية مع عبد الناصر عندما يقول :

"عملية 28 آذار وما قبلها في حلب" كانت عملية ناجحة مئة بالمئة .. ولكن سبب الفشل هو التخطيط الخاطئ من الجماعة المتصلين بالسفارة (المصرية) لأنهم تعاونوا مع بدر الأعسر" (ص63). ويقصد الأتاسي جماعة العقيد جاسم علوان(1) الذي كان على رأس تمرد حلب لأن هؤلاء اتصلوا مع العقيد بدر الأعسر قائد المنطقة الوسطى في حمص حيث انعقد مؤتمر الضباط الذي قرر الوقوف في وجه انقلابي دمشق وحلب في آن واحد.

ان الذي فشل عمليتي دمشق وحلب في آن واحد ليس بدر الأعسر كما يقول لؤي أتاسي في المحادثات وإنما الاتجاه العام في الجيش الذي لم يكن ناصريا بحال من الأحوال والى ذلك يشير زهر الدين في مذكراته :

"أما الاجتماع الآخر فقد عقد برئاستي، وقد استدعيت لحضوره المسؤولين في الجيش، وذلك على صعيد القيادة العامة وصعيد القطاعات المحاربة، وصعيد قيادة المناطق والمصالح ومدراء المدارس العسكرية، ولا أزال أذكر من الذين حضروا هذا الاجتماع الذي عقد ليلا في مدرسة المدرعات كلا من : اللواء زهر الدين العميد مسلم صباغ، العميد عدنان عاقل، العميد زهير عجيل، العقيد زياد الحريري، العقيد تيسير الطباع، العميد محمد عودة، العقيد عبد الكريم العابد والعقيد عدنان الشويكاني، العقيد محمد منصور، المقدم عبد الكريم النحلاوي، المقدم مهيب الهندي، المقدم هشام عبد ربه، والرائد فائز الرفاعي، وقد حضر هذا الاجتماع كثيرون غيرهم، غير انني لم أعد أذكر أسماءهم.

(1) من الجدير بالذكر أن النظام الناصري اعتمد على العقيد جاسم علوان مرة أخرى في أحداث 1963/7/18 التي جرت بعد انقلاب الثامن من آذار 1963 في سورية وذلك عند الهجوم على مبنى وزارة الدفاع في دمشق مما أدى الى مصرع عدد كبير من أفراد الجيش والمدنيين والى الحكم بالاعدام على ثلاثين ضابطا ومدنيا وهي أول عمليات إعدام في تاريخ الجيش السوري.

لقد استعرضنا في هذا الاجتماع موضوع إعادة الوحدة فأدلى العقيد شرف زعلالوي نائب رئيس شعبة المخابرات برأيه القاضي بضرورة القيام بانقلاب تعود على أثره الوحدة الفورية، واستند بذلك على الموقف الذي وصفه بأنه خطر، اذ قال بأن الجيش بكامله ناصري وان الشعب بنسبة 90% ناصري، ولذلك فهو يقترح سرعة القيام بهذه الحركة خوفا من المد الناصري، الذي قد يطيح بنا بصورة فجائية.

وهنا تعالت أصوات الاحتجاجات فتدخلت بالموضوع وأعدت الهدوء وقلت إذا اتضح لنا بأن كلام المخابرات واقعي فيجب الاسراع بالانضواء تحت لواء الوحدة الفورية، اما اذا ثبت لنا بأن تلك الأقوال غير مضبوطة فينبغي تحاشي الاصطدامات التي قد تنشأ من جراء القيام بأية حركة لا تكون الاكثرية مؤمنة بها.

ووجهت سؤال الى قادة القطعات المحاربة فيما اذا كانوا يؤيدون قول شعبة المخابرات من أن الجيش بكامله ناصري. وقد سألتهم واحدا واحدا فكانت اجاباتهم نافية نفيًا قاطعا لحديث المخابرات، وخاصة زياد الحريري، الذي استهجن هذا القول، وأكد بأن لواءه خال من أي ناصري .. ثم سألت قادة المناطق عن الناحية المدنية فاستنكروا قول شعبة المخابرات وقالوا بأنه خال من الصحة .. وأخذنا جميعا باستعراض مختلف فئات الشعب حيث قلنا بأنه لا يمكن أن تكون النسبة التي حددها نائب رئيس شعبة المخابرات مضبوطة، اذ ان الشيوعيين غير ناصريين، وجماعة أكرم الحوراني غير ناصريين والمسيحيون غير ناصريين والاخوان المسلمون غير ناصريين والتجار غير ناصريين ورجال الصناعة والاقتصاد غير ناصريين، كما أن النسبة الكبرى من الفئات الأخرى كالعمال والفلاحين والطلاب غير ناصريين، ولذلك لا يمكن أن تكون أقوال شعبة المخابرات صحيحة". (ص 193)

**تصوري لمستقبل العمل السياسي في سورية بعد  
انقلاب 62/3/28 :**

لقد أصبحت مقتنعا بسقوط المراهنة على امكانية العمل في سبيل تحقيق اتحاد مع جمال عبد الناصر بعد انقلاب 28 آذار، وانه من الواجب قبل التفكير في هذا الموضوع هو تحقيق الوحدة الوطنية في سورية التي أصيبت بشرخ بعد هذا الانقلاب، لذلك كانت منطلقاتي في العمل السياسي هي التالية :

1- العمل لاعادة الديمقراطية البرلمانية في سورية مما يضمن الحريات العامة والخاصة ويؤدي بالتالي الى مناخ سياسي تجد فيه كل فئات الوطن مجالا للمشاركة والتعبير عن أوضاعها وتطلعاتها وحل مشاكلها.

2- بعد سقوط النحلاوي وضباطه وطردهم من البلاد وهم المسؤولون عن انقلاب أيلول، وبعده انقلاب آذار، وعن كثير من الاخطاء والانحرافات التي ارتكبوها بصفتهم من مخبرات المشيرعامر، تعاضم لدي الأمل بامكانية عودة النظام الوطني الديمقراطي ، بتأليف حكومة مدنية، ثم اجراء انتخابات جديدة ستفوز بها كما كنت أعتقد اغلبية وطنية ديموقراطية من الاشتراكيين البعثيين والمستقلين وعدد من القيادات السياسية الوطنية الأخرى، ولا سيما ان المجلس النيابي المنحل قد حقق به الاشتراكيون نسبة كبيرة قياسا للظروف التي تم بها الانتخاب، كما فاز في ذلك المجلس عدد لا بأس به من القيادات الوطنية المستقلة وعند ذلك يمكن لناظم القدسي أن يقدم استقالته من رئاسة الجمهورية ليتم انتخاب رئيس جديد فيكون ذلك انتقالا دستوريا ديموقراطيا من عهد سياسي فاشل الى عهد آخر.

3- الاستمرار بالدعوة لتوحيد الصف العربي لمواجهة التوسع الاسرائيلي على حساب الحياة العربية.

4- المحافظة على سياسة عدم الانحياز مع تمتين العلاقات مع السوفيت والمعسكر الاشتراكي والعمل على وحدة الصف العربي في مواجهة المطامع الصهيونية.

هذه هي الافكار التي انطلقت منها بعد انقلاب 28 آذار فحاولت على ضوئها أن أعالج المشاكل السياسية في سورية ولكن خطتي لم تتحقق لعوامل داخلية وعربية ودولية.



- 1- الافراج عن رئيس الجمهورية وعن المعتقلين من النواب والسياسيين والاقتصاديين.
- 2- عودة ناظم القدسي لرئاسة الجمهورية.
- 3- الاجتماع الحزبي في بيت ميشيل علق.
- 4- تأليف حكومة بشير العظمة وبيانها الوزاري.

دعا قائد الجيش بتاريخ 62/4/10 قبل عودة القدسي عن استقالته من رئاسة الجمهورية عددا من القيادات السياسية والاقتصادية للاجتماع في وزارة الدفاع منهم: اكرم الحوراني، أسعد الكوراني، صلاح البيطار، رشاد برمدا، عصام العطار، فرحان الجندلي، نصح الايوبي، فريد زين الدين، بشير العظمة، محسن شيشكلي، أديب نصور، يسار البيطار (اقتصادي) مظهر الشريجي. وعقد هذا الاجتماع برئاسة قائد الجيش عبد الكريم زهر الدين بحضور العقيد وديع مقعبري، وفيه جرى البحث في الحلول المقترحة للوضع السياسي بعد انقلاب 28 آذار ، وموضوع الوحدة مع مصر بصورة خاصة، والخلاف بين سورية ونظام جمال عبد الناصر، فحمل نصح الايوبي على نظام عبد الناصر وعدد ما ارتكبه هذا النظام من أخطاء وانحرافات في سورية خلال سنوات الوحدة مركزا على النواحي الاقتصادية بصورة خاصة، واستبعد أي صيغة لعودة الوحدة مع مصر، ثم تبعه صلاح البيطار فحمل بالمقابل، على الحكم الرجعي الذي انبثق بعد 1961/9/28 وما ارتكبه من انحرافات وأخطاء وأطماع، واحتدم النقاش بينهما، فتدخل فريد زين الدين بأسلوب دبلوماسي طالبا بحث عودة الوحدة مع مصر من جديد على أسس تأخذ بعين الاعتبار أخطاء التجربة السابقة، ولما طلب إلي إبداء رأيي قلت :

يجب علينا أن نعمل أولاً وقبل كل شيء على عودة الحكم المدني إلى البلاد بدلاً من الحكم العسكري ، وبداية ذلك تكون بعودة ناظم القدسي لرئاسة الجمهورية وتشكيل حكومة مدنية تتولى السلطتين التنفيذية والتشريعية، ريثما يتم إجراء انتخابات جديدة لمجلس تأسيسي نيابي، يضع للبلاد دستوراً برلمانياً ديمقراطياً، يضمن جميع الحريات العامة والخاصة للمواطنين، وقد أيد المجتمعون أقواله ولم يعارضها أحد منهم.

أثر هذا الاجتماع أفرج عن ناظم القدسي وعاد إلى رئاسة الجمهورية مع صدور بيان عن قيادة الجيش يرد إليه اعتباره ويبرر للجيش قيامه بانقلاب 28 آذار جاء فيه :

- 1- ان الجيش بجميع وحداته مجمع على الابتعاد عن السياسة.
- 2- ان الجيش بحركته (62/3/28) لم يهدف إلى التدخل بالسياسة ولكنه كان ملزماً بحماية الأهداف القومية العليا.
- 3- ان الجيش مؤمن بأن تشكيل وزارة قبل عودة الحياة الدستورية يخالف إصراره بالابتعاد عن السياسة لأن الحكومة ستكون مسؤولة في هذه الحال أمامه .
- 4- ان استقرار الوطن لا يمكن أن يتحقق دون قيام حكم دستوري ديمقراطي.

وفي ختام البيان توجه الجيش بالثقة والأمل إلى شخصية وطنية كبيرة تجمع الاخلاص العميق والخبرة والكفاءة وهي شخصية الدكتور ناظم القدسي.



إثر عودته لرئاسة الجمهورية بتاريخ 62/4/14 أذاع ناظم القدسي بياناً جاء فيه :

أنه سيعمل جهده مع الحكومة الانتقالية لارساء حياة دستورية ديمقراطية وللمباشرة العمل من أجل الوحدة مع البلاد العربية "مبتدئين بمصر العزيزة" على أسس جديدة مستمدة من

التجارب الماضية، بما يكفل لسورية كرامتها، ويكفل للوحدة النمو والحياة واستقطاب البلاد العربية، وان الحكومة بمعاونة الخبراء ستقوم باعادة النظر في قوانين الاصلاح الزراعي والتأميم (أي الغاء التعديلات التي أدخلها المجلس النيابي المنحل على تلك القوانين). كما ستمضي الحكومة بسرعة لاصدار التشريعات اللازمة لتأمين الحريات العامة وتمكين الافراد من ممارستها في حدود المصلحة الوطنية، وانها ستعمل على وضع دستور يأتلف وأوضاع البلاد وأمانها، ثم يعرض على الرأي العام لمناقشته، ثم تسعى لإجراء انتخابات حرة نزيهة، أما في مجال العلاقات الخارجية فقد أشار البيان الى مبدأ عدم الانحياز في سياسة سورية الخارجية.

بعد عودة ناظم القدسي لرئاسة الجمهورية كلف الدكتور بشير العظمة بتشكيل الوزارة، فشرع العظمة باستشاراته، واتصل بي كما اتصل بصلاح البيطار طالبا اشراكنا في هذه الحكومة، فقبلت الاشتراك على شرط أن يكون للحزب ثلاث حقائب وزارية نختارها نحن، فترث بشير العظمة بإعطائي الجواب، وبعد هذا التكليف دعا ميشيل عفلق لاجتماع حزبي في منزله، بعد انقطاع طويل عن عقد مثل هذه الاجتماعات، فحضر كما أذكر بعض الحزبيين منهم عبد البرعيون السود، فيصل الركبي، وهيب الغانم، حافظ الجمالي، عبد الفتاح الزلط وآخرون، فوافق جميع المجتمعين على ضرورة اشتراك الحزب بالحكومة على أساس تخصيص ثلاث حقائب وزارية، **ما عدا الاستاذ ميشيل عفلق الذي أصر على استلام الحكم وتأليف حكومة من قبل الحزب كشرط تعجيزي غير قابل للتحقق الا بانقلاب عسكري.**

بعد هذا الاجتماع فوجئت بهاتف من الاستاذ صلاح البيطار يخبرني فيه بأنه اتفق مع بشير العظمة على الاشتراك بالحكومة بشخص عبد الحليم قدور وعبد الله عبد الدايم، فخيل إلي أن ذلك قد تم بالاتفاق مع ميشيل عفلق، فأبدت له موافقتي، ولكن الذي تكشف لي فيما بعد ان البيطار بالاتفاق مع العظمة قد قرر اشراك هذين الوزيرين دون استشارة ميشيل عفلق.

ومن الجدير بالملاحظة هنا أن بشير العظمة وصلاح البيطار لم ينجحا في انتخابات المجلس التأسيسي النيابي التي جرت بعد الانفصال، ولكن اختيار ناظم القدسي وعبد الكريم زهر الدين بشير العظمة (أحد وزراء الوحدة) رئيسا للحكومة، وإشراك عبدالله عبد الدايم (من جماعة صلاح البيطار) وزيرا للاعلام، كان ظنا منهما بأن المذكورين سيكونان محاورين مقبولين مع جمال عبد الناصر حول صياغة شكل جديد من العلاقة بين سورية ومصر بما يرضي جمال عبد الناصر فيكف عن حملاته على الوضع في سورية ومحاولاته تفجيره، ومما يضمن مساندة حكمهما في سورية، الأمر الذي حاوله من قبل في انقلاب الثامن والعشرين من آذار 1962 عبد الكريم النحلاوي ومجموعته من الضباط، كما حاوله انقلابيو الثامن من آذار 1963 فيما بعد.

### وزارة بشير العظمة .

بتاريخ 16/4/1962 تمكن بشير العظمة من تشكيل الوزارة السورية على النحو التالي :

رشاد برمدا : نائبا لرئيس مجلس الوزراء ووزيرا للتربية والتعليم والزراعة.

أحمد عبد الكريم : وزيرا للشؤون الاجتماعية والعمل والاصلاح الزراعي.

رياض الميداني : وزيرا للشؤون البلدية والقروية والتموين.

عدنان الأزهري : وزيرا للخارجية.

جورج خوري : وزيرا للمالية.

صبحي كحاله : وزيرا للمواصلات والتخطيط.

رشيد حميدان : وزيرا للمواصلات والتخطيط.

عبد السلام العجيلي: وزيرا للثقافة والارشاد القومي.

نهاد السباعي : وزيرا للاقتصاد.

احسان الرفاعي : وزيرا للصحة.



روبير الياس : وزيرا للصناعة والاشغال العامة.

عبد الله عبد الدايم : وزيرا للاعلام.

عبد الحليم قدور : وزيرا للشؤون الاجتماعية والعمل.

عبد الكريم زهر الدين : وزيرا للدفاع.

كان معظم أعضاء هذه الوزارة ممن لم يدخلوا سابقا معترك الحياة السياسية، اذ كانوا من الموظفين الفنيين المشهود لهم بالحياد والكفاءة، وبمثل هؤلاء الوزراء يتاح لرئيس الجمهورية ناظم القدسي ولقائد الجيش وزير الدفاع عبد الكريم زهر الدين أن يستأثروا بتوجيه دفة الحكم دون معارضة تذكر من قبل أعضاء الحكومة.

### **البيان الوزاري لحكومة الدكتور بشير العظمة :**

بتاريخ 62/4/21 أصدرت حكومة بشير العظمة بيانها الوزاري الذي يتبنى معظم الافكار التي طالبنا بتنفيذها في المجلس النيابي التأسيسي المنحل والتي كانت شرطا لقبولنا الاشتراك في هذه الوزارة، وقد ورد في البيان ما يلي :

"ان هذه الحكومة الانتقالية جاءت لتستجيب للارادة الحرة الاصلية التي تهدف الى اقامة وحدة عربية وفق أسس مدروسة تضمن لهذه الوحدة البقاء والنماء".

" لقد انتكست تجربة الوحدة لأسباب كثيرة تقع المسؤولية فيها على العديد من العوامل وكانت وراء انتكاساتها حوادث ومواقف ليس المهم أن نتهمها بل المهم ان نعرفها وأن نفيد من دروسها ". وحدد البيان الوحدة التي ستعمل الحكومة على تحقيقها : " وترى الحكومة أن الوحدة المتكافئة التي تستند الى قواعد مدروسة تعبر عن ظروف الواقع العربي وتوفر لكل بلد يسهم فيها كرامته وإرادته هو الطريق الوحيد الى بقاء الوحدة ونمائها".

"إن الحكومة ستشرع بالاتصال مع الحكومات العربية المتحررة مبتدئة بمصر الشقيقة، لتطرح بعد ذلك على الاستفتاء

الشعبي مشروعا مدروسا ومتفقا عليه ليقول الشعب كلمته فيه". أما بالنسبة للوضع الاقتصادي فقد جاء في البيان ما يلي:

"إن مرحلتنا هي مرحلة تنمية واستخراج ثروات البلاد، وترى أن هذه الغاية لا تتحقق الا اذا تم دعم رأس المال الوطني بحيث يتمكن من التطور والازدهار في مجال الصناعة والتجارة وسائر مجالات الانتاج، والا إذا قامت من جهة ثانية عدالة في التوزيع تمنع تمركز رأس المال ونشوء الاحتكارات".

"سوف تقبل الحكومة دخول رؤوس الأموال العربية والاجنبية ضمن اطار الخطة الاقتصادية على أن تبقى منزهة من الغرض السياسي وستدرس الحكومة بعناية وسرعة موضوع المصارف وشركات التأمين".

"ورغم ايماننا بواجب الحكمة في دعم الصناعة لتحقيق أهداف الاقتصاد القومي، نرى أن هذه الاهداف تتعارض مع التمرکز الشديد لرأس المال وامكانية تسلطه على الحكم، ولهذا قررت الحكومة اعادة تطبيق التأمين على الشركة الخماسية".

"كما ستعمل الحكومة على الغاء جميع التعديلات التي طرأت على قانون الاصلاح الزراعي والتي غيرت جوهره وروحه وعلى العودة الى القانون السابق بأسرع وقت ممكن".

"إن سياسة الحكومة الخارجية تقوم على سياسة الحياد وعدم الانحياز والبعد عن الاحلاف والمعسكرات والحرب الباردة والتمسك بميثاق هيئة الأمم المتحدة".



بعد تأليف حكومة بشير العظمة عقد رئيس الجمهورية ناظم القدسي اجتماعا حضرته مع خالد العظم، بشير العظمة، سعيد الغزي، صلاح البيطار. وفي ذلك الاجتماع سألنا ناظم القدسي عن رأينا في الصيغ الدستورية الملائمة لاعادة الوحدة بين سورية ومصر، فرفض خالد العظم أي بحث في موضوع الوحدة في الوقت الحاضر، واقترح سعيد الغزي الوحدة مع مصر على أساس اتحاد

فدرالي. أما صلاح البيطار فطلب اعادة الوحدة بدستور وحدة اتحادية كما في الولايات المتحدة الاميركية، وهنا احتدم الخلاف بين سعيد الغزي وصلاح البيطار الذي نعتة بالانفصالية فقال له الغزي : نعم أنا انفصالي فتدخلت في النقاش الدائر بينهما وتوجهت للبيطار بالسؤال التالي:

كيف يمكن أن تحقق نظاما ديموقراطيا برلمانيا في سورية على أساس وحدة اتحادية مع مصر التي حكمها نظام فردي ديكتاتوري؟

قال البيطار : ان دستور الوحدة الاتحادية يمكن أن يضمن ذلك، فذكرته كيف ان جمال عبد الناصر قد خالف بنود الدستور الموقت، وتساءلت كيف يمكن للحكم الديكتاتوري الفردي ان يتقيد بالضوابط الدستورية والقانونية التي تحد من سلطانه؟

كما قلت يومذاك لصلاح البيطار :

لقد كنت أكثر مني انتقادا لأخطاء وانحرافات نظام عبد الناصر، وأنت الذي قلت ان عبد الناصر قد أفرغ الوحدة من مضمونها وأنها سقطت قبل أن يسقط اطارها الدستوري والسياسي بالانفصال، وكنت تقول انه لا يجوز ان تعود الوحدة بصيغتها السابقة وهذا ما دعاك لأن تكتب بنفسك الوثيقة التي يسميها عبد الناصر وأجهزته وثيقة الانفصال. وقد مرت عليك أيام خلال حكم الوحدة فكرت فيها بالانتحار ، كما كنت تقول لي، وقد كانت استقالتك أساسا من اصلاح نظام عبد الناصر فكيف تعود الآن متحمسا لعودة الوحدة وأنت الذي كنت تنعت هذا النظام بأنه ديكتاتوري مباحثي حكم سورية بواسطة عبد الحميد السراج، فأخرج سورية ومنعها من القيام بدورها الطبيعي في العالم العربي؟



بعد عدة اسابيع من هذا الاجتماع وتاريخ 1962/5/20 أصدرت كراسا تحت عنوان : رأي أكرم الحوراني بالوحدة العربية،

وفيما يتعلق بمخالفات عبد الناصر للدستور الموقت ورد فيه ما يلي :

"يخطئ من يظن ان الوحدة السياسية التي قامت عام 1958 بين سورية ومصر لم توضع لها أية شروط أو ضوابط لكن الحكم الديكتاتوري الفردي عبث بها بعد اسابيع قليلة من اقرارها.

انني اذكر كل مواطن انه عندما قامت الوحدة بين سورية ومصر، أطلقت يد عبد الناصر بوضع شروط هذه الوحدة وضوابطها فوضع هو بنفسه الشروط والضوابط في النقاط العشر الاساسية التي جرى عليها الاستفتاء الشعبي أولا، ثم في الدستور الموقت للجمهورية العربية ثانيا، وعندما نعود الى النقاط العشر التي جرى عليها الاستفتاء والى مواد الدستور الموقت نجد النص الصريح على إقامة حكم اقليمي في الاقليم السوري إطاره مجلس تنفيذي للاقليم ورئيس لهذا المجلس التنفيذي في حين يختار رئيس المجلس التنفيذي الوزراء الذين يريد التعاون معهم في الحكم، ورغم ان هذه القاعدة الدستورية الأصلية قد أفتى عليها الشعب في استفتاء عام وأقسم رئيس الجمهورية على احترامها، فإن عبد الناصر لم يحترمها ولم ينفذها في يوم من الأيام، وانما الذي نفذه منذ الشهر الأول للوحدة هو اختيار وزراء الاقليمين السوري والمصري بنفسه وإصدار قرار جمهوري بتعيينهم دون اصدار أي قرار جمهوري بتعيين رئيس مجلس تنفيذي للاقليم السوري يتولى بنفسه اختيار الوزراء الذين يريد أن يتعاون معهم كما نص على ذلك الدستور الموقت".

"ومضت الأيام على هذه المخالفة الدستورية التي استهل بها الرئيس عبد الناصر عهد الوحدة وقامت حكومة مركزية في القاهرة بالاضافة إلى مجلسين تنفيذيين في الاقليمين، ثم رأى ان يقيم مجلس أمة لوضع دستور دائم

للجمهورية العربية المتحدة بدلا من الدستور الموقت، فإذا به يخالف في تعيين مجلس الأمة قاعدة أخرى أساسية من قواعد الدستور الموقت. وتمضي الأيام تباعا فإذا به ينقم على عبد الحميد السراج ويقرر التخلص منه فلا يرى سبيلا إلى ذلك إلا أن يحرق مجددا أحكام الدستور الموقت قبل إنجاز الدستور الدائم، وذلك عندما ألغى المجلس التنفيذي الأقليمي في الأقليم السوري الغاء تاما، كما ألغى رئاسة المجلس ونقل الوزراء جميعا إلى القاهرة".

### لجنة الشؤون العربية .

بعد تشكيل الوزارة ، ألقت حكومة بشير العظمة لجنة أسمتها لجنة الشؤون العربية لتحقيق ما جاء في بيانها حول "الوحدة العربية المتكافئة التي تستند إلى قواعد مدروسة تعبر عن ظروف الواقع العربي، وتوفر لكل بلد يسهم فيه كرامته وإرادته، وهذا هو الطريق الوحيد لبقاء الوحدة ونمائها" وكانت اللجنة مؤلفة من الاعضاء الآتية أسماؤهم :

من دمشق : خالد العظم ، سعيد الغزي، محمد مبارك، صلاح البيطار، ميشيل عفلق، عصام العطار، جميل صليبا.

من حلب : رشدي الكيخيا، أسعد الكوراني، عبد الوهاب حومد، سعدالله المرعشي.

من حمص : فرحان الجندلي، هاني السباعي، راتب الحسامي، جمال الأتاسي.

من اللاذقية : أسعد هارون، وهيب الغانم .

من حماه : اكرم الحوراني.

من جبل الدروز : منصور الاطرش.

من دير الزور : عبد الكريم فرحان الفياض.

من النبك : أمين النفوري.

لم أكن متفائلا بنجاح أي صيغة من صيغ الوحدة مع عبد الناصر الذي لم يكن يستهدف كما كان يبدو لي إعادة الوحدة بصيغة دستورية جديدة، وقد كنت مصيبا فيما ذهبت اليه، لأن عبد اللطيف بغدادى في يومياته التي صدرت فيما بعد يشير الى ذلك، فهو عندما تحدث مع عبد الناصر عن بعض الظروف السياسية السورية التي يمكن أن تعيد الوحدة، جاء رد عبد الناصر بأنه لن يقدم على هذه الخطوة ثانية وقال :

"ابقوا اعملوها انتم" (ص 136 الجزء الثاني).

لقد جاء رد عبد الناصر سريعا على قيام هذه اللجنة إذ شنت أجهزته الاعلامية حملة مسعورة استهدفتني بالدرجة الاولى واستهدفت النواب الاشتراكيين العرب وشملت جميع الأحزاب السورية، وقد استغل عملاء المخابرات المركزية المبتوثون في اجهزة إعلامه وضعه النفسي لينفخوا بنار الحقد والفرقة بين سورية ومصر والبلدان العربية الأخرى.

ان عبد الناصر قد ورث معظم أجهزة المخابرات والاعلام من عهد فاروق، ومن بين هؤلاء الاخوان علي ومصطفى امين الذي استخدمه عبد الناصر قناة اتصال بينه وبين الاوساط السياسية الاميركية، ثم أدانه بتهمة الخيانة العظمى بعد هزيمة الخامس من حزيران، ولكن السادات أعاده لرئاسة الأوركسترا الاعلامية في مصر كما كان في عهد جمال عبد الناصر.

لقد قاد مصطفى أمين حملة الردح والافتراء الاعلامية علي بصورة خاصة وعلى وزراء الوحدة من الاشتراكيين، وكنموذج لهذه الافتراءات ما نشرته صحيفة أخبار اليوم بتاريخ 62/5/12 في العدد 914 بعنوان أحمر عريض هو : الوزير الحوراني السكران، ثم عنوان آخر هو : الحقوا وزير الشؤون الاجتماعية .. الحوراني يهدد بالقتل، ثم يروي في هذا المقال قصة خيالية روجتها المخابرات المصرية في سورية قبل الانفصال، ثم تلقفها مصطفى أمين.

وسبب ترويجها ان الوزير المذكور (عبد الغني قنوت) أثار في مجلس الوزراء قبل استقالته قضية اعتداء بعض ضباط المخابرات

المصريين على عدد من طالبات مدرسة التطبيقات المسلكية الابتدائية في دمشق، وهي قضية جرت فيها تحقيقات واسعة من قبل وزارة التربية السورية، وقد قيل للوزير بعد اثارته القضية في مجلس الوزراء: إن ذلك يحدث في كل بلد، ولكنه الوزير أجاب :

إن ذلك يحدث مع عاهرات وليس مع قاصرات.

ومع الأسف فإن عبد الناصر تولى بنفسه الحملة الاعلامية، فوصف لجنة الشؤون العربية المذكورة بأنها "لجنة انفعال مهمتها تميع الوحدة" (وكالة الانباء العربية تاريخ 62/5/28).

وجاء في كلمته اثناء انعقاد المؤتمر الوطني لوضع مشروع الميثاق الوطني للاتحاد الاشتراكي ما يلي :

"كان الحوراني يوجه الاتهامات جزافا الى زملائه الوزراء السوريين في حكومة المتحدة منذ أول يوم للوحدة بين سورية ومصر كما طلب السيد الحوراني بعد اعلان الوحدة بخمسة أيام ابعاد اللواء البزرة قائد الجيش من منصبه بحجة انه شيوعي".

ثم اتهمني بأنني زعيم الانتهازية التي تسعى الى تغيير الشعب والجيش في سورية من الوحدة العربية وأضاف :

"إن الحوراني كان يقول للضباط الوجدويين ان عبد الناصر سيعلق لكم المشانق اذا رجع الى سورية ولكنني أقول ان الذي سيعلق المشانق هو أكرم الحوراني سيعلقها لكل غير حوراني!!".

كانت حملة الاعلام الناصري حملة مسعورة رأيت من واجبي قبل أن أرد عليها أن أحذر جمال عبد الناصر من مغبة الاستمرار بها ومن ضررها البالغ على مصر وسورية والقضية العربية، ولا سيما وان قضية تحويل نهر الأردن كانت موضوع الساعة آنذاك، فوجهت اليه بكل أدب وبكل رصانة التحذير التالي الذي نشرته جريدة الوحدة السورية في عددها رقم 1078 بتاريخ 1962/5/10 ، مع ملاحظة أنني لم أتعرض حتى هذا التاريخ، رغم الحملات المقذعة، الى سبب استقالتي من حكومة الوحدة ، تلك

الاستقالة التي سببها بشكل رئيسي موضوع السكوت عن تحويل نهر الأردن.

وفيما يلي نص التحذير :

**الحواراني يرد على الحملات التي تشنها عليه أجهزة الاعلام المصرية. ما يجري الان في الشرق العربي لا يخدم الا اهداف الاستعمار.**

سئل الاستاذ اكرم الحواراني ان يرد على الحملات التي تشنها عليه وعلى اخوانه اجهزة الاعلام المصرية فقال :

كلما سمعت بحملة الاراحيف والاباطيل الموجهة إلي وإلى إخواني، ساءت نفسي لمصلحة من هذه الحملة المسعورة، ومن تخدم، وما هي اغراضها القريبة والبعيدة؟ وبعد تفكير وتأمل طويلين انتهيت الى ان كل ما يجري الان في الشرق العربي لا يخدم الا اهداف الاستعمار واغراضه القريبة والبعيدة على السواء للأسباب التالية :

أولاً: يشعر الغرب بعد ان ارغم على حل قضية الجزائر العربية وفق اتفاقيات ايفيان، بضرورة الاسراع في تصفية قضية فلسطين تصفية تقوم على أساس تدعيم كيان اسرائيل والتمكين له، ومساعدة اسرائيل على انجاز مشروع تحويل مياه الأردن الذي شارف على النهاية لتستوعب ملايين اخرى من اليهود، وفقاً لما وعد به الرئيس الاميركي كيندي الصهيونية العالمية عند خوضه معركة انتخابات الرئاسة.

ثانياً : إن فرض تصفية قضية فلسطين على العرب لا يمكن أن يأتي لا عن طريق الضغط بالوسائل الدبلوماسية على الحكومات العربية التي لا تجرؤ مهما بلغت علاقاتها بدول الغرب، ولا عن طريق اقناع الجماهير العربية المؤمنة بحق العرب في فلسطين والمستعدة للدفاع عنه بمختلف الوسائل حتى الرمق الاخير.

ولذلك لا عجب اذا رأينا الاستعمار يلجأ الى الاساليب الملتوية أو يعتمد جاهداً الى دفع الامور في البلاد العربية دفعا يؤدي الى



تفتت وسحق كل قوة عربية يمكن أن تقف في وجه تصفية القضية الفلسطينية أو تعارض جديا في انجاز تحويل مياه الاردن. ومن الطبيعي أن الاستعمار لا يلجأ الى قواته المادية المباشرة لسحق مراكز القوى العربية قبل طرح مشروعه هذا، لان استخدام القوة المباشرة ستكون له مضاعفات دولية بالاضاف الى منافاته لروح العصر، بل يعتمد الى اصطناع جو في البلاد العربية المحيطة بفلسطين يدفعها دفعا الى الحرب الاهلية أو ما يشبه الحرب الاهلية، حتى اذا ما انهك قواها ، وفتت جيوشها وضربها ببعضها بعضا، تحت اسم الاقتتال على تحقيق او رد شعارات قومية في هذه المرحلة عمد الى طرح مشروعه لتصفية قضية فلسطين وانجاز تحويل الاردن.

ثالثا - ان نظرة سريعة تلقى على ما جرى خلال الاشهر القليلة الماضية وما يزال يجري حتى الآن في الشرق العربي تكشف بوضوح الاندفاع السريع في المخطط الاستعماري، ففي سورية، اتهم المؤمنون بالوحدة والعاملون لرفع لوائها الصحيح تارة بالانفصالية، واخرى بالتعاون مع الرجعية، بعد ان نشطت اجهزة معينة لدفع الجيش السوري المعروف بانه المدافع الاول في قضية فلسطين والمدخر للساعة الحاسمة الى الاقتتال بغية تصفيته، في وقت دست فيه الدسائس واعدت المخططات لحرق المدن السورية واشاعة الفوضى والاضطراب وسفك الدماء في كل مكان " رغم ان السيد محمد حسنين هيكل " الناطق باسم الرئيس عبد الناصر، كان قد اذاع على العالم تحت توقيعه قبل ذلك بقليل "ان الوحدة بين سورية ومصر لم تنفصل الا لانها استنفذت اغراضها منذ تحطيم حلف بغداد وقيام ثورة العراق في 14 تموز عام 1958، وان كل ابقاء عليها كان تجديفا على التاريخ". ومن الواضح أن تحطيم سورية جيشا وشعبا في حرب اهلية هو الخطوة العملية الاولى في تنفيذ المخطط الاستعماري لتصفية قضية فلسطين وانجاز مشروع تحويل الاردن، لان سورية كانت وما زالت حصن العرب الاول بالنسبة للدفاع عن القضية الفلسطينية.

وفي لبنان دفع السوريون القوميون للقيام بانقلاب فشل لحسن الحظ، ولكن فشله لم يمنع من الهاء الجيش اللبناني بامور لبنان الداخلية عن مهمته الاصلية، كما زاد التوتر في لبنان زيادة ضاعفت من الاحتكاكات الطائفية والانقسامات الداخلية. وهكذا شغل لبنان جيشا وشعبا بكبح الفتنة الاستعمارية، بدل أن يبقى مستعدا للاسهام في مقاومة المخطط الاستعماري عند طرحه.

وفي الاردن، استفاد الاستعمار من التطاحن بين الرئيس عبد الناصر الملك حسين ، ليعد الجيش الاردني كما اعترفت بذلك اذاعة مصر الرسمية وصحفها للانقضاض على سورية والافتتال مع الجيش السوري، تحت اسم منع عبد الناصر من العودة الى دمشق، ولو تم شيء من هذا لا سمح الله، يكون الاستعمار قد ظفر في تحقيق مخططه ظفرا كاملا، لانه عندما يطرح مشروع تصفية القضية الفلسطينية وانجاز تحويل مياه الاردن، لن تكون لا في سورية ولا في غيرها جيوش عربية مستعدة للمعركة بل اشلاء جيوش ممزقة. اما في العراق ، فقد قامت الثورات وغذيت منذ اشهر في اكثر من منطقة، واصبح الجيش العراقي مشغولا بقمعها، بدلا أن يكون مستعدا للاشتراك في معركة احباط مشروع تصفية قضية فلسطين ومنع انجاز تحويل مياه الاردن. ومع ذلك نرى ابواق بعض الاذاعات العربية، وبعض اجهزة التخريب العربية، لا هم لها الا اذكاء نيران الاضطرابات في العراق، ودفع العراق الشقيق دفعا الى ما يشبه الحرب الاهلية لانهاك قواه كلية اليوم قبل الغد.

يجري هذا كله في سورية ولبنان والاردن والعراق، بينما قوات البوليس الدولي ما زالت ترابط على خطوط الهدنة بين مصر واسرائيل، لتمنع تحت راية الامم المتحدة كل تقدم من جانب قوات الجيش المصري للمساهمة مع باقي القوى العربية في احباط مشروع تصفية قضية فلسطين وانجاز تحويل مياه الاردن.

ان هذه الصورة السريعة الصادقة لما يجري الان في الشرق العربي، في الوقت الذي يتجول فيه المستر جونسون، مبعوث لجنة التوفيق بين عواصم الدول العربية المحيطة بفلسطين وتل ابيب، تمهيدا لطرح تصفية القضية الفلسطينية واتمام تحويل مياه الاردن،

تجعلني أرى المؤامرة الاستعمارية على العرب بوضوح، وتحملني على أن أهيب بالرئيس عبد الناصر بالتوقف من غير ابطاء عما يقوم به في سورية خاصة، وبقيّة البلاد العربية المحيطة بفلسطين عامة، والالتفات الى عمل عربي جدي لمنع كارثة جديدة اعدت للعرب، وادخار القوى العربية لساعة الخطر القريبة، لا سيما وأن جمال عبد الناصر بالذات قال في خطابه الاخير ان نذر الحرب تلوح في الافق من جراء قضية فلسطين.

وقد اثرتنا دوما ان نتلقى بصدر رحب ، وباعصاب باردة، جميع الحملات الظالمة الفاجرة التي شنّتها ولا تزال تشنّها علينا اجهزة المخابرات والاعلام والصحافة الناصرية منذ استقالتنا حتى الان، وامتنعنا عن البوح باسرار هذه الاستقالة حرصا منا على المصلحة القومية العليا، وخوفا من ان يستفيد منها اعداء العرب.

ولكن لا يبقى لنا الخيار في ذلك، وانما يصبح ذلك حقا في اعناقنا للشعب حينما نرى أن المعركة الاستعمارية الضاربة قد اسفرت عن وجهها، وطرحت بكل جرأة مشروعها الرامي الى تصفية كارثة فلسطين من خلال التطاحن الاهلي والطائفي والعسكري في سورية والبلاد العربية الاخرى المجاورة، تحت ستار شعار - الوحدة الناصرية - مع ان قضية انقاذ فلسطين، واسترداد حقنا فيها كاملا غير منقوص كانت دائما وستبقى ابدا المحرك الاساسي والدافع الاقوى لوحدة العرب.



من قراءة هذا الكتاب المفتوح الموجه الى عبد الناصر يتبين كم كانت نصيحتنا صادقة واستشرافنا للمستقبل العربي صحيحا، ولكنها كانت صرخة في واد.

والذي يبدو أن البغدادي نائب عبد الناصر وبعض وزرائه كانوا يشعرون بالخطأ الفادح من هذه الحملات المسعورة على سورية، بالوقت الذي كان يصرح لهم بأنه لا يقصد منها عودة الوحدة بين سورية ومصر.

لقد جاء في مذكرات البغدادي انه وضع مذكرة بتاريخ  
61/10/3 ليقدمها الى جمال عبد الناصر :

"انني رأيت من واجبي بعد تلك الاحداث المؤلمة  
التي حدثت في سورية والتطورات التي كانت تجري  
هناك، أن اكتب خطابا شخصا الى جمال أمين فيه رأيي  
بالطريق الواجب علينا اتخاذه حيال تلك الاحداث،  
ومستعرضا ايضا الاخطاء الرئيسية التي كانت من ضمن ما  
حدث في سورية، ومؤملا على أن نعمل على تلافيتها في  
المستقبل".

ويقول البغدادي انه قبل تقديمها اطلع عليها الوزير  
حسن ابراهيم فوافقه على ما جاء فيها، ولكنه أبدى  
تخوفه من أن يسيء جمال فهم القصد من ذلك الخطاب،  
وخاصة في تلك الظروف، وربما يفسر الأمر تفسيرا بعيدا  
عن القصد بل ربما يدفعه ذلك للتشدد، لذلك رأى البغدادي  
انه من الافضل ان يلتقي مع عبد الناصر وان يتحدث اليه  
في نقاط ذلك الخطاب الذي أثبتته البغدادي في مذكراته  
وقد ورد فيه:

"إننا ربما نزيد من الشقة بيننا وبينه (الاقليم  
الشمالي) باستمرارنا في مواجهة الأوضاع هناك بما  
نعتقد أنه يزعزع قواعد النظام فيه ويؤلب الشعب على من  
يتحكمون في مصائره". كما ورد في الخطاب :

"يجب أن نستفيد من أخطائنا فهي التي ستبخر لنا  
طريق المستقبل وعلينا أن نحددنا بوضوح". "إن الشواهد  
فيها (مصر) تدفع المواطن على أن يعتقد بأنه لا يرى ان  
وسائل مشاركته في الحكم تقوم بدورها كما يجب،  
فمجلس الأمة من المفروض أن يعبر عن رغبات الشعب  
وان يكون له دور في كل ما يتصل بالسياسة العامة في  
البلاد، يناقشه ويبيدي رأيه فيه، وله دور في اعمال  
السلطة التنفيذية، فيكشف الاخطاء ويحاسب المسؤولين،

ولكن الشعب يرى ان هذا المجلس لا يقوم بالدور الذي يجب أن يقوم به، والحاكم لا يعطي أي دور لوجوده كممثل للشعب وحلقة للاتصال بينهما، كما أن الشعب يرى في الاتحاد القومي كتنظيم سياسي انه لم يحقق الغرض الذي من أجله وجد، ولم يقم بأي دور ايجابي منذ انشائه حتى اليوم، مثله في ذلك مثل التنظيم السابق له هيئة التحرير، كما يشاهد الشعب أيضا أن الصحافة لا تعبر عن الرأي الحر الصحيح البناء وانما تردد ما تعتقد انه يرضي القائمين على الأمر في البلاد" (ص 128-132 الجزء الثاني).

**1962: المؤتمر القومي الخامس (مايس 1962) -**  
 ميشيل علق يدعو الى مؤتمر قومي ويعتبر نفسه  
 فقط ممثلا للحزب في سورية - ما جاء في البيانات  
 التي صدرت عن المؤتمر الخامس كان كافيا  
 لاستبعاد أي اتفاق مع عبد الناصر في المستقبل-  
 انحراف الحزب بعد المؤتمر الخامس عن نهجه  
 الفكري والسياسي والاجتماعي واتخاذ النموذج  
 الماركسي نظاما للحكم في سورية - صلاح البيطار  
 يعلن انسحابه من حزب البعث.

كان ميشيل علق -كما ذكرت سابقا- مخالفا لرأي قيادات  
 الحزب المجتمعة في منزله حول الاشتراك في وزارة بشير العظمة.  
 وكان يرى إما استلام الحكم بكامله من قبل حزب البعث أو رفض  
 الاشتراك في الحكومة، ولكن البيطار بتصرف فردي وافق على  
 الاشتراك بالوزارة بشخصية عبدالله عبد الدايم وعبد الحلیم قدور.

لقد شعر ميشيل علق بأن صلاح البيطار قد تخلى عنه  
 وبقي وحيدا في سورية فاستدعى فرع العراق بقيادة علي صالح  
 السعدي وقيادات الفرع في لبنان لعقد المؤتمر الذي سمي  
 بالمؤتمر القومي الخامس.

انعقد هذا المؤتمر في مدينة حمص في بيت المدعو فرحان  
 الاتاسي الذي أعدم بعد الثامن من آذار بتهمة التجسس لصالح  
 المخابرات المركزية، ومن الجدير بالذكر انه لم يشترك أي قيادي  
 سوري في هذا المؤتمر. مما دعا المؤتمر الى اصدار قرار بجواز  
 تطعيم القيادة القطرية في سورية عند تأليفها باعضاء حزبيين من  
 الاقطار العربية الأخرى، كما صدر عن هذا المؤتمر بيان ونشرة  
 داخلية والكلمة التي ألقاها علق (نضال حزب البعث عبر  
 مؤتمراته القومية).

وكان مبرر انعقاد هذا المؤتمر كما جاء في بياناته هو إعادة  
 تنظيم الحزب وانتخاب الأمين العام، والدعوة لتحقيق الوحدة

الاتحادية بين مصر وسورية، والعمل على انسحاب الوزيرين البعثيين من الحكم واسقاطه، وفي حال رفضهما الالتزام بذلك يصدر الحزب بيانا يعلن فيه عدم علاقته بهما.

**كما قرر المؤتمر محاسبة القيادة القومية السابقة "بسبب ميوعتها وعدم انضباط بعض أعضائها وغموض مواقفها من القضايا الأساسية وانتخاب قيادة قومية جديدة".**

**والسبب في صدور هذا القرار هو ان المؤتمر القومي السابق الذي انعقد في بيروت عام 1959 بعد الوحدة، بدعوة من عبدالله الريماوي قد قرر اسقاط جميع ما كتبه ميشيل عفلق من أدبيات الحزب.**

والذي قدرته بعد اطلاعي على بيانات المؤتمر الخامس وقراراته ان هدف ميشيل عفلق من انعقاده هو حل الحزب وتنظيمه من جديد بقيادته، وأن مشروع تحقيق الوحدة الاتحادية الذي ورد في القرارات لم يكن الا تغطية لغرض هذا المؤتمر، ومحاولة منه لافساح المجال أمام صلاح البيطار للانضواء تحت قيادته، ومما زاد اقتناعي بذلك ما جاء في كلمة ميشيل عفلق وفي البيانين الصادرين عنه من عبارات كانت كافية لاستبعاد أي اتحاد أو اتفاق مع جمال عبد الناصر، فلقد جاء في البيان الأول بشأن الوحدة السابقة مع مصر ما يلي :

"لقد تعرضت الوحدة في أولى خطواتها لاقسى امتحان يمكن أن تمر به، فقد رافق تطبيقها أخطاء وانحرافات مست جوهر العقيدة القومية، وهددت مستقبل الاتجاه القومي التقدمي، وتركت في نفوس الطليعة العربية المؤمنة بالوحدة أثارا عميقة من الشك والحذر والخوف المشروع من احتمال تكرار الاخطاء وبالتالي فشل وانتكاس الوحدة".

"انه لا يمكننا ان نحجب حقيقة الازمة الفكرية التي يعيشها كثير من الشباب الثوريين المخلصين نتيجة لمعاناتهم الحكم

الفردى، ولسياسة سلب حريات الشعب وتفتيت تنظيماته القومية التقدمية".

"فالوحدة فى مفهوم حزبنا هى وحدة شعبية، ووحدة قوى شعبية، ووحدة نضال شعبى تقوم على اكتاف الشعب وتستند اليه وتستمد منه فى مؤسسات ديموقراطية شعبية بعيدة عن أى تسلط فردى، بعيدة عن أى تسلط بوليسى، بعيدة عن أى تسلط اقليمى".

"واننا لا نزال نذكر الاخطاء الفادحة ، والانحرافات الكبرى التى رافقت تجربة الوحدة، وفى مقدمتها تفكيك اجهزة الحكم الفردى للقوى الشعبية الثورية من حزبية ونقابية واقامة الاتحاد القومى بتركيبه المصطنع ومحتواه الفارغ".

كما جاء فى النشرة الداخلية لهذا المؤتمر ما يلى :

"ان ما حصل عليه اجماع المؤتمرين يتعلق بالوضع داخل الجمهورية العربية المتحدة، وان المعلومات المتوفرة لدى جميع الاعضاء المشتركين فسحت لهم مجال تحليل الاخطاء والانحرافات التى برزت فى المتحدة، وأبرزها الحكم الفردى والاسلوب البوليسى فى محاربة المعارضين، وانعدام التنظيمات الشعبية، وتفتيت الاحزاب والحركات الشعبية بحجة انتهاء عهد الاحزاب وبدء عهد الاتحاد القومى، ولقد اصاب حزبنا القسم الأوفى من التآمر والمحاربة للأخلاقية، ولذلك ارتأى قسم من المؤتمرين عدم طرح شعار الوحدة بين سورية ومصر فى الوقت الحاضر، وطرح شعار الوحدة الشاملة فقط".

"ان هذا الموقف السلبي هو الاستسلام العملي لفكرة جبروت عبد الناصر، وعدم امكانية مجابهته، ولا يمكن أن نكون منفعلين بعبد الناصر ولا أن نربط فكرة الوحدة به، أى أن معارضى شعار وحدة سورية ومصر يعتبرون ان أى وحدة بين سورية ومصر تعنى بشكل حتمى القضاء على التنظيمات الشعبية، وعودة الحكم الفردى والاسلوب البوليسى والتسلط الاقليمى، وهذا الموقف وإن كان يبدو واقعيًا فى الظاهر ومستندا الى تجربة



سابقة الا انه في الواقع لم يأخذ من التجربة السابقة سوى الجزء الذي يعبر عمليا عن عدم الثقة في حيوية التنظيمات الشعبية وفي امكانيات الجماهير المنظمة في القضاء على سائر ضروب التحكم".

وهكذا فقد عبر عفلق والمؤتمرون معه عن رأيهم الحقيقي بنظام جمال عبد الناصر وبتجربة الوحدة. هذا الرأي الذي كان يعبر عن قناعة الشعب ومعظم الحزبيين في سورية وخارجها.

ولم يقتصر بيان المؤتمر على مسؤولية نظام عبد الناصر عن الانفصال بل تعدى ذلك الى الطعن بشخصه في الكلمة التي ألقاها ميشيل عفلق في هذا المؤتمر فجرده من عروبته ووطنيته ونضاله عندما قال :

"ليست المسؤولية تنحصر في شخص ناصر ونظامه، مع أن المسؤولية ضخمة على هذا الشخص ونظامه، ولكن هل عبد الناصر ابن القضية؟

هل هو المناضل الشعبي الذي بدأ حياة النضال مع الشعب لكي نطلب منه أن يحترم حرية النضال وقيمة النضال الشعبي؟

هل نشأ جمال عبد الناصر في جو الفكرة العربية حتى نطلب منه منهجا سليما عميقا لتطبيق الوحدة؟

كما اتهم الناصريين السوريين بالعمالة "أما في صفوف الشعب فهناك قلة من الناصريين ممن لهم اتصال العمالة بحكم عبد الناصر وليس لهم شأن ولا وزن"

إن ميشيل عفلق لم يكن من السذاجة الى الحد الذي يظن فيه ان ما صدر عن هذا المؤتمر يمكن أن يصبح طريقا سالكة لأي تفاهم مع جمال عبد الناصر، فقد كان الفشل مقررا سلفا لمشروع الوحدة الثلاثية بين مصر وسورية الذي أعلن فيما بعد، ولأن ينقلب هذا المشروع الى خلافات دموية بين البعث بقيادته السورية والعراقية وبين جمال عبد الناصر، وبين قيادات حزب البعث انفسهم، وهي الخلافات التي أعدم من جرائها ثلاثين

ضابطا ومدنيا من الناصريين السوريين في شهر تموز 1963 أي بعد شهرين من الاتفاق على مشروع الوحدة الثلاثية بتاريخ 1963/4/17.

## **وضع الحزب في سورية والبلاد العربية عند انعقاد المؤتمر الخامس :**

لقد جاء في حديث للسيد شبلي العيسمي - الأمين المساعد للقيادة القومية للبعث العربي العراقي - نشر في مجلة الوطن العربي الصادرة في 1988/6/24:

"إن القرار الأول الذي اتخذته المؤتمر الخامس في حمص هو أن تتولى القيادة القومية في العراق اختيار ثلاثة أو أربعة اشخاص من القطر السوري لتشكيل قيادة مؤقتة تتولى إعادة تنظيم الحزب" كما يقول :

"لقد كان عدد الذين انضموا الى الحزب قليلا ولكننا أخذنا نمو رويدا ، وكان علي صالح السعدي عضوا في القيادة القطرية وكذلك حمدي عبد المجيد وأنا وحمود الشوفي ووليد طالب، وفي عام 1963 كان عددنا حوالي 400 شخص، وخلال انقلاب 8 آذار قد يكون عددنا زاد قليلا ولكننا كنا ضعفاء".

**والذي يظهر جليا أن عدد اعضاء بعث ميشيل عفلق وصلاح البيطار لم يتجاوز بعد خمسة عشر عاما عدد أعضاء حزب البعث في مؤتمره التأسيسي عام 1947 والذي كان تلاميذ زكي الأرسوزي من اللوائيين عموده الفقري، وكان هؤلاء قد اندمجوا مع البعث بعد مرض الأرسوزي.**

كانت الانقسامات عند انعقاد المؤتمر القومي الخامس تعصف بفروع الحزب في الاقطار العربية، بسبب سعي جمال عبد الناصر وأجهزته الاستيلاء على الحزب، بينما كان المؤمل أن يعيد الحزب في سورية اللحمة الى فروع الحزب الأخرى لما كان لفرع سورية (قبل انفصال البعثيين الذي قرره المؤتمر الخامس) من وزن شعبي وسياسي وتأثير كبير عليها.

لقد كان الحزب في الأردن منقسما بين جماعة الريماوي وبهجت أبو غربية الموالية لعبد الناصر وبين منيف الرزاز الموالي لمشيل عفلق، كما كان الحزب منقسما في العراق بين جماعة فؤاد الركابي الموالي لعبد الناصر وبين جماعة علي صالح السعدي الموالي لمشيل عفلق.

أما فرع لبنان الذي دعاه ميشيل عفلق لحضور المؤتمر القومي الخامس، فقد عقد بعد ذلك مؤتمرا قطريا بتاريخ 1962/9/16 قرر فيه قطع العلاقة مع قيادة ميشيل عفلق ، وأصدر بيانا نشرته الصحف السورية واللبنانية وفيما يلي ما ورد فيه (الصدى العام الدمشقية 1962/9/18).

"ان المقررات التي اتخذها المؤتمر القومي الخامس للحزب والتي أعلنتها بيانات القيادة القومية الصادرة في أيار 1962 وسياستها التي تمثلها جريدة البعث الاسبوعية التي تصدر في دمشق بطرح شعار تجديد وحدة مصر وسورية في المرحلة الحاضرة تعتبر مخالفة لمفهوم الحزب للوحدة العربية وللنضال الشعبي وتتجاهل تجارب الحزب النضالية".

"إن الادعاء بإمكانية تحقيق الوحدة بين مصر وسورية في المرحلة الحاضرة على أسس شعبية قبل أن تعود القوى الشعبية في سورية لتنظيم نفسها حزبيا ونقابيا، وقبل تغيير نظام الحكم البوليسي الفردي القائم في مصر هو محاولة تضليل وتخدير لعناصر من قوى الحزب وبقية القوى التقدمية في سورية يحول دون وقوفها بحزم بوجه محاولات العودة بسورية الى الحكم الفردي ودون تركيز نضالها لاقامة اوضاع ديموقراطية يستطيع الشعب من خلالها الدفاع عن حرياته العامة وبناء تنظيماته الحزبية والنقابية".

"لقد وقفت اغلبية ممثلي قطر لبنان الساحقة في المؤتمر القومي الخامس الذي انعقد في 15 أيار ضد هذا الانحراف، ولكن محاولات مؤتمر الحزب في لبنان وقيادته لتوضيح خطورة هذه السياسة والمطالبة بتصحيحها لم تجد نفعاً، واستمرت القيادة

القومية في سياستها المنحرفة الخطيرة على مستقبل الحزب وقضية الشعب العربي في كل قطر عربي بشكل يفرض الآن على الحزب في لبنان ان يطرح علنا رفضه لهذه السياسة".

**"إن المقررات السياسية التي اتخذها المؤتمر القومي الخامس جعلت قوى الحزب الجدية السورية خارج التنظيم الحزبي وساهمت في تدهور الوضع الحزبي القومي بشكل يزيد من القناعة باستحالة تصحيح هذا الوضع من خلال التنظيم الحالي" لذلك قرر مؤتمر قطر لبنان :**

1- الموافقة على قرار القيادة القطرية المتخذ بتاريخ 9/13 بقطع علاقات قطر (اللبناني) مع القيادة القومية والموافقة على قرار القيادة القطرية بفصل بعض اعضاء الحزب في لبنان بسبب علاقاتهم بمخابرات دولة عربية وتجميد آخرين بسبب تخريبهم.

2- ابلاغ مقررات المؤتمر القطري واقتراحاته بشأن صيغة جديدة للعلاقات القومية لمنظمات الحزب في سائر الاقطار العربية".

حزب البعث العربي الاشتراكي

في لبنان

القيادة القطرية

بيروت في 16/9/1962

لقد كان فرع حزب البعث في لبنان ينمو بصورة جدية بقيادة عدد من الكوادر الشابة الكفوءة أمثال غسان شرارة وعبد الوهاب الشميطلي وغالب ياغي وطلال شرارة وحسيب عبد الجواد ورفاقهم.

**انحراف الحزب بعد المؤتمر القومي الخامس عن نهجه الفكري والسياسي.**

كان حزبا العربي الاشراكي والبعث العربي منذ تأسيسهما يقومان على مبادئ البرلمانية الديمقراطية والمؤسسات

الدستورية وضمن الحريات العامة والخاصة والنقابية والحرية الصحافية وحق تشكيل التجمعات والأحزاب، فكان الشعار الأول الذي رفعه الحزبان في معارضة حكم شكري القوتلي هو : تطبيق أحكام الدستور روحا ونصا، كما ذكرت ذلك بالتفصيل، فيما سبق من هذه المذكرات.

**ولكن القيادة القومية التي انبثقت عن المؤتمر الخامس انطلقت من الانقلاب على جميع هذه المبادئ، ففي مباحثات الوحدة الثلاثية التي جرت في القاهرة بعد انقلاب الثامن من آذار 1963، بعدما استولت هذه القيادة على مقاليد الحكم في سورية على أكتاف العسكر ما يدل بصورة قاطعة على ذلك.**

**يقول شبلي العيسمي في المباحثات التي تمت مع عبد الناصر بعد انقلاب الثامن من آذار 1962:**

"لو أخذنا حركة الخبرة بالكفاح لوجدنا أن حزب البعث كذلك مضطر لأن يطور كثيرا من مفاهيمه التي آمن بها منذ نشأته، فبهياً لي بأن مفهوم الديمقراطية مثلا في نظر حزب البعث عندما نشأ كان متأثرا بالديموقراطية العادية أو السائدة اليوم والتي قد يكون لحركات الغرب تأثير في هذا المفهوم، أو بالأصح قد يكون لطبيعة النضال أن فرضت على الحزب أن ينادي بالديموقراطية لكل الفئات، أما الآن وقد مر الوطن العربي بتجارب مريرة وصراع مع القوى الرجعية والرأسمالية والاستعمار، الى آخره فهو متجه الى أن تكون الحرية للطبقات الكادحة وللمنظمات التي هي في خط اشتراكي وقد يضطر نتيجة التجارب التي ستحدث في المستقبل لأن ينتهي الى الأخذ بنظرية الحزب الواحد".

وبعد نقاش حو هذا الموضوع يقول عبد الناصر :

"الأخ شبلي يقول ان المفهوم النهارده غير المفهوم الذي كان قبل ثلاثين يوم، قبل تسعة وعشرين، المفهوم ده غير المفهوم قبل 8 مارس (انقلاب الثامن من آذار 1963) المفهوم النهارده بالنسبة لحزب البعث غير المفهوم قبل نجاح الثورة، لأن المفهوم قبل

نجاح الثورة كان المناداة بالديموقراطية الغربية البورجوازية .. مضبوط كده ؟

شيلي العيسى : منذ نشأة الحزب سنة 43 غير ما هي اليوم.

صلاح البيطار: غير ما هي اليوم، أو فيها تطوير.

جمال عبد الناصر : متى حصل هذا التطوير؟

هاني الهندي : نسأل الأخوان (ضحك).

جمال عبد الناصر : هل اعلنتوا انكم غيرتم مفهومكم للديموقراطية؟ يعني أنا متصور ان حزب البعث بيؤمن بالديموقراطية البورجوازية، وحابب معايا دستور حزب البعث .. طيب الناس ، القواعد الشعبية بتاعتك، قواعد النضال، جذور النضال، جموع الشعب هل عرفت هذا؟" (ص162).

وهكذا جنحت القيادة القومية الى تبني الحزب الواحد والحزب القائد، مع أن الحزب حقق بالديموقراطية القائمة على التعددية الحزبية ، خلال الخمسينات، أروع حقبة في تاريخ سورية الحديث، وكان له الفضل بقيام الجبهة الوطنية والتجمع الوطني، والوقوف بحزم أمام المشاريع الاستعمارية المطروحة وانتهاج سورية سياسة الحياد الايجابي المتحررة من كل ارتباط، وإقرار قوانين تقدمية بصورة ديموقراطية برلمانية مثل قانون منع تهجير الفلاحين من منازلهم وقراهم.

لقد نهج الحزب سابقا في تنظيمه مبدأ الشورى والقيادة الجماعية، ولكن ميشيل عفلق انفرد بالدعوة للمؤتمر القومي الخامس دون الرجوع لرأي أكثرية الحزب، ودون أن يكون له الحق في هذه الدعوة، فلم يكن آنذاك أمينا عاما منتخبا من قبل الحزب، ودون أن يستشير أعضاء القيادة القومية السابقة، وإن انعكاسات خطيرة نتجت عن هذا الانحراف، فقد اهتزت قناعات قيادات الحزب (المدنية والعسكرية) فجنح بعضه إلى تبني الماركسية (حزب العمال الثوري) وإلى اتخاذ الانظمة الماركسية في المعكسر الشرقي نموذجا لبناء أنظمة الحكم البعثية ، مما وجه ضربة

قاسية للوحدة الوطنية والاقتصاد الوطني والنمو الاقتصادي في سورية فهربت رؤوس الأموال الوطنية التي تراكمت خلال نصف قرن، مع هروب الكوادر الفنية والاقتصادية والأيدي العاملة الكفوة الى خارج البلاد.

إن انحراف هذه الفئة من حزب البعث واستلامها السلطة بواسطة العسكر قد أدى إلى تشرذم كوادرها المدنية والعسكرية واشتباكها بصراعات دموية على السلطة والحكم، وأدخلها في دوامة الانقلابات العسكرية.

ويقول شبلي العيسمي في مجلة الوطن العربي (العدد نفسه).

"لقد كان جو الحكم والحزب (بعد الثامن من آذار) اشتراكيًا ماركسيًا تطغى عليه الغوغائية فأصدر قرارات التأميم المرتجلة" ويقول مبررا استلام السلطة بواسطة العسكر :

"قد يكون زاد عددنا قليلا بعد الثامن من آذار ولكننا كنا ضعفاء. لقد التقينا مع العسكريين الذين كانوا في القاهرة وقد أصبحوا مدنيين بعد تسريحهم(!)". ويقصد العيسمي بذلك ما عرف باللجنة العسكرية التي تشكلت في القاهرة.

وبهذه المناسبة أرى من المفيد الاستطراد والاستشهاد بالأحداث والتحويلات التي هزت العالم في عامي 1989، 1990 تلك التحويلات التي أكدت صحة المبادئ البرلمانية الديمقراطية التي تبناها حزب البعث العربي الاشتراكي، فكرا واسلوبا للعمل السياسي والاجتماعي قبل أن ينحرف بها بعض قاداته. وأكدت ان النصر لهذه المبادئ التي تنسجم مع تطور حركة التاريخ نحو مجتمعات اكثر احتراماً لحقوق الانسان، ففي عام 1989 اعلن غورباتشيف ما أسماه بالبريسترويكا أي تجديد النظام في الاتحاد السوفيتي بعد أن أصبح على شفا الافلاس الاقتصادي والسياسي، فأعلن إطلاق الحريات الديمقراطية والاتجاه نحو التعددية الحزبية، والغاء المادة السادسة من الدستور السوفيتي التي تجعل من الحزب الشيوعي الحزب الوحيد الحاكم مما أدى

الى ما يشبه الزلزال في دول اوربا الشرقية وبعض الجمهوريات  
الآسيوية السوفيتية فانهارت الانظمة الشيوعية في أوربا الشرقية  
بعد أن عانت شعوبها من حكم الحزب الواحد الذي قام على  
الارهاب والقمع والقتل والتشريد.

وهكذا دلت تجربة المعسكر الاشتراكي في أوروبا الشرقية  
بعد أربعين عاما ان النظام الديموقراطي والتعددية الحزبية هما  
السبيل الوحيد للتطور الفكري والاجتماعي والسياسي  
والاقتصادي، ومن المؤكد ان يؤثر هذا التغيير على أنظمة الحكم  
الاستبدادية العربية، فإما أن تنهج الطريق الديموقراطي في تغيير  
انظمتها بالطرق الدستورية - وهو تغيير في مصلحة القضية العربية  
- وإما أن تسقط بالعنف مهما طال الزمن، كما سقط نظام  
شاوشسكو في رومانيا أواخر عام 1989.

### **صلاح البيطار يستقيل من حزب البعث العربي الاشتراكي .**

لقد كان صلاح البيطار أحد ضحايا انحراف الحزب عن مبادئه،  
فقد نشر بعد 23 شباط 1966، بعد لجوئه الى لبنان بيانا أعلن فيه  
انسحابه من حزب البعث العربي الاشتراكي ولكن بعد فوات  
الأوان، نشرته جريدة "الجريدة" البيروتية بتاريخ 1967/11/10 جاء  
فيه :

**"ليسوا قله أولئك الذين يعرفون اني ابتعدت منذ مدة  
غير قصيرة عن حزب البعث العربي الاشتراكي، وعن  
جميع قياداته ومؤسساته ولا سيما بعد الثامن من آذار ..  
ففي ايلول من ذلك العام وعند انعقاد مؤتمر الحزب  
السادس أدركت أبعاد الخطة ضد الحزب ، ضد حقيقته  
وأصالة تاريخه وضد بنيته الداخلية وتنظيمه القومي وضد  
قاداته الذين يمثلون قيمه، تلك الخطة التي اتخذت من  
رغبة عامة في تجديد الحزب سبيلا لاقامة حزب جديد.. لقد  
كنت أول من حذر الى حتمية سقوط الحزب في مناهات  
الفكر والسياسة والتنظيم، ولكن تحذيري لا يعني تبرئة  
نفسي من حملي نصيبي من المسؤولية".**



"لقد عدت الى رئاسة الحكومة مرتين فيما بعد، وقد كانت المحاولة الأولى عقب حوادث حماه ودمشق في ايار عام 1964، ولم تدم اكثر من أربعة أشهر عندما طوح بالحكومة التي كنت أُرئسها، وكانت المحاولة الثانية في أواخر كانون الأول عام 1965 بعد حل اللجنة العسكرية وعقب حل القيادة القطرية، ويومئذ توليت رئاسة الحكومة وأعلنت في بيان أدعته على الشعب ضرورة انكفاء الجيش عن المواقع السياسية وضرورة عودته الى عسكريته، وضرورة عودة الحزب الى الشعب والى حقيقته القومية الجماهيرية، غير أن الانقلاب الذي وقع في 1966/2/23 قضى على هذه المحاولة".

"وبعد تحليل موضوعي للأحداث التي أعقبت نكسة الثالث والعشرين من شباط ونكبة الخامس من حزيران رأيت الواجب القومي يفرض علي أن أعلن استقلالي عن حزب البعث العربي الاشتراكي بجميع منظماته وقياداته على مختلف اشكالها وألوانها".

"إن النكبة القومية (نكبة حزيران) لم تكشف عن عجز حزب البعث وحده، فالاحزاب والمنظمات العقائدية الأخرى لم تكن أحسن حظاً".

ثم دعا البيطار في بيانه الى تجاوز الصيغ الحزبية القديمة الى مواقع جديدة لم يحددها ولم يذكر مضمونها ولا اطارها.

وفي باريس أصدر مجلة أسماها الاحياء العربي في أواخر السبعينات، وقبل اغتياله بيوم واحد كتب مقالا تحت عنوان: "عفوك شعب سورية العظيم" نادما ومستغفرا من الشعب السوري.

1962: استمرار حملات عبد الناصر وأجهزة إعلامه على الوضع في سورية بعد انقلاب 1962/3/28 - كان هدف ناصر زعزعة الوضع ومنع عودة الحياة الديمقراطية اليها لذلك رفض محاولات بشير العظمة رئيس الوزارة حول اعادة الوحدة وتهدئة الحملات بين البلدين - اضطررت ردا على الحملات الناصرية المقذعة علي شخصا الى اصدار البيانات التالية:

- 1- بيان حول خطة ناصر لضرب القوى الوطنية التقدمية في سورية (1962/6/6).
- 2- بيان حول موقفه من قضية تحويل الأردن وتوطين اللاجئين (1962/6/13).
- 3- بيان حول الثورة الجزائرية (1962/7/11).
- 4- بيان حول موقفه من الملاحاة الاسرائيلية في خليج العقبة (1962/6/26).
- 5- بيان حول خطاب ناصر في المجلس التشريعي في غزة (1962/7/27).

لم تهدأ الحملة الاعلامية على سورية بعد انقلاب الثامن والعشرين من آذار وبلغت ذروتها في شهري مايس وحزيران من عام 1962 في محاولة للمزيد من زعزعة الاوضاع في سورية عندما اتخذ عبد الناصر من اجتماعات المؤتمر الوطني للقوى الشعبية منبرا لمهاجمة هذه الاوضاع ولمهاجمتي بصورة خاصة، فوجهت لي بعض الصحف بمناسبة هذه الحملات بعض الأسئلة طالبة اجابتي فأجبت:

ما كنا لنهتم بالبيان الذي ألقاه السيد الرئيس جمال عبد الناصر لولا انه عمد الى تحريف الوقائع بهدف الايقاع بين مختلف القيادات السياسية في سورية. وتلك كانت سياسته وسياسة

اجهزته طوال عهد الوحدة، لكن الشيء الجديد هو دعوته الآن صراحة وعلانية الى الفتنة ونصب المشانق وحمامات الدم مما يؤكد مجددا ان حركة عصيان حلب التي أعقبت انقلاب 1962/3/28 كانت محاولة لاشعال الحرب الأهلية واثارة الفتن الطائفية والايقاع بين الجيش. وما نحسب ان في سورية مواطنا واحدا يجهل ان ذلك لا يمكن أن يخدم الا الاستعمار والصهيونية أراد ذلك عبد الناصر أم لم يرد، أدرك ذلك أم لم يدرك (النصر 1962/5/30).

وهكذا لم ينفع تحذيري لجمال عبد الناصر بالكف عن الحملة الاعلامية التي يشنها ضد سورية، ولم تنفع بيانات بشير العظمة ودعوته الى اجراء حوار معه لأجل تحقيق الوحدة ، بل كانت اجابته على دعوة الحكومة السورية الالهمل، مما دعا بشير العظمة بمناسبة 29 آذار (معركة الجلاء مع الفرنسيين) الى القول:

" ان الوصول الى أي هدف من أهدافنا ولا سيما هدف الوحدة العربية لا يمكن أن يتم إلا اذا قام ربط متين بين العمل للوحدة وبين الديمقراطية ، والوحدة التي نريدها هي وحدة شعب لا وحدة حكام".

وفيما يتعلق بالحملة الاعلامية الناصرية قال بشير العظمة:

"أن الحكومة التي حملت مسؤولية مرحلة تاريخية خطيرة على مستقبل بلدنا ومستقبل العروبة تحتمل اليوم فوق اعبائها الضخمة ضغطا وتشكيكا أسمح لنفسني بأن أؤكد أن دوافعه غير وطنية وانها دوافع اجنبية لا محالة تستخدم الشعارات وتزييفها لاشاعة الفرقة في صفنا والفوضى في بيتنا .. وإن حملات الشائعات والتشكيك هذه لن تزيدنا إلا ايمانا بواجبنا وتصميما على حماية الوطن والقضية القومية ممن لا يتقون الله فيهما (النصر 1962/5/30) وبسبب استمرار حملة الاعلام الناصرية اضطرت لاصدار سلسلة من البيانات لتصحيح افتراءات اجهزة الاعلام الناصرية والكشف عن انحرافات عهد الوحدة التي كان الدافع الأول لاقامتها هو الوقوف في وجه الغزو الصهيوني، وفيما يلي بعض ما

جاء في البيان الأول الذي نشرته معظم الصحف السورية ومنها  
جريدة النصر بتاريخ 1962/6/6:

"إن العامل الأول الذي جعلنا نتعجل في إقامة الوحدة بين مصر وسورية هو الرغبة في الوقوف في وجه اسرائيل والتوسع الاسرائيلي، وذلك بتشكيل قوة موحدة ذات وزن سيما ان الجيش العربي في مصر قد أصيب في معركة العدوان الثلاثي وفقد معظم معداته وكانت خسائره فادحة".

"كنا نشعر بأن اخراج اسرائيل من خليج العقبة ومنعها من تحويل نهر الأردن يتطلب وحدة عاجلة بين مصر وسورية، كما يتطلب جيشا عربيا موحدا قويا ومسلحا تسليحا متفوقا حتى نستطيع الوقوف في وجه التوسع الاسرائيلي، ذلك لأن حرية المرور في خليج العقبة تتيح لاسرائيل أن تتصل بآسيا وافريقيا وتضرب الحصار الاقتصادي العربي في الصميم، مما يجعل من اسرائيل دولة تجارية وصناعية كبرى في الشرق الأوسط، كما أن تحويل مياه الأردن يمكنها من إحياء النقب وتوطين ثلاثة ملايين أو أربعة ملايين من المهاجرين الجدد، وبذلك تفصل اسرائيل نهائيا بين المشرق العربي وبين مغربه".

"ولهذا السبب طلبت عندما دعاني الرئيس جمال عبد الناصر الى اجتماع في منزله مع المشير عبد الحكيم عامر والسيد عبد اللطيف البغدادي ليلة السفر الى الاتحاد السوفيتي<sup>(1)</sup> للتشاور فيما سنبجته مع السوفيت ان نستغل رحلة الرئيس للاتفاق مع الاتحاد السوفيتي لتزويدنا بطائرات الميغ الحديثة التي تفوق طائرات المستير التي زودت بها فرنسا اسرائيل. وان نشترى ايضا صواريخ قريبة المدى لنضمن التفوق الأكيد على اسرائيل في المعركة القادمة القريبة، فأظهر عبد الناصر موافقته على رأينا، ولكننا عدنا من الاتحاد السوفيتي دون أن نصل الى نتيجة بصدد تسليحنا بالصواريخ، بل أن عبد الناصر وحاشيته كانوا يحاولون اقناعي في موسكو بأن الزيارة يجب ألا تستغل لهذا الغرض وانه من الأحسن أن لا نلج على الاتحاد السوفيتي بأمر هذه المعونات العسكرية".

"وعندما عدت من هذه الرحلة الى سورية علمت أن عدلي حشاد حرض بعض الصحف السورية على شن حملة من الافتراءات اثناء وجودي في

(1) كان السفر الى الاتحاد السوفيتي بعد اقل من شهرين من قيام الوحدة (نيسان 1958).

الاتحاد السوفيتي. ولم تتورع هذه الصحف عن اتهامي بسوء الاستعمال ومجموعة من الافتراءات ما أنزل الله بها من سلطان ، وبعد فترة من عودتي طلب مني السيد احمد محفل، أحد قادة الحزب الشيوعي في سوريا مقابلة خاصة لبحث امر على جانب كبير من الخطورة. ولقد تجنبت المقابلة في بادئ الامر بسبب العداة الذي كان مستحكما بين حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي. لكن السيد محفل عاد يلح ويلحف في الطلب اكثر من مرة وراح يوسط المحامي الاستاذ عبد الفتاح زلط لطلب هذه المقابلة . وحين قابلته في منزلي ابتدرني قائلا انني اتيت اخبرك بشكل رسمي عن اشياء خطيرة .. ان الرئيس عبد الناصر يريد تهديمك وتهديم اخوانك والخلص منكم جميعا.

قلت له اذا كنت تتحمل مسؤولية مجابهة عبد الناصر فيما ستقول فافعل والا فمن الخير ان لا تبحث في هذا الامر ابدا.

فقال لي ان ما ساخبرك به امر مؤكد ورسمي وانا من رأيي أن لا تعقد الامور مع عبد الناصر ولكنك اذا كنت مصرا على مجابهتي به فلا مانع لدي، رغم التبعات التي ستحملني اياها من جراء ذلك.

قلت له : انه لا خير من هذا الحديث ان لم اتمكن من مجابهة عبد الناصر، فقال:

ان الرئيس عبد الناصر قد ارسل الى الحزب الشيوعي في سوريا الوزير كمال رفعت ومعه الصاغ زغلول عبد الرحمن الذي كان يشغل وظيفة في السفارة المصرية بدمشق قبل الوحدة . ليتصلا بقيادة هذا الحزب ، فاجتمعت قيادة الحزب الشيوعي (وكان السيد محفل حاضرا الاجتماع وقد أكد لي ذلك) حيث قال الوزير كمال رفعت انه يتكلم باسم الرئيس عبد الناصر الذي يعرض على قيادة الحزب الشيوعي خطة للتعاون والعمل وهي أنه سوف يسمح للشيوعيين بالنشاط الحزبي شريطة أن يوجه هذا النشاط لتهديم سمعة اكرم الحوراني ورفاقه في الأوساط الشعبية تمهيدا للاطاحة بهم نهائيا وإقامة حكم جديد، وان الرئيس يرى ان المرحلة الراهنة ليست مرحلة شيوعية ولا اشتراكية بل هي مرحلة البورجوازية المعتدلة وان على الشيوعيين ان يسايروا هذا الخط وان يساهموا أولا في المساعدة على الخلاص من الاشتراكيين. وان الرئيس سوف يعتمد بعد ذلك الى اقامة حكم

يستند على نفر من السياسيين التقليديين وسيسمح للشيوعيين مقابل هذه المساهمة بالنشاط الحزبي وان الحكم الجديد سوف يسير في خط التراجع عن الوحدة نحو مطالب الشيوعيين في الاتحاد الفدرالي. هذا مع كمية من الشتائم وجهها زغلول عبد الرحمن للجيش الاول السوري واعتباره مجموعة من العصابات.

وأضاف السيد محفل قائلا ان الشيوعيين لا يقبلون بمثل هذه العروض من قبل الرئيس عبد الناصر وانهم يعرضون علي التعاون معهم لوقف هذه التصرفات وان موقفهم هذا هو موقف مبدئي، وحين غادر السيد محفل بيتي جلست احدث نفسي:

لقد كنا دائما صريحين وصادقين وأوفياء لقضية امتنا وعبد الناصر وهو يعرف بأنه لو طلب منا أن نتحى في سبيل نجاح قضية الوحدة لفعلنا وبقينا اوفياء لقضية امتنا قضية القومية العربية.

بعد ذلك استدعيت السيد محمود رياض وابلغته الامر وحملت على السيد كمال رفعت وزير عبد الناصر وقلت: انني لا اتهم عبد الناصر بل اتهم كمال رفعت، وان الحزب الشيوعي لا يمكن ان يبلغني ذلك ويتحمل مسؤوليته امام عبد الناصر لو لم يكن الحديث صحيحا وأكدنا .. ثم املت عليه صيغة الحديث ليرفعه الى الرئيس.

ولم اكنف بذلك بل ذهبت بعدها الى القاهرة وقابلت الرئيس وشرحت له الموضوع وقلت له :

ان الحادثة واقعة اكيده. وانه يجب عليه ان يقف موقفا حازما من الوزير كمال رفعت الذي تكلم باسمه مع الحزب الشيوعي. فقال لي عبد الناصر:

التحقيق في هذه القضية ربما أساء الى سمعتك اذ كيف تجيز لنفسك ان تنقل حديثا جرى بينك وبين احمد محفل؟ فأجبتة : انا لا ارتكب مثل هذا العمل اللااخلاقي ان شرفي يمنعني من ذلك، وانني اخذت تفويضا من السيد محفل لان انقل الحديث اليك، فقال سأكلف السراج بالتحقيق في هذا الامر، وبعد ايام استدعيت عبد الحميد السراج وسألته عن نتيجة التحقيق فقال: ان احمد محفل قد اعترف له بصدق الواقعة وان الوزير كمال رفعت قد فاوزهم بهذه الامور باسم الرئيس. ولكن -يقول السراج- بأن احمد محفل لم يكن موجودا في الاجتماع وانما الذي كان حاضرا الاجتماع هو

السيد نصار ... مع العلم أن السيد نصار الأردني لم يكن آنذاك موجودا في سوريا بل سافر الى العراق بعد ثورة 14 تموز.

وتمضي الايام ويعتقل الشيوعيون ومنهم أحمد محفل ويجري السيد نعيان زكار مدير المباحث انذاك تحقيقا جديدا مع السيد محفل بهذا الموضوع فتبين له أن السيد احمد محفل كان حاضرا الاجتماع شخصا وليس كما ادعى السراج.

"ثم تقع مأساة الموصل الاليمة. ويبدأ ناصر ويخطب شاتما خروشوف والاتحاد السوفياتي.

وفي 21 نيسان 1959 تنشر الصحف انباء ارسال مذكرة من الاتحاد السوفياتي تقع في 10 صفحات فولسكاب الى الرئيس عبد الناصر. وسرعان ما تهدأ الحملة على الاتحاد السوفياتي. ويكتب السيد ممدوح رضا في روز اليوسف بأن علاقات الصداقة والمودة ستعود بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفياتي الى سابق عهدها.

كنت في القاهرة آنذاك وقبل ان اقابل الرئيس فوجئت بمراسل الاسوشيدبرس يلح في طلب مقابلي وبعد عدة محاولات قلت له انا مستعد للمقابلة شريطة ان لا تبحث معي امورا سياسية فقبل بذلك. وحين استقبلته سألتني: الم تقرأ روز اليوسف؟ ان ممدوح رضا يؤكد بأن العلاقات ستعود الى ما كانت عليه من الصداقة والمودة بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتي بعد وصول المذكرة السوفيتية فهل لك علم بذلك؟ فسألته ومن الذي يجعلك تثق بهذه الاقوال؟ اجابني : ان السفارات الاجنبية في القاهرة تأخذ ما يكتبه ممدوح رضا ماخذ البيانات الرسمية بل ان السفارات تثق بما يقوله رضا اكثر من ثقتها بما يقوله المشير عامر قلت له أن هذا امر غير معقول اصلا ولا يمكن ان اصدق بان ما يكتبه ممدوح رضا يؤخذ وكأنه بيانات رسمية تعبر عن وجهة نظر الحكومة.

زرت الرئيس بعد ذلك في مكتبه في البيت. ولما دخلت عليه وجدته يكتب. فبادرني قائلا:

اتعلم ماذا اكتب؟ ان هذه المذكرة قد وصلتنا من الاتحاد السوفياتي وهي مكتوبة بصيغة النشر (معدة للنشر) ونظرا لاهميتها اضطررت لان اكتب الجواب عليها بنفسني .. ثم استطرد قائلا : ان خروشوف يتهمني في هذه

المذكرة بانني فاوضته اثناء رحلتي في الاتحاد السوفياتي على خطة للتخلص منك ومن حزب البعث العربي الاشتراكي.

عند ذلك عادت بي الذاكرة الى حديث سابق مع عبد الناصر عندما كنت مسافرا معه بالطائرة في رحلة الى سوتشي على ساحل البحر الأسود، قال لي يومذاك :

"إن خروشوف فاتحني بأمر سورية ونصحني بأن اعتمد فيها على تجمع وطني" وقال عبد الناصر بانه رد على نصيحة خروشوف قائلا: "ان البعثيين هم العناصر الوطنية وانني اعتمدتهم في سورية". فقال له خروشوف : يوجد في سورية عناصر اخرى وذكر على سبيل المثال السيد خالد العظم وقد نقل الي ناصر يومذاك هذه العبارة الاخيرة بلهجة المستهزئ المتهمك من أقوال خروشوف.

لقد تساءلت خلال ويارتي "ترى ما هو السبب الذي دعا عبد الناصر للتصريح امامي باحد جوانب المذكرة؟ وسرعان ما وجدت الجواب : ان عبد الناصر كان خائفا من نشر المذكرة فمهد لها بهذا الحديث، والظاهر ان جواب عبد الناصر على مذكرة خروشوف كان مرضيا ولم تنشر هذه المذكرة وعادت العلاقات الودية بين البلدين.

ونشير هنا إلى أن جريدة الجماهير كانت قد نشرت بتاريخ 23 نيسان 1959 بطلب مني مقالا تفضح فيه جانبا من قضية السيد محفل بالاسلوب الذي يسمح به ذلك الطرف. فانزعج عبد الناصر انزعاجا شديدا وقرر منذ ذلك الوقت استسناخ الفرصة لاغلاق الجريدة واعتبر نشر المقال الذي اخبرته بانه قد نشر باذن مني محاولة لعرقلة اعادة العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفياتي.

وهكذا يتضح: من اتصال كمال رفعت بالحزب الشيوعي السوري. ومن محادثات جمال عبد الناصر الانفرادية في موسكو أواخر نيسان 1958 والتي فضحتها المذكرة السوفياتية بعد عام في 21 نيسان 1959، ان هذه المؤامرة قد بدأت في الايام الأولى من قيام الوحدة .. وفي هذا دليل قاطع على ان مخطط عبد الناصر كان مهينا قبل قيام الوحدة وشرع بتنفيذه فور قيامها مباشرة. فلمصلحة من كان ذلك؟ وعلى أي اساس باذر عبد الناصر بالموافقة على قيام الوحدة؟



قد يكون الجواب في الحادثة التالية :

في صيف عام 1959، وقد كنت ملتزما البيت بالقاهرة حيث كانت المخابرات تراقب انفاسي، اتاني السيد عبدالله الريماوي ليخبرني بانه كان مع الاستاذ ميشيل عفلق في مكتب كمال رفعت وزير الاوقاف وان كمال رفعت اخرج من مكتبه تقريرا وقدمه اليهما قائلا انه قد تمكن من سرقة هذا التقرير من السفارة الامريكية. وهو تقرير موفوع من السفير الامريكي الى حكومته وخلاصته ان الجمهورية العربية المتحدة تنفذ مخطط امريكا في المنطقة تنفيذا دقيقا وان عبد الحميد السراج ينفذ هذه السياسة بذكاء ومهارة في سورية، وابلغني الريماوي أن كمال رفعت كلفه بنقل خلاصة التقرير الي شخصيا، فدهشت. وطننتها مؤامرة - لكثرة ما رأيت - وقلت للريماوي : كان الاجدر بكمال رفعت ان يرفع التقرير الى الرئيس عبد الناصر بصفته المسؤول عن سياسة الجمهورية، أما انا فلا حول لي ولا طول في بلد تراقب فيه انفاسي ولست مسؤولا عما يجري لانني لا أعمل شيئا وغير مطلع على شيء. فقال لي الريماوي : لقد اراد كمال رفعت ان يفصح لك حقيقة دور السراج . فقلت له : انا لا اريد أن أكون العوبة بيد المخابرات، ولا أريد أن أدخل في صراع وتنافس مع السراج.

بعد ذلك اتصلت بالاستاذ ميشيل عفلق وتحدثت معه عن قصة هذا التقرير فأعاد كل ما نقله الي السيد الريماوي، فاحترت في الامر وتساءلت: هل يريد كمال رفعت ان اجابه عبد الناصر بانحراف سياسته ولذلك ارسل الي يبلغني فحوى التقرير؟ ولكن كيف يثق الانسان بكمال رفعت وهو من جهاز المخابرات؟

واثناء مقابلتي لبعض وزراء عبد الناصر احتججت على رسالة كمال رفعت وقلت كان الاجدر به ان يجابه عبد الناصر بهذا التقرير وكان قصدي :

اذا لم يكن هناك مؤامرة ينفذها كمال رفعت، فلا شك في أن مصير هذا الوزير سيكون وخيم العاقبة، ولم يمض على تساؤلي هذا ايام حتى سمعت من الاذاعة نبأ عزل كمال رفعت من الوزارة وتجريده من صلاحياته ومسؤولياته جميعا. وسمعت بعد ذلك من اصدقاء كمال رفعت بان عزله كان مفاجأة له. وان عبد الناصر قد عين الوزير طعيمة بدلا منه .

عند ذلك تأكد لي حسن نوايا كمال رفعت. وانه اراد من تبليغي فحوى التقرير ان اضغط على الرئيس عبد الناصر لتغيير سياسته . غير عالم بانني كنت في حالة نضال مستمر مع عبد الناصر منذ قيام الوحدة، وانني كنت اجابه باستمرار بالانحرافات التي كان يرتكبها وهي انحرافات قومية خطيرة".



لقد كان عبد الناصر بتصرفاته تجاه البعثيين في سورية، وفي محاولته الاساءة اليهم والقضاء على شعبيتهم، سواء في الأوساط المدنية أو الجيش، ما يرضي في آن واحد الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأميركية، وما يتيح له في الوقت نفسه التفرد في حكم سورية معتمدا بالدرجة الأولى على أجهزة مخابراته برئاسة عبد الحميد السراج الذي كان ينفذ هذه السياسة بغباء هو الذكاء في رأي الولايات المتحدة وهو غباء كان السراج أول ضحاياه.



أما البيان الثاني فقد صدر بتاريخ 1962/6/13 وكان موضوعه تحويل نهر الأردن، وقد ذكرته سابقا عندما تحدثت عن السبب الرئيسي الذي أدى الى استقالتي، وكنت قد تعرضت لموضوع التحويل في المجلس النيابي السوري بعد الانفصال ولكنني لم أتعرض لعبد الناصر لا من قريب ولا من بعيد ولا لما جرى في مجلس الوزراء المركزي في القاهرة خلال الوحدة ولكن حملة عبد الناصر شخصيا وحملة أجهزة اعلامه (بعد فشله بانقلاب 1962/3/28) اضطررتني الى طرح الامور كما جرت على حقيقتها وتنبيه ناصر الى الاخطاء التي ستودي به وبالعالم العربي.

ثم اصدرت بيانا ثالثا حول حرية الملاحة في خليج العقبة، ومسؤولية ناصر بسكوته عما يجري من عمليات لتحويل نهر الأردن، وبمحاولته القضاء على العناصر الوطنية والطيوعية في الوطن العربي وتفتيتها وتحويلها الى أجهزة مخابرات لقاء المعونات الاميركية والغربية ولقاء موافقة الغرب على أن يكون شريكا له في النفوذ في البلدان العربية تحت شعار القومية والوحدة العربية.

وفيما يلي بعض ما ورد في هذا البيان الذي صدر بتاريخ

: 62/6/26

## **قضية قوة الطوارئ الدولية وحرية المرور في خليج العقبة**

:

قبل أن نبدأ البحث في هذه الكارثة والكشف عن مسؤولية عبد الناصر لا بد من أن نمهد بعرض تاريخي وجغرافي لموضوع خليج العقبة يعطي القارئ صورة واضحة عن هذا الخليج العربي، ويظهر مدى أهمية حرية الملاحة فيه بالنسبة لكيان اسرائيل ومقومات بقائها ومشاريعها التوسعية على حساب البلدان العربية.

ينتهي البحر الأحمر الذي هو بحقيقته بحيرة عربية من الشمال بخليجين: خليج السويس الذي يمتد نحو الشمال الغربي حتى مدينة السويس، حيث تبدأ قناة السويس التي انشئت لتصل البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط.. والثاني خليج العقبة الذي يتجه نحو الشمال الشرقي تحيط به اراضي سيناء والاردن والمملكة العربية السعودية، لينتهي بمدينة العقبة، ومرفأ ايلات الذي انشأه اليهود عقب احتلالهم فلسطين عام 1948 .. ويكاد مدخل هذا الخليج يكون مغلقا جغرافيا بجزر صخرية عديدة تعيق الملاحة بل تمنعها، وليس ثمة ممر الا بين جزيرة تيران- وهي اكبر هذه الجزر - وبين شاطيء سيناء حيث تقع بلدة شرم الشيخ وجزيرة تيران تبعد نحو اربعة اميال عن الشاطيء المصري، ولكن الملاحة لا تكون آمنة الا اذا حاذت السفن، المارة بهذا المضيق، الساحل المصري على بعد لا يزيد عن ميل واحد، حتى تأمن الاصطدام بالعوائق الصخرية العديدة.

وقد كان من بين الاحتياطات التي اتخذتها مصر - بعد ان انشأت اسرائيل مرفأ ايلات قرب مدينة العقبة - وضع قوة مسلحة في مدخل الخليج تضمن المحافظة على حقوقها وممارسة هذه الحقوق القانونية، وكذلك وضع قوات - عند اللزوم في جزيرتي تيران وصنافير.

لذلك فان أية سفينة متجهة عبر خليج العقبة الى ايلات، مهددة بالمواقع المصرية القائمة على طرفي الممر المائي الوحيد الذي لا يزيد عرضه عن اربعة اميال، من الشرق جزيرة تيران، ومن الغرب شرم الشيخ على ساحل سيناء .. وقد مارست مصر حقوقها الشرعية في منع اسرائيل من الاستفادة من هذا الممر المائي في تموز 1951 - أي في عهد فاروق - عندما منعت السفينة البريطانية (أمباير روش) المحملة بشحنة من الاسلحة، ومن المرور في المضيق، وأعلنت مصر آنذاك انها تعتبر نفسها في حالة حرب مع اسرائيل، وبالتالي فان لها حقوق الدولة المحاربة في فرض الحصار على دولة العدو، وأصدر الجنرال رايلي - رئيس هيئة اركان حرب الامم المتحدة في فلسطين - بيانا أعلن فيه قبوله وجهة نظر مصر القائمة على اساس قانوني. وأما من وجهة الحقوق الدولية فان مرسوم تحديد المياه الاقليمية المصرية الصادر بتاريخ 15 كانون الثاني 1951 ينص على ان المياه الاقليمية هي التي تمتد حتى مسافة ستة أميال بحرية.

### **وثيقة مؤيدة من مصلحة الاستعلامات المصرية :**

جاء في كتاب "المشكلات العالمية المعاصرة" الذي أصدره السيد عبد القادر حاتم قوله : "ان هذه البحوث ليست جديدة على رجال مصلحة الاستعلامات فقد عاصروها وعاشوا فيها الحقبة التي قضاها في هذه المصلحة. ولا شك ان هذا البحث يعد مرجعا من المراجع الهامة لرجال القانون والسياسة" جاء في الصفحة 23 من هذا الكتاب ما يلي:

"وعندما أنشأت اسرائيل ميناء ايلات كانت تهدف من وراء ذلك الى غرضين : عسكري وتجاري بحيث يفتح امامها، في وسط البحيرة العربية، طريق بحري آخر، غير طريق البحر الابيض المتوسط، الى البحر الاحمر والمحيط الهندي وجنوب افريقيا". وجاء في الصفحة 50 من هذا الكتاب ما يلي :

صرح بن غوريون في 19 اذار 1957 - أي في فترة بدء سيطرة قوات الطوارئ الدولية على مدخل خليج العقبة، بقوله: "ان مشروع مد أنابيب النفط بين خليج العقبة والبحر الابيض المتوسط يهدف الى سد حاجة اسرائيل ودول اوربا من البترول" .. وفي تشرين اول 1957 اعلن بن غوريون بان "حكومته قد انتهت من أعظم الاعمال التي كانت تحت الانشاء" مشيرا بذلك الى خط

الاناييب هذا، أي ان هذا المشروع الذي يلعب دورا خطيرا في اقتصاد اسرائيل وصناعتها قد تم واكتمل بفضل وجود قوات الطوارئ الدولية التي ضمنت لاسرائيل حرية الملاحة في خليج العقبة.

ويعترف مؤلفو هذا الكتاب بأن : "اسرائيل قد بدأت في انشاء هذا الخط في أواخر عام 1956 عقب انتهاء عمليات سيناء مباشرة، ولا تتم الاستفادة من هذا الخط الا اذا اصبحت حرية الملاحة في خليج العقبة قائمة".

ولا تقتصر اهمية حرية الملاحة لاسرائيل في خليج العقبة، على اتاحة الفرصة لاسرائيل كيما تنفذ مشروعا من أهم مشاريعها الانشائية، هو مد خط لاناييب النفط بين ايلات والبحر الابيض المتوسط، بل ان لحرية الملاحة في خليج العقبة اهمية كبرى وتأثير حاسم على كيان اسرائيل التجاري والصناعي والعسكري لان اسرائيل كسرت نطاق الحصار الاقتصادي العربي الذي كان مضروبا حولها، وذلك باتصالها باسواق آسيا وافريقيا بعد ان أمنت لها قوة الطوارئ الدولية حرية المرور في خليج العقبة، وكانت قبل ذلك منقطعة الصلة بدول هاتين القارتين التي وجدت فيها اسرائيل اسواقا لتصريف منتجاتها الصناعية والزراعية.

لقد كانت الصهيونية العالمية - قبل قيام اسرائيل - تأمل في أن تصبح دولتها الباغية في فلسطين دولة صناعة تغطي منتجاتها الصناعية احتياجات اسواق البلدان العربية، لكن حلمها هذا سرعان ما انهار بفضل الحصار الاقتصادي العربي، فجاء فتح الخليج العقبة امامها بحيث حقق لها تصريف منتجاتها في اسواق بلدان آسيا وافريقيا، مما أتاح لاسرائيل ان تكسر نطاق الحصار الاقتصادي العربي وان تصبح دولة صناعية وتجارية كبرى في المنطقة، وبذلك أمنت لنفسها احدى مقومات وجودها كدولة، ولا بد أن القارئ العربي يسمع كل يوم، من اذاعة اسرائيل، خبرا عن الوفود الرسمية والتجارية والثقافية المتعددة، التي تغد الى هذه الدوة الباغية تباعا، من معظم دول افريقيا وآسيا، لعقد الاتفاقات التجارية والصناعية والثقافية. ان اسرائيل بعد فتح خليج العقبة امامها، لم تؤمن لصناعتها وتجارته اسواق بلدان آسيا وافريقيا فحسب، بل ان فتح الخليج فتح امامها مجال الدعاية الواسعة في تلك البلدان، حتى انها اصبحت في وضع يشجعها على المبادرة لايجاد حليفات لها بين دولها .

اما من الناحية الاستراتيجية والعسكرية فلا يخفى على أحد أهمية وجود ميناء ايلات على خليج العقبة، وفتح هذا الخليج امام السفن الاسرائيلية، ويكفي الان لبيان اهمية ذلك، ان نذكر بان اليهود اغتالوا الوسيط الدولي برنادوت عام 1948، لا لأنه عارض بجعل الجليل منطقة يهودية فخرّب على اسرائيل مخططها بتوطين اربع ملايين يهودي بعد ارواء النقب من مياه الاردن، لم يغتالوه لهذا السبب فحسب، بل لانه ايضا افتى بضم النقب الى الارض العربية، مما يحرم اسرائيل من انشاء مرفأ ايلات والنفوذ من خليج العقبة الى آسيا وافريقيا، لان حرمان اسرائيل من مياه الاردن واحياء النقب وحرمانها ايضا من حرية المرور بخليج العقبة يقضي على بقائها ووجودها كدولة في المنطقة العربية.

واذا عدنا الى كتاب "مشاكل عالمية معاصرة" فاننا نقرأ في الصفحة 23 منه ما يلي: "خليج العقبة بحيرة عربية اسلامية، فاذا ما تسلطت عليه دولة معادية تعرضت مصر وقناة السويس لاشد الاضرار". وفي رأيي، والواقع يؤيده، أن تعرض مصر وحدها لاشد الاضرار من جراء تسلط دولة معادية على خليج العقبة، هو شر كبير على القضية العربية ولكن الخطر اوسع واعم من ذلك بكثير، وعندما كانت قضية الخليج مطروحة في المجال الدولي عام 1957 كتبت بهذا الصدد افتتاحية في جريدة البعث - العدد 43-1957/2/23 - قلت فيها :

"ان قضية فلسطين لا تخص حكومة مصر وحدها، ولا أي حكومة عربية اخرى، لانها قضية العرب، وقد أن للولايات المتحدة الاميركية ان تدرك هذه الحقيقة. فكيف يمكن اذن لحكومة مصر ان توافق على ان تهدر حقوق عرب فلسطين؟ بل ان تهدر حقوق العرب اجمعين بتأمين مكاسب جديدة لاسرائيل المغتصبة عن طريق السماح لسفنها بالمرور من مياه مصر الاقليمية؟ إن هذا لو تم، فانه يعني فعلا الصلح مع اسرائيل والاعتراف باغتصابها، وانني لأتساءل كيف يمكن لأميركا أن تصدق مخاوف اسرائيل فتعلن موافقتها على وضع قوة الطوارئ الدولية على خطوط الهدنة ضمانا لامن اسرائيل مع ان اسرائيل هي التي تعتدي وهي التي غزت مصر؟"

إننا نتساءل الآن ولقد أصبح من حقنا أن نطرح هذا السؤال، خصوصا بعد أن عملت أجهزة الاعلام الناصريه عملها في تمويه الحقائق وتحريف الوقائع وبلبله الرأي العام :

هل هناك سند قانوني أو دعم دولي لبقاء قوات الطوارئ الدولية في الاراضي المصرية العربية منذ عام 1956 حتى الان اي بعد انقضاء ستة أعوام كحائل بين عبد الناصر وبين منع سفن اسرائيل من المرور بخليج العقبة؟

ونبادر فوراً فنقول ان قرارات هيئة الامم المتحدة بهذا الصدد، كانت لصالح العرب، اذ دعت صراحة الى انسحاب اسرائيل من الاراضي المصرية بعد العدوان الثلاثي، دون قيد أو شرط .. وفي 19 كانون الثاني 1957 اي بعد العدوان، صدر عن الجمعية العامة للامم المتحدة القرار التالي:

"وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة على مشروع القرار الاسيوي الافريقي بوجوب امتثال اسرائيل للقرارات السابقة الخاصة بانسحاب قواتها من الاراضي المصرية دون قيد او شرط، وكان ذلك باغلبية 72 صوتاً ومعارضة صوتين، وامتناع دولتين عن التصويت، وانفردت فرنسا واسرائيل بمعارضة الفقرة الخاصة بابداء الاسف والقلق لعدم تنفيذ القرارات السابقة الخاصة بانسحاب القوات الاسرائيلية. ويقضي المشروع بان يبذل همرشولد جهوده لحمل اسرائيل على الامتثال الكامل لتلك القرارات، على ان يقدم تقريره عن ذلك الى الجمعية العامة خلال خمسة ايام".

بعد اربعة ايام من صدور هذا القرار، القى بن غوريون خطاباً في الكنيسة قال فيه ان تأمين حرية الملاحة في خليج العقبة كان غرضه الاول من الاشتراك بالحملة مع بريطانيا وفرنسا بالاعتداء على مصر قال: "اننا لا نفكر باحتلال ساحل سيناء بصورة دائمة، وانما نحن نريد الجلاء عنه في اسرع وقت ممكن، بعد أخذ الضمانات الكافية الناجمة بعدم عرقلة حرية الملاحة الاسرائيلية والدولية، التي ضمنت الان، في هذا الممر البحري الدولي، ويمكن تأمين حرية الملاحة في مضائق ايلات والبحر الاحمر اذا وقعت الدول الاربعة على سواحل المضائق - اسرائيل والاردن والسعودية ومصر- على اتفاق يتضمن حرية الملاحة لكل سفينة بلا استثناء، واذا كان هذا الامر متعذراً في الوقت الحاضر، فعلى الامم المتحدة ان تقرر وجوب بقاء القوات الدولية لتأمين حرية الملاحة، على أن لا تغادر تلك القوات المنطقة الساحلية الا بعد تأمين التوصل الى تسوية شاملة بين اسرائيل ومصر، او الى ان يتم التوصل الى تسوية خاصة لمشكلة حرية الملاحة في الخليج توافق عليها اسرائيل أيضاً".

هذا ما جاء في خطاب بن غوريون، فلننظر في رد محمود فوزي الذي ألقاه في الامم المتحدة، في 2 شباط 1957، انه يقول: "يجدر بالجمعية العامة ان لا تحول اهتمامها عن المسألة الخطيرة المعروضة عليها، بمحاولة البحث في الوقت الحاضر ببعض المشاكل القائمة حولها منازعات قانونية كمسألة حق المرور البرئ في خليج العقبة" نلاحظ من هذا الكلام انه في الوقت الذي كانت هيئة الامم المتحدة لا تشغل بالها الا بانسحاب اسرائيل دون قيد أو شرط، اراد وزير خارجية مصر في كلامه هذا، ان يعتبر قضية حرية الملاحة في خليج العقبة مسألة ثانوية لا تعدو كونها منازعة قانونية لمسألة حق المرور في الخليج الذي لا يرى فيه محمود فوزي اكثر من انه مسألة مرور برئ لاسرائيل كما يقول. فهلا يؤخذ من كلام محمود فوزي في هيئة الامم المتحدة على انه اعتراف واضح لاسرائيل بحرية الملاحة في خليج العقبة، ما دامت القضية مسألة نزاع قانوني للمرور البرئ لاسرائيل؟ الا يفهم من هذا الكلام الموافقة على تسوية هذه القضية باتفاق خاص كما طالب بن غوريون بذلك.

ولم يتوقف محمود فوزي في خطابه عند هذا الحد، بل انه طالب بانشاء قوة الطوارئ الدولية وقال: "ان هذه الخطوة هي العمل الصحيح، طبقا للمادة 43 من ميثاق هيئة الامم المتحدة" .. فهلا يتبين من هذا ان وزير خارجية مصر، يفض النظر عن قرار هيئة الامم المتحدة الصادر قبل ذلك بثلاثة عشر يوما والقاضي باجماع 72 صوتا ضد 4- بوجوب انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي المصرية دون قيد أو شرط؟ ولمصلحة من يفض محمود فوزي النظر عن هذا القرار ويطلب انشاء قوة طوارئ دولية؟ اليس لمصلحة اسرائيل التي صرحت على لسان بن غوريون بأن غرضها تأمين الملاحة في خليج العقبة بقرار من هيئة الامم المتحدة او باتفاق خاص؟

وفي الجلسة ذاتها، بتاريخ 2 شباط 1957، استجابت الجمعية العامة لطلب الدكتور محمود فوزي وزير خارجية مصر فوافقت على امرين: اولها يقضي بوجوب انسحاب اسرائيل فورا من الاراضي المصرية والرجوع الى ما وراء خطوط الهدنة، وقد وافقت عليه الجمعية العامة بأغلبية 74 صوتا وعارضته فرنسا واسرائيل.

وثانيهما يقضي بتكليف السكرتير العام للامم المتحدة بالاشراف على اخراج اسرائيل من قطاع غزة، وعلى مرابطة قوات الطوارئ الدولية على طول



خطوط الهدنة وارساله وحدات من تلك القوة الى منطقة خليج العقبة، وقد وافقت على هذا المشروع 56 دولة وامتنعت 22 دولة عن الاقتراع.

يتبين من هذا القرار ان هيئة الامم المتحدة كانت بجانب مصر بما يشبه الاجماع، من مسألة انسحاب اسرائيل على الاراضي المصرية. اما الفقرة الثانية التي تفرض مرابطة قوات الطوارئ الدولية على خطوط الهدنة وفي منطقة خليج العقبة فلم تصوت عليها سوى 56 دولة.

وفي 28 شباط 1957 اصدر الملوك والرؤساء العرب - سعود، القوتلي، حسين، عبدالناصر - بيانا مشتركا اثر اجتماعهم في القاهرة جاء فيه انهم يرون ضرورة العمل على انسحاب اسرائيل فورا الى ما وراء خطوط الهدنة دون قيد أو شرط مع التمسك بحقوق عرب فلسطين كاملة، وبسيادة العرب على اراضيهم ومياهم الاقليمية.

بعد ذلك بثلاثة ايام ألفت جولدا ماير خطابا في الجمعية العامة للامم المتحدة قالت فيه : لقد صرحنا عدة مرات انه ليس لاسرائيل اية مصالح في الاراضي الواقعة على الشاطئ الغربي لخليج العقبة، وكان هدفنا الوحيد هو انسحاب القوات الاسرائيلية واقرار حرية الملاحة لاسرائيل، والملاحة الدولية في خليج العقبة ومضائق تيران. وقالت جولدا ماير : ان لحرية الملاحة أهمية قومية حيوية بالنسبة لاسرائيل وقالت: ان دالاس وزير خارجية امريكا اعطى ابا ايان سفير اسرائيل، في 11 شباط بيانا حول خليج العقبة ناقش فيه حقوق الدول في الخليج وصرح فيه باستعداد الولايات المتحدة لمباشرة هذه الحقوق باسمها، والاشتراف مع الدول الأخرى في الحصول على الاعتراف العام بهذه الحقوق، وأشارت الى تأكيدات همرشولد في 26 شباط التي جاء فيها ان اي اقتراح بسحب قوة الطوارئ الدولية يجب أن يعرض اولا على اللجنة الاستشارية. وبذلك يعطي الجمعية فرصا للتأكد من عدم حدوث تغيرات فجائية تزيد من احتمالات وقوع اعمال حربية ثم طلبت الاحتفاظ بقوة الطوارئ الدولية في مضائق تيران حتى تتأكد الظروف السلمية عمليا، وقالت انها على ثقة ان المرور البرئ للملاحة الاسرائيلية والدولية سيستمر سائدا بعد الانسحاب.

انا نترك للقارئ العربي أن يستنتج فيما اذا كانت قضية حرية المرور لاسرائيل في خليج العقبة، قد سويت مع اسرائيل خارج الامم المتحدة، كما

طلب بن غوريون ذلك، وفيما اذا كانت مصر، على لسان محمود فوزي قد وجهت جلسات هيئة الامم المتحدة حسب هذا الاتفاق ام لا؟

وعلى كل حال ، فلا بد لنا ان نطرح الحقائق التالية منتزعة من جلسات هيئة الامم المتحدة:

اولا : ان جميع القرارات التي صدرت حتى الان عن هيئة الامم المتحدة تقضي بانسحاب اسرائيل دون قيد أو شرط، وان هذه القرارات صدرت باجماع شبه كامل.

ثانيا : ان الدكتور فوزي قد طالب ووافق على ارسال قوات الطوارئ الدولية الى غزة وخطوط الهدنة ومنطقة خليج العقبة.

ثالثا : ان محمود فوزي قد اعتبر مسألة حرية الملاحة في خليج العقبة مسألة بسيطة لا تعدو كونها مجرد مسألة نزاع قانونية تتعلق بحرية الملاحة البريئة وانه من الممكن تأجيلها فيما بعد- حيث لم تبحث حتى يومنا هذا، ولم يطلب عبد الناصر ذلك أصلا - ، بينما يقف كريشنا مينون ليدافع عن قانونية حق العرب في هذه المياه، فيقول في هيئة الامم المتحدة: "ان خليج العقبة تجري فيه مياه اقليمية تابعة للمملكة العربية السعودية، وتابعة لمصر، وان اتساع فم الخليج لا يزيد عن تسعة اميال، اي انه يقل باثني عشر ميلا عن اتساع الخلجان التي يعدها القانون الدولي خلجانا اقليمية، فكيف يمكن ان يكون خليج العقبة ممرا دوليا؟"

واذا لم يقتنع القارئ الكريم حتى الان بان هناك مفاوضات واتصالات بين اسرائيل وامريكا وعبد الناصر كانت تجري خارج نطاق الامم المتحدة، فلنستعرض سوية بعض الاخبار والتصريحات التي قيلت في تلك الفترة، ثم ننتقل بعد ذلك الى النتائج.

في 1 آذار 1957 قال كابوت لودج مندوب امريكا في الامم المتحدة: "لقد اعلنت وزارة الخارجية الاميركية بان جزر تيران ستحصل على الحماية اللازمة وليس من حق أية دولة من الدول منع الملاحة وإلا اعتبر ذلك مخالفة للقانون الدولي ولحقوق الدول ذات المصالح البحرية، واننا نؤيد ما جاء في تقرير همرشولد الذي وافقت عليه مصر، اذن فليس من حق مصر القيام بأي عمل على اساس الدولة المحاربة .. وقال: بانه يأمل ان تتحسن الحالة بين اسرائيل وجاراتها من الدول العربية".

وفي 26 اذار 1957 أكد وزير خارجية الولايات المتحدة دالاس بعد لودج ان الولايات المتحدة تريد ان ترسي قواعد حرية المرور البرئ عبر مضائق تيران وخليج العقبة، ولكنه رفض ان يقول متى وكيف سيتم ذلك. وفي 27 اذار 1957 صرح ايزنهاور بانه فيما يختص بالانباء القائلة بتحريك القوات السعودية الى حافة خليج العقبة، فانه يشك في أن يكون لهذا الاجراء اهمية كبيرة بالنسبة لاستخدام الخليج، لان المرور من جانب الجزء الغربي أو المصري اكثر من المرور من ناحية الساحل السعودي. ومن تصريح ايزنهاور هذا يبدو اطمئنانه الى حرية الملاحة في الجانب المصري من خليج العقبة .. وهكذا تجلت الحقائق امامنا، وهي حقائق مستندة الى الوثائق والمستندات الرسمية، ففي 1 اذار أعلن مندوب امريكا في الامم المتحدة موافقة مصر على تقرير همرشولد الذي كلف قوات الطوارئ الدولية بتأمين حرية الملاحة في خليج العقبة، وفي 26 اذار يؤكد دالاس ان امريكا عازمة على تأمين هذه الحرية، وفي 27 يتحدث ايزنهاور عن اطمئنانه الى ان الجانب المصري لن يفعل شيئاً ولن يمنع ملاحه سفينة في الخليج.

ثم ان كابوت لودج اكد امام هيئة الامم المتحدة، ان مصر وافقت على حرية الملاحة في خليج العقبة، فاذا لم يكن هذا التأكيد صحيحاً فلم لم ينهض محمود فوزي لدحضه وتكذيبه. ان كلام لودج هذا هو بيان رسمي يدلي به ممثل اكبر دولة في العالم في هيئة الامم المتحدة اثناء بحث القضية بعد تصريحات بن غوريون وبحضور ممثل مصر محمود فوزي، وان سكوت محمود فوزي عن مجابته وتكذيبه يعتبر اقراراً بحقيقة واقعة وهي ان عبد الناصر قد وافق بن غوريون على تسوية القضية بواسطة امريكا خارج نطاق هيئة الامم المتحدة وما خطاب كابوت لودج الا لاعلام هيئة الامم المتحدة والعالم عن هذه التسوية وانهاء الموضوع.

وقد حدث في 6 نيسان 1957 - اي بعد تصريح ايزنهاور بتسعة ايام فقط - ان وصلت الى ميناء ايلات ناقلة النفط الاميركية (كيرين هيلزين) حاملة شحنة من النفط الخام الايراني. وقد كانت السفينة اول ناقلة بترول تصل الى ايلات لتفريغ حمولتها البالغة 16700 طن فجاءت مصداقاً عملياً لاطمئنان ايزنهاور الى ان عبد الناصر لم يخل بالاتفاق معه ولم يمنع اية سفينة من دخول الخليج بعد ان تمركزت القوات الدولية في شرم الشيخ. ولم يكن رد الدول العربية على هذا العمل الذي يعتبر اكبر ظفر حقيقته اسرائيل من

اطماعها التوسعية على حساب البلدان العربية الا تقديم مذكرات احتجاج الى الولايات المتحدة في 11 مايس 1957، اي بعد مضي اكثر من شهر على وقوع الحادث، كما لم تلجأ مصر لاستخدام القوة في منع عبور السفينة - وعبورها عمل عدواني خطير ما دامت حالة الحرب قائمة بين العرب واسرائيل - . ولم تلجأ مصر للاستفادة من الانذار الذي كان الاتحاد السوفياتي قد وجهه الى اسرائيل وفرنسا وانذر كلا منهما بأن أي عدوان عسكري جديد ضد مصر، لتأمين حرية المرور في خليج العقبة لاسرائيل، سيؤدي الى حالة خطيرة تهدد بنزاع مسلح على نطاق واسع، وستكون له عواقب وخيمة على قضية السلام.

ان ملابسات هذا الاتفاق بين اسرائيل وامريكا وعبد الناصر حول حرية المرور في خليج العقبة، تزداد وضوحا فيما لو استعرضنا نشاط همرشولد وتصريحاته في تلك الفترة. فهمرشولد الذي ضربت رحلاته ورحلات مساعده بانث الامريكى رقما قياسيا في تلك الفترة، بين نيويورك والقاهرة واسرائيل، اعلن في 5 نيسان 1957 قائلا: "ان قوة الطوارئ الدولية ستبقى في الشرق الأوسط حتى تتم مهمتها بتسوية الموقف بين مصر واسرائيل". وأكد همرشولد انه وجد من الرئيس جمال عبد الناصر تعاونا كاملا بشأن المقترحات التي قدمها له. كما أكد ان هذه القوات كفيلة بمراقبة نشاط الفدائيين المصريين. وان مما يبسر مهمتها انشاء حاجز منيع في المواقع الحساسة على خط الهدنة.

ثم قال همرشولد للصحفيين :

"تستطيعون أن تستنتجوا من ذلك ما تشاؤون".

والان، بعد ان تبينت للقارئ هذه الحقائق المستندة الى وقائع تاريخية ثابتة ومستندات رسمية دولية، لا بد له من أن يطرح علينا السؤالين التاليين:

أولا - ماذا فعلتم - عندما طرحت هذه القضية امام هيئة الامم المتحدة للحيلولة دون وقوع هذه الكارثة.

ثانيا - اذا كنتم قد فعلتم ما تستطيعون، فلماذا رضيتم، بعد سنة، باقامة وحدة مع عبد الناصر؟

اما بالنسبة للسؤال الاول فاننا لم نكن غافلين عن خطورة هذه القضية واهميتها، كما لم نخف علينا مؤامرات اسرائيل وتلكؤها في سحب قواتها من خليج العقبة وسيناء وغزة ووقفنا ننبه الشعب والرأي العام الى المؤامرة التي يحيكها الغرب بفتح خليج العقبة امام اسرائيل، وبذلنا كل جهد ومسعى للحيلولة دون تنفيذ هذه المؤامرة التي تمت تحت ستار قوات الطوارئ الدولية التي فضحنا غرض الاستعمار واسرائيل من الاعتماد عليها كقوات احتلال تحمي مصلحة اسرائيل. ولو رجعنا الى العدد 40 من جريدة البعث الصادرة بتاريخ 1 شباط 1957 لقرأنا في تعليقنا السياسي ما يلي :

"ان كابوت لودج يناقض ميثاق مجلس الامن .. فقد جاء في خطاب مندوب الاتحاد السوفياتي ان هذه القوات الدولية لا يمكن انشاؤها بموجب الفصل السابع من ميثاق هيئة الامم المتحدة الا بقرار من مجلس الامن ومن أجل الدفاع فقط عن الدولة ضحية العدوان. ومع ذلك فان قوات الطوارئ الدولية الموجودة في الاراضي المصرية قد انشئت خلافا لميثاق الامم المتحدة ومن فوق رأس مجلس الامن. وهذه القوات يراد أن يوكل اليها الآن، ومن فوق مجلس الامن ايضا احتلال قسم من الاراضي المصرية.

هذا، واذا كان من المؤكد أن اسرائيل تأتمر بما تلقنها اياه كل من بريطانيا وفرنسا، وان الولايات المتحدة تجاري اسرائيل في الشروط التي تفرضها للانسحاب من الاراضي العربية، واذا عرفنا كل ذلك اتضحت لنا خطوط المؤامرة الجديدة التي تحيق بالوطن العربي، مؤامرة يدخل فيها عنصر المساومة الودية بين بريطانيا وفرنسا من جهة والولايات المتحدة من جهة ثانية على تقاسم النفوذ من جديد في الوطن العربي ... "

وجاء في المقال الافتتاحي الذي كتبه في العدد 43 من جريدة البعث 23 شباط 1957 ما يلي : "وخلاصة القول ان خطاب الرئيس الاميركي قد صور وضع اسرائيل امام العالم بخلاف حقيقته لانه تجاهل عمدا القضية الفلسطينية كما اعتبر ما تطلبه اسرائيل من حرية الملاحة في قناة السويس وخليج العقبة حقوقا مشروعة مع ان وجود اسرائيل كان ولا يزال وجودا قائما غير شرعي وقائما على الغزو والعدوان والتوسع".

وجاء في المقال ذاته :

"ومن ذلك يظهر ان خطاب الرئيس الاميركي ينطوي على خطورات حمة يجدر بالحكومات العربية التي سيجتمع رؤساؤها وملوكها 26 الجاري في القاهرة ان تضع الخطط لتجابه اخطار الحاضر والمستقبل وان بيد الحكومات العربية عدا عن قواها العسكرية سلاح البترول وقناة السويس ومساندة الرأي العام العالمي الذي اقتنع بان قضية العرب قضية حق وعدل".

وجاء في العدد 44 من جريدة البعث الصادر في 2 آذار 1957 ما يلي :

"وتبقى العقدة الاساسية بأن خليج العقبة مياه اقليمية مصرية سعودية، لا يجب أن تتمكن اسرائيل قبل انسحابها او بعده ان تمارس فيها الملاحة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان قوة الطوارئ تنتهي مهمتها بانتهاء انسحاب اسرائيل، ويبد مصر حل هذه القوة بانتهاء مهمتها . وبعودة غزة الى الادارة المصرية بموجب اتفاقية الهدنة 1949 تدرك امريكا واسرائيل انه لا يحق ادخال اي تعديل على هذه الاتفاقية الا عن طريق هيئة الامم، واي بحث في التعديل في هيئة الامم يصطدم مع ستة قرارات اصدرتها هذه الهيئة بسحب قوات اسرائيل دون قيد أو شرط كما يصطدم بمشروع قرارات الكتلة الاسيوية الافريقية فرض العقوبات على اسرائيل لعدم تنفيذها تلك القرارات". وقلت في افتتاحية العدد ذاته :

"وعلى كل حال فاننا نعتقد بأن صمود العرب واستبسالهم في الدفاع عن حقوقهم الشرعية هو وحده الكفيل لاحباط جميع المؤامرات التي تحيكها قوى الشر والعدوان ضد القومية العربية مهما تألبت هذه القوى واستفرست. وليس ادل على ذلك من اضطرار جولدا ماير وزيرة خارجية اسرائيل للاعلان في منتصف ليل امس عن اعتزام اسرائيل الانسحاب من قطاع غزة وشرم الشيخ.

ولا قيمة بنظرنا مطلقا للضمانات التي قالت جولدا ماير انها أخذتها من امريكا ودول بحرية اخرى بضمان حرية الملاحة لاسرائيل في خليج العقبة، لان امريكا وتلك الدول البحرية لا تملك اصلا حق اعطاء مثل هذه الضمانات في شأن حق طبيعي من حقوق مصر والمملكة العربية السعودية لانه متصل بصميم سيادتهما المطلقة على مياههما الاقليمية، حتى أنه لا يحق للجمعية العمومية للامم المتحدة حق التدخل فيه".



لا يمكنني طبعاً أن أورد هنا جميع ما كتب في جريدة البعث وما أعلنه في الصحف السورية ونبهنا فيه الى مؤامرة اسرائيل هذه، وما قامت به سورية، من مساع وجهد لفضح هذه المؤامرة والوقوف في وجهها، ولكن يكفيننا الان، من هذه المقتطفات التي وضعناها بين يدي القارئ، ان نشير الى الوسيلة التي كنا نلج على استخدامها لمجابهة هذه المؤامرة، حيث كنا نبين ان بين أيدي العرب أسلحة قوية يستطيعون استخدامها في اجبار الغرب على فرض الانسحاب على اسرائيل دون أن تحصل على أية مكاسب تحت ستار البوليس الدولي للسيطرة على خليج العقبة، هذه الاسلحة القوية هي سلاح البترول، وقناة السويس، ومساندة الرأي العام العالمي، بالاضافة الى القوى العسكرية العربية، واستبسال الشعب العربي في كافة اقطاره مندفعاً للدفاع عن قضيته الكبرى. لقد كانت هذه الاسلحة قادرة آنذاك على منع الغرب من تأييد طلب اسرائيل بتأمين حرية مرور سفنها في خليج العقبة بحماية قوات الطوارئ الدولية المحتلة لشرم الشيخ.

لقد كلفت وزارة الخارجية السورية آنذاك سفيرنا في القاهرة ان يجتمع بالرئيس عبد الناصر لينقل اليه وجهة نظر سورية هذه، فقام السفير بما طلب اليه، واجتمع بعبد الناصر وبعث الى وزارة الخارجية بتاريخ 13/1/1957 مذكرة رقمها (س702/17) تلخص آراء عبد الناصر الواردة في هذا الاجتماع وجاء في هذه المذكرة ما يلي بالحرف الواحد :

"استعرضت مع الرئيس جمال عبد الناصر موضوع انسحاب اليهود من سيناء وغزة، وتطهير قناة السويس، وشرحت له موقف سورية من عدم الموافقة على اصلاح انابيب البترول قبل ان يتم انسحاب اليهود من غزة وسيناء وصارحته بان سماح مصر بتطهير القناة قبل ان يتم هذا الانسحاب يستغل في كثير من الاوساط فشرح لي رأيه على الشكل الاتي قال :

ان تطهير قناة السويس يختلف عن موضوع اسالة انابيب البترول اختلافاً كلياً فالقناة هي السبب في كل ما حدث من عدوان وأذية وأفكار العالم كله متجهة اليها، والبلاد الصديقة يهملها فتح القناة للملاحة مثلما يهمل الاعداء، وفوق ذلك فمصر أقرت في مجلس الأمن المبادئ الستة. وبالاضافة الى كل ذلك فالتطهير يقتضي له اربعة اشهر من الزمن يستطيع المرء خلالها ان يعيد النظر في موقفه وفقاً لمقتضيات المصلحة. اما انابيب البترول في سورية فبالرغم من اهميتها الا انها ليست محط انظار العالم واهتمامه بدرجة

قناة السويس، ومع ذلك يرى الرئيس اننا بإمكاننا الموافقة على البدء بالاصلاح.. وقد جرننا الحديث الى الكلام عن اسرائيل وامكان استغلالها فرصة تخريب المواصلات في سيناء ووجود القوات الدولية فيها وعدم امكانية احتكاك الجيش المصري باسرائيل نتيجة لهذا الوضع لتقوم باعمال عدوانية على سورية والاردن اذا ساعدتها الظروف الدولية، فأعرب الرئيس عن اعتقاده بأن اسرائيل لن تقوم بأي عمل ، ومع ذلك فعلينا ان لا نستفزها باعمال التخريب التي يقوم بها الفدائيون، كما يجب ان لا نستفز غيرها ليساعدها على العدوان ويكون موضوع اصلاح تلك الانابيب من اسباب ودوافع تلك المساعدة . ان الموافقة على اصلاح الانابيب يقطع الطريق على الاعداء ويبرهن على حسن نوايانا.

ثم انتقلنا اخيرا الى موضوع الاتحاد بين سورية ومصر فقلت ان الوقت قد حان لبحث هذا الموضوع مجددا بعد ان توقف هذا البحث نتيجة للحوادث الاخيرة فأقر معي بذلك واذاف ان الرأي العام المصري يتقبل الان هذه الفكرة اكثر من ذي قبل لان الجميع هنا يقدرون لسورية موقفها يوم العدوان على مصر ولا مانع من استئناف البحث في الموضوع وتشكيل اللجان الفنية والاقتصادية لتوثيق الروابط والتعاون.

أما الاتحاد فأمامه في الوقت الحاضر صعوبات تعترضه سواء من البلاد العربية أو من البلاد الاجنبية. وليس من مصلحتنا الان ان نزيد مشاكلنا وصعوباتنا فأما في البلاد العربية فلن ترحب المملكة العربية السعودية بهذه الخطوة. وقد يتأثر موقفها بجانبنا اذا قمنا بها. وقد دخل الاردن في هذا الموضوع لان الانتخابات والحكومة الجديدة أوجدت تيارا هناك يطالب باتحاد الاردن مع سورية ومصر ولا نعلم تأثير هذا الامر على الملك حسين. وأما الدول الاجنبية وخصوصا العربية منها. فستزيد هذه الخطوة من حذرنا وكيدها لان تكون كتلة من الدول العربية المتحررة سيكون على اي حال موضع الريبة والمقاومة".

يتبين مما ورد في هذه المذكرة الرسمية ان جميع الاسلحة التي أرادت سورية ان تجابه بها تأمر الغرب واسرائيل على تحقيق مطامعها التوسعية نتيجة للعدوان قد رفضها عبد الناصر، بينما لو قبل باتحاد مصر وسورية وامتنع عن اصلاح قناة السويس مع امتناع سورية عن اصلاح أنابيب



البترول لكان ذلك سلاحا يستطيع أن يفرض على الغرب عدم تأييد اسرائيل في مطامعها التوسعية.

ومع ذلك، فاننا وقفنا في سورية موقفا صامدا وأخرنا اصلاح انابيل البترول على الرغم مما منيت به سورية من خسائر فادحة، بينما كان عبد الناصر يشرع في فتح القناة وتنظيفها.

وهنا نصل الى السؤال الثاني : اذن لماذا تسرعتم باقامة الوحدة؟

اننا نجد الجواب على هذا السؤال، في الوضع العربي آنذاك؛ لقد كان الوضع آنذاك لمصلحة اسرائيل وضد المصلحة العربية، فخليج العقبة اصبح - بحماية البوليس الدولي- مفتوحا أمام اسرائيل، مما حقق لها احدي دعائم وجودها وبقائها، وبفضل قوات البوليس الدولي الحاجزة ما بين اسرائيل ومصر، تفرغت اسرائيل للاعتداء على سورية، وبدأت تشن سلسلة اعتداءاتها المعروفة على حدودها بقصد تحويل مجرى نهر الاردن، وكان يغلب على اعتقادنا ان مساومة عبد الناصر بقضية البوليس الدولي كانت نتيجة الضعف والخسارة العسكرية التي منيت بها قوات مصر العربية بعد معركة القناة، وكان يطمئنا في الوقت ذاته، ما نسمعه من تصريحات رسمية كانت تصدر عن همرشولد ومحمود فوزي في مناسبات عديدة، والتي كانت تنسجم مع ما عرف رسميا في هيئة الامم المتحدة من ان بقاء هذه القوات الاجنبية في الاراضي المصرية منوط بارادة الحكومة المصرية وأن مبادرة حكومة مصر لطلب اجلاء هذه القوات في اي وقت تشاء كافية لاجراجها من حدود غزة وسيناء وشرم الشيخ وكانت تصريحات عبد الناصر تؤكد ذلك.

وكان في اعتقادنا انه لا يمكن انقاذ هذا الموقف الا بتكوين جيش عربي موحد يشكل قوة ضاربة، قادرة على الوقوف في وجه مطامع اسرائيل، وقادرة على منع اسرائيل من المرور في خليج العقبة بعد ترحيل قوات البوليس الدولي، وكان في اعتقادنا ان تشكيل هذا الجيش العربي الموحد القوي يتيح لمصر القدرة على التخلص من البوليس الدولي الذي يحجز بينها وبين اسرائيل، وبذلك يقطع الطريق امام هذا الدولة الباغية لاستفراد سورية الصامدة وحدها في وجه المطامع الاسرائيلية، والسااهرة على ضرب اسرائيل كلما مدت يد البغي لمباشرة تحويل مجرى نهر الاردن.

هذا الدافع ، كان من أهم العوامل التي دفعتنا آنالك لطلب اقامة اتحاد بين سورية ومصر بأي شكل وبأي ثمن! ولكن عبد الناصر الذي كان، في مطلع عام 1957، يمانع باقامة اي نوع من الاتحاد، ويطلب دائما تأجيل البحث في الموضوع كما قرأنا في مذكرة السفير السوري بالقاهرة ، انقلب فجأة في شباط 1958 فاصبح لا يقبل الا بالدمج الكامل.

ان عبد الناصر الذي كا يتحاشى اقامة اتحاد عربي خشية من موقف الغرب- كما ورد في المذكرة ذاتها- وخشية من غضب الملك سعود "حسب ادعائه للسفير السوري" عاد فجأة ليريد من سورية لا الاتحاد المعروض عليه، بل ليطلب الاندماج الكامل بين القطرين العربيين ولا يرضى بالاتحاد بديلا عنه، وقد اعتبر الشعب العربي هذه الوحدة التي قبل بها عبد الناصر اخيرا، زورق النجاة لانقاذ فلسطين التي يتوقف على انقاذها مصير العرب اجمعين بل اعتبرها الشعب العربي من المحيط الى الخليج نواة الوحدة العربية الشاملة ونقطة تحول بالتاريخ تربط ماضي العرب العظيم بمستقبلهم المجيد.

فهل كانت الوحدة التي قامت بين مصر وسورية زورق النجاة لانقاذ فلسطين وحماية الوجود العربي؟

وهل حقق عبد الناصر أمل العرب في ان يكون توحيد الجيش العربي سبيلا لاجلاء البوليس الدولي عن خليج العقبة ومنع اسرائيل من المرور فيه؟

ان عبد الناصر، في ظل الوحدة بدلا من ان يعمل على تسليح الجيش العربي الموحد باحدث الاسلحة، وبدلا من ان يزود هذا الجيش بالصواريخ لينفوق بالقوة على اسرائيل، راح يضعف هذا الجيش ويصفيه في سورية. ويجرده من ذخيرته واسلحته ويفرغه من خيرة ضباطه عزلا وتسريحا ونقلنا الى الملاكات المدنية، ولم يكتف عبد الناصر بتصفية الجيش النظامي(2) بل انه - في ظل الوحدة ايضا- صفى العناصر الطليعية والوطنية والوحدوية- لا في

(2) وبالإضافة الى ذلك فقد حلت فرق المقاومة الشعبية التي اصبحت مفخرة الشعب السوري وصودرت اسلحتها، وخلال هذه العملية صودر من بيتي وكنت نائبا لرئيس الجمهورية رشاش كان الجيش السوري قد أهداني إياه عندما كنت رئيسا للمجلس النيابي السوري وهو من صفقة الاسلحة الهامة التي عقدها سورية مع الاتحاد السوفيتي.

سورية فحسب، بل في البلدان العربية الأخرى، وفرغ الوحدة من جميع معانيها، حتى انقلبت تسلطا واستغلالا اقليميا ونفوذا فرديا وحكما بوليسيا رهيبا.

## البيان الرابع ردا على خطاب عبد الناصر في المجلس التشريعي لقطاع غزة.

بتاريخ 1962/6/26 ألقى جمال عبد الناصر خطابا في المجلس التشريعي لقطاع غزة في ما يلي بعض ما جاء فيه :

"انا بذكر في القرن الثاني عشر، حينما هاجم الاستعمار الصليبي هذه المنطقة واحتل القدس، العرب مانسيوش، قعدوا سبعين سنة واستردوها".

وقال مخاطبا الفلسطينيين : "المسؤولية عليكم، بتسافروا، بتروحوا، كل بلد فيها فلسطينيين، ماتستنوش ، احنا نقول لكم، اول حاكم يقول : بتتصرفوا وتاخدوا المبادهة والمسؤولية. وتسافروا وتجمعوا اموال وتقيموا مدارس. لا تعتمدوش على الاغاثة. الاغاثة حبيجي يوم وتنتهي. تجلبوا اموال وتبنوا وتصنعوا وتشتغلوا. احنا مستعدين. الشعب في الجمهورية ان يتعاون معاكم عندما تطلبوا منا ما تقولولش دى مساعدة لازم تقولوا انه ده حق لكم وانه احنا مسؤولين انه نديكم هذا الحق".

"انا بقول لكم اصعب قضية في العالم النهارده هي قضيتكم. اللي بييجي يقول انا وضعت خطط علشان احلها والله بيضحك عليكم. انا ما قولش لكم انه عندي خطط.. ما اقدرش اقول انا عندي خطة لتحرير فلسطين. اذا بقول لكم دلوقت عندي خطة لتحرير فلسطين ابقى بضحك عليكم وبقيت سياسي ومانيش وطني. بتاجر في السياسة. اي واحد بيقول انه عنده خطة لتحرير فلسطين بيبقى بيضحك عليكم".

"اللي ما يستعدش واللي بياخذ الحرب بخطب رنانه أو يأخذها مزایدات سياسية وبيع مصائر الناس او بيع مصير شعبه خائن بحق وطنه وخائن بحق شعبه وخائن بحق نفسه. القائد اللي يكون على غير استعداد ويحاول يوهم الناس بأنه مستعد. القائد ياللي مش واثق بالنصر يللي يحاول يوهم الناس بالنصر قريب منهم وقريب المنال بيبقى خائن بحق وطنه وخائن بحق شعبه".

كما ردد عبد الناصر، في خطابه هذا ما قاله همرشولد في تقريره من ان وكالة غوث اللاجئين لن تحل المشكلة. وانما الذي يحل المشكلة هو المساعدات الضخمة للحكومات العربية لتعمل على توطين اللاجئين في بلادها. خصوصا وان وكالة الغوث سوف تحل حتما.

### **وقد رددت على هذا الخطاب بتاريخ 1962/2/27 بيان جاء فيه :**

"ان أي مواطن عربي لم يسمع من أي حاكم عربي آخر ما سمعه من جمال عبد الناصر عن الخطة والتخطيط والتصميم ليس في قضية فلسطين فحسب بل في جميع أمور الدولة." "انني لأسأل كل مواطن عربي في دنيا العرب : من هو الذي كان يدعي بأن قوته العسكرية "أكبر قوة ضاربة في الشرق الأوسط"؟ ومن هو الذي كان يدعي بأن هذه القوة ستحق اسرائيل في حالة قيامها بعدوان؟ ومن هو الذي لم تخل تصريحات وخطبه مرة واحدة مما يشير الى وثوقه من النصر الحاسم في حالة اشتباكه مع اسرائيل؟ ومن هو الذي ادعى صنع الطائرات النفاثة والصواريخ في نفس الشهر الذي ألقى فيه هذا الخطاب"؟

"واكثر من ذلك فانه يقول ان كل من يثق بالنصر في حال اشتباكه مع اسرائيل هو خائن بحق وطنه وخائن بحق شعبه فمن هو الذي كان اشد وثوقا بالنصر من عبد الناصر والمشير عامر، طيلة السنوات المنصرمة؟"

ان عبد الناصر يدعو صراحة لتأسيس اللاجئين الفلسطينيين والعرب اجمعين من ان يتمكنوا من استرداد حقوقهم قبل سبعين عاما. ليخلص من نتيجة ذلك الى دعوة صريحة للاجئين الفلسطينيين بأن يستوطنوا وان بينوا البيوت وينصرفوا الى اعمالهم وهو في الوقت ذاته يهددهم بأن وكالة الغوث سوف تزول. وبطمئنتهم بأنه سوف يقدم لهم المساعدة بدون منة لتحسين احوالهم. وهذه هي الترجمة العربية لتقرير هرشولد الذي ألقاه في هيئة الامم المتحدة (لقد تحدثنا عن هذا التقرير واعتراف الدكتور محمود فوزي بأنه وضعه بنفسه).

ثم أعرب عبد الناصر عن رأيه فيما يجب أن تكون عليه أخلاق من يتعاون معهم من السياسيين:

"لقد عملت مع سوريين كثيرين، كان معنا نهاد القاسم وعبد الوهاب حومد، وعدد كبير من السوريين والطرابلسي وفريد زين الدين ولم يتكلم احد منهم

في هذه المناقشات (مناقشات تحويل نهر الاردن) فكان موقفهم هو الموقف السليم الذي ان دل على شيء فانما يدل على القيم الاخلاقية".

( ولا بد لي من الاشارة هنا الى ان الوزراء : حومد والطرابلسي والقاسم لم يكونوا موجودين في مناقشات التحويل)

ثم تهجم علي بشكل مقذع قائلا :

اما اكرم الحوراني فهو محترف سياسي متاجر بالسياسة بده يصل الى رئاسة الجمهورية ولو على جماجم الشعب السوري والشعب العربي كله. هو بده يحقق لنفسه امنيته. ما الفرق بين الناحية الاخلاقية والتجرد من الاخلاق؟ التجرد من الاخلاق يبيح للانسان ان يفعل اي شيء. لانه بقي تاجر بسياسته. ما عنده مانع انه يبيع شعبه برئاسة الجمهورية خمس سنين".  
فجاء في بيان الرد عليه :

"لقد برهنت على كذب هذه الأقوال بالاستقالة من نيابة رئاسة الجمهورية العربية المتحدة ورفض كل ما يتصل بهذا المركز من مغريات وأثرت أن استقيل وان أتحمل الحصار الذي ضربه عبد الناصر حولي وجميع المضايقات والحرمان حتى أصبحت حرب تجويع وتهديد بالاغتيال وتشويه السمعة ومس الكرامة والاذلال والقضاء على الحرية الشخصية" "وانني اعلن للسيد عبد الناصر على رؤوس الاشهاد بأنني لن أكون رئيسا للجمهورية ولن أسعى لذلك ما حييت".

ثم جاء في البيان :

"بعد سرد هذه الوقائع قد يدعي البعض ان ما كتبناه في البيانات يشوبه بعض العوامل العاطفية، ونحن نرد على هؤلاء انه لو كان للعاطفة تأثير على سرد هذه الوقائع لما تأخرنا بعد 1961/9/28 بطرحها على الرأي العام سيما وأنه بعد انهيار الحكم الناصري في سورية اصبح من الممكن طرحها فوراً".

"إننا لا نستخدم القضية الفلسطينية التي هي قضية وجود ومصير سبيلا للقضاء على عبد الناصر، مهما بلغ ايداء عبد الناصر لنا ولامتنا، وانما الحقيقة هي اننا نستخدم ما اطلعنا عليه من وقائع ووثائق ومستندات رسمية - كان الحكم الناصري يحرم ان تنشر على الرأي العام العربي- في

سبيل خدمة القضية الفلسطينية التي هي الدافع لشعارات العرب في الحرية والوحدة والاشتراكية والديمقراطية بل هي قضية تقرير مصير ووجود بالنسبة للامة العربية".

"إننا استهدفنا من طرح القضية الفلسطينية في الماضي والحاضر أن ننقل هذه القضية من ايدي الحكام والنظم في البلاد العربية الى يد الشعب العربي. وهل رسخت الصهيونية العالمية أقدامها في فلسطين الا لأن هذه القضية كانت بين أيدي حكام العرب وبمعزل عن الشعب العربي؟

وإذا كان الحكم الناصري قد حرم علينا أن نطرح هذه الامور على الشعب أثناء الوحدة فاننا الآن ونحن نتمتع بالحد الأدنى من الديمقراطية ، وجب علينا، ونحن مسؤولون امام الله والتاريخ، ان ننقل هذه القضية بما لدينا من قوة، الى ايدي الشعب القادر على احباط المؤامرات الاستعمارية والصهيونية وطالما ان القضية الفلسطينية اصبحت بين يدي المواطن بعد ان انهارت الاستار التي كانت تحجب عنه ما يحاك وراء الكواليس، وطالما ان قضية فلسطين معرضة لخطر التصفية في هذه الايام، فانه يحق له أن يطرح علينا وعلى نفسه هذا السؤال : ماذا يمكن أن يفعله الشعب العربي لانقاذ حياته ومصيره؟

إنه بعد أن تحرر الشعب العربي في سورية من الحكم الفردي، وجب عليه أن يضع الحلول لانقاذ قضية فلسطين ويطرح ذلك على الرأي العام العربي، فما هي هذه الحلول؟ اننا نقترح الأمور التالية :

أولا : أن تبادل سورية العربية في طلب عقد ميثاق عسكري يعتبر خطوط الهدنة في سورية ومصر والأردن ولبنان خطأ واحدا.

ثانيا : ان لا يقتصر هذا الميثاق العسكري على الدول العربية المشتركة بخطوط الهدنة مع اسرائيل بل يجب أن يطلب الاشتراك بهذا الميثاق من العراق والسعودية خصوصا والبلاد العربية الأخرى عموما.

ثالثا : ان تطرح الدول العربية مجتمعة قضية تحويل مجرى نهر الأردن وقضية خليج العقبة على الرأي العام العالمي في هيئة الامم المتحدة، وأن تبلغ الدول الكبرى من قبل الدول العربية مجتمعة ان العرب مستعدون للدفاع

عن حقهم في خليج العقبة وحقهم في مياه نهر الاردن ولو أدى ذلك الى اشعال نار الحرب بين العرب واسرائيل.

رابعا : ان يتفق العرب على أن تكون المعركة بجعل اسرائيل هي المعتدية امام الرأي العام العالمي وذلك بأن تبادر مصر لسحب البوليس الدولي من أراضيها، فيغلق بذلك خليج العقبة بشكل طبيعي امام السفن الاسرائيلية، وإذا أرادت هذه السفن ان تشق طريقها بالقوة فتكون اسرائيل هي المعتدية ويكون العرب في وضع دفاعي مشروع عن حقوقهم. وإذا شن اليهود العدوان على العرب، فعلى العرب ان يكونوا على استعداد عسكري لصد العدوان ومنع اسرائيل من ضخ المياه من بحيرة طبريا بتحطيم كل ما بينون من منشآت لسرقة المياه العربية.

ان كل انفراد من احدى الدول العربية في الوقوف في وجه اسرائيل هو خدمة لاسرائيل وتوريط لتلك الدولة العربية. ونحن مهما بلغت الخصومة بيننا وبين نظام عبد الناصر فإنه لا يخطر في بالنا ان نورط جمال عبد الناصر بحرب غيرمتكافئة بينه وبين اسرائيل لان في ذلك خيانة ليس بحق مصر فقط بل هي خيانة بحق العرب اجمعين.

ونحن الان بودنا لو يستلم عبد الناصر زمام المبادرة لتنفيذ هذه الخطة سيما وانه لم يعد بإمكانه ان يتعلل بانتظار صنع الطائرات النفاثة والصواريخ لتنفيذها. وان امام عبد الناصر وامام العرب اليوم اخر فرصة للوقوف صفا واحدا لمنع اسرائيل من تحقيق مطامعها التوسعية على حساب البلاد العربية.

وإذا كان منع اسرائيل من التوسع في الماضي عندما كانت الوحدة قائمة بين الاقليمين لم يحدث، فإن الفرصة لم تفت بعد، وإن أمام عبد الناصر تجاه هذه القضية التي هي قضية وجود ومصير آخر فرصة للسير في الطريق العربي التحرري الصحيح، ولا شك أن ذلك سيكون أكبر انتصار للأمة العربية.

إن الغرب اذا وجد تصميمنا عربيا وعزما أكيدا على الوقوف في وجه اسرائيل فانني اعتقد بأن القضية لن تضطر العرب للدخول في حرب شاملة مع اسرائيل، بل ان الغرب سيتراجع في موقفه في تنفيذ المخطط الصهيوني في المنطقة لانه لا يخفى ان بيد العرب اسلحة ماضية كسلاح البترول والمصالح الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية تجعل الغرب يحسب الف

حساب ما لم يتراجع عن دعمه لاسرائيل. وانني لالفت النظر الى ان الوضع العالمي قد تبدل كثيرا عن الماضي واصبحت القوى العالمية متوازنة. وهذا مما يدعم الموقف العربي تجاه مطامع اسرائيل الاستعمارية التوسعية.

إن العرب يركزون الآن على حليف قوي، يوازي قوى الغرب. ويمدهم بكل أسباب القوة وقد أبدى هذا الحليف استعداداه ولا يزال يبيدها للوقوف بجانب العرب تجاه مطامع الاستعمار الغربي والصهيونية العالمية، فالوضع العالمي اليوم أي في عام 1962 مختلف كثيرا عنه في عام النكبة عام 1948.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان الوضع العربي والرأي العام العربي قد اختلفا الان كثيرا عما كانا عليه عام 1948 حتى أن جميع الانقلابات والتطورات التي حدثت في البلاد العربية كانت نتيجة لكارثة فلسطين عام 1948. ولذلك كان من باب التهرب من تحمل المسؤولية ان نقارن نتائج الحرب بين العرب واسرائيل بنتائجها عام 1948.

وإذا كان تخاذل حكام العرب في خوض معركة فلسطين وقبولهم بالهدنة الأولى ، الذي قلب الوضع العسكري والسياسي من انتصار عربي الى انتصار يهودي، اذا كان هذا التخاذل قد مر دون ان يطيح بنظم الحكم القائمة في البلاد العربية، فانه لا يمكن أن يقنع أي انسان عربي اليوم بأن أي موقف متخاذل من قبل أي نظام قائم في البلاد العربية يمكن ان يمر دون أن يقضى الشعب العربي على ذلك النظام.

إنها اكذوبة كبرى وخديعة كبيرة أن نترك اسرائيل تحقق مطامعها التوسعية وقضيتها الآن مطروحة على بساط التصفية بزعم انه يجب علينا أولا أن نحقق الاشتراكية ونقضي على الرجعية العربية، إن تصفية القضية الفلسطينية ستقضي على التقدمية العربية قبل أن يقضى على الرجعية العربية، ولكن هذا لا يعني مطلقا مهادنتها بل هو في الواقع احراج لها لتقف الموقف القومي الصحيح الذي يمليه عليها الشعور بالمسؤولية تجاه الشعب العربي الذي يخوض معركة المصير.

والحق ان في وقوف العرب صفا واحدا امام مطامع اسرائيل التوسعية الان، ومنع الغرب من تصفية قضية فلسطين، ولو أدى ذلك الى استعمال القوة هو الذي يدفع بالشعب العربي والقوى التقدمية ليس فقط للانتصار في معركة الوجود بل وللانتصار أيضا في معركة تحقيق العدالة الاجتماعية وبناء



المجتمع العربي على الاسس الاشتراكية العادلة. ولذلك فان الذين يريدون تحويل معركة الوجود العربي، معركة فلسطين الى معارك تتعلق بأنظمة الحكم في هذا الطرف بالذات أقول بكل تأكيد انهم متأمرين ولو أنفقوا مال الارض جميعا في استخدام الوسائل الممكنة لتمويه هذه الحقيقة.

ولقد رأيت من المفيد - بهذه المناسبة أن استعرض خشيتنا ومعارضتنا لمحاولات الأجهزة المصرية التي كانت تستهدف تقويض نظام الملك حسين في الأردن دون أن نكون قادرين عسكريا على ردع اسرائيل ومنعها من ضم الضفة الغربية إليها لذلك ورد في البيان :

قبيل العدوان الثلاثي على مصر، وضعت الاردن مصيرها بجانب الخط العربي التحرري، وحررت قيادات جيشها من النفوذ البريطاني. ورفضت الدخول في حلف بغداد وطلبت المعونة العربية بدلا من المعونة البريطانية، واعتبرت خط الهدنة خطأ واحدا على حدود مصر والاردن وسورية، وهللت لالوية الجيش السوري والاسلحة السورية الثقيلة والخفيفة تدعم قواها الدفاعية .. فماذا كان يفعل عبد الناصر في الاردن في تلك الفترة الرائعة بالذات؟ كان عبد الناصر يحض على أبو نوار وعبد الله الريماوي والضباط اللاجئين الى مصر الآن على القيام بانقلاب في الأردن الامر الذي اثار استغرابنا واستنكارنا انذاك. فاذا كانت هناك ضرورة للضغط على الاردن من قبل عبد الناصر، قبل ان يحدد الاردن موقفه من حلف بغداد وقبل أن يطرد كلوب وينضم الى الجبهة العربية المتحررة، فما هي مبررات الاستمرار في المحاولات التخريبية في الاردن بعد ذلك ونحن أحوج ما نكون الى اعطاء كل التطمينات للاردن كي يظل واقفا بجانبنا. ونحن احوج ما نكون الى توحيد القوى العسكرية العربية على الجبهة الموحدة المصرية الاردنية السورية؟

لقد كانت تحريضات عبد الناصر على تهديم الوضع في الأردن واسعة ومتهورة وبالفعل فقد خشيت كثيرا من نتائج هذه المحاولة، ولم أر لها مبررا الا انها مجازفة تؤدي الى نتائج وخيمة العاقبة على العرب، لانها تبرر لاسرائيل ان تستولي على الضفة الغربية، ما دامت لا توجد قوة عسكرية عربية تضمن حماية الاردن والضفة الغربية وازاء هذا الخطر ذهب السيد مصطفى حمدون والسيد عبد الفتاح زلط، الى عمان، لمقابلة عبدالله

الريماوي ونصحه بالعدول عن محاولته الخطرة. وحين ذهبا الى عمان وتحدثا مع الريماوي، قال لهما : ان الملك حسين كالعصفور في قبضة يدي، وانني استغرب من الرفيق اكرم الحوراني ، وهو المعروف بمغامراته أن يكون ناصحا لنا بالعدول عن متابعة هذه المحاولة. وعلى الرغم من المناقشات الطويلة التي دارت معه فانه لم يقتنع، بل ظل مصرا على موقفه. ولكن الحكومة الاردنية ظنت في ذلك الوقت، بان السيدين حمدون وزلط قدما الى عمان للتحريض على اجراء انقلاب في الاردن.

إن الخشية التي كانت تساورنا من استيلاء اسرائيل على الضفة الغربية ظلت تحرك فعاليتنا السياسية في تلك الفترة، واذكر انني، لهذا الغرض، اجتمعت بالسيد خالد بكداش، واقترحت عليه ان يتوقف الحزب الشيوعي عن ممارسة نشاطه في الاردن، وحاولت اقناعه بان مثل هذا النشاط ربما اتخذ الاستعمار واسرائيل ذريعة لتوجيه ضربة الى الاردن، سيما وان العرب لم تتماسك صفوفهم بعد ولم تكتمل استعداداتهم.

لقد ظل عبد الناصر بعد قيام الوحدة بين سورية ومصر مثابرا على التحريض لقلب نظام الحكم في الاردن، وذلك على الرغم من ان جميع محاولاته كانت تخفق أثر بعضها، مما ادى الى تشتيت عدد كبير من خيرة ضباط الجيش الاردني بين مسرح وسجين ولاحيء سياسي كما قضى ذلك على الحركات الشعبية في الاردن، ففي شهر اذار 1959 ، وبعد ان انتهت جولتنا في سورية مع المريشال تيتو بصحبة عبد الناصر، وكانت ثورة المرحوم الشواف قد اخفقت في العراق، اتاني عبدالله الريماوي، وحدثني عن محاولة انقلابية في جيش الاردن، وانها محاولة مضمونة تماما وليست كالمحاولات السابقة الفاشلة، وقال لي ان هذه المحاولة بحاجة الى ستين الف دينار لتمويلها ورجاني أن أهني له اجتماعا مع الرئيس عبد الناصر، فقلت للريماوي مستنكرا : اتريدني أن أكون سمسار انقلابات؟

ثم ناقشته في الموضوع فقلت الا ترى معي بأن هذه المحاولات تطعن الاردن وتقضي عليه؟ سيما وانها جميعا قد اخفقت وفشلت؟؟ ألا ترى الى الحصيلة المفجعة لثورة المرحوم الشواف في الموصل؟ ثم ، وهذا هو المهم بنظري، هل أنت على تفاهم مع عبد الناصر وأعوانه؟ وهل قدرتم خطورة النتائج المترتبة على انقلاب في الاردن؟

ان اسرائيل ستنتهز مثل هذا الانقلاب فرصة للانقضاض على الضفة الغربية فهل بحثت مع المسؤولين عن الاستعدادات التي تمنع اسرائيل من احتلال الضفة الغربية؟ انك تعلم، ونحن متفقون على ذلك، بأن في الضفة الغربية مقتلًا إما للعرب في حال استيلاء اسرائيل عليها، أو لاسرائيل في حال تعزيز الجبهة العربية فيها، اذ انها أخطر مركز استراتيجي عربي مسلط على اسرائيل.

ثم قلت للريماوي : انني اخشى واخاف مما تقومون به. ولذلك أطلب منك أن تتوقف عن أي محاولة انقلابية في الاردن قبل أن تأخذ عهدا من المسؤولين بضمانة اكيدة عسكرية أو سياسية. والا فاننا نكون بلهاء نقدم لاسرائيل اكبر خدمة دون ان نشعر بذلك، وسأنته:

هل طرحت مثل هذا السؤال على المسؤولين المصريين؟

فأجابني : بلى.

فقلت : وماذا كان جوابهم؟

قال : الصمت، فقد كانوا يقابلوا كل هذه التساؤلات بالصمت العميق.

كما تعرضت في هذا البيان إلى حديث جرى خلال الوحدة بيني وبين الدكتور محمود فوزي وزير الخارجية آنذاك الذي قال :

"ان الولايات المتحدة ليست حريصة على الكيان الأردني،ولقد عرفت ذلك من وزير خارجيتها المستر دالس" كما ذكرت ان عبد الناصر قد أرسل إلى عدة وسطاء بعد حركة الانفصال في 61/9/28 وكان منهم السيد جبران مجدلاني (من القيادة القومية لحزب البعث عن فرع لبنان) الذي قابلني بصفته موفدا رسميا وقال لي أن عبدالناصر يريد أن يستطلع رأيك بالوضع في سورية وفي العالم العربي فقلت له:

أنا لن أكون يوما من الأيام مدافعا عن الرجعية العربية، ولم أكن في السابق، ولكن الشيء الملحوظ ان جو الانقسام والعداء بين الدول العربية في هذا الظرف بالذات ليس في مصلحة العرب طالما ان قضية فلسطين تدخل مرحلة التصفية وان الاستعمار واسرائيل يعتبران هذا الظرف اكثر الظروف ملاءمة لمثل هذا الأمر (نشر هذا البيان في صحيفة صوت العرب 62/6/23، كما نشره غيرها من الصحف السورية).



وهكذا لم تمنعني تهجمات عبد الناصر علي في خطابه الذي ألقاه في قطاع غزة من أن أعرض عليه الخطة التي أراها ناجعة في حال تنفيذها لمجابهة وإحباط مشاريع التوسع الاسرائيلي على حساب الأمة العربية.

لقد استنتجت خلال حوارنا في الوزارة المركزية حول تحويل نهر الأردن ان جمال عبد الناصر كان يقدر ان الزمن سيكون بجانب العرب بالنسبة لحل القضية الفلسطينية وكنت أرى أنه كان مخطئا في هذا التقدير، فعندما قال انه لن يدخل الحرب الا إذا صنع طائرة مقابل الطائرة التي ستسقط ، قلت له : إن الاسرائيليين يستوردون حتى الآن السلاح كما نستورد، وعندما سنصبح قادرين على صنع الطائرة والدبابة سيكونون قد صنعوا الصواريخ أيضا".

كما استنتجت خلال هذا الحوار ان عبدالناصر لم يكن مقدرًا ان زعامته على المنطقة العربية لا يمكن أن تتحقق بدون مجابهة مع الامبريالية الاميركية والصهيونية العالمية وذلك بالاعتماد على بناء القوة العربية الذاتية، وانه لا يمكن قيام اتحاد عربي أو وحدة عربية إلا إذا كان هدفها ضمان الأمن القومي العربي، لذلك دعوته الى ما كنت أرى انه الخطة التي يمكنها الوقوف بوجه التوسع الاسرائيلي العدواني سواء بالنسبة لتحويل نهر الأردن أو حرية المرور في خليج العقبة وتقوم هذه الخطة على عمل عربي موحد بالنسبة للصراع العربي الصهيوني، داعيا الى المصالحة العربية ووحدة الصف العربي والكف عن الحملات المسعورة على سورية خاصة، ولكن عبد الناصر استمر مع الأسف بتمزيق وحدة الصف العربي الذي كان الشرط الأول لتعبئة الطاقات تجاه العدوان الاسرائيلي التوسعي، بل انه ذهب الى أبعد من ذلك بالتهرب من مواجهة هذا العدوان بإرسال الجيش المصري فيما بعد من خط المواجهة مع اسرائيل الى اليمن بحجة مساعدة الثورة

## اليمنية ضد حكم الامام البدر مما جعل المملكة العربية السعودية طرفا مع الامام في هذه الحرب.

ولكن عبد الناصر عاد فحقق هذه الخطة بعد سبع سنوات أي بعد هزيمة حزيران عام 1967 ، عندما دعا الى مؤتمر الخرطوم فلبت الأنظمة العربية دعوته وحقق هذا المؤتمر الصلح بين الانظمة العربية ولا سيما بين عبد الناصر والملك فيصل وتقرر في هذا المؤتمر الناجح تعهد الدول النفطية بدفع المعونة المادية الى دول المواجهة: مصر والاردن وسورية التي استنكفت وحدها عن تلبية الدعوة واستمر نظامها (نظام الثامن من آذار) في طفولته اليسارية المجنونة وحملاته الاعلامية على الانظمة العربية ، كما رفض تلقي الأموال التي خصصت لبناء قوة سورية العسكرية التي هي بأمس الحاجة إليها.

وهكذا فإن عبد الناصر قد خرج بعد هزيمة حزيران من اللعبة الدولية بعد أن استهدفت الامبريالية الاميركية والصهيونية نظامه، فبدأ ببناء قوته العسكرية بمساعدة الاتحاد السوفيتي بعد أن تخلص من مؤامرات المشير عبد الحكيم عامر، وأعلن سقوط دولة المخابرات ومراكز القوة، فكان الانتصار الذي لم يكتمل والذي حققه الجيشان المصري والسوري عام 1973، وكان الفضل فيه يعود لهذا الاستعداد العسكري واستخدام سلاح البترول للمرة الثانية بعد العدوان الثلاثي على مصر، ولو قدر لعبد الناصر أن تمتد حياته حتى حرب رمضان لتغيرت النتائج العسكرية والسياسية لهذه الحرب لصالح مصر والقضية العربية، ولما انقلب النصر العسكري الى هزيمة سياسية كارثية بعد اتفاقية كامب ديفيد على يد أنور السادات الذي نصبه جمال عبد الناصر نائبا له قبل وفاته، وهذا شأن الانظمة الديكتاتورية التي تولد الكوارث سواء في حياة الديكتاتور أو بعد وفاته، أما الأسباب التي أدت إلى تنصيب السادات نائبا لعبد الناصر فيشير إليها محمد حسنين هيكل في كتابه خريف الغضب (ص 87 وما بعدها).

**صدي خطاب عبد الناصر بممثلي قطاع غزة :**

كان لهذا الخطاب صدى سيء جدا لدى الرأي العام السوري، إذ جاء مؤيدا للوقائع التي ذكرتها في بياناتي عن القضية الفلسطينية فأقنع المتشككين بصدق ما جاء فيها.

لقد كان من المفترض أن يكون عبد الناصر قد فكر طويلا قبل إلقاء هذا الخطاب لأنه يعطي الضوء الأخضر لاسرائيل أن تمضي بإتمام مشروعها بتحويل نهر الأردن دون أي مخاطرة محتملة، وقد كان هذا الخطاب إعلانا عن العلاقات التي تمتنت في تلك الفترة بين مصر والولايات المتحدة على حساب القضية الفلسطينية، وكان ثمنا للقرض الأميركي السخي الذي قدم الى مصر قبل ذلك بشهرين بالاضافة إلى غيره من القروض والمساعدات الغربية (سنوات الغليان- ص 604 - 612 الرسائل المتبادلة بين عبد الناصر والرئيس كيندي).

وفي الوقت نفسه كانت العلاقات قد ساءت كثيرا بين سورية والولايات المتحدة التي أملت بعد الانفصال ان تحقق استراتيجيتها التي ترمي الى قطع علاقة سورية مع الاتحاد السوفيتي والتنكيل بالقوى الوطنية وتصفية القضية الفلسطينية بتوطين اللاجئين والموافقة على مشروع جونستون بتحويل نهر الأردن، ولكن القضية الفلسطينية أصبحت في سورية بعد الانفصال - كما كانت قبل قيام الوحدة- الهاجس الوحيد للشعب والجيش وجميع الاحزاب والقيادات السياسية، وقد جاء في جريدة النصر بتاريخ 1962/7/3 ما يلي :

"لقد تحدث الاستاذ اكرم الحوراني لمندوب النصر حول الظروف الدقيقة التي تجتازها القضية الفلسطينية فتوقع أن يكون عام 1963 عام اتمام مشروع تحويل نهر الأردن لأنه من المعلن ان الولايات المتحدة ماضية في محاولة تصفية القضية الفلسطينية، وقد تأكدت هذه النية أخيرا بعد التصريحات الرسمية للرئيس كيندي".



وفي تاريخ 1962/7/11 أصدرت بيانا خامسا بشأن الخلاف الذي نشأ مباشرة بعد استقلال الجزائر بين قيادات الثورة توجهت فيه الى هذه القيادات بضرورة اللجوء الى الحوار الديمقراطي مهما اختلفت الآراء وتشعبت لأن ذلك وحده هو الطريق للوصول الى الحقيقة ولأن في الديمقراطية مجالا للطموح المشروع ومنتسعا لجميع الآراء.

كما تعرضت في هذا البيان لذكر بعض الوقائع التي عاينتها شخصا مع نظام عبد الناصر فيما يتعلق بالثورة الجزائرية إذ لم يكن ناصر متعاطفا مع الحكومة الجزائرية الموقته التي لم تكن توجهاتها نحو الحكم الديمقراطي المدني مما يتماشى مع نظامه العسكري القائم على أجهزة المخابرات الأمر الذي أدى بالجزائريين الى قذف عميل للمخابرات المصرية من أحد الطوابق العالية وهي حادثة معروفة.

**إن توجه الثورة الجزائرية التي نالت اعجاب العالم نحو الديمقراطية والتعددية كان من شأنه ولا شك أن ينعكس على الانظمة القائمة في العالم العربي وهو الأمر الذي كانت تقف في وجهة القوى الاستعمارية المشجعة لأنظمة القمع.**

وقبل أن أشير الى ما ورد في هذا البيان لا بد لي من أن استعرض بشكل موجز الطرف العصيب الذي كانت تمر به القضية الجزائرية آنذاك منذ اليوم الأول لاعلان استقلالها:

لقد أعلن دوغول في بيان رسمي بتاريخ 1962/7/3 اعتراف فرنسا باستقلال الجزائر بعد الاستفتاء الذي كانت نتيجته اجماعا من الشعب الجزائري على الاستقلال بعد الهيمنة الاستعمارية الاستيطانية الفرنسية على الجزائر خلال 132 عاما، ومع اعلان استقلال الجزائر أعلن جيش التحرير الجزائري النظامي بقيادة هواري بومدين والمرابط على حدود الجزائر في تونس والمغرب تأييده لهيئة أركان الجيش وللضباط الثلاثة الذين أعلنت حكومة بن خدة فصلهم، وراجت الاشاعات بأن الجيش ينوي الدخول الى

الجزائر بقيادة بن بلا الذي سافر فور اعلان الاستقلال الى القاهرة لمقابلة عبد الناصر، ولم يجد النداء الذي وجهه بن خدة رئيس الحكومة الموقته الى جيش التحرير الجزائري بإطاعة أوامر الحكومة وتوحيد الصف كي تبقى الجزائر موحدة، كما لم يجد خطابه في جموع الشعب الجزائري عند وصوله الى الجزائر والذي جاء فيه :

"إن المعركة لم تنته بعد، وإن الاستقلال ليس إلا وسيلة لتحقيق الاهداف الاقتصادية والاجتماعية. وإن إرادة الشعب هي التي تقف حائلا دون قيام الحكم الديكتاتوري الذي يحلم به بعض المغامرين والزعامات الشخصية".

كان هذا الخلاف بين قيادات الثورة الجزائرية ينذر باضطرابات كبيرة تنتهي بحكم عسكري ديكتاتوري، بينما كانت الجزائر ما تزال تتلقى التهاني بعيد استقلالها وعلى رأس المهنيين الرئيسان كندي وخروشوف، ولقد أحدث هذا الخلاف صدمة أليمة للشعب العربي الذي كان يحتفل في جميع اقطاره ومدنه باستقلال الجزائر، ففي سورية سارت مواكب الفتوة والكشافة والفرق الموسيقية في شوارع العاصمة وهي تحمل المشاعل وتطلق الأسهم النارية وألقت تشكيلات الطائرات المنشورات التي تتضمن حكاية بطولة شعب الجزائر، وكان احتفال سورية باستقلال الجزائر لا يقل عن احتفالها باستقلالها عام 1956، وغص مكتب الحكومة الجزائرية في دمشق بوفود المهنيين التي زارت بهذه المناسبة ضريح الامير عبد القادر وضريح محمد الهاشمي التلمساني، وقد سجلت في سجل المكتب أمالي بأن تظهر الجزائر في معركة السلم والاعمار والتنمية وفي ميدان السياسة والاجتماع ما أظهرته من إعجاز في معركة الاستقلال.

في هذا الظرف بالذات لعب نظام عبد الناصر وأجهزته دورا خطيرا ومكشوبا في الخلاف الذي نشأ بين قيادات الثورة الجزائرية وفي تحريض بن بلا وجماعته على إقامة نظام في الجزائر مماثل لنظامه وتابع له، وقامت أجهزة الاعلام الناصرية بحملة مركزة على



حكومة بن خدة مما اضطره إلى إرسال احتجاج الى جمال عبد  
الناصر بتاريخ 17/7/1962.

لقد لعب جمال عبد الناصر دورا مزدوجا، ففي الوقت الذي  
دعا فيه بخطبه الى الوفاق والاتفاق بين قادة الثورة فإن محمد  
حسين هيكل، وكان ضمن الوفد الذي أرسله للمصالحة، قد شن  
بعد رجوعه الى القاهرة حملة دعائية مغرضة ضد حكومة بن خدة،  
وهكذا بدأت الجزائر عهدا الاستقلالي بانقلاب عسكري بقيادة  
بن بللا وبتحريض من جمال عبد الناصر، ولم تجد جميع الوساطات  
التي قام بها بعض قادة الثورة للوفاق بين بن بللا ويوسف بن  
خدة، فرأيت من المفيد قبل فوات الأوان أن اتحدث عن بعض  
الوقائع التي أعرفها وان أحذر من اللعب بثورة الجزائر، وان أدعو بن  
بللا وقيادات الثورة الجزائرية إلى حل الخلافات بالطرق  
الديموقراطية، فأصدرت بعد أسبوع من استقلال الجزائر بيانا فيما  
يلي بعض ما ورد فيه:

### **البيان الخامس : ليس أمام الجزائر إلا طريق الديموقراطية.**

لا بد لي من القاء نظرة على الماضي لابين كيف ان الاجيال في بلادنا  
قد تربت وفتحت أعينها من خلال معارك شعبنا مع الاستعمار على الايمان  
العميق بمعاني القومية العربية وبوحدة النضال العربي.

لقد كنا طلابا صغارا عندما قامت ثورة عام 1925 في أرياف ومدن  
سورية، وكنا بكل عواطفنا ونيضات قلوبنا نتابع أخبار هذه الثورة الشعبية  
التحريرية ونتمنى لو كنا كبارا لنساهم بها، ونصغي، بلهفة وفرح الى أنباء تمرد  
الجنود المغاربة على القوات الفرنسية وانضمامهم الى قواتنا الشعبية  
ودخولهم الحرب جنبا الى جنب مع ثوار بلدنا.

وتمضي الايام وتستمر الثورات التحريرية والمعارك الضارية بين شعبنا  
الصغير الاعزل وبين فرنسا أكبر دولة عسكرية في العالم آنذاك، ويكبر الاطفال  
ويبلغون مبلغ الفتيان والرجال، ويساهمون في هذه المعارك وتتسع معارفهم  
ويزداد اطلاعهم على أوضاع امتهم الكبيرة، وتتسع نظرتهم الوطنية حتى تبلغ  
مستوى الشمول الكلي للمعاني القومية، وتتأكد في النفوس والاذهان  
والمدارك وحدة النضال العربي... ونقرأ فيما نقرأ في تلك السنين، كتابا عن

"سورية" أصدره أحد المفوضين السامين جاء فيه: "على الرغم من ان فرنسا منيت بخسائر فادحة في سورية، فانها ستظل باقية فيها، لانها تدرك ان تخليها عن سورية يعني بدء انهيارها في شمالي افريقية، في مراكش والجزائر وتونس".

لقد كان أبناء الشعب العربي في سورية يؤمنون بأن نضالهم ضد فرنسا وتحرير بلادهم هو انطلاق بحد ذاته لتحرير الامة العربية من براثن الاستعمار، في الشرق العربي والمغرب العربي على مستوى واحد. ولقد كان نضال سورية نضالا عربيا يخرج بطبيعته وبواعثه وحقيقته عن النظرة الاقليمية.. وان شعب سورية العربي قد مهر وحدة النضال العربي بالدماء والدموع والآلام والتضحيات، وبنى القاعدة المتينة للانطلاق التحرري العربي على نطاق قومي شامل وعميق.

وتستمر معارك العرب الضارية مع المستعمر الفرنسي وتحرر سورية وتطهر أرضها من آثار هذا المستعمر. ثم تمر سنوات وتنتلق ثورة العرب الخالدة في الجزائر، ومنذ اندلعت الشرارة الاولى في هذه الثورة احتضنها شعبنا في المشرق العربي، وفي سورية خاصة، احتضانا كلياً بل دمج مصيره بها، وتابع أخبارها وتطوراتها ليلة ليلة بقلوب مؤمنة بالنصر وعزائم مستعدة للتضحية.. وانني لاذكركيف هاجمت الجماهير الشعبية وزارة الاقتصاد في سورية عام 1955، وظلت هائجة صاخبة في ساحة الشهداء بدمشق الى أن اسقطت حكومة ذلك العهد احتجاجا على قرار وزارة الاقتصاد بالسماح بتصدير القمح السوري الى الفرنسيين، وبعدها قطعت سورية علاقاتها مع فرنسا.. وان المواقف القومية المشرفة التي وقفها شعبنا من ثورة الجزائر طيلة سنوات هذه الثورة الدامية، انما تفصح عن ايمان هذا الشعب بأن تحرر المغرب تحرره، وان قوة المغرب قوته، وان ما يراق من دم هناك دمه. وما يتحملة العرب المغاربة من آلام وتضحيات هي آلامه وتضحياته ولو تهيأ له لقدم كل ما يملك في سبيل دعم ثورة الجزائر والسير بها في طريق النصر.

إن ثورة الجزائر اعادت الى نفوسنا الثقة بعظمة امتنا... ولقد كنت أقول وأكرر القول دائما، في المجلس النيابي السوري وخارجه، إننا كدنا نكفر بقوميتنا اثر هزيمتنا في فلسطين عام 1948، لكن ثورة الجزائر التي انطلقت عام 1954 جعلتنا نؤمن بأكثر مما كنا نؤمن بحقيقة دورنا في التاريخ الانساني القديم والحديث وبأن امتنا ستظل مستعصية على الفناء. على الرغم مما

حل بها من كوارث ومحن لو أصابت امة غيرها لطواها الزمن في خفايا النسيان.

هكذا نظر شعبنا في المشرق العربي الى ثورة الجزائر، على أنها الثورة التي بعثت في العصر الحديث أرقى صفحات أمجادنا الماضية. وانها ثورة انسانية باعمق وانبل واشرف ما في الانسانية من طموح الى الخير والعدل والسلام. وهكذا فان موقف شعبنا ازاء ثورة الجزائر لم يتأثر بالتطورات السياسية المحلية والتهديد بوجودنا الذي نتج عن قيام اسرائيل، وحين اضطر شعبنا لشراء السلاح من فرنسا للصدود في وجه اسرائيل ومطامعها التوسعية، قدم هذا السلاح لثورة الجزائر لان قضية الجزائر بمستوى قضية فلسطين. بل هما قضية واحدة وفي مستوى واحد، اذ هما معا امتحان للوجود العربي من قبل أقوى واعنى قوى استعمارية في العالم.. وإذا كنا نعتبر ان اروع يوم يمر في تاريخ العرب هو يوم تحرير فلسطين من الغاصبين المحتلين ، فان يوم استقلال الجزائر لا يقل روعة وعظمة، في هذه الايام، عن اليوم المترقب المنشود.

وتأبى الاقدار ان تمر فرحة انتصار الجزائر في يومها المشهود، الا بالغصة والخوف لأن بنفسي أمورا ووقائع كان بودي الا اذكرها، ولكنني - والظرف على ما صبح عليه من خطورة - اشعر بانه لا بد من طرح بعض هذه الامور. لانه اصبح من الضروري ان يعرفها الناس.

### **يوم الجزائر في سورية :**

في يوم الجزائر الذي أعقب اعلان الوحدة بين سورية ومصر، شهدت سورية يوما خارقا في البذل والعطاء. لقد قام الشعب بكافة فئاته وطبقاته، فقراء واغنياء ، وقدم كل ما يستطيع بل فوق ما يستطيع من مساعدة وعون لثورة الجزائر. وانني لا أزال أذكر كيف ان كثيرا من الفلاحين الذين لم يتوفر عندهم المال المنقول قدموا كرومهم وأراضيهم تبرعا لثورة الجزائر. ثم أذهب بعد ذلك الى القاهرة معتبرا ان ما فعله الشعب في سورية نصرا معنويا كبيرا لقضية الجزائر. ولكن بماذا فوجئت هناك؟ لقد وجدت هناك من يقول: "ان الشعب في سورية فقير، ومن الخير ان تصرف امواله في سبيل مشاريعه الداخلية". فصدمت ودهشت واخذت احاول اقناعهم بان هذه القضية هي

قضية حياة أو موت بالنسبة لنا ولا يمكن ان تبحث او تناقش على هذا المستوى وبهذا المنطق.

ولكني كنت في الوقت ذاته، أحاول ان أعزي نفسي فأقول : "ان القومية العربية والشعور بها والايمان بحقيقتها لا يزال ضعيفا في مصر" .. غير ان ما لفت نظري ان هذا الموقف لم يصدر عن افراد الشعب العربي في مصر بل هو موقف بعض المحيطين بالرئيس عبد الناصر، وكنت الوم في نفسي الرئيس عبد الناصر لاتخاذ هؤلاء الناس اعوانا له يحملون مسؤولية تحقيق الوحدة العربية وهم على الحال التي هم عليها من شعور اقليمي وتفكير نفعي لا يمت الى القومية العربية باية صلة عاطفية او فكرية.

وبعد اعلان قيام حكومة الجزائر الموقته والاعتراف بها سافرت الى القاهرة مرة ثانية، ودعاني الرئيس لبيته، وأثناء الحديث الذي دار معه على مائدة الغداء فاجأني بأن حمل حملة شعواء على السيد فائق السامرائي سفير العراق في القاهرة انذاك، لأن العراق سجل سبقا بالاعتراف بحكومة الجزائر فاحرج بذلك حكومة الجمهورية العربية (وبالفعل فقد تأخر اعتراف الجمهورية العربية المتحدة ثلاثة ايام عن اعتراف العراق بحكومة الجمهورية الجزائرية). وكان الامر موضع استغرابنا وتابع الرئيس حديثه، وانا اصغي اليه، وهو لا يزال مستمرا في حملته على السيد فائق السامرائي قائلا : "انني كلفت السيد السامرائي قبل ذلك بأن يقنع عبد الكريم قاسم باعادة العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا، فامتنع عن تلبية طلبي هذا"... ولما لاحظ عبد الناصر انني كدت اختلف بالطعام قال: "انت تعلم يا اخ اكرم ان فرنسا تورطت مع اسرائيل كثيرا. وانه لا سبيل الى استدراج فرنسا للتراجع عن تورطها مع اسرائيل الا باتباع هذه السياسة".

قلت له : "يا سيادة الرئيس ان نوري السعيد ظل اعواما يحاول ان يتخذ من قضية الجزائر امام الشعب العربي في العراق مظهرا من مظاهر وطنيته. هذا شأن نوري السعيد ، فكيف تريد من عبد الكريم قاسم الذي ثار على نوري السعيد أن يدشن عهده باعادة العلاقات مع فرنسا؟.. ومع ذلك، هل يجوز للعرب أن يتخلوا عن قضية الجزائر حتى ينالوا رضى فرنسا؟ علما بأنني لا أعتقد أبدا بأن اعادة العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا سيجعلها تكف عن مساعدة اسرائيل والتعاون معها. وكف عبد الناصر عن متابعة الحملة على

السيد فائق السامرائي، وطوى البحث عن هذه القضية وانتقل الى قضايا اخرى.

غادرت بيت السيد عبد الناصر وانا حائر في تحليل موقفه ، وتساءلت ترى هل يريد الرئيس توريط عبد الكريم قاسم أمام الشعب العربي؟ وهل يظن عبد الناصر ان عبد الكريم قاسم بهذه البساطة حتى يورطه بمثل هذا الأمر؟

وتمضي الايام، وتتألف الحكومة المركزية في 8 تشرين الاول 1958، واسافر الى القاهرة لاقيم فيها، واسمع هنالك اخبارا عن مواقف مريبة من قضية الجزائر.. وكنت لا أصدق هذه المواقف.. لكنني كنت أجد أن بعض عناصر المخابرات من السوريين هي التي تفضح هذه المواقف وتحدث عنها، كأن الوجدان القومي بدأ يستيقظ لدى أفراد هذه الاجهزة.

وذاث يوم يزورني في مكنتي بالقاهرة السيد يوسف الرويسي، وهو سياسي تونسي معروف، وفي سورية خصوصا لانه لجأ اليها وأقام فيها زمنا طويلا، وكان في مطلع حياته السياسية من رفاق المرحوم صالح بن يوسف، واثاء زيارته لي قال: "ان السيد فرحات عباس وبعض اعضاء الحكومة الجزائرية وقادة الثورة يريدون الاجتماع بك لأمور هامة تخص الثورة"... فذهبت معه الى بيت احدهم في غاردن ستي .. وهناك اجتمعت بالسيد فرحات عباس وبعض قادة الثورة الجزائرية فشكوا لي مر الشكوى، واعلموني بان الثورة الجزائرية اذا لم تمددها الجمهورية العربية المتحدة بالعون والتأييد فانه يخشى من القضاء عليها.. وقالوا ان السيد عبد الناصر قد اغلق بابه دونهم. وانهم قد طلبوا مقابلته عدة مرات، ومنذ مدة طويلة، حتى يطرحوا عليه امورا في منتهى الخطورة، فرفض ان يقابلهم، واحالهم الى ضابط مخابرات قال انه قد عينه ضابط اتصال بهم (هو المقدم فتحي الديب) وان هذا الامر، عدا كونه امتهانا لحكومة الجزائر المعترف بها رسميا فانهم لا يثقون ايضا بأن يباحثوا موظف مخابرات في أمور خطيرة تتعلق بمصير الثورة. لذلك فانهم يريدون مني ان ابذل ما استطيع من جهد لاقتناع عبد الناصر بالاسلوب الذي أرتأيه، لعله يغيرموقفه ويسمح لهم بمقابلته.

وقالوا لي ايضا، ان فرنسا تصرف على جيشها الذي اعد لقمع الثورة بالجزائر ما يقارب مليون جنية باليوم الواحد، بينما تمنع الجمهورية العربية

المتحدة وتتقاعس الحكومات العربية الاخرى عن مد هذه الثورة بمعونات بسيطة لا تعتبر شيئا مذكورا بالنسبة لما تنفقه فرنسا لقمع الثورة الجزائرية. وقالوا ان الثورة بأشد الحاجة في اقل تقدير الى 12 مليون جنيه في العام، وانه لا بد من توزيع هذا المبلغ على الدول العربية كل حسب مقدرتها. ولكنهم قالوا ان هذا المبلغ اذا لم يوزع بصورة رسمية فان الحكومات العربية لن تتفق أولا على توزيعه بينها. ثم أنها لن تتقيد بدفع ما يصيبها من هذا المبلغ. وسألوني رأيي في الموضوع فشجعتهم على طرحه على جامعة الدول العربية وقلت لهم : "انتم قادة الثورة اقوى من جميع الحكام العرب، واذا ما طرحتم هذا الموضوع على الجامعة العربية علنا فانه لن تجرؤ حكومة عربية على عدم الموافقة. فلتكن ثقتكم بأنفسكم قوية. واذا تلكأت او امتنعت اية حكومة عربية عن دفع نصيبها في هذه الموازنة فقفوا بوجهها موقفا قويا وهددوها بالفصح عند اللزوم. وانني اعيد وأقول انكم اقوى بنظر الشعب العربي من جميع الحكومات العربية".. كنت أشعر بأن من واجبي ان أنشر الثقة والامل والتفاؤل في نفوس هؤلاء الثوار الذين هم امل الامة العربية ومعقد رجائها، وذلك بعد ان شعرت من احوالهم ان مجافاة عبد الناصر لهم قد اساءت كثيرا لمعنوياتهم.

اخذت بعد ذلك انتظر الفرصة الملائمة التي تمكنني من ان اتباحث مع الرئيس في الموضوع.. دون أن اعلمه بهذا الاجتماع وما دار فيه. لانني كنت واثقا من ان الصراحة معه بهذا الصدد، ستؤدي حتما الى زيادة موجدته على حكومة الجزائر. وستزيد من اصراره وعناده. لذلك قررت ان اتبع معه الاسلوب العاطفي لاحاول تبديل موقفه هذا.

ثم حانت الفرصة، واجتمعت بالرئيس، وتحادثنا فقي أمور شتى، وكنت اذكر قضية الجزائر خلال سياق الاحاديث، وأؤكد كثيرا على أهميتها بالنسبة للعرب.

ويبدو أن عبد الناصر شعر بما اقصد، ولا بد من أن تكون مخابراته قد نقلت اليه نبأ الاجتماع، فحمل امامي حملة منكرة قاسية على السيد فرحات عباس فقلت له:

"يا سيادة الرئيس ان حكومة الجزائر تحتاج الى رعايتك وانك تحمل اكبر مسؤولية تجاه هذه الثورة. سيما بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة".

فقال لي: "لا أريد أن أضيع وقتي بمقابلة هذه الحكومة . وقد عينت لهم ضابط ارتباط واعلمتهم بأن يراجعوه إذا ما أرادوا مني شيئا. ان وقتي ثمين". فقلت له :

هناك امور هامة خطيرة لا يمكن لحكومة الثورة ان تبوح بها الى ضابط ارتباط ثم ان حكومة الجزائر اصبحت حكومة معترفا بها رسميا. وان اجتماع اعضائها بك يشيع في نفوسهم الامل والتفاؤل ولا يغيب عنك اهمية عنصر الثقة والامل والتفاؤل في مثل هذه الثورات. ان الوقت الذي تجتمع به اليهم لا يمكن ان يضيع سدى". وقلت له: "انني المح من سجل الزيارات التي تنشر في الصحف بانهم لم يجتمعوا اليك منذ مدة طويلة وكنت استغرب ذلك". ثم انتهى بيننا هذا الحديث.

وقبل ان أتابع سرد الحوادث أحب أن أعرف القارئ العربي بالمقدم فتحي الديب الذي ابنى قادة الجزائر ان يضعوا اسرارهم بين يديه بوصفه ضابط ارتباط بين عبد الناصر وبينهم . لقد ظل فتحي الديب ضابط المخابرات مكلفا بشؤون قضية الجزائر منذ قامت ثورة الجزائر حتى عام 1961 حيث كافأه ناصر على جهوده بأن عينه سفيرا في سويسرا. ان اخواننا قادة ثورة الجزائر يعرفون تمام المعرفة "جهود" فتحي الديب و "خدماته" لثورة الجزائر. فهو ضابط المخابرات الذي لعب دورا اساسيا في تخطيط وتنفيذ المذبحة التي حصلت بين قوات جيش التحرير في تونس عام 1956 والتي ذهب ضحيتها مئات من جنود وضباط هذا الجيش بعد أن فعلت جهود فتحي الديب فعلها في انشقاق هذه القوات على بعضها، واقتالها : ونحن نذكر هذه الوقائع المؤلمة بعد أن أخذناها من مصدر موثوق هو التحقيق الذي أجرته فيما بعد حكومة الجزائر. وقد كان فتحي الديب يصنف وطنية ثوار الجزائر وقادتهم حسب تمجيدهم شخص عبد الناصر، وكان يعادي من لا يمتدح عبد الناصر صراحة. وكان يقرب اليه من يجعل من عبد الناصر محور القضية الجزائرية. وقد سبب منطقه الخاطئ هذا كثيرا من المضاعفات ضد مصلحة الثورة الجزائرية.

وفي اثناء زيارة الدكتور جواندا رئيس وزراء اندونيسيا للقاهرة أقام له عبد الناصر حفل عشاء في قصر عابدين.. وحين دخلت القصر أقبل علي عبد الناصر - وكانه ندم على ما كاله من شتائم لفرحات عباس- وبادرني قائلا: "اسمع يا أحمك، انهم نسوا دعوة فرحات عباس لهذا العشاء ولو لم اطلع

بنفسي على قائمة المدعويين واطلب اليهم ان يدعوا السيد فرحات عباس  
فماذا يقول عني الناس؟".

قلت له : انه امر غريب فعلا ان يفتنوا بكل السفراء ورجال السلك  
الدبلوماسي وينسوا فرحات عباس وهو رئيس حكومة الجزائر.

فقال: رأيت؟ حتى قائمة المدعويين الى الحفلات انا مضطر  
لمراجعتها!! فتأكد لي انه يريد ان يزيل من ذهني آثار حديثه السابق. . وفي  
هذه الاثناء وصل السيد فرحات عباس فاستقبله عبد الناصر استقبالا طيبا  
حارا، وانتحينا جانبا، واخذ السيد فرحات يكلمه بلغة عاطفية لطيفة.. فكنت  
فرحا جدا بهذه المقابلة وهذا الحديث.

ثم تحدث بعد ذلك مفاجأة أخرى حين دخلت على عبد الناصر ذات يوم  
في احدى غرف قصر القبة فوجدته يخاطب السيد عبد الحميد غالب (وقد حضر  
عن الجمهورية العربية المتحدة في اجتماعات مجلس الجامعة العربية آنذاك)  
ويعطيه التعليمات ليتصرف في اجتماعات الجامعة العربية التي كانت تبحث  
امر ايجاد موازنة ثابتة لحكومة الثورة الجزائرية فاطهر لي بعد انتهاء المخابرة  
انه يعتبر هذا الطلب إخراجا للجمهورية العربية المتحدة، وقال: "اننا فقراء وان  
على الدول الغنية بالبتروال ان تدفع لحكومة الجزائر المؤقتة". فقلت له: يا  
سيدي، ان ما تقوله صحيح ولكن المسؤولية تترتب على قدر وعي الانسان.  
فنحن مفروض بنا اننا اكثر وعيا لقضية الجزائر وحررتها من حكومات النفط. وان  
المسؤولية لا تترتب بحسب الغنى والثروة بل بحسب الوعي والادراك لاهمية  
القضية. وان تصرف حكومة الجزائر المؤقتة بهذا الطلب من الجامعة العربية هو  
تصرف صحيح وسليم وان المبلغ الذي يطلبون توزيعه على الحكومات العربية  
هو مبلغ لا يذكر بالنسبة لما تنفقه فرنسا على جيشها بالجزائر. فقد علمت  
انها تنفق في اليوم الواحد مليون جنيه اي انها تنفق في العام ما يقارب 360  
مليون جنيه".

وعلى الرغم من أن الموازنة الثابتة التي وزعت على البلاد العربية  
كانت بموجب قرار من الجامعة العربية فان هذه الحكومات لم تدفع جميع ما  
ترتب عليها باستثناء حكومة العراق. وانني لا أزال أذكر انه بعد الحاج شديد  
من حكومة الجزائر طرح على اللجنة التشريعية التي كنت رئيسها مشروع  
قانون بدفع جزء من المبلغ المترتب على الجمهورية العربية المتحدة. فقلت



لاعضاء اللجنة : "يجب أن ندفع المبلغ كاملا لا ان نكتفي بدفع جزء منه حسب مشروع هذا القانون". فقالوا "إن الرئيس هو الذي امر بالاكْتفاء بدفع هذا المبلغ".

وبعد استقالتنا بشهور طالعتنا جريدة المجاهد الناطقة بلسان جبهة التحرير بمقال في عددها الصادر في - 2 - ماي عام 1960 بعنوان .. الى العرب هاجمت فيه حكم عبد الناصر لعدم مساعدته لثورة الجزائر بغير الكلام.

وقد جاء فيه بالحرف الواحد: "ان الدول العربية تأبى الا ان تمسك العصا من منتصفها وتمد يدا مرتعشة للجزائر وتصافح سفراء فرنسا وتمدها بالقطن والبتترول والمواد الخام. وجاء فيه "ثم لا تستحي من ان تؤيد الجزائر العظيمة من خلال اصوات الجعجعة من الراديو وصيحات الاعجاب ببطولة الشعب الجزائري". وجاء فيه "ان ما يدفعه حلف الاطلسي لفرنسا في يوم واحد يعادل ما تدفعه الدول العربية مجتمعة في عام". وانتهى المقال الى نتيجة "حتى ادرك قادة الجزائر اليأس فحولوا انظارهم عن رقعة العرب وذهبوا بعيدا بعيدا يطلبون المساعدة" وقد صادرت اجهزة المخابرات في سورية يوم ذاك هذا العدد من جريدة المجاهد.

انني لا اريد الان ان اقول ان سورية قبل الوحدة، كانت تفتح خزانتها ومستودعات أسلحتها وقلوب ابنائها لثورة الجزائر. ولكنني اضطررت لان افتح هذا الموضوع هنا لاصح واقعة تاريخية. اذ ليس صحيحا ما ادعاه عبد الناصر من انه كان اول من امد الجزائر بالاسلحة والصحيح ان سورية العربية هي اول بلد عربي ارسل السلاح الى الجزائر. وان ما زعمه عبد الناصر من انه قد بعث الى الجزائر بشحنة من الاسلحة على ظهر اليخت. "فخر البحار" انما يخالف الحقيقة والواقع. لان الاسلحة المذكورة انما هي اسلحة سورية اشترت بأموال سورية. وقد أرسلت فعلا على ظهر اليخت "فخر البحار" لان سورية اختارت تأمين ارسالها على سفينة عربية حرصا على سرية الشحن.

ولقد ظلت سورية مثابرة على امداد اخواننا الجزائريين الابطال بالسلاح حتى بعد قيام الوحدة وانتقال السلطة الى حكام القاهرة. بل انني لا أذيع سرا اذا قلت ان الحكومة السورية قد عقدت قبل قيام الوحدة صفقة لشراء اسلحة بما يزيد عن عشرة ملايين ليرة سورية مع تشكوسلوفاكيا لحساب ثورة الجزائر (ألغيت بعد الوحدة).

انني اذ أوجه هذا البيان الى الرأي العام العربي ادعو الله ان يطفيء نار الفتنة وان يوحد كلمة حكومة الجزائر بجميع اعضائها لمصلحة استقلال الجزائر وبيانها الجديد. ان القيادة الجماعية هي التي تصون استقلال الجزائر وان وحدة الكلمة هي التي تجعل الثورة الجزائرية تنتصر في معركة السلم مثلما انتصرت في معركة الحرب وهي التي تجعل هذه الثورة تسجل صفحات رائعة اخرى بانتصارها على جميع المصاعب والمشاكل التي خلفتها فرنسا وراءها حصيلة مائة وثلاثين عاما من الاحتلال. ان ثمرات انتصار الجزائر ليست من حق قادة الجزائر وحدهم بل هي من حق العرب جميعا وان أية ضربة توجه الى استقلال الجزائر هي ضربة توجه الى قضية فلسطين وقضايا العرب أجمعين.

انا نحب ونقدر ونعترف بالبطولة النادرة لجميع قادة الثورة الجزائرية طالما ان كلمتهم موحدة. اذ ما هي الفائدة من المناقب الشخصية والبطولة اذا ما ذر قرن الشقاق بينهم وانني لا ازال أستعيد في ذهني ما حل بالعرب على يد أصحاب رسول الله وهم من خيرة ما قدمته الاجيال العربية من رجال على مر العصور.. ان الخلاف بين الصحابة لا يزال مصدر التفرقة والنكبة حتى الان".

وفيما يتعلق بوفد الوساطة الذي أرسله عبد الناصر الى الجزائر والمؤلف من حسنين هيكل وعلي صبري فقد ورد في البيان: ولم تمض بضعة ايام على هذه الوساطة حتى بدأت أجهزة الاعلام المصرية تحريضها الجيش على الحكومة وتحريضها الحكومة على الجيش ، وأخذت تؤكد بأن الصدع في جبهة التحرير لا يمكن أن يرأب وهو مستحيل وفي مستوى المعجزات واليكم نماذج ما كتبه محمد حسنين هيكل في جريدة "الاهرام" رقم العدد 27600 تاريخ 6-7-1962. يروي هيكل على لسان ضابط في جيش التحرير قابله في تونس ان بعض عناصر الحكومة اخذت العملية مظاهر ورسميات. كانوا يسكنون في بيوت فاخرة ويركبون سيارات جديدة وكانوا يريدون ان يعيشوا على مستوى الحكومات في البلاد الاخرى". "وكل ما استطيع ان اقله لك ان موارد كثيرة يمكن ان تخدم امكانيات المعركة قد ضاعت بعيدا عن المعركة دون ان تؤثر فيها، لقد كانت المعدات الطبية مكسدة في المخازن خارج الجزائر وكنا نحن نموت من الحاجة اليها داخل الجزائر". ثم

يتابع هيكل "ولقد وصلت العلاقات الى المرحلة الحرجة بعد اتفاقيات ايفيان فأحست قيادة جيش التحرير بأن بعض العناصر في الحكومة تحاول أن تقوم باتصالات داخل جيش التحرير لتمهد لنفسها فيه استعدادا ليوم دخول الجزائر. وكانت قيادة الجيش تنظر دائما بشك واسترابة الى العلاقات الودية التي كانت قائمة بين الحكومة الجزائرية وبين حكومة تونس"

ويقول محمد حسنين هيكل بعد ان يمزق قوى جبهة التحرير "وثالث هذه القوى بعض السياسيين القدامى الذين كانوا في وقت من الاوقات يتصورون وربما عن اقتناع ان مستقبل الجزائر يكون في بقائها امتدادا لفرنسا. في ذلك الوقت كان من بين هؤلاء من يعتبر ان العمليات التي يقوم بها جيش التحرير خيانة وطنية ومن ثم كانوا يعارضونها بل يقاومونها وبعض ضباط جيش التحرير الان يقول ان بين هؤلاء من وشى برفاقنا وابلغ الفرنسيين عنهم".

ويقول هيكل ايضا: "ومن هنا كانت المتناقضات داخل جبهة التحرير حادة وعنيفة ولم يكن سهلا حلها بل اني اعتبره نوعا من المعجزات".

ويقول اخيرا ، لقد طالت عليهم المعركة وتشعبت، واختلفت بينهم الاراء بل وأكاد اقول وسال بينهم دم ولست اريد ان اخوض في التفاصيل، ان التفاصيل لا تخدم القضية".

لقد كان هذا المقال نتيجة لوفد الوساطة الذي كان هيكل أحد أعضائه، وهو مقال يدعو الى الفتنة اكثر مما يشير الى الوساطة، وهذا ما أوجب ضرورة إصدارنا هذا البيان عسى أن يكف عبد الناصر عن تنفيذ مخططه في الجزائر، الجزائر التي قدمت مليون شهيد حتى وصلت الى يوم إعلان استقلالها، كما انه لا يزال في ارض الجزائر اكثر من 400 الف جندي فرنسي، وهي احوج ما تكون الى الهدوء والسلم ومعالجة مشاكلها الكثيرة الضخمة وان أي انشقاق بين قادة الجزائر سيفسح المجال للنفوذ الاجنبي ان يلعب دورا خطيرا للغاية من حيث لا يريد احد من قادة الجزائر او يفكر في أن يفسح المجال للنفوذ الاجنبي وليس لنا قصد من بياننا هذا الا ان ننبه اخواننا في جبهة التحرير الى نتاج الخلافات الخطيرة على مستقبل الجزائر، اننا نحترم قادة الثورة وجبهة التحرير ونعتبرهم جميعا من أبطال العروبة في هذا العصر ولا نفرق في تقديرنا بينهم، وليس لنا أن نتدخل في شؤونهم ولكن يقتضينا تقدير ثورة الجزائر وتأثيرها في القضية العربية وفي مستقبل العرب ان نقول

لاخواننا قادة الثورة اننا قد بلونا الحكم العسكري وحربناه فما جر على بلادنا الا النكبات وان الحل الوحيد لقضية الجزائر هو الديمقراطية ولا سبيل الا بالديموقراطية لحل جميع المشكلات التي تعانيها الجزائر.

ان الديمقراطية تجعل من الاختلافات في وجهات النظر طريقا للوصول الى الحقيقة وان في الديمقراطية مجالا للطموح المشروع وان بها متنسعا لاراء الجميع وان الديمقراطية سد يحول دون أي تدخل أو نفوذ أجنبي، وبالديموقراطية يتحقق الانسجام والتوازن والتأزر بين السلطات المختلفة ليقوم كل منها بواجبه.

ليكن مفتاح حل جميع المشاكل اقامة وضع ديموقراطي صحيح في ارض الجزائر حتى تحقق من الاعجاز في معركة السلم ما حققته في معارك الثورة. (صدر بتاريخ 1962/7/11 - النصر العدد 5223).



ولعل من المفيد أن نستعرض بشكل سريع المشاكل المستعصية اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا التي خلفها الاستعمار الفرنسي والحكم الديكتاتوري في الجزائر بعد الاستقلال والتي يحاول الشاذلي بن جديد وضع الحلول لها بدءا من قيام المؤسسات الدستورية وتحقيق الديمقراطية البرلمانية، فمنذ اليوم الاول لاحتفال الجزائر باستقلالها قاد أحمد بن بللا انقلابا عسكريا فأسقط حكومة بن خدة الموقته، وانقلبت جبهة التحرير الجزائرية الى حزب سياسي قائد ووحيد بقيادة بن بللا الذي لم يكن يتمتع بثقافة وتجربة سياسية قادرة على انشاء دولة الجزائر الجديدة.

لقد كان النظام الماركسي الاشتراكي نموذجا يحتذى لحركات التحرر في العالم الثالث في مواجهة الامبريالية الاميركية التي كانت تسعى بواسطة أجهزتها الخفية - برغم عدائها للماركسية وللاتجاهات الاشتراكية - الى اقامة الديكتاتوريات في العالم الثالث لاحكام نفوذها وبسط سيطرتها واستغلالها لشعوب

هذا العالم، وإن زيارة بن بللا عندما كان رئيسا للجمهورية لكاسترو في كوبا، بعد زيارته مباشرة للولايات المتحدة حيث استقبل هنالك استقبالا حافلا من قبل الرئيس كندي هي التعبير العملي عن هذه المفارقات بالنسبة لبعض الانظمة التي قامت في العالم الثالث.

لم تكن الجزائر تملك من مقومات الدولة بعد الاستقلال غير جيش التحرير الجزائري الذي كان مؤلفا من جيش نظامي في تونس ومن جيش المجاهدين في الداخل، وكان الجيش النظامي خاضعا للانضباط العسكري بقيادة الكولونيل بو مدين الذي أقنع بن بللا بتسريح معظم افراد الجيش الشعبي ودمج ما تبقى منه في الجيش النظامي تحت قيادته، وذلك كان الخطوة الأولى في إعداد بومدين لانقلابه على بن بللا في عام 1965 عندما أعلن عن نيته في إقامة حكم ديموقراطي في الجزائر، وبين هذين الانقلابين انتهى بعض قادة الثورة الجزائرية بين قتيل (محمد خيضر) ولاجئ، وقد ظل السيد أحمد بن بللا رهين السجن والاقامة الجبرية حتى عام 1982 عندما أطلق سراحه رئيس الجمهورية الشاذلي بن جديد..



لقد زرت الجزائر بدعوة من حكومتها خلال عهد بومدين في منتصف السبعينات ، وقمت بجولات واسعة في معظم انحاءها شرقا وغربا فلاحظت الأمور التالية :

كان نظام بومدين الاشتراكي قائما على جهاز المخابرات دون أي محاولات جادة لاقامة المؤسسات الدستورية والادارية فكان من جراء ذلك تدني مستوى الخدمات وكانت العاصمة الجزائرية تعاني من انقطاع مياه الشرب. أما برامج التنمية فلم تراعى الأوليات في استثمارها لموارد البلاد فكان الوضع الزراعي يدعو للرتاء وقد لاحظت خلال سفرنا الى قسنطينة ان مساحات واسعة من حقول القمح قد تأخر حصادها لفقدان الحصادات مما يعرضها للتلف والضياع، بالوقت الذي زرنا به بالقرب من مدينة

عناية معملا حديثا لصناعة الحديد وهذا مثال على التقليد الأعمى لبرامج التنمية التي جرت في الاتحاد السوفيتي، كما شاهدنا في طريق عودتنا قرى مبنية على أحدث طراز ولكنها كان خالية من السكان، ولقد قيل لنا ان معظم الكروم الواسعة التي خلفها الفرنسيون قد اقتلعت، كما كانت معظم البيوت التي تركها الفرنسيون مهملة وبحاجة الى الصيانة لأنها لم توزع على ساكنيها، كما لو توزع الأراضي الزراعية على الفلاحين بموجب الاصلاح الزراعي ، بل حاول النظام إقامة التعاونيات اسوة بالانظمة الاشتراكية فندنى كثيرا مستوى الانتاج الزراعي عما كان عليه في زمن الفرنسيين، ولكن بومدين كان مخلصا في توجهه العربي فأوكل للسيد عبد الحميد المهري مهمة تعريب التعليم فقام بهذه المهمة خير قيام، غير اني لم أشاهد الكتاب العربي معروضا بكثرة في المكتبات الجزائرية وكان القليل منه غالي الثمن لأن النشر والتوزيع وجميع وسائل الاعلام كانت تديرها الدولة.

لقد كانت الجزائر بعد استقلالها بحاجة بالدرجة الأولى لتهيئة الكوادر لبناء مؤسسات الدولة وإدارتها فعانت من جراء هذا الوضع على مختلف المستويات عجزا إداريا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، وكان أخطر جوانب هذا العجز في القطاع الزراعي فأهملت أراضي الجزائر الواسعة الخصبة الصالحة للزراعة، كما أهمل بناء السدود الضرورية لخزن المياه، ولا شك ان الديكتاتورية وحكم الحزب الواحد المستند ضرورة على أجهزة المخابرات حيث تفتقد الرقابة الشعبية ويتاح المجال للفساد ، وتحل المحسوبية والوساطة مكان الكفاءات ، قد ساهم مساهمة كبيرة في تردي الأوضاع في الجزائر، وما محاولة الرئيس الشاذلي بن جديد بإقامة النظام الديموقراطي الدستوري الذي بدأت عام 1989 سوى المدخل لمعالجة المشاكل المستعصية التي خلفتها العهد السابقة.

ولا بد لي من الاشارة هنا الى انني قبل ان اغادر الجزائر رأيت من واجبي نحو هذا البلد الذي رافقت ثورته بعواطفني وآمالي أن ألقت نظر هواري بومدين، بصورة لطيفة، الى انه أن

الأوان لقيام المؤسسات الدستورية والحياة الديموقراطية فارسلت  
له الرسالة الآتية :

سيدي الرئيس :

اسمحوا لي وأنا أغادر الجزائر ان اتقدم بتحياتي القلبية  
ووافر شكري وامتناني لما أتحموه لي من فرصة لزيارة بلدنا  
الحبيب، هذه الزيارة التي كانت عندي احدى أمنيات العمر.

انني أغادر الجزائر وأنا مغمور بالسعادة لما أحمله من  
انطباعات وذكريات وصور رائعة لطبيعة الجزائر ولمناقب شعبها  
الشهم الشجاع ، سليل تاريخ نضالي طويل وثورة من أروع ما  
شاهده هذا العصر من ثورات أعادت للأمة العربية ثقتها بنفسها  
ودينها وحضارتها العريقة.

انكم تقودون الآن ثورة الجزائر الحضارية والعمرانية المتجلية  
في الثورة الثقافية والصناعية والزراعية والتنمية المبرمجة، وانني  
ابتهل الى الله ان يوفق الجزائر في تجربتها في بناء نموذج متقدم  
قائم على الديموقراطية الاجتماعية والسياسية في آن واحد، وان  
الثورة الثقافية العربية وبناء القاعدة المادية الاشتراكية وإرساء  
القواعد الدستورية وانجاز الميثاق الوطني بصورة قائمة على  
الحوار والمناقشة الشعبية والاستفتاء ما يملأ نفوسنا ثقة  
بالمستقبل ان شاء الله. وتقبلوا سيادة الرئيس فائق تحياتي  
وامتناني وتمنياتى.

1962 : سورية في النصف الثاني من عام 1962 :

تفاجم حوادث التخريب والارهاب الناصري - مجلس الوزراء برئاسة ناظم القدسي يقرر رفع شكوى سورية الى الجامعة العربية - اجتماع مجلس الجامعة العربية في مدينة شتورة على الحدود السورية اللبنانية - بدء تحرك خالد العظم لاعادة الحياة الدستورية وعودة مجلس 1962 الذي أطاح به ضباط الانفصال - العظم يشكل الوزارة - المجلس يجتمع في دار خالد العظم ويقر دستور 1950 مع بعض التعديلات الدستورية.

في الانظمة الديكتاتورية تقرر الشؤون السياسية الداخلية والخارجية وراء أبواب مغلقة بين الحاكم الفرد وأركان نظامه الذين ينفذون أوامره الصادرة عن انفعاله ورغباته وأهوائه، بخلاف ما يحدث في النظام الديموقراطي البرلماني الذي يتمتع فيه المواطن بحقوق الانسان، وحيث تقرر شؤون البلاد بالشورى من قبل المؤسسات الدستورية صاحبة الاختصاص.

كنت اعتقد بعد الانفصال انه قد أصبح من المستبعد جدا أن تعود الوحدة بين مصر وسورية بالصيغة السابقة ، وعلى فرض عودتها بتلك الصيغة فإن ذلك سوف يعرض القطرين لأخطار الخلافات الساخنة بينهما، كما كنت أشك بأن جمال عبد الناصر كان يقصد إعادة الوحدة من وراء ما يقوم به من حملات إذاعية وسياسية ضد سورية وكنت أعتقد أن ما تقدم عليه أجهزته في سورية من زعزعة للأوضاع ومن أعمال تخريبية كان حذرا من انعكاس وضع ديموقراطي مستقر في سورية على نظامه، كما كان استجابة لنزواته وإرضاء لغروره وتوكيدا لزعامته في العالم العربي.

لقد جاء في مذكرات خالد العظم قوله :



"كانت البيانات الثلاثة (لحكومة بشير العظمة) حافلة بتعابير تدل على رغبة قائلها مما جعلنا نتحسب من أن تلقي هذه الحكومة بنا مرة ثانية في أحضان التسلط المصري .. وظل هذا الأمر غامضا علي حتى الآن، رغم توقف حركة الارتماء بين يدي سيد القاهرة على أثر ما نشر في جريدة الأهرام بصورة غير رسمية وهو أن الجمهورية المتحدة لا تنظر بعين الاهتمام والجد الى تشيئات حكومة دمشق لأجل فتح باب المفاوضات لإعادة الوحدة ثم بيدي خالد العظم رأيه في ذلك:

ولم يكن هذا الرفض المصري صادرا عن عزوف سيد مصر عن تحقيق الوحدة واستغنائها عن توسيع مدى سلطانه (ص 282 الجزء الثالث). فيما بعد تحدث البغدادي في مذكراته عن موقف جمال عبد الناصر من عودة الوحدة:

"وذكر جمال لي أنه لما فكر في مشكلة سورية اتضح له أن انفصال الاقليم الشمالي قد وقع وأنه إن لم يتم اليوم فسيتم غدا، وانهم في سورية ينظرون إليه نظرتهم الى شبح متربص بهم يتحين الفرصة للانقضاض عليهم وانهم لهذا السبب سيظلون يهاجمونه" وقد نصحه البغدادي بقوله:

" لا تنس انك كنت رئيسهم واستمرار تطاولهم عليك له تأثيره على هيتكم هنا في الداخل وهم يحاولون الدفاع عن انفسهم لاستمرارنا في مهاجمة الأوضاع هناك وهذا ما سيجعلهم حريصين على تجنب الاخطاء درءا لهذا الهجوم بل سيدفعهم حرصهم لتوحيد صفوفهم" ولما اقترح البغدادي عليه دعوة مجلس الأمة للنظر في أمر الانفصال أجابه عبد الناصر :

"هل تعرف ان أعضاء مجلس الأمة من السوريين قد أيدوا الانفصال فكيف يدعون الى الاجتماع بهذه الصورة؟" (ص 133-134 الجزء الثاني).

**لقد كان عبد الناصر أسيرا لهواجسه وشكوكه بعد الانفصال وقد ورد في مذكرات البغدادي ما يلي :**

"اتصل بي عبد الناصر تلفونيا يوم 1961/9/30 وطلب مني مقابلته في اليوم الثاني للتحديث في الموقف وعن المستقبل أيضا مبديا شكوكه وتخوفه من أن ما حدث في سورية ربما يشجع ضباطا من الجيش في مصر على القيام بمثل ما قام به الجيش السوري، ولما أيدته في هذه الشكوك ذكر أنه اجتمع مع عبد الحكيم عامر ووضعوا خطة أمن تغايدا للمفاجأة، وعندما التقيت به يوم الأحد أول اكتوبر دار الحديث حول الوضع في سورية وموقف الجيش

في مصر، وكذا موقف عبد الحكيم من تلك الأحداث الأخيرة" (ص 123 الجزء الثاني).

إنه من الانصاف القول ان جميع قيادات سورية وأحزابها كانت تحاول بعد الانفصال مصالحة عبد الناصر وعودة العلاقات الطبيعية بين مصر وسورية وتحقيق خطوات اتحادية مع مصر تترك الباب مفتوحا لانضمام بعض الأقطار العربية الأخرى الراغبة بالانضمام إليها مثلما جرى في الاتحاد الثلاثي قبل قيام الوحدة السورية المصرية، الأمر الذي كان يرفضه جمال عبد الناصر، ولم يكن الرأي العام العربي مطلعاً على هذه الحقائق فظل يحمل سورية مسؤولية الانفصال ، وما استتبع ذلك من خلافات بين سورية ونظام عبد الناصر.

أما الناصريون وبعض البعثيين ، والبعثيون الناصريون، وضباط الانفصال والمغامرون من ضباط الجيش، فكانوا يهدفون بواسطة جمال عبد الناصر أن يستولوا على الحكم في سورية وهذا ما تجلّى فيما بعد بانقلاب الثامن والعشرين من آذار 1962 ثم بانقلاب الثامن من آذار 1963 وبسقوط ميثاق الوحدة الثلاثية في منتصف عام 1963 بعد شهرين من توقيعه.

يقول الفريق لؤي الأتاسي (رئيس دولة سورية بعد انقلاب الثامن من آذار 1963):

"عبد الكريم النحلاوي من قبل الانفصال بسنتين وهو يخطط للانفصال، وهدفه ما كان الانفصال، هدفه ما كان 28 ايلول (1961) هدفه كان 28 آذار (1962) علشان يستلم الحكم في سورية، هذا الكلام قلته في سورية، وقلت ان عبد الكريم النحلاوي ما قام بالانفصال علشان الانفصال .. علشان يحكم.

المشير عبد الحكيم عامر : ده صح" (ص 63 محادثات الوحدة الثلاثية).

وفيما يتعلق بالاخوان المسلمين فقد تجلّى موقفهم خلال عام 1962 وبداية عام 1963 بقيام عصام العطار بمؤازرة الناصريين وبعث ميشيل وصلاح بحملات اعلامية وسياسية هستيرية على الاشتراكيين العرب في جريدة اللواء التي كان يحرر فيها أحيانا عبد

الكريم زهور وجمال الأتاسي (من البعثيين الناصريين) وبخطب العطار التي ألقاها في الجامعة السورية وفي زيارته التحريضية المتكررة لمدينة حماه، وفي تأمر الاخوان والناصرين على إلقاء قبلة على مجموعة للاشتراكيين في مقهى "الصالون" بمدينة حماه مما دعا الاشتراكيين للقيام بمظاهرة ضد الاخوان المسلمين، وكان الدافع لهذه الحملة العدوانية اعتقاد الاخوان بأن الوضع السياسي في سورية كان يتجه آنذاك لمصلحة الكتلة الاشتراكية عندما ستقبل البلاد على انتخاب المجلس النيابي الجديد.

ويشير خالد العظم في مذكراته الى تحالف الاخوان مع البعثيين والناصرين بما يلي :

"لكن عصام العطار لم يحن أي فائدة من موقفه هذا وأصبح بعد الثامن من آذار 1963 على الهامش هو وجماعته، ومع انه بقي مستثنى من العزل السياسي الذي أصدره لؤي الأتاسي بحق جميع العاملين في الحقل السياسي ما عدا الاخوان المسلمين، وذلك مكافأة لهم. إلا ان جريدة اللواء التي سمح لها باستمرار الصدور خلافا لكل جريدة كانت تصدر قبل 8 آذار 1963 أصبحت تنشر أخبارا ومقالات كأنها صادرة من بلاد بعيدة عن سورية فلا تتناول أي موضوع يتعلق بها (ص 286 الجزء الثالث).

بعد هذه المقدمة يمكننا أن نفهم مجريات الاحداث السياسية التي أدت الى استقالة حكومة بشير العظمة وتأليف حكومة خالد العظم:

لم يكن خالد العظم الوحيد الذي عمل على استقالة حكومة بشير العظمة التي أعلنت في بيانات ثلاثة عزمها على عودة الحوار مع عبد الناصر بشأن الوحدة، بل عمت هذه المخاوف الجيش والديموقراطيين السوريين من اليسار واليمين والمثقفين ورجال الفكر، ولا سيما بعد أن صعد جمال عبد الناصر حملته الاعلامية ضد سورية وعمل على زرع الفتن والفوضى فيها بواسطة أجهزة مخابراته التي كان يقودها من لبنان سفير مصر عبد الحميد غالب.

لقد ظل لبنان - كما في السابق - الثغرة المفتوحة دوماً ضد الاستقرار في سورية سواء من قبل بعض الأنظمة العربية، أو من قبل الأجهزة الأجنبية، وقد اثبتت وثائق حلف بغداد ان لبنان ولا سيما في عهد شمعون كان منطلقاً لحلف بغداد ضد الوضع التحرري الديموقراطي في سورية لمصلحة النفوذ البريطاني والرجعية في العراق، كما كان وكراً للمخابرات المركزية الاميركية لحبك مؤامراتها الانقلابية في سورية.

كان لبنان في تلك الفترة بحكم موقعه الجغرافي وبحكم نظام اللواء فؤاد شهاب الموالي لعبد الناصر المنطلق لتآمر أجهزة المخابرات الناصرية ضد محاولات الاستقرار في سورية.

وكانت جميع الصحف السورية - باستثناء صحيفة البعث التي منحت حكومة بشير العظمة ترخيصها لصالح البيطار وصحيفة اللواء التي يصدرها الاخوان المسلمون- تنشر يومياً وبعناوين عريضة أنباء إلقاء المتفجرات في سورية وتوزيع المنشورات المطبوعة في لبنان وإلقاء القبض على المخرابين مما دعا وزير الداخلية العقيد عزيز عبد الكريم أن يكشف في مؤتمر صحافي بتاريخ 1967/7/30 بالوقائع والأرقام والأسماء عمليات التخريب التي يعدها في لبنان السفير عبد الحميد غالب بواسطة عملاء المخابرات الناصرية التي صعدت نشاطها فانتقلت من مرحلة نشر الأقاويل والشائعات المضللة وتوزيع نشرات التحريض الى مرحلة الاعتداء على الاشخاص وإلقاء المتفجرات وتوجيه رسائل التهديد ووضع مخطط الاغتيالات (صحيفة النصر 1962/7/30).

وقد اعترف بعض الذين ألقى القبض عليهم من هؤلاء العملاء بأنهم كانوا يتلقون الأموال مباشرة من السفير عبد الحميد غالب، كما كانوا يتلقون الأسلحة بواسطة السفارة المصرية للتسلل بها الى سورية.

لقد استهدفني شخصياً بعض هذه الاعتداءات ، فبالإضافة الى رسائل التهديد جرى إطلاق الرصاص على العمارة التي كنت أسكنها بينما كنت جالساً في الشرفة مع بعض الضيوف مما روج

الاشاعات عن إصابتي ، ولما استفسرت عن ذلك هاتفيا صحيفة الحياة البيروتية (أواخر مايس 1962) أجبت بيت من شعر المتنبي :

كم قد قنلت وكم قد مت عندكم ثم انتفضت فزال القبر والكفن

بعد ذلك ألقيت قبلة بالقرب من المنزل، وكان أخطر هذه الاعتداءات محاولة تفجير العمارة بأكملها، وكان الفضل في تفشيل هذه العملية للسيد علي الخطيب الذي بلغ عن المؤامرة فزودته الشرطة بآلة تسجيل دقيقة للكشف عن كل جوانبها، وكنت قد تعرفت على السيد علي الخطيب ووالده في قرية الرأس الأحمر في الجليل الأعلى خلال القتال في فلسطين عام 1948.



لقد سعد جمال عبد الناصر حملته على الوضع في سورية بدءا من شهر حزيران عام 1962، وبلغت هذه الحملة ذروتها في شهري تموز وأب، سواء على مستوى الاعلام أو في محاولات التفجير والتخريب والاعتقال التي لم تكن الصحف السورية تخلو يوما من ذكرها، وإذا عدنا الى صحيفة من هذه الصحف، النصر مثلا، نجد مسلسل الحوادث اليومي التالي

7/12 : وزير الداخلية يصرح : لدينا أدلة مادية على مخطط الفتنة.

مظاهرة مخربين من دوما والتل قضت عليها جماهير دمشق.

7/13 اكتشاف اوكار تخريب ومصادرة وثائق ومنشورات. عودة الحياة الطبيعية الى جميع المعامل.

7/15 الفرا وتقلا (وزيرا خارجية سورية ولبنان) يجتمعان لبحث حوادث التسلل من لبنان. 7/16 المجلس العدلي يستعد لمحاكمة 76 مباحثيا.

7/16 توقيف المخربين الذين حاولوا نسف دار الحكومة في حمص.

7/18 إلقاء قبلة على منزل هاني السباعي في حمص.

7/19 ضبط شبكة سرية في القامشلي تحاول إثارة الفتنة الطائفية. إلقاء قنبلة على مدير منطقة دوما. نشاط المباحثيين السابقين في السويداء.

7/20 إلقاء سيارة مجهولة صندوق متفجرات في منطقة بستان الباشا ، مهددو الصحف والسياسيين بالقتل والحرق والنسف وقعوا في قبضة رجال الأمن واحيلوا الى القضاء. اعتقال المخربين الذين حاولوا نسف صحيفتي النصر والمنار.

7/22 مقتل خمسة متسللين في محاولة جديدة وهم من أصل لبناني وقد تم تسليم جثثهم الى لبنان.

7/23 انفجاران في دمشق ليلا. كشف خطة واسعة لاحداث حرائق وتخريب كحريق القاهرة.

7/25 التفجيرات الارهابية مستمرة.

7/29 اعتقال شخصين في حلب واعترافهما بإلقاء المتفجرات.

7/27 فشل محاولة للتفجير في قرية برزة.

8/1 محاولة اغتيال ضابط كبير.

8/3 احباط محاولة لاغتيال رئيس أركان الجيش.

8/6 القدسي ينذر العاملين في الظلام.

8/7 القدسي : سنرفع شكوانا الى الأمم المتحدة إذا لم يجتمع مجلس الجامعة.

إن هذه الحملات الاجرامية استنفرت الرأي العام السوري ووحدت صفوفه، وكانت تصديقا للنصيحة التي أسداها عبد اللطيف البغدادي لجمال عبد الناصر عندما قال له بأن استمرار هذه الحملات على سورية سيسيء الى سمعته ويوحد الصفوف ضده ويجرئ السوريين عليه (ص 129 المذكرات الجزء الثاني). وبالفعل فقد وحدث هذه الحملات الصفوف ومهدت لمحاولات خالد العظم إعادة العمل بدستور 1950 وتشكيل حكومة دستورية ، بدلا من حكومة بشير العظمة، تضم مختلف الاتجاهات هدفها إعادة الاستقرار الى سورية ومحاولة الوقوف بوجه هذا الطوفان من

الهجوم الاعلامي والمحاولات الارهابية، وقد تشكلت هذه الحكومة بعد انتهاء النظر بالشكوى السورية التي قدمتها حكومة بشير العظمة الى مجلس الجامعة العربية.



لقد لعبت أجهزة المخابرات والاعلام في مصر دورا تخريبيا في العلاقات بين سورية ومصر بدوافع مشبوهة، فقد تولى عملاء المخابرات المركزية قيادة الإثارة والتحريض والدعوة للفتنة وارتكاب الاعمال الارهابية امثال مصطفى أمين الذي أنذر رئيس الوزراء الدكتور بشير العظمة بالقتل والسحل وانه سيلقى مصير نوري السعيد في بغداد (النصر 1962/7/31) وذلك ردا على بيانات بشير العظمة التي دعا فيها للتفاهم مع مصر والحوار مع عبد الناصر حول صيغة للوحدة العربية.

لقد كان مصطفى أمين أشد هؤلاء العملاء في حملاته المقذعة وأخباره الكاذبة ضد الوطنيين بصورة عامة، وضد البعثيين الاشتراكيين بصورة خاصة، وفيما يتعلق بمصطفى أمين ترد هنا شهادة اللواء أحمد كامل مدير المخابرات العامة المصرية - بعد صلاح نصر - الذي تعرف على مصطفى أمين بعد ثورة 23 يوليو ونشأت بينهما صداقة خلال تكليفه بالاشراف على جريدة أخبار اليوم من قبل الثورة. يقول أحمد كامل:

"لقد تصرف مصطفى أمين باستخفاف شديد ربما نتيجة اطمئنان وثقة إلى أن موقعه وصلاته ستجعل اقتناصه مستيحلا. لقد كان يتحرك ويتكلم ويأخذ ويعطي بشكل كامل العلنية، ولذلك فإن كل شيء مسجل بدقة شديدة ، كما أن عملية القبض عليه لم تتم إلا بعد أن أصبح الشك يقينا ثابتا، أما قصص التعذيب التي رواها فقد كانت مجرد تغطية. ولا أتصور سجيننا - فضلا عن جاسوس- قد لقي العناية مثله. لقد كانت تصل الى زنزانته صناديق التفاح وخراطيش السجائر وكثيرا ما ذهب حسنين هيكل لزيارته في السجن بصحبة التفاح والسجائر، وكان هيكل أحد

الذين ألقوا على السادات كي يطلق سراجه" (الحياة 1990/3/15) شهادة للتاريخ.



في الوقت الذي قررت فيه الحكومة السورية تقديم شكواها لجامعة الدول العربية بسبب التفجيرات ومحاولات التخريب والاعتقال في سورية أذاعت حكومة العظمة بيانا جاء فيه :

"حينما تألفت هذه الحكومة وضعت في مقدمة برامجها، حتى قبل العمل في سبيل الاشتراكية والتهيئة للحكم الديموقراطي، العزم على العمل للوحدة مع الدول العربية ومع مصر العزيزة بالذات وقبل الدول العربية الأخرى، وأعلنت ذلك في بياناتها المتتالية، وكانت الحكومة مستعدة، وفي وضوح النهار، لإجراء مفاوضات مع مصر مفاوضة الند للند بينما كانت تصريحات شخصيات مسؤولة في مصر، وعن لسان السيد عبد الناصر بالذات تقول وتؤكد عدم الرغبة بالوحدة السياسية والاكتفاء بوحدة الهدف . بل ان مقامات عربية (أحمد بللا)<sup>(1)</sup> تطوعت لتحسين العلاقات بين سورية ومصر، فكان جواب عبد الناصر ان سورية كانت مصدر متاعب له، وان همه تطوير شعبه في مصر وحدها، وتمنى لسورية أن تظل بعيدة عنه وان تسير أمورها بنفسها. ولكن الذي جرى ان إذاعة القاهرة وأجهزة إعلامها تجاوزت حدود السباب والشتائم الى اختلاق اضطرابات لم تقع في سورية، ثم تحريضها المستمر على الفتنة، ودعوتها الدائمة الى الاثارة واعمال الشغب بين المواطنين ، وتآليب الفئات بعضها على بعض" " وإن الحكومة قد أدركت من تصريحات جمال عبد الناصر (خطاب ناصر في 1962/7/23) وقوفه بجانب الإرهاب والاحرام والتخريب، وليس هذا ما يثير خوفنا على شعبنا ووطننا، فإن سورية العربية قد تصدت في تاريخها الطويل المجيد لكثير من الطغاة الذين أرادوا إذلالها فرددتهم على

(1)

يقول خالد العظم في مذكراته :

" وقد روت لي صديقة بلغة التأكيد، بينها وبين بن بللا صلات وثيقة واعتماد متبادل، انه يكره عبد الناصر من كل جوانحه ولكنه يخشاه ويحسب حساب لعداوته وللمؤامرات التي قد يتعرض لها، كما تعرض لها سواه إن لم يسايره، وفي طلبه ما يخشاه أن يقلب له عبد الناصر ظهر المجن وان يلتزم بن خده أو فرحات عباس" (ص 433 الجزء الثالث).  
ان السيدة التي يشير إليها خالد العظم في مذكراته هي السيدة المحترمة عادلة بينهم الجزائري رئيسة الاتحاد النسائي السوري قبيل انقلاب الثامن من آذار 1963، وقد كانت صلاتها وصلات السيدة المحترمة ابنتها أمل الجزائري مديرة مدرسة دوحه الأدب صلات وثيقة بأحمد بن بللا، وكانت السيدة أمل على رأس الوفد الذي رافق جثمان جدها الأمير عبد القادر من دمشق الى منواه الأخير في الجزائر.



أعقابهم خاسرين، إلا أن الذي يقلق الشعب السوري حقا هو جو التناحر والتناحر القائم في كل الاقطار العربية نتيجة لاصرار السيد عبد الناصر على سياسة التفرقة مما يهدد قضية العرب الأولى ، قضية فلسطين بمحنة لم تواجه مثلها إلا في عام 1948، وان إدراكنا لخطورة هذه المرحلة يدعونا مرة أخرى الى توفير القوى العربية وتجنبيها معارك التناحر الداخلي لتقف صفا واحدا أمام العدو المشترك، عسى أن يدرك عبد الناصر مثلنا خطورة هذه المرحلة في حياة الأمة العربية قبل فوات الأوان (النصر 1962/7/28).

وفي اثر هذا البيان قرر مجلس الوزراء المنعقد بتاريخ 7/28 برئاسة الدكتور ناظم القدسي رئيس الجمهورية "أن تتخذ وزارة الخارجية الإجراءات اللازمة لدعوة مجلس الجامعة العربية الى الاجتماع فوراً للنظر في الموقف الناجم عن الأقوال والأفعال التي يقوم بها ويدفع إليها الرئيس عبد الناصر تجاه سورية والتي تشكل اعتداءً صريحاً على سيادة الجمهورية العربية السورية وكرامة الشعب السوري" فاستدعت زارة الخارجية ممثل الجامعة العربية في دمشق، وطلبت منه أن ينقل للأمين العام عبد الخالق حسونة الذي كان موجوداً في لبنان أثناء انعقاد مؤتمر "خبراء فلسطين" طلب الحكومة عقد اجتماع للجامعة العربية للنظر بالشكوى السورية (النصر 1962/7/30).

لقد نص النظام الداخلي لجامعة الدول العربية على ضرورة عقد اجتماع مجلس الجامعة خلال عشرة أيام من تلقي الأمانة العامة مثل هذا الطلب من إحدى الحكومات العربية، ولكن عبد الخالق حسونة أرجأ تعيين انعقاد المجلس إلى تاريخ 8/22 وجعله في مدينة شتورة الواقعة على الحدود بين سورية ولبنان، وكان اختيار مصر مدينة شتورة مكاناً للانعقاد لأن حكومة فؤاد شهاب كانت موالية لعبد الناصر، كما كان الشارع الاسلامي مهووساً بجمال عبد الناصر وبالجمهورية العربية المتحدة باعتبارها تشكل تكتلاً اسلامياً كبيراً في مواجهة النظام الطائفي في لبنان، ولكن الذي حدث ان اختيار مدينة شتورة مقراً لاجتماع المجلس قد جاء بعكس ما كان يرجوه عبد الناصر ، فقد استنفرت دمشق هيئاتها السياسية والفكرية ونقاباتها التي زحفت الى شتورة تأييداً

للكوى السورية ، كما تولى العديد من الصحف اللبنانية نشر وتأييد بيانات الوفد السوري التي أقيمت في الاجتماعات.

وكان الوفد السوري مؤلفا من أسعد محاسن و خليل الكلاس نائبين لرئيس الوفد وزير الخارجية السوري جمال الفرا الذي لم يحضر الاجتماعات، وعضوية السفير أديب الداوودي وهيثم الكيلاني وبعض المستشارين في وزارة الخارجية، كما أرسلت الحكومة الى جانبهم بعثة من المحامين برئاسة مكرم القوتلي مع عدد كبير من الصحفيين والمحررين ومندوبي الاذاعة والتلفزيون.

أما الوفد المصري فكان برئاسة الضابطين اكرم الديري و جادو عز الدين الوزيرين السوريين في عهد الوحدة وعضوية سفير مصر في لبنان عبد الحميد غالب وتوفيق حسن مدير إذاعة حلب السابق الملاحق من قبل القضاء السوري والضابط السوري طلعت صدقي رجل المخابرات المعروف ومحمد قنديل المستشار بوزارة الخارجية وعدد من الصحفيين الذين يمثلون كافة دوائر الاعلام والصحف المصرية المؤممة.

لقد كان اختيار أمين النفوري و خليل الكلاس عضوين في الوفد السوري اختيارا صائبا نظرا لما يتمتعان به من مقدرة وكفاءة واطلاع على أدق التفاصيل في أجهزة النظام الناصري ، وكان صحيحا معظم ما ذكره من انتقادات للنظام الناصري، ولكنها ترافقت مع الأسف بكثير من العبارات الجارحة التي كانت رد فعل لديهما على افتراءات وتهجم الاعلام الناصري عليهما بالذات، وكان الفارق كبيرا بالمستوى والكفاءة والحجة بين وفد الحكومة السورية وبين وفد الحكومة المصرية، مما دعا عبد الناصر الى مفاجأة المؤتمرين بإعلان انسحاب مصر من الجامعة العربية ليكون سبيلا لسحب الوفد المصري، وهكذا أسدل الستار على اجتماع شتورة دون أن يتخذ مجلس الجامعة قرارا بشأن الشكوى السورية بل اتخذ قرارا بعودة مصر للجامعة وشجب العبارات النابية التي تبادلها الطرفان والدعوة الى التضامن العربي.

لم يكن لي علاقة بقرار الحكومة السورية رفع شكواها ضد نظام عبد الناصر ولم استشر في ذلك، كما أن الأخوين خليل كلاس وأمين النفوري لم يستشيراني باختيارهما عضوين في الوفد السوري، ولكن ليس معنى ذلك انني كنت غير موافق على الشكوى وعلى اختيار الكلاس والنفوري وهو اختيار كان صحيحا وصائبا وفي محله.

لم تؤد الشكوى السورية إلى أي أثر ايجابي على نظام عبد الناصر الذي كانت تنخر فيه الانحرافات والارتكابات، بل كان تأثير مؤتمر شتورة معكوسا إذ زاد في حقد جمال عبد الناصر على الوضع الديموقراطي في سورية الذي كان يخشى انعكاساته على نظامه في مصر. أما الدول العربية التي اشتركت في مؤتمر شتورة فلم تبد ولم تعد، ولكنها كانت شامطة بالنظامين السوري والمصري معا وراضية عما جرى وعما قيل ولا سيما وأن معظمها (السعودية، العراق، الأردن) كان ملدوغا من حملات عبد الناصر وتأمرة عليها.

بعد انتهاء اجتماعات شتورة، استأنف خالد العظم مساعيه مؤيدا من أعضاء المجلس التأسيسي النيابي الذي انتخب بعد الانفصال أواخر عام 1961 ثم منعه ضباط الانفصال انفسهم من الاجتماع بعد انقلابهم في الثامن والعشرين من آذار 1962 وكان المجلس ما يزال مصرا على اعتبار نفسه السلطة التشريعية الشرعية في سورية... وكان هدف خالد العظم من مساعيه إعادة العمل بدستور 1950 وتشكيل حكومة دستورية هدفها ضمان الاستقرار في سورية والوقوف في وجه محاولات الارهاب والتخريب.

### **تأليف حكومة خالد العظم :**

بدأ نشاط نواب المجلس التأسيسي النيابي بقيادة خالد العظم في العقد الأول من حزيران 1962 بالدعوة لمؤتمر يضع

ميثاقا وطنيا بين مختلف الفئات السياسية في سورية ولكن هذه الدعوة لم تنجح. وكان شكري القوتلي الذي دعي لترؤسة قد اعتذر بداعي مرضه وسافر الى أوروبا للاستشفاء، ولقد نشرت الصحف آنذاك ان عددا كبيرا من النواب وضع مذكرة أعدتها لجنة سباعية تدعو الى عودة المجلس وإكمال مدته وتأليف حكومة دستورية ، وانه قد وقع هذه المذكرة اكثر من مئة نائب من بينهم فيصل العسلي، عصام العطار، ورشاد جبري وانني كنت من بين الموقعين على هذه المذكرة ولكنني نفيت للصحف علمي بهذه المذكرة كما نفيت حضوري الاجتماع الذي عقد في منزل خالد العظم وتقرر فيه تقديم المذكرة الى رئيس الجمهورية (النصر 1962/8/9).

وقد شرحت موقفي من محاولات خالد العظم للصحافي السيد زهير المارديني، وذلك في التحقيق الذي كتبه لمجلة الأسبوع العربي اللبنانية أواخر شهر أيلول عام 1962 وورد في هذا التحقيق ما يلي :

لم يكن يهمني ان اعرف راي الحوراني في انصار الشرعية، بقدر ما كان يهمني ان اعرف كيف سيتصرف.

لقد قيل ايضا انه يريد شرعية حقيقية تمثل الوجه التقدمي للرأي العام، لا شرعية تمثل اكثرية برلمانية فحسب، وتكون مجرد وسيلة لتقبض هذه الاكثرية على زمام السلطة باسم الدستورية.

واهمية موقف الحوراني في هذه الظروف ناجمة عن ان تأييده لأي مخرج للوضع الراهن في سورية يكمل لهذا المخرج التأييد الجماعي، ويتيح في الوقت نفسه تأليف حكومة قومية، فان العملية بدون الحوراني ستكون مجرد ائتلاف. وستكون في هذه الحالة لدى الحوراني كل الامكانيات لقيادة معارضة شديدة تحاول الارتكاز الى الشارع.

سألته عن رأيه بما يقال بان المجلس النيابي السابق سيعود الى الاجتماع خلال فترة قصيرة، أو ربما جلسة واحدة يقر فيها الدستور بعد تعديل بعض مواده ويؤلف حكومة قومية ثم ينهي مهمته، وان السيد خالد العظم سيتراس هذه الحكومة.

قال اكرم الحوراني وهو يدفع عنه التعب الذي لازمه منذ الصباح لكثرة ما تحدث الى الوفود القادمة اليه :

- اذا استطاع السيد خالد العظم ان يؤلف حكومة قومية بالمعنى الصحيح، تضم عناصر تقدمية فانه يكون بذلك قد أدى خدمة كبرى للبلاد، فالسيد العظم معروف بتفهمه لحقيقة الاوضاع التي تمر بها البلاد، ومعروف ايضا بخبرته في مواجهة الازمات، ولكن .. ترى هل سترك له الخيار في تأليف الحكومة التي ينشدها الشعب، ويرى فيها أملا في تحقيق أهدافه التقدمية .. أم ان الاكثرية النيابية ستساهم معه في اختيار الوزراء وهنا نكون قد عدنا بالمشكلة الى الورا؟ ومضى قائلا:

- لقد تحدثوا عن الشرعية، والدستورية ، فاذا كان المقصود بهما اقامة وضع سليم في البلاد فنحن أول من يساند هذه الشرعية، والشرعية بنظري ليست مواقف معينة ، بل هي تجسيد لمطالب الشعب، وعمل جدي للمحافظة على مكاسبه التي نالها بفضل وعيه وتطوره وتقدمه، انا افهم من الشرعية التمسك بقانون الاصلاح الزراعي، واعطاء المزيد من المكاسب الى العمال والفلاحين الذين يشكلون القطاع الرئيسي للشعب، وان اية محاولة للاستفادة من فكرة الدستورية والشرعية لاقامة حكومة لا تمثل مطالب الشعب هي عملية لا نرفضها فحسب بل نحاربها ايضا.

قلت للسيد الحوراني لقد عرفتم بتأييدكم لحكومة الدكتور بشير العظمة فهل ستقبلون بالتخلي عن تأييدها مقابل الشرعية؟ فأجاب :

- أولا أريد أن أوضح باننا لسنا ضد الشرعية، فالبلاد بحاجة الى دستور تقدمي ودستور عام 1950 هو دستور لا بأس به، وقد وضع بنتيجة دراسات ومناقشات، ولا يعقل ان تظل البلاد بدون دستور طيلة هذه الفترة، ولكن قيام دستور شيء، ومحاولة الاستفادة من الدستورية شيء آخر. اننا نريد ضمانات عملية لتأتي الدستورية محققة لامال اكثرية الشعب من عمال وفلاحين، لا لاكثرية نيابية فقط.. ونريد ضمانات على ان الدستور لن يكون جسرا يعبر فوقه البعض للوصول الى الحكم باسم (الشرعية)، ولن نقبل ضمانات بالكلام، بل نريد الضمانات ممثلة في وجوه الوزراء الذين سيشكلون القوة التنفيذية في هذه المرحلة الحرجة التي تجتازها البلاد.

سألت السيد الحوراني : ما هو الحل الامثل بنظركم لاجتياز الازمة التي تواجهها سورية؟ أجاب على الفور :

- ان اقامة وضع دستوري هو الطريق الامثل، ولكن كيف السبيل الى اقامة هذا الوضع؟ اذا كانت الغاية منه تحكيم اليمين فالافضل الابقاء على حكومة الدكتور العظمة ومساعدتها للسير في تحقيق مخططها، اما اذا استطعنا تحقيق الدستورية كما يريدنا الشعب فاننا سنحبط بذلك جميع مخططات الاعداء.

سألته : هل ستقبلون بالمساهمة في حكم جديد يعيد الاوضاع الدستورية الى البلاد؟

فقال: اننا نفضل البقاء في صفوف الشعب لحراسة مكاسبه، فاذا فرض علينا الاشتراك فسيكون موقفنا منبثقا من الموقف الذي سنواجهه.

حين عرضت على السيد الحوراني التعديلات التي قيل أن النواب قد ادخلوها باجتماعهم بدار العظم على دستور عام 1950 ، اجاب : ان هذه التعديلات في حال انجازها ستكون تعديلات مؤقتة لهذه المرحلة الانتقالية فقط، ودستور عام 1950 هو دستور تقدمي فلا حاجة لمسه في هذه الظروف.

### **وأنهى الصحافي مقابله معي بهذا التعليق :**

في جميع الاحاديث التي يدلي بها السيد اكرم الحوراني يتناول الموقف الخارجي قبل الموقف الداخلي، فهو يؤمن بان التدخل الاجنبي المتواصل ضد سورية هو الذي يعرقل تطورها فما ان سألته عن رأيه بما يقال بان سورية مدعوة للاشتراك في محالفات جديدة حتى انتفض بعصية وتقلصت عضلات وجهه وافضى بحديث مطول عن الانقلابات واسبابها وعواملها وخلص الى القول بان سورية الان يجب ان تحرص كل الحرص على اعادة بناء كيانها اولا، وتحقيق المزيد من المكاسب الشعبية، ولن نقبل بشكل من الاشكال الدخول في تكتلات مهما كانت هذه التكتلات، بل أقول بكل وضوح وصراحة اننا سنحارب هذه التكتلات بكل ما نملك من قوة، **ونحن في سورية لا نبني من اجلنا بل من اجل جميع العرب في وطنهم الكبير، لذلك نحصر على ان تكون جميع خطواتنا مستمدة من واقع الشعب لا من الواقع الذي يفرض عليه.**



كان هذا النشاط السياسي لخالد العظم ولنواب المجلس التأسيسي النيابي مترافقا مع نشاط رجال الدين حيث قابل وفد منهم رئيس الجمهورية طالبا اعادة الحياة الدستورية، وبعدم السماح لأي نشاط يتنافى مع دين البلاد وأخلاقها، وصرح الشيخ الكتاني بأن العلماء سيعقدون مؤتمرا يقررون فيه موقفهم من وزارة بشير العظمة اليسارية ومن امور اخرى ويقصدون بذلك قانون الاصلاح الزراعي والقوانين التقدمية الأخرى التي كانت حكومة بشير العظمة جادة في تنفيذها(النصر 1962/8/14).

أما موقف الاخوان المسلمين فقد كان موقفا يدعو الى التعجب والارتباب:

كان عصام العطار يهاجم الاشتراكيين العرب ويدعو لاستقالة حكومة بشير العظمة، وفي الوقت نفسه طلب مني في اجتماع تم في بيت العظمة انشاء جبهة مؤلفة من الاشتراكيين العرب والاخوان المسلمين والشيوعيين فاعتذرت لأن الظروف التي تمر بها البلاد لا تسمح بقيام مثل هذه الجبهة، واعتبرت ان دعوته هي تكتيك للمزيد من إثارة اليمين ضد الاشتراكيين العرب في تلك الفترة.

ومن الجدير بالذكر ان موفدا من قبل خالد بكداش طلب مني - قبل هذا الاجتماع- اعطاء رأيي بشأن عودته الى البلاد ، فكان جوابي بأن الظرف غير مساعد على العودة وان رجوعه غير مأمون العاقبة، وفي هذا الوقت بالذات نشرت وكالة الانباء العربية (1962/8/20) نبأ وردها من برلين الشرقية يفيد بأن مصدرا مقربا من بكداش قال بأن الصعوبات التي تعترض عودته الى سورية قد دلت.



كان تصورنا للخطة التي سنسير عليها تجاه محاولات اليمين والنواب ورجال الدين والاخوان المسلمين لعودة المجلس التأسيسي وتشكيل حكومة برئاسة خالد العظم هو :

دعم حكومة بشير العظمة التي تعهدت في بيانها - كما ذكرت سابقا - تنفيذ قانون الاصلاح الزراعي وإطلاق الحريات الديموقراطية والنقابية والاستعداد لاجراء انتخابات نزيهة وحيادية لمجلس تأسيسي ونيابي جديد. وكنا نعتقد بأن نشاط اليمين ورجال الدين والاخوان المسلمين لعودة المجلس التأسيسي النيابي هو محاولة لاسترجاع اليمين المواقع التي فقدتها بعد انقلاب 28 آذار 1962 ، لذلك كان رأينا الدعوة لاجراء انتخابات جديدة كنا نأمل فيها أن يزداد عدد اعضاء الكتلة الاشتراكية الديموقراطية ويفشل فيها النواب المطعون بوطنيتهم ونزاهتهم في المجلس النيابي السابق، بعد أن نشرت التحقيقات بمؤامرة عبد الكريم الدندشي التي أذاعها جمال عبد الناصر والتي تدين رئيس المجلس النيابي مأمون الكزبري مما وجه طعنة للمجلس بنظر الرأي العام، وبالإضافة الى ذلك فإن هذا المجلس قد قبل بحل نفسه عندما وقع معظم نوابه على عريضة طاف بها عليهم رشاد برمدا بدفع من قائد الجيش عبد الكريم زهر الدين ورئيس الجمهورية ناظم القدسي المتواطئين على الانفراد بحكم سورية بعد انقلاب الثامن والعشرين من آذار 1962. وكان زهر الدين لا يترك مناسبة إلا ويهاجم الاحزاب والحياة الحزبية في سورية.

وهكذا كنا نعتقد ان مجلسا جديدا في ظل انتخابات حرة ونزيهة سيكون قادرا على الوقوف بوجه قائد الجيش زهر الدين ورئيس الجمهورية ناظم القدسي المزمعين على حكم البلاد حكما عسكريا بواجهة مدنية. كما ان الرأي العام في الجيش السوري سيكون بجانب المجلس النيابي الجديد باتجاهاته الوطنية والتقدمية مما يجعل الطريق سالكة أمام الاستقرار السياسي في سورية.



كان خالد العظم قائد اليمين والمطالب باستقالة حكومة بشير العظمة مدركا لأسباب امتناعنا عن تأييده في تشكيل



حكومة جديدة، ويقول في مذكراته: "كان الحوراني يعارض في عودة المجلس النيابي ويعتبره منحلًا" (ص 284 - الجزء الثالث) وحول اجتماع النواب في داره يقول العظم :

"لقد ناقشت النواب المجتمعين في داري في أمر عودة المجلس قائلًا لهم ان من الأفضل دعوة الناخبين من جديد، وبعد مناقشات طويلة قبل الاعضاء ان نعمل على توحيد جهودنا مع أكرم الحوراني وجماعته، وبذلك نكون جهة أقوى في وجه الحكومة التي راحت تسعى لتفشيّل مساعيها وتهددنا استنادًا الى قانون الطوارئ بالحبس والابعاد" كما يقول :

"وفي اجتماع عقده مع فريق النواب سعيت لعقد ميثاق بينهم وبين اكرم الحوراني، وبعد المناقشات المرهقة توصلنا الى كتابة نص يتضمن ضرورة العودة الى الحياة الدستورية بدون الالاحاج على عودة المجلس الحالي، واعتبار النصوص التي صدرت عن حكومة العظمة بشأن قانون الاصلاح الزراعي وبشأن التأميم نافذة ومقبولة من قبل الجميع دون الرجوع عنها اطلاقًا، وفوضني الجميع بما فيهم الحوراني الذي اشترك معي بكتابة النص وبإصدار البيان الرسمي في حزيران عام 1962". "وأما القدسي وحكومته وزهر الدين وقواده فكانوا يمنون النفس بعدم تفاهم اليمين واليسار" (ص 288 - المذكرات الجزء الثالث).

وقد نشر خبر هذا الاتفاق في الصحف السورية ومنها جريدة النصر (1962/9/5) تحت عنوان: النواب متفقون على عدم إعادة النظر بالاصلاح الزراعي والتأميم" كما جاء في الخبر :

"وقد تم الاتفاق مع رئيس الجمهورية على الخطوات (الدستورية) اللازمة، بين الأقطاب السياسيين الستة : خالد العظم، اكرم الحوراني، معروف الدواليبي، سعيد الغزي، عصام العطار، جلال السيد. وهي اعادة الحياة الدستورية للبلاد واعطاء الحكم الصفة الشرعية" وفيما يتعلق بدور المجلس التأسيسي النيابي يقول الخبر :

"ان السيد اكرم الحوراني اتفق مع السياسيين على أن يعود المجلس النيابي لإقرار دستور عام 1950 وتعديل بعض مواده حتى تستطيع

الحكومة حل المجلس والحصول على بعض صلاحيات التشريع وأخذ الثقة لرئيس الوزراء القادم لتشكيل الوزارة دون حاجة الى طرح الثقة على المجلس. ولكن عودة المجلس يجب ألا تستمر وأن يجري الاحتكام الى الشعب من جديد في انتخابات جديدة تتوفر فيها النزاهة والحرية والحياد".

يقول خالد العظم تعليقا على هذا الاتفاق :

"وبعد جهد كبير وافق الرئيس ناظم القدسي على أن يجتمع المجلس جلسة واحدة لمنح الثقة ثم يحل، لكنه أصر على أن لا تتعقد الجلسة في قاعة المجلس، وأخذت هذه القضية جدلا طويلا مما جعلنا نرجئ الاجتماع الى موعد آخر" (ص 297 المذكرات الجزء الثالث).



كانت الكتلة الاشتراكية مصرة على أن يجتمع أعضاء المجلس في مبنى البرلمان الذي كان مطوقا بالشرطة العسكرية، ولكن اكثرية اعضاء المجلس كانوا وجلين من الصدام مع الجيش بعد تهديد المكتب الثاني (مخابرات الجيش) لهم، ولذلك تم الاتفاق بين القدسي وخالد العظم على ان يتم الاجتماع في دار خالد العظم. كما طلب القدسي من العظم وضع مشروع للتعديلات الدستورية وبرنامج للخطوات اللازمة اتباعها لانتقال الحكم. وقد وضعها العظم كالتالي :

" أولا: يدعى المجلس الى الاجتماع في داري لينجز الدستور، في جلسة أو جلستين فقط.

ثانيا يتناول تعديل الدستور : ( أ ) جواز منح سلطة التشريع للحكومة، ( ب ) يختار رئيس الجمهورية رئيسا للوزراء ويعرض ذلك على المجلس حتى اذا نال الثقة عكف على تأليف الحكومة، بدون الرجوع مرة ثانية الى المجلس، ( جـ ) منح الحكومة حق حل مجلس النواب على ان تجري الانتخابات النيابية خلال سنة واحدة من تاريخ الحل، وعلى ان لا يشترط استقالة الوزارة التي حلت المجلس، ( د ) تبقى المراسيم التشريعية النافذة والصادرة قائمة حتى تعديلها وفقا لاحكام الدستور.

ثالثا : بعد إنجاز الدستور يتلى على المجلس كتاب رئيس الجمهورية بتكليفى بتأليف الوزارة. وبعد اعطاء الثقة، يمنح المجلس الحكومة صلاحية التشريع لمدة سنة واحدة. ثم تؤلف الحكومة، فتحل مجلس النواب فورا.

رابعا : يعطى مجلس الوزراء حق تعيين رئيس وزراء جديد اذا شغر منصب الرئاسة. (ص 298 - المصدر السابق- الجزء الثالث).



عندما بلغنا خالد العظم هذه التسوية التي تم الاتفاق عليها بينه وبين رئيس الجمهورية ، وافقت عليها الكتلة الاشتراكية لأنها تحقق من أهدافها أكثر مما كانت تطمح بتحقيقه من حكومة بشير العظمة :

أولا: لأن المجلس التأسيسي النيابي قد وافق على حل نفسه رضائيا في سبيل إجراء انتخابات جديدة، كما وافق على ابقاء القرارات الاقتصادية وقانون الاصلاح الزراعي.

ثانيا : ان خالد العظم هو الشخصية القوية الديموقراطية البرلمانية التي ستتولى رئاسة الحكومة الجديدة والمدعومة من اليمين واليسار معا، بالوقت الذي كانت فيه حكومة بشير العظمة محاربة من اليمين الذي كان يتهم رئيسها بميوله الشيوعية.

ثالثا : كنا واثقين بأن حكومة خالد العظم خير ضامن - بالنسبة لنا - للحياد والنزاهة في الانتخابات القادمة. كما كنا واثقين بقدرتها على تحقيق ذلك، وأنها لن تنحاز لليمين على حسابنا بعد أن خذل اليمين مرتين خالد العظم في وصوله الى رئاسة الجمهورية، كما انه لن ينحاز للشيوعيين على حسابنا بعد أن صغر شأنهم وقل تأثيرهم بسبب لجوء رئيسهم خالد بكداش الى الاتحاد السوفيتي بعد قيام الوحدة السورية المصرية. والأسئلة التي تطرح نفسها في هذا المجال :

كيف تمكن خالد العظم من إقناع أعضاء المجلس التأسيسي بحل المجلس بالوقت الذي كان فيه العديد من أعضائه غير واثقين من نجاحهم في الانتخابات القادمة؟ ما هي العوامل التي ساعدت خالد العظم على إرغام اليمين ورئيس الجمهورية وقائد الجيش على قبول هذه التسوية وتشكيل حكومة جديدة برئاسته؟

لقد كان خوف قائد الجيش ورئيس الجمهورية ناظم القدسي وأعضاء المجلس التأسيسي واليمين السوري من عودة النظام الناصري الى سورية عاملا مهما وأساسيا في إقناعهم بهذه التسوية، لا سيما خلال الجو المشحون الذي أشاعته أجهزة عبد الناصر من إثارة الفتن وحبك المؤامرات ومحاولات الاغتيال وتفجير المنشآت، مما أقع الجميع بأن استيلاء جهاز عبد الناصر على الحكم في سورية سيعرض سلامة عدد كبير من اليمين واليسار للاعتقال والتعذيب والاغتيال، كما سيعرض عددا كبيرا من الضباط للاعتقال والتسريح من الجيش.



لقد كان قائد الجيش زهر الدين ورئيس الجمهورية ناظم القدسي يأملان الاستمرار في حكم البلاد منفردين، وكان يصعب عليهما كثيرا التخلي عن السلطة لحكومة جديدة برئاسة خالد العظم تحظى بالشرعية الدستورية، مما يعرضهما للمسؤولية ولا سيما مسؤولية ناظم القدسي لخروجه على أحكام الدستور الذي أقسم اليمين على الاخلاص له والتقيد بأحكامه من حيث تأليف حكومة غير شرعية (حكومة بشير العظمة) وإصدار المراسيم الاشتراعية خلافا لأحكام الدستور ، عدا عن شبهة تواطئه مع قائد الجيش على حكم البلاد حكما ديكتاتوريا، لذلك راوغا وماطلا كثيرا بالموافقة على عودة الحياة الدستورية وتشكيل حكومة جديدة ولجأ إلى تهديد النواب بالسجن والاعتقال ولما لم يجدهما ذلك اضطررا للموافقة على هذه

التسوية مع خالد العظم إرجاء لمعركة خطيرة مع اليمين واليسار  
معا لا تؤمن عواقبها في ذلك الوقت.

أما موقف اليمين من الاشتراكيين العرب فلعل ما يعبر عنه  
ما كتبه جريدة دمشق بتاريخ 62/7/2 :

اليمين يقف من المعركة بين القاهرة والحوارني موقفا يكاد يشبه  
موقف الحائر .. وهو على الرغم من انه يخوض معركة مماثلة مع القاهرة الا  
انها ليست بعنف المعركة المكشوفة التي يخوضها الحوارني معها وجها  
لوجه. ولعل ترك اليمين للحوارني يخوض معركته الفاصلة مع القاهرة الى  
رغبته في الوقوف موقف الحوارني ذاته عقب 28 ايلول عندما وقف موقف  
المتفرج من المعركة الفاصلة التي خاضها اليمين يومها مع القاهرة.

والواقع.. ان اليمين حائر هل يترك الحوارني يخوض المعركة وحده؟  
فان انتصر كان الغنم له كله.. وان غلب -لاسمح الله- كانت الكارثة لا من  
نصيب الحوارني وحده.. بل من نصيب اليمين ايضا.. أم يخوض المعركة مع  
الحوارني جنبا الى جنب؟ .. وفي النفس ما بها من جراحات الماضي وما بها  
من مخاوف المستقبل.

ماذا لو خاض اليمين المعركة مع الحوارني ضد القاهرة.. ما الضمانات  
التي يقدمها الحوارني لبقاء اليمين محافظا على ما بقي له حتى الان؟

كيف يخوض اليمين المعركة مع الحوارني.. وهو منذ البداية لا يؤيد  
عودة المجلس، ولا يمانع في تعديل قانون الانتخابات الذي سيجيء  
لمصلحته اكثر من مصلحة اي اتجاه او فريق؟  
حقا .. ان الموقف يدعو الى الحيرة.. والحيرة جمود وفقدان القدرة  
على الاتيان بأي عمل، ولعل هذا ما يريده الحوارني من اليمين في هذه  
الظروف..



## إقرار دستور عام 1950 وتعديلاته.

بعد أن تم الاتفاق على التسوية، دعا مكتب المجلس  
النواب للاجتماع في منزل خالد العظم بتاريخ 1962/9/13 ،  
فانتخب سعيد الغزي رئيسا للمجلس بدلا من مأمون الكزبري  
وأقر دستور 1950، وتمت الموافقة على مشروع التعديلات

الدستورية، وكان المشروع قد أحيل لدراسته الى لجنة برلمانية مصغرة، فوافقت اللجنة على اكثر التعديلات المقترحة لكنها اشترطت - وكان ذلك نوعا من التسوية بين رئيس الجمهورية ناظم القدسي وبين خالد العظم- ان يتم صدور المراسيم التشريعية بحضور رئيس الجمهورية وبأكثرية ثلثي اعضاء مجلس الوزراء ، فأصبحت المادة التي تتعلق بالمراسيم التشريعية كالتالي :

1- لمجلس النواب باكثرية اعضائه المطلقة منح السلطة التنفيذية صلاحية اصدار مراسيم تشريعية لها صفة القانون. وذلك لمدة معينة.

2- تصدر وتنشر المراسيم التشريعية بقرار متخذ من مجلس الوزراء المنعقد برئاسة رئيس الجمهورية وبأكثرية ثلثي اعضاءه، وتبقى هذه المراسيم التشريعية نافذة الى ان تعدل او تلغى بقانون او بمرسوم تشريعي وفقا لاحكام هذا الدستور.

وكنت قد اشرت سابقا الى أن دستور 1950 قد قلص من صلاحيات رئيس الجمهورية نتيجة للتجاوزات الدستورية السابقة واعتبرت ذلك مأخذا على هذا الدستور. أما تشكيل الحكومة وحل المجلس فقد تناولهما التعديل ضمن الاحكام الانتقالية التالية :

احكام انتقالية :

المادة 11- خلافا لاحكام المادة 58 :

1- لرئيس الجمهورية وفي أي وقت كان، وبموافقة الحكومة المؤلفة وفقا لاحكام هذا الدستور ان يحل مجلس النواب الحالي بمرسوم يتخذ في مجلس الوزراء على أن تجري الانتخابات النيابية لهذه المرة خلال مدة لا تتجاوز سنة واحدة من تاريخ الحل. ولا يشترط استقالة الوزارة التي حلت المجلس.

2- اذا لم تجر الانتخابات خلال المدة المنصوص عليها،  
يجتمع المجلس المنحل حكما خلال عشرة ايام من انتهاء المدة  
المذكورة.

#### المادة 12 :

1 - بعد اقرار هذا الدستور يكلف رئيس الجمهورية من  
يختاره لتأليف الوزارة فيتقدم الرئيس المكلف الى مجلس النواب  
خلال عشرة ايام بيانه الوزاري. فاذا حصل على ثقة اكثرية  
النواب المطلقة اصدر رئيس الجمهورية مرسوما بتسميته رئيسا  
للوزراء، ومرسوم آخر بتسمية الوزراء بموجب اقتراح رئيس الوزارة.  
2- تشمل الثقة الممنوحة للرئيس المكلف جميع اعضاء  
وزارته دون حاجة الى الحصول على ثقة جديدة.

3- اذا شغر منصب رئيس الوزراء لاي سبب كان او استقال  
اكثرية الوزراء في الفترة التي يكون فيها مجلس النواب منحلا،  
تعتبر الوزارة مستقيلة، ويدعى المجلس المنحل وتتبع في تأليف  
الوزارة الجديدة الاصول المحددة في الفقرة الأولى. وتنتهي  
مهمة المجلس فور منح الثقة.

ولا يجوز بحث امر اخر في هذا الاجتماع وكان من ضمن  
الاحكام الانتقالية المادة الثالثة عشرة التي تتعلق بإعادة  
تشكيل المحكمة العليا، وهي المحكمة المختصة بالنظر  
بدستورية القوانين والمراسيم التشريعية، وكان تشكيل هذه  
المحكمة التي ألغيت خلال الوحدة يتم سابقا بالانتخاب من قبل  
أعضاء المجلس النيابي وفيما يلي نص المادة :

المادة 13 - الى ان يتم تأليف المحكمة العليا على الشكل  
المنصوص عليه في المادة -16 يجري تأليفها موقتا لاجل النظر  
في الاختصاصات الواردة في المادة 122 بمرسوم يتخذ في  
مجلس الوزراء بناء على اقتراح من وزير العدل ومن اربعة من اكبر  
قضاة محكمة النقض ، ومن ثلاثة من اكبر قضاة مجلس الدولة  
ويراسها الرئيس الاول لمحكمة النقض.

بعد اقرار هذه التعديلات الدستورية انتهت المهمة التأسيسية للمجلس وأصبح دستور 1950 المعدل قيد التنفيذ، ثم ألقى خالد العظم بيانه الوزاري المقتضب الذي جاء فيه تعهد حكومته "بضرورة السعي لجمع كلمة الأمة العربية حتى يأتي اليوم العزيز الذي تتحقق فيه الامنية الغالية لوحدة الأمة العربية. كما تعهد بأن تكون سياسة سورية الخارجية مرتكزة على الحياد الايجابي وعلى احترام ميثاق الأمم المتحدة، وأكد ايمان حكومته الراسخ بتحقيق الديمقراطية وصيانة الحريات العامة وتمسكها بتنفيذ التشريعات القائمة بشأن الاصلاح الزراعي والتأميم وحقوق العمال وفسح المجال أمام المجهود الفردي دون خشية من إدخاله في القطاع العام" (ص 301 المذكرات- الجزء الثالث) فنالت حكومته الثقة بأكثرية 156 صوتا من بينهم أصوات الكتلة الاشتراكية، وقد نشرت الجريدة الرسمية محاضر هذه الاجتماعات ونص كتاب استقالة حكومة بشير العظمة وكتاب تكليف خالد العظم.

عندما انصرف خالد العظم الى تشكيل الوزارة ظهرت الخلافات بينه وبين رئيس الجمهورية على انتقاء الوزراء فقد حاول العظم كما يقول في مذكراته أن يختار الوزراء من بين أعضاء المجلس النيابي الاقوياء في مواجهة تحالف قائد الجيش ورئيس الجمهورية الذي أصر على عدم القبول باشتراك كل من معروف الدواليبي ورشاد جبري وليون زمريا بداعي ان قيادة الجيش ترفض ذلك رفضا قاطعا وان اشتراك اي واحد منهم يعتبر تحديا للجيش ورجعة الى الوراء، ويقول أيضا:

"لقد بدأت أشعر بأنه (القدسي) يرمي الى اختيار وزراء يؤلفون عند الحاجة اكثرية تستقيل عند إشارته فتسقط الوزارة بموجب أحكام الدستور الجديد ولذلك فكرت في الانسحاب واعادة الأمانة الى مجلس النواب" "ولكنني سألت نفسي هل يجوز أن أعرض البلاد لنكسة خطيرة جديدة أم أغض النظر؟" (ص 303-304 المذكرات الجزء الثالث). ويشير العظم الى أن ناظم القدسي أمر بعدم نشر الدستور الجديد في الجريدة الرسمية ما



لم تؤلف الوزارة (ص 304). وبعد جدل طويل تم الاتفاق بينهما على تشكيل الوزارة على النحو التالي :

خالد العظم : رئيسا لمجلس الوزراء، بشير العظمة، نائبا للرئيس، رشاد برمدا: وزيرا للتربية والتعليم، فرحان الجندلي: وزيرا للبلديات والشؤون القروية، اسعد كوراني: وزيرا للعدلية والاقواف، خليل الكلاس: وزيرا للمالية، اسعد المحاسني: وزيرا للخارجية، جورج خوري: وزيرا للصناعة، امين النفوري: وزيرا للاصلاح الزراعي، عبد الحلیم قدور: وزيرا للاعلام، منصور الاطرش: وزيرا للعمل والشؤون الاجتماعية، عزيز عبد الكريم: وزيرا للداخلية، روبر الياس وزيرا للاشغال العامة، صبحي كحالة: وزيرا للمواصلات، عزت طرابلسي: وزيرا للاقتصاد، رفيق بشور: وزيرا للثقافة، نهاد ابراهيم باشا: وزيرا للتخطيط، مظهر العظم، وزيرا للزراعة، نبيل الطويل: وزيرا للصحة، عمر عودة الخطيب: وزيرا للتموين، اللواء عبد الكريم زهر الدين: للقيام بأعمال وزارة الدفاع الوطني.

وقبل الاعلان عن تشكيل هذه الحكومة بيوم واحد بلغ خالد العظم خليل الكلاس وعبد الحلیم قدور وأمين النفوري اختيارهم اعضاء في حكومته فعقدوا اجتماعا في منزلي قررنا فيه تبليغ خالد العظم تعليق اشتراكهم في الحكومة على ضم عدد آخر للحكومة من الاشتراكيين وأنصارهم أمثال هاني السباعي وأحمد عبد الكريم ليكون طابع الحكومة طابعا تقديما فاقعا بمواجهة الاعلام الناصري الذي كان ينعت النظام السوري بالرجعية ويزاود بالتقدمية واليسارية، وكان لهذه الدعاية نصيبها من التأثير، ولكننا فوجئنا في اليوم الثاني بصدور مراسيم تشكيل الحكومة على الشكل الذي ذكرته آنفا، والظاهر أن ضغطا شديدا مارسه عليهم خالد العظم فقبلوا الاشتراك دون ضم عدد آخر من الاشتراكيين أو من أنصارهم، وهكذا فإن حكومة خالد العظم كما شكلها ضمت :

ثلاثة وزراء اشتراكيين وبعثيين (الكلاس وقدور والاطرش)، ووزيرين من الاخوان المسلمين (نبيل الطويل وعمر الخطيب) ،

ووزير من الجمعيات الاسلامية (مظهر العظمة) وثلاثة وزراء من حزب الشعب، ووزير من الهيئة الموالية للاشتراكيين (النفوري)، وعشرة وزراء مختصين حياديين، ووزير واحد من الجيش (زهر الدين).

أما منصور الأطرش الذي أعلن اسمه كوزير للشؤون الاجتماعية فقد طلب استشارتي بأمر اشتراكه بالوزارة فأشرت عليه بالقبول ولكنه اعتذر عن الاشتراك والسبب هو التزامه بسياسة عفلق والبيطار في ذلك الوقت.

1962- ثورة اليمن في 28/9/1962- نبذة تاريخية  
 عن اوضاع اليمن-كان ولي العهد سيف الاسلام  
 البدر من انصار عبد الناصر ومن المتحمسين  
 للقومية العربية- اطلاق النار على منزلي بعد  
 اصداري بيانا حول ثورة اليمن- مصر تعقد اتفاقية  
 للدفاع المشترك مع السلال قائد الثورة لتبرر دخول  
 جيشها الى اليمن - ما هي الاهداف الامريكية من  
 تشجيع عبد الناصر على ارسال الجيش المصري  
 الى اليمن - السعودية تصيح طرفا في الحرب  
 الدائرة - الشاعر عمر ابو ريشة سفير سورية في  
 واشنطن يتحدث عن اجتماع عاصف بين الملك  
 فيصل والرئيس كندي- سورية تعود لدورها  
 القومي.

نظرا لما لليمن من اهمية بالنسبة لمنشأ الامة العربية وحضارتها  
 قبل الاسلام وبعده فإنه يجدر بنا ان نلقي نظرة عاجلة على  
 الماضي القريب لهذا القطر العربي الذي كان يسمى باليمن  
 السعيد.

في اواخر القرن الثامن عشر احتل البريطانيون جزيرة بريم،  
 وفي عام 1839 احتلوا ميناء عدن المسيطر على مضيق باب  
 المندب، ثم وسعوا دائرة احتلالهم حتى شملت جزءا كبيرا من  
 الجنوب اليمني(1) ، وقد حاول العثمانيون منذ عام 1538 احتلال  
 اليمن الشمالي الا ان احتلالهم ظل مقتصرًا معظم الوقت على  
 السواحل، ولم يتمكنوا من تثبيت اقدامهم نظرا للثورات المتعاقبة،  
 وكانت آخر الحملات العثمانية على اليمن تلك الحملة التي كنا  
 نسمع عنها من الكبار والتي منيت بخسائر فادحة في عهد الامام

(1) كان هناك احدى عشرة مشيخة وسلطنة على ساحل الخليج العربي، وخمس عشرون دولة  
 في محمية عدن، وحدى عشرة منها تشكل اتحاد الجنوب العربي، والقاسم المشترك الذي  
 يجمع بينها كلها هو الطابع الاقطاعي والاعتماد على السلطة البريطانية (الرأي العام بتاريخ 1-  
 11-1962 نقلا عن جريدة الابكونومست البريطانية).

يحيى حميد الدين، وفي نهاية الحرب العالمية الاولى عام 1918 انسحب العثمانيون نهائيا من اليمن، وقد كان ابناء شعبنا في سورية الذين جندوا في الحملة العثمانية على اليمن يتحدثون عن شجاعة اليمنيين وعن مواقع اليمن الحصينة وجبالها المرتفعة ومناخها اللطيف وجمالها وخضرتها الدائمة.

بعد ذلك تسنى لي وانا طالب في المرحلة الثانوية في مدرسة دار العلم والتربية في حماه ان اقرأ كتاب ملوك العرب لأمين الريحاني وفيه يشرح زيارته لليمن، ولا تزال عالقة في ذاكرتي الصورة التي رسمها الريحاني بريشته للامام يحيى حميد الدين، وهو جالس تحت شجرة في صنعاء يقضي بين الناس.

لقد كان للخلاف الذي نشب في الثلاثينات بين الملك عبد العزيز آل السعود وبين الامام يحيى حميد الدين وللحملة التي جردها الملك عبد العزيز بقيادة الامير فيصل صدى بعيد عند الرأي العام السوري، فتطوع بعض اعضاء الكتلة الوطنية السورية التي كانت على علاقات جيدة مع الملك عبد العزيز للتوسط بين البلدين العربيين برئاسة جميل مردم وعضوية زعيم حماه الدكتور توفيق الشيشكلي.

وفي عام 1948 كنا نسمع من خنادق اليهود خلال وجودنا في فلسطين في منطقة الجليل سبابا وشتائم باللغة العربية وباللهجة اليمنية، وكان هؤلاء اليمنيون من اشجع اليهود الذين هاجروا الى فلسطين. وكان عدد اليهود في اليمن خمسة واربعين الفا، هاجر جميعهم الى فلسطين عن طريق الرشاوى والمساعدة البريطانية، ولم يبق سوى عدد ضئيل جدا في اليمن.

بعد تحرر اليمن من العثمانيين، كان الامام يحيى حذرا في علاقاته الخارجية وعدوا لبريطانيا التي تحتل الجزء الاكبر من الجنوب اليمني، ولما استفحل التناقض الاستعماري بين ايطاليا وبريطانيا قبل الحرب العالمية الثانية انشأ الامام يحيى في حينه علاقات طيبة بينه وبين ايطاليا موسولينى التي قدمت له بعض المساعدات، وبعد الحرب العالمية الثانية اصبحت اليمن عضوا في

هيئة الامم المتحدة، وسميت بعد اعتلاء الامام احمد بن يحيى عرش اليمن "المملكة المتوكلية اليمنية" واصبحت عضوا في الجامعة العربية عام 1947.

لقد تعرفت على ولي عهد اليمن محمد البدر الذي قام بزيارة دمشق ليعلن دخول اليمن في اتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة عام 1958، ثم توثقت معرفتي بالبدر في زيارته الثانية لسورية مع زيارة المرشال تيتو عام 1959 بمناسبة الاحتفال بالذكرى الاولى لقيام الوحدة، وكنت مع عبد الناصر والمرشال تيتو والبدر في الوفد الذي قام بزيارة بعض المدن السورية، وفي اللاذقية حل البدر ضيفا في بيت عمي مصطفى الحوراني الذي كان محافظا للاذقية آنذاك.

كان البدر من انصار جمال عبد الناصر. وكان متحمسا للحركة العربية التحررية، وداعيا للعلاقات الوثيقة مع الاتحاد السوفيتي الذي انشأ للامام احمد ميناء الحديد، كما انشأت له الصين الطريق الذي يصل العاصمة صنعاء بميناء الحديد، ولكنه كان مختلفا مع والده في موقفه من نظام جمال عبد الناصر، فبينما كان البدر واثقا بعبد الناصر ومواليا له، كان الامام احمد حذرا وشاكا بنواياه، ولقد ذكرت سابقا انه رفض عند مرور باخرته في قناة السويس - وكان عائدا من ايطاليا- ان ينزل في مدينة الاسماعيلية، واستقبل في الباخرة الوفد الذي ارسله عبد الناصر للترحيب به وكان برئاسة عبد اللطيف بغدادى.

وقد علق البغدادي على ذلك بحضورى بأن الامام احمد كان يخشى من مؤامرة تقضي باحتجازه في مصر لتنصيب ابنه الامير محمد البدر بدلا منه ملكا على اليمن.

مرت هذه الذكريات في مخيلتي بعد اسبوع واحد من وفاة الامام احمد وتولي الامام البدر الملك بعده عندما قام قائد الجيش عبد الله السلال بالانقلاب ضده واعلن وفاته تحت ركام القصر الملكي بتاريخ 1962/9/27، وهو الخبر الذي تبين فيما بعد عدم صحته، وكان البدر قد عين عبد الله السلال، بعد وفاة والده

مباشرة، قائدا للجيش وللحرس الملكي، بينما كان السلال معزولا ومقصيا ايام حكم الامام احمد.

اعلن عبد الله السلال بتاريخ 1962/10/31 دستورا مؤقتا لليمن، ومجلسا لقيادة الثورة انتخبه رئيسا للجمهورية العربية اليمنية ورئيسا لمجلس الثورة ورئيسا لمجلس الوزراء، وعين الدكتور عبد الرحمن البيضاني نائبا للرئيس ولكنه اتهم فيما بعد بخيانة الثورة واقصي عن البلاد.

كنت مستبشرا عندما اذاع عبد الله السلال في بلاغه الاول "ان الثورة اليمنية تؤمن بالله وبالوحدة العربية، فلا زيدية ولا شافعية ولا قحطانية ولا هاشمية ولا رأسمالية، بل شعب واحد يؤمن بأنه جزء من الامة العربية".

والجدير بالاشارة في هذه المناسبة ان الزيدية الامامية يسكن معظمهم جبال اليمن وهضابها بينما يسكن الشوافع تهامة وجنوب اليمن، ولم يكن الخلاف المذهبي بين الزيدية والشافعية خلافا يخشى منه على الثورة في اليمن، بل كان الخوف من انعكاسات الوضع القبلي في حال تدخل الانظمة العربية ومحاولة استغلال الثورة، مما سيدخلها في الصراعات على النفوذ والمصالح والمواقع الاستراتيجية، وكنت ارى ان الطريق الصحيح لنجاح هذه الثورة بأقل الخسائر هو عدم تدخل الانظمة العربية بتناقضاتها والاكتفاء بمساعدتها بالمتطوعين وتقديم الخدمات الانسانية والمعونات الاقتصادية.

كان اول اعتراف عربي بالجمهورية اليمنية بعد الانقلاب هو اعتراف مصر بتاريخ 1962/9/29 ثم تلاه اعتراف سورية بتاريخ 1962/10/1، وكنت في اليوم السابق لاعتراف الحكومة السورية قد اصدرت بيانا حول ثورة اليمن ورد فيه:

انه لما يفرح كل عربي ويزيد من تفاؤله بمستقبل شعبنا العظيم، ان تنجح ثورة اليمن العربية نجاحا تجاوز حدود تثبيت الوضع الجديد في البلاد الى تأكيد الخط القومي التقدمي الذي قرر قادة الثورة ان تسير عليه البلاد.

لقد قلنا بعد ساعات من قيام الثورة في اليمن: "ليس وقوع الثورة مستغربا قدر ما هو مستغرب تأخر مثل هذه الثورة حتى الان"، وذلك في تصريح صحفي نشر آنذاك، ولقد تحدثت في ذلك التصريح عن الاوضاع الرجعية التي كان الحكم الملكي يسيطر بها على الشعب العربي في اليمن سيطرة خانقة، حرمته من الاتصال بأي سبيل من سبل الحضارة الحديثة او الثقافة او المدنية، وحالت بينه وبين مشاركة بقية ابناء الشعب العربي في معركة النضال التي يخوضها العرب جميعا في هذه الفترة التاريخية الحاسمة، وقلت ان تلك الاوضاع متعارضة مع منطق التاريخ، وان الكبت والتخلف والحرمان وعمليات التجهيل والتأخير التي يعاني منها الشعب العربي في اليمن قد بلغت بالغليان الشعبي حدود الانفجار الثوري منذ اكثر من خمسة عشر عاما.

كما نبهت اخواننا قادة ثورة اليمن الى ضرورة استلام زمام ثورتهم بايديهم والتمسك بها وحمائتها من كل دخيل او عميل او متسلط. ذلك لأن ثورات عربية مماثلة علمتنا ان الاستعمار يتربص وينتظر مثل هذه الثورات لاجهاضها او ليحاول ان يستغل نقمة الشعب على الحكم القديم البغيض باقامة حكم جديد ظاهره الشعارات التقدمية التي تثار الشعب من اجلها وباطنه وحقيقته حكم عميل او مشبوه لا يحقق للشعب اهدافه.

وكان في اعتقادي ان قادة الثورة العربية في اليمن لا بد وان يكونوا قد وعوا الدروس الاليمة التي نتجت عن ثورات عربية مماثلة استطاع الاستعمار اجهاضها وتسخيرها لاهدافه ومآربه، ثم جاءت بيانات واعمال هؤلاء القادة خلال الايام القليلة الماضية فزادت من ثقتي بأن ما حدث في اليمن هو ثورة شعبية ولين انقلابا عسكريا وان الامة العربية جمعاء -لا شعبنا في اليمن فقط- ستجني منها خيرا عظيما مادامت الشعارات القومية التقدمية التحررية هي نبراس قادة الثورة، واذا كانت ظروف كثيرة تحول بين المواطن العربي وبين التعرف عن قرب تعرفا واقعيا على ما يجري في اليمن المتحررة اليوم، فإن استعراض بعض اسماء المواطنين الذين انتقتهم قيادة الثورة لتسيير دفة الحكم الجديد في الوزارة اليمنية يزيد من الثقة بأن هذه القيادة صادقة العزم على تحقيق ما اعلنت عنه من شعارات تقدمية. ذلك لأن من اتيح لنا معرفتهم من هؤلاء الوزراء انما هم الرجال الثوريين العرب الذين على الرغم من صعوبة الاوضاع في بلدهم، لا ينظرون الى حلول مشاكلها الا من خلال

نظرة قومية واسعة، ويربطون عن وعي وادراك مشاكل بلدهم الصغير بالقضية القومية الكبرى.

كما ان الارهاب الرجعي والبطش الوحشي الذي كان الحكم الملكي يلاحق به كل احرار اليمن، بل كل من ينال قسطا من العلم والثقافة من ابناء اليمن، اضطر اكثر هؤلاء الاخوان الذين اصبح بعضهم وزراء في حكومة اليمن المتحررة، لان يعيشوا خارج اليمن، في البلاد العربية الاخرى سنينا عديدة كانت كافية لتعريفهم تعريفا واقعيا بواقع الامة العربية ومشاكلها وحقيقتها انظمة الحكم القائمة في اقطارها الممزقة. واذا كان الاستعمار الامريكي لن يدخر وسعا للتغلغل الى الحكم الجديد المتحرر في اليمن فإن الاستعمار الانكليزي قد اسفر هو ايضا عن نية مماثلة كشفت عنها تصريحات بعض المسؤولين البريطانيين، بحيث يمكن القول ان جمهورية اليمن العربية المتطلعة الى الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية، هي اليوم معرضة لتهديدات خارجية عديدة.

ان اعداء العرب التقليديين، الذين ينتظر ان تساهم ثورة اليمن التحررية بالقضاء على مخططاتهم يتربصون بهذه الثورة، ويتسابقون للتسلل الى داخلها والتحكم بها، ان الناصرية والاستعمار الامريكي والاستعمار الانكليزي والرجعية العربية تتسابق متجهة نحو اليمن لهذا فإن من واجب الحكومات العربية المتحررة ان تتكاتف مع ابناء الشعب العربي في حماية هذه الثورة ودعمها ومدها بأسباب القوة والصمود، حتى تتحطم على حدود اليمن مطامع المتسللين.

ان الشعب العربي في كافة اقطاره ينتظر من سورية العربية الحرة ان تقف من ثورة اليمن موقفا قوميا طليعيا، وتمدها بكافة اسباب القوة والتأييد والحماية، وتزودها بكل ما من شأنه ان يقيم بنيانها الداخلي الجديد بشكل متين، في كافة ميادين التعليم والادارة والصحة والخدمات الاجتماعية والتعمير الاقتصادي والنهضة الزراعية، وان التردد بتأييد هذه الثورة بداعي ان الناصرية تحاول التسلل اليها امر غير مقنع وغير مبدي. لأن الامام بدر كان من اكثر الناس التصاقا بناصر والناصرية، وان هذه الثورة لا بد ان تأخذ طريقها الصحيح ان لم يكن بالبداية فبعد حين، وانها الشرارة الاولى لا لتحرير اليمن الذي هو اغنى واجمل قطر في الجزيرة العربية فحسب، بل لتحرير الخليج العربي من الاحتلال البريطاني ذلك الاحتلال الذي انحسر عن افريقيا ولا يزال



ضاربا على منطقة الخليج العربي الذي هو اغنى بقعة في العالم بموارده البترولية. لذلك جاز لنا ان نعتبر ثورة الشعب العربي في اليمن هي ثورة العرب على التخلف والاحتلال البريطاني في منطقة الخليج العربي، ان هذا الامر لخطير بالنسبة الى حاضر العرب ومستقبلهم.

بعد هذا البيان مباشرة اطلق العملاء النار على منزلي في رابعة النهار ولما سألتني وكالة الشرق العربي عن هذا الحادث قلت انها ليست المحاولة الاولى وقد حدثت محاولات سابقة بعد تشكيل حكومة العظمة عندما اطلقت النار على منزلي من احدى السيارات وهي اعمال جبانة لا تخيفني اطلاقا.. ولما سئلت عما اذا كنت اعتقد ان وراء الفاعلين ايد ناصرية قلت "لا أشك بأن هذه المحاولة مدفوعة من الخارج". وقد صرح وزير الداخلية بأن دوائر الامن ستقوم بالتحقيق بهذا الحادث (النصر. عن وكالة الشرق العربي 1962/10/3).

لقد اتصلت ببعض الضباط البعثيين الاشتراكيين المسرحين من الجيش في عهد الوحدة والانفصال فاتفقوا على ارسال برقية الى عبد الله السلال نشرتها الصحف تحت عنوان "ضباط سوريون سابقون يضعون انفسهم تحت تصرف ثورة اليمن" وكانت البرقية موقعة من قبل الضباط:

مصطفى حمدون، عبد الغني فنوت- مزيد هنيدي- ممدوح شاغوري- عدنان حمدون- صلاح جديد- محمد منصور حمدي- محمد توفيق جهمي- حافظ اسد- كنعان حديد- عبد القادر شقفة- عزة جديد- طلال ابو عسلي- عبد الكريم الجندي- رثيف علواني- ناصر صالح- وليد حمدون- عبد الكريم الزكار. (النصر 1962/10/3)

كان واضحا منذ اعلان الثورة في اليمن ان احتمال تدخل مصر والمملكة العربية السعودية في احداث اليمن هو احتمال كبير، فمنذ الايام الاولى اعلن رجال الثورة حربا اعلامية ضد المملكة العربية السعودية. فصرح رئيس الوزراء عبد الرحمن البيضاني : "نحن مستعدون لملاقاة سعود نفسه. وقد اتخذنا

الترتيبات اللازمة لنقل المعركة الى السعودية والرياض نفسها.  
(النصر 1962/10/2).

كما طلب السلالة قائد الثورة ارسال قوات مصرية نظامية الى اليمن فاستجاب عبد الناصر لطلبه فوراً "وارسل فرقتين مظليتين حطتا في منطقة جبلية تقطنها قبائل معادية فقضى على اكثر افرادها، وتعويضاً عن هذه البداية السيئة قام المصريون بعملية غزو كثيفة عن طريق مرفأ الحديد وسرعان ما اصبح ثلث الجيش المصري في اليمن" (مذكرات الجنرال كارل فون هورن ص171)(2)

وهكذا تطورت العلاقات بين مصر والسعودية حتى وصلت الى درجة اقتتالهما على ارض اليمن، فالاسرة السعودية لم تنس ارسال محمد علي جيشه الى نجد عندما قضى على ثورة محمد عبد الوهاب وهدم الدرعية عاصمة الوهابيين.

بعد ايام من دخول القوات المصرية عقد الامام البدر مؤتمراً صحفياً داخل اليمن، مكذبا ما اذاعه السلالة بأنه قضى عليه تحت انقاض القصر وقال : انه "سيجعل اليمن مقبرة للغزاة المصريين اذا لم ينسحبوا من الاراضي اليمنية" وعاد البيضاني الى التهديد بنقل الحرب الى داخل السعودية لاستعادة جيزان ونجران الى اليمن (النصر 1962/11/12).

ولكي يصبح تدخل الجيش المصري شرعياً عقدت مصر مع حكومة السلالة ميثاقاً للدفاع المشترك(3) ، نص على تأليف مجلس اعلى لوضع التوجيهات العليا للسياسة العسكرية ومجلس حربي يختص بتقديم التوجيهات فيما يتعلق بالخطط العسكرية واستخدام القوات المسلحة في العمليات الحربية المشتركة. وقد كان التدخل المصري في اليمن مدعاة لدهشة

(2) كان الجنرال هورن كبير المراقبين الدوليين في فلسطين صديقاً للعرب، ولما انتهت مهمته فيها عين كبيراً للمراقبين في اليمن.

(3) وقع السادات هذا الميثاق باسم الحكومة المصرية بصفته عضواً في مجلس الرئاسة المصري بتاريخ 1962/12/11.

المراقبين من تسرع عبد الناصر بارسال الجيش المصري الى اليمن لاسباب لم تكن خافية :

1- لأن السعودية لن تعتبر تدخل الجيش المصري في اليمن تأييدا للثورة فحسب، بل خطرا مباشرا على المملكة ولذلك فهي ستلتمس كل الاسباب للدفاع عن نفسها.

2- كان معروفا ومشهورا ما لاقته الحملات العثمانية من الهزائم والخسائر في محاولة احتلالها اليمن حتى اطلق على اليمن مقبرة الفاتحين، ولهذا السبب امتنع البريطانيون عن توسيع احتلالهم وسيطرتهم على القسم الشمالي من اليمن.

3- اصبح من المتوقع ان يقوم البدر والقبائل الموالية وبدعم من السعودية بحرب العصابات في جبال اليمن الحصينة في مواجهة الجيش المصري الذي لم يتعود على الحرب في مثل هذه الجبال، وفي منطقة واسعة تمتد على البحر من شمال اليمن الى جنوبه متوغلة الى المدن الداخلية عبر سلسلة من الجبال ذات المسالك الصعبة والتي يزيد ارتفاعها في كثير من الاحيان عن الثلاثة آلاف متر، اضافة الى ابتعاد خطوط مواصلات الجيش المصري عن مصر بما يزيد عن الف كيلومتر بين الاسماعيلية وميناء الحديد.

4- كان من المغامرة ان يرسل الجيش المصري الى اليمن بينما تواجه مصر الجيش الاسرائيلي على حدودها.

5- ان تدخل الجيش المصري سيثير النعرات القبلية والمذهبية والاقليمية ضد المصريين، وهو الامر الذي استغله البدر احسن استغلال.

جاء في مذكرات كارل فون هورن :

"لقد تبين لي بعد التحدث الى السلطات العسكرية المصرية في اليمن ان معظم المصريين كانوا ناقلين لأن خطتهم الاساسية قد فشلت، فقد وصلت فرقة مصرية مؤلفة من 3000 رجل وفي ذهن افرادها انهم جاءوا الى اليمن لمساعدة ثورة ترتكز

الى شعبية واسعة، ولكن سرعان ما اتضح لهم خلاف ذلك" (ص178)

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا :

ما هي الاسباب التي جعلت عبد الناصر يتسرع فيرتكب هذا الخطأ؟

لقد كانت انفعالات جمال عبد الناصر تستبد به وتتحكم بمواقفه، ولاشك ان اصابته بمرض السكر كان لها تأثيرها على هذه الانفعالات فلقد بالغ عبد الناصر كثيرا بتأثير الانفصال على زعامته في مصر وفي العالم العربي فكان ينتظر الفرصة التي تسمح له "بضربة جديدة يستعيد بها النفوذ الذي خسره في العالم العربي بعد انفصال سورية" (مذكرات فون هورن ص70) لا سيما بعد ان باركت الولايات المتحدة تدخله في اليمن.

لقد كان السبب المباشر لتسرع عبد الناصر وقائد الجيش عبد الحكيم عامر هو اعتقادهما بأن الحرب في اليمن ستكون نزهة عسكرية بالنسبة للجيش المصري لا تلبث ان تنتهي بانتصاره دون خسائر تذكر بالرجال المال والمعدات، فلقد كان المصريون قليلي الاهتمام بالعالم العربي وشؤونه واحداثه بخلاف السوريين الذين كانوا يفعلون باحداث العالم العربي وبشؤون مصر واحداثها خاصة.

اما بالنسبة لاهداف الولايات المتحدة من انجاح ثورة اليمن فيقول فون هورن في مذكراته:

"انها كانت محاولة من الولايات المتحدة لاضعاف النفوذ الروسي في تلك المنطقة القريبة من افريقيا ومن حقول النفط العربية، وانا شخصا ارى ان هنالك سببا آخر هو احراج السياسة البريطانية في الجنوب العربي، لتوسيع مصالح الولايات المتحدة الى تلك البقعة من العالم" (172)

**اما الهدف السياسي للولايات المتحدة- على مستوى تكتيكاتها بين الانظمة العربية- فهو ما كشفته**

المباحثات التي جرت بين الامير فيصل والرئيس كندي في الاجتماع الذي عقد بينهما بتاريخ 1962/10/5 والذي اشارت الى اهميته اجهزة الاعلام العالمية دون ان تسرب عنه سوى ما قيل ان المحادثات دارت حول العلاقات السعودية عامة وتطور الاحداث في اليمن بصورة خاصة، ويذكر حسنين هيكل في كتابه سنوات الغليان "ان ما دار في هذا الاجتماع كان حساسا الى درجة ان المحاضر الخاص بوقائعه وضع في خزانة مكتب الرئيس كندي ضمن الوثائق التي لا يمكن اذاعتها او الحصول عليها بواسطة قانون حرية المعلومات" (ص634)

ويمكنني هنا ان اشير الى ما رواه لي الشاعر عمر ابو ريشة سفير سورية آنذاك في واشنطن على لسان الامير فيصل عن ذلك الاجتماع، قال ابو ريشة :

لقد وجه الامير فيصل لكندي في ذلك الاجتماع احتجاجا شديد اللهجة لتشجيع الولايات المتحدة عبد الناصر على دخوله اليمن، وان ذلك سيعرض العلاقات بين الولايات المتحدة والسعودية للخطر، فأجابه كندي بأن اعتماد الولايات المتحدة في تأمين مصالحها النفطية على دعم نظام السعودية الرجعي يحملها مسؤولية اخلاقية في العالم المتحضر، وان اعتمادها على نظام جمال عبد الناصر التقدمي يؤمن لها مصالحها في الجزيرة العربية بأقوى وأسلم مما تؤمنه لها المملكة العربية السعودية، فما كان من الملك فيصل ألا ان اجابه :

ان السعوديين لم يولدوا في القصور فهم معتادون على حياة الصحراء وانهم عندما يتعرض ملكهم للخطر فهم مستعدون للرجوع الى الصحراء وتخريب انابيب البترول ومنشآت شركات النفط الامريكية.

لم يكن تأييد الولايات المتحدة ثورة اليمن وتشجيع عبد الناصر على دعمها يهدف الى تقويض نظام المملكة العربية

السعودية واستبداله بنظام عبد الناصر، ولا ضم اليمن الى الجمهورية العربية المتحدة، ولا ادل على ذلك من ان اعتراف الحكومة الامريكية بحكومة الثورة في اليمن بتاريخ 1962/12/19 جرى "بعد الاتفاق بين كندي وعبد الناصر الذي وعده بالانسحاب من اليمن" (مذكرات فون هورن ص171) بل كان الهدف من ذلك بالاضافة الى ما ذكرناه من اسباب، هو الضغط على الملك سعود الذي ازعج الشركات الأمريكية بطلب السلف على حساب عائدات المملكة من البترول، وانزعاج الولايات المتحدة من موقف المملكة من اسرائيل، واتخاذ السوريين والفلسطينيين مستشارين في المملكة، وتوكيل احمد الشقيري الذي اتخذ من هيئة الامم المتحدة منبرا للدفاع عن القضية الفلسطينية والقضايا العربية والتشهير بالسياسة الامريكية وانحيازها للصهيونية.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن :

هل كان من الممكن ان تنجح الثورة في اليمن فيما لو امتنع سعود وعبد الناصر عن التدخل منذ البداية؟

ان الذي يجب على ذلك هو انتصار النظام الجمهوري بعد اتفاق الملك فيصل وجمال عبد الناصر على ايقاف القتال والمصالحة والانسحاب من اليمن.

ويذكر محمد حسنين هيكل ان الامير فيصل كان المبادء باجراء هذه المصالحة، وان رسالة وردت منه (عن طريق حافظ وهبه) تبين انه ضد الحرب في اليمن<sup>(4)</sup> وان استمرار المعارك فيها يستنزف موارد مصر والسعودية وان الذي يستفيد من هذه الحرب هو المستعمر وان فيصل لا يرحب بأن تقدم وساطة لاييقاف القتال بين الجانبين عن طريق اجنبي (يقصد الولايات المتحدة) بل يفضل ان يقوم بها العرب. (سنوات الغليان ص700).

(4) اضطر الملك سعود ان يرجئ خلافه من اخيه الامير فيصل بعد ثورة اليمن، فكلفة بتشكيل الوزارة بتاريخ 1962/12/1، فاحتفظ فيصل لنفسه فيها بوزارة الخارجية بالاضافة الى رئاسة الوزارة ليتسنى له مصالحة مصر وانسحابها من اليمن لا سيما بعد ان اصبح جمال عبد الناصر يلتمس الوسيلة التي تحفظ ماء وجهه لانسحابه من اليمن.

لقد كان الملك فيصل حقا كما قال عنه الجنرال فون هورن "رجلا فذا وحكيما وقورا، ومنذ قابلته في قصره الخاص شعرت بأنني امام رجل يقدر الشرف وانه خلافا للمألوف من الحكام العرب يهتم بمصالح شعبه، ويفيض جاذبية ويجمع في شخصه بين القوة واللين" (ص191)

والذي يشهد على وطنية واخلاص الملك فيصل لعروبته ودينه موقفه من مصر في مؤتمر الخرطوم بعد هزيمة حزيران عام 1967، وموقفه من حرب عام 1973 واستعمال سلاح النفط في هذه المعركة، واخيرا موقفه من العزيز كيسنجر واستشهاده ثمنا لهذا الموقف من قبل الموساد والمخابرات المركزية.



عندما بلغ الخلاف بين مصر والسعودية بشأن ثورة اليمن حد الاقتتال بينهما، كانت الازمة تستفحل ايضا بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة بسبب غزو كوبا وتهدد باشتعال حرب عالمية بعد ان فرضت الولايات المتحدة الحصار على كوبا وعزمت على تفتيش البواخر السوفيتية التي تحمل الصواريخ اليها، وقد كانت اياما عصيبة حبس فيها العالم انفاسه خوفا من اشتعال حرب ذرية مدمرة، ولكن خرشوف تراجع عن موقفه وقبل بالتفاوض مع الولايات المتحدة مستجيبا لنداء اوثانت الامين العام للامم المتحدة فأعلن سحب الصواريخ بعد ان تعهدت الولايات المتحدة بالامتناع عن غزو كوبا.

في تلك الايام العصيبة زرت مدينة حماه فدعت لجنة المحافظة الحزبية المؤلفة من ممثلين عن المدن والقرى الى اجتماع حاشد من محلة جبرين ضم الالوف من المواطنين تحدثت فيه عن موقف الولايات المتحدة من كوبا وقلت :

"ان الموقف الطبيعي لدول عدم الانحياز يجب ان يكون بجانب كل شعب يدافع عن حريته وسيادته، واذا كانت الولايات المتحدة تعتبر اقدام كوبا على اتخاذ الاجراءات للدفاع عن نفسها عملا

استغرابا يهدد سلامتها، افلا يحق لنا نحن العرب ان نعتبر تصرف الولايات المتحدة بشحن 26 صاروخا الى اسرائيل مع تزويدها بسائر اسلحة الابدانة استغرابا ضد امتنا وسلامتها؟ وقد اشرت في هذه الكلمة الى مشكلة تحويل سد الفرات قائلا :

ان سورية ستواصل سعيها لتنفيذ مشروع السد واذا نكثت المانيا الغربية بالتزاماتها، فإن الاتحاد السوفيتي مستعد لتحويل هذا المشروع العظيم (1962/10/26 جريدة الحرية الحموية، النصر الدمشقية).

لا شك ان موقف سورية خلال الازمة العالمية كان له انعكاسه على موقف الولايات المتحدة من الحرب بين مصر والسعودية وذلك خوفا من امتداد تأثير سورية في تلك الظروف الحرجة على مجمل الاوضاع التي تدعمها الولايات المتحدة في المنطقة العربية مما اضطر الرئيس كندي لعرض وساطته بين السعودية ومصر لانهاء الخلاف بعد ان عرض الملك فيصل وساطته.

لقد بدأت سورية تعود لدورها القومي بعد غياب دام اربع سنوات، ومثلما قامت الكتلة الوطنية اثناء الاستعمار الفرنسي بالوساطة بين الملك عبد العزيز وبين الامام يحيى حميد الدين، فإن الحكومة السورية طالبت الملوك والرؤساء بموقف مسؤول لحل الخلاف بين السعودية ومصر ووجه رئيس جمهوريتها السيد ناظم القدسي باسم الشعب العربي في سورية نداء علنيا الى الدول العربية مع رسائل الى حكامها تضمنت المعاني الواردة في النداء، وفيما يلي بعض ما جاء فيه :

"يطالع العرب كل صباح ومساء اخبار الدم العربي المراق على ارض اليمن الخيرة، وما من عربي يستمع الى هذه الاخبار مهما كانت وجهة نظره في هذه الاحداث الخطيرة على ارض عربية الا ويتألم ويحزن حين يعلم ان العرب يقتتلون فيما بينهم ويقتل بعضهم بعضا بسلاح حصلوا عليه بعرق الجبين وكد اليمين ودفعوا ثمنه غالبا للبلاد الاجنبية التي تنتج الاسلحة وتبيعها لهم، وتكبدوا في سبيل التسليح ارهاقا وحرمانا وابطاء في تطورهم الاقتصادي



وانماء الثروة القومية، في سبيل اهداف اسمى واعز من المنافع المادية والاقتصادية العاجلة وهي الحفاظ على الاستقلال والحرية واسترجاع الارض العربية السليبية والعمل من اجل عزة العرب ووحدتهم".

"ليس يخاف على احد واقع العالم العربي والخلافات القائمة بين بعض حكامه لظروف وعوامل لا مجال لتوضيحها بالتخطئة او التصويب، كما لا مجال للإشارة الى البادئ بها او البريء منها".

"ولما كانت الجمهورية العربية السورية في ظرف خاص بالنسبة لاحد الاطراف المعنية مباشرة باليمن (مصر)، ولما كان هذا الطرف قد يؤثر في بلوغ هذا الهدف السامي لذلك طلبت الى الاخوة ورجوتهم الا يتفقدوا بضرورة اشركنا بالوساطة لأننا نعتبر ان حقن الدم العربي هو غاية اسمى وانبل من اي اعتبار آخر".

"ان ايماننا بكرامة الاقطار العربية وسلامتها مرهون بكرامة أي قطر عربي وسلامته وهذا الايمان يدفعنا الى توجيه ندائنا المخلص أملين ان ننسى جميعا ما كان بيننا من تنابز في سبيل ما سيكون لنا جميعا من خير ونفع وسلامة".

في اليوم نفسه الذي صدر فيه هذا النداء كنت في حماه اتابع جولاتي فيها وفي ما يحيطها من ارياف، شارحا للمواطنين الغايات التي توخيناها من اشتراكنا في الحكم وهي :

1- دعم حركات التحرر في الوطن العربي، الامر الذي تجلى في موقف الحكومة الحالية من دعم ثورة اليمن لأن تحرر اليمن من حكم الامامة وسلوكه دروب التقدم يشكلان الامل في تخليص منطقة الخليج العربي وتحرير بتروله من نهب الاستعمار البريطاني.

2- احباط المؤامرات الاستعمارية لتصفية القضية الفلسطينية.

3- الحفاظ على مكاسب الشعب التقدمية كالاصلاح الزراعي الذي ادخلت عليه تعديلات لصالح الفلاحين.

4- المساهمة في بناء الحياة الديمقراطية وارساؤها على اسس سليمة بالغاء حالة الطوارئ واصدار قانون تنظيم الاحزاب، وتهيئة الاجواء الصالحة لاجراء انتخابات حرة نظيفة (النصر، الحرية، 1962/11/6)

**وبالفعل فإن مجلس الوزراء في اجتماعه بتاريخ 1962/11/1 قرر الغاء حالة الطوارئ كما قرر اعداد التشريعات اللازمة التي تنسجم مع احكام الدستور والحياة الديمقراطية، وحدد وزير الداخلية رشاد برمدا موعدا لاجراء الانتخابات النيابية في شهر حزيران من عام 1963 (النصر 1962/11/12)**

1963 : رئيس الجمهورية ناظم القدسي وقائد الجيش عبد الكريم زهر الدين يشجعان الفئات المعارضة لحكومة خالد العظم- كان الخلاف على الغاء قانون الطوارئ واطلاق الحريات العامة اهم نقاط الخلاف بين العظم والقدسي- الاشتراكيون العرب مع الغاء قانون الطوارئ- الاخوان المسلمون يعودون لترديد النغمة الامريكية حول الشيوعية التي تهدد سورية- تأكل الوضع في سورية بسبب صراع اطراف الحكم والاشتراكيون العرب يستقبلون من حكومة العظم -انقلاب الثامن من شباط 1963 في العراق وميشيل عفلق يحاول ان يقطع كل صلة للاشتراكيين العرب بثورة العراق - خلفيات انقلاب الثامن من آذار 1963 : ناظم القدسي وزهر الدين يطلبان مني بواسطة العقيد مزيد هنيدي الاشتراك معهما في انقلاب وزياد الحريري يرسل اخاه الشاعر محمد لاستشارتي في ذلك.

### الوضع السياسي والاقتصادي خلال الاشهر الثلاثة السابقة لانقلاب الثامن من آذار 1963.

كان الهدف الرئيسي لحكومة خالد العظم الغاء حالة الطوارئ وتهيئة البلاد لاعادة الحياة البرلمانية الديمقراطية، وذلك باصدار قانون لتنظيم الاحزاب والصحافة، وقد ادى هذا لاستفحال الخلاف بين عبد الكريم زهر الدين قائد الجيش وناظم القدسي رئيس الجمهورية مع خالد العظم وحكومته، لانهما كانا يريان في عودة الحياة الديمقراطية انتزاعا للسلطة من ايديهما.

ولما لم يكن بمقدورهما ان يتخلصا من حكومة خالد العظم بمجابهة مباشرة فقد لجأ الى التآمر على الحكومة بتشجيع كل الفئات المعارضة لها :

فالناصريون كانوا يعارضون الانتخابات المزمع إجراؤها في شهر تموز 1963 لأن جمال عبد الناصر كان يبذل كل ما يستطيع لاسقاط حكومة خالد العظم قبل ان تجري هذه الانتخابات التي يمكن ان تقيم وضعا دستوريا وديمقراطيا مستقرا في سورية، لذلك نشطت اجهزة المخابرات الناصرية في سورية بالتحريض على التظاهر وبذل الاموال حتى للطلاب، وقد اصبح معروفا(1) ان مديرة احدى ثانويات دمشق في حي المزرعة كانت تضع خمس ليرات واحيانا عشرا في جيب كل طالبة عند بدء المظاهرة.

كما كان الاخوان المسلمون بقيادة عصام العطار يعارضون اجراء انتخابات حرة في ظل حكومة خالد العظم، مما سيؤدي الى نجاح عدد كبير من الاشتراكيين وانصارهم في المجلس النيابي المرتقب، فقد نجح الاشتراكيون العرب نجاحا مرموقا في الانتخابات السابقة التي جرت بعد الانفصال رغم ان مقاليد الحكومة والجيش كانت بيد مأمون الكزبري وضباط الانفصال المواليين للاخوان المسلمين والتجار والاقتصاديين.

ومن جهة ثالثة فقد كان الاقطاعيون بطبيعة اوضاعهم يناصبون حكومة خالد العظم العدااء بعد ان جدت بتنفيذ قانون الاصلاح الزراعي واجرت عليه بعض التعديلات لصالح الفلاحين.

كما اصبحت جريدة البعث التي منح ناظم القدسي امتيازها لصالح البيطار المتحالف مع الناصريين، وجريدة اللواء التي أعطى امتيازها للاخوان المسلمين المتحالفين مع الاقطاعيين والناصرين منبرا لمعارضة حكومة خالد العظم، ولما كان الاشتراكيون العرب

(1) خلال فترة العشرة ايام بين خروجي من السجن اواخر عام 1965 ثم سفري الى فرنسا للعلاج زارتني آنسة من عائلة عبيد وهي حاليا زوجة لاحد ابناء عمر اغازلفو والد زوجة عبد الحميد السراج، وقالت لي يومها :  
انني ناصرية وخارجة من سجون الثامن من آذار، لقد مورست علي كل انواع التعذيب ومنها وضعي في الدولاب، كما ارتني اسنانها المكسورة من الضرب وذكرت لي تفاصيل واسماء لا مجال لذكرها الان، كما قالت :  
انني ازورك الان لانك وقفت بشجاعة امام انقلاب الثامن من آذار رغم ما بيننا من اختلاف في الأراء، وقد اكدت لي يومذاك ما قيل عن مديرة مدرستها ثريا الحافظ التي كانت تحرض الطالبات على التظاهر وتضع في جيب الطالبة خمس او عشر ليرات، ومن الجدير بالذكر ان اعادة ثريا الحافظ الى عملها (وكانت قد سرحت بسبب هذه التصرفات) كان اول قرار اصدره نظام الثامن من آذار.

سندها القوي، وكانت حماه المنارة التي شعت منها الدعوة الى الديمقراطية الاجتماعية فقد ركز الاخوان المسلمون حملتهم ضد الاشتراكيين العرب في حماه ودمشق ووثقوا حلفهم القديم مع بقايا الاقطاع، وهو الحلف الذي عقده في الانتخابات التي تلت الانفصال، وهكذا فقد تكررت زيارات عصام العطار لمدينة حماه حيث كان يحرض طلاب الاخوان وطلاب الاسر الاقطاعية للاعتداء على طلاب الاشتراكيين العرب، ولكن ضبط النفس من قبل الاشتراكيين حال دون اتساع الفتنة وامتدادها الى الشارع مما يعطي لزهر الدين وناظم القدسي حجة لارجاع حكم الطوارئ، وقد ادت هذه الاعتداءات الى تعليق الدروس في بعض مدارس المدينة (النصر 1962/11/13).

لقد استغل رشاد برمدا وزير التربية والتعليم (حزب الشعب) هذا الوضع في مدارس المدينة ليشير باصبع الاتهام الى الحزب العربي الاشتراكي وبيروا الاخوان المسلمين عندما صرح : "انني نبتت كثيرا الى اضرار زج الطلاب في مضمار الحزبية، وسنظل ننبه، وسنعمل جهدا وطاقنا لابعاد الطلاب عن الحزبية، على ان نعتني اولا بدعم الايمان بالله تعالى".

لقد اراد برمدا بهذا التصريح ان يصور الخلاف بين الاخوان والاشتراكيين العرب بأنه خلاف بين الايمان بالله وبين الالحاد، وتغطية لهذه الاقوال المتحيزة فقد صرح للصحف بأن التحقيق يجري في حوادث حماه وانه سيتخذ الاجراءات بحق الذين كانوا السبب في اثاره الفتنة، وقد تناسى برمدا في كل ما قاله وما صرح به وبصفته وزيرا للتربية والتعليم ان يشير الى ان عصام العطار قد اتخذ من المسجد الذي يقوم في وسط جامعة دمشق منبرا للتحريض على الاشتراكيين العرب، والى الاعتداءات التي اثارها هذا التحريض بين الطلاب.



كان الخلاف على الغاء قانون الطوارئ من اهم نقاط الخلاف بين ناظم القدسي وزهر الدين وبين خالد العظم الذي يشير الى ذلك في مذكراته :

"لقد كان رئيس الجمهورية واللواء زهر الدين يعارضان الغاء الاحكام العرفية زاعمين ان البلاد لا تزال تشكو من وجود بعض العناصر الناصرية التي سوف تنشط وتستفيد من الغاء حالة الطوارئ للقيام بمظاهرات واعمال تخريبية، وفي صبيحة اليوم الذي دعي فيه مجلس الوزراء الى الاجتماع لبحث الموضوع والبت فيه نهائيا، استدعاني الدكتور ناظم القدسي فوجدت قائد الجيش عنده، فتكلم الرئيس بما لا يخرج عن رأيه السابق في ابقاء حالة الطوارئ، وايده زهر الدين مؤكدا انه لا يتحمل اي مسؤولية اذا اطلقت الحريات، غير ان الاشتراكيين من الوزراء اعترضوا على تأجيل الغاء قانون الطوارئ ووقف الى جانبهم جميع الوزراء".

ويستطرد خالد العظم في مذكراته قائلا :

"وثمة من يقول ان الغاء حالة الطوارئ قد ادى الى انقلاب الثامن من آذار 1963 وان الحكومة تراخت في قمع المؤامرات الناصرية مما ادى الى تلك النتيجة، وانني ارد هذه التهمة وهذا الظن، اذ ان انقلاب 8 آذار لم تقم به الجماهير ولا الجماعات الناصرية، ولم تغل أيدي رجال دوائر الامن لقمع تلك الفتنة بسبب تقييد صلاحياتها، بل كان الانقلاب من صنع الضباط وبالاتصال مع جماعة العراق العسكريين، ولم يكن لقانون الطوارئ دخل في امكان قمع تلك الحركة بقانون ينفذ على المدنيين دون العسكريين"

"وكما اننا لم نجد انفسنا عاجزين عن قمع المظاهرات البسيطة التي قام بها بعض الطلاب الناصريين بما لدى سلطات الامن من صلاحيات عادية وبما لدينا من قوانين جزائية" (ص331-332 الجزء الثالث)

لقد أخذ الوضع في سورية يستقر بالرغم من الغاء حالة الطوارئ بعد ان حددت حكومة خالد العظم الاسس التي سيقوم عليها مستقبل سورية الاقتصادية والسياسي والتنموي في الخطاب الذي اذاعه العظم بتاريخ 1962/12/21، مما ادى الى مزيد من طمأنة الفعاليات الاقتصادية التي كانت قد عقدت مؤتمرا لها في حلب (1962/11/19 النصر) بعد ان زالت كل العوائق التي كانت تكبل الاقتصاد السوري ونموه الى درجة كبيرة واصبح من المأمول عودة رؤوس الاموال التي هربت في عهد الوحدة الى خارج سورية.

وكان البيان الذي القاه خالد العظم رئيس الوزارة القومية من اهم البيانات التي رسمت بالتفصيل، تصور الوزارة لسورية المستقبل، سياسيا واقتصاديا، واجتماعيا وفيما يلي اهم فقراته (الرأي العام 1962/12/22)

"ان اهتمامنا الاول منصب على ترسيخ دعائم الاستقرار في الوطن، وضمانة الحريات العامة للمواطنين، وليس للحريات عندنا من حدود سوى ما تفرضه مصلحة الوطن العليا، وفقا لاحكام القانون. اننا نعمل دائما لتوطيد الاستقرار على دعائم من الحرية، ونريد ان نستزيد من الحرية البناءة، لنزيد في تدعيم الاستقرار.

لذلك فإن حكومتكم القومية مازالت عند العهد الذي قطعته لكم، بأنها ماضية في اعداد التشريع الذي تقتضيه المصلحة العامة لالغاء حالة الطوارئ، في الموعد المضروب، لتنتقل بعد ذلك الى اعداد التشريعات اللازمة للسماح بتأليف الاحزاب السياسية ووضع قانون الانتخابات العامة، كمقدمة لاجراء الانتخابات الحرة النزبهة في شهر تموز القادم ان شاء الله.

ورغم ان حالة الطوارئ من الناحية النظرية والقانونية مازالت قائمة في البلاد لايام محدودة اخرى، فإن كل مواطن منصف يقر ان الحريات العامة التي يتمتع بها شعبنا افضل من الحريات العامة

## **المتوفرة لأي شعب آخر في الشرق الاوسط كله. ومثل هذه الحقيقة الحية لا يمكن ان ينكرها او يشك بها الا مكابر او مغرض".**

"اما اهتمامنا الثاني، فإنه منصب في الوقت نفسه على انجاز بعض مشاريعنا الانمائية التي بدأناها وسأحدثكم عنها بعد قليل بالتفصيل، والوصول في الوقت نفسه الى الطريقة الافضل لتحقيق مشروع سورية الانمائي الاول، مشروع سد الفرات. وكما سبق ان قلت لكم مرارا، فإن الذي تهتم به سورية حكومة وشعبا هو اقامة هذا المشروع وانجازه، والحكومة متيقنة ان هذا المشروع سينفذ وان سورية قادرة على تنفذه بمواردها، ان احتاج الامر ولكنها مازالت تؤثر ان تنفذ مشروعها العظيم ليفيد المواطنين والوطن من خيراته وثمراته بأسرع وقت ممكن. كما انها تحرص في الوقت نفسه على انجاز بعض مشاريعنا الانمائية الاخرى في الوقت الذي تنفذ فيه مشروعها الانمائي الاول.

ولهذا فقد سلكت الحكومة طريق التعاقد مع بعض الدول الاجنبية للحصول على تسهيلات ائتمانية، لانها تريد ان تسرع في تنفيذ مشاريعها الاساسية كلها، لتزيد في دخلها القومي، لصالح رفع السوية المعاشية لابنائها جميعا وبأسرع ما يمكن.

وانا لا اريد ان يفهم احد من ذلك اننا نؤثر من حيث المبدأ دولة اجنبية على دولة اجنبية اخرى في التعاقد على المعونات والتسهيلات الائتمانية لتنفيذ مشاريعنا الانمائية وانما الذي نؤثره دائما هو التعاقد مع الدولة التي تقدم لنا الشروط الفنية والمالية الافضل لصالح تنفيذ مشاريعنا، اذا ما تساوت النيات الطيبة في العروض، ومعيار النوايا الطيبة عندنا الافعال الصادقة لا الاقوال والوعود المعسولة. وعلى هذا الاساس فقد عقدنا اتفقا مع الولايات المتحدة لانشاء صوامع الاغلال وبموجب هذا الاتفاق حصلنا على قرض قيمته 15 مليون دولار يسدد خلال اربعين سنة بفائدة قدرها 4/3 بالمائة، وهذا القرض يسد الجزء الاكبر من نفقات هذا المشروع الحيوي الذي يكلف انشاؤه 82 مليون ليرة. وابتداء من مطلع عامنا الجديد، ستباشر سورية باقامة احدى عشرة مجموعة من الصوامع ومستودعات الحبوب في مختلف مناطقها".

**"عودة الان - ايها الاخوات والاخوان - الى نقطة اهتمامنا الثالثة، نقطة السعي المخلص لحكومتمكم القومية، لكي ترفع**



سورية العربية راية نظامها الجديد عاليا، نظام التلازم بين الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية في ظل الدستور والحرية والعدالة، فقد انتهت التجارب الطويلة التي مرت بها سورية، وكان بعضها شديد القسوة، الى اقتناع ابنائها ان كل قتل للحرية السياسية على حساب انجاز الاصلاحات الاجتماعية اولا انما هو قتل لانسانية الانسان، والانسان اعز ما في هذا الوجود، كما اقتنعت اكثرية ابنائها في الوقت نفسه انه ليس من حرية صحيحة لاصحاب البطون الجائعة، والعقول الجاهلة، والاحساد المريضة.

ولهذا فإن سورية العربية اليوم ترفع الراية الثالثة في الوطن العربي، راية التلازم الذي لا انفصام له بين الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية، وتنادي ان الانسان العربي بحاجة الى الحرية، والى الخبز، والى الكرامة معا، وان كل تضيق لهذه الحاجات المتلازمة الثلاث او تعريق بينها انما هو قتل عمدا لها جميعا، بل قتل لانسانية الانسان، ومن هنا تجدون انني وزملائي السادة الوزراء في حكومتكم القومية قد جهدنا لاشباع جو وطننا حرية، وعدلا، وعملا، ومشاريع مثمرة، تكون خيراتها للمواطنين جميعا، فيقدر حرصنا على اشاعة الاستقرار، والثقة، واطلاق حرية تشكيل الاحزاب السياسية، والاعداد لانتخابات نيابية حرة، وتنفيذ مشاريع الوطن الانمائية لتزيد في ثورتها القومية، حرصنا على صحة تنفيذ قانون الإصلاح الزراعي، واسرعنا في تملك الاراضي للفلاحين، واعدنا ما يلزم للتعويض على من شملهم قانون تحديد الملكية الزراعية، وحافظنا على مكتسبات العمال، وسعينا لتصريف امور الدولة على وجه الحق ضمن حدود القوانين والانظمة".

"انا في هذه الايام نشهد تمخضا لاقامة احزاب سياسية جديدة، وقيام الاحزاب السياسية امر طبيعي في بلد ينشد الديمقراطية والتمكين لها، لانه لا حياة ديمقراطية عمليا، ومن غير قيام احزاب سياسية".

"ولكن دعوني اقل لكم عامة، ولمن يتطلعون لتشكيل احزاب سياسية خاصة ان قيام الاحزاب السياسية في هذه المرحلة التي

يجتازها وطننا، يجب الا يعني قيام حرب باردة او حامية بين الاحزاب".

"المهم ان يعرف كل حزب سياسي، ان ما من حزب واحد في هذه المرحلة التي يعيشها الوطن له الاكثرية المطلقة وبالتالي ما من حزب يستطيع ان يستلم مسؤولية الحكم لوحده. وما دامت هذه هي ارادة الشعب، فمعنى ذلك ان الشعب يريد من الاحزاب بدورها ان تتعايش وتتعاون".

"ان طبيعة بلادنا لا تسمح بعد لأي حزب سياسي ان تكون له صلة الاغلبية المطلقة في هذه المرحلة لينفرد بالحكم لوحده. وكل محاولة للاصطناع لا تعكس واقع الشعب وارادته، لن تكون نتائجها خيرة لا على الذي يصطنعونها، ولا على النظام الديمقراطي ولا على الوطن.

واري ان الحكم القومي المستند الى ميثاق وطني يجب ان يدوم حتى تحقيق هذا الميثاق، وعندها يكون الوطن قد نعم خلال فترة معقولة بحكم مستقر يشترك فيه جميع العناصر السياسية الحزبية كما يصح الحكم مستندا الى تنفيذ منهاج معين في فترة محدودة ومعينة، فإذا ما انتهى تنفيذ هذا المنهاج، كان للاحزاب السياسية، اما ان تتفق على منهاج آخر، وتبقى معا في حكم قومي، ريثما يتم تحقيق المنهاج الوطني الثاني او ينسجم بعضها في تشكيل حكم ائتلافي لتنفيذ منهاج جديد واضح، في حين تمارس الاحزاب الاخرى التي ليس لها الاكثرية في المجلس مهمة المراقبة والمعارضة البناء وفق الانظمة الديمقراطية الدستورية".

ان الديمقراطية الصحيحة والسليمة يجب ان ترسخ في نفوس المواطنين وعقولهم جميعا، وكما ادت سورية العربية دورها الطبيعي في موكب العمل للتحرر العربي الشامل من الاستعمار ونفوذ، حتى اصبحت بلدا من اصحاب الرسالات في هذا المضمار، فيجب ان تؤدي دورها الطبيعي الجديد في ترسيخ المفهوم الديمقراطي الصحيح في الوطن العربي كله، دون ما تدخل بالشؤون الداخلية لأي جزء من اجزائه، لان النموذج الحي هو النموذج الذي يحتذى ولنتعاهد جميعا على ان نجعل من بلدنا

## النموذج الحي للحكم الديمقراطي الصحيح والسليم لتؤدي سورية العربية رسالتها نحو الامة العربية جمعاء، لخيرها ولخير الانسانية".

ثم يعدد البيان المشاريع الانمائية التي تنوي حكومته الاهتمام بها وفي مقدمتها سد الفرات، ثم ارواء الاراضي المستحدثة في الغاب من سد الرستن واستثمار مياه نهر السن، وتوسيع زراعة الحمضيات، انشاء مرفأ في طرطوس ليكون اكبر ميناء في الشرق العربي وربطه بسكة حديد مع حمص ووضعه تحت تصرف الاشقاء العرب، متابعة تنفيذ مشروع الروج، استثمار مياه اليرموك، توسيع مرفأ اللاذقية ومطارها، انشاء اسطول تجاري سوري، الاسراع بتوزيع الاراضي في منطقة اللاذقية واعطاء الاولوية في التوزيع للمحتاجين من سكان المحافظة المجاورين للغاب عند توزيع اراضي الغاب، بالاضافة الى عدد آخر من المشروعات، مع ملاحظة ان جميع المشروعات القائمة حتى الان في سورية قد استطاعت الدولة ان تسدد نفقاتها من اموالها الجاهزة بدون اي مساعدة خارجية الى ان يقول : وليسمح لي المواطنين الاعزاء ان اؤكد مجددا بأن سورية تستطيع عند الحاجة ان تعتمد على نفسها سواء في تأمين وسائل الدفاع الوطني بدون الحاجة الى اخذ الاسلحة والعتاد بالمجان من أية دولة اجنبية وذلك حتى لا تسخر سياستها لسياسة الدولة المتبرعة بالاسلحة وسواء في تأمين وسائل ازدهارها الاقتصادي عن طريق تنفيذ المشاريع الانمائية الى تدر على الخزينة موارد كبيرة وتسهم في رفع السوية الاجتماعية والاقتصادية بشكل مطرد وملموس.

وينتهي خالد العظم الى القول:

**"وعندما نستطيع ان ننهي بعض تشريعاتنا الاساسية، وندفع الى الامام مشاريعنا الانمائية، ونجري الانتخابات النيابية الحرة في موعدها المحدد، انقدم عندها الى مجلسنا النيابي الجديد لاقدم له كشف الحساب، وانا واثق بأنني قد بلغت اقصى ما يتمناه رجل سياسي مثلي، من اختتام لعمله السياسي على وجه تطلع معه لارضاء الاله الذي اعانه، وضميره الذي حركه، والشعب الذي احبه ووثق به، وعندها اكون قد اكتسبت الفخر الذي سأبقى معتزاً به ما حييت، فخر كل من آمن بشعبه وعمل لوطنه، واعطى لخير بلده كل ما اعانه الله عليه".**

## رحم الله خالد العظم لقد كان وطنيا ورجل دولة بحق.



كان البدء بتنفيذ سد الفرات اهتماما رئيسيا لي في تلك الفترة ولوزرائنا المشاركين في الوزارة القومية، ولكنني كنت شاكا باقدام المانيا الغربية على تنفيذه، وقد اعربت عن ذلك بحديث لمجلة الشام نشرته بتاريخ 1962/12/16:

الاقتصاد هو الموجه الحقيقي للسياسة، وقد اصبح الاقتصاد في هذا العصر دعامة كل امر من الامور، وكل شأن من الشؤون، لذلك ارى دوما ان برامج التنمية في بلادنا هي اهم القضايا التي يجب ان نعالجها، ولا يمكننا الوقوف في وجه المطامع الاستعمارية الصهيونية الا بقدر ما نحققه لبلادنا من تقدم في الميدان الاقتصادي.

ان اول دعائم الاقتصاد في الشرق العربي هي مشاريع الري، فلا حضارة ولا صناعة ولا تجارة ولا تقدم ولا ازدهار الا بقدر ما نحوي ونروي من اراضينا، فالاقتصاد الزراعي الثابت القائم على مشاريع الري والغراس والتحريج هو البداية لتطوير التصنيع وازدهار التجارة بل هو الاساس لاشادة الحضارة وتحقيق التقدم والرخاء لهذه البلاد. وان الاقتصاد الزراعي الذي يعتمد على الامطار وحدها اقتصاد قلق مضطرب يهدد بالرجوع دوما الى حالة البداوة.

ان سد الفرات يروي حوالي تسعة ملايين دونم، اي ضعف اراضي المساحة المروية الان في سورية، وعدا ذلك فإنه يولد طاقة كهربائية بما تزيد على ثلاثمائة الف كيلووات، وهي طاقة كافية لانارة سورية بكاملها وستسخر للازدهار الصناعي دون شك، ان الغرب قد انفق كثيرا لتحقيق توازن القوى بين العرب واسرائيل خلال الخمسة عشر عاما المنصرمة لذا كان علينا ان نقلب هذا التوازن لمصلحة العرب، ان القوى العسكرية اليوم اصبحت اقتصادا وارقاما، وان هذه القوى اضحت تقدما وعلما، فالتقدم العلمي نفسه اصبح ايضا اقتصادا وارقاما، وان القوة العسكرية لأمة من الامم تكمن في قوة اقتصادها. وسد الفرات سيستوعب ويمتص كثافة السكان في سورية في الاعوام المقبلة، وسيزيد من انتاجنا الزراعي والصناعي والتجاري.

لقد بدئ بتنفيذ هذا المشروع عام (1957) حيث كان في برنامج التنمية الذي وضع عام (1956)، اقول بدء بتنفيذه فعلا، لان الدراسات

التفصيلية كانت قد طرحت آنذ في مناقصة عالمية، ولا ادري ما هو السر الذي دعا الى الغاء هذه المناقصة. ثم قامت الوحدة عام (1958) واجرى الخبراء السوفييت دراسة اولية على هذا المشروع، وكانت دراسة مفيدة ومجدية. وبعد استقالتنا عام (1959) عقد جمال عبد الناصر اتفاقا مع المانيا الغربية لتنفيذ هذا المشروع، ومنذ ذلك الحين وحتى الان لم تنته الدراسة التفصيلية، وما تزال المانيا الغربية تماطل وتراوغ، فطورا تدعي بأنها ابرمت الاتفاق مع الجمهورية العربية المتحدة، وان سورية اصبحت غير محتاجة لهذا المشروع او غير قادرة على ايفاء التزاماتها المالية من جراء تنفيذه، او انها -اي المانيا- تعلق عقد اتفاقها معنا على اجراء مباحثاته مع تركيا.

والحقيقة الواضحة كما قلنا في اجتماع جرى في لجان المجلس النيابي السابق بحضور رئيس الحكومة الدكتور معروف الدواليبي، والسيد نور الدين كحالة، ان المانيا الغربية لا يمكن ان تنفذ هذا المشروع، وانها تماطل وتراوغ لاضاعة الوقت، وأنها واقعة تحت ضغط امريكا والصهيونية العالمية التي ترى في تنفيذ مشروع سد الفرات نتائج هامة وخطرة على المصالح الاستعمارية والصهيونية في المنطقة العربية كلها.

ويمضي عام على الاجتماع المذكور ولا تزال المانيا تسوف وتختال، وهكذا انصرمت خمس سنوات من حياتنا الاقتصادية دون ان تنتهي الدراسة، ودون ان نبت بالطريقة التي نمول بها مشروعنا الضخم.

وفي هذا الوقت بالذات يحرك الاستعمار عملاءه لاثارة الفوضى والتخريب في بلادنا، واصطناع خطر الشيوعية عليها، مع ان سورية امنع بلاد العرب امام الغزو العقائدي الشيوعي، ولكن الغرض مكشوف ومفضوح، فالاستعمار والصهيونية المتآمرة مع المانيا الغربية، لمماطلتنا وإضاعة الوقت علينا، تستهدف تخويفنا من الخطر الشيوعي حتى لا نفكر في الاتجاه نحو الاتحاد السوفيتي او دول اخرى لتمويل هذا المشروع.

انني اجزم بأن استثمار البترول في سورية، وانشاء سد الفرات، هما المحرك للاستعمار والصهيونية لاثارة القلق والفوضى والتخريب في بلادنا، واصطناع الخطر الشيوعي علينا حتى لا تتمكن سورية من استثمار بترولها وانشاء سد الفرات فيها. وهذا هو سر المعركة القائمة بين الاستعمار والصهيونية وبين شعبنا المناضل لتحقيق تقدمه وارتقائه ورفاهه.

منذ اكثر من عام قرأت لأحد النواب الالمان اليهود استجوابا يطلب فيه من حكومته، (وهي المانيا الغربية طبعاً) ان لا تمويل سد الفرات لأنه انحياز واضح للعرب وتهديد فاضح لاسرائيل، والان اقرأ في الصحف ما يفيد ان السد هيرستنماير (وهو رئيس البوندستاغ الالمانى الغربى) قام بزيادة رسمية لاسرائيل في اواخر شهر تشرين الثانى المنصرم، وان هذه الزيارة استغرقت تسعة ايام، كما زارها قبل ذلك السيد باول اديناور وهو ابن مستشار المانيا الغربية اديناور، والسيد ديللار نائب رئيس البوندستاغ وذلك بمناسبة مرور عشر سنوات على توقيع اتفاقية التعويضات بين اسرائيل والمانيا الغربية، هذه التعويضات التي منحت بموجبها المانيا الغربية لاسرائيل (850) مليون دولار تدفع على اثني عشر عاماً. والى جانب آخر تعاون عسكري بين اسرائيل والمانيا.. ففي عام 1960 قررت حكومة اديناور ان تخصص في موازنة الطاقة الذرية اعتماداً قدره ثلاثون مليون مارك لتمويل الابحاث الذرية الجارية في اسرائيل، كما قدمت حكومة بون مساعدات شملت بناء عدد من الاهداف العسكرية والحربية.. وفي اجتماع (هيرمستنماير) اثناء زيارته الاخيرة المذكورة لاسرائيل تحدث عن استعداد حكومة المانيا الغربية لبناء مؤسستين صناعيتين ضخمتين لحساب اسرائيل في افريقيا.. وغير ذلك كثير من المساعدات الالمانية لاسرائيل.

ولكن محاولات امريكا واسرائيل لن تؤثر ابدا على اشادة سد الفرات، لأن بإمكان سورية الاعتماد على الاتحاد السوفيتي في تنفيذ هذا المشروع مثلما اعتمد جمال عبد الناصر على الاتحاد السوفيتي نفسه في بناء المرحلتين من مشروع السد العالي. كما اجزم ايضا بأن سورية قادرة وحدها اذا استثمرت مواردها البترولية على تمويل مشروع سد الفرات دون اي تأخير او ابطاء فيما اذا تعذر عليها الاعتماد على الاتحاد السوفيتي.

وإذا لجأنا في تمويل مشروع سد الفرات الذي استنكفت المانيا الغربية عن تمويله الى الاتحاد السوفيتي، فليس لاننا عاجزون عن انشائه بانفسنا، بل لاننا نريد كسب الوقت الثمين، وحتى لا تتأخر برامج التنمية الاخرى عن مواعيدها، لاننا في سباق مع اسرائيل والاستعمار، وعامل كسب الوقت مهم واساسي في المعركة القائمة بينهما وبين العرب.

لذلك كان من اهم واجبات الحكومة القومية القائمة، قطع الطريق على التسوية والمماطلة واضاعة الوقت، والبت في طريقة تمويل هذا

المشروع الكبير، فقد كفانا اننا اضعنا خمسة اعوام سدى مع انه كان يمكن تحقيق المرحلة الاولى لهذا السد والمقدر لها ثلاثة اعوام، وكنا بدأنا بتنفيذ المرحلة الثانية وان وراء المانيا الغربية في تسويقها ومماطلتها امريكا واسرائيل، وليس المقصود فقط هدر الوقت، بل المقصود ايضا الضغط على سورية في قضية استثمار بترولها في المفاوضات الجارية مع شركة كونكورديا الالمانية الغربية.



في هذه الفترة عندما كانت سورية تحاول ان تلتقط انفاسها، وان تعيد الحياة لاقتصادها، كان عصام العطار يتجول في المدن السورية، ومنها مدينة حلب، ليخطب في مساجدها معرضا بالاشتراكيين وبحكومة خالد العظم، محرضاً عليهما، مردداً النغمة القديمة حول التخوف من الشيوعية بالوقت الذي كانت فيه حكومة العظم جادة في تشجيع القطاع الخاص، وتنشيطه والاعتماد عليه، وعلى تنمية الاقتصاد السوري، وقد تولى الاقتصادي السوري المشهور عزت الطرابلسي هذه المهمة فبدأ بتحضير المشاريع التالية التي رفعها الى مجلس الوزراء لاقرارها :

- 1- انشاء صندوق توفير بريدي يشجع الافراد على الادخار ويكون مورداً للحكومة في مشاريعها التنموية.
- 2- انشاء بورصة للاسهم المالية.
- 3- تعديل قانون البنك الصناعي.
- 4- انشاء مراقبة للتصدير.
- 5- انشاء اسطول تجاري.

وكان الوضع الاقتصادي في سورية كما تحدث عنه الدكتور عزت الطرابلسي لوكالة الانباء العربية:

**"ان الاقتصاد السوري تميز عام 1962 بزيادة محسوسة بالدخل القومي بلغت 350 مليون ليرة بحيث بلغ الدخل (2.750) مليارين وسبعمئة وخمسين مليون ليرة، وذلك بسبب زيادة الانتاج الزراعي لجودة الموسم،**

**ونشاط الحقل الصناعي وحركة المطار والفعالية التجارية... ان هذا العام تميز باستقرار اقتصادي وثبات قوة النقد السوري رغم الاستيرادات والنفقات غير المنظورة مما يجعل عام 1963 اكثر ازدهارا في مختلف النشاطات الاقتصادية. (النصر 1963/12/9)**

□

لقد رأيت من المفيد ان اسافر الى حلب، المدينة الاولى في سورية من حيث فعاليتها الاقتصادية، لامحو الآثار التي خلفتها خطب عصام العطار في المساجد واتصالاته بالجمعيات الدينية والفئات اليمينية، فعقدت مؤتمرا اجبت فيه بكل صراحة على مختلف الاسئلة التي طرحها علي الصحفيون الحلبيون وقد نشرت الحديث تحت العناوين التالية :

**مسؤولية الاحزاب في الصمود امام المغامرين.**

**نحن مع اليمين الوطني لما فيه مصلحة الوطن.**

عقد السيد اكرم الحوراني مؤتمرا صحفيا في حلب اجاب فيه على عدد من الاسئلة التي وجهت اليه فأجاب على سؤال عن رأيه بما اعلنه السيد رشاد برمدا بالعودة الى قانون الاحزاب السابق فقال : ان الحريات العامة نص عليها الدستور السوري عام 1950 والذي اقر مجددا في العام الماضي وموضوع تشكيل الاحزاب هو شرط من شروط الدستور السوري الجديد واعتقد ان القانون المزمع اصداره سيكون منسجما مع نصوص دستورنا والقوانين المكملة له المتعلقة بالحريات العامة خاصة وان الدستور السوري دستور تقدمي نسا وروحا بعد ان الغيت المادة الرجعية الوحيدة فيه والمتعلقة بالاصلاح الزراعي.

وقال ان الحكومة اعطيت مهلة سنة لاعادة البلاد الى الحياة البرلمانية الديمقراطية لذلك فهي ستعمل على وضع قانون الاحزاب وستجري الانتخابات في البلاد.

**وقال ان الاحزاب السياسية هي تلبية لتحقيق امانى الشعب بالتطور والتقدم ويقدر ما تلتزم الاحزاب التي ستنشأ بالمنطق تصمد**



**امام المغامرات والمغامرين الذين يودون اقامة حكم ديكتاتوري وفردى وان شعب سورية عانى كثيرا من المغامرات الديكتاتورية ونرجو ان تكون الديمقراطية السياسية التي تطبق في بلادنا والقائمة على الديمقراطية الاجتماعية حصنا حصينا للبلاد.**

واجاب السيد اكرم الحوراني على سؤال لوكالة انباء الشرق العربي عن رأيه في تخفيف عدد النواب في المجلس النيابي السوري بأن كثرة العدد او قلته لا قيمة لها اذا كانت المجموعة او اكثريتها صالحة، واذا تمكن الشعب من تحدي الظروف المحيطة به وتمكن ايضا من ارسال ممثلين امناء الى المجلس النيابي يصبح العدد الكثير خيرا، وقال ان تخفيض عدد النواب ليس له مبررات، فالموضوع تمثيل الشعب تمثيلا صحيحا.

واجاب على سؤال اخر حول التكتل الاشتراكي الذي دعا اليه بان هذا التكتل هو عملية مؤقتة لظروف محدودة اما الاحزاب فهي لغير الظروف المحدودة. ونفي ما ذكر بشأن احاديثه مع بعض السياسيين حول عودة بعض السياسيين المحكومين والذين هم خارج البلاد.

**واجاب على سؤال اخر فيما اذا كان بالامكان ان يعمل الاشتراكيون الى جانب اليمينيين بأنه يجب التفريق بين اليمين الوطني والعميل وازاف نحن مع اليمين الوطني على اساس وطني ديمقراطي لما فيه مصلحة الوطن العربي وتوجد امثلة كثيرة على هذا التعاون وذلك عندما تعرضت البلاد في بعض الظروف للمخاطر وقفنا جميعا صفا واحدا. و اشار الى انه يوجد في اليمين عملاء كما يوجد في اليسار ايضا عملاء.**

وقال عن التنظيم الجديد لحزب البعث العربي الاشتراكي بأنه سيطرا عليه تعديل وتؤخذ بعين الاعتبار التجارب التي مرت على البلاد والمؤامرات التي تعرضت لها سورية.. وقال اعتقد ان جميع الاحزاب سيطرا على برامجها القديمة تعديل بسبب التجارب التي مرت بها سورية وخاصة التجربة الاخيرة التي ما تزال قائمة لم تنته بعد. وقال عن رأيه بتعدد الاحزاب بأن هذا الموضوع سيقره الشعب كما ان الاحزاب المصطنعة ستنهار تلقائيا.

واجاب السيد اكرم الحوراني على سؤال اخر عن رأيه بالوحدة العربية بأنها يجب ان تقوم على اساس الديمقراطية السياسية والديمقراطية

الاجتماعية وذلك لمنع التسلط والاستغلال وتكون هذه الوحدة قائمة على اساس التكافؤ والمساواة ومنع جعلها مطية للاستغلال والانتهازية والتجارة باسم القومية العربية بالاضافة الى ضرورة عدم وجود تناقضات في الانظمة.

واعلن بأن حزب البعث الاشتراكي سيعمل ما في وسعه للدفاع عن حقوق العمال والفلاحين والطبقات الاخرى الكادحة. واكد بأن الاشتراكيين يؤيدون العمل لتصنيع البلاد وتشجيع رأس المال الوطني، وقال بقدر ما نصنع بلادنا تكون لدينا القدرة للوقوف بوجه الاستعمار واسرائيل كما اننا دعاة لتوسيع عمل نطاق القطاع العام.

وقال ان التأميم في سورية لم يوجده عبد الناصر فسورية امتت شركات الماء والكهرباء وبنك الاصدار قبل ان يعرف عبد الناصر في العالم العربي. واكد السيد الحوراني بأن موضوع فلسطين يجب ان يحتل تفكير مجموع الدول العربية لان قضية فلسطين هي التي طرحت قضية الوحدة بين الدول العربية.

وقال عن رأيه في المساعدات والقروض الاجنبية بأن الميثاق الوطني عام 1956 الذي وقعه رجال السياسة في سورية ينص على الحياد الايجابي وعدم الانحياز وقبول المساعدات من الشرق والغرب شريطة ان لا تكون هناك اي شروط سياسية ضمنية او غير ضمنية. واكد بأن مشاريع التنمية في سورية انما نفذت بأموال وطنية سورية دون الاستعانة بأموال اجنبية وقال ان باستطاعة سورية ان تنفذ مشروع سد الفرات اذا ما تخلت المانيا الاتحادية بتعهداتها عن تنفيذ السد وضرب على ذلك مثلا بالتأمينات الاجتماعية التي تعطي سنويا ما يقارب من 70 مليون ل.س.

وتحدث عن قضية اليمن فقال : اننا نؤيد الثورة لأننا نريد التحرر وثورة اليمن وتحررها رائدنا الاساسي. اما ان تنحرف هذه الثورة او تستغل فهذا ما لا نرضى به مطلقا. **وقال لم يكن في يوم من الايام ليخطر ببالي او ببال اي عربي في ان يقتل العربي اخاه العربي على ارض عربية ولكن هذا ما يحدث على ارض اليمن العربي.** وتقول وكالة انباء الشرق العربي ان السيد اكرم الحوراني دعا في نهاية مؤتمره الصحفي الى العمل من اجل خير سورية والوطن العربي وتوحيد الجهود بين العاملين في الحقل

السياسي من اجل وحدة ابناء سورية والوطن العربي الكبير. (النصر  
1963/1/7 عن وكالة ابناء الشرق العربي)

## **محاولة انقلابية فاشلة بقيادة النحلاوي في الثالث عشر من كانون الثاني 1963:**

في اوائل شهر كانون الثاني 1963 راجت في دمشق  
شائعات بأن عبد الكريم النحلاوي ورفاقه قد عادوا سرا الى  
سورية للقيام بانقلاب بالاتفاق مع الناصريين (ورد صراحة خلال  
مباحثات الوحدة الثلاثية الحديث عن اتصالات النحلاوي مع  
الناصرين ومع عبد الناصر الذي لم ينف ذلك. (ص126)

وفي تاريخ 63/1/13 استدعيت الى رئاسة الجمهورية بعد  
ان سمعت ان حركة تمرد في الجيش قامت في صباح ذلك اليوم  
ولكنها احبطت عندما اقترب زياد الحريري مع قواته في الجبهة  
واصبح على ثلاثين كيلومترا من دمشق.

عندما دخلت القصر الجمهوري وجدت عبد الكريم النحلاوي  
جالسا في الصالون غاضبا ممتقع الوجه، ووجدت عصام العطار في  
غرفة رئيس الجمهورية الذي اخبرني بمحاولة النحلاوي الفاشلة  
وانها حلت سلما.

لقد استغربت يومذاك دعوتي لهذا الاجتماع وقلت في  
نفسي لعل القدسي يريد مني ان انصح عبد الكريم النحلاوي  
بمغادرة البلاد وهو ما اتفق عليه مع قائد الجيش عبد الكريم زهر  
الدين.

ولما خرجت وانا على هذا الظن، وخوفا من صدام الجيش  
والتماسا لخروج النحلاوي سلما من البلاد سلمت عليه وجلست  
بجانبه وكانت المرة الثانية التي اراه فيها بعد المرة الاولى التي  
جرت اثر اعتقالي بعد حركة الثامن والعشرين من آذار 1962 كما  
ذكرت سابقا، وقد حاولت ان اهدئ من روعه.

كما نصحته بأن استمرار الخلافات والتناحر بين ضباط الجيش سيكون له عواقبه الوخيمة على البلاد وعلى القضية العربية وان الروح الوطنية التي يتحلى بها ضباطنا في الجيش السوري ستتغلب في النهاية على هذه الخلافات، ولكن النحلاوي لم يجبني بكلمة بل ظل صامتا ومشيجا بوجهه عني، وقد بررت ذلك يومذاك بكونه من الاخوان وبالخصومة مع البعثيين مما جعله يتابع تسريح اعداد كبيرة من الضباط الموالين للبعث بعد الانفصال.

لقد جاء في مذكرات قائد الجيش عبد الكريم زهر الدين وصف لهذه المحاولة الانقلابية الفاشلة :

"في يوم 1963/1/11 دخل النحلاوي ورفاقه الذين اقصاهم مؤتمر حمص الى سورية عن طريق مخفر باب الهوا المتاخم للحدود السورية التركية، وتاريخ 1963/1/13 برزت حركة العصيان في كل من معسكرات قطنا والقابون والكسوة" ويشير زهر الدين باصبع الاتهام للقدسي عندما يقول :

"اطلعت الدكتور ناظم القدسي ومجلس الوزراء على عودة النحلاوي ومحاولته الانقلابية، ولما ذهبت اليه مرة ثانية، فإذا بالنحلاوي ورفاقه موجودين في القصر الجمهوري وهم مهيب الهندي وفايز الرفاعي، وقالوا لي بحضور رئيس الجمهورية بأنهما حضرا الى بلدهما بعد ان سرحا من الجيش وانهما لا يرغبان بالتوظيف في وزارة الخارجية" ثم يقول :

"ان النحلاوي عندما قام بالمحاولة وضع شروطا لوضع حد لها وهي :

1- الغاء امر نقله الى وزارة الخارجية واعادته ورفاقه الى الجيش فوراً.

2- اخراج كل من اللواء مقعبري والعميد خليل الموصلي والعقيد عدنان عقيل من لجنة الضباط لانتمائهم للحزب الشيوعي.

3- الاسراع بالمحاكمات وضرورة تنفيذ الاحكام التي ستصدر بحق الذين ارتكبوا جرائم القتل في عسيان حلب.

- 4- العودة الى مؤتمر حمص وتنفيذ المقررات التي لم تنفذ.
- 5- الدعوة الى وحدة فورية مشروطة مع مصر شريطة تبديل قيادة الثورة المصرية. (ص360 وما بعدها من مذكرات عبد الكريم زهر الدين).

ومن هذا الشرط الاخير يظهر ان مشروع عودة الوحدة بقيادة المشير عبد الحكيم عامر كان لا يزال واحدا من خيوط هذه المحاولة بالتفاهم مع المخابرات المصرية التي تنتمي للمشير، كما اعتقد بأن هذه المحاولة الانقلابية كانت بالتفاهم مع عصام العطار وبالرضى الضمني من ناظم القدسي، الذي لم يتخذ اي تدبير لمعاقبة النحلاوي ورفاقه بالاحالة الى المحكمة بتهمة التمرد والعصيان، وانما سمح لهم بمغادرة البلاد. بعد هذه الاحداث اتخذ قرار بايفاد زيارة الحريري في بعثة عسكرية الى موسكو ولكن هذا القرار لم ينفذ، ويتحدث عبد الكريم زهر الدين عن ملابسات هذا الايفاد بأنه قرار اتخذه مع لجنة الضباط بالاضافة الى ايفاد ضباط آخرين من كتلة الشوام منهم العميد موفق عصاصة ومسلم الصباغ وسليم شرف الى الاتحاد السوفيتي وهؤلاء اخذ رأيهم في الايفاد بينما لم يؤخذ رأي زياد، ولكنهم بدلوا رأيهم مما دعا زياد الى مقابله وطلب عدم ارساله الى روسيا أسوة بالآخرين، ويعلق زهر الدين في مذكراته على ذلك بما يلي :

"لم اتمكن من تلبية هذا الطلب العادل من زياد الحريري، وهنا لابد من القول الى الدمشقيين الذين انتقدوا فيما بعد الفريق زهر الدين نظرا لتساهله مع زياد الحريري بأنه كان ينبغي ان ينتقدوا رفاقهم الذين بدلوا رأيهم في آخر لحظة وامتنعوا عن السفر الى موسكو رغما عن استشارتهم المسبقة لأنهم أعطوا الفرصة لزياد الحريري للانسحاب من البعثة" (ص347)

وفي تاريخ 1963/3/1 اصدر زهر الدين امر تعيين العقيد زياد الحريري ملحقا عسكريا في بغداد، وتعيين العميد مسلم الصباغ من كتلة الشوام بدلا عنه قائدا للجبهة، والعميد راشد القطيني (الناصري) رئيسا لشعبة المخابرات، كما صدر امر بانهاء مهمة

مطيع السمان (من الضباط الشوام) في قيادة قوى الامن الداخلي ووضعه تحت تصرف القيادة العامة.. وعندما اصر مطيع السمان على عدم تنفيذ هذا الامر ودعمه في ذلك كافة ضباط اليمين، استفادت الفئة المعارضة من هذا الوضع وحرزت زياد على عدم تنفيذ امر القيادة العامة.

ان اصرار عبد الكريم زهر الدين وناظم القدسي على اقصاء زياد الحريري عن قيادة الجبهة اولا الى الاتحاد السوفيتي ثم ملحقا عسكريا الى بغداد، هو اعتقادهما الخاطئ بصلتي مع زياد الحريري الحموي، الذي تربطه بي صلة المصاهرة، وهذا ما يفسر طلب ناظم القدسي الاجتماع بي مع عصام العطار في القصر الجمهوري باعتبار ان العطار وراء عصيان عبد الكريم نحلاوي، وانني وراء زحف زياد الحريري من الجبهة الذي احبط محاولة الانقلاب، كما يفسر ارسال العقيد مزيد الهندي الضابط البعثي من قبل ناظم القدسي وعبد الكريم زهر الدين للاتفاق معي للاطاحة بالوضع في سورية، كما سيرد فيما بعد.

لقد توهم عبد الكريم زهر الدين ان تعيينه راشد العطيني رئيسا للمخابرات، والصباغ قائدا للجبهة سيرضي جماعته والناصرين في آن واحد، وسيبعد زياد الحريري عن قيادة الانقلاب وسيجعله يصل الى ما يأمله من البقاء في قيادة الجيش بمساعدة الناصريين والبعثيين ومن بقي من جماعته من ضباط الانفصال.

وهكذا كانت قيادة زهر الدين للجيش ورئاسة ناظم القدسي للجمهورية ومحاولات النحلاوي ورفاقه المتكررة ومن وراءهم من الاخوان المسلمين بالاتفاق مع المخابرات المصرية السبب الرئيسي في القضاء على محاولات الاشتراكيين العرب، بصورة خاصة، للعودة بسورية الى الاوضاع الدستورية الديمقراطية.

ولكن المسؤولية الاولى تقع على عاتق النحلاوي ورفاقه، وعلى من وراءهم من الطامعين بالتفرد في حكم سورية بأي صورة كانت، ولقد مهد النحلاوي بغباء في حركته بتاريخ 63/1/13

لانقلاب الثامن من آذار 1963 الذي قضى نهائيا على آمال الشعب في سورية بالعودة الى الحياة الديمقراطية وعلى محاولات الاشتراكيين العرب وخالد العظم لاجراء الانتخابات التي تقرررت في شهر حزيران 1963.

ان لؤي الاتاسي الضابط الناصري الذي اصبح قائدا للجيش ورئيسا للدولة بعد انقلاب الثامن من آذار 1963 يقول في محادثات الوحدة الثلاثية عن حركة النحلاوي الاخيرة ما يلي :

"يَلِيّ صار بحركة النحلاوي الأخيرة انه كان فعلا متصلا بجماعتنا، وجماعتنا شجعوه عمليا، وورطوه بعد ذلك تركوه، راحت عناصره الاساسية، كلها طبت في السجن، وقعدت (في السجن) ليوم 8 آذار (1963)، لذلك يقولون : الودويين أخلوا بنا وسابونا، كذابين" (محادثات الوحدة الثلاثية ص126).

**كان انقلاب الثامن من شباط 1963 في العراق مقدمة، بعد شهر واحد لانقلاب الثامن من آذار 1963 في سورية :**

بدأ الوضع الذي كانت تمر به سورية خلال شهر كانون الثاني 1963 بالتآكل من داخله بسبب صراع اطراف الحكم المشتركة فيه.

وكانت اكبر مسؤولية في هذا التآكل تقع على عاتق الاخوان المسلمين -بقيادة عصام العطار- الذين كانت لهم اليد الطولى في انهيار الوضع الديمقراطي.

ولتوضيح ذلك يجب ان نعود قليلا الى انقلاب الانفصال في 61/9/28 الذي كان طابعه اخوانيا يمينيا مما شجع الاخوان المسلمين -لاول مرة في مدينة حماه- على ترشيح مصطفى الصيرفي ونعسان عروانة للنيابة في قائمة واحدة مع الاقطاعيين، ولكن هذه القائمة سقطت بأكملها.

وبمناسبة تشكيل خالد العظم وزارته، طلب منه عصام العطار ترشيح مصطفى الصيرفي للوزارة، فلم يلب خالد العظم طلبه، وانما اختار نبيل الطويل وعمر عودة الخطيب واحمد مظهر

العظمة عن الاخوان وزراء في حكومته، وكان غرض عصام العطار من ترشيح الصيرفي للوزارة تلميعا لاسمه بعد سقوطه في المعركة الانتخابية لانجاحه في المعركة القادمة، ليدق اسفينا في مدينة حماه التي لم يكن للاخوان فيها اثر يذكر، وكان معروفا ان مصطفى الصيرفي هو من اتبع عبد الحميد السراج الذي رشحه في عهد الوحدة لانتخابات الاتحاد القومي.

ويشير خالد العظم الى محاولة عصام العطار ادخال الصيرفي الى الوزارة في مذكراته:

"ان عصام العطار بذل جهدا كبيرا لادخال الصيرفي في الحكومة سواء عند تأليفها او عند خلو وزارة العمل باستقالة منصور الاطرش" (ص434 الجزء الثالث)

لقد اسر عصام العطار استيائه من خالد العظم في نفسه، فقام فيما بعد بتشجيع من رئيس الجمهورية ناظم القدسي وتأييد من اليمين الديني والاقتصادي وبالتحالف مع الفئات الاقطاعية والناصرية والقيادة القومية لحزب البعث بسلسلة من المشاغبات في الجامعة السورية وبعض المدارس في مختلف المدن السورية.

كما جعل من صحيفة اللواء التي منحه القدسي امتيازها منبرا للتهجم على العهد وعلى الاشتراكيين العرب، بينما وقف رشاد برمدا وزير التربية الى جانب العطار في تغطية الفتن والاضطرابات التي اثارها في المدارس وصورها -كما ذكرنا- معركة بين الايمان والاحاد..

ويشير العظم في مذكراته الى تحالفات العطار المتشعبة من اليمين الديني والاقتصادي الى الناصريين مرورا بالقيادة القومية لحزب البعث:

"لقد ثبت لي بعد انقلاب الثامن من آذار كيف كان عصام العطار يخادعنا، لقد احسنت الظن به طويلا ولكن تكشف لي فيما بعد انه كان ذا عشرين وجه وخمسين لسان".(ص372 ج3)



لقد اصبح وجود الاشتراكيين العرب في الوزارة الى جانب الاخوان المسلمين -وهذا وضعهم- امرا لا يحتمل، فقررنا ان يقدم الوزيران الاشتراكيان عبد الحليم قدور وخليل الكلاس وامين النفوري الاستقالة من الحكومة بتاريخ 63/1/25، وعندما سئل امين النفوري عن الاسباب التي دفعت لهذه الاستقالة اجاب:

"انها تتعلق باسباب جوهرية تمس امن وسلامة البلاد، وليس صحيحا لما تذيعه بعض المصادر المغرضة بأن الخلاف بين اطراف الحكم على الوظائف والتوظيف، وانما هو اختلاف على سلامة البلد واستقراره وامنه وسلامة اتجاهه السياسي" (النصر 63/2/1).

لقد ظل خالد العظم مصرا على عدم قبول الاستقالة فلم تتمكن من اقناعه بوجهة نظرنا بأن استقالة الوزراء الاشتراكيين ستخفف عن كاهله الضغوط الداخلية والخارجية، كما يجعل يدنا مغلولة، خلال وجودنا في الحكومة، طليقة بعد الاستقالة بدعم هذه الحكومة وتأييدها.

اما التجار والاقتصاديون والتكنوقراط فقد جزعوا لما شعروا بجدية موقفنا، فبدلوا جهودهم باجتماعات عديدة ليصلحوا ما بيننا وبين عصام العطار، فاشترطنا تراجع العطار عن مواقفه الانتهازية وتحالفه المشبوه مع اعداء الوضع الديمقراطي، وان يحدد مواقفه السياسية بجلاء ووضوح من جميع القضايا، بما ينسجم مع سياسة الحكومة التي يشارك فيها الاخوان المسلمون.

وكان آخر هذه المحاولات الفاشلة في منزل ناظم القدسي وقد اشارت اليها جريدة النصر في 7 شباط 1963:

"لقد فشلت جميع المساعي الحميدة التي بذلتها المقامات العليا والشخصيات السياسية ورجال الفعاليات الاقتصادية منذ عشرة ايام لحمل الوزراء الاشتراكيين على سحب استقالتهم من حكومة خالد العظم في الاجتماع الذي عقده السيدان عصام العطار واكرم الحوراني، وقد اكد الحوراني للصحافيين ان الوزراء الاشتراكيين لن يعودوا عن استقالتهم، وان

تأييدهم لحكومة العظم من خارجها سيكون احدى لها من الاشتراك معها".

وكان بشير العظمة نائب رئيس الوزراء قد قدم استقالته ايضا من الحكومة بتاريخ 1963/1/24 فقبلها خالد العظم في اليوم التالي، وقال لي امين النفوري صديق بشير العظمة ان العظمة - اثر عودته من الولايات المتحدة كموفد لهيئة الامم- كان يائسا من صمود الوضع في سورية تجاه ما يحاك داخلها وخارجها من مؤامرات عربية ودولية، حتى ان محمود رياض صديقه رفض الاجتماع به للتعاون بشأن القضية الفلسطينية التي كانت مطروحة آنذاك في هيئة الامم المتحدة.

لقد كان بشير العظمة في نيويورك عندما تلقت وزارة الخارجية السورية من سفاراتها في الخارج استفسارات عن حقيقة الوضع في سورية مما اضطر خالد العظم لارسال التعميم التالي للسفارات :

"ان الدعاية الناصرية ناشطة بشكل غير عادي وهي ترمي لزعزعة ثقة المواطنين بالاستقرار والى اشاعة البلبلة وتفارقة الصفوف، والى حمل الدول الاجنبية على التشكيك بمستقبل سورية اقتصاديا وسياسيا. ان كل ما يشيعه الاعلام المصري من ان الدماء تسيل في الشوارع وان القتال الناشب بين عناصر الجيش وان الدبابات تجوب الشوارع عار عن الصحة"

وكانت المخابرات المصرية في سورية قد نشطت نشاطا محمومًا مع اقتراب موعد ذكرى الوحدة بتاريخ 23 شباط 1963 لاثارة الاضطرابات والاشاعات وتزامن هذا النشاط، بل ترافق، مع نشاط الاخوان المسلمين فوقعت وبعض الاشتباكات في مدينة حلب وعلقت الدروس في مدرسة الصنائع وبعد المدارس الثانوية، وكانت قد جرت قبل ذلك محاولة لاثارة الفتنة الطائفية في مدينة حمص (بين الاسلام والمسيحيين) فاعتقل على اثرها المحرضون، كما توالى الاشتباكات بين طلاب الاخوان المسلمين والطلاب الاشتراكيين في الجامعة السورية تحت شعار محاربة الشيوعية والالحاد الذي رفعه عصام العطار وهو المعزوفة القديمة لحلف

بغداد ومبدأ ايزنهاور، بينما كان العطار، قد اقترح علي في منزل بشير العظمة، اثناء مشاورات العظمة لتأليف وزارته - اقامة جبهة وطنية تضم الاشتراكيين العرب والاخوان والشيوعيين، فلم وافق عصام العطار والعظمة على قيام مثل هذه الجبهة لأن ضررها اكبر من نفعها ولأنها تضع سلاحا بيد الاعلام الاميركي والغربي ضدنا، وفي هذه الواقعة ما يكشف انتهازية بعض الاخوان ممن يتلبسون بلباس الدين الحنيف.

بعد ان تأكد ناظم القدسي من اصرار الوزراء الاشتراكيين على الاستقالة، اوعز لرشاد برمدا وزير التربية والتعليم بالاستقالة الذي صرح كاشفا الغطاء عن سبب الحملة على الاشتراكيين العرب قائلا :

"انني كوزير في مركز المسؤولية لا اسمح لنفسي ان اشترك في مؤامرة مقصودة او غير مقصودة لعودة سورية الى ما كانت عليه اواخر عام 1957 واول عام 1958، وليس ادل على ذلك من ان اكرم الحوراني كان وراء دفع البلاد الى احداث عام 1958، تلك الاحداث التي آدت سورية، واذا كانت البلاد قد تخلصت من الكوارث التي جرت اليها تلك الاوضاع فإنني اخشى ما أخشاه اذا استمر الحال كما هو ان تقع كارثة -لا سمح الله- يصعب التخلص منها" (النصر 63/1/30)

لقد اراد رشاد برمدا بهذا التصريح ان يثير مخاوف اليمين والدول العربية والغرب من عودة سورية الى عامي 1957/1958 تلك الحقبة التي كان خالد العظم يطمح بها بتأييد السوفييت والحزب الشيوعي في ترشيحه لرئاسة الجمهورية الامر الذي دفع بحزب الشعب والوطني واليمين السوري الى التسابق في تأييد الوحدة مع مصر لأنها اخف الشرين في رأيهم، وقد اشرت الى هذا التسابق في الفصول الماضية.

**وهكذا استبان هدف الاخوان ورشاد برمدا (ومن ورائه ناظم القدسي) من رفع شعار مكافحة الشيوعية ضد الاشتراكيين العرب وضد خالد العظم وهو منع العظم**

من الوصول مستقبلا لرئاسة الجمهورية -وبالتالي بقاء القدس على رأس الحكم في سورية، ولدرء هذه الظنون التي اثارها تحالف القدس وعبد الكريم زهر الدين والاخوان، والتي جرت على لسان رشاد برمدا اعلن خالد العظم تعهده باعتزال السياسة وعدم ترشيحه نفسه للانتخابات القادمة ليطمئن الغرب والولايات المتحدة لسياسة الحكومة التي انتهجت ايضا سياسة الانفتاح الاقتصادي، فقد عدد مدير التجارة الخارجية وعضو لجنة مكتب القطع السيد يحيى عرودكي الخطوات التي اتخذتها الحكومة لالغاء بعض القوانين الصادرة في العهد السابق ولتحرير التجارة الخارجية وهي :

- 1- مرونة الرقابة على النقد الاجنبي واعادة السوق الحرة المحلية للقطع.
- 2- تفويض مديريات الاقتصاد البت بطلبات الاستيراد من غير بلد المنشأ.
- 3- ان ادارة مكتب القطع قد سددت 150 مليون ليرة من اعبائها بالنقد النادر. (النصر 1963/2/8).

لقد حسب خالد العظم ان اتفاه مع ناظم القدس على تلزيم المانيا الغربية المرحلة الاولى من سد الفرات ما يطمئن الولايات المتحدة والغرب بالرغم من قناعاتي بأن المانيا لن تعقد مثل هذه الاتفاقية الا اذا حصلت شركة كونكورديا على امتياز استثمار البترول السوري في قراشوك، الامر الذي كنت اعارضه، فقد كان رأي الاشتراكيين العرب أن سورية يجب ان تستثمر بترولها بنفسها، وهذا ما صرح به ممثلهم في الوزارة عبد الحلیم قدور.

"لقد درس مجلس الوزارة اولا -موضوع سد الفرات وقرر ما يلي : ان الحكومة عازمة على تنفيذ هذا المشروع الحيوي بالنسبة لسورية سواء بالاعتماد على امكانياتها الخاصة او

بالاتفاق مع اية جهة دولية على اساس ضمان تنفيذ المشروع  
باسرع وقت ممكن وفق مصلحة البلاد دون اي اعتبار آخر.

ثانيا - درس قضايا البترول وقرر تشكيل لجنة وزارية تشرف  
على شؤون البترول وتضع الحلول السريعة الحاسمة لاستثمار  
البترول بعيدا عن الاستغلال الاستعماري لثرواتنا النفطية" (النصر  
كانون اول 1962).



لا شك ان الولايات لمتحدة بقيت غير مرتاحة لخالد العظم  
الذي صرح للسفير الاميركي في اول مقابلة معه بعد تأليف  
الحكومة :

"اننا لا نخدمكم بالقول المستحب عندكم، فلا نعدكم بما  
يعدكم به غيرنا، فنحن لا نقبل الصلح مع اسرائيل، ولا تحويل نهر  
الاردن، ولا توطين اللاجئين الفلسطينيين، ولكننا لن نقوم بهجوم  
على اسرائيل" (المذكرات ص309 ج3).

لقد كان خالد العظم في موقفه هذا معبرا عن سياسة  
سورية الثابتة والعنيدة في مواجهة العدوان الاسرائيلي الدائم  
وتوسعه على حساب البلاد العربية.



في هذه الفترة كانت علاقات الادارة الاميركية، في عهد  
كندي، علاقات ودية مع جمال عبد الناصر، فكانت تؤيد سياسته  
في المنطقة العربية وتمده بالمعونات والقروض لدعم  
استراتيجيتها وتأمين مصالحها بالقضاء على الاحزاب اليسارية  
الوطنية والاحزاب الشيوعية، ولقد اجريت مع مصطفى حمدون  
تقييما للاوضاع في الجيش السوري قبيل انقلاب الثامن من شباط  
في العراق، فكان تقديرنا انه لا يمكن وقوع انقلاب عسكري لصالح  
عبد الناصر في سورية.

ومن جهة ثانية فإن الوضع الديمقراتي في سورية كان  
قادرا على الصمود في مواجهة المحاولات التي استهدفت

اسقاطه سواء من داخل البلاد او خارجها لولا تأمر ناظم القدسي  
وعبد الكريم زهر الدين وهما على رأس النظام.

يقول خالد العظم في مذكراته :

"لقد كانت العلاقات بين ناظم القدسي والسفير الاميركي  
متينة للغاية، وكان البعض يفسرها بأنها ناشئة عن التفاهم بين  
القدسي والحكومة الاميركية على السياسة العامة، وانا اميل  
الى الاخذ بصحة ذلك... غير ان بعض مواقف ناظم القدسي تدعو  
الى سوء الظن". (ص312 ج3)

## انقلاب الثامن من شباط في العراق

واجهت سورية انقلاب الثامن من شباط 1963 في العراق  
بحكومة ضعيفة استقال منها وزراءها السياسيون دون ان تنشر  
مراسيم استقالتهم، وكانت الوزارات الشاغرة تدار بالوكالة، واثر  
اعلان الانقلاب - وكان خالد العظم منقطعاً عن العمل بسبب وعكة  
صحية - دعائي ناظم القدسي للقصر محاولاً اقناعي اما بتشكيل  
حكومة قومية جديدة واما بعود الوزراء الاشتراكيين عن  
استقالتهم تداركاً للظروف الدقيقة التي تمر بها البلاد والمنطقة،  
فقلت له لقد فات الاوان واننا لن نتراجع عن استقالتنا ولن نشترك  
بأي وزارة أخرى، سواء كانت صفتها قومية او ائتلافية، وقلت له  
في ذلك الاجتماع:

ان الازمة التي تمر بها البلاد هي من صنع يديك، فلولا  
تشجيعك لكل الفئات المناوئة للاشتراكيين العرب لما وصلت الامور  
الى ما وصلت اليه، وكان القدسي قد دعا ايضاً عصام العطار  
للاجتماع به فبقي العطار منتظراً خارج غرفة الاجتماع.

وبتاريخ 63/2/16 اضطر خالد العظم وناظم القدسي لاصدار  
مراسيم استقالة الاشتراكيين والاخوان المسلمين الذين كانوا قد  
قدموا استقالتهم بعد ذلك ولتعيين اسعد الكوراني نائباً لرئيس  
الوزراء واسندت الوزارات الشاغرة بالوكالة الى الوزراء فرحان

الجندي وجورج الخوري ونور الدين وكحالة وعزيز عبد الكريم وعزة الطرابلسي ومظهر العظمة الذي لم يستقل مع وزراء الاخوان المسلمين.



في صبيحة يوم الجمعة 63/2/8 قطعت اذاعة بغداد برامجها واذاعت البلاغ التالي :

"لقد قام الجيش صباح اليوم بالقضاء على نظام عدو الشعب عبد الكريم قاسم، هذا النظام الذي قسم البلاد، وصادر الحريات الدستورية، وعذب المواطنين، وطعن الحركات التحررية العربية في ظهرها، ومنع تقدم الشعب العراقي.

ان ثورتنا التي تؤيدها كافة التكتلات الشعبية لها هدفان : الاول تحقيق الوحدة الوطنية والثاني يرمي الى مشاركة الشعب في حكم البلاد وفرض هيبة القانون.

ان المجلس الوطني يريد ان يؤلف حكومة تعتمد على الشعب، وتكون مهمتها تحقيق الاهداف الحقيقية لثورة عام 1958، وستتعهد هذه الحكومة باحترام مقررات باندونغ والتضامن الافريقي الآسيوي وستؤيد الحركات التحررية في البلدان العربية ونضال جميع الشعوب العربية ضد الاستعمار وتكفل أخيرا لجميع الشركات صاحبة الامتيازات الاجنبية بأنه سيكون لها مطلق الحرية في استثمار البترول العراقي".

ثم توالى البلاغات التي اعلنت تشكيل المجلس الوطني لقيادة الثورة بصلاحياته التشريعية والتنفيذية، وانتخاب عبد السلام عارف رئيسا للجمهورية وتشكيل الحكومة من 12 وزيرا منهم سبعة وزراء بعثيين وهم :

الزعيم احمد حسن البكر الذي عين رئيسا لمجلس الوزراء، علي صالح السعدي نائبا للرئيس ووزيرا للداخلية، والمقدم الركن صالح مهدي عماش وزيرا للدفاع، طالب شبيب وزيرا للخارجية، الدكتور عزة مصطفى وزيرا للصحة، والدكتور سعدون حمادي وزيرا للاصلاح الزراعي وحازم جواد وزيرا للدولة.

وقد سارع مجلس الوزراء السوري فاتخذ منذ اليوم الاول قرارا بالاعتراف بالوضع الجديد في العراق. وفيما يلي نص الاعتراف:

"اجتمع مجلس الوزراء في القصر الجمهوري بتاريخ 15 رمضان الموافق 9 شباط برئاسة رئيس الجمهورية، وقد استعرض الموقف بالعراق الشقيق والاحداث التي جرت فيه، ولما كانت حكومة الجمهورية العربية السورية تعبر عن رأي الشعب العربي في سورية الذي يؤمن بحكم الشعب والديمقراطية ويحارب حكم الفرد والديكتاتورية وتؤمن بأن التطور والتقدم والتحرر الصحيح هو الذي يستند الى ارادة الشعب لاتاحة الحرية لافراده للتعبير عن آرائهم وأفكارهم واتجاهاتهم بالحكم الذي يرغبونه ويرتضونه، ومادامت شعارات الثورة العراقية تهدف الى هذه المثل العليا، فقد قرر مجلس الوزراء الاعتراف بالوضع الجديد في العراق".

كما ارسل رئيس الجمهورية برقية تهنئة الى الرئيس الجديد عبد السلام عارف.



في اليوم الاول للثورة عقدت بعض قيادات الاشتراكيين العرب اجتماعا في منزل الاستاذ رياض المالكي، فلاحظت ان المجتمعين كانوا متفائلين جدا بمستقبل هذه الثورة ومن انعكاساتها على الوضع في سورية وكانت آراؤهم كما صرح مصطفى حمدون:

"ان ثورة العراق عمل وطني محض وان بواعثها قومية، وليس لأي دولة عربية يد في هذه الثورة الواضحة الاهداف بالسعي لتحقيق النظام الديمقراطي واقامة الوحدة والاشتراكية، وإنما نعلق على الوضع الجديد في القطر الشقيق اكبر الآمال في تعزيز العلاقات السورية العراقية".

كما صرح عبد الغني قنوت "بأن قادة العراق الجدد ليس لهم أي ارتباط بالمخابرات المصرية" (النصر 63/2/11).

لم اكن في هذا الاجتماع متفقا في تقييمي للثورة في العراق مع كثير من الموجودين وكان مرد تشاؤمي ما ورد في اول



بيان للثورة من تعهدها سلفا لبريطانيا وغيرها بأنها ستكفل لجميع الشركات صاحبة الامتيازات الاجنبية بأنه سيكون لها مطلق الحرية في استثمار البترول العراقي.

ولقد اثار تحفظي هذا انفعالا شديدا من عبد الغني قنوت الذي قال لي :

انك سريع الاتهام وانك تتوهم أن الاستعمار وراء كل شيء.

ومع ذلك فقد رأيت انه من المصلحة تأييد الثورة وذكر الآمال التي نرجوها منها فصرت بما ينسجم مع موقف معظم رفاقنا:

"ان الذي نرجوه لهذه الثورة العربية ان يكون نجاحها قدم بأقل الخسائر، كما نتمنى من صميم قلوبنا ان يخيم السلام والامن على ربوع العراق.. ان ثورة 14 تموز 1958 قد انحرفت لسوء حظ العرب الى الحكم الديكتاتوري والذي نرجوه ونبتهل الى الله ان يحققه هو ان يجعل من هذه الثورة ثورة عربية تقدمية على اساس راسخ من الديمقراطية لتمتنع عن الاستغلال الفردي والحكم الديكتاتوري، والا تنحرف عن اهدافها الشعبية الديمقراطية.

وختمت التصريح بقولي :

انا نرجو ان تحقق ثورة 14 رمضان آمال الشعب في سورية وفي ارجاء الوطن العربي كافة عن طريق اقامة نظام ديموقراطي عربي تقدمي" (الرأي العام 63/2/9).

□

بعد ان بدأت الصحف ووكالات الانباء تنشر بعض التفاصيل عما يحدث في العراق ازداد حذري وتشاؤمي، بل اصيحت فزعا مما يقوم به ما أسموه بالحرس القومي من اعتقال الالوف وتعذيبهم، ولم يعد وردا ما تمنيناه لها من توجهات ديموقراطية.

ومما عزز هذا الحذر والتشاؤم التصريح الذي نشرته وكالة الانباء الفرنسية (63/2/11) لجورج بول مساعد وزير

الخارجية الاميركي دين راسك، نقلا عن مقابلة تلفزيونية  
لمحطة اميركية عندما قال :

"ان الوضع الحالي في العراق يعتبر فآلا حسنا  
بالنسبة للمستقبل لأن الحكومة الجديدة مشبعة بالمعاني  
القومية، وسياستها ستكون غالبا متفقة مع الناصرية  
ومناهضة للشيوعية، وسيكون لديها الحظ الوافر من  
التمكن من العمل بصورة فعالة" كما عززه ايضا معرفتي  
وعدم ثقتي بقدرة علي صالح السعدي على قيادة هذه  
الثورة التي تولى فيها اخطر المراكز، عندما اصبح نائبا  
لرئيس مجلس الوزراء ووزيرا للداخلية، بالاضافة الى  
رئاسة حزب البعث التي مكنته من مساعدة ميشيل  
عفلق على عقد المؤتمر القومي الخامس الذي مزق  
وحدة الحزب.



لقد تعرفت على علي صالح السعدي بمناسبة قبل ثورة  
الثامن من شباط: كانت الاولى في منزل عبد الغني قنوت قبيل  
استقالتنا من حكومة الوحدة، وقد حاولت يومذاك التوفيق بينه  
وبين فؤاد الركابي، وعندما سألته عن اسباب الخلاف بينهما قال  
لي ان هذا الخلاف بسبب عقلية الركابي البرجوازية فهو يسمح  
لشرطي الوزارة ان يفتح له باب السيارة !

كان ذلك حجة مضحكة من علي صالح السعدي، فقد كنت  
مدركا ان الخلاف بينهما هو على رئاسة الحزب وبتحريض ودعم  
من ميشيل عفلق اذ ان فؤاد الركابي في تلك الفترة كان مقربا  
من جمال عبد الناصر.

اما المناسبة الثانية فكانت بعد الانفصال عندما زارني في  
منزلي بعد نشري البيان لاول ردا على افتراءات اجهزة الاعلام  
المصري..

لقد رجاني يومذاك ان اتوقف عن متابعة نشر البيانات، لأن  
جمال عبد الناصر يمد الحزب بالعراق بالتأييد المادي والسياسي

مما يساعدهم على الاطاحة بعبد الكريم قاسم، فوعده بذلك اذا كف جمال عبد الناصر عن مهاجمتنا.

في هاتين المقابلتين بدا لي علي صالح السعدي انسانا طيبا لا يخطر على البال انه سيكون ذلك الجزار السادي الذي سيصيب عبد الناصر ببرود عجيب في محادثات الوحدة الثلاثية، عندما سأله عن عدد المعتقلين في العراق لتفنيده ادعاءاته الديموقراطية .. لقد اجاب السعدي يومذاك :

والله ما اعرف سيدي .. آلاف !

وتمر الايام، تلك الايام التي حملت في رحمها احداثا خطيرة على الساحة العربية : من انقلاب الثامن من آذار 1963، الى احداث تشرين 1963 في العراق، الى انقلاب 23 شباط 1966 في سورية، الى هزيمة حزيران، 1967 الى انقلاب تموز عام 1968 في العراق الذي لجأت بعده الى العراق عام 1973 بسبب بوادر الحرب الاهلية في لبنان (اغتيال قادة المقاومة الفلسطينية)، وكان علي صالح السعدي يزورني بلا انقطاع في العراق ويظهر لي مودته وثقته وندمه.

لقد اصبح انسانا محطما ما ان يستعرض ما مضى من احداث ثورة الثامن من شباط في العراق حتى ينفجر باكيا بصورة تدعو الى الرثاء، وكان يحمل ميشيل عفلق مسؤولية كل ما ارتكبه الحزب بعد المؤتمر الخامس سواء في سورية او في العراق، ولقد حدثني بعض عارفه انه كثيرا ما يستيقظ في الليل فرعا على صراخ المعذبين ومن اغرق في نهر دجلة من الشيوعيين.



لقد حاول عبد الكريم زهر الدين وناظم القدسي واليمين ووسائل الاعلام السورية التقرب من ثورة العراق واغراءها بالاتحاد مع سورية، وكنت مشجعا لهذا الاتجاه الذي اصبح قابلا للتحقيق - على اساس التعايش بين النظامين ولكن هذا الامل قد خاب بعد

اربعة ايام عندما اذاع راديو بغداد بتاريخ 2/12 برقية من ميشيل عفلق الى المجلس الوطني لقيادة الثورة جاء فيها:

"ان ثورة العراق هي الثورة المعبرة عن طبيعة المرحلة التي تجتازها الامة العربية وهي ابنة ثورة الرابع عشر من تموز، وتصحيح الانحراف الذي عطلها، وهي ثار لانتكاسة الوحدة بين سورية ومصر".

وكرد على تأييد الاشتراكيين العرب للاتحاد مع العراق اذاع مكتب القيادة القومية بدمشق التابع لميشيل عفلق بتاريخ 2/12 ما يلي :

"دأبت بعض الصحف على ايهام الرأي العام في سورية ان للحوارانيين وغيرهم من المنحرفين علاقة وطيدة بثورة العراق، ان هؤلاء قد فصلوا من الحزب بعد المؤتمر القومي الخامس المنعقد في شهر ايار الماضي".

كما ردت هذه القيادة على بيان القيادة القطرية التي دعت لانهاء الاوضاع الرجعية في سورية، وتوفير الشروط الملائمة لاقامة الوحدة بين سورية والعراق، ببيان صدر بتاريخ 2/13 عن مكتب الامانة العامة للقيادة القومية جاء فيه :

"لقد صدر بعد ثورة الشعب العراقي بيانات عمن يسمون انفسهم بالقيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي في القطر السوري.. ان القيادة القومية تؤكد ان هذه القيادة القطرية المزعومة لا تمثل سوى بضعة افراد خرجوا على وحدة الحزب القومية، ولم تعد لهم علاقة به، وان هذه البيانات لا تمثل سوى رأي هؤلاء.

ومنعا لأي التباس تعلن القيادة القومية ان ما ينشر باسم الحزب في القطر السوري سيوقع بعد الآن باسم : القيادة القطرية المرتبطة بالقيادة القومية".



بعد انقلاب شباط 1963 في العراق، كان وضعنا -نحن الاشتراكيين العرب- وضعاً حائراً مضطرباً، فحتى هذا التاريخ لم نكن قد نظمنا انفسنا بصورة كافية لأن الاحداث التي توالى على سورية من انقلاب الثامن والعشرين من آذار 1962 الى الهجمة الناصرية الاعلامية، الى محاولات التفجير والتخريب والاغتيال التي كان يقوم بها عملاء النظام المصري، الى مناورات ناظم القدسي وعبد الكريم زهر الدين ومحاولتهما الاحتفاظ بالسلطة، كل ذلك كان يستقطب نشاط الاشتراكيين العرب في محاولتهم دعم الوضع الديمقراطي والوصول بالبلاد الى موعد الانتخابات النيابية التي قررت حكومة خالد العظم ان تجريها في منتصف عام 1963.

**لقد اصبح الوضع الديموقراطي في سورية حرجاً بعد انقلاب الثامن من شباط في العراق اذ اصبحت سورية محاصرة من نظام عبد الناصر في مصر ومن النظام الجديد في العراق الذي يسيطر عليه بعثيو القيادة القومية بالتحالف مع العناصر القومية والناصرية، وكانت قضية اعادة الوحدة بين سورية ومصر هي قميص عثمان الذي رفع، فباسمها عقد ميشيل عفلق المؤتمر القومي الخامس، وباسمها تمت في سورية عمليات التفجير والتخريب ومحاولات الاغتيال، وباسمها وتحت لوائها تحالف الناصريون والبعثيون والقوميون وصولاً الى الحكم وذلك في انقلابي الثامن من شباط في العراق والثامن من آذار في سورية، ولكن علي صالح السعدي نائب رئيس الوزراء وزير الداخلية والذي جاء الى الحكم باسم الوحدة نراه يصرح بعد اسبوعين فقط من انقلاب شباط :**

**"ان نواة اي اتحاد عراقي بين الدول العربية يجب ان يكون عن طريق قيام اتحاد بين سورية والعراق اولاً" وان من الافضل قيام الوحدة الشاملة على مراحل وانه يمكن للدول العربية ان تتحد خلال عشر سنوات او خمس عشرة وان العراق ليس متعجلاً الآن لانشاء اي اتحاد مع اي دولة**

عربية" (النصر 1963/2/23 عن جريدة "الجريدة"  
اللبنانية).

اما ميشيل عفلق الذي سارع الى زيارة العراق فقد  
دعا في تصريح له من بغداد كلا من العراق ومصر واليمن  
والجزائر الى توثيق التعاون بينها، ووصفها بأنها دول عربية  
متحررة عليها ان تتخذ خطوات تمهيدية نحو الوحدة وان  
يبدأ التعاون بينها وقال ان حزب البعث هو الذي حررها وهو  
يحرر العراق الآن، وان الحزب لا يتخذ موقفا سلبيا من  
الشيوعية، ولكن تطبيق الاشتراكية في بلد عربي واحد  
هو مهزلة من المهازل، ثم هاجم الاوضاع في سورية  
ووصف الحكم القائم بأنه حكم رجعي بوليسي. (النصر  
1963/2/21).

لقد قوبل هذا التصريح في سورية بكثير من الاستهجان، بل  
الاستهزاء، لأن عفلق باعتباره زعيما للبعث- اتخذ لنفسه صفة  
المحرر لمصر والجزائر اليمن والعراق، ولا شك ان هذه التصريحات  
العنترية التي بدأ عفلق يرددتها بعد انقلاب شباط في العراق كانت  
مما يثير جمال عبد الناصر الذي يعتبرها تحديا لزعامته، وهكذا  
بدأت مرحلة جديدة من الخلاف بين عبد الناصر وبين حزب البعث،  
وظهر هذا الخلاف للعلن خلال الاحتفالات التي اقيمت في القاهرة  
بتاريخ 1963/2/23 في ذكرى الوحدة السورية المصرية عندما  
ارسلت حكومة الثورة في العراق وفدا للاشتراك بهذا الاحتفال  
برئاسة علي صالح السعدي الامين العام للحزب في العراق  
وعضوية صالح مهدي عماش وزير الدفاع، وطالب شبيب وزير  
الخارجية، وضابطين من مجلس قيادة الثورة.

لقد القى علي صالح السعدي خطابا مكتوبا اثر خطاب عبد  
الناصر بالجماهير المحتشدة، (والخطاب من املاء ميشيل عفلق  
بلا شك) اشار فيه الى مسؤولية نظام جمال عبد الناصر عن  
الانفصال والى رأي البعث بالنظام الذي يجب ان تقوم عليه  
الواحدة، وكان ذلك مثيرا لجمال عبد الناصر مما دعاه للكلام مرة

ثانية في هذا الاحتفال الذي اراده ان يكون نصرا له لا طعنا بنظامه واستعلاء عليه.

وفي رسالة من عبد الناصر الى عبد الحكيم عامر (الذي كان في اليمن) نشر نصها محمد حسنين هيكل في كتابه سنوات الغليان يقول ناصر :

**"كان البعثيون في العراق على سياسة طيبة معنا، ولكن ماذا سيكون تأثير ميشيل؟" (ص678). كما يشير ناصر في رسالة اخرى الى بعض خفايا انقلاب 8 شباط 1963 في العراق التي اطلع عليها من الوفد الزائر:**

"لقد حدثني صالح مهدي عماش انهم (أي قادة الثورة) قد اعتقلوا 800 ضابطا شيوعيا، منهم 150 طيار لدرجة ان الاسراب الان بدون طيارين، كما دمروا سرب ميغ 19 موالى لعبد الكريم قاسم، واعتقلوا 4000 شيوعي وقتلوا عددا اكبر منهم في اول يوم دون محاكمة" كما يقول ناصر في رسالته:

"ان الموقف في الجيش عموما بين الفئات القومية لا يدعو للارتياح، ومجلس الثورة اقله من البعثيين، وعارف عبد الرزاق ليس من ضمن المجلس، والثورة قام بما يقارب 90% منها القوميون في الجيش من غير البعثيين، وقد اعتمد البعثيون على الحرس القومي 100% من البعثيين، وفي رأبي ان الكل متربص بالآخر، البعث يريد السيطرة الكاملة، والكل متخوف من البعث" كما تذكر الرسالة ان صالح مهدي عماش قال لطلعت صدقي (ضابط المخابرات المعروف) في ملهى الاوبرج "ان امام عبد السلام ثلاثة اشهر فقط، ويفهم من هذا القول ان البعث يعتبر التحالف مرحليا. وان السعدي قال لطلعت في الاوبرج بعد ان شرب 14 كأس وسكي اننا لا نريد ان نقابل الرئيس مرة اخرى لانه بلشف الجميع بكلامه وتحليله" (ص681) سنوات الغليان.

هذا هو الوضع الذي كانت تمر به العلاقة بين البعث وناصر بعد الثامن من شباط، وهذا هو الوضع الحقيقي للانقلاب في العراق مما يبين مدى الخسائر الجسيمة التي حلت بالجيش

العراقي بعد التصفيات التي حلت به في عهد ديكتاتورية عبد الكريم قاسم وذلك حلقة من التصفيات المتوالية التي حلت بجيوش دول المواجهة العربية قبل هزيمة حزيران 1967.



## خلفيات انقلاب الثامن من آذار 1963 في سورية

ان استعراض بعض الوقائع التي اطلعت عليها قبيل انقلاب الثامن من آذار 1963 ما يكشف عن بعض خلفيات هذا الانقلاب داخليا وعربيا وخارجيا:

1- ارسل لي زياد الحريري اخاه الشاعر محمد الحريري ليخبرني بأن زياد عازم على القيام بانقلاب بالاتفاق مع البعثيين والناصريين، وانه يريد ان يستشيرني لأنه قريب لي (أخي متزوج من اخته) وصديق مع العلم بأنني لم اكن اجتمع بزياد الا عرضا ودون ان يجري بيني وبينه بحث اي موضوع سياسي.

قلت لمحمد الحريري :

انني كقريب وصديق انصح زياد بعدم الاقدام على هذا الانقلاب الذي يمكن ان يؤدي الى تمزيق وحدة سورية الوطنية، وان على زياد ان يأخذ بالاعتبار ما اشار اليه جمال عبد الناصر في احدى خطبه من ان سورية معرضة للتمزق والزوال.

2- اما الواقعة الثانية فهي الرسالة الشفوية التي ارسلها الي رئيس الجمهورية ناظم القدسي وقائد الجيش زهر الدين بواسطة العقيد مزيد هنيدي وهو من ضباط البعث الذين سرحوا في عهد الوحدة والذي اصبح بعد الثامن من آذار رئيسا للشرطة العسكرية قال لي مزيد :

"انني مكلف من قبل ناظم القدسي وزهر الدين، بأن ابلاغك بأنهما على استعداد للاتفاق معك على القيام بانقلاب بالاتفاق مع جمال عبد الناصر" فقلت لمزيد:

انني اتعجب كيف يقوم قائد الجيش ورئيس الجمهورية وهما على رأس السلطة بالانقلاب ضد حكمها، واذا كان هدفهما



من هذا الانقلاب ارضاء جمال عبد الناصر فنصيحتي اليهما ان يحققا ذلك بالطرق الدستورية المشروعة.

بعد تبليغي هاتين الرسالتين من قبل زياد الحريري وزهر الدين، وناظم القدسي علمت بأن زهر الدين قد عين رشاد القطيني الملحق العسكري في عمان، وهو من رجال المخابرات المصرية رئيسا لمخابرات الجيش، فأيقنت بأن الانقلاب اوشك ان يكون "مصبحا او ممسيا" بالوقت الذي كانت الشائعات فيه تملأ الشارع بأن زياد الحريري سيقوم بانقلاب ضد الحكم القائم.

وفي تقديري أن جمال عبد الناصر هو الذي اوعز لناظم القدسي وزهر الدين ان يتصلا بي لأن عبد الناصر ارسل الي بعد الانفصال بفترة قليلة وبواسطة بعض الصحافيين (عرب ويوغوسلاف) وسواهم طالبا مني الاتفاق معه للقيام بانقلاب ضد حكم الانفصال، وكان آخر هؤلاء الرسل جبران مجدلاني عضو القيادة القومية، فاعتذرت له عن الاشتراك بأية محاولة انقلابية، وكان جبران قد طلب مني تقديم قائمة بأسماء الضباط الذين اثق بهم في الجيش السوري فقلت له ان المشير عامر قد سرح الموالين للبعث ممن اثق بهم وممن لا اثق، وقلت له ان يعتذر لجمال عبد الناصر عن عدم اشتراكي بأية محاولة انقلابية لأنها ستؤدي بسورية الى الكارثة.



بعد هذه الوقائع سارعت للاجتماع بخالد العظم ليكون على حذر من انقلاب وشيك، وقلت له دون ذكر التفاصيل بأن ناظم القدسي وعبد الكريم زهر الدين سيشتركان بانقلاب ليست الولايات المتحدة بعيدة عنه، فقال :

انني اعرف صداقتنا للولايات المتحدة ولكن كيف يمكن ان اتصور بأنهما يعدان انقلابا على نفسيهما؟ قلت له :

ربما كان شعورهما بالخوف والعجز جعلهما ينفذان التوصيات الاميركية، وانا استند بما قلته لك الى معلومات، بل يمكنني ان احس منذ الان بأن صلاح البيطار سيؤلف حكومة الانقلاب.

لقد حاول عبد الكريم زهر الدين في مذكراته التي نشرها بعد هزيمة حزيران في لبنان ان ينفي عن نفسه تهمة التواطؤ وان يدعي بأن تضليل راشد القطيني كان سببا في نجاح حركة الثامن من آذار عندما يقول :

"لقد كانت المؤامرة شبة علنية، وكان اسم زياد يتردد على كل لسان في سورية، غير ان رئيس شعبة المخابرات (راشد القطيني)(2) كان ينفي تلك الشائعات ويحول الانظار الى عناصر اخرى مشهورة بولائها واخلاصها ممن كنت اعتمد عليهم والذين كانوا يؤكدون لي الولاء والسهرة الدائم على الوضع وعلى سلامة العهد، وكنت ويا للأسف اثق بأقوالهم واهزأ من الشائعات التي كانت تطلق حول زياد الحريري، وامكانية قيامه بأي حركة" (ص418-419).

ان ادعاء عبد الكريم زهر الدين بأنه كان مضللا ليس صحيحا، بل كان ضالعا، وكانت الشبهات تحوم حول موقفه وموقف شريكه ناظم القدسي قبل حركة الثامن من آذار التي لم تمسهما فذهب ناظم القدسي الى داره في حلب، اما عبد الكريم زهر الدين فبعد اثنتي عشر ساعة من اعتقاله اطلق سراحه بعد الاعتذار له، كما اشيع انه عند احتجازه ارسل لمن يقول لقادة الحركة :

ما هكذا تم بيننا الاتفاق.

ويقول زهر الدين في مذكراته :

"ان لؤي الاتاسي بعد تعيينه قائدا عاما للجيش اثر انقلاب الثامن من آذار امر بفرض الإقامة الاجبارية عليه في المنزل، ثم نقل بعد ذلك الى المستشفى العسكري، ويعزو السبب في نقمة الاتاسي عليه هو اتهامه له بأنه كان السبب وراء احالته الى المحكمة العسكرية اثر احداث حلب في 28/3/62.

(2) سبق الحديث عن راشد القطيني كأحد الضباط الذين اعتمد عليهم اديب الشيشكلي، وقد نكل القطيني بأحد سكان خان شيخون من آل النجم من الاشتراكيين العرب عندما ربطه الى فرس قامت بسحله على الارض.

كما يقول انه بعد صدور مراسيم العزل المدني، اضطر انقلابيو آذار الى وضع الدكتور القدسي في المستشفى العسكري في دمشق في مطلع شهر ايار عام 1963 (أي بعد شهرين من الانقلاب) ولم يطلق سراح القدسي وزهر الدين الا بعد حركة الناصريين بقيادة جاسم علوان بتاريخ 63/7/17، اثر قرارات صدرت عن قاضي التحقيق العسكري بمنع محاكمتها ومحاكمة معروف الدواليبي وغيرهم من المعتقلين السياسيين والصحافيين ورجال الاحزاب (ص444).

## **صحيفة الحياة اللبنانية تصف الجو الذي سبق انقلاب الثامن من آذار وتحدث عن بعض وقائع هذا الانقلاب**

لقد كشفت جريدة الحياة بمقالين في عدديها الصادرين بتاريخ 14/13/1963 عما كان يجري في سورية قبيل انقلاب الثامن من آذار والصورة التي وقع بها هذا الانقلاب، ففي المقال الاول الذي كتبه كامل مروة صاحب الجريدة ورد ما يلي :

"كنت في دمشق عشية 21 شباط الماضي، وكنت على موعد مع الرئيس القدسي في منزله بعد الافطار، فذهبت الى نادي الشرق لقضاء الوقت في انتظار الموعد، فلقيت هنالك صديقا لي يخاطب بالهاتف مرآبا ويطلب بالحاح سيارة تنقله فورا الى بيروت، قلت له :

انا ذاهب الى بيروت بعد ساعة او ساعتين فتعال معي فنظر الى ساعته بعصبية واجاب كلا لا استطيع الانتظار يجب ان اسافر حالا، ثم طوق كتفي بساعده واقتادني الى زاوية وقال لي اسمع:

الحريري زاحف الليلة الى دمشق فأنصحك بالسفر تجنبنا للمشاكل اذا وقعت مصادمات، فابتسمت وقلت له اذا كان خبرك صحيحا فسأبقى اذ لن يتاح لي دوما ان اشاهد انقلابا في دمشق، ولا تنسى انني صحفي.

ولا أدري اذا كان صديقي قد سافر ام لا، لكنني ذهبت في مواعيدي الى بيت الرئيس القدسي فلم اقرأ على وجهه آثار القلق فقلت له في سياق الحديث :

ما هذه الشائعات المتواترة عن الانقلاب، فأجاب بهدوء :

هذا حديث رائع عندنا، وحديثنا اليوم عن الحريري، ولكننا نحاول اقناع الجميع بالتروي وتجنب العنف، وقد نجحنا حتى الآن في تهدئة الاعصاب الثائرة، واملني كبير ان يحالفنا الحظ ليعتاد الجميع على الاستقرار، وغادرت عند منتصف الليل الى بيروت ولم يقع الانقلاب"

كما ورد في التحقيق الذي نشرته جريدة الحياة والذي يصف وقائع انقلاب الثامن من آذار ما يلي :

"يبدو ان الرئيس القدسي لم يعترض على هذه الحركة، كما يقال ان القائد العام للجيش وبعض كبار ضباط القيادة لا يعارضون هذه الحركة، وكان الرئيس القدسي يقول :

يجب على السيد خالد العظم ان يتحمل مسؤولية تعنته وتصلبه.

وقد تردد ان الرئيس القدسي ساند حركة 28 آذار 1962 التي اطاحت بالمجلس النيابي وذلك لأن اكثرية المجلس كانت تمثل اتجاه اليمين بعد ان اغى المجلس بعض القرارات الاقتصادية وقانون اصلاح الزراعي، فتجنبنا من حدوث رد فعل وافق القدسي على الحركة وان يسجن ريثما يحل مجلس النواب نفسه، وانه لا يمانع الآن (اي في الثامن من آذار 1963) من قيام انقلاب ابيض للاطاحة بحكومة العظم لاقامة تعاون بين سورية من جهة والعراق ومصر من جهة اخرى ولو جازف بمنصبه.

وقد أيد الحريري في حركته بعض الضباط في القيادة وفي مقدمتهم راشد القطيني رئيس الشعبة الثانية (مخابرات الجيش)".

"وبدأت ثورة 8 آذار وكان يقودها من دمشق العقيد الحريري الذي اصدر تعليماته الى قطعاته في القنيطرة بالتحرك الى دمشق، وكان قد مضى على وجود الحريري في دمشق اكثر من 12 يوما، فتحركت القطعات وعلى رأسها العميد توفيق الشوا، وقد قطعت القوات العسكرية الطريق من القنيطرة الى دمشق وطولها حوالي 60 كيلومترا دون توقف رغم ان بعض المراكز العسكرية على الطريق كانت تبلغ القيادة هاتفيا نبأ وصول القطعات من الجبهة الى المركز، فتصل الانباء الى العميد القطيني ويصدر تعليماته بالسماح لها بالمرور، وهكذا الى ان وصلت القطعات الى دمشق في دمشق في الساعة الرابعة وعشرين دقيقة وكان في انتظارها الحريري مع العميد القطيني"



كان اول ما اصدره انقلابيو الثامن من آذار ترفيع لؤي الاتاسي الى رتبة فريق وتعيينه قائدا عاما للجيش، وتعيين راشد القطيني نائبا له، وترفيع الحريري الى رتبة لواء وتعيينه رئيسا للاركان، وقد اقتصرت الترفيعات على هؤلاء ولم تشمل احدا من ضباط البعث المشتركين في هذا الانقلاب، كما اعلن عن تشكيل مجلس قيادة الثورة، وكان مجلسا سريريا لم تذع اسماء اعضائه، وبالرغم من ان جمال عبد الناصر قد جهد كثيرا عند اجراء محادثات الوحدة الثلاثية بعد اسبوعين من الانقلاب فإن اعضاء الوفد السوري كانوا يتكتمون عن الاسماء، وبعد الحاح عبد الناصر كشف له عبد الكريم زهور عن اسماء اعضاء المجلس الذي كان متمتعا بجميع الصلاحيات الدستورية والتشريعية والتنفيذية وحتى ببعض الصلاحيات السلطوية القضائية.

وبعد يومين من الانقلاب اعلن المجلس الوطني لقيادة الثورة تشكيل حكومة برئاسة صلاح البيطار الذي احتفظ لنفسه بوزارة الخارجية التي كان يطالب دائما باستلامها في السابق، وعين نهاد القاسم لنيابة الرئاسة ووزارة العدل، وعبد الوهاب حومد للمالية، والعميد اركان حرب محمد الطوخي للدفاع، والعميد اركان حرب امين الحافظ للداخلية (كان آنذاك ملحقا عسكريا في الارجننتين) ومنصور الاطرش للعمل والشؤون والاجتماعية، وعبد الحلیم سويدان للزراعة، وسامي الدروبي للتربية والتعليم، وعبد الكريم زهور للاقتصاد، وجمال الاتاسي للاعلام، ودرويش العلواني للاوقاف بالوكالة، ووليد طالب للشؤون البلدية والقروية، وسامي صوفان للتموين، وجهاد ضاحي للمواصلات، واحمد ابو صالح للاشغال العامة، وشبلي العيسمي للاصلاح الزراعي، والدكتور ابراهيم ماخوس للصحة والدكتور سامي الجندي للثقافة والارشاد.

وبتاريخ 63/3/12 اصدر المجلس الوطني لقيادة الثورة مرسوما تشريعيًا بالغاء امتياز ست عشر صحيفة، من بينها جريدة الحرية التي كان الاشتراكيون العرب يصدرونها في حماه، وذلك

بتهمة الانفصال دون ان يكون لهذه الصحف الحق بالتعويض، و صدر الامر بختم مكاتبها ومؤسساتها بالشمع الاحمر، ولم تسمح السلطة بالصدور الا لجريدة الوحدة العربية لنزيه الحكيم، وجريدة بردى لمنير الريس زوج ثريا الحافظ، وجريدة البعث وجريدة الاخوان المسلمين (اللواء) التي كانت تنطق باسم الاخوان والناصرين والبعثيين في آن واحد، كما القى القبض على عدد كبير من اصحاب هذه الصحف ومن القادة السياسيين ورجال الاحزاب وسيقوا الى سجن المزة وسجن الشيخ حسن.



### **دور زياد الحريري في حركة الثامن من آذار 1963**

كان معروفا عن الضابط زياد الحريري عزوفه عن السياسة والسياسيين وعن جميع التكتلات التي نشأت في الجيش، سواء منها الاقليمية او الطائفية او الحزبية، ولم يكن على صلة لا بضباط البعث ولا بضباط الانفصال او الضباط الناصريين بل اقتصرت صلاته على مجموعة محدودة من ضباط الجيش الحمويين امثال مخلص غنامة وعارف الجاجة وزياد حمضض، فما هي اذن الاغراءات التي شجعت زياد الحريري على القيام بانقلاب الثامن من آذار؟

لقد أصبح نجاح هذا الانقلاب مضمونا بعد الدعم العراقي وبعدهما التفت حوله المعارضة الناصرية والبعث القومي، وبعدهما ايده اركان النظام، وهكذا عزم الحريري على القيام بانقلابه، ولكنني لا اعتقد بأن زياد كان يحلم بحكم سورية مثل اديب الشيشكي وفي تقديري انه كان قانعا بأن يحل محل عبد الكريم زهر الدين في قيادة الجيش.

أما فيما يتعلق بنشاط المخابرات المركزية في سورية فلا بد لي من ذكر الواقعة التالية :

بعد خمس سنوات من انقلاب الثامن من آذار، وعندما كنت منفيا من سورية ولاجئا في بيروت عام 1968، اعترضني زياد الحريري وانا في الطريق لزيارة عاطف دانيال في فندق الكارلتون،

وكنت لم ار زياد منذ عدة سنوات قبل الثامن من آذار، وبدون اي مقدمات لحديثه اخبرني بأن نافع دانيال شقيق عاطف دانيال(3) قد طلب اليه ان يصبح عميلا للمخابرات المركزية، كما اخبره بأن صلاح البيطار على صلة بها، وان نافع دانيال هدده بالموت اذا افشى السر، ثم قال :

ان البعثيين بعدما سرحوني من الجيش وارسلوني ابعادا لي عن سورية سفيرا فوق العادة في باريس انتسبت الى احد معاهدها فتعرفت على فتاة المانية جميلة ولما اكتشفت انها جاسوسة يهودية قطعت صلاتي بها.

ولما انتهى من حديثه اخبرته انني في طريقي الى زيارة عاطف دانيال لأعرف رد فعله فصمت دون ان يعلق على ذلك بكلمة.

انني لم اورد هذه الواقعة لاثير الشكوك حول زياد الحريري، بل ذكرتها لأشير الى نشاط المخابرات المركزية لاصطياد العملاء بشتى الاغراءات ولا سيما قيادات الانظمة والجيش والاحزاب والطلاب في الخارج.

لم يكن زياد يتمتع بوعي سياسي ولم يكن له اهتمام بالقضايا العامة، فليس مستبعدا اذن ان تتصل به السفارة الامريكية قبل انقلاب الثامن من آذار لتعده بالدعم والتأييد كما اتصلت به المخابرات المركزية بعد تسريحه من الجيش.

اما عاطف دانيال فكان من رجال الاعمال السوريين مقيما في جنيف وعلى صلات مع بعض رجال المعارضة المغربية وجبهة التحرير الجزائرية وبعض جاليات اليمن الشمالي، وكان من مريدي ميشيل عفلق، ثم اصبح صديقا لعبد الغني قنوت وعبد الفتاح

(3) تكشف مباحثات الوحدة الثلاثية عن دور لعاطف دانيال في مؤامرة عويس، وعن دور آخر قام به عندما كان رسولا لميشيل قبيل انعقاد المؤتمر القومي الخامس للاتفاق مع عبد الناصر على اصدار بيان يؤيد فيه هذا المؤتمر جمال عبد الناصر، ولكن البيان الذي صدر، والذي سبق ذكره عند الحديث عن المؤتمر الخامس، كان عكس ما وعد به ميشيل عفلق، فكان لهذا البيان اثر سيء جدا بالنسبة لجمال عبد الناصر كما يظهر من اقواله في مباحثات الوحدة الثلاثية (ص207، 278-280 الطبعة الثالثة دار المسيرة، بيروت).

الزلط والدكتور فيصل الركبي وكان يظهر لي كثيرا من عواطف الود والصدقة.



قبل خمسة ايام من انقلاب الثامن من آذار 1963 أخبرني السيد نزار التوام وهو من قدامى المنتسبين الى العربي الاشتراكي بأن قريبه العقيد هيثم المهائني قائد سلاح الطيران قد تبلغ هاتفيا بأن انقلابا سيحدث ذلك اليوم. وأنه خرج من الحمام مسرعا وتوجه فورا الى قاعدة الطيران في بلدة الضمير، وكنت قبل ذلك على معرفة بالعقيد المهائني الذي يشاركنا بعض وجهات نظرنا السياسية.

بعد سماعي الخبر قررت ان اسافر في اليوم نفسه الى بلدة (قارة) حيث نزلت ضيفا على رفيقنا -آنذاك- عبد الحليم قدور، وكنت عازما ان اتوجه من هناك الى لبنان فور سماعي البلاغ الاول، ولكن الانقلاب لم يحدث، فبقيت يومين في قارة ثم عدت الى دمشق، وقبل ذهابي الى قارة كنت قد اخبرت مصطفى حمدون بهذا النبأ ليأخذ حذره، فقال لي بأن ابن عمه وليد حمدون قد بلغه ذلك ايضا، فعاتبته على عدم اتصاله بي وعدم تبليغي ذلك وهو يعلم انني مستهدف من قبل الانقلابيين.

لبثت بعد ذلك في منزلي في دمشق آملا ان ابلغ مرة أخرى بالموعد الجديد للانقلاب، وفي فجر يوم الثامن من آذار حوالي الساعة الرابعة صباحا، ايقظني من نومي الشاب الشهم الطيب مرهف البرازي -وكنت قد ساعدته على تعيينه موظفا صغيرا في الاذاعة -وتقضي المصادفة ان يكون ليلة الانقلاب ساهرا حتى الصباح في بناء الاذاعة، وعندما وصل الملازم سليم حاطوم وسريته لاحتلالها اسرع راكضا من مركز المدينة حيث يقع بناء الاذاعة الى شارع حلب في اقصاها حيث منزلي ليخبرني بالنبأ فقال ان قوة ضئيلة من الجيش احتلت الاذاعة وقد اتيت اليك مسرعا لاطلب منك مغادرة المنزل ولأخبرك بأنه من السهل جدا القضاء على هذه القوة.



غادرت منزلي مسرعا الى منزل المحامي الصديق الدكتور سامي سركيس وكان قريبا من منزلي، ثم توجهت بعد ذلك الى منزل صهري المحامي اسعد الطباع، وخشية من تفتيش هذا المنزل غادرته الى بيت احد اصدقائه، وهنالك اجتمع بي عبد الغني قنوت وكان مضطربا ويبدو على وجهه انه لم ينم تلك الليلة، وأظهر لي انه غير متشائم من نتائج هذا الانقلاب، ولما لفت نظره الى احد البيانات المذاعة وفيها تعريض بالاشتراكيين العرب قال لي لابد من تصحيح الوضع ففهمت من ذلك انه لم يكن بعيدا عن الاتصال ببعض الانقلابيين، فغادرت هذا المنزل الى منزل خالة اسعد الطباع، وقد تلقت اختفائي في منزلها ببالغ الترحاب، ومن الجدير بالملاحظة ان السيارة التي اقلتني الى منزلها قد مرت من وسط مظاهرة من اللاحئين الفلسطينيين كانت قد اعدتها اجهزة المخابرات المصرية ابتهاجا بالانقلاب، فشاهدت فيها عددا كبيرا ممن يعرفني من المتظاهرين فلم يعترض سبيلي احد بالرغم من ان السيارة اخترقت المظاهرة ببطء شديد.

وفي صباح الثامن من آذار حلقت طائرة هيثم المهاني قائد سلاح الطيران فوق وزارة الدفاع والاذاعة مهددة الانقلابيين، ولكن تحليقها لم يلبث ان انتهى عندما لم تتحرك اي قطعة من الجيش لمساعدته، وقد قيل فيما بعد ان الانقلابيين هددوه بالاعتداء على زوجته واولاده.

لقد كان من تبقى من ضباط كتلة الشوام في الجيش ناقما على عبد الكريم زهر الدين الذي غدر بهم بعد انقلاب 28/آذار/1962 عندما وافق على تسريح عبد الكريم النحلاوي وبعض رفاقه وابعدهم عن البلاد، وهذا ما جعل انقلاب الثامن من آذار الذي قام به قائد الجبهة زياد الحريري ينجح بلا أي مقاومة.

وعن الضابط عمر عودة -من كتلة الشوام- قائد اللواء المدرع سبعين اهم واقوى الوية الجيش، وكان موقف هذا اللواء اساسيا بالنسبة لانقلاب الثامن من آذار، يقول سامي الجندي : "علمت بعد خروجي من سجنني الاخير ان العقيد عودة أمر اللواء سبعين آنذ كان نائما في بيته على بعد خطوات من بيتي، وان ثمن نومه

كان تعيينه محلقا عسكريا في باريس بعد الانقلاب. (البعث، دار النهار، بيروت، ص113)

□

بعد منتصف ليلة التاسع من آذار داهمت بيتي مجموعة من العسكريين وقد منع رئيسهم<sup>(4)</sup> احدا من الشباب الذين كانوا قد تطوعوا لحراستي بسبب الاعتداءات الناصرية التي ذكرتها سابقا ان يرافقه الى داخل المنزل، وفي تقدير زوجتي ان وضع المداهمين لم يكن وضع من يريد الاعتقال، وانما وضع من ينوي الاغتيال، فقد القموا رشاشاتهم وهم داخل المنزل، وكانوا على درجة شديدة من الاضطراب لدرجة انهم لم يروا سلاح الحرس، وهو اربعة رشاشات مسندة الى حائط.

وفي اليوم الثالث للانقلاب ارسل الناصري محمد الجراح عددا من ابناء قريته (منين) الى دمشق في سيارات كبيرة، فمروا اولا امام منزلي حيث وقفوا فترة يهتفون هتافات معادية، ولقد سمعت زوجتي واولادي احدهم يقول : انزلوا يا شباب، ولكن احدا لم يستجب له، وتابعت السيارات طريقها الى بيت خالد العظم الذي يقول في مذكراته :

"ان محمد الجراح حمل المتظاهرين بسيارات النقل للهجوم على منزلي لاجراحي منه وسحلي، ولما خاب رجأؤهم رموا الشبابيك والمصابيح الكهربائية بالحجارة، وبلغ الكيد عند بعضهم ان تداعوا رجالا ونساء للوقوف على مقربة من داري لينعموا بمشاهدة منظر سحلي، وكانت ثريا الحافظ قد استحضرت حبالا غليظة ليربطوني بها ويجروني على الارض، كما اعتاد بعض العراقيين ان يفعلوه في كل ثورة تقدمية" (ص438 الجزء الثالث).

وقد اذاعت حكومة البيطار بعد تأليفها بيانا اعلنت فيه عن جائزة مالية قدرها عشرون الف ليرة لمن يدل السلطة على مكان وجودي ثم تلت اذاعة البيان موسيقا حماسية!!

□

(4) هو على الاغلب شقيق راشد قطيني رئيس المخابرات استنادا لوصافه من قبل الحرس.

أما زياد الحريري فقد وصف لأحد اقربائه وضعه في الجيش منذ الايام الاولى لانقلاب الثامن من آذار بقوله :

لقد كان الضباط البعثيون ينظرون الي بكراهية وحقد، وكنت اخشى ان يقدموا على اغتيالي كما اغتالوا اربعة من الضباط في حلب اثر انقلاب الثامن والعشرين من آذار 1962.

وهكذا ظهر له منذ اليوم الاول بأن الامل الذي علقه على اقامة التوازن بين الناصريين والبعثيين ليبقى قائدا للجيش كان املا كاذبا وتقديرا ساذجا وكان عليه ان يدرك ان البعثيين والناصريين لن يبقوه على رأس الجيش عندما يستتب الامر لاحد الفريقين.

اما القلة الملتفة حوله من اصدقائه الضباط فلم تكن لتجده نفعاً بالرغم من تعيينه، منذ الايام الاولى للانقلاب، احد اصدقائه عارف الحاجة قائدا للواء سبعين.



كان زياد الحريري بعد انقلاب الثامن من آذار الذي قاده بالتحالف مع الناصريين والبعث يقول ان قيادته لهذا الانقلاب كانت بهدف حماية البلاد من المذابح التي يعدها الناصريون والبعثيون ويدعي انه وقف دون اغتيالي واغتيال ناظم القدسي واركان الحكومة، لكن هذا التبرير الذي كان يسره لعائلته في حماة ولأصحابه لم يكن ليقنع احدا، وكان اخوه الشاعر محمد الحريري ووالده عز الدين يتوليان نشر هذه الادعاءات عن لسانه لتخفيف الحملة العارمة عليه في سورية ولا سيما في مدينة حماه التي كانت تحمله مسؤولية الاطاحة بالوضع السابق وما ارتكبه انقلاب الثامن من آذار فكان تسريحه موضع شماتة الشعب السوري، وفيما يلي رسالة بخط زياد الحريري وجهها الى احد اصدقاء اخيه السيد سليمان سركييس محاولا فيها تبرير قيادته انقلاب الثامن من آذار 1963 وقد زودني بهذه الرسالة اخي وصديقي المحامي الدكتور سامي سركييس.

حضرة الاخ الكريم سركييس المحترم

تحية، حدثني عنك أخي محمد كثيرا، وسأراك، لا أستطيع تعيين الوقت الان. اريد فقط ان اقول لك شيئا انه : لولاي ولولا البعض أقولها تجوزا لأن الحق انه "لولاي" ولو لم اكن على رأس الحركة او كنت سافرت الى العراق كملحق لوقعت الواقعة بدوني ولنزل هؤلاء المتوحشون الناصريون والبعثيون الحاقدون وهم قلة والعلويون والريفيون زاحفين الى دمشق فسحقوا قتلا دون شفقة ولا رحمة اكرم الحوراني وجماعته في دمشق وناظم القدسي وخالد العظم وصبري العسلي وامين النفوري وكل من له علاقة بالعهد السابق او يتصورون انهم لهم علاقة به مجرد تصور، غير اني -ولا أقولها مدعيا او مزدهيا- حلت دون ذلك فخفت عنهم بما بذلته من جهد حتى قالوا عني اني انحرفت وقاموا في اليوم الثاني من الانقلاب بحركة ضدي كادت تنتصر لولا واحد منهم اخبرني.

وكم شكوا بي من اجل حمايتي للاشتراكيين او الشيوعيين ولا تزال تساورهم الشكوك مني ومن بعض مواقف لي انسانية، ولولا بعض ضباط يخبونني شخصا لما وقفت حتى اليوم وحولي المؤامرات تدور.

اني ارى جاسم علوان واعلم اتصالاته واعرف نشاط الفلسطينيين تماما ولكن لا أستطيع الان شيئا او لا أستطيع، عبد الناصر يكرهني لأنني ترأست الحركة فكأنني سرقتها منه فوقفت عثرة في نظره امام الوحدة المباشرة، الف عين تراقبني على ارجاعي المسرحيين الذين احاول ان ارجعهم خلسة وفي السر.

كم حاولت يا أخ ان احل الامر مع زهر الدين وناظم القدسي فيبقى الكيان السوري مستقلا ولكن عبثا كانت محاولتي، ولكن عرفت الامر الان فبين يدي تقرير خطير عن اتفاق بين ناصر والنحلاوي على ارجاع الوحدة كما كانت.

سيتألف يا أخ اتحاد اشتراكي ارجو ان يدخل فيه كمية كبيرة من الشباب الطيبين ليجمدوا الاعيب عبد الناصر، وتحملوا البعثيين

في هذا الاتحاد فالمهم انقاذ البلد ويجب ان نعلم ان ناصر لا يرتاح  
للبعثيين سأحاول ان ارفع (العزل) عن كثير من اخواننا.

كتبت لك لتعلم الحقيقة كرجل مثقف عرفه لي اخي محمد  
ولنقولها يوما ما فيما اذا هوجمت من قبل الناس ولكن لا تقلها  
اليوم، وربما قتلت ومر وقت يستطيع الناس ان يتكلموا فيه واراد  
الناس ان يشتموني فقلها لهم يا أخي قل انقذت دمشق.

**1963: ميثاق الوحدة الثلاثية بين عبد الناصر وانقلابيي الثامن من شباط في العراق والثامن من آذار في سورية -حكومة صلاح البيطار تلغي ستة عشر صحيفة ومجلة في سورية وصدور قرارات العزل السياسي بحق عدد كبير من السياسيين ورجال الاقتصاد - عبد الناصر يذيع محاضر محادثات الوحدة الثلاثة بعد الخلاف بين الناصريين والبعثيين في سورية - المحاضر تكشف ان تصفية الجيش السوري تجاوزت موضوع الصراع على السلطة وان ذلك كان خطة مبيتة.**

منذ صبيحة اليوم الاول لانقلاب الثامن من آذار في سورية بدأ الناصريون بمحاولة وضع اليد على هذا الانقلاب بالتظاهر والاعتداءات على السياسيين ورجال الاحزاب، كما بدأوا- بدعم وتدخل كثيف من المخابرات المصرية- بالمناداة بالوحدة الفورية، فقد اعتبروا ان انقلاب الثامن من آذار هو انقلاب ناصري ساعد فيه البعث بشكل جانبي، ولذلك فإن عبد الناصر اتهم البعثيين بعد اختلافه معهم بأنهم سرقوا منه ثورة الثامن من آذار.

لقد اعترى الخوف القيادات البعثية من مدنية وعسكرية مما ادى الى تعيين امين الحافظ وزيرا للداخلية لتولى قمع المظاهرات ومنع الناصريين من متابعة اعتداءاتهم التي ذكرت سابقا نموذجا عنها.

كما أذيع تنبيه بتاريخ 3/12 من مجلس قيادة الثورة بمنع المظاهرات منعاً باتاً وتكليف قوى الامن بتنفيذ هذا التنبيه، ورغم ذلك فقد ظلت بعض المظاهرات تطوف دمشق مطالبة بعودة الوحدة فوراً، وهذا ما جعل الانقلابيين سواء في سورية او العراق يسرعون للاتصال بعبد الناصر واجراء المحادثات معه حول الوحدة، ولا سيما ان حجتهم في الاستيلاء على الحكم، في سورية بصورة خاصة وكانت

## اعادة الوحدة مع مصر، ولكن على اسس مدروسة كما كانوا يدعون.

وفي مطلع نيسان من عام 1963، وخلال مباحثات الوحدة الثلاثية اشتمد الخلاف بين عبد الناصر والبعثيين في سورية، وابتدأت الحملات الاذاعية بين القاهرة ودمشق وجرت اشتباكات بالرصاص مما دعا الى تعيين وزير الداخلية العميد امين الحافظ منفذا لقانون الطوارئ الذي اعيد العمل به بناء على صدور المرسوم التالي من قيادة مجلس الثورة :

يعين العميد اركان حرب امين الحافظ وزير الداخلية نائبا للحاكم العرفي، ويمارس جميع الصلاحيات المنصوص عليها في قانون الطوارئ في هذا المرسوم وينفذ فوراً. التوقيع الفريق لؤي الاتاسي.



ابتدأت مباحثات الوحدة الثلاثية بتاريخ 14/3/1963 في القاهرة، فحضر عن مصر في المرحلة الاولى منها :

الرئيس جمال عبد الناصر : رئيس الجمهورية العربية المتحدة

السيد عبد اللطيف البغدادي : نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس الرئاسة

السيد المشير عبد الحكيم عامر : نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس الرئاسة

السيد كمال الدين حسين : نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس الرئاسة

السيد علي صبري : عضو مجلس الرئاسة ورئيس المجلس التنفيذي

السيد أمين هويدي : سفير الجمهورية العربية المتحدة في العراق

السيد عبد المجيد فريد : سكرتير عام رئاسة الجمهورية

وعن سورية :

نهاد القاسم : نائب رئيس مجلس الوزراء  
عبد الحلیم سویدان : وزیر الزراعة  
عبد الکریم زهور : وزیر الاقتصاد  
اللواء راشد قطینی : معاون القائد العام للقوات المسلحة  
اللواء زیاد الحریری : رئیس اركان القوات المسلحة  
المقدم فواز محارب : عضو المجلس الوطني لقيادة الثورة  
المقدم فهد الشاعر : عضو المجلس الوطني لقيادة الثورة  
وعن العراق :

علي صالح السعدي : نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية  
الفريق صالح مهدي عماش : وزير الدفاع  
السيد طالب شبيب : وزير الخارجية  
الدكتور عبد الرحمن البزاز : سفير العراق في القاهرة  
وابتدأت المرحلة الثانية بتاريخ 1963/3/19 وحضرها :  
عن مصر :

الرئيس جمال عبد الناصر : رئيس الجمهورية العربية المتحدة  
السيد عبد اللطيف البغدادي : نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس  
الرئاسة  
السيد المشير عبد الحكيم عامر : نائب رئيس الجمهورية وعضو  
مجلس الرئاسة  
السيد كمال الدين حسين : نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس  
الرئاسة  
السيد علي صبري : نائب عضو مجلس الرئاسة ورئيس المجلس  
التنفيذي  
وعن سورية :



السيد صلاح الدين البيطار : رئيس مجلس الوزراء السوري  
الفريق لؤي الاتاسي : رئيس مجلس قيادة الثورة السوري  
المقدم فهد الشاعر : عضو المجلس الوطني لقيادة الثورة  
السيد ميشيل عفلق : امين سر حزب البعث  
وابتدأت المرحلة الثالثة بتاريخ 1963/4/6 وحضرها :

عن مصر :

الرئيس جمال عبد الناصر : رئيس الجمهورية العربية المتحدة  
السيد عبد اللطيف البغدادي : نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس  
الرئاسة

السيد المشير عبد الحكيم عامر : نائب رئيس الجمهورية وعضو  
مجلس الرئاسة

السيد كمال الدين حسين : نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس  
الرئاسة

السيد علي صبري : عضو مجلس الرئاسة ورئيس المجلس التنفيذي

السيد كمال الدين رفعت : عضو مجلس الرئاسة

السيد امين هويدي : سفير الجمهورية العربية المتحدة في بغداد

السيد عبد المجيد فريد : سكرتير عام رئاسة الجمهورية

وعن سورية :

الفريق لؤي الاتاسي : رئي مجلس الثورة

السيد صلاح البيطار : رئيس الوزراء

السيد نهاد القاسم : نائب رئيس الوزراء ووزير العدل

الفريق محمد الصوفي : وزير الدفاع

السيد عبد الكريم زهور : وزير الاقتصاد

السيد هاني الهندي : وزير التخطيط

السيد سامي صوفان : وزير التموين  
الدكتور عبد الحليم سويدان : وزير الزراعة  
السيد شبلي العيسمي : وزير الاصلاح الزراعي  
الدكتور سامي الجندي : وزير الثقافة والارشاد القومي  
اللواء راشد قطيني : نائب القائد العام للجيش  
العميد دوريش الزوني : عضو مجلس الثورة  
العميد غسان حداد : عضو مجلس الثورة  
العقيد كمال هلال : عضو مجلس الثورة  
العقيد فهد الشاعر : عضو مجلس الثورة  
العقيد محمد عمران : عضو مجلس الثورة  
المقدم فواز محارب : عضو مجلس الثورة  
وعن العراق :

احمد حسن البكر : رئيس الوزراء  
السيد علي صالح السعدي : نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية  
الفريق صالح مهدي عماش : وزير الدفاع  
السيد طالب حسين شبيب : وزير الخارجية  
العقيد عبد الستار عبد اللطيف : وزير المواصلات  
العقيد محمود خطاب : وزير البلديات

وانتهت هذه المحادثات باعلان ميثاق للاتحاد الثلاثي بين مصر وسورية والعراق بتاريخ 1963/4/17 وهو تاريخ يوافق العيد الوطني في سورية الذي تحتفل فيه بجلاء الفرنسيين عن اراضيها.

وفيما يلي النص الكامل للميثاق الذي لم يلتزم به اي من الاطراف ضمن نزاع مرير على السلطة في سورية بين الناصريين والبعث انتهى الى احداث 1963/7/18 الدامية عندما حاول

الناصريون القيام بانقلاب عسكري فاشل، كانت نتيجته اعدام ثلاثين عسكريا من مختلف الرتب، بالاضافة الى قتل مئات من المدنيين الذين حاولوا الاشتراك في هذا الانقلاب.

### **ميثاق الاتحاد الثلاثي بين سوريا والعراق ومصر**

باسم الله الرحمن الرحيم

باسم الله العلي القدير

وباسم الشعب العربي

التقت في القاهرة الوفود الممثلة للجمهورية العربية المتحدة وسورية والعراق.

وامتثالا لارادة الشعب العربي في الاقطار الثلاثة وفي الوطن العربي الكبير بدأت المباحثات الاخوية بين الوفود الثلاثة يوم السبت السادس من شهر ابريل (نيسان) وانتهت يوم الاربعاء السابع عشر من شهر ابريل (نيسان) سنة 1963.

فقد استلهمت الوفود في كل مباحثاتها الايمان بأن الوحدة العربية هدف حتمي يستمد مقوماته من وحدة اللغة التي تحمل الثقافة والفكر، ووحدة التاريخ التي تصنع الوجدان والضمير ووحدة الكفاح الشعبي التي تقرر وتحدد المصير، ووحدة القيم الروحية والانسانية النابعة من رسالات السماء، ووحدة المفاهيم الاجتماعية والاقتصادية القائمة على الحرية والاشتراكية.

واسترشدت بارادة الجماهير الشعبية العربية التي تطلب الوحدة وتناضل لادراكها وتضحي حماية لها وحفاظا عليها، وهي تعلم ان نواة الوحدة الصلبة تتكون من توحيد اجزاء الوطن التي امتلكت حريتها واستقلالها وقامت فيها حكومات قومية تقدمية عقدت عزمها على القضاء على تحالف الاقطاع ورأس المال والرجعية والاستعمار وتحرير القوى العاملة من ابناء الشعب لتقيم تحالفها وتعبر عن ارادتها الحقيقية.

### **الثورات المصرية والعراقية والسورية**

لقد كانت ثورة الثالث والعشرين من يوليو (تموز) نقطة تحول تاريخي اكتشف فيها الشعب العربي في مصر ذاته واستعاد ارادته فسلك طريق

الحرية والعروبة والوحدة، وجلت ثورة الرابع عشر من رمضان وجه العراق العربي الصريح وانارت سبيله الى افاق الوحدة التي استهدفها المخلصون في ثورة الرابع عشر من تموز.

ووضعت ثورة الثامن من آذار سورية في رحاب الوحدة التي اغتالتها ردة الانفصال الرجعي بعد ان حطمت هذه الثورة كل العقبات التي ركزها الانفصاليون والاستعمار بتصميم في طريق الوحدة.

والتقت الثورات الثلاث لقاءها هذا الذي اكد من جديد ان الوحدة عمل ثوري يستمد مفاهيمه من ايمان الجماهير وقوته من ارادتها واهدافه من امانها في الحرية والاشتراكية، ان الوحدة ثورة، ثورة لأنها شعبية، وثورة لأنها تقدمية، وثورة لأنها اندفاع قوي في تيار الحضارة.

والوحدة خاصة ثورة لأنها مرتبطة ارتباطا عميقا بقضية فلسطين والواجب القومي بتحريرها، فنكبة فلسطين هي التي كشفت تأمر الطبقات الرجعية وفضحت خيانات الاحزاب الشعبوية العميلة وتكرها لاهداف الشعب وامانيه، وهي التي اظهرت ما في الانظمة الاقتصادية والاجتماعية التي كانت سائدة في البلاد من ضعف وتخلف وهي التي فجرت طاقات جماهير شعبنا الثورية وايقظت روح التمرد على الاستعمار والظلم والفقر والتخلف، وهي التي دلت بوضوح الى طريق الخلاص، طريق الوحدة والحرية والاشتراكية.

لقد كان ذلك ماثلا امام الوفود في مباحثاتها : فلئن كانت الوحدة هدفا مقدسا، فهي ايضا عدة النضال الشعبي ووسيلته لتحقيق اهدافه الكبرى في الحرية والامن وفي تحرير جميع اجزاء الوطن العربي وفي ارساء مجتمع الكفاية والعدل، مجتمع الاشتراكية، وفي استمرار التيار الثوري في اندفاعه دون انحراف او انتكاس، وامتداده ليشمل الوطن العربي الكبير، وفي الاسهام في تقدم الحضارة الانسانية ودعم السلام العالمي.

فاجتمع الرأي على ان تقوم الوحدة بين الاقطار الثلاثة كما يريدتها الشعب العربي على اسس الديمقراطية والاشتراكية، وان تكون وحدة حقيقية متينة تراعي الظروف القطرية لتحكم عرى الوحدة على اساس من الفهم الواقعي، لا لتكرس اسباب التجزئة والانفصال وتجعل من قوة كل قطر قوة للدولة الاتحادية للوطن العربي، ومن الدولة الاتحادية قوى لكل قطر فيها وللامة العربية كلها.

فالوفود الثلاثة تعلن باسم الشعب العربي في مصر وسورية والعراق،  
ارادة هذا الشعب في قيام الوحدة الاتحادية على الاسس التالية :

### **في مجال العمل القومي والدولة**

\* وضع ميثاق للعمل القومي تلتقي عليه كل القوى الشعبية التقدمية  
الوحدوية، يحدد لها المبادئ والاهداف والفلسفة الاجتماعية ويكون اساسا  
لتعاونها واتحادها.

\* حرية تكوين المنظمات الشعبية في الاقطار الاعضاء: لتجد الارادة الشعبية  
الحررة تعبيرا عن نفسها منظما. كل ذلك في اطار جبهة سياسية تجمع هذه  
المنظمات الشعبية.

\* توحيد القيادات السياسية على المستوى الاتحادي : ضمانا لتنسيق نشاط  
المنظمات الشعبية وتوحيده، لان وحدة العمل السياسي والنضال الشعبي  
هي الكفيلة بحماية الوحدة وتوطيدها ونموها.

دعم الاجهزة الاتحادية لتوكيد قدرتها على التخطيط والتنسيق والتنفيذ وضمانا  
لفعاليتها التي تعبر عن جدية الوحدة ويكون ذلك :

\* بتوحيد الشخصية الدولية والسياسة الخارجية للدولة الاتحادية، لتصبح قوة  
واحدة تواجه الاستعمار داخل الوطن العربي وخارجه وجهدا واحدا ينتصر لحرية  
الشعوب ويدعم السلام العالمي.

\* بتحقيق وحدة عسكرية قادرة على تحرير الوطن العربي من خطر الصهيونية  
والاستعمار وتحقيق هدفه في الامن والاستقرار وتعبئة قواه لاقامة الحق  
والعدل والسلام.

\* بتوحيد اجهزة التخطيط لتوجيه امكانيات الدولة الاتحادية الى التنمية  
الاقتصادية والاجتماعية واستغلال جميع الطاقات والقوى خير استغلال لبناء  
مجتمع الكفاية والعدل مجتمع الاشتراكية.

\* بتوجيه اقصى الاهتمام الى شؤون التربية والتعليم والبحث العلمي والثقافة  
والاعلام لتنمية الوعي الثوري ووضع العلم في خدمة المجتمع وتعميق  
المفاهيم التقدمية والتعريف بالقيم الجديدة، والعمل على امتداد الوعي الى  
جميع اجزاء الوطن العربي.

ان الدولة الاتحادية في قيامها تلتزم بمقومات اساسية ترسم لها طريق التطور والنمو وتحدد لها منهاجا ثوريا تقدما في كل المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، تعبر عن حقيقة المرحلة التاريخية التي يجتازها الوطن العربي، وعلى ذلك تعلن الوفود اتفاقها الكامل على ان تكون الدولة الاتحادية بمقوماتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وبدستورها ومؤسساتها الدستورية على الصورة العامة التالية التي تبرز الخطوط الرئيسية لميثاق العمل القومي ودستور الدولة الاتحادية.

### **قواعد التنظيم السياسي والجبهات الحزبية :**

ان وحدة الهدف ووحدة القيم والمبادئ تتطلب من كل القوى الوحدوية الاشتراكية الديمقراطية في كل قطر من اقطار الدول الاتحادية تكوين جبهة سياسية ترتبط بميثاق للعمل الديمقراطي الاشتراكي الوحدوي، تستهدف منه توحيد العمل السياسي في القطر، وتطوير الحوافز الثورية للجماهير تحقيقا لحياة افضل تحاول بها ان ترتفع بواقعها الى مستوى امانها، كما تعمل هذه القوى على توحيد جهودها في تنظيم سياسي واحد مرتبط بميثاق العمل القومي ملتزمة في ذلك بما تقرره هذه الجبهة بالاغلبية، لتجسد على هذا المستوى وحدة ارادتها ولتستطيع تحمل مسؤوليتها والقيام بواجباتها.

وعلى مستوى الدولة الاتحادية تتكون قيادة سياسية واحدة تقود وتوحد العمل السياسي في الدولة في اطار هذا الميثاق، على ان تلتزم الجبهات السياسية في الاقطار او التنظيمات الموحدة فيها بقرارات القيادة الاتحادية التي تصدر بالاغلبية.

وعلى هذه القيادة ان تضع تدريجيا تنظيما سياسيا موحدًا يقود العمل السياسي القومي في دولة الاتحاد وخارجها، وان تعمل على تعبئة قوى الجماهير لفرض ارادتها في الحياة وقيادتها دائما في افاق جديدة.

ان هذا لا يعني حل الاحزاب الوحدوية القائمة.

والعمل السياسي ليس فقط هو قيادة الجماهير بل هو ايضا تثبيت لدعائم مجتمعنا على اساس من الديمقراطية، والاشتراكية التي نبعت من واقعنا واصبحت تعبيرًا عن مستقبلنا.

فالديمقراطية هي توكيد السيادة للشعب ووضع السلطة كلها في يده وتكريسها لتحقيق اهدافه.

والاشتراكية هي الترجمة الصحيحة لكون الوحدة عملا تقديما وهي اقامة مجتمع الكفاية والعدل.. مجتمع العمل وتكافؤ الفرص مجتمع الانتاج ومجتمع الخدمات.

ان الديمقراطية هي الحرية السياسية والاشتراكية، هي الحرية الاجتماعية، ولا يمكن الفصل بينهما انهما جناحا الحرية الحقيقية وبدونها او بدون اي منهما لا تستطيع الحرية ان تحلق في افاق الغد المرتقب.

ان الديمقراطية السياسية لا يمكن ان تتحقق في ظل الرجعية كما انها لا يمكن ان تتحقق في ظل دكتاتورية الطبقة الواحدة.

لذلك يجب ان يسقط تحالف الاقطاع ورأس المال، وان يحل محله التحالف الديمقراطي بين قوى الشعب العاملة من الفلاحين والعمال والمثقفين والجنود والرأسمالية الوطنية، باعتبار ان هذا التحالف هو البديل الشرعي لذلك التحالف الرجعي، وهو القادر على احلال الديمقراطية السليمة محل ديمقراطية الرجعية.

### **اربع فئات اعداء الشعب**

إن القيادة في الجمهورية العربية المتحدة للشعب، وان الحرية كل الحرية للشعب ولا حرية لاعداء الشعب.

وتشمل فئة اعداء الشعب العناصر التالية :

- 1- المعزولون سياسيا بمقتضى القوانين المقررة لذلك.
- 2- كل من حوكم ثوريا او ادين بأنه انفصالي او متآمر او مستغل.
- 3- كل من تعامل او يتعامل في المستقبل مع التنظيمات السياسية الاجنبية فاصح بذلك عميلا للقوى الاجنبية.
- 4- كل من عمل او يعمل لفرض سيطرة الطبقة الواحدة على المجتمع.

ان التنظيمات الشعبية والسياسية التي تقوم بالانتخاب الحر المباشر لابد ان تمثل بحق وبعدل القوى المكونة للاغلبية، ومن هنا يجب ان نضمن

للعمال والفلاحين نصف مقاعد هذه التنظيمات على الاقل، وفي جميع المستويات بما فيها مجلس الامة.

ان ذلك فضلا عما فيه من حق وعدل باعتباره تمثيلا للاغلبية، فهو ضمان اكيده لقوة الدفع الثوري وبذلك تتأكد باستمرار سلطة المجالس الشعبية المنتخبة فوق سلطة اجهزة الدولة التنفيذية والادارية ويظل الشعب دائما قائد العمل الوطني كذلك فإن الحكم المحلي يجب ان ينقل باستمرار وبالاحاطة سلطة الدولة تدريجا وكلما امكن ذلك الى ايدي السلطات الشعبية فإنها اقدر على الاحساس بمشاكل الشعب واقدر على حسمها.

### **القيادة الجماعية والحريات والانتخاب**

ان جماعية القيادة على جميع مستويات العمل السياسي والشعبي امر لا بد من ضمانه عصمة من جموح الفرد، وتأكيدا للديموقراطية على كل المستويات وضمانا للاستمرار الدائم المتجدد.

ان المنظمات الشعبية والمنظمات النسائية تستطيع ان تقوم بدور مؤثر وفعال في التمكين للديمقراطية السليمة، ان هذه المنظمات لا بد ان تكون قوى متقدمة في ميادين العمل الديموقراطي.

وان نمو الحركة التعاونية والنقابية معين لا ينضب للقيادات الواعية التي تلمس باصابعها مباشرة اعصاب الجماهير وتشعر بقوة نبضها، ويجب ان يسقط الضغط الذي كان يخنق حرية هذه المنظمات ويشل حركتها.

ان الحريات العامة مكفولة في حدود القوانين وتكفل الجمهورية العربية المتحدة لجميع المواطنين دون تمييز حرية الرأي والتعبير، حرية النقد والنقد الذاتي، حرية الصحافة، حرية الاجتماع وتكوين الجمعيات، حرية تكوين النقابات والتنظيمات التعاونية، حرية العلم، حرية العقيدة والعبادات والشعائر الدينية وغيرها من الحريات العامة.

المواطنون سواء امام القانون في الحقوق والواجبات ولا يجوز التمييز بينهم بسبب الجنس او الاصل او اللغة او الدين او العقيدة، كما ان المرأة لا بد ان تتساوى بالرجل في الحقوق العامة ولا بد ان تسقط بقايا الاغلال التي تعوق حركتها حتى تستطيع ان تشارك بعمق وايجابية في صنع الحياة.



ان الانتخاب العام حق للمواطنين على النحو المبين بالقانون ومساهماتهم في الحياة العامة واجب قومي كما ان حق الترشيح وحق الانتخاب مكفولان لجميع افراد الشعب.

ان مبدأ سيادة القانون هو الضمان النهائي للحرية وحق التقاضي مكفول للمواطنين في حدود القانون، والقضاء مستقلون لا سلطان عليهم غير ضميرهم والقانون.

### **اشتراكية وسط بين الاستعمار والسخره**

ان الحرية الاجتماعية طريقها الاشتراكية وهذه لا يمكن ان تتحقق الا بفرض متكافئة امام كل مواطن في نصيب عادل من الثروة القومية بحيث تستطيع الوفاء بالحقوق المشروعة لجماهير الشعب العاملة.

ان طريق الثورة طريق الاشتراكية ضرورة حتمية يفرضها الواقع التاريخي، وتفرضها الآمال العريضة للجماهير لمواجهة التخلف الاجتماعي والاقتصادي في الوطن العربي كما تفرضها الظروف العالمية.

ان التجارب الرأسمالية في التقدم سارت جنباً الى جنب مع الاستعمار، واستطاعت بلدان العالم الرأسمالي الوصول الى مرحلة الانطلاق الاقتصادي باستغلال ثروات الشعوب المستعمرة.

ولقد انتهت عصور القرصنة الاجتماعية التي جرى فيها نهب ثروات الشعوب لصالح غيرها بلا وازع من القانون او الاخلاق، كذلك فإن هناك تجارب للتقدم حققت اهدافها على حساب شقاء الملايين من الشعب العامل، اما لصالح رأس المال او تحت ضغط تطبيقات مذهبية مضت الى حد التضحية الكاملة باجيال حية في سبيل اجيال لم تطرق بعد ابواب الحياة.

ان التقدم عن طريق النهب او التقدم عن طريق السخره لم يعد امراً محتملاً في ظل القيم الانسانية الجديدة، فقد استطاعت هذه القيم ان تسقط الاستعمار كما استطاعت ان تسقط السخره. ولم تكتمل هذه القيم الانسانية باسقاط هذين المنهجين بل فتحت بالعلم مناهج اخرى للعمل من اجل التقدم.

ان رأس المال في البلاد التي ارغمت على التخلف لم يعد قادراً على قيادة الانطلاق الاقتصادي في وقت نمت فيه الاحتكارات الرأسمالية الكبرى

في البلدان المتقدمة اعتمادا على استغلال موارد ثروات الشعوب، ولم تعد تقدر الرأسمالية المحلية على المنافسة الا من وراء اسوار الحماية الجمركية المالية التي تدفعها الجماهير او ان تربط نفسها بحركة الاحتكارات العالمية وتقتفي اثرها وتتحول الى ذيل لها تجر اوطانها وراءها الى هذه الهاوية الخطيرة.

ان العمل من اجل زيادة قاعدة الثروة الوطنية لا يمكن ان يترك لعضوية رأس المال الخاص المستغل ونزعاته الجامحة التي لا يحركها غير دافع الربح الاناني.

### **حدود التأميم والملكية الخاصة**

لذلك كان من الضروري ان يتم الانطلاق الاقتصادي في الوطن العربي بشروط ثلاثة :

1- تجميع المدخرات الوطنية.

2- وضع كل خبرات العلم الحديث في خدمة استثمار هذه المدخرات.

3- وضع تخطيط شامل لعملية الانتاج.

وهدف التخطيط في المجتمع الاشتراكي هو :

1- تحقيق التنمية المتوازنة للاقتصاد في كافة القطاعات المتخلفة.

2- تلبية الحاجات العامة والخاصة بالنسبة للمجتمع والفرد.

3- التوزيع العادل للثورة القومية.

4- ان يكفل للعمال اشتراك ايجابي في الادارة يصاحبه اشتراك حقيقي في ارباح الانتاج، مع وضع حد ادنى للاجور يكفل الحياة الكريمة للانسان العامل.

لذلك كان من الضروري سيطرة الشعب على كل ادوات الانتاج وعلى توجيه فائضها طبقا لخطة محددة وهي في الوقت نفسه طريق الديمقراطية بكل اشكالها السياسية والاجتماعية، وهذا لا يستلزم بالضرورة تأميم كل وسائل الانتاج ولا الغاء الملكية الخاصة او المساس بحق الارث الشرعي المترتب عليها، وانما يمكن الوصول الى ذلك بطريقتين:

أولهما : خلق قطاع عام وقادر يقود التقدم في جميع المجالات ويتحمل المسؤولية الرئيسية في خطة التنمية.

ثانيهما : وجود قطاع خاص يشارك في التنمية في اطار الخطة الشاملة لها من غير استغلال على ان تكون رقابة الشعب شاملة للقطاعين مسيطرة عليهما معا.

ان التخطيط الاشتراكي الكفاء هو الطريق الوحيد الذي يضمن استخدام جميع الموارد القومية المادية والبشرية بطريقة عملية وعلمية وانسانية لكي تحقق الخير لجميع الشعب وتوفر له حياة الرفاهية.

ان هذا التخطيط ضمان لحسن استغلال الثروات الموجودة والكامنة والمحتملة ثم هو في الوقت ذاته ضمان توزيع الخدمات الاساسية باستمرار ورفع مستوى ما يقدم منها بالفعل ومد هذه الخدمات الى المناطق التي افترسها الاهمال والعجز نتيجة لطول الحرمان الذي فرضته اناية الطبقات المتحكمة المستعلية على الشعب المناضل.

ان تنظيم الانتاج مطالب بأن يدرك ان غاية الانتاج هي توسيع نطاق الخدمات، وان الخدمات بدورها قوة دافعة لعجلات الانتاج وان هذا التنظيم لا بد له ان يعتمد على مركزية التخطيط وعلى لامركزية التنفيذ لضمان وضع برنامج الخطة في يد كل جموع الشعب وافراده.

ان الملكية الخاصة ورأس المال الخاص يجب ان يوضعا في الموضع الذي لا يسمح بقيام الاقطاع او الاحتكار او الاستغلال، كما ان رأس المال الخاص يجب ان يخضع لتوجيه السلطة الشعبية شأنه في ذلك شأن القطاع العام وهذه السلطة هي التي تشرع له وهي التي توجهه على ضوء احتياجات الشعب، كما ان هذه السلطة هي التي تقضي على نشاطه اذا ما حاول ان يستغل او ينحرف.

ان التطبيق العربي للاشتراكية في مجال الزراعة يهدف اساسا الى تحرير الفلاحين من الاستغلال والسيطرة ويكون ذلك :

- 1- بتحديد حد اعلى للملكية الزراعية يقضي على الاقطاع واستغلال الفلاحين ويمنع قيامه من جديد.
- 2- زيادة انتاجية الارض باستعمال الطرق والوسائل العلمية والفنية.
- 3- تنظيم الاستثمار الفردي والجماعي، التنظيم الذي يكفل العدالة في توزيع ثمار الارض.

## الدين مقوم اساسي في حياتنا

وفي ختام هذه المقومات، فإن الشعب العربي الذي يعيش في المنطقة التي نزلت فيها رسالات السماء يؤمن برسالة الدين ويتخذ من القوة الروحية التي تزوده بها الاديان دافعا للنضال الشعبي لتحقيق ذاته وبلوغ اهدافه.

ويجب ان يثبت في تقديرنا ان الدين مقوم اساسي من المقومات التي يبني عليها المجتمع العربي حياته ومستقبله جنبا الى جنب مع كل المقومات المادية الاخرى التي يحرص عليها الدين ولا تعارضه، وان هذا الشعب يملك من ايمانه بالله وثقته بنفسه ما يمكنه من فرض ارادته على الحياة ليصوغها من جديد وفق مبادئه وامانيه.

## الاطار العام للدولة الاتحادية

- 1- ان تقوم دولة اتحادية باسم "الجمهورية العربية المتحدة" على اساس الاتحاد الحر بين كل من مصر وسوريا والعراق وتكون اسماء الاعضاء بالدولة الاتحادية "القطر المصري" و "القطر السوري" و "القطر العراقي".
- 2- ان يكون لكل جمهورية عربية مستقلة تؤمن بمبادئ الحرية والاشتراكية والوحدة الحق في ان تنضم الى هذه الدولة بارادة شعبية حرة ويتم الانضمام بعد موافقة السلطة الدستورية في الدولة الاتحادية.
- 3- ان تكون السيادة الدولية الكاملة للدولة الاتحادية.
- 4- ان تكون لمواطني الدولة الاتحادية جنسية واحدة هي الجنسية العربية يتمتع بها كل من يتمتع وقت قيام الدولة بجنسية الاقطار الاعضاء وتنظم احكامها بقانون اتحادي.
- 5- ان تكون السيادة في الدولة الاتحادية للشعب يمارسها طبقا للدستور.
- 6- ان يكون الاسلام دين الدولة واللغة العربية لغتها الرسمية.
- 7- ان يكون علم الدولة، علم الجمهورية العربية المتحدة الحالي وفيه ثلاث نجوم بدلا من نجمتين وتزداد نجمة كلما انضمت دولة الى الدولة الاتحادية.

## صلاحيات الدولة الاتحادية

\* ان تختص سلطات الدولة الاتحادية بالشؤون الآتية :

- السياسة الخارجية بكل جوانبها بما فيها التمثيل الخارجي والمعاهدات مع الدول والهيئات الدولية على ان تنظم القوانين الاتحادية بقاء بعض الشؤون التجارية والثقافية بصفة مؤقتة تتولاها سلطات الاقطار.

- الدفاع والامن القومي باعتبار القوات المسلحة بالدولة الاتحادية جزء من الشعب، وولاؤها للشعب ولا تأتمر الا باوامره عن طريق السلطات الدستورية المختصة على النطاق القومي الاتحادي ويدخل في شؤون الدفاع والامن القومي موضوعات الحرب والسلم واعداد القوات المسلحة البرية والبحرية والجوية وتسليحها وتدريبها واستخدامها ومجلس الدفاع والقيادة العامة للقوات المسلحة والقيادات العسكرية بالاقطار (على ان يوكل امرها للاقطار خلال الفترة المناسبة لكل قطر اثناء فترة الانتقال، حسبما يجري عليه الاتفاق) وكذلك الموضوعات المتعلقة بالصناعات الحربية ومؤسسات الامن القومي وحالات اعلان الطوارئ والاحكام العرفية والحالات الخاصة التي تمنح فيها السلطات المحلية للاقطار حق استخدام القوات المسلحة بتفويض من سلطات الاتحاد.

- المالية والخزانة : وتتناول الضرائب الاتحادية، وميزانية الاتحاد، واصدار اذونات الخزانة او السندات الاتحادية لتمويل المشروعات الاتحادية، والقروض الخارجية والداخلية. وكذلك القوانين والسياسة الجمركية مستهدفة تكوين وحدة جمركية وسوق عربية مشتركة تتطور الى سوق عربية موحدة.

- الاقتصاد والتخطيط الاقتصادي والتنمية : وتتناول التخطيط الاقتصادي في شؤون الصناعة والزراعة والتجارة والمواصلات والتنسيق بين خطط التنمية في الاقطار ورسم السياسة الاقتصادية والتبادل التجاري، والشؤون المصرفية، وتنظيم العلاقات بالمؤسسات الاقتصادية الدولية، وشؤون العملة وتنظيم استغلال مصادر الثروات الطبيعية.

- الاعلام والثقافة والتعليم : وتتناول انشاء جهاز اتحادي مركزي يقوم على تخطيط الشؤون الاعلامية في اقطار الاتحاد، على ان يكون التنفيذ الاعلامي اتحاديا في بعضه وقطريا في بعضه الآخر.

- وانشاء مجلس او مجالس عليا تعمل على تخطيط ورسم السياسة العامة للتربية والتعليم والبحث العلمي والثقافة والفنون في الاتحاد بما يضمن وحدة الفكر والاتجاه القومي العربي الوحدوي والاعداد الروحي والعلمي والاخلاقي للاجيال الصاعدة.

العدل وتنسيق القوانين : وتتناول وضع اسس موحدة للعدالة في اقطار دولة الاتحاد وتضمن القوانين (مثل قوانين العقوبات والقانون المدني والقانون التجاري وقانون الاجراءات وقانون العمل والتأمينات الاجتماعية..الخ) المبادئ الاساسية والتنسيق بينها بغية الوصول الى توحيدها على مراحل. هذا الى جانب تنظيم القضاء الاتحادي.

المواصلات الاتحادية : وتتناول تنظيم شؤون المواصلات الاتحادية والمشاركة البرية والبحرية والجوية والبريد والبرق والهاتف واللاسلكي والارصاد على المستوى الاتحادي.

الشؤون الاخرى : وتتناول المشروعات المشتركة بين الاقطار والسلطات الاستثنائية اثناء الحرب والطوارئ والفصل فيما يقع بين الاقطار من خلاف وتشكيل المجالس المشتركة لانواع الخدمات المختلفة في حدود التشريعات الاتحادية، على ان تلتزم الاقطار بتنفيذ القوانين والقرارات الاتحادية في كل ما يتعلق بهذه الشؤون.

\* تختص الاقطار بجميع السلطات التي لا تدخل في اختصاص الدولة الاتحادية، ويمكن تفويض الاقطار بقانون اتحادي في ممارسة بعض اختصاصات السلطات الاتحادية لاجل معين وفي هذه الحالة يكون لسلطات الاتحاد الاشراف على السلطات في الاقطار عند مباشرة هذه الاختصاصات، كما يمكن الاتفاق على ان يوكل الى هذه السلطات امر تنفيذ بعض القوانين الاتحادية.

### **تكوين مجلس الامة وصلاحياته**

كما تم الاتفاق على ان تكون مؤسسات الدولة الاتحادية والعلاقات بينها وفقا لما يلي : (ولما هو وارد بالمحلق (ب) المرفق بهذا الاعلان).

اولا : مجلس الامة :

1- هو اعلى هيئة لسلطة الدولة في الجمهورية العربية المتحدة.

2- هو الهيئة التي تمارس السلطة التشريعية.

3- يتكون مجلس الامة من مجلسين :

أ- مجلس النواب : ويتكون من عدد الاعضاء بنسبة عدد السكان في كل قطر، وينتخب انتخابا حرا مباشرا وبالاقتراع السري العام، ومدة العضوية فيه 4 سنوات.

ب- مجلس الاتحاد : ويتكون من عدد متساو من الاعضاء من كل قطر وينتخب بالطريقة التي يحددها الدستور الاتحادي ومدة العضوية فيه 4 سنوات.

ويكون عدد اعضائه ربع عدد اعضاء مجلس النواب على الاقل، ثلث عدده على الاكثر.

4- ينتخب مجلس الامة ورئيس الجمهورية ونواب الرئيس (بالطريقة التي يحددها الدستور).

5- يناقش كل من المجلسين المسائل الاساسية الخاصة بسياسة الدولة الداخلية والخارجية وخطط التنمية، ويتخذ القرارات بشأنها.

6- لرئيس الجمهورية ولكل من اعضاء المجلسين حق اقتراح القوانين (ويبين الدستور الاجراءات والنسب الخاصة بذلك).

7- لا يصدر قانون الا اذا اقره كل من المجلسين، واذا اختلف الرأي بين المجلسين بالنسبة لقانون يعرض على لجنة توفيق مكونة من عدد متساو من المجلسين.

8- يصدر رئيس الجمهورية القوانين بعد اقرارها من المجلسين وله ان يرد القانون خلال مدة يحددها الدستور الى كل من المجلسين فإذا اقر منهما بأغلبية ثلاثة ارباع الاعضاء لكل من المجلسين اعتبر قانونا واصدر.

9- لكل عضو من اعضاء المجلسين ان يوجه الى رئيس الوزراء والى الوزراء اسئلة واستجابات (وينظم الدستور والقانون الاتحادي طريقة ذلك).

10- مجلس الوزراء مسؤول مسؤولية ثقة امام مجلس الامة، ويكون منح الثقة او سحبها بالأغلبية المطلقة لمجموع اعضاء مجلس الامة.

11- يكون حل اي من المجلسين او كليهما بقرار من رئيس الجمهورية.

- 12- يختص مجلس الامة بنظر طلبات انضمام كل دولة جديدة الى الاتحاد وتكون الموافقة باغلبية ثلاثة ارباع كل مجلس على حدة.
- 13- يتم تعديل الدستور الاتحادي باغلبية ثلاثة ارباع كل مجلس على حدة.
- 14- دساتير الاقطار يجب الا تتعارض مع دستور الاتحاد ويتفق عليها قبل عرض دستور الاتحاد على الاستفتاء.
- 15- يكون تعديل دستور القطر بواسطة المجلس التشريعي بالقطر بالطريقة التي يحددها الدستور ولا تصبح هذه التعديلات نافذة الا اذا اقرتها المجالس الاتحادية باغلبية ثلاثة ارباع كل مجلس على حدة.

### انتخاب رئيس الجمهورية وصلاحياته

ثانيا رئيس الجمهورية :

- 1- رئيس الدولة هو رئيس الجمهورية الذي ينتخبه مجلس الامة ليمثل سلطة الدولة.
- 2- كل مواطن في الدولة تتوافر فيه الشروط لانتخابه عضوا في مجلس الامة يجوز انتخابه رئيسا للجمهورية، ويعلن انتخاب المرشح اذا حصل على ثلثي اصوات جميع اعضاء مجلس الامة، فإذا لم يحصل على هذه الاصوات يعاد الانتخاب ويعلن انتخاب المرشح اذا حصل على الاغلبية المطلقة لمجموع عدد اعضاء مجلس الامة، فإذا لم يحصل على هذه الاصوات يعاد الانتخاب ويعلن انتخاب المرشح اذا حصل على الاغلبية المطلقة لمجموع عدد اعضاء مجلس الامة، وينظم الدستور باقي الاحكام الخاصة بالانتخاب.
- 3- مدة الرئاسة 4 سنوات واذا انتهت المدة في فترة تجديد مجلس الامة، يستمر الرئيس في ممارسة سلطاته حتى يتم تجديد مجلس الامة واختيار الرئيس الجديد.
- 4- الرئيس هو القائد الاعلى للقوات المسلحة ويرأس مجلس الدفاع القومي.
- 5- يحدد الدستور اختصاصات رئيس الجمهورية ولكنه على وجه الخصوص :  
أ- يمثل الدولة.



- ب- يصدر القوانين.
- ج- يقترح القوانين.
- د- يعترض على القوانين.
- هـ- يعين رئيس الوزراء والوزراء الذين يجب ان يحوزوا ثقة مجلس الامة ويقبل استقالاتهم.
- و- يعين الضباط ويعزلهم ويرقي قواد القوات المسلحة.
- ز- يعين قضاة المحكمة الاتحادية العليا.
- ح- يعين كبار موظفي دولة الاتحاد في الحالات التي ينص عليها القانون.

نواب الرئيس :

- 1- ينتخب 3 نواب للرئيس (واحد في كل قطر) بنفس الطريقة التي ينتخب بها رئيس الجمهورية، وفي نفس الوقت.
- 2- يعاون نواب الرئيس، الرئيس في اعماله، وله ان ينيبهم عنه او يفوضهم بعض اختصاصاته ويستشيرهم في الاعمال الموكولة اليه.
- 3- ينظم الدستور باقي الاحكام الخاصة بنواب الرئيس.

## مجلس الوزراء والسلطة القضائية

مجلس الوزراء:

- 1- يتكون مجلس الوزراء من رئيس مجلس الوزراء والوزراء.
- 2- مجلس الوزراء والوزراء مسؤولين عن اعمالهم امام مجلس الامة.
- 3- يتولى رئيس الوزراء والوزراء مناصبهم ماداموا محل ثقة الرئيس.
- 4- يتولى مجلس الوزراء الاتحادي تنظيم وتنفيذ مهام الدولة الاتحادية ويصدر القرارات اللازمة لذلك (حسب الدستور والقوانين الاتحادية).
- 5- تقدم الوزارة بعد تعيينها برنامجها الى مجلس الامة للموافقة عليه.

6- ينظم الدستور والقوانين الاتحادية الاحكام الخاصة بمجلس الوزراء والوزارات ومؤسسات الحكومة الاخرى المختلفة.

7- ينظم الدستور والقوانين الاتحادية الاحكام الخاصة بالوزراء.

ثالثا : السلطة القضائية :

1- تكون للاتحاد محكمة عليا تسمى "المحكمة الاتحادية العليا" تنشأ بمقتضى احكام الدستور بقانون اتحادي.

2- يختار مجلس الامة اعضاء المحكمة الاتحادية العليا بناء على ترشيح رئيس الجمهورية من بين رجال القضاء والقانون.

3- ينظم الدستور والقوانين الاتحادية اختصاصات "المحكمة الاتحادية العليا" وتوفير الحصانة الخاصة باعضاء المحكمة ومدة تعيينهم وحالات اعفائهم.

### **الرناسات والمجالس والوزارات القطرية :**

كما تم الاتفاق على ان تكون الأجهزة في الاقطار :

اولا : رئيس للقطر :

1- ينتخبه المجلس التشريعي للقطر لمدة 4 سنوات وبوافق عليه رئيس الجمهورية.

2- يتولى الاختصاصات التي يحددها الدستور الاتحادي ودساتير الاقطار.

3- يعين وزارة القطر ويقبل استقالتها.

ثانيا : المجلس التشريعي للقطر:

1- يكون لكل قطر مجلس تشريعي منتخب انتخبا حرا مباشرا وسريا.

2- يحدد الدستور اختصاصات المجلس التشريعي.

3- يصدر المجلس التشريعي بالقطر التشريعات الخاصة بالقطر.

4- يعدل دستور القطر بالطريقة التي يحددها الدستور ولا تصبح هذه التعديلات نافذة الا بعد اقرارها بالاغلبية الخاصة لكل من مجلس النواب ومجلس الاتحاد.

5- يناقش الوزارة والوزراء ويسأل ويستجوب الوزراء بالقطر ويسحب الثقة من الوزارة بالطريقة التي يحددها الدستور.

ثالثا : وزارة القطر :

1- تكون لكل قطر وزارة مكونة من رئيس وزراء ووزراء.

2- وزارة القطر مسؤولة امام المجلس التشريعي بالقطر ويجب ان تحرز ثقته.

3- ينظم الدستور حالات سحب الثقة من الوزارة.

4- يبين الدستور والقوانين اختصاصات الوزارات وطريقة عملها والاحكام الخاصة بالوزارة.

رابعا : القضاء بالقطر :

ينظم دستور القطر وقوانينه القضاء بالقطر ويضمن استقلاله وحصانته.

### **الاحكام في مرحلة الانتقال**

وقد اتفق على ان تتبع في مرحلة الانتقال الاحكام الانتقالية التالية :

أولا : في دولة الاتحاد:

1- يستفتى على دستور الاتحاد وعلى رئيس الجمهورية في مدة اقصاها خمسة اشهر من تاريخ اعلان هذا البيان.

2- تعتبر دولة الاتحاد (الجمهورية العربية المتحدة) قائمة دستوريا عند اعلان نتائج الاستفتاء.

3- تستكمل المؤسسات الدستورية الاتحادية جميع عناصرها التي نص عليها الدستور في مدة اقصاها 20 شهرا من تاريخ اعلان الاستفتاء وتنتهي بذلك فترة الانتقال.

4- لكل قطر ان يقيم قبل هذا الموعد ما يراه من المؤسسات الدستورية الخاصة به تمهيدا لقيام المؤسسات الاتحادية بشكل كامل خلال فترة الانتقال.

وتنظم بتشريع اتحادي دستوري مؤسسات الاقطار التي تقوم خلال هذه المدة.

- 5- تتفق الدول الاعضاء على برنامج استكمال توحيد المؤسسات الاتحادية، العسكرية او الخارجية او التشريعية او الاقتصادية او الثقافية... الخ. حتى يمكن ان ينص على هذا البرنامج في مادة انتقالية من مواد الدستور.
- 6- يتولى جميع السلطات التشريعية والتنفيذية في دولة الاتحاد خلال فترة الانتقال مجلس رئاسة يرأسه رئيس الجمهورية ويكون نواب الرئيس اعضاء فيه.
- 7- تشكيل مجلس الرئاسة :
- يشكل مجلس الرئاسة من عدد متساو من الاعضاء من كل قطر من الاقطار.
- 8- يختار اعضاء مجلس الرئاسة بمعرفة الجهات التي لها السلطة التشريعية في الدول الاعضاء عند قيام الاتحاد.
- 9- يعين رئيس الجمهورية، رئيس الوزراء والوزراء ويعفيهم من مناصبهم.
- 10- تكون قرارات المجلس باغلبية اعضائه.
- 11- لرئيس الجمهورية حق الاعتراض على اي قرار او قانون يصدره مجلس الرئاسة.
- 12- يختص مجلس الرئاسة بالاتي :
- أ- تعيين نواب رئيس الجمهورية (نائباً من كل قطر) وذلك بالاتفاق مع الجهة التي لها سلطة التشريع في القطر اثناء فترة الانتقال.
- ب- يعين رئيس لكل قطر بالاتفاق مع الجهة التي لها سلطة التشريع في القطر اثناء فترة الانتقال.
- ج- تعيين مجلس الدفاع القومي ومتابعة اعماله.
- د- رسم السياسة العامة للدولة وتخطيطها وتكليف الوزارة بتنفيذها.
- هـ- تنسيق المصالح العامة بين الاقاليم.
- ر- تعيين المجالس العليا التي جاء ذكرها في المبادئ العامة.
- 13- الوزارة الاتحادية : تتشكل من :

أ- رئيس الوزراء.

ب- وزارة الخارجية.

ج- وزارة الدفاع.

د- وزارة الاعلام والارشاد القومي والثقافة.

هـ- وزارة التربية والتعليم العالي والبحث العلمي.

ر- وزارة الخزانة والمالية.

ز- وزارة الاقتصاد والتخطيط الاقتصادي (وتضاف اليها اعمال المواصلات).

ح- وزارة العدل.

ط- وزارة الدولة.

14- ويجوز بقانون اتحادي انشاء وزارات اخرى.

15- كما يجوز عمل اجتماعات مشتركة للوزارة الاتحادية مع مجلس الرئاسة.

كما اتفق على اتباع الاحكام العامة التالية :

1- تبقى كل التشريعات المعمول بها في اي قطر سارية المفعول فيه الى ان يتم تعديلها او الغاؤها من السلطة الدستورية المختصة.

2- المعاهدات والاتفاقيات التي سبق ان ابرمتها حكومة اي قطر تبقى سارية المفعول في نطاق القطر الذي ابرمها.

3- تبقى كل المؤسسات والمصالح الحكومية الحالية قائمة على عملها وفق اللوائح والنظم والموجودة الان الى ان يتم عمل انظمة جديدة او تعديلها.

### **تكوين لجان تمهيدية وقيادة عسكرية**

الى ان يتم الاستفتاء على الدستور الاتحادي تقوم الدول الاعضاء بتكوين اللجان والهيئات الآتية حتى يكون تكوينها وبدؤها في العمل سبيلا للتمهيد للقيام الصحيح للمؤسسات الاتحادية عند قيام الوحدة.

أ- قيادة عسكرية موحدة.

ب- لجنة للشؤون الخارجية.

ج- لجنة للتنسيق الاقتصادي والسوق العربية المشتركة.

د- اي لجان اخرى.

وقد ارفق بهذا الاعلان ملحق في شأن المؤسسات الدستورية وبناء الدولة الاتحادية والعلاقات فيما بينها.... ويعتبر مكملا لهذا الاعلام وجزءا لا يتجزأ منه.

صدر في القاهرة في يوم الاربعاء 23 من ذي القعدة 1382هـ الموافق 17 من نيسان (ابريل) 1963.



ان حكومة صلاح البيطار التي انبثقت عن انقلاب الثامن من آذار قد قامت قبل بدء المحادثات مع عبد الناصر بسلسلة من الاجراءات الانتقامية من خصومها السياسيين ومن خصوم عبد الناصر، فأصدر المجلس الوطني لقيادة الثورة مرسوما تشريعا يقضي بالغاء ستة عشر صحيفة بتهمة تأييد الانفصال دون اي حق بالتعويض مع ختم مكاتبها ومطابعها بالشمع الاحمر، كما يقضي المرسوم بمصادرة هذه المطابع وموجوداتها لصالح خزينة الدولة بيعها او توزيعها بين الوزارات والادارات كما يقضي بأن توضع تحت الحراسة القضائية الاموال المنقولة وغير المنقولة العائدة الى اصحاب الصحف وازواجهم واولادهم مالم تكن ملكيتها قبل 28 ايلول 1961، اما الصحف المصادرة فهي :

**في دمشق :** الرأي العام لصاحبها احمد عسة، الايام لصاحبها نصح باييل، النصر لوديع صيداوي، صوت العرب لعبد القادر قواس، الأخبار لنسيم مراد، المنار لبشير العوف، العلم لعزت حصرية، الطليعة العربية لعبدان الملوحي، الصرخة لأحمد علوش، الشام لبكري المرادي.

**في حمص :** الفجر لأحمد نورس السواح، البيان لحسن الشامي.

**في حماة :** الحرية لبديع سالمة.

**في حلب :** الشباب لمحمد طلس، التربية لعبد السلام الكامل، برق الشمال لانطوان حاتم.

ويتبين من هذا المرسوم انه الغى جميع الصحف العائدة لجميع الاحزاب والفئات السياسية في سورية ولم يستثن سوى جريدة اللواء العائدة للاخوان وجريدة البعث لصالح البيطار وسمح بالصدور لجريدة الوحدة لصاحبها نزيه الحكيم وبردى الناطقة بلسان الناصريين لصاحبها منير الريس كما سمح بصدور جريدة الرأي الناطقة بلسان القوميين العرب.

وقد ادلى جمال الاتاسي وزير الاعلام تعقيبا على هذا المرسوم بتصريح جاء فيه :

"ان الثورة ستقضي على كل من يقف في طريقها من الانفصاليين والانتهازيين وقال ان هذه الفئات اصحت الآن هزيلة وقد لفظها الشعب وان الثورة تعزز وتدعم الآن اتجاهها الجماهيري في الطريق الوحدوي الاشتراكي". كما صرح بأن مجلس الوزراء سيدرس جميع الطلبات التي ستقدم لاصدار صحف جديدة على ضوء السياسة العامة التي ستقرها الحكومة بهذا الشأن.

وفي تاريخ 1963/3/25 صدر عن مجلس قيادة الثورة مرسومان يفرض اولهما جزاء العزل السياسي على رجال الحكم السابق في سورية باعتبارهم "ركائز العهد الانفصالي". اما الثاني فيتضمن اسماء اربعة وسبعين شخصا وصفهم المرسوم بأنهم استعملوا نفوذهم او ثروتهم او سخروا وظائفهم لخدمة الانفصال، وقد صرح وزير الاعلام جمال الاتاسي بأن هنالك قوائم اخرى تتضمن عددا آخر من الاشخاص سيفرض عليهم العزل وان هذه القوائم ستعلن عما قريب.

وهكذا شمل العزل جميع رجال الاحزاب والسياسيين، كما شمل عددا من العسكريين وحتى رجال الاقتصاد والموظفين لم توفرهم قوائم العزل مما جعل عدد المعزولين مدنيا يتجاوز المائتين، **واعلن عند صدور قائمة العزل الاولى عن جائزة مالية لمن يدل على مكاني ومكان بعض الاشخاص الآخرين،** وكان صدور هذه المراسيم تشفيا وارضاء لجمال عبد الناصر في الوقت نفسه، كما كان امرا جديدا لم تعهده سورية في

أشد عهودها الديكتاتورية، وقد استتنت قرارات العزل هذه عصام العطار احد قادة الاخوان المسلمين وبشير العظمة رئيس الوزراء السابق.

كما صدر بتاريخ 1963/3/15 قرار بتشكيل الحرس القومي على غرار ما جرى في العراق بعد انقلاب الثامن من شباط، ولاشك ان الدافع لذلك هو الخوف من الشعب والجيش بأن واحد، وقد تطوعت في هذا الحرس القيادات العليا لحزب البعث سواء في سورية والعراق، للدفاع عن حكمهم العسكري الديكتاتوري المهدد من قبل الناصريين، ومن القيادات البعثية التي تطوعت رئيس الوزارة صلاح البيطار، وظهرت صورته فيما بعد، في جريدة حزب البعث بعد محاولة الانقلاب الناصري التي جرت في 1963/7/18 وهو يحمل رشاش كلاشنكوف وكتب تحت الصورة، ان صلاح البيطار يقوم بالدفاع عن القصر الجمهوري ضد اعداء الثورة.

### محاضر محادثات الوحدة الثلاثية

ان هذه المحاضر قد سجلت بأصوات المجتمعين كما كان يفعل عبد الناصر دائما في اجتماعاته السياسية، ثم اذيعت ونشرت في جريدة الاهرام قبيل محاولة الناصريين الفاشلة بتاريخ 1963/7/18 للاستيلاء على الحكم في سورية، وفي شهر آب 1963 وبعد انسحاب عبد الناصر من ميثاق الاتحاد الثلاثي نشرت هذه المحادثات في كتاب صدر عن دار الاهرام.

لقد نضحت هذه المناقشات بكل ما في نفوس قادة البعث في سورية وحلفائهم من الناصريين، من انتهازية وجهل وحقد واهواء ومطامع، اذ لم يخطر ببال الوفد السوري ان محاضر هذه المحادثات ستذاع فيما بعد على الملأ مما شكل فضيحة على المستوى الفكري والسياسي والاخلاقي، فقد كشفت المحادثات عن الانقلاب الذي كان مزمعا اجراؤه بالاتفاق بين ميشيل عفلق والمشير عبد الحكيم عامر ضد جمال عبد الناصر



خلال الوحدة بين سورية ومصر، وهي القضية المعروفة بقضية الضابط عويس التي كاشفت بها عبد الناصر، مما سبب فرار ميشيل عفلق الى لبنان واقامته فيه حتى انتهاء عهد الوحدة بين سورية ومصر، كما كشفت المباحثات دور صلاح وميشيل في التحريض علي لابعادي عن سورية وعن رئاسة المجلس التنفيذي.

وقد تعرضت في هذه المذكرات، في فصول سابقة، لما ورد في المحادثات فعلقت عليه تصحيحا وتوضيحا، وكان مما اشرت اليه في موضعه ان صلاح وميشيل قد تصرفا منفردين من وراء ظهر الحزب والحكومة بالاتفاق مع عبد الناصر لارسال وفد الضباط الى مصر، هذا الوفد الذي اقر الوحدة الاندماجية بين سورية ومصر، خلافا لرأي الحزب والحكومة.

وهكذا كانت محادثات الوحدة الثلاثية فجا وقع به اعضاء الوفد السوري من عسكريين لا يتمتعون بثقافة عسكرية عالية ولا بوعي او تجربة سياسية، ومن مدنيين كان هدفهم الوصول الى الحكم على اكتاف العسكر بالاتفاق مع عبد الناصر وتحت مظلته.

لقد كان عفلق الموجه الحقيقي بعد انقلابي آذار وشباط لقيادتي البعث في سورية والعراق وكان يحلم ان يصبح قائدا وزعيما من زعماء الثورة العربية، ومن هنا كان اقتراحه على عبد الناصر خلال الوحدة، تشكيل لجنة سرية تضمه وتضمني مع ناصر وقيادات الثورة الجزائرية، وهو الاقتراح الذي اطار صواب عبد الناصر وفاتحني به مستهزئا ورافضا.

ان كل ممارسات البعثيين بعد انقلاب الثامن من آذار قد اظهرت انهم غير جادين بتنفيذ ميثاق الوحدة الثلاثية، وان كل ما جرى من محادثات انما كان هدفة احراج عبد الناصر الذي لم يتورع في هذه المحادثات عن احراجهم بل ومحاكمتهم، وهكذا تصاعد الخلاف والمهاترات، من الطرفين، حتى وصل الى درجة من

الاسفاف والسوقية يصعب تصورهما، وكانت الاذاعة السورية تذيع عند اشتداد الخلاف مع عبد الناصر اغنية المطربة صباح : يا كركدن لا تحسبن لتقبضن، اما في فترات التهادن فكانت تذيع اغنية نجاح سلام، بدي عريس اسمر، شرط من المتحدة، وكانت ذروة الاسفاف ان يجعل الوفد السوري بقيادة البعث الحملة علي والشتيمة مدخلا لارضاء عبد الناصر، بالوقت الذي ترفع فيه عبد الناصر عن ذلك.



### **تصفية الجيش السوري هل كانت مطلبا اميريكيا؟**

كان اهم ما كشفت عنه مباحثات الوحدة الثلاثية هو اعتراف الوفد السوري بالتصفيات الكبيرة التي بدأت في الجيش السوري فور انقلاب الثامن من آذار، ومحاولة الباس هذه التصفية لبوسا قوميا الى غير ذلك من الادعاءات الواهية.

فخلال الايام الاولى لانقلاب الثامن من آذار 1963 تم تسريح اكثر من 500 ضابط من مختلف الرتب من كوادر الجيش المدربة والمحترفة، وحل محلهم ضباط الاحتياط من معلمين وموظفين، وكان تسريح هؤلاء الضباط يتم تحت ذرائع مختلفة بحجة ان بعضهم انفصالي، او ان بعضهم الآخر من البورجوازيين او الشعبويين او الحورانيين.

يقول لؤي الأتاسي عضو الوفد والضابط الذي نصب رئيسا للدولة السورية بعد انقلاب الثامن من آذار في محادثات الوحدة الثلاثية التي بدأت 1963/3/14 اي بعد سبعة ايام من الانقلاب :

**"حتى الان صار "عندي" 300 ضابط مسرح من مختلف الرتب، وماشيين بالتسريح، واي انسان لو أشك انه "ممکن" الا يمشي مع الاتجاه على طول يخرج" كما يقول :**

**"يعني لواء قد يكون المدى بتاعه او الميزانية بتاعه 25% مؤمنة، احسن من بالماية مائة (اي عدد الضباط**

اللازم لقيادة لواء) يكون تناقضات ومشلول ودي سياستنا  
دلوقت" (الطبعة الاولى، دار الاهرام ص57)

كما جاء على لسان الضابط فهد الشاعر عضو الوفد  
ما يلي :

"ان التجانس العسكري والمدني سيكون دائما  
العامل المحرك لدفع القومية العربية الى الامام وحماتها  
من أي خطر، وانا لا يمكنني ان اتصور وجود ضابط سوري  
قومي في كتيبة مشاة، وضابط كردي يريد دولة كردية،  
وضابط شيوعي يدين بلنين وستالين وماركس، وضابط  
انفصالي يسيطر عليه عامل الدين" ثم يضيف :

"ان الاسلوب الذي اشار اليه الفريق الاتاسي هو  
المتبع حاليا في الجيش، اي الابقاء على العناصر التي  
تؤمن بالعروبة والقومية".

بعد ذلك يوسع فهد الشاعر مدى التصفية من  
المجال العسكري الى المجال المدني، كما يعطيها معنى  
التصفية الجسدية، عندما يقارن الوضع بما حدث في  
الاتحاد السوفيتي وان "تصفية سبعة ملايين من الروس  
ليست امرا مهما بالنسبة للتجانس الذي حققته روسيا،  
وبالنسبة لعدد سكانها" (المصدر نفسه ص75).

لقد تعرفت على المقدم صبحي يعقوب وزوجته الحموية  
في نيسان 1966 في مدينة ستراسبورغ، وكانا منتسبين الى  
جامعتها، وذلك بعد الافراج عني من سجن المزة وسفري الى  
فرنسا للتداوي، فسألت المقدم يعقوب عن سبب تسريحه من  
الجيش فقال : لأنني من اصل شركسي.

ثم ذكر الدورات المتعددة التي حضرها في مجال هندسة  
الميكانيك ولا بد من الاشارة الى ان القرى الشركسية الواقعة بين  
حمص وحمماه والتي يقطنها الشركس منذ العهد العثماني قد  
انتسب معظم افرادها للحزب العربي الاشتراكي منذ تأسيسه.

ان عدد المسرحيين من الجيش السوري بعد الثامن من آذار من الضباط وصف الضابط قد بلغ الآلاف وامتدت التصفية الى ضباط الامن (وزارة الداخلية) وحتى الى طلاب الكلية العسكرية عندما صرفت دورة كاملة بحجة ان طلابها جميعا انفصاليون، ولقد نشرت جريدة الحياة اللبنانية بعض قوائم التسريح اثبتتها فيما يلي :

#### 104 ضباط سوريين كبار احيلوا على التقاعد

لمندوب "الحياة" الخاص :

علم من انباء مؤكدة وردت الى بيروت امس ان مائة واربعة من كبار الضباط السوريين من الفريق عبد الكريم زهر الدين الى رتبة مقدم، قد احيلوا الى التقاعد وهناك اربعمائة ضابط غيرهم يلتزمون بيوتهم بانتظار البت بأمرهم.

وبين كبار الضباط المسرحيين الفريق عبد الكريم زهر الدين واللواء نامق كمال واللواء المقعبري وغيرهم من اركان القيادة في الحكم السابق.

وما زال الموقف غير مستقر سواء في مجلس قيادة الثورة او في الحكومة ويتجاذبه الوجودي المطالب بالوحدة الفورية والطرف الاخر القائل بالدرس والتريث. (الحياة : العدد 5187-1963/3/15)

"هذا وقد صدرت تشكيلات واسعة في قيادة قوى الامن الداخلي شملت تسريح عدد من كبار الضباط كما شملت مناقلات بين عدد اخر منهم وقد سرح العميد عز الدين كرمان، والعميد عزت سوسلي، والعقيد فايز الشقفة، والعقيد رسلان شطا، والعقيد وجيه البرازي، والعقيد عبد الغني شرف والعقيد فؤاد زهراوي، والعقيد غالب الجزماتي، والمقدم سامح العابد، والمقدم توفيق المملوك، والرائد برهان الداغستاني، والرائد احمد انارة". (الحياة : العدد 5190-1963/3/19)

وفي العدد 5228 الصادر بتاريخ 1963/5/4 وتحت عنوان المباشرة بالتسريحات وردت القائمة التالية :

وصباح الاحد، بدأت القيادة تنفيذ التسريحات الموعودة، وصدرت القرارات بتسريح عدد من الضباط، ونقل آخرين الى الوزارات، ومن الضباط

الذين نقلوا الى وزارات الخارجية والصناعة والاقتصاد السادة : اللواء نور الدين ابراهيم رئيس الوفد السوري الذي زار بغداد وعاد منها قبل يومين، والعميد كمال هلال عضو الوفد المذكور، العميد انور الجسري، المقدم فواز محارب عضو الوفد السوري في مفاوضات القاهرة، المقدم مصطفى الحامي، رئيس القسم الخارجي في الشعبة الثانية، النقيب مناف الهندي، النقيب نوفل الهندي، شقيق وزير التخطيط (وقد تمكن من الوصول الى بيروت اثر تسريحه) ، المقدم اسعد الحكيم، الملازم سعيد دباح، العقيد ممدوح الشيشكلي، العميد نوري كبة وار.

وسرح من الجيش العميد جميل فياض قائد قوى الامن الداخلي، والعميد ممدوح حبال قائد احدى قطعات الجيش، والمقدم مأمون تحسين المرافق الخاص للرئيس عبد الناصر ايام الوحدة. وتم أيضا تسريح الضباط سالم قطيني وصديق عبد المسيح وعمر المصري، ورشاش تركاوي، وتركي تركاوي، وعدنان صافي، وسامي السباعي، ومحمد قوي، عبد الواحد مقداد، ونوري جسري ..الخ. بهذا بلغ عدد الضباط المنقولين او المسرحين 47 ضابطا، كلهم من الناصريين او من المحسوبين على الناصرية.

وبعد يومين من نشر هذه القائمة علقت الصحيفة في العدد 5231 الصادر بتاريخ 9/مايس/ 1963 على التسريحات بما يلي :

وقد شرعت القيادة امس في تنفيذ قرارات التسريح والنقل والعزل، بعد ان بقيت معلقة في انتظار نتيجة المفاوضات، وفي الوقت نفسه بدأ تسريح جميع الناصريين او المحسوبين على الناصرية في صفوف ضباط الشرطة، وقيل ان تدابير التسريح تتناول ايضا 1300 صف ضباط في الجيش للسبب ذاته، ولكن هذا الرقم مبالغ فيه.

ويقدر عدد الضباط البعثيين الذين ادخلوا الان الى الجيش بسبعمائة وقد نص القانون العسكري على ان كل طالب بكالوريا يؤدي خدمة العلم لمدة سنتين، يخرج منها برتبة ملازم، وعلى هذا استدعى الحزب جميع اعضاءه الذين تنطبق عليهم هذه المادة، وعينهم في الجيش مكان الضباط المسرحين.

ان ما يلفت النظر الى طبيعة تصفية الجيش السوري التي بدت وكأنها نتيجة للصراع على السلطة، هو المرسوم الصادر عن

مجلس قيادة الثورة في اوائل شهر حزيران 1963 الذي يحدد  
صلاحيات واختصاصات هذا المجلس.

لقد اعطى المجلس لنفسه عدا عن السلطات التأسيسية  
والتشريعية والتنفيذية حق تصفية الجيش وحله كما ورد في  
المادة الثامنة من هذا المرسوم:

**"لمجلس قيادة الثورة مناقشة وقرار تسليح الجيش  
العامل والاحتياطي وتكوينه وتخفيضه وحله بناء على  
اقتراح مجلس الدفاع".**

عندما سمعت بهذا المرسوم وانا في مخبأى اعتبرت  
ان الحديث عن تخفيض الجيش او حله او تكوينه من جديد  
هو رسالة موجهة الى الولايات المتحدة واسرائيل تعلن  
امتناع سورية عن اي عمل عسكري لمنع اتمام مشروع  
تحويل نهر الاردن، وكان المشروع في مراحل الاخيرة،  
التي سيبدأ الاسرائيليون بعدها باستجرار المياه. وقد  
جرى الاحتفال باتمام المشروع بعد ما يقرب من العام  
خلال الاحتلال العسكري لمدينة حماة (اوائل عام 1964)  
والقصف الاول لهذه المدينة.

وهنا يحق لنا ان نتساءل :

هل كانت تصفية الجيش السوري بعد انقلاب آذار  
مطلبا امريكيا؟

هذا الجيش الذي وقف بثبات قبل الوحدة وبعدها  
امام اتمام اسرائيل تحويل نهر الاردن ورد الاعتداءات  
الاسرائيلية بشجاعة؟

□

لقد استمر اصرار انقلابيي الثامن من آذار من  
العسكريين على استراتيجية تصفية الجيش السوري الى  
ما قبل حرب حزيران 1967 بسبب التكالب على السلطة  
تحت مختلف الذرائع وبحجة تبني حرب التحرير الشعبية،

**مما اضعف قدرة الجيش السوري على القتال، وغلف ذلك بمختلف التنظيرات، بالوقت الذي لم يهياً فيه جدياً لحرب التحرير الشعبية، مع انه لا يمكن ان تكون الحرب الشعبية بديلاً عن تقوية الجيش وانما رديفاً له.**

وهكذا نجد وزير خارجية النظام الديكتاتوري ابراهيم ماخوس يصرح قبل يوم واحد من حرب حزيران بحضور بعض الدبلوماسيين :

"الشعب العربي الكبير بما يملكه من طاقات وقوى مصمم على ان تكون نهاية الامبريالية في المنطقة، انكم تعرفون ان حروب التحرير الشعبية لا تحسم لا بالطيران ولا بالدبابات لأن قوتها نابغة من التصميم والارادة والايمان المطلق بالحرية، والشعب العربي مصمم على النصر مهما كان الثمن" (مجلة اليوم السابع 1987/6/8)

لقد تلقى سلاح الطيران السوري الناشئ ضربة قاصمة ضمن عمليات التصفية التي تناولت الجيش السوري، وفي شهر ايس 1967 قبيل هزيمة حزيران اغارت طائرات اسرائيلية فوق دمشق فكانت هذه الغارة نزهة جوية للطيران الاسرائيلي.

بعد الثامن من آذار وخلال احدى الزيارات صادفت ضابطاً مسرحياً من سلاح الطيران من عائلة الجزائري، وخلال الحديث طرح الضابط علينا هذا السؤال:

**كم تقدر ان مبلغ ما صرف علي في سلاح الطيران؟**

تبارى الحاضرون آنذاك بتقدير المبلغ فلم تتجاوز تقديراتهم النصف مليون ليرة سورية، فقال لنا الضابط بعد ان عدد دورات التدريب التي انجزها على الطيران النهاري والليلي، وفي الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي.

"ان ما صرف علي يتجاوز الخمسة ملايين ليرة سورية" وهو مبلغ يمكن ان يترجم بأكثر من خمسين مليون ليرة في ايامنا الحاضرة.

وتعليقا على موضوع التصفيات التي مورست على الجيش السوري فإنني اذكر الواقعة التالية رغم ما فيها من استباق لما حاولت ان احرص عليه من تسلسل زمني للوقائع في هذه المذكرات.

عندما كنت سجيناً اواخر عام 1965 في سجن المزة بسبب بيان اصدرته حركة الاشتراكيين العرب حول اتفاق نظام الثامن من آذار مع الشركات البريطانية لتمديد انايب البترول في سورية، دعاني الملازم طاهر سلطان مدير السجن الى فوجان قهوة في غرفته، وكان من جملة حديثه الذي سأذكره فيما بعد بالتفصيل لاهميته :

انا فلاح من قرية بلبين وما ازال اذكر ان نجيب البرازي صاحب القرية قد طردنا ذات شتاء من قريتنا فلجأ والدي اليك، فأوتنا احدى القرى بتوصية منك، اننا نحن اولاد الفلاحين لا يمكن ان ننسى كفاحكم لاجل تحريرنا من الاقطاع.. ولعلك تلحظ هذا الجرح العميق في جيبني كنت ادرس القمح عندما "رمحني البغل الذي يجر الحيلان" فأصابني بجرح افقدني الوعي وكاد يقضي علي، انني لم انس هذا الماضي البائس الذي كنا نعيش فيه، وقد كان لحركة الاشتراكيين العرب الفضل في تحريرنا من الاقطاع وتشجيعنا على الدراسة والتعلم، وعندما حزت شهادة الدراسة الثانوية اصبحت معلماً وكيلاً.

لقد استدعيت بعد التصفيات التي جرت في الجيش مع عدد كبير من المعلمين والموظفين باعتبارنا ضباط احتياط لسد النقص الذي حدث في الجيش، فأنت ترى الان انني اصبحت ضابطاً اتمتع بمستوى من المعيشة والشأن اصبحت معه حارساً للسجن الذي اودع به اكرم الحوراني، فهل تظن ان العدد الكبير من امثالي من ضباط الاحتياط الذين عينوا في كادر الجيش يمكن ان يتنازلوا عما وصلوا اليه من امتيازات مادية ومعنوية وان يتخلوا عن السلطة؟



انني انصح باخلاص واقول لكم انكم مخطئون اذا كنتم  
تظنون ان بامكانكم ان تزيحوا هؤلاء عن الحكم او ان بامكانكم ان  
تصلحوا بمعارضتكم ممارساتهم وتصرفاتهم مما سيؤدي بعودة  
البلاد الى الحياة الدستورية الديمقراطية.



كان الهدف الاول بعد انقلاب الثامن من آذار للمدنيين  
والعسكريين على السواء ان يستخدموا الجيش اداه لاغراضهم  
في السيطرة على الحكم ولم يكن هدفهم تقويته واعداده لمعركة  
المصير.

لقد قال لي الدكتور فيصل الركبي انه حاول تنبيه ميشيل  
عفلق بعد الخلاف بين امين الحافظ والقيادة القومية من جهة وبين  
صلاح جديد والقيادة القطرية من جهة ثانية الى ان هذا الخلاف  
سيؤدي الى تمزيق الجيش، فأجابه عفلق :

اننا نرحب بهذا الخلاف الذي سيخلصنا من الجيش وتسلطه  
على الحزب وعلى الحكم.

ومنذ ما يقرب من العشر سنوات (اوائل الثمانينات) قال لي  
نسليم السفرجلاني عندما كنت في العراق، وهو من مريدي  
صلاح البيطار ومن المدنيين الذين برزوا بعد انقلاب الثامن من آذار  
:

ان هذا كان موقف قيادة الحزب، وكنا نرى ان يستلم  
العسكريون الحكم "ليجربو انفسهم" لأنهم سيمنون بالفشل،  
وبعدها سيعود الحكم الى المدنيين في الحزب.

**1963 : اذاعة ميثاق الوحدة الثلاثية-تفانم الصراع على السلطة بين الناصريين والبعثيين في سورية- استقالة الوزراء الناصريين وتشكيل حكومة جديدة- إحتالي على محكمة الامن القومي- الناصريون يحاولون الاستيلاء على السلطة بتاريخ 18/7/1963 وعبد الناصر يعلن انسحابه من ميثاق الوحدة الثلاثية- وسائل الاعلام المصرية تدعم الحركات الكردية في العراق لرغبة حكم البعث- انقلاب الجيش العراقي ضد حكم البعث في العراق وتولي عبد السلام عارف رئاسة الجمهورية- تفجر التناقضات بين شرادم البعث في سورية- المؤتمر القومي السادس وسقوط صلاح البيطار في انتخابات هذا المؤتمر.**

**حدثان هامان خلال حكم البعث في سورية والعراق : الوحدة العسكرية بين القطرين واعتراف الحكومة العراقية بدولة الكويت وبالحدود التي رسمتها بريطانيا.**

### **اذاعة ميثاق الوحدة الثلاثية وتشكيل حكومة جديدة**

كنت متواريا عن الانظار عندما اذيع نص ميثاق الوحدة الثلاثية، وقد فوجئت بصدوره اذ لم اكن مقدرًا امكان اي مصالحة او تعايش بين عبد الناصر وحزب البعث ولاسيما بعد الاتهامات الخطيرة التي وجهها علق الى عبد الناصر في البيان الذي صدر عن المؤتمر الخامس، ولقد حمدت الله ان تقديري كان خاطئا بالرغم مما سيجره هذا الاتفاق من مخاطر على حياتي.

ترافق اعلان الميثاق اذاعة الاناشيد والموسيقا الحماسية مع طلقات المدافع من مواقع الجيش في ضواحي دمشق، بينما كانت المظاهرات تطوف الشوارع وزمامير السيارات تصم الأذان ولكن هذا الجو الاحتفالي لم يدم سوى اسابيع قليلة وبدأ الخلاف

على اقتسام السلطة بين البعثيين وبين الجبهة العربية المتحدة التي كانت تضم مختلف المجموعات الناصرية.

وكوسيلة للضغط على البعثيين استمرت مظاهرات الناصريين فقمعت بشدة، وأحيل عدد من المتظاهرين على محكمة الامن القومي كما سرح عدد من الضباط الناصريين بعد ان طوقت دمشق بالدبابات تحسبا لوقوع انقلاب مفاجئ (63/4/27) وعلى اثر ذلك انسحب الوزراء الناصريون والقوميون العرب من الحكم وهم : نهاد القاسم، عبد الوهاب حومد، هاني الهندي، جهاد ضاحي، سامي صوفان، والفريق محمد الصوفي، فاضطرت الحكومة للاستقالة بعد انسحاب الناصريين من الحكم وكلف صلاح البيطار بتشكيلها من جديد فتشكلت بتاريخ 63/5/14 على الوجه التالي :

- 1- صلاح البيطار رئيسا لمجلس الوزراء ووزيرا للخارجية بالوكالة.
- 2- العميد اركان حرب امين الحافظ نائبا لرئيس مجلس الوزراء ووزيرا للداخلية.
- 3- الدكتور سامي الجندي وزيرا للاعلام والثقافة والارشاد القومي بالوكالة.
- 4- منصور الاطرش وزيرا للشؤون الاجتماعية والعمل ووزيرا للصناعة بالوكالة.
- 5- الوليد طالب وزيرا للشؤون البلدية والقروية.
- 6- احمد ابو صالح وزيرا للمواصلات ووزيرا للاشغال العامة بالوكالة.
- 7- شبلي العيسمي وزيرا للتربية والتعليم ووزيرا للاصلاح الزراعي بالوكالة.
- 8- مصطفى الشماخ وزيرا للمال.
- 9- عبد الرحمن الطباع وزيرا للاوقاف.
- 10- عبد الخالق النقشبندي وزير دولة لشؤون رئاسة المجلس الوطني لقيادة الثورة.

- 11- الدكتور مظهر الشربجي وزيراً للعدل ووزيراً لشؤون الوحدة.
- 12- العميد غسان حداد وزيراً للتخطيط.
- 14- الدكتور عادر طربين وزيراً للزراعة ووزيراً للتموين بالوكالة.
- 15- الدكتور عبد الرزاق الشققي وزيراً للصحة والاسعاف العام.
- 16- يكلف الفريق زياد الحريري رئيس الاركان العامة للجيش والقوات المسلحة بمهام وزارة الدفاع.

ويلاحظ على تشكيل هذه الوزارة ترك سبع حقائب وزارية تدار وكالة، وانها لم تضم سوى اربعة وزراء بعثيين هم صلاح البيطار، ومنصور الاطرش، والوليد طالب وشبلي العيسمي، بينما ملئت الحقائب الاخرى بسبعة وزراء مستقلين وثلاثة وزراء عسكريين ووزيرين من الوجوديين الاشتراكيين (حزب اخترعه بعض البعثيين امثال ادهم مصطفى وفايز اسماعيل وسامي صوفان وقد اصبحوا وزراء بعد انقلاب الثامن من آذار وكانت علاقتهم متأرجحة بين حزب البعث وبين الناصريين) وقد علل شبلي العيسمي الامن المساعد لحزب البعث العراقي في الثمانينات هذا الامر خلال حديث له مع مجلة الوطن العربي (العدد 593، 88/6/24) بأن الحزب كان عاجزاً آنذاك عن ملء الحقائب الوزارية!

**كان الهدف من تأليف هذه الحكومة الجديدة بعد انسحاب الناصريين من الحكومة السابقة القضاء على الناصريين بمعركة فاصلة في سورية والعراق معاً، ويتبين ذلك من التصريح الذي ادلى به للصحف اوائل ايار 1963 مصدر بعثي وورد فيه ان اتهام للناصرين "بأنهم ارادوا بالدعوة الى المناصفة في الحكم احتلال مناصب هامة في الدولة حتى يتمكنوا من قطع الطريق على البعث وتحويل الاتحاد الى عملية ناصرية، وان حزب البعث مصمم على ان يضطلع هو بمسؤولية الحكم في سورية والعراق ضمن الاتحاد بينما يضطلع عبد الناصر بمسؤولية الحكم في مصر، وبدون ذلك يستحيل ان يقوم تكافؤ في قيادة الاتحاد مما يخضع الاقطار الثلاثة لحكم عبد الناصر شخصياً**

**بدلا من القيادة الجماعية" وانتهى المصدر البعثي الى القول :**

**"نريد ان نكون في سورية والعراق الحزب الحاكم لا حزب الحاكم".**

بينما اذاعت القاهرة بيانا ورد فيه :

ان جميع الاجراءات التي اتبعها حزب البعث في سورية من الانفراد بالحكم والسيطرة وتسريح الضباط وصف الضباط الودحيين ومصادرة الصحف ترتب عليها ان اصبحت الحرية كل الحرية في سورية لحزب البعث واعضائه ولا حرية لغير هذا الحزب. كما ورد فيه: "ان سياسة التمويه والخداع والغدر وقبول الامر الواقع التي اتبعها البعث سياسة مرفوضة رفضا قاطعا".

وقد استمرت صحف القاهرة واذاعتها بشن حملاتها على حزب البعث في سورية وركزت هذه الحملات بصورة خاصة على علق وصلح البيطار، وبمحاولة مناقفة وكاذبة لاسترضاء عبد الناصر، ردت جريدة البعث على حملات القاهرة بقولها :

**"ان الخلاف بين الحزب وبين فريق اكرم الحوراني الذي ادى الى طرد الحوراني وفريقه من الحزب كان بالضبط الخلاف على دور الرئيس عبد الناصر كقوة ثورية في الوطن العربي، وكان الحزب على اصرار مطلق بضرورة الالتقاء الكامل والتعاون لصنع الوحدة الشاملة والاشتراكية" وقالت :**

**"ان الحزب استطاع خلال الانفصال ان يتغلب على تلك الانحرافات"**

**كما صدر بتاريخ 1993/4/24 قرار بتشكيل محاكم الامن القومي وحرك النائب العام المقدم صبحي زهير العادلي الدعوى على كل من خالد العظم، اكرم الحوراني، ناظم القدسي، عبد الكريم زهر الدين، معروف الدواليبي، امين النفوري، خليل الكلاس، اسعد محاسن، عفيف البرزة**

**بتهمة اغتصاب السلطة السياسية وحناية النيل من هبة الدولة ومس الشعور القومي وتعكير الصفاء بين عناصر الامة، وحنحة اساءة استعمال السلطة، بينما اتهمت وحدي بتهمة التجسس، وهكذا بلغت الوقاحة حد اتهام الآخرين بالجنايات والجرائم التي كانت ترتكب كل يوم.**

ولكن الذي كان مفاجئا لي ان يبلغ حقد ميشيل عفلق وصلاح البيطار درجة قبولهما اتهامي بالتجسس بدون اي خجل من الرأي العام، وانا الذي قدمت طيلة قيادتي للحزب كل عون ومساعدة، وجعلت من حزب البعث العربي الاشتراكي حزبا حقيقيا من اقوى الاحزاب في المنطقة العربية.

ان ما يجلب الشبهة على بعض انقلابيي الثامن من آذار ان اتهامي بالتجسس كان استنادا على البيانات التي اصدرتها بخصوص تحويل نهر الاردن واهمية معركة المياح مع اسرائيل، وهي البيانات التي اثبتها في فصول سابقة من هذه المذكرات.

لقد حاول بعث الثامن من آذار ان يغطي على تصفية الناصريين في سورية بحملته المفتعلة على من اسماهم بالانفصاليين، ولكن هذه التسمية لم تجز على احد بل زادت الشعب عدا وكراهية لبعث الثامن من آذار، اما تلك السرعة القياسية التي استطاع بها البعثيون ان يوطدوا سيطرتهم على سورية فكان سببها خشية اكثرية الشعب والجيش من عودة النظام الناصري، ولكن تصرفات حزب البعث الرعناء التي خرجت عن كل ما هو معروف من عدوانية وافتعالهم المعمارك ضد معظم فئات الشعب السوري، قد ازالت شيئا فشيئا بعض ما كان من جفاء بين هذه الفئات، بما فيها اليمين السوري وبين عبد الناصر، وهكذا كانت سورية، خلال تلك الاشهر الملتهبة التي تلت انقلاب الثامن من آذار، بين مطرقة البعث وسندان عبد الناصر.

### **بعد تأليف حكومتي البعث في سورية والعراق**

ولاستكمال الصورة يجدر بي ان استعرض باختصار الاحداث الخطيرة التي جرت بعد تشكيل حكومتي البعث في سورية

والعراق برئاسة صلاح البيطار واحمد حسن البكر، فقد اشتدت الحملات الاعلامية بين القاهرة ودمشق وبغداد، وفي مقابلة معه بتاريخ 63/6/9 صرح ميشيل عفلق للصحف العراقية :

**"ان الدعاية المركزة التي توجهها اجهزة اعلام القاهرة هي موجهة ضد حزب البعث والاسلوب نفسه هو الذي استخدم ايام الوحدة لفصل قاعدة الحزب عن قيادته، ولكن هذه الدعاية ستخفق كما اخفقت في الماضي وان الموجهين هم عناصر انتهازية واقليمية".**

**ومن المضحك ان الاتهام الذي يوجهه عفلق الى عبد الناصر، هو بالذات ما اقدم عليه، هو شخصيا نتيجة للمؤتمر الخامس عندما فُصم وحدة الحزب، مما ادى الى فصل جماهيره الواسعة.**

وبتاريخ 63/6/13 نفت القاهرة رسميا ما اتهمت به من انها تساعد البرازاني في عصيانه شمال العراق، وبتاريخ 1963/6/20 اعلنت بغداد وبشكل مفاجئ استقالة اربعة وزراء مستقلين من الحكومة وهم اللواء محمد شيت خطاب، واللواء ناجي طالب، والسيدان فؤاد عارف وبابا الشيخ علي وكان هؤلاء الوزراء يقومون بمهمة الاتصال بين الوفد الكردي، وبين الحكومة فلما انقطعت الاتصالات وابتدأ القتال اعلن هؤلاء الوزراء ان مهمتهم قد انتهت ولاسيما ان اللواء خطاب قد طالب بتوسيع التمثيل الوزاري واجراء انتخابات عامة على اساس دستوري ديمقراطي، بينما طلبت موسكو تدخل الامم المتحدة في قضية الاكراد.

وقد اتهم مندوب العراق في الامم المتحدة الاتحاد السوفيتي بمساعدة الاكراد، ولما سئل هل يساعد جمال عبد الناصر الاكراد؟ قال انه لا يستطيع ان يؤكد ذلك، ولكن الذي استطيع ان يؤكد ان جمال عبد الناصر قد كلف عبد الحميد السراج بمساعدة الاكراد عام 1959 خلال استفحال الخلاف بين الجمهورية العربية المتحدة وبين نظام عبد

## الكريم قاسم، وقد اخبرني بذلك بعض ضباط المخابرات الذين كلفهم السراج بهذه المهمة.

اما عند اندلاع القتال للمرة الثانية عام 1963 بعد اشتداد الخلاف بين ناصر والبعث الذي سيطر على الحكم في العراق والذي كان عازما، مثلما حدث في سورية على تصفية الناصريين، فقد كانت اذاعة القاهرة ووسائل اعلامها تساند البرازاني بشكل مكشوف ومستمر، وتنشر انباء مبالغ فيها عن خسائر الجيش العراقي وانتصار المتمردين الاكراد، كما تنشر البيانات والبلاغات الصادرة عنهم، وقد اذاعت وسائل الاعلام القاهرية بيانا قالت انه صادر عن الحركة الكردية جاء فيه :

"لقد اشاع الديكتاتور قاسم في كردستان من قبل دمارا وتخريبا مدة سنة ونصف وداس جميع مفاهيم الاخلاق والقانون والقيم الانسانية بما في ذلك دستور العراق الذي نص على احترام حقوق الشعب الكردي في العراق واقر شراكته مع الشعب العربي في الوطن الواحد ولما انتهى حكم قاسم في 8 شباط توقف الاكراد عن متابعة القتال يحدوهم الامل بأن ينتهي الحكام الجدد من تسوية مشاكلهم الملحة ليعمدوا بعد ذلك الى حل المسألة الكردية حلا سلميا يتفق مع مصلحة الشعبين العرب والاكراد معا".

واتهم البيان حزب البعث بنسف المفاوضات التي كانت تجري بين الحكومة والاكراد الذين كان مطلبهم الحكم الذاتي، واعلن البيان ان الحركة لم تعد برزانية بل اصبحت حركة وطنية كردية.



لقد كان عبد الناصر يعد لانقلابين ضد البعث احدهما في سورية والآخر في العراق حيث يساعد عصيان البرزاني على نجاحه وهذا ما حدث فعلا فيما بعد، اما الانقلاب الذي اعده لسورية بقيادة جاسم علوان فقد فشل لأن البعث قبيل محاولة علوان الفاشلة في 63/7/18، كان قد قام بتصفية الجيش من الضباط الناصريين ومن تكتل زياد الحريري الذي يعود اليه الفضل في نجاح انقلاب الثامن من آذار.



لقد اخبرت وانا متوار عن الانظار ان قيادة البعث فاتحت زياد الحريري قبل تصفيته بضرورة الانتساب لحزب البعث وان صلاح البيطار وعلي صالح السعدي نصحاه بقبول ذلك، ولكنه اعتذر قائلاً انه يفضل ان يبقى عسكرياً غير منتم لأي فريق سياسي، فأوفدته قيادة البعث بمهمة خارج سورية، وخلال غيابه عنها فصلت جميع ضباطه عن قيادة قطعاتهم، ثم عينت بعضهم في السفارات السورية، اما الحريري فقد اوعزت اليه ان يسافر الى باريس ولكنه عاد الى دمشق ففرضت عليه الإقامة الاجبارية بضعة ايام قبل ان يغادر البلاد الى باريس براتب كبير وكان برفقته الضابط عارف الجاجة الذي كان قائداً للواء سبعين اقوى الوية الجيش السوري.

### **محاولة جاسم علوان الانقلابية 63/7/18**

كان من الممكن نجاح هذا الانقلاب لو اشترك به تكتل زياد الحريري الذي كان يحتل مركز القيادة، كما كان تكتله من الضباط يحتل مراكز هامة، ولكن الحريري لم يكن من الجرأة والمغامرة على مستوى الاشتراك بمثل هذه المغامرة بالاضافة الى موقفه السلبي من الناصريين كما تشير الى ذلك رسالته، وقد ذكرت في موضع آخر من هذه المذكرات انه كان وجلاً خائفاً من غدر الضباط البعثيين به منذ الايام الاولى لانقلاب الثامن من آذار.

اما السبب الثاني لفشل محاولة جاسم علوان الانقلابية فهو انها كانت مخترقة من قبل النقيب محمد نبهان الذي كان مخبراً، وهو ما جعل قيادة البعث تتخذ كل التدابير لافشال المحاولة.

ولهذا السبب قرر المجلس الوطني قبيل محاولة جاسم علوان تصفية تكتل زياد الحريري في الجيش وتشكيل الحرس القومي مثلما كان يجري في العراق، وتعيين الضابط حمد عبيد قائداً عاماً لهذا الحرس، وترقية امين الحافظ لرتبة لواء وتعيينه

رئيسا للاركان ووزيرا للدفاع لاطلاق يده في قمع المحاولة  
الناصرية المرتقبة.

كانت خطة جاسم علوان هي الاستيلاء اولا على وزارة  
الدفاع وعلى مبنى الاذاعة ولكن الانقلابيين الناصريين من  
عسكريين ومدنيين فشلوا في تحقيق هذا الهدف، فلجأ قادتهم  
الى الغوطة وبساتين دمشق وتواروا بها، فطاردهم الجيش وتمكن  
من القاء القبض عليهم وعلى عدد كبير من المشتركين  
بالمحاولة.

كنت آنذاك متواريا في منزل قرب الجسر الابيض فكانت  
اصوات الرشاشات والمدافع تملأ تلك المنطقة التي لا تبعد كثيرا  
عن مبنى وزارة الدفاع، وبعد ساعات قليلة من فشل تلك  
المحاولة، اذيع بيان من الحاكم العرفي امين الحافظ حول احكام  
الاعدام التي اصدرها المجلس العرفي المنعقد في سجن المزة  
برئاسة الضابط صلاح الضلي والتي تناولت ثلاثين مدنيا وعسكريا،  
منهم العقيد هشام شبيب رئيس اركان سلاح الاشارة والمساعد  
بحري كلش والمساعد شحادة مسعود والرقيب سلطان محمد  
سلطان والرقيب جهاد الاطرش والمساعد حسين غنيم من سلاح  
الاشارة والمساعد محمد عبد الله يوسف والمساعد عمر  
اسماعيل، وقد هزأ الناس بهذه الاحكام التي اصدرها الضلي قبل  
ان يتحقق من هويات المتهمين حتى انهم كانوا يترحمون على  
محكمة المهداوي.

قالت السيدة نعمت فوق العادة وكانت مديرة لاحدى  
المدارس وهي قريبة لزوجتي ومن الناصريات المتحمسات انه  
قبض عليها يوم محاولة جاسم علوان ووضعت في سجن المزة،  
وان محاكمتها كانت اطول محاكمة اذ دامت ثلث ساعة، بينما لم  
تدم محاكمة كل واحد من الآخرين سوى خمس دقائق، وقد اقترح  
صلاح الضلي رئيس المحكمة اعدامها ولكن رباح الطويل احد  
الاعضاء قال : لن اسجل عن نفسي انني اشتركت باول اعدام  
سياسي لامرأة في سورية.

بعد ان قبض على قادة المحاولة من عسكريين ومدنيين ممن فروا وتواروا في بساتين الغوطة اجرت جريدة الكفاح اللبنانية لرياض طه (العدد 645 1967/8/4) مقابلة مع العقيد محمد الجراح والعقيد جاسم علوان اللذين، رفضا الكلام، بينما صرح العقيد رائف المعري انه سرح في 1961/9/28 لايمانه بالوحدة، اما عبد الوهاب حومد وجهاد ضاحي من المدنيين فقد انكرا اي صلة لهما بهذه المحاولة واعتبراها مغامرة مجنونة وضربا للوحدة.

كما يتبين من هذه المقابلة ان الشائعات التي عمت سورية عن اختراق هذه المحاولة الانقلابية من قبل البعثيين بل استدراج الناصريين اليها، لم تكن مجرد شائعات، اذ ان النقيب محمد نهبان الذي قيل انه قام بالدور الرئيسي في الاستدراج والاختراق يلخص وضعه لمندوب الكفاح بما يلي :

"لقد قمنا بهذه المحاولة لتحقيق الوحدة الثلاثية المنصوص عليها في ميثاق القاهرة، ونحن لم نكن ضد البعثيين، وبعد ان نفى علاقته بمحمد الجراح سئل عن علاقته بجاسم علوان، فأجاب :

كنت اتعاون معه ولست معه!!

لقد ذكرت هذه التفاصيل لتصوير الوضع العربي البائس في دولتين من اهم دول المواجهة مع اسرائيل وهما غارقتان في معاركهما العنيفة المجنونة بالوقت الذي كانت فيه اسرائيل تنمي قدرتها العسكرية والانمائية، فهياً حزب البعث وجمال عبد الناصر كل الاسباب لانتصار اسرائيل الساحق ولهزيمة العرب المشينة في الخامس من حزيران 1967.

لقد صور الشهيد رياض طه الذي كان قريبا جدا من حزب البعث ومن جمال عبد الناصر في آن واحد، في جريدته الكفاح (1963/8/4 العدد 645) تلك الحقبة التاريخية بما يلي :

"تواجه الامة العربية اليوم موجة من الاسفاف والتعصب والانفعال السطحي قل نظيرها في تاريخ النهضة العربية المعاصرة، اذ لم يسبق للعرب في الحقبة الحديثة ان خضعوا لمثل هذا

الاسفاف المعيب في اساليب الحوار والنقاش وفي لغة الارشاد والتوجيه وفي طريقة الاقناع والتوعية" "ولم يسبق للعرب في ربيع القرن الأخير ان انساقوا في تعصب اعمى لا يدع مجالاً للفكر الحر والرأي الموضوعي والكلمة الجادة، كذلك لم يسبق لهذه الامة في فترة الانبعاث الاخيرة ان انقادت للانفعال السطحي الضحل مثل انقيادها الآن.

فهل تستطيع هذه الامة المنكودة الحظ ان تبني مصيرها وتحقق آمال أجيالها وسط هذه الموجه التي لا تبقي للعقل سلطاناً ولا تترك لأولي الرأي المسؤول فرصة او نصيباً؟ ومتى كانت الامم تحقق وحدتها ومجدها بوسائل منحطة؟ لمصلحة من تدور هذه المعارك الاليمة الغربية؟ لمصلحة من تهدم الوحدة باسم الوحدة، ونقاتل الاشتراكيين باسم الاشتراكية، ونشعل الحرب بين الاحرار باسم الحرية، وكلكم تعلمون ان اعداء العرب هو المستفيدون".

اما جريدة الحياة اللبنانية فقد كتبت بتاريخ 1963/7/21 تعليقا على محاولة 18 تموز ما يلي :

"لقد شهدت دمشق يوم الخميس الماضي فصلا جديدا من مسرحيات الانكشاريين، اذ تسللت جماعة منهم في وضح النهار، بعد ان كان الليل غطاءهم في الانقلابات السابقة وهاجموا بناية الاركان والاذاعة -وهما متجاورتان- حسب المخطط التقليدي المجرب الذي يعطي النصر لمن يسبق في اذاعة البلاغ رقم واحد.

لقد لعبت جيوش الانكشارية دورا بارزا في دولة بنى عثمان، ففتحت الامصار ووسعت الامبراطورية حتى امتدت من ابواب فيينا وجنوب روسيا الى بلاد فارس واليمن، وليس للانكشارية العربية الحديثة امجاد تفخر بها كأمجاد العثمانيين، اذ انها في هذا الزمن الذي تمكنت فيه من رقاب الناس لم تفتح الفتوح ولم تدفع الاذى عن البلاد ولم تستعد فلسطين، بل ينحصر وجه الشبه بينهما في تسلطهما وتعسفهما واستهتارهما بالمدينين والقوانين وبالانقلابات المتتابعة".



لقد كان آخر اتصال بين جمال عبد الناصر وحكم البعث في سورية، في تلك الفترة، عندما قبل ناصر الالتقاء بالوفد السوري المؤلف من لؤي اتاسي وفهد الشاعر ومحمد عمران وسامي الدروبي، وكان الاجتماع في اليوم الذي قمعت فيه محاولة جاسم علوان الانقلابية، فلم يؤد هذا الاجتماع الى اي نتيجة سوى تقديم لؤي اتاسي استقالته من الحكم اثر رجوع الوفد فقرر المجلس الوطني لقيادة الثورة قبولها وعين بدلا عنه اللواء امين الحافظ قائدا عاما للجيش والقوات المسلحة ورئيسا للمجلس الوطني لقيادة الثورة.

لقد اعلن جمال عبد الناصر بعد قمع محاولة جاسم علوان واعدام عدد من المشتركين فيها واعتقال وملاحقة عدد كبير من الناصريين عدم التزامه بميثاق الوحدة الثلاثية وقال في احدي خطبه بتاريخ 1963/7/22:

"ان الجمهورية العربية المتحدة لا تعتبر نفسها مرتبطة او ملزمة بأي اتفاق مع الحكومة السورية الحاضرة، لأن حكم البعث حكم فاشستي متسلط ودموي وهو حكم المشانق وحمات الدم" وقال وهو يقصد صلاح البيطار :

"ان قيادة البعث وقعت وثيقة الانفصال ثم دخلت الانتخابات في العهد الانفصالي فخسرت المعركة، اما سبب بكاء البيطار، (كما ورد في مباحثات الوحدة الثلاثية) فليس الندم على توقيع الانفصال، ولكن لأن البعث خسر في الانتخابات وان الايام اثبتت ان سياسة البعث مجرد اساليب ملتوية رخيصة قائمة على المساومات وان قيادة البعث ارادت اقتسام مناطق النفوذ فتسيطر هي هناك وتكون لنا منطقة نفوذنا"



اما فيما يتعلق بالموقف الدولي من الحرب المستعرة بين جمال عبد الناصر وحكم البعث في القطرين السوري والعراقي فقد كانت الولايات المتحدة مؤيدة لنظام البعث في القطرين ولجمال عبد الناصر في آن واحد، وقد صرح (أرمان ماير) سفير

الولايات المتحدة في لبنان في احدى الحفلات التي اقيمت له بمناسبة سفره للولايات المتحدة محمدا السياسة الاميركية، وذلك ردا على انتقادات بعض النواب اللبنانيين لهذه السياسة بما يلي :

"ان الدبلوماسية الاميركية لا تأخذ درسا من أحد، وان مصلحة الولايات المتحدة هي في اقامة توازن بين الدول العربية واسرائيل وهذا ما يهمنا بالدرجة الاولى حفاظا على السلام في هذه المنطقة من الشرق الاوسط. وقال :

"ان من حق حكومتي ان تؤيد حزب البعث الحاكم في سورية والعراق لما اظهره من شجاعة في "مكافحة الشيوعية" ولكن من حقها ايضا الا تدير ظهرها للرئيس عبد الناصر خوفا من ان يضع المنطقة في الجو الشيوعي لاعتقادها أنه قادر وحده على ان يفعل ذلك اذا تخلت عن تأييدها له في بعض نواحي السياسة التي يتبعها ومن هنا كان اعتراف الولايات المتحدة السريع بنظام الحكم الجديد في كل من العراق وسورية بعد الانقلابين الاخيرين وتسلم البعث الحكم في البلدين المتجاورين ودعم سياسة الحكومتين السورية والعراقية التي ترمي لمكافحة الشيوعية" (الكفاح 1963/8/4).

اما الاتحاد السوفيتي فقد كان معاديا لحزب البعث ومؤيدا لجميع مواقف عبد الناصر العدائية ضد هذا الحزب، وقد ايد الاتحاد السوفيتي تمرد البرزاني في العراق وامده بالمساعدة كما ذكرنا أنفا وندد بالمذابح الجماعية التي ارتكبها البعث بحق الشيوعيين.

### **تفجر التناقضات بين شراذم حزب البعث**

بعد القضاء على محاولة جاسم علوان الانقلابية، بدأ الصراع على السلطة بين البعثيين أنفسهم، فتفجرت ضمن حزب البعث كل التناقضات العسكرية والمدنية وعندما جرت الانتخابات القطرية لهذا الحزب جاء ترتيب ميشيل عفلق في المرتبة السادسة وجاء ترتيب صلاح البيطار في المرتبة الثالثة عشرة ونال هلال رسلان احد اشخاص الحزب المغمورين والدكتور نور الدين الاتاسي اكثرية اصوات المقترعين (الحياة 1963/8/13) وكان الخلاف بين يمين

الحزب الذي يقوده ميشيل عفلق وصلاح البيطار والضابط محمد عمران وبين يسار الحزب الذي كان مؤلفا في اكثرية ممن يدعون بالقيادة القطرية ومعظمهم من اعضاء الحزب في مدينة دير الزور الذين كانوا في الماضي على خلاف مستمر مع قيادة جلال السيد المؤيد من صلاح وميشيل قبل دمج الحزبين العربي الاشتراكي والبعث وقد اصبح هذا التكتل بقيادة الاطباء الثلاثة : نور الدين الاتاسي، يوسف زعين، ابراهيم ماخوس، وقد ادت تمزقات البعث في سورية والعراق فيما بعد الى انقلاب 1966/2/23 بقيادة صلاح جديد والى الانقلاب الذي قام به عبد السلام عارف قبل ذلك بسنتين بتاريخ 1963/11/18 مما سيأتي بيانه ببعض التفصيل.

**ان تناقضات شرادم البعث بين يمين ويسار قد ادت الى جعل الاقتصاد السوري ضحية للتناقضات والمزاوادات فهلال رسلان لم ينل اكثرية اصوات المقترعين في انتخابات القيادة القطرية الا لأنه اصدر قرارا بصفته محافظا لمدينة حلب، دون الرجوع الى راي الحكومة، بتأميم 374 مخبرا في تلك المحافظة، وهي افران صغيرة شخصية او عائلية، وتكليف عمالها ومستخدميها بادارتها باشراف الدولة، كما ادت المزاوادات اليسارية بين اجنحة حزب البعث المتصارعة الى تأميم جميع الشركات والمعامل في سورية فوجه حزب البعث بذلك ضربة قاصمة للاقتصاد السوري، لم يشف من جرائها حتى الآن، وقد اعترف امين الحافظ فيما بعد، وامامي عندما كنت لاجئا في بغداد، ان عمليات التأميم هذه قد تمت استنادا الى دليل الهاتف.**

**لقد اثبتت الايام ان التأميم الاعمى هو امر ضار بالاقتصاد القومي، فبعد ستين عاما من تأميم جميع مرافق الدولة يجد الاتحاد السوفيتي نفسه على شفا الخراب والمجاعة والانقلابات والحرب الاهلية.**

**المؤتمر القومي السادس**

انعقد هذا المؤتمر في دمشق ما بين الثالث والخامس والعشرين من شهر تشرين الاول عام 1963 وحضرته القيادات القطرية لحزب البعث في البلاد العربية، وكان انعقاده بعد انتخاب قيادة قطرية جديدة في العراق واعلان الوحدة العسكرية بين العراق وسورية، وقد جاء في مقدمة البيان الصادر عن هذا المؤتمر انه بحث :

"جميع قضايا التنظيم في ظروف قيادة الحزب للسلطة في القطرين، وبعضا من المشاكل النظرية التي تواجه النضال العربي واتخذ حولها القرارات اللازمة، ثم بحث الوحدة السياسية بين القطرين السوري والعراقي والتحويل الاشتراكي فيهما واتخذ القرارات اللازمة، ثم بحث المؤتمر قضايا السياسة العربية والداخلية واقر حولها التوصيات اللازمة" وقد شغل هذا البيان اكثر من مئة صفحة (نضال البعث، الطبعة الاولى عام 1965، القيادة من عام 1961 حتى عام 1963).

**انعقد هذا المؤتمر في جو من المشاحنات والخلافات الشخصية والنظرية بين اجنحة الحزب المتصارعة، فجاءت مقرراته خليطا من الآراء المتصارعة والنظريات المتناقضة، وخليطا من آراء ميشيل علق في كتابه "في سبيل البعث" ومما علق بأذهان اليساريين الجدد من بعض الكتب الماركسية عن التطبيق الاشتراكي في الاتحاد السوفيتي، وكان لهؤلاء اليساريين الغلبة في توجيه سياسة المؤتمر وتنظيراته.**

لقد كانت غالبية المجتمعين في هذا المؤتمر من عسكريين ومدنيين تشعر بأن خلاص الحزب بعد فشله في سياسته مع عبد الناصر هو في المزادة على ناصر بالاشتراكية والثورية، لذا لم يحاول المؤتمر ازالة الخلاف بين اعضاء القيادة القطرية في العراق، فقد كانت غالبية المؤتمرين مؤيدة لقيادة على صلاح السعدي المغالية في



## ثوريتها<sup>(1)</sup> وقد ادى هذا الخلاف الى نجاح الانقلاب الذي قام به عبد اللام عارف بتاريخ 13/11/1963 ضد حكم حزب البعث في العراق.

كان جمال عبد الناصر منذ ثورة 14 تموز 1958 يراهن على عبد السلام عارف لانجاح سياسته في العراق ضد عبد الكريم قاسم، بمعونة الفئات والاحزاب المعارضة لحكم قاسم وللحزب الشيوعي، وبعد سقوط قاسم بمساعدة حزب البعث، اصبح عبد السلام عارف رئيسا للجمهورية وفي مركز يمكنه من الاعداد لانقلاب ناجح ضد هذا الحزب.

لقد التف حول عبد السلام عارف بمساعدة جمال عبد الناصر جميع الفئات والاحزاب الناقمة على تفرد حزب البعث بالحكم وعلى قيادة على صالح السعدي الدموية العدوانية التي كان يمارسها حرسه القومي، ليس فقط ضد الحزب الشيوعي بل ضد كل الفئات، مما ساعد على تكوين رأي عام عراقي ينادي بحل الحرس القومي، ولاسيما في الجيش الذي كان مستعدا للقيام بانقلاب على حزب البعث وتشكيل حكومة برئاسة عبد السلام عارف موالية لعبد الناصر تشترك فيها كل الفئات والاحزاب.

كان اول تحرك لبعد السلام عارف زيارته للقاهرة في 11/8/1963 بايعاز من جمال عبد الناصر بحجة التوفيق بين ناصر والبعث بعد سقوط ميثاق الوحدة الثلاثية واستمرار الحملات الاعلامية بين الطرفين، وكان الوفد الذي اصطحبه عارف مؤلفا من طالب شبيب وزير الخارجية، وحازم جواد وزير شؤون الرئاسة والدكتور مسارع الراوي وزير الوحدة والانماء واللواء محمد شيت خطاب ورجب عبد المجيد وزير الاسكان والدكتور العلي وزير التخطيط والفريق طاهر يحيى رئيس الاركان، ويلاحظ أن هذا الوفد قد ضم جميع الوزراء المعادين لعلي صالح السعدي وفريقه سواء

(1) صرح علي صالح السعدي اثر انتهاء المؤتمر القومي السادس: "بأن هذا المؤتمر هو نقطة تحول ثورية اوضحت هوية الحزب الاشتراكية نهائيا وطرح المؤتمر نهائيا كل النظريات المثالية او الطوباوية والبرجوازية التي كانت عالقة بفكر الحزب" كما سقط صلاح البيطار رئيس الوزارة في انتخابات القيادة القومية التي اقترح عليها هذا المؤتمر.

من البعثيين او من العسكريين، ولتغطية هدف هذه الزيارة التي اعتقد انه قد خطط فيها للانقلاب على حزب البعث، فقد عرج عارف في طريق عودته على دمشق حيث اقام له حزب البعث حفلات ظهر فيها الخلاف علنا بين عارف والبعث، ولاسيما عندما كان امين الحافظ يحمل على عبد الناصر ويمجد بحزب البعث، حتى ان عبد السلام عارف لم يستطع ان يكتف عواطفه مما ادى الى انسحابه من احدى الحفلات احتجاجا، وكان احتفال اللاذقية اكبر مظهر لهذا الخلاف عندما وجه امين الحافظ خطابه لناصر والناصريين قائلا :

**"نحن نقول لمن ينادون بوحدة فورية او ثنائية انهم عملاء مأجورون ودجالون، كانوا يريدون ابعاد قطر عربي عن سورية هو العراق" وفي هذا الاحتفال قوطع خطاب عبد السلام عارف مرارا بهتافات تقول : لا ديكتاتورية بعد اليوم، تنظيم شعبي وقيادة جماعية، وبهتافات تحيي حزب البعث، وعندما زار عارف الجبهة السورية مشجعا ومعلنا مساندة العراق والأمة العربية للجيش السوري في مواجهة العدوان الاسرائيلي، كانت هتافات العسكريين تتعالى ضد الديكتاتورية وبالذعوة للقيادة الجماعية وللوحدة المدروسة.**



بعد انعقاد المؤتمر القومي السادس في دمشق اضطر صلاح البيطار للاستقالة اثر سقوطه في انتخابات القيادة القومية فكلف المجلس الوطني أمين الحافظ بتشكيلها وقد تشكلت على النحو التالي بتاريخ 13/11/1963:

اللواء اركان حرب أمين الحافظ رئيسا للوزراء، اللواء اركان حرب محمد عمران نائبا للرئيس، سامي الجندي وزيرا للاعلام، منصور الأطرش وزيرا للشؤون الاجتماعية والعمل، احمد أبو صالح وزيرا للمواصلات، شبلي العيسمي للثقافة والارشاد القومي، العميد أركان حرب غسان حداد وزيرا للتخطيط، الوليد طالب وزيرا للدولة، ابراهيم ماخوس وزيرا للصحة، مصطفى

الشماع للمالية، عبد الخالق النقشبندي وزيراً لشؤون المجلس الوطني لقيادة الثورة، جورج طعمة للاقتصاد، عادل طربين للزراعة، الاستاذ مظهر العنبري للعدل، الدكتور نور الدين الرفاعي للاشغال العامة، صالح المحاميد وزيراً للشؤون البلدية والقروية، محمد الجيوش وزيراً للتموين، الدكتور نور الدين الأتاسي وزيراً للداخلية، العميد أركان حرب عبد الله زيادة وزيراً للدفاع.

وجميع هؤلاء من أعضاء الوزارة السابقة ماعدا نائب رئيس الوزراء اللواء محمد عمران، اما الوزراء الجدد فهم :

خير الدين حقي للصناعة، احمد مهدي الخضر للاوقاف، حسان مريود للخارجية، الدكتور يوسف زعين للاصلاح الزراعي، مصطفى حداد للتربية والتعليم.

ويلاحظ من تشكيل هذه الوزارة اشتراك ثلاثة وزراء من القيادة القطرية وهم الدكتور ابراهيم ماخوس والدكتور نور الدين الأتاسي والدكتور يوسف زعين، كما يلاحظ انه تم في هذه الفترة ترفيع المقدم صلاح جديد والمقدم محمد عمران الى رتبة لواء.

## **الجيش العراقي يقوم بانقلاب ضد حكم حزب البعث في العراق**

بالوقت الذي تشكلت به حكومة أمين الحافظ تفجرت التناقضات في بغداد بين اجنحة حزب البعث الذي لم يكن له تنظيم قوي في الجيش كما في سورية، مما ادى بالتالي الى سقوط حكم البعث في العراق لصالح عبد السلام عارف الموالي لجمال عبد الناصر.

كان السبب المباشر للانقلاب في العراق على حزب البعث تصرفات الحرس القومي العدوانية الدموية ضد مختلف فئات الشعب مما ادى الى اشتداد النقمة في الجيش على هذا الحرس وحتى بين الضباط البعثيين، بالاضافة الى المنحى اليساري المتطرف والمزايدة اللامسؤولة التي كانت طابع القيادة القطرية الموالية لعلي صالح السعدي، وقد انفجر الخلاف بين جماعة السعدي وبين جماعة حازم جواد وطالب شبيب اثر انتخاب قيادة قطرية جديدة موالية لهما وللحكومة والجيش بدلا من

القيادة السابقة الموالية للسعدي والتي كان امين سرها حمدي عبد المجيد صاحب فكرة الحرس القومي في سورية والعراق.

وذلك عندما دعا أحمد حسن البكر ومجموعة من أركان البعث العسكريين والمدنيين الى اجتماع استثنائي قرر فيه الحاضرون بأكثرية الاصوات عزل القيادة الموالية للسعدي وانتخاب قيادة جديدة مؤلفة من العسكريين : احمد حسن البكر، صالح مهدي عماش طاهر يحيى، منذر الوندادي، عبد اللطيف عبد الستار، ومن المدنيين : حازم جواد، طالب شبيب، طارق عزيز، علي عبد الكريم، كما تقرر ابعاد علي صالح السعدي من العراق مع مجموعة من مناصريه وهم حمدي عبد المجيد، محسن الشيخ راضي، هاني الفكيكي، أبو طالب عبد المطلب الهاشمي، وجميعهم أعضاء في القيادة القطرية العراقية، مما ادى الى اضطرابات شديدة ولا سيما في بغداد عندما حاولت تشكيلات الحرس القومي وقلة من الضباط القيام بانقلاب وقصف القصر الجمهوري، ولكن الجيش قمع هذه المحاولة بسرعة واعلن بتاريخ 11/18/ انه قضى نهائيا على مقاومة الحرس القومي، كما اعلن ان رئيس الجمهورية عبد السلام عارف قد اصبح قائدا للجيش ورئيسا لمجلس ثوري من العسكريين.

اما وفد القيادة القومية الذي سافر الى العراق لحسم هذا الخلاف فكان مؤلفا من ميشيل عفلق الامين العام للحزب ومن اعضاء القيادة اللواء امين الحافظ واللواء صلاح جديد رئيس الاركاب السوري وحمود الشوفي وعبد الخالق النقشبندي ممثلين للمجلس الوطني لقيادة الثورة في سورية، وقد اصدر هذا الوفد بتاريخ 15/11/1963 قرارا اعلن فيه حل القيادتين القطريتين المتنازعتين، وتولي القيادة القومية رئاسة حزب البعث الحاكم في العراق الى ان يتم انتخاب قيادة قطرية، كما تقرر ابعاد القيادة الجديدة من العراق فأبعد الى لبنان وزير الخارجية طالب شبيب ووزير الداخلية حازم جواد والعقيد محمد حسين المهداوي الملحق العسكري العراقي في دمشق، وطارق عزيز رئيس تحرير جريدة الجماهير.

وبتاريخ 1963/11/20 غادر وفد القيادة القومية العراق بعد انذاره من قبل الجيش، وعلى اثر هذه الاحداث تشكلت وزارة جديدة من العراق على النحو التالي :

أحمد حسن البكر نائباً لرئيس الجمهورية (بعثي)، الفريق طاهر يحيى رئيساً للوزراء، زعيم الجو حردان التكريتي وزيراً للدفاع (بعثي)، الزعيم عبد الكريم فرحان قائد الفرقة الاولى وزيراً للارشاد (قومي عربي) الزعيم رشيد صالح مصلح للداخلية (قومي عربي) المقدم صبحي عبد المجيد مدير الحركات العسكرية وزيراً للخارجية (قومي عربي) الزعيم محمود شيت خطاب للشؤون الاجتماعية (مستقل) الدكتور عبد الكريم العلي للتخطيط (مستقل) المقدم عبد الستار عبد اللطيف للمواصلات (بعثي) الدكتور عبد العزيز الوتاري للنفط (مستقل) الدكتور عبد الكريم كمونة للصناعة الدكتور عبد الكريم صافي للشؤون (قومي عربي)، السيد عبد الستار الجوارى للتربية (مستقل) السيد جواد العيوسي وزيراً للمالية (مستقل) السيد كامل الخطيب وزيراً للعدل (مستقل) الدكتور عزت مصطفى وزيراً للصحة (بعثي) عقيد الجو عارف عبد الرزاق للزراعة (قومي) الدكتور عبد العزيز الحافظ للاقتصاد (مستقل) الدكتور عبد الصاحب علوان وزيراً للاصلاح (مستقل) السيد شامل السامرائي وزير دولة لشؤون الوحدة (مستقل) السيد مصلح النقشبندي وزير دولة عن الاكراد.

وقد صرح عارف تعليقا على هذه الحكومة "بأنها قد تشكلت من شخصيات لها مكانتها في البلد ومعروفة بوطنيتها وكفاءتها وعلى هذا الاساس تشكلت اما فيما يتعلق بالاحزاب فقد صرح بأنه لا احزاب مجازة عندنا".

**وفي تاريخ 63/11/27 وبعد فتح الحدود بين سورية والعراق، عادت الى دمشق الكتيبة العسكرية السورية التي كانت معسكرة في الحبانية اثر دخول بعض قطع الجيش السوري الى العراق لمساعدة الجيش العراقي في قمع تمرد البرازاني.**

**اعتراف العراق بدولة الكويت وعلان والوحدة العسكرية بين سورية والعراق**

لقد تحقق في عهد حكومة صلاح البيطار في سورية واحمد حسن البكر في العراق امران على غاية من الاهمية والخطورة، فقد اعلن بتاريخ 1963/10/9 في وقت واحد في دمشق وبغداد وبعد مقدمة قصيرة بأن الاتفاق بين الحكومتين قد تم على ما يلي :

1- اعلان الوحدة العسكرية بين البلدين، وتشمل كافة القوات المسلحة في الجمهورية العربية السورية والجمهورية العربية العراقية.

2- تشكيل مجلس اعلى من القائد العام للقوات المسلحة للجيش الموحد وثلاث اعضاء من كل قطر يعينهم المجلس الوطني لقيادة الثورة.

3- تعيين الفريق الركن صالح مهدي عماش وزير الدفاع العراقي قائدا عاما للقوات المسلحة.

4- تكون دمشق مقرا للقيادة العامة.

"والمجلسان الوطنيان لقيادة الثورة في العراق وسورية اذ يعلنان للشعب العربي قيام الوحدة العسكرية بين القطرين يدعوان الدول العربية الشقيقة للانضمام اليها ويؤكدان تصميمها على العمل من اجل تحقيق الوحدة العربية الشاملة مبتدئة بالاقطار العربية المتحررة".

**وقد برر اعلان الوحدة العسكرية حقوقيا ودستوريا دخول الجيش السوري الى العراق لمساعدة الجيش العراقي في قمع تمرد البرزاني من جهة ولدعم حكم البعث في العراق.**

ومن الجدير بالذكر ان المؤتمر القومي السادس قد بحث باقامة اتحاد بين سورية والعراق، وكانت جماعة علي صالح السعدي واليساريين السوريين من اعضاء المؤتمر من الداعين ايضا لاقامة الاتحاد بين القطرين .

لقد رفض البعثيون الوحدة مع العراق عندما دعا الاشتراكيون العرب الى ذلك اثر انقلاب 8 شباط 1963 - كما ذكرت سابقا- ووصفوا تلك الدعوة بأنها دعوة مشبوهة لاقصاء مصر عن الوحدة مطالبين بوحدة عربية ثلاثية، ولكن ذلك لم يكن سوى تكتيك للاستعانة بالناصريين للوصول الى الحكم ثم للبطش بهم فيما بعد.

وهكذا تلاعب حزب البعث بشعارات الوحدة والحرية والاشتراكية للوصول الى السلطة والاحتفاظ بها في مواجهة نظام جمال عبد الناصر والغنات الديمقراطية السورية.

لقد حال الانقلاب الذي قام به الجيش العراقي بقيادة عبد السلام عارف دون قيام الاتحاد بين البلدين بتأييد عبد الناصر الذي لم يكن يخفي عداؤه لكل تقارب بين القطرين لأنه يعتبر ذلك موحها ضد زعامة مصرفي العالم العربي، وهكذا التقت هذه السياسة مع السياسة الاستعمارية التي تعتبر ان الاتحاد بين القطرين يشكل خطرا على اسرائيل وعلى مصالحها في المنطقة العربية.

كما عملت بريطانيا وقبل الاطاحة بالبعثيين في 18 تشرين ثاني 1963 على تحقيق التفاهم وازالة الخلاف بين الكويت والعراق نهائيا - كما قيل آنذاك- فاعترف النظام البعثي في العراق بالحدود التي رسمتها بريطانيا سابقا بين البلدين، وهكذا عقدت الحكومة العراقية اتفاقا مع شيخ الكويت جاء فيه :

"وبعد ان اطلع الجانب العراقي على بيان حكومة الكويت الذي القى في مجلس الامة الكويتي بتاريخ 1963/4/9 والذي تضمن رغبة الكويت بما يلي :

1- تعترف الجمهورية العراقية باستقلال دولة الكويت وسيادتها التامة بحدودها المبينة بكتاب رئيس وزراء العراق بتاريخ 1932/7/21 (نوري السعيد) والذي وافق عليه حاكم الكويت بكتابه المؤرخ في 1932./8/10

2- تعمل كل منهما على توطيد العلاقات الأخوية بين البلدين الشقيقين يحدوهما في ذلك الواجب القومي والمصالح المشتركة والتطلع الى وحدة عربية شاملة.

3- تعمل الحكومتان على اقامة تعاون ثقافي وتجاري واقتصادي بين البلدين وعلى تبادل المعلومات الفنية بينهما، وتحقيقا لذلك يتم فورا تبادل التمثيل الدبلوماسي بين البلدين على مستوى السفراء.

الشيخ صباح السالم الصباح. رئيس الحكومة العراقية احمد حسن البكر.

لقد كان الثمن الذي دفعته الكويت للعراق قرضا بمبلغ عشر ملايين دينار، وقرضا آخر بمبلغ عشرين مليون دينار.

وتم توقيع هذه الوثيقة بمباركة حكم البعث في سورية فتعهدت حكومة الكويت بتوظيف الارصدة الكويتية في سورية والعراق، وقد اشيع اثر توقيع هذه الاتفاقية مع الكويت ان اموالا ورشاوى قد قبضتها بعض قيادات حزب البعث في سورية والعراق.

اما بريطانيا التي كانت وراء عقد هذه الاتفاقية فقد اعلنت في دمشق بتاريخ 1963/11/5 انها اتفقت مع سورية على تقديم معونات من الخبراء والفنيين بالاضافة الى منح دراسية وتدريبية في بريطانيا، مع تقديم بعض التجهيزات اللازمة للتدريب المهني والابحاث العلمية، وانشاء مركز لتدريب عمال النسيج في دمشق وحلب ولاشك بأن اتفاق تمديد انابيب البترول في سورية الذي عقده حكومة البعث عام 1965 مع الشركات البريطانية كان من ثمرات هذا الالتقاء البريطاني السوري، وسيرد تفصيل ذلك في حينه عند بحث هذه الاتفاقية واسباب اعتراض الاشتراكيين العرب على عقدها مما ادى الى سجنني وسجن عدد كبير من الاشتراكيين العرب، ومن الجدير بالذكر ان شائعات راجت آنذاك ان الذي عقد هذه الاتفاقية المجحفة هم بعض القيادات الحزبية البعثية السورية والعراقية.

كما روي عن علي صالح السعدي، بعد اقصائه عن العراق، قوله :



لقد جاء البعث الى الحكم بقطار بريطاني.

ولا بد لي بهذه المناسبة من التذكير بأن جمال عبد الناصر قد ارسل عام 1960 قوة من جيشه لحماية الكويت عندما اعلن عبد الكريم قاسم عزمه على ضمها الى العراق، فعسكر الجيش المصري الى جانب الجيش البريطاني هناك، ونتيجة موقف عبد الناصر هذا فقد دفعت الكويت لنظامه مبلغ 50 مليون جنيه، وهكذا كانت ولا تزال الشعارات التي تنادي بها الانظمة بتحرير فلسطين وبالوحدة والتحرر والاشتراكية سلعة طرحها النظام العربي في السوق العربية والدولية.

**1964: ماذا جرى بعد انقلاب عبد السلام عارف في العراق - الحكم البعثي في سورية يشعر بالخطر المحقق به بعد ان اصبح محاصرا من مصر والعراق - عبد الناصر يدعو لمؤتمر قمة للبحث في تحويل نهر الاردن - المؤتمر القومي السابع - صدور قرار المدعي العام بمنع محاكمتي- الفتنة الطائفية في مدينة بانياس.**

بعد انقلاب عبد السلام عارف على حكم حزب البعث في العراق، شعر الفريق أمين الحافظ مع بعض العسكريين بالخطر الذي يحدق بحكمهم في سورية فقد اصبحوا محاصرين من مصر والعراق، وهم لا يزالون يذكرون ان نجاح البعث في الاستيلاء على السلطة في سورية كان بالدرجة الاولى بفضل انقلاب الثامن من شباط في العراق.

لقد شعر بعض العسكريين ان المخرج من الطريق المسدود الذي ساروا فيه هو في العودة الى وحدة الحزب وجماهيره وذلك بالتفاهم مع الاشتراكيين العرب، ولكن على اساس الحكم العسكري القائم بعد الثامن من آذار، وهذا يعني احتواء معارضة الاشتراكيين العرب باشراكهم في الحكم.

**لقد كان هذا التفكير بعيدا عن فهم حقيقة موقفنا، فخلافنا مع حزب البعث قبل وبعد الثامن من آذار لم يكن خلافا على الاشتراك بالحكم، وانما كان خلافا على الالتزام بعقيدة الحزب الاشتراكية الديمقراطية الدستورية التي تؤمن بالتعددية الحزبية وفصل السلطات والقائمة على صيانة الحريات العامة والخاصة، وهذا ما كانت ترفضه جميع الاجنحة الحاكمة العسكرية والمدنية.**

وبأمل ما كان يطمح اليه امين الحافظ من اشتراكنا في الحكم، فقد عقد مؤتمرا صحافيا بتاريخ 1963/11/21 تحدث فيه عن وجهة نظره بأحداث العراق فقال انها كانت بسبب بعض

العناصر القيادية التي تصرفت تصرفا غير سليم، وان الحرس القومي كانت له تصرفات شاذة مشينة، وقال :

"أنا فوجئنا في سورية بهذه الحركة ولم نكن نتوقعها من عناصر بعثية على رأسها ضباط من ثورة 58/7/14" وتحدث عن الوضع في سورية فقال :

"ان موضوع العزل السياسي سيبحث وسيعاد النظر فيه وتحدث عن السيد اكرم الحوراني ورفاقه فوصفهم بالرفاق السابقين، وأطرى ماضي السيد الحوراني وانتقد بعض اخطائه، وأعلن ان الحرس القومي باق في سورية وان القيادة القومية لحزب البعث ستدعى لدرس الحالة واصدار القرارات المناسبة" (الحياة 1963/11/22).

على أثر هذا المؤتمر استقبل أمين الحافظ وفدا كبيرا من مدينة دمشق يمثل اسواقها التجارية واصحاب الفعاليات الاقتصادية، فعرض الوفد الحالة الاقتصادية بحضور اللواء محمد عمران واقترح الوفد "ان يكون التشريع الاقتصادي مستمدا من واقع سورية وحاجاتها وانه يجب تعريف الاشتراكية في سورية بصورة تؤمن الطمأنينة والاستقرار، لأن سورية لا تعتمد على الثروات المعدنية بقدر ما تعتمد على الانسان السوري والعبقرية السورية" وقد اعتبر الناس ان هذه التوجهات الجديدة هي انقلاب سياسي واجتماعي حدثت بسبب الانقلاب في العراق، بينما علق أمين الحافظ تنفيذه هذه التوجهات على انعقاد المؤتمر القومي السابع، وبالفعل فقد تابعت بعد عقد هذا المؤتمر قوائم الغاء العزل السياسي، كما فك الحصار في مطلع كانون الاول 1963 عن خالد العظم وسمح له ولناظم القدسي بالسفر الى لبنان.

□

لقد كانت اخبار الخلاف بين امين الحافظ ومحمد عمران حول عودتنا للحزب واشراكنا في الحكم تتسرب الينا قبل انقلاب عارف في العراق، وقد ذكرت سابقا في هذه المذكرات انني

كنت على خلاف مع عمران بسبب توجهاته المستمرة لاستلام حزب البعث الحكم عن طريق القيام بانقلاب عسكري، ولهذا فإن عمران كان يرى في عودة وحدة الحزب ما يتعارض مع هذه التوجهات ومع طموحاته الشخصية ومركزه القيادي الذي احتله بعد الثامن من آذار، وكان يرى في استقطاب اليمين السوري والفعاليات الاقتصادية مع الناصريين المعتدلين (الوحدويين الاشتراكيين) بديلاً من الاتفاق مع الاشتراكيين العرب، الأمر الذي كان أمين الحافظ يدعو إليه، وقد استفحل هذا الخلاف بعد الانقلاب في العراق، وظهر للعلن، وأصبح الناس والصحف خارج سورية يتحدثون عنه.

ولكن في الوقت نفسه كان الحافظ وعمران متفقين على إخراج الحكم في سورية من عزلته بإلغاء قرارات العزل السياسي ومنع محاكمة المحالين على محكمة الأمن القومي، وإصدار قانون عفو عام عن القضايا السياسية، وقد نفذ ذلك جميعه لأنه كان يحظى بموافقة معظم أعضاء مجلس قيادة الثورة، فعلق اليمين السوري والفعاليات الاقتصادية على ذلك أملاً عريضة، وتوقع إلغاء تأميم المصارف والغاء القرارات الاشتراكية، والعودة الى استفتاء الشعب الأمر الذي كانت تعارضه جميع مراكز القوة العسكرية والمدنية النافذة في حكم الثامن من آذار.



**دعوة عبد الناصر لعقد مؤتمر قمة لاتخاذ موقف موحد من قضية تحويل مجرى نهر الاردن**

بعد انقلاب عارف في العراق، دعا عبد الناصر - مما اعتبره عاملاً قوياً لنظامه- الى عقد مؤتمر قمة للدول العربية للنظر بموضوع تحويل نهر الاردن بمناسبة اقتراب موعد انتهاء التحويل، وللمصالحة مع الدول العربية، وكان مقدرًا أنها ستستجيب لدعوته لأنها ترحب بمسؤولية التنصل من هذه القضية والقائها على عاتق حزب البعث.

وفي تاريخ 64/1/23 القى عبد الناصر خطابا استهله عن انعقاد مؤتمر رؤساء الاركان العرب الذين بحثوا بأمر منع اسرائيل من تحويل نهر الاردن فقال:

"انا عارف كل شيء حصل في مؤتمر رؤساء الاركان العرب، ولكنني لن اقله حتى لا يسمعه اليهود، وانني عارف بكل كلمة قيلت في هذا المؤتمر وفي رأيي ان موضوعا بهذا الشكل لا يمكن ان يقرره العسكريون لان المسألة خاضعة للسياسة" كما تعرض في هذا الخطاب للجلسة التي كانت -كما ذكرت سابقا- السبب المباشر لاستقالتي من حكومة الوحدة فقال:

"في سنة 1960 وقت الوحدة السورية المصرية طلبت من مجلس الوزراء، وفيه سوربون، ان نبحت فيما يمكن عمله لاسرائيل بمشروع تحويل الاردن من الناحية الفنية والسياسية على اساس ان تأتي الناحية العسكرية بعدها، وقد وصلنا الى قرارات تتعلق بالانهار التي تتبع من البلاد العربية وتقضي بأن نمنع مياهها عن اسرائيل، الحاصاني من لبنان، وبانياس واليرموك من سورية التي تصب مياهها في المنطقة الاسرائيلية" ثم هاجم في خطابه حزب البعث ونعته بالغرور والخداع وانه الان يعاني سكرات الموت.

لقد رد ميشيل عفلق على خطاب عبد الناصر باقسي بكثير من جميع ما نشرته من بيانات حول موضوع تحويل نهر الاردن، ومن ردودي على افتراءات اجهزة الاعلام الناصرية، الامر الذي جعله عفلق مبررا لعقد المؤتمر القومي الخامس وفصمه لوحدة الحزب ووصم الاشتراكيين العرب بالانفصالية لأننا لم نقيم جمال عبد الناصر كقوة ثورية في العالم العربي، وكان مما قاله في الاجتماع الذي عقده في بهو الجامعة السورية بتاريخ 1964/1/28 ما يلي :

"لقد أدت النظرة الفردية الاقليمية لجمال عبد الناصر الى تبيد القوى والطاقات الثورية، بدل ان تتجمع التجارب الثورية وتتفاعل وألا يقوم أي عائق في وجه هذا التلاقي" وقال :

"ولكن ما حدث ان السياسة التي اتبعتها البيروقراطية والاقليمية اللاعقائدية التي تحكم القاهرة مع الاسف الشديد كانت نسخة عن سياسة الاجهزة التي كانت تحكم القاهرة قبل عام 1952، اي سياسة اقليمية توسعية قصيرة النظر، تخطط وتعمل لاضعاف الاقطار العربية الاخرى حتى تبقى هي المسيطرة فلا تقوم ثورة الا اذا عملت لهذه الاجهزة متناسية ان ضعف الاقطار العربية ينعكس عليها" كما قال :

"ان احدا لا يمكن ان يصدق ان القطر الصغير المتواضع الامكانات (سورية) هو الذي اراد ان يسيطر وان يحكم وهو الذي فرض الانقسام والفرقة، وهو الذي ارسل الدعايات المسمومة التي تملأ الجو العربي من المحيط الى الخليج حقدا وكراهية وانقسامات في الوقت الذي يعرف العرب وقادتهم وحكامهم ان العام الجديد (1964) سيجمعهم في اخطر مؤامرة على وجودنا القومي منذ نكبة فلسطين".



لقد تعرضت في فصل سابق من هذه المذكرات الى معركة المياه بين العرب واسرائيل التي لا تزال مستمرة حتى الان، والى تفاصيل عن مؤتمري القمة اللذين انعقدوا بشأن عدوان اسرائيل بتحويل مجرى نهر الاردن مما اسفر بالنتيجة عن اغتصابها لمياه الاردن ولمياه الانهار ايضا التي تتبع من سورية ولبنان دون ان تطلق رصاصة واحدة، ولكنني استطرادا للبحث في موضوع معركة المياه يمكنني ان اضيف بعض التفاصيل بمناسبة انعقاد هذا المؤتمر فقد ذكرت صحيفة الحياه بتاريخ 1964/1/18 ما يلي :

"ان اجتماعا على مستوى رفيع بين بعض الملوك والرؤساء العرب من جهة وبين بعض السفراء الغربيين وفي مقدمتهم سفير امريكا اسفر عن الاتفاق على تخفيف لهجة البيان الذي صدر عن مؤتمر القمة".

وقد جاء الخبر مترافقا مع تصريح جونسون رئيس الولايات المتحدة بتاريخ 64/1/22

**"بأن الولايات المتحدة لن تقف مكتوفة الأيدي في حال اقدام أي دولة على ارتكاب عدوان في الشرق الاوسط، وانه يهملها الحد من النفوذ السوفيتي، وان استمرار تدفق النفط بأسعار معقولة يعتبر قضية مهمة بالنسبة للولايات المتحدة، وان حرية الطرق الجوية والبحرية الى الشرق الاوسط وعبره هي قضية مهمة للولايات المتحدة اقتصاديا وعسكريا"**

وبتاريخ 1964/1/25 ابلغت موسكو مؤتمر القمة انها لن تسمح بأي اخلال بالسلام في الشرق الاوسط، وقد رحب ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل بمذكرة خروشوف لمؤتمر القمة قائلا :  
**"ان التغيير الذي يجري الان في موقف الاتحاد السوفيتي يبشر بتقارب الدول وتغاهمها سياسيا واجتماعيا، وان الفكرة التي وردت في مذكرة خروشوف بالالتزام بعدم استعمال القوة في النزاعات الاقليمية ذات شأن خاص في منطقة الشرق الاوسط".**

**كما رحبت غولدا مائير بتفهم الاتحاد السوفيتي للنواحي الايجابية لمشروع تحويل مياه نهر الاردن".**

ومن الانصاف بهذه المناسبة ان اشير الى التصريح الذي ادلى به الامير فيصل ولي عهد السعودية ورئيس وزرائها لوكالة انباء الشرق الاوسط، والذي نشرته الصحف بتاريخ 1964/3/6، فقد اعرب فيصل عن استعداد بلاده لأن تمنع البترول عن أي دولة تساعد اسرائيل سواء من الدول الغربية او الشرقية، كما اعلن معارضته لوجود القواعد الاجنبية في البلاد العربية، وطالب بازالتها، وتعقيا على تصريح الرئيس جونسون بشأن مساعدة اسرائيل في مشروعات المياه فقد قال :

**"انا لا نستغرب هذا التصريح لأن وجود اسرائيل في المنطقة العربية هو نتيجة لجهود الغرب والحل العملي لاخراج اسرائيل من المنطقة يتوقف على تعاون الدول العربية.**

**اما عن البترول فقال انه مستعد لقطعه عن كل دولة تساعد اسرائيل، وقال عن العلاقات الاقتصادية بين الدول العربية انه من**

## الطبيعي ان يكون هنالك تعاون ولاسيما مع الجمهورية العربية المتحدة.

لم يكن تصريح الملك فيصل آنذاك من قبيل البضاعة المزجاة للاستهلاك في البلاد العربية لأن الملك فيصل قد اتبع القول بالفعل فهو الذي كان وراء قطع امدادات البترول عن الولايات المتحدة والدول الغربية في حرب رمضان عام 1973 وكان لموقفه الصلب في مواجهة وزير الخارجية الاميركي كيسنجر بشأن القضية الفلسطينية ما وضع الاستشهاد نهاية لحياته في سبيل العروبة والاسلام.



في هذه الفترة التي كانت اسرائيل تنهياً فيها لسحب مياه الاردن من شمال فلسطين الى النقب كان حزب البعث في سورية والعراق غارقا في خلافاته على السلطة، ممعنا في تشرذمه، وكان من نتائج انقلاب عبد السلام عارف وانعكاسه على الحزب في سورية اشتداد حملة القيادة القطرية اليسارية على ميشيل عفلق وفئة من الحزب وتحميلهم مسؤولية ما حدث للحزب في العراق، فحفاظا على مركزه المهدهد من قبل القيادة القطرية اليسارية السورية، ومن حلفائها انصار علي صالح السعدي في العراق، دعا ميشيل عفلق الى مؤتمر قطري استثنائي سوري تلتته دعوة اخرى لمؤتمر قومي استثنائي (المؤتمر القومي السابع) وكان غرض عفلق اقضاء خصومه عن مراكز قيادة الحزب في سورية والعراق.

فكان من نتيجة المؤتمر القطري الاستثنائي ان صوتت الاكثرية على سحب الثقة من القيادة القطرية السورية (حمود الشوفي وجماعته) التي تكتلت مع علي صالح السعدي، وبعد انعقاد المؤتمر القومي السابع (14-17 شباط 1964) صدرت نشرة داخلية (نضال البعث عبر مؤتمراته القومية 1947-1964) حمل فيها ميشيل عفلق علي صالح السعدي وانصاره في سورية مسؤولية ما حدث في العراق، لأنهم حالوا دون طرح مشكلات القطر



العراقي في المؤتمر القومي السادس. وقد ورد في تلك النشرة الداخلية وصف لوضع الحزب في سورية عند انعقاد هذين المؤتمرين بما يلي :

"ان انتهاء المؤتمر القطري السوري الاستثنائي لم يمهله الاجواء السلبية التي انتشرت في صفوف بعض الحزبيين في القطر السوري، فأخذ بعض الرفاق يطلقون الشائعات عن حصول انقلاب عسكري داخل المؤتمر القطري السوري، وان العسكريين تسلطوا على الحزب، وان اليمينيين ابعدوا اليساريين، علما بأن نفس المؤتمر الذي انتخب القيادة القطرية السابقة هو المؤتمر نفسه الذي عاد فسحب الثقة منها، وعجبا ان يكون المؤتمر يساريا عندما ينتخبهم ويمينا عندما يحجب الثقة عنهم".

"لقد انعقد المؤتمر القومي السابع في جو من التوتر ساهمت فيه بعض العناصر التي كان لها دور في نكسة العراق والمتكلمون حولها في سورية، وقد قامت هذه العناصر بمحاولات تخريبية كانت تستهدف ان تحول دون انعقاد المؤتمر القومي السابع ورفض هؤلاء المنشقون الاشتراك بهذا المؤتمر".

"لقد كان الحزب ومنظماته منذ ما قبل المؤتمر القطري الذي سبق انعقاد المؤتمر القومي السادس تسوده اجواء غريبة عن روح الحزب ونضالته من الاتصالات والتكتلات الشخصية التي كانت تتم بشكل اصح يهدد وحدة الحزب التنظيمية، وانتشر اسلوب جديد كالمرض لدى الحزبيين، اسلوب يصنف الرفاق الى ثوريين، اشتراكيين ولا اشتراكيين، يمينيين ويساريين، عسكريين ومدنيين، فشلت منظمات الحزب وانقطع اتصالها اليومي بجماهير الشعب، وانغلق الحزبيون على انفسهم يتراشقون التهم ويقضون الساعات يناقشون هذا الاسلوب الجديد، وهذه التصانيف المقتعلة، واصبحت الاعمال والمناقشات والتقييم والآراء تتم جميعها خارج المنظمات الحزبية، ففقدت المنظمة وجودها، وقتل الرأي الموضوعي، وشلت الديمقراطية داخل المنظمات بفقدان المناقشات الموضوعية وسيادة المناقشات المبنية على قناعات وآراء واخبار من خارج المنظمات، ولقد ازداد هذا التمزيق بعد احداث 13 تشرين الثاني في

العراق حيث فقد التوجيه المركزي في الحزب، واخذت القيادة القطرية في سورية تصدر النشرات (وقبل نكسة 18 تشرين الثاني) تناقض فيها بيان القيادة القومية الذي صدر في بغداد باجماع اعضاء القيادة القومية الحاضرين آنذاك والذين يشكلون اكثرية القيادة القومية، كما ان افرادا من القيادة القطرية السورية ارسلوا بعض النشرات الى منظمات خارج سورية متجاوزين صلاحيات القيادة القطرية".



نجح انعقاد المؤتمرين اللذين دعا اليهما ميشيل عفلق بانتخاب قيادة قومية وقطرية جديدتين فسقطت القيادة القطرية السابقة وانتخب المؤتمر قيادة جديدة تضم أمين الحافظ ومحمد عمران وصلاح جديد من العسكريين ومن المدنيين نور الدين الاتاسي وبعض الاعضاء الآخرين، ومن الجدير بالذكر ان القيادة القطرية السابقة التي حجت عنها الثقة هي القيادة التي قررت قبل اسبوعين فصل البيطار ورفاقه لأنهم يمثلون يمين الحزب، كما صدر عن القيادة القومية للحزب بعد المؤتمر القومي السابع قرار بفصل علي صالح السعدي وحمدى عبد المجيد ومحسن الشيخ راضي "لانحرافهم عن مبادئ الحزب واخلاقيته وتمردهم على سلطته" وامتد هذا الخلاف بين يمين ويسار الى الحزب في لبنان حيث تشكلت قيادة قطرية جديدة بدلا من القيادة السابقة التي كانت تعتبر موالية لميشيل عفلق.



لقد كان اخطر ما ادت اليه تمزقات اجنحة حزب البعث، وتمزقات مراكز القوى العسكرية، في صراعها جميعها على السلطة، هو محاولة استناد كل فئة منها على الولاءات الطائفية والمذهبية والجهوية، فانعكس ذلك على النظام الحاكم وعلى الوحدة الوطنية، الامر الذي ما تزال سورية تعاني آثاره حتى اليوم.



## صدور قرار منع محاكمتي

عندما كنت متواريا عن الانظار في دمشق، اخبرت ان قاضي التحقيق والمدعي العام لمحكمة الامن القومي الاستاذ فريد عقيل قد اصدر قرارا بمنع محاكمتي، وانه عندما عرض هذا القرار على امين الحافظ في القصر الجمهوري، ثار صلاح الضلي رئيس المحكمة على فريد عقيل وكاد ان يعتدي عليه بالضرب.

بعد صدور هذا القرار وبعد ان توالت قوائم الغاء العزل السياسي وسمح لخالد العظم بمغادرة السفارة التركية التي كان لاجئا اليها منذ الثامن من آذار وتركت له ولناظم القدسي حرية السفر الى لبنان وجدت انه لم يعد من مبرر لبقائي متواريا، وانه من الضروري ان اعود الى منزلي، وما ان شاع خبر عودتي اليه حتى توافد الناس لزيارتي من مختلف المدن السورية واريافها، ومن مختلف فئات الشعب، من الفلاحين الى المحامين والاطباء والمهندسين والطلاب والفعاليات الاقتصادية، وكانت الوفود لا تنقطع من الصباح حتى المساء.

بعد اسبوع من عودتي للمنزل ارسلت الى المخابرات انذارا بوجوب مغادرته والا فإن السلطة ستضطر لاعتقالي كما اخبرت بأن عودتي للمنزل قد اثارت خلافا حادا بين اعضاء مجلس الثورة كاد ان يؤدي الى الاصطدام فرأيت من الحكمة ان اغادر المنزل بعد هذه الرسالة ولم أشأ ان اكون سببا للصدام.

**اثر مغادرتي المنزل داهمته قوة كبيرة قدر عددها بسبعين عنصرا صعداوا الى الشقة وهم يهزجون وكأنهم ذاهبون الى فلسطين، ولم يكن في المنزل سوى زوجتي واطفالي الذين روعوا من منظر الرشاشات وقيل لي ان الضابط ابراهيم العلي كان قائدا لهذه الحملة، وانه وقف على الرصيف المقابل للمنزل وهو يصيح بأعلى صوته سألشني اكرم الحوراني على شرفة منزله اذا كان موجودا فيه!! ومن الجدير بالذكر ان ابراهيم العلي هذا هو من قرية دير شميل الي حررتها من اقطاع عائلة العظم وهو**

**احد الذين حكموا بالاعدام بعد فتنة حلب الدامية في آذار 1962 التي قتل فيها ضباط دمشقيين والتي مر ذكرها بالتفصيل، وقد قمت بالوساطة مع ناظم القدسي، للحيلولة دون تصديق الحكم تحاشيا للاثار الطائفية.**

وبتاريخ 1964/1/25 نشرت جريدة الحياة خبر منع محاكمتي وشارت الى الضجة القانونية والقضائية التي اثارها قرار منع المحاكمة:

"لقد فتح تحقيق مع الاستاذ فريد عقيل المدعي العام لدى محكمة الامن القومي بعد اصداره قرارا بمنع محاكمة الاستاذ اكرم الحوراني، فقررت السلطات السورية الغاء القرار المذكور وملاحقة الحوراني من جديد، وقد تأكد الآن ان فريد عقيل قد اعتقل وهو في القصر الجمهوري، وقد أثار إلغاء قرار منع المحاكمة ضجة كبيرة في اوساط مجلس القضاء الاعلى ونقابة المحامين، باعتبار ان قرار النائب العام لدى محكمة الامن القومي هو قرار قطعي لا يخضع لأي طريق من طرق المراجعة فلا يمكن الغاؤه، ولكن السلطات حاولت ان تجد مخرجا فأصدرت قرارا بإقالة المدعي العام الاستاذ عقيل من منصبه وارخت قرار الاقالة بتاريخ سابق لتاريخ قرار منع المحاكمة، الا أن ذلك لا يحل هذه السابقة القضائية الخطيرة التي تجعل القاضي غير امين على نفسه، ولاسيما ان قرار منع محاكمة الحوراني قد ارسل الى السلطة التنفيذية وبذلك اكتملت صفاته القانونية الاجرائية جميعا"

وتعقيبا على ذلك صرح اللواء محمد عمران للصحيفة نفسها بمكالمة هاتفية "بأن اكرم الحوراني لا يزال ملاحقا قضائيا ولا بحث بأمره، ولكن هنالك خطأ في الاجراءات بشأن قرار منع المحاكمة ولما سئل عما يتردد من خلاف بينه وبين امين الحافظ نفى ذلك كما قالت الصحيفة:

"ليس سرا بأن اكثرية اعضاء المجلس الوطني لقيادة الثورة كانت واقفة في جهة، واللواء امين الحافظ وبعض انصاره في الجهة الاخرى اثناء مشاورات المجلس الوطني الاخيرة والمتواصلة التي انتهت بالعدول عن البحث في اشراك الحوراني بالحكم واعتبار الموضوع منتهيا " (الحياة 1964/1/25).

وبهذه المناسبة اذكر ان السلطة البعثية قد ارسلت الى قبل مداهمة منزلي بواسطة احد رفاقنا من الضباط المسرحين عرضا بأن اعين مندوبا عن سورية في الامم المتحدة براتب رئيس دولة، وتعيين بعض الضباط الاشتراكيين سفراء، وان هذا العرض هو باتفاق جميع الفرقاء الحاكمين، فكان جوابي الرفض القاطع لهذا العرض لان الخلاف القائم بين الاشتراكيين العرب وبين حزب البعث ليس بسبب عدم اشراكنا بالحكم، بل هو خلاف مبدئي، وان اي اتفاق بيننا يجب ان يقوم على اساس العودة بالبلاد الى اوضاع دستورية ديمقراطية بعد اجراء انتخابات عامة لاقامة مجلس نيابي.

ولم يكن عرض تعييني ممثلا لسورية في هيئة الامم المتحدة هو الاول فقد اخبرني الاستاذ حافظ الجمالي باستعداد السلطة لأن تدفع لي راتب رئيس دولة اذا ارتضيت ان اقيم خارج البلاد، فقد كان الخوف من وجودي في سورية طليقا هاجس حكام الثامن من آذار على مختلف تكتلاتهم، باعتباره تهديدا لمراكزهم وعقبة كأداء امام طموحاتهم وطمئنتهم للسلطة، فكان هذا سببا لكل ما تعرضت له منذ الثامن من آذار من حملات اعلامية وملاحقات قضائية وعزل سياسي، واقامة اجبارية واعتقال في سجن المزة ثم النفي الى خارج سورية (مايس 1966).

لقد كان اشد ما اثار نقمة مراكز القوى في الحزب والجيش تنبهي لمخاطر الاعتماد على الولاءات الطائفية والعشائرية والجهوية في صراعاتها التي بدأت تنعكس آثارها على الشعب والمجتمع، وهذا ما كنت ولا ازال لا ارى حلا له الا بالعودة للحياة الدستورية الديمقراطية.

فالحكم البرلماني الديمقراطي هو العلاج الناجح الذي يشفي من وباء الطائفية ويحول دون التمزق الطائفي والعشائري والمذهبي، وانني كنت ولا ازال

مؤمناً بأن سورية -بوعي شعبيها- ستظل قلعة مستعصية على اعداء العرب، وستظل حاملة لواء التحرر والوحدة والتقدم في المنطقة العربية طالما هي محافظة على وحدتها الوطنية.



### الصدام الطائفي في مدينة بانياس

كان اول نذير لمخاطر انعكاس الاستغلال الطائفي على الشعب من قبل مراكز القوى في حكم الثامن من آذار. الاصطدام الذي وقع في مدينة بانياس على الساحل السوري مع بعثيين نزلوا من الجبل احتفالاً بمرور سنة على انقلاب الثامن من شباط في العراق والقضاء على عبد الكريم قاسم، فقد اخذ هؤلاء يهتفون هتافات طائفية (البعثية علوية) فتصدى لهم اهالي بانياس، وجرت معركة بين الفريقين سقط على اثرها بعض القتلى والجرحى، وعندما انتشر النبا في الجبل تجمع جمهور من عشائره وتوجهوا الى مدينة بانياس ولما بلغوا رأس النبع الواقع في ضواحي المدينة طلبت منهم قوات الامن الرجوع الى قراهم، وعندما رفض فريق منهم الانصراف تم اعتقالهم، وقد اضربت المدينة اثر هذه الاحداث بينما اصدرت السلطات بلاغا القت فيه مسؤولية ما حدث على الآخرين :

"لقد ظهر من التحقيق ان فتنة بانياس كانت مهياة لبذر الشقاق الطائفي والمذهبي وقد شجعها عدد من محترفي السياسة وزعماء العشائر والسياسيين التقليديين".

**ومن الجدير بالملاحظة ان المؤتمر القومي السابع الذي انعقد اثر هذه الحوادث لم يأبه لمعالجة هذا الموضوع الخطير الذي لم يرد له اي ذكر في النشرة الداخلية التي صدرت نتيجة لهذا المؤتمر.**



لقد احزن هذا الصدام الطائفي سليمان العيسى الشاعر  
العلوي الذي كان بعثيا والذي كرس معظم شعره للعرب ووحدهم  
فنظم قصيدته الحزينة والجميلة التي مطلعها يا جارة النبع والتي  
اثبتها في هذه المذكرات :

عند الغروب وفي عيني  
شكواه

يا جارة النبع في عينيك  
رقته

فتغدق النغم  
المسحور كفاه

تحنو الدوالي على  
كفيه ظمئة

وساعة من شرود  
في زواياه

تعودت شفتي  
كأسا معطرة

ببي الدرود  
واستهدي برياه

القي عليه هجيري  
كلما عبرت

ان صح في ضفتيه ما  
سمعناه

يا جارة النبع، رأس  
النبع ارقني

خديه فاسود عند الفجر  
مجره

يروون ان يدا سوداء  
قد لمست

فسممت وهو معسول  
اللمى فاه

وان غيمة نار في  
الضحى عبرت

لكي نرحله اهوى  
ثم غطاه

وان ليلا عصرنا عمرنا  
سهرا

درب الحياة واهلي في  
الضحى تاهوا

وابصر العمي في اعماق  
غابتهم

وهم ضحاياه ان يضرب  
وحده

يهتز في كفهم سيف  
يطير لظى

يا للمبارز، عيناه  
عدواه؟

وتبذر العين عنا  
سوف تطفئها

يكفيه عبر الليالي ما  
أذقناه

من الظلام على  
الارض وتلقاه

ولكن احط على  
قبر ملناه

يا جارة النبع اني  
من نداماه

من يطعنون؟ ضلوعا  
ضمها جسد

يكفي سماء الذرى والشط  
ما لقيت

اني نصبت فوق عمى  
التاريخ اجنحتي

النبع يدعو نداماه ولو  
مرقوا



لقد ترافق الصدام الطائفي في بانياس مع غليان شعبي عم جميع اتجاهات الشعب وفئاته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، فقررت الفعاليات الاقتصادية بدمشق الاضراب احتجاجا على سياسة حزب البعث الاقتصادية، ولكن تم التراجع عن الاضراب لأن امين الحافظ وعد بدرس المطالب التي علقها انعقاد المؤتمر القومي السابع من جهة ولأن التجار تحاشوا ان يكون اضرابهم مترافقا مع دعوة الناصريين والاخوان المسلمين الى الاضراب في الثالث والعشرين من شهر شباط في ذكرى الوحدة السورية المصرية.



لقد بدأ آذار 1964 باستعدادات ضخمة من قبل السلطات البعثية للاحتفال بمرور عام على انقلاب الثامن من آذار، وقد أثار هذا التاريخ في نفس كاتب قومي لم يشأ ان يذكر اسمه مشاعره فَعقد مقارنة بين الثامن من آذار عام 1920 وبين الثامن من آذار عام 1963 فكتب مقالا في جريدة الحياة رأيت من المفيد ان اثبت معظم مقاطعة لأنها تعبر عن مشاعر الشعب تجاه هذين الحداثين التاريخيين :

"اذا كان الثامن من آذار هو ذكرى الانقلاب الذي وقع في سورية فإنه ذكرى لحدث تاريخي آخر وقع في سورية قبل ثلاثة وأربعين عاما فالكيان



السوري المستقل انبثق عن اعلان استقلال سورية يوم الثامن من آذار عام 1920.

ففي السادس من آذار عام 1920 اجتمع في دمشق المؤتمر السوري في دار النادي العربي وحضره ممثلون عن الامة العربية الواحدة بمناطقها الداخلية والساحلية والجنوبية وفي مساء يوم الاثنين في السابع من آذار ختم المؤتمر اعماله واتخذ القرارات التالية :

1- اعلان استقلال سورية بحدودها الطبيعية وتنصيب الامير فيصل بن الحسين ملكا عليها باسم الملك فيصل الاول .

2- المطالبة باستقلال القطر العراقي استقلالا تاما.

3- قيام اتحاد سياسي واقتصادي بين سورية والعراق.

وصباح الثامن من آذار توجه وفد من قبل اعضاء المؤتمر الى دار الامارة وبلغ مقرراته للامير فيصل وبايعه ملكا على سورية، وفي الساعة الثالثة بعد الظهر احتفل رسميا في بلدية دمشق<sup>(1)</sup> باعلان الاستقلال، فتوجه الامير فيصل بموكب رسمي الى البلدية حيث جرى الاحتفال، ثم نهض رئيس البلدية ورفع العلم السوري الجديد، وهو علم الثورة العربية مع نجمة واحدة، وبعد ذلك وقف رئيس المؤتمر السوري المرحوم هاشم الاتاسي وتلا قرار المؤتمر وهذا نصه :

"بما ان المؤتمر السوري العام الذي يمثل الامة السورية العربية في مناطقها الثلاث الداخلية والساحلية والجنوبية (فلسطين) تمثيلا تاما، يضع في جلسته العامة المنعقدة نهار الاحد الموافق لتاريخ 16 جمادي الثانية سنة 1338 وليلة الاثنين الموافق لتاريخ 7 آذار سنة 1920 القرار التالي :

"ان الامة العربية ذات المجد القديم والمدنية الزاهية، لم تقم جمعياتها واحزابها السياسية في زمن الترك بمواصلة الجهاد السياسي ولم ترق دم شهدائها الاحرار وتثر على حكومة الاتراك الا طلبا للاستقلال التام والحياة الحرة بصفتها امة ذات وجود مستقل وقومية خاصة لها الحق ان تحكم نفسها بنفسها اسوة بالشعوب الاخرى التي لا تزيد عنها مدنية ورقيا.. وقد اشتركت بالحرب العالمية مع الحلفاء استنادا على ما جهروا به من الوعود الخاصة

(1) دائرة الهجرة والجوازات حاليا.

والعامة في مجالسهم الرسمية وعلى لسان سياسيتهم ورؤساء حكوماتهم وخاصة ما قطعوه من العهود مع جلالة الملك حسين بشأن استقلال البلاد العربية.

لقد عجت دمشق بالوفود تزحف اليها من انحاء البلاد السورية للاشتراك بالحدث العظيم فغصت فنادقها الكبرى (داماسكوس بالاس) و (فيكتوريا) و (الخوام) بالزوار حتى لم يبق متسع ففاضوا عنها الى (لوكندة) الزهراء وغيرها في السنجدار، وتوزع الكثيرون على دور اهلهم واصدقائهم اذ لم تتأخر ناحية في سورية وفلسطين والاردن وبعض اقسام لبنان عن ارسال ممثليها للاشتراك بالمهرجان العظيم في دمشق.

هذه صفحة من ذكريات يثيرها الثامن من آذار عام 1920.

اما الصفحة التي يثيرها الثامن من آذار عام 1963 فهي ذكرى حزب بعث عفلق، **الذي كان باستطاعته ان يكون سورية بكاملها**، فظل حزب كتلة حاكمة منعزلة عن الشعب.

انها ذكرى الحزب الذي انفرط كتلا متنافرة متناحرة يكيدها لبعض بأسوأ مما يكيدها خصومهما.

انها ذكرى الشعارات تطفو على المبادئ بالزبد يتناثر من أشداق الصائحين الهتافين.

ذكرى الثامن من آذار هي ذكرى حزب الوحدة الذي حكم سورية والعراق معا لأول مرة في التاريخ الحديث مدة تسعة اشهر فتهيأت له فرصة العمر لتنفيذ اتحاد وطيد لم تتوفر لغيره من الاحزاب السياسية، فأمضى الشهرين الاولين في مناورات فاشلة لا طائل تحتها مع القاهرة انتهت بتقاطع تام وعداوة مستحكمة وامضى السبعة اشهر الباقية ملتفها باضطهاد الشعب والعناصر الوطنية حتى ضجت البلاد والعباد، فسقط الحزب في العراق.

انها ذكرى التخريب الاقتصادي والاجتماعي الذي حل بسورية على حساب مصالحها على ايدي حكام يغطون بالفاظ التحول الاشتراكي والتسيير الذاتي المستورد من الدول الشيوعية.

انها ذكرى الاسفاف السياسي والاقتصادي والاجتماعي المتدني عقلا وفهما واخلاقا الى ادنى الدرجات، وذكرى الضحالة والضالة في القيم

والمفاهيم والحكم والاداءة، ذكرى هجرة الكفاءات العلمية والفنية والادارية من  
سورية الى غير ما رجعة.



## احداث حماه الدامية عام 1964

كانت الاسر الاقطاعية في حماه والاسر التابعة لها في المدينة والريف تشكل تكتلا سياسيا واجتماعيا وانتخابيا في مواجهة الاشتراكيين العرب منذ بدء حركة الشباب، وتجلى ذلك بوضوح في الانتخابات النيابية التي جرت عام 1943.

لقد انضم الى هذا التكتل بعد الانفصال الاخوان المسلمون وعدد ضئيل من عملاء المخابرات المصرية فخاض هذا التكتل، كما ذكرت سابقا، الانتخابات التي جرت في عهد الانفصال بقيادة ما اسموه لجنة أحياء المدينة ولكن النجاح لم يكن نصيبهم، وقد قام هذا الحلف في اوائل عام 1964 بثورة مسلحة في مدينة حماه لاسقاط حزب البعث بتشجيع من مصر والعراق، كما جرت قبل هذه الثورة التي بدأت في السابع من نيسان محاولات من قبل الناصريين والاخوان المسلمين للقيام باضراب ومظاهرات في بعض المدن السورية تمهيدا للثورة ولكنها باءت بالفشل.



في مطلع شهر نيسان -على ما اذكر- زارني الاستاذ علي عدي واخبرني بأن لجنة أحياء المدينة قد عرضت على الاشتراكيين العرب التحالف معهم للنضال في سبيل اسقاط حكم حزب البعث فقلت له :

انني لا اوافق على التعاون مع هذه اللجنة الا بشرط ان يقتصر اتفاقنا على المطالبة بالغاء الاحكام العرفية وعودة الحياة البرلمانية الديمقراطية للبلاد، فإذا تمت الموافقة على هذا الشرط، فيمكن ان نبدأ هذا التعان بتقديم مذكرة ترفع لحكومة البعث باسم مدينة حماة موقعة من جميع هيئاتها ورجالها على مختلف اتجاهاتهم السياسية.

وفعلا فقد تقدمت المدينة لمحافظ حماة (عبد الحليم خدام) بهذه المذكرة ليرفعها للحكومة ولما لم تجد اذنا صاغية، عادت

لجنة الاحياء وعرضت على الاشتراكيين العرب القيام بثورة مسلحة لاسقاط حكم حزب البعث الذي اصبح محاصرا من قبل مصر والعراق، فاقترحت على الاشتراكيين العرب ان ينصحوا لجنة احياء المدينة وان يبصروها بعواقب استعمال العنف مما سيعرض المدينة للانتقام الوحشي من الجيش، ولكن لجنة احياء المدينة ظلت على تصميمها باللجوء الى الثورة المسلحة.

وقد اشارت صحيفة الحياة الى موقف الاشتراكيين العرب بما يلي :

"لقد قيل بأن الحوراني كان يتوقع مثل هذا الانفجار وانه اوعز الى انصاره بالابتعاد عنه" كما قيل:

"ان جماعة الحوراني قد فوتحوا بالامر ولكنهم رفضوا الاشتراك بالحركة وقالو انهم سيقفون على الحياد" (1964/4/18).



كنت ما ازال في دمشق ملاحقا متواريا عندما بدأت احداث حماه الاولى، او القصف الاول لهذه المدينة، واقول الاول لتمييزه عما حدث فيما بعد في عام 1982.

بدأت هذه الاحداث التي كانت اخبارها تصل الي -وانا متوار- بصورة متتابعة **في السابع من نيسان عام 1964** وكان السبب المباشر حادث طلابي يقع مثله غالبا في اي مدرسة، ولكن السلطات البعثية عالجته بصورة استفزازية لا مبرر لها.

كان ذلك عندما كتب احد طلاب مدرسة عثمان الحوراني على اللوحة لا حكم الا لحزب البعث، فشتم طالب آخر هذا الحزب وكتب لا حكم الا لله، فاعتقلت السلطات الطالب وجرت مداخلات كثيرة لاطلاق سراحه، ولكنها لم تثمر بل اصدر شبلي العيسمي وزير التربية والتعليم قرارا بنقل عدد من مدرسي الدين في المدينة، فأضرب طلاب المدارس الرسمية والخاصة احتجاجا على ذلك، وبعد يومين من الحادث خرج المصلون من صلاة الجمعة بمظاهرة احتجاج قمعها الجيش بقسوة، سقط على اثرها قتيل

وبعض الجرحى، فأضربت المدينة اضرابا عاما اشتركت فيه جميع فئاتها وعندما حاولت السلطات فتح بعض المتاجر بالقوة اصطدمت بمقاومة مسلحة مما ادى الى دخول الجيش الى المدينة ولا سيما احياءها القديمة، ثم عزلت حماة عن الخارج تماما، **ولكن الاخبار بدأت تتوارد عن البيوت التي تهدم، وعن الجوامع التي تقصف، فحاولت ارسال شاب لاستطلاع ما يحدث في المدينة، فعاد الي وهو يبكي ويقول لم استطع دخولها ولكن اصوات القصف تملأ اجواءها.**

لقد كانت المساجد في سورية خلال الاستعمار الفرنسي المكان الذي يلجأ اليه المتظاهرون ... اذكر ذلك جيدا خلال مظاهرات دمشق عام 1936 التي اشتركت فيها عندما كنت طالبا في كلية الحقوق، كان المتظاهرون يلجأون الى الجامع الأموي عندما تشتد المطاردة فيقف الجنود الفرنسيون والسنغال امام ابوابه لا يطأون حتى اعتابه.

لم يحدث ذلك في حماة عندما التجأ المقاومون الى المساجد، فعندما اعتصم الشيخ مروان حديد مع بعض انصاره في جامع السلطان حاصرت الدبابات الجامع وقصفته بالمدافع، وكان مروان حديد قد شكل في حماة جماعة ذات اتجاه ديني مستقلة عن مشايخها وعن جماعة الاخوان المسلمين الذين كان يطلق عليهم اسم الدوليين اشارة الى اتصالاتهم المتشعبة، وكان يبشر بالجهاد للاطاحة بحكم البعث الطائفي ولهذا تولى التوجيه والتبشير والتنظيم انطلاقا من جامع البحصه اولا ثم من جامع السلطان الذي هو اهم جوامع المدينة وفي وسطها، فاحتل بذلك مكان الشيخ محمد الحامد، وجعل من هذا المسجد منطلقا للدعوة الى الثورة على حزب البعث.

لقد توقف اطلاق النار في حماة بتاريخ 16 نيسان نتيجة لتوسط بعض رجالاتها امثال الشيخ محمد الحامد وابراهيم الشيشكلي، ونتيجة لمساعي التهدة التي كان يبذلها اللواء امين الحافظ، وتشير صحيفة الحياة الى مساعي التهدة هذه بما يلي:

"لقد سعى اللواء امين الحافظ على فض المشكلة يوم 16 الجاري ودار حديث بين لجنة المدينة والحافظ على انهاء المشكل بما يشبه طريقة لا غالب ولا مغلوب فيما يتعلق خصوصا بالقتلى من الجانبين اي من الاهلين والجيش والشرطة والحرس مع اعتقال عدد من المطلوبين للتهدة" (1964/4/21).

وكانت قد صدرت قائمة باسمااء بعض الاشخاص الذين تقرر اعتقالهم واحالتهم على المجلس العرفي بتهمة التآمر على سلامة الدولة ومناهضة المبادئ الاشتراكية والتعاون مع الاستعمار بالاضافة الى مصادرة اموالهم المنقولة وغير المنقولة وهم : عثمان الامين، عبد الله السفاف، اكرم العاشق، عبد الله البرازي، احمد الامين، فؤاد الاسود (ضابط مسرح من ضباط الشيشكلي) اديب نصور، سعيد حوا، عبد المجيد طهماز، احمد العظم، رياض العظم، وجيه البرازي، عبد الكريم مسطو الحلبي، مصطفى ابراهيم عز الدين، فريد نصور، طلحة طيفور، صادق نورس الكيلاني، غازي العظم، بعد ان اصدر الدكتور نور الدين الاتاسي وزير الداخلية ونائب الحكم العرفي الاوامر العرفية التالية :

امر عرفي رقم 70 : ان نائب الحكم العرفي يأمر بما يلي :

مادة اولى : تغلق مدرسة عثمان الحوراني الثانوية الرسمية في مدينة حماة نهائيا وينقل مدرسوها وموظفوها ويوزعون من قبل وزارة التربية والتعليم.

مادة ثانية : ينشر هذا الامر العرفي ويبلغ حيث يلزم تنفيذ احكامه.

امر عرفي رقم 71 : ويتناول وجوب فتح الافران ومحلات بيع المواد الغذائية مع تطبيق اقصى العقوبات بالمخالفين.

امر عرفي رقم 72 : ان نائب الحاكم العرفي بناء على المرسوم 1042 تاريخ 63/9/24 وبناء على احكام المرسوم التشريعي رقم 110 تاريخ 63/7/18 وتعديلاته يأمر بما يلي :

مادة اولى : يحدث مجلس عرفي عسكري في المنطقة الوسطى تكون مهمته محاكمة المشتركين والمتدخلين والمحرضين على الفتنة التي وقعت في حماة بتاريخ 64/4/15.

مادة ثانية : يشكل المجلس العرفي المنصوص عليه في المادة الاولى من هذا الامر برئاسة الرائد مصطفى طلاس وعضويه الضباط الآتية اسماؤهم الرائد عزت جديد، الراشد جمال داوود، النقيب جمال طيارة، النقيب عطية سويداني، ويسمى الضباط الآتية اسماؤهم اعضاء متممين :

الرائد محمد ججاج، النقيب مصطفى عبده المصطفى، النقيب سجيح سيجري.

مادة ثالثة : ينشر هذا الامر العرفي ويعتبر نافذا من تاريخ صدوره.  
دمشق 1964/4/15.

الدكتور نور الدين الاتاسي نائب الحاكم العرفي.

وفي التاريخ نفسه ادلى شبلي العيسمي وزير التربية ووزير الاعلام وكالة بتصريح حاول فيه ان يغطي على ما جرى في المدينة مدعيا ان الاحداث اسفرت عن قتيلين فقط! وفيما يلي بعض ما ورد في هذا التصريح :

"لقد بدأت حوادث حماه قبل ثلاثة ايام حين اعتقل احد الطلاب ونقل بعض الاساتذة والمعلمين فحاولت احدى المدارس القيام بمظاهرة في حي الحاضر، انطلقت اثناءها بعض الرصاصات مما ادى الى مقتل احد المواطنين وقد ثبت ان الرصاصة قد اتت من مكان عالى يرجح انه احد السطوح مما يدل على انها لم تصدر من رجال الامن، وقد استغلت هذا الحادث العناصر الرجعية الحاقدة والاقطاعية التي لم تكتم حقدتها منذ تطبيق الاصلاح الزراعي وتطبيق الخطوات الاشتراكية الاخيرة فأضرب عندئذ قسم كبير من المحلات التجارية ... لهذا السبب اتخذت السلطة الاجراءات الحازمة فوضعت حدا للعبث والتخريب، وقد حدث ان انطلقت بعض الطلقات من بعض البيوت مما اعتبرته السلطة تحديا للثورة فوقفت منه موقفا حازما واعتقل المحرضون وسيُنظر المجلس العرفي بقضيتهم في الساعات القادمة".

وذكر العيسمي ان شخصا آخر فقد قد قتل في احداث هذا اليوم (اي 4/15) ثم قال محاولا التخفيف من مسؤوليته كوزير للتربية في الضغط على الطلاب والتنكيل بالمعلمين ومتجاهلا ممارسات النظام الارهابية التي بدأت



مع انقلاب الثامن من آذار والتي كانت السبب الرئيسي لنقمة الشعب السوري في حماة وغيرها من المدن السورية:

"ان من الاسباب المباشرة لهذه المحاولة الفاشلة القرار الذي اصدره وزير الاصلاح الزراعي يوم امس بالاستيلاء على اراضي 262 ملاكا زائدة عن الحد الأعلى للملكية الزراعية بموجب قانون الاصلاح الزراعي"



كان غريبا ان تتابع الحكومة استفزازها خلال هذه الازمة باعلانها الاستيلاء على الاراضي الزائدة واعلانها تأميم شركات جديدة في حلب (المرسوم رقم 45 القاضي بتأميم شركة الططري وعداس وشركة الشهباء وشركة الاخضري) ثم تلا ذلك مرسوم آخران بتاريخ 4/20 يقضي الاول منهما بتأميم شركة المغازل والمناسج في دمشق والشركة العربية المتحدة (الدبس) ويقضي الثاني بتأميم الشركة العربية لصناعة الاخشاب المساهمة المغفلة في مدينة اللاذقية.

لقد كان هذا الاسلوب الاستفزازي هو الاسلوب الذي اعتادت السلطات البعثية استعماله لتفجير النقمة الشعبية واستدراجها ثم اجهاضها قبل نضجها وتمام استعدادها، مع استعداد السلطات الكامل لمواجهة الانفجار.



لم تدم الهدنة التي اعلنت في مدينة حماة سوى ساعات قليلة، فقد عم الاستياء المدينة، وجرت اعتداءات على افراد الحرس القومي عندما رفع منع التجول ونزل الناس الى الاسواق والشوارع ورأوا الدمار الذي حل بالمدينة وبصورة خاصة بجامع السلطان الذي سقطت مذئنته بعدما دكتها مدافع الدبابات وعرفوا ان اكثر من اربعين شهيدا قد قضاوا تحت انقاض الجامع، وكانت الابواب الحديدية للمخازن امام الجامع ملوية من قوة الانفجارات بينما غطت الانقاض الطرقات المؤدية الى الجامع، ومن جديد صدر الامر يوم 4/17 باعادة منع التجول، واعطيت الدبابات وناقلات الجنود المصفحة الامر بالتحرك لبدء الحملة على المدينة، ولكن

قوات الجيش لم تكن مسيطرة الا على جزء من الشارع الممتد من السراي الى القعلة وبعض فروعه فليس ممكنا الوصول اليها بالدبابات او المصفحات لأن معظمها قديم وضيق.

وفي دمشق حيث كانت السلطة تحتفل بعيد الجلاء القى امين الحافظ كلمة كانت حافلة بالتهديد اذ ورد فيها:

"نحن نقول للمتآمرين ومن خلفهم ما هي الا ايام قليلة حتى نسحقهم ومن معهم ومن خلفهم وسيعلم المتآمرون اي منقلب ينقلبون" وعندما عاد الى حماة واجتمع بلجنة المدينة تابع تهديداته قائلا :

"سنحكم بالموت على من يستحق الموت، ونعاقب بالسجن المشاغبين وسنسوقهم الى تدمر مشيا على الاقدام حيث يبقون حتى يتحولوا الى اناس طيبين ولسوف نمشط المدينة لمصادرة السلاح ولن نترك فيها غير سكاكين المطبخ" وقال ان "ما جمع من السلاح غير كاف، ولهذا لن نتسحب القوات من المدينة ولن يرفع حظر التجول عنها حتى يقدم ممثلوها كميات اخرى من السلاح نعتقد انها موجودة ومخبأة" و اضاف :

**انه استدعى وزراء الاشغال العامة والمواصلات والشؤون البلدية والقروية ومهندسين من الجيش لتنفيذ مشروع تخطيط المدينة وشق الطرق فيها واقامة معالم حماة الجديدة فورا.**

وقد عرف سامعوه انه يريد بذلك شق الطرق وتعريضها ليتمكن الجيش من دخول الاحياء القديمة التي عصيت ولم يتمكن الجيش من الدخول اليها.

ومقابل ذلك فقد اعلن الحافظ تخصيص مئتي الف ليرة لاعادة بناء جامع السلطان كما اعلن انه سيخصص نصف مليون ليرة لتوزع على فقراء المدينة.



عندما بدأت اخبار قصف مدينة حماة تتوارد الى المدن السورية الاخرى بدأت هذه المدن اضربها واحتجاجها على السلطة البعثية، ففي حمص التي اضرب تجارها القيت قبيلتان احدهما بالقرب من قيادة الموقع والاخرى بالقرب من بيت المحامي منير العامودي احد اعضاء حزب البعث.

اما دمشق فقد دخل اضربها يومه الثالث احتجاجا على ما ارتكبه الجيش بحق مدينة حماة، وبادر المحامون فيها بعد اجتماع عقده في قصر العدل الى إعلان الاضرب الى ان تطلق الحريات العامة وتعود الحياة الدستورية، وقد لعب المحامون من الاشتراكيين العرب، وكنت على اتصال معهم، دورا في تقرير هذا الاضرب وفي وضع صيغة البيان الآتي :

**ان المحامين الذين حملوا في مختلف العهود عبء الدفاع عن حقوق الشعب وحرياته الاساسية، يرون لزاما عليهم في هذا الطرف العصب الذي تمر به البلاد ان يعلنوا :**

**ان هذا الشعب في مختلف العهود اثبت انه لا يمكن ان يحكم الا بالاسلوب الديمقراطي الصحيح الحكم فيه فعلا من الشعب.**

وان المجلس الوطني لقيادة الثورة كان اعلن في الثامن من اذار 1962 حين اكد في سلسلة من بياناته، ومنها بلاغه المنشور في الصفحة 34 من كتاب التوجيه المعنوي انه انما جاء ليعيد حكم الشعب للشعب وبالشعب ايمانا منه ومن كل مواطن في هذا البلد ان كل حكم خارج عن هذا البلد مصيره الزوال.

ولقد مرت بالبلاد منذ ذلك الحين مأس كثيرة ودخلت في تجارب عديدة باعدت بين الشعب والحاكمين.

واذا كنا لا نريد ان نسهب في تعداد صور تباعد واسباب المآسي الكثيرة، فإن في الاحداث الاخيرة التي وقعت في بعض المدن السورية كحماه. وما اعقبها من اعلان للاضرب الشامل تعبيراً عن استياء الشعب لدليلا واضحا على فقدان الثقة بين الحكم والشعب، وانعدام التجاوب بينهما، خصوصا وان المبادئ الاساسية لحقوق الانسان كما اقرتها الشرعة الدولية قد انتهكت وهدرت

بشكل مفضوح فاعتقل عدد من المحامين ورجال القانون الى جانب مئات المواطنين، وعذبوا واهينوا بصورة هدرت فيها كرامة الانسان وعلى وجه ادى الى عزل الحكم عن الشعب والى تعريض امن البلاد الداخلي والخارجي الى الاخطار.

لذلك فإن المحامين يطالبون :

- 1- باطلاق الحريات العامة.
- 2- الغاء حالة الطوارئ.
- 3- اعادة الحياة الديمقراطية للبلاد فورا دون ابطاء وتشكيل حكومة انتقالية محايدة تشرف على انتخابات حرة نزيهة.

ولا يسع المحامون، وهم يقدمون هذا البيان الا ان يعلنوا وقوفهم الى جانب الشعب في اضرابه الشامل الذي اعلنه مؤخرا حتى تجاب مطالب الشعب.

كما اصدرت الجبهة الوطنية الديمقراطية الدستورية وهم مجموعة من المثقفين من محامين واطباء ومهندسين وصيادلة، بيانا بتاريخ 4/21 جاء فيه :

"في هذا اليوم نتوجه الى شعب سورية الذي اثبت على مر الايام في مختلف الظروف والعهود انه لا ينام على ضيم ولا يستكين لظلم او جور، نتوجه اليه وساحات الاعدام تعج بالضحايا نتوجه اليه باسم كافة الفئات الوطنية العاملة على مختلف اتجاهاتها ومذاهبها السياسية والتي وحدث جهودها في جبهة تعمل لانقاذ الشعب من الطغمة المجنونة الحاكمة التي تريد التحكم بمصيره.

انا نقول لهذه الطغمة الحاكمة التي حسبت ان الشعب الذي امهلها طيلة سنة ونصف ساكت عن جرائمها المتتالية وتخريبها المستمر ان الشعب وان امهل فهو لا يهمل وان ساعة الحساب قد دقت ثم ينتهي البيان الى القول :

ان الجبهة الوطنية الديمقراطية الدستورية الممثلة لكافة القوى المؤمنة بالحرية والديمقراطية والتي اخذت على عاتقها اليوم السير في طليعة الشعب في معركته ضد الطغمة الحاكمة تدعو

كافة المواطنين للاتفاف حولها ومتابعة العصيان المدني حتى تحقق مطالب الشعب وهي :

1- الغاء حالة الطوارئ.

2- اطلاق الحريات العامة واعادة العمل بالدستور.

3- تشكيل حكومة انتقالية من عناصر وطنية تتولى اجراء انتخابات حرة نزيهة لاقامة حكم ديمقراطي سليم.

وقد كنت في هذه الفترة على اتصال وثيق ببعض اعضاء هذه الجبهة للعمل على الاستمرار بالاضراب والتظاهر والحض على ان تتوحد مطالب الجميع بمطلب واحد هو عودة الحياة الديمقراطية، وكان لنشاط الاشتراكيين العرب سواء في اوساط المحامين او في اوساط التجار دور مؤثر في استمرار اضراب مدينة دمشق وفي توحيد مطالب الشعب السياسية.

وفي جو مشحون بالغضب الشعبي والاضرابات المستمرة في دمشق وحماه وحلب وحمص واللاذقية تجمع عدد من جماعة منصور الاطرش في جبل العرب (وكان وزيرا للعمل والشؤون الاجتماعية) مع مجموعة من أزلام السلطة في نقابات العمال حول قصر الضيافة حيث خطب فيهم محسن ابو ميزر البعثي ومسعود الشابي وهو تونسي لعب دورا مريبا في سورية، وخالد الحكيم الذي اشار الى ان ما يجري في حماة هو احداث مشبوهة هدفها التغطية على تحويل مجرى نهر الاردن محاولا ان ينفي هذه التهمة عن السلطة ليوجهها الى شعب سورية والى مدينة حماة المجاهدة والبريئة مما يرتكبون، واخيرا خطب منصور الاطرش، وفي اشارة للتأميمات التي صدرت خلال الازمة قال الاطرش: "اننا لم نتخذ هذه التدابير انتقاما كما يقال ويشاع بل اتخذناها بحزم وبأمل ان تعود اليكم خيرات البلاد ولم نتخذها تفريطا باموال الغير بل لنؤكد مبادئ الثورة".

وفي هذا الجو المشحو بالغضب الشعبي عقد ايضا اللواء امين الحافظ مؤتمرا صحافيا (64/4/24) القى فيه بيانا مكتوبا، ثم اجاب بعد ذلك على اسئلة الصحافيين.

"ان بعض المسؤولين لم يتورعوا عن خرق مقررات مؤتمر الذروة العربية وتصريحات علنية وتوجيهات مكشوفة وعقد اجتماعات مع المتآمرين وتزويدهم بالمال والسلاح ونقل هذه الاسلحة الى داخل سورية، كما اثبت ذلك ما جرى من تحقيق في اعمال التخريب التي قام بها عملاء المخابرات في حلب وحماه، وبدأت هذه الاجتماعات تعطي نتائجها الاولى بحوادث مفتعلة في حمص وحلب في الشهرين الماضيين وكانت مهمتها اشاعة الفوضى والقلق، ثم ما لبثت ان ظهرت بشكل مركز في حماة بتوقيت مشبوه وذلك في عيد الجلاء ويوم اعلنت اسرائيل عن تنفيذ المرحلة الثانية من مشروع تحويل نهر الاردن".

ثم استعرض اللواء الحافظ احداث حماه وتطورها من وجهة نظر السلطة لتبرير ما ارتكبه الجيش من جرائم في هذه المدينة المناضلة. ولما وجه اليه هذا السؤال :

هل لجماعة الحوراني ضلع في حوادث حماه؟ وكيف كان موقف الحوراني من هذه الاحداث؟ وهل صحيح انه اتصل بكم وعرض عليكم تدخله وجماعته الى جانبيكم لاختام الفتنة؟

اجاب الحافظ :

لقد سئلت مرارا عن اتصالاتي بالاستاذ اكرم الحوراني، واجتماعاتي به، والحقيقة انني لم اراه ولم اجتمع منذ ايام الوحدة او من منتصفها حتى الآن. ان علاقتي بأكرم الحوراني سابقا كانت قليلة جدا، ولكن كلمة حق يجب ان تقال وقد ترضي هذه الكلمة البعض وتغضب البعض الآخر، ان اكرم الحوراني بقناعتي الخاصة، رجل وطني صادق له سياسته واساليه السياسية ويوجد من يفهم عليها ومن يحاسبه عليها، فهو كحزبي يحاسبه الحزب على اعماله الحزبية، ولكن الرجل والله مخلص، وانا بقناعتي لا سمح الله قد اباع واشرى، وأما اكرم فلا، وللحوراني فضل كبير في حماه بالذات، ولاخوانه نفس الشيء وجميعهم عناصر طيبة ومن خيرة الناس ولهم وجهات نظر كأي وجهة نظر، والانسان يخطئ ويصيب وهم عناصر طيبة ومناضلة ونتمنى ان شاء الله ان يكون هؤلاء الشباب الطيبين يدا واحدة لخير البلد، وهذا الشيء الذي اقله لا طمعا برضاء فلان ولا خوفا من فلان، الآن ولا من قبل، ان اكرم معروف عنه بأن كرامته عنده فوق كل شيء، يعني كرامة

العربي الاصيل وهذا شيء صحيح ومعروف ان اكرم من العناصر التي لم تطأئ رأسها لأي انسان، هو واخوانه، لا لعبد الناصر ولا لغيره، ولذلك ليس من المعقول ان يطلعوا ضد المدينة، وانما يريدون ان يتم الوضع بغير هذا الشكل، والامور تمشي بشكل أوضح واعتقد انهم لن يقفوا الا بجانب الثورة باعتبارها ثورة اشتراكية عربية اصيلة وسليمة، واذا كان هنالك اخطاء فالجماعة يقفون ضدها بكل جرأة. ولما سئل عن عدد الجرحى والقتلى قال :

ليس لدى عدد دقيق فعلا، من الجيش يمكن ان يكون عددهم حوالي عشرين قتيلًا وجريحا من المدنيين حوالي خمسين قتيلًا، اما عن تهديم البيوت، فهناك بيوت ضربت بالرصاص، لقد قلت ان كل بيت يطلق الرصاص سأدمره بعد ان يخرج الاطفال والنساء والشيوخ، وبهذا يمكن وقف كل انسان عن حده، هناك بيوت اطلق عليها الرصاص من عيار "ليكن" وهو يخرب الحيط اما تهديم احياء فلا يوجد واجاب الحافظ على سؤال حول التفرفة في سورية قائلا :

"ان الاهداف الاساسية للاستعمار تفركة ابناء الوطن الواحد الى كتل وشيع واثارة كتلة على كتلة ومذهب على مذهب ودين على دين، هذا هدف رئيسي من اهداف الاستعمار، ولكن لا يخلو الامر ايضا من وجود عناصر بريئة طيبة قصيرة النظر لا تقدر الامور حق قدرها يمكن ان تنساق بمثل هذا التيار المخرب، وان العصبية العنصرية والطائفية قد استغلها الاتراك والفرنسيون اوسخ استغلال... فنحن كلنا خمسة ملايين ونعمل لتحقيق جمع تسعين مليون عربي، فإذا بدأنا نفكر ان الطائفة الفلانية غير صالحة، والطائفة الفلانية اصلح، ومدينة حلب احسن من الشام وحماه احسن من حمص، والعايش في المدينة احسن من العايش في الريف والبدوي احسن من الحضري فهذا لا يجوز، واذا كان الامر كذلك فلا يتطلب غير تنكة بنزين تحرق هؤلاء وتأتي بشعب جديد". ولما سأله الصحافيون عن رأيه بالملك حسين قال :

انني قبل ان التقى بهذا الرجل واسمع حديثه يمكن كنت من الجماعة الذين يقولون عنه ما يقولون، اما انا فأعتر بالرجل العربي سواء كان اقطاعيا او كان راسماليا وسواء كان حافيا او كان رجعيا، كل عربي منا وفينا، ولا يمكن ان نتخلى عنه سواء اخطأ ام اصاب، نحن نصلح لبعضنا البعض ضمن الصلة الواحدة والبيت والواحد.

ثم امتدح الحافظ شجاعة الملك حسين وصدقه وموقفه من القضية الفلسطينية، كما امتدح الامير فيصل قائلاً ان الامير فيصل فتح صدره للوفد الاقتصادي السوري بكل شهامة وقال لهذا الوفد يامئة مرحبا، اننا نعتبر سورية بلدنا ونعتبر السوريين اخواننا ونحن عرب ولم يقصر الرجل بمساعدة الوفد. ثم شرح الحافظ رأيه في الاشتراكية فقال :

يوجد بعض المتطرفين، يقولون يجب ان نؤمم كل شيء، هذا غير صحيح، نحن نعالج الواقع كواقع، وننصف الناس ونعطي كل انسان حقه، لقد قلت لوفد التجار اليوم اننا نريد ان نتعاون مع بعضنا فربما نصل لدراسات افيد مما نعتقد فالاشتراكية ليست كتابا منزلا او آية منزلة من السماء.



لقد نزلت افكار وآراء الحافظ التي اعلنها بصراحة وعفوية في مؤتمره الصحفي نزول الصاعقة على رؤوس البعثيين الحاكمين من عسكريين ومدنيين لأنها فضحت وكذبت جميع ما تعبوا بنشره من افكار زائفة منحرفة وكان اشد ما اثار مخاوف اجنحة الحكم المديح الذي خصني به امين الحافظ في هذا المؤتمر، فقد ساورهم الارتباب جميعا من ان يكون ذلك نتيجة تفاهم واتفاق بيني وبينه، ولذلك دعي المجلس الوطني لقيادة الثورة لعقد اجتماع بتاريخ 64/4/27 دام اربع ساعات صدر على اثره بيان جاء فيه :

"ان العديد من المراسيم التنظيمية والتشريعية ستصدر **بتسمية اعضاء المجلس الوطني (الجديد)** الذي سيتولى السلطات التشريعية ومراقبة السلطة التنفيذية وان المجلس الوطني سينتخب في اجتماعه رئيسا ونائبا للرئيس وثلاثة اعضاء لمجلس الرئاسة الذي سيتولى السلطة التنفيذية، وسيتم اثر ذلك تشكيل حكومة جديدة تكون مسؤولة امام مجلس الرئاسة".

وقد فهم الناس من ذلك ان هذه المراسيم تستهدف سلب اللواء امين الحافظ صلاحياته واقصاءه عن رئاسة الحكومة.





استمر الاضراب في دمشق وحمص وحلب واللاذقية، ولم يصدق الناس ما جاء في مؤتمر الحافظ واعتبروه من قبيل التخدير، وعندما دخل الاضراب يومه الثالث اعتبارا من 4/26 بدأت دوريات الحرس القومي تطوف الشوارع وتحطم ابواب المحلات التجارية وتتركها مفتوحة دون حراسة، وقد وصفت وكالة الصحافة المشتركة الوضع في دمشق كما يلي :

"بدأت جماعات الحرس القومي الذي يحمل كل منهم مخلا ومنشارا يفتح ابواب المخازن في قلب دمشق اليوم، وقد تحدى معظم اسواق دمشق الحكومة باستمرار بالاضراب، كما استمر في المدن السورية الاخرى، وقد ظهرت دلائل ازدياد النقمة الشعبية بانضمام المحامين الى الاضراب وقيام الزعماء الدينيين بشجب اراقة الدماء في حماه حيث قتل حوالي ثمانون شخصا، وتوقيع الاطباء عريضة احتجاج على احداث حماه، ودعوة نقابة المهندسين حكومة البعث الى اجراء انتخابات وعودة الحياة الديمقراطية البرلمانية".

لقد طفق اللواء امين الحافظ بعد اجتماع المجلس الوطني يهدد المضربين وترك اللواء محمد عمران-كما قرر المجلس الوطني- ان يبذل مساعيه مع التجار لانهاء الاضراب فاستقبل وفدا منهم برئاسة هاني الجلاد وبحضور نور الدين الاتاسي وزير الداخلية والدكتور يوسف زعين وزير الاصلاح الزراعي ودار البحث عن الاوضاع الاقتصادية وعن المطالب التي كان اللواء الحافظ قد طلب تحديدها، فأصر وفد التجار على مطالبه السابقة وهي :

- 1- اطلاق الحريات العامة.
- 2- اعادة الحياة الدستورية والتمهيد لاجراء انتخابات عامة.
- 3- التعاون مع كل الفئات دون تمييز طبقي او سواه.
- 4- الغاء تدابير التأميم التي لا تتفق مع مصلحة سورية الاقتصادية وتخفيف القيود عن النقد.
- 5- الغاء حالة الطوارئ المفروضة منذ انقلاب آذار الماضي والافراج عن المعتقلين السياسيين والغاء قوائم العزل السياسي.

وبعد خروج الوفد من هذا الاجتماع اذاعت وزارة الاعلام بياناً كاذباً عن هذا الاجتماع، جاء فيه:

"زار وفد من تجار دمشق اللواء محمد عمران في دار الحكومة، واعرب اعضاء الوفد -بعد ان تفهموا ابعاد المؤامرة ضد سورية في الداخل والخارج- عن استعدادهم للتعاون بما يؤمن المصلحة العامة ووعدوا بفتح متاجرهم بعد ان طمأنهم اللواء عمران الى ان المحبة والتآخي وحفظ حقوقهم وكرامتهم هي رائدة الثورة، وانتهى الاجتماع بأن شكرهم اللواء عمران على وعيهم".

وكانت الجبهة الوطنية الديمقراطية الدستورية قد اصدرت بياناً بعد ان حطم الحرس القومي ابواب المخازن والدكاكين، واصرت فيه على مطالبها السابقة وورد فيه :

"اراد حزب البعث ان يجد في مطالب الشعب السوري العادلة والمشروعة والتي تقدم بها متضامنا مع اهل مدينة حماه المجاهدة سببا لضرب الأمنين وخنق الروح النضالية لدى المواطنين والهاء الجيش السوري بخوض غمار حرب اهلية ليبرر لنفسه تخاذله في محاربة العدو الاسرائيلي الذي اعلن رسميا البدء بتنفيذ مشروعاته العدوانية على مياه الاردن.

ان حزب البعث قد خلق الفتنة الطائفية في البلاد، واستغل جيشه العفائدي بتهديم الجوامع على المصلين وسحق المواطنين الاشراف الذين كانوا دائماً حرباً على المستعمر. لقد ورد في مؤتمر امين الحافظ ان الشعب العربي في سورية بكافة فئاته شعب طيب مخلص "ممتاز وكدع"، وهذا الكلام الجميل تعودنا سماعه من امين الحافظ كلما تأزمت الامور امامه، وكأن ذلك حبة مسكن يعطيها لهذا الشعب الطيب، كما تعودنا منه التراجع عن تصريحاته بحجة القيادة الجماعية والاختلاف بالرأي ضمن مجلس الثورة، حتى اصبح الجميع على يقين ان هنالك مسؤولاً لا يحكم وحاكماً غير مسؤول.

وفي الوقت الذي كان امين الحافظ يعلن ان الاشتراكية، عبارة عن نظام مدروس ومستمد من الاحصاء ومن واقعا الاجتماعي والاقتصادي، وانها ارقام وانتاج وتصريف انتاج، في الوقت ذاته كانت حكومة البعث تصدر قرارات التأميم الارتجالية والمصادرات التعسفية لاموال الناس".

هذه هي عروبة حزب البعث واشتراكيته، واما حرّيته فهي حرية هدم المساجد على رؤوس المصلين ونصب اعواد المشانق وتقتيل الابرياء المناضلين.

ان الجبهة الوطنية الديمقراطية الدستورية المؤلفة من كافة فئات الشعب السوري المناضل والتي اخذت على عاتقها السير في طليعة المعركة ضد مغتصبي الحكم للاشرعيين تبارك انتفاضة الشعب السوري للدفاع عن مقدساته وهي تدعو لمواصلة الاضراب حتى تتحقق ارادته المشروعة.

1- بالغاء حالة الطوارئ.

2- اطلاق الحريات العامة واعادة العمل بالدستور.

3- ابعاد الجيش عن المسرح السياسي وانصرافه الى مهمته الرئيسة وهي حماية الحدود.

4- تشكيل حكومة انتقالية من عناصر وطنية حيادية تتولى اجراء انتخابات عامة ونزيهة لاقامة حكم ديمقراطي سليم".

لقد رأيت من الضروري في تلك الفترة، بعد ان اصبحت محط الرجاء في اخراج سورية من محنتها، ان اصدر بيانا لشد عزائم المضربين، وقد اصدرته باسمي تفاديا لما يمكن ان يؤدي اليه من اعتقالات في صفوف الاشتراكيين العرب، اكدت فيه على مطالب الشعب بعودة الجيش الى ثكناته واجراء انتخابات حرة، وتأليف حكومة ائتلافية، كما اكدت فيه على وجوب الاسراع بتنفيذ مشروع سد الفرات واستثمار البترول وطنيا لحل ازمة اليد العاملة في سورية وقد اشارت جريدة الحياة اليه بتاريخ 64/5/1.



بعد أن تمسك الشعب السوري بمطالبه، وتمسك التجار باضرابهم، نزل الجيش الى الشوارع، وكان اللواء امين الحافظ قد اصدر بتاريخ 64/4/30 بصفته الحاكم العرفي هذا الانذار :

مادة اولى : تصادر محتويات كل محل عام يقوم بتأدية خدمات مأجورة للجمهور او بتعاطى اعمال البيع او الشراء لكافة اصناف التجارة وتؤول ملكيته

للدولة مع كافة التزامات المالك تجاه الغير وذلك اذا وجد المحل مغلقا بلا مبرر قانوني، كما يحال مالكة الى المجلس العرفي العسكري بتهمة التخريب والاخلال بالامن وزعزعة الثقة العامة.

مادة ثانية : يجري جرد محتويات المحلات المصادرة حسب القواعد والاحكام القانونية المعمول بها وبواسطة لجان خاصة جرى تأليفها لهذه الغاية.

مادة ثالثة : يستمر المستخدمون والعمال العاملون في المحلات المصادرة فيتقاضون تعويضاتهم المكفولة واجورهم او رواتبهم من خزينة الدولة مع ضمان المكافآت التي ستقرر لهم بوصفهم عمالاً في مؤسسات تعاونية.

مادة رابعة : يحال للمجلس العرفي العسكري كل شخص يقوم بتهديد الغير او يدفعه لاجل اغلاق محله بأي وسيلة من الوسائل بشكل مباشر او غير مباشر، وكل شخص يحرض على الاخلال بالامن او الشغب، مع مصادرة املاكه وامواله المنقولة وغير المنقولة.

مادة خامسة : ينشر هذا الامر العرفي ويعتبر نافذاً من تاريخ صدوره.

وقد انتهى اضراب دمشق بعد ساعات من صدور هذا الامر العرفي، وغني عن البيان ان الفرنسيين لم يرتكبوا نظير ما ارتكبه حزب البعث من تدابير بحق المضربين حتى في ايام ثورة 1925، او في اضرابات ومظاهرات سورية عام 1936، وقد قدم اصحاب المحلات المنهوبة من التجار عريضة الى اللواء حافظ واللواء عمران هذا نصها :

"قامت امس واول امس عصاة مسلحة بكسر ابواب محلاتنا التجارية وانتهاك حرمتها واحتلالها ونهب موجوداتها بشكل وحشي لم يسمع بمثله قبل اليوم، وقد اشاعت هذه العصاة انها تقوم بعملها تنفيذاً لأمر الحكومة، واننا نعتقد بأن اي حكومة في العالم لا يمكن ان تسمح لبعض رعاياها بالقيام باعمال السلب والنهب والقرصنة لاي سبب كان، وقد سبق لبلادنا ان اضربت مدة ستين يوماً خلال الاستعمار الفرنسي البغيض ولم تجرؤ سلطات الاستعمار على القيام بمثل هذا العمل الوحشي... ولما كانت الحكومة تنادي وترفع شعارات الحرية والديمقراطية وتؤكد حرصها على مصلحة المواطنين ولاسيما صغار التجار والحرفيين امثالنا، فإننا نعتقد بأن العمل الذي تم امس قامت به عصاة مسلحة مجرمة غايتها اشاعة الفوضى وبث التفرقة بين ابناء

الشعب، وانها تريد ان تسيء الى سمعة الجيش السوري فليس بعض افرادها الملابس العسكرية وحملوا رشاشات عسكرية... اننا نطلب من سيادتكم اتخاذ الاجراءات التالية:

- 1- اصدار بيان تستنكرون فيه اعمال هذه العصابة المجرمة وتبرؤون مما نسبته اليكم.
  - 2- التحقيق مع الفاعلين الحقيقيين والدافعين لهذا العمل وانزال اقصى العقوبة بهم.
  - 3- التعويض عما لحقنا من اضرار والعمل على اعادة الاموال التي نهبت من محلاتنا.
  - 4- اصدار بيان تؤكدون فيه ان الاضراب مظهر من مظاهر الحرية وحق من حقوق المواطنين وانكم ستعالجون مطالب المضربين.
- ولم يكن موقعو هذه العريضة يأملون بأن تلبى السلطة مطالبهم، ولكنهم ارادوا بهذا الاسلوب ان يدمغوا البعث بمسؤولية ارتكاب هذه الجرائم.

### **صدي احداث حماه خارجيا وأثارها داخليا**

لقد اثارت الجرائم التي ارتكبتها الجيش في حماه خاصة وسورية عامة السخط والاستنكار في العالمين العربي والاسلامي، فقد دمغ الاعلام العراقي والمصري حزب البعث بالكفر والالحاد، ففي رسالة التهنة التي وجهها عبد السلام عارف للعراقيين بمناسبة عيد الاضحى بتاريخ 4/21 تعرض الى حوادث سورية الدامية والى حملات القمع في مدينة حماه، وجاء في كلمته :

"اننا نعمل لنعلي كلمة هذا الشعب العربي النبيل باحترام شعائر الدين والمحافظة على بيوت الله واعمارها لا قصفها وتدميرها...ابقى الله عمل المؤمنين وابطل عمل الملحدين"

كما بعث الشيخ امجد الزهاوي رئيس رابطة العلماء في العراق برقيات الى ملوك العرب والاسلام ورؤسائهم يناشدهم المساهمة للعمل لايقاف المجازر البعثية في سورية.

وتعليقا على احداث حماه كتب كامل مروة بجريدة الحياة بتاريخ 4/18 مقالا جاء فيه:

"لقد كنا نود ان يتحفظ جماعة الحكم السوري بالجهر برأي متسرع لئلا يكونوا أميين بتاريخ بلادهم حين يصمون مدينة حماه بأشنع التهم، فحماه لم تكن يوما معقلا للاستعمار اثناء الاحتلال الفرنسي، فهي التي انبثقت منها الشرارة الاولى التي تجاوبت مع ثورة جبل الدروز الكبرى عام 1925، ومن حماه انطلقت اول دعوة اشتراكية في سورية على يد اكرم الحوراني، وفي حماه رجالات وعلماء ساهموا في الحركة الوطنية وفي بناء الاستقلال وكانوا ثروة للوطن السوري حين يحصى رصيد كل بلد".

"ان حوادث حماه هي مفترق طريق لسياسة الحكم في سورية فإما ان يكون بعدها لقاء على الوحدة الوطنية، او فراق لا لقاء بعده".



لقد ظهرت اثناء قمع الحركة في مدينة حماه اعراض الامراض الطائفية بين ضباط الجيش فقد حاول بعض هؤلاء الانتقام من مدينة حماه الامر الذي افتضح داخل سورية وخارجها وبتاريخ 64/4/24 كتبت جريدة الحياة :

"ان المطلعين على مجرى الاحداث في حماه يقولون ان الذي قصف المدينة بالمدفعية هو العقيد حمد عبيد امر سلاح العشائر، وانه اغتتمها فرصة للانتقام بسبب قصف جبل الدروز في عهد الزعيم اديب الشيشكلي بقيادة المقدم فؤاد الاسود".

كما حذرت الصحيفة في العدد نفسه "من السرطان الطائفي الذي يزيد المشكلة السورية تعقيدا" ولقد اثارت محاولات الضباط الطائفيين الانتقام من مدينة حماه، ردود فعل لدى بعض الضباط السنة الذين التمسوا من الحافظ خلال الاحداث ان يسمح لهم بالبطش بهم ولكن الحافظ وعدهم بأنه سيضع حدا لتصرفاتهم الانتقامية.



لقد كانت الحجج التي تذرع بها الضباط الطائفيون للانتقام من مدينة حماه حججا مفضوحة ومشبوهة، ولا اظن ان الجاسوس كوهين كان بعيدا عن الاثارة الطائفية بين هؤلاء الضباط مما سيأتي تفصيله فيما بعد، اذ من المشهود والمعلوم لدى الشعب السوري كافة انه من مدينة حماه انطلقت الى فلسطين عام 1948 كتائب الفداء الاولى، كما انه من المشهود والمعلوم لدى الشعب السوري ولا سيما ابناء جبل العرب الاشواس وزعيم الثورة السورية الكبرى سلطان باشا الاطرش وحزب البعث بأن مدينة حماه كانت من اكثر المدن السورية حماسة ونضالا في مواجهة ديكتاتورية ابن حماه اديب الشيشكلي الذي قمع مظاهراتها واضراباتها وكنل بأبنائها اعتقالا وتعذيبا بسبب احتجاجها على ارسال الجيش السوري لاحتلال جبل العرب، وقد كان لإعلان عصيان الضباط الحمويين في جبل العرب وانضمام الضابط امين الحافظ اليهم استجابة للنداء الذي وجهه للجيش من اذاعة حلب المقدم مصطفى حمدون، وهو من مدينة حماه، الاثر الكبير في نجاح الانقلاب ضد ديكتاتورية اديب الشيشكلي، هذا من جهة، ومن جهة اخرى فإن مدينة حماه كانت منطلق الدعوة للاشتراكية العربية وتحرير الفلاحين من الاقطاعية، وقد تحملت في سبيل هذه الدعوة ما تحملت من تضحيات الامر الذي يشهد به ابناء كل قرية في جبل العلويين خاصة وقرى الريف السوري عامة.

ومن المؤلم ان مدينة حماه قد ظلت بعد احداث عام 1964 هدفا للتنكيل الطائفي اذ تعرضت مرة اخرى عام 1982 للتدمير والتنكيل بأهلها بوحشية فاقت كل تصور عندما استباحت المدينة ما يسمى بالقوات الخاصة، وفيها عدد كبير من بدو الشوايا (المحتقرين من القبائل العربية) بقيادة علي حيدر وسرايا الدفاع بقيادة رفعت الاسد شقيق حافظ الاسد فقصفت معظم احياء المدينة على رؤوس اهلها، واعتدت على اعراض نساءها، وكانت حصيلة القصف استشهاد اكثر من خمسة وثلاثين الف شهيد، من ابنائها وبناتها، كما هدمت مساجدها الاثرية وقضت على معالمها التاريخية، ومنها قصر العظم الاثري الذي كان متحفا للمدينة

فنهبت محتوياته من التحف الاثرية للعهود التاريخية التي تعاقبت على المدينة.

انني لا اشك أبدا بأن يدا سوداء خارجية كانت وراء ما تعرضت له مدينة حماه في المرتين من خراب وتقتيل وتنكيل وحشي، وانه لمن دواعي الحزن والاسى ان يناضل الشعب السوري ويقدم التضحيات خلال اكثر من اربعين عاما في عهدي الاستعمار الفرنسي والاستقلال في سبيل ترسيخ الوحدة الوطنية بين مختلف طوائفه ومذاهبه ثم تستيقظ هذه العصبية المؤودة بعد الثامن من أذار بشكل مجنون، وبعد ان كان للحزب العربي الاشتراكي ثم لحزب البعث العربي الاشتراكي يد طولى في تعميق وترسيخ الوحدة الوطنية في المجتمع السوري، مما مكن الاحزاب الوطنية من الحاق الهزيمة بالاتجاهات الدينية المتعصبة في جميع المواجهات التي جرت في ظل الحكم البرلماني الديمقراطي.

وكما يرى القارئ فإن مدينة حماه قد تعرضت للعدوان الطائفي الحاقد مرتين بذريعة القضاء على ثورة قلة من الاخوان المسلمين المتعصبين بقيادة الشيخ مروان حديد في المرة الاولى عام 1964 وعلى ثورة بضع مئات من الاخوان المسلمين في المرة الثانية عام 1982 بقيادة عدنان عقلة تلميذ الشيخ مروان حديد، وفي المرتين كانت ذريعة السلطات البعثية في عدوانها على المدينة ذريعة مضحكة مبكية، اذ كان باستطاعة السلطة ان تقضي على ثورة الاخوان المسلمين دون تعريض المدينة لهدم احيائها ودون قتل عشرات الألوف من ابنائها والاعتداء على نساءها واستخدام ما يملكه الجيش من راجمات الصواريخ واسلحة القتل والدمار.

ومن الجدير بالملاحظة ان الفارق كان كبيرا في خسائر المدينة بين المرتين اللتين تعرضت فيهما للعدوان ويعود الفضل في ذلك للواء امين الحافظ الذي حد كثيرا مما كان الضباط الطائفيون ينوون ارتكابه من فظائع في المدينة.





1964 : القيادة القومية تصدر الدستور الموقت في محاولة للوقوف في وجه العسكر الذين أوغلوا في السيطرة على الحزب والحكم- التكتلات البعثية بعد انقلاب الثامن من آذار - تنظيم الاشتراكيين العرب ينقلب الى تنظيم سري ونشرتهم الداخلية تشكل صحافة بديلة عن الصحافة الحكومية- الاشتراكيون العرب يصدرن بيانا للمطالبة بعودة الحياة الديمقراطية وإلغاء التنظيمات شبه العسكرية مع التنبيه الى استئراء مرض الطائفية في الحزب والجيش - مقابلة مع جماعة من ضباط الثامن من آذار.

### الدستور الموقت وتأليف حكومة صلاح البيطار الثانية.

بتاريخ 1964/4/24 صدر عن المجلس الوطني لقيادة الثورة ما سمي بالدستور الموقت. ولفهم الغرض من إصدار هذا الدستور، لا بد لنا من استعراض وضع التكتلات البعثية المتصارعة على السلطة، المدنية منها والعسكرية. منذ الثامن من آذار الى حين إصدار الدستور وإجراء التشكيلات الجديدة بالاستناد إليه. وهذه التكتلات كانت كما يلي :

1- تكتل القيادة القومية التي حملت عنوان البعث بعد انقلاب الثامن من آذار بقيادة ميشيل عفلق وصلاح البيطار اللذين كسبا بعد الانقلاب نفوذا وتأثيرا كبيرين على مختلف مراكز القوى العسكرية التي كانت ترى مصلحتها بانضوائها الموقت تحت قيادة عفلق والبيطار، ولكن هذا النفوذ بدأ يضعف شيئا فشيئا كلما أوغل العسكريون بالسيطرة على زمام الحكم والحزب.

2- تكتل القيادة القطرية :

لقد تشكلت هذه القيادة من اشخاص معدودين من حزب البعث أمثال الدكاترة نور الدين الأتاسي، ويوسف زعين، وابراهيم ماخوس، وذلك قبل الثامن من آذار، وكان اشخاص هذا التكتل

ضد زعامة عفلق والبيطار للحزب. وقد كبر شأنهم بعد انقلاب الثامن من آذار التفافهم حول صلاح جديد وبعد أن احتدم الصراع في الحزب بين يمين ويسار ولا سيما بعد انقلاب عبد السلام عارف في العراق.

أما التكتلات العسكرية فكانت تتألف كالتالي :

1- تكتل اللواء صلاح جديد الذي كان يلتف حول قيادته معظم الضباط العلويين وبعض ضباط قضاء مصيف وقضاء السلمية (عبد الكريم الجندي) بالإضافة الى تكتل القيادة القطرية من البعثيين المدنيين اليساريين.

2- تكتل اللواء محمد عمران الذي كان ينافس صلاح جديد وأمين الحافظ على الرئاسة والنفوذ بالاستناد إلى فريق من الضباط العلويين، وإلى بعض المدنيين من أنصاف الناصريين، كما كان يحاول التقرب من اليمين الدمشقي وجمال عبد الناصر بأن واحد.

3- تكتل الضابط سليم حاطوم الذي شكل مركزا صغيرا من مراكز القوى في الجيش بدعم من ضباط جبل الدروز أمثال حمد عبيد وفهد الشاعر ومن بعض القيادات المدنية في الحزب أمثال منصور الاطرش وشبلي العيسمي، وكان يسعى للانفراد بالسلطة، ولو أدى ذلك إلى انقلاب جديد، فكان هذا التكتل يستسبح الفرص للقيام بانقلاب لمصلحته وقد قال لي أحد رفاق سليم حاطوم، وكان يصحبه في سهراته، ان حاطوم قال له:

ان القضاء على أمين الحافظ لن يتم بسهولة ودون إراقة دماء، بعكس القضاء على صلاح جديد الذي يمكن أن يتم بكل سهولة، وقد وضعت تقديرات حاطوم التي لم تكن دائما صائبة حدا لحياته وذلك في عام 1967.

4- أما التكتل الرابع فيتألف من أنصار أمين الحافظ من الضباط السنة، وكان أمين الحافظ قد استدعي من الأرجنتين حيث كان ملحقا عسكريا فيها، وكان استدعاؤه واختياره وزيرا

للدخالية من قبل اللجنة العسكرية بسبب موقفه الجذري من نظام جمال عبد الناصر. ولأنه الضابط السنّي المناسب الذي يمكن أن يقدم على قمع حركة الناصريين التي استفحل أمرها وعظم شأنها بعد انقلاب الثامن من آذار، ولقد رفع أمين الحافظ الى رتبة لواء ثم الى رتبة فريق وأصبح رئيسا للحكومة والدولة ورئيسا للمجلس الوطني وأخيرا رئيسا لمجلس الرئاسة مكافأة على قومه الحركة الناصرية، والاقطاعيين والاخوان المسلمين في حماه، والمعارضة الوطنية الديموقراطية السورية.

لقد عظم شأن أمين الحافظ بعد أن التف حوله عدد كبير من ضباط السنة نتيجة لانتشار الوباء الطائفي في الحزب والجيش، ولكن اللواء أمين الحافظ لم يحاول أن يجعل من هؤلاء العسكريين الذين التفوا حوله تنظيما مستقلا شأن التنظيمات العسكرية الأخرى بل ظل ملتزما بقرارات القيادة القومية ومواقفها لأنها برأيه تمثل القيادة الشرعية لحزب البعث، بالوقت الذي لم تكن هذه القيادة (عفلق والبيطار) وفيه لالتزامه بها، وكانت تحاول استغلال تناقضات التكتلات العسكرية للتخلص منها جميعا ولذلك كانت تتربص بالحافظ مثل تربصها بالتكتلات العسكرية الأخرى ولا سيما بعد أن أعلن في مؤتمره الصحفي - الذي ذكرت سابقا جانبا منه- دعوته للتعاون والتفاهم مع الاشتراكيين العرب.

وهكذا كان إصدار الدستور الموقت وسيلة من صلاح وميشيل لاسقاط حكومة أمين الحافظ وتشكيل حكومة جديدة برئاسة البيطار، كما كان الغرض من هذا الدستور مواجهة التكتلات العسكرية بالاعتماد على الفئات المدنية في الحزب والحكومة والمجلس الوطني الموسع لقيادة الثورة الذي نص الدستور الموقت على تشكيله.

وقد سهلت دعوة أمين الحافظ للتعاون مع الاشتراكيين العرب (الأمر الذي تعتبره جميع الأجنحة المدنية والعسكرية خطرا عليها) على عفلق والبيطار التوصل الى تسوية بين مختلف

التكتلات والاتفاق على استقالة حكومة الفريق أمين الحافظ وتشكيل حكومة صلاح البيطار، ومجلس الرئاسة، والمجلس الوطني الموسع لقيادة الثورة، وكانت هذه التشكيلات محاولة من القيادة القومية لابتعاد العسكريين بعد أن اشتد الصراع على السلطة بين المدنيين والعسكريين الذين أخذوا يسيطرون تدريجياً على الحكم في سورية.

**لقد كان غريباً جداً بالنسبة لعفلق والبيطار ألا يتوقعا حتمية استيلاء العسكر على السلطة بعد انقلاب الثامن من آذار، فلقد كان المدنيون البعثيون، بعد سلخ الحزب عن جماهيره الشعبية نتيجة للمؤتمر القومي الخامس. من الضعف والقلّة بحيث لا يمكنهم بحال من الأحوال الوقوف في وجه المد العسكري، ولقد أشار أمين الحافظ في إحدى خطبه بسذاجة إلى وضع البعثيين بعد انقلاب الثامن من آذار عندما استشهد بهذا البيت.**

**تعيرنا أنا قليل عديدنا      فقلت لها : إن الكرام قليل.**

**بعد ما يقرب من خمسة وعشرين عاماً، وذلك في عام 1989 عندما كنت منغياً ولاجئاً في باريس، قال لي أحد العسكريين، وهو لواء في الجيش ومن الفئة الحاكمة في سورية: لقد وجدنا أنفسنا مضطربين لاستلام الحكم! ولم يكن معقولاً أن نترك سورية لفئة قليلة معظمها من طلاب المدارس!!**



بتاريخ 64/5/14 تشكلت وزارة صلاح البيطار التي حلت محل وزارة أمين الحافظ من عدد يكاد يكون متساوياً من البعثيين والمستقلين ولم يكن فيها سوى وزير واحد من العسكريين، لا قيمة فعلية له في موازين التكتلات العسكرية، واقترب تقليص سلطات الحافظ بترقيعه إلى رتبة فريق، بينما بقي صلاح جديد رئيساً للأركان، وفيما يلي أسماء الوزراء :

ثابت العريس (مستقل) وزيراً للدولة، وقد سبق أن عينه جمال عبد الناصر وزيراً للوحدة خلال عهد الوحدة، عبد الله عبد الدايم وزيراً للإعلام، اللواء غسان حداد وزيراً للتخطيط (مستقل) مصطفى الشماخ وزيراً للمالية (مستقل) عبد الخالق نقشبندي وزيراً لشؤون الوحدة (بعثي)، عادل طربين وزيراً للزراعة (مستقل)، مظهر العنبري وزيراً للاشغال العامة والمواصلات (مستقل)، حسان مريود وزيراً للخارجية (بعثي)، مصطفى حداد وزيراً للتربية والتعليم (بعثي)، أسعد محفل وزيراً للثقافة والأرشاد القومي (مستقل)، عادل السعدي وزيراً للصناعة وللتأمين بالوكالة (بعثي)، صلاح وزان وزيراً للإصلاح الزراعي (بعثي)، عبد الحميد الكواكبي وزيراً للأوقاف (مستقل)، العميد ممدوح جابر وزيراً للدفاع، سليمان العلي وزيراً للشؤون الاجتماعية والبلدية والقروية (بعثي) فهمي العاشوري وزيراً للداخلية (بعثي).

وقد أعلن في الوقت ذاته عن تعيين الفريق أمين الحافظ رئيساً لمجلس الرئاسة بالإضافة إلى أعضاء هذا المجلس وهم: صلاح البيطار، اللواء محمد عمران، منصور الأطرش، نور الدين الأتاسي.

والذي يظهر من أسماء أعضاء هذه الحكومة وأعضاء مجلس الرئاسة أن التسوية التي تمت بين أجنحة البعث المدنية والعسكرية كانت لمصلحة القيادة القومية بالدرجة الأولى بشخص رئيس الحكومة صلاح البيطار واللواء محمد عمران المتحالف معه، وقد تمت هذه التسوية على حساب إضعاف نفوذ الفريق أمين الحافظ وسلبه صلاحياته، ولم ينفذ من مواد الدستور الموقت إلا ما يتعلق بهذه التشكيلات، بينما بقيت حبرا على ورق مواد الفصل الثاني المتعلقة بالحريات العامة والخاصة وهي المواد المقتبسة من الدستور السوري لعام 1950 وقد وردت في الدستور الموقت على الشكل التالي، بينما كانت السجون تغص بالمعتقلين وبينما كان جهاز المخابرات يتسع ويمتد إلى أصغر شؤون المواطنين:

المواطنون متساوون امام القانون في الحقوق والواجبات وتكفل الدولة للمواطنين الحرية والطمأنينة وتكافؤ الفرص وحرية الفرد مصنونه وكل انسان بريء حتى يدان بحكم قضائي ولا يجوز تحري احد او توقيفه الا وفاقا للقانون. ولا جريمة ولا عقوبة الا بنص قانوني.

والمساكن مصنونة ولا يجوز دخولها او تفتيشها الا بالاحوال والكيفية المبينة في القانون.

الحریات العامة مكفولة ولا يجوز ابعاد المواطنين عن ارض الوطن.

لا يسلم اللاجئون بسبب مبادئهم السياسية أو دفاعهم عن الحرية.

حرية الاعتقاد مصنونة والدولة تحترم جميع الاديان وتكفل حرية القيام بجميع الاديان وتكفل حرية القيام بجميع شعائرها على الا يخل ذلك بالنظام العام.

ويمارس المواطنون حقوقهم ويتمتعون بحرياتهم المكفولة بالقانون شريطة عدم المس بسلامة الوطن والوحدة القومية ومؤسسات الجمهورية واهداف الثورة الشعبية الاشتراكية".



**لقد كان الدستور نصا مقدسا عند الشعب العربي في سورية، وما كان يوما وسيلة لتحقيق أغراض خاصة، وقد خاض هذا الشعب عدة معارك دستورية كان أهمها معركة المادة 116 التي أراد الفرنسيون أن يقيدوا بها مواد دستور عام 1928، كذلك فقد دافع الشعب في سورية بدمائه عن دستوره عندما أرادت حكومة صبري العسلي تقييد حرياته بإصدار المرسوم 50 الذي يعطي وزير الداخلية صلاحيات استثنائية مخالفة للمواد الدستورية التي تنص على ضمان الحريات العامة والخاصة، كما انه ليس اكثر تعبيرا عما كانت عليه قداسة**

## الدستور عند الشعب السوري من إطلاقه لقب "أبو الدستور" على الشهيد فوزي الغزي، تكريما له.



### الاشتراكيون العرب بعد الثامن من آذار.

بعد انقلاب الثامن من آذار انقلب تنظيم الاشتراكيين العرب في سورية إلى تنظيم سري، واستمر نشاطه معتمدا على قواعده الشعبية الواسعة التي تشمل جميع المحافظات السورية، وعلى تنظيماته الطلابية والعمالية وعلى تأييد المثقفين واليمين الوطني، وفيما يلي بعض ما أذكره من أسماء قيادات هذا التنظيم في مختلف فروع المحافظات:

عبد البر عيون السود، وهيب الغانم، فيصل الركبي، خليل الكلاس، رياض المالكي، مصطفى حمدون، عبد الفتاح الزلط، علي عدي، عبد الغني قنوت، عبد الهادي عباس، بشير الأحمر، عدنان السمان، نواف عامر، نايف جربوع، سلمان هنيدي، شحادة حوشان، محمد علوش، رضوان السباعي وعدد آخر من القيادات الشعبية والطلابية.

ولا بد لي من الإشارة هنا إلى الاجتماع الذي دعيت إليه، خلال اختفائي عن الأنظار، وحضره رياض المالكي وهيب الغانم. وعبد البر عيون السود، وفيصل الركبي، وعدد آخر من قيادات العربي الاشتراكي - وكنا قد قررنا العودة إلى هذا الاسم بعد المؤتمر الخامس وانحراف القيادة القومية عن المبادئ الديمقراطية لحزب البعث العربي الاشتراكي.

في هذا الاجتماع قدم عبد البر عيون السود دراسة كلف بها سابقا لتوضيح الأسس والمبادئ التي يقوم عليها تنظيم الاشتراكيين العرب، وقد تبادى في الدراسة جنوح كبير نحو تبني النظرية الماركسية، فعدل المجتمعون هذه الدراسة تعديلا جذريا مما أغضب عبد البر، ولكنه ظل ملتزما بحركة الاشتراكيين العرب رغم "حرده".



لقد أدى هذا الجنوح الى الماركسية -فيما بعد- الى انفصام وحدة العربي الاشتراكي بين يمين ويسار، بين جماعة رياض المالكي الذين اتهموا باليمين، وبين جماعة عبد الغني قنوت الذي حمل - انتهازيا- راية اليسار، وقد حدث هذا الانقسام في غيابي عندما كنت منفيًا عن سورية عام 1967 فلم أتمكن من رأب الصدع . وقد أدى هذا الانقسام الى تعاون جماعة عبد الغني قنوت مع حكم صلاح جديد بشخص فتحي علوش الذي اشترك بوزارة يوسف زعين فيما بعد.



لقد رأى تنظيم الاشتراكيين العرب انه أصبح ضروريا أن يحدد مواقفه المبدئية والجذرية باستعراض جميع انحرافات نظام الثامن من آذار وذلك بعد حوادث حماه واستشراء المرض الطائفي، وبعد اصدار الدستور الموقت بصورة فوقية بمعزل عن الشعب، وبعد الاشتراك بمؤتمر القمة استرضاء لعبد الناصر - هذا المؤتمر الذي لم يخرج بنتيجة سوى تضليل الرأي العام وتخديره (وردت تفاصيل عن هذا المؤتمر الأول والمؤتمر الثاني في فصل معركة المياه بين العرب واسرائيل) لذلك أصدر الاشتراكيون العرب في أواخر شهر آب 1964 بياناً، أشارت اليه صحيفة الحياة اللبنانية في عددها الصادر بتاريخ 1964/9/14 بالعناوين التالية:

**بيانات للاشتراكيين العرب في سورية - المطالبة بدستور ديموقراطي وإلغاء المنظمات شبه العسكرية واستعادة دور سورية العربي.**

لم أكن متواريا عند إصدار هذا البيان ولكن حكومة صلاح البيطار بعد صدوره فرضت علي وعلى قيادات أخرى من الاشتراكيين العرب الاقامة الاجبارية (أوائل تشرين أول 1964) التي دامت ما يقرب من ثمانية أشهر، وقد أشرت في فصل سابق الى زيارتي من قبل الاميركي المدعو نورمن توماس في اليوم الأول من فرض الاقامة الاجبارية، وكانت زيارة شماتة

وتحقق من وضعي النفسي في الوقت الذي منع فيه أي زائر آخر، كما منع أولادي وزوجتي من مغادرة المنزل، وفيما يلي نص بيان الاشتراكيين العرب :

يدعو الواجب الوطني والمسؤولية التاريخية للاشتراكيين العرب، في هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ سورية العربية، الى ابداء وجهة نظرهم في اسباب ونتائج السياسة التي سلكها عهد 8 آذار. وان وجهة النظر هذه لا تريد الادانة والتشفي. وانما تبغى مناقشة الواقع الراهن بموضوعية ووضع الامور في مواضعها الطبيعية. وتوضيح الطريق التي يمكن بواسطتها ان تعود سورية لممارسة دورها التاريخي وحمل مسؤولية النضال الشعبي التقدمي .. في ادق مرحلة من نضال الامة العربية، ويجب ان تفهم وجهة النظر هذه ، بروح المسؤولية والتقدير الواعي. فبمثل هذه الروح تحل مشاكل الشعب ويمكن التغلب على الصعاب اما الاحقاد فانها تؤدي الى مزيد من الابتعاد عن الحلول الصحيحة والى الاغراق في الفشل والانحراف.

ان الاشتراكيين العرب، أزاء الترددي المتزايد، الذي تعيش فيه البلاد اليوم، وبعد أن أخذت تجربة 8 آذار مداها، وتحددت ابعادها وسياستها، وبعد ان مرت فرص كثيرة، كان يمكن خلالها ان تسيطر الحكمة وروح المسؤولية. ويتغلب العقل ويفسح المجال واسعا امام الشعب ليمارس سيادته وحرياته، ويستأنف نضاله البطولي، الذي كان في الماضي سدا منيعا في وجه الاستعمار وعملائه والرجعية واطماعها والصهيونية ومؤامراتها .. ان الاشتراكيين العرب لا يسعهم ازاء الترددي والمخاطر الا ان يضعوا الحكم امام مسؤولياته ويحددوا للشعب طريق نضاله.

تمر سورية اليوم في وضع خطير وصعب. يعرض استقلالها ومستقبلها للضياع، ويمنعها من ممارسة دورها التاريخي في المنطقة العربية، كقوة تقدمية تساعد في تحرير الامة العربية وتسهم في بناء مجتمعها التقدمي الديمقراطي، وتقف في وجه المؤامرات الاستعمارية والصهيونية. ان الصعوبة والخطورة اللتين تميزان وضع سورية الراهن ، هما نتيجة السياسة المنحرفة التي سلكها عهد 8 آذار. هذه السياسة التي تركز منطلقاتها الى الفترة السابقة. عندما تبنت "القيادة القومية" سياسة مشبوهة وخاطئة. وضعت مقابل اعادة بناء الحركة الشعبية الاشتراكية

وتهيئة جو ديموقراطي تقدمي. شعار اعادة الوحدة وتحالفت تبعاً لذلك مع قوى اخرى وسارت في مخطط نرى اليوم نتائجه: تخبطاً وعزلة وانحرافاً.

لقد طرحت "القيادة القومية" شعارات ومواقف اضرت بنضال الشعب العربي وعرضت مكاسبه للضياع، وهيات جوا لتنفيذ مخططات لم يكن ممكناً ان تنفذ في السابق، لتماسك الحركة الشعبية وقوتها ووضوح شعاراتها ولاستنادها الى تحالف مكين بينها وبين القوات المسلحة الوطنية .. ولكن بعد التدمير الذي لحق الحركة الشعبية في ظل الوحدة والتزييف الذي لحق شعارات النضال العربي التقدمي، والتلاعب بمضامين هذه الشعارات، وبعد أن وضعت الصعوبات في وجه بناء الحركة التقدمية، جاء 8 آذار ينفذ سياسة معاداة الحركة الشعبية ويمنع بناءها من جديد، ويقيد العمل السياسي والحريات العامة والخاصة، ويفرض جوا ارهابيا بوليسيا ويضيف شعارات النضال الشعبي التقدمي.

**افتراق الشعب والسلطة:** ان نظرة موضوعية لواقع سورية، تبين بوضوح ان هناك افتراقاً بين الشعب والسلطة، وان عزلة متزايدة تطوق الحكم وتبعد الجماهير عن المشاركة في تحمل مسؤولية النضال. وتخلق تناقضاً خطيراً فيما اذا استمرت السلطة تنظر الى الشعب هذه النظرة: نظرة الشك والوصاية .. وتمتد هذه العزلة الى النطاق العربي والدولي فبعد ان كانت سورية طليعة النضال التقدمي طوال سنوات ما بعد الاستقلال وحتى قيام الوحدة، تحولت في هذا العهد الى سياسة الانكماش والتراجع وفقدت مكانتها واعتبارها واصبحت هدفاً للتوسع والمطامع الاستعمارية والصهيونية بعد ان كانت تقود المعارك الطافرة، في وجه اعلى القوى الاستعمارية والتحديات الاسرائيلية.

وعلى المستوى الدولي فقدت سورية روابطها مع قوى التحرر في العالم وساءت علاقاتها مع الدول الاشتراكية، واحكم الطوق الاستعماري عليها، وباتت الضربات من كل جانب وأصبحت لا تجد حليفاً او مؤيداً ومجالاً لمطامع الشركات الاستعمارية وعرضة لمساومات الدول الرأسمالية.

وعلى المستوى الاقتصادي ، نرى انهياراً يتمثل في عجز خزانة الدولة ونرى تعطيلاً لمشاريع التنمية وارتفاعاً في الاسعار وقصوراً في استغلال موارد البلاد.

ان الاسباب الحقيقية للوضع الذي نراه هو تزييف شعارات النضال السياسي التقدمي والتلاعب بمضامين هذه الشعارات، والسياسة المشبوهة التي وضعت قواعدها في الفترة التي سبقت 8 آذار والتي كانت تستهدف انقسام الحركة الشعبية وتمزيق صفوفها وخلق التعارض بين قواها لشل امكانياتها ومنعها من مواجهة الرجعية والديكتاتورية والاستعمار، ليسهل في النهاية تنفيذ المخططات المشبوهة دون أية مقاومة شعبية.

فالشعارات التي طرحت قبل 8 آذار، والتي كان يراد اعتبارها اساسا لتوحيد الحركة الاشتراكية كانت سببا هاما في انقسامها، اذ عرضت اهداف الامة العربية في الحرية والوحدة والاشتراكية الى التشويه والانحراف، بعد ان كانت هذه الاهداف تخلق تضامنا واسعا ونضالا تقدما بين القوى الوطنية.

فالديموقراطية التي تعتبر مناخا ملائما لنمو الحركة الشعبية وتقدمها معطلة، زيادة لما تتعرض له من التشويه والمقاومة، وهي تحارب حتى على مستوى الفكر. وتصور على انها انتخابات فورية وعودة للشكالات التقليدية وهذا المنطق في فهم الديموقراطية بانها تعني شيئا قبل وصول الحزب الى الحكم، وشيئا آخر بعد وصوله، يعتبر سببا فوت على الحركة الشعبية الفرصة لان تبدأ مرحلة جديدة، مرحلة اعادة تنظيمها وزيادة تماسكها واستعادتها للمبادرة في العمل السياسي. وهذا ما جعل 8 آذار يبدأ وهو مفتقر الى المنظمة الشعبية الواسعة والخط السياسي الواضح، والى التحالف التقدمي الديموقراطي والتفاف الجماهير، ومما جعله عرضة لتقلبات مستمرة وتحالفات خطيرة ومما دفع الى صفة الانتهاز والطائفية فسلك سياسة اضطهاد الحركة الشعبية وعمل على تصفيتا وتخريبها زيادة على الجو الارهابي الخانق الذي حال بينها وبين ممارسة حقها في العمل السياسي ضمن مؤسسات ديموقراطية فالعمل السياسي والتنظيم الحزبي والحريات العامة والخاصة، حقوق غير معترف بها، وحرية الصحافة حتى على مستوى الصحف الحكومية، لا اثر لها. يضاف الى ذلك الارهاب البوليسي "استنادا" الى قانون الطوارئ والاحكام العرفية بحيث ان ايسر الحريات التي تتيحها النظم التقليدية لا نرى لها وجودا ، زيادة على منظمات شبه عسكرية معزولة، تتحكم بمصير الشعب وحرياته، وفي الوقت نفسه الذي يكون العمل السياسي مقصورا على فئة محدودة، لا تمثل جماهير الشعب ولا قواها المناضلة. **اذ ان الجزء الاغلب لهذه الفئة التي**

**تمارس وصاية على الشعب وتحتكر الحريات والحقوق نشأت بعد 8 آذار. ولا حاجة الى القول ان الاحزاب التي تتكون في ظلال السلطة، تستقطب الانتهازيين والضعفاء، وحتى المشبوهين فكيف يكون لهذه الفئة الحرية وحق العمل السياسي ويحرم جميع الشعب من حقوقه الاساسية؟**

## **العمال والطلاب**

وعلى مستوى الحركة النقابية العمالية، والطلابية، نرى اجهزة بوليسية مفروضة ومعادية لجماهير العمال والطلاب، هذه الاجهزة نفسها التي خدمت باخلاص كل العهود السابقة من ديكتاتورية ورجعية، وسارت في ركاب ارباب العمل. وكانت باستمرار ضد الطبقة العاملة، في الوقت الذي يلاحق القادة النقابيون ويضطهدون ويحرمون من حقوقهم وحررياتهم مما خلق هوة تزداد اتساعا، كل يوم، بين جماهير الطبقة العاملة والطلاب، "والاجهزة النقابية" التابعة للسلطة، مع ازدياد تدخل السلطة واجهزة المباحث في الشؤون العمالية والطلابية وفرض المرشحين بالقوة.

اما استقلال الحركة النقابية ووحدها وحرية العمال وديموقراطية الاجهزة واقامة اتحاد ديموقراطي ومشاركة العمال في النضال السياسي.. اما هذه الامور كلها، فلا وجود لها في ظل آذار.

## **شعار الوحدة**

إن شعار الوحدة تعرض في عهد 8 آذار للتشويه والانحراف، اذ أصبح مجالا للمزايدة السياسية وموضوعا للمناورة، بحيث فقدت الوحدة ايجابيتها والاجماع عليها وتحتاج اليوم لنضال من نوع جديد لكي تكون مع الديموقراطية والاشتراكية، محور العمل السياسي والشعبي، ولكي تتجاوز التجربة السلبية السابقة.

لقد فقد النضال الوجدوي مرتكزاته الواقعية والتقدمية، نتيجة للسياسة الخاطئة والمنحرفة، واليوم نعتبر ان كل محاولة وحدوية لا تتوفر لها الشروط الموضوعية، ولا تكون بمشاركة الجماهير ولزيادة امكانيات النضال الشعبي التقدمي، وتوفير ظروف افضل لاستمراره ونموه، معرضة للفشل والانتكاس وتؤدي الى الاضرار بمستقبل النضال التقدمي الذي هو بطبعته نضال من اجل الوحدة.

## الاشتراكية :

اما الاشتراكية فقد تعرضت، هي الاخرى للتشويه، بحيث فرغت من معناها الايجابي، واصبحت عبارة عن اجراءات رسمية تفتقر الى الخطة والجهاز، وتفتقر الى المشاركة الشعبية، وهذا ادى الى تخبط وارتجال ودفع الى مزيد من الاخطاء. حيث نرى اليوم ازمة اقتصادية خانقة، واضطرابا ماليا وارتفاعا بأسعار الحاجات الضرورية لقوت الشعب ودوائه، وتداخلا في المفاهيم والقطاعات، يزيد في صعوبة الازمة وخطورتها مما يترك انطباعا لدى جماهير الشعب بأن الاشتراكية تعني الركود والانهيال، وان الاشتراكية اجراءات فوقية لا علاقة للمنتجين بها، وانها ايقاف لخطط التنمية أو تقليص لها.

ان الاشتراكية في حقل الزراعة لا تنفصل عن قوى الفلاحين المنظمة والمشاركة في السلطة، اما عهد 8 آذار فانه لم يسر في اتجاه تصفية الاقطاع واشتراك الفلاحين بالعمل السياسي واعطائهم، حق التنظيم، اذ ما زالت جماهير الفلاحين محرومة من ممارسة حقها في التنظيم النقابي، كما ان الجمعيات التعاونية عبارة عن هياكل مفرغة وعاجزة في الوقت الذي اكتملت فيه شروط ثورة زراعية، قادرة على تغيير الواقع الاجتماعي في الريف تغييرا كاملا، بل نرى ان الاقطاع بمؤسساته وقواه وعقليته ما زال مسيطرا. زيادة على الاخطاء البالغة التي رافقت تطبيق قانون الاصلاح الزراعي والتأخير في انجازه، مقابل محاباة الاقطاعية والعشائرية وتجميد القانون في مناطق عديدة.

ان عهد 8 آذار الاشتراكي، في حقل الاصلاح الزراعي : وزع 35 قرية مساحة الاراضي المسقية منها 504 هكتارا، والبعل 14177 ، عدد العائلات المنتفعة 1118 عائلة، في الوقت الذي وزع العهد "الرجعي" 255 قرية مساحة الاراضي المسقية 5272 هكتارا والبعل 139514 وعدد العائلات المنتفعة 8954 عائلة.

ان الاشتراكية في هذه المرحلة تعني تصفية الاقطاع تصفية كاملة ونهائية، وتعني تحديدا واضحا لدور القطاعين العام والخاص، وتعديل الانحرافات التي رافقت اجراءات التأميم، لتكون اجراءات تخدم مصالح الجماهير وتدفعها في اتجاه الاشتراكية، وتعني تخطيطا علميا لتصنيع البلاد

وزيادة امكاناتها وتعني مشاركة القوى المنتجة في وضع سياسة اقتصادية تقدمية وتنفيذها.

## **: الجيش**

فاذا اضفنا الى الشعارات المنحرفة التي سبقت ورافقت 8 آذار، المحاولات المستمرة لتغذية الخلافات المصطنعة بين الجماهير الشعبية والقوات المسلحة الوطنية، وخلق المخاوف والشكوك ، بدل التضامن والتاخي الذي يجب ان يسود ، والذي كان سائدا وراسخا طوال فترة التحالف الوطني 1954-1958 وكان سببا حيا في حدود الوطن واستقلاله، وحطم المؤامرات، وخلق تجاوبا عميقا صادقا دفع البلاد في طريق الديمقراطية الوطنية التقدمية والبناء- ان محاولة جعل القوات المسلحة والجماهير الشعبية قطبين متنافرين، محاولة ضارة ومشبوهة تجب مقاومتها واعادة اللحمة بين الشعب وجيش الشعب. ان القوة العسكرية لا يمكن أن تكون وحدها كافية لحماية أي وضع. اذ يجب ان يسبقها ويرافقها ويوجهها التنظيم الشعبي والالتفاف الجماهيري وان تحالفا يقوم بين الجماهير وقواتها المسلحة وقياداتها الوطنية يعتبر الاساس الصحيح المتين للحكم. وهذا يقضي بالضرورة ان تبين الحدود الواضحة والمهمات التي تقوم بها المنظمات الشعبية والقوات المسلحة الوطنية، بحيث لا تخلق تناقضا أو تداخلا يصدع التحالف أو يضععه.

ان القوات المسلحة الوطنية جزء عضوي من قوى الشعب. ولكن هذا لا يعني البتة ان تقوم القوى المسلحة مقام المنظمات الشعبية أو فوقها. كما لا يعني ان تتدخل في الشؤون السياسية اليومية، وانما ان تكون حارسة لحدود البلاد واستقلالها كواجب رئيسي، وحامية لاهداف الشعب ومنظماته الشعبية والدستورية ومتحالفة مع قواه التقدمية.

## **: تحويل مياه الاردن :**

ان هذه السياسة التي سلكها عهد 8 آذار سهلت نجاح المخططات الاستعمارية وخلق ظروف مواتية لتقدم رجعي استعماري في كل المنطقة العربية فالاستعمار الذي كان يخشى ان يسفر عن وجهه او يفرض مشاريعه نراه اليوم وقد افصح صراحة عن مشاريعه وينفذها ولا يلقى نتيجة ذلك مقاومة او اعتراضا. اما في الماضي فقد تحطمت المشاريع الاستعمارية

على صخرة المقاومة الشعبية الباسلة والتضامن الواعي المتين بين الجماهير وقواتها المسلحة وقياداتها الوطنية، وظل الاستعمار يعيش فترة انحسار وتراجع واختناق، ويخشى خشية حقيقية على مصالحه ومخططاته وقواه.

أما الآن فاننا نشهد زحفا استعماريًا يشمل المنطقة العربية كلها، ونشهد نموا متزايدا في مصالحه وتدعيما لقواه، ونلمس لديه قدرة متزايدة على تنفيذ مخططاته، في الوقت الذي عجزت جيوشه واحلافه ومؤامراته عن تنفيذها أيام كانت سورية طليعة النضال العربي، وكان شعبها يخوض معارك الامة العربية بجرأة واقدام ويحقق لها النصر تلو النصر، وينزل بالاستعمار وربيبته اسرائيل الهزيمة تلو الهزيمة. وإن مؤامرات تحويل الاردن الرهيبة، تعني اسرائيل جديدة، اسرائيل اقوى واضخم واكثر عدوانا.

ان هذه المؤامرة تنفذ اليوم في ظلال مؤتمرات القمة، وباشتراك الحكومات العربية جميعها ويمنع الشعب العربي بالارهاب، عن الدفاع عن نفسه، والوقوف في وجه اخطر مؤامرة تهدد حياته ومصيره وحرية والتي لا يعادلها الا مؤامرة احتلال فلسطين عام 1948.

لقد كان اشتراك سورية في المؤتمر "المؤامرة" ضربة لنضال شعبها، والشعب العربي كله، فقد استطاع هذا الشعب خلال عقود طويلة، ان يقاوم التحويل ببطولة رغم أن الاستعمار وضع كل قواه، وباشكال مختلفة، واتبع اساليب التهديد والعدوان والاغراء، ورغم ان الحكومات العربية وافقت جميعها على مشروع جونسون ومشاريع التوطين، وغيرها من مشاريع تستهدف تصفية قضية فلسطين والتمكين لاسرائيل.. ان اشتراك سورية في مؤتمر القمة، يعني حصر المشكلة في المياه الموجودة في المنطقة العربية والموافقة على التحويل. ولا يبرر قطعاً، في الظروف الراهنة عدم استعداد سورية وحدها لحرب حاسمة اشراكها في هذه المؤامرة.

وتمتد المؤامرة الاستعمارية لتشكّل طوقاً وحصاراً اقتصادياً فمشروع سد الفرات، الذي يعتبر مشروعاً حيوياً مؤثراً في مستقبل البلاد الاقتصادي وتطورها الاجتماعي، بعد أن تم الاتفاق عليه مع ألمانيا الغربية وانجزت الدراسات المتعلقة بذلك، قبل 8 اذار عادت ألمانيا لتبحث وتماطل من جديد



وتعلق تنفيذه على امتيازات بترولية وضمانات اقتصادية وعلى سياسة معينة يطلب الى سورية الالتزام بها.

ونتمدد المؤامرة ايضا الى بترول سورية اذ ان رائحة الدول الاستعمارية وشركاتها الرأسمالية المستغلة، تزكم الانوف ونلمس في عهد 8 اذار استعدادا للتساهل والتفريط في ثروة البلاد وتعريضا لاستقلالها ووحدتها للخطر، بافساحها المجال امام الاحتكارات البترولية العالمية.

## **انهيار الاقتصاد السوري**

هذه بعض النتائج لسياسة 8 اذار وهناك ايضا الانهيار الاقتصادي والعزلة العربية والدولية، اذ اصبح واضحا ان الاقتصاد في سورية يعاني مصاعب واطارا كبيرة، تنعكس على حياة المواطنين في المدن والارياف، وتتمثل في الركود والعجز المالي، وارتفاع اسعار المواد الاساسية وزيادة الرسوم والضرائب وتأخر الموازنة وما يترتب على تأخرها من تعطيل المشاريع وتوقف كثير من المصالح الحيوية للمواطنين. وقد زاد في الانهيار الاقتصادي العلاقات السلبية بين سورية والدول الاخرى، خاصة الاشتراكية وتأثير هذه العلاقات على الوضع السياسي والاقتصادي والعسكري واخيرا على مستقبل الوجود القومي. ولا يخفي ان مسؤولية سورية عن هذه العلاقات السلبية مسؤولية اساسية.

اننا في الوقت الذي نشعر بالمخاطر التي تحيط بسورية والوطن العربي، نجد أنفسنا مطالبين بالعمل من أجل ايقاف التدهور المتسارع الذي تدفع اليه البلاد. واحباط مؤامرات الاستعمار والصهيونية واعادة السلطة الى الشعب، وايجاد علاقة طبيعية بين الجماهير وقواتها المسلحة وسلوك سياسة واضحة في المجالات الداخلية والعربية والدولية، وفي القطاع الاقتصادي، لتعود سورية لممارسة دورها الطبيعي في النضال العربي التقدمي.

## **تقويم الخطأ**

اننا ندرك ان هناك امكانات كبيرة لتقويم الخطأ ومقاومة الانحراف وكشف المشبوهين، وأن الطريق لذلك :

أولا - على المستوى الداخلي : اقامة بناء الديمقراطية الوطنية  
التقدمية.

ان الديمقراطية الوطنية التقدمية، تعني تحالفا بين القوى التي لها مصلحة حقيقية في محاربة الاستعمار بشكليه القديم والحديث، وتصفية الاقطاع تصفية حاسمة وكاملة، وانهاء تسلط رأس المال، وتحديد الدور الذي يمكن ان يؤديه "القطاع" الخاص في بناء الاقتصاد الوطني بالتعاون والمشاركة مع القطاع العام، وتحديد مهمات العمل السياسي تحديدا واضحا، على المستويات الداخلية والعربية والدولية، في ميثاق وطني تلتزم به القوى الوطنية، واقامة مؤسسات سياسية ونقابية ممثلة لقوى الجماهير، واتاحة الحريات الديمقراطية للقوى التقدمية، في اطار هذه المرحلة، لتعبر عن نفسها في احزابها وصحافتها.

وان بناء الحركة الشعبية يشكل المهمة الاساسية لنضال هذه المرحلة، وفي توفير الشروط الضرورية لبنائها ونموها في ظل الديمقراطية الوطنية التقدمية، المطلب الذي يسبق كل تحول اشتراكي او اهداف سياسية اخرى. اذ بدون الحركة الشعبية الواسعة والمنظمة يبقى نضال الجماهير ناقصا ومعرضا للانحياز، ولقيام الديمقراطية ، لا بد من اتخاذ خطوات سريعه وجريئة وشعبية.

ان الدستور المؤقت الذي وضعه عهد 8 آذار، بمعزل عن الشعب وقواه الوطنية، دلل بوضوح ان كل عمل لا ينبثق من ارادة الجماهير ومشاركتها متمثلة بقواها الوطنية ، مصيره الفشل والرفض.. لقد انطلق الدستور المؤقت من وضع منحرف وجاء ليكرس كل الانحرافات السابقة، فلاقى هذا المصير.

**وان أية بداية جديدة، لعلاقة ايجابية مع الجماهير، يجب ان تنطلق من الايمان بالجماهير ومشاركتها، لا الخوف منها وارهابها، لذا فان :**

**وضع دستور ديموقراطي للبلاد، عن طريق حكومة انتقالية ممثلة لكل القوى الوطنية وملتزمة بميثاق وطني محدد الاهداف، بداية الطريق لتصحيح الاوضاع.**

كذلك يجب الغاء المنظمات شبه العسكرية والغاء جميع مظاهر الديكتاتورية والحكم البوليسي. والغاء حالة الطوارئ والحكم العرفي، وتوفير الحريات العامة والخاصة، والسماح بحرية العمل الحزبي، وحرية العمل النقابي واستقلاله، وتوفير حرية الصحافة والاجتماع وسائر الحريات الأخرى، وإبعاد الجيش عن السياسة اليومية واعتباره حاميا لاستقلال البلاد وحدودها، واقامة تحالف وثيق بينه وبين قوى التحالف الوطني وجعله جيشا عقائديا، ضمن اطار الاهداف الوطنية والقومية وحاميا للمؤسسات الشعبية، القانونية والدستورية، لا بديلا عنها أو فوقها.

وفي جو ايجابي من الثقة والتعاون، يمكن ويجب ان تتحدد قوى الشعب في اطار جبهة شعبية تقدمية، تجمع العناصر الوطنية وتكون بمثابة الدرع الذي يقي البلاد من التآمر الاستعماري الرجعي والتخريب.

وفي ظل ميثاق وطني، لا مجال فيه للمزايدة أو المناورة، تتحدد اهداف الامة العربية وشعارات العمل السياسي خلال هذه المرحلة، فيقطع الطريق على التلاعب والانقسام الطائفي والاقليمي والعشائري وتلاحم قوى الشعب للدفاع عن استقلال البلاد هدف المؤامرات الصهيونية والغزو الاستعماري.

### دور القطاعين العام والخاص

وفي حقل الاقتصاد يمكن انتهاج سياسة واضحة، يتحدد فيها دور القطاعين العام والخاص ويتعاونان من اجل تثبيت اركان الاقتصاد، ويساعدان في نموه وفي تنفيذ سياسة انمائية تؤمن تلبية حاجات البلاد وتزيد في ثروتها وتجعلها قادرة على تحمل الابعاء العسكرية والسياسية وتحررها من ضغط الاستعمار والتآمر المشبوه وتقسيم مجال التعاون المتكافئ بين سورية والدول الأخرى، على اساس من الثقة والمنافع المتبادلة.

وان اتخاذ مواقف جريئة وحاسمة بالنسبة لمشروعى البلاد : السد والبترول ضرورة تملئها اعتبارات سياسية واقتصادية عديدة. فسد الفرات، بعد ان نكلت المانيا الغربية عن تمويله واعتبر موقفها تحديا لكرامة البلاد وتدخلها في شؤونها الداخلية، لذا يجب التوجه الى الدول الاشتراكية وخاصة

الاتحاد السوفياتي، الذي اعلن اكثر من مرة عن استعداده لتنفيذ هذا المشروع الهام.

**اما البترول فان اعطاء اية امتيازات لشركات غربية يوقع سورية في نطاق الاحتكارات العالمية ويعرضها لمداخلات استعمارية خطيرة. لذلك يجب أن تستغل هذه الثروة استغلالا وطنيا. ويمكن لدول المعسكر الاشتراكي ان تساعد في تقديم القروض والغنيين. كما يمكن ان تساعد في مجالي النقل والتسويق، للتغلب على الصعوبات المؤقتة التي قد تثيرها الاحتكارات البترولية، ومن ورائها الدول الاستعمارية.**

**ثانيا - على المستوى العربي:**

### **في السياسة العربية**

تواجه الامة العربية غزوا استعماريا وتحديا صهيونيا يعرضان امنها واستقلالها للخطر المباشر. وان سورية لمسؤوليتها المباشرة والكبيرة عن قضية فلسطين، قضية الامة العربية كلها، فان اعباء اضافية وخاصة تقع على كاهلها. لذلك يجب الوقوف بحزم تجاه الغزو الاستعماري الصهيوني، والمتمثل في هذه المرحلة بتحويل نهر الاردن.

لقد كان باشتراك سورية في مؤتمر القمة العربي الاول، وموافقتها على القرارات التي اصدرها في الجو المشبوه والمتآمر الذي انعقد فيه، ما يعني الموافقة على التحويل الذي تم فعلا في ظل مؤتمر القمة الأول. وان أي موقف جديد تتخذه سورية في مؤتمر القمة الثاني يظل ضعيفا، ما لم يستند الى جملة مواقف داخلية وعربية ودولية جريئة وكاملة، تنقل المعركة الى حيز جدي يدخله الشعب العربي كله للدفاع عن وجوده وحرية لذلك يجب :

1- استنفار كل قوى الشعب في البلاد لمنع تحويل الاردن. وهذا الاستنفار لا يتم الا بانتهاج سياسة واضحة وديموقراطية وتقدمية. ترتفع عن الانقسام الطائفي، وتصحيح كل الانحرافات في سياستها الداخلية والعربية والدولية، بحيث يمكن ان تعتمد في علاقاتها وتسليحها على المعسكر الاشتراكي الذي اظهر دعمه للبلاد العربية تجاه اسرائيل في عدوانها على المياه العربية.

2- وقوف سورية الموقف القومي تجاه مؤامرة التحويل. وان تضع الحكومات العربية جميعها تجاه مسؤولياتها وتخاطب الشعب العربي مباشرة وتوضح له خطورة القضية وتأثيرها على المصير والوجود العربي.

3- دعوة الحكومات العربية والشعب العربي لاستخدام كل الاسلحة التي في ايدي العرب، ضد الدول الاستعمارية الكبرى التي تدعم اسرائيل في عدوانها على المياه العربية.

ان استعمال الاسلحة العربية في هذه المعركة، سيغير كثيرا من طبيعتها، فاستعمال السلاح السياسي بقطع العلاقات الدبلوماسية مع الدول الاستعمارية واستعمال سلاح البترول بقطع انايبه ونسف منشآته، اكبر تهديد للدول الاستعمارية التي ستفكر كثيرا قبل ان تستمر في تأييد عدوان اسرائيل. واستعمال السلاح الاقتصادي، بمقاطعة الغرب، واخيرا باستعمال السلاح العسكري لتدمير وجود الاستعمار في المنطقة العربية بقواعده واحلافه ومؤسساته.

4- تقديم شكوى الى المنظمة الدولية.

5- مخاطبة الدول والشعوب المتحررة واطلاعها على العدوان الاسرائيلي، وهذا يقتضي الاتصال الشعبي بالمنظمات والاحزاب والصحافة المتحررة في العالم، لكي تقف الى جانب الحق العربي ضد العدوان الاسرائيلي الاستعماري.

ان سلوك هذا الطريق الوطني التقدمي يعيد لسورية قوتها ويحطم طوق العزلة الذي يحيط بها. وهذا السبيل يساعد في تعبئة الجماهير ويخلق تحالفا بينها وبين قواتها المسلحة الوطنية ويفضح التآمر الخطير على الوجود العربي والتمثل بتحويل نهر الاردن، ويحشد القوى من اجل تحطيم هذا التآمر. ان في هذا السلوك ما يفشل المؤامرة التي حاول مؤتمر القمة العربي تكريسها كهزيمة للعرب في معركتهم المصيرية مع اسرائيل.

وعن هذا الطريق تستطيع سورية ان تسترد قضيتها وتتسلم الزمام من جديد. وتقوم بدورها تجاه قضية العرب الاولى، قضية فلسطين وتمتنع عن المشاركة في المؤامرة وتدعو الشعب العربي لتحمل مسؤولياته في هذه المعركة.

ان دخول الشعب العربي الى المعركة تهديد خطير للوجود الرجعي الديكتاتوري.. وان دخول الشعب الى المعركة معناه الظفر الحاسم والعامل للشعب والهزيمة والعار لاعدائه.

دمشق آب 1964 الاشتراكيون العرب.



كان هذا البيان مثارا للتحليل والتهمج في جريدة الحياة اللبنانية، انطلاقا من التوجهات المعروفة للجريدة ، خلال اسبوعين متتاليين، وعلى صفحتين كاملتين، ولكن كاتب المقال لم يسعه إلا أن يقدم لمقاله بقوله :

"إن بيان الاشتراكيين العرب الذي نشرته الحياة بتاريخ 17 أيلول الجاري وثيقة تسترعي الكثير من الانتباه لأنها أقرب شيء في حاضر الفكر الماركسي العربي الى ديموقراطية السلوك، وأن عجز البيان عن التخلص من ماركسية التفكير، انه أشبه بمنشور حزبي في جو نيابي. يشرح فيه المعنيون بالشؤون الوطنية اجتهادهم في أوضاع الحكم، وهذا النوع من الاجتهاد خطوة معقولة ومستحبة، وهو خير ألف مرة من دسياسة التآمر الثوري لاغتصاب السلطة، حسب الغالب المألوف في دنيا العرب".

**لقد كان هذا التقديم مصيبا عندما نسب الى الاشتراكيين العرب ديموقراطية السلوك، ولكنه كان بعيدا عن الحقيقة عندما نسب إليهم ماركسية التفكير، فالعدالة الاجتماعية، واحترام حقوق الانسان، والدفاع عن المصالح الوطنية والقومية انما هي قبل كل شيء مواقف أخلاقية وعاطفية ووطنية وانسانية.**



لم يكن فرض الاقامة الاجبارية علي نتيجة قرار معلن، فقد تجنب حكم الثامن من آذار ذلك، ولهذا لم تنشر النبا الصحافة اللبنانية التي كانت تتبع كل ما يجري في سورية معوضة بذلك

عن الصحافة السورية التي أصبحت صحافة حكومية، لذلك عملت على إصدار نشرة داخلية اسبوعية لتتولى إنماء الوعي الفكري والسياسي لتنظيم الاشتراكيين العرب، فكانت تنشر الأنباء الداخلية والعربية والدولية وتعلق عليها من وجهة نظرنا، مما شكل صحافة بديلة عن الصحافة الحكومية البعثية.

**بعض ما ورد في النشرة الداخلية للاشتراكيين العرب :**

لقد أحاطت السلطة منزلي بمجموعة من المجندين العسكريين المفرضين لمخابرات الجيش لمنع أي اتصال لي مع الناس، وكان هؤلاء المجندون يستبدلون فترة بعد أخرى.

كان أكثرهم من أبناء الريف وكانوا يبذون تعاطفهم معي واستهجانهم لقرار السلطة التي فرضت علي الإقامة الاجبارية ويتساءلون عن اسباب هذا التدبير. وفي معظم الاحيان كانوا يتجاوزون الأوامر الصادرة إليهم فيسمحون للزوار بدخول منزلي سرا من باب خلفي، وكنت قد انتقلت من منزلي في شارع حلب الى منزل في المزة يطل من جهته الخلفيه على بساتينها، وقد حدث مرة أن سمح الجنود للمهنيين بالعيد أن يدخلوا من الباب الأمامي، وتطوع أحدهم بتقديم القهوة إليهم. وهكذا تمكنت أثناء الإقامة الاجبارية من الاتصال مع المعارضين السياسيين وبعضهم من ضباط الجيش ومع مختلف رجال الاحزاب والشخصيات السورية التقدمية، ومع الاشتراكيين العرب والاشراف على النشرة الداخلية، وفيما يلي بعض ما ورد في العدد الأول من هذه النشرة الذي صدر بتاريخ 1965/2/6.

"يتساءل الكثيرون من أبناء الشعب عن السر في إفراج حكومة البعث عن جميع المتهمين والمحكومين بالخيانة العظمى وأنصار حلف بغداد وعن المتهمين بحوادث 18 تموز 1973، وكذلك عن كثير من الذين يتهمهم الحكم بالانفصال والرجعية في الوقت الذي فرضت فيه الإقامة الاجبارية على مناضلين شرفاء نذروا انفسهم ودماءهم في سبيل العروبة، وماضيهم السياسي الناصع

**يشهد لهم بذلك، كما اعترف رئيس الدولة الفريق أمين الحافظ بذلك علنا، فما هو السبب يا ترى؟".**

كما جاء تحت عنوان الارتجال في التأميم ما يلي :

**"لقد انهت اللجنة الوزارية المكلفة بإعادة النظر في بعض مراسيم التأميم وتقدمت باقتراحها الذي تطلب فيه إعادة الملكية لثلاثين من المعامل والمؤسسات الصغيرة إلى أصحابها وهذا نتيجة طبيعية للتسرع والارتجال وعدم الدراسة الموضوعية الواعية".**

كما أنت النشرة على ذكر برقية خالد بكداش رئيس الحزب الشيوعي السوري التي تشيد بقرارات التأميم والتي اعتبرتها تدابير موجهة ضد الاستعمار والرأسمالية وملمية لإرادة الشعب ومتجاوبة مع الروح الجديدة النامية لحركة التحرر العربية. وتحت عنوان من هو عدو العرب؟ جاء ما يلي :

"زار مدير التربية والتعليم في حماه إحدى مدارس البنات الابتدائية، وكان موضوع الدرس القضية الفلسطينية، فسأل إحدى الطالبات من هو عدو العرب ومن يذبح العرب؟ فأجابته الطالبة على الفور:

"حزب البعث ."

وحول قضية الحرب الدائرة في اليمن جاء في النشرة :

"نشرت الصحف اللبنانية تطورات الحالة في اليمن، فقد أكد الامام المخلوع ان المصريين عادوا لقصف المواقع الملكية وخاصة رازح وأرحب، كذلك صرح عبدالله بن الحسين قائد القوات الملكية قرب صنعاء بأنه على اتصال مباشر مع الزعماء الجمهوريين لحل مشكلة اليمن، كما صرح بأن قتالا لا يزال مستمرا بين رجال القبائل ممن كانوا يؤيدون المصريين سابقا وبين 3000 جندي مصري في منطقة خولان.

ومن المعروف أنه قد تشكلت كتلة جديدة في اليمن أطلقت على نفسها (اليمن الفتاة) ويطالب زعماء هذه الكتلة وهم من الجمهوريين بانسحاب المصريين، وقد زار وفد يمثلهم عدة عواصم عربية منها الرياض وبيروت ويعتزمون زيارة القاهرة لعرض وجهة نظرهم، كما صرح أحد المسؤولين منهم بأن حكومة السلال أصدرت أوامرها باعتقال أعضاء الوفد فور عودته الى اليمن".

وتحت عنوان ماذا تريد فرنسة من العرب ورد في النشرة ما يلي :



أبدت الحكومة الفرنسية مؤخرا اهتماما بالشؤون العربية، وكان من أبرز مظاهر هذا الاهتمام ما أجراه الرئيس الفرنسي ديغول من اتصالات مباشرة وغير مباشرة مع الحكام العرب، وقد اجتمع مع الملك حسين، والملك الحسن الثاني، عاهل المغرب. والفريق أمين الحافظ، واثنين من نواب عبد الناصر ، ووزير خارجية الجزائر، كما وجه دعوة الى الرئيس اللبناني لزيارة باريس، ومما تجدر الإشارة إليه ان بعض الصحف الفرنسية التي تصدر في فرنسا وتونس والمغرب كانت قد أشارت الى أن ديغول قد اقترح انشاء دولة اتحادية على أرض فلسطين تضم دولة عربية وأخرى اسرائيلية.

كما يعلق العدد الأول من نشرة الاشتراكيين العرب على ما ورد في نشرة القيادة القومية لحزب البعث الحاكم التي تحمل الرقم 15 بتاريخ 1964/12/17 بما يلي :

لقد ورد في الفقرة الثالثة من بيان القيادة القومية "أن هذه القيادة هي أعلى سلطة في الحزب وتليها في سورية القيادة القطرية، وما لم يتم تعاون كامل وغير محدود بين هاتين القيادتين عمت الفوضى وسادت الاضطرابات".

إن هذا الاصرار على أن القيادة القومية هي أعلى سلطة في الحزب ليدل دلالة واضحة ان الأمور في الحزب تسير ضد رغباتها أو بالاحرى ضد قراراتها ومخططاتها - إن كانت هناك مخططات - ويدل أيضا على انها مغلوبة على أمرها محرومة من ممارسة سلطاتها الحزبية، فلنتساءل الآن من الذي يمنع هذه القيادة من ممارسة سلطاتها؟ ومن يقف حائلا دون تحقيق رغباتها؟ ومن يعمل ضد إرادتها؟ ومن الذي يحرمها حقها في تسيير دفة الحزب ضمن إطاراته من حكم وتنظيم وجيش؟

لن نجيب على هذه الاسئلة بل نترك الاجابة للقيادة القومية نفسها

:

" لا يجوز للحكومة أن تتدخل بمالها من سلطات في عمل الجهاز الشعبي والاشراف عليه ، لأنها هي منبثقة عن الحزب، وليس الحزب منبثق عنها، ولا يجوز للجيش أن يتدخل في أمور الدولة اليومية إلا بالقدر الذي يخصه ويخص وظيفته ، كما لا يجوز أن يتدخل بأعمال الجهاز الحزبي" (الفقرة الثانية).

"الحزب كتلة واحدة تسمح باختلاف الرأي ولا تسمح بالتطاحن والتخريب، ليس في الحزب مدنيون وعسكريون، وإنما في الحزب حزيون عقائديون ملتزمون"(الفقرة الأولى).

"الحزب يتكون من قيادات متتالية في المستوى ، والقيادة الدنيا تابعة للقيادة العليا تنظيما وإشرافا، وليس من حق أي قيادة أن تثور على قيادة أعلى"(الفقرة الثالثة).

ان أي انسان ذي عينين يمكنه أن يرى بوضوح مدى التفكك والتناحر والتناذب الذي يأكل جسم الحزب الحاكم من أعلى قيادة الى أدنى لينة في هرم القاعدة، إن العربي الاشتراكي الخالي من الغرض يرى بصفاء لا يعتريه الشك أن ما جاء في الفقرة الثانية على لسان القيادة العليا يشير إلى مدى التدخل الذي يمارسه العسكريون الحزيون ومدى تسلط الضباط المتنفذين من أجل تحقيق رغباتهم الشخصية دون الاهتمام بدستور الحزب أو نظامه الداخلي.

إن في الحزب تطاحنا وتخريبا، نعم كلنا نعرف ذلك، ولكن من هو المسؤول عن التطاحن والتخريب؟ أهى القيادة القومية؟ أم القيادة القطرية؟ أم العسكريون؟

ان القيادة القومية تلقي المسؤولية الكاملة على كواهل العسكريين بالدرجة الأولى حسبما ورد في الفقرة الثانية من النشرة، ثم تلقي قسطا من هذه المسؤولية حسب ما جاء في الفقرة الثالثة على القيادة القطرية. ومن جهة ثانية نسمع أواق الفئة الحاكمة تردد في المجالس اسطوانات مختلفة الأنغام، ولكنها ترد في أصلها الى أساس واحد وهو الحملة الشعواء على القيادة القومية لانحرافها وتسلطها، ولا تتورع عن وصم أي عضو من أعضائها بكل الصفات والنعوت التي تطلق على العملاء، وما دام البناء كذلك نوعية وتصنيفا، فلا بد أن تكون النهاية وصما لعموم الاعضاء الشرفاء الذين نؤمن بشرفهم وإخلاصهم وصدق ايمانهم وقوة عقيدتهم، والذين انخرطوا في قاعدة البعث الحاكم مدفوعين بالروح القومية، ومؤازرة للفكرة الاشتراكية، دون أن يكشفوا بعد

زيف القائمين على الحكم ووصوليتهم وانتهازيتهم، ووصما للذين لم تكتمل في قلوبهم الجرأة ليشقوا عصا الطاعة في وجه هؤلاء القادة المتنازعين المتنايذين المتسلطين المتمسكين بشراسة بمناصب لم يحلموا - حين يكون الدرب سويا - بالوصول إليها، وليثوروا كما ثار إخوان لهم وانسحبوا من هذه التشكيلة المتنافرة التي يطلق عليها الآن اسم البعث متحدین مباحثها ومخابراتها وأساليبها الانتقامية الملتوية.

وما الصراع القائم بين أجنحة البعث وقياداته إلا تهديم للأفكار السامية التي ترعرعت في القلوب الطاهرة وتعاينت فروعها من دماء المناضلين والشهداء، إن هذا الحقد والتشكيك في موقف الاشتراكيين الشرفاء الذين بذلوا وما زالوا يبذلون كل غال في سبيل السير قدما بالحركة اليسارية العربية، وهذا التناحر الغبي والتصرفات اللا أخلاقية، ليست إلا معولا أرعن يهوي بضرباته الممينة على الحركة النضالية العربية بإصرار لم يتح للاستعمار أن يمارس إصرارا مثله.

ولنا عودة الى هذه النشرة ، الخامسة عشرة بالذات، لمناقشة مضامينها وكشف بعض ما يحاك للمستقبل العربي على أيدي من يسمون أنفسهم حماة المستقبل العربي.. ومن فمهم سندينهم.

وبتاريخ 1965/2/8 احتفل حكم الثامن من آذار، على مدرج الجامعة السورية، بالذكرى الثانية لثورة شباط في العراق، وتمجيدا لهذه الذكرى ألقى ميشيل عفلق كلمة قال فيها:

ان هذه الثورة قضت على الانفصالية والشعبوية والديكتاتورية في العراق، كما قضت ثورة الثامن من آذار هي الأخرى، بعد ذلك، على عهد الانفصال في سورية العربية، ثم مجد التجربة التاريخية الكبرى التي يقودها حزب البعث قائلا:

لقد ظهر الوعي العربي الجديد عندما سارعت القوى التقدمية في الوطن العربي الى تأييد ثورة آذار في قراراتها الاشتراكية متناسية كل الخلافات الثنوية.. وهكذا تلاقى الاخوة بعد زمن الفرقة.

وقد علقت النشرة الداخلية على ما جاء في خطاب ميشيل عفلق الذي ما فتئ يردد مع الآذاريين بأنهم وحدهم الوجوديون وأن ما عداهم انفصاليون، وأن ثورة البعث في العراق وسورية قضت على الانفصال والانفصالية، فكان لا بد للاشتراكيين العرب من فضح حقيقة مواقفهم الانتهازية من الوحدة بالتعليق التالي **وكان تحت عنوان هل أنتم وحدويون حقا :**

قامت حركة آذار لغسل عار 28/ايلول ، قامت ثورة آذار لمحو آثار جريمة ايلول النكراء، قامت ثورة 28 آذار الوجودية لطمس معالم عهد الانفصال.

هذه أقوال وامثلتها سمعناها من أفواه الحاكمين والمسؤولين على هذا العهد يرددونها في شتى المناسبات ويشددون على كل حرف من حروفها حتى أصبحت بالنسبة اليهم كأنها قول منزل حضر في حنايا القلوب فأصبح راسخا متين الاواصر، لا يمكن أن يناقش ولا يستطيع مخلوق أن يوجه اليه نقدا والا كان خائنا لقضية أمته.

**ولكن لا بد لنا أن نتساءل :**

**هل الذين اطلقوا هذه الاقوال يعملون بها؟ هل الذين رفعوا عقائرتهم بهذا الشعار يؤمنون به هل الذين يتسلمون مقادير هذا البلد اليوم عملوا من أجل انجاحه؟**

ان من ابسط البديهيات حين تقوم ثورة وحركة وحدوية لغسل عار انفصالي ان تنسجم مع نفسها وواقعها وتسعى بكل امكانياتها لاعادة المياه الى مجاريها.. وتسرع فورا الى اعادة (الجمهورية العربية كما كانت في السابق وحسبما نادى بعضهم باعتبار الفترة بين 28 ايلول و 8 آذار هي فترة مئة يجب ان تهمل من تاريخ امتنا وتنزع احداثها من السطور والعقول والقلوب، وهذا يتحقق بقرار واحد منكم.

**هذا هو المنطق لو كان المسؤولون جادين بما يزعمون وبما يطرحون من شعارات وحدوية.**

ولكن الواقع غير ذلك، فلو استعرضنا بعضا من التصرفات التي صدرت في مواقف معينة لثبت لنا بما لا يقبل الجدل بأن ما ينادون به من شعار للوحدة ليس الا بضاعة للتجارة واقوالا للتصدير.

ففي مؤتمر بيروت الذي عقده حزب البعث العربي الاشتراكي. (المنحل إبان الوحدة) يقف صلاح البيطار ويخرج مذكرة هويته التي تحمل اسم الجمهورية العربية المتحدة وبحركة مسرحية بارعة وقدره خارقة على رسم تعابير مؤثرة يمزق الهوية معلنا : ان كانت هذه الوريقة تربطني بالجمهورية العربية المتحدة فانا أفك ارتباطي منها وانا مواطن سوري.

وفي موقف آخر يقف الأمين العام الاستاذ (عفلق) ويقول :

ان عبدالناصر هو أشد خطرا من بريطانيا وأن مصر تعتبر نفسها دولة كبرى في الشرق الأوسط ولها فيه مطامح اقليمية، وبعد سبعة أشهر من قيام الوحدة، سبعة اشهر فقط خطت عملية انقلابية لم تل موافقة المؤمنين(1) . وبعد مدة يحاول الاستاذ عفلق بالذات القيام(2) بحركة ارهابية معتمدا على عدد من ضباط المخابرات وعملائها على أنهم عناصر شريفه يمكن الاعتماد عليها، ولولا يقظة الرفاق المؤمنين لوقع الاستاذ الكبير صريع تهوره وسوء تصرفه.

ولنعد الآن الى ما بعد 28 ايلول ان ما يسمى وثيقة الانفصال قد كتبت بخط الاستاذ صلاح البيطار ولقد وضع صيغتها بنفسه. ووقعها بقلمه. وهو الآن وحدوي وغير انفصالي .. واخيرا لقد خاض الحزب انتخابات 961 بكتاب رسمي من القيادة القومية التي يرئسها ميشيل عفلق - واستنطاع خلال تلك الفترة ان ينجح نوابا استطاعوا ان يقفوا في وجه التيار الرجعي ، ويحدوا كثيرا من

(1) عندما استشارني بعض العسكريين الحزبيين الذين أصبحوا أذاريين فيما بعد، قلت لهم إياكم أن تقدموا على هذه العملية الانفصالية، وقلت لهم أنذاك وبالخرف : ان نتائج ذلك هي سحلكم في شوارع دمشق.

(2) إشارة الى الاتفاق الذي تم مع عويس ضابط مخابرات المشير على الإطاحة بعبد الناصر واستبداله بالمشير، وهو الموضوع الذي سبق ذكره مفصلا في هذه المذكرات

الانتكاسات اللاتقدمية ويبقوا على بعض مكاسب العمال والفلاحين.

ثم ألم يرشح الاستاذ البيطار نفسه عن دمشق بقائمة مع نذير النابلسي؟ ثم ألم يخرج الاستاذ البيطار على المواطنين بيانه الانتخابي الذي هو بحد ذاته وثيقة تدينه بالانفصالية والرجعية؟ ألم يطلب البيطار من فرع الحزب في احدى المحافظات إفساح المجال أمام احد مرشحي الرجعية للفوز مقابل أن تفسح له الرجعية طريق الفوز في دمشق؟ ألم يتقدم غيره من الوجدويين البعثيين الحاكمين اليوم الى الانتخابات فيفوز عن دائرته الانتخابية وعلى سبيل المثال : السيد فهمي العاشوري بتكره لحزبه وتزكية من أحد قادة اليمين كمن جملة المسؤولين عن هذا العهد.

ألم تشتركوا في تأليف وزارة بشير العظمة وتصروا على تسمية وزراء معينين بينهم عبد الله عبد الدايم فمن الذي قدم اسماء الوزراء غير استاذكم صلاح وميشيل؟

ثم من هو مدير مؤسستكم الاقتصادية اليس عادل السعدي وما هو موقفه من التأميم؟ والآن نعود فنتساءل :

هل انتم وحديون حقا؟ الجواب تلك اعمالكم تدل عليكم.

لقد غررتم بحلفائكم (الناصرين) الذين ينادون بالوحدة الفورية فسرحتم ضباطهم بعمليات مسرحية وبلعبة بارعة.

ثم حضرتم مباحثات 17 نيسان وكنتم خلال اجتماعكم تظهرون التجلة والاحترام لعبد الناصر ولدى خروجه يقف حباركم علي صالح السعدي ويصف عبد الناصر وصفا شنيعا ويتلفظ بحقه الفاظا بذينة وأين؟

في قصر عبد الناصر بالذات، القصر الذي ينقل الى مسامع الرئيس كل صغيرة وكبيرة تحدث فيه.

فهل هذا يبرهن على نية صادقة في تحقيق الوحدة التي تنادون لها. وتؤمنون بها وتعملون من أجلها؟ هل أنتم وحديون حقا؟ لقد قامت ثورة العراق في 8 / شباط وتسلم مقاليد الحكم

فيها حزب البعث العربي الاشتراكي، ثم قامت حركة 8 آذار. في سورية وتسلم حزب البعث العربي الاشتراكي زمام الامور فيها.

ومن الطبيعي والطبيعي جدا، ومن اليقين الذي لا يقبل أدنى شك، أن يبادر الحزب الحاكم في سورية الى اقامة وحدة فورية مع العراق الذي يحكمه نفس الحزب.

فلماذا لم تفعلوا ذلك أيها الوجوديون؟ هناك احتمالان لا ثالث لهما :

1- ان عدم الثقة متبادل بين الحاكمين في سورية وبين الحاكمين في العراق مما يجعل كلا الطرفين حريصا على مكاسب الحكم لا يفرط بها ولا يسلمها بالهين اليسير.

2- ان ايمانكم بالوحدة ليس الا ايمانا تجاريا تستعملونه للمزاوادات السياسية ولكسب عطف الجماهير وتغطية الحقائق بالاوهام.

وأخيرا نقول : ان الوحدة ايمان نابع من القلب، والوحدة هي قدر الأمة العربية، وسنحقق هذه الوحدة الخالية من الشوائب على أيدي المؤمنين بقدرة هذا الشعب العربي وعزته وكرامته وعنفوانه.

**مقابلة مع مجموعة من ضباط الثامن من آذار .**

قبل الحديث عن هذه المقابلة لا بد لي من الاشارة الى اوضاعي المادية منذ ما قبل الثامن من آذار ، رغم ما في هذا الحديث من ايلام للنفس.

في عام 1943 عندما دخلت مجلس النواب لأول مرة، قررت قرارا لا عودة عنه إغلاق مكثبي للمحاماه والانصراف للعمل الوطني رغم ان هذا المكتب قد در علي أرباحا مرموقة ادخرت منها مبلغا ساعدني فيما بعد على إصدار جريدة اليقظة.

كان راتبي من مجلس النواب، خلال الدورات النيابية المختلفة كافيا لأموري الحياتية، بل لدعم جانب من مصروفات جريدة اليقظة الناطقة باسم حركة الشباب ، وعندما تم تشكيل

الحزب العربي الاشتراكي عام 1959 كانت الاشتراكات كافية  
لاصدار جريدة الاشتراكية وتغطية نفقاتها.

كما انه لا بد لي من القول أنني لم أتقاض أي راتب من  
الحزب العربي الاشتراكي، ثم من البعث العربي الاشتراكي فيما  
بعد، ما عدا فترة وجودي خارج البلاد خلال ديكتاتورية أديب  
الشيشكلي.

بعد استقالتي كنائب للرئيس عبد الناصر من حكومة  
الوحدة، لم أتقاض راتبا تقاعديا مثل غيري من الوزراء أو نواب  
الرئيس، فلقد حذف عبد الناصر من قانون الرواتب التقاعدية  
للوزراء ولنواب الرئيس الذي رفع إليه، ما يخص نواب الرئيس،  
وكان هذا الحذف ضارا بي فقط، لأن نوابه الآخرين كانوا إما  
موظفين سابقين أو ضباطا في الجيش.

كان أشد ما أنوء به من مصروف أجرة بيتي في شارع  
حلب، وكانت شقة من خمس غرف، ولكن هذا الهم زال عني  
عندما نالت زوجتي من والدها -أسوة بإخوتها- شقة في حي  
المزة الجديد، وعندما انتقلنا إليه كان المكان مقفرا والبناء غير  
تام، بعد أن عجز والد زوجتي عن اتمامه بسبب ما ناله من  
تأميم، وهكذا أضيف عبء اتمام البناء إلى اعبائنا المادية، ولم  
يبق شيء يباع في منزلنا إلا بعناه، من السجاد إلى حلي  
البنات، وأخيرا بندقية الصيد الفاخرة التي أهداني إياها المرشال  
تيتو عند زيارته لسورية عام 1959، والتي قابلتها بأهدائه صينية  
نحاسية مطعمة بالذهب والفضة من مصنوعات دمشق دفعت  
ثمنها من جيبتي الخاص ، لأنني كنت قد تبرعت بالمصروفات  
السرية المخصصة لمثل هذه الأمور، فوزعت نصف مليون ليرة  
على مختلف بلديات سورية ومنها بلدية حماه، كما أرسلت  
بالنصف الثاني قمحا إلى ثوار الجزائر.

كان واسطة بيع البندقية رفيقي في الحزب وفي حرب  
فلسطين وفي النضال ضد ديكتاتورية الشيشكلي أبو حازم



محيي الدين البرازي، وقد باعها لأحد رؤساء عشائر شمر وأظن أن اسمه ... عجيل.

عندما انتقلت الى حي المزة اشتدت علي الضائفة المالية، وذات يوم وجدت اننا لم نعد نستطيع حتى شراء المازوت للتدفئة، لذلك طلبت من أبو حازم أن يجد لي شاريا لرشاش اعتر به، وقد اهداني إياه محافظ الاسكندرية عام 1956، عندما كنت موجودا في مصر خلال العدوان الثلاثي ، فكان الشاري هو الشاب فرج، من الشباب الحزبيين، وابن أحد شيوخ عشائر الفرج في منطقة الرقة، ومن سوء الحظ ان هذا الأمر قد انكشف فقبض على الشاب وعلى محيي الدين البرازي معا، وقد فوجئت يوم القاء القبض عليهما بضابط مخابرات مع عدد من العناصر المرافقة يطلبون مقابلتي فطردتهم بعصبية شديدة دون أعرف سبب مجيئهم، وقد أثارني اقتحامهم جميعا المنزل، ولا بد أن هذا الأمر قد أثار سويداني رئيس المخابرات لأنه في تلك الليلة بالذات فوجئت بقوة من المخابرات تطلب مني مرافقتها، وقد ظننت ، وظنت العائلة أنه قد صدر الأمر باعتقالي .

انني لن أنسى ما حييت منظر ابنتي وفاء، أصغر أطفالها وكانت في الخامسة، وهي تناولني أمام الباب نصف ليرة كانت قد ادخرتها.

**هذا هو وضعي المادي عندما ذهبت، وكنت أظن أنني ذاهب الى السجن فإذا بي في مركز المخابرات وفي غرفة اجتمع فيها عدد من الضباط أذكر منهم أحمد سويداني وسليم حاطوم وضابط من منطقة السلمية وآخرين لا أذكر اسماءهم، وقد بادرني سليم حاطوم سائلا :**

**لقد كنت قائدا لزمان طويل لحزب البعث العربي الاشتراكي، فما هي الاسباب التي تدعوك لمعارضة ثورة الثامن من آذار مع ان صبري العسلي يؤيدها ويدعو لنا بالتوفيق؟ قلت له :**

لهذا السبب الذي ذكرته فإنني أعارض ثورة الثامن من آذار التي انحرفت عن مبادئ حزب البعث، ولأن صديقك من صدقك.

أما رفيقه الضابط السلموني (أي من مدينة السلمية) فقد انبرى متهما إياي قائلاً :

عندما كنت قائدا للحزب كنت تنفرد بإصدار القرارات واتخاذ المواقف دون أن أدعى يوما من الايام للاستشارة فقلت له :

عندما كنت قائدا للحزب كنت أنت طالبا في المرحلة الثانوية أو الكلية العسكرية فهل كان من المعقول استشارتك والرجوع إليك عند اصدار القرارات.

وهنا سألني سويداني الذي كان موقفه وديا مني في ذلك الاجتماع :

إذن ما هو الحل الذي ترتأيه لحل مشاكلنا وحتى تستقيم الأمور؟ قلت له:

ان مفتاح الحل بأيديكم وما عليكم إلا تطبيق مبادئ حزب البعث العربي الاشتراكي بالعودة الى الحياة البرلمانية الديمقراطية التي تضمن حريات المواطنين ، العامة والخاصة، وعندما يتحقق ذلك تعود وحدة الحزب ووحدة الشعب السوري المهددة بالانقسام، ولا يخفى عليكم ان جميع قواعد الحزب الشعبية قد انسلخت عنه بعد المؤتمر القومي الخامس الذي استند إلى مقولاته انقلاب الثامن من آذار، ولا شك أنكم تشعرون بعزلتكم الشعبية وبالأزمة الاقتصادية التي تعاني منها البلاد، ولا سبيل لمعالجة هذه المشاكل بالقوة وبإصدار المراسيم الاعتبارية.

هذا ما أذكره من حديث، وكان حديثا طويلا دام عدة ساعات لم أعد أذكر منه تفاصيله الأخرى.

كان الضباط يصغون الى حديثي بانتباه شديد، وقد بدا على وجوههم الاقتناع، وهذا ما دعا حاطوم لأن يقطع حديثي ويوجه إلي تهديدا مبطنا فيما إذا تابعت المعارضة، فقلت له :

إذا كنت تستمد شجاعتك من كونك ضابطا في الجيش فإنني أكثر منك شجاعة باتباع الحق وقوله، ثم قلت لمجموعة الضباط :

ختاما لحديثي معكم فإنني أعدكم منذ الآن بعدم المعارضة لحكمكم منتظرا حتى يستين لكم وجه الحق إذا أقسمتم لي بشرفكم العسكري أنكم ستكونون متفقيين غير متنايذين لأنني أخشى عليكم وعلى البلد من العواقب التي تنتظركم ، فلم ينبسوا بيت شفء.

وفي اليوم التالي، وكنت قد عدت فجرا الى منزلي، زارني وفد من الضباط أذكر منهم المرحوم بدر جمعة، وقد يكون ذلك بأمر من أمين الحافظ. فأعادوا إلي الرشاش وكانوا قد ظنوا سابقا انني أعد ثورة مسلحة ضد البعث.



وتتمة لهذا الموضوع ، فلا بد لي من تسجيل شكري للمحامي النبيل السيد فؤاد جبارة، من علويي اللواء الذي اتصل بي خلال إقامتي الاجبارية قائلا إن في قانون رواتب الوزراء ما يشملك فأرجو أن توكلني لرفع قضية بهذا الموضوع، وانني لن أطلب منك شيئا. وحتى مصروفات الدعوى فاتركها علي، وبنتيجة هذه الدعوى حكم لي براتب مقداره 330 ليرة سورية، وقد استفدت من المفعول الرجعي لهذا الراتب فقبضت 20 ألف ليرة سورية، وفيت منها بعضا من ديوني المتراكمة، ولكن حكم الثامن من آذار استكثر علي هذا الراتب فصدر أمر عرفي خلال حكم صلاح جديد بايقافه، ولا يزال هذا الأمر العرفي ساري المفعول حتى هذه اللحظة من عام 1996 .

1964 : طغيان التيار اليساري المتطرف بين المدنيين والعسكريين في حزب البعث، وصلاحيات جديد يستفيد من هذا الوضع للاطاحة بصلاحيات البيطار الذي يشكل الوزارة من جديد - صدور مراسم التأميم العشوائية- الاشتراكيون يرفضون تأييد مراسيم التأميم - أمين الحافظ يقمع الحركات المقاومة للتأميم - ميشيل عفلق يؤيد التأميم بقوة ويدعو للتقارب مع الاتحاد السوفيتي.

### حكومة صلاح البيطار والمعارضة البعثية اليسارية.

تألفت حكومة صلاح الدين البيطار نتيجة تسوية هشة بين فرقاء البعث الحاكم، المختلفين على كل شيء، ولذلك كانت عرضة بعد تأليفها لخلافات مستمرة مع الفريق أمين الحافظ الذي أقصته هذه التسوية عن رئاسة الحكومة بدعم صلاح البيطار من قبل خصمه محمد عمران، كما كانت حكومة صلاح البيطار غير موثوقة بل ومنتأمرة بالنسبة لليساريين في حزب البعث، وكان هدف صلاح البيطار المتحالف مع عمران التعاون مع تجار دمشق واليمين السوري والبعثيين الناصريين داخليا، ودعم هذه الحكومة عربيا بالاتفاق مع جمال عبد الناصر وعبد السلام عارف في معركتها ضد اللواء صلاح جديد والقيادة القطرية واليساريين العسكريين، وهكذا شرع صلاح البيطار ومحمد عمران منذ تأليف الحكومة بعقد الاجتماعات العلنية والسرية مع تجار دمشق ووعد البيطار هؤلاء التجار "بأن الثقة والرساميل ستعود، وأنه لا مبرر لوجود العنف في سورية" وفي هذا القول ما فيه من تعريض باللواء صلاح جديد والقيادة القطرية والعسكريين الثوريين ومعظمهم من أبناء الريف.

وبهذه المناسبة، أذكر أن نائب طرطوس سابقاً رياض عبد الرزاق، قد اجتمع بي سرّاً في هذه الفترة، وكنت متوارياً عن الأنظار، وعرض علي التفاهم مع محمد عمران

وقال لي أنه على صلة معه، وأن خالد العظم يؤيد هذا التفاهم فكان جوابي له:

إن محمد عمران غير موثوق في اعتقادي ولي تجربتي معه.

لقد اجتمع بي رياض عبد الرزاق مرة ثانية، عندما كان خالد العظم مقيماً في بيروت فقال لي انه على استعداد لنقلي الى لبنان من ميناء طرطوس لمقابلة خالد العظم والتفاهم معه، لأن السفارة الاميركية تؤيد هذا التفاهم فاعتذرت له وقلت:

إن ثمن التفاهم والتأييد الذي ستطالبني به السفارة الأميركية سيكون على حساب القضية الفلسطينية وعلى حساب موقفنا من السياسة البترولية في سورية والبلاد العربية.



استهل البيطار وزارته الجديدة بالايغاز الى الاذاعة والتلفزيون والصحف بعدم الرد على الحملات المصرية والعراقية، فأثار هذا الإيغاز نقداً شديداً في أوساط العسكريين البعثيين الذين يكونون الخصومة لعبد الناصر وعبد السلام عارف، وقد بلغ الخلاف ذروته بين النظامين المصري والعراقي من جهة وبين البعث السوري من جهة أخرى عندما قام عارف باعتقالات واسعة في العراق، فكان بين المعتقلين أحمد حسن البكر وعدد كبير من البعثيين بتهمة محاولة انقلاب فاشلة بقيادة علي صالح السعدي بمساعدة المخابرات السورية التي هربت الأسلحة والألغام للقيام بهذا الانقلاب.

كما كان مؤتمر القمة في القاهرة موضع خلاف بين حكومة البيطار والعسكريين سواء بالنسبة للاشتراك بهذا المؤتمر أو بالنسبة للمقررات التي أصدرها وكان من رأي العقيد فهد الشاعر الذي كان عضواً في الوفد السوري قوله أثناء مناقشة تحويل روافد

الأردن: "انه يجب أن نعارض تحويل الروافد إذا كنا سنسترد فلسطين".

ووسط استغراب المؤتمرين تابع قوله:

نعم يجب اعلان الحرب لاسترداد فلسطين بدلاً من تحويل روافد الأردن، فأني معنى يبقى لفلسطين واستردادها إذا استعدناها ووجدناها بدون ماء، وإذا كانت الروافد محولة عنها؟ إن التحويل من وجهة نظري اعتراف بضياع فلسطين، إذ يعني أن نكتفي بالماء دون الأرض (الحياة 64/9/12).

بمثل هذه المزاولات كانت سورية تقاد من قبل العسكريين البعثيين اليساريين مما جعل صلاح جديد يرى أن الوقت قد أصبح ملائماً لإحراج حكومة البيطار وجعلها تضطر إلى الاستقالة، بعد الانعكاسات التي أحدثتها في الوسط العسكري مواقف صلاح البيطار ومحمد عمران لمعالجة المشاكل المطروحة على حزب البعث على المستويين الداخلي والخارجي، ولتشكيل حكومة جديدة برئاسة أمين الحافظ الذي كان على خصومة مزمنة مع محمد عمران ولتكون هذه الحكومة واجهة لمجلس الرئاسة الذي سيقبض فيه اللواء صلاح جديد، مع القيادة القطرية، على زمام السلطة الفعلية.

وهكذا "قرر" المجلس الوطني لقيادة الثورة بتاريخ 64/10/3 قبول استقالة صلاح البيطار ومنصور الأطرش من عضوية مجلس الرئاسة "وانتخب" بدلاً عنهما اللواء صلاح جديد والدكتور يوسف زعين عضوين في هذا المجلس ، وكلف الفريق أمين الحافظ بتشكيل حكومة جديدة، ولما يمض أكثر من خمسة أشهر على تأليف حكومة البيطار ومجلس الرئاسة السابقين، كما عين صلاح جديد نائباً لرئيس مجلس الرئاسة الفريق أمين الحافظ، وتقرر ان يكون مسؤولاً عن شؤون الدفاع والأمن، وان يكون الدكتور زعين مسؤولاً عن قطاع الزراعة والخدمات العامة، وان يكون الدكتور الأتاسي مسؤولاً عن العمل والشؤون الاجتماعية وشؤون

الموظفين والرقابة التفتيش، وأسند للواء عمران مسؤولية القطاع الاقتصادي.

أما أعضاء الوزارة الجديدة فهم:

الفريق أمين الحافظ رئيساً لمجلس الوزراء والدكتور نور الدين الأتاسي نائباً للرئيس. اللواء غسان حداد وزيراً للتخطيط، الوليد طالب وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية، الدكتور عادل طربين وزيراً للزراعة، صالح المحاميد وزيراً للشؤون البلدية والقروية، الدكتور حسان مريود وزيراً للخارجية، الدكتور مصطفى حداد وزيراً للتربية والتعليم، الدكتور عبدالرحمن الكواكبي وزيراً للأوقاف، اللواء ممدوح جابر وزيراً للدفاع، عبد الفتاح البوشي وزيراً للمالية، علي تلجيني (عامل نقابي) وزيراً للشؤون الاجتماعية والعمل، ابراهيم البيطار وزيراً للاقتصاد، سليمان الخش وزيراً للثقافة والإرشاد، حسن مهنا وزيراً للعدل، المقدم عبد الكريم الجندي وزيراً للإصلاح وللداخلية بالوكالة، جميل شيا وزيراً للتموين، الدكتور مصطفى نصار وزيراً للصحة، مشهور زيتون وزيراً للإعلام، سميح فاخوري وزيراً للمواصلات، ممدوح نجار وزيراً للأشغال العامة. ومن الملاحظ ان هذه الوزارة قد ضمت اثني عشر وزيراً جديداً بعضهم من صغار الموظفين غير المعروفين بماضيهم النضالي الحزبي أو السياسي.



بعد تشكيل أمين الحافظ لهذه الوزارة بفترة قليلة انفجر الخلاف بينه وبين صلاح جديد وعدد كبير من الضباط البعثيين، وقبل الحديث عن تفاصيل هذه الأزمة لا بد من الإشارة الى حدثين هامين على المستوى الدولي والعربي:

ففي تاريخ 1964/10/15 أعلن في موسكو نبأ استقالة نيكيتا خروشوف من منصبه كأمين عام أول للحزب الشيوعي السوفييتي ومن رئاسة مجلس الوزراء وحلول ليونيد بريجنيف مكانه كأمين عام للحزب الشيوعي وألكسي كوسيغين رئيساً

للوزارة، أما الحدث الثاني على المستوى العربي فهو خلع الملك سعود ومبايعة الأمير فيصل ملكاً على السعودية.



انفجرت الأزمة بين أمين الحافظ وصلاح جديد اثر حضور الحافظ مؤتمر عدم الانحياز في القاهرة على رأس وفد ضم في أعضائه محمد عمران ومنصور الأطرش وحسان مريود (وهؤلاء الثلاثة من أنصار صلاح البيطار وسياسته في الوزارة السابقة)، فقد عقد جمال عبد الناصر على هامش المؤتمر ثلاثة اجتماعات مع أمين الحافظ وأعضاء الوفد السوري بحضور رئيس الجمهورية العراقية عبد السلام عارف، وتم الاتفاق في هذه الاجتماعات على المصالحة بين سورية ومصر والعراق وعلى توقف الحملات الاعلامية المتبادلة بينها بعد أن تعرض عبد الناصر إلى الوضع في العراق ووصفه بأنه مهدد بخطر التيار الرجعي بالإضافة إلى الخطر الكردي والتركي وهي أخطار تهدد سورية ايضاً.

وقبل أن يغادر الحافظ القاهرة بوداع حافل من جمال عبد الناصر، كان الرئيس عارف قد أبرق الى بغداد بوجوب توقف الحملات الاعلامية على حكم البعث في سورية، ولكن تصرف أمين الحافظ وقبوله بالصلح مع عبد السلام عارف واجه اعتراضاً شديداً من قبل صلاح جديد وجماعته ومن معظم الضباط النافذين في الجيش واعتبروا أن هذه المصالحة تعني التخلي عن البعثيين المضطهدين في العراق، وفي هذا ما فيه من خيانة للبعث، وتمكين لناصر وعارف من ضرب نظام البعث في سورية، فصدرت الأوامر باستئناف الحملات الاعلامية على العراق ومصر.

وتجاه هذا الموقف الذي وجد فيه نفسه الفريق أمين الحافظ فكر بالسفر الى فرنسا بحجة إجراء عملية جراحية، بينما استمرت الحملات الإعلامية ضد الحكم في العراق، وقامت المسيرات تطلق الهتافات المعادية لعبد السلام عارف في المدن السورية خلال أسبوع سمي أسبوع نصره العراق، وقد اشترك قادة البعث في هذه المسيرات بينما أشاع الاعلام السوري أن



صدام حسين عضو اللجنة المركزية لحزب البعث في العراق قد مات في سجون عبد السلام عارف في بغداد.

وبالوقت الذي كانت فيه الصحف السورية تتجاهل تجاهلاً تاماً أخبار الأزمة والخلاف بين أطراف الحكم الذي لم يكن خافياً على أحد، حاولت جريدة الحياة<sup>(1)</sup> التي كانت أكثر الصحف اللبنانية اهتماماً بالأحداث السورية أن تحلل أسباب هذا الخلاف وأن تكشف عن أطرافه، وذلك في المقال المنشور بتاريخ 64/12/9 تحت العناوين التالية:

استقالة اللواء عمران من الجيش احتجاجاً على ترفيع حافظ أسد الى رتبة لواء.

سيطرة صلاح جديد ورفاقه على اللواء سبعين، بينما بلغ النزاع بين العسكريين والبعث المدني أشده. وفي ما يلي معظم هذا المقال:

"منذ أن عاد الرئيس الحافظ من القاهرة ثم سافر الى باريس في تشرين أول الماضي والوضع الداخلي في سورية يجتاز أزمة صعبة، ولكن الحاكمين تعمدوا إبقاء النزاع في طي الخفاء، هذا النزاع يدور على محاور مختلفة لا بد من التنويه بها حتى يدرك القارئ معنى الحوادث التي وقعت في الأيام الأخيرة:

1- هناك أولاً نزاع شديد بين الضباط والمدنيين في حزب البعث، ومعلوم أن جميع الضباط الحاكمين، أو الكامنين وراء الحكم ينتمون الى البعث، ولكنهم تعالوا على المدنيين البعثيين واستأثروا عملياً بالسلطة من وراء الواجهة الحزبية وقد شاع ان الغاية الحقيقية من عودة السيد ميشيل عفلق<sup>(2)</sup> (من ألمانيا الغربية في تشرين ثاني) هي للعمل على تعبئة

(1) كانت جريدة الحياة أحد الصامدات الهامة التي اعتمدت عليها خلال إقامتي في فرنسا، في تدقيق تواريخ هذه الفترة لأنها كانت الصحيفة الوحيدة المشرقية في مكتبة فرساي الوطنية التي تشكل اعدادها مجموعة كاملة، بالاضافة الى اهتمامها البالغ بالأحداث السورية.

(2) كان من عادة ميشيل عفلق أن يغادر سورية كلما فشل أو تهدد مركزه، وكان لا يعود إليها إلا إذا قدر أن الفرصة قد أصبحت ملائمة لعودة مركزه ونفوذه على الحزب، وقد فعل ذلك بعد نشر رسالته المشهورة الى حسني الزعيم التي حل بها الحزب وانسحب منه فسافر الى الأرجنتين وأقام بها في ضيافة خاله، وهكذا فعل الآن بعد ان أقام فترة قصيرة في ألمانيا الغربية عند شقيقه الذي وطفه في السفارة السورية.

المدنيين من أعضاء الحزب في مواجهة العسكريين (بعد سقوط حكومة صلاح البيطار) ومحاربتهم بالحرم من قبل القيادة القومية إذا استمروا باستئثارهم بالسلطة.

2- هنالك النزاع بين كتل الضباط، وقد تمثل أخيراً بين الكتلة التي يتأسسها رئيس الأركان اللواء صلاح جديد وبين اللواء محمد عمران الذي هو من ابرز الضباط العلويين، ولكن صلاح جديد استطاع بذكائه ودهائه اجتياح معاقل محمد عمران، فسيطر على اللواء سبعين كله، وانضم إليه كبار الضباط النافذين وعلى رأسهم عبد الكريم الجندي أمر سلاح الاشارة، وحافظ الأسد أمر سلاح الطيران، والزعيم أحمد المير قائد اللواء سبعين، ولما فقد عمران سيطرته على القاعدة العسكرية فقد قوته الفعلية.

3- هنالك نزاع بين كتلة الضباط المعادية لأي تفاهم مع الناصرية<sup>(3)</sup> وكتلة الضباط الراغبة في مصالحتها، وحين عاد الحافظ من القاهرة حاملاً الدعوة الى تفاهم ما مع عبد الناصر وأيده محمد عمران في ذلك، انضم اكثر الضباط الى كتلة صلاح جديد فرجحت كفته نهائياً فاضطر الحافظ للسفر مؤقتاً الى أوروبا، وفي غيابه أبعد جديد الضباط المناصرين له من المناصب الحساسة.

4- أثناء الاسبوعين الأخيرين بعد عودة الحافظ سيطر جديد على جهاز الحكم وأصبح الحافظ رئيساً شكلياً وترددت شائعات (موعز بتريدها من صلاح جديد) تزعم ان في نية صلاح جديد تعيين نور الدين الأتاسي رئيساً للدولة محل أمين الحافظ.

5- في الاسبوع الماضي استصدر صلاح جديد قراراً برفع رتبة المقدم حافظ أسد الى رتبة لواء فاعتبر عمران هذا التدبير رشوة لحافظ أسد لاكتساب سلاح الطيران.

6- على اثر ذلك قدم محمد عمران استقالته من الجيش ومن منصب نائب رئيس مجلس الرئاسة، ورفع الى مجلس الرئاسة والقيادة القومية مذكرة تقع في عشرين صفحة يشرح فيها وجهة نظره في الوضع العام

(3) كانوا الأكثرية الساحقة في الجيش.

في سورية، وينتقد اسلوب الحكم ويعترض على الترفيعات التي جرت في الجيش.

7- قبلت قيادة الجيش استقالة عمران فوراً، والسفر في قبولها أن قبول الاستقالة من الجيش عائد للواء صلاح جديد، أما استقالة عمران من مجلس الرئاسة فقد جمدت لأنها من صلاحية القيادة القومية للحزب، وقد دعيت القيادة القومية لحزب البعث والقيادة القطرية الى عقد مؤتمر للنظر في هذه الأزمة والبت بالموضوع وبالفعل فقد وصل البدمشق عدد من القيادات البعثية وبعضهم من لبنان.

8- يعتبر المطلعون ان اجتماع الحزب بقيادته القومية والقطرية مظهرة دبرها الأعضاء المدنيون (ميشيل عفلق) في وجه كتلة صلاح جديد العسكرية التي استتب لها الأمر في الجيش .

9- ينتظر أن تعلن قيادة الجيش وهي الآن في يد جديد وأنصاره عن ترفيعات جديدة بين عدد من الضباط في قيادة الجيش لإغراق القيادة القومية والفريق أمين الحافظ وأنصارهم.

10- يتوقعون تعيين اللواء حافظ أسد محل عمران في منصب نائب رئيس مجلس الرئاسة وهكذا انتصر صلاح جديد، بعد أن سيطر على القوة الرئيسية في الجيش، على القيادة القومية والحزب المدني مما اضطرهما الى التسليم بانتصار العسكريين بزعامة صلاح جديد، فقبلت استقالة عمران من مجلس الرئاسة ايضاً وعين سفيراً لسورية في اسبانيا بتاريخ 64/12/13 ، وقد قرر اللواء جديد نقل الضباط المواليين لعمران من مختلف فروع القيادة وايفاد بعضهم في بعثة عسكرية الى موسكو.

وقد علقت جريدة الحياة بتاريخ 64/12/15 على هذه التطورات بقولها:

"يمكن اعتبار هذه النهاية فوزاً ساحقاً للكتلة العسكرية التي يترأسها رئيس الأركان صلاح جديد، وتكريساً لانتصارها على الجناح المدني في حزب البعث، والمعروف أن عمران طالب في مذكرته التي قدمها للقيادة القومية تطبيق الدستور بصورة تعطي للجناح المدني الرجحان في القيادة، ويؤكد المطلعون ان الرئيس الحافظ وافق على جميع هذه التدابير، وانه متفق مع

اللواء صلاح جديد على تنفيذها، ويشاع ان تعيين اللواء حافظ الأسد أصبح وارداً مكان عمران في مجلس الرئاسة".



بعد عودته من ألمانيا، دعا ميشيل عفلق القيادة القومية الى اجتماع استثنائي كان الغرض منه أن يستعيد -كأمين عام- سلطته على الحزب، وأن ينقذ عمران من السقوط، وأن يحد من ايغال العسكر في السيطرة على الحزب والحكم، وأن يدين القيادة القطرية التي يسيطر عليها الضباط بتجاوز صلاحياتها وبعدم التعاون مع القيادة القومية، ولكن المقررات التي صدرت عن هذا الاجتماع بقيت حبراً على ورق، فكان نفي عمران وسيطرة صلاح جديد على الحزب والجيش إذلالاً لعفلق واضعافاً لنفوذه في الحزب.

وفيما يلي نص هذه المقررات التي اقترح منطلقاتها الدكتور منيف الرزاز، وذلك بلا شك، بإيعاز من ميشيل عفلق، وكان أهم ما ورد فيها استبدال اللجنة العسكرية بمكتب عسكري تابع للقيادة القطرية، وهي اللجنة التي تشكلت في القاهرة، كما ذكرنا سابقاً، وظل أمرها مكتوماً عن الحزب الى أن أفشى عمران سرها الى القيادة القومية، كذلك تقرر ألا يتجاوز تمثيل العسكريين في المؤتمرات القطرية نسبة 10% وأن يكونوا مجرد مراقبين.

وقد نشرت جريدة الحياة هذه المقررات بتاريخ 1965/1/23 تحت عنوان المقررات السرية التي اتخذتها القيادة القومية لحزب البعث، مع ملاحظة أن النص كما نشر لم يذكر أن القرار (15) القاضي بإنشاء جهاز للمخابرات العامة قد جرى عليه التصويت بالإضافة الى القرارات 14، 13، 12، 5 التي لم يجر عليها التصويت أيضاً.

الرقم: 15.

التاريخ: كانون الأول 1964.

عقدت القيادة القومية دورة استثنائية ابتدأت بتاريخ 4 كانون الأول 1964 وانتهت بتاريخ 14 كانون الأول 1964 واتخذت القرارات التالية:

القرار الأول - تثبيت الحلول التي تقدم بها الرفيق منيف الرزاز كمنطلقات اساسية لا جدال فيها. وتتلخص هذه المنطلقات بما يلي:

1- ان الحزب هو الاساس، والحزب كما يتمثل في مؤتمراته وقياداته، هو المنطلق والمصدر، لا يحل محله فرد ولا كتلة، ولا الدولة نفسها، ولا اي جهاز من اجهزتها. والحزب كتلة واحدة تسمح باختلاف الرأي ولا تسمح بالتطاحن والتخريب. ليس في الحزب مدنيون وعسكريون وانما في الحزب حزبيون عقائديون ملتزمون.

2- الحزب فيه جهاز حزبي يتمثل في قياداته ومكاتبه المختلفة، وفيه دولة تحكم باسمه. ويتبع الدولة جيش عقائدي ملتزم. ولكل من هذه الأقسام الثلاثة عمله التنفيذي وميدانه الخاص به. وان كان الحزب يجمع بينها جميعا. فالجهاز الحزبي ميدان عمله الشعب، والتنظيم الشعبي خارج نطاق الحكومة. وهو بذلك يجب ان يشرف على النشاط الجماهيري تنظيماً وتوعية. وان يكون اشرافه على ادوات التعبير عنه، ولا سيما في الصحافة اشرافاً كاملاً مستقلاً عن اجهزة الدولة. وان يكون عمله التنظيمي طوعياً مستقلاً كذلك عن اشراف الدولة، بل وعن استعمال وسائلها ما أمكن.

وأما الحكم، فإن له رسالته في اقامة حكم شعبي ديمقراطي تقدمي قومي، يهدف الى تحقيق الوحدة والحرية والاشتراكية، بتأييد من القوى العاملة في الشعب، ومستنداً اليها، وفي ظل قيادة حزب البعث، واستصدار القوانين والأنظمة التي تهيء السبيل لذلك كله.

وأما الجيش فان عليه حماية البلاد من العدوان الخارجي، وحماية الثورة من أعداء الثورة، والاستمرار في تغذية الجيش العقائدي بالروح العقائدية.

وهذه الميادين الثلاثة لعمل الحزب، يجمع بينها وينسقها ويوحدها القيادات العليا للحزب، ولا سيما قياداته القومية وقياداته القطرية. ولا يجوز ان تتعدى السلطات حدودها الطبيعية، فالجهاز الحزبي ليس من عمله اليومي



الحزب ان يفتح ابواب الحوار في كل المشااكل التي تصادفه على مصراعها، ما دامت ضمن عقيدة الحزب وخطه الأساسي، فبغير الحوار لا ينمو فكر، والحوار يستدعي اختلافاً في الرأي،  
واختلاف الرأي يجب ان يشجع. ولكن على ان لا يتحول الى عناد في الرأي ولا الى تكتلات فردية، والحوار يكون في الرأي، أما التكتل فيكون في الأشخاص وبينما الحوار عامل بناء، فالتكتل عامل هدم (قرار بالاجماع).

القرار الثاني - تقرر القيادة القومية مبدأ الفصل الكلي بين الجيش والعمل السياسي على جميع المستويات، كما تقرر تثبيت مبدأ وحدة التنظيم الحزبي بشقيه المدني والعسكري (فاز هذا القرار بالاجماع 11 على 11).

ثالثاً - قررت القيادة القومية استبدال اللجنة العسكرية بمكتب عسكري تابع للقيادة القطرية، كأى مكتب من مكاتبها (اكثريه 10 على 11).

رابعاً - قررت القيادة القومية الأخذ بمبدأ تعيين موجهين سياسيين في الجيش، وهم مرتبطون تنظيمياً بالمكتب العسكري ويتلقون التوجيه من القيادة القطرية (فاز الاقتراح بالأكثريه 10 على 11).

خامساً - تقرر ان يمثل الرفاق العسكريون في المؤتمر القطري كأعضاء مراقبين بنسبة 10 بالمئة ويستثنى قائد الجيش ووزير الدفاع اذا كان حزبياً، حيث يعتبران عضوين طبيعيين في المؤتمر.

سادساً - قررت القيادة القومية ان يكون الاتصال بين القيادة القطرية والفروع العسكرية بطريق المكتب العسكري (فاز الاقتراح بالأكثريه 10 على 11).

سابعاً - قررت القيادة القومية ان يخير الرفاق العسكريون بين بقائهم في الجيش، وبين ممارستهم المهام السياسية في الحكم او قيادات الحزب. ويتم تنفيذ هذا القرار بشكل سريع اي خلال شهر واحد (فاز الاقتراح بالأكثريه 10 على 11).

ثامناً - لا يجوز الجمع بين اكثر من منصبين في المؤسسات الحزبية والرسمية التالية: عضوية القيادة القومية، عضوية القيادة القطرية، عضوية مجلس الرئاسة، عضوية الوزارة، قيادة الجيش (فاز بالاجماع 9 على 9).

تاسعاً - تقرر انه لا يجب ان يكون اكثر من ربع اعضاء القيادة القطرية مشتركين في مهام الحكم (فاز بالاجماع 9 على 9).

عاشرأ - تقرر الاستمرار بتطبيق الدستور المؤقت وتشكيل لجنة لوضع دستور دائم في مهلة لا تتعدى آخر كانون لثاني 1965 (فاز بالأكثرية 7 على 9).

حادي عشر- تقرر توكيد مبدأ فصل السلطات التنفيذية والتشريعية (فاز بالاجماع).

ثاني عشر - تقرر عدم الجمع بين رئاسة المجالس المختلفة (مجلس الرئاسة، المجلس الوطني، رئاسة مجلس الوزراء) .

ثالث عشر - تقرر السماح للرفيق امين الحافظ فقط ان يجمع بين قيادة الجيش ومنصب سياسي آخر.

رابع عشر - توصية بالاسرع بتوسيع المجلس الوطني على ان يمثل العمال فيه عن طريق الانتخاب.

خامس عشر - تقرر الاسراع بانشاء جهاز للمخابرات العامة ليعود كل جهاز امن (المخابرات والشعبة السياسية) لدوره الطبيعي.

سادس عشر - في قضية الرفيق عمران، اتخذت القيادة القومية القرار الآتي: لما كانت القيادة القطرية استناداً الى النظام الداخلي لا تملك حق نزع الصفة القيادية عن عضو من اعضائها، او بالأحرى منعه من مزاولة صلاحياته المخولة اليه بهذه الصفة. ولما كان قرار القيادة القطرية بابعاد الرفيق عمران ماساً بصفته القيادية فضلاً عن أن عقوبة الإبعاد غير موجودة في النظام الداخلي، فإن القيادة القومية هي السلطة الوحيدة المخولة حق نزع الصفة اقيادية عن العضو القائد بأكثرية ثلثي الأصوات. وانه لا يجوز اتخاذ عقوبة الا بعد تحقق يدين العضو المتهم. لذلك،

1- تعتبر القيادة القومية قرار القيادة القطرية كأنه لم يكن.

2- تشكل القيادة القومية لجنة تحقق في الاتهام الموجه الى الرفيق عمران.



3- تقرر القيادة القومية اداة القيادة القطرية بتجاوزها صلاحياتها كما تدين اسلوبها في فرض عقوبة ليست من صلاحياتها وغير مألوفة في الحزب (اقر الاقتراح بأكثرية ساحقة).

سابع عشر - اصدار نشرة داخلية عن قضية ابعاد الرفيق عمران (اجماع).

ثامن عشر - تقرر اصدار بيان للشعب توضح فيه نتيجة الدورة الاستثنائية للقيادة القومية والخطوات الجديدة التي ستطبقها في المرحلة القادمة (اجماع).

تاسع عشر - قررت القيادة القومية تجميد نشاط القيادة القطرية القيادي وتكليف لجنة قومية لقيادة الحزب في القطر السوري تحت اشراف القيادة القومية حتى المؤتمر القطري المقبل (بأكثرية 8 على 9).

عشرون - قررت القيادة القومية ان تقوم بزيارة جميع الفروع العسكرية والمدنية بعد ان تنجز دورتها الاستثنائية (فاز بالأكثرية).

القيادة القومية.

**لقد كان سقوط عمران وفشل ميشيل علق نتيجة للتطرف اليساري والماركسي الذي بدأ ينتشر بسرعة في أوساط المدنيين والعسكريين على السواء، بدلاً من المقولات المهترئة للقيادة القومية التي فشلت فشلاً ذريعاً في أوساط الحزب، حتى ان حافظ اسد تلميذ وهيب الغانم أحد مريدي الاستاذ زكي الأرسوي خصم الشيوعية والماركسية ذي النزعة القومية على الطريقة النازية، قد انتسب الى الخلية الماركسية التي كان يترأسها حمود الشوفي، والتي انضم إليها علي صالح السعدي والعديد من القيادات الحزبية في سورية ولبنان والعراق، ولا شك ان التنظيرات الماركسية التي غمرت المكتبات السورية، وكذلك التنظيرات الماركسية لياسين الحافظ قد كان لها دورها في طغيان التيار اليساري الماركسي على حزب البعث الذي سيطر على مؤتمر القيادة القطرية في ايلول 1963 عندما انتخب حمود الشوفي أميناً قطرياً والضابط**

**حافظ الأسد عضواً في هذه القيادة التي انضوت فيما بعد تحت لواء صلاح جديد.**

**كان حافظ أسد أصغر رتبة عسكرية من صلاح جديد ومحمد عمران في اللجنة العسكرية التي تشكلت في القاهرة، وبعد الثامن من آذار، عندما رفع عمران وجديد الى رتبة لواء كان حافظ الأسد ينتقل بين الاثنيين منتظراً فرصته الملائمة التي سنحت له عندما انضم الى كتلة صلاح جديد الذي رفعه الى رتبة لواء وعينه أمراً لسلاح الجو السوري.**

"ثم أدى سقوط عمران الى مزيد من الفائدة لأسرة الأسد، فحين جابهت اللجنة العسكرية قبل ذلك ببضعة شهور تمرداً داخلياً، شكلت قوة ضاربة صغيرة لحماية جناحها في الحزب كانت مؤلفة بكاملها من عناصرها المخلصين، وكان يقودها في الأصل محمد عمران، ولكن بعد نفيه انتقلت إمرتها الى شقيق الأسد الأصغر رفعت، وكانت هذه هي نواة ما تطور فيما بعد ليصبح الحرس الحامي لرئاسة الأسد، أو سرايا الدفاع ذات الشهرة، أو كما يقول بعضهم ذات السمعة السيئة" (كتاب باتريك سيل عن حافظ الأسد ص160 - لندن - دار الساقى).

### **تأميم المعامل والشركات في سورية**

بعد استقالة البيطار وتشكيل الحافظ وزارته الجديدة، وسيطرة صلاح جديد وجماعته على الجيش والحزب، كان التيار اليساري والماركسي والمزادوات اللامسؤولة قد عمت الأوساط الحزبية من مدنية وعسكرية بصورة أصبح معها الشعب السوري يسمع يومياً من إذاعته بعض التعابير الغريبة على القاموس السياسي السوري مثل الفرز العلمي بين الطبقات والتصفية الجسدية، وبتاريخ 1965/1/2 صدرت أربعة مراسيم اشتراعية تقضي بتأميم معظم الشركات المساهمة السورية وعشرات المؤسسات الصناعية والزراعية.

وقبل استعراض هذه المراسيم لا بد من الإشارة الى أن انتصار صلاح جديد الذي أحرزه بإصدار هذه المراسيم قد هيا له

الخطوات الأولى لنجاح الانقلاب الذي قام به ضد أمين الحافظ والقيادة القومية بتاريخ 66/2/23، مع أن الحافظ قد أظهر استعداده لتنفيذ التأميم بالقوة في مواجهة أي معارضة، كما هباً نفي عمران وترفيح حافظ أسد الى رتبة لواء وتعيينه أمراً لسلاح الطيران الخطوة الأولى للانقلاب الذي قام به ضد صلاح جديد في أواخر عام 1970 والذي سماه الثورة التصحيحية.

لقد أدى المرسوم الأول الى تأميم احدى وعشرين شركة تأميماً تاماً، بينما أمم المرسوم الثاني تسعين بالمائة من ملكية اربع وعشرين شركة، وأمم الثالث خمساً وسبعين بالمائة من ملكية احدى وستين شركة، على أن يطبق التسيير الذاتي في هذه الشركات وتتحول أسهمها سندات على الدولة لمدة خمس عشرة سنة بفائدة 3% وتكون قابلة للتداول بقيمتها الاسمية، ويقضي المرسوم الثالث بدفع القيمة الاسمية للمعسرين الذين كانوا يعيشون على ريع ما يملكون من أسهم، أما الرابع فيقضي بسجن كل من "يقوم باي وجه من الوجوه على عرقلة التشريعات الاشتراكية" بالأشغال الشاقة المؤبدة وتشديد الحكم عند الاقتضاء حتى الاعدام وتنظر المحكمة العسكرية في هذه القضايا.

وبتاريخ 1965/1/5 صدرت مراسيم أخرى قضت بتأميم ثماني شركات صناعية جديدة، وفرض رجال الأمن الحراسة على جميع الشركات المؤممة، كما شددت الحراسة على الحدود ومنع السفر لمنع تهريب الأموال، ونزلت الدبابات الى شوارع دمشق وحلب.

كان الانتقاد الرئيسي الذي يوجه لبعض الشركات السورية هو أن أصحابها يهربون أموالهم الى خارج سورية بينما ينشئون ويمولون شركاتهم على حساب القروض من المصارف السورية، بالإضافة الى محاولة السيطرة على الحكم بما يتوافق مع مصالحهم، لذلك أصدر حزب البعث بياناً ذكر فيه أرقاماً عن الأموال الخاصة المستثمرة وعن القروض التي حصلت عليها الشركات من المصارف ورد فيه:

الشركات المؤممة تأمياً تاماً وعددها (21) المال المدفوع  
111,692,000

المال المقترض  
51,864,000

عدد العمال 5580

الشركات المؤممة بنسبة 90% المال المدفوع  
46,272,000

المال المقترض وعددها 24 شركة  
14,045,000

عدد العمال 2850

**الشركات المؤممة وعددها 61**  
**المدفوع 22,478,000**

**عدد العمال 3350**

من هذه الأرقام يتبين لنا أن العدد الأكبر من الشركات المؤممة هو شركات صغيرة قائمة فقط على الأموال الخاصة وعلى جهد الانسان السوري وجده ونشاطه، وكثير منها كان مجرد ورشات صغيرة، وقد اعترف الفريق أمين الحافظ فيما بعد، عندما كنا لاجئين في بغداد، ان أسماء الشركات المؤممة قد أخذت من دليل الهاتف.

وبتاريخ 65/1/8 ألقى الحافظ بصفته رئيس مجلس الرئاسة، رئيس مجلس الوزراء، الحاكم العرفي بياناً بتأييد التأميم أعلن فيه ان الثورة "قررت احداث المحكمة العسكرية الاستثنائية لتقوم بإجراءاتها القانونية القائمة في ظل الأحكام العرفية السارية المفعول" وصدر بالتاريخ نفسه المرسوم القاضي بذلك:

مجلس الرئاسة بعد الاطلاع على الدستور المؤقت يرسم ما يلي:

المادة الأولى: تحدث في مدينة دمشق وحيثما تدعو الحاجة من المدن الأخرى، محكمة عسكرية استثنائية تباشر مهامها فور صدور هذا المرسوم

التشريعي ولرئيس هذه المحكمة حق عقد جلساتها في أي مكان يراه مناسباً.

المادة الثانية: تؤلف المحكمة من ضباط عسكريين، رئيس واربعة اعضاء، بقرار يصدر عن رئيس مجلس الرئاسة.

المادة الثالثة: تختص المحكمة العسكرية الاستثنائية بالنظر في الجرائم الآتية:

أ- الأفعال التي تعتبر مخالفة لتطبيق النظام الاشتراكي في الدولة، سواء أوقعت بالفعل ام بالقول ام بالكتابة ام بأية وسيلة من وسائل التعبير والنشر.

ب- الجرائم الواقعة خلافاً لأحكام المراسيم التشريعية رقم واحد وأثنين تاريخ 2-1-1965 ورقم خمسة تاريخ 4-1-65 وجميع المراسيم التشريعية التي صدرت او ستصدر ولها علاقة بالتحويل الاشتراكي.

ج- الجرائم الواقعة على امن الدولة الداخلي والمعاقب عليها بالمواد من 291 الى 311 من قانون العقوبات.

د- مخالفة أوامر الحاكم العرفي.

هـ- مناهضة تحقيق الوحدة بين الأقطار العربية، او مناهضة اي هدف من أهداف الثورة او عرقلتها، سواء أكان ذلك عن طريق القيام بالتظاهرات أم بالتجمعات ام اعمال الشغب ام بالتحريض عليها ام بنشر الأخبار الكاذبة بقصد البلبلة وزعزعة ثقة الجماهير بأهداف الثورة.

و - قبض المال او أي عطاء آخر او الحصول على أي وعد أو أية منفعة اخرى من دولة أجنبية او هيئة او افراد سوريين او غير سوريين او اي اتصال بجهة اجنبية بقصد القيام بأي تصرف قولي او فعلي لأهداف ثورة 8-2-1962 .

ز- الهجوم او الاعتداء علناً لاماكن المخصصة للعبادة او لممارسة الطقوس الدينية او على مراكز القيادة والمؤسسات العسكرية والدور والمؤسسات الحكومية الأخرى، والمؤسسات العامة والخاصة بما فيها المعامل والمصانع والمحلات التجارية ودور السكن، او باثارة النعرات او

الفتن الدينية او الطائفية او العنصرية، وكذلك استغلال هياج الجماهير والمظاهرات للإحراق والنهب والسلب.

ح- احتكار التجار والباعة للمواد الغذائية او رفع اسعارها بصورة فاحشة.

ط- اخراج الأموال النقدية ووسائل الدفع الأخرى من الجمهورية العربية السورية خلافاً للأنظمة النافذة.

المادة الرابعة: أ- يعاقب مرتكبو الأفعال المنصوص عليها في الفقرات "أ" و "ب" من المادة السابقة بالأشغال الشاقة المؤبدة ويجوز الحكم بعقوبة الاعدام تشديداً.

ب- يعاقب مرتكبو الأفعال المنصوص عليها في الفقرتين "ج" و "د" من المادة السابقة بالعقوبات المنصوص عليها في القوانين النافذة.

ج- يعاقب مرتكبو الأفعال المنصوص عليها في الفقرة "هـ" من المادة السابقة بالأشغال الشاقة المؤقتة.

د- يعاقب مرتكبو الأفعال المنصوص عليها في الفقرتين "و" و "ذ" من المادة السابقة بالاعدام.

هـ - يعاقب مرتكبو الأفعال المنصوص عليها في الفقرة "ح" من المادة السابقة بالاعتقال المؤقت.

و- يعاقب مرتكبو الأفعال المنصوص عليها في الفقرة "ط" من المادة السابقة بالاعتقال المؤقت.

المادة الخامسة: يشمل اختصاص المحكمة العسكرية الاستثنائية جميع الأشخاص المتهمين بصرف النظر عن حصاناتهم القانونية.

المادة السادسة: لا تنقيد المحكمة العسكرية الاستثنائية بالأصول المنصوص عليها في التشريعات النافذة وذلك في جميع أدوار اجراءات الملاحقة والتحقيق والمحاكمة.

المادة السابعة: تكون قرارات المحكمة العسكرية الاستثنائية غير قابلة لأي طريق من طرق الطعن، عادية كانت ام غير عادية غير انها لا تكون نافذة إلا بعد تصديقها من قبل رئيس مجلس الرئاسة الذي له حق الغاء الحكم او تخفيفه او حفظ الدعوى. ويكون لحفظها مفعول العفو العام.

المادة الثامنة: الأحكام الصادرة عن المحكمة العسكرية الاستثنائية بصورة غيابية غير قابلة لإعادة المحاكمة في حال القاء القبض على المحكوم عليه الا اذا كان قد سلم نفسه طواعية ففي هذه الحالة تعاد محاكمته من جديد.

المادة التاسعة: ينشر هذا المرسوم التشريعي في الجريدة الرسمية ويعتبر نافذاً من تاريخ صدوره.

ومن الملاحظ أن موضوع تحقيق الوحدة العربية وهو التغطية المستمرة لحكام الثامن من آذار قد أقحم إقحاماً في هذا المرسوم، كما أن الهجوم على المساجد وأماكن العبادة لم يكن وارداً بالنسبة لمقاومي التأميم.



انفجر الوضع في سورية بعد صدور مراسيم التأميم ولا سيما في دمشق التي عمها الاضراب الشامل وحدثت فيها اشتباكات دامية قتل فيها عدد من الضحايا، وصدرت بحق بعض المعتقلين أحكام بالاعدام، ومراسيم تشريعية بمصادرة أملاك اثنين وعشرين تاجراً وتسع وستين مخزناً من مخازن سوق الحميدية الذي أضرب بكامله، وبتاريخ 65/1/27 حطمت قوى الأمن، بحراسة الجيش، أقفال المتاجر المغلقة بالمطارق، وتحت ضغط كسر الأقفال والاعتقال وأحكام الاعدام والمصادرة فتحت دمشق متاجرها وعادت عن إضرابها، بينما بلغ عدد المعتقلين حسب تصريح وزير الداخلية محمد خير بدوي 400 معتقلاً (الحياة 65/1/27).

وقد نظم حزب البعث مظاهرة مؤيدة للتأميم القى فيها "حجاج دمشق" الفريق أمين الحافظ كلمة حمل فيها حملة شعواء على التجار ووصفهم بأنهم متأمرين استغلوا الدين لعرقلة القرارات الاشتراكية كما حمل بشدة على الاخوان المسلمين وسماهم الاخوان الكفرة ثم هدد وتوعد قائلاً:

"سنسحقهم، سنقتلهم باسم الشعب، لقد قتلوا من جنودنا وجرحوا ضباطاً وقتلوا من العمال، وسنعمل السيوف قريباً في رقابهم" ثم لجأ الى لغة الأحذية التي استعملها عبد الناصر سابقاً في سورية فقال مخاطباً المتظاهرين: "ستسحقون هؤلاء المتأمرين بأحذيتكم" وفيما يتعلق بتهريب الأموال:

"إن الأموال التي هربها رجال الأعمال الى الخارج ستعود، أو يبقون في السجون حتى يموتوا كلاباً".

كما حمل عل المحامين لاشتراكهم بالاضراب وقال: "انهم سينالون عقاباً عادلاً حتى يتعلموا كيف يكون الحق وكيف يكون الوقوف الى جانب الحق". كما حمل على الموظفين ولا سيما الاخوان المسلمين منهم فوعد بتطهير جهاز الدولة منهم، ولم ينس السياسة القدماء الذين وصفهم بأنهم "العملاء حقاً، الذئاب حقاً".



بعد هذه الأحداث، بدأت السلطات فوراً بمراجعة ما قامت به من تأميم عشوائي فأعلن محافظ حلب طالب ضماد عن إعادة ست عشرة شركة ومؤسسة شملها التأميم إلى أصحابها، وقال ان هذه الإعادة جاءت بعد الدراسة التي قامت بها اللجنة الوزارية مع اللجان الفرعية المؤلفة في مدينة حلب، وكانت هذه اللجنة قد اقترحت أيضاً إعادة ثلاثين شركة ومؤسسة إلى أصحابها.

لقد رفض الاشتراكيون العرب في أواخر عهد الوحدة التأميمات التي قام بها عبدالناصر بسبب ان الشركات السورية هي شركات وطنية ومعظمها شركات مساهمة، بالإضافة إلى ان سورية بلد ناشيء في مجال الصناعة وان على الدولة تشجيعه وتوسيعه، أما الانتقادات التي توجه الى بعض الشركات فيمكن تلافيتها في وضع ديموقراطي مستقر.

لذلك أيضاً رفضت تأييد التأميمات العشوائية التي حدثت بعد الثامن من أذار، عندما حاول عفيف البزرة الاتصال بي بغرض اقناعي بتأييدها، ولا شك ان ذلك كان بدفع من الاتحاد السوفيتي والحزب الشيوعي السوري ولا سيما بعد أن دخل لأول مرة في تاريخ سورية وزير شيوعي في وزارة أمين الحافظ هو سميح فاخوري وزير المواصلات.

وعن الغرض من إصدار مراسيم تأميم الشركات تحدث حافظ اسد مع باتريك سيل قائلاً: "لقد كنا مصممين على انهاء استغلال



حفنة من العوائل لأن ذلك هو الشرط الأول لبناء نظام جديد أكثر مساواة في سورية" (صفحة 161 كتاب الأسد - دار الساقى).

إن ما حدث من تأميمات في سورية لم يكن له علاقة بحفنة من العوائل، فحكم الثامن من آذار بطبيعة تكوينه الطائفي العسكري هو حكم معاد بطبيعته للبرجوازية السورية المتمركزة في المدن والتي تشكل الطبقة الوسطى في السلم الاجتماعي، وقد كانت هذه الطبقة متفردة باتساعها في سورية بالنسبة للمجتمعات العربية الأخرى.

لقد أدت البرجوازية السورية بنشاطها الاقتصادي والتجاري والصناعي والاجتماعي والوطني والعربي خدمة للقضية السورية والعربية لا تقدر بثمن، فهي التي قادت النضال الوطني في مواجهة الانتداب الفرنسي، وكان لها الفضل في تحقيق الاستقلال ولاء الجيوش الأجنبية عن سورية.

وقد ذكر لي أحمد عبد الكريم أثناء تأميم الشركات خلال شهر كانون ثاني 1965 انه سمع من إذاعة اسرائيل خطاباً لغولدا مائير القته في مستعمرة عين غيف القريبة من الحدود السورية، حملت فيه بشدة على البرجوازية السورية المعادية بطبيعتها لاسرائيل، بسبب تطلعاتها الوجودية نحو جيرانها العرب.

إن سياسة حزب البعث تحطيم البرجوازية السورية قد سددت طعنة نجلاء للنهضة السورية على مختلف المستويات وأساءت لاقتصادها بصورة خاصة إساءة بالغة، فقد استبدلت هذه الطبقة الذكية النشيطة في الميدان الاقتصادي والصناعي والوطني بطبقة طفيلية لا هم لها إلا جمع الملايين عن طريق استغلال السلطة بواسطة النافذين في الحزب والجيش.

ميشيل عفلق يدعو للتحالف مع الحزب الشيوعي والاتحاد السوفيتي

بعد طغيان التيار اليساري والماركسي على الأوضاع في سورية، انقلب ميشيل عفلق من منظر للقومية العربية إلى منظر للاشتراكية الماركسية فدعا "إلى تحالف أوثق وتلاق أمتن بين القوى اليسارية التقدمية في الوطن العربي، وبين هذه القوى والقوى الاشتراكية في العالم أجمع" "وان القرارات الاشتراكية الحاسمة التي اتخذها الحزب والحكم في سورية أوجدت مناخاً طبيعياً لتعاون التجارب الاشتراكية الأصلية في القطر السوري وفي المتحدة وفي دول العالم الاشتراكي" "لقد كان حزب البعث في حالة صراع جانبي مع إحدى الحركات اليسارية (يقصد الحزب الشيوعي) ولكن أصبح الآن واضحاً أن الرجعية وجميع أعداء الاشتراكية في معسكر والاشتراكيين الحقيقيين في معسكر آخر" (جريدة البعث 1/13م1965).

لم يكن ما كتبه ميشيل عفلق -المخالف لقناعته- عن التأميم والتدابير الاشتراكية والحزب الشيوعي والمعسكر الاشتراكي هو الأول من نوعه، بل كان آخر هذه المواقف عندما أعلن اسلامه لصدام حسين رئيس الجمهورية العراقية وأوصاه أن يشهر هذا الاسلام بعد وفاته. لقد طلب مني وفد من أعضاء حزب البعث القدامى وبعضهم من المسيحيين ان أرسل برقية بمناسبة الحفل الأربعيني لوفاة ميشيل عفلق الذي اقيم له في بغداد عام 1990 فاعتذرت عن تلبية رغبتهم، وقد كنت أرى ان مصلحة القضية العربية أن يكون ميشيل عفلق المسيحي أميناً عاماً لحزب البعث العربي الاشتراكي ليعطي الحزب المثل الفعلي بأنه حزب عربي تقدمي غير طائفي ولا عنصري".

**1965 : شبكة التجسس الأميركية - قضية  
الجاسوس الاسرائيل كوهين - لقطات من محاكمة  
كوهين - تساؤلات كثيرة تطرحها النشرة الداخلية  
السرية للاشتراكيين العرب - قصيدة الشاعر  
سليمان العيسى في الجاسوس كوهين.**

إن أهم ما شغل الرأي العام السوري أوائل عام 1965 قضية شبكة التجسس الأميركية وقضية الجاسوس كوهين، وكانت المحكمة العسكرية قد أصدرت قبل ذلك بعام (1964/3/30) حكماً بالاعدام على أحد عشر متهماً بالتجسس لحساب اسرائيل وعلى اربعة آخرين بمدد تتراوح بين المؤبد والسنتين.

لقد أصدرت المحكمة نفسها بتاريخ 1965/2/20 حكماً بالاعدام على الجاسوسين فرحان الأتاسي ومعين الحاکمي الضابط في الجيش السوري، كما نص الحكم على مصادرة الأموال النقدية المدفوعة إلى كل منهما مع مصادرة سيارة البيجو التي اشتراها الحاکمي من أموال التجسس، وكان الحاکمي قد اعترف بأن فرحان الأتاسي اتصل به في شهر آب 1963، وبدأ العمل بجمع المعلومات عن الأسلحة الروسية التي وصلت الى الجيش السوري، كما أفاد بأن فرحان الأتاسي قد أوفد الى الولايات المتحدة لتدريبه على التجسس حيث تعرف على المدعو هاري كنت<sup>(1)</sup>، وهو من رجال المخابرات الأميركية وشاهد بعض الأفلام التي تستخدم للتجسس، وكان على اتصال بالسكرتير الثاني في السفارة الاميركية في دمشق والتر سنودن الذي طلبت الحكومة السورية إخراجه من سورية بعد اكتشاف هذه القضية<sup>(2)</sup>. بينما نفذ حكم الاعدام بالجاسوسين.

(1) أميركي من أصل فلسطيني اقام في سورية باسم هنري كتن أواخر الأربعينات كوكيل لأعمال شركة التابلاين، ثم أصبح مكتب المحامي طافر القاسمي وكيلاً لهذه الشركة فيما بعد.

(2) لمزيد من التفاصيل عن هذه القضية تراجع الكتاب الذي أصدرته وزارة الاعلام السورية عام 1965 رقم 21 تحت اسم: الجاسوسية الأميركية أمام القضاء السوري.

لقد علقنا احدى النشرات الداخلية للاشتراكيين العرب الصادرة في تلك الفترة على اكتشاف شبكة التجسس الأميركية ومحاكمة الأتاسي والحاكمي، تحت عنوان أخبار وتعليقات بما يلي:

اعترف الجاسوس فرحان الاتاسي انه كان يتقاضى راتباً شهرياً قدره /600/ ل.س من نادر الاتاسي عدا عن اجرة السكن وان نادر الاتاسي كان ينظم عقوداً تجارية صورية باسم فرحان الاتاسي، وان هذا الأخير كان يعمل مع قريبه المحامي موفق اتاسي على حل قضايا الشركات الاجنبية المدرجة في القائمة السوداء - لدى مكتب مقاطعة اسرائيل. والذي لغت انتباه الناس ان الوقائع لم تشر الى استدعاء (المليونير) نادر الاتاسي او موفق الاتاسي فلماذا؟ ومما تجدر الاشارة اليه ان ميشيل علق كان قد عقد المؤتمر الخامس للقيادة القومية في دار فرحان الاتاسي بالذات بينما (تبرع) المليونير نادر الاتاسي بمنزله لنوم القادة المؤتمرين واطعامهم، وفي هذا المؤتمر تمت مؤامرة تمزيق الحزب وطرده قادة الاشتراكيين الأحرار وعلى رأسهم اكرم الحوراني. ان المحاكمة قفرت فوق هذه الفضائح والشعب يطالب الشرفاء في الحكم كشف ما طمس بفتح تحقيق جديد.



أما القضية الثانية التي هزت المجتمع السوري والتي أثارت، ولا تزال، كثيراً من الأسئلة التي لم تجد لها جواباً حتى الآن فكانت قضية الجاسوس كوهين الذي جرت محاكمته علنياً من قبل المحكمة العسكرية التي كانت برئاسة المقدم صلاح الضلي وعضوية النقيبين في الجيش محمود الحمرا وخالد أرسلان والرائدین سليم حاطوم ومحمد رباح الطويل، وكان القبض على كوهين قد تم في منزله الواقع في آخر حي أبو رمانة والمواجه لقصر الضيافة حيث كان يقيم رئيس مجلس الرئاسة أمين الحافظ، وقد روى لي الدكتور مدحت البيطار انه سمع من منصور الأطرش قوله: "لقد لغت نظرنا ان بعض المداولات السرية لقيادات البعث كانت تُداع من اسرائيل".

ولا شك ان هذا ما نبه العناصر الوطنية في جهاز المخابرات السورية الى التحري عن موجات الإرسال، مما أدى الى اكتشاف الموجات التي كان كوهين يبثها من منزله، والتي كان يأمل ألا تكتشف بسبب وجود المنزل في منطقة للسفارات حيث تكثر موجات الإرسال.

لقد تبين من إجابات الجاسوس كوهين أمام تلك المحكمة أنه مصري الجنسية ومن مواليد الاسكندرية، وقد اختارته الموساد بعد هجرته لاسرائيل اثر حرب 1956 للقيام بمهمته التجسسية في سورية بعد أن أخضعتة لدورات تدريبية عديدة، وبعد انتهاء تدريبه سافر الى الأرجنتين بجواز سفر صادر عن الجمهورية العربية المتحدة باسم كامل أمين ثابت، وهناك اتخذ صفة مهاجر غني وصاحب أعمال متحمس لخدمة القضية العربية، وتعرف على كثير من المهاجرين العرب.

وفي الرسالة التي أرسلها من الأرجنتين عبد اللطيف الخشن صاحب جريدة العالم العربي الى المحكمة ليبرئ ابنه كمال الخشن الذي أحيل الى المحكمة في قضية كوهين يقول الخشن انه تعرف على كوهين عندما زاره في أيار 1961 (قبل الانفصال بأربعة أشهر تقريباً) للإشتراك بجريدته، ثم أصبح يلحظه في بعض الحفلات الاجتماعية ولا سيما في نادي الشباب العربي، كما كان يرتاد النوادي العربية الأخرى ويحضر حفلات بعض السفارات العربية أمنياً مطمئناً ويجتمع بالكثيرين، ثم ينهي الخشن رسالته بهذه الجملة:

وبعد الانفصال وصل إلينا سعادة القابض على زمام الحكم في سورية اليوم الفريق محمد أمين الحافظ رئيس مجلس الوزراء ليتولى منصب الملحق العسكري، وقد أرسلت لسيادته الآن رسالة مسهبة تتعلق بموضوع هذا الجاسوس، وأرجو ألا يظن علي بالجواب مهما بعدت المسافات والقياسات واختلفت الرتب والمناصب والألقاب فأنا صحفي عربي، لم أعهد نفسي انني كتبت لملك عربي، أو لرئيس جمهورية، أو لحاكم في قضية تتعلق ببلادي رسالة إلا تسلمت جواباً عليها. (الحياة 1965/3/3).

كما كشفت محاكمة كوهين اتصاله بالمدعو ماجد شيخ الأرض - بتوصية من الموساد - ليتولى اصطحابه الى دمشق والعمل على عدم تفتيشه عند الحدود السورية اللبنانية، كما تولى شيخ الأرض تعريف كوهين، بصفته من اغنياء الجالية العربية في الأرجنتين، بالأسر الدمشقية وبالشخصيات السورية السياسية والوطنية فأقام عدداً من المآدب لهذا الغرض كانت إحداها في غوطة دمشق حيث حضرها حيدر مردم وفخري البارودي وجلال السيد وأخوه سعيد وبدر الداغستاني ولاجئون بعثيون عراقيون في سورية.

كما كشفت المحاكمة عن أسماء من كانوا يمدون كوهين بالمعلومات من موظفي الإذاعة والدوائر الحكومية، وعن أسماء كثير من الرجال والنساء والفتيات الذين أقام معهم مختلف العلاقات، وتبين أيضاً أنه قام بزيارة الجبهة السورية ثلاث مرات بحجة زيارة حمامات مدينة الحمة، وأنه قد اطلع خلال إحدى هذه الزيارات على حركات الدبابات السورية أثناء تمارينها.

## **وتحت عنوان "قضية كوهين قضية الساعة" تعرضت النشرة الداخلية للاشتراكيين العرب لبعض الملاحظات حول محاكمة كوهين بمقال ورد فيه ما يلي:**

إن أهم ما يشغل ذهن المواطن العربي في سورية خلال هذه الآونة هو قضية كوهين الجاسوس الذي عاش بيننا أكثر من ثلاث سنوات استطاع اثناءها أن يكشف لاسرائيل العدو كل صغيرة وكبيرة ظهرت على مسرح الحياة السياسية والاجتماعية في هذا القطر.

لقد القي القبض على الجاسوس الياهو كوهين ورافق القبض عليه سيل من الشائعات والقصاص التي تجعل الانسان العربي يترنح من هول هذه الصدمة النفسية الرهيبة والتي تقذف به في دوامة من الحيرة والذهول والدهشة متسائلاً إلى هذا الحد يبلغ نشاط الجاسوسية الاسرائيلية في بلادنا؟

كيف استطاع هذا الجاسوس أن يتغلغل في مجتمعنا ويشق طريقه ممهداً الى أجهزة الدولة؟ وقبل أن يعلن عن المحاكمة انطلقت صحيفة الأحرار

في لبنان الناطقة باسم القيادة القومية تناشد الصحافة العربية واللبنانية بالذات أن تمتنع عن ذكر كل ما له مساس بأسرار الجيش من ذكر قطعات أو أسلحة أو أسماء ضباط انسجماً مع ميثاق "الشرف العربي" الذي أقر في مؤتمر الصحفيين العرب في الكويت.

وفي اليوم التالي طلعت الصحيفة المذكورة على الملاً بمقال جديد تحاول فيه تبرئة القيادة القومية والسلطات الحاكمة في سورية من أي ارتباط أو علاقة بعصابة كوهين.

ان مجرد نشر هذين المقالين في صحيفة الأحرار أبرز في الجو علامات استفهام جديدة، وجعل الناس يظنون ظناً يكاد يصل الى حد اليقين عن وجود علاقة بين عصابة كوهين وبين بعض العناصر.

ثم أخذ الناس ينتظرون المحكمة بفارغ الصبر وكلهم أمل باستجلاء الحقيقة ومعرفة القضية بحذافيرها وعندما أعلن عن المحاكمة تحلق الناس حول أجهزة الراديو والتلفزيون، ولكن ما إن ظهرت الجلسات وسمع ما دار فيها من أحاديث حتى أصيب المواطنون بخيبة أمل مريرة نتيجة هذا التخرّيج وهذا الثوب الذي غطيت به الحقائق.

ان أي مواطن مهما كان فطري التفكير ومحدود الفهم السياسي أدرك ان هذه العملية التي دعيت محاكمة علنية ليست إلا مسرحية رخيصة يراد بها طمس كل ما يمت الى الحقيقة بصلة، ومن الطرف التي تناقلتها ألسنة المواطنين التي ظهرت خلال الجلسات، بعد عملية الرتوش طبعاً، ما يلي:

1- ان كوهين قد تعرف قبل حركة الثامن من آذار على نيف وأربعين مواطناً بين رجل وامرأة ووثق علاقته معهم في غضون سنة وثلاثة أشهر، ولكنه لم يستطع بعد الثامن من آذار وخلال سنتين تقريباً التعرف ولو على شخص واحد فقط، فهل هذا من المنطق في شيء؟

2- كانت الأسئلة توجه من قبل رئيس المحكمة وأكثرها ضحل تافه، وكوهين يعطي لكل سؤال جواباً مبتسراً تكتفي به الرئاسة دون أن تلجأ الى المناقشة، وأحياناً يناقش رئيس المحكمة أموراً ليست في صلب الموضوع والمثال على ذلك حين سأل كوهين:

ما هو رأيك بإسرائيل؟

وعندما بدأ كوهين بإبداء رأيه لم تتوفر عند الرئاسة نعمة الصبر، بل انطلق متبرعاً بإلقاء محاضرة توجيهية وطنية حول اسرائيل! ومثال آخر:

ذكر الجاسوس انه قد غادر دمشق الى بيروت بصحبة بعض أعضاء شبكته -أو رفاقه- وأخذ يثرثر عن هذه السفارة وعن الفتاة الالمانية والذهاب الى البلاج والتفتيش عن بائعات الهوى في الفنادق وكأنه لم يغادر دمشق ويتكبد المخاطر والمصاريف إلا من أجل تلك الأغراض، ولكن الرئاسة من جانبها لم تقم بتوجيه أي سؤال عن اتصالاته في تلك الرحلة، فهل هذا من المنطق في شيء؟

3- اعترف الجاسوس وذكرت السلطات بأن البث (أي الاتصال باسرائيل) من قبل كوهين كان مستمراً طيلة إقامته في سورية ولكن المعلومات التي حصل عليها هي:

أ- الخلاف بين عبد الكريم زهر الدين القائد السابق للجيش وبين الدكتور ناظم القدسي رئيس الجمهورية السابق.

ب- تكليف صلاح البيطار بتشكيل الوزارة.

إذن هذه هي المعلومات التي استطاع كوهين أن يحصل عليها في أكثر من ثلاث سنوات وهي معلومات يعرفها أي مواطن في سورية، وليست من الخطورة في شيء، فلماذا دربت اسرائيل كوهين، ولماذا رصدت الأموال؟ وإذا كان يتمتع بهذه القدرة على إقامة الصلات والتأثير على الأشخاص فهل من المنطق في شيء أن تكون حصيلته خلال ثلاث سنوات هذه المعلومات التافهة؟

4- ذكرت صحيفة الأحرار من ضمن بيان رسمي صادر عن أحد المسؤولين ان الياهو كوهين لم يقم البتة بزيارة الجبهة، ولكن الجاسوس قال بنفسه خلال المحاكمة بأنه زار منطقة الحمة مع بعض أعضاء شلته، وإننا نتساءل: أليست الحمة ضمن مناطق الجبهة؟ وهل هذا من المنطق في شيء؟

5- من خلال أقوال كوهين ان الضابط معزّي زهر الدين كان صديقاً حميماً له، وانه زاره في مقر عمله في ادلب، كما كان معزّي ينزل ضيفاً على كوهين في دمشق ومن شدة ثقة كوهين به انه كان يعطيه مفتاح



منزله ويتركه فيه وحيداً، والغريب ان معزى لم يستطع خلال وجوده في منزل كوهين وحيداً أن يكتشف شيئاً مريباً يدل على جاسوسية كوهين فلم يجلب انتباهه (الهوائي) ولم ير ولو عن طريق الصدفة شيئاً من الأجهزة التي يخبئها تحت السرير رغم نومه عليه مراراً، فهل هذا من المنطق في شيء؟

6- ان كوهين دار ولف أمام المحكمة مرات كثيرة وكرر ذكر الفتيات والنساء اللواتي غرر بهن أو تعرف عليهن، وكأنه أراد من ذلك رسم صورة لمجتمع منحل اخلاقياً تستسلم نساؤه لقاء أي اغراء، دون أن يلفت ذلك نظر المحكمة أو دون أن تدرك ان الهدف من ذلك هو تضييع الوقت والالهاء عن المهمة الأصلية التي جاء من أجلها كوهين الى سورية، ورغم ذلك فقد قبلت المحكمة الحديث علىعلاته، وليس ذلك من المنطق في شيء.

وأخيراً هذه بعض الملاحظات التي لوحظت اثناء المحاكمة سردناها دون ان نتعرض للشائعات التي تتسم بالخطورة الشديدة وربما كان بعضها يتمتع بقسط وافر من الصحة.

اننا نناقش هذه القضية نقاشاً موضوعياً وعلى أساس من الواقع ونحن مدركون بأن كوهين وعصابته هم جزء من شبكة رهيبة تعيث فساداً في هذا الوطن وتخدم اسرائيل بكل امكاناتها وعلى مختلف المستويات، وقد تستر عليها كوهين عن عمد، لتبقى على نشاطها بعد سقوط حلقتة، وكذلك فإن كوهين حاول تبرئة الكثيرين من معارفه وأعضاء حلقتة حتى يستطيعوا ممارسة نشاطهم من جديد. والآن نتساءل كيف كان رد الفعل الشعبي على هذه المسرحية الهزلية التي دعيت محاكمة؟ ان طلاب الجامعة أذهلهم ذلك فوقعوا عرائض احتجاج، وطالبوا بأن يكون الموضوع جدياً وأن تكون المحاكمة على مستوى الجريمة.

اننا نضم صوتنا الى أصوات طلاب الجامعة ونطالب بإجراء محاكمة نزيهة تكشف تأمر الاستعمار واسرائيل على بلادنا.

ان الشعب يرقب بعين يقظة ما يدور على المسرح من أمور ظاهرة، وما يدور خلف الكواليس من أمور مستترة، والشعب لن يسكت على التلاعب

بمصره أبدأً، مهما تغفن الحاكمون في إبعاده عن حلبة الأحداث." (انتهى مقال النشرة الداخلية للاشتراكيين العرب).



لقد كانت محاكمة كوهين مهزلة من المهازل، وإهانة لذكاء الشعب في سورية، وفصلاً من فصول الكذب والتزوير الذي ما زال يعم عالمنا العربي حتى الآن، فلقد تجنب كوهين -ولا شك أن ذلك بتوصية من المحكمة العسكرية- ذكر أسماء من تعرف عليهم من المدنيين والعسكريين البعثيين، بينما ذكر أسماء بعض من كانوا يمدونه بالمعلومات من موظفي الإذاعة ودوائر الدولة، وذلك لأن الناس في سورية وكذلك وسائل الاعلام العربية كانت تتهم بعض أعضاء المحكمة العسكرية بعلاقاتهم المشبوهة معه، وكان أكيداً ومعروفاً في بعض الأوساط، ان إحدى فتيات كوهين، وهي مضيغة طائرة ورد اسمها في المحاكمة، كانت عشيقة لصالح الضلي رئيس المحكمة الذي حاول بغباء نفي التهمة عن سليم حاطوم بالوقت الذي كان فيه متهماً هو بالذات، قال الضلي لكوهين:

هل تعرفت على سليم حاطوم في السابق؟ أجب كوهين:

ما يعرفو... ما شفتو... فقال له الضلي:

طلّع عليه، بلكي بتلاقيه هون! فقال كوهين:

بكون رائد على كل حال ... ليكون هذا، وأشار الى حاطوم.

قال الضلي:

شو أعطاك معلومات؟ إذاعة بغداد بتقول انك تعرف سليم حاطوم وانك صديقه وصديق شخصيات كبيرة في البلد. قال كوهين:

هي أول مرة بشوفو واسألوه إن كان رآني من قبل!

وعندما كال رئيس المحكمة الشتائم للإذاعات وأصحاب الصحف العربية واتهمهم بأنهم عملاء ماجورون، سأل كوهين عن رأيه فوافقهم بأنهم عملاء ماجورون بالمصري.

وكان أخطر ما جاء في أقوال كوهين لرئيس المحكمة عندما نهره قائلاً: اسكت جاسوس... فأجابه كوهين: أنا مبعوث مو جاسوس.

فوافقه رئيس المحكمة على ذلك قائلاً: انت مكلف وغيرك مأجور، أنت تقوم بواجبك بس هؤلاء .. فقاطعه كوهين قائلاً: مأجورون بالمصري.



في تلك الفترة أجرى الصحافي السوري زهير المارديني، وكان يعمل آنذاك مراسلاً في مجلة الاسبوع العربي التي تصدر في لبنان، مقابلة مع أحمد سويداني رئيس المخابرات في سورية، ولا بد ان تلك المقابلة كان موعزاً بها من سويداني الذي وضع تحت تصرف المارديني ملف التحقيق مع كوهين، وقد وردت في ذلك العدد، نقلاً عن ملف التحقيق، تفاصيل ومعلومات عن قضية كوهين اكثر مما ورد في المحاكمة، ومن المؤسف انني فقدت ذلك العدد، وكانت النشرة الداخلية للاشترائيين العرب قد لخصته كالآتي:

صرح المقدم أحمد سويداني لمجلة الاسبوع العربي بأن المعلومات التي كان يرسلها كوهين الى اسرائيل هي:

- 1- معلومات عن القوات المسلحة السورية بالتفاصيل.
- 2- معلومات عن رجال القطر السوري، وعن كل ما له علاقة بهم وبتصرفاتهم.
- 3- معلومات اقتصادية وزراعية وتجارية.
- 4- معلومات عن التحويل الاشتراكي.
- 5- معلومات عربية عامة.

وقد علقت النشرة على ذلك:

إن الجاسوس لم يعترف أمام المحكمة إلا بمعلومات تافهة أرسلها لدولته، وقبلت منه المحكمة أقواله على علاتها، فهل هذا

يعني ان المحكمة لم تنظر الى تحقيقات المخابرات السورية  
بصورة جدية؟



كما اثبتت النشرة الداخلية للاشتراكيين العرب أوائل عام 1965 بعض  
أقوال الصحف بما يتعلق بقضية كوهين:

- "ان كوهين قد دخل سورية كمغترب مليونير باسم كامل أمين ثابت  
وأصبح صديقاً مقرباً لقيادة البعثيين عن طريق تغطية النفقات المالية للحزب"  
(المحرر اللبنانية).

- "نفث السلطات السورية أن يصبح يهودي بعثياً قيادياً كبيراً، ولكنها  
أقرت بأن كوهين كان يرسل أسرار سورية، لسنوات، الى اسرائيل، ووفقاً  
لإحدى الاشاعات كان كوهين على صلات وثيقة مع ثلاثة من اعضاء  
المحكمة" (مجلة تايم).

- "كان لكوهين اكثر من بيت يستقبل في بعضها من وثق عرى الصداقة  
معهم، أو فتياته المقربات، وأفرد بيتا خاصا لشؤون التجسس وكانت كل أدوات  
المطبخ فيه عبارة عن أوعية تضم اللاسلكي الذي يخبر به، وكان يقصر مدة  
مخابرته الى ثلاث دقائق على ابعد حد حتى لا تستطيع الدولة التقاط  
موجاتها" (مجلة الموقف العربي 65/3/4) وهي المجلة التي كانت السلطة  
تصدرها في سورية عن مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر والتوزيع، وقد  
نشرت في ذلك العدد أيضاً صوراً لما كان يستعمله كوهين من أدوات  
التجسس.

- قال ضابط سوري شاب:

كنا نرى الهدايا الثمينة تخرج من البيت الأنيق متجهة الى دور بعض  
النساء والرجال فنتبعها، إذ كان كوهين يرصد المناسبات، فلكل مناسبة  
هدية" (الاسبوع العربي). هذا ما جاء في النشرة الداخلية للاشتراكيين  
العرب، وقد تجنبت النشرة ما ورد في مقال الاسبوع العربي مما يتعلق بأمين  
الحافظ وصلاح البيطار واكتفت بتوجيه هذا السؤال الى البيطار:

هل رافق كوهين سيادة الاستاذ صلاح البيطار الى الأردن كما رددت  
الصحف اللبنانية؟



لقد كان الغرض من التركيز بصورة خاصة في مجلة الاسبوع العربي على علاقة أمين الحافظ والبيطار بهذه القضية إثارة الشكوك حولهما فقط، وفي الوقت نفسه كان تغطية على علاقات أخرى، ففي تلك الفترة كان الخلاف قد اشتد بين صلاح جديد والقيادة القومية من جهة وبينه وبين أمين الحافظ وصلاح البيطار من جهة ثانية، ولا شك ان حديث سويداني لمجلة الاسبوع العربي كان بإيعاز من صلاح جديد، ولكن ذلك لا ينقص من أهميته باعتباره مأخوذاً عن وثائق رسمية هي اضارة التحقيق.

بعد مقال مجلة الاسبوع العربي وغيرها من الصحف ثارت التساؤلات في سورية وانتظر الشعب أن يقدم له المسؤولون بعض الايضاحات، ولكن تساؤلاته قوبلت بالصمت المطلق، وكان أهم التساؤلات حول ما روي من أن كوهين قد زار الجبهة ضمن وفد رسمي، وانه كان مرافقاً لرئيس الوزارة صلاح البيطار في زيارته للأردن، وان البيطار أرسله الى امريكا الجنوبية مع الوزير وليد طالب للاتصال بالمهاجرين العرب بهدف الدعاية للبعث ولقضية فلسطين.



لا شك أن أمين الحافظ وصلاح البيطار كانا مخدوعين بكوهين، إن كان صادقاً ما دار حول معرفتهما به من إشاعات شأنهما شأن الكثيرين الذين تعرف عليهم كوهين في سورية، ولكن هذا لا ينفي عن قيادة البعث، مدنيين وعسكريين مسؤولية عدم الحيطة الحذر من شخص غريب فتحت أمامه جميع الأبواب المغلقة حتى أصبح بمستوى القيادات الموجهة في الحزب والجيش، بينما كانت القيادات الوطنية مضطهدة وتحت الرقابة وفي الإقامة الاجبارية ثم رهن الاعتقال والنفي فيما بعد.

ولقد جرى في الغرب، خلال الثمانينات، نظير هذه القضية عندما استطاع أحد جواسيس ألمانيا الشرقية أن

**يصبح مديراً لمكتب المستشار الألماني ويلي براندت. ولكن المستشار الألماني تحمل مسؤولية هذا الموضوع مما أدى الى استقالته.**



لقد كنت أتابع باهتمام زائد، وأنا بالاقامة الاجبارية، ما كانت تذيعه وسائل الاعلام السورية من وقائع محاكمة كوهين التي ابتدأت بتاريخ 1965/2/23 وانتهت بإعدامه بتاريخ 1965/5/18، وكنت قبل اكتشاف كوهين والقاء القبض عليه أشعر بشبهة ما يذاع من أخبار وتعليقات في الإذاعة السورية، وكان لكوهين كما ثبت في التحقيق، علاقة ببعض موظفيها، وأذكر انني سمعت مساء يوم 1964/5/14، أي في ذكرى تقسيم فلسطين، حديثاً طويلاً جداً في الإذاعة السورية عن الأحواز وعن إعدام حسين فاطمي، وقد أدهشني آنذاك اختيار ذلك التاريخ لمثل هذا الحديث.

كما كنت ألاحظ أحياناً ان إذاعة اسرائيل كانت تستيق إذاعة دمشق في نشر بعض الأخبار عن سورية، وأذكر ان الإذاعة الاسرائيلية قد ذكرت نبأ مدهامة منزلي بقيادة ابراهيم العلي صبيحة ليلة المدهامة وهو الأمر الذي لم تشر إليه الصحف السورية، بل اشارت إليه الصحف اللبنانية فيما بعد.

لهذا كنت اعتقد ان حكم الثامن من آذار هو حكم مخترق من الموساد الاسرائيلي، وكنت أقول ذلك، لكل من كان يزورني سراً عندما كنت متوارياً أو في الاقامة الاجبارية، فكان بعضهم يظن ان قلبي من قبيل الوسائوس والأوهام نتيجة لما أعانيه من تكليل واضطهاد من قبل ثوار الثامن من آذار.



بعد عشر سنوات تقريباً من اعدام كوهين، وكنت قد أصبحت لاجئاً في بغداد، دعاني رئيس المكتب السوري آنذاك السيد نزار حمدون الى وليمة غداء في نادي المنصور وكان مدعوا إليها الفريق أمين الحافظ واللواء زياد الحريري والأمين المساعد

للقيادة القومية شبيب العيسمي والسيد مصطفى حمدون وعدد آخر من اللاجئين السوريين الى العراق، وعندما قادنا الحديث الى قضية كوهين روى لنا الضابط محمد وداد بشير، وهو أحد الضباط الذين اشتركوا بالقاء القبض على كوهين، ان عدداً من الضباط قد أشهروا مسدساتهم لينتزعوا كوهين من بين أيديهم بعد إلقاء القبض عليه.

ومن الجدير بالإشارة إليه ان هذا الضابط قد اختطف فيما بعد في لبنان، من قبل المخابرات السورية ولا يزال هذا الضابط رهن الاعتقال حتى الآن (كتب هذا القسم من المذكرات عام 1990).



ان كل ما عرف من المعلومات عن قضية كوهين يدل على أن نشاطه في سورية لم يكن يستهدف التوسع بتنظيم الخلايا التجسسية لحساب اسرائيل، بل كان هدفه الأول إقامة علاقات واسعة وصدقات وثيقة مع أعضاء وقيادات البعث، ولا سيما العسكرية منها، سواء عن طريق إقامة الحفلات والسهرات الليلية الحمراء أو عن طريق تقديم الهدايا للمسؤولين الحاكمين، وتقديم المعونات المالية لحزب البعث، والتظاهر بالتعفف والترفع عن نوال المكاسب الشخصية والزهد بتولي المناصب التي اعتذر عن توليها (بتعليمات من رؤسائه في تل أبيب) لأنها تضعه في دائرة الضوء مما يمكن أن يؤدي الى فضحه وانكشاف أمره.

لقد كان هدفه الأول الاطلاع على خفايا السياسة السورية من مصادر الحزب والحكم، والقيام بدراسات دقيقة عن تطور الأوضاع العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في سورية، والسعي لتوجيه حزب البعث بما يلائم سياسة اسرائيل في سورية والمنطقة العربية ولذلك لم تقتصر جولاته على الجبهة بل انه تجول في انحاء سورية والقى في إحدى جولاته محاضرة في مقر حزب البعث في مدينة ادلب عن أهمية استرداد الأحواز بالنسبة للوطن العربي، قاصداً من ذلك صرف أنظار العسكريين عن الاهتمام بقضية فلسطين وموضوع تحويل نهر الأردن، واعتقد

انه لعب دوراً خبيثاً جداً بإثارة النعرات الطائفية والمطامع الشخصية بين فرقاء الحاكمين في حزب البعث.



بتاريخ 1965/5/8 صدر حكم الاعدام على كوهين، وجاء في حيثيات الحكم ان المتهم دخل سورية خلسة عام 1962 حاملاً جواز سفر ارجنتيني باسم كامل أمين ثابت، وانه حصل على معلومات يجب أن تبقى سرية ونقلها الى العدو لذلك استحق الاعدام. كما حكمت المحكمة بمدد مختلفة على عدد من المتهمين. وأمرت بإطلاق سراح ثلاثين متهماً بينهم تسع نساء.

وفي فجر يوم الثلاثاء 65/5/18 تم اعدام كوهين شنقاً في ساحة المرجة بدمشق، وحضرت اعدامه هيئة المحكمة وعدد من كبار الضباط والمسؤولين، كما حضر الاعدام حاخام الطائفة اليهودية في دمشق نسيم أنديو يرافقه مختار حي اليهود لتلقين المحكوم الذي طلب قبل اعدامه كتابة رسالة خطية لزوجته فسمح له بذلك، ثم تولى الحاخام تلقيه باللغة العبرية، فلوحت انه يتقن العبادة اليهودية حتى أنه صحح للحاخام بعض العبارات.

وفي صباح اليوم نفسه توافد الى الساحة عشرات الألوف من سكان دمشق وضواحيها حيث كان معلقاً على صدر كوهين نص قرار المحكمة بالاعدام لارتكاب الجرائم التالية:

- 1- جناية دخوله متنكراً أحد "المحلات العسكرية".
- 2- جناية الحصول على معلومات يجب أن تبقى مكتومة حرصاً على سلامة الدولة وذلك لمصلحة العدو.

وذكر في نص القرار ان الحكم صدر وجاهياً، وصدق من قبل رئيس مجلس الرئاسة (أمين الحافظ) بتاريخ 1965/5/17، أي بعد عشرة أيام من صدور الحكم، "رغم النداءات الكثيرة التي وجهت في هذه الفترة من أفراد ومؤسسات كثيرة" كما ورد في البيان الذي أصدرته وزارة الخارجية الاسرائيلية التي أعربت عن ذهولها من هذا الحكم. (الحياة 1965/5/19).





بعد أيام قلائل من اعدام كوهين أخبرني العقيد أدهم عكاش -وكان آنذاك مديراً للسجن المركزي في دمشق (سجن القلعة) بهذه الواقعة التي حدثت على الحدود بين سورية ولبنان في منطقة سرغايا، عندما وجد بعض الرعيان جثة مخبأة في كهف فأخبروا مدير المنطقة الذي أجرى تحقيقاً مع السلطات في دمشق حول الموضوع، فتبين ان الجثة هي جثة كوهين وكانت في طريقها الى اسرائيل عبر لبنان، ولا بد أن الفجر قد فاجأ المهربين فتركوها إلى اليوم التالي، وكان تعليقي آنذاك:

لا شك ان تهريب جثة يحتاج الى عدد من المهربين مما يظهر ان سورية مخترقة بأعداد كبيرة من الجواسيس.



### قضية كوهين بعد الخامس من حزيران

بعد هزيمة الخامس من حزيران عام 1967 بعثت قضية كوهين من مرقدتها واكتسبت أهمية خاصة فأشادت وسائل الاعلام الاسرائيلية التي وزع بعضها سراً في لبنان، مغفلاً من التوقيع والمصدر، بالدور الهام الذي قامت به الموساد في سورية ولا سيما بالدور الذي قام به كوهين، وقد ركز هذا الاعلام على الفريق أمين الحافظ، مغفلة من عداه من السوريين، وكان غرض الموساد من هذه الاتهامات الكاذبة الاساءة الى سمعة أمين الحافظ والانتقام منه لأنها اعتبرته المسؤول عن اعدام كوهين برفضه كل وساطة لإنقاذ حياته.

لقد منحت الحكومة الاسرائيلية بعد هزيمة حزيران أعلى وسام لرئيس الموساد آنذاك وقدم رئيس دولتها لذلك بكلمة اشاد فيها بالدور الذي قامت به المخابرات الاسرائيلية التي كان لها الفضل في تحقيق الانتصار في حرب الأيام الستة، وكانت الحكومة الاسرائيلية قد منحت كوهين بعد موته وساماً مماثلاً وأطلقت اسمه على أحد شوارع تل أبيب، كما نقش اسمه تخليداً له

علما لنبص التذكاري الذي أقامته اسرائيل لعظماء الرجال الذين  
قدموا لها خدمات كبرى.



ان قضية كوهين قد دمغت حكم الثامن من آذار بنظر الرأي  
العام في سورية مما هددته بالسقوط، بالإضافة الى تناقضات  
فرقائه، فلم يبق من مجال لاستمراره إلا بقيام أحد الفرقاء الأقوياء  
بانقلاب عسكري، وهذا ما قام به بعد عام صلاح جديد.

وقد عبر شاعر حزب البعث سليمان العيسى عن موقف  
الراي العام السوري بعد انكشاف قضية كوهين بقصيدته الرائعة  
التي جرت على كل لسان في سورية والتي جاء فيها:

كوهين عفوك يا أبا آذار  
يا صانع الثورات  
والثوار

يا نافخ الصور الخفي فشعبنا  
نشيدك الهدار  
سـكران خلف

زورت ضوء الشمس في أحداقنا  
صغاري  
زورت حتى تمتمات

وحشرتني في قاع كهفي زفرة  
مارقة على التيار  
شـلاء

الثورة الحمراء يأخذ بعضها  
الأنظار  
برقاب بعض باهر

وتلوح أنت، تلوح من خلف الكوى وعلى بنانك قادتني  
وكباري

أبصرت كفك، أبصرتها حفنة  
خلف جدار  
مثلي تدق النعش

ونشقت ريحك والشوارع موجة  
في العار  
من هاتفين ورأسهم

لن يهتكوا سرّاً من

وكتائبى عطشى

لصغار فرساني لظهر

فوق الزناد، ومن

بحرابهم قبل العدو

لو أننا كنا

قبر يلملم

الغارقون بنعمياتك لا تخف  
الأسرار

كيف الحدود؟ أعجبتك كتائبى؟  
ليوم الثار

وارحمتا للأبرياء، لإخوتي  
العار

وارحمتا للصالبين صدورهم  
سناك نهاري

لوأبصروك لمزقوا آذارهم  
الضاري

أنا لا ألومك ما هتكت ذمارنا  
حماة ذمار

حسبي وحسب الشامخين بعارهم  
عارنا ويواري

## 1965: المؤتمر القومي الثامن والافراج عن قيادات الاشتراكيين العرب.

في أواخر شهر آذار 1965 انعقد مؤتمر القيادة القطرية لحزب البعث الذي تقرر فيه أن يكون الأمين العام القطري رئيساً للدولة، وأن يكون من صلاحية القيادة القطرية تعيين رئيس الوزراء ورئيس الأركان العامة وكبار القادة العسكريين ورداً على هذه المقررات، وبسبب انتهاء مدة القيادة القومية، التي حددها المؤتمر القومي السابع بستة أشهر، دعا ميشيل عفلق الى المؤتمر القومي الثامن الذي حدد مواعده في شهر نيسان 1965.

ولكن الظروف التي كان يمر بها الحزب لم تكن مواتية لمواجهة صلاح جديد والعسكريين فقبل ميشيل عفلق بالتسوية المهينة عندما نصحه بعض أعضاء القيادة القومية أمثال جبران مجدلاني اللبناني وعلي غنام السعودي بالانحناء للعاصفة والانسحاب من أمانة الحزب لئلا يتعرض حكم حزب البعث في سورية لانقلاب عسكري، فتمت التسوية بانتخاب الدكتور منيف الرزاز أميناً عاماً للحزب، وكان ذلك حلاً وسطاً بين ميشيل عفلق الذي يعتبر الرزاز أحد تلاميذه المخلصين وبين صلاح جديد الذي قدر أن منيف الرزاز الأردني سيكون عاجزاً عن أي تأثير على توجيه الحزب والحكم في سورية، وخرج عفلق من هذه التسوية بلقب القائد المؤسس.

وبالإضافة الى انتخاب الرزاز أميناً عاماً للحزب واختراع لقب القائد المؤسس، فقد جاء في البيان الذي صدر عن هذا المؤتمر بتاريخ 1965/5/4 أنه تقرر: ضرورة إعادة النظر من جديد بدستور الحزب بعد أن بات يقود عملية التحويل، كما أوصى المؤتمر بإقامة مدرسة حزبية عليا للدراسات الاشتراكية وپانشاء مجلس استشاري قومي لتبادل الرأي وتعزيز صلاحيات الأمين العام لحزب البعث.

وتعليقاً على انتخاب منيف الرزاز، ورداً على بعض ما صرح به بعد انتخابه فقد ذكرت نشرة الاشتراكيين العرب ما يلي:

"الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي الدكتور منيف الرزاز هو من تلاميذ ميشيل عفلق، المؤمنين به ايماناً أعمى، أردني الجنسية، سوري المولد، كان معتقلاً وقد أفرج الحسين عنه، وانفتاحاً من الحزب الذي يقوده في الأردن اشترك الحزب في وزارة وصفي التل الأخيرة واستلم وزارة الاعلام، والدكتور يتنقل الآن بين الأردن وسورية ويمارس نشاطه الحزبي على مستوى القيادة القومية.

ومن الجدير بالذكر ان الاستاذ الأكبر الجديد قد صرح منذ أيام في مقابلة صحافية أن اكرم الحوراني وأنصاره لم تعد لهم علاقة بالحزب منذ عام 1958 وقد فصلوا منه في عام 1962.

ألا يحق لنا أن نتساءل من الذي فصل اكرم الحوراني؟ واين فصل؟

إن الحوراني من الشباب الثوريين المناضلين المعروفين بوطينتهم، ومن المشرف له أن يفصل على يد "تركيبة المؤتمر القومي الخامس" الذي انكشفت خيانات بعض عناصره، المؤتمر الذي عقد في حمص في دار فرحان الأتاسي الجاسوس الأميركي الذي أعدم منذ فترة وجيزة، مؤتمر المراهقين والطلاب الذين دعاهم ميشيل عفلق من أنقرة وسيراليون.

وسلام على الحياء وسلام على الخجل."

وتحت عنوان قرارات ليس من حق الشعب الاطلاع عليها ذكرت النشرة:

"ان الأمين العام لحزب الحكم قد ختم تصريحه الكامل الشامل بالفقرة التالية:

وفي الختام لقد كان المؤتمر القومي الثامن من اكثر المؤتمرات التي عقدت في التاريخ الحزبي ايجابية وانتاجاً، فالى جانب هذه القرارات التي أذيعت، هناك قرارات أخرى رؤي من المصلحة عدم إذاعتها، ولكنها ستوضع موضع التنفيذ في أقرب وقت ممكن، ولدى قراءة هذه الفقرة التاريخية! تقفز الى الأذهان مجموعة من الأسئلة التي تحتاج الى أجوبة مقنعة".

ألم يعد الشعب العربي أميناً على قضيته التي يضمن بإطلاعه عليها المؤتمر القومي الثامن؟ هل تعني هذه المعميات حقاً مصلحة الشعب العربي أم مصلحة الحكم؟

هل بقيت هذه الأمور التي ليس من حق شعبنا الاطلاع عليها طي الكتمان أم تسربت لا سمح الله الى بعض الجهات التي يهمها معرفة محتوياتها؟

وهل ضمن المؤتمر عدم وجود عناصر مباحة أو مأجورة أو مرتبطة بين صفوفه توصل هذه الأسرار المكونة إلى المعلم الكبير؟".



لا ريب أن من جملة ما اتفق عليه المؤتمر من قرارات لم يشر إليها بيان المؤتمر القومي الثامن هو قرار رفع الحجز والاقامة الاجبارية عن قيادات الاشتراكيين العرب، فقد أصدرت حكومة البعث بياناً نشرته الصحف ووكالات الأنباء أعلنت فيه الافراج عن "السياسيين المحتجزين في بيوتهم"، وقد أعلن بيان الافراج وزير الاعلام مشهور زيتون الذي صرح في نهايته:

"إن إلغاء الاقامة الجبرية يرمي الى منح هؤلاء السياسيين فرصة أخيرة للانضمام الى "اكثرية الشعب في تأييده للحكم الثوري"، وبأن الثورة ستضرب بيد من حديد على كل من تسول له نفسه العبث بثورة الشعب".

وقد علقت نشرة الاشتراكيين العرب على بيان الافراج بما يلي:

"بتاريخ 1965/5/16 أصدرت الحكومة بياناً أسمته التصريح الهام حول الافراج عن السياسيين المحتجزين في بيوتهم".

وحقيقة هذا البيان كما يستدل من مضمونه ليس الافراج عن محتجزين في بيوتهم بقدر ما هو دفاع عن النفس من قبل السلطة ضد الاتهامات التي توجه إليها والتي يدور بعضها حول أسباب احتجاز السلطة الشرفاء من المناضلين وإن الأسئلة التي تتبادر الى ذهن كل من يعرف القادة الذين رفع عنهم الحجز:

ما هو السبب في اعلان رفع الحجز؟ وما هو السبب الذي وضع فيه الحجز بكتمان وصورة سرية؟ ألم يكن ممكناً رفع الحجز بذات الصورة التي تم بها ايقاعه؟

إن الحقيقة التي لا تخفى على أحد، وليس بإمكان السلطة سترها، أن الحجز انما رفع لعدم جدوى وجوده أصلاً، ولأنه بات من الخفة والطيش في هذا العصر أن يحجز في بيته من يعمل بالسياسة، لأن ذلك لن يحجز بين هذا السياسي وبين الشعب، ولأن أي وجهة نظر سياسية سلبية بالنسبة للسلطة أم ايجابية لا تحتكر من قبل اشخاص، بل هي مشاعة للجميع، والقول بأن الحجز الذي رفع كان له أسباب يبدو صحيحاً، ولكن الأسباب لم تكن الحجج التي وردت في البيان وإنما هي أسباب لم يكن باستطاعة السلطة ذكرها رغم كونها معروفة من قبل كل الشرفاء.

**إن أسباب الحجز قائمة في عدم الرغبة بطرح الحلول الصحيحة للمسألة الوطنية، وفي الخلط بين المواقف الشخصية والمواقف القومية، وبين الخطأ والصواب.**

من رفع عنهم الحجز لم يكونوا يوماً إلا طليعة للمناضلين الشرفاء ولم ينهزموا وما لانوا، كانوا طليعة النضال أيام فرنسا، وكانوا طليعته في فلسطين، وكانوا من قادته في مراحل التحرر الوطني، وقادوا بلادهم مع غيرهم من الشرفاء في هذا الوطن في سبيل التحرر البناء، ووصلوا بالذورة الى الوطن بين أعوام 1955 ، 1957 ، وهم الذين اندفعوا مع سواهم لتحقيق الوحدة، وكانوا مؤمنين بها، لا عملاء ضدها، وهم بالذات الذين وقفوا في وجه أخطاء ما بعد الوحدة، وهم حاربوا الرجعية بعد فشل الوحدة، انهم ما زالوا في مواقعهم الوطنية وعلى استعداد دائم للعمل الوطني دون توقف ودون دعوة توجه اليهم وبلا تمسك بركائز ثابتة من الخطأ عندما يكون هنالك خطأ.

إنه لم يعد مقبولاً ولا كافياً أن يقال: ان هنالك من ساهم بتكريس نكسة الانفصال:

أولاً: لعدم صحة هذا القول إطلاقاً بدليل ما ورد في بيان القيادة القومية لحزب البعث مؤخراً محللاً الوحدة السابقة والعوامل التي أدت الى

نكستها. إنه لا يفهم من ذلك إلا شيئاً واحداً هو أن عوارض انهيار الوحدة كانت في تركيبها وليس لأحد من المتهمين بالتكريس أدنى علاقة بالانفصال ولا بتكريسه.

ثانياً: انه يتوجب على من يتهم الآخرين بأنهم كرسوا الانفصال أن يعيد الوحدة بالفعل، إذا كان ذلك ممكناً، وإذا لم يكن، فمن نافل القول ان يذكر ان هنالك تكريساً للانفصال، لأن ما وقع وبقي مستمراً حتى الآن لم يكن سببه إلا الطرف الآخر في الوحدة، فأين هو الانفصال ومن هو المسؤول عنه؟

وأما حجة التصدي للثورة فهي حجة قديمة وهي تفضح نفسها بنفسها وتخالف أبسط قواعد المنطق، فإذا كان للثورة مسيرة، وإذا كان للمسيرة برنامج وكان هذا البرنامج لا يتضمن أي خطأ، فمم تخاف الثورة؟ ولم تخاف التصدي لها ما دام الشعب كله معها؟ وهل لاح لها الخطر كله من أقل من عشرة أشخاص في بلدنا؟ وأي منطق يقبله العقل يقول بأن حجز بضعة أشخاص في منازلهم لا يدع مجالاً للتصدي للثورة ويقطع طريق التصدي؟ وهل تخاف الثورة من عشرة أشخاص لم يتصدوا لها بالأصل.؟



بعد الغاء الحجز عني وعن رفاقي من قادة الاشتراكيين العرب، أمت منزلي وفود من مختلف الاتجاهات السياسية في دمشق، وهذا ما جعلني افكر بزيارة حماه بعد أن انقطعت عنها منذ الثامن من آذار، وبعد أن تعرضت المدينة إلى ما تعرضت إليه من أحداث ربيع 1964، وما إن عرفت الجماهير بقدمي الى المدينة، حتى هرعت احيائها بشكل منظم، حيا بعد حي، للسلام علي وإعلان تأييدها والابتهاج بفك الحجز عني وعن رفاقي. **فلم ار بدأً من إلقاء بعض الكلمات المقتضبة الخالية من أي تحريض ولكنها تحاول أن تفسح الأمل أمام الشعب بمستقبل ديموقراطي، وقد عبرت عن هذا الأمل بقولي إن فجراً جديداً لا بد أن يبرز على سورية.**

لم تكن مظاهرات الابتهاج مقتصرة على مدينة حماه، بل بدأت جموع القرى المحيطة بالمدينة تعد نفسها لزيارتي، كما استقبلت وفوداً من حلب وحمص والقلمون مما فاجأ حكم البعث



وولد لديه الذعر، فمنع محمد عيد عشاوي الذي كان محافظاً للمدينة سيارات الوفود الآتية من الريف، ولكن وفود الفلاحين بدأت تتوارد الى المدينة سيراً على الأقدام وكانت المسافة بين بعض القرى وبين مدينة حماه اكثر من أربعين كيلو متراً.

تجاه هذا الوضع ارسلت إليّ السلطة أحد كبار ضباط المخابرات لانذاري بوجوب مغادرة المدينة وإلا اضطرت لاعتقالي! ومن الطريف أن هذا الضباط قد سألني عما أقصده بعبارة الفجر الجديد التي وردت في إحدى كلماتي، فضحكت كثيراً من هذا السؤال.

لقد تجنبت خلال زيارتي هذه الاصطدام مع السلطة انسجماً مع الخطة التي اختطها الاشتراكيون العرب بالنضال السياسي وعدم اللجوء الى العنف الذي يمكن أن يؤدي إلى مذابح أو إلى انقلاب عسكري، وان تكون معارضتنا سلمية ضد ديكتاتورية حكم البعث، حتى يتحول الى حكم شعبي برلماني دستوري، ولكن القيادة القومية أشارت لزيارتي في جريدة الأحرار اللبنانية التي كان يكتب بها ميشيل عفلق وبعثيوه ما لا يودون كتابته في الصحف السورية، فحملت علي حملة شديدة، بعد أن تبجحت بديموقراطية السلطة وكرمها بإلغاء الحجز عني وعن رفاقي، واعتبرت زيارتي لمدينتي حماه لؤماً وتمرداً!

وقد نشرت الصحف اللبنانية أنباء الاستقبالات التي جرت في حماه، ففي تاريخ 65/7/28 نشرت جريدة الحياة تحت عنوان: "الحوارني وأنصاره في حماه" ما يلي:

"أعد أنصار الحوارني تظاهرات لاستقباله كادت تؤدي إلى اصطدام مع السلطات، وتفيد المعلومات ان الحوارني وصل هذا الاسبوع الى حماه بعد انقطاع عنها منذ الثامن من آذار، وقد شهدت المدينة مظاهرات تأييد للحوارني، وكادت تقع حوادث بين السلطة وجماهير الحوارني بعد أن أطلقت عدة عيارات نارية ابتهاجاً بوصول زعيمهم الى مسقط رأسه، مما أدى الى منع المظاهرات، كما طلب الحوارني عدم القيام بأي نشاط يعرقل الأمن، والمعروف ان الحوارني وجماعته كانوا محتجزين منذ شهر آذار عام 1964".

1965: أحداث عربية هامة في صيف 1965.

1- العمل الفدائي الفلسطيني يستقطب الجماهير العربية.

2- انقلاب هواري بو مدين على ابن بللا.

بينما كان حزب البعث في سورية غارقاً في انقساماته يتجاذب مع العسكر محاولات السيطرة على الحكم، وبينما كان الاشتراكيون العرب يللمون صفوفهم لمتابعة نضالهم السياسي في محاولة للوقوف -بأن واحد- ضد سيطرة العسكر وضد حكم الحزب الواحد، كان حدث جديد قد بدأ يستقطب الجماهير العربية ويبعث في قلوبها الأمل. فقد استمرت العاصفة في اصدار بلاغاتها التي تعلن عن عملياتها العسكرية داخل الكيان الصهيوني سواء في جنوب فلسطين أو في شمالها انطلاقاً من لبنان، ففي أواخر تموز مثلاً أعلنت العاصفة في بلاغها رقم 18 عن نسف أنابيب مياه وجسر رئيسي وقتل خمسة جنود من العدو في جنوب فلسطين، كما أعلن البلاغ رقم 19 عن اشتباكات دامية مع العدو ونسف خزان مياه وسيارة عسكرية في جنوبها ايضاً، وكانت قد أعلنت قبل ذلك في حزيران عن معركة عنيفة استخدم فيها العدو الطائرات المروحية ضد الفدائيين.

لقد كان انطلاق الثورة الفلسطينية مفاجأة سارة وموضع تأييد من جماهير الشعب العربي، وموضع تساؤل واستغراب وخوف من قبل الحكومات العربية التي كانت تخشى أن تتخذ اسرائيل ذلك حجة للقيام بحرب وقائية بينما كانت هذه الحكومات غير مستعدة ولا تفكر إطلاقاً بالاشتباك مع اسرائيل لا حاضراً ولا مستقبلاً، وبينما كان الاسرائيليون يقومون باستكمال

استعداداتهم للمحافظة على رجحانهم الدائم ضد مجموعة الدول العربية.

وجواباً على عمليات العاصفة داخل فلسطين فقد صرح أبا ايان رئيس الوزراء الاسرائيلي، مهدداً الدول العربية:

"اننا ننتظر ما سوف يفعله لبنان للقيام بالتزاماته والحفاظ على سلامة حدوده، ونحن نعرف ان سورية تسعى لتوريط لبنان والأردن بإرسال إرهابيين عن طريقهما، ولكن ذلك لا يعفيهما من المسؤولية، ولن تعتمد اسرائيل على مجلس الأمن في مجابهة هذه الأعمال، لن مجلس الأمن بالنسبة إليها طريق مسدود".

وقد رد مصدر مسؤول لبناني على هذا التصريح بقوله:

"ان الحكومة اللبنانية تطبق مقررات مؤتمر القمة وتمسك بها، ولما كانت هذه المقررات تمنع الأعمال الافردية من النوع الذي تقوم به العاصفة، فالسلطات اللبنانية لا تقر هذه الأعمال وتحاول منعها، لأنها تتناقض مع توجهات مؤتمرات القمة، وتعطل مخطط الدول العربية المدروس!".

لقد أثر انطلاق العاصفة بعملياتها العسكرية داخل فلسطين على نتائج مؤتمر القمة الذي عقد في الرباط (أيلول 1965) لأن هذه العمليات قد شكلت تحدياً للأنظمة العربية ولمؤتمرات القمة التي ظهر عجزها عن مجابهة اسرائيل ومنعها من تحويل نهر الأردن، وهكذا أصبح هذا المؤتمر مؤتمر مصالحة بين الأنظمة العربية التي أعلنت تضامنها وإيقاف الحرب الاعلامية فيما بينها، وتلا الأمين العام للجامعة العربية في نهاية هذا المؤتمر نص ميثاق التضامن الذي وقعه الملوك والرؤساء العرب وجاء فيه:

1- احترام سيادة الدول العربية واحترام النظم السائدة فيها وعدم التدخل في شؤونها الداخلية.

2- مراعاة قواعد اللجوء السياسي وأدابه وفقاً للقانون الدولي.



في عام 1963، وقبل انطلاق الثورة الفلسطينية، اجتمعت في منزلي بدمشق، لأول مرة بالسيدتين ياسر عرفات وأبو إياد،

أي قبل صدور بلاغات العاصفة بعامين تقريباً، أما اجتماعي الثاني بهما فكان في عام 1968، وقد كتبت في مجلة الوطن العربي (1983/7/29) مقالاً بعنوان "دمشق والمقاومة والطريق المسدود"، استعرضت فيه ذكرياتي عن هذين الاجتماعين، وكان هدفي من كتابة المقال، بعد أن تعرضت المقاومة لما تعرضت له من الأنظمة العربية، حث الثورة الفلسطينية على مراجعة أخطائها، والضرورة الملحة لوضع استراتيجية للثورة بعد أن مضى خمسة عشر عاماً على انطلاقها، وقد ورد في المقال:

"في لقاء ثلاثي في منزلي في دمشق بيني وبين قائدي فتح "ابوعمار" و"أبو إباد" منذ عشرين عاماً من الآن، وتحديدًا في العام 1963، كانت نصيحتي لهما الا يدشنا الكفاح المسلح قبل انجاز مهمة ذات أولوية خاصة، وهي تأمين حكم وطني ديمقراطي في سورية ووضوح استراتيجية موحدة مع هذا الحكم الذي يفترض ان يقوم عاجلاً أم آجلاً<sup>(1)</sup> .

واستطردت قائلاً: ان تولى الفلسطينيين - كما تحاولون الآن - قيادة النضال بدلاً عن الأنظمة العربية، هو بداية طريق العودة الى فلسطين، ولكن بشرط مسبق ألا وهو تأمين "ظهير عربي حقيقي" لكم، وهذا الظهير هو تحديداً وكما سبق القول حكم وطني ديمقراطي في سورية... والا، فان اسرائيل ستستغل عملياتكم العسكرية في المستقبل متمتعة بالتفوق الاستراتيجي للقيام بما تسميه حرباً وقائية ضد البلدان العربية العاجزة عن مواجهتها. وأكثر من هذا:

ان البدء باطلاق النار قبل انجاز هذه المهمة سيؤدي لتعرضكم لنار اسرائيل من امامكم ولنار الأنظمة العربية العاجزة من الخلف".

"كما أنني لا ازال اذكر -وربما يذكر معي الاخ ابو عمار والأخ ابو اياد- الاجتماع الذي ضمنا في فندق بغداد في العام 1968 - وبحضور الشهيد كمال ناصر ومصطفى حمدون - هذا الاجتماع الذي ذكراني فيه بلقائنا الأول في دمشق في العام 1963، ويقولهما لي: "انك العربي الوحيد حتى الآن الذي نطلعه على تنظيمنا ونطلب منه النصيحة". المهم اني اغتنمت فرصة اللقاء

(1) كان الجواب أنذ انهم لا يستطيعون إرجاء العمليات العسكرية فالتنظيم الفلسطيني القائم بالتمويل يطالبهم الاستعجال بهذه العمليات.

الثاني في بغداد لأقدم لقيادة الثورة الفلسطينية مشروع جبهة وطنية تقدمية على مستوى سورية والوطن العربي، هدفها الأول الانطلاق لتحرير الأرض العربية المغتصبة".

"واذ اتحدث عن اخطاء المقاومة الفلسطينية، لا بد لي من الرجوع الى الماضي قليلاً لأبرر التحدث، بصراحة وايجاز، عن هذه الأخطاء عما وقعت به الثورة من مطبات نصيها لها التآمر العربي والدولي معاً!

وعلى كل حال، فلم أكن اجيز لنفسني التحدث عنها في هذا الوقت بالذات لو لم يسبقني الى ذلك "ابو اياد" في تصريحاته الأخيرة لـ "الوطن العربي".

لقد بدأت العاصفة باطلاق الرصاصة الأولى في ظل ظروف صعبة للغاية ووسط اتهام لها من بعض الأنظمة العربية بـ "التواطؤ" مع اسرائيل! ووقع مناظلوها فعلاً، وكما توقعت، بين نارين: نار اسرائيل ونار الأنظمة العربية. فضلاً عن عمليات المضايقة والاستجواب والزج في غياهب السجون. ولقد تدخلت شخصياً، قبيل هزيمة حزيران (يونيو) 1967 لدى الحكومة اللبنانية لاطلاق سراح بعض من اعتقلتهم اثناء عبورهم الحدود في اتجاه فلسطين المحتلة. ثم جاءت هزيمة حزيران، وما اعقب ذلك من تصدي الثورة الفلسطينية لهذه الهزيمة بالسلاح عبر مواجهات مشرفة في معركة الكرامة ومعارك العرقوب فالتف حولها الشعب العربي قاطبة.

ولكن بدلاً من ان تستفيد الثورة من هذا المد الجماهيري العارم فتعمل على تطهيره وتنظيمه، انكفأت على نفسها -فلسطينياً- وكان ذلك خطأ آخر لأن الصراع مع اسرائيل هو صراع قومي وانساني.. ومن دون "البعد العربي" المميز بامكاناته المادية والبشرية والمعنوية فإن الثورة الفلسطينية غير قادرة وحدها - بحسابات موازين القوى - ان تحرز انتصاراً على اسرائيل... او حتى على الوقوف في وجه توسعها وسط تآمر عربي ودولي متشعب الوسائل والأهداف.

أما الخطأ الآخر الذي وقعت فيه الثورة، فهو اتخاذها لبنان اضعف حلقة في السلسلة العربية منطلقاً لها. وفي الحقيقة، فإن هذا الخطأ اللاحق هو ابن الخطيئة الأصلية الأولى التي ذكرتها أنفاً، وهي عدم تأمين حكم وطني ديمقراطي حقيقي في سورية بشكل ظهيراً وركيزة للثورة الفلسطينية، وذلك

قبل البدء بالخطوة الأولى. لأن سورية، وسورية وحدها - سورية الشعب والأرض والتاريخ - هي "هانوي" الثورة الفلسطينية، وهي منطلقها الحقيقي والجدى. وليس لبنان المعرّض للانقسام الطائفي. وليس الأردن الذي تريد اسرائيل ان تنطلق منه الثورة للقضاء على كيانه السياسي وجعله وطناً بديلاً... و"الخيار الأردني" الذي يروج له الاسرائيليون هو خلاصة نظرية بيغن الصهيونية.

الخطأ الآخر كان في سماح قيادة الثورة الفلسطينية باختراقها من قبل بعض الأنظمة العربية باسم الديمقراطية. ان شرخ جسم الثورة واحداث انقسام فيه مقدمة للاجهاز عليه ليس عملاً ديمقراطياً ابداً. وكان من الممكن للثورة ان تحافظ على وحدتها عبر تطبيق المركزية الديمقراطية تطبيقاً صارماً وخلاقاً. لقد أعطت القيادة الفلسطينية، بانكفائها على اقليميتها، الذريعة لبعض الأنظمة العربية كي تنشئ منظمات تابعة، مما أدى الى اختراق الثورة الفلسطينية من الداخل فأصبحت الثورة - كما قال أبو اياد - تخاف من هذه الأنظمة بدلاً من أن تخيفها.

وأما الخطأ الأخير في رأيي، فهو عدم لجوء الثورة الفلسطينية على الرغم من كل ما حصل حتى الآن، الى العمل "تحت الأرض". من البديهي، عند عدم تكافؤ القوى بين طرفين ان يلجأ الأضعف الى السرية والكتمان في تنظيم اموره، وان يتعد ما امكن عن الاستعراضية والخطابية. وكان على الثورة، من زمن، ان تتمسك بالكتمان والسرية في ما يخص قياداتها وتنظيماتها وخططها ونياتها، ولكن الذي حصل هو عكس ذلك مع الأسف.

وقد اختتمت هذا الكتاب المفتوح بالتوجه للثورة الفلسطينية قائلاً:

ولا بد من التأكيد هنا على ان خروج الثورة الفلسطينية من الطريق المسدود الذي سارت فيه حتى الآن يكون بوقفة صادقة وجدية، وقفة مراجعة وحساب ونقد صارم، تستعرض من خلالها الثورة اخطاءها السابقة لتضع استراتيجية جديدة مغايرة لما سارت عليه حتى الآن.

وإذا ما فعلت ذلك، فالثورة الفلسطينية، ما تزال قادرة على سحق اي تأمر على قضية العرب المركزية: قضية فلسطين... وعلى الانتصار في صراعها المصري ضد الصهيونية والامبريالية. واختتمت هذا الخطاب بالتوجه الى الأنظمة العربية:

ان الذي ينقذ، اكثر من الصواريخ السوفياتية، هو الوحدة الوطنية في سورية ولبنان والثورة الفلسطينية والسعي لانهاء الحرب العراقية - الايرانية وقيام الجبهة الشرقية والشمالية. ان تحقق هذه الأهداف كفيل يجعل "الميزان الاستراتيجي" راجح الكفة لصالح العرب.



حدث آخر هام في تلك الفترة هو انقلاب الكولونيل هواري بو مدين في الجزائر على الرئيس احمد بن بللا، وقد شكل بو مدين اثر الانقلاب مجلساً ثورياً برئاسته من ثلاثة عسكريين وثلاثة من المدنيين بينهم السيد بشير بو معزة.

لقد كان بن بللا بنظر الراي العام العربي بطلاً عربياً تحررت بقيادته الجزائر من الاستعمار الفرنسي الاستيطاني، ولذلك اتهم هذا الانقلاب من قبل الراي العام بأن الولايات المتحدة وراءه وأنها هي التي دفعت بو مدين للقيام به، ولا سيما بعد أن زار بن بللا كاسترو عدو الولايات المتحدة ورئيسها كندي بعد معركة خليج "الخنزير" المشهورة الفاشلة.

أما تأثير هذا الانقلاب فقد كان مختلفاً بالنسبة لنظامي سورية ومصر، فقد هاجم حزب البعث عهد بن بللا بينما قابل ناصر هذا الانقلاب بالألم والغضب والاستياء، وقد كتب هيكلم عن هذا الحدث "انه لا يستطيع أن يتصور ان تقتصر ردود الفعل على سقوط بطل عربي على الصمت المطلق" كما أعرب عن دهشته بأن يتهم انسان كأمين الحافظ رئيس مجلس الرئاسة السوري الرئيس بن بللا بالانحراف والطغيان والتسلط. واتهم البعث بأنه سارق انقلابات. وان موقف دمشق العربية من انقلاب الجزائر قد لوث الشرف العربي والكرامة العربية، وقال ان البعث كان يقصد القاهرة بحملته ولم يقصد بن بللا الذي كان منحازاً للقاهرة.

ومن الجدير بالذكر ان محور دمشق الجزائر قد استمر بصورة وثيقة ولا سيما بعد الانقلاب الذي قام به صلاح جديد في 23 شباط 1966.

**1965 : تشكيل مجلس وطني موسع وتأليف  
حكومة يوسف زعين - بيان الاشتراكيين العرب  
حول اتفاقية تمديد أنابيب النفط من جزيرة ابن  
عمرو (كراتشوك) إلى طرابلس - اعتقال مع  
تسعة عشر من الاشتراكيين العرب ومؤيديهم.**

خلال شهر آب من عام 1965 استمر الصراع على السلطة بين مختلف أجنحة البعث من مدنية وعسكرية وملأت أخبار هذا الصراع الصحف اللبنانية والصحف العربية، وقد أشارت جريدة الحياة الى انباء دمشق التي تفيد بأن المؤتمر القطري عقد اجتماعاً استثنائياً بعد أن قدمت القيادة القطرية استقالتها بسبب الخلاف العنيف القائم بين كتلة الرئيس أمين الحافظ وكتلة صلاح جديد. (1965/8/10).

وفي إشارة الى أن الصراع على السلطة قد يصل إلى حد الاصطدام المسلح عدت الصحيفة القوات العسكرية التي يسيطر عليها كل من الطرفين كما يلي:

مع صلاح جديد: سلاح الطيران بقيادة حافظ الأسد. سلاح المدرعات في القابون بقيادة المقدم عزة جديد. لواء السويداء بقيادة عبد الغني ابراهيم. لواء القطيفة بقيادة موسى الزعبي. كتبية الدبابات في اللواء سبعين بقيادة كاسر جديد ابن عم صلاح جديد.

أما قوى الحافظ فهي بقية اللواء سبعين والقوات المدرعة التي يقودها حمد عبيد وقوات الجبهة التي يقال انها منقسمة، وان الفريق الحافظ يريد أن يتولى قيادتها فهد الشاعر، وتناصر الفريق الحافظ الكتلة المؤلفة من حمد عبيد وصلاح الضلي، وسليم حاطوم. (15/آب/1965).

كما لاحظت الصحيفة أن هذه التحالفات هشة وسريعة التقلب على افتراض صحتها ودقتها، وأشارت إلى أن الحافظ وصلاح جديد قد تصالحا وتعانقا، بينما انسحب الكثيرون ممن



رشحوا انفسهم لعضوية القيادة القطرية بسبب عدم توفر الجو الديمقراطي (1965/9/19).



بعد استمرار الخلاف بين أجنحة البعث التي كادت تبلغ الاقتتال والاحتكام إلى السلاح، عقدت تسوية هشة بين مراكز القوى المتنازعة، فأذاع الدكتور نور الدين الأتاسي بتاريخ 22/أب/1965 ما دعي بالقانون رقم واحد الذي يقضي بتشكيل المجلس الوطني الموسع الذي سيتولى السلطات التشريعية خلال الفترة الانتقالية التي تنتهي في تموز 1967، أما تسمية ما صدر بالقانون رقم واحد فهو زعم الحاكمين ان انقلاب الثامن من آذار قد اكتسب الصفة الشرعية بتوسيع المجلس الوطني وتعيين أعضائه، بينما كانت الأمور تتم سابقاً بمراسيم اشتراعية، وقد انتقد الأتاسي في البيان الذي أذاعه الطريقة التي كانت تجري فيها انتخابات المجالس السورية المتعاقبة "لأنها كانت تجسد ديموقراطية الاقطاع السياسي والاستعمار الاقتصادي".

في أواخر شهر آب 1965 تم تعيين المجلس الوطني الموسع من خمسة وتسعين عضواً من ممثلي القيادة القومية والقطرية "ومن أعضاء حزب البعث والمستقلين، ومن ستة عشر ضابطاً من بينهم اللواءان صلاح جديد وحافظ أسد، وقد دخل ميشيل عفلق في اليوم الأول لانعقاد هذا المجلس بتاريخ 1/9/1965 قاعة المجلس النيابي السوري بمظاهرة احتفالية، هذا المجلس الذي حرمه الشعب من دخوله طيلة العهود الديموقراطية السابقة.

لقد سقط ميشيل عفلق في الانتخابات مرتين في عامي 1947 ، 1949 فشكل هذا السقوط لديه عقدة نفسية من الطريقة الديموقراطية التي تقضي بانتخاب النواب من قبل الشعب.

وبتاريخ 1965/9/24 قدمت حكومة الفريق أمين الحافظ استقالتها. فألف الدكتور يوسف زعين الحكومة على الشكل التالي:

الدكتور ابراهيم ماخوس نائباً للرئيس ووزيراً للخارجية. عبدالفتاح البوشي نائباً للرئيس ووزيراً للمالية. الوليد طالب وزيراً لشؤون الرئاسة. الدكتور عادل طربين وزيراً للزراعة. صالح المحاميد وزيراً للشؤون البلدية والقروية. الدكتور مصطفى حداد وزيراً للتربية والتعليم، اللواء ممدوح جابر وزيراً للأشغال العامة. عبدالرحمن الكواكبي وزيراً للأوقاف. على تلجيني وزيراً للشؤون الاجتماعية والعمل. ابراهيم البيطار وزيراً للاقتصاد. سليمان الخش وزيراً للاعلام والثقافة والارشاد بالوكالة. حسين مهنا وزيراً للعدل. العقيد عبدالكريم الجندي وزيراً للاصلاح الزراعي. مشهور زيتون وزيراً للتموين (لا شك أن اسمه قد أهله ليكون وزيراً للتموين). سميح فاخوري وزيراً للمواصلات. الدكتور هشام العاص وزيراً للصناعة. العقيد محمد خير بدوي وزيراً للتخطيط. اللواء حمد عبيد وزيراً للدفاع. الدكتور صادق فرعون وزيراً للصحة. محمد عيد عشاوي وزيراً للداخلية. الدكتور عدنان شومان نائباً لوزير العمل والشؤون الاجتماعية.



قبل انعقاد المجلس الموسع وتأليف الحكومة الجديدة اتخذ الاشتراكيون العرب مقراً علنياً لاجتماعاتهم بالقرب من شارع الشهبندر في دمشق، وقد عقدنا في هذا المقر اجتماعات عديدة، واستمر إصدار النشرات الداخلية التي أصبح توزيعها علنياً، وأثناء ذلك اطلعنا من الجريدة الرسمية (العدد 35 الصادر بتاريخ 1965/7/31) على نص الاتفاق الذي عقدته الحكومة مع الشركات البريطانية لتمديد أنابيب النفط من الجزيرة الى طرطوس، فعقدنا في المقر الجديد اجتماعاً لدراستها وبعد تحليل بنودها اتفقت القيادة على إصدار نشرة داخلية خاصة بتحليل بنود هذه الاتفاقية التي اعتبرناها مهددة لسياستنا الاقتصادية والبتروولية المستقلة وماسة بالسيادة السورية.

ويشرف لجنة مصغرة مؤلفة من الحوراني و خليل كلاس  
وعبدالفتاح الزلط وضع نص النشرة الداخلية التحليلية للاتفاقيتين  
المالية والفنية اللتين عقدتهما الحكومة مع مجموعتين من  
الشركات المصرفية والبتروولية البريطانية، وقد وضعنا هذه النشرة  
بصيغة بيان للشعب السوري، وقررنا أن نرفعها كمذكرة لرئيس  
مجلس الرئاسة أمين الحافظ بصورة رسمية، كما وزعنا عدداً كبيراً  
منها وصل الى أعضاء الحكومة والعسكريين الحاكمين.

وكنا قد أصدرنا قبل ذلك بعام بياناً وزعناه في شهر آب  
1964 تحت عنوان: وجهة نظر الاشتراكيين العرب في الوضع  
الحاضر تعرضنا فيه لموضوع البترول السوري وحذرنا السلطة من  
محاولات الاحتكارات ابريطانية مد يدها الى البترول السوري، فكان  
هذا البيان من جملة الأسباب التي أدت بالسلطة إلى اتخاذ  
اجراءات الإقامة الاجبارية، عليّ وعلى بعض الاشتراكيين العرب  
مدة ثمانية أشهر، ولذلك كنا ننتظر أن تؤدي النشرة الجديدة الى  
اعتقالنا مرة أخرى. وفيما يلي نص هذهالنشرة التي كان وقعها  
كالصاعقة على الحكومة وعلى مختلف أجنحة البعث العسكرية  
والمدنية نظراً لما لاقته من تأييد شعبي واسع ترافق مع شائعات،  
لم يكن لنا يد فيها، اتهمت عدداً من اركان الحكومة بالرشوة من  
قبل الشركات البريطانية:

**دراسة تحليلية حول الاتفاقيتين، المالية والفنية،  
اللتين عقدتهما الحكومة السورية، مع مجموعتين  
من الشركات المصرفية والبتروولية البريطانية، من  
اجل تمويل، ومد خط أنابيب بترول من كراتشوك  
الى طرطوس.**

اتسمت السياسة البترولية لحكم البعث، بالتناقض  
الشديد، وقد تجسدت هذه السياسة، بمراحل عملية ثلاث:

### **المرحلة الأولى**

تميزت المرحلة الأولى، بالاستسلام الكامل، امام الاحتكارات النفطية البريطانية -وبخاصة في العراق- حين ألغت الحكومة العراقية مراسيم تأمين حقول النفط، وحلت الشركة الأهلية العراقية، التي أسست للتنقيب عن البترول واستثماره، وسلمت بشروط الاحتكارات النفطية البريطانية، فيما يتعلق بعائدات العراق من البترول، واعترفت باستقلال الكويت... وقد امتد هذا التيار الى الحكم في سورية، ودفعه لتكريس الاعتراف باستقلال الكويت وتبادل التمثيل الدبلوماسي معها، كما استجره للتعجيل بمفاوضة الاحتكارات النفطية، الالمانية والأميركية والبريطانية، من اجل منحها امتيازاً للتنقيب عن البترول واستثماره في سورية.

وقد تبدى هذا الموقف بوضوح، حينما اعلنت الحكومة السابقة في بيانها الوزاري، ما نصه بالحرف الواحد:

"ويحتل البترول السوري الذي ثبتت قيمته الاقتصادية والاستثمارية الاهتمام الأول والأساسي، في اعمالنا هذا العام وفي خطة التنمية القادمة. اذ اننا نؤمن ايماناً كاملاً بأهمية هذا المورد الاقتصادي الهام، وبدوره بتوفير الأموال اللازمة لتمويل مشروعات التنمية. وسيجري العمل بسرعة لاستخراج البترول السوري ثم نقله الى المتوسط".

وفي هذه الأونة بالذات... كتبت مجلة الاقتصادي العربي، في عددها الصادر بتاريخ 1964/5/31 في الصفحة /40/ تقول: "ان الحكومة السورية، قد استأنفت مفاوضاتها بتاريخ 1964/5/2 مع شركة دوتيشة ايردول، لاستغلال حقول الزيت في شمال شرقي سورية... وان هذه الشركة تتألف من اربع شركات بترولية كبرى، احداها شركة مورفي الاميركية... وان هناك مفاوضات اخرى مع شركة انتلانتيك الاميركية، لاستغلال حقول الزيت في كراتشوك والمجاورة لها التي يجري تطويرها على يد هيئة البترول العامة في سورية".

اثار البيان الوزاري المشار اليه، مع ما رافقه من وقائع شبه رسمية، الرأي العام العربي في سورية -وبوجه خاص- بين صفوف الوطنيين داخل الجيش والحكم والحزب الذين كانت تجري هذه التدابير المشبوهة، باسمهم، ومن وراء ظهورهم، بأن واحد... وقد قلنا آنذاك، اسهاماً منا بالواجب القومي، واستجابة لقلق الرأي العام، نبه ونصح ونحذر:

"ان سلطات الاحتلال الفرنسية كانت قد اكتشفت وجود مخزون كبير من البترول في الجزيرة شمالي سورية، وكانت عازمة على استثماره... وقد وضعت مخططاً رهيباً لهذا الغرض، قوامه فصل الجزيرة عن سورية، واقامة دولة مستقلة فيها... ذلك عام 1937، اثر عقد معاهدة 1936... ممهدة لذلك بحركة تمرد انفصالية، عرفت باسم حركة عصيان "قربو-(1) مرشو"... ولكن وعي الشعب، ونشوب الحرب العالمية الثانية، التي انتهت بطرد فرنسا من البلاد انقذا سورية من هذا المخطط الاجرامي".

كذلك حاولت بريطانيا ان تضع يدها على البترول السوري، بعد ان استحصلت شركة متفرعة عن شركة "بترول ايران" على امتياز بالتنقيب... ولكن تعاقم الصراع بين الاحتكارات البريطانية والأميركية، الذي بلغ ذروته عام 1949، حمل الانكليز، على اصطناع خدعة ماکرة، اذ اعلنوا عن تصفية اعمالهم في سورية، بعد ان اخفوا -بحذق- النتائج البترولية الخطيرة التي وقفوا عليها، زاعمين ان لا وجود للبترول في سورية...

كان هدف بريطانيا -آنذاك- ان تبعد انظار حركة التحرر النامية في سورية اولا، وانظار المنافسين الاحتكاريين الدوليين ثانياً، عن حقيقة الثروات البترولية الدفينة في سورية، ريثما تتمكن من الظفر بايقاع سورية بشراك احدى المؤامرات التي كانت تعدها، كمؤامرة سورية الكبرى، ومؤامرة الهلال الخصب، ومؤامرة الاتحاد مع العراق... لكن تبه الطليعة الواعية لهذه المؤامرات، وصلابة الشعب العربي الباسل في سورية، في مناهضتها ومقاومتها، أحبطا هذه المؤامرات، واحدة تلو الأخرى، وفضحا الأغراض الاستعمارية التي تنطوي عليها.

كما ان الولايات المتحدة، وألمانيا الغربية، عملتا على اقتناص البترول السوري، فحصل منهل، كما حصلت شركة كونكوريا، على ترخيص بالتنقيب قبل الوحدة... لكن في مستهل عهد الوحدة، طالب المجلس التنفيذي في سورية، بالغاء هذين الترخيصين لثبوت عمالة منهل لحساب الاحتكارات النفطية الاميركية، ولثبوت ارتباط شركة كونكوريا الألمانية بالتروستات البترولية الاميركية ايضاً، هذا من جهة... ولأن الحكومة اسورية، كانت قد

(1) ثورة الأشوريين في جزيرة ابن عمرو وهي الثورة التي أشرنا الى بعض ملامساتها في أحداث عام 1936.

شرعت، بعد عقد اتفاقية التعاون الاقتصادي مع الاتحاد السوفييتي، بالتنقيب عن البترول، مستعينة بالخبرة والآلات السوفييتية من جهة أخرى... وقد استجابت القاهرة لالغاء ترخيص منهل - في حينه ولكنها رفضت في نفس الوقت - الغاء ترخيص شركة كونكورديا، بحجة انه ليس لالمانيا الغربية مصالح استعمارية في بلادنا.

لقد ناضل الشعب في كل العهود، ضد المطامع الاستعمارية في استثمار البترول، معتبراً ان ما يعادل الاستثمار في الأهمية، هو الطريقة التي سيتم بها هذا الاستثمار، لأنها تتصل بصميم استقلاله، وأمنه. فإذا تولت الاحتكارات الاستعمارية، استثمار البترول، كان معنى ذلك اقامة مناطق نفوذ لها في البلاد، تتحكم بسياساتها ومصيرها، سيما وان منطقة البترول السوري، اي الجزيرة في شمالي سورية، منطقة حساسة، يهدد تمركز النفوذ الاستعماري فيها، وحدة البلاد وأمنها واستقلالها، خصوصاً بعد أن اعلنت دول الاحتكارات البترولية وفي طليعتها الولايات المتحدة، انها لا يمكن ان تتخلى عن اسرائيل، ولو تخلت عنها جميع الدول الأخرى (ليندن جونسون) وأن امن اسرائيل من امن الولايات المتحدة (وكيل وزارة الخارجية الأميركية)، كما ان تفاقم أمر المشكلة الكردية في شمالي العراق، وعجز الحكم القاسمي والبعثي والعارفي عن ايجاد حل لها، ودخول هذه المشكلة، في معركة تجاذب وتنافس واستغلال بين الدول الكبرى يجعل شق الطريق امام اي تسرب للاحتكارات الاستعمارية الى الجزيرة، هو لعبة نار خطرة، قد لا تكون، اقل هولاً علينا وعلى العرب جميعاً من لعبة اسرائيل.

نحن نعلن سلفاً بأن شعبنا يرفض التعاقد مع الشركات الاستعمارية عامة، ومع الشركات الاميركية والبريطانية بوجه خاص، من أجل استثمار حقول الزيت في سورية، ويعتبر مثل هذه الخطوة -اذا تمت- مؤامرة جديدة على استقلال البلاد وحرية الشعب، تكمل مؤامرة "القمة" في تحويل مجرى نهر الأردن.

ان الحفاظ على استقلال البلاد وأمنها، ونجاحها في تطوير مشاريعها الانمائية، والتحويل الاشتراكي فيها تقتضي كلها ان تستثمر سورية العربية بترولها بنفسها، معتمدة على امكانياتها، وعلى مساعدة المعسكر الاشتراكي، المادية والفنية.

ان القول بأن سيطرة الاحتكارات البترولية الاستعمارية علىالسوق الغربية، التي هي السوق الوحيدة لبترونا، يسد أمامنا مجال تسويق البترول، قول مردود، لأن هناك تنافس دولي حاد بين الاحتكارات الغربية، بدليل ان بعضها قد تقدم بعروض، لبناء منشآت البترول وتمديده الى البحر، لقاء ان يدفع الثمن من البترول المستخرج، دون ان يجعل لها، اي امتيازاً فيه، او حق عليه، مما يدل على شدة احتياج هذه الجهات للبتترول... كما ان المعسكر الاشتراكي، قد كسر احتكارات البترول، وقوى الاتجاه الوطني، نحو تأميم الشركات الاستثمارية البترولية في كل مكان من العالم... ان العهد الذي اطاح فيه تأميم البترول الايراني بمصدق قد ولّى وانقضى".

هذا ما قلناه، في مطلع شهر تموز من عام 1964، تعقيباً على ما جاء في البيان الوزاري لحكومة البيطار الأخيرة، وعلى ضوء الوقائع الحاسمة، التي نشرتها مجلة الاقتصاد العربي آنذاك.

ولكننا لم نقف عند حدود هذا التوضيح للرفاق، والأصدقاء، انما اصدرنا بياناً رسمياً في شهر آب 1964، تحت عنوان "وجهة نظر الاشتراكيين العرب في الوضع الحاضر" تعرضنا فيه بوضوح، لموضوع البترول السوري، ومحاولة بعض اطراف الحكم، تسليمه للاحتكارات الاميركية والبريطانية والالمانية، وقد جاء في البيان المذكور، ما نصه بالحرف:

**"أما البترول، فان اعطاء اية امتيازات لشركات غربية، يوقع سورية في نطاق الاحتكارات العالمية، ويعرضها لمداخلات استعمارية خطيرة. لذلك يجب ان تستغل هذه الثروة استغلالاً وطنياً، ويمكن الاستعانة -في سبيل ذلك- بدول المعسكر الشرقي، التي لا تتأخر -على ما نعتقد- عن تقديم كل عون وخبرة، كما يمكن ان نعتمد عليها ايضاً، في مجالي النقل والتسويق، للتغلب على الصعوبات المؤقتة التي قد تثيرها الاحتكارات البترولية، ومن ورائها الدول الاستعمارية".**

لقد كان طبعياً، ان يثير هذا البيان، اكثر ما يثير، العناصر التي كانت وراء مفاوضات البترول، فجن جنونها، وراحت بما اوتيته من وسائل نشر ودعاية واثارة، تحرض جميع اطراف الحكم الأخرى علينا، محاولة اظهار البيان، وكأنه تأمر على العهد، لا كشف لنواياها ومؤامراتها... وقد نجحت هذه العناصر

المنحرفة المشبوهة، في دفع الحكم لاتخاذ إجراءات الحجز على بعض الرفاق القياديين مدة دامت أكثر من ثمانية أشهر... ولكنها لم تنجح في اتمام صفقتها. تلك هي المرحلة الأولى، من سياسة الحكم البترولية...

## المرحلة الثانية

ان يقظة الرأي العام العربي في سورية، والتجاوب الشعبي الرائع الذي احدثته وجهة النظر التي طرحناها في بيان آب 1964 نهت جميع القوى الوطنية التقدمية الشريفة بين صفوف الجيش والحكم والحزب معاً، وحملتهم على ان يقفوا في وجه هذا التيار المشبوه، بوضع حد لهذه المقامرة بأخطر مصالح الشعب حيوية ومصيراً.

امام هذه النقمة، تراجع المشبوهون الى الوراء في انتظار الفرصة المؤاتية من جديد وأقدم الحكم على إصدار المرسوم التشريعي رقم 133 بتاريخ 1964/12/22 منع فيه إعطاء أي امتياز لأي شخص طبيعي أو اعتباري لاستثمار الثروات المعدنية والبترولية في أراضي الجمهورية السورية، وقدنشر المرسوم في العدد 59 من الجريدة الرسمية لعام 1964، وهذا نصه:

"مادة 1- يمنع، اعتباراً من نفاذ هذا المرسوم التشريعي، اعطاء امتياز للثروات المعدنية والبترولية في اراضي الجمهورية العربية السورية، لأي شخص طبيعي او اعتباري.

مادة 2- ينشر هذا المرسوم التشريعي في الجريدة الرسمية ويعتبر نافذاً من تاريخ صدوره".

لقد تفاءلنا بهذا المرسوم التشريعي، حين صدوره، وقلنا انه اذا كان ما دفعناه من حرية بعض رفاقنا المحتجزين، يمكن ان يؤدي الى مثل هذه الثمرة العظيمة فإن أمر الاحتجاز يهون حتى لو شملنا جميعاً.

على أننا كنا نعلم سلفاً ان هذا المرسوم، لا يعدو ان يكون قطعاً للطريق، على بعض العناصر التي تعمل وتضغط في الخفاء. اذ لولا ذلك، لما كانت هناك اية ضرورة لاصداره. لأن البترول هو بترولنا وليست في الدنيا قوة لها الحق في ان ترغمنا على منح استثماره لأي كان ولسنا -في الأحوال العادية- بحاجة الى قانون نستمد منه مشروعية هذا المنح.



لقد كان واضحاً، ان هذا المرسوم التشريعي، قد صدر بتأثير القوى الوطنية التقدمية الشريفة في الجيش والحكم والحزب، كبحا منها، لمناورات الأطراف المنحرفة الأخرى، وهذا هو بالذات، مصدر تفاؤلنا بهذا المرسوم، ومثل هذا التفاؤل ينطوي بطبيعته على خوف من ان تعاود الجيوب المدحورة مناورتها من جديد، وبأساليب اكثر دهاء، اذا لم تسارع القوى الوطنية التي حققت هذا الانتصار، بدفع الحكم فوراً، للشروع بانشاء مؤسسة وطنية، لاستخراج وجر وتسويق البترول، واصدار جميع المراسيم اللازمة لذلك.

لكن هذه الأمنية لم تتحقق -مع الأسف- حتى اليوم مما سهل على الجيوب المشبوهة، ان تلعب لعبتها الخطيرة -في جو من السرية والكتمان الشديدين- حين دفعت الحكم لتوقيع اتفاقية مد انايب البترول من كراتشوك الى طرطوس، مع مجموعة من الشركات البريطانية، بشكل مهين للسيادة الوطنية أولاً... وبشروط بلغت من التعسف والجور حداً لم تبلغه اية اتفاقية عقدتها سورية، فيما مضى مع اية شركة عالمية، بما في ذلك اتفاقية شركة نفط العراق، ثانياً... وبصياغة تسمح لمجموعة الشركات البريطانية، في كل حين ان تعطل مفعول الاتفاقية كلها، دون ان تتمكن الحكومة السورية من ان تفعل حيالها شيء، ثالثاً.. وبارتباطات -وهذا اخطر ما في الموضوع- تقضي، قضاء مبرماً علنالمرسوم التشريعي رقم /964/133 سابق الذكر وتفقده كل اهميته، رابعاً... وبذلك دخل الصراع على النفط، في سياسة الحكم الحالي مرحلته الثالثة، وهي الموضوع الرئيسي لهذه النشرة.

### المرحلة الثالثة

في مطلع شهر حزيران المنصرم، نشرت الصحف المحلية، وأذاعت بعض المحطات الأجنبية، وفي مقدمتها محطة لندن، نبأ صغيراً جداً، لم يرافقه اي تعليق، ولم يصحبه اي اهتمام او ضجة، مفاده ان الحكومة السورية عقدت في لندن اتفاقية مع مجموعة من الشركات البريطانية من أجل مد انايب للبترول من كراتشوك الى طرطوس، والعمل على تمويل هذا المشروع بقروض تزيد على عشرين مليوناً من الجنيهات الاسترلينية.

ادهش هذا النبأ الرأي العام العربي في سورية كثيراً، وكان مرد هذه الدهشة بالدرجة الأولى -وببساطة ما بعدها بساطة- هو التساؤل "كيف تقدم مجموعة من الشركات البريطانية على مساعدة سورية، من اجل مد

انابيب البترول من كراتشوك الى طرطوس، رغم ان سورية سبق ان اصدرت مرسوماً تشريعياً يقضي بمنع منح اي امتياز بالاستثمار لأي شخص طبيعي أو اعتباري؟ أليس هذا المرسوم موجهاً بالدرجة الأولى، ضد اطماع الاحتكارات البترولية الاستعمارية، وفي طبيعتها الاحتكارات البترولية البريطانية؟ ثم اليس خطيراً -من وجهة نظر استراتيجية على الأقل- ان نعهد الى عدو بترونا الأول، بانشاء مجرى هذا البترول، ونمكنه من الاحتفاظ بأسرار هذا المجرى ومنشأته التي صنعها بيده، وبعد، هل يمكن ان يصدق معنا الانكليز في مثل هذا الممر الحيوي الخطير، وهل نسينا قصة مستودعات البترول في اللاذقية التي اضطررنا لانشائها اثر كارثة فلسطين، ولم تتمكن من وصلها بالبحر مدة سبع سنوات تقريباً من انتهاء انشائها، حتى كاد ان يأكلها البلى والصدأ، نتيجة امتناع جميع الاحتكارات البترولية الغربية من بيعنا (الخرطوم) اللازم لهذا الوصل، وهل نسينا الصعوبات التي اقامتها في وجه انشاء مصفاة البترول، الاحتكارات البترولية الغربية ذاتها، والمؤامرات التي حاكتها لاحباط هذا المسعى؟

ان المواطن بحدسه السليم البسيط، لا يستطيع ان يصدق ان الاحتكارات البترولية البريطانية، جادة في اتفاقيتها هذه.. فهل هنا امر مبيت في الخفاء، اتخذت هذه الاتفاقيات، سبيلاً لتغطيته، ليس غير؟ انه وان كان العقل، لا يقبل إلا مثل هذا الاحتمال... لكن بوسعنا ان نتريث في الجزم، حتى نطلع على نصوص هذه الاتفاقيات.

لقد انتظرنا، وانتظر الشعب طويلاً، نشر هذه الاتفاقيات واذاعتها، وتوضيح مضامينها، وتفصيلاتها لأن هذا حق اساسي من حقوقه الأساسية، خصوصاً وان هذه الاتفاقيات، تتعلق بأخطر مورد من موارده، عدا عما لها من انعكاسات سياسية محلية، بل وقومية تتعلق بالمنطقة العربية كلها... لكن شيئاً من ذلك لم يحدث، ولم تبادر الصحافة ولا الإذاعة، لا في سورية، ولا خارجها -في حدود علمنا- الى نشر النص الحرفي، لهذه الاتفاقيات... وقد فوجئنا اخيراً بنشر النص الحرفي، للاتفاقية المبدئية المعقودة في لندن بتاريخ 2 حزيران 1964 في الجريدة الرسمية فقط، في العدد /35/ تاريخ 1965/7/31.

وقد هالنا ما لمسناه فيها، من تعسف وجور من الجانب البريطاني ومن تفريط من الجانب السوري بلغ حدود المساس بالكرامة القومية، والسيادة الوطنية. وإنا سنعمل هنا، على بسط الاتفاقية بشكل موضوعي

بحث، كما سنعمل، بين الحين والآخر، على مقارنتها، بنصوص اسوأ اتفاقية كبلت سورية فيما مضى، هي اتفاقية شركة نفط العراق، المعقودة على يد "الشيخ تاج" في ظل الاحتلال الفرنسي، تاركين الحكم بعد ذلك للمواطن بعد ان يرجع في تدقيق كل حرف -اذا شاء- الى نص الاتفاقية، المنشورة، في العدد /35/ لعام 1965 من الجريدة الرسمية، كما سبق ان بينا ذلك آنفاً.

### ُخلاصة الاتفاقية

"وقعت الحكومة السورية بتاريخ 1965/6/2 في لندن، مع مجموعة من الشركات البريطانية اتفاقية مبدئية، من اجل انشاء خط انابيب لنقل النفط السوري الخام من كراتشوك الى طرطوس، بطاقة مبدئية قدرها خمسة ملايين طنناً في السنة، يمكن زيادتها الى سبعة ملايين ونصف طنناً في السنة، لقاء مبلغ لا يتجاوز عشرين مليون ومئتي الف جنيه استرليني ما عدا الفائدة، ويعتبر هذا المبلغ بمثابة حد اعلى للأسعار المقدرة، ريثما تقدم مجموعة الشركات البريطانية، ما اسمي بالاتفاقية المبدئية "بوثيقة الأعمال النهائية"، حيث يجري الاتفاق -آنذاك- مع الحكومة السورية، على السعر النهائي، على ان يحق للشركات البريطانية اضافة 27% على اسعار المواد والمعدات والأعمال المنفذة عموماً، باسم كلفة اضافية. وقد اعتبرت هذه الاتفاقية المبدئية التي اشتملت على المبادئ الرئيسية للتعاقد الاجمالي، بمثابة الأساس لمجموعة من الوثائق التعاقدية الرسمية التي سوف يوقعها الطرفان، اتماماً لهذه الاتفاقية المبدئية، على ان جميع هذه الوثائق التعاقدية اللاحقة، لا يجوز ان تنطوي علناً نقض للمقاصد الرئيسية والشروط المذكورة في هذا الاتفاق المبدئي".

ان بحثنا، سوف ينصب فقط، على ابراز فقدان التوازن في هذه الاتفاقية، بين الطرفين المتعاقدين فقداناً كاملاً لمصلحة الشركات البريطانية، وعلى ما تحمله الاتفاقية من نصوص تخرجها عن حدودها، كاتفاقية لمد الأنابيب، الى اتفاقية للتحكم بالنفط ذاته، وعلى ما تنطوي عليه الاتفاقية من شروط مخلة بالنظام العام في سورية، وماسة بالسيادة الوطنية..

### مناقشة الاتفاقية

أولاً- جرت هذه الاتفاقية، بين الحكومة السورية، ومجموعة من الشركات البريطانية، على مشاريع وأعمال، تتجاوز قيمتها العشرين مليوناً من الجنيهات الاسترلينية، بالتراضي -كما هو ظاهر من نصها، اي دون اجراء اية مناقصة دولية.

لماذا؟؟.. قد يقال، بأننا عاجزن مالياً وفنياً، عن القيام بهذا العمل الضخم بوسائلنا الخاصة، وانه لا بد لنا في مثل هذا المشروع الحيوي، من اللجوء الى احدى الدول الكبرى. لنفترض ان هذا الكلام صحيح -مع انه ليس كذلك- فلماذا يكون هذا اللجوء الى الاحتكارات الاستعمارية الغربية، بوجه عام، والبريطانية منها بوجه خاص؟

اما كان بوسعنا ان نصل لنفس الأغراض، عن طريق مناقصة دولية، تساهم فيها دول المعسكر الاشتراكي، الدول الخارجة عن نطاق الاحتكارات الغربية الاستعمارية؟ ان مثل هذه المناقصة، ان لم تؤد الى شيء، فهي ستؤدي حتماً، وعلى الأقل، الى تخفيض في المبلغ الأساسي، وتخفيض في الفائدة التي بلغت في هذا العقد نسبة 5%5 عدا عما لها من صيغة مركبة.

على أنه اذا قيل، بأننا لم نجد، بين جميع دول العالم، دولة، لا في الشرق ولا في الغرب مستعدة للقيام بهذا المشروع، فانه رغم ان مثل هذا القول لا ينهض على أي دليل، فإننا نقول بهذه الحالة، ان سورية قادرة، بوسائلها الوطنية الخاصة، في كل حين، أن تقوم بهذا المشروع. ان ما نستطيع توفيره من قطع نادر، ندفعه في شراء المحروقات، خلال عامين فقط، يكفي وحده لتعويض القرض الذي اخذناه من الشركات البريطانية في هاتين الاتفاقيتين... ان مبلغ القرض كله، لا يتجاوز 5/13ر/ مليون جنيه استرليني... بينما سورية، تدفع سنوياً قيمة محروقات، مبالغاً يتجاوز 80/ مليون ليرة سورية بالعملة الصعبة.. هذا عدا عما ترصده سورية سنوياً في موازنتها على المشاريع. اليس بوسعنا -في مثل هذه الحالة الحيوية والمصيرية- ان نحول بعض او كل موازنتنا الانمائية، لانجاز هذا المشروع الخطير بوسائلنا الخاصة؟ ان عقد التراضي بوجه عام، وتخصيصه ببريطانيا بوجه خاص هي بحد ذاتها أمور لا تبعث على الاطمئنان. وتثير الكثير من التساؤلات.

ثانياً- تقضي المادة التاسعة من هذه الاتفاقية، بأن تقوم الحكومة السورية بتعيين مستشار للقيام بوظيفة "مهندس"، وسيقوم هذا المستشار المهندس، بوظيفة "الحكم المستقل". **وان شروط هذا التعيين، ستكون وفق النقاط المتفق عليها، بين وزير الصناعة ومجموعة الشركات، بتاريخ 1965/5/27 ... وانه في سبيل قيام المهندس بواجباته، يتمتع بكافة الصلاحيات والمزايا المحددة في الشروط التعاقدية لمنظمة فديرك.**

وقد وجهت مجموعة الشركات، بتاريخ الاتفاقية المبدئية ذاته، اي 2 حزيران، كتاباً الى وزير الصناعة، ممثل الحكومة السورية، تقول له فيه، بأن الشروط التي سيعمل بموجبها المستشار المهندس قد تم عليها الاتفاق مع معاليكم بتاريخ 1965/5/27 ويتضمن هذا الاتفاق ما يلي:

**"سنقوم الحكومة السورية باستخدام المستشار، وتوافق المجموعة على تعويض الحكومة السورية مبلغ /100/ الف جنيه استرليني، لقاء المنافع التي يقدمها المستشار".**

إن القارىء حينما يطلع على نص المادة التاسعة من الاتفاقية لأول وهلة، يخيل إليه ان المستشار المهندس، المنصوص عنه في المادة المشار إليها، سوف يعين من قبل الحكومة السورية، وهذا معناه بالبداهة، ان الحكومة السورية مخيرة في انتقاء من تراه أهلاً لهذه الوظيفة ضمن شروط التعيين المتفق عليها بين ممثل الحكومة والشركات.

لكن من الرجوع الى الكتاب الصادر عن الشركات، الذي يوضح شروط التعيين المنوه عنها، يتضح ان كلمة "تعيين" قد استخدمت في نص المادة التاسعة من الاتفاقية على سبيل الاصطلاح فقط، وأنه لا يقصد منها سوى ان توافق الحكومة السورية **على استخدام** (المستشار المهندس) الذي تسميه الشركات البريطانية نفسها. فالمستشار المهندس، الذي اسندت اليه مهمة "الحكم المستقل" في هذه الاتفاقية المبدئية، وهي اخطر مهمة على الإطلاق، كما سيتبين فيما بعد، هذا المستشار، تعينه الشركات لا الحكومة، وأن دور الحكومة، لا يعدو اصدار قرار التعيين ليس غير. على ان الأمر الأكثر خطورة من ذلك، ان وظيفة هذا المهندس المستشار، رغم انها اخطر وظيفة في هذه الاتفاقية، فإن صلاحياته مع ذلك، لم تحدد بالاتفاقية، انما

قبل بأنه يتمتع بكافة الصلاحيات او المزاي، المحددة في الشروط التعاقدية لمنظمة فيدريك.

من هي منظمة فيدريك هذه؟ وما هي علاقتها بهذه الاتفاقية؟ وما هي الشروط التعاقدية لهذه المنظمة؟ كل ذلك بقي في الاتفاقية سرّاً مجهولاً.

ان الذي اثار اهتمامنا، في موضوع "المهندس المستشار" ذلك انه اعتبر "الحكم المستقل" في هذه الاتفاقية، وسوف يتبين معنا، حينما نتعرض لموضوع التحكم، ان حياة الاتفاقية كلها، بين يديه، **وأُن على الطرفين -او بتعبير اكثر واقعية- ان على الحكومة السورية ان تدعن لكل قرار يصدره، بلا طعن ولا مرجع، في كل ما يتعلق بتطبيق الاتفاقية، وما ينجم عن هذا التطبيق من خلاف بينها وبين الشركات.**

ثالثاً- نصت المادة الحادية عشرة من الاتفاقية في الفقرة (ب) على ان الحكومة السورية تقوم بدفع المبالغ المبينة في الكشف الى المجموعة، وان 80% من هذه الدفعات، تتم بالاسترليني في لندن، من تسهيلات القرض، الذي تديره، شركة اكسبورتس ايفانيانس المحدودة.

لقد تبين لنا من هذا النص، ومن نصوص اخرى في الاتفاقية، ان هناك اتفاقية مالية اخرى (قرض مالي)، وان اتفاقية تمديد خط الأنابيب، مرتبطة بهذه الاتفاقية المالية ومعلقة عليها. وقد عملنا فوراً على البحث عن هذه الاتفاقية المالية، فظهر لنا انها عقدت في لندن ايضاً، بنفس التاريخ، وقد ابرمتها السلطات السورية، بالمرسوم التشريعي رقم/123/ الصادر بتاريخ 1965/6/24 المنشور بالعدد رقم /30/ من الجريدة الرسمية الصادر بتاريخ 1965/7/1.

لقد جرت هذه الاتفاقية المالية، بين الحكومة السورية، وشركة اكسبورتس ايفانيانس، التي تمثل مجموعة من المصارف البريطانية. وغرض هذه الاتفاقية، قيام شركة اكسبورتس ايفانيانس المذكورة، بالحلول محل الحكومة السورية، بتمويل اتفاقية مد خط الأنابيب، في حدود مبلغ ثلاثة عشر مليوناً وسبعماية وستين الف جنيه استرليني، ضمن الشروط التالية:

- أ- يسدد المصرف المركزي، هذا القرض على /28/ قسطاً متساوياً، يدفع اربعة اقساط منها سنوياً بفائدة مقدارها 5,5%، على أن يتم الأداء بالاسترليني .
- ب- يصدر المصرف المركزي سندات متسلسلة بالمبالغ المستحقة يودعها بجملتها رأساً لدى الشركة.
- ج- ان مصرف سورية المركزي، ملزم بتسديد الاقساط المترتبة عليه في مواعيدها حتماً، ولا علاقة لهذا الالتزام مطلقاً، بسير العمل في اتفاقية تمديد خط الأنابيب، او بحسن تنفيذه. وهذا يعني، ان على المصرف المركزي، ان يدفع الأقساط في مواعيدها، حتى ولو عملت مجموعة الشركات البريطانية -التي دفع القرض لها- على عرقلة سير المشروع، او على تعطيله من الأساس.
- د- اذا تأخر المصرف المركزي، عن دفع قسط من الأقساط في مواعده، تستحق عليه الأقساط كلها دفعة واحدة، دون اثبات، او طلب، او احتجاج، او اي اشعار آخر.
- هـ - لشركة اكسپورتس، حق الرجوع المباشر الفوري، الى شركة نبط العراق، لقبض اي مبلغ مستحق على المصرف المركزي، بموجب السندات التي اصدرها، او بموجب أحكام هذه الاتفاقية المالية.. وذلك من الدفعة او الدفعات التالية مباشرة، المستحقة، كعوائد مرور، للحكومة السورية، بموجب الاتفاقية المعقودة مع شركة نبط العراق عام 1931، المعدلة بالقانون رقم /128/ الصادر بتاريخ 12/6م1955.
- و- ان الاتفاقية المالية، تنفذ في لندن، ويحكمها القانون البريطاني وحده، وتفسر على ضوءه. كما ان أي خلاف على بنود هذه الاتفاقية، يفصل، في زوريخ، بطريق التحكيم.
- ز- ان على مصرف سورية المركزي، ان يقدم الدلائل الثابتة، لشركة اكسپورتس ايفانيانس، بأن الحكومة السورية، قد اتخذت الترتيبات اللازمة، لحفر عدد من الآبار البترولية الاضافية، بحيث يصبح الانتاج الكلي للنفط الخام /4/ ملايين طن في السنة، على ان لا يكون تمويل ذلك من انكلترا.

ح- ان على مصرف سورية المركزي، ان يقدم الدلائل الثابتة، لشركة اكسبورتس ايفانيانس، بأن الحكومة السورية، قد اتمت الترتيبات اللازمة، لتزويد وتمويل، التعديلات الضرورية على مصفاة حمص، لجعلها قادرة على تكرير النفط الخام السوري، على ان لا يكون تمويل ذلك من انكلترا.

ط- ان على مصرف سورية المركزي أن يقدم الدلائل الثابتة لشركة اكسبورتس بأن الحكومة السورية قد رصدت او سوف ترصد في موازنتها الاعتمادات اللازمة لتمويل أكلاف العنصر المحلي للمشروع الكامل لتوسيع وتطوير الصناعة البترولية في سورية، وان الأموال اللازمة لهذا الغرض قد تأمنت أو يمكن تأمينها.

هذه هي خلاصة الاتفاقية المالية مع شركة اكسبورتس ايفانيانس، كما هي مبينة في المرسوم التشريعي رقم /123/ تاريخ 1965/6/24، وفي الكتاب الملحق بهذه الاتفاقية، الموجه من الشركة الى مندوب المصرف المركزي السوري بتاريخ 1965/6/1.

ومن ربط نصوص هذه الاتفاقية المالية ، باتفاقية تمديد خط الأنابيب، نستخلص ما يلي:

1- ان الحكومة السورية، قد عقدت قرضاً، بمبلغ /13670000/ جنيه استرليني مع شركة اكسبورتس البريطانية، وسوف تسلمها لقاءه فوراً، سندات، مضمونة الأداء، من شركة نفط العراق، على حساب عائدات مرور النفط، التي تتقاضاها الحكومة السورية من شركة نفط العراق.

2- ان شركة اكسبورتس، تقوم هي -من حساب القرض- بدفع استحقاقات مجموعة الشركات البريطانية، التي تقوم بتنفيذ اتفاقية مد خط النايب، وفق الكشف، التي يقدمها المستشار المهندس... وكذلك تقوم بدفع جميع التعويضات والغرامات، مباشرة الى المجموعة، بمجرد أن يصدر عن المستشار الحكم، اي قرار بذلك.

3- ان شركة اكسبورتس، تدفع لمجموعة الشركات كشوفها كاملة، كما تدفع لها جميع ما يحكم لها به الحكم، وهي بدورها، تتقاضى من المصرف المركزي السوري، اثمان اقساط القرض في مواعيدها مع



الفوائد، بصرف النظر، عن قيام المجموعة بالتزاماتها كاملة، او عدم قيامها البتة بهذه الالتزامات.

4- ان الاتفاقية المالية، رغم ما قدمته فيها الحكومة السورية من ضمانات الدفع، (حصتها من عائدات شركة نبط العراق)، **تتشرط لنفاذها، اموراً، لا يمكن ان تفسر، إلا بأنها تدخل في صميم شؤوننا الداخلية، فهي تشترط حفر آبار بترولية اضافية جديدة، وتشترط اجراءات معينة وتعديلات في مصفات حمص، وتشترط فوق هذا وذاك، الوصاية على الموازنات المتعاقبة، للجمهورية العربية السورية.**

5- ان الأمر الخفي الخطير، في هذه الاتفاقية، الذي يمد راسه، من خلال الكتاب الموجه من الشركة الى ممثل مصرف سورية المركزي بتاريخ 1965/6/1... ذلك أن الفقرة الثالثة من هذا الكتاب، اشترطت، -كما بينا آنفاً- على المصرف المركزي ان يقدم الدلائل الثابتة، التي تقبل بها الشركة، بأن الحكومة السورية، قد اعتمدت في موازنتها، الحالية والقادمة، **ما يلزم لتمويل أكلاف العنصر المحلي، للمشروع الكامل، لتوسيع وتطوير الصناعة البترولية في سورية.**

ان هذا الكلام، يعني صراحة، أن هناك **اتفاقية ثالثة** لم تنشر بعد، هي اتفاقية ما اسمي هنا **"بالمشروع الكامل، لتوسيع وتطوير الصناعة البترولية في سورية"**، وان على الحكومة السورية ان تبرهن للشركات على قدرتها بتمويل العنصر المحلي، من تكاليف هذا المشروع.

ان هذا الاحتمال، يخرج عن حدود المعقول، اذ هل يتصور، ان تكون الحكومة قد اتفقت، اوفي صدد الاتفاق، مع الشركات البريطانية، **"على مشروع كامل لتوسيع وتطوير الصناعة البترولية"؟**

ان عبارة **"الصناعة البترولية"** تشمل من الناحية الفنية كل شيء، بدءاً من التنقيب، وحفر الآبار، واستخراج البترول، وتكريره وتحويله الى عناصره الصناعية المختلفة، وانتهاء بتسويقه، فإذا كان الأمر كذلك، فماذا بقي من عمر مرسوم المنع "الشهيد" رقم 133/؟

ان اشتراط شركة اكسپورتس، على الحكومة السورية، بأن ترصد في موازنتها الحالية، وموازنتها القادمة، ما يكفي لتمويل العنصر المحلي من هذا المشروع، لا يمكن ان يفهم، إلا بأن الإتفاق على "المشروع الكامل لتوسيع وتطوير الصناعة البترولية في سورية" قد تم بين الجانبين، وأن على سورية، تمويل العنصر المحلي مباشرة، في هذا المشروع، بينما ستقوم الشركات البريطانية، بتمويل العنصر الأجنبي فيه، الذي سيكون بريطانيا، دون ادنى شك؟

ومع ذلك، فإن الكلمة الحاسمة في مثل هذه الاتفاقية - اتفاقية المشروع الكامل لتوسيع وتطوير الصناعة البترولية - لا نستطيع ان نقولها، قبل ان نتوثق من وجود هذه الاتفاقية، وبعد ان نطلع على نصها.

رابعاً- نصت المادة /16/ من الاتفاقية المبدئية، على التسهيلات التي يتوجب على الحكومة السورية ان تقدمها للشركات ، ومن جملة هذه التسهيلات، منح جميع التراخيص والاجازات وغيرها من الوثائق.. هكذا بلا قيد ولا شرط. ومعلوم أن هذه التراخيص والإجازات، تنصب بالدرجة الأولى، على تراخيص واجازات، الدخول والخروج من البلاد، للأشخاص الأجانب الذي سوف تستخدمهم الشركة. ان اشتراط هذا التسهيل، بدون أي احتراز، أمر في غاية الخطورة. فهل من واجب الحكومة -وفقاً لهذا النص- ان تسمح بدخول أي موظف او عامل الى البلاد. حتى ولو كان مشبوهاً، أو من رعية دولة عدوة؟؟.. ان النص صريح ويقول نعم.

ان مثل هذا النص، لم تقبل به الحكومة السورية، على يد "الشيخ تاج" في الاتفاقية التي عقدتها مع شركة نפט العراق، بتاريخ 1931/3/25... وقد نصت الفقرة الأخيرة من المادة الحادية عشرة من هذه الاتفاقية، على ما يلي بالحرف:

**"تستطيع الحكومة لصالح الأمن العام، ان تمنع اي شخص تستخدمه الشركة من الدخول او الإقامة في منطقة معينة".**

خامساً - نصت المادة /20/ من الاتفاقية، على ان لمجموعة الشركات البريطانية، الحرية، بتأمين أعمالها التي تراها ضرورية، مع أية شركة تختارها في بريطانيا، وسيكون تاريخ نفاذ التأمين قبل البدء بمرحلة تنفيذ الأعمال.

هكذا ورد النص، دون قيد او شرط، الا يعني ذلك، ان من حق الشركات البريطانية، ان تؤمن اعمالها فوق اراضيها، لدى اية شركة تأمين بريطانية، ولو كانت من الشركات المدرجة في القائمة السوداء؟ ان التزام الحكومة السورية مع مجموعة الشركات البريطانية التي تم التعاقد معها، قد يمتد اذن - بموجب نص المادة /20/ أنفة الذكر - ليكون ايضاً، التزاماً حيال جميع شركات التأمين البريطانية، كائناً ما كانت هوية هذه الشركات.. صهيونية أم غير صهيونية.

سادساً - ان أخطر بند، من بنود هذه الاتفاقية، هو النص الوارد، في الفقرة (د) من المادة /21/ هذه الفقرة تقضي، بأن من جملة وثائق العقد الرسمية، التي سيقوم الطرفان بتبنيتهما على اساس هذه الاتفاقية المبدئية، وثيقة تقضي بالاتفاق **على شروط بيع المواد المنتجة**، والمواد المنتجة هي طبعاً البترول المستخرج من حقول الزيت السورية. فهل يعني ذلك -طبعاً لا يمكن ان يعني غير ذلك- بأن اتفاقية تمديد خط انابيب البترول، مرتبطة، بالاتفاق على شروط بيعنا للبترولنا؟ وما هي علاقة تمديد خط انابيب البترول، بالاتفاق على شروط بيع البترول؟

ان هذا النص، يخرج الاتفاقية مباشرة، عن حدودها، كاتفاقية لتمديد خط انابيب البترول، الى اتفاقية لتسويق البترول.

كما ان هذا النص يغير جوهر الاتفاقية، من اتفاقية محدودة بزمن اقصاه خمسة وعشرين شهراً، كما هو محدد في المادة الثامنة، الى اتفاقية غير محدودة الأجل قد يستمر سريانها، ما استمر تدفق البترول من الأراضي السورية، وستبقى هذه المدة معلقة على وثيقة شروط بيع المواد المنتجة المنوه عنها.

ان هذا النص معناه، ان المرسوم التشريعي رقم /133/ قد نسف من أساسه، لأنه ان كان لهذا المرسوم معنى، فمعناه اننا سوف نستثمر بترولنا بأبدينا، ونتصرف احراراً، في بيعه وتسويقه.

ولكن أما وأن الحكومة السورية، قد قيدت نفسها، لحساب مجموعة الشركات الاحتكارية البريطانية، بشروط البيع، فمعنى ذلك انها نسفت الأساس، الذي من اجله صدر المرسوم /133/.

ان بريطانيا اذا ما اتيح لها ان تتحكم بشروط بيع البترول، تصيح في موقف افضل مما لو تولت عملية الاستثمار ذاتها، لأنها حينما تتحكم بروط البيع، تكون قد حالت دون منافسة اسعار البترول السوري، لأسعار الاحتكارات، وفي هذا خنق للبترول السوري، يمنعه من ان يعرض نفسه على السوق.

ان الاتحاد السوفييتي ذاته، لم يتمكن من كسر الاحتكارات البترولية، إلا لأنه حر في عرض بتروله بالسعر الذي يريد، وقد استطاع، عن طريق تخفيض اسعار بتروله، عن اسعار الاحتكارات، ان يفتح باب المزاحمة، ووجد لانتاجه سوقاً، حتى لدى بعض الدول الغربية.

ان الإتفاق على شروط البيع، معناه ان الاتفاقية، لم تعد اتفاقية تمديد انابيب، انما اصبحت اتفاقية للتحكم بالنفط ذاته. والتحكم بالنفط، من قبل الاحتكارات البريطانية، معناه قطع الطريق على أي انعكاس على السياسة البترولية في المنطقة العربية، قد يحدثه استثمار سورية لبترولها استثماراً حراً.

**ان المخاطر التي تخشاها الاحتكارات البترولية البريطانية والأميركية، من اقدام سورية على استثمار بترولها وتسويقه، استثماراً وتسويقاً حراً، لا تكمن في خروج مغانم البترول السوري من أيديها فقط، انما تكمن -في معظمها- بما يمكن ان يحدثه مثل هذا الإجراء، من ثورة في المنطقة البترولية العربية كلها.**

سابعاً- نصت المادة /25/ من الاتفاقية، على التحكيم، قائلة "ان أي خلاف يمكن ان يقع بين الحكومة والمجموعة بسبب الأعمال، فيما يتعلق بهذا الإتفاق المبدئي او بأية وثائق تعاقدية لاحقة، يحال الى التحكيم في "زوريخ" انسجاماً مع الشروط العامة للعقد وسيكون قرار المحكم نهائياً وملزماً للطرفين، ولا يحق لأي منهما الطعن به، وكل قرار تحكيمي لصالح المجموعة يخولها آلياً حق استلام المبالغ المبينة في القرار، تقوم شركة اكسبورتس ايفانيانس المحدودة بدفع المبالغ المبينة في قرار التحكيم كأنها كشف نهائي.

هل هذا تحكيم، بالمعنى الحقوقي، ام تتحكم؟

الشركات البريطانية، تحدد اسم المحكم السمتقل -المستشار- ، وكل خلاف قد يقع بين الحكومة والشركات البريطانية، يقضي به هذا "الحكم السمتقل المستشار"، وما يقضي به غير قابل للمراجعة او الطعن، وتقوم شركة اكسبورتس ايفانيانس، بتنفيذه فوراً على حساب الحكومة، وتنظر دعوى الخلاف، وتبحث، وتحسم، وتنفذ، خارج البلاد في زوريخ اولاً وفي لندن ثانياً، ونعود فنتساءل هل هذا تحكيم أم تحكم؟

اننا كي نوضح هذا الأمر بالمقارنة، مع اسوأ اتفاقية تحكيمية عرفتها سورية فيما مضى، مع اتفاقية شركة نبط العراق وسنعرض فصل التحكيم، كما جاء فيها بنصها الأصلي الموضوع عام 1931، وما طراً عليه من تعديل بعد ذلك بالقانون رقم /128/ الصادر بتاريخ 1955/12/6.

لقد نصت المادة /25/ من الاتفاقية الأصلية لشركة نبط العراق، في موضوع التحكيم على ما يلي بالحرف الواحد: "اذا نجم، خلال فترة الاتفاقية او بعدها، شك او نزاع او خلاف، بين الحكومة والشركة، بشأن تفسير او تنفيذ هذه الاتفاقية، او بشأن ناحية اخرى، منصوص عنها، او متعلقة بها، او من اجل حقوق والتزامات احد الفريقين، وتعذر الاتفاق فيما بينهما على حسمه، بأية طريقة أخرى، يعرض الخلاف على محكمين اثنين، ينتخب كل فريق واحداً منهما، وعلى حكم ثالث ينتخب من قبل الحكمين الأوليين، قبل المباشرة بالتحكيم.

يعين كل فريق الحكم الذي يختاره في غضون الثلاثين يوماً التي تلي الطلب الخطي الوارد اليه من الفريق الآخر، واذا لم يستطع الحكمان الاتفاق على انتخاب الحكم الثالث، فالحكومة والشركة وباتفاق مشترك يطلبان من رئيس محكمة العدل الدولية الدائمة ان يسمي الحكم الثالث، ان قرار الحكمين، او قرار الحكم الثالث، في حال حصول خلاف بينهم - يعتبر قطعياً. ويجري التحكيم في المكان الذي يتفق عليه الطرفان، او في حال الخلاف، في باريس.

وواضح أن "باريس" كانت آنذاك، عاصمة دولة الانتاب.

ومع ذلك فقد عدلت هذه الفقرة الأخيرة في القانون الصادر برقم /128/ تاريخ 1955/12/6 المنشور في العدد /59/ من الجريدة الرسمية لعام

1955، فحلت "دمشق" بحكم المادة /20/ من هذا القانون، محل "باريس".

في منطوق القانون، هذا تحكيم، اما ما ورد في الاتفاقية الجديدة، فهو تحكيم، فاق عقود الازعان.

ثامناً- نصت المادة /26/ من الاتفاقية، على لغة الاتفاقية، فقالت "تعد الوثائق التعاقدية الرسمية باللغتين، الانكليزية والعربية، ولكن اللغة الانكليزية تعتبر اللغة الأولى بالتوثيق والعمل.

هل هذا معقول؟ هل تتنازل الحكومة السورية- وهي دولة ذات سيادة - عن لغتها الرسمية، في تعاقدها مع شركات اجنبية لمصلحة لغة هذه الشركات؟

لقد كانت اتفاقية شركة نفط العراق، تنص في صيغتها الأصلية، على ان النص الافرنسي هو المعتمد، ولكن اللغة الفرنسية، في مفهوم عهد الانتداب، هي لغة رسمية في الدولة. ومع ذلك فقد عدل القانون رقم /128/ الصادر بتاريخ 1955/12/6 هذا النص، بالمادة /21/ منه التي تقول "وضعت هذه الاتفاقية المتممة باللغتين العربية والانكليزية ويكون لكلا النصين القوة ذاتها".

اذا كان النص العربي، في اتفاقية تمديد خط الأنابيب، غير معتمد، لا بالتوثيق ولا بالعمل، فلماذا حررت الاتفاقية به اذا؟ وماذا يعني بعد هذا، انها كتبت باللغتين الانكليزية والعربية؟ ان النص العربي، ورد فقط، لتنشر هذه الاتفاقية في الجريدة الرسمية السورية، ليس من اجل اعتماد هذا النشر، لأن هذه النسخة غير معتمدة، وانما فقط لتسجيل تسليم الحكومة السورية، بهذه الشروط الجائرة المهينة، واعتبار هذا لتسليم قد اقترن بأعلى مراتب الابرار والتوثيق والشهر، من قبل السلطات السورية.

تاسعاً- نصت المادة /27/ ان هذا الاتفاق المبدئي، والوثائق التعاقدية الرسمية، تعد بالاستناد الى القانون السائد في انكلترا وتفسر على ضوءه.

ان هذا خطير، يكاد لا يصدق ، ان هذه الاتفاقية تنفرد بهذا النص التعسفي، من دون جميع الاتفاقيات، التي عقدتها الحكومات السورية منذ بداية عهد الانتداب الفرنسي حتى الآن.

ان النتائج التي قد تترتب على هذا النص ... أنها قد تطعن النظام العام في سورية، ولا يكون بوسع الحكومة السورية ان تتخذ حيال ذلك أي اجراء.

عاشراً - نصت المادة /19/ من الاتفاقية، على انه يمكن للمجموعة، ان تعهد ببعض أو بكل الأعمال لمتعهدين ثانويين، بموافقة الحكومة، وأنه لا يحق للحكومة أن تمتنع عن اعطاء هذه الموافقة إلا لأسباب معقولة.

ولكن من الذي سيفدر معقولة هذه الأسباب؟ انه سيقدرها المستشار الحكم المستقل طبعاً، عند كل خلاف. واذا افترضنا ان هذا الحكم نزيه شريف، فما هي الأسس والمبادئ والنصوص، التي سوف يسترشد بها في حكمه. انها الأسس والمبادئ والنصوص السائدة في انكلترا، كما جاء في المادة /27/ أنفة الذكر.

إذن فالأسباب، تكون معقولة، او لا تكون، بمقدار ما هي كذلك، في القانون اسائد في بريطانيا. وعلى هذا، فانه قد يكون معقولاً، ان تعهد مجموعة الشركات البريطانية، بجزء من الأعمال المتعاقد عليها، أو بكلها، الى متعهدين ثانويين، دون ان يحق للحكومة السورية، ان تمتنع عن الموافقة، لأن الأسس والمبادئ والنصوص السائدة في بريطانيا، لا ترى في مثل هذا التبرير، شيئاً غير معقول.

حادي عشر- لقد سكنت الاتفاقية سكوناً مطبقاً، عن موضوع العمل، ولم تبين لا من قريب ولا من بعيد، الحدود التي تستطيع، ان تستخدم الشركات البريطانية ضمنها، الموظفين والعمال. وهذا -بالشكل المطلق الوارد فيه- يتيح لها "أي للشركة" ان لا تستخدم في اعمالها، أي خبير او موظف او عامل من السوريين.

ان اتفاقية شركة نפט العراق "اياها" قد تضمنت مادة خاصة، من اجل اليد العاملة، هي المادة الحادية عشرة، اذ نصت:

"تتعهد الشركة، باستعمال اليد العاملة المحلية في حاجات المشروع، على اراضي الدولة، وتتعهد الحكومة - اذا لم تكف اليد العاملة المحلية الملائمة لحاجات المشروع- بمنح التسهيلات الخاصة الضرورية، لدخول اليد العاملة الأجنبية لأراضي الدولة".

وواضح -كما بيّنا آنفاً- ان الحكومة تستطيع دوماً أن تمنع - دون بيان الأسباب- اي عامل او خبير او موظف اجنبي، لضرورات الأمن.

كما أن القانون رقم /128/ الصادر عام 1955، قد اضاف الى هذا النص في المادة /15/ منه ما يلي:

"يكون مستخدمو الشركة في سورية من الجنسية السورية بالقدر الممكن، لكن الممثل والمديرين وكذلك المشاورين ورجال الإدارة والفن وسائر الخبراء المستخدمين من قبل الشركة يجوز ان يكونوا من جنسية اخرى، اذا لم تجد الشركة بين السوريين من تتوافر فيهم الخبرة والأوصاف، المطلوبة. وستبذل الشركة احسن جهودها، لاعداد سوريين وتدريبهم للقيام بهذه المهمات بدل الأجانب".

ان خلو اتفاقية تمديد خط انابيب البترول، من ضمانات مماثلة، يفسح اوسع المجالات امام الشركات البريطانية، لادخال جميع شبكات التجسس البريطانية الى البلاد تحت اسم عمال او مستخدمين او خبراء وما سوى ذلك.

ثاني عشر - لقد اخضعت الاتفاقيتان - الاتفاقية المالية، واتفاقية مد خط الأنابيب - لسيادة القانون البريطاني - كما اشرنا الى ذلك من قبل- ، كما احيل كل خلاف يقع بين الحكومة والشركات، على نصوص الاتفاقيات وشمولها، الى التحكيم في زوريخ.

ان مثل هذه الشروط قد تفسح المجال لتفسير بعض الاشكالات تفسيراً يتعارض مع الالتزامات الدولية الأخرى للحكومة السورية. وفي هذا ما فيه من خطر ومغامرة، لا على سمعة سورية الدولية فقط، انما في التأثير على سياستها الخارجية ايضاً، وعلاقتها مع الدول الصديقة.

ان الكتاب الموجه من شركة اكسبورتس الى الحكومة السورية بتاريخ 1965/6/1 كملحق متمم للاتفاقية، يشير في فقرته الثالثة: بأن



المصرف المركزي السوري، ملزم بتقديم الدلائل الثابتة التي تقبلها الشركة، بأن الحكومة السورية قد اتخذت جميع الترتيبات اللازمة، لانجاز ما سمي **بالمشروع الكامل لتوسيع وتطوير الصناعة البترولية في سورية**."

فهل يعني ذلك أن الحكومة السورية مكلفة بوضع "مشروعها الكامل" - ان وجد هذا المشروع - لتوسيع وتطوير الصناعة البترولية، بين يدي شركة اكسبورتس، لتتال موافقتها على هذا المشروع؟

ان عبارة "المشروع الكامل" تعني منهج العمل الكامل في حقول الزيت السورية، وهذا يشمل فيما شمل المهمات المسندة الى الخبراء والغنيين السوفييت، منذ عدة سنوات، وتبعاً لاتفاقية التعاون الاقتصادي مع الاتحاد السوفييتي، فهل التزمت الحكومة السورية - بموجب النص السابق - بأن تضع اعمال الخبراء السوفييت، بين يدي الشركات البريطانية؟؟ وهل يمكن ان يرضى السوفييت بمثل هذه المهانة؟.

لنفترض ان اشكالاً حصل بين الحكومة السورية وشركة اكسبورتس، حول هذا الموضوع، واحتكم الى الحكم، وأقر - بموجب قواعد القانون البريطاني- وجهة نظر الشركة، فماذا تكون النتيجة الطبيعية لذلك؟.

ان نصوص الاتفاقيتين، قادرة دوماً بالشروط التعسفية التي تنطوي عليها، ان تخرج الاتفاقيتين عن حدودهما الفنية والمالية لكي تصبحا ضابطاً لسياسة الدولة كلها، وبوجه خاص، مع الاتحاد السوفييتي ودول المعسكر الاشتراكي.

ان اتفاقية شركة نفط العراق، قد راعت هذه النقاط بالذات، في نصوصها الأصلية الموضوعة عام 1931، حين قالت في مادتها السادسة والعشرين تحت عنوان "التحفظ المتعلق بالعقود الدولية والامتيازات والاتفاقات الراهنة" ما يلي بالحرف الواحد:

**"لا يمكن ان تقر هذه الاتفاقية بشكل يفرض على الحكومة التزاماً يتعارض مع اي التزام آخر، ترتب عليها بعقد دولي، كما انه لا يمكن ان تفسر هذه الاتفاقية، او أحد النصوص الواردة فيها بشكل يمس او يخالف اي حق او امتياز ناشئ من امتياز موجود، او من اتفاق ملزم للحكومة"**.

خلاصة القول، ان هاتين الاتفاقيتين عدا عما تحتويان عليه من مهانة للسيادة الوطنية، وعدا عما تكشفان عنه، من انعدام التوازن انعداماً كاملاً، ورجحان جانب الشركات البريطانية رجحاناً مطلقاً، -فإنهما علاوة على ذلك- فيما اذا قدر لهما ان تخرجا للنور وتدخلا مرحلة التنفيذ- يفتحان مجالاً كبيراً للاستعمار يتيح له سبيل التسرب الى سورية من أوسع الأبواب، ويمكنه - بهذا الاسلوب الشيطاني الجديد - من تحقيق جميع ما عجز عن تحقيقه في الماضي، بأساليبه العتيقة.

ان الاتفاقيتين وفقاً للنصوص الرسمية، ليستا اتفاقيتي تمويل، وتمديد خط انابيب. انهما في جوهرهما:

أولاً- وضع جميع الطاقة المالية السورية وموازنتها ومداخلها الرئيسية تحت سيطرة ورقابة الاحتكارات المصرفية والبترولية البريطانية.

ثانياً- إخضاع السياسة البترولية في سورية كلها، سواء كانت على مستوى الزيت الخام المستخرج او على مستوى الزيت المكرر والمصنع، وما يستتبع ذلك كله، من مناهج تطوير او عمليات استثمار. لسيطرة وتحكم الاحتكارات المصرفية والبترولية البريطانية.

ثالثاً - تسليح الاحتكارات المصرفية والبترولية البريطانية، بشكل بالغ التعسف والجور، بأسلحة شرعية ماضية، تمكنها -في كل لحظة- من تعطيل العمل بالالتزامات التي اخذتها هي على عاتقها في هاتين الاتفاقيتين، وملاحقة الحكومة السورية، فوق ذلك بالأضرار، التي تكون هي -اي الشركات البريطانية- قد سببتها.

هذا هو جوهر الاتفاقيتين، ليس مستنتجاً ولا مستقراً، انما مستمد من النصوص الصريحة الواضحة، كما هي منشورة في صيغتها الرسمية.

انه تسرب ماكر، للاستعمار البريطاني في ثوب جديد ارتداه  
في هاتين الاتفاقيتين.

ان هيمنة الاحتكارات المصرفية والبترولية، على الطاقة  
المالية والطاقة البترولية في سورية، معناها الواضح بالتالي  
الهيمنة على اقتصاديات البلاد وسياستها الاشتراكية والتقدمية  
والقومية.

انه لا يخفى على أحد، ان استكمال اسباب تحررنا،  
وترسيخ وتطوير تقدمنا الاشتراكي، ووقوفنا وصمودنا امام اسرائيل  
وأطماعها العدوانية، وتهديدها، واعدادنا للإسهام في معركة  
التحرر العربية الكبرى كلها مرهونة بمدى ما نستطيع ان نستثمر  
مواردنا - والبترولية منها بشكل خاص - استثماراً حراً طليقاً، من  
كل سيطرة او نفوذ أو قيد.

ان الآمال الكبرى معقودة، من اجل تحقيق هذه الأهداف،  
على استثمار مواردنا المائية، وتفجير الطاقات الكهربائية منها،  
واستثمار الثروات البترولية الدفينة، ولكن على هذه فقط - اي  
على الثروات البترولية الدفينة وحدها- يتوقف استثمارنا للموارد  
الأخرى.

**ان مستقبل الاقتصاد السوري كله، وما يستتبع  
الوضع الاقتصادي من امور اجتماعية وسياسية وقومية -  
مرتبط اوثق ارتباط، بالبترو، وهذا هو السر الخطير  
الكامن في المسألة.**

ان تحرر البترول السوري، معناه اولاً تحرر وتقدم  
سورية العربية، ومعناه ثانياً، تحرر البترول العربي، وان  
تحرر البترول العربي، معناه تحرر العرب وزوال اسرائيل.

ولعلها مفارقة في غاية الغرابة، ان توقع الحكومة  
السورية، هاتين الاتفاقيتين الاستعباديتين، في نفس  
الوقت، الذي تصدر فيه منهاجها المرحلي الذي يقول "ان  
الثروة البترولية في الوطن العربي، ليست مسألة  
قطرية، تختص بها السيادة الإقليمية، بل هي قضية

**قومية، لأنها تتعلق بصورة مباشرة بحرية الوطن العربي، وبقضيته الكبرى في فلسطين، وبقضيه تقدمه الاقتصادي ككل".**

فإذا كانت الثروة البترولية، في الوطن العربي، ليست مسألة قطرية، بل هي قضية قومية، فهل تصبح كذلك -اي قومية- اذا سلطت الاحتكارات البترولية البريطانية عليها في سورية، كما هو شأنها في بقية الأقطار العربية؟

وإذا كانت حرية الوطن العربي، وقضية العرب الكبرى فلسطين، ومسألة التقدم الاقتصادي العربي ككل مرتبطة كلها مباشرة بالثروة البترولية في الوطن العربي، كما يقول المنهاج المرحلي، فهل تقضي مراحل هذا المنهاج، تحقيقاً لهذه الأغراض كلها، ان يسلم مفتاح هذه الثروة في سورية الى بريطانيا، محمولاً على اتفاقيتين، لم يعرف تاريخنا، اكثر منهما مهانة وجوراً.

### **أيها الرفاق**

تلك هي مضامين الاتفاقيتين، المالية والغنية، وقد تعمدنا بسطها وتحليلها ومناقشتها، بمنتهى الموضوعية والتجرد، واكتفينا بمقارنتها بأكثر الاتفاقيات التي عرفها تاريخ هذه المنطقة تعسفاً وجوراً - اتفاقية شركة نفط العراق - ولم نعمل على مقارنتها بالاتفاقيات الأخرى التي جرت، مع اليوغسلاف، من اجل الميناء والغاب، ومع البلغار - من اجل السد، مع التشيك من أجل المصفاة، ذلك لأننا لو فعلنا ذلك لكشفت الفوارق، عما هو افدح وأخطر ولظهرت اتفاقيتا اليوم وكأنهما وثيقتنا "رق".

**وما كان لهاتين الاتفاقيتين العاشمتين، أن تمرا، لولا الجو الخانق المفروض وانعدام الديمقراطية في البلاد، منذ بداية هذا العهد حتى الآن، وان الذين فلسفوا وما زالوا يفلسفون لهذا العهد، ويعملون على اقضاء الشعب، وتطويق طلائعه التقدمية، وحرمانها من كل مشاركة او رقابة او رأي، هم اولئك الذين يجدون في مثل هذا النظام المهيمن خير وسط يحققون فيه اغراضهم ومؤامراتهم.**

نحن لم نكتب هذا التحليل، لندين الأيدي الملوثة التي حبكت هاتين الاتفاقيتين في الظلام، وضمن حجاب كثيف من السرية والكتمان، إنما كتبناه فقط، لاولئك الذين ما زلنا نعتقد انهم موجودون، وما زلنا نعتقد انهم قادرون - وبعد ان يضعوا ايديهم على حقيقة المكيدة التي استدرجتهم اليها عناصر العمالة المندسة بين صفوفهم - على ان يقطعوا الطريق فوراً على هذه العناصر، وينقلبوا على كل ما زرعت بين ظهرانيهم من ألغام مبيدة.

نحن نكتب هذا التحليل أولاً، لكل مسؤول وطني، في هذا الجيش وهذا الحكم وهذا الحزب، الذين نعتقد بأنهم خدعوا بهاتين الاتفاقيتين -نتيجة المكر الخفي- وما كانوا ليسلموا بها، لو أنهم وقفوا على مراميها السياسية والاقتصادية والقومية الخطيرة، وعلى حقيقة مضامينها المهينة المذلة.. ليواجهوا مسؤولياتهم مباشرة، ويقولوا كلمتهم، بأنفسهم وللتاريخ.

عدد خاص: دمشق أواخر شهر آب

1965.

بعد توزيع هذه النشرة انطلقت أجهزة اعلام السلطة بحملة اعلامية مسعورة ضدي وضد الاشتراكيين العرب، ففي تاريخ 1956/10/7 نشرت جريدة البعث مقالاً جاء فيه انني والاشتراكيين العرب نعمل ضد المصلحة الوطنية وفي خدمة الاحتكارات البترولية، ووصلت الحملات الاعلامية الى غاية السخف عندما اتهمت الاشتراكيين العرب بأنهم وراء اغتيال العقيد عدنان المالكي.

ولكن حملات حكومة البعث الاعلامية في صحيفتي البعث والثورة وفي جريدة الأحرار وبعض الصحف اللبنانية التي توجهها المخابرات السورية كانت تقابل بالاستهجان والاستنكار وتثير سخرية الراي العام، بينما تناولت بعض الصحف في العراق ومصر موضوع الاتفاقية مع الشركات البريطانية واتهمت السلطة في سورية بممالة السياسة البريطانية الاستعمارية.

وبتاريخ 1965/10/8 نشرت جريدة النهار ما يلي:

"حمل راديو دمشق في تعليق له أمس على الحوراني ورفاقه، ويبدو ان زيارة منيف الرزاز لمدينة حماه قد تمت وسط ما تردد أمس من العزم على فرض الاقامة الاجبارية على الحوراني، التي سببها كما يقال منشور ينتقد اتفاقية البترول وقد قيل ان الحوراني قد عممه حتى وصل الى الوزراء والضباط".

ولا بد من الإشارة هنا إلى ما أقدم عليه منيف الرزاز في ذهابه إلى مدينة حماه، بعد توزيع النشرة، بصفته أميناً عاماً للحزب ومن أصل حموي، ليحول دون قيام المدينة بمظاهرات إذا أقدم الحكم على اعتقالنا، ولكن الرزاز رجح دون أن يحس أحد بحضوره. لقد كان لهذه النشرة صداها المؤثر في أوساط السلطة نفسها وفي أوساط الحزب ففي تاريخ 1965/10/8 نشرت الحياة ما يلي:

بعد الحملات الصحافية في دمشق على الحوراني اعتكف الفريق أمين الحافظ في منزله منذ يومين، وان دمشق تعيش جواً من الترقب بسبب ما يشاع من خلاف في صفوف الحاكمين، ومن ازدياد اضطراب الجو بسبب الحملة الصحافية على الحوراني، وبصورة خاصة من جماعة الفريق أمين الحافظ الذي فسر الموضوع بأنه محاولة لعزله والإيقاع بينه وبين الاشتراكيين العرب".

كما أنه لا أدل على الأثر الذي أحدثته نشر بيان الاشتراكيين العرب في صفوف البعثيين أنفسهم من استقالة فرع دير الزور من الحزب وقد ورد في كتاب الاستقالة "ان الاتفاقية التي عقدتها الحكومة مع الشركات البريطانية بتاريخ 1965/9/2 ليست في حقيقتها سوى صك انتداب جديد للقطر السوري" كما ورد أيضاً:

"ان ما لمسناه من تدهور الحزب تدهوراً لا مثيل له، ومن التواطؤ على تزييف كيانه، ووصم وجوده وتشويهه، عدا عما آل إليه الحكم من انحطاط، وما تعانيه البلاد من فساد وتدمير، الأمر الذي دفعنا بلا تردد الى اتخاذ موقف حزبي عقائدي سليم يصون لنا، كطلائع ثورية مؤمنة، كرامة حزبنا الذي آمننا به قدراً ومصيراً

أمام الأجيال الصاعدة والتاريخ، هذا الموقف يتمثل في وجوب انسحابنا من التنظيم الرسمي القائم كضرب من ضروب التحدي على الواقع الفاسد".

وقد وقع كتاب الاستقالة من أعضاء شُعب الحزب: عبد الصمد خيرى، جاسم الفرحان، محمد عبدالرزاق، عبدالله حمزاوي، محمود اسماعيل، عبدالحميد هويدي، ومن أعضاء الفرع في دير الزور عدنان عبدالوهاب وأحمد اسماعيل.

وقد كان لهذه الاستقالات أهميتها فهي من مدينة دير الزور، منطقة رئيس الوزراء يوسف زعين، كما انه من هذه المدينة انبثق ما سمي بالقيادة القطرية.

أما جريدة "ابن الكلب" المخطوطة التي كان يصدرها الشاعر سليمان العيسى شعراً هزلياً، ويساهم في تحريرها المرحوم صدقي اسماعيل فقد علقت على الاتفاقية البترولية مع الشركات البريطانية بما يلي:

ذهب مندوب جريدة ابن الكلب الى "كراتشوك" ووافانا بالبرقية التالية:

من كراتشوك أكتب:

تحت رجلي بحيرة	بغطاء تحجب
صار "جونى" خطينا	عقدنا الآن يكتب
سالفات قديمة	والهوى ليس يغلب
جاء حزب مجرب	بشعار يجرب
سوف نبني بلادنا	غيرنا كان يلعب
فبناها بضربة	لم تكن قط تحسب
طار أردنا العزيز	وما احتج أرنب
ذهب النهر خلصة	والأناشيد تلهب

املؤوا الفور هـنـدر(2) بالبطولات واشربوا

ولتعذر دلال شمالي فالفن في العرس يطرب

لقد شعر البعثيون فعلاً، بعد الصدى الشعبي الواسع الذي لاقته النشرة، أن الأرض قد بدأت تميد تحت أقدامهم، لذلك أعلن سليمان الخش وزير الاعلام (قيادة قطرية ومن جماعة صلاح جديد) بتاريخ 1965/10/21 انه قد تم اعتقال اكرم الحوراني وسبعة عشر من جماعته بتهمة الاتصال بدولة اجنبية والتواطؤ معها وهي دولة لها مصالح ومطامع بترولية.

وفي التاريخ نفسه أدلى ناطق رسمي سوري بتصريح مطول عن الأسباب التي أدت الى الاعتقال، وكان تصريحاً مليئاً بالمغالطات، يدعو الى الضحك بمقدار ما يدل على الجهل، وقد ورد فيه بمعرض تبرير الاتفاقية مع الشركات البريطانية ما يلي:

ان الحكومة عندما طرحت مشروع أنابيب النفط من الجزيرة حتى طرطوس استدرجت العروض من الدول الشرقية والغربية، بعدما اعتذرت روسيا رسمياً عن تمديد الأنابيب، بسبب انشغالها في دول أوروبا الشرقية، فانتقت الحكومة أفضل العروض فكان عرض الشركات البريطانية قاسياً جداً من الناحية المادية، ومع ذلك فقد فضلت سورية أن تستثمر بترولها على أن تبقى في الأرض!

وقد استرسل الناطق الرسمي في توجيه الاتهامات لحركة الاشتراكيين العرب ومنها: ان البيان الذي أصدرناه قد اعدته شركات بترولية طامعة بالبترول السوري، وان الشركة المعنية هي كونكورديا الالمانية، وان خليل كلاس قد سافر عدة مرات الى ألمانيا الغربية للتفاوض بشأن البترول وسد الفرات.

وكان الكلاس قد سافر مرة واحدة الى ألمانيا، كوزير للاقتصاد، وكعضو في الوفد الرسمي السوري برئاسة خالد العظم، للبحث في أسباب نكول ألمانيا عن اتفاقية سد الفرات

(2) مطعم وملهى في دمشق



وهي الاتفاقية التي عقدها مع ألمانيا الغربية، خلال الوحدة، وفد مصري برئاسة عبد اللطيف البغدادي، بالإضافة الى قروض مالية ضخمة أعطيت الى مصر.

كما حاولت السلطة ترويج الاشاعات التي تدعي ان الكلاس هو وكيل شركة كونكورديا بينما كان معروفاً للجميع ان عبد القادر الميداني هو وكيل هذه الشركة، التي حاولت كثيراً خلال عهد الوحدة، إلغاء ترخيص تنقيبها مع ترخيص تنقيب شركة منهل لمخالفتها شروط التنقيب ولكن محاولتي بالنسبة لشركة كونكوريا قد باءت بالفشل لأنها اصطدمت بمعارضة جمال عبد الناصر.

ومن الاتهامات المضحكة التي وجهها الناطق الرسمي للاشتراكيين العرب:

**"لقد اختلفوا مع حزب البعث منذ اليوم الأول الذي دخلوا فيه "لأن عقلية الحزب تقوم على الديمقراطية"، أما عقليتهم فتقوم على الزعامة الفردية والانتهازية". "إن الحوراني هو من الناس الذين دفعوا البلاد الى الوحدة مع مصر دون قيد ولا شرط، لأنه لاحظ أن الحزب بدأ يطالب بالديموقراطية، فلاحظ الحوراني أن موقفه في الحزب أصبح ضعيفاً، فاعتبر الوحدة سبيلاً لإلغاء الحزب الذي خاف منه!" "إن الحوراني وجماعته وضعوا يدهم على وزارة الاصلاح الزراعي اعتبروها فرصة للثروة والغنى الفاحش!"**

"إن البعثيين حاولوا أيام الانفصال أن يقدموا المشورة لرفيقهم القديم (أي لأكرم الحوراني) ولكنه كان يصر على أن التعاون مع الرجعية ومع أقصى الرجعية هو سبيل الانقاذ".

أما رأي الناطق الرسمي بسنوات ما قبل الوحدة مع مصر، والتي كانت سنوات ديموقراطية حقيقية في سورية ما زال السوريون يذكرونها بكثير من الحنين، فكان:

"وبعد عام 1954 جاء حكم ديموقراطي، ولكن الشعب في سورية يعرف ان المكتب الثاني في الجيش كان يعتقل ويجلد ويتصرف في ظل الحكم البرلماني بطريقة أشد عنفاً وديكتاتورية من أي نظام آخر!".

وقد نشر هذا التصريح في جريدة البعث، كما نشرته بتاريخ 1965/10/22 معظم الصحف اللبنانية (النهار، الحياة، الخ...).

وعلقت الحياة في اليوم التالي على هذا الموضوع بما يلي:

1- ان الغاية من اعتقال الحوراني هي التخلص من نشاطه كعنصر اشتراكي معارض بدأ يستقطب أعداء العهد، وأهل العهد يعرفون مهارة الحوراني في التغلغل في الصفوف.

2- ان اتهام الحوراني بالعمل لمصلحة ألمانيا الغربية هو اختراع من قبل السلطة لتغطية موقفها، فلقد اكتشفت شركة كونكورديا الألمانية النفط في سورية عام 1959، وهي منذ ذلك الحين تحاول أن تحصل على امتياز باستثماره وعرضت إعطاء 60% من الأرباح مع التسويق، ولكن الحوراني هو الذي عارض إعطاء الامتياز لألمانيا أيام الوحدة، واستمر بالمعارضة أيام الانفصال، وحين أذاع بيانه في أواخر آب الماضي منتقداً اتفاقية تمديد الأنايب التي عقدت مع الشركات البريطانية، انتقد الشركة الألمانية مرة أخرى.

أما مجلة الاسبوع العربي اللبنانية فقد نشرت لمراسلها زهير المارديني الذي كان على اتصال ، كما ذكرت سابقاً، برئيس المخابرات السورية الضابط أحمد سويداني- رسالة من دمشق تتحدث عن وقع اعتقال الاشتراكيين العرب وفيما يلي بعض مقاطع الرسالة:

في الساعة الحادية عشرة من قبل ظهر يوم الاربعاء الماضي كان احد مراسلي الوكالات الأجنبية في دمشق يرفع سماعة الهاتف ويدير القرص على الرقم الخاص لأحد المسؤولين ويقول:

سيدي.... ثمة شائعات تؤكد بأن اكرم الحوراني قد اعتقل فهل هذا صحيح؟

وكان الجواب الذي تلقاه المراسل بدهشة هو:

"نعم، لقد اعتقل اكرم الحوراني وسيق الى سجن المزة، وسيقدم للمحاكمة... كانت هذه الكلمات القليلة التي انطلقت من سماعة الهاتف كافية لتجعل جميع مراسلي الصحف الأجنبية ووكالات الأنباء العالمية والمخبرين المحليين يهرعون الى وزارة الاعلام لتقصي حقيقة الخبر وتفاصيله.

كان الجواب الذي تلقاه المراسل من المصدر المسؤول في وزارة الاعلام يؤكد الخبر ويضيف عليه المزيد من التفاصيل.. نعم، لقد اعتقل الحوراني في هذا الصباح، ولم يعتقل وحده، وانما اعتقل معه عدد من رفاقه يبلغ 18 شخصاً، في ست محافظات، والأجهزة المدنية هي التي قامت بعملية الاعتقال بموجب امر من وزير الداخلية نائب الحاكم العرفي، وقد وجهت لهم تهمة الاتصال بدولة اجنبية والتآمر على سلامة الدولة.

في الساعة السادسة والنصف من صباح ذلك اليوم، كانت سيارة فورد سوداء تتجه مع نسيمات الخريف الباردة في ضاحية المزة، - أو دمشق الجديدة حيث تقوم مدينة سكنية حديثة - نحو منزل اكرم الحوراني، وهبط منها اربعة رجال يرتدون الملابس المدنية، وقرعوا الباب وطلبوا مقابلته، وعندما قيل لهم بأنه مستغرق في النوم اكدوا للذي فتح لهم الباب أن ثمة مسألة في غاية الأهمية، ولا بد من ايقاظه ومقابلته...

وبعد انتظار دقائق قليلة، دخل عليهم اكرم الحوراني مرتدياً (الروب دو شامبر) فوق البيجاما، وعلى وجهه اثار النوم، واثناء تناول فنجان قهوة ابلغوه ان عليه مرافقتهم لأمر هام، فامتلل بعد ان ارتدى ثيابه. وغادر البيت، ولكنه لم يغادر الضاحية، لأن السجن لم يكن بعيداً الا دقائق قليلة في الضاحية نفسها.

وفي الوقت الذي كان يجري فيه اعتقال الحوراني كانت تجري اعتقالات اخرى مماثلة في دمشق ايضاً، وكذلك في حمص وحماه واللاذقية والسويداء، وعندما اعتقل الحوراني لم تكن بعد قد انتهت عملية اعتقال الآخرين من رفاقه، فقد استمرت حتى الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم.

في دمشق اعتقل خليل كلاس الذي يقيم في حي المزرعة قريباً من مبنى المصرف المركزي، وفي الحي نفسه يقيم مصطفى حمدون الضابط السابق والوزير في عهد الوحدة وشقيقه عدنان حمدون الموظف في وزارة الخارجية، وفي دمشق أيضاً اعتقل نايف جربوع النائب السابق والمدير العام لهيئة الاذاعة والتلفزيون سابقاً، وكذلك شحادة حوشان، من محافظة السويداء، وبذلك يكون عدد الذين اعتقلوا في دمشق ستة.

أما في حمص فقد اعتقل عبد البر عيون السود وهو من ابرز مثقفي رفاق الحوراني، وكان قد عاد مؤخراً من مؤتمر السلام في هلسنكي، وهو يعالج منذ عدة سنوات لأنه يشكو من مرض خطير يهدد صحته، وكذلك اعتقل في حمص حسن الشامي، وشاكر برغوت وهو موظف في وزارة التربية والتعليم. كما اعتقل في حمص المحامي عبد الفتاح الزلط، وكان موجوداً فيها لا في حلب حيث اقامته الأصلية.

وفي مدينة حماه اعتقل الدكتور فيصل الركيبي، وهو طبيب معروف باتصاله المستمر بالحوراني، وكذلك اعتقل عدنان الحوراني شقيق اكرم، وسهيل الغزي، وعلاء الدين الحريري وهشام عبدالرزاق.

وفي اللاذقية اعتقل الدكتور وهيب غانم، النائب السابق والوزير اكثر من مرة، وقد طلب اليه السفر الى دمشق فجاءها بسيارته الخاصة، وعندما وصلها اقتيد الى السجن... وقد افلت من بين المطلوبين اثنان من حماه لم يعثر عليهما في منزلهما، أحدهما علي عدي الذي يعتبر الساعد الأيمن للحوراني، ولم يعلن عن اسم الشخص الآخر...

لقد انتشرت شائعات كثيرة في دمشق تقول بأن عدد المعتقلين قد تجاوز المائة، وقد سألت "الاسبوع العربي" عن صحة هذه الشائعات فأكد ان عدد المطلوبين لا يتجاوزن العشرين وقد اعتقل منهم 18 ولا يزال التفتيش مستمراً عن الاثنين، وأضاف المسؤول قائلاً:

"هذا وقد كان خبر اعتقال اكرم الحوراني ورفاقه مفاجئاً على الرغم من انه لم يكن مستبعداً، فقد كان له ولاخوانه نشاط ملحوظ في الفترة الأخيرة، وكانوا قد وزعوا سلسلة بيانات بتوقيع (الاشتراكيون العرب) آخرها بيان يقع في 19 صفحة، ناقشوا فيه مشروع اتفاقية تمديد انايب النفط من كراشوك الى البحر الأبيض المتوسط التي عقدتها الحكومة مع مجموعة الشركات والمصارف البريطانية، وانتقدوا فيه سياسة الحكومة انتقاداً شديداً وصل الى حد الاتهامات الكبيرة التي لا يمكن السكوت عنها مهما كان مصدرها".

وقد ظل اكرم الحوراني ورفاقه أحراراً طلقاءً بعد الثامن من اذار من عام 1963 رغم ما عرف عنهم من عدائهم الماضي للحزب. ولم يلزموا بيوتهم الا فترات متقطعة على الرغم من تصديهم السافر والمكشوف بالعداء للحكم القائم..

ويؤكد المسؤولون في دمشق ان اكرم الحوراني ورفاقه سيحاكمون علناً، وستوجه اليهم اتهامات كثيرة وصريحة تنشر على الملأ.

هذا ولا يتوقع في الأوساط الرسمية في دمشق أن يكون لاعتقال الحوراني ورفاقه اية ردود فعل، لقد بحث الموضوع في القيادة القطرية، وتقررت الخطة على ضوء البيانات المتوفرة لدى المسؤولين، ويقول مسؤول كبير لقد اصبح معروفاً أن عدد هذه الجماعة قد تقلص الى حد كبير، وأن الاختلافات بين صفوف البقية الباقية منها شديدة، وان السلطات في دمشق قررت ان لا تضرب الا على يد البقية الباقية التي لم تكف عن الحركة واثارة الشكوك والقيام باتصالات تهدف الى النيل من العهد القائم.



لقد أحدث إصدار الاشتراكيين العرب بيانهم حول الاتفاقيتين المعقودتين مع الشركات البريطانية، ثم اعتقالهم، ما يشبه الزلزال في أوساط الفئة الحاكمة فصدر مجلس الرئاسة يوم اعتقالنا مرسوماً بتعيين محمد عيد عشاوي وزير الداخلية نائباً للحاكم العرفي يتمتع بكل الصلاحيات والاختصاصات المنصوص عنها في قانون الطوارئ.

بينما ذكرت صحيفة الثورة ان السلطة وضعت يدها على  
مؤامرة على نظام الحكم الثوري لها علاقة بدولة أجنبية وأن بعض  
المشتركين قد اعتقلوا!

وفي اليوم التالي (10/22) نشرت جريدة البعث البيان  
الصادر عن نائب الحاكم العرفي والقاضي بتوقيف الاشتراكيين  
العرب وبعض مؤيديهم وفيما يلي نصه:

في الوقت الذي تسير فيه سورية العربية نحو الاستقرار نتيجة للجهود  
الجبارة التي تبذلها الثورة، وفي الوقت الذي تعمل فيه الثورة على تدعيم  
قواعد الاشتراكية وترسيخ أسسها وفي الوقت الذي تسير فيه الثورة بالبلاد  
نحو الحياة الديمقراطية الشعبية. في هذا الوقت بالذات تتحرك الرجعية  
محاولة ضرب مكاسب الشعب، وتفتيت قواه الثورية بالتعاون مع الاستعمار  
العالمي الذي اغضبه ان تصبح سورية العربية حرباً موجهة الى مصالحه  
الجشعة وقد استطاعت هذه الرجعية المنبوذة من قبل بعض الوصوليين  
الطامعين في الحكم الذين يتخذون لأنفسهم واجهة تقدمية. ويخفون  
حقيقتهم الانتهازية الرجعية. ولقد كانت زمرة اكرم الحوراني مطية المطامع  
الرجعية ومطامع الاستعمار عندما تصدرت حركة الرجعية في سورية وأخذت  
تنشر اشاعاتها وتدس دسائسها وتعمل على تنفيذ مخططاتها. وحرصاً من  
الثورة على مكاسب الشعب ودرءاً منها للأخطار التي يحكيها الاستعمار  
والرجعية بالبلاد. فقد القت الثورة القبض على بعض الفئات التي عملت في  
الظلام ضد مصالح الشعب وأهدافه العظيمة.

وأصدر نائب الحاكم العرفي امراً عرفياً بتوقيف الأشخاص التالية  
اسماؤهم:

اكرم الحوراني، مصطفى حمدون، خليل الكلاس، عبد الفتاح الزلط،  
جورج حريكة، سهيل غزي، علاء الدين حريري، محمد رياض بغدادي، عدنان  
حوراني، عبد البر عيون السود، محمد حسن الشامي، شاكراً برغوت، عبد  
المجيد تجار، نايف جربوع، وهيب غانم، فيصل الركبي، اسعد طباع، عدنان  
حمدون، شحادة حوشان.

واننا لنعلن على الشعب العربي في سورية ان الثورة جادة في حماية الشعب وخاصة مكاسب العمال والفلاحين وانها لن تتساهل مع المخربين واجراء الرجعية والاستعمار في أية محاولة يقومون بها ضد مصالح الشعب.

**أما في الأوساط الشعبية فقد اثار اعتقال الاشتراكيين العرب استنكاراً واحتجاجاً من مختلف الفئات، وقدم المحامون عريضة احتجاج على الاعتقال موقعة من اثنين وسبعين محامياً، كما احتج الشيوعيون على الاعتقال فنشرت جريدة نضال الشعب مقالاً تحت عنوان: هل هذه الاعتقالات في مصلحة الاستقلال والتقدم؟ ورد فيه:**

"لقد أعلن، في العشرين من شهر تشرين الأول المنصرم، خبر رسمي مفصل، عن اعتقال اكرم الحوراني وعدد من أنصاره وأعوانه، وذلك استناداً الى قرار من الحاكم العرفي. وأحكام حالة الطوارئ في البلاد. وعلى الرغم من ان هذا الاجراء كانت قد سبقته حملة صحفية عنيفة ضد الحوراني وأنصاره، فقد جاء الى حد كبير، مفاجأة للجماهير الشعبية الواسعة، ولجميع ممثلي القوى التقدمية في البلاد، وأثار أكثر من تساؤل مشروع حول أسبابه، وحول الاحتمالات التي قد تنجم عنه.

ولسنا نخفي على المسؤولين أن فئات واسعة من الشعب لم تقتنع بالتهم التي أدلي بها لتبرير الاجراءات المتخذة بحق الاشتراكيين الحورانيين وهي تتساءل أليس يدل هذا التدبير الذي لجأ اليه المسؤولون على انزعاج وحرص واضحين، من قيام الاشتراكيين الحورانيين بممارسة حقهم في تنظيم انفسهم في حزب او منظمة وفي التعبير عن آرائهم وملاحظاتهم وانتقاداتهم حول اتفاقية تمديد أنابيب النفط وغيرها من القضايا والمشاكل التي تواجه البلاد".

"إن تساؤلات كثيرة تطرح الان نتيجة لتدابير الاعتقال، وخاصة أن هذه التدابير تتعارض مع الجو الذي أخذ يشيع في البلاد على أثر إعلان المجلس الوطني، وكان المواطنون يتربصون اتساع الديمقراطية للقوى التقدمية والاشتراكية في البلاد لا التصييق عليهم ولا اعتقال بعضهم".

أمام هذا الاستنكار والاحتجاج، والمظاهرات التي جرت في حمص وحماه وبعض المدن السورية الأخرى، وما تركه بياننا من صدى في الصحف العربية والأجنبية، اضطرت حكومة يوسف زعين الى عرض الاتفاقيتين على المجلس الوطني مرة أخرى مع ان الموافقة على إبرامهما قد جرى سابقاً من قبل الحكومة والمجلس الوطني السابقين ونشرت النصوص في الجريدة الرسمية.

**ففي الجلسة التي عقدها المجلس الوطني بتاريخ 65/11/1 أي بعد اعتقالنا بعشرة ايام ألقى وزير الصناعة الدكتور هشام العاص بياناً دافع فيه عن عقد هاتين الاتفاقيتين، ومع ان جميع أعضاء المجلس قد عينهم حزب البعث فقد لاقى بيان الوزير معارضة شديدة من قبل المجلس الذي طالب فيه أحد عشر عضواً بالافراج عن الاشتراكيين العرب ومنح الشعب أوسع الحريات ليكون الشعب هو الرقيب الحقيقي على السلطة. كما حجب أحد الأعضاء (محمود عرب سعيد) الثقة عن الحكومة، وقد علق أحد أعضاء المجلس على هذه الجلسة قائلاً:**

**كأن الحوراني كان حاضراً بيننا ومشاركاً معنا في المناقشة.**



وأخيراً لا بد لي من القول أن صفقة تمديد أنابيب البترول من الجزيرة الى طرطوس كانت موضوع مزاحمة شديدة من الشركات الغربية، بسبب ما قد يستتبع ذلك من نفوذ بترولي في سورية، ومن احتمال الحصول على امتياز الاستثمار، فبعد نشر الاشتراكيين العرب بيانهم عن الاتفاقية المعقودة مع الشركات البريطانية، أسرّ لي عبد الغني قنوت وعبد الفتاح الزلط بأن عاطف دانيال قال لهما بأن الشركات الفرنسية مستعدة لتقديم معونة مالية مجزية لحركة الاشتراكيين العرب إذا نالت الشركات



الفرنسية هذا العرض، ولقد صدمت للوهلة الأولى من حديثهما  
فقلت لهما:

انه لا يجوز لنا إطلاقاً ان نقبل باي بحث أو اتصال مع  
الشركات، لأن شراء الشركات ولا سيما الشركات البترولية  
للأحزاب أشد خطراً وأذى من شراء الأشخاص، ولثقتي بهما  
آنذاك، قلت في نفسي:

ناقل الكفر ليس بكافر، ولا سيما أنهما لم يبديا أي ارتياح  
لما نقله إليهما عاطف دانيال من قبل الشركات الفرنسية.

### أواخر عام 1965 : في سجن المزة

منذ اليوم الأول لاعتقالي وضعت منفردا في غرفة صغيرة من الطابق العلوي في سجن المزة، لها نافذة صغيرة مرتفعة تطل على دمشق وغطتها، ولم أكن أستطيع الوصول إليها إلا إذا اعتليت السرير الحديدي الصدئ الذي مد عليه فراش ومخدة من القش اليابس، مع بطانيتين متسختين مما يلتحف به أفراد الجيش السوري.

بعد انقضاء اليوم الأول زارني مدير السجن الملازم طاهر سلطان وعرفني بنفسه وقال لي انه لن ينسى المعونة التي أسديتها الى أسرته عندما طردهم نجيب البرازي من قريتهم بلين خلال فصل الشتاء، فساعدتهم على ايجاد مكان في قرية أخرى.

لقد سمح لنا بالتنفس نصف ساعة يوميا على سطح الطابق العلوي من السجن، فعرفت في اليوم الثاني من اعتقالنا أسماء رفاقنا المعتقلين، لأن هذه الفسحة جمعتني بالدكتور فيصل الركبي وبالاستاذ عبد الفتاح الزلط والمقدم مصطفى حمدون وبأخيه عدنان حمدون، أما الآخرون فقد عرفت أنهم وزعوا على غرف الطابق الأول من السجن، وقد لفت نظري عدم اعتقال عبد الغني قنوت، فقلت في نفسي ان استثناء عبد الغني وبعض القيادات الأخرى المسؤولة في حركتنا مثل فتحي علوش انما هو محاولة فاشلة تستهدف إثارة الشكوك وانعدام الثقة بيننا وبين رفاقنا الذين لم يعتقلوا.

كان بعض حراسنا من الجنود ومعظمهم من أرياف سورية- يحاولون التكلم معي خلسة وقال لي بعضهم، إننا نستغرب سجنكم، انتم الذين دافعتم عنا، فحفظتم لنا كرامتنا وأعراضنا، ورفعتم عن أعناقنا نير الاقطاع، بينما لم نر في تلك الأيام ولم نسمع باسم أحد هؤلاء الذين زجوا بكم في السجن، ولم أكن أستطيع إجابة هؤلاء القرويين البسطاء على أسئلتهم ، فلم يكن

هنالك مجال ولا متسع من الوقت، وكان بعضهم من قرية (بارين) وهي قرية كبيرة يملكها آل الكيلاني، تابعة لقضاء مصيف، ترك فيها الصليبيون آثارهم، بعد جلائهم عن تلك المناطق التي احتلوها في عمق الساحل السوري.

لقد سمح لنا مدير السجن بشراء (بابور كاز) مع كمية من السكر والشاي والقهوة وعلب التبغ، كما سمح لنا بطلب ما نشاء من مكتبة السجن، ولكنها كانت مكتبة فقيرة بالكتب.

قلت في نفسي بعد هذه المعاملة : نستطيع أن نتحمل السجن مهما طال، وانها فرصة جيدة للقراءة، وقد فكرت بأن نطلب من مدير السجن بأن يسمح لنا بجلب ما نطلبه من كتب من خارج السجن، وخلال الأيام الأولى من سجننا وزع علينا مدير السجن عددا من جريدة البعث فيه مقال لصالح البيطار يهاجم حكم العسكر جاء فيه :

**"إن الحركة الثورية ليست التنظيم الآلي ولا العسكري الذي يحرك الأعضاء بالأمر والنهي والإرهاب، بل هي التنظيم الحي القائم على الشرح والتوضيح والاقناع والتوعية".**

**"يقول الثوري بالكلام :**

**بقدر ما أعضب وأحقد واعذب وأقتل أكون ثوريا، فيصل به ذلك الى ارتكاب واحتراف أشد انواع الايذاء والتعذيب والقتل".**

**"انهم يستخدمون الثورية الكلامية والغوغائية ليقفروا الى صفوف القيادات طلبا للسلطة".**

فكان هذا المقال، حسب رأبي ورأي الرفاق، دليلا على استفحال الخلاف بين القيادة القومية وأمين الحافظ وجماعته مع صلاح جديد وجماعته، وقلت يومذاك :

ان الاستاذ صلاح استغل معارضتنا لحكم عسكر البعث فشجعه ذلك على كتابة هذا المقال الذي اعتبره وسيلة للضغط على العسكريين ليعود ثانياً الى الحكم الذي أقصي عنه.

الآن، وبعد اكثر من خمسة وعشرين عاماً على كتابة هذا المقال، أتساءل:

أكان ذلك بداية ليقظة الضمير والحساب مع النفس؟  
أرجح ذلك ، فلقد أتم الاستاذ صلاح هذا المقال يوم استشهاده في عام 1980، منغياً في باريس، بمقاله الأخير في مجلة الاحياء العربي التي اصدرها في فرنسا، وكان المقال تحت عنوان : عفوك شعب سورية العظيم.

لقد شاركت محزوناً في حفل الأربعين الذي أقيم للاستاذ صلاح في بغداد بعد اغتياله، ولكنني اعتذرت فيما بعد عن إرسال برقية تعزية أو حضور الحفل الأربعيني الذي أقيم لمشيل عفلق في بغداد عام 1989، رغم رجاء جبران مجدلاني وطلال شراره وزوجته، موفدين من حزب البعث في العراق، أن أرسل برقية تعزية بمناسبة حفل الأربعين ، وقلت لهم يومذاك :

إن صلاح البيطار قد غسل بدمه جميع أخطائه، أما ميشيل عفلق فقد استمر في سلوكه الانتهازي حتى آخر أيامه.



مضت الأيام العشرة الأولى من سجننا وأنا مرتاح ومستعد للتحمل مهما طال هذا السجن. كنت أشعر، وأنا أقرأ في تلك الغرفة الصغيرة العارية إلا من السرير الحديدي ، وكأنني عدت طالباً في مدرسة دار العلم والتربية في حماه، ولكن هذه الأيام انقضت بسرعة، فقد أبلغنا طاهر سلطان بأسف، ان الاوامر صدرت لوضعنا في زنانات السجن ، وإن حمد عبيد قد احتج في مجلس الوزراء، على معاملتنا التي اعتبرها معاملة كريمة لا معاملة مسجونين وانه يجب التضييق علينا وحرماننا حتى من النزهة الصباحية.

كانت زنانات الطابق العلوي التي وضعت في إحداهما أحسن حالا بكثير من زنانات الطابق السفلي التي كانت أشد بردا ورطوبة، ومن مزايا زنانات الطابق العلوي انها تتيح السماح لنزلائها بالذهاب الى المرحاض برفقة أحد الحراس، وكانت الزنانة التي وضعت فيها رطبة بارده ولا تتعدى مساحتها مساحة سرير حديدي صغير، ولكنني لم أقض بها سوى يوما واحدا، حيث أمر الفريق أمين الحافظ - مشكورا - بإخراجه ومصطفى حمدون وإرجاعنا الى غرفنا المنفردة ، كما أمر بوضع أسرة حديدية صغيرة في كل زنانة للمعتقلين الآخرين، وقد زارنا الضابط في الشرطة العسكرية آنذاك عارف كيالي موفدا من قبل الحافظ مبديا لنا مشاعره الطيبة ومشاعر الفريق الحافظ، الذي قام بعد ذلك بزيارتنا في السجن فتعانقنا وشكرت له موقفه وحميته تجاهنا.

لقد ظل أمر حرماننا الفسحة الصباحية ساري المفعول طيلة مدة سجننا، تلك الفسحة التي كنت التقى بها مع الرفاق فتزيل من نفسي ما كنت أشعر به من كآبة ووحشة ، وهكذا لم نعد نشعر باتصالنا بالعالم الخارجي إلا عندما كان السجن يفتح الباب الحديدي ليأتينا بطعام السجن.

كان يؤنسنني كل صباح ومساء أن أعتلي السرير لأطل من النافذة الصغيرة على دمشق وعلى منزلي في المنطقة المقابلة للسجن ، وكنت استمتع بمنظر دمشق وغوطتها عندما يتنفس الصبح ويلفهما بملاءة من الضباب الرقيق الشفاف.

كانت تسليتنا الوحيدة هي التعليق على ما نقرأه من كتب، ثم كتابة هذا التعليق على ورقة كنا نتبادلها بوضعها وراء شلال المرحاض المشترك. وقد طلبت ذات مرة كتاب الايديولوجية الانقلاوية لنديم البيطار، واستمعت بقراءة ما كتب عن المذاهب الفلسفية، ولكنني خرجت لدى انتهاء القراءة بانطباع جعلني أسوء الظن بالمؤلف لأنه كان ينظر للحكم العسكري ولكل ما يرتكبه العسكر من جرائم باسم الثورة والثورية.

ذات يوم، وزع علينا مدير السجن، وبصورة مفاجئة عددا من جريدة الثورة كتب افتتاحيته مصلح السالم، وفيها حملة على انتهاج حزب البعث ما أسماه بسياسة الباب المفتوح، أي السماح لكل من أراد بالانتساب للحزب، وكان ذلك تعريضا بالقيادة القومية التي حاولت بعد انقلاب الثامن من آذار إغراق الحزب بالمدنيين للوقوف في وجه العسكر، وكان أشد ما فاجأني في هذا المقال اتهامي والاشتراكيين العرب بمقتل الشهيد العقيد عدنان المالكي لتبرئة الحزب السوري القومي من هذه الجريمة، ولكنني لم أستأ من هذا الاتهام الذي لا يمكن لأحد أن يصدقه بالوقت الذي يسيء فيه إلى صلاح جديد لأنه يذكر الناس بجريمة أخيه فؤاد جديد.

بعد توزيع هذا المقال، زارني طاهر سلطان ليستطلع رأيي، وأغلب الظن أنه كان مكلفا بذلك من قبل صلاح جديد، فقلت له ان هذا المقال يزيد من عطف الناس علي كما ينكرهم بجريمة اغتيال العقيد المالكي، فبلغ اللواء جديد، وقل له :

كنت أظن أنه أدكى من أن يسمح لإمعة مثل مصلح السالم أن يكتب مثل هذا الافتراء العجيب، الذي يسيء إليه ويذكر الناس بجريمة أخيه.



ان مصلح السالم الذي أصبح منظرا لصلاح جديد والقيادة القطرية، هو طالب الحقوق الذي قضى في هذه الكلية مدة اثني عشر عاما أي ثلاثة أضعاف المدة المطلوبة، وقد أخرجت عندما طلب مني أحد رفاقه أن أوصي به استاذ الحقوق رزق الله انطاكي نائب حلب واستاذ المالية في كلية الحقوق، وهكذا تم تخرج مصلح السالم.

لقد كان مصلح السالم يقضي وقته، عندما كان طالبا، في مقهى الهافانا بالثرثرة واستطلاع الحظوظ بواسطة ورق اللعب، وكان يعتبر نفسه منظرا للبعث يقلد ميشيل عفلق في طريقة كلامه ومشيته وحمل السبحة، وقد كتب هذا المقال اثر الضجة

التي أثبتت عندما أصدر حزب البعث عفوا عاما عن المتهمين باغتيال عدنان المالكي وكان من بينهم فؤاد جديد أخو صلاح جديد والأمانة الأولى للحزب السوري القومي (زوجة سعاد).



بعد الافراج عن قتلة عدنان المالكي الذي أدى الى كثير من الاستياء في الاوساط الشعبية، ولا سيما في دمشق، وبعد حماقة اتهامنا بمقتل المالكي، لم يعد أحد يصدق أن صلاح جديد هو بعثي ، وانما أصبحوا يعتقدون أنه سوري قومي تلطى وراء حزب البعث ليصل إلى السلطة، وقد حاول صلاح جديد أن ينفي عن نفسه ازواجية الانتماء، وذلك في حديثه مع الصحفي اللبناني محمد باقر شري الذي نشرته جريدة الكفاح البيروتية بتاريخ 1966/4/13 ، مع ملاحظة ان الصحفي حاول أن يغطي أن المتحدث معه صلاح جديد "لأن العسكريين قطعوا على أنفسهم عهدا بعدم الكلام إلا بتفويض من الحزب".

وجه الصحفي محمد باقر شري هذا السؤال :

**تعددت التهم التي توجه إليكم حول طبيعة تفكيركم، وتراوحت التهم التي توجه إليكم كقياديين بين اليمين واليسار، حتى بلغ الشطط بالبعض أن ألصق ببعضكم تهمة اعتناق اتجاه حزبي غير اتجاه الحزب الذي تشغلون فيه هذه المناصب القيادية، ما هو رأيكم بهذه التهمة؟**

**"قال: ما رأيك في رجل توجه اليه هذه التهمة قطع صلته بأهله ما بين عامي 1951 و 1963 بسبب اختلافه مع شقيقه في الرأي السياسي . وهو لم يحاول طيلة كل هذه الفترة ان يخفف عن أي منهم مما لحق بهم بسبب الحركة التي كان ينتمي اليها شقيقه. بل اريد، أن اعطيك سرا سوف تدهش له: لقد تطوع في عام 1952 وقبل ذهاب الشيشكلي ويعرف ذلك القادة الحزبيون، لازالة شقيقه من الطريق، عندما كان الحزب يدرس موضوع التخلص من حكم اديب الشيشكلي، وعندما كان يبدو للحزب ان**

شقيقه - قائد موقع حمص - في ذلك الوقت، دعامة اساسية  
لحكم اديب الشيشكلي يجب التخلص منها:

ولكن الحزب لم يقره على الفكرة، لانه يرفض اسلوب  
التصفيات الجسدية".

"اتعرف ماذا قال عندما بلغه نبأ مقتل شقيقه في بيروت؟  
لقد قال دون أن يسفح دمعا أو يلطم خدا: على كل حال .. لم أكن  
انتظر له غير هذه النهاية".

والذي استطيع قوله تعليقا على هذه الواقعة التي ذكرها  
صلاح جديد، هو أن أحد الملازمين من ابناء حماه (الملازم زكار)  
الذين كانوا يسكنون معه في منزل واحد أبلغني ان الملازم صلاح  
جديد قد أظهر استعدادة لاغتيال الشيشكلي ، ولكنني لا أذكر  
بالضبط فيما إذا كان قد أظهر استعدادة لاغتيال شقيقه.



في أحد الايام دخل الى غرفتي حارس السجن ومعه  
شخص قدم نفسه بأنه الملازم طحطوح .. قلت له تفضل ماذا  
تريد؟ قال :

أريد منك أن تكتب لي تاريخ حياتك، قلت له :

ان تاريخ حياتي مدون في ضبوط المجالس النيابية وفي  
الصحف السورية والعربية، وقد عايشه أعضاء حزب البعث جميعا.  
قال :

لا ، أرجو منك أن تضع أنت بنفسك تاريخ حياتك، قلت له :  
أنت محقق، أم طالب تأليف كتاب عن تاريخ حياتي؟ ثم  
طلبت منه الانصراف، ولكن طحطوح أصر على ذلك بغلاظة  
جعلتني أفقد أعصابي فتناولت بابور الكاز الذي كان إلى جانبي  
ورفعته لأضربه به وأنا أقول له:

هذا تاريخ حياتي، ولكن حارس الغرفة حجز بيننا، فذهب  
طحطوح ولم يعد مرة أخرى، وقد أخبرني عبد الفتاح الزلط



بواسطة جريدة (الشلال) أن طحطوح قد زاره وطلب منه أيضا أن يكتب له تاريخ حياته، ولكنه لم يعد.

فيما بعد، علمت ان السلطة شكلت لجنة من بعض الضباط، منهم على ما أذكر الضابط خالد رسلان، للبحث والتفتيش عن أخطائي الماضية، وقيل لي أن اللجنة خرجت بنتيجة تحقيقها ان كل ما اطلعوا عليه من معلومات هو في صالحه وان الاستاذين صلاح وميشيل هما أولى بالمحاكمة.

وكان أخطر ما صادفني خلال سجنني هو الحديث الذي جرى بيني وبين طاهر سلطان عن قضية كوهين:

كنت خلال إحدى الزيارات اتحدث عن مساوئ الحكم فقال لي أنه يعلم هو ورفاقه من المساوئ اكثر مما نعلم، واستشهد بقضية كوهين الذي وضع في احدى زنانات سجن المزة، وقال لي:

انه خلافا لوقائع المحكمة العلنية فإن كوهين قد أدلى باعترافات خطيرة للمحققين تدين بعض القيادات الحاكمة، وأظهر بأسه من إجراء أي اصلاح في البلاد ما لم يتم الكشف عن جميع ملبسات هذه القضية الخطيرة.. قلت له:

كيف يمكن ذلك بعد إعدامه؟ قال :

يمكن للسلطة أن تعيد النظر بالقضية بالاستناد الى الوقائع التي أدلى بها أمام المحققين.



في أواخر شهر تشرين الثاني، بدأت أشعر بالآلام شديدة في أحشائي ولم أعد استطيع هضم ما يقدم لي من طعام، فطلبت معاينة حالتي الصحية من قبل طبيب السجن الذي زارني فنبهته الى خشيتي من أن أكون مصابا بمرض السرطان الذي أصيبت به سابقا، أختي وأخي وابن أخي، فأمر الطبيب بنقلي الى المستشفى العسكري لفحصي بواسطة الأشعة، حيث تلقاني أطباؤها بمشاعر العطف والاحتفاء والمودة، وبعد

قراءتهم الصور الشعاعية ظهرت على وجوههم علائم القلق وقرروا إجراء تنظير للمعدة.

بدأ خبر مرضي يتسرب الى خارج السجن، فقد علمت فيما بعد، أن وفدا كبيرا من مختلف المدن السورية شكل ما يشبه المظاهرة بعد أن انضم إليه الكثيرون من أبناء دمشق، وقد قابل هذا الوفد أمين الحافظ الذي تلقاه بمودة، ولكن منيف الرزاز قابل الوفد بكآبة وبعد أن استمع الى احتجاجه قال:

إن من يدعي أنه مناضل عليه أن يتحمل السجن.

ومن الجدير بالملاحظة ان مختلف الصحف اللبنانية، وحتى الموجهة من قبل السلطة في سورية قد استنكرت اعتقاله وطالبت بالافراج عني بعد أن تسرب خبر مرضي (الكفاح، النهار، الحياة).

وهكذا فإن السلطة، تحت ضغط الرأي العام، اضطرت الى تشكيل لجنة من ستة أطباء بينهم ثلاثة من أساتذة الطب في الجامعة السورية وكان أحدهم الدكتور<sup>(1)</sup> يوسف صايغ وهو طبيب لم أسمع باسمه من قبل، وقد لفت نظري إصراره على عدم إجراء أي فحوصات أخرى ومعنى ذلك عدم الافراج عني، ولكن أعضاء اللجنة الآخرين قرروا إحالتي الى مؤسسة خاصة للتصوير الشعاعي حيث قرر صاحبها بعد فحص الصور انني مصاب بقرحة في الاثني عشر وانه من الضروري إجراء عملية لي.

بعد تقرير لجنة الاطباء، وبعد الفحص الشعاعي الذي أجرته المؤسسة الخاصة، اضطرت الحكومة تحت ضغط الرأي العام الى الافراج عني. وبتاريخ 6/ كانون أول دخل غرفتي مدير

(1) ورد اسم يوسف صايغ في كتاب باتريك سيل الذي ألفه بطلب من حافظ الأسد كما يلي : " لقد أخذ حافظ الأسد أواخر صيف 1965 إجازة من مهماته كأمير للقوى الجوية وسافر الى لندن لمدة ثلاثة أشهر، واصطحب معه أحد كبار ضباط سلاح الجو ناجي جميل وأمر الشرطة العسكرية حسين ملحم والطبيب يوسف صايغ، وأقام الرجال الأربعة في شقة في منطقة كنزغتون، والذي عرف حتى الآن ان اتصال الأسد الوحيد بالرسميين البريطانيين كان زيارته لوزير الدولة للشؤون الخارجية اللورد طومسون في مكتبه بالوزارة .. والسبب الظاهري لرحلة الأسد الى بريطانيا كان لتلقي علاج لألم في ظهره وفي رقبته نتج عن هبوط اضطراري عندما كان طيارا متدربا، إلا ان أوجاع الاسد وألامه ربما كانت من نوع المرض الدبلوماسي" (ص 167 من كتاب الاسد، دار الساقي لندن).  
كان الدكتور يوسف صايغ طبيب السفارة الأميركية في دمشق، وقد اغتيل أواخر السبعينات.

السجن طاهر سلطان ودعاني لتناول فنجان قهوة في غرفته حيث فوجئت بوجود عبد الكريم الجندي ومحمد عيد عشاوي وزير الداخلية الذي عين نائبا للحاكم العرفي فيادراني بتبليغي قرار السلطة بأنني أصبحت حرا ويمكنني الذهاب حالا الى منزلي، ولكنني رفضت بشكل حاسم الخروج من السجن ما دام رفاقي معتقلين. فقالا لي سنخرجك بالقوة، ولكنني بقيت مصرا على موقفي مما أخرجني من السجن يومين إذ غادرته بتاريخ 12/8 بعد أن بلغت بأن الافراج سيتم قريبا عن السجناء الآخرين من الاشتراكيين العرب.

خلال هذين اليومين سمح لزوجتي بزيارتي للمرة الأولى، وكانت قد حاولت ذلك سابقا ولكن طلبها كان يرفض دائما من قبل الشرطة العسكرية، أما في هذه المرة فقد اتصلت رأسا بالقصر الجمهوري، حيث طلب منها الضابط مصطفى العيسى مدير غرفة الفريق أمين الحافظ أن تأتي حالا الى القصر "لأن الجماعة يريدون رؤيتها" لقد ظنت زوجتي يومذاك أن "الجماعة" هي نقابة المحامين التي كان مقررا يومذاك أن تزور القصر الجمهوري مع نقيبتها الاستاذ رياض المالكي من قادة الاشتراكيين العرب والذي انتخب نقيبا للمحامين رغم مقاومة انقلابيي الثامن من آذار، وكان هدف الزيارة الاحتجاج على حجري رغم مرضي ومطالبة السلطة بزيارة السجناء.

عندما دخلت زوجتي الى القصر الجمهوري استقبلها الضابط مصطفى العيسى وطلب منها أن تصعد الى الطابق العلوي حيث ينتظرها الفريق أمين الحافظ رئيس مجلس الرئاسة وأعضاء هذا المجلس، ولكنها رفضت ذلك قائلة للضابط مصطفى العيسى :

كنت أظن ان الجماعة التي تعنيها هي نقابة المحامين، وهكذا اضطر نور الدين الأتاسي وحسان مريود عضوا مجلس الرئاسة ومحمد عيد عشاوي وزير الداخلية ونائب الحاكم العرفي للنزول الى الطابق الأول لمقابلتها حيث أخبرها العشاوي أنه سيذهب الآن الى سجن المزة للافراج عني، وحيث حاول نور

الدين الأتاسي طمأنتها بقوله أن مرضي قديم وانني عولجت منه سابقا ولكنها نفت ذلك.

ومن جهة أخرى فإن الضابط مصطفى العيسى قد أوصاها قبل نزولهم، وذلك عن لسان الفريق الحافظ ألا "تقصر" فيهم لوما وانتقادا وتقريعا".

كانت نتيجة هذه الزيارة أن سمح لزوجتي بزيارة السجن، وهي زيارة لا أحب كثيرا أن أتذكر تفاصيلها:

كنت لم أر أختي أم غالب زوجة محيي الدين الشيشكلي، منذ أكثر من عشرين عاما، منذ أن قتل ابنها غالب أخي واصل، وهو موضوع تحدثت عنه مفصلا في هذه المذكرات، ولكن أختي هرعت الى زيارة زوجتي وأولادي عندما سمعت خبر مرضي في السجن.

لقد ظنت زوجتي أنها ستدخل شيئا من السلوى الى قلبي عندما حدثتني عن زيارة أختي، ولكنها لم تكن تنتظر أن تسمع بكائي وان ترى دموعي وقد أغرقت وجهي أمام مدير السجن.

بتاريخ 65/12/8 أفرج عني وقد نشرت السلطة بيانا رسميا يعلن الافراج عني بسبب حالتي الصحية، كما سمحت السلطة بعد مغادرتي السجن بخروج رفاقي من السجن الانفرادي وجعلتهم جميعا في مهجع مشترك، ولكن ما كان يقلقني هو حالة الاستاذ خليل الكلاس السيئة جدا، فقد تجاوز ضغطه العشرين عندما كنت في المعتقل.

لا شك أن اطلاق سراحي كان باعثا لارتياحي، فقد بدأت أشعر في الأيام الأخيرة لمرضي أن هذا السجن الانفرادي هو بمثابة الموت البطيء، وقد هرع الى منزلي فور وصولي عدد كبير من معارفي واصدقائي وممن ليس لي بهم معرفة، وبينهم عدد من العسكريين، كما أن صلاح جديد أرسل إلي أحد مرافقيه وهو الضابط الفلسطيني مجاهد سمعان لتهنئتي باسمه على خروجي من السجن، وقد سألني مجاهد سمعان عما يمكن أن

أبلغه لصالح جديد، إذ كان الجو في سورية يبنى باصطدام مسلح  
بينه وبين أمين الحافظ، فقلت لسمعان :

انني أوصيه بإخلاص أن يعمل على عدم الاصطدام  
المسلح بين العسكريين بما أوتي من قوة، لأن ذلك، عدا أنه  
يحطم الجيش السوري، فإنه يقضي على الوحدة الوطنية ،  
ويمكن للواء صلاح جديد والفريق أمين الحافظ أن يحلا خلافهما  
بالحوار والاقناع بدلا من الاحتكام للسلاح.

لقد كان الرأي العام في سورية ، في أوساط الشعب  
والجيش، يغلي وينبئ بالانفجار، **بالوقت الذي كان فيه  
عبدالغني قنوت ينصحني بمغادرة سورية والتداوي  
خارجا، كما كان يشاطره هذا الرأي بعض رفاقنا.**

لقد رفضت في البداية مغادرة سورية، ولكنني تبينت أن  
السلطة هي التي كانت تلح على سفري، ولم يكن هذا الالاحاح  
من جماعة صلاح جديد، وانما من قبل جماعة الفريق أمين  
الحافظ، ولا شك أن ذلك كان بنية طيبة من قبل الفريق الذي أراد  
أن أكون بعيدا عن سورية في ذلك الجو الملتهب الذي يمكن أن  
يعرض حياتي للخطر نظرا لما كان يعرفه من نوايا بعض  
العسكريين ولذلك أرسل لي من عرض علي مبلغا من المال قبل  
سفري ولكنني رفضت ذلك، ثم جرت محاولة أخرى مع زوجتي  
من قبل مدير مكتبه الضابط مصطفى العيسى في بيت مصطفى  
حمدون حيث تمت المقابلة، وعندما طلب منها تقدير المبلغ  
الذي يمكن أن نحتاجه، أجابته عاتبة ورافضته :

شيك مفتوح، إشارة للاتهامات التي وزعها البعثيون يمينا  
ويسارا بعد انقلاب الثامن من آذار ومنها انني تلقيت من عبد  
الكريم قاسم شيكا مفتوحا لأضع فيه الرقم الذي أريد.

بعد ذلك جاءني عبد الغني قنوت بمبلغ ثمانية آلاف ليرة  
سورية قال لي انها قد جمعت للتداوي من قبل الاشتراكيين  
العرب واصدقائهم، فكان هذا المبلغ كل ما أملك عندما غادرت  
سورية.

بعد خروجي من السجن تحسن وضعي الصحي. ولكن هاجس مرض السرطان كان ما زال يؤرقني، فبعد رفضي مغادرة دمشق، وقولي للموفدين من قبل السلطة انني لا أقبل السفر من دمشق إلا مبعدا، قررت السفر للتداوي في الاتحاد السوفياتي، ولكن الذي فوجئت به كان رفض سفارة الاتحاد السوفيتي اعطائي تأشيرة دخول فكان هذا الرفض مستنكرا وغير مفسر في الأوساط الشعبية وحتى في أوساط الحزب الشيوعي، لذلك قررت التداوي في فرنسا التي رحبت بزيارتي.

## 1966 : الإقامة في باريس .

وصلت الى باريس بصحبة زوجتي والدكتور مأمون حميدان في منتصف شهر كانون الأول، على ما أذكر، وكنت ما أزال في المطار عندما أعلنت الإذاعة والتلفزيون الفرنسيان نبأ وصولي.

لقد كنت متشوقا بعد نوالي شهادة البكالوريا لإتمام دراستي العليا في فرنسا ولكن ذلك لم يتيسر لي بسبب ما طرأ على وضعنا المالي من اضطراب بينما تيسرت الدراسة قبل ذلك لأخي الكبير محيي الدين الذي نال شهادة العلوم السياسية من جامعة السوربون.

استقبلني في مطار بورجيه مجموعة من الطلاب السوريين الذين أخبروني أن الاتفاق قد تم على استضافتي في منزل الشاعر أحمد سليمان الأحمد، في ضاحية فرين الباريسية، كان السيد الأحمد يعد شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، وقد أحاطني أعضاء الحزب الشيوعي من الطلاب السوريين في فرنسا، الذين كان الدكتور عصام الزعيم مسؤولاً عنهم، بكل مساعدة وعناية واهتمام، وكان الشاعر أحمد سليمان الأحمد وزوجته كاتيا البلغارية عضوين في منظمة الطلاب الشيوعيين، بينما كان ممثل الاشتراكيين العرب في باريس الطالب مصطفى الزلط شقيق الاستاذ عبد الفتاح الزلط، وكان مصطفى دليلي في جميع جولاتي وتنقلاتي في باريس.

كان هاجسي الأول عند استقرارني في باريس إجراء الفحوص الطبية للاطمئنان على وضعي الصحي، وقد دلت الفحوصات التي أحريتها بإشراف الدكتور الياس الكاتب أنني برئ من مرض السرطان، وأن السبب فيما عانيته في السجن هو مرض الزحار الذي يسببه شرب المياه الملوثة.

لقد بلغني أحمد سليمان الأحمد رغبة استاذته المستشرق جاك برك للاجتماع بي في جامعة السوربون، وتجلى لي من حديث هذا المستشرق الكبير، أنه حقا صديق

للعرب، وعندما استعرضنا الوضع في الجزائر، حمل جاك برك على السياسة الاستعمارية الفرنسية التي تعاني الجزائر من نتائجها بعد الاستقلال، وقد أبدى تعاطفه مع أحمد بن بللا الذي كان معتقلا بعد انقلاب بومدين.

كما اجتمعت وزوجتي مع المستشرقة ماري غواشون، وكان يرافقنا السيد غسان شلهوب ابن الصديق المرحوم الدكتور جورج شلهوب الذي كان نائبا عن دمشق ووزيرا سابقا، وكان هذا الاجتماع بناء على رغبتني لأنني قرأت لهذه المستشرقة كتيبا صغيرا، ترجم الى اللغة العربية، وفيه بحث عن تحويل نهر الأردن من وجهة النظر العربية، ولشد ما أبهجتني الآية القرآنية، من سورة آل عمران، المكتوبة بخط جميل والمعلقة على الجدار:

**"وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك ، واصطفاك على نساء العالمين"**

لقد جرننا الحديث مع المستشرقة غواشون الى تحويل مجرى نهر الأردن والى اختلاف موقفي من هذه القضية مع جمال عبد الناصر، وإلى الحديث عن المشاريع المائية في سورية وبخاصة مشروع الغاب، ولشد ما كانت دهشتني عندما عرضت علي، بيد مرتجفة، وكانت في الثمانين، خارطتين للمشروع تختلف احدهما عن الأخرى اختلافا بسيطا، وسألتنني عن سبب هذا الاختلاف الذي لم يستطع تفسيره لها السفير سامي الجندي، ومن حسن الحظ انني كنت مطلعا بصورة جيدة على تفاصيل هذا المشروع الذي رافقته بالاهتمام والملاحقة في كل مراحلها، ولا شك ان الحكومة الفرنسية كانت متتبعة لمشاريع المياه السورية واللبنانية، ومطامع اسرائيل في سرقة المياه العربية، وقد تأكد لي ذلك عندما قرأت في إحدى الصحف اللبنانية نصوص الرسائل المتبادلة بين بن غوريون ودوغول الذي حذره من أن تمتد مطامع اسرائيل الى جنوب لبنان للاستيلاء على مياه الليطاني والحاصباني والوزاني وهدد اسرائيل بالدفاع عن لبنان في مثل هذه الحال.



لقد كان لهذه الزيارة سبب آخر هو عزم زوجتي على اعداد موضوع لنوال شهادة الدكتوراه وكان الموضوع الذي اختارته يتعلق بدور المعلمين، حيث قضت كل حياتها المهنية، ولكن ماري غواشون اقترحت عليها موضوعا آخر، هو ظاهرة الاقبال الكبير على التعلم في سورية، هذه الظاهرة التي لفتت نظرها وأدهشتها، وضربت مثلا عليها بما شاهدته في قرية البيضا (إحدى قرى غرب حماه) حيث يوجد عدد كبير من المتعلمين ومن خريجي الجامعة.



بعد وصولي الى باريس زارني السفير سامي الجندي واحتفى بي ودعاني الى منزله، كما دعاني مرة أخرى الى مطعم فخم، عند وصول عبد البر الى باريس للعلاج، وكانت دعوة صرف عليها بسخاء ملفت للنظر، ولا سيما مع الموسيقيين الذين جاءوا الى مائدتنا، وعزفوا فوق رؤوسنا الانغام التي طلبها.

لقد كان سامي الجندي يتصرف كملينوير، بينما كان ذلك غريبا علي وعلى عبدالبر نحن الذين ألفنا البساطة، وكانت حياتنا أقرب الى التقشف.

أصبح مقهى اللوكسامبورغ في الحي اللاتيني ملتقى الشباب والطلاب والموفدين السوريين والعرب الذين كانت ألتقي بهم، وفي هذا المقهى شاهدت علي صالح السعدي وزوجته، وكنت قبل ذلك قد اعتذرت عن الاجتماع به، وقد أرسل إلي كتبا صغيرا ألفه عن الأخطاء والانحرافات التي ارتكبها البعثيون بعد ثورة الثامن من شباط 1963، وأذكر أنني قرأت في هذا الكتيب كيف أن حزب البعث، بعد الانقلاب على عبد الكريم قاسم، أعاد سريان الأعراف العشائرية، حتى على أهالي مدينة بغداد، بعد أن كان عبد الكريم قاسم قد ألغى هذه الأعراف وأخضع العشائر للقوانين المدنية، كما ان حكم البعث أعاد امتيازات التنقيب عن البترول للشركات البريطانية على مساحات واسعة من العراق، بعد أن ألغى عبد الكريم قاسم هذه الامتيازات. ومن سوء الحظ

انني فقدت هذا الكتيب الذي وردت به بعض الوقائع الهامة من تاريخ العراق الحديث.

لقد كان علي صالح السعدي يظهر لكل من اجتمع به أسفه وندمه على ما ارتكبه بحق الشيوعيين وانصارهم من جرائم ويضع مسؤوليتها على توجهات القيادة القومية المعادية للشيوعية، كما أصبح يظهر تعاطفا مع عبد الناصر، بعد العداء الشديد بينهما.

وخلال إقامتي في باريس زارني موفد من قبل وزارة الخارجية الفرنسية وتجاوزنا حول تمثين العلاقات العربية الفرنسية، فأشرت الى دور مصر وجمال عبد الناصر في تحسين هذه العلاقات التي لم يعد أي عائق يحول دونها، وان ذلك لمصلحة فرنسا والدول العربية.

خلال الاسابيع الاولى لإقامتي في باريس ، كانت فرنسا مشغولة بانتخابات رئاسة الجمهورية، وكان من رأيي، خلال مناقشاتي مع الشباب والطلاب، أن من المصلحة العربية أن ينجح دوغول في انتخابات الرئاسة، ودار جدل بيني وبين الطلاب الشيوعيين الذين كانوا يؤيدون انتخاب ميتران مرشح الحزب الاشتراكي، وهكذا التقى موقف الشيوعيين مع موقف اميركا واليهود في هذه الانتخابات.

كان من أول مواقف دوغول المشرفة، بعد نجاحه بانتخابات الرئاسة، التحقيق بمؤامرة اغتيال المهدي بن بركة في باريس التي قام بها أو فقير وزير الدفاع المراكشي بمعونة المخابرات الفرنسية، وتطهير جهاز المخابرات الفرنسية الذي كان له ضلع في هذه المؤامرة، وكنت منذ أكثر من عام قد اتهمت الموساد الاسرائيلي باشتراكه باغتيال بن بركة، والسبب في تقديري هذا، ان بن بركة من أنصار القضية الفلسطينية، ومدرك لخطورة الصراع بين العرب واسرائيل بالوقت الذي كانت فيه اسرائيل تعول كثيرا على موقف مراكش من السماح لليهود بالهجرة الى فلسطين، هذه الهجرة التي منعها الملك محمد الخامس، ولكن

ابنه الحسن الثاني فتح أبوابها حتى أصبح عدد المهاجرين اليهود المراكشيين يشكل أكثر من ثلث سكان إسرائيل.

لقد شعرت خلال إقامتي في باريس بالتأثير الشديد لليهود على وسائل الاعلام الفرنسية، فقد كان التلفزيون الفرنسي منبرا للدعاية لاسرائيل فاقترحت على الدكتور سامي الجندي عقد اجتماع مع السفراء العرب ليحتجوا مجتمعين على تسلط الدعاية الصهيونية على وسائل الاعلام الرسمية الفرنسية ولإفساح المجال أمام السفارات العربية لاظهار التطور والمشاريع الانمائية الكثيرة في البلاد العربية، فقال لي الدكتور الجندي ان مثل هذا الاجتماع لا يمكن أن يسفر عن نتيجة لأن الحكومات العربية عامة والحكومة السورية خاصة لم تزودنا بما يشير الى ذلك، ثم قال :

انني في شبه انقطاع بهذه الأمور عن وزارة الخارجية السورية، فالدعاية لاسرائيل يتحمل جانباً من مسؤوليتها تخلف الحكومات العربية أكثر مما يقع على عاتق الحكومة الفرنسية.



بعد زيارة أهم متاحف باريس وبعض المعالم الأثرية خارجها، توجهت الى مدينة ستراسبورغ وكانت المجموعات الطلابية في بعض مدن فرنسا وفي انكلترا وبلجيكا قد وجهت لي دعوات لزيارتها وإلقاء بعض الاحاديث، حتى ان الطلاب في بلجيكا قالوا لي ان بإمكانهم افساح المجال لي للحديث عن القضية الفلسطينية في التلفزيون البلجيكي.

أقمت في مدينة ستراسبورغ التي رافقني إليها المرحوم مصطفى الزلط عشرة أيام تعرفت خلالها بالدكتور العلواني ابن المرحوم عادل العلواني وكان يشغل مركزاً هاماً في أحد مستشفياتها، وأذكر ان الدكتور العلواني قال لي ان موازنة هذا المستشفى تعادل موازنة وزارة الصحة في سورية، كما تعرفت في هذه المدينة على الطبيب هشام السمان وكان مثالا للوطنية والاخلاق وقد ربطتني به مودة خاصة، وكان حزني عليه

كبيرا عندما توفي في غربته معانيا آلام الوطن وآلام مرض لم يرحم.

كانت مدينة ستراسبورغ تعج بالطلاب السوريين والعرب وقد اجتمعت بالعديد من الطلاب التونسيين وتجاوزنا حول الأوضاع السياسية في البلاد العربية ولا سيما الصراع العربي الاسرائيلي، وفي أحد المرات، بينما كنت أسير في الشارع مع مجموعة من الطلاب، رأينا امرأة متشحة بالسواد قال لي الطلاب انها زوجة كوهين التي انتسبت الى جامعة ستراسبورغ بعد اعدام زوجها.

في ستراسبورغ سألت عن الاستاذ غولمية الذي كان استاذي في الأدب الفرنسي في ثانوية عنبر في الثلاثينات والذي أصبح فيما بعد موظفا كبيرا في المفوضية العليا، قبل جلاء الفرنسيين عن سورية، لأن بعض الطلاب قال لي ان المستشرق غولمية ألقى محاضرات عن سورية وأثنى على التقدم الذي حققته بعد الاستقلال، وأظهر أسفه لأن فرنسا لم تقم "بمهمتها الحضارية" خلال الانتداب.



بعد رجوعي من مدينة ستراسبورغ الى باريس، اتصل بي الصحافي السيد أحمد عسة صاحب جريدة الرأي العام السورية ليبلغني رسالة من الملك فيصل عرض فيها استعداده لدفع كل مصاريف التداوي والعلاج، لأن الملك فيصل يعز عليه أن يكون أحد زعماء سورية في عسر، فاعتذرت عن قبول المعونة الكريمة وقلت لأحمد عسة :

بلغ الملك فيصل انني شاكر له وممتن على مشاعره النبيلة التي شملني بها، وقد استجرتنا الحديث إلى موقفي من السياسة السعودية التي تدعو لانشاء حلف اسلامي، الأمر الذي كان يلقي معارضة شديدة من قبل جمال عبد الناصر، وكان يعتبره حلفا استعماريًا، قلت للاستاذ أحمد :

انني كنت دائما أدعو لتمتين أواصر القربى بين العرب والشعوب الاسلامية للدفاع عن حريتها واستقلالها تجاه المطامع الصهيونية والاستعمارية، فأنا لست ضد انشاء مثل هذا الحلف، ولكنني أعارضه إذا كان في خدمة النفوذ الغربي، كما كان حلف بغداد والناو وغيرهما من الأحلاف التي دعت اليها بريطانيا والولايات المتحدة.

وكان الملك فيصل في هذه الفترة قد أعلن عن تشكيل لجنة للإعداد لمؤتمر القمة الاسلامي، كما زار الملك حسين في الاردن، وأدى صلاة الجمعة في المسجد الأقصى، وفي نهاية الزيارة صرح "بأنه علينا أن نشيد بنينا للامة العربية في الاقطار الاسلامية" كما صرح الملك حسين "بأن البلدين مدعوان لتجديد العلاقة بين الدول والشعوب الاسلامية".

عند نهاية اجتماعي بالاستاذ أحمد عسة، واجهت في بهو الفندق أحد أعضاء السفارة السعودية الذي دعانا لشرب فنجان قهوة فاستجرنا الحديث الى تحويل مجرى نهر الاردن وخلافي مع عبد الناصر حول معالجة هذه القضية، فسألني متعجبا :

هل أنت جاد فعلا بالدعوة لمنع اسرائيل بالقوة من تحويل مجرى النهر؟ قلت له:

كل الجد، لأنني أعتقد أن الدول العربية قادرة ، إذا تضافرت ، على منع اسرائيل من تحويله واغتصاب المياه العربية.

### **في اسبانيا .**

كنت أتابع في باريس أخبار سورية، وانزلاق السلطة فيها نحو المزيد من الخلافات بين القيادة القومية والقيادة القطرية، ونحو المزيد من سيطرة العسكر وطغيان الطائفية، وكان ذلك يبعث في نفسي الأسى لهذا الوطن الصغير الذي كان كبيرا بطموحاته وأحلامه، والذي أراه الآن أمامي وهو يتمزق.

لقد تذكرت وأنا في هذا الوضع النفسي، ما قاله لي صديقي الفنان أدهم اسماعيل في روما خلال ديكتاتورية أديب

الشيء الذي عندما نصحني بزيارة الأندلس لأن ذلك يعيد الى النفس الايمان بالعرب و بإمكاناتهم الحضارية، وقال لي يومذاك أنه عاد من زيارة اسبانيا مملوءا بالتفاؤل والأمل، وهكذا عزمت على زيارة اسبانيا مصطحبا زوجتي وعبد البر، وكان في وداعنا في محطة القطار الدكتور سامي الجندي وعاطف دانيال والدكتور الياس الكاتب الذي أشرف على علاجي.

في مدريد استقبلنا موظفو السفارة السورية وعلى رأسهم القائم بالأعمال العقيد دريد المفتي والشاعر الكبير نزار القباني، وكان السفير اللواء محمد عمران قد عاد الى دمشق حيث عين وزيرا للدفاع في وزارة صلاح البيطار التي تشكلت في كانون الثاني 1966. وفي مدريد استضافنا العقيد المفتي في منزله وأصبح دليلنا لزيارة معالمها ولا سيما ما يتعلق بالآثار العربية، وكان المفتي انسانا مثقفا متقنا للغة الاسبانية، وقد بدأ بتأليف قاموس للكلمات الاسبانية ذات الأصل العربي، وقال لنا ان عددها كبيرا جدا، وعندما زرنا معه متحف البارادو للرسم استمتعنا بشرحه للوحات غويا وألغريكو وفيلاسكز.

كما زرنا مع دريد المفتي المتحف العسكري، حيث استقبلنا عدد من الجنرالات، وقد أعدوا لنا وليمة صغيرة، وعندما لفت نظري هذا العدد من الجنرالات قال لي العقيد دريد ان الجنرال فرنكو وضعهم في هذا المتحف ليعدهم عن الجيش.

كان اكثر ما لفت نظري، وجعلني أقف أمامه متأملا ماضي العرب وحاضرهم، ثوب كان يلبسه أبو عبد الله الصغير آخر ملوك غرناطة:

كان الثوب يشير الى مجتمع الترف الذي ترهل فيه عرب الأندلس ، فهو من المخمل الأحمر الغامق، طرز صدره بالذهب، والى جانبه جزمة أبو عبدالله وقفازاه وكانا من جلد الشاموا الرمادي.

أمام هذا الثوب سمعت والدة آخر ملوك غرناطة وهي تقول

:

ابك مثل النساء ملكا مضاعا لم تحافظ عليه مثل الرجال.  
لقد وقفت طويلا، وباعتزاز ، أمام سيف مرصع، كتب تحته  
أنه سيف مقاتل عربي "شرس" اسمه علي العطار، ثم عرفت  
فيما بعد أن هذا الفارس ظل يحارب في جنوب اسبانيا وقد تجاوز  
عمره الثمانين.

آلمني في تلك الزيارة وفاجأني عندما اضطررت إلى مسح  
حذائي، وكان يوما ممطرا، فإذا بممسحة الأحذية على شكل  
علم مغربي.



اصطحبنا العقيد دريد المفتي الى مكتبة الاسكوريال التي  
تقع خارج مدريد، هذه المكتبة الشهيرة التي تضم اكبر عدد في  
العالم من الكتب العربية، والذي لفت نظرنا في احدى الواجهات ،  
قرآن كريم مفتوح على سورة يوسف وقد زينت صفحته برسوم  
جميلة لقصة يوسف القرآنية.

كما لفت نظرنا كتاب عربي في علم الاسماك. وقد قال لنا  
الدليل بأنه كتاب جامع لعدد كبير من الأسماك المعروفة، وكان  
الكتاب مفتوحا على صفحة تدل على ما وصل اليه العرب من  
الدقة والتجربة والتتبع العلمي إذ يقول المؤلف عن أحد أنواع  
السمك: لقد شممت بوله وذقته أيضا.

في اليوم نفسه زرنا الكنيسة العظيمة المشادة على  
جبل عال والتي أقامها فرنكو رمزا للمصالحة الوطنية فجمع فيها  
رفات معظم الذين استشهدوا في الحرب الأهلية من ملكيين  
وجمهوريين.

عندما عدنا الى البيت وجدنا رسالة إلى السفارة السورية  
تقول ان السفارات العربية تلقت من الخارجية الاسبانية كتابا  
يبين انه ليس في نية اسبانيا أن تعترف باسرائيل، وكانت احدى  
صحف الصباح قد نشرت مقالا لسفير اسباني سابق في  
واشنطن حول وجوب الاعتراف باسرائيل، وقد ورد في كتاب

الخارجية الاسبانية الذي صدر في اليوم نفسه، ان المقال يعبر فقط عن رأي صاحبه.



كان للشاعر نزار القباني، علاقة وثقى مع الأدباء والشعراء الاسبان، ولشد ما أبهجتنا دعوته لحضور عشاء في منتدى ليلي كان يقدم الغناء والرقص الاسبانيين العريقين، وفي ليلة لن أنساها، تواردت الى خاطري ذكريات العهد العربي في اسبانيا، فقد كان في الغناء والرقص ما يوحي بذلك، ولا سيما الغناء الذي كان شبيها بمواويلنا، كما ورد الى خاطري ما دعا إليه رئيس للجمهورية الاسبانية، لعله دي ريفيرا، للرجوع الى الثقافة والاصول العربية.

كان كل شيء في اسبانيا يذكر بهذا التراث المشترك لدرجة جعلتني أقول في نفسي:

ما الذي يمنع اسبانيا من دخول الجامعة العربية؟ ان فيها من التراث المشترك ما يجعلها قريبة من العرب اكثر من قربها الى أوروبا.



بعد إقامتنا عدة أيام في مدريد قررنا زيارة الأندلس، وقد أظهر الطالب .. الجندلي من حمص ، ومن تلاميذ عبد البر استعداداه لاصطحابنا في سيارته، فكان أول ما زرناه مدينة قرطبة.

لقد شعرنا عند وصولنا الى قرطبة وكأننا في إحدى مدن سورية ، سواء بالنسبة لطبيعتها أو بالنسبة لوجوه سكانها أو مساكنها ، هذه المدينة التي قال فيها نزار عند تقديمه لاحدى قصائده :

كدت في قرطبة أن أمد يدي الى جيبي لأخرج مفتاح بيتي في دمشق.



في جامع قرطبة تذكرت ماروي لي بأن أحد الزوار العرب لم يملك نفسه من أن يؤذن فيه، فكان هذا شعوري عندما دخلت الجامع، وقد قرأت أخيرا بأن لويس عوض المعروف بدعوته الفرعونية، لم يستطع أن يتمالك نفسه من البكاء أمام عظمة الجامع.

لقد أقام أحد ملوك اسبانيا في ركن من أركان الحرم كنيسة تحديا لهذا الأثر العظيم، وجمع لتشيد هذه الكنيسة عددا من مهندسي البناء في أوروبا، ورغم ذلك فقد بدت الكنيسة ضئيلة تافهة أمام عظمة الجامع، وقيل لنا ان الملك الذي أمر بنائها قدم اعتذاره، بعد أن شاهدها، عن تشويه هذا الأثر العظيم الى المجلس البلدي لمدينة قرطبة.

على كل حال فإن وصف هذا الأثر يحتاج لصفحات وصفحات ولا سيما غابة الأعمدة، داخل المسجد الذي يتسع لعشرات الألوف دون أن يحجب أي منها محراب المسجد عن المصلين.

أمام عظمة هذا الجامع وقف شوقي مبهورا، معارضا سينية البحري التي قالها في ايوان كسرى، فكانت قصيدته الرائعة التي مطلعها :

أذكرا لي الصبا                      اختلاف النهار والليل ينسي  
وأيام أنسي

داخل حرم الجامع لفت نظرنا العديد من البلاطات السوداء، وقيل لنا أن تحت كل بلاطة مقاتل اسباني قتل في المعركة التي دارت دفاعا عن الجامع عند سقوط قرطبة.

وقفت متأملا البلاطات السوداء، متذكرا الجامع الأموي في دمشق، تتوارد الى ذهني أفكار تنتمي إلى الحاضر والماضي، وعادت الى ذاكرتي قصيدة شوقي في الجامع الأموي التي يقول فيها :

مررت بالمسجد المحزون أسأله                      هل في المصلى  
أو المحراب مروان؟

## تغير المسجد المحزون واختلفت المنابر أحرار وعبدان على

بعد زيارة الجامع، وبالقرب منه، زرنا بناء قيل لنا انه كان مقرا لمحكمة التفتيش التي أحرقت ودمرت عشرات الألوف من الكتب العربية وحكمت بالموت على عشرات الألوف من العرب.



كان استمتاعنا كبيرا بالتجول في الأحياء الدمشقية من مدينة قرطبة، لقد امتد التشابه، من الحارات الضيقة، والبيوت ذات الطراز الدمشقي الي نباتات الزينة، ففي باحات البيوت القديمة، كان الياسمين، وأزهار الخبيزة، وأوراق الزينة الخضراء العريضة التي لم أر مثلها حتى الآن إلا في مدن سورية واسبانيا.

في باحة حي قديم من أحياء قرطبة شاهدنا تمثالا لرجل ذي ملامح عربية، وعندما قرأنا اسمه الذي نقش على قاعدة التمثال، إذا هو تمثال ابن ميمون الفيلسوف اليهودي المشهور الذي ولد في قرطبة ودفن حسب وصيته في طبريا، وقد أدت به شهرته لأن يصبح طبيبا لصلاح الدين، ولا شك بأن اليهود هم الذين أقاموا هذا التمثال، ولقد فكرت يومذاك بمشروع عربي لاقامة تماثيل لعباقره عرب الأندلس من علماء وفنانين أغنوا حضارتنا العربية الاسلامية وكان لهم أيضا تأثيرهم الكبير على الحضارة الأوروبية.

بعد زيارة قرطبة زرنا مدينة الزهراء القريبة منها، وكانت بقايا المدينة تشير الى سابق ازدهارها، وقد تنصل دليلنا الاسباني من خراب هذه المدينة قائلا:

إن العرب هم الذين دمروها في حروبهم الداخلية، وكان المهندسون الاسبان يحاولون، بجهد كبير، إعادة المدينة الى سابق عهدها، ولا سيما القصر الذي شاده عبد الرحمن الثالث حيث القاعة الفخمة التي كان يستقبل فيها السفراء، والتي تطل على بركة مياه أقرب إلى بحيرة صغيرة.

لقد كانت مدينة الزهراء مثلا لما وصلت إليه مدن الأندلس من فن في البناء ومن تقدم حضاري أنجب الكثير من العلماء والأدباء، وقد حدثنا دليلا حديثا فيه كل المحبة والاعجاب عن أبو القاسم الزهراوي، ابن مدينة الزهراء، الذي كان من أشهر أطباء عصره وجراحيه وكان لكتابه في الجراحة "التصريف لمن عجز عن التأليف" الذي ترجم الى كثير من اللغات الأوروبية أعظم الأثر في نهضة العلوم الطبية في أوروبا خلال خمسة قرون.

بعد مدينة قرطبة توجهنا الى غرناطة وكان هدفنا زيارة قصر الحمراء الذي يقع على مرتفع مطل على المدينة وقد تذكرت أمام بركته ونوافيرها ما قاله لي أدهم اسماعيل عن تقدم الهندسة العربية التي خلفها العرب في اسبانيا ومنها مشاريع استخراج المياه واستنباطها وتوزيعها.

كما لفت نظرنا رسوم الاشخاص على جدران بعض الغرف، ومنها رسوم فارس عربي، وكان العرب في الأندلس قد بدأوا يتقنون رسم الأشخاص، ولا يجدون غضاضة في ذلك، بعد أن تمكنت في النفوس عقيدة الإله الواحد الذي ليس كمثله شيء.

وعندما دخلنا حمام قصر الحمراء، قال لنا دليلا، إننا نسميه حمام فضح الأسرار لأن ما يقال في أحد أركانه همسا يمكن سماعه واضحا في أركانه الأخرى، وفعلا فقد طلبت من زوجتي أن تقف في احدى زوايا الحمام وعندما همست همسا خافتا سمعته زوجتي بوضوح، وهذا يدل على ما بلغه العرب من تقدم علمي بالنسبة لدراسة الأصوات وانعكاساتها.

ثم زرنا حدائق (الخنرايغا) وهي كلمة محرفة عن اللفظ العربي :حنينة الخليفة، لأن الاسبان يقلبون الجيم خاء في اكثر الاحيان، أما ذلك السوق ذي الدكاكين الصغيرة المقنطرة، فكان اسمه الكيساريا، وقد تذكر رفيقنا عبد البر ان في حمص سوقا بهذا الاسم، ولفظه العربي هو : القيصرية.



من قرطبة توجهنا الى اشبيلية ، تلك المدينة التي كان العرب يشبهونها بمدينة حمص، بل يطلقون عليها أحيانا اسم حمص كما فعل الشاعر عندما رثى ضياع مدينة اشبيلية ونكبة العرب في اسبانيا:

وأين حمص وما تحويه من نزه      ونهرها العذب  
فياض وملآن؟

كان أول ما زرناه في اشبيلية مئذنة جامعها الذي لم يبق منه سوى الباب الخشبي الضخم ذي التخاريم والنقوش البديعة، بينما ظلت المئذنة شامخة تطل بكبرياء على مدينة اشبيلية، شاهدة على عبقرية العرب في الهندسة المعمارية.

كانت المئذنة في هندستها الداخلية وطريقة بنائها شبيهة بالملوية القائمة حتى الآن في العراق، ولكنها كانت متقدمة عليها في ارتفاعها وسعة داخلها، ويمكن اعتبارها أول ناطحة سحاب بنيت في العالم، فقد بنيت من ثلاثين طابقا، وفي كل طابق شبك يطلق منه المؤذنون أذان الصلاة. لقد سعدنا طوابقها الثلاثين دون عناء إذ يمكن لسيارة صغيرة أو موتوسيكل أن يصعد على ممراتها العريضة.

بعد اشبيلية ، أخذنا طريق العودة الى مدريد، وسواء خلال مجئنا أو عودتنا، فقد كنا نلاحظ من أوجه الشبه والتراث المشترك ما جعلنا نؤمن بوجود المزيد من تقوية أوأصر العرب بهذا البلد الذي شعرنا بصداقة شعبه أينما حللنا، وقد لفت نظري ان شعار بني الأحمر، لا غالب إلا الله، لا يزال الزائر يصادفه منقوشا على بلاط القيشاني في العديد من المنازل والأماكن العامة، وما أزال أذكر تلك الاستراحة التي تحمل اسما عربيا هو "البركة" ، فقد كان طراز البناء الذي نزلنا فيه مستوحى من الهندسة المعمارية العربية، وقد استمتعنا بباحته وحديقته ونوافيره وكأننا في حي دمشقى أثري عريق.

قصارى القول فقد تمتعنا بزيارتنا اسبانيا كما لم نتمتع بأية زيارة لبلد آخر، ولكن المنغص الذي كان يحز في نفسي كحد

السكين والذي لم يفارقني طيلة تجوالي في اسبانيا هو الخوف من أن يحل بفلسطين في هذا العصر ما حل بالأندلس في الماضي مع أن الفارق بين النكبتين فارق كبير، إذ أن فلسطين عربية أرضا وشعبا اغتصبها الغازون اليهود من كل جنس وطردها أهلها العرب بدعم من الامبريالية والصهيونية، أما اسبانيا فقد كانت أرضا وشعبا اسبانية، بدءا وانتهاء، وإن تعايش فيها العرب والاسبان عدة قرون، هذا التعايش الذي قدم للحضارة بوجه عام، وخصوصا لأوروبا، خدمة جلى.

### **انقلاب 23 شباط 1996 :**

بعد عودتي من اسبانيا الى باريس بمدة قليلة وقع انقلاب 23 شباط، وإثر هذا الانقلاب صادفت المقدم مصطفى عمران، في مقهى اللوكسمبورغ على ما أذكر، وكان قد عين ملحقا عسكريا في باريس من بين اثني عشر ضابطا عينوا في مختلف السفارات السورية منهم :

المقدم عبدو الديري آمر اللواء العاشر في اللاذقية، المقدم حسين ملحم قائد الشرطة العسكرية (مدريد)، العقيد جمال جبر (مدريد ايضا)، النقيب خالد رسلان(روما)، المقدم علي مصطفى رئيس أركان اللواء سبعين(لندن)، العقيد أحمد خضور قائد المنطقة الوسطى (بكين)، الرائد أحمد صقر (براغ)، النقيب سليمان حداد (اثينا).

وكان قد تبع انقلاب شباط تصفية اكثر من تسعين ضابطا في الجيش من مختلف الرتب، وقد جرت هذه التصفية قبل أقل من سنة ونصف من حرب الخامس من حزيران. قال لي المقدم مصطفى عمران :

من حسن حظك أنك خرجت من سورية قبل الانقلاب، إذ لو كنت فيها لاتهمت بأنك متواطئ مع الفريق أمين الحافظ. لقد أحزنني كثيرا وقوع هذا الانقلاب ، كما أحزنني أن تستمر التصفيات في الجيش السوري.



خلال إقامتي في باريس، وبعد انقلاب 23 شباط، زارني عدد من المهندسين السوريين وبينهم مختصون في شؤون البترول فأخبروني بأن حكومة زعين التي تشكلت بعد هذا الانقلاب عازمة على إلغاء اتفاقية تمديد أنابيب النفط مع الشركات البريطانية، وأن اتفاقاً جديداً مزعماً عقده مع مجموعة من الشركات الإيطالية، وأن هذا العقد الجديد سيوفر على الحكومة السورية مبلغاً يقارب الأربعين مليون ليرة سورية، فكنت أكثر منهم ابتهاجاً بهذه النتيجة، وكان ذلك عزاء لي عن الأيام التي قضيتها في سجن البعث مع الإشارة إلى أن النفي قد استتبع أيام السجن، وما يزال مستمراً حتى كتابة هذه السطور من عام 1993.

لقد لفت نظري في حديث المهندسين الفارق الكبير في الأسعار بين الاتفاقيتين مما لا يمكن أن يحدث بدون رشاوى لعدد من المسؤولين وهي الشائعة التي راجت عند عقد الاتفاقية مع الشركات البريطانية وتناولت عدداً من القيادات البعثية العسكرية والمدنية بينهم وزير الدفاع حمد عبيد، والضابط رفعت الأسد، وأحد أعضاء مجلس الرئاسة، ووزير الاقتصاد هشام العاص وبعض أعضاء القيادة القومية اللبنانيين والعراقيين ولكن لا يوجد لدي دليل يؤيد ذلك.

لقد صرح يوسف زعين للصحافة فيما بعد بتاريخ 66/7/12 ، بعد إبرام الاتفاقية مع الشركات البريطانية بما يلي :

"لقد تبين للحكومة السورية خلال محادثاتها مع مجموعة الشركات البريطانية، أن أسعار هذه الشركات أعلى بكثير من أسعار الشركات الأجنبية الأخرى ، لذلك قررت الحكومة فسخ هذا العقد واتخذت الاجراءات القانونية لذلك، وإن عقداً جديداً سيوقع بعد أيام مع شركات (سنام بروجتي) الإيطالية لتمديد أنابيب النفط، وإن اسعار الشركات الإيطالية تقل حوالي 40 مليوناً عن أسعار مجموعة الشركات البريطانية، كما أكد هذا الوفر وزير

الصناعة السيد أسعد تقلا الذي وقع العقد نيابة عن الحكومة السورية وقال ان العقد الجديد يتمتع بالموصفات نفسها للعقد القديم وان مدى التنفيذ ستكون 19 شهرا بينما كانت المدة في العقد المفسوخ 27 شهرا مما يقرب موعد استثمار البترول السوري".

بعد انقلاب 23 شباط بلغني عصام الزعيم مسؤول الطلاب السوريين الشيوعيين في باريس رسالة من خالد بكداش يطلب فيها الاجتماع بي في ألمانيا الشرقية إذا رأيت ذلك مناسبا فاعتذرت عن ذلك، ثم عاود عصام الزعيم اتصاله بي قائلا إن سفارة الاتحاد السوفيتي مستعدة أن توجه دعوة لك الى موسكو فاعتذرت عن هذه الدعوة أيضا، وعندما سألته عن أسباب الحاح خالد بكداش على هذا اللقاء قال لي عن لسان بكداش: ان الاتحاد السوفيتي اتفق مع جمال عبد الناصر على تأييد انقلاب 23 شباط وان خالد بكداش يرى ذلك فرصة مناسبة للتعاون بين الاشتراكيين العرب والشيوعيين، فقلت لعصام :

من الخطأ أن نتعاون مع هذا الانقلاب الذي عمق الطائفية في سورية، بعد الشرخ الذي أصيبت به الوحدة الوطنية بانقلاب الثامن من آذار، فأنا غير مستعد للتعاون مع هذا النظام ولو أيده جميع الدول العربية، وقد نشرت جريدة الحياة بتاريخ 66/3/16 خبرا عن هذه الاتصالات ورد فيه :

"إن القطريين بعثوا رسولا لمقابلة اكرم الحوراني والحصول على موافقته".

بعد مدة ليست طويلة قال لي الشاعر احمد سليمان الأحمد انه يفكر بالعودة الى سورية وكان قد جرى ايضا، بيني وبينه حديث من انقلاب 23 شباط، فأبنت له مخاطر هذا الانقلاب على الوحدة الوطنية، وعندما عاد الى سورية عين هو وزوجته موظفين في وسائل الاعلام السورية.



عندما امتدت إقامتي في أوروبا ما يقرب من أربعة أشهر، فكرت بالعودة الى سورية، ولا سيما ان دراهمي كادت أن تنضب، كما أن احتمال العودة بدا لي ممكنا، فقد علمت أن خالد بكداش عاد الى دمشق واستقبله الحزب الشيوعي باحتفال كبير في المطار، كما أنه قد جرى استقبال كبير في حي الميدان للشيخ حينكة عند عودته من الحج، فقدرت ان السلطة ستكون محرجة في منعي من الدخول أو اعتقالني بعد هذه الاستقبالات ومع ذلك فقد اتصلت للتأكد من ذلك بمصطفى حمدون في دمشق وسألته عن رأيه بعودتي وعن موقف السلطة من ذلك فقال لي لا يوجد من قبل السلطة أي مانع، وهكذا قررت يوم الخامس من أيار العودة الى سورية.

التقيت بالمطار بالسفير الدكتور سامي الجندي وكان آتيا ليودع زوجته المسافرة الى سورية أيضا، وفي الطائرة جلست الى جانبي وأخذت تتحدث أحاديث شتى، وفي محاولة للخلاص من ذلك، قلت لها انني متعب وأشعر بالصداع وبحاجة الى قليل من النوم، فقالت لي أن لديها حوبا تساعدني على النوم وعلى التخلص مما أشعر به من صداع، فتناولت الحبة بدون أي تدقيق ولكنني لم أنم وانما شعرت بقواي تتلاشى وانني أصبحت عاجزا عن الحركة وحتى عن الكلام، وعندما حطت الطائرة في دمشق وفتحت الأبواب لنزول الركاب رأيتها تنزل من الطائرة بسرعة شديدة وتغيب عن الأنظار.

بعد أن حطت الطائرة، وقبل نزول بقية الركاب، صعد فورا الى الطائرة رجال المخابرات وقادوني الى مركزهم في القسم العسكري من المطار، فلم أجد أي ممانعة لأنني لم أشعر بأي رغبة أو قدرة على الممانعة أو ابداء أي إشارة رغم انني رأيت عند نزولي من الطائرة عددا كبيرا من المستقبليين، قيل لي فيما بعد أن عددهم تجاوز الألف مستقبل، وكانوا يلوحون لي بأيديهم.

وفي مركز المخابرات سألني أحد ضباط المخابرات عن زوجة سامي الجندي التي لم يروها بعد أن خرجت بسرعة من



الطائرة، كما أخبرت بأن الأمر صدر بإيعادي الى لبنان فخطر لي أن أسألهم متهمكما :

من أي جهة صدر هذا الأمر، من القيادة القطرية أم القيادة القومية؟ وعندما طلبت منهم أن أودع زوجتي وأولادي رفضوا هذا الطلب، فأودعت لديهم بندقية صيد هدية لابني جهاد فتعهدوا بتسليمها له.

بعد ذلك أركبت في سيارة قادها أحد ضباط المخابرات مع اثنين من رجاله، توجهت بي الى طريق بيروت وأثناء مرورنا في دمر قلت للضابط :

ما فائدة إخراجي الى لبنان وانتم تعرفون انني استطيع العودة الى سورية غدا؟ بعد قلبي هذا وقف الضابط أمام محطة بنزين ليقوم باتصال هاتفي، وخلال غيابه عرض على رجل المخابرات الذي بقي وحده في السيارة استعداده لمساعدتي على الهرب ، فشكرت له عواطفه وقلت له لا حاجة بي لذلك، وانني حتى الآن متردد في تفسير هذه الحادثة، أكانت حقا تستهدف إتاحة الفرصة لأن أهرب، أم أنها كانت شركا الهدف منه ان أحاول الهرب مما يبرر إصابتي؟

بعد المخابرة التي أجراها الضابط في محطة البنزين عادت بنا السيارة الى المطار العسكري، وبعد انتظار طويل هيئت لي طائرة داكوتا عتيقة من مخلفات الحرب العالمية الثانية توجهت بي الى جزيرة قبرص، وخلال السفر قدم لي قائد الطائرة ومساعدوه انفسهم وأبدوا لي كل محبة وتعاطف، وفي مطار قبرص استقبلني بود وترحاب أحد الضباط الذين استبعدوا من الجيش الى السلك الخارجي، فأصر على نزولي ضيفا في منزله، وفي اليوم الثاني قلت له انني أود الذهاب الى لبنان فاشترى لي تذكرة الطائرة رافضا أن يأخذ مني ثمنها. وقد أعلن وزير الداخلية السيد بيير الجميل بعد وصولي الى بيروت قبولي والاستاذ خليل كلاس كلاثنين سياسيين، كما أحاطني الشعب اللبناني الشقيق خلال إقامتي بالمحبة والعطف من قبل أحزابه

الوطنية، يمينية كانت أم يسارية، ومن قبل أوساطه الثقافية المسلمة والمسيحية بالرغم من اختلافنا العقائدي مع بعضها، وانني لن أنسى العطف الذي قابلني به كثير من الأرمن في لبنان، وكنت خلال حديث عارض قد ذكرت ان والدي قد توفي اثر إصابته بالعدوى من الأرمن المرضى اللاجئين الى سورية بعد مذبحتهم خلال الحرب العالمية الأولى، حيث كان والدي يوزع الطعام يوميا على من لجأ منهم الى خان البكري القريب من منزلنا.

**1966 : انقلاب 23 شباط على القيادة القومية**  
**لحزب البعث وسجن أمين الحافظ وصالح البيطار**  
**ومنصور الأطرش وشبلي العيسمي وغيرهم-**  
**ازدياد حدة الاستقطاب بين الدول العربية وانحراف**  
**حاد نحو الماركسية لدى كثير من الفئات اليسارية**  
**بما فيها القومية التي كانت توصف سابقا**  
**بالشوفينية.**

من الأخبار التي نقلت إلي في باريس، ومن مختلف المصادر الرسمية والصحافية والشخصية عن انقلاب 23 شباط ، يمكنني أن أجمل الوقائع المؤكدة لهذا الانقلاب بما يلي :

لقد عزمت ، أخيرا، القيادة القومية المتحالفة مع أمين الحافظ في أواخر شهر كانون الأول 1965 ، وبعد أن نشر صلاح البيطار سلسلة مقالاته في جريدة البعث عن تسلط العسكر على الحكم والحزب، وبعد أن انضم محمد عمران الى هذا التكتل اثر مجيئه من سفارة مدريد الى دمشق فجأة، على مجابهة صلاح جديد والعسكريين وانتزاع السلطة منهم، وباتفاق بين ميشيل عفلق ومنيف الرزاز وصلاح البيطار وأمين الحافظ أصدرت القيادة القومية قرارا بحل القيادة القطرية الموالية لصلاح جديد ، وإجراء تعديلات في التشكيلات الحزبية والعسكرية ، وتكليف صلاح البيطار بتاريخ 66/1/4 بتشكيل حكومة ألفها على النحو التالي:

صلاح البيطار رئيسا للوزراء والخارجية، اللواء محمد عمران، وزيراً للدفاع، الدكتور عبدالله عبد الدايم وزيراً للتربية، فهمي العاشوري، وزيراً للداخلية، الدكتور صلاح الزوان - وزيراً للزراعة، الدكتور كمال الحصني - وزيراً للاقتصاد ، اللواء ممدوح جابر - وزيراً لشؤون الرئاسة، الدكتور هشام العاص - وزيراً للصناعة، المهندس سميح الفاخوري - وزيراً للأشغال العامة، المهندس محمود النجار - للشؤون البلدية والقروية، موفق الشربجي -

وزيرا للمالية، يوسف خباز - وزير دولة لشؤون الحكم والسياحة، الدكتور حنين سياج- وزيرا للصحة والاسعاف العام، الدكتور شاكر مصطفى - وزيرا للاعلام، الدكتور محمد الفاضل - وزيرا للعدل، جميل ثابت (عامل) - وزيرا للشؤون الاجتماعية والعمل، جميل حداد - وزيرا للاصلاح، الدكتور عبد الوهاب خياطة - وزيرا للتخطيط، بشير القطب - وزير دولة للشؤون الخارجية، المهندس نزال الديري - لشؤون الجزيرة والفرات، الدكتور أسعد درقاوي - وزيرا للثقافة والارشاد القومي، محمود عرب سعيد - وزيرا للدولة والأوقاف، الدكتور عدنان شومان - نائبا لوزير الشؤون الاجتماعية والعمل، ريس الفرحان الفياض - نائبا لوزير الدولة لشؤون الجزيرة. وقد أذاعت القيادة القومية أثر تأليف هذه الحكومة بيانا جاء فيه :

**"ان الحزب يراجع تجربته في الحكم لكي يقفز قفزة جديدة ليتفادى ما ارتكب من أخطاء وليصحح الانحرافات وليرسم طريقا جديدة".**

**"ان شعار القفزة الجديدة هو مزيد من الانفتاح على الجماهير لأن دور الحزب في هذه الجماهير ليس دور البديل أو الوصي".**

**"ان الأوضاع التي أحاطت بالثورة قد دفعت بالحزب الى مزيد من الانكماش ومزيد من التقوقع، مما أفقد الثورة كثيرا من طابعها الشعبي وألبسها لبوس الانكماش والتخوف وصرف الحزب عن واجبه الشعبي".**

**"ان قوة الحزب لا يمكن أن تستند الى ما يملك الحكم من قوى مادية أو عسكرية أو بوليسية، وان الانفتاح على الجماهير لا بد أن يكون محسوسا في حريات المواطنين وفي إحساسها بالمساواة والعدل".**

**وفي محاولة لكسب التأييد الشعبي، وتأكيدا لما أعلن من انفتاح على الجماهير، فقد تم اطلاق سراح جميع السجناء من الاشتراكيين العرب وجميع معتقلي**

سجن المزة وسجن القلعة من جميع الفئات السياسية،  
كما توجه صلاح البيطار بكلمة للمواطنين جاء فيها :

"ان حكومته ما جاءت إلا بعد أن وثقت من عودة  
الجيش الى عسكريته، ومن إدراك العسكريين والقواعد  
العسكرية بضرورة إبعاد الجيش عن السلطة، والتزامه  
الدفاع عن الحدود".

ولكن البيطار وعفلق والرزاز ومن معهم من  
المدنيين البعثيين كانوا واهمين في إمكان عودة  
العسكريين الى ثكناتهم، وكان تسلفهم على أكتاف  
العسكر للوصول الى السلطة منطبقا عليه قول المتنبي:  
ومن يجعل الضرغام للصيد بازه تصيده الضرغام  
فيمن تصيدا



قبل اسبوعين من انقلاب 23 شباط جرت محاولات  
للمصالحة بين القيادة القومية وبين صلاح جديد الذي اشترط  
عليها الشروط التالية :

- 1- دخوله ومحمد عمران الى مجلس الرئاسة.
- 2- ألا تتم تنقلات العسكريين إلا بموافقة مجلس الرئاسة.
- 3- استقالة الحكومة وتشكيل حكومة جديدة بموافقة الطرفين.

ولكن القيادة القومية رفضت هذا العرض، وتابعت تحدي  
صلاح جديد بإصدارها مرسوما (66/2/14) يقضي بإعادة تشكيل  
المجلس الوطني للثورة الذي سبق أن شكل في 65/2/23 ،  
واستبعدت من عضوية هذا المجلس اعضاء القيادة القطرية  
السابقة، وأشركت فيه ممثلين عن مختلف الفئات المهنية الذين  
بلغ عددهم 143 عضوا، بينهم ثلاثة فقط من العسكريين هم  
الفريق أمين الحافظ رئيس مجلس الرئاسة، واللواء محمد عمران  
وزير الدفاع، واللواء حافظ أسد قائد سلاح الطيران.



كانت هذه هي الصورة الظاهرة لما سبق من أحداث 23 شباط، ولكن كلا من الأطراف المتنازعة على السلطة كانت له نواياه المضمرة:

1- لقد ذكرت سابقا ان الدكتور فيصل الركبي زار ميشيل عفلق قبل الانقلاب بعدة أيام وقال له محذرا بأن صلاح جديد وفئة من العسكريين يعدون انقلابا وشيكا، وان هذا الأمر لم يعد سرا، وانما أصبح متداولاً ومعروفا لدى رجل الشارع، وكان فيصل الركبي أثيرا عند ميشيل عفلق لأنه الوحيد في حماه الذي انضم لحزب البعث قبل دمج الحزبين، فقال له ميشيل عفلق بصراحة :

إن الصدام بين أمين الحافظ وصلاح جديد يخلصنا من تسلط العسكريين على الحزب والحكم.

ومن الجدير بالذكر أن ميشيل عفلق كان يثني على صلاح جديد بصورة خاصة من بين العسكريين بينما كان ينزعج من الفريق أمين الحافظ ومن تصريحاته التي يظهر فيها ثقته بالاشتراكيين العرب ودعوته لوحدة الحزب.

2- أما اللواء محمد عمران فقد كان يضمّر كراهية وشعورا بالخطر على طموحاته من الفريق أمين الحافظ، أكثر مما يضمّر لصلاح جديد، ولكنه على كل حال كان يرى في وقوفه على الحياد، عند الصدام بينهما، الموقف السليم الذي سيتيح له أن يحل محلّهما في قيادة الحزب والجيش، ومن هنا كان موقفه المتذبذب والبادئ بإشعال شرارة الصدام الدامي بين صلاح جديد والقيادة القومية عندما أصدر، بصفته وزيرا للدفاع، بتاريخ 66/2/21 أمرا بنقل ثلاثة ضباط من أهم ركائز صلاح جديد وهم اللواء أحمد سويداني المدير السابق للمخابرات العسكرية والذي كان عندئذ في إدارة شؤون الضباط، والعقيد عزت جديد أمر سلاح الدبابات والرائد سليم

حاطوم الذي كانت وحدته الفدائية تحرس القصر الجمهوري ومحطة التلفزيون ونقاطا استراتيجية أخرى.

3- كان اللواء حافظ الأسد الذي عينه صلاح جديد أمرا لسلاح الطيران يطمع أيضا بالانفراد بالسلطة والحكم مستغلا مركزه الهام في الجيش بصفته أمرا لسلاح الطيران، وبالإضافة الى تعيينه وزيرا للدفاع بعد انقلاب 23 شباط، وبعد تسوية ما حدث بينه وبين صلاح جديد من نزاع على السلطة أثر هذا الانقلاب، جرى تعيينه أيضا أمينا عاما للقيادة القطرية لحزب البعث.

4- لقد فجر خلو الساحة في سورية بسبب ما تعرض له الشعب وفئاته السياسية من قمع بعد الثامن من آذار كل المطامع والاهواء في نفوس بعض الضباط من الطامعين بالسلطة. وقد ذكرت سابقا ان حاطوم هو الآخر كان طامعا بالحكم وكان يرى بالفريق أمين الحافظ العقبة الكأداء دون استيلائه على السلطة بينما كان يستصغر شأن صلاح جديد ويعتقد بسهولة التخلص منه.

لقد أصبح حاطوم بعد انقلاب 23 شباط يعتبر نفسه (أبو الانقلاب) وان صلاح جديد لم يفعل شيئا في هذا الانقلاب سوى الاشراف عليه من بعد، فطلب اشراك أنصاره في الحكومة التي ألفها يوسف زعين وقامت بينه وبين صلاح جديد مشادة عنيفة لهذا السبب في مقر وزارة الدفاع، ولكن صلاح جديد حرمه من أن يحوز على المكاسب التي يعتقد أنه يستحقها، لذلك عمد الى تقوية مركزه في الجيش ففتح باب التطوع لمن يريد في قطعه التي هاجمت قصر الضيافة، وبدأ بتوزيع الاسلحة على المتطوعين متحديا أوامر القيادة والقوانين المرعية ومتجاوزا الطريقة المتبعة في الانتساب للجيش والشروط الواجب توفرها.

ونتيجة لهذا التضارب في المطامع والأهواء أصبح الجيش ، بعد انقلاب 23 شباط الذي قضى على ما تبقى من نفوذ القيادة القومية، منقسما الى كتل ثلاث:

- 1- كتلة اللواء صلاح جديد أمين سر القيادة القطرية واللواء أحمد سويداني رئيس الأركان.
- 2- كتلة اللواء حافظ أسد وزير الدفاع.
- 3- كتلة سليم حاطوم قائد المغاوير ويشكل الدروز معظم أفرادها.

أما كيف تم انقلاب 23 شباط فإن الصحافي باتريك سيل وصف ذلك في كتابه الذي أصدره عن حافظ أسد والصراع في الشرق الأوسط إذ جاء في الصفحة 168 ما يلي :

"بتاريخ 22 شباط قامت اللجنة العسكرية بحركة تموهية لافقاد الخصوم (أي جماعة القيادة القومية) توازنهم وتمت هذه الحركة بواسطة خدعة قام بها قائد الجبهة المواجهة لاسرائيل، الضابط العلوي عبد الغني ابراهيم، الذي اتصل بقيادة الجيش بدمشق ليفيد بأن شجارا قد نشب بين ضباط خط المواجهة، وأنهم سحبوا السلاح وشهروه في وجه بعضهم البعض، وجعلت هذه الخدعة الفريق أمين الحافظ ووزير الدفاع عمران ورئيس الأركان يهرعون لحلها هذه المشكلة، وبعد أن طافوا على الوحدات واشتركوا في نقاشات مطولة، عاد الثلاثة الى دمشق منهكين، واتجهوا الى فراشهم في الثالثة صباحا يوم 23/شباط وبعد ساعتين فقط استيقظوا بصدمة قاسية على صوت الرصاص.

فقبيل الفجر قام فدائيو سليم حاطوم، تعززهم قوة رفعت الأسد الضاربة وكتيبة دبابات يقودها عزت جديد، بشن هجوم على منزل الفريق أمين الحافظ. ومن داخل المنزل قام الفريق وحراسه بدفاع شجاع. واستمر اطلاق النار في هذه المنطقة من وسط دمشق حتى الظهيرة إذ كان أفراد المغاوير يأتون موجة بعد موجة للانخراط في القتال. وأخيرا، عندما نفذت ذخيرة المدافعين، وقتل الحراس، وتهدم المنزل بقنابل الدبابات، وجرح أطفال أمين الحافظ (وقد فقدت إحدى بناته عينها فما بعد) استسلم الفريق (وكان قائد حرسه الملازم محمود موسى قد جرح ونقل الى المستشفى حيث لحق به عزت جديد بقصد الاجهاز عليه، إلا أن موسى سبق



له أن كان فدائياً لذلك تدخل حاطوم لانقاذه وهربه فيما بعد الى بيروت). وكانت حصيلة القتال خمسين شخصا.

وتحدى الناس منع التجول وشقوا طريقهم عبر الركاب ليحدقوا بذهول الى المنزل المتهدم وأثابه المطل بجنون من الطوابق المنهارة، والماء يتدفق من الأنابيب المنفجرة. ووقعت صدمات مماثلة في المدن الأخرى. وصمد في حماه بعض الضباط الموالين للقيادة القومية حتى أخضعتهم قوة من حمص يقودها مصطفى طلاس. وفي حلب سيطر الموالون لعفلق على محطة الاذاعة فترة قصيرة بينما قيل إن هناك مقاومة رمزية تم التغلب عليها بسرعة في اللاذقية ودير الزور.

واقيد أمين الحافظ ومحمد عمران والقادة الموالون لهما الى سجن المزة، كما اعتقل في قصر الضيافة في شارع حلب ثلاثون من قدامى البعثيين بينهم صلاح البيطار ومنصور الأطرش وشبلي العيسمي وكذلك أعضاء في القيادة القومية لبنانيون وسعوديون واردنيون، بينما أصبح منيف الرزاز متنقلاً من مخبأ الى آخر وهو يصدر البيانات التي تهاجم الانقلاب حيث كان مريضاً وفي رحله عرج فلم يستطع الهرب الى لبنان كما فعل آخرون".

أما ميشيل عفلق فقد ظل في بيته ولم يقدم صلاح جديد على اعتقاله، نظراً لما بينه وبين جديد من مودة سابقة فاتخذ بحرية طريقه الى لبنان ومنها الى البرازيل ومنها الى العراق حيث أصبح أميناً عاماً لحزب البعث بعد انقلاب 17 تموز 1968، وفي أواخر السبعينات أصبح منيف الرزاز نائباً للأمين العام ميشيل عفلق، ولكن الإقامة الاجبارية فرضت عليه في بغداد عام 1980 بعد أن اتهم بالمؤامرة التي قيل أن حافظ الأسد قد حاكها ضد النظام في العراق والتي أمر صدام حسين اثر ما أذيع عنها بإعدام عدد من صفوة قادة البعث في العراق، أما منيف الرزاز فقد توفي مريضاً في الإقامة الجبرية، ولم يشفع له مرضه ولا وساطة الملك حسين.



بعد بضعة أيام من انقلاب شباط وبتاريخ 1966/3/2 عين الدكتور نور الدين الأتاسي رئيسا للدولة وكلف الدكتور يوسف زعين بتشكيل الحكومة فألفها على الشكل الآتي :

يوسف زعين رئيسا للوزراء، ابراهيم ماخوس نائبا لرئيس الوزراء ووزير الخارجية، جميل شيا وزيرا للاعلام والثقافة والارشاد بالوكالة، صلاح المحاميد- وزيرا للشؤون البلدية والقروية، مصطفى حداد - وزيرا للتربية، اللواء ممدوح جابر - وزيرا للاشغال العامة، العقيد عبد الكريم الجندي - وزيرا للاصلاح، مشهور زيتون - وزيرا للتموين، محمد عيد عشاوي - وزيرا للداخلية، موفق الشريجي - وزيرا للمالية، عبد السلام حيدر - وزيرا للعدل، غالب عابدون - وزيرا للأوقاف، عبد الحميد الحسن - وزيرا للتخطيط، سميح عطية - وزيرا للمواصلات(شيوعي)، عبد الرحمن الاكنع- وزيرا للصحة والاسعاف العام(شيوعي)، أحمد مراد - وزيرا للاقتصاد (شيوعي)، العقيد محمد رباح الطويل - وزيرا للشؤون الاجتماعية والعمل، اسعد تقلا - وزيرا للصناعة، عبد الله واثق شهيد - وزيرا للتعليم العالي، اللواء حافظ أسد - وزيرا للدفاع.

كما تشكلت القيادة القطرية على النحو التالي :

نور الدين الأتاسي ، يوسف زعين، ابراهيم ماخوس، اللواء أحمد سويداني، اللواء حافظ أسد، جميل شيا، اللواء صلاح جديد، العقيد عبد الكريم الجندي، العقيد محمد رباح الطويل، محمد عيد عشاوي، فايز الجاسم، كامل الحسين، مروان حبش، مصطفى رستم، محمد الزعبي.



بتاريخ 9 آذار نشرت جريدة الحياة اللبنانية عن أسباب نجاح انقلاب شباط ما يلي :

"ان السؤال المطروح في الأوساط البعثية في بيروت ودمشق هو :

كيف نجح انقلاب 23 شباط بهذه السرعة؟ ما هي العوامل التي أدت الى نجاحه؟ كيف عجز أمين الحافظ عن الثبات مع أنه كان يؤكد في أحاديثه الخاصة قدرته على مجابهة كل الاحتمالات ويستصغر شأن خصومه؟

الجواب على هذا السؤال كان في الموقف الذي وقفه حافظ أسد قائد سلاح الطيران وكان مقربا للفريق أمين الحافظ فهو الذي حسم الموقف وقلب الموازين. لقد كان الفريق أمين الحافظ حتى اللحظة الأخيرة يعتقد أن اللواء حافظ أسد سيقف الى جانبه، وان سلاح الطيران بيده، ولذلك لم يكن يخشى أية تكتلات يعدها اللواء صلاح جديد والرائد سليم حاطوم ما دامت الطائرات جاهزة لقصفها، ولكن في اللحظة الحاسمة وقف سلاح الطيران الى جانب الانقلابيين وهدد الوحدات المدرعة التي هرعت لنجدة الفريق أمين الحافظ.

ولكي ندرك حقيقة ما جرى ينبغي أن نعود الى الأيام القليلة التي سبقت صبيحة الانقلاب، لقد كانت أوساط صلاح جديد في دمشق تدعي ان ثمة مؤامرة ناصرية تحاك في الخفاء قبل الانقلاب بمعرفة الفريق أمين الحافظ والاستاذ صلاح البيطار واللواء محمد عمران وكانت تزعم أنه في مساء 19 شباط سافر العقيد مصطفى عمران الى القاهرة سرا موفدا من قبل قريبه اللواء محمد عمران للاتفاق مع جمال عبد الناصر، فقرر صلاح جديد والقيادة القطرية أن يقوموا بانقلابهم قبل أن يتم الاتفاق بين القيادة القومية وجمال عبد الناصر".



إن السؤال الآن :

لماذا أيد عبد الناصر انقلاب صلاح جديد؟

لقد جاء الجواب على هذا السؤال في تصريح صلاح جديد لجريدة الكفاح اللبنانية بتاريخ 13/4/1966، عندما وجه إليه مندوب الكفاح السؤال التالي:

"لقد تعددت الاستنتاجات حول موقفكم من بعض الاقطار الثورية وخاصة الجمهورية العربية المتحدة، فمن قائل ان من

أهداف حركة 23 شباط منع التعاون واللقاء مع القاهرة ومن قائل انكم شخصيا ضد هذا اللقاء وان اتجاهكم قطري بل عدائي تجاه القاهرة فما هو رأيكم دون تحفظ بمبدأ التعاون مع المتحدة وما هي حدود هذا التعاون؟  
أجاب صلاح جديد :

"لقد حرص الوفد السوري بأمر من الحزب في مؤتمر رؤساء الحكومات بعد حركة 23 شباط أن يؤكد للرئيس جمال عبد الناصر حرص الحزب على التعاون وبأي شكل مع النظم التقدمية العربية للوقوف في وجه المد الرجعي الاستعماري في الوطن العربي وفي المنطقة، ذلك لأن الحزب يؤمن بأن مصير كافة الحركات التقدمية في الوطن العربي الى زوال إذا لم تحسن التعاون فيما بينها".

فلم يعد مستغربا بعد هذا أن يؤيد جمال عبد الناصر انقلاب 23 شباط ولا سيما بعد أن بدأت علاقاته تسوء مع الولايات المتحدة في عهد الرئيس جونسون وتوثق بالمقابل مع الاتحاد السوفيتي، مضافا الى ذلك أن عبد الناصر كان يرى أن من مصلحة نظامه قيام أنظمة مشابهة في تركيبتها للنظام القائم في مصر، ومن هنا كان دعمه للعسكريين في توليهم شؤون الحكم، فكان داعما لنظام شهاب في لبنان، ولعبد السلام عارف في العراق، ثم لأخيه عبد الرحمن عارف ضد عبد الرحمن البزاز المدني الدستوري الذي كاد أن يصبح رئيسا للجمهورية بعد وفاة عبد السلام عارف.

كما أنه لا يغرب عن البال السجل الحافل من الكراهية والعداوة بين ناصر وحزب البعث وقيادته القومية ولا سيما ميشيل عفلق، بالإضافة الى أن صلاح البيطار المقبول سعوديا لم يكن مقبولا من عبد الناصر بسبب ما أثارته حرب اليمن من عداوة بين مصر والسعودية.

**انعكاسات انقلاب 2 شباط على الاوضاع الداخلية  
والعربية والدولية.**

لقد حرصت منذ الأيام الأولى لمجيئي الى لبنان،  
وبعد أن بدأت أحداث 23 شباط بالتفاعل على كل  
المستويات، على أن أصرح دائما، ولكل من أجتمع به، بأن  
أفضل حل لاستقرار الوضع في سورية، كما يرى  
الاشتراكيون العرب، هو الحكم الجمهوري الذي يستند  
بالدرجة الأولى على الطبقة الوسطى والذي يوافق عليه  
اليسار المعتدل واليمين المتطور اللذان هما ركنا النظام  
البرلماني الديموقراطي، على أن يلتزم هذا النظام  
بسياسة الحياد بين المعسكرين فتبتعد سورية عن  
الوقوع في شرك الأحلاف والتبعية لأي من المعسكرين  
الدوليين أو لأي من المحاور العربية، وكنت أرى أن مثل  
هذا النظام سيكون استمرارا وتطورا للتجربة  
الديموقراطية التي مرت بها سورية قبل الوحدة مع مصر.

ومن الطريف ان صحافيا في جريدة الحياة (66/5/7) قد  
أشار الى هذا الرأي قائلا أنه سمعه مني عندما كان جالسا إلى  
مائدة قريبة من مائدتي في أحد المطاعم.



**بعد انقلاب الثالث والعشرين من شباط أصبح الوضع  
في سورية اكثر تطرفا في جنوحه واستبداده ، فقد اعلن  
هذا العهد على لسان وزير دفاعه حافظ أسد في الخطاب  
الذي ألقاه على مجموعة من ضباط الجبهة بتاريخ  
1966/5/12:**

**"ان الثورة مصممة على أن تضرب أعداءها، كما أنها  
مصممة على سحقهم وتصفيئهم تصفية نهائية، مرة  
واحدة وإلى الأبد" وقال:**

**"إننا نرجو ونتمنى أن يخوضوا معنا المعركة هذه  
المرة، وإننا بانتظارهم" وقال أيضا:**

" وإذا كنا قد وقعنا في الماضي وارتكبنا مثل هذه الأخطاء، وعفونا عندما يجب ألا نعفو، وليس من حقنا أن نعفو، فلن نرتكب مثل هذه الخطيئة مستقبلاً أبداً".

كما أشار إلى أن المجموعة العسكرية التي قامت بانقلاب 32 شباط 1966 قد أجرت تقييماً لكل الفئات السياسية قبل الانقلاب، وكان الاتفاق بالاجتماع حول هذا التقييم (جريدة البعث 13/5/1966).

كما أشار أحمد سويداني رئيس الأركان في الاجتماع نفسه إلى التصفيات المستمرة بعد انقلاب شباط في الجيش السوري قائلاً :

"إننا لن نسمح بأن تتسلل إلى صفوف الجيش عقيدة أخرى" وكان قد تم في هذه الفترة تسريح أكثر من سبعين ضابطاً من المناصرين للقيادة القومية بينهم ضباط كبار أمثال محمد عمران ومزيد الهندي، كما تم تسريح عدد من الضباط بتهمة "البورجوازية" وقد صرح إبراهيم ماحوس وزير الخارجية لمجلة آخر ساعة (أواخر حزيران 1966) :

"إن الحزب هو الأساس، وإن الجيش كباقي المؤسسات يجب أن ينظم حزبياً، فهو قطاع شعبي يشارك بالانتخابات ويخضع بالتالي للقيادة السياسية، ولذلك تم تسريح كل الضباط البورجوازيين، واشترط الأصل الشعبي للانتساب للكلية العسكرية".

وكانت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري قد اتخذت بعض المقررات في شهر حزيران 1966 كأساس للتعاون مع انقلاب 23 شباط على ضوء صلاته المستجدة مع الاتحاد السوفيتي وقد ورد في أحد هذه المقررات ما يلي:

"ضرورة القيام بوضع خطة مرحلية للعمل الاقتصادي - السياسي القصد منها حصر طاقات

## البورجوازية الصغيرة التي لا تزال تلعب دورا في القطاع الخاص من الاقتصاد السوري في التجارة والصناعة والزراعة، تمهيدا للقضاء عليها".



لقد وجد الاتحاد السوفيتي في انقلاب 23 شباط فرصته السانحة لتوسيع دائرة نفوذه ووجوده في المنطقة وغزوها ايدولوجيا، لأن سورية كانت ولا تزال مفتاح المنطقة العربية بالوقت الذي كانت الولايات المتحدة منشغلة بمتاعبها في حرب فيتنام بحيث أصبح مركز الرئيس جونسون صعبا في الولايات المتحدة بعد فشله في انهاء هذه الحرب بالسرعة التي كان يتصورها وفي هذا الوقت نفسه كان حكم 23 شباط بأمس الحاجة للدعم والتأييد بسبب ضعفه وعزلته الشعبية والعربية، وكان لا يرى أمامه من سبيل إلا في الاتفاق مع الاتحاد السوفيتي والاعتماد عليه للخروج من عزله الداخلية والعربية والدولية.

لقد بدأت الاتصالات بين الاتحاد السوفيتي وبين صلاح جديد منذ ما قبل 23 شباط عندما قام العسكريون اليساريون بحركة التأميم الشامل، واستمرت هذه الاتصالات بعد انقلاب 23 شباط عندما قام يوسف زعين رئيس مجلس الوزراء في نيسان 1966 بزيارة موسكو، وقد أعلن كوسيغين في نهاية هذه الزيارة ان الاتحاد السوفيتي سيواصل تقديم المساعدات لتعزيز استقلال الدول العربية السياسي والاقتصادي، كما أعلن الدكتور زعين ان زيارته للاتحاد السوفيتي ستساعد على بناء الاشتراكية وقال :

"ان الوحدة العربية القائمة على اساس علمي وثوري لا يمكن فصلها عن الاشتراكية وان الاجتماع مع زعماء الكرملين سيخدم قضية الحرية والكفاح المضطر لشعبنا ضد الامبريالية والرجعية".

لقد اشترط الاتحاد السوفيتي في محادثاته مع يوسف زعين مقابل تقديم المساعدات والقروض والجدية بتنفيذ برامج التنمية في سورية وعلى رأسها مشروع سد الفرات، الاستمرار في بناء الاشتراكية، وإقامة حلف من القوى والأنظمة الثورية ضد نفوذ الولايات المتحدة والأنظمة العربية الموالية لها، وعودة خالد بكداش وإشراك الحزب الشيوعي بالحكم، وعلى أثر ذلك قام كوسيغين في شهر ايار 1966 بزيارة القاهرة لاقناع عبد الناصر بالمزيد من التعاون مع نظام 23 شباط، بالوقت الذي كانت فيه العلاقات بين القاهرة والولايات المتحدة قد بلغت أقصى درجات السوء بسبب إصرار امريكا على تحجيم الجيش المصري وسحبه من اليمن وتهديدها بتجميد اتفاقات المساعدات الأميركية، وقد ردت جريدة الأهرام، بلسان الحكومة المصرية "بأن مصر ليست على استعداد لقبول وصاية أجنبية على سياستها كما أنها ليست على استعداد للقبول بأي تهديد أميركي".



في منتصف حزيران 1966 ، عقد في القاهرة اجتماع ثلاثي بين وزراء خارجية سورية والعراق ومصر، وفي هذا الاجتماع قدم وزير خارجية سورية الدكتور ابراهيم ماخوس مشروعا يكشف مخطط السياسة السورية السوفياتية الذي كان مؤلفا من ثلاث نقاط:

- 1- وجوب التعاون والتقارب بين الدول الثورية.
- 2- عقد مؤتمر رباعي يضم الدول الثورية (مصر، سورية، العراق، الجزائر).
- 3- انشاء قيادة عربية من البلدان الاشتراكية تتغذى بالقوى الشعبية والمعونات الحكومية وتكون مستقلة عن القيادة العربية الموحدة (العسكرية) لأن القيادة العربية الموحدة مهمتها مستقبل فلسطين، أما الثانية فهدفها تطهير البلدان العربية من الاستعمار.



وقد علقت صحيفة البرافدا الرسمية على هذا المشروع بما يلي:

**"انه الوثيقة الرسمية الأولى التي تظهر بكل وضوح الاسلوب الجديد في معالجة قضية الوحدة العربية، وهو أسلوب خلق وطن عربي اشتراكي متحد، بينما كان الاسلوب في الماضي توحيد جميع البلدان العربية مهما كانت أنظمتها".**

وبالمقابل ، فقد أعلن جمال عبد الناصر بتاريخ 66/6/15 بعد زيارة كوسجين للقاهرة تخلي الجمهورية العربية المتحدة عن سياسة مؤتمرات القمة، وعن وحدة العمل العربي من أجل فلسطين، وشكك بنوايا الرجعية العربية، وقال بأنها لا يمكن أن تتعاون مع التقدمية العربية للقضاء على اسرائيل، وقال :

انني أرى من واجبي أن أصارح الشعب العربي وأقول له ان استمرار الثورة وطنيا وقوميا هو السبيل لتحرير فلسطين، ثم تساءل:

ماذا حصل منذ أول مؤتمر قمة حتى الآن؟

لقد أخلصنا كل الاخلاص، وقلنا يجب أن يقوم تعايش بين الأنظمة العربية لمجابهة الصهيونية واسرائيل، ولكن ماذا كان موقف الرجعية العربية؟

لقد استغلت ذلك لضرب الثورة العربية والتقدمية العربية والمصالح العربية، وأرادتها وحدة عربية لوضع القضية العربية ضمن مناطق النفوذ ثم قال أنه لن ينخدع عام 1966 بمؤامرات القمة مثلما انخدع عامي 1964 و 1965، ثم هاجم التضامن الاسلامي الذي يدعو إليه الملكان فيصل وحسين.



**بعد انقلاب الثالث والعشرين من شباط، وبسبب قضائه على الطرف المعتدل من حزب البعث بسورية واعتماده كلياً على الاتحاد السوفيتي، وإشراكه**

الشيوعيين في الحكم . وبسبب سياسته العربية الرامية الى إلغاء مؤتمرات القمة وتشكيل جبهة من الدول الثورية، ازدادت حدة الاستقطاب في المنطقة دوليا وعربيا وايدولوجيا، ففي شهر أيار 1966 أصدر الاتحاد السوفيتي بيانا نشرته وكالة تاس اعتبر فيه سورية منطقة متاخمة لحدوده، واتهم الولايات المتحدة واسرائيل ودول الغرب والدول العربية اليمينية بأنها تتآمر للإطاحة بالنظام في سورية، وقد ورد في البيان :

"إن الوضع بمجمله في الشرق الأدنى يدل على ان الأوساط العدوانية لبعض الدول الامبريالية وعملائها أخذت تنسى فيما يبدو أمثولات فشل عدوانها المعيب وانكساراتها الأخرى في الشرق الأدنى.

لقد عقد أخيرا الحلف المركزي العسكري الاستعماري اجتماعا طارئا في أنقرة، وكانت بيروت مقرا لمؤتمر سفراء الدول الامبريالية في الشرق الأدنى، وظهرت قطع الاسطول السادس الاميركي من جديد في المياه الاقليمية اللبنانية، كما كشف النقاب كذلك عن عقد مؤتمر انتدب إليه كبار الموظفين الاميركيين مع حكومة وقيادة الأركان في اسرائيل ويتضح من ذلك ان القوى العدوانية تشتد في اسرائيل وان نشاطاتها موجهة نحو الدول العربية المجاورة.

أما شعوب البلدان العربية فهي تدرك جيدا الخطر الذي تشكله على السلم وعلى تطورها هذه الحملات الجديدة للدول الاستعمارية وعملائها الرجعيين في الشرق الأدنى والاوساط الحاكمة في اسرائيل، وبنوع خاص محاولة التدخل في شؤون سورية، وان الاتحاد السوفيتي ما كان ولن يكون مباليا ازاء محاولات انتهاك السلام في منطقة متاخمة لحدوده".



كان تدفق الاسلحة الروسية والغربية على منطقة الشرق الأوسط مظهما من مظاهر هذا الاستقطاب. فقد تدفقت في هذه الفترة الاسلحة الغربية على ايران والأردن والسعودية، والاسلحة الروسية على مصر وسورية والجزائر، وكمثال على ذلك فقد وافقت الولايات المتحدة على تزويد الأردن (شهر آب) بمئة دبابة من طراز باتون 48، وكان قد سلم لها في أواخر حزيران ست وسبعون دبابة من الطراز نفسه، بينما اتبع الاتحاد السوفيتي استراتيجية جديدة لوجوده العسكري في المنطقة، أشار إليها مسؤول في الاسطول الاميركي:

"كان من النادر قبل ثلاث سنوات مشاهدة سفينة حربية سوفيتية في المتوسط، إلا ان هنالك اليوم قوة بحرية دائمة تتألف من خمس أو ست قطع بحرية بالاضافة الى عدة غواصات وعدد من سفن الدعم، وان ذلك يدل على تغيير أساسي في الاستراتيجية السوفيتية، هي استراتيجية الوجود البحري وليس الجيوش البرية" (الحياة 1966/9/29).

وفي محاولة من اسرائيل والغرب لمعرفة أسرار طائرة الميغ التي زود بها الاتحاد السوفيتي مصر وسورية والجزائر، أوعزت اسرائيل لأحد عملائها (منير روبا من سلاح الجو العراقي) بالانطلاق الى فلسطين حيث تسارع الملحقون العسكريون الغربيون خلال شهر آب لمعرفة أسرارها، كما تم في هذه الفترة تبادل طرد الدبلوماسيين من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة بتهمة التجسس، حيث طرد اسرائيلي من موسكو وروسي من واشنطن.

في هذه الفترة من الاستقطاب الحاد بين المعسكرين الشرقي والغربي، أصبحت المكتبة العربية عرضة لغزو شيوعي عقائدي فامتلات رفوفها بالكتب التي تنظر للماركسية، واتخذ معظم منظري القومية العربية من الماركسية معينا لتنظيراتهم الثورية، وانجرفت الى الماركسية بعض الفئات القومية التي كانت توصف بالشوفينية.

لقد أثار هذا الغزو السياسي والعقائدي من قبل الاتحاد السوفيتي للمنطقة خوف وذعر الدول العربية الموالية للغرب حيث جرت حملة اعتقالات واسعة في الأردن والكويت ولبنان والسودان لمختلف الفئات الحزبية من بعثيين وشيوعيين وقوميين عرب، بينما وقعت السعودية مع الأردن "اتفاق الطائف" ورفعت شعار التضامن الاسلامي وبدأت بالتمهيد لفكرة مؤتمر يشمل الدول الاسلامية لمواجهة المد الماركسي، في المنطقة العربية، ووصف الملك حسين التضامن الاسلامي بأنه يحد من غلواء الشيوعية، وصرح في منتصف حزيران تعليقا على ما جرى من اعتقالات في الأردن :

"ان الايديولوجية الماركسية تستهدف التسلل الى البلاد العربية عن طريق النزوات العاطفية.. وهناك ثغرات تستغلها الشيوعية وهي الخلافات الجانبية وضعف بعض الانظمة الحاكمة الى درجة جعلتها تترامى في احضان المعسكر الشيوعي".

وبعد أن هدد بقطع كل يد تمتد بسوء الى وحدة الضفتين من قبل اليساريين الحزبيين من أعضاء منظمة التحرير، قال :

"ان من المحزن أن نرى الخلافات الجانبية تغطي على القضية الفلسطينية والأهواء تعصف بالمنظمة بعد طغيان المخربين الحزبيين" ثم اتهم المنظمة بأنها وقعت تحت سيطرة الذين اعتنقوا المبادئ الهدامة والذين يستهدفون من خلال المنظمة وحدة الصف العربي.

وبينما كان ابراهيم ماخوس يبشر خلال زيارته لمصر والجزائر بمشروعه لتشكيل جبهة من الدول الثورية، وكانت جريدة الثورة السورية (13 آب) تدعو للقاء القوى الثورية في العالم العربي على أسس استراتيجية وتصنف كل أعداء الجماهير من قوى رجعية وصهيونية واستعمارية في صف الاعداء ، وتدعو القوى الثورية للوقوف في الجانب المقابل موقف المهاجم وليس موقف المدافع، كانت الأوساط الاستعمارية الصهيونية تحاول أن تستغل هذا الخلاف بين الأنظمة العربية،

فعندما زار الملك فيصل الولايات المتحدة (آب 1966) وكان هدفه من هذه الزيارة صندوق انمائي سعودي أميركي مشترك بقصد انماء الدول العربية ذات الاقتصاد الحر، سأله أحد الصحفيين الأميركيين في مأدبة أقيمت له فيما إذا كان يعتبر الجمهورية العربية المتحدة أو إسرائيل عدوه الأكبر، مما أثار الغضب الشديد للملك فيصل الذي أجاب :

**"أسف لطرح هذا السؤال فالمتحدة بلد شقيق ومواطنوها اخوان لنا، وسيبقون كذلك مهما كانت الخلافات، ثم ندد باليهودية وشدد على أن الأميركيين الذين يتعاملون مع الأعداء هم أعداء أيضا".**

وقد تعرض الملك فيصل بعد هذا التصريح لحملة صهيونية في نيويورك فألقى رئيس بلديتها حفلة عشاء كانت مقررة للملك كما ألقى روكفلر حاكم الولاية زيارة مجاملة كان سيقوم بها، وعلقت الواشنطن بوست على هذه الواقعة:

**"ان تصريحات الملك فيصل مذهلة ولكن رئيس البلدية وحاكم الولاية برفضهما القيام بواجبهما أمر مدهل أيضا.. وان السياسة والشعور الوطني والديني كانت مزيجا احترق فيه الملك فيصل" وعلقت على الزيارة "بأنها أول زيارة يقوم بها فيصل منذ أن أصبح ملكا عام 1964، وقد اتخذ بعض الخطوات لجعل بلاده دولة حديثة وكانت تعيش في ظل القرون الوسطى وهي من أهم دول المنطقة".**

**1966 : حملات إعلامية واسعة بين محور السعودية  
عمان ومحور القاهرة دمشق - اعتقالات واسعة  
في سورية ومقتل عثمان الأمين في حماه -  
محاولة سليم حاطوم الانقلابية - تشكيل تنظيم  
عسكري سري تابع للقيادة القومية برئاسة فهد  
الشاعر - عبد الغني قنوت والانشقاق في صفوف  
الاشتراكيين العرب.**

بتاريخ 1966/11/3 توجه وفد سوري برئاسة يوسف زعين  
رئيس الوزراء وعضوية ابراهيم ماخوس وزير الخارجية الى القاهرة  
حيث تم الاتفاق مع جمال عبد الناصر عل ما سمي آنذاك  
بمعاهدة الدفاع المشترك التي كان الهدف منها اقتصار معاهدة  
الدفاع المشترك التي عقدت عام 1949 بين الدول العربية على  
مصر وسورية فقط.

أما الهدف الثاني من هذه المعاهدة فقد كان الاعتراف  
قانونيا بانفصال القطرين، وهكذا تم تبادل التمثيل السياسي  
بينهما، الأمر الذي كان عبد الناصر يرفضه رفضا قاطعا، وكان  
أقصى ما وافق عليه سابقا هو انشاء بعثتين تجاريتين للبلدين،  
وقد كرست هذه المعاهدة مزيدا من الانقسام ومن الحرب  
الاعلامية بين المحورين العربيين، بل ان النظام السوري قد حاول  
أن يخرج هذه المعركة عن نطاقها السياسي والاعلامي عندما  
هدد بإرسال السلاح الى الشعب في الأردن.

وردا على اتهام السعودية والأردن بعدم الجد في موقفها  
من القضية الفلسطينية فقد ألقى الملك فيصل بتاريخ  
1966/11/8 خطابا في حفل للحرس الملكي جاء فيه :

**"يجب أن نكون مستعدين دائما للقيام بواجبنا نحو  
وطننا، وهذا الوطن لا يقتصر على العربية السعودية وانما  
يشمل الوطن العربي كله والوطن الاسلامي" وخاطب  
رجال الحرس بقوله:**

انتم مدعوون يوما للقتال من اجل فلسطين وستكون مهمتكم انقاذها من الصهيونية والاستعماريين الغربيين والشرقيين الذين يتآمرون لإذلال العرب، وان اسرائيل هي بنت الصهيونية والشيوعية والاستعمار، وان فلسطين لا تحرر بالخطب والاحتجاج والشكاوى" وبرر دعوته للتضامن الاسلامي بقوله :

"إننا عندما دعونا الى هذا التضامن انما نقوم بالواجب الذي يدعونا إليه ديننا، ولتنفيذ قرارات مؤتمر قمة الدار البيضاء التي دعت إلى ضرورة الاتصال بالدول الاسلامية واستقطابها حول قضايانا".

وكان الملك فيصل قد أعلن موقفه من اسرائيل قبل ذلك بشهر (10/8) وفي اجتماع جماهيري حاشد في السعودية عندما قال :

"اذا كان هناك الان من يقول ان العرب يقبلون بقرارات الامم المتحدة فاننا نرفض ذلك رفضا باتا لاننا اذا قبلنا بقرارات الامم المتحدة فعلينا ان نعترف بدولة الصهاينة لان الامم المتحدة معترفة بها.

"واذا قبلنا بقرارات الامم المتحدة فلن نقبل بتقسيم فلسطين. ولو اجمع العرب على ان يرضوا بوجود اسرائيل وبتقسيم فلسطين فلن ندخل معهم في هذا الاتفاق".



بعد عقد اتفاقية الدفاع المشترك بين سورية ومصر قامت اسرائيل بتاريخ 1966/11/13 بأكبر عملية عسكرية لها منذ حرب السويس عندما توجه الى الضفة الغربية ثلاثة آلاف جندي واكثر من أربعين دبابة بحماية سربين من طائرات الميراج فسحقوا قرية السموع التي تقع على تلال الخليل، بحجة عملية فدائية. بينما كان معظم العمليات الفدائية ينطلق من سورية ، وبينما كان الملك حسين الذي يحاول لجم العمل الفدائي اكثر القادة العرب تحسبا من الحرب "الوقائية" التي يمكن أن تقوم بها اسرائيل، وكان معروفا لديه أن الميزان الاستراتيجي مختل

لمصلحة اسرائيل. وكان هذا أيضا تقدير الأنظمة العربية الأخرى قبل وبعد انعقاد مؤتمرات القمة.

لقد كانت الغارة على قرية السموع من العنف بحيث كادت الاضطرابات الشعبية التي تلتها، وما رافقها من حملات اعلامية واتهامات بالخيانة قام بها الشقيري ونور الدين الأتاسي، أن تطيح بعرش الملك حسين، فقد طالبت جماهير الأردن، وبصورة خاصة في الضفة الغربية بالانضمام الى محور دمشق القاهرة وإلى الاتفاقية العسكرية التي عقدت بينهما.

**لقد كانت هذه العملية العسكرية العدوانية رسالة تحذيرية موجهة لمحور عمان الرياض بأن صداقته مع الولايات المتحدة لا يمكن أن تحميه من الغضب الاسرائيلي، وكان قد بدا من أقوال الملك فيصل، سواء في السعودية أو في واشنطن أن هذا المحور ليس أقل تشددا تجاه الاسرائيليين من المحور الآخر.**

ومن الجدير بالذكر ان الملك حسين، خلال هذه الحرب الاعلامية الشرسة الدائرة بين المحورين، قد سرب للصحف نص رسالتين كان قد بعث بهما الى عبد الناصر فيهما ما يشبه الاستعطف لتبرير السياسة التي ينتهجها الأردن نظرا لخطورة موضعه بالنسبة للصراع العربي الاسرائيلي وقد ورد في إحداهما :

"انني يا سيادة الأخ إذ اكتب إليك اليوم فلكونك المسؤول العربي الكبير الذي هداه الله فجعل دعوة التلاقي في مستوى القمة، وما كان تجاوبي معك أول من تجاوب إلا إيمانا مني بأن سنوات الفرقة والتصدع والضياع لم تغد منها إلا القوى المعادية الطامعة وإلا إيمانا مني بأن السبيل الأمثل للعرب لبلوغ أهدافهم هو سبيل اللقاء والتكاتف والتعاون" (الحياة 1966/11/26).



**لم يقصر محور دمشق القاهرة معركته الاعلامية والسياسية على السعودية والأردن وانما جعلها تمتد الى**



**الهجوم على الحكم في العراق، فلم يكن من مصلحة النظامين الثوريين قيام حكم ديموقراطي دستوري تعددي، وهو العهد الذي قطعه على نفسه عبد الرحمن البزاز عندما تولى رئاسة الوزراء في العراق، ولذلك أصبح الحكم في هذا البلد موضعاً لهجوم حزب البعث في سورية والعراق والاتحاد الاشتراكي في مصر ومراكز القوة في الجيش العراقي كما ساهم الاتحاد السوفيتي والحزب الشيوعي في هذا الهجوم.**

وبإيعاز خفي من قبل المخابرات المصرية قام عبد الرزاق عارف (ضابط ووزير سابق) بتاريخ 66/6/30 وكان لاجئاً في مصر بسبب محاولة انقلابية سابقة، بمحاولة انقلابية فاشلة عاد على أثرها للقاهرة.

أما حزب البعث في العراق فلم يغتفر لعبد الرحمن البزاز إيمانه بالديموقراطية والتعددية وتعهدده في بيانه الوزاري بإقامة وضع ديموقراطي دستوري وحل المشكلة الكردية، فبعد أكثر من عامين، اثر قيام انقلاب 17 تموز عام 1968 واستيلاء البعثيين على الحكم، اعتقل البزاز تشفياً وانتقاماً، وألصقت به التهم، ولم يطلق سراحه إلا بعد أن استبد به المرض ف قضى البزاز شهيداً للديموقراطية.

بعد الاعلان عن لقاء الانظمة الثورية في مصر وسورية والجزائر، لجأ النظامان السوري والمصري الى سياسة التشدد والاستفزاز والتنكيل.

ففي سورية التي كانت هادئة بسبب ما أشاع فيها حكام 23 شباط من ارهاب والتي كان الشعب فيها غير آسف على ذهاب جماعة القيادة القومية ، لم ينتظر النظام طويلاً لينفذ تهديداته وإنما قام بحملة اعتقالات واسعة شملت معظم المدن السورية ومختلف الاتجاهات (حزب الشعب، الحزب الوطني، الاخوان المسلمين، الاتجاهات الدينية، رؤساء العشائر) فاعتقل رشدي الكيخيا وأحمد قنبر ورشاد برمدا وعبد العزيز الحلج

وفيزي الأتاسي، وعبد الفتاح أبو غده، ونقيب المحامين أسعد الكوراني، وصبري العسلي، ورشاد جبري، وحيدر الكزبري والشيخ حسن حبنكة، ورؤساء عشائر شمر وطبي والرولة، كما حجزت أو صودرت ممتلكاتهم، واعتقل المئات من أنصارهم ، ونقل الجميع الى سجن تدمر الصحراوي.

وكان أخطر ما قام به هذا النظام إرسال قوة من الجيش إلى حماه قوامها مئات الجنود ورجال المخابرات (تموز 1966) لاعتقال قادة التكتل الذي شارك في احداث حماه عام 1964 فاقتمت هذه القوة منزل عثمان الأمين أحد قادة هذا التكتل وأطلقت عليه الرصاص.

لقد اثارَت هذه الاعتقالات مزيدا من النعرات الدينية والمذهبية التي يقظها انقلاب الثامن من آذار، وبلغ هذا الاشتعال أوجه قبيل حرب حزيران (نيسان 1967) عندما نشرت جريدة جيش الشعب التي تصدرها دائرة التوجيه المعنوي بوزارة الدفاع مقالا مستوحى من كتاب "هكذا قال زرادشت" للفيلسوف الألماني نيتشه يسخر بالدين ويعتبر ان الله قد أصبح دمية محنطة في متحف التاريخ ، مما أثار الشعب السوري ورجال الدين ولا سيما في مدينة دمشق التي أضربت أسواقها وسارت فيها بقيادة الشيخ حسن حبنكة مظاهرة ضمت الألوف، فصادرت السلطة ممتلكات بعض التجار كما كسرت أقفال الدكاكين، وعندما شعرت السلطة بخطورة الوضع عمدت الى الاعلان عن اعتقال كاتب المقال، وانه مدفوع من المخابرات المركزية ولكن سرعان ما أطلق سراحه وعاد الى عمله بعد أن هدأت العاصفة.

لقد تزامنت حملة الاعتقالات التي جرت في سورية مع اتهام الاخوان المسلمين في مصر بالاعداد لاغتيال عبد الناصر (تموز 1966) فصدرت في شهر آب أحكام بحق 43 شخصا من الاخوان بتهمة الاعداد للاغتيال ونسف المنشآت فحكم بالاعدام على سبعة من المعتقلين بينهم سيد قطب مؤلف (تحت ظلال القرآن)، كما حكم على الهضيبي بالسجن ثلاث سنوات وكان

عمره يقارب الثمانين عاما، وكان بين المحكومين نساء منهم زينب الغزالي، وشقيقة سيد قطب.

## **اكتشاف التنظيم العسكري للقيادة القومية وفشل محاولة سليم حاطوم الانقلابية.**

بعد انقلاب 23 شباط ، شعر البعثيون من أبناء جبل العرب بانهم على طريق التصفية من الحزب ومن الحكم، فقد طرد حمود الشوفي من الحزب وقبض على منصور الأطرش وشبلي العيسمي وعزل حمد عبيد الذي كان وزيرا للدفاع وكان يتوقع أن يبقى في هذه الوزارة بعد 23 شباط ولكن بدلا من ذلك أُلقي القبض عليه وأحيل للمحاكمة بتهمة التمرد.

بينما بقي منيف الرزاز بعد 23 شباط مختفيا في دمشق فتمكن من تأليف لجنة عسكرية تابعة للقيادة القومية بقيادة فهد الشاعر من ابناء جبل العرب الذي كان نائبا لرئيس الأركان وقائدا سابقا للجبهة.

كنت في لبنان آنذاك، وقد أخبرني أحد الضباط المؤيدين للفريق أمين الحافظ أثناء مروره في بيروت ، ان سليم حاطوم يتصل أيضا بالقيادة القومية للاتفاق معها على القيام بانقلاب ، ولكن هذه القيادة كانت مترددة ، لأنها لا تثق به نظرا لمشاركته السابقة بانقلاب 23 شباط.

والذي لفت نظري آنذاك ما نشرته الصحف عن استقبال سليم حاطوم في مطار دمشق عند عودته من كوبا التي كان موفدا إليها يرافقه أحمد المير (من الطائفة الاسماعيلية، وكان قائدا للجبهة أثناء حرب حزيران) فقد خرجت القطعات العسكرية التابعة لحاطوم والمعسكرة حول دمشق لاستقباله، وهو أمر يخرج عن الانضباط العسكري ، ولا يجري حتى لرؤساء الدول.

ويتحدث باتريك سيل في كتابه عن حافظ أسد، عن ملاحظات اكتشاف تنظيم القيادة القومية الذي يترأسه فهد الشاعر بما يلي :

" ان العقيد طلال أبو عسلي قائد القطاع الشمالي قد دعي الى جلسة شراب حضرها عدد من الضباط، وعندما حل الشراب عقدة الألسنة بدأ الضباط المؤيدون للرزاز وفهد الشاعر يشتمون صلاح جديد وحافظ أسد مما أدى الى شجار بين الضباط، وقد تولى رئيس الأركان أحمد سويداني التحقيق في هذه القضية بعدما ألقى القبض على عدد من الضباط الذين سيقوا الى محكمة عسكرية كان حاطوم بين أعضائها، أي ان المتآمر كان يلعب دور المحقق، وقد ارتاب صلاح جديد بهذه المحاكمة، فعين لجنة تحقيق جديدة تولاها عبد الكريم الجندي رئيس جهاز المخابرات (أو الأمن القومي كما كانوا يسمونه) فعذب الضباط عذابا شديدا اعترفوا معه بانتمائهم الى تنظيم فهد الشاعر، وكان من نتيجة هذا الاعتراف أن ألقى القبض على اكثر من مئتي ضابط، كان عدد كبير منهم من الطائفة الدرزية.

بعد هذه الاحداث اختفى اللواء فهد الشاعر وهرب منيف الرزاز الى لبنان، بينما أدى تطهير الجيش من الضباط الدرزي الى ضجة كبيرة في السويداء، فسافر صلاح جديد إليها مصطحبا معه رئيس الدولة الدكتور نور الدين الأتاسي وجميل شيا العضو الدرزي الوحيد في القيادة القطرية لتهدئة الأمور، .. ومع ان جناح حاطوم في المؤامرة لم ينكشف بعد، فقد كانت هذه الزيارة فرصته السانحة ليصطاد جديد والآخرين وليطيح بالحكم" (ص 184-185).



بعد فشل حاطوم ولجؤه الى عمان روى للصحف أسباب ووقائع ما جرى في السويداء بما يلي :

كل ما في الأمر اننا حاولنا تصحيح الاوضاع القائمة بعد أن انجرف حكام دمشق مع الشيوعيين الذين سيطروا على أجهزة الحكم واتخذوا من حزب البعث واجهة لهم، وعندما وجدنا أن الحكم في سورية ليس حكم البعث، وان الشيوعيين قد اكتسحوا منظمات الحزب، وجروها للانحراف. إن السوريين يعرفون اتجاهات عبد الكريم الجندي الحمراء، وأعمال قريبه خالد

الجندي التعسفية وتشكيله محكمة التفتيش التي أخذت تعتقل المواطنين وتشرف على تعذيبهم.

وعندما سئل عن وقائع محاولته الانقلابية قال :

الحقيقة أننا لم نلجأ الى الاساليب الانقلابية السابقة، ولكننا اغتنامنا فرصة وجود نور الدين الأتاسي واللواء صلاح جديد في السويداء وطلبنا منهم الافراج عن مئة ضابط من رفاقنا من ضباط الجبهة كانت السلطات قد اعتقلتهم دون مبرر، كما طلبنا منهم تصحيح الاوضاع والتخلص من العناصر الشيوعية، وقد احتجزناهما ريثما تنفذ هذه المطالب، واستضفت في دار والدي بالسويداء الدكتور نور الدين الأتاسي، وأضاف الأخ طلال أبو عسلي في داره اللواء صلاح جديد، ولقد تنصل الدكتور نور الدين الأتاسي من اعتقالهم، في حين وعد صلاح جديد بالافراج عن رفاقنا الضباط وإذاعة بيان عن ذلك فور وصوله إلى دمشق.

وفي صباح اليوم التالي تعهد الأتاسي وجديد أمام قادة حزب البعث في السويداء بالبر بعودتهما وسافر الأتاسي الى دمشق، ولما حاولنا الاتصال به لسؤاله عما فعل لتحقيق الوعد، كان الجواب الوحيد انه غير موجود، وفوجئنا بعد ساعات بالطائرات تحوم فوق السويداء، ووصلتنا معلومات بأن قوات مدرعة في طريقها إلينا لضربنا فلما استفسرنا من اللواء جديد الذي بقي عندنا، قال دعوني أذهب الى دمشق لانهي القضية فوافقنا ، فسافر الى دمشق ، ومن إذاعتها أذيع بيان بالهجوم علينا، ثم أنذرتنا بتدمير وحرق السويداء بالصواريخ، وحقنا للدماء قررنا عدم المقاومة واللجوء الى الأردن كمرحلة نستعد فيها للعودة ثانية لاسقاط الحكم في دمشق "

كما أشار في أحاديثه المختلفة للصحف الى طائفية حكم 23 شباط وتفتيته الوحدة الوطنية والى طائفية القيادة القطرية التي يقودها صلاح جديد ونور الأنوار ابراهيم ماخوس (وهي رتبة مذهبية عند العلويين)، وذكر ان لجنة تتألف من حافظ أسد وصلاح جديد وعبد الكريم الجندي وأحمد سويداني ومحمد عيد

عشاوي تشرف على أساليب التعذيب في سجون الحلبوني والقبابون والكسوة والمزة والضمير واقبية المخابرات في المحافظات وفي قصر اتحاد العمال.

وفي دمشق أصدرت القيادة القطرية بلاغا عن حادث السويداء جاء فيه :

إن نفرا من المغامرين قام بتاريخ 1966/9/8 وعلى رأسهم سليم حاطوم بتدبير مكيدة دنيئة بمساعدة "نفر من الذين خانوا النضال الطبقي" وذكر البلاغ أسماء هلال رسلان وخالد الحكيم ونبيل شويرى بعد أن كالم لهم مختلف النعوت.

أما الحقائق التي لم يكشف عنها حاطوم ولا بيان القيادة القطرية فهي ان سليم حاطوم كان قريبا من حافظ الأسد في مواجهة نفوذ صلاح جديد، ولم يكن بتقدير حاطوم أن يوجه إليه حافظ الأسد إنذاره بتدمير السويداء إذا لم يكف عن محاولته، ولم يكن حاطوم مغفلا للدرجة التي لا يقدر فيها أن نجاح محاولته مرهون بموقف حافظ الأسد.

وقد أشارت جريدة الحياة الى ذلك بتاريخ 66/11/13 اعتمادا على بعض المصادر البعثية التي صرحت "بأن حاطوم كان يعتمد على تأييد اللواء حافظ الأسد في حركته، ولكن ذلك لم يتم وكان من أهم أسباب فشل الحركة". كما أشارت بتاريخ 66/11/17 استنادا للمصادر نفسها "أن حافظ الأسد أبلغ حاطوم عن نية صلاح جديد لاقصائه عن الجيش، وأن جديد طلب من الأسد الوقوف الى جانبه في عملية التصفية هذه إلا أن الأسد أكد لحاطوم أنه لن يتخلى عنه، وطلب منه أن ينتبه لأية محاولة يمكن أن يقوم بها صلاح جديد".

وهكذا فإن حافظ الأسد وجد فرصته السانحة في عملية السويداء، فبعد أن قضى انقلاب 23 شباط على نفوذ مجموعة الضباط المناصرة لأمين الحافظ والقيادة القومية فإن التمرد في السويداء أتاح له التخلص من أحد أهم مراكز القوى التي كان يراها حائلا دون تحقيق أهدافه ، فقام بعدها، وبموافقة صلاح

جديد الذي أنقذ حياته، وقبيل حرب حزيران ، بعملية تسريح ضخمة بين ضباط الجيش تناولت حوالي أربعين ضابطا، أضيفوا الى العدد الكبير الذين سرحوا منذ انقلاب الثامن من آذار تحت مختلف الذرائع.



لقد روعت سورية ودمشق بصورة خاصة، بعد أحداث السويداء مما دعاه النظام (بالكتائب العمالية المسلحة) التي كان يشرف عليها خالد الجندي المعين من قبل النظام رئيسا لاتحاد نقابات العمال، فقد تسلمت هذه الكتائب الاسلحة ونزلت الى الشوارع لتنفيذ قرار منع التجول رافعة شعار تصفية أعداء الثورة، متجاوزة كل القوانين، وأصبح ما تفعله هو القانون، فقد طالب خالد الجندي في مجلة الاشتراكي الصادرة في 66/9/12 بالاعتراف بقانون واحد هو قانون الثورة، ووصف المتباكين على حرمة القانون والداعين لاحترامه بأنهم من الرجعيين وعملائهم، وان الهدف من تشكيل هذه الكتائب هو تصفية الرجعيين من أعداء الثورة، وكان الجندي قد هاجم بعض الدوائر الحكومية (منها الهيئة العامة للبترول) متسلحا بالسلاسل الحديدية وسحب بعض موظفيها عنوة من وراء مكاتبهم بتهمة انهم من العائلات البورجوازية.. وصرح لجريدة الثورة بأن قوائم قد وضعت بأسماء العائلات البورجوازية التي يجب طرد ابنائها من وظائفهم، ثم قال:

"لقد طردناهم وحجزنا حريرتهم فاضطروا لتقديم استقالاتهم، وقدموا ضمانات بأنهم لن يحاولوا العودة الى أعمالهم ومن يخالف فسوف يتعرض لعقوبة الاعدام"



وفي الوقت نفسه، ومن عمان حيث كان لاجئا إليها بعد أحداث السويداء، صرح خالد الحكيم رئيس اتحاد نقابات العمال، ان الكتائب المسلحة التي روعت المواطنين ليست من العمال بل من جنود اللواء سبعين، وعلى كل حال فإن تصرفات الكتائب المسلحة قد أقلقت سورية ويقال بأن زعين كان اول من عارضها

وأيده صلاح جديد مما أدى الى إبعاد الجندي الى اللاذقية حيث كان من عمال المرفأ، وصدر بيان باسمه يعلن حل هذه الكتائب.

لم يمض وقت طويل على اختفاء فهد الشاعر بعد انكشاف تنظيمه ، حتى ألقى القبض عليه، وقام على تعذيبه مدير المخابرات عبد الكريم الجندي ويقال أنه أرغمه على المشي على يديه ورجليه كالحوانات وركب معذوبه على ظهره، بالإضافة الى إلقائه في المياه القذرة.

أما سليم حاجطوم فقد لقي مصرعه بعد عودته من عمان، إثر حرب الخامس من حزيران، لينضم إلى الجيش متصوراً أن عودته لدمشق ستكون موضع ترحيب من قبل حافظ أسد، وإن علاقته السابقة معه ستشفع له، ولكن ما إن وصل الى السويداء حتى ألقى القبض عليه وسيق الى دمشق ليتولى عبد الكرم الجندي تعذيبه والانتقام منه حيث دقت عظامه وكسرت أضلاعه.

إن الصورة التي تم بها تنفيذ الاعدام بسليم حاطوم، وبدر جمعة وغيره من الضباط العائدين من عمان كانت محزنة جدا فقد أطلقت عليهم النار بعد تعذيبهم أشد العذاب، وهم في حالة النزاع الأخير.

وفي الشهور الأولى من عام 1967 مثلت أمام المحكمة العسكرية في حمص التي تشكلت بعد الثامن من آذار، حيث كان رئيسها مصطفى<sup>(1)</sup> طلاس المعين من قبل رفيقه حافظ أسد، أعداد كبيرة من الضباط والمدنيين فحكم على فهد الشاعر وعدد من العسكريين والمدنيين بالاعدام، إلى جانب الاحكام الأخرى، ولكن حكم الاعدام لم ينفذ بفهد الشاعر بسبب هزيمة حزيران، وظل الشاعر رهين السجن مع قوافل من انضم إليهم

(1) ظل طلاس وزيرا للدفاع منذ عام 1970 اثر الانقلاب الذي قام به حافظ أسد ضد صلاح جديد حتى كتابة هذه السطور عام 1991، وقد تحدث طلاس في مذكراته عن الصداقة القديمة التي تربطه بحافظ أسد منذ أيام الكلية العسكرية. وكيف كان يمسك ببعض الرفاق الذين لا تعجب الأسد تصرفاتهم ليساعده على نطحهم بجبهته القوية التي يتحدث طلاس عن قوتها بصفحة كاملة (ص 307)



من الذين اعتقلوا بعد ذلك ، من مختلف الفئات السياسية والحزبية والنقابية، عندما نجح حافظ الأسد بانقلابه على صلاح جديد الذي أسماه الثورة التصحيحية عام 1970، فاعتقل على أثره صلاح جديد ونور الدين الأتاسي ويوسف زعين ورئيس الأركان أحمد سويداني والعديد من أعضاء الحكومة والقيادات الحزبية والعسكرية، ثم انضم الى هؤلاء ألوف المعتقلين في السبعينات والثمانينات، ولا سيما بعد حركة نقابات المحامين والأطباء والصيادلة والمهندسين التي طالبت بالحكم الديموقراطي ، وبعد المجزرة الرهيبة التي قام بها جيش رفعت الأسد بمدينة حماه (خلال شهر شباط 1982) فذهب ضحيتها أكثر من ثلاثين ألفا من السكان الأبرياء ، حيث دمر تدميرا تاما أكثر من ثلث المدينة على رؤوس المواطنين الآمنين، وكانت قد سبقت هذه المجزرة في أوائل صيف 1980 مجزرة سجن تدمر التي ذهب ضحيتها أكثر من 700 سجين بأمر من رفعت الأسد قائد سرايا الدفاع، وقد قامت بهذه المذبحة عناصر من السرايا بقيادة معين ناصيف زوجة تماضر ابنة رفعت الأسد.

ولا يزال جميع من اعتقلوا في سجون حافظ الأسد حتى كتابة هذه السطور من عام 1991.



**1- عبد الغني قنوت يعمل على شق وحدة تنظيم الاشتراكيين العرب.**

**2- تشكيل وزارة يوسف زعين الثانية بعد انقلاب حاطوم.**

عندما كنت أقضي شهور الصيف من عام 1966 في بلدة حمانا في لبنان، زارني عبد الغني قنوت وعبد الفتاح زلط وأخبراني أن صلاح جديد قد اجتمع بهما وقال لهما معاتبا :

هل يرضى الاستاذ اكرم ان يقع انقلاب جديد في سورية يقضي على مجموعات أخرى من الجيش السوري، وذلك في معرض حديثه عن وجوب مؤازرة الاشتراكيين العرب لحركة 23 شباط. قلت لهما :

أرجو تبليغ صلاح جديد انه لا يمكن أن نشجع أو نتبنى أي انقلاب عسكري مهما كان لونه، وأنا حريصون كل الحرص على عدم توجيه ضربة جديدة للجيش السوري الذي انشأه الشعب على حساب لقمته للمحافظة على استقلال البلاد وحماية دستورها وحرية مواطنيها، واننا نعتقد أن العودة الى النظام البرلماني الديمقراطي هو الذي يحول دون توالي الانقلابات العسكرية التي أرهقت سورية وافقرتها وأضعفتها وشقت وحدتها الوطنية، وقد تحملنا في سبيل هذا الموقف المبدئي الاضطهاد والاتهامات الظالمة والاقامة الاجبارية والاعتقال منذ انقلاب الثامن من آذار اكثر من أي حزب أو فئة أخرى في البلاد.

وعلى الرغم من أن عبد الفتاح قد أخبرني بعد ذلك بأن عبد الغني قنوت قال له بأن صلاح جديد يود التعرف على شباب من تنظيم الاشتراكيين العرب فإنني لم أرتب بموقف عبد الغني ونواياه.

بعد أربعة أشهر من زيارة حمانا، عمل عبد الغني قنوت على عقد مؤتمر للاشتراكيين العرب، انتخب قيادة جديدة قررت الاشتراك بالحكومة التي يزعم يوسف زعين علي تاليفها، الأمر الذي أدى الى انسحاب رياض المالكي وبشير الأحمر وعدد آخر من تنظيم الاشتراكيين العرب نهائيا لمخالفتهم هذا القرار، واثرت انقسام التنظيم بين مؤيد ومعارض للاشتراك بالحكم اجتمع بي في بيروت عبد الفتاح الزلط وخليل الكلاس ومصطفى حمدون وعدنان حمدون وعدد من الشباب فنددت بموقف قنوت الذي سبب انقسام التنظيم، وطالبت بعدم الاشتراك بالحكم لأن ذلك مخالف لمبادئ الاشتراكيين العرب كما طالبت بالعمل لعودة رفاقنا المنسحبين، ولم أشأ اتخاذ قرار بطرد عبد الغني قنوت ومؤيديه على أمل أن يحل الحوار الديمقراطي هذه المشكلة ولا سيما أن تأثيري على التنظيم قد ضعف بعد أن أصبحت خارج البلاد، ولكن أملي

قد خاب لأن عددا من قيادات الحزب (علي عدي وغيره) كانت متأثرة بصلاتها مع الاتحاد السوفيتي والحزب الشيوعي.

لقد أثار قرار الاشتراك بالحكم ببلبة شديدة في قواعد الحزب، فزارني في بيروت بعد ذلك عدد كبير من قيادات الفروع وأظهروا لي معارضتهم وامتعاضهم وشكوكهم بموقف عبد الغني قنوت ومؤيديه، بينما أصبحت موقنا بأن عبد الغني قنوت كان متفقا مع صلاح جديد ويوسف زعين على إبعادي من سورية، حتى يتمكن من شق التنظيم واحتوائه لمصلحة البعث، وقد نجحت مؤامرة قنوت فتم اشتراك الشباب فتحي علوش وهو محامي من حماه وشقيق الشهيد محمد علوش الذي تحدث عن اغتياله من قبل جماعة فيصل العسلي في بداية هذه المذكرات، وكان هذا الاختيار إخراجا لي لما للشهيد محمد وأخيه فتحي من منزله خاصة في نفسي كما أن فتحي لم يتمكن من رفض اغرائه بالوزارة الذي تم بالاتفاق مع صلاح جديد وكان على معرفة وصلة سابقة به.

لقد شكل الدكتور يوسف زعين الوزارة بتاريخ 66/11/18 بعد كشف مؤامرة حاطوم وتنظيم فهد الشاعر على النحو التالي :

الدكتور يوسف زعين لرئاسة الحكومة (بعثي)، الدكتور ابراهيم ماخوس نائبا للرئيس ووزيرا للخارجية (بعثي)، فائز الجاسم وزيرا للزراعة والاصلاح الزراعي (بعثي)، صالح المحاميد وزيرا للشؤون البلدية والقروية، اللواء محمود جابر وزيرا للأشغال العامة والثروة المائية، سليمان الخش وزيرا للتربية والتعليم (بعثي)، مشهور زيتون وزيرا للتموين (بعثي)، محمد عيد عشاوي وزيرا للداخلية (بعثي)، موفق الشربجي وزيرا للمالية (مستقل)، عبد الحميد الحسن وزيرا للتخطيط (من أنصار الشيوعيين)، سميح عطية وزيرا للمواصلات (ممثل الحزب

(الشيوعي)، الدكتور عبد الرحمن الأكتع وزيراً للصحة (من أنصار الحزب الشيوعي)، محمد رباح الطويل وزيراً للشؤون الاجتماعية والعمل (عسكري بعثي)، الدكتور أحمد مراد وزيراً للاقتصاد، المهندس أسعد تقلا وزيراً للنفط والكهرباء والمشروعات الصناعية، محمد الزعبي وزيراً للإعلام والثقافة والسياحة والإرشاد القومي (بعثي)، الدكتور عبدالله الواثق شهيد وزيراً للتعليم العالي (يساري)، أدهم مصطفى وزيراً للدولة (من الوجوديين الاشتراكيين)، فتح الله علوش وزيراً للعدل (من تنظيم الاشتراكيين العرب)، زهير الخاني وزير دولة لشؤون مجلس الوزراء (من أنصار الشيوعيين)، المهندس عدنان عزوز (من أنصار الشيوعيين)، اللواء حافظ أسد الذي تولى اختصاصات وسلطات وزير الدفاع بالإضافة إلى منصبه بقيادة القوى الجوية.

والذي يلاحظ أن الناصريين لم يشركوا بهذه الحكومة بالرغم من التحالف التكتيكي الذي أقامه الاتحاد السوفيتي بين النظامين المصري والسوري بل ظل العداء وعدم الثقة مستحكمتين بينهما وظل كل منهما يتربص بالآخر.

أما فتحي علوش فقد تعهد، تهدئة للاستنكار الذي قوبل به اشتراكه في الحكم من قبل معظم قواعد الاشتراكيين العرب، بأنه سيقدم مذكرة لحزب البعث والحكومة تتضمن وجهة نظر الاشتراكيين العرب في الحكم للخروج من الأزمة التي تعانيها سورية، والتي ترى ضرورة العودة إلى الحياة البرلمانية الديمقراطية والتعاون بين جميع الفئات السياسية في سورية وقد أشارت جريدة الحياة بتاريخ 66/11/22 إلى الاتصالات التي كانت تتم بين صلاح جديد وبين بعض الاشتراكيين العرب.

1967 : حرب حزيران



## تدهور العلاقات المصرية الامريكية في النصف الاول من عام 1967

بمناسبة ذكرى الوحدة السورية المصرية القى عبد الناصر خطابا (1967/2/23) كشف فيه عن التدهور الشديد في العلاقات بين مصر والولايات المتحدة الامريكية، واعلن عن الغاء مؤتمرات القمة وعزمه على انتهاج سياسة مواجهة النفوذ الامريكي اعتمادا على وحدة القوى الثورية في العالم العربي، مع اعترافه بأن هذه المؤتمرات قد حققت فعلا وحدة العمل العربي وقيام منظمة التحرير وانشاء الجيش والكيان الفلسطيني برغم محاولة الولايات المتحدة تصفية القضية الفلسطينية، كما حققت هذه المؤتمرات القيادة العربية الموحدة، وتمويل دول المواجهة المحيطة باسرائيل، ففتحت اعتمادات للاردن وسورية ولبنان وبهذا تحققت بعض النتائج العملية لاجل قضية فلسطين.

كان الغاء مؤتمرات القمة يعني بالنسبة للانظمة العربية الموالية للولايات المتحدة والغرب انه لا تعايش بينها وبين النظام الثوري في مصر وان عبد الناصر بما له من زعامة في العالم العربي قد وضع هذه الانظمة في مواجهة شعوبها.

**ولكن الامر الهام الذي كشف عنه عبد الناصر في هذا الخطاب هو ان الولايات المتحدة قد طلبت منه ايقاف التجارب الذرية والصاروخية<sup>(1)</sup> التي كانت تجرى في مصر،**

(1) يشير محمد حسنين هيكل في كتابه سنوات الغليان الى التجارب المصرية في مجال الذرة وصناعة الصواريخ بما يلي:

"جرت يوم 22 يوليو 1962 تجربة لصاروخين مصريين هما القاهر والطافر، ومع ان تجربة هذه الصاروخين اثبتت نقضا لايد من استكماله في اجهزة التوجيه فإن ظهور صواريخ مصرية كان حدثا في المنطقة، وكان المشرف على مشروع الصواريخ هو الدكتور وولفجانج بيلز احد العلماء الالمان الذي كان منهم فون براون منشئ صناعة الصواريخ في الولايات المتحدة بما فيها الصاروخ الذي حمل اول انسان للقمر .. كما يشير هيكل الى ان البرنامج النووي في مصر قد دخل الى عهد

**ووقف اي زيادة في الجيش المصري، كما طلبت لنفسها حق التفتيش للتحقق من مراعاة هذه المطالب، وعندما رفضت مصر ذلك بدأت الولايات المتحدة تهدد بقولها ان الرأي العام والكونغرس يعارضان اعطاء مساعدات القمح.**

وقد تحدث عبد الناصر عن المصاعب الاقتصادية التي تعانيها مصر بسبب قطع المساعدات قائلا :

نحن تعبانين فعلا اقتصاديا لأن اميركا قطعت عنا مساعدات القمح فبعنا قسما من احتياطي الذهب، ولكن ذلك لا يعني انهيارنا الاقتصادي، وقال :

ان علينا ضغوطا مالية، وتحاول اميركا مع بعض الهيئات الدولية القيام بهذه الضغوط لخلق مشاكل في بلدنا، ثم هدد بقوله:

ان الذين يضغطون علينا اقتصاديا لا يمكن ان ندفع لهم الديون مهما طالبونا، واعلن :

"إن مرحلة جديدة من مراحل النضال العربي قد بدأت بعد أن انتهت مؤتمرات القمة بوحدة القوى الثورية، وان الجمهورية العربية المتحدة بوصفها البلد الاكبر تتحمل مسؤولية الصمود في هذه المعركة بمواجهة الضغط الاميركي والبريطاني، والضغط الاقتصادي والحرب النفسية وحرب الشائعات" كما اعلن ان مصر تؤيد سورية في ازمة النفط القائمة بينها وبين شركة النفط العراقية وانها منعت الطائرات الاميركية والبريطانية الحربية التي

---

جديد بعد انشاء مفاعل انشاص، وبدء الاعداد لمشروع هدفه انتاج المياه الثقيلة، كما ان طبقات من اليورانيوم تم اكتشافها في الواحات وفي جنوب الصحراء الشرقية (601-602).

وبنتيجة اعلان ناصر عن هذين الصاروخين اللذين لم يكتملا، قدمت الولايات المتحدة بعد شهر (أب 1962) صواريخ هوك لاسرائيل التي كانت تلح في طلبها، وكان ذلك عربونا قدمه كندي ليهود الولايات المتحدة اذ كان موعد انتخابات التجديد النصفي للكونغرس الاميركي قد اقترب.

ومن الجدير بالذكر هنا ان اشير الى ان اول تجربة لصناعة الصواريخ اجراها العلماء الالمان في بلد عربي كانت في سورية عام 1950، عندما لجأ عدد من هؤلاء العلماء اليها بتشجيع من المفتي الحاج امين الحسيني، وقد جرت التجربة بحضور رئيس اركان الجيش السوري فوزي سلو، ولكن لم يعلن من هذه التجارب، كما انها لم تستمر لأن موازنة وزارة الدفاع لم تكن تتحمل الاستمرار فيها بالوقت الذي كان فيه الجيش السوري بأمس الحاجة للأسلحة التقليدية.

تحمل عسكريين من التحليق في الاجواء المصرية، وانها لن تقدم لها التسهيلات بعد الان.

كان هذا الخطاب تهديدا من عبد الناصر بنسف العلاقة القائمة بين مصر والولايات المتحدة التي ظلت ترى في ناصر عنصرا هاما في مقاومة الشيوعية (حسب المفهوم الاميركي) ونفوذ الاتحاد السوفيتي، وقد ورد في كتاب سنوات الغليان لمحمد حسنين هيكل شرح لهذه العلاقة يمكن تلخيصه بما يلي :

بعد انفصال سورية عن مصر طلب الرئيس كندي ومجلس الامن القومي (تشرين اول 1961) تقريرا حول السياسة التي يجب ان تتبع مع عبد الناصر، فكان رد المخابرات المركزية :

**"ان ناصر لا يزال عنصرا هاما في مقاومة الشيوعيين ونفوذ الاتحاد السوفيتي في المنطقة، وهنالك قدر معقول من الافتراض بأنه اذا تلقى مساعدات مناسبة فقد يجد ان من مصلحته الاستمرار في سياسة تكفل بقاءه داخل حدوده، وعدم التدخل في شؤون الآخرين الى جانب العداء للشيوعية والاتحاد السوفيتي، كما ستدفعه فيما بعد الى رؤية الضوء الذي يسهل عليه حل عقدة استمرار الصراع مع اسرائيل، واذا أمكن الوصول الى سلام بين مصر واسرائيل فليس هنالك قوة عربية او مجموعة قوى تستطيع ان تعرقل هذا الاتجاه".**

وبناء على هذه المطالعة التي وردت في تقرير المخابرات المركزية فإن دين راسك وزير خارجية الرئيس كندي اقترح (كانون ثاني 1962) امداد مصر بالمعونة لابعادها عن اي اقتراب من السوفييت، ولأنها ستساعد ناصر على الشعور ان لديه ما يفعله في مصر مما لا يغيره بالخروج وراء حدوده، كما اقترح ان تكون المعونة لعدة سنوات لكي يكون الارتباط طويل المدى".

ويعلق هيكل على كل ذلك بقوله :

"ولم تمض الا اسابيع حتى كان الدكتور عبد المنعم القيسوني، يقود وفدا اقتصاديا الى الولايات المتحدة، ويوقع هناك اتفاقا طويل المدى، حصلت به الجمهورية العربية المتحدة على ما يساوي 500 مليون دولار من القمح في اربع سنوات، وقد كتب الرئيس كندي خطابا للملك سعود ولغيره من رؤساء الدول العربية مطمئنا اياهم بعد هذا الدعم لعبد الناصر، وجاء في الكتاب حرفيا :  
"اعتقد ان هذه السياسة اذا نجحت فإن اصدقاءنا في المنطقة سيكونون اول المستفيدين من المناخ في الشرق الاوسط" (601-613)



### **بدء الخلاف بين ناصر والادارة الاميركية**

بدأ الخلاف بين ناصر والادارة الاميركية بعد اشهر من ارسال الجيش المصري لليمن بهدف لجم جموح الثورة اليمنية من ان تمت اليها الدعوة الشيوعية والنفوذ السوفيتي، وقد ذكرت سابقا ان الامام احمد قد اجاز للصين الشيوعية ان تشق طريقا حديثة من صنعاء الى الحديدة، كما ان جنوب الجزيرة العربية، من عدن، الى ظفار عمان، الى البحرين كان يتوقد بالثورة او احتمالاتها على النفوذ البريطاني.

**لقد ظن الرئيس كندي عندما اجاز ارسال الجيش المصري الى اليمن ان باستطاعة الولايات المتحدة - مادامت تقدم القمح الى مصر- ان تسيطر على الوضع مما يجعل انسحاب الجيش رهنا بمشيتها، ولكن عبد الناصر لم يكن ينوي الانسحاب، بعد ان اصبحت ورقة اليمن في يده، فقد كان وجوده في اليمن فرصة سانحة لن تعوض لمد زعامته وحضوره ونفوذه الى الجزيرة العربية، واحكام سيطرته على مداخل البحر الاحمر، مما يشكل تهديدا خطيرا للمصالح البترولية البريطانية والاميركية وللملاحه الاسرائيلية.**



بينما اعتبرت المملكة العربية السعودية ان وجود الجيش المصري في اليمن واقامة نظام جمهوري ثوري فيها هو تهديد للنظام الملكي السعودي. وهكذا بدأت الحرب تتحول من حرب ضد الملكيين في اليمن الى حرب بين الجيش المصري والسعودية التي كانت تدعم بكل الوسائل، بالتعاون مع الاردن، وبمباركة بريطانية القبائل اليمنية الموالية للامام البدر.

"وبينما كان الرئيس كندي ميالا الى حل توفيقتي، كانت بريطانيا ترى ضرورة مواجهة جمال عبد الناصر بالحزم الى درجته القصوى وكانت المصالح الاقتصادية والمالية الاميركية في نفس الاتجاه مع بريطانيا، لأن شركات البترول وخطوط الانابيب والنقل، ومجموعات البنوك كان رأيا قاطعا بأنه لا يمكن السماح لأية اتجاهات ثورية ان توجد قرب منابع البترول، او تمثل تهديدا محتملا للنظام الذي استقرت قواعد التعامل معه منذ سنوات طويلة، وان اي شيء غير ذلك هو قبول باحتمالات مجهولة وخطرة على حساب اوضاع معروفة ومأمونة" (سنوات الغليان ص640).

□

كان الحل التوفيقتي الذي اقترحه كندي في رسائل بعثها بتاريخ 1962/11/17 الى عبد الناصر والامير فيصل والملك حسين يتضمن :

1- انسحاب القوات الاجنبية من اليمن على مراحل وان تكون مراحل متسارعة.

2- انهاء المساعدة الخارجية للملكيين.

3- سحب القوات التي ادخلت بعد ثورة اليمن الى المنطقة المجاورة للحدود السعودية اليمنية على مراحل، وان تكون متسارعة. (أي القوات السعودية والاردنية).

كما تعرض كندي في هذه الرسائل الى الخطوات الاجرائية التي تؤمن هذا الحل.

وبتاريخ 1962/12/18 اعترف كندا بجمهورية اليمن، وكان معنى هذا الاعتراف ان الولايات المتحدة قد ضمنت النظام الجمهوري في اليمن وان مهمة عبد الناصر في ذلك البلد يجب ان ينتهي.

وكان الوضع في هذه الفترة قد استقر لليمن الجمهوري على النحو الذي وصفه رالف بانس في تقريره ليوثانت سكرتير الامم المتحدة بعد ان طار فوق كل ارجاء اليمن ونزل في عدد من القرى الرئيسية:

"ان النظام الثوري الجديد قد مد سلطته على كامل التراب اليمني، وان القوى المعادية للثورة اليمنية متمركزة كلها في قواعد خارج ارض اليمن". (سنوات الغليان ص652).

وكان الملك فيصل قبل اسابيع خلال زيارته واشنطن : قد حصل على وعد مؤكد من الرئيس كندي بأن الولايات المتحدة سوف تقف بحزم لضمان امن السعودية وسلامتها من اي تهديد" (سنوات الغليان ص653).

كما ارسلت الولايات المتحدة عددا من الطائرات للسعودية، وعددا من المدمرات لسواحلها الشرقية، للاعراب بشكل علني عن التعهد الاميركي بضمان النظام السعودي.



لم تؤد ضمانات الرئيس كندي ولا اقتراحه فك الاشتباك بين المصريين والسعوديين الى نتيجة، فقد بقيت السعودية تعتبر ان النظام الجديد في اليمن هو تهديد لامنها وللأوضاع فيها، وان كندا لا ينظر الى القضية من منظور الصراع بين الجمهوريات والملكيات المحافظة في المنطقة، وانما في اطار الصراع الدولي مع الاتحاد السوفيتي" (سنوات الغليان ص637). كما بقيت بريطانيا وشركات البترول معادية بشدة للأوضاع الجديدة في اليمن.

اما بالنسبة لعبد الناصر الذي اجاب بشكل مبهم على اقتراحات الرئيس كندي عندما ابدى استعدادة للانسحاب "بعد موافقة الحكومة اليمنية"، فقد كان متشككا من نوايا كندي بسبب الحشود والتعزيزات على الحدود اليمنية السعودية (رسالة ناصر الى عبد الحكيم عامر-سنوات الغليان ص651) ومن جهة ثانية فقد اصبح وجود الجيش المصري في اليمن يشكل ورقة هامة في يده بمواجهة السعودية وبريطانيا واسرائيل والولايات المتحدة نفسها.

لقد وجدت بريطانيا وبدعم من شركات البترول ان بقاء الجيش المصري في اليمن هو فرصة ممتازة لاستنزافه واستنزاف موارد مصر، مما يؤدي الى اسقاط عبد الناصر، ويشير هيكل في سنوات الغليان الى تقرير مقدم لوزير خارجية بريطانيا دوغلاس هيوم ورد فيه :

"ان الاحتمال الثالث هو قبول بقاء الجيش المصري في اليمن، والعمل على استمراره ورفع تكاليف بقاءه بما يؤثر على بقاء ناصر في القاهرة، وهذا احتمال تكمن فيه فرص هائلة اذا احسن استغلالها، خصوصا وان طبيعة ارض اليمن وقبائله كما اثبتت تجارب الماضي بما فيها تجاربنا نحن، تقدم ظروف مواتية للاستنزاف" (ص656).

ويشير كارل فون هورن رئيس قوات الامم المتحدة التي ارسلت لفك الاشتباك على الحدود اليمنية السعودية الى ما اصبح عليه الوضع في اليمن بما يلي:

"لقد اصبحت اعتقد أنه لا السعوديين ولا المصريين لديهم النية لفك الاشتباك ويزداد اعتقادي يوما بعد يوم ان وجود مراقبين للامم المتحدة في اليمن هو في الواقع عملية تغطية سياسية موجهة للرأي العام العالمي" (سنوات الغليان 654).

□

**في النصف الاول من عام 1963 جرت محاولات من طرف السعودية لفك الاشتباك على الحدود اليمنية، وكان ذلك بعد انقلاب الثامن من شباط في العراق والثامن من**

أدار في سورية، عندما وجد النظام السعودي نفسه محاصراً بالانظمة الثورية من الشمال والجنوب، فتوصل الطرفان الى ما سمي باتفاق الطائف الذي تبعه اتفاق آخر بتاريخ 1965/8/5 هو اتفاق جدة، ولكن تنفيذ هذا الاتفاق بقي متعثراً ومتباطئاً من الجانب المصري حتى عام 1967، وعندما حدثت حرب حزيران كان ما يقرب من 50 الف جندي مصري ما يزالون في اليمن..

لقد حاول كندي خلال عام 1963 الى ما قبل اغتياله اواخر هذا العام ان يستحث عبد الناصر على الانسحاب ويتبين ذلك في رسالته اليه بتاريخ 19 اكتوبر 1963 التي وردت في سنوات الغليان (ص721):

"يتعين على بروح التبادل الصريح للآراء الذي اعتقد ان كلينا بات يقدر قيمته- ان انهي اليكم قلقي الشخصي الشديد لتباطؤ الجمهورية العربية المتحدة حتى الان على الاضطلاع بدورها في اتفاقية فض الاشتباك في اليمن. واعتقد ان من الانصاف ان اذكر ان السعوديين يضطلعون بالجانب الخاص بهم من الصفقة، وبناء عليه فلا املك اي تأثير على فيصل عندما يتبين انه، وقد اضطلع بجانبه من الصفقة، ما زال يرى القوات المصرية في اليمن ويسمع في القاهرة عبارات معادية.

ومن ناحية اخرى، لم تقم الجمهورية العربية المتحدة بانسحابات على مراحل، وبالدرجة التي تتفق مع فهمنا لروح الاتفاقية، ونحن نفهم بعض الاسباب التي دعت الى ذلك، ومع هذا فلا يسعنا ان نغمض العين ازاء حقيقة ان الجمهورية العربية المتحدة لا تفي بعهد قطعته للامم المتحدة وتم بضمانة الولايات المتحدة باعتبارها صديقا للطرفين، وبسبب دوري الشخصي في هذا الامر، فاعتقد انكم تستطيعون فهم شعوري بالورطة حين ارى حكومة الولايات المتحدة تتعرض للنقد من الخارج والداخل على حد سواء، وليس امامي مفر من ان اقول لكم ان هذه

**المسألة تعقد جهودي الخاصة في الكونجرس لمواصلة سياستنا الودية في مجالات المصلحة المتبادلة، واذ نحن سمحنا لليمن بأن تؤثر في مصالحنا الاكبر منها، فإننا نكون بذلك فقدنا قدرتنا على تشكيل الحوادث وسمحنا لها بأن تطغى علينا".**

"ثم لجأ كندي للضغط على عبد الناصر فتقدم مبعوثه اليه ماكلوي بهذه المطالب :

1- ان الولايات المتحدة تطلب من مصر ايقاف برنامجها لانتاج الصواريخ.

2- ان الولايات المتحدة تطلب من مصر الاستغناء عن خدمات عالم الصواريخ الالمانى الشهير وولفجانج بيليز، وبقيه الخبراء الالمان الذين يعملون معه.

وعندما اشار ناصر الى تجارب الاسرائيليين في هذا المجال، كان جواب المبعوث الاميركي:

"ان حصوله على رد ايجابي من مصر الان يعزز موقفه امام الاسرائيليين حين يقابلهم، كما ان مثل هذا الرد الايجابي يثبت للرئيس كندي صدق نوايا الجانب المصري، كما يسهل موقفه امام الكونغرس في موضوع المساعدات الاقتصادية لمصر" (سنوات الغليان ص715)

وبتاريخ 22 تشرين ثاني 1963 اغتيل الرئيس كندي، ولعل في اغتياله ما يدفعنا الى هذا التساؤل :

**هل كان اغتيال كندي نتيجة لموقفه المسالم اللين مع عبد الناصر لميوله الليبرالية المعروفة التي لم تكن ترى في الاطاحة بالانظمة المتخلفة والاستعاضة عنها بانظمة حديثة عسكرية صديقه ما يهدد مصالح الولايات المتحدة في المنطقة، بل بإمكان مثل هذه الاوضاع ان تلجم جماح الثورات وان تحد من جنوحها نحو التطرف، وبالتالي نحو الاتحاد السوفيتي؟**

ويمكننا هنا ان نشير الى عبارة وردت في احدى رسائل  
كندي لعبد الناصر:

"اننا نؤيد صبغ العالم العربي بالصبغة العصرية، كما اعتقد  
اننا اظهرنا ذلك في اليمن، على اننا مهتمون طبعاً بالا تكون هذه  
الحركات على حساب اسرائيل او الدول العربية التي اذ تأخذ  
نفسها بالنظم العصرية تفضل الابقاء علناظمة الحكم الحالية فيها  
(سنوات الغليان ص707)

لقد اشرنا سابقا الى حديث عمر ابو ريشة معي عن  
المقابلة التي تمت بين الملك فيصل وكندي بعد انقلاب السلال  
في اليمن، وكان عمر آنذاك سفيرا لسورية في واشنطن واثيرا  
عند فيصل.

في تلك المقابلة التي كانت مقابلة عاصفة، قال كندي  
لفيصل اننا نتحمل مسؤولية دعم نظامكم المتخلف، بينما هدد  
فيصل بنسف آبار البترول والعودة الى حياة البداوة.

ويشير هيكل في سنوات الغليان الى هذه المقابلة بقوله:

"وكان هذا الاجتماع حساسا لدرجة ان المحضر الخاص  
بوقائعه وضع في خزانة مكتب الرئيس ضمن الوثائق التي لا يمكن  
اذاعتها او الحصول عليها بواسطة قانون حرية المعلومات".  
(ص634)



بعد اغتيال كندي، اصبحت الاستراتيجية الاميركية في عهد  
جونسون القضاء على الثورة في فيتنام، واحتواء زعامة عبد الناصر  
وتحجيم دوره ونفوذه في المنطقة العربية الحساسة بالنسبة  
لمصالحها البترولية، وكانت وسيلة جونسون لتحقيق هذا الهدف  
وقف المساعدات الاميركية لمصر وهي بأمس الحاجة اليها حتى  
يرغم عبد الناصر على القبول بالشروط التي طلبتها منه الادارة  
الاميركية والتي كشف النقاب عنها في خطابه الذي اشرنا اليه  
أنفا بتاريخ 1967/2/23.

**وكان قبول جمال عبد الناصر بالشروط الاميركية  
ماسا بالسيادة المصرية وقضاء على مكانته وزعامته في  
العالم العربي، مما اضطره لرفضها والاعلان عن تراجعها  
عن سياسة المهادنة<sup>(2)</sup> التي انتهجها في مؤتمرات القمة،  
والتي ارجأت النزاع المسلح بين العرب واسرائيل بشأن  
قضية تحويل مجرى نهر الاردن، الى سياسة المجابهة  
وتهديد الولايات المتحدة عندما قال في ذلك الخطاب :**

**"نحن على استعداد لنعمل جيشا لثوار الجنوب  
العربي وتسليحه بكل انواع الاسلحة، وان الملكية لن تعود  
الى اليمن والذي سيعتدي على اليمن سنضربه".**

ولا شك ان عبد الناصر لم يقدر ان يؤدي تأزم العلاقات بين  
مصر والولايات المتحدة واثارة موضوع حرية الملاحة الاسرائيلية  
في خليج العقبة الى حرب حزيران، بل كان يعتقد ان الاوراق التي  
بيده كافية لجعل الولايات المتحدة تعود عن موقفها بقطع  
المساعدات عن مصر.

### **تطور الاحداث العربية والدولية خلال عام 1967**

خلال عام 1967 كانت الولايات المتحدة تعاني من خسائرها  
وهزائمها في حرب فيتنام وعلى الرغم من كل ما استعملته من  
اسلحة الدمار ومن كل الفظائع والمذابح التي ارتكبتها الجيش  
الامريكي فإنها كانت عاجزة عن القضاء على الثورة الفيتنامية.

**لقد وجد الاتحاد السوفيتي الذي يدعم الثورة  
الفيتنامية، نتيجة للمأزق الذي وقعت فيه الولايات  
المتحدة، ان الفرصة قد اصبحت سانحة لاشغالها في**

(2) في تقرير قدم الى الرئيس كندي من احد مسؤولي الامن القومي عن مقابلة تمت بينه وبين  
السفير المصري في واشنطن مصطفى كامل بتاريخ 18/3/1963 ورد ما يلي :  
"وما اكده لي السفير ضمن امور اخرى انه فيما يتعلق بمصالح الولايات المتحدة في الشرق  
الاوسط التي نعتها مصالح جوهريّة، فإنه لا يرى في ذلك اي صعوبة محتملة بيننا..  
اما فيما يتعلق باسرائيل فهو "موضوع في تلاجة" ومن الممكن بقاءه فيها، واما فيما يتعلق  
بالتترول فقد حرص على ان يقول لي ان مصالح البترول الاميركية لن تعاني شيئا بغض النظر عن  
اي تغييرات سياسية في العالم العربي مثل مجيء انظمة عربية اكثر تحررا، وقد اصر اصرارا  
شديدا على انه لا حاجة بنا الى القلق من هذه الناحية" (سنوات الغليان ص660).

## الشرق الاوسط الذي يهيمن على معظم احتياطي البترول بالاضافة الى موقعه الاستراتيجي بالنسبة للاتحاد السوفيتي.

كان تطور الوضع العربي والدولي ملائما لتسراتيجية الاتحاد السوفيتي في المنطقة العربية، فنظام 23 شباط في سورية قد ربط مصيره بدعم وتأييد الاتحاد السوفيتي نظرا لعزلته الداخلية والعربية والدولية، هذا في الوقت الذي بلغ فيه الخلاف بين ناصر وجونسون عند انتهاء اتفاقية المساعدات حد المجابهة مما دعا سورية ومصر لتوحيد سياستهما مع الاتحاد السوفيتي في المنطقة العربية، فعقدا بينهما معاهدة الدفاع المشترك واعلنا تخليهما عن وحدة الصف العربي الى وحدة القوى الثورية في المنطقة العربية.



بدأت سورية نزاعها مع اسرائيل على المنطقة الحرام المنزوعة السلاح التي كانت اسرائيل تحاول دائما السيطرة عليها، وبعد عدة اشتباكات قدمت الحكومة السورية الى مجلس الامن مذكرة جاء فيها ان اسرائيل تلقي تشجيعا من الدول الاستعمارية والقوى الرجعية التي ترى في اتجاه سورية نحو تحقيق العدالة عاملا يهدد مصالحها، وان سبب التدهور في المنطقة هو تصميم الاسرائيليين على تصفية حقوق العرب نهائيا في المنطقة المجردة بين سورية واسرائيل.

ثم ترافق هذا النزاع على المنطقة المجردة مع تصعيد العمليات الفدائية خلال شهري نيسان ومايس من عام 1967، فقد اعلنت اسرائيل (4/19) انها قتلت فدائيا فلسطينيا ورفيق له حاولا زرع الالغام بالقرب من خطوط الهدنة، وبتاريخ 4/29 اعلنت عن ثلاث انفجارات في الانابيب التي تنقل المياه الى مستعمرات القسم الشرقي من الجليل الاعلى، وبتاريخ 5/2 اعلن ناطق اسرائيلي ان فدائيي فتح الذين انطلقوا من الاردن نسفوا ابوابا للمياه بالقرب من الحدود الاسرائيلية، وبتاريخ 5/7 اعلن ان



فدائبي فتح قصفوا بمدافع الهاون مستعمرة المنارة في الجليل الاعلى، كما نسفوا محطة ضخ المياه قرب مستعمرة كفر ناحوم عند بحيرة طبريا وكان اوثانت امين عام الامم المتحدة قد شجب بتاريخ 5/12 اعمال النسف والتدمير ودعا حكومات سورية والاردن ومصر الى بذل كل ما في استطاعتها من تدابير لوقف ذلك.

في هذه الفترة اخبر الاتحاد السوفيتي مصر وسورية بان اسرائيل تحشد جيشها للهجوم على سورية واحتلال دمشق (كما هدد احد القادة الاسرائيليين) الا ان رئيس وزراء اسرائيل ليفي أشكول نفى في رسالة وجهها الى كوسيجن رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي، وجود مثل هذه الحشود، واسف على عدم تلبية طلبه ارسال وفد سوفيتي الى اسرائيل للتحقق من عدم صحة حشد الجيش الاسرائيلي على الحدود السورية، بينما رد الاتحاد السوفيتي بأن لديه وسائله لمعرفة ذلك بدون الذهاب الى الجبهة.

وبتاريخ 1967/5/14 عشية الذكرى التاسعة عشرة لقيام اسرائيل، حدد اشكول في خطاب له سببين للحرب هما منع حرية الملاحة في البحر الأحمر ومحاولة منع اسرائيل من تحويل مجرى نهر الاردن وقال ان اسرائيل هي التي تختار الوقت والمكان والوسائل لمواجهة "المعتدي" وكشف عن مخطط اسرائيل في المنطقة العربية، بعد انتصارها، بأن الشرق الاوسط لن يكون منطقة عربية وإنما منطقة قوميات متعددة.

لقد اعترف موشي ديان بعد حرب حزيران بأن العمليات الفدائية لم تكن سببا لهذه الحرب، وان قيام بعض الفلسطينيين الذين هجروا من بلدهم بهذه العمليات التي تشبه وخز الابر - كما وصفها- لا يشكل سببا مقنعا امام الرأي العام الامريكى والغربي لشن الحرب.

ولكن الموقف اخذ يتبدل بالنسبة للرأي العام في الولايات المتحدة والغرب لمصلحة اسرائيل عندما اخذت دبابات وناقلات الجيش المصري تجتاز شوارع القاهرة بتاريخ 5/16 بما يشبه

الاستعراض العسكري وهي في طريقها الى مدن القناة، وقد وصفت وكالة روتر هذا الوضع بما يلي :

"ان عددا كبيرا من السيارات المدرعة وسيارات النقل قد تدفقت على القاهرة من المعسكرات الواقعة جنوبها متجهة الى الشمال، الى الاسكندرية والاسماعيلية، وقد سار موكب السيارات عدة ساعات مما عرقل السير في شوارع القاهرة".

كما اشار غيرها من الوكالات الى تدفق القوات المصرية باتجاه المناطق الشمالية والشرقية عبر القاهرة، وان ما يزيد على عشرين قطارا خاصا تولت نقل المدرعات والدبابات والمدفعية، وان الطرق بين القاهرة والسويس والاسماعيلية ظلت مقطوعة طوال الليل لتتمكن القوافل العسكرية من الوصول الى مناطق الجبهة.

وبتاريخ 5/17 اعلنت مصر حالة الطوارئ بين جميع قوات الجيش بسبب الحشود الاسرائيلية على الحدود السورية، الامر الذي نفته اسرائيل.

لقن ظن جمال عبد الناصر ان تصعيد الضغط على الولايات المتحدة بتهديد امن اسرائيل سيجرها الى التراجع عن ضغطها على مصر، ويقطع الطريق على المزاولات والانتقادات السورية ففي تاريخ 16 مايو رأى عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة ان يتخذ خطوة اخرى للضغط على اسرائيل، فطلب من الفريق فوزي رئيس اركان الحرب ان يرسل خطابا الى قائد قوات الطوارئ في قطاع غزة وشرم الشيخ الجنرال رايلي جاء فيه :

احيطكم علما بأنني اصدرت اوامري للقوات المسلحة للجمهورية المتحدة بأن تكون على استعداد لأي عمل ضد اسرائيل في نفس اللحظة التي ترتكب فيها أي عمل عدواني ضد اي دولة عربية، وطبقا لهذه الاوامر فإن قواتنا تحشد الآن في سيناء وعلى حدودنا الشرقية وحرصا منا على سلامة القوات الدولية فإنني اطلب منك ان تصدر اوامرك بسحب القوات من مراكزها على الفور، وقد اصدرت اوامري الى قائد المنطقة

العسكرية الشرقية حول هذا الموضوع وطلبت ان يبلغني تنفيذ هذه الاوامر(3)

وبما ان وجود قوات الطوارئ كان بطلب من مصر بالاتفاق مع الامم المتحدة فإن يوثانت الامين العام للامم المتحدة طلب من الجنرال رايلي ان توجه مصر خطابها اليه (اي الى يوثانت) لانه لا يستطيع من الناحية الموضوعية سحب قوات الامم المتحدة فقط من منطقة الحدود المصرية الاسرائيلية في قطاع غزة وشرم الشيخ وانه مضطر لسحب القوات الدولية من غزة وسيناء بكاملها وابلاغ الجمعية العامة بذلك.

لم يكن سهلا على جمال عبد الناصر ان يتراجع عن الامر الذي صدر بسحب القوات الدولية من الحدود ولم يبق امامه سوى ان يطلب سحب القوات الدولية من سيناء بأكملها بعد ان قال له امين عام الامم المتحدة يوثانت علنا:

ان وجود هذه القوات رهن بمشيئة الحكومة المصرية وسينسحبون بمجرد ان تطلب ذلك.

بعد انسحاب القوات الدولية من كل سيناء اصبح خليج العقبة تحت اشراف الجيش المصري، مما اضطر عبد الناصر ان يعلن بتاريخ 5/23 في خطاب له اغلاق خليج العقبة بوجه اسرائيل قائلا :

ان المواد الاستراتيجية لا تستطيع المرور ولو كانت على سفن غير اسرائيلية "وان المتحدة تطبق على خليج العقبة نفس القواعد التي كانت تطبقها قبل حرب السويس".

□

(3) نص طلب الانسحاب كما ورد في الصفحة 37 من مذكرات رياض وزير الخارجية آنذاك وهو مختلف في بعض التعابير عن النص الذي ورد في ص464 من كتاب الانفجار لمحمد حسنين هيكل، كما ان هنالك اختلافا فيما يتعلق بالاحداث التي رافقت ارسال هذا الطلب".

لقد شعرت بعد ان سمعت خطاب عبد الناصر آنذاك انه يريد ان يفتح نافذة صغيرة للتراجع عندما خص المواد الاستراتيجية بالمنع، والذي دعاني الى ذلك ما اخبرني به خليل كلاس عندما كنت نائبا لرئيس الجمهورية في الحكومة المركزية عام 1959، بأن القيسوني اجابه عندما سأله عن حقيقة ما يدور في الكواليس عن شائعة السماح للبضائع الاسرائيلية بالمرور في قناة السويس قائلا :

ان احد موظفي القناة كان سبب هذا الاشكال عندما افشى الموضوع مما اضطرنا لمنع البضائع الاسرائيلية من المرور بالقناة.

يقول محمود رياض في مذكراته :

"وعندما رفض اوثانت انسحابا جزئيا لقوات الطوارئ، لم يعد باستطاعة مصر التراجع عن طلبها ولم يكن امامنا سوى ان نطلب الانسحاب الكلي لقوات الامم المتحدة وهذا يتضمن بالطبع القوات الموجودة في غزة وشرم الشيخ، وقد ادى انسحاب قوات الامم المتحدة من شرم الشيخ الى دخول قواتنا العسكرية اليها، وهذه الخطوة بدورها فرضت علينا العودة الى المشكلة القديمة الخاصة بملاحه اسرائيل في خليج العقبة".

كما يقول :

"لقد كان قرار سحب قوات الطوارئ الدولية قرارا متسرعاً يفتقد الى اي قيمة عسكرية ولا يشكل اي ضغط عسكري على اسرائيل".

"لقد تلقفت اسرائيل هذا التطور الجديد لكي تحول الازمة التي بدأت بتهديتها بالغزو العسكري لسورية الى قضية اخرى تماما هي حرية الملاحة في خليج العقبة، وبدأت الازمة الجديدة تحل في مكان الصدارة في عواصم عديدة من العالم وفي مقدمتها واشنطن بالطبع" (ص37-38).

## أهمية اغلاق خليج العقبة على الصعيدين العربي والاسرائيلي

بعد اعلان عبد الناصر اغلاق خليج العقبة بوجه اسرائيل، اصبحت المنطقة العربية تغلى كالمرجل حماسة وتأييدا لمصر، شعوبا وحكومات، كما جعل اسرائيل جيشا وسكانا وقادة واحزابا، تجمع على شن الحرب بما فيهم اشكول الذي كان يقف قبل ذلك بوجه دعاة الحرب مشترطا ضرورة اخذ موافقة الولايات المتحدة قبل الاقدام على ذلك.(4)

(4)

من دراسة نشرتها جريدة النهار بتاريخ 1967/5/25 تحت هذه العناوين، ماذا يعني اغلاق العقبة في وجه الملاحة الاسرائيلية - شل مرفأ ايلات وتعطيل خط الانابيب، ومصفاة حيفا- فقدان شريان تجاري يؤمن 50 مليون دينار سنويا - انهيار ركائز تنمية النقب والتأثير على الهجرة ..نورد هذه المقتطفات :

بعدها امنت اسرائيل لنفسها الملاحة في خليج العقبة، انشأت مرفأ في ايلات المعروفة باسم بلدة ام رشراش، سابقا، واخذ عدد سكان ايلات بتزايد بعد تعزيز المرفأ وانشاء المساكن السياحية حتى بلغ 8 الاف نسمة، ومرفأ ايلات، كما هو معروف، يؤمن الملاحة الاسرائيلية مع افريقيا.

وقد انشأت اسرائيل خط انابيب للبترول يمتد من ايلات حتى بئر السبع ومنها الى مصفاة التكرير في حيفا ويبلغ طول هذا الخط نحو 430 كلم.

ويبلغ قطر الانابيب 16 انشا وتقدر طاقة الخط السنوية بـ 4.5 ملايين طن سنويا. وكانت اسرائيل تطمع وتعلم في شق قناة تصل البحر المتوسط بمرفأ ايلات تنافس بها قناة السويس اعتقادا منها بأن خليج العقبة سيطل مفتوحا بوجه ملاحتها، وبأن الدول الغربية التي تساندها ستساهم في دفع تكاليف تنفيذ هذا المشروع التي قدرت بحوالي ملياري دولار. واليوم بعدما اقدمت مصر على مفاجأة اسرائيل بإغلاق خليج العقبة بوجه ملاحتها، فالى اي حد سيتأثر الاقتصاد الاسرائيلي؟

اولا : قبل فتح مرفأ ايلات كانت تردد اسرائيل انها تخسر سنويا ما لايقل عن 14 مليون دولار كغرف سعر البترول الذي كانت تشتريه من فنزويلا بدلا من ايران مثلا، ومن الطبيعي ان يكون مبلغ 14 مليون دولار قد تضاعف نتيجة لازدياد احتياجات اسرائيل من البترول. وبسبب هذه الخسارة، ولاسباب اقتصادية اخرى بادرت اسرائيل بعد تأمين الملاحة في خليج العقبة الى انشاء مرفأ ايلات وتأمين اكبر جزء من احتياجاتها البترولية من ايران وقد بلغت قيمة ما استوردته اسرائيل من البترول والمنتجات البترولية عام 1965 ، 53 مليونا و 512الف دولار، الا ان اسرائيل لا تفصل في مجموعتها الاحصائية التي تصدر عن المكتب المركزي الاسرائيلي هذا الرقم وتبين قيمة ومقدار مستورداتها البترولية من ايران إلا ان الخبراء يقدرون الكميات التي تستوردها اسرائيل من ايران عن طريق خليج العقبة بحوالي 4،5 ملايين طن وتستهلك اسرائيل منها محليا نحو مليونين ونصف المليون طن والباقي تصدره بعد تكريره في مصفاة حيفا. الا ان اهمية مرفأ ايلات لا تقتصر على نقل البترول من ايران، فاسرائيل تستخدم هذا المرفأ كنقطة انطلاق لغزو اسواق بلدان شرقي افريقيا واسيا، وبلغت كمية المنتجات التي صدرتها اسرائيل عن طريق خليج العقبة، 232 الف طن، بينما لم تتجاوز مستورداتها عن هذا الطريق سوى 54 الف طن باستثناء البترول طبعاً.

ومن مراجعة احصاءات التجارة الخارجية الاسرائيلية لعام 1965 يتبين ان قيمة صادرات اسرائيل الى بلدان شرقي افريقيا واسيا قد بلغت نحو 50 مليون دولار، اي ما يعادل 6، 12 بالمئة من مجموع قيمة صادراتها من السلع البالغة 403 ملايين دولار عام 1965 و 6.6 بالمئة من مجموع قيمة صادراتها من السلع والخدمات البالغة 750 مليون دولار.

كانت حرية الملاحة في خليج العقبة، والسيطرة على مياه نهر الاردن الركنتين الاساسيين اللذين تقوم عليهما برامج التنمية بالنسبة للدولة الاسرائيلية، فحرية الملاحة في هذا الخليج تفتح امامها ابواب الاتصال والاتجار مع آسيا وافريقيا، اما بالنسبة للعرب فقد كان خليج العقبة احد الطرق التي يشكلها المسلمون للحج بالاضافة الى اهميته الاستراتيجية.

لاشك ان عبد الناصر كان يشعر بمسؤولية تجاه الرأي العام بسبب السماح لاسرائيل بحرية المرور في المياه المصرية اثر قبوله بعد حرب السويس بالتسوية التي قضت بنشر قوات الطوارئ الدولية في الاراضي المصرية كحارس لحرية الملاحة الاسرائيلية بخليج العقبة فمنذ عام 1957 اصبحت السفن الإسرائيلية التي تمر بمضائق تيران في طريقها الى ميناء ايلات تنزل العلم الاسرائيلي، وما ان تعبر المضائق وتقترب من الميناء حتى تعود الى رفعه من جديد "وكانت هذه الحركة تستند الى ترتيب سري شفوي ظل كتوما عشر سنوات". (كتاب الأسد لباتريك سيل ص217).

لقد كان جمال عبد الناصر يقول عن نفسه انه رجل حذر وحيسوب، وقد قال ذلك امامي في مناسبات عديدة، فما الذي ورطه باغلاق خليج العقبة بالوقت الذي يعلم فيه ان اسرائيل يمكن ان تشن الحرب في حال اغلاقه؟

**لاشك ان سبب ذلك ثقته بأنه سيستطيع السيطرة على الازمة بحيث لا تخرج عن اطارها السياسي فينتزع بالطرق الدبلوماسية ما خسره في حرب السويس لأن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي لن يسمحوا بقيام حرب في المنطقة يمكن ان تهدد السلام العالمي، وان**

---

ان انهيار مرفأ ايلات يعني ايضا انهيار احدى ركائز تنمية النقب، فايلات تشكل جزءا من خطة انمائية متكاملة توليها اسرائيل كثيرا من الاهتمام وذلك يؤثر على الهجرة رابعا : يقدر عدد البواخر التي تمر سنويا بمرفأ ايلات بـ 100 باخرة وبلغت حمولتها حوالي 232الف طن تصدير و 54 الف طن استيراد، وتأتي جميع هذه التأثيرات في وقت يتزايد العجز في الميزان التجاري الاسرائيلي سنة بعد سنة وفي وقت تعاني اسرائيل ازمة اقتصادية حادة وازمة بطالة حملت الكثير من اليهود الاخصائيين والذين هم من اصل اوروبي على هجر اسرائيل والعودة الى بلدانهم الاصلية.

## تسوية هذه الازمة ستعيد سياسة التفاهم التي انقطعت بين الولايات المتحدة ومصر.

كما ان الذي شجعه على هذا الاعتقاد ما أثاره اغلاق خليج العقبة من التأييد لزعامته بصورة لم يحظ بها احد قبله، ومن هتاف الجماهير وهي ترى بطلها يعود الى ساحة الصراع بعد ان اعلن تخليه عنه في مناسبات عديدة، ففي مثل هذه الظروف لن تسمح الولايات المتحدة بشن الحرب كما لن تجرأ اسرائيل عليها.

لقد أدى هذا الجو الشعبي اللاهب ولاسيما في الاردن لأن يسافر(5) الملك حسين فجأة الى القاهرة حيث عقد اتفاقية للدفاع المشترك، مع انه كان اكثر القادة العرب ادراكا لمخاطر الاشتباك مع اسرائيل نظرا لمطامعها التوسعية على حساب المملكة الاردنية بصورة خاصة، وعندما عاد الى عمان، يرافقه الشقيري، جرى له استقبال شعبي منقطع النظير، وقد سمحت هذه الاتفاقية للقوات العراقية بدخول الاردن، كما باركتها الرياض فأعلنت تأييدها لها ببيان رسمي.

وكان الملك فيصل قد اعلن قبل ذلك (5/23) اثناء مروره في لندن :

**"ان منطقة الشرق الاوسط لن تشفى من امراضها وتبلغ العافية ما لم تتم تصفية اسرائيل " وعندما سئل عن كفاية الاستعداد العربي لتحقيق ذلك قال:**

(5) قبل ان يعقد الملك حسين الاتفاقية العسكرية مع مصر دعا الفريق عبد المنعم رياض الى لقائه في عمان (67/5/1) وكلفه ان ينقل اقواله الى شخص واحد هو عبد الناصر وكان مؤدى ما قاله : "ان الفريق رياض يعرف ويتابع بلا شك كل اسباب ودواعي الخلافات القائمة بينه وبين القاهرة، لكن هناك موضوعات تعلق على اي خلاف لأنها تمس الامن القومي في الصميم، والان فإن الملك لديه ما يدعوه الى اليقين بأن هناك فخا يدبر للجمهورية العربية المتحدة وللرئيس جمال عبد الناصر، فهناك محاولة لتوريطهم في حرب مسلحة لا تلائمهم ظروفها، وان "الجماعة" في سوريا مخترقين وبعضهم متواطئ مع جهات لديها خططها، والفكرة الاساسية في هذه الخطط الان هي اشعال الموقف على الجبهة السورية بما يفرض على مصر ان تقوم بأي عمل لنجدة سوريا، وهنا تصبح مصر هي الهدف الاول للمؤامرة ويجري ضربها، وهو يريد ان تصل رسالته هذه الى الرئيس جمال عبد الناصر بأسرع ما يمكن، ويرجو ان يتأكد الرئيس ان دافعه اليها هو واجبه القومي وليس اي سبب اخر، وهو يتمنى ان توخذ رسالته جدا ولا تحمل على محمل موقفه من بعض الاطراف المعنية في دمشق". (كتاب الانفجار لمحمد حسنين هيكل ص438).

"عندما تجتمع الدول العربية على تصفية اسرائيل وتوحيد كلمتها وخططها وقواها بما اتفق عليه في مؤتمرات القمة فإنها قادرة على تحقيق ذلك" وعندما سئل عن المضاعفات الدولية، قال :  
"يجب الا تخيفنا هذه المضاعفات وتثبط من عزائمنا وفي ايدينا اسلحة كثيرة، ونحن نملك سلاح البترول، واذا خاض العرب معركة جماعية وتدخلت بعض الدول الاجنبية فإن السعودية ستوقف تدخل البترول، فكل شيء يهون في سبيل استرداد العرب والمسلمين لفلسطين".

لقد جاء موقف السعودية ودول النفط العربية الاخرى مشجعا لجمال عبد الناصر بامكانية النجاح في معركته السياسية ضد امريكا واسرائيل، فقد صرح وزير الخارجية الكويتي بتاريخ 5/24 بأن سلاح البترول يمكن ان يدخل ساحة المعركة، كما اعلنت ليبيا استعدادها لمنع تدفق البترول الى اي دولة تشترك بالعدوان، بالوقت الذي اعلن فيه هواري بومدين عن عزمه ارسال قواته الى الجبهة المصرية، واعدت تونس انها ستسمح للقوات الجزائرية بالمرور في اراضيها، كما اعلن الملك الحسن انه سيضع قواته تحت تصرف المتحدة.

لقد تناست الانظمة العربية خلافاتها، ووجد الشعب العربي كلمتها، ماعدا النظام في سورية الذي تابع حملاته ضد السعودية والاردن وتهجمه على الملك حسين متجاهلا اتفاقية الدفاع المشترك التي وقعها الحسين مع عبد الناصر، وكان موضع دهشة واشتباه العالم العربي، عندما ذهب النظام الى ابعد من ذلك فأرسل سيارة مفخخة انفجرت على الحدود عند موقع الرمثا الاردني بتاريخ 1967/5/23 فذهب ضحية هذا الحادث التخريبي ستة عشر مواطنا عربيا، وعلى الرغم من فظاعة ما حدث فإن الناطق الرسمي الاردني قال :

"بالرغم مما انطوى عليه هذا الحادث الدامي من اسى وحزن فإنه لم يثن الاردن عن مسيرته القومية في الطريق العربي المشترك في مواجهة الصهيونية".





تابع عبد الناصر خلال النصف الثاني من شهر مايس 1967 تصعيد حملته الاعلامية والسياسية، فألقى في مجلس الامة المصري خطابا اكد فيه ان مصر مستعدة للمجابهة وافتتح قضية فلسطين، وان الاتحاد السوفيتي سيمنع تدخل اي دولة حتى يعود الوضع الى ما كان عليه قبل عام 1956.

وبتاريخ 5/30 اعلن : اننا سنقرر الوقت والمكان لبدء المعركة، ولن نترك الاسرائيليين يقرروا ذلك، وقال بأن القضية ليست قضية العقبة وجزر تيران (التي احتلتها اسرائيل) وانما هي قضية طرد العرب من فلسطين وسلب حقوقهم واننا نريد استرداد هذه الحقوق غير منقوصة، ولن ترهبنا تهديدات اميركا وبريطانيا، وان وزير الدفاع شمس بدران اخبره بعد عودته من موسكو بان الاتحاد السوفيتي سيقف الى جانب العرب، وكان ناصر قد صرح بتاريخ 5/27 بأن المعركة لن تكون محصورة في جزء من الوطن العربي، وان هدفها تدمير اسرائيل.

كما صرح أحمد الشقيري (6) رئيس منظمة التحرير في تلك الفترة :

(6) لا شك ان تلك التصريحات كانت رد فعل على المذابح الجماعية التي اقترفها الصهاينة بحق الفلسطينيين، ولعل اليهود كانوا في ذلك ينفذون ما جاء في التلمود من وصايا وروح تدميرية، مما دعا الفيلسوف البريطاني برتراند رسل للقول بأن ما في هذه الوصايا هو أقسى ما عرفه التاريخ، ولقد استمرت مذابح الفلسطينيين منذ عام 1948 حتى عام 1967 على الوجه التالي :

عام 1948 : مذبحه ديرياسين، وطبريا وناصر الدين.  
عام 1950 : مذبحه وادي عربية.  
عام 1951 : مذبحه شرفان.  
عام 1952 : مذابح عيد الميلاد في منطقة بيت لحم.  
عام 1953 : مذبحه قبية.  
عام 1954 : محاولة تدمير نحالين.  
عام 1954 : مذبحه الأطفال في واديفوكين ودير ايوب.  
عام 1954 : الهجوم البربري على غزة.  
عام 1955 : الهجوم البربري على خان يونس.  
عام 1956 : تكرار الهجوم على غزة؟  
عام 1956 : مذبحه كفر قاسم ليلة الهجوم الثلاثي على سيناء (عجاج نويهض، كتاب حكماة صهيون ص41).

ولا شك ان الموقف العربي الحقيقي المستمد من قيم العرب ومن تعاليم دينهم كان في وصية الرئيس العراقي عبد الرحمن عارف الى الجيش العراقي المتجه الى الاردن بأن يتقيد بما اوصى به خليفة المسلمين ابو بكر الصديق الجيوش العربية عندما توجهت الى بلاد الشام، تلك

"انا سنساعد الاسرائيليين على تسهيل سفرهم بالبحر، وان كل من يبقى على قيد الحياة يبقى في فلسطين، وبتقديري انه لن يبقى احد منهم على قيد الحياة"

لقد استغلت اسرائيل هذه التصريحات اذ كان ذلك هو نفس ما اعتادت ان تروج له وسائل اعلامها لتحقيق مزيد من العطف على موقفها مما يبرر امام الرأي العام العالمي بدء الحرب التي كانت تعد لها، حتى ان سفير سورية في الامم المتحدة صرح آنذاك :

"ان من يأتي الى نيويورك يدهش للهستيريا العامة في وسائل الاعلام لمصلحة اسرائيل في ازمة خليج العقبة".

### **مواقف الدول الكبرى من ازمة الملاحة في خليج العقبة.**

كانت بريطانيا آنذاك ما تزال تحمل حقدا دفيننا على العرب عامة وعلى عبد الناصر خاصة بعد معركة القنال عام 1956، ولا سيما بعد ان اصبح جيشه في اليمن مهددا لما تبقى لها من نفوذ ومصالح بترولية في المنطقة العربية، ولذلك حاولت الحكومة البريطانية برئاسة ولسن ووزير خارجيتها جورج براون تشكيل فريق دولي يفتح خليج العقبة بالقوة امام الملاحة الاسرائيلية، ولكن هذا الاقتراح لم يحظ بموافقة الدول الكبرى الاخرى، كما سافر جورج براون بتاريخ 5/26 الى الاتحاد السوفيتي ليستطلع موقفه تجاه مؤتمر الذروة للدول الكبرى الذي اقترحه دوغول لايجاد تسوية سياسية لازمة في محاولة لاستبعاد شبح الحرب عن المنطقة العربية، وبعد الاتصال بالمسؤولين كشف في تصريح له في موسكو بأن الاتحاد السوفيتي لن يحضر هذا المؤتمر الا على شرط مسبق بتعهد هذه الدول معالجة قضية فيتنام، فكان موقف الاتحاد السوفيتي موقف المساوم من هذه الازمة.

---

الوصية التي كانت من ارقى ما عرفه تاريخ الحروب مما دعا غوستاف لوبون للقول : لم يعرف التاريخ فاتحا ارحم من العرب.

اما موقف الاميركي فقد اعلنه وزير الخارجية دين راسك بتاريخ 5/30 عندما قال :

"ان على جميع اطراف الازمة المحافظة على الهدوء وفسح المجال امام المساعي السلمية وانه لا يعتقد انه على الولايات المتحدة وروسيا ان تتحملا مسؤولية منع اي هجوم اسرائيلي محتمل، الامر الذي طلبته مصر من الدول الكبرى، وانني لا اعتقد بأنه علينا ان نتحمل مسؤولية كبح اي طرف من الاطراف".

وقد دل هذا التصريح على ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي متفقان على عدم التدخل في حالة نشوب حرب بين العرب واسرائيل، وهو موقف يتماشى مع مصلحة الطرفين، فالولايات المتحدة ليس من مصلحتها ان يخرج عبد الناصر من هذه الازمة بنصر سياسي كبير يزيد في قوته عربيا ودوليا على حسابها وحساب إسرائيل بينما كان الاتحاد السوفيتي لا يخشى اشتعال الحرب في المنطقة، الامر الذي يرسخ نفوذه وتوجه العالم العربي نحوه، واعتماد العرب عليه كحليف استراتيجي، سواء ادت هذه الحرب لانتصارهم او الى هزيمتهم.

أما فرنسا فقد تغردت في موقفها عن الدول الثلاث الكبرى عندما اعلن دوغول بتاريخ 6/6/1 موقف فرنسا من ازمة خليج العقبة بما خلاصته :

ان فرنسا ليس طرفا بأي شكل وفي اي موضوع مع اي من الدول الاجنبية، وترى ان من حق هذه الدول جميعا البقاء، ولكنها تعتقد ان اسوأ ما يمكن هو اشتعال الحرب، ولن تحصل الدولة التي تبدأ الحرب على موافقة فرنسا وتأييدها (وقد فهم من هذه الاشارة انها تحذير لاسرائيل بأن فرنسا ستوقف تزويد اسرائيل بالسلاح اذا بدأت الحرب) كما ورد في بيانه :

**"وإذا امكن المحافظة على الوضع الحالي فإن مشكلات الملاحاة في العقبة، ووضع اللاجئين الفلسطينيين، واحوال الجوار بين الدول المعنية، يجب ان تسوى عن طريق قرارات دولية، وينبغي ان تأتي هذه القرارات نتيجة لتفاهم الدول الاربعة الكبرى الاعضاء في مجلس الامن، ولا تزال فرنسة تصر على الاقتراح الذي قدمته بهذا الصدد".**

كان موقف دوغول الذي انفردت به فرنسة موضع تأييد وتأثير كبيرين في المنطقة العربية، فزار الملك فيصل، وزعين، والاتاسي، وماخوس، باريس واجتمعوا بالرئيس دوغول، ورغم الهجوم الاعلامي الشديد من اسرائيل على دوغول بسبب هذا البيان، فإن دوغول استمر على موقفه المبدئي هذا الى ما بعد هزيمة العرب في الخامس من حزيران، فأصدر بتاريخ 6/22 بيانا آخر اتهم فيه اسرائيل بالبدء بالحرب وأكد ان فرنسة لا تعترف بالتغييرات الاقليمية التي حدثت بسبب العمل العسكري، وقال موجها الاتهام الى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في وقت واحد:

**ان الحرب في فيتنام خلقت جوا نفسيا وسياسيا ادى الى القتال في الشرق الاوسط، وكرر موقف فرنسة بأنه يحق لكل دولة في الشرق الاوسط ان تعيش بما فيها اسرائيل وشجب بدء اسرائيل بالحرب وشجب كذلك ما قيل من تصريحات حول تدميرها.**

□

في تلك الفترة، عندما كنت لاجئا في لبنان دعاني السيد جورج نقاش صاحب جريدة لوريان لوجور، وسفير لبنان في فرنسة، الى منزله في الجبل، فجرنا الحديث الى موقف دوغول كما شرحه هو بنفسه للسفير اللبناني عندما قال له :

**"ان موقفنا تجاه العرب تحكمه مصالحنا، فالعرب يمتلكون اكبر احتياطي للبترول في العالم، ويحكمه من جهة اخرى موقف فرنسة الاخلاقي من قضية النزاع العربي الاسرائيلي".**

وقد جاء في احدى الرسائل التي تبودلت بين دوغول وبين غوريون والتي نشرتها الصحف اللبنانية. تهديده لاسرائيل بعد بدء اعتداءاتها على جنوب لبنان، باستعمال فرنسا للقوة اذا استولى الاسرائيليون على جنوب لبنان طمعا بمصادر المياه فيه، ووصف دوغول الدولة الاسرائيلية بالكيان التوسعي.



بعد ان اطمأنت اسرائيل الى موقف الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بعدم التدخل في حال نشوب حرب بينها وبين العرب، وبعد العطف الشديد الذي كانت تلاقيه في الغرب عامة وفي الولايات المتحدة خاصة، لم يعد القادة الاسرائيليون ينتظرون اكثر من ذلك لشن الحرب في هذه الفترة التي يعتبرونها فرصة سانحة لهزيمة العرب هزيمة منكرة باقل التضحيات والخسائر، فالجيش السوري يعاني من التصفيات التي استمرت عدة سنوات، والجيش المصري يعاني حرب الاستنزاف في اليمن منذ عام 1962 وما يزال فيه ما يقرب من خمسين الف جندي يشكلون ثلث الجيش المصري، وهكذا تشكلت في اسرائيل وزارة قومية تضم كل الاحزاب الاسرائيلية، وتولى وزارة الدفاع موشي ديان الذي كان يطالب بشن الحرب دون انتظار موافقة الولايات المتحدة، "كما ان الحكومة الاسرائيلية قد ارسلت بعد تأليفها مثير عميت مدير الموساد الى واشنطن للحصول على الضوء الاخضر الاميركي، فقال له هلمز رئيس المخابرات المركزية : "ان احدا في واشنطن لن ينزعج اذا شنت اسرائيل حربا على العرب، وان الوضع السياسي للرئيس جونسون لا يتيح له ان يقول ذلك صراحة" (باتريك سيل - كتاب الاسد ص223).



كان الاشتباك الجوي الكبير بين اسرائيل وسورية اوائل شهر نيسان 1967 دليلا على الاوضاع المتردية التي وصل اليها الجيش السوري بعد التسريجات التي توالى منذ الثامن من آذار 1963 الى ما قبيل حرب حزيران، فقد امتدت ساحة الاشتباك الى

العمق السوري فحلقت الطائرات الاسرائيلية فوق دمشق وقصفت بعض المواقع حولها، وصدر بعد الاشتباك بلاغ سوري يعلن عن سقوط خمس طائرات اسرائيلية بينما ادعى البلاغ الاسرائيلي انه اسقط اثنتي عشر طائرة سورية، وعلى اثر هذه المعركة صدر بلاغ اردني يقول بوجود ثلاثة طيارين سوريين في الاردن، وانه سيجري ايصالهم الى سورية عندما تسمح حالتهم الصحية، بينما تجاهلت الاذاعة في دمشق خبر سقوط الطائرات السورية في الاردن، مع ان الطيارين الثلاثة وهم الملازم احمد القوتلي والنقيب علي عنتر والنقيب محي الدين داوود قد صرحوا في عمان بأن المعركة لم تكن متكافئة وانهم تصدوا بطائراتهم الثلاث لاثني عشر طائرة اسرائيلية قبل سقوط طائراتهم.

وقد علقت وكالة الاسوشيتدبرس (1967/4/9) على هذه المعركة "بأن المراقبين العسكريين يقولون بان سورية تملك 20 طائرة ميغ 21، بينما الطيارون الموثوق بهم سياسيا والذين يسمح لهم بالطيران لا يتجاوز عددهم اصابع اليد، والمعروف ان معظم الطيارين قد فصلوا في عمليات التطهير المتواصلة، كما اظهرت هذه المعركة نقصان الوحدة الفعالة بين دول المواجهة العربية".

وبسبب الضجة التي اثارها اختراق الطائرات الاسرائيلية سماء العاصمة السورية لأول مرة منذ حرب 1948 ادلى وزير الدفاع وقائد سلاح الطيران حافظ اسد بتصريح ورد فيه ما يلي :

1- لقد تطور سلاحنا الجوي بعد الثورة تطورا كبيرا من حيث الكمية ومن حيث النوع ومن حيث التدريب بشكل لا يترك مجالا للمقارنة بين ما كنا نملكه قبل الثورة وما نملكه الآن.

أ- اصبح لدينا زيادة كبيرة في عدد الطائرات.

ب- نوع الطائرات التي حصل عليها سلاحنا بعد الثورة من احدث الطائرات في العالم وافضلها تسليحا.

ج- عدد الطيارين اصبح اكبر بكثير.

د- امكانيات التدريب ومناهجه التي اتبعت بعد الثورة لم تكن بالمرّة موجودة قبل الثورة.

2- يركز العملاء باستمرار وبعض الصحف والمجلات العميلة ان هناك اعدادا هائلة من الطيارين المسرحين، الامر الذي يضعف سلاح الطيران السوري ويجعله عاجزا عن اداء مهمته واحب ان اؤكد بهذه المناسبة ان عدد الطيارين العاملين -اي المؤهلين لخصوص المعارك الجوية- والذين هم خارج الخدمة لا يتجاوزون عدد اصابع اليد.

3- اثبت سلاحنا في كل المعارك التي خاضها تفوق الطائرة وكفاءة الطيار التدريبية وروحه المعنوية العالية واخلاص للشعب والثورة.

4- انسجاما مع استراتيجية الثورة قام سلاحنا الجوي بضرب قواعد العدوان داخل الارض المحتلة، اي ان سلاحنا الجوي اصبح في المستوى الذي يمكنه من القيام بواجبه على اكمل وجه وله مهمات محددة ومرسومة بموجب الخطة الموضوعية سيؤديها وانا اؤكد اننا سنوقع بالعدو خسائر اكبر بكثير مما يمكن ان يسببه لنا سلاح العدو وقد اثبتنا ذلك بمعركة طبريا ومعركة 7 نيسان، رغم ان الاخيرة كانت محضرة من قبل العدو ومنسقة مع الرجعية التي اباحت للعدو اجواء يعمل فيها بحرية في محاولة للضرب من الخلف.

وكان من المفروض في مثل هذه المفاجأة كعرف عسكري، في منطقتنا على الاقل الاتحاف الفرصة لسلاحنا الجوي ان يشترك في المعركة ويرد بالشكل الحاسم والفعال الذي رد به.

وبالمناسبة، كثيرا ما وردت الابواق وتاجرت بوصول طائرة عدوة الى سماء دمشق، هنا بديهية لا بد لكل مواطن ان يعرفها وهو ان مفاجآت الطيران ممكنة مهما كانت قوة السلاح المضاد، وهناك حالات عديدة مماثلة مرت على الدول الكبرى، ولا بد لي ان اقول ان سلاحنا الجوي دخل اجواء الارض المحتلة عشرات المرات بعد 23 شباط للاستطلاع وغير الاستطلاع، وآخر مرة توغل طيراننا عشرات الكيلومترات في سماء العدو وكان ذلك بتاريخ 67/5/14 وفي حدود الساعة الثانية عشرة ظهرا وقد اطلقت المدافع المضادة للطائرات م-ط- وصواريخ هوك على طائراتنا ورغم ذلك قامت بمهمتها كاملة وعادت الى قواعدها سالمة.

لذلك قد يشاهد المواطنون طائرة العدو ولكن ليتأكدوا اننا قادرون على الرد وسنرد لا في سماءنا فحسب بل وفي سماء الارض المحتلة وفوق مدنها.

س- كيف سيكون ردنا في حالة العدوان.

ج- اصبحت استعداداتنا لمواجهة اي عدوان كاملة وقد اخذنا بعين الاعتبار احتمال تدخل الاسطول السادس. ومعرفتي لامكانياتنا تجعلني اؤكد بأن اية عملية يقوم بها العدو هي مغامرة فاشلة.

وقد اصبحت قواتنا جاهزة ومستعدة ليس فقط لرد العدوان وانما للمبادرة لعملية التحرير بالذات ونسف الوجود العدواني الصهيوني من وطننا العربي. وهناك اجماع من جيشنا الذي طال استعداده ويده على الزناد في المطالبة بالتعجيل في المعركة، ونحن الان بانتظار اشارة من القيادة السياسية.

وانا كعسكري ارى ان الوقت قد حان لخوض معركة التحرير ولا بد على الاقل في نظري، من اتخاذ حد ادنى من الاجراءات الكفيلة بتنفيذ ضربة تأديبية لاسرائيل تردها الى صوابها وتجعلها تركع ذليلة مدحورة تعيش جوا من الرهبة والخوف يمنعها من ان تفكر ثانية بالعدوان. واعتقد ان شعور اخواننا في الجمهورية العربية المتحدة هو نفس شعورنا وكذلك شعور جماهيرنا الكادحة في كافة اجزاء الوطن العربي. (البعث 1967/5/21)



لقد تجاهلت القاهرة تماما انباء هذه المعركة، ولم تدع عنها شيئا الا بعد توقفها بأربع وعشرين ساعة دون اي تأييد او تعليق، بينما كانت الدولة الوحيدة التي طالبت القيادة العربية الموحدة بالعمل السريع هي الاردن، وقد اثار موقف القاهرة البارد من العدوان على سورية مخاوف النظام فيها مما دعا وزير الخارجية ابراهيم ماخوس الى استدعاء القائم بالاعمال المصري للاتصال بحكومته ومعرفة موقفها الاكيد من اي عدوان على سورية، ونتيجة لهذا الاتصال تقرر ان يزور سورية وفد عسكري مصري برئاسة الفريق محمود صدقي قائد سلاح الطيران، ولكن يبدو ان التفاهم على موضوع تنسيق الدفاع الجوي بين البلدين لم يؤد



الى اي نتيجة مما دعا رئيس الاركان أحمد سويداني الى التصريح  
:

"انه لم يجر البحث في انشاء اي قاعدة جوية في سورية لا  
مصرية ولا غير مصرية، وان في سورية من القواعد العسكرية ما  
يكفي" ..

وردا على مطالبة الاردن القيادة العربية الموحدة بالعمل  
السريع قال سويداني:

"الحديث عن التضامن العربي ضد اسرائيل تزييف ودجل  
فسورية الثورة لا تؤمن بالتضامن بين انظمة تتنازع البقاء ولا تبني  
موقفها الدفاعي ولا الهجومي على خطط المرحومة القيادة  
الموحدة" (الحياة 1976/4/23)



بعد ايام قليلة من زيارة الوفد العسكري المصري لسورية  
تعرض عبد الناصر في خطاب له بتاريخ 67/5/1 للمعركة التي جرت  
بين سورية واسرائيل واوضح طبيعة المحادثات التي اجراها الوفد  
العسكري المصري فقال " إنه قد جرت تساؤلات كثيرة عن عدم  
تنفيذ اتفاقية الدفاع المشترك، والسبب ان الطائرات المقاتلة  
المصرية مداها محدود واذا انطلقت من مصر فإنها لا تصل الى  
الحدود السورية، وبعد ان اعرب عن استعداد مصر لتنفيذ الاتفاقية  
العسكرية قال :

"ان الطريقة الوحيدة هي ان يكون لنا طائرات في سورية،  
وقد عرضنا مساعدتنا من اول يوم وقعت فيه الاتفاقية وقلنا  
للسوريين اذا كنتم عايزين طيارات او طيارين "سنديهم" ولكن  
الاخوان السوريين قالوا ان عندهم كفاية، وبعد العدوان عندما  
سافر الفريق محمود صدقي كررنا نفس العرض" وقد لوحظ ان  
الصحف السورية نشرت هذا الخطاب باختصار مع عدم الاشارة  
الى هذه الفقرة.



لقد كانت الاعتداءات الاسرائيلية على المنطقة المجردة مثار النزاع الدائم بين الجيش السوري والجيش الاسرائيلي، ولم تكن تؤدي الى مثل هذا الاشتباك الكبير الذي حدث على الحدود و فوق سماء دمشق، ولاشك انه كان للهجوم الاسرائيلي هدفان، الاول هو اختبار مدى فعالية الاتفاقية العسكرية الثنائية بين مصر وسورية، والآخر هو تحول الانظار عن خطة اسرائيل الاساسية وهي بالدرجة الاولى تحطيم الجيش المصري، مما يجعل الطريق مفتوحا امام احتلال الضفة الغربية، وكانت الفترة ملائمة لمثل هذه الخطة، فقسم كبير من الجيش المصري ما زال في اليمن وقد ادى استمرار الحرب حتى عام 1967 الى نزيه خطير عاناه الاقتصاد المصري والجيش على السواء، وقد اساءت هذه الحرب الى سمعة الجيش وكفاءته العسكرية واضرت بروحه المعنوية، فقد كانت الخسائر البشرية والمادية كبيرة جدا لا تقوى حتى الدول الكبرى على احتمالها، اذ بلغت ضحايا الجيش المصري أكثر من عشرين الفا، بينما قدرت ضحايا الشعب اليمني بمئتين وخمسين الفا وقد عدد المهجرين الى المملكة العربية السعودية بنصف مليون، وكانت النتيجة بعد خمس سنوات من القتال المرير ان اصبح ثلث الجيش المصري مسمر في مثلث تعز - صنعاء - الحديدة بينما كان باستطاعة عبد الناصر ايقاف هذه الحرب بتنفيذ ميثاق جدة الذي اقر تأليف حكومة يمنية حيادية مؤقتة تمهد لانسحاب قواته، ولوقف المساعدات السعودية للملكيين، واجراء استفتاء في اليمن على النظام الذي يرتضيه شعبها ولاشك ان النظام الجمهوري كان سيحظى بالنجاح في هذا الاستفتاء، فقد كانت غالبية الشعب اليمني مع الاطاحة بنظام الادارة المتخلف الذي عزل اليمن عن العالم.



كان وضع الجيش السوري اكثر سوء من وضع الجيش المصري، وكان هذا الوضع معروفا ومكشوفاً، فقد نشرت مجلة التايم الامريكية في الشهر الاول من عام 1967 مقالا يتضمن وصفا للوضع الذي يتردى فيه الجيش السوري ورد فيه :

"ان هذا الجيش المسلح بأسلحة روسية قديمة يبلغ تعداده (60) الفا بينما لدى اسرائيل جيش تعداده 350 الفا كما تملك سورية اقل من 500 دبابة و126 طائرة، منها ست وعشرون طائرة ميغ 21 فقط يمكن استعمالها في الخطوط الامامية، فالقوات السورية ناقصة بشكل مشين لان التطهير شمل اكثر من نصف ضباطها، وعمداء اليوم كانوا نقيباً منذ امد لا يتجاوز الثلاث سنوات، واكثر من ذلك فإن ثلث الجيش السوري مقيم في دمشق لدعم النظام وحمائنه".

كما جاء في كتاب الاسد لباتريك سيل (7) ما يلي :

"كان الجيش السوري غير مؤهل للحرب تماما فقد كان قوة سيئة التدريب ناقصة الضباط، تعدادها 50 الف، وقد جرى تجهيزها من الاتحاد السوفيتي بأسلحة كانت قيد التنسيق في الجيش الاحمر، وكان لدى هذا الجيش 500 دبابة نصفها صالح للاستعمال تدعمها 100 طائرة ميغ 17 ولكن بدون اي قذائف للدفاع الجوي، بيد ان اخطر ضعف كان يكمن في هيئة الضباط الممزقة التي افعدتها حملة التطهير"

تفاعل قضية سحب القوات الدولية من سيناء :

رسالة جونسون لجمال عبد الناصر والمذكرة المرفقة بها  
بتاريخ 1957/5/23

لم يكن عبد الناصر يجهل ان سحب القوات الدولية واغلاق خليج العقبة قد ابلغ الازمة بين مصر واسرائيل حافة الهاوية، وان الانفجار العسكري بينهما اصبح محتملا، ولكنه ظل واثقا من نفسه ومن استطاعته السيطرة على الازمة ضمن نطاقها السياسي وايجاد مخرج لها، ولو ببعض التنازلات لتفادي الانفجار، فقد كان الرجحان العسكري على مصر مؤكدا قبل حرب اليمن،

(7) الف الصحافي البريطاني باتريك سيل كتاب "الاسد" برضى وموافقة حافظ اسد الذي اجري مقابلات عديدة مع المؤلف، كما سمح للمؤلف بأخذ الشهادات من مصادر النظام، ومن المتعاونين معه، ولكن حافظ اسد أمر يمنع تداول الكتاب ومصادرته في سورية في بادئ الامر، وكان باتريك سيل الذي نشأ في سورية قد الف قبل ذلك بسنوات عديدة كتابا ترجم الى اللغة العربية تحت عنوان الصراع في الشرق الاوسط.

وهكذا رأى في رسالة جونسون له، والمذكرة المرفقة بها مخرجاً للآزمة بتسوية سياسية، على الرغم مما فيها من تأكيد لوقوف الولايات المتحدة بجانب إسرائيل، وضرورة السماح بالملاحة في خليج العقبة باعتباره ممراً مائياً دولياً، ولأهمية الرسالة والمذكرة نثت هنا بعض ما جاء في خلاصتهما التي وردت في مذكرات محمود رياض :

"لقد ذكر لي عدد من اصدقائنا بما فيهم السفير باتل انكم قلقون لأن الولايات المتحدة قد ايدت اتجاهات غير ودية تجاه الجمهورية العربية المتحدة واود ان تعلموا بصورة مباشرة ان هذا ابعد ما يكون عن نوايانا".

"ان من واجبك وواجبي في الوقت نفسه الا ننظر الى الوراء وانما ننقذ الشرق الاوسط من حرب اعتقد انه ليس هنالك من يريددها، ولست اعرف الخطوات التي سيقترحها عليكم السكرتير العام للامم المتحدة يوثانت، ولكنني أحثكم على ان يكون واجبك الاول تجاه امتكم وتجاه منطقتكم وتجاه المجتمع العالمي كله هذا الهدف السامي : وهو تجنب الحرب".

وتشير المذكرة الى ثلاث نقاط :

1- الى الاعمال الفدائية على الحدود السورية الاسرائيلية التي وصفتها المذكرة بالإرهابية، والى انها تخالف شروط اتفاقية الهدنة.

2- الى قلق الولايات المتحدة من السحب السريع لقوات الطوارئ مما يمكن ان يؤدي الى جعل مشكلة المحافظة على السلام في الحدود المصرية الاسرائيلية اكثر صعوبة، لذلك فإن الولايات المتحدة تؤيد مهمة السكرتير العام يوثانت في القاهرة، وكلها ثقة في ان حكومة الجمهورية العربية المتحدة ستبحث على نطاق شامل امكانيات استمرار المحافظة على السلام بشكل من الاشكال على الحدود بين الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل.

3- اشارت المذكرة الى ضرورة توقف تعبئة القوات وحشدتها على الجانبين، والى ان الولايات المتحدة تأمل بأن يبدأ الطرفان (الاسرائيلي والمصري) وغيرهما من الدول الاخرى التي اتخذت احتياطات عسكرية في اعادة قواتها الى قواعدها الطبيعية.

وتنتهي المذكرة الى القول :

"ونحن ننتهز هذه الفرصة لنعيد تأكيدنا بالتزامنا المستمر بمبدأ حرية المرور الى خليج العقبة لسفن جميع الدول، فإن حق المرور الحر والبريء الى هذه المياه يعد جزءا من المصلحة الحيوية للمجتمع الدولي، ونحن موقنون بأن التدخل في هذه الحقوق قد تكون له عواقب دولية خطيرة.

وفي الموقف الحالي فإن حكومة الجمهورية العربية المتحدة والحكومات العربية تستطيع ان تتأكد بيقين وان تعتمد على ان حكومة الولايات المتحدة تعارض معارضة صارمة أي عدوان في المنطقة من اي نوع، سواء كان مكشوفاً او في الخفاء، وسواء قامت به القوات النظامية او قوات غير نظامية".

وفي النهاية اشارت المذكرة الى ان ذلك هو سياسة الولايات المتحدة الدائمة (ص38-41)

ويعلق محمود رياض في مذكراته على الرسالة والمذكرة بما يلي :

"وبعد ان قرأ جمال عبد الناصر الرسالة، سكت قليلا ثم سألني عن تقييمي لها، وقلت له انني الان اشعر بالاطمئنان من عدم قيام حرب جديدة فهاهو رئيس الولايات المتحدة يدعو كافة الاطراف الى احترام اتفاقيات الهدنة وهو مطلب مصري ابغنا به مجلس الامن ثم ان جونسون يؤكد في رسالته ان مصر تستطيع ان تعتمد على ان الحكومة الامريكية تعارض معارضة صارمة اي عدوان في المنطقة، سواء قامت به قوات مسلحة نظامية او غير نظامية، اما بالنسبة الى موضوع الملاحاة في خليج العقبة، فهو موضوع يمكن ان نصل الى حل بشأنه، اما عن طريق اللجوء الى

محكمة العدل الدولية كما اقترح السناتور فولبرايت رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الامريكى، او عن طريق عودة قوات الطوارئ الى شرم الشيخ عندما يزول التهديد الاسرائيلي". (ص42)

وكمبادرة من عبد الناصر لتهدئة الازمة وفتح باب الحوار مع الولايات المتحدة فقد وافق على المشروع الذي تقدم به امين عام الامم المتحدة والذي تضمن النقاط التالية :

- 1- يطلب من اسرائيل الا ترسل اي سفينة عبر خليج العقبة.
- 2- يطلب من الدول التي ترسل سفنها الى ايلات الا تحمل مواد استراتيجية الى اسرائيل.
- 3- يطلب من مصر عدم مزاوله حق تفتيش السفن التي تمر عبر خليج العقبة كما اعطى جمال عبد الناصر وعدا ليوثانت بألا تكون مصر البادئة بهجوم عسكري على اسرائيل، فغادر يوثانت القاهرة بتاريخ 5/25 وهو يتصور ان مقترحاته التي قبلها عبد الناصر كفيله بتهدئة الازمة.

"كما ارسل جمال عبد الناصر رسالة مطولة الى الرئيس جونسون شرح فيها موقف مصر كما تراه بالنسبة لشرم الشيخ ومشيرا الى ان اسرائيل ترفض العمل باتفاق الهدنة ومؤكدا من جديد بأن مصر لن تكون هي البادئة بالعدوان.

وقد اضاف عبد الناصر بأنه يرحب بزيادة هيوبرت همفري نائب الرئيس الامريكى الى القاهرة في اي وقت بل انه زيادة في تأكيد حسن نية مصر، فإن عبد الناصر قال انه من جانبه على استعداد لارسال زكريا محيي الدين نائب رئيس الجمهورية في الحال الى واشنطن" (مذكرات محمود رياض، ص46)

**ولأهمية هذه الرسالة فإننا نثبت نصها كما جاء في تلك المذكرات :**

"انني ارحب بمبادأتكم في الكتابة الي حول الوضع الراهن في الوطن العربي اعتقادا مني بأنه مهما بدت نقطة الالتقاء بيننا خارج نطاق رؤيتنا في

هذه المرحلة فإن اية محاولة مشتركة من جانبنا لايجاد حوار مباشر قد يساهم على الاقل في تبديد جزء من السحابات المصطنعة التي يراد لها ان تصور ممارسة الحق وكأنه امر حرام وان تصور حق الدفاع وكأنه عدوان، ولقد يكون من المفيد -في مجال الحكم على احداث الساعة- ان نراها في ترابطها الزمني والمنطقي المتكامل حتى نتجنب سوء الفهم وحتى نصل الى تقييم سليم ومعقول وعادل لواقع الامور التي نعيش في وسطها. ومن اجل ذلك سأحاول ان اشير الى عدة حقائق او ان اصفها بأنها حقائق مبدئية.

اولا : علينا ان نعود بذاكرتنا الى الايام القليلة السابقة على الاجراءات التي اتخذتها الجمهورية العربية المتحدة مؤخرا وان نتذكر الموقف العدواني الخطير الذي خلفته السلطات الاسرائيلية ازاء الجمهورية العربية السورية والتهديدات العدوانية التي اعلنها عدد من المسؤولين الاسرائيليين وما اقترن به ذلك من حشد قوات ضخمة على الحدود السورية تدبيرا لعدوان اكيد على سوريا، لقد كان طبيعيا عندئذ ان تقوم الجمهورية العربية المتحدة بمسؤوليتها وان تتخذ كافة الاجراءات التي يتطلبها العمل دفاعا عن الوطن العربي ضد العدوان المدبر.

**ثانيا : تطلبت الاجراءات الدفاعية التي اتخذتها الجمهورية العربية المتحدة ان تتقدم قواتنا المسلحة الى مواقعها الامامية على الحدود** حتى تكون قادرة على مواجهة تطورات الموقف ولتكون بوجودها قادرة على التدخل ضد الغزو الاسرائيلي المدبر وحرصا منا على سلامة قوات الطوارئ الدولية فقد قدرنا ضرورة انسحابها واصبح هذا امرا منتهيا.

**ثالثا : كان منطقي بعد انسحاب قوات الطوارئ الدولية ان تتقدم القوات المسلحة العربية لاحتلال مواقعها واحتلت من بين هذه المواقع منطقة شرم الشيخ المطللة على مضيق تيران وكان منطقي ايضا ان نمارس حقوق سيادتنا الثابتة على المضيق وعلى مياهنا الإقليمية في الخليج.**

وهنا ايضا اود ان اعود بك بضعة سنين الى العدوان الثلاثي ضد الجمهورية العربية المتحدة وهو العدوان الذي ما زلنا نذكر بالتقدير الموقف العادل الذي اتخذته بلادكم ازاءه.

وقد مارست الجمهورية العربية المتحدة قبل العدوان حقوقها القانونية الثابتة ازاء الملاحه الاسرائيلية في المضيق وفي الخليج -هي حقوق لا تحتمل التشكيك- وبعد رحيل قوات الطوارئ وحلول القوات المسلحة العربية محلها في هذه المنطقة لم يكن من المتصور ان يسمح بمرور السفن الاسرائيلية او المواد الاستراتيجية المرسله لها - وموقفنا في ذلك فوق انه ثابت شرعا- فهو يستهدف في الواقع ازالة آخر أثر للعدوان الثلاثي اعمالا لهذا المبدأ الاخلاقي الذي يقضي بعدم مكافأة المعتدي على عدوانه.

وفي كل ما اتخذناه من اجراءات دفاعا عن اراضينا وحقوقنا اوضحنا امرين: اولاهما - اننا سندافع ضد اي عدوان يقع علينا بكافة ما نملك من قدرات وامكانيات.

وثانيهما - اننا سنظل نسمح بالمرور البريء للسفن الاجنبية في مياهنا الاقليمية. وهذه حقائق تتصل بالموقف الذي اعلنته الجمهورية العربية المتحدة والتي لا نرى فيها اي مدعاة لكي يتخذها البعض مبررا لفرض جو من الازمة او لشن هذه الحملة النفسية الموجهة ضدنا.

وفي الوقت الذي تأخذ فيه هذه الحملة ابعادا واشكالا متزايدة نرى تجاهلا كاملا ومؤسفا لعدد من الحقائق الاخرى التي اود ان اصفها بأنها حقائق اساسية فهذه الحقائق هي التي تفرض في الواقع حكمها على مجرى احداث اليوم وستظل تفرض حكمها في المستقبل الى ان يصل الجميع الى تقدير كامل لها ولابعادها ولجذورها وسأشير هنا الى حقيقتين :

اولاهما - هي حقوق شعب فلسطين وهي في نظرنا اهم حقيقة ينبغي الاعتراف بها، لقد استطاعت القوة المسلحة المعتدية ان تطرد الشعب من وطنه وتحوله الى لاجئين على حدود هذا الوطن وتقف قوى السيطرة والعدوان اليوم حائلا دون حقهم الثابت في العودة اليه والعيش فيه رغم قرارات الامم المتحدة التي كان آخرها في العام الماضي.

وثانيهما - تتصل بموقف اسرائيل ازاء اتفاقات الهدنة وهو موقف لا يتمثل في مجرد انتهاك مستمر لاحكام هذه الاتفاقيات بل وصل الى حد انكار وجودها او الالتزام بها وبلى والى احتلال المناطق المجردة من السلاح وطرد مراقبي



الامم المتحدة منها واهانة المنظمة الدولية والاعتداء عليها، وهاتان هما حقيقتان اساسيتان لابد من تقدير لهما للحكم على مجرى احداثه اليوم وتطوراتها.

ولقد اشترتم في رسالتكم الى نقطتين :

اولاهما - ما اشترتم اليه من اننا ينبغي ان ننسى الماضي جانبا وان نعمل على انقاذ الشرق الاوسط بل والعالم كله بتجنبه الاعمال العسكرية فبالنسبة لهذه النقطة اود ان اشير الى ان سياسة الجمهورية العربية المتحدة لا تكتفي باتخاذ السلام العالمي هدفا لها بل اننا في سبيل هذا الهدف نأخذ دورا ايجابيا لا ارى الاستطراد في بيانه تجنبنا للوقوع في دائرة التمجيد الذاتي، اما بالنسبة للقيام بتجنب الاعمال العسكرية فيكفي هنا ان اكرر ما سبق ان اعلنت من ان كافة ما قمنا به من اجراءات فرضتها قوى العدوان ومع ذلك فإن قواتنا لن تبدأ بأي عدوان، ولكننا بلا شك سندافع ضد اي عدوان يقع علينا او على اي بلد عربي بكل ما نملك من قدرات وامكانيات.

وثانيتهما - هو ما اشترتم اليه من ان مشاكل العصر لا يمكن حلها عن طريق اختراق الحدود بين الدول بواسطة الرجال والسلاح وانا اتفق معك في هذا الرأي ومع ذلك فينبغي ان ننظر في كيفية تطبيق هذا المبدأ على كل حالة فإذا كان قصدكم هو عبور بعض افراد شعب فلسطين خطوط الهدنة فإنني اود هنا ان اشير الى ضرورة بحث هذا الجانب في نطاق النظرة الشاملة لقضية شعب فلسطين وهنا ايضا اتساءل عن مدى قدرة اية حكومة في ان تسيطر على مشاعر اكثر من مليون فلسطيني فات ما يقرب من العشرين عاما دون ان تهتم العائلة الدولية -ومسؤولياتها هنا مسؤولية لا يمكن الفرار منها- باعادتهم الى وطنهم. وتكتفي الجمعية العامة للامم المتحدة في كل دور من ادوار انعقادها بتأكيد هذا الحق. ان ما يقوم به بعض افراد الشعب الفلسطيني من عبور الخطوط الهدنة هو في الواقع الا مظهر من مظاهر الغضب الذي اصبح -عن حق- يتملك هذا الشعب ازاء الانكار الكامل لحقوقه من جانب العائلة الدولية ومن جانب القوى التي تقف مع إسرائيل وتعاونها ماديا وادبيا.

وفي الواقع اننا مهما حاولنا ان نفصل بين جوانب المشكلة فلا بد ان نعود في النهاية الى جوهرها واصلها الذي يتمثل في حق شعب فلسطين

في ان يعود الى بلاده ومسؤولية العائلة الدولية في ان تكفل له ممارسة هذا الحق " (ص46-49)

في تلك الفترة كان في القاهرة مبعوثان للرئيس جونسون احدهما هو شارل يوست الذي اكد لمحمود رياض ان مكلف من وزارة الخارجية لاستطلاع الموقف وللتأكيد بأن الولايات المتحدة ستكون ضد اي طرف يبدأ بالعدوان، وقد اجابه رياض اننا من ناحيتنا لن نبدأ هجوما مسلحا، وقد اكدنا لكم ذلك بناء على طلبكم.

وفي الوقت نفسه قابل عبد الناصر روبرت اندرسون المبعوث غير الرسمي من جونسون الذي ذكر ان الولايات المتحدة تبحث عن حل سلمي للامزة وانها سوف تقف ضد كل من يبدأ بالعدوان المسلح، فكرر ناصر من جديد موقف مصر بأنها لن تبدأ العدوان.

وفي تاريخ 6/2 استدعى محمود رياض السفير الامريكى نولتي ليسلمه رسالة عبد الناصر الى جونسون، وعندما سأله : كيف ترى الان احتمال ان تبدأ اسرائيل بالهجوم ضدنا؟ اجاب السفير :

ان هذا الاحتمال قائم بنسبة خمسين بالمئة .. ويعلق محمود رياض على هذا الجواب في مذكراته :

واعترف بأن هذه الاجابة قد جعلتني في حيرة شديدة من موقف الولايات المتحدة، فها نحن لدينا فى القاهرة مبعوثان من الرئيس الامريكى، معروف عنهما الموضوعية وعدم التحيز، ليؤكد ما جاء في رسالة جونسون بأن الولايات المتحدة لن تقبل بعدوان اي طرف على الاخر وفي نفس الوقت فها هو السفير الامريكى في القاهرة يقول انه يرى ان احتمال ان تبدأ اسرائيل الحرب هو احتمال قائم بنسبة خمسين في المائة، وكان واضحا في ان السفير يقول لي ذلك صدورا عن رأي شخصي، وبدأت اشترك مع عبد الناصر لاول مرة في شكوكه حول مدى صدق الرئيس الامريكى جونسون وحادية تعهده الرسمي.

في اليوم الثاني (6/3) جرى تبليغ محمود رياض من قبل المبعوث يوست بأن جونسون وافق على استقبال نائب رئيس الجمهورية زكريا محيي الدين فطلب عبد الناصر من رياض ان يقترح الخامس من حزيران موعدا لوصول محيي الدين اي بعد 48 ساعة من جواب واشنطن فوافق المبعوث الامريكي على الفور ثم بلغه محمود رياض ما يلي :

**انا على استعداد للتسليم بامرین، اولهما معاونة الولايات المتحدة لاسرائيل، وثانيهما ان تقدم الولايات المتحدة حمايتها لاسرائيل، ولكن في مقابل ذلك يجب ان يكون هناك التزام من اسرائيل بعدم العدوان، كما ان المساعدة العسكرية اذا تجاوزت قدرا معيناً تصبح على وجه التأكيد تشجيعاً على العدوان". (مذكرات محمود رياض ص50-51)**



بعد ان تحدد الخامس من حزيران موعداً لزيارة محيي الدين لواشنطن قررت اسرائيل ان يكون هذا التاريخ موعداً للهجوم على مصر لاحباط اي محاولة لتسوية الازمة سياسياً بين مصر والولايات المتحدة، فقد كانت هذه الازمة في الظروف الراهنة للجيش المصري والجيش السوري، فرصتها ليس فقط من اجل فتح خليج العقبة امام الملاحة الاسرائيلية وانما من اجل الحصول على مكاسب اقليمية بالاستيلاء على الضفة الغربية وغزة والجولان والسيطرة على الشطر العربي للقدس واعلانها عاصمة لاسرائيل.

**ارسال برقيتين الى عبد الناصر ونور الدين الاتاسي وعودتي الى سورية في العاشر من حزيران 1967.**

عندما بدأت ازمة الملاحة في خليج العقبة كان قد مضى على وجودي منفياً في لبنان ما يقرب من السنة ونصف.

كنت استبعد عند بدء الازمة انها ستؤدي الى حرب، فقد كنت موقناً ان جمال عبد الناصر الحذر الحيسوب لن يعرض مصر والبلاد العربية لهزيمة عسكرية، فهو مطلع على احوال الجيش المصري والسوري وعلى رجحان الميزان العسكري الاسرائيلي

رجحانا كبيرا، ولكن عندما طلب عبد الناصر سحب القوات الدولية مما سيؤدي حتما الى اغلاق خليج العقبة، اصبحت قلقا لعواقب هذه الازمة من ان تؤدي الى اشتعال الحرب بين مصر واسرائيل التي اعلنت اكثر من مرة ان اغلاق الخليج سيكون سببا للحرب، وعندما كان القلق يستبد بي كنت الجأ الى الافتراضات واحداث نفسي "

ان عبد الناصر لن يدخل الحرب مع اسرائيل لو لم يكن مستعدا لها، واصبحت استرجع ما اذكره من اقواله عندما كنت نائبا له ايام الوحدة، وتذكرت بصورة خاصة ما قاله في جلسة مجلس الوزراء الاخيرة التي حضرتها قبل استقالتي عندما قال خلال بحث موضوع تحويل نهر الاردن، من انه لن يدخل المعركة الا وهو مستعد لها، بل انه توجه ذات مرة الى الجماهير مهاجما اياي قائلا ان الحوراني يريد ان يورط العرب بالحرب.

على كل حال رأيت من واجبي بعد اغلاق الخليج ان ابادر والاستاذ خليل كلاس (وكان ايضا في لبنان) الى ارسال برقيتين احدهما لجمال عبد الناصر والاخرى لنور الدين الاتاسي اعلن فيهما تأييدي لهما شأن كل مواطن عربي في هذه المعركة، وفيما يلي نصهما:

"الرئيس جمال عبد الناصر : ردكم الحاسم على التحديات الصهيونية والاستعمارية احبط ما كانوا يحيكون من مؤامرات على حرية العرب ووجودهم، ان هذا الموقف القومي البطولي اعاد للعرب ثقتهم بانفسهم وفرض على الملأ عدم الاستهانة بحقوقهم، سحبكم القوات الدولية واغلاق خليج العقبة في وجه الملاححة الاسرائيلية خطوة في طريق التوحيد والتحرر، ان امتنا العربية تدرك ادراكا تاما ان معركتها هذه معركة مصيرية، كان الله في عون امتنا حتى تظفر القيم الانسانية والقومية والاخلاقية في هذا العالم الذي شوهوا فيه وجه الحق والعدالة والمثل الانسانية"

"الرئيس نور الدين الاتاسي - دمشق :

موقف سورية الحاسم من تهديد الصهاينة وتحدياتهم احباط لتآمرهم على حرية العرب ووجودهم واستقرارهم وتأكيد لتصميم الجماهير العربية في

سورية على تحرير الارض المغتصبة، انها معركة مصيرية تفرض علينا جميعا الارتفاع الى مستوى القضية، ودفن الخلافات لتعبئة الجماهير وقيادتها في طريق النصر، ايد الله شعبنا وجيشنا ونصر قضيتنا، قضية الحق والاخلاق والعدالة والحرية".

وقد كررت اذاعة القاهرة نص برقيتي لعبد الناصر عدة مرات

..

اما جواب النظام السوري على برقيتي فقد جاء جوابا مستهزئا نشرته جريدة صوت العمال التي كان يصدرها آنذاك سعيد الحامي(8) ، العضو في حزب البعث، فقد طلب مني ان اذهب الى الجبهة متطوعا بدلا من ارسال برقية التأييد.

□

عندما تجاوز نشوب الحرب حد الاحتمالات، طلبت من زوجتي وكانت ما تزال تقطن دمشق ان تغادر والاولاد بيتنا الواقع في ضاحية المزة القريبة من المطار العسكري، الى مكان اخر اكثر امنا، متوقعا غارات اسرائيلية وإنزال مظليين في تلك المنطقة، ولم أفاجأ عندما سمعت من اذاعة القاهرة يوم الخامس من حزيران نبأ هجوم الطيران الاسرائيلي على المطارات المصرية، وكان البلاغ الذي سمعته يتحدث عن اسقاط ستين طائرة اسرائيلية، ثم تتابعت البلاغات تزف اخبار الانتصارات، ولكن لشدة ما كنت خائفا من ان تكون صحيحة الاخبار التي كانت تذيعها محطة لندن والتي كانت تشير الى تدمير الطيران المصري على ارض المطارات والى الخسائر الجسيمة التي يتكبدها الجيش المصري في سيناء، وقد قضيت ايام الحرب وانا احاول ان ابعد الشك والارتياب عن نفسي تجاه ما كانت تصدره القاهرة من انباء الانتصارات التي يحرزها الجيش المصري، وظللت على هذه الحال اغالط نفسي -حتى وقف اطلاق النار- مستبعدا تلك الهزيمة

(8) اصبح الحمامي ممثلا لياسر عرفات في لندن اوائل الثمانينات حيث اغتيل فيها بعد ادلائه بتصريحات حول حل سياسي للصراع العربي الاسرائيلي، وقد ذهب نتيجة هذه التصريحات هو والدكتور عصام السرطاوي فيما بعد.

الساحقة التي حلت بالجيش المصري. وكان حالي كما قال  
المتنبي :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر      فزعت فيه بآمالي  
الى الكذب

حتى اذا لم يدع لي صدقه املا      شرقت بالدمع حتى كاد  
يشرق بي

لقد اجهشت بالبكاء عندما سمعت بيان عبد الناصر الذي  
يعلن فيه مسؤوليته عن الهزيمة وتنحيه عن رئاسة الجمهورية  
لنائبه زكريا محيي الدين.

كنت مقدر ان تنحي عبد الناصر هو تسليم بالهزيمة لأن ايا  
من نوابه ليس قادرا ان يحل مكانه في قيادة المعركة ضد  
اسرائيل، ولشد ما اثار حماستي وتفاؤلي عندما سمعت نبأ  
عودته عن الاستقالة تلبية لنداء الطوفان الشعبي الذي دعاه  
لمتابعة المعركة ضد اسرائيل على الرغم من ان الجيش المصري  
بعد تدمير غطائه الجوي قد فقد اكثر من عشرة آلاف قتيل وثلاثة  
عشر الف اسير وعدة آلاف من الدبابات والمدافع اثناء انسحابه  
بأمر المشير عامر من سيناء.



كانت الجبهة الاردنية بقيادة اللواء المصري عبد المنعم  
رياض بالاشتراك<sup>(9)</sup> مع قادة الجيش الاردني بعد عقد اتفاقية  
الدفاع المشترك مع مصر التي وعدت بارسال تغطية جوية للجيش  
الاردني، ولم تستطع مصر تنفيذ ذلك بسبب ما حل بالطيران  
المصري.

وبناء على الانباء المضللة بانتصارات سلاح الجو المصري،  
قامت ضحى يوم الخامس من حزيران طائرات الاردن القليلة العدد

(9) اللواء اركان حرب عبد المنعم رياض هو من اكثر القادة العرب كفاءة، عين رئيسا لاركان الجيش  
المصري بعد حرب الايام الستة، فاستشهد في جبهة القتال في معارك الاستنزاف التي شنتها  
مصر ضد الجيش الاسرائيلي المحصن بخط بارليف الذي اقامته اسرائيل على الضفة الشرقية  
من قناة السويس.

من طراز هوكر هنتر بقصف المطارات الاسرائيلية وعند عودتها الى الاردن للتزود بالوقود تم تدميرها على الارض من قبل طائرات الميراج الاسرائيلية، فاضطر الجيش الاردني ان ينسحب للضفة الشرقية من نهر الاردن، بعد ان قاتل ببسالة وتكبد آلاف القتلى ودمر عدد كبير من آلياته، ومن الجدير بالذكر ان القادة الاسرائيليين قد اعترفوا بأنهم حشدوا خيرة قطعاتهم العسكرية على الجبهة الاردنية.

اما على الجبهة السورية فقد تأخر اعلان الحرب على اسرائيل حتى ظهر يوم الخامس من حزيران بعدما قام سلاح الطيران الاسرائيلي بتدمير العدد القليل من الطائرات الذي يملكه سلاح الجو السوري، وهي جاثمة على الارض، وقد جرى ذلك بعد عدة ساعات من تدمير السلاح الجوي المصري.

وباستعراض البلاغات السورية الصادرة من وزارة الدفاع والمثبتة في مجلد عام 1967 الصادر عن مكتب التوثيق في الجامعة الامريكية ببيروت (ص392) يلاحظ ان السماء السورية قد اصبحت ملعبا لطائرات اسرائيل، ومع ذلك فقد تساقطت كأوراق الخريف حتى بلغ عددها حسب ذمة البلاغات السورية 70 طائرة.

كما يلاحظ باستغراب ان هذه البلاغات لا تتعرض لذكر الساعات التي جرت فيها الاحداث وهو امر يديهي بالنسبة لأي بلاغ عسكري، اما بلاغ سقوط القنيطرة -قبل سقوطها بعدة ساعات- والذي صدر يوم التاسع من حزيران فلا وجود له بين بلاغات مكتب التوثيق، وارجح ان سبب ذلك هو عدم نشره في صحف اليوم التالي التي تصدرها عنوان باللون الاحمر، وبالخط العريض جدا : لقد انتصرنا.



لقد اكتفى الجيش السوري حتى يوم التاسع من حزيران بقصف المستعمرات الاسرائيلية في سهل الحولة، كما كان يحدث من قبل ولم يقيم بأي هجوم منتهزا فرصة انشغال الجيش الاسرائيلي باحتلال سيناء والضفة، كما ان قيادته لم تطلب ايقاف

اطلاق النار في اليوم السابع من حزيران كما فعلت مصر، وانما بقيت تنتظر ان يقوم الاسرائيليون بالهجوم وهو ما حدث فعلا في اليوم التاسع من حزيران، عندما قام الاسرائيليون في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثلاثين بالهجوم على التحصينات السورية في مرتفعات الجولان وعندما تم اختراقها طلبت سورية من مجلس الامن وقف اطلاق النار واصدرت وزارة الدفاع أمرا للجيش السوري بالانسحاب الكيفي من تلك المواقع الحصينة التي ورد وصفها في مجلة تايمز الامريكية اوائل شهر ايلول عام 1967 بما يلي:

"تسيطر سوريا على سلسلة من التلال الصخرية الشديدة الانحدار تمتد لمسافة اربعين ميلا، وتشرف على سهول منكشفة للنيران، على جوانب التلال ثلاثة خطوط دفاعية مستقلة فوق بعضها وكل خط تحميه طبقات ثلاث من الالغام، واسلاك شائكة واستحكامات منيعة، وللوصول الى الطبقة العليا يجب عبور تسعة خطوط، ماجينو مصغرة، وعلى كل طبقة من الطبقة العليا تكمن متاريس صخرية تحت الارض وابراج مدفعية من الخرسانة تبلغ سماكة جدرانها خمسة اقدام، وتربط كل هذا انفاق سميكة الجدران، وقد حفرت المرائب في الارض لتضم الدبابات والمركبات، وتحمي مواقع المدفعية طبقة ارضية ارتفاعها عشرين قدما، كذلك زرعت حقول الالغام بفخاخ ضد الدبابات".

### استقالة جمال عبد الناصر

بتاريخ 1967/6/9 اذاع عبد الناصر بيانا على الشعب تحمل فيه كامل المسؤولية عن الهزيمة واعلن في نهايته استقالته من رئاسة الجمهورية وتكليف نائبه زكريا محيي الدين تولي هذا المنصب، ومهما قيل عن الاخراج المسرحي لهذه الاستقالة، فإن الشعب العربي بحسه السليم سواء في مصر او في البلاد العربية الاخرى قد خرج مؤيدا لجمال عبد الناصر طالبا منه الرجوع عن استقالته والتهيئة والاستعداد للحرب من جديد.



ولأهمية هذه الاستقالة واثرها من الناحية التاريخية نثبت  
نصها فيما يلي :  
أيها الاخوة:

لقد تعودنا معا في اوقات النصر وفي اوقات المحنة.. في الساعات  
الحلوة.. وفي الساعات المرة ان نجلس معا.. وان نتحدث بقلوب مفتوحة.. وان  
نتصارع بالحقائق مؤمنين انه على هذا الطريق وحده نستطيع دائما ان نجد  
اتجاهنا السليم مهما كانت الظروف عصيبة، ومهما كان الضوء خافتا.

ولا نستطيع ان نخفي على انفسنا اننا واجهنا نكسة خطيرة خلال  
الايام الاخيرة.. لكنني واثق اننا جميعا نستطيع -وفي مدة قصيرة- ان نجتاز  
موقفنا الصعب.. وان كنا نحتاج في ذلك الى كثير من الصبر والحكمة  
والشجاعة الادبية ومقدرة العمل المتفانية.

لكننا ايها الاخوة نحتاج قبل ذلك الى نظرة على ما وقع لكي نتتبع  
التطورات وخط سيرها في وصولها الى ما وصلت اليه، اننا نعرف جميعا كيف  
بدأت الازمة في الشرق الاوسط.. في النصف الاول من مايو الماضي. كانت  
هناك خطة من العدو لغزو سوريا وكانت تصريحات ساسته وقادته العسكريين  
كلها تقول بذلك صراحة.. وكانت الادلة متوافرة على وجود التدبير.

كانت مصادر اخواننا السوريين قاطعة في ذلك.. وكانت معلوماتنا  
الوثيقة تؤكد بل وقام اصدقائنا في الاتحاد السوفيتي باخطار الوفد البرلماني  
الذي كان يزور موسكو في مطلع الشهر الماضي بان هناك قصدا مبيتا ضد  
سوريا.

ولقد وجدنا واجبا علينا ان لا نقبل ذلك ساكتين، وفضلا عن ان ذلك  
واجب الاخوة العربية.. فهو ايضا واجب الامن الوطني.. فإن البادئ بسوريا  
سوف يثني بمصر.

ولقد تحركت قواتنا المسلحة الى حدودنا بكفاءة شهد بها العدو قبل  
الصديق.. وتداعت من اثر ذلك خطوات عديدة منها انسحاب قوات الطوارئ  
الدولية.. ثم عودة قواتنا الى موقع شرم الشيخ المتحكم في مضائق تيران  
والتي كان العدو الاسرائيلي يستعملها كأثر من اثار العدوان الثلاثي الذي وقع  
علينا سنة 1956.

ولقد كان مرور علم العدو امام قواتنا امرا لا يحتمل.. فضلا عن دواعي اخرى تتصل بأعز امانني الامة العربية.. ولقد كانت الحسابات الدقيقة لقوة العدو تظهر اماننا ان قواتنا المسلحة بما بلغته من مستوى في المعدات وفي التدريب قادرة على رده وعلى ردعه.. وكنا ندرك ان احتمال الصراع بالقوة المسلحة قائم.. وقبلنا بالمخاطرة.

وفي نفس الليلة فإن السفير السوفيتي طلب مقابلتي بصفة عاجلة في الساعة الثالثة والنصف من بعد منتصف الليل.. وبلغني بطلب ملح من الحكومة السوفيتية ان لا نكون البادئين باطلاق النار.

وفي صباح يوم الاثنين الماضي.. الخامس من يونية.. جاءت ضربة العدو.. واذا كنا نقول الان بأنها جاءت بأكثر مما توقعناه.. فلا بد ان نقول في نفس الوقت وثيقة اكيدة انها جاءت باكبر مما يملكه مما اوضح منذ اللحظة الاولى ان هناك قوى اخرى وراء العدو جاءت لتصفي حساباتها مع حركة القومية العربية.

ولقد كانت هناك مفاجآت تلفت النظر :

اولها- ان العدو الذي كنا نتوقعه من الشرق ومن الشمال جاء من الغرب، الامر الذي يقطع بأن هناك تسهيلات تفوق مقدرته وتتعدى المدى المحسوب لقوته قد اعطيت له.

وثانيها- فإن العدو غطى في وقت واحد جميع المطارات العسكرية والمدنية في الجمهورية العربية المتحدة.. ومعنى ذلك انه كان يعتمد على قوة اخرى غير قوته العادية لحماية اجزائه من اي رد فعل من جانبنا.. كما انه كان يترك بقية الجبهات العربية لمعاونات اخرى استطاع ان يحصل عليها.

وثالثا - فإن الدلائل واضحة على وجود تواطؤ استعماري معه.. يحاول ان يستفيد من عبرة التواطؤ المكشوف السابق سنة 1956 فيغطي نفسه هذه المرة بلوم وحيث.. ومع ذلك فالثابت الان ان حاملات طائرات امريكية وبريطانية كانت بقرب شواطئ العدو تساعد مجهوده الحربي.. كما ان طائرات بريطانية اغارت في وضح النهار على بعض المواقع في الجبهة السورية وفي الجبهة المصرية.. الى جانب قيام عدد من الطائرات الامريكية بعمليات الاستطلاع فوق بعض مواقعنا.

ولقد كانت النتيجة المحققة لذلك ان قواتنا البرية التي كانت تحارب اكثر المعارك عنفا وبسالة في الصحراء المكشوفة وجدت نفسها في الموقف الصعب.. لان الغطاء الجوي فوقها لم يكن كافيا ازاء تفوق حاسم في القوى الجوية المعادية بحيث انه يمكن القول بغير ان يكون في ذلك اي اثر للانفعال او المبالغة.. ان العدو كان يعمل بقوة جوية تزيد ثلاث مرات عن قوته المعادية.

ولقد كان هذا هو ما واجهته ايضا قوات الجيش العربي الاردني التي قاتلت معركة باسلة بقيادة الملك حسين.. الذي اقول للحق وللأمانة انه اتخذ موقفا ممتازا. واعترف بأن قلبي كان ينزف دما وانا اتابع معارك جيشه العربي الباسل في القدس وغيرها من مواقع الضفة الغربية في ليلة حشد فيها العدو وقواه المتآمرة ما لا يقل عن اربعمائة طائرة للعمل فوق الجبهة الاردنية. ولقد كانت هناك جهود رائعة وشريفة. لقد اعطى الشعب الجزائري وقائده الكبير هواري بومدين بغير تحفظات.. وبغير حساب للمعركة.

وأعطى شعب العراق وقائده المخلص عبد الرحمن عارف بغير تحفظات وبغير حساب للمعركة.

وقاتل الجيش السوري قتالا بطوليا.. معززا بقوى الشعب السوري العظيم وبقيادة حكومته الوطنية.

واتخذت شعوب وحكومات السودان والكويت واليمن ولبنان وتونس والمغرب مواقف مشرفة.

ووقفت شعوب الامة العربية جميعا بغير استثناء على طول امتداد الوطن العربي موقف الرجولة والعزة.. موقف التصميم.. موقف الاصرار على ان الحق العربي لن يضيع ولن يهون.. وان الحرب دفاعا عنه ممتدة مهما كانت التضحيات والنكسات على طريق النصر الحتمي الاكيد. وكانت هناك امم عظيمة خارج العالم العربي.. قدمت لنا ما لا يمكن تقديره من تأييدها المعنوي.

لكن المؤامرة.. ولا بد ان نقول ذلك بشجاعة الرجال.. كانت اكبر واعتى.

ولقد كان تركيز العدو الاساسي على الجبهة المصرية التي دفع عليها بكل قوته الرئيسية من المدرعات والمشاة.. معززة بتفوق جوي رسمت لكم

من قبل صورة لابعاده. ولم تكن طبيعة الصحراء تسمح بدفاع كامل.. خصوصا مع التفوق المعادي في الجو.

ولقد ادركت ان تطور المعركة المسلحة قد لا يكون مواليا لنا.. وحاولت مع غيري ان نستخدم كل مصادر القوة العربية. ولقد دخل البترول العربي ليؤدي دوره ودخلت قناة السويس لتؤدي دورها وما زال هناك دور كبير مطلوب من العمل العربي العام وكلني ثقة في انه سوف يستطيع اداءه.

ولقد اضطرت قواتنا المسلحة في سيناء الى اخلاء خط الدفاع الاول.. وحاربت معارك رهيبه بالدبابات والطائرات على خط الدفاع الثاني.

ثم استجبنا لقرار وقف اطلاق النار امام تأكيدات وردت في مشروع القرار السوفيتي الاخير المقدم الى مجلس الامن وامام تصريحات فرنسية بأن احدا لا يستطيع تحقيق اي توسع اقليمي على اساس العدوان الاخير.. وامام رأى عام دولي.. خصوصا في آسيا وافريقيا.. يرى موقنا ويشعر ببشاعة قوة السيطرة العالمية التي انقضت علينا. وامامنا الان عدة مهام عاجلة.

المهمة الاولى : ان نزيل اثار هذا العدوان علينا.. وان نقف مع الامة العربية موقف الصلابة والصمود.. وبرغم النكسة فإن الامة العربية بكل طاقاتها وامكانياتها قادرة على ان تصر على ازالة اثار العدوان.

والمهمة الثانية : ان ندرك درس النكبة.. وهناك في هذا الصدد ثلاث حقائق حيوية :

1- ان القضاء على الاستعمار في العالم العربي يترك اسرائيل بقواها الذاتية. ومهما كانت الظروف.. ومهما طال المدى.. فإن القوى الذاتية العربية اكبر واقدر على الفعل.

2- ان اعادة توجيه المصالح العربية في خدمة الحق العربي ضمان اولي.. فإن الاسطول الامريكى السادس كان يتحرك ببترول عربي.. وهناك قواعد عربية وضعت قسرا وبرغم ارادة الشعوب وبرغم ارادة الشعوب في خدمة العدوان.

3- ان الامر الان يقتضي كلمة موحدة تسمع من الامة العربية كلها.. وذلك ضمان لا بديل له في هذه الظروف..

نصل الان الى نقطة هامة في هذه المكاشفة بسؤال انفسنا هل معنى ذلك اننا لا نتحمل مسؤولية في تبعات هذه النكسة.

واقول لكم بصدق- وبرغم اية عوامل قد اكون بنيت عليها موقفي في الازمة- فإنني على استعداد لتحمل المسؤولية كلها، ولقد اتخذت قرارا اريدكم جميعا ان تساعدوني عليه لقد قررت ان اتنحى تماما ونهائيا عن اي منصب رسمي واي دور سياسي.. وان اعود الى صفوف الجماهير.. أؤدي واجبي معها كأى مواطن آخر. ان قوى الاستعمار تتصور ان جمال عبد الناصر هو عدوها، واريده ان يكون واضحا امامهم انها الامة العربية كلها وليس جمال عبد الناصر. والقوى المعادية لحركة القومية العربية تحاول تصويرها دائما بأنها امبراطورية لعبد الناصر.. وليس ذلك صحيحا لأن امل الوحدة العربية بدأ قبل جمال عبد الناصر، وسوف يبقى بعد جمال عبد الناصر، ولقد كنت اقول لكم دائما ان الامة هي الباقية.. وان اي فرد مهما كان دوره.. ومهما بلغ اسهامه في قضايا وطنه هو اداة لارادة شعبية وليس هو صانع هذه الارادة الشعبية وتطبيقا لنص المادة 110 من الدستور المؤقت الصادر في شهر مارس سنة 1964.. فلقد كلفت زميلي وصديقي واخي زكريا محي الدين بأن يتولى منصب رئيس الجمهورية.. وان يعمل بالنصوص الدستورية المقررة. وبعد هذا القرار فإنني اضع كل ما عندي تحت طلبه، وفي خدمة الظروف الخطيرة التي يجتازها شعبنا.

انني بذلك لا اصفى الثورة.. ولكن الثورة ليست حكرا على جيل واحد من الثوار. واني لاعتز باسهام هذا الجيل من الثوار.

لقد حقق جلاء الاستعمار البريطاني وحقق استقلال مصر وحدد شخصيتها العربية.. وحارب سياسة مناطق النفوذ في العالم العربي.. وقاد الثورة الاجتماعية.. واحداث تحولا عميقا في الواقع المصري.. اكد تحقيق سيطرة الشعب على موارد ثروته.. وعلى ناتج العمل الوطني.. واسترد قناة السويس.. ووضع اسس الانطلاق الصناعي في مصر وبنى السد العالي ليفرش الخضرة الخصبة على الصحراء المجدبة.. ومد شبكات الكهرباء المحركة فوق وادي النيل الشمالي كله.. وفجر موارد البترول بعد انتظار طويل.. واهم من ذلك وضع على قيادة العمل السياسي.. تحالف قوى الشعب العاملة.. الذي هو المصدر الدائم لقيادات متجددة تحمل اعلام النضال الوطني والقومي مرحلة بعد مرحلة.. وتبني الاشتراكية وتحقق وتنتصر.

ان ثقتي غير محدودة بهذا التحالف القائد للعمل الوطني، للفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية، ان وحدته وتماسكه والتفاعل

الخلق داخل اطار هذه الوحدة قادرة على ان تصنع بالعمل وبالعامل الجاد وبالعامل الشاق -كما قلت اكثر من مرة- معجزات ضخمة في هذا البلد ليكون قوة لنفسه ولامته العربية ولحركة الثورة الوطنية وللسلام العالمي القائم على العدل.

ان التضحيات التي بذلها شعبنا وروحه المتوقدة خلال فترة الازمة والبطولات المجيدة التي كتبها الضباط والجنود من قواتنا المسلحة بدمائهم سوف تبقى شعلة ضوء لا تنطفئ في تاريخنا والهامة عظيما للمستقبل وآماله الكبار.

لقد كان الشعب رائعا كعادته.. اصيلا كطبيعته.. مؤمنا صادقا مخلصا.

وكان افراد قواتنا المسلحة نموذجا مشرفا للانسان العربي في كل زمان ومكان.

لقد دافعوا عن حبات الرمال في الصحراء الى اخر قطرة من دمهم. وكانوا في الجو -وبرغم التفوق المادي- اساطير للبذل والفداء والاقدام والاندياع الشريف الى اداء الواجب انبل ما يكون اداؤه.

ان هذه ساعة للعمل وليست ساعة للحزن، انه موقف للمثل العليا وليس ولأية انانيات او مشاعر فردية.

ان قلبي كله معكم. واريد ان تكون قلوبكم كلها معي. وليكن الله معنا جميعا املا في قلوبنا وضياء وهدى.



## **انعكاس هزيمة حزيران على الاوضاع الاقتصادية والمالية في دول المواجهة.**

لقد كان تدهور الاوضاع المالية والاقتصادية والخسائر بالاسلحة والمعدات التي منيت بها الجيوش العربية دافعا لنجاح مؤتمر القمة في مدينة الخرطوم، وانسحاب الجيش المصري من اليمن، كما اتاحت المساعدات التي قدمتها الكويت والسعودية وليبيا بناء الجيشين المصري والاردني، ومكنت مصر من متابعة

حرب الاستنزاف وفي خوض حرب تشرين عام 1973، وفيما يلي كشف للاوضاع الاقتصادية والمالية في مصر والاردن وسورية بعد حرب حزيران نشرته جريدة لوموند الفرنسية بتاريخ 1967/9/3.

ادت الحرب الصاعقة التي شنتها اسرائيل في حزيران الماضي في قلب معالم خريطة الشرق الاوسط وجرت فوضى اقتصادية يتضح مداها تدريجيا، ولقد بلغ من هذه الفوضى انها هي التي تفسر لنا الى حد بعيد نتائج مؤتمر الخرطوم.

ولقد كانت الاردن ومصر اكثر الدول الاربعة المحيطة باسرائيل، تأثرا بالحرب، ويمكن القول بلا مبالغة ان الاردن يقف على حافة الخراب.

وفي الوقت الذي نجد فيه ان الحرب الاسرائيلية العربية الاولى عام 1948 قد اتاحت لشرقي الاردن ضم اراض هامة من فلسطين وان ازمة السويس عام 1956 لم تسبب لهذا البلد اي خسارة جدية، نجد النزاع الحالي قد اصابها في قواها الحيوية.

ومنذ انشاء دولة الاردن لم ينجح اي وزير مالية في موازنة ميزانيتها بدون عون اجنبي، وكانت المملكة المتحدة حتى عام 1956، تدفع مساعدة تبلغ 12.5 مليوناً من الليرات الاسترلينية لنفقات الفليق العربي. وبعد تسريح الجنرال الانكليزي غلوب باشا الذي كان يقود جيش البدو (أذار 1956) طلب الاردن من الدول الشقيقة عونا مشتركاً لم يدفع الا فترة قصيرة ثم انقطع بسبب الخلافات ما بين الدول العربية. ومنذئذ حلت الولايات المتحدة محل بريطانيا في دور حامية وممولة الاردن. وقد بلغ العون الامريكى للاردن عام 1966، 32 مليون دولار نقداً ومثل هذا المبلغ من المساعدات المختلفة الاخرى. واذا كانت المعونة البريطانية لا تزيد حالياً على 1.300.000 ليرة استرلينية، فإن مجموع ما يتلقاه الاردن من معونات خارجية يبلغ 100 مليون دولار.

ان الميزان التجاري الاردني الذي يشكو ابداً من عجز باهظ، قد زاد في هذا المضمار بنسبة تطور البلاد، ففي عام 1966 اعطت الصادرات 12.5 مليوناً من الدنانير مقابل 10 ملايين في السنة السابقة بينما ارتفعت الواردات الى 65.7 مليون دينار مقابل 65 مليوناً عام 1965. وعلى الرغم من العجز التجاري الكبير فإن ميزان المدفوعات في عام 1966 كما في عام 1965 لم يشك إلا

من عجز قليل (حوالي 5 ملايين دينار) وذلك بفضل مداخيل السياحة والمعونة الاجنبية بالدرجة الاولى.

ومع ذلك، ومنذ حوالي عشر سنوات، تسجل الاردن تقدما، حتى ان نسبة تطور اقتصادياتها يبدو افضل مستوى في المنطقة. وتدل الحسابات الوطنية على ان الانتاج القومي الصافي قد ارتفع من 97 مليون دينار عام 1959 الى 159 مليون دينار عام 1966، اي بمعدل 54% للمدة كلها وبمعدل 9% المتوسط السنوي، واذا ما اخذنا بالاعتبار ضآلة ارتفاع الاسعار وجدنا ان التقدم الحقيقي لا يقل عن 8%، والنمو قد بلغ 12.5% عام 1965 واذا كان هذا المعدل قد انخفض في السنة الماضية الى 3% فما ذلك الا بسبب جفاف طارئ.

ويشكل الانتاج الزراعي، في الواقع، ربع الانتاج الوطني، اما الصناعة، بما فيها العمران، فهي تشكل 15% والباقي يأتي من الخدمات والتجارة، الا ان الزراعة في البلاد تقوم على الضفة الغربية للاردن التي تنتج ثلاثة ارباع الموارد الزراعية كلها. اما وقد سقطت هذه الضفة في قبضة اسرائيل فلنا ان نقدر مدى الكارثة، ويتوجب على البلاد لكي توفر العيش لابنائها ان تستورد، مع النقص الذي لحق بسكانها، ما قيمته 20 مليون دينار من المنتجات الزراعية والغذائية ومن السهل الادراك لماذا تشجع الحكومة الاردنية اللاجئين على العودة الى الضفة الغربية الخصبة للاردن.

اضف الى ذلك ان نقص الحركة السياحية يزيد من خطر الكارثة، ففي العام الماضي زار البلاد، اي الاماكن المقدسة، 650 الف سائح، وهذه الاماكن تقع اليوم في القطاع الاسرائيلي فلا خرائب عمان الرومانية ولا مدينة بتراء الذائعة الضائعة في الصحراء تستجلب موجات السياحة، ومن السخريات المرة انه بات بوسع الاسرائيليين استثمار الفنادق الجديدة التي بنيت في القدس في اطار برنامج تطوير السياحة الاردنية.

وقسم صغير من صناعة البلاد، بمصانع الزيت في نابلس ومصانع المعلبات في الخليل، وقعت ايضا في ايدي الاسرائيليين، ومع ذلك فالمهم ان مناجم الفوسفات وصناعة البوتاس على البحر الاحمر قد افلتت من الاحتلال.

وثمة خسارة اخرى باهظة، عائدات شركة التابلاين (1.5 مليون دينار سنويا) وذلك لقاء نقل البترول السعودي الذي يضخ الى صيدا (لبنان) وقد



اوقفت هذه العائدات منذ نشوب القتال على اعتبار ان الانابيب تجتاز في طريقها المنطقة المحتلة من سوريا.

وهكذا، وحتى اذا كان الملك حسين لا يسعى الى اعادة بناء جيشه الذي اصيب بخسائر فادحة في المعارك، فعليه ان يستورد بحوالي 20 مليون دينار من المنتجات الزراعية مع نقص في مداخل السياحة وعائدات البترول بما قيمته 16 مليونا من الدنانير، وفي مثل هذه الشروط فإن توازن ميزان المدفوعات يتطلب عونا خارجيا مضاعفا، اي في حدود 200 مليون من الدولارات، فإن لم يحدث شيء من ذلك فإن الاحتياطي سوف ينضب في اقل سنتين .

اما في يتعلق بالاقتصاد المصري فإنه كالاقتصاد الاردني لم يسبق له ان تأثر فعلا بالاصطدامات الماضية مع اسرائيل. ففي عام 1956 كانت قناة السويس المؤممة حديثا قليلة الدخل الامر الذي جعل اغلاقها خفيف الوطأة على الاقتصاد. وبالمقابل كان لتمصير المؤسسات الفرنسية والانكليزية التي قدرت حينذاك بعشرة ملايين ليرة استرلينية اثر طيب في زيادة الاملاك الوطنية والخسارة العسكرية نفسها تم التعويض عنها بالاستيلاء على القاعدة البريطانية في السويس واخذ اعتدة هامة كانت فيها، اما اليوم فالوضع يبدو على صورة مختلفة كل الاختلاف.

ومنذ وضع الخطة الخمسية (1960-1965) في التطبيق، وهي التي ترمي الى مضاعفة الدخل في هذه المدة، منذئذ والميزان التجاري وميزان المدفوعات لمصر يعانيان عجزا على الرغم من المعونة الخارجية التي بلغت 400 مليون دولار عام 1964، و250 مليون عام 1965، ان الشرط الاول الذي كان يهدف لزيادة سنوية بنسبة 7% واقعيا حقق هدفه تقريبا اذ ان الزيادة السنوية الوسطى بلغت 6.5% مع العلم بارتفاع الاسعار، الا ان ما توقعه واضعوا الخطة لم يتحقق في كل حال لأن الصناعة لا تستطيع ان توفر التقدم المنتظر بل الخدمات وذلك بفضل التقدم الشديد في مداخل قناة السويس.

ولتغطية العجز في الحسابات الخارجية، راحت السلطات المصرية تجر من احتياطيها بالعملة القابلة للتحويل، هذا الاحتياطي الذي انخفض من 223 مليون دولار في آخر عام 1964 الى 133 مليون في بداية 1967. وقد اجبر انخفاض الاحتياطي، ونقل الديون الخارجية، المسؤولين المصريين على

التخلي عن الشطر الثاني من الخطة (1965-1970) والاستعاضة عنه ببرنامج ثلاثي وضعت خطوطه بسرعة.

وهكذا جاءت الحرب مع اسرائيل في الوقت الذي كانت فيه سلطات القاهرة قد عمدت طائفة الى خفض التوظيفات الانتاجية لتتجنب ازمة في المدفوعات الخارجية. وهكذا زادت خسائر مصر في حرب الايام الستة من وضع كان متأزما قبل هذه الحرب. ان اغلاق قناة السويس يمثل خفضا في المدخول يناهز 23 مليون دولار شهريا أي اكثر من مجموع العون الخارجي المقدم عام 1965. اضعف الى ذلك ان الجيش الإسرائيلي يسيطر على ابار بترول سيناء التي تعطي حوالي 2.5 مليون طن سنويا اي ثلث انتاج مصر، وكذلك فإن واردات الجمارك والسياحة، حتى وان تأثرت مؤقتا، فسوف تنقص المدخول لعام 1967 بحوالي 115 مليون دولار. ان الوضع الراهن يفرض على مصر خفضا جديدا هاما في توظيفاتها، حتى وان لم يكن في مخططها شراء الاسلحة من الخارج للتعويض عن خسائرها، والموازنة العامة لعام 1967-68 التي نشرت عشية القتال رصدت توظيفات بقيمة 5، 477 مليون ليرة مصرية، منها 3، 403 مليون للصناعة والزراعة، 3، 74 مليون للخدمات واعيد النظر بسرعة في هذه الموازنة بعد الاحداث بشكل انقص المرصود لتوظيفات الخدمات بشكل واضح فأصبح 65 مليوناً من الليرات المصرية (380 مليون دولار) كما حددت الواردات تحديدا صارما. وهكذا نجد انه لا يكفي ان يضحى المصريون بانقاص استهلاكهم بل ان مستوى التوظيفات سيحول دون نمو مرتفع. ولما كان معدل نمو السكان 2.7% سنويا فإن التقدم واقعا يجب ان يتجاوز هذا الرقم لكي يتيح رفع مستوى المعيشة للفرد. وهكذا يبدو ان تطور البلاد في الوقت الحاضر قد اصيب بضرر كبير.

اما سوريا التي خسرت رقعة من الارض هامة استراتيجيا فإنها لم تتأثر لخسارة اقتصادية كبيرة لأن هذه الرقعة قليلة عدد السكان وسيئة الاستثمار، ان موسم الحبوب والقطن الذي لم تصبه الحرب بأذى يبدو ممتازا هذه السنة. اما تكاليف الحرب فتتمثل في نفقات فترة التعبئة القصيرة وقيمة المعدات المفقودة. ويجب ان نضيف الى ذلك عائدات البترول القادم من العراق والسعودية، وانخفاض الدخل الذي يمكن تحمله بسهولة يمثل اقل من 3% من الموازنة السورية، اما مدخول السياحة فلم يتأثر الا قليلا لأن سوريا البعثية لم تبذل كبير جهد في هذا المضمار لتطوير هذا المورد، وربما كان

الوضع الاقتصادي الجيد نسبيا هو الذي املى على حكام دمشق التصلب السياسي وعلى الرغم من ان لبنان كان اقل من سوريا اسهاما في الحرب فقد خرج منها بخسائر اكبر. فقد وقعت الحرب في الوقت الذي كانت فيه الازمة الناجمة عن افلاس بنك انترا ما تزال قائمة، فزادت الحرب من حدة هذه الازمة.

وقد تأثر النظام المصرفي في بيروت، وهي المركز المالي الرئيسي في الشرق الاوسط، بالوضع الراهن وواجه متاعب من جراء سحب ودائع هامة من قبل مودعين قلقين او حذرين، واخذت الودائع القصيرة الاجل التي تأتي عادة من بلدان عربية اخرى تقل شيئا فشيئا حتى اصبحت نادرة. وقد نقصت ودائع بنك لبنان من 346.8 مليون ليرة لبنانية في نهاية ايار الى 305.5 مليون ليرة في 15 تموز. كما ان قسما من العمال السوريين غير المختصين عادوا الى بلادهم الامر الذي سبب عجزا في اليد العاملة، اضعف الى ذلك تناقص في حركة السياحة تناقضا ملحوظا.

اما اقتصاديات البلدان العربية الاخرى في الشرق الاوسط مثل ليبيا والكويت والعربية السعودية والعراق، فهي لم تتأثر مباشرة بالحرب.

وفي اسرائيل؟ ان النصر كالهزيمة يخلق مشكلات اقتصادية. وقبل بدء النزاع عرفت البلاد بطالة مرتفعة نسبيا فلم تلبث التعبئة ان امتصتها بين ليلة وضحاها. واليوم، وبعد اقل من ثلاثة اشهر الحرب، وحتى قبل التسريح الكامل للمجندين، تجد 35 الفا يبحثون عن اعمال من اصل مجموعة من السكان العاملين تبلغ 950 الفا وهذا ما يعادل 3.6% من العاطلين عن العمل. وهذه الظاهرة المثيرة للدهشة تدل على ان استخدام الموارد بشكل ناقص مستمر. ويضاف الى مشكلة البطالة تكاليف ادارة الاراضي المحتلة. وتقول تقديرات مؤقتة وغير اكيدة ان الحد الادنى لهذه النفقات هو 100 مليون دولار. والواقع انه لا بد من اجل اجراء تقدير اكثر دقة، من معرفة الكيفية التي تنوي اسرائيل ان تدير بها المناطق المحتلة. وهل سيتم ذلك باستثمار مؤقت ام بعمليات انماء؟ وهل سيترب عليها ان تواجه مقاومة سلبية، ومعارضة عنيدة ام عقلية تعاونية؟ ومن المؤكد ان كلا من هذه الحالات يتطلب نفقات اكثر او اقل.

ويدل هذا الجرد المؤقت للاوضاع الاقتصادية في الدول المتصارعة في الشرق الاوسط على ان اقتصاديات كل من مصر واسرائيل كانت تعاني من المتاعب قبل الحرب.

اما الان فلا شك ان فتوحات اسرائيل توفر لها امتيازات اقتصادية، وبشكل خاص موارد سياحية متزايدة بسبب امتلاكها للاماكن المقدسة. ولكن هذه الفتوحات تلقي على كاهلها اثقالا جديدة لا يمكن قياس مداها بالقياس الى تطور جيرانها العرب، وان هذه التقديرات الاقتصادية من شأنها ان تحت على الحكمة وتبعد كل تصلب سياسي في هذه الجهة او تلك.

### **مؤتمر الخرطوم**

كان للصيغة البارعة التي صيغ بها بيان استقالة جمال عبد الناصر من رئاسة الجمهورية وتحمله مسؤولية الهزيمة اثرها البليغ ليس في مصر فحسب، بل في العالم العربي، وعلى المستويين الشعبي ومستوى الحكام والمسؤولين حتى ان عددا منهم في العراق والكويت واليمن والاردن ولبنان والجزائر قد ارسلوا لجمال عبد الناصر برقيات يرجونه فيها العودة عن الاستقالة والاستمرار في قيادة المعركة القومية، بالرغم من ان ناصر قد اوسع بعض هؤلاء الحكام حتى قبيل هزيمة حزيران انواع الاتهامات مع تحريض شعوبهم عليهم.

لقد هال العرب جميعا حجم الهزيمة، وساورهم الخوف على المنطقة باكملها، مما ادى الى دعم وتأييد مصر كأكبر بلد عربي، ودعم ناصر في قيادة المعركة القومية الذي كان لجرأته في تحمل المسؤولية ما اكد الثقة بقيادته، مع اقتناع الامة العربية انه لا امل باسترجاع الارض وايقاف اسرائيل عن التوسع والعدوان اذا انهار صمود مصر كأقوى دولة عربية فعليها معقود الرجاء في المستقبل، كما انه لا احد من نواب جمال عبد الناصر قادر على قيادة مصر والامة العربية.. لذلك كان تجاوب الدول العربية جميعا مع الدعوة لمؤتمر القمة الذي مهد له محمد حسنين هيكل في مقاله الاسبوعي، في جريدة الاهرام. بايعاز من جمال عبد الناصر.

ومن الحق القول ان الحكام العرب كانوا مخلصين جميعا في تلبيتهم هذه الدعوة للمساهمة بازالة العدوان والنهوض من هذ النكسة، وكان الجو العربي في تأييد مصر وعبد الناصر شبيها بالجو الذي ساد المنطقة العربية عام 1965 بعد تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي على مصر، الامر الذي رفع جمال عبد الناصر الى زعامة الامة العربية، فقد كان الامن القومي دائما من اعظم الدوافع لوحدة هذه الامة.

بتاريخ 67/8/26 اجتمع وزراء الخارجية العرب في الخرطوم لوضع جدول اعمال مؤتمر القمة الذي تقرر انعقاده في المدينة نفسها بتاريخ 67/8/29 وكان من بين البنود التي يتضمنها جدول الاعمال :

- 1- تشكيل لجنة من بعض الدول العربية لاجراء المصالحة في اليمن بين الملكيين والجمهوريين.
- 2- قضية قطع العلاقات السياسية مع الولايات المتحدة بالنسبة لبعض الدول العربية التي لم تقطع العلاقات معها.
- 3- قضية سحب الارصدة العربية من منطقة الاسترليني والدولار ومتابعة وقف ضخ البترول العربي للدول التي تساند اسرائيل.



وكان الاتفاق قد تم بين السعودية ومصر قبيل انعقاد مؤتمر وزراء الخارجية العرب على انسحاب الجيش المصري تدريجيا من اليمن حسب اتفاقية جدة، كما نص هذا الاتفاق على قيام نظام جمهوري في اليمن بعد اقضاء رئيس جمهوريتها المشير عبد الله السلال، وكان تحقيق المصالحة والتفاهم على النظام الجديد في اليمن عاملا حاسما في نجاح مؤتمر القمة وتخصيص المعونات المالية من الدول العربية النفطية لمصر والاردن الذي كان لا بد منه ليس فقط لمتابعة مصر قيادتها لازالة العدوان، وانما كان ضروريا لاستمرار نظام جمال عبد الناصر بعد ان فقدت مصر في الحرب موارد قناة السويس وحقول النفط في سيناء وبعد تكبدها الخسائر الفادحة في السلاح.

وقبل ان نستعرض ما جرى في مؤتمر قمة الخرطوم من مناقشات ومدخلات لا بد من الاشارة الى بعض الخلافات التي جرت بين بعض المشتركين في هذا المؤتمر:

لقد حرد المشير عبد الله السلال وانقطع عن حضور جلسات المؤتمر احتجاجا على الاتفاق الذي جرى بين السعودية ومصر بمعزل عنه، لانه اوجس بأن هذا الاتفاق سيكون على حساب اقصائه عن رئاسة الجمهورية، فقد كان السلال من اشد المحرضين ضد السعودية حتى انه كان يطالب باطلاق الصواريخ المصرية عليها!<sup>(10)</sup>

أما اسباب الخلاف بين الشقيري وجمال عبد الناصر فلأن ناصر طالب باطلاق الحرية للملك حسين لاسترداد الضفة الغربية والقدس بالتفاهم مع الولايات المتحدة، وهذا ما أغضب الشقيري الذي تمكن من ارغام المؤتمر على وضع لآته الثلاث في البيان الختامي للمؤتمر باسم الفلسطينيين الذين تعزز موقفهم بعد انطلاق العاصفة، الجناح المسلح لفتح، وبعد هزيمة الدول العربية في الخامس من حزيران.

اما النظام السوري فقد استمر بتوزيع الاتهامات ووضع اربعة شروط لحضور اي مؤتمر قمة عربي وهي :

(10) اقصي السلال بعد الانقلاب عليه بتاريخ 1967/11/7 وحدث هذا الانقلاب عشية اليوم الذي تقرر فيه عقد مؤتمر المصالحة اليمني الذي دعت الي عقده مصر والسعودية، وقد صرح القاضي الازباني الذي اصبح رئيسا للدولة بعد الانقلاب بأن الحكومة ستجري محادثات المصالحة بين الملكيين والجمهوريين اليمنيين دون وسيط، ولكن حكومة الانقلاب ستستمر في تنفيذ السياسة والاهداف والمبادئ التي جاءت بها ثورة 1962/9/26، كما صرح احمد النعمان عضو المجلس الجمهوري الجديد الذي كان لاجئا الى لبنان بعد اعتقاله في مصر بأن المجلس سيعمل على تنفيذ مقررات (مؤتمر خمر) للسلام والتعاون بين جميع القبائل الملكية والجمهورية، وكان احمد النعمان احد اعضاء الوفد الحكومي اليمني، برئاسة العمري، الى القاهرة حيث اعتقلوا فيها خلال عام 1966 "وعند انعقاد مؤتمر الخرطوم كان لا يزال ثمانية عشر زعيما سياسيا يمنيا من الجمهوريين المستقلين ما يزالون سجناء في مصر لأنهم ظلوا مخلصين للاهداف التي حددها مؤتمر خمر وهي جمهورية يمنية مستقلة عن كل سيطرة اجنبية، سلطة ديمقراطية تقدمية تحقق برامج من التطور لمساعدة البلاد على الخروج من الوضع الفاجع الذي تعيش فيه حاليا" كما صرح بذلك سعيد العطار الوزير السابق والناطق باسم الجمهوريين المستقلين لجريدة لوموند الفرنسية بتاريخ 1967/9/2.

لقد زارني احمد النعمان، وهو رجل محترم، ومن زعماء اليمن يرافقه ولده محمد اثناء لجوئه في لبنان بعد خروجه من السجن، وروي لي ما قاساه الجمهوريون اليمنيون الذين اعتقلتهم المخابرات المصرية في القاهرة.

- 1- الاعلان عن ان الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا وقفت الى جانب اسرائيل في حرب حزيران.
- 2- الاعلان بأن الدول الاشتراكية والقوى المتحررة هي الحليف الطبيعي للنضال العربي، والعمل على توثيق العلاقات العربية معها.
- 3- اشتراك الاسلحة الاقتصادية والعسكرية والسياسية في المعركة القومية.
- 4- ازالة آثار العدوان.

هذا ما اذاعه راديو دمشق بتاريخ 67/7/13.

كما ان حافظ اسد وزير الدفاع وقائد الطيران اقام هدنة مؤقتة مع صلاح جديد بعد ان اصبح مصيرهما مهددا بسبب المسؤولية المشتركة، بينما رجحت كفة وزير الخارجية ابراهيم ماخوس وعبد الكريم الجندي وغيره من الضباط المتطرفين القائلين بعدم الاشتراك بمؤتمر القمة العربي.

ولكن يبقى هذا السؤال مطروحا :

ما هو السبب الحقيقي في مجيء ماخوس الى الخرطوم للاشتراك في المؤتمر ثم بقاءه في الفندق دون ان يحضر جلسات المؤتمر بعد انعقاده، ثم رجوعه بعد ثلاثة ايام الى دمشق؟

**ان السبب الحقيقي لعدم حضور ماخوس المؤتمر حيث بقي ثلاثة ايام منتظرا ما تقرره دمشق، فلأن نية المؤتمرين كانت تتجه لاستجواب وزير الخارجية السوري عن الاسباب التي دعت سورية لعدم خوض المعركة، خلال انشغال الجيش الاسرائيلي في المعركة مع مصر، مع انها كانت سببا من اسباب الازمة وكانت تحرض على الحرب مع اسرائيل.**



لقد حضر مؤتمر الخرطوم الذي انعقد بتاريخ 1967/8/29 كل من : جمال عبد الناصر والملك حسين، وعبد الرحمن عارف عن العراق، والامير صباح السالم الصباح عن الكويت وشارل الحلو عن لبنان وعبد الله السلال عن اليمن والامير حسن الرضا ولي عهد ليبيا، واحمد الشقيري عن منظمة التحرير، وعبد العزيز بوتفليقة وزير خارجية الجزائر ممثلاً للرئيس يومدين، ومحمد بن هيمة رئيس وزراء المغرب عن الملك الحسن الثاني والباهي الادغم رئيس وزراء تونس مندوباً عن الرئيس بورقيبة، بالإضافة الى ابراهيم ماخوس الذي حضر الى الخرطوم ثم غادر بعد ثلاثة ايام دون حضور اي من جلسات المؤتمر.



في الجلسة الرسمية التي اعلن فيها انعقاد المؤتمر بحث المجتمعون موضوع الدعم المالي لدول المواجهة ونصيب ما ستدفعه كل دولة من الدول البترولية، فأعلن الملك فيصل ان السعودية ستساهم بمبلغ 50 مليون جنيه استرليني من اجمال المبلغ المقرر وهو 135 مليون، ثم تبعه الامير صباح السلام الصباح الذي تعهد بأن تدفع الكويت مبلغ 55 مليون جنيه كما تعهدت ليبيا بأن تدفع المبلغ المتبقى وهو 30 مليون، مع ملاحظة ان هذه المساعدة قدرت نسبتها 20% من واردات تلك الدول آنذاك. وقد قرر المؤتمر أن يكون نصيب الاردن من المساعدات 40 مليون جنيه بينما يكون نصيب مصر 95 مليون جنيه وان تدفع هذه المبالغ لمصر والاردن على اربعة اقساط سنوية، كما تقرر اعادة ضخ البترول للولايات المتحدة والمانيا الغربية وبريطانيا وهي الدول التي قطع عنها البترول بعد حرب حزيران.

وفي الجلسة المسائية التي تلت جلسة الافتتاح القى عبد الناصر كلمته ثم تبعتها كلمات الملك فيصل والملك حسين والشقيري في الجلسة التالية والتي جرت فيها ايضا بعض المناقشات والمداخلات وفيما يلي خلاصة عن ذلك، مأخوذة من



مذكرات محمود رياض وزير الخارجية المصري (ص121-127) ومن صحيفة الحياه التي غطت اخبار المؤتمر فترة انعقاده:

قال عبد الناصر : "يجب ان نضع في حساباتنا نقطتين اساسيتين عندما نتعرض لموضوع العمل السياسي لازالة اثار العدوان، وهما الاعداد العسكري والصمود الاقتصادي، ولا شك في ان القرار الذي اتخذ في الجلسة السابقة والخاص بالدعم الاقتصادي سيساعدنا كثيرا على الصمود، ويجب علينا ان نضع في حساباتنا ايضا ان هناك اتفاقا بين امريكا والاتحاد السوفياتي على حل القضية بالصيغة التي عبر عنها المشروع الذي كان مطروحا على الجمعية العامة والذي ارتكز على نقطتين رئيسيتين، هما: انتهاء حالة الحرب وانسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة. وارجو ان يكون مفهوما لدينا جميعا اننا عندما نتكلم عن العمل السياسي فإن ذلك لا يعني اننا سنأخذ فقط، بل سنعطي ايضا. وهنا يجب ان نبحث ما سوف نعطيه. وبمعنى آخر، ما الذي نستطيع ان نعطيه. ان الموقف العالمي الان يختلف تماما عما كان عليه عام 1956. ففي ذلك العام اتفقت كل من امريكا والاتحاد السوفياتي على الوقوف في وجه العدوان الثلاثي. اما الان في عام 1967 فقد اتفقت امريكا والاتحاد السوفياتي على حق اسرائيل في الوجود كما اتفق الاثنان ايضا على انتهاء حالة الحرب".

واضاف عبد الناصر : "ان العمل السياسي شاق ويحتاج الى نضال عنيف، ان الموقف السياسي بالنسبة لينا في مصر اختلف كثيرا بعدما اتخذنا اليوم قرار الدعم الاقتصادي لدول المواجهة، لان الامريكان كانوا يعتقدون اننا سوف نستسلم بعد ستة اشهر. لكن هذا الدعم سيمكننا من الصمود. وموقفنا في مصر يختلف كثيرا عن موقف الملك حسين في الاردن، لأننا في مصر نستطيع ان نصمد سنة وستين واكثر. اننا في مصر نستطيع الانتظار حتى نستكمل استعدادنا العسكري وعندئذ نقوم بالعمل الوحيد الذي تفهمه اسرائيل جيدا. وهو تحرير الارض بالقوة. من هنا فإنني لست قلقا بالنسبة للموقف في مصر ولكن ما يقلقني حقيقة هو الموقف في الضفة الغربية وهنا يجب ان نسأل انفسنا: هل عامل الوقت بالنسبة للضفة الغربية سيكون في صالحنا ام لا؟ انا شخصا اعتقد انه لن

يكون في صالحنا على الاطلاق. انني اتبع بالتفصيل كل ما يحدث في اسرائيل اليوم. لقد اندمجت الاحزاب الثلاثة التي تمثل قمة التطرف في اسرائيل، في كتلة واحدة تحت اسم "ليكود" وهذه الكتلة تصر على الاحتفاظ بالضفة الغربية بأكملها وعدم التخلي عن اي شبر منها. ولهذا يجب ان نسرع بالتحرك ونبذل اقصى جهدنا لاستعادة القدس والضفة الغربية بالوسائل المتاحة ونبذل اقصى جهدنا لاستعادة القدس والضفة الغربية بالوسائل المتاحة لدينا في الوقت الحاضر. لاننا لو تأخرنا قليلا فلن تعود القدس ولن تعود الضفة الغربية".

ثم استرسل عبد الناصر: وهنا ينبغي ان نطرح على انفسنا سؤالا اخر. هل يمكن استعادة الارض المحتلة عن طريق الحل العسكري؟ اعتقد ان الاجابة واضحة على هذا السؤال. وهي ان هذا الطريق ليس مفتوحا امامنا في الوقت الحاضر. اذن ليس امامنا سوى طريق واحد الان هو العمل السياسي من اجل استعادة الضفة الغربية والقدس وعندما حضر الينا الملك حسين في القاهرة كنت اشعر بالمشكلة الحقيقية بالنسبة للضفة الغربية. كنت أتألم من اجلها ومن اجل اهلها. كان احساسي بها والمي لها اضعاف المي لسيناء، لان الضفة الغربية مزدحمة بسكانها الفلسطينيين وقد سقطوا الان في قبضة الاحتلال اليهودي، في الوقت الذي نقف نحن مكتوفي الايدي لا نستطيع ان نفعل شيئا من اجلهم. ان سيناء تكاد تكون خالية من السكان، كما ان مصر لن تهدأ لحظة عن تحريرها حتى ولو اضطرت الى تقديم عشرات الالوف من الشهداء. لكن اطماع اليهود في الضفة الغربية قديمة ومعروفة. انهم يطلقون عليها اسم "يهودا والسامرة" ويعتبرونها جزءا من "ارض الميعاد". لهذا ابلغت الملك حسين انه من اجل استعادة الضفة الغربية والقدس له الحق في ان يتخذ كافة الوسائل المناسبة ما عدا التفاوض مع اسرائيل. كما ذكرت له اننا لا نمانع في ان يواصل تحسين علاقاته ببريطانيا واميركا من اجل الهدف نفسه. ذلك لأنني اعتبر ان كل يوم يمر على الضفة الغربية وهي تحت الاحتلال الاسرائيلي هو خطوة على طريق ربطها باسرائيل. لا بد ان ندرك جميعا ان هناك امرا حيويا وعاجلا. وهو استعادة الضفة الغربية والقدس في اقرب وقت. ومن اجل تحقيق

هذا الهدف العاجل، فقد قلت للملك حسين ان له ان يقوم بأي اجراء يراه مناسباً ما عدا الصلح مع اسرائيل والتفاوض معها. واكرر هنا اليوم في هذه القاعة وامامكم جميعاً، لان اي تأخير في استعادة القدس والضفة الغربية سيساعد على تغيير معالمها لتصبح في النهاية جزءاً من اسرائيل، نحن في مصر نتعرض لضغط من امريكا اكثر مما يتعرض له الملك حسين في الاردن، الا اننا نستطيع، كما سبق ان قلت، ان نناضل سياسياً وان نرفض المقترحات الامريكية غير اننا لا نرى ضرراً من قبول المشروع اليوغوسلافي على اعتبار اننا في الوقت الحاضر عاجزون عن القيام بعمل عسكري وليس امامنا الا العمل السياسي(11) .

وقال عبد الناصر : لقد ابغني الرئيس تيتو انه كان مستعداً للسفر الى موسكو ليتفق مع قادة الكرملين على ان يحل المشروع اليوغوسلافي محل النقاط الخمس التي تطرحها امريكا، لكن الامريكيين لن يقبلوا بالمشروع اليوغوسلافي لانه ينص على اعادة اراضي المحتلة. الامريكان لن يقبلوه لانهم يريدون اذلالنا ولانهم يخططون لتمكين اسرائيل من السيطرة على المنطقة العربية. وفي رأبي ان مقترحات تيتو ستؤدي بنا الى حل سياسي مقبول. واذا كنا هنا لن نتمكن من التوصل الى الاتفاق الموحد على مشروع معين. فإني ارى ان يذهب الملك حسين كي يتفاهم مع الامريكان ويتفق معهم على استرجاع الضفة الغربية وانا مستعد لكي اعلن هذا الكلام على الملأ، لأن امريكا وحدها هي التي تستطيع ان تأمر اسرائيل برفع يديها عن الضفة الغربية".

وفي الجلسة الثانية قدم الملك حسين للمؤتمرين مذكرة مفصلة، ثم القى كلمة جاء فيها:

"اننا نقف عند مفترق طريق يؤدي بنا اما الى العزة والكرامة واما الى الذل، ويبدو لي انه يتوجب علينا ان نستعرض مركزنا قبل المعركة وبعدها وكذلك في هذه اللحظة، ويجب علينا ان نجابه الحقائق والاختفاء بصراحة

(11) كان مشروع المرشال تيتو يقضي بقبول ضمانات دولية للحدود والسلامة الاقليمية لكل دول الشرق الأوسط، مع ضمان حرية الملاحة الاسرائيلية، ومقابل ذلك يترتب على اسرائيل سحب قواتها من جميع الاراضي التي احتلتها، وقد وضع تيتو هذا المشروع الذي قدم لمجلس الامن بالاتفاق مع عبد الناصر عندما زار القاهرة من أوائل آب 1967، ولكن الموقف الاسرائيلي كان رافضاً هذه الضمانات بحجة ان وجود قوات الأمم المتحدة في سيناء لم يمنع مصر من سحبها والعودة الى منع الملاحة الاسرائيلية في خليج العقبة.

ورجولة، وان التغني بالامجاد لا يؤدي الى المجد والذي يغني في الظلام لا يخلص نفسه من الخوف، ان الكفاح ضد عدونا المشترك يجب ان يبدأ بالكفاح مع انفسنا"

ثم شرح الملك حسين في كلمته خسائر الاردن نتيجة العدوان فقال : ان الاردن خسر في المعركة 170 دبابة وحوالي ثلاثة آلاف قطعة من الآليات ونحو ستة آلاف قتيل، وتقدر خسائره المالية بـ 170 مليون دينار، وهو يعاني الان عجزا في الميزانية يقدر بـ 50 مليون دينار.

ثم اكد الملك على عروبة الضفة الغربية والقدس وقال انه تلقى رسالة من انور الخطيب محافظ مدينة القدس يؤكد فيها ان ابناء الضفة الغربية يعلقون آمالا كبيرة على نتائج مؤتمر القمة، وأنهم يخشون في حالة عدم وصول المؤتمر لمواقف عربية موحدة حاسمة ان يكون مصيرهم كمصير رفاقهم من الفلسطينيين عام 1948... ثم قال :

"ان الوضع في الضفة الغربية هو في غاية السوء والصعوبة وحتى لو اعدنا بناء قواتنا العسكرية من جديد فإننا لن نتمكن من تحرير الارض في وقت قريب. وفي الوقت نفسه فإننا إذا تركنا الضفة الغربية في ايدي اسرائيل لفترة طويلة سيكون من الصعب علينا استرجاعها بعد ذلك. ان القضية ليست قضية الضفة الغربية وحدها بل هناك القدس، ومستقبلها لا يهم الفلسطينيين والعرب وحدهم بل يهم المسلمين والمسيحيين في كل مكان. ومنذ ان توقف القتال اصدرت الامم المتحدة قرارات عديدة بشأن القدس لكن اسرائيل لم تحترم قرارا واحدا من قرارات الامم المتحدة، وبهذا تكون قد تحدت العالم بأسره".

وعلق الملك فيصل قائلا :

"استمعت الى حديث كافة الاخوان بكل تقدير واتباه واسمحوا لي ان اعبر عن رأيي بصراحة تامة. ان الهدف والجرح والنكبة كلها واحدة. وما الاختلاف بيننا إلا في اتباع الوسائل والاساليب فقط. لذلك يجب الا ينفض هذا الاجتماع الا عن رأي موحد كما يجب ان تصدر عنه قرارات ومشروعات واضحة ومفهومة للجميع. اما بشأن ما تفضل به فخامة الرئيس جمال عبد الناصر حول موضوع الاتصال بالامريكان فأحب ان اكون واضحا كل الوضوح، نحن، قبل النكسة وبعدها كنا ومازلنا على اتصال بالامريكان تقريبا كل يوم. لقد وصلتني

اخيرا رسالة من الرئيس الامريكى جونسون وقمت بالرد عليها فورا. قلت لجونسون انني كصديق أنصح الولايات المتحدة أن تقوم بشجب العدوان الاسرائيلي وان تلعب دورا يتناسب مع حجمها العالمي لسحب اليهود من الاراضي العربية. وقلت له ايضا ان مثل هذا الاجراء هو اقل ما ننتظره من دولة عظمى صديقة ومحبة للسلام".

ثم تحدث احمد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية فقال :  
"ان موضوع الضفة الغربية خطير والألام التي يتعرض لها شعبنا تهنزنا جميعا وتفرغنا على مصير قضية فلسطين. ان منظمة التحرير الفلسطينية قد حددت موقفها من القضية في المبادئ الستة التي وزعتها على المؤتمر". وكان الشقيري قد وزع على المؤتمر مذكرة باسم المنظمة طالب فيها بتبني المؤتمر لستة مبادئ هي :

أولا : لا صلح ولا تعايش مع اسرائيل.

ثانيا : رفض المفاوضات مع اسرائيل.

ثالثا : عدم الموافقة على اية تسوية تمس القضية الفلسطينية وتؤدي الى تصفيتها.

رابعا : عدم التنازل عن قطاع غزة والضفة الغربية والتأكيد على عروبة القدس.

خامسا : عدم انفراد اي دولة عربية بقبول اي حلول لقضية فلسطين.

سادسا : التركيز على ان قضية فلسطين برغم انها قضية عربية مصيرية، الا ان شعب فلسطين هو صاحب الحق الاول من تقرير مصيره.

ثم استأنف الشقيري كلمته قائلا : "ان تلك المبادئ الستة قد تم وضعها بعد تفكير عميق ودراسة هادئة. واننا نشعر شعورا امينا وصادقا بأن هذه المبادئ الستة هي التي يمكن على اساسها حل القضية الفلسطينية، نحن متفوقون معكم على ضرورة انسحاب العدو من قطاع غزة والضفة الغربية، وعلى بذل أقصى الجهود السياسية لحمل العدو على الانسحاب. كما اننا نؤكد ان المنظمة لا تضع شروطا او تحفظات لكن السؤال الذي يجب ان نطرحه على انفسنا هو : ما هو الثمن الذي يجب علينا ان ندفعه؟ نحن جميعا نعرف اسرائيل. وانا بمنتهى التواضع صاحب خبرة طويلة معها واعرف اهدافها واطماعها نتيجة الممارسة الفعلية. وارجو ان يكون مفهوما لديكم ان

موقفنا في المنظمة ليس نتيجة عناد او تطرف، لكن الموضوع الذي يجب ان يشغلنا هو موضوع الثمن الذي يتعين علينا ان ندفعه في سبيل استعادة الضفة الغربية، ونحن نرى انه اذا كان الثمن باهظا فإن قبولنا به سيكون خطأ كبيرا. ان سياسة امريكا تهدف الى تصفية القضية الفلسطينية بصفة نهائية. والنقاط الخمس الواردة في مشروع جونسون ثمن غال وباهظ من اجل استعادة الضفة الغربية، فهل نحن مستعدون لدفع هذا الثمن الغالي في مقابل الضفة الغربية؟ انا كمواطن عربي، وكرئيس للمنظمة، ارفض دفع هذا الثمن واعلن الان انني غير موافق، المشروع اليوغوسلافي يهدف الى تسوية نهائية والى سلم دائم في المنطقة قبل حل القضية الفلسطينية، انا لا اريد ان اطيل عليكم الحديث اكثر من ذلك. لكنني اردت ان اوضح وجهة نظرنا لمجلسكم الموقر والمبادئ الستة التي وضعتها منظمة التحرير ووزعتها عليكم، هي خلاصة وجهة النظر الفلسطينية بشأن مستقبل القضية. انا في النتيجة نرفض اي حل يؤدي الى التصفية النهائية للقضية الفلسطينية".

وتحدث الرئيس عبد الناصر فقال : "انا اختلف مع الشقيري في تعبير ورد على لسانه حول التسوية النهائية للقضية. فالتصفية النهائية تكون قد تمت فعلا يوم تعني الجلوس مع اسرائيل حول مائدة المفاوضات. وهذا بالفعل ما تريده امريكا، لقد كان اسهل علي الا اتكلم، غير اننا كنا نعاني في الماضي من مصيبة واحدة، والان لدينا مصيبتان : مصيبة سنة 1948 ومصيبة سنة 1967. لذلك فإنني قلت اننا على استعداد لان ندفع ثمنا مقابل استرداد الضفة الغربية. فليس في استطاعتنا جميعا الان استعادة الضفة الغربية عسكريا. فهل نتركها في يد اسرائيل؟ وما الذي يمكن عمله في الوقت الحاضر؟ وما هو البديل؟ كان يمكنني ان ازم الصمت واتحدث عن سيناء فقط. ولكنني اكرر ما قلته من قبل وهو ان الضفة الغربية اهم عندي كثيرا من سيناء حتى ولو بقوا فيها عشر سنوات. انا قلت انه لا بد ان ندفع الثمن مقابل الضفة الغربية. وانا اقصد بالطبع الثمن المعقول. طالما اننا الا نستطيع استردادها عسكريا. ويجب الا ننسى ان نصف فلسطين قد ضاع سنة 1948 والنصف الاخر ضاع سنة 1967. واذا كان هدفنا الان استعادة الضفة الغربية عن طريق العمل السياسي، فلا بد من دفع الثمن".

ثم اضاف الرئيس عبد الناصر : "الملك حسين كانت له علاقات بالامريكان وكانوا يمدونه بالسلاح واعتقد انهم حريصون على استمرار

علاقتهم به، ولهذا قلت كلامي بكل وضوح وصراحة، وبالطبع سيكون هناك ثمن، ولكن الثمن ليس تصفية القضية، يجوز ان يكون الثمن هو توثيق علاقة الملك حسين بالامريكان واقتراجه منهم اكثر. واذا كانت الحقيقة دائما مرة الا ان علينا قبولها لاننا نواجه في الوقت الحاضر مصيبة كبرى. وعلينا ان نعمل من اجل الخروج منها والموضوع بسيط وواضح للغاية، هناك دائما طريقتان لا ثالث لهما : النضال السياسي والعمل العسكري. وعندما لا نكون قادرين على العمل العسكري فعليا ان نناضل سياسيا. واذا كنا قد اخترنا، نظرا لظروفنا، العمل السياسي، فأنا اختلف مع الشقيري في وصفه مشروع الرئيس تيتو بأنه تصفية للقضية الفلسطينية، هناك فرق بين العمل السياسي وتصفية القضية، واذا لم نبادر بعمل ايجابي لاسترداد الضفة الغربية فستتحول الارض التي احتلها اليهود تدريجيا الى ارض اسرائيلية".

ويقول محمود رياض : " وبدأ التوتر يتزايد في المناقشات وكان واضحا ان الثقة مفقودة بين الملك حسين والشقيري، وهو الامر الذي يعكس بدوره تخوفا فلسطينيا من ان الملك حسين لو حصل على تفويض عربي بالتحدث مع الامريكيين حول استرداد الضفة الغربية، فإن الامر سينتهي بتصفية القضية الفلسطينية".(12)

بعد انتهاء المؤتمر صدر البيان الختامي الذي اقره المؤتمر بالاجماع وقد نشرته الصحف تحت عناوين بارزة تضمنت اللاءات الثلاث التي فرضها احمد الشقيري رئيس منظمة التحرير على المؤتمر، وفيما يلي اهم القرارات كما نشرتها جريدة الحياة بتاريخ 1967/9/1:

"لا صلح، لا اعتراف، لا تفاوض مع اسرائيل.

(12) لقد اثار اقوال جمال عبد الناصر والملك حسين غضب الشقيري الذي اعلن : "من حق الدول العربية التصرف كما ترى مناسبة بالنسبة لارضها، وليس لهذه الدول ان تقدم حسابا الا امام الوطن العربي والتاريخ، ولكن الشعب الفلسطيني الذي يناضل في جميع اراضي وطنه لا يقبل ان يتصرف الاخرون باسمه ويضعوه امام الامر الواقع، ونحن نرفض مسبقا كل صيغة تؤدي عاجلا ام آجلا الى الاعتراف المباشر او غير المباشر بدولة اسرائيل، ولن نقبل ايضا بأن تستخدم الضفة الغربية وقطاع غزة، وهما جزء لا يتجزأ من الارض الفلسطينية في اي مساومة"، وقد اثار الملاحظة الاخيرة غضب الملك حسين الذي تبادل مع رئيس منظمة التحرير كلاما عنيفا، فأعلن الشقيري انه لم يبق امامه الا مقاطعة ما تبقى من جلسات المؤتمر، وكان السيد يوتفليقة وزير خارجية الجزائر وممثل الرئيس هواري بومدين الوحيد الذي تبنى وجهة نظر الشقيري (لوموند 1967/9/2 لمراسلها اريك رولو)

تأكيدات اعلنها الملوك والرؤساء العرب لدى اختتام مؤتمرهم اليوم، الا انهم تركوا الباب مفتوحا امام عمل سياسي لازالة اثار العدوان وتأمين انسحاب قوات الاحتلال من الاراضي العربية في مصر وسورية والاردن.

الا ان ابرز القرارات الصادرة عن المؤتمر وان لم تكن مفاجأة للمطلعين كانت بلا شك قرار استئناف ضخ البترول العربي بعد ان عرضت الدول المنتجة للنفط احصاءات وتقارير واضحة عن مدى خسارة العرب من وقف الضخ مما جعل الملوك والرؤساء يقتنعون بأن ضخ النفط "طاقة عربية ايجابية يمكن تسخيرها لخدمة الاهداف العربية".

والقرار البارز الاخر الذي مهد لاقارره الاتفاق على حل مشكلة اليمن.

كما اتفق على ان تقدم المملكة العربية السعودية والكويت وليبيا مبلغ 135 مليون جنيه استرليني الى الدول التي تعرضت للعدوان الاسرائيلي. وكان قد اعلن في وقت سابق ان المؤتمر وافق على التبرع لمصر والاردن فقط دون سورية. وافر المؤتمر المشروع الذي تقدمت به الكويت لانشاء صندوق الانماء والاقتصادي والاجتماعي العربي طبقا لتوصية مؤتمر وزراء المالية والاقتصاد والنفط العرب. وقرر المؤتمر ايضا دعم الاعداد العسكري لمواجهة جميع الاحتمالات، وتصفية القواعد الاجنبية في الدول العربية.

ومن بين النتائج الاخرى للمؤتمر التزام الملوك والرؤساء بميثاق التضامن العربي الذي وقع في مؤتمر القمة الذي عقد في الدار البيضاء قبل عامين. وهذا يعني اتفاق الزعماء العرب على الكف عن انتقاد انظمة الحكم المختلفة في بلادهم.

ومن المؤكد ان هذه القرارات ستنفذ وستلتزم بها جميع الدول العربية حتى ان سورية رغم مقاطعتها للمؤتمر اعلنت على لسان وزير خارجيتها الدكتور ابراهيم ماخوس انها تلتزم "بالقرارات الايجابية".

هذا وعلم من مصادر مطلعة ان الموقف غير المعلن الذي اتفق عليه المؤتمر في ساعة متأخرة من ظهر اليوم سيتيح لمجلس الامن الدولي ان يستعجل انعقاده لاقرار المقترحات المعروفة التي عرضها الرئيس اليوغسلافي تيتو وغيره بغية تحقيق العودة الى حدود ما قبل الخامس من حزيران".



## اعتقال المشير عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية والقائد العام للجيش، واعتقال وزير الدفاع شمس بدران وصلاح نصر مدير المخابرات العامة وعدد كبير من قادة الجيش المصري بتهمة التآمر.

لم يكن كافيا بنظر الشعب العربي في مصر ان يعلن عبد الناصر في خطاب استقالته مسؤوليته عن حرب حزيران، فقد كان الشعب يطالب بمحاكمة المسؤولين العسكريين والمدنيين الذين حامت الشبهات حول بعضهم، ولا سيما مسؤولية قيادة سلاح الطيران، فكان ذلك مناسبة سهلت على عبد الناصر ازاحة عبد الحكيم عامر من قيادة الجيش. وبتاريخ 25/ آب امر بفرض الاقامة الاجبارية عليه وباعتقال عدد من العسكريين بينهم قائد سلاح الجو محمد محمود صدقي ورئيس اركان سلاح الطيران جمال عفيفي وقائد الدفاع الجوي اسماعيل لبيب، وجلال هويدي قائد قوات الصاعقة، كما امر باعتقال عدد من المدنيين بينهم شقيق المشير وبعض اقاربه بتهمة اعداد منشورات معادية كذلك اعتقل مذيع صوت العرب احمد سعيد ارضاء لرؤساء الانظمة وملوكها، وكان لسان عبد الناصر في التحريض عليهم واتهامهم بشتى الاتهامات.

وبعد عودة جمال عبد الناصر من مؤتمر الخرطوم مزودا بالتأييد الشعبي وتأييد جميع ملوك ورؤساء الانظمة العربية، نشرت وسائل الاعلام المصرية الرسمية بتاريخ 67/9/4 نبا اتهام المشير وانصاره، بالقيام بمحاولة انقلابية فاشلة، وفيما يلي النص الحرفي لوصف وقائع المحاولة كما روتها جريدة الاهرام الصادرة في ذلك التاريخ:

"وقعت في الفترة الاخيرة بعض التطورات التي كان من ضرورتها اتخاذ عدد من الاجراءات الهامة بينها تحديد اقامة المشير عبد الحكيم عامر في بيته، التحفظ على السيد شمس بدران وزير الحربية السابق، التحفظ على بعض المحيطين بالمشير عامر وبينهم عدد من العسكريين والمدنيين للتحقيق معهم في وقائع نسبت اليهم.

وقد كان الاتجاه السائد عندما وقعت هذه التطورات ان تبقى تفاصيلها خصوصا في هذه الظروف بعيدة عن مجالات النشر، ولكن بعض وكالات الانباء العالمية تناولت الموضوع باشكال اصبح من اللازم معها ان توضيح الحقيقة امام الرأي العام الذي يقتضيه واجبه متابعة مجريات الامور والاهتمام بها.

وقد جرت التطورات على النحو التالي :

1- بعد النكسة التي واجهها العمل العربي، تحمل الرئيس جمال عبد الناصر امام الجماهير وباعتباره المسؤول الاول تبعات كل ما وقع واعلن قراره بالتحني عن رئاسة الجمهورية وعن كل عمل سياسي وكان ذلك في خطابه بتاريخ 9 حزيران الماضي، ولكن جماهير الشعب وجماهير الامة العربية وقفت موقفا قاطعا وطلبت من الرئيس جمال عبد الناصر ان يبقى في موضع المسؤولية وان يواصل قيادة العمل لازالة اثار العدوان.

2- اعتبر الرئيس عبد الناصر بمقتضى هذه المسؤولية ان ضرورات المصلحة الوطنية والقومية تتطلب اجراء تغييرات في قيادة القوات المسلحة.. وفي هذه الفترة ورعاية للمشير عامر فإن الرئيس عبد الناصر عرض عليه ان يبقى في السلطة كنائب اول لرئيس الجمهورية ولكن المشير عامر لم يقبل هذا العرض. وطلب ان يبقى ايضا قائدا للقوات المسلحة.. ولكن الرئيس عبد الناصر كان من رأيه انه من الضروري ان تترك القيادة الفعلية للجيش لعناصر جديدة اتاحت لها الفرصة لتحصيل العلوم العسكرية المتقدمة، ولكن المشير عامر بقي مصرا على ان يتولى كل السلطات التي كان يتولاها قبل النكسة.

3- وعندما صدر القرار باحالة عدد من القادة السابقين الى التقاعد وتعيين قيادات جديدة فإن المشير عامر لم يتقبل هذه الاجراءات باعتبارها امرا تحتمه المصلحة الوطنية والقومية ومقدرة القوات المسلحة في وقت عصيب تتطلب فيه الامة العربية من كل فرد من افرادها ان يؤدي واجبه الى اقصى طاقته سواء كان داخل القوات المسلحة او خارجها.

4- ثم تعقدت الامور اكثر عندما تقرر التحقيق مع بعض القادة العسكريين خصوصا في القوات الجوية لتحديد مسؤولياتهم باعتبار ان ما حدث في قيادة القوات الجوية كان بين ابرز الاسباب في وقوع النكسة على النحو الذي وقعت به وذلك برغم ان قيادة القوات الجوية في ذلك الوقت تلقت

التنبيه تلو التنبيه بان العدو على وشك القيام بضربته وان ضربته الاولى سوف تكون موجهة الى القوات الجوية.

5- وقد حدث ان بعض الضباط الذين طلب التحفظ عليهم في تلك الظروف ذهبوا الى بيت المشير عامر وبقوا فيه برغم قرارات صادرة بالتحفظ عليهم.

6- وساعد على تأزيم الجو ان بعض العناصر الانتهازية التي ثبت فسادها بدأت تؤدي دورا خطيرا في تغذية فتنة كان يمكن ان تضر بالوطن في ظرف مؤلم بالنسبة للجميع.

7- وكان من الظواهر المؤسفة في ذلك الوقت ان بدأ بيت المشير عامر يتحول الى ترسانة سلاح كما ان بعض المحيطين به انشأوا حرسا خاصا جاؤا بافراده من مزرعة احد اشقاء المشير عامر الامر الذي بدا معه وكأن هناك مركزا في وسط العاصمة خارجا على سلطة الدولة.

8- وفي ذلك الوقت وجد الرئيس عبد الناصر من واجبه ان يشرح خطورة الموقف للمشير عامر مؤكدا على ان سلامة الوطن والقوات المسلحة لها الاولوية على اي اعتبار اخر ولهذا الغرض ذهب الرئيس عبد الناصر بنفسه الى مقابلة المشير عامر في بيته كما انه دعاه اكثر من مرة الى لقائه وتحدث اليه مع خطورة ما يجري وعواقبه.

9- وتوافرت بعد ذلك معلومات مؤكدة تشير الى ان المشير عامر وبعض المحيطين به يقومون بنشاط مؤامرة على صالح الشعب والدونة والقوات المسلحة الى درجة ان عددا من الضباط الذي جرى الاتصال بهم وجدوا لزاما عليهم ابلاغ السلطات الرسمية المسؤولة.

10- وحيال ذلك كله وبعد انتظار طويل ومرهق للاعصاب كان لابد من وضع حد حاسم لهذا الموقف ولذلك فإن الرئيس عبد الناصر دعا المشير عامر الى مقابلتها وواجهه بكل الوقائع وبينها ما ابلغ عنه ضباط من القوات المسلحة. وكانت هذه المواجهة امام السيد زكريا محي الدين نائب الرئيس والسيد حسين الشافعي والسيد انور السادات كما شرح له خطورة مثل هذه التصرفات على الموقف كله وابلغه بأنه قرر اسفا وحزينا تحديد إقامته كما انه امر بالقبض على المطلوبين للتحفظ ممن كان

يحميهم وامر بمصادرة كل السلاح المكس في بيته. كما انه امر  
بالتحقيق في الوقائع المتصلة بهذا كله.

وبعد اتمام هذه الاجراءات كلها اتسع نطاق التحقيق وتأكد من الوثائق  
والاعترافات ان المشير عامر وبعض المحيطين به وضعوا خطة تحقق له العودة  
الى قيادة القوات المسلحة وكانت الخطة تتسم بالمغامرة وتشكل اضرارا  
خطيرة كان يمكن ان تحدث اثارا بعيدة على الوضع العام كله.

وكان ملخص الخطة التي كان مقررا تنفيذها يوم 17 آب الاخير، ان  
يذهب المشير عامر والسيد شمس بدران ومعهم بعض المحيطين بالمشير  
الى مقر القيادة الشرقية وهناك يتولى بمساعدتهم وتحت تظاھر ان قرارا  
رسميا صدر باعادة تعيينه قيادة هذه القوات، ومن هذا الموقع يبعث الى  
الرئيس جمال عبد الناصر بمجموعة من المطالب بينها ان يثبت تعيينه نائبا  
للقائد الاعلى للقوات المسلحة وان يوقف التحقيقات التي تجري لتحديد  
مسؤولية بعض القادة السابقين، وذكر مندوب الاهرام ان عدد الذين وضعوا  
تحت التحفظ قد وصل الى قرابة الخمسين من العسكريين والمدنيين بينهم  
جلال هريدي(13) الذي كان قائدا لقوات الصاعقة ووقف موقفا غير لائق بعد  
الانفصال في سورية وأعاد المشير علي الى الخدمة بعد ان فصل منها،  
وبينهم علي شفيق الذي كان مديرا لمكتب المشير عامر واحيل الى التقاعد  
على اثر تحقيقات جرت عن بعض التصرفات. وبينهم حمزة البسيوني الذي  
كان قائدا للسجن الحربي وبينهم عصام خليل الذي كان مسؤولا عن عدد من  
المشروعات الحربية منها مصنع الطائرات كما ان بعض المدنيين الذين وضعوا  
تحت التحفظ بينهم عدد من اقارب المشير عامر.

وذكر مندوب الاهرام انه سوف تجري محاكمة عسكرية للنظر في  
نتائج التحقيقات التي تدور الان.

## قرار مجلس الامن رقم 242

(13) كان جلال هريدي قائد قوات الصاعقة التي ارسلها عبد الناصر جوا الى سورية للوقوف في وجه  
الانفصال ولكنها لم تقم بأي مقاومة عندما هبطت في مطار حميميم في اللاذقية، بل ان جلال  
هريدي قد ادلى بحديث الى الاداعة السورية حذر فيه عبد الناصر ونظامه، بينما علقت اوساط  
ناصر ان عدم المقاومة كان بتعليمات منه عندما لاحظ اتساع حركة الانفصال، وفي حرب حزيران  
كانت مهمة هريدي تخریب ما رواء خطوط الاسرائيليين فاجتاز فلسطين من جنوبها الى شمالها  
عابرا الحدود الى لبنان.

انصرف عبد الناصر بعد عودته من مؤتمر الخرطوم الى الوضع الداخلي في مصر محاولا ترميم نظامه بعد ان تخلص من صلاح نصر رئيس المخابرات، وبعد ان انتهى خلافه مع المشير عبد الحكيم عامر بموته منتحرا كما اذيع رسميا او مسموما كما هو الارجح.

اما الاهتمام الثاني لعبد الناصر فكان الانصراف للعمل السياسي لازالة اثار العدوان، وقد بذل وزير خارجية مصر آنذاك السيد محمود رياض نشاطا كبيرا في مجلس الامن للتوصل الى قرار يقضي بالانسحاب الاسرائيلي من الاراضي المحتلة مرتكزا على الاسس والبنود التي وردت في مشروع المرشال تينو والتي تقضي بالانسحاب الاسرائيلي من جميع الاراضي المحتلة مع ضمانات دولية للحدود الإقليمية في المنطقة، ولكن بعد مداوات ومناقشات واتصالات من قبل مصر واعضاء مجلس الامن وتقديم عدة مشروعات من قبل الولايات المتحدة والهند ودول امريكا اللاتينية تمت الموافقة على المشروع الذي قدمه مندوب بريطانيا في مجلس الامن اللورد كارادون بتاريخ 1967/11/22 وفيما يلي النص العربي للمشروع كما ورد في مذكرات محمود رياض الذي كان وزيرا لخارجية مصر آنذاك وكان حاضر المناقشات حول المشروع (ص144).

ان مجلس الامن اذ يعبر عن قلقه المستمر ازاء الموقف الخطير في الشرق الاوسط واذ يؤكد عدم جواز الاستيلاء على الاراضي عن طريق الحرب، والحاجة الى العمل لاجل سلام عدل ودائم تستطيع فيه كل دولة في المنطقة ان تعيش في امان.

واذ يؤكد ايضا ان جميع الدول الاعضاء عندما قبلت ميثاق الامم المتحدة قد التزمت العمل وفقا للمادة الثانية من الميثاق.

1- يؤكد ان تطبيق مبادئ الميثاق يتطلب اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط الامر الذي يجب ان يتضمن كلا المبدأين التاليين :

أ) انسحاب القوات الاسرائيلية من اراض احتلتها في النزاع الاخير.

ب) انتهاء جميع حالات الحرب او الادعاء بها واحترام والاعتراف بالسيادة ووحدة الاراضي والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة وبحقها في ان تعيش في سلام في نطاق حدود آمنة ومعترف بها ومتحررة من اعمال القوة والتهديد بها.

2- ويؤكد ايضا ضرورة :

أ) ضمان حرية الملاحة في المرات المائية الدولية في المنطقة.

ب) تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.

ج) ضمان الحرية الاقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة من خلال اتخاذ اجراءات تشتمل على اقامة مناطق منزوعة السلاح.

3- ويطلب من السكرتير العام ان يعين ممثلا خاصا ليتوجه الى الشرق الاوسط واقامة اتصالات مع الدول المعنية من اجل السعي لايجاد اتفاق والمساعدة في الجهود الرامية الى تسوية سلمية ومقبولة بما يتمشى مع شروط هذا القرار ومبادئه.

4- ويطلب من السكرتير العام ان يرفع الى مجلس الامن تقارير عن تقدم جهود الممثل الخاص في اسرع وقت ممكن.

ان اختلاف التفسير بين جملة (أراض محتلة) التي وردت في النص البريطاني، وبين جملة (الاراضي المحتلة) كما وردت باللغات الفرنسية والروسية والاسبانية والصينية التي هي ايضا لغات رسمية معتمدة في الامم المتحدة ما يزال موضع خلاف بين العرب والاسرائيليين حتى هذه الايام من شهر كانون الثاني 1991 (تاريخ كتابة هذه الصفحات) حيث تجري المفاوضات بين الوفود العربية والاسرائيلية في واشنطن على اساس قراري مجلس الامن 242، و838. ويقول محمود رياض في مذكراته مبررا القبول بالنص الذي عرضه اللورد كارادون باللغة الانكليزية على

مجلس الامن مع ان تلاعب الولايات المتحدة ومندوب بريطانيا اللورد كارادون كان واضحا:

"وهنا قلت للورد كارادون : انني بالطبع سوف اتشاور بشأن هذا القرار مع زملائي العرب، ولكن هناك بعض الاسئلة التي تراودني من الان، منها مثلا، لماذا كلمة "اراض" وليس "الاراضي" في الفقرة الخاصة بانسحاب القوات الاسرائيلية، وهل هذا معناه جلاء القوات الاسرائيلية عن بعض الاراضي وليس كلها؟

رد اللورد كارادون : بالقطع لا. ان النص يعني كل الاراضي وليس بعضها بدليل النص في مقدمة القرار على عدم شرعية حيازة الاراضي عن طريق الحرب، ولكن هذا النص باللغة الانجليزية مأخوذ من المشروع الامريكي ثم كلمة "الاراضي" موجودة في نص القرار باللغات الرسمية الاربعة الاخرى" (ص145).

ويقول محمود رياض في موضع آخر :

"وعندما بدأت المشاورات العربية في نيويورك بشأن مشروع القرار الذي قدمه اللورد كارادون، شدد بعض مندوبي الوفود العربية على اهمية كلمة (الاراضي) بدلا (من اراض) التي وردت بالنص الانكليزي للمشروع وعندئذ طلبت من اللورد كارادون ان يحضر معي اجتماعا بالوفود العربية لكي يقوم بنفسه بالرد على تساؤلاتهم واستفساراتهم، وذلك برغم قناعتني الشخصية بأن الفقرة الاولى من القرار التي تشير الى عدم جواز ضم "اية اراض" بواسطة الحرب تعني بوضوح الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي المحتلة". (ص147)

وفعلا صحبني كارادون الى اجتماع لرؤساء الوفود العربية، وفي ذلك الاجتماع اعاد كارادون التأكيد على ان مجرد ذكر الفقرة الاولى الخاصة بعدم جواز ضم الاراضي بواسطة الحرب، وطبقا لمشاوراته الشخصية مع غولد برغ(14) مندوب الولايات المتحدة

(14) يتحدث محمود رياض عن محاورة دارت بينه وبين غولدرغ مندوب الولايات المتحدة في مجلس الامن عندما قدم الامريكيون مشروعهم. لقد قلت لغولد برغ : انني لازلت اذكر كلماتك عندما اجتمعنا اول مرة عندما كنت تصر على وضوح كل خطوة والا تترك اي كلمة بدون تفسير واضح وانني ارى المشروع الامريكي لا يتحدث عن

وطبقا لمفهومه هو شخصيا، ولمنطوق القرار نفسه، فليس هنالك اي محل للتشكيك بهذه النقطة، هكذا اعلن كارادون امام الوفود العربية، ان القرار يعني الانسحاب الكامل من الاراضي العربية المحتلة".

## **وفي الجلسة التي قدم فيها اللورد كارادون مشروعه ادلى بالتفسير البريطاني لهذا المشروع دون ان يذكر بأن المشروع يقضي بانسحاب اسرائيل من جميع الاراضي المحتلة فقال:**

"ان بريطانيا لا توافق على ان تكون الحرب وسيلة لتسوية المنازعات، ولا على السماح لدولة بالتوسع في حدودها نتيجة الحرب، وهذا يعني ان اسرائيل يجب ان تنسحب ولكن بنفس القدر يجب على جيران اسرائيل ان يعترفوا بحقها في الوجود، وانها يجب ان تتمتع بالامن داخل حدودها" (ص149)



لقد بدأت اسرائيل بعد صدور هذا القرار -كما ذكر محمود رياض- تستغل الفقرة (1) من المادة الاولى في القرار للتخلص من الانسحاب من الاراضي المحتلة، وكانت تروج في ادعاءاتها "انه اذا كان قرار مجلس الامن يعني انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي المحتلة -كما يدعي العرب- فما معنى النص الوارد في هذا القرار الذي نص على حدود آمنة ومعترف بها لاسرائيل"، كما اصبحت تدعي بعد عقد السادات اتفاقيات كامب ديفيد بانها نفذت قرار مجلس الامن بانسحابها (من اراض محتلة) وذلك بانسحابها من سيناء، وعلى كل حال فإن الاسرائيليين لم يكونوا مستعدين للانسحاب من الاراضي المحتلة في الضفة والقطاع ومرتفعات الجولان، بل كانوا يطمحون لضمها الى اسرائيل الكبرى التي

---

الانسحاب بوضوح بل يشير الى تحرك قوات عسكرية وكذلك يجب ان يكون واضحا لنا جميعا الخط الذي ستنسحب اليه اسرائيل وذلك بنفس الوضوح الوارد في مشروعكم بالنسبة للالتزامات المطلوب منا تنفيذها كانهاء حالة الحرب وفتح الممرات الدولية للملاحة، ويتابع محمود رياض: لقد فوجئت بأغرب حجة سمعتها منه عندما بدأ بتأكيد استخدام لغة واضحة، الا ان الامر يتطلب في بعض الاحيان شيئا من الغموض لتخطي بعض العقبات، والمهم ان يكون هناك توازن في الغموض. (ص142)



يخططون لها، مع الاستيلاء على منابع الليطاني في لبنان، كما كشف ذلك الجنرال دوغول في رسائله المتبادلة مع بن غوريون، التي اشترت اليها سابقا.

لقد اتاح غموض هذا القرار لاسرائيل افشال مساعي مندوب مجلس الامن غونار يارينغ الذي انتدب لتنفيذه كما ادى هذا الغموض ايضا الى مزيد من التصلب في مواقف اسرائيل مما جعلها ترفض مبادرة وزير خارجية الولايات المتحدة روجرز للحل المنفرد الذي قبلت به مصر، وكانت هذه المبادرة سببا في استقالته من وزارة الخارجية، وقد صرح في احدى الجلسات مع بعض الصحفيين اللبنانيين اثناء زيارته بيروت، بأن استقالته كانت بضغط من اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة للتخلص من المشروع الذي قبلت به مصر ورفضته اسرائيل.



### **تشكيل الوزارة الجديدة السورية :**

استمرت محاولات الدكتور يوسف زعين شهرا كاملا حتى تمكن من تشكيل وزارته الجديدة بعد ان انجلى الصراع على السلطة بين حافظ اسد قائد الجيش وقائد سلاح الطيران وزير الدفاع، وبين صلاح جديد الامين القطري لحزب البعث، عن تسوية جديدة بينهما كانت على حساب صلاح جديد عندما ابعد اللواء احمد سويداني (من حوران) عن رئاسة اركان الجيش السوري ليحل محله الصديق الدائم لحافظ اسد منذ ايام الكلية العسكرية مصطفى طلاس، وهكذا تشكلت في تشرين ثاني 1967 الوزارة الجديدة بعد ان ابعد عنها ايضا وزراء محافظة حوران، ويشير باتريك سيل في كتابه عن حافظ اسد الى هذه الواقعة بقوله :

"وخطوة بعد خطوة راح الاسد يخرج رجال جديد من مراكز النفوذ في القوات المسلحة، وكان ابرز مثال على ذلك هو طرد رئيس الاركان احمد سويداني في شباط/ فبراير 1968 وتعيين صديق الاسد المقرب مصطفى طلاس في مكانه، والواقع ان علاقات سويداني بجديد كانت متوترة نتيجة كاتبة حرب 1967، مما

جعل ابعاده اكثر سهولة، بالاضافة الى ان سويداني راح كأمثاله من سنيني حوران، يدمدم ويتذمر من النفوذ العلوي في الجيش دونما وجه حق، وكان هذا سببا كافيا للتخلص منه. (وكانت تحوم حوله شبهة التورط في انقلاب فاشل في آب/اغسطس 1968 الا انه هرب من البلاد. وفي تموز/ يوليو 1969 اعتقل عندما توقفت بمطار دمشق طائرة كان يستقلها). وكان حلول طلاس محله امرا في غاية الاهمية بالنسبة للاسد". (ص244)

لقد اخبرني صديقي الاستاذ شرارة صاحب جريدة البلاغ اللبنانية عندما لجأت الى لبنان اواخر آذار 1968 ان سفير الجزائر في بيروت اخبره بلجوء اللواء سويداني فجأة الى السفارة طالبا اعتباره لاجئا سياسيا، ولكن الجزائر رفضت طلبه نظرا لصداقة رئيسها بومدين مع حزب البعث. بعد رفض الجزائر قبول سويداني لاجئا توجه الى العراق بعد ثورة السابع عشر من تموز 1968، ولكن اللواء امين الحافظ والقيادة القومية التي حملته مسؤولية دعم صلاح جديد بانقلاب 23 شباط اقنعت الرئيس احمد حسن البكر بعدم قبوله لاجئا في العراق ففقل راجعا الى سورية حيث اعتقله حافظ اسد ولا يزال رهن سجنه حتى الان من عام 1991، وعند اعتقاله راجت اشاعات عديدة في سورية بأن سويداني اودع لدى السفارة الجزائرية وثائق تتعلق بقضية كوهين حيث كان رئيسا للمخابرات ومشرفا على التحقيق في هذه القضية.

وفي اواخر تشرين 1968 نشرت جريدة الحياة نبأ تشكيل الوزارة السورية تحت العناوين التالية :

في تسوية مرضي صلاح جديد وحافظ اسد اعاد الدكتور يوسف زعين تشكيل الوزارة السورية من بعثيين وشيوعيين وناصرين مستقلين مع ابعاد كتلة حوران البعثية:

وكانت اسماء الوزراء كالتالي :

الدكتور يوسف زعين رئيسا للوزراء (بعثي)، الدكتور ابراهيم ماخوس نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للخارجية (بعثي)، السيد فايز الجاسم للزراعة والاصلاح الزراعي (بعثي)، السيد محمد عيد

عشاوي للداخلية (بعثي)، المقدم محمد رباح الطويل للشؤون الاجتماعية والعمل (بعثي)، الدكتور حبيب حداد للاعلام (بعثي)، اللواء ممدوح جابر للاشغال العامة والثروة الحيوانية (مستقل)، السيد سليمان الخش للتربية والتعليم (بعثي)، السيد موفق الشوريجي للمالية (مستقل ميول يسارية)، السيد غالب عابدون للاوقاف (مستقل)، السيد سميح عطية للمواصلات (ممثل الحزب الشيوعي). السيد زهير الخاني للاقتصادي والتجارة الخارجية (شيوعي)، السيد عدنان عزوز للصناعة (ناصر مستقل)، السيد فايز اسماعيل للشؤون البلدية والقروية (ناصر مستقل)، السيد احسان سبيناتي للعدل (ناصر مستقل) الدكتور مصطفى السيد للتعليم العالي (ناصر مستقل)، الدكتور زكريا خياطة للصحة (ناصر مستقل)، الدكتور احمد الحسن للنفط والكهرباء وتنفيذ المشاريع الصناعية (بعثي) السيد حمود القباني وزير دولة لشؤون التخطيط (بعثي)، السيد سهيل الغزي للثقافة والارشاد القومي والسياحة (اشتراكي)، والسيد محمد طالب هلال لوزارة التموين (بعثي).

في بيروت : من عام 1968 حتى عام 1973 :  
 محاولة فاشلة لتشكيل جبهة معارضة للنظام  
 الحاكم في سورية - عبد الكريم الجندي يرسل  
 مفرزة خاصة لاختطافي من لبنان - إلقاء القبض  
 على قيادات الاشتراكيين العرب في سورية - تطور  
 الخلاف بين حافظ الأسد وصلاح جديد واغتيال (أو  
 انتحار) رئيس المخابرات عبد الكريم الجندي ثم  
 "انتحار" زوجته واغتيال سائقه بعد فتره قليلة -  
 كمال ناصر موفدا الى لبنان من قبل حافظ الأسد  
 لاستشارتي واستشارة ميشيل عفلق في انقلابه  
 المزمع على صلاح جديد - التمزق الثاني في تنظيم  
 الاشتراكيين العرب - انصرافي أوائل السبعينات  
 الى البدء بكتابة مذكراتي.

كنت قد تعرضت فيما سبق من هذه المذكرات الى  
 الأسباب التي أدت الى سجنني أواخر عام 1965 وهي اصدار  
 نشرة باسم الاشتراكيين العرب تحلل بالوقائع والأرقام الاتفاقية  
 البترولية التي تفرط بمصالح سورية والتي عقدها النظام البعثي  
 مع مجموعة من الشركات البريطانية الأمر الذي أدى الى  
 سجنني مع مجموعة من قيادات الاشتراكيين العرب، ولكن  
 الضجة التي أحدثها هذا البيان في سورية وخارجها اضطرت  
 النظام الى إلغاء هذه الاتفاقية فيما بعد.

بعد عدة أشهر قضيتها في سجن المزة أفرج عني بسبب  
 مرضي وبسبب الوفود التي تداعت الى دمشق للاحتجاج على  
 اعتقالني ، فتوجهت الى فرنسا عندما رفض الاتحاد السوفيتي  
 منحي فيزا للتداوي في روسيا، وعندما عدت في مايس 1966  
 اثر الانقلاب الذي قامت به القيادة القطرية (صلاح جديد) ضد  
 أمين الحافظ والقيادة القومية قبض علي وأنا في الطائرة ثم  
 نفيت الى قبرص التي عدت منها الى بيروت حيث بقيت في  
 لبنان الى حرب حزيران عام 1967 عندما رايت من واجبي أن

أعود الى سورية للعمل على مواجهة الهزيمة والاحتلال الذي كان له أثر عميق في نفسي وفي نفس كل عربي وعندما وصلت الى الحدود السورية من جهة طرابلس اتصل رئيس المخفر بمحافظ حمص الذي حاول بدوره الاتصال بالمسؤولين في دمشق ولكنه لم يتمكن من الاتصال بأحد منهم لأنهم فروا الى مناطقهم أو تواروا خوفاً من غضبة الشعب الذي كان مشدوهاً من تسليم الجولان ومن استيلاء الاسرائيليين على جبل الشيخ مما جعل دمشق على مرمى من القصف الاسرائيلي، ولذلك أخذ المحافظ على عاتقه مسؤولية دخولي الى سورية فتوجهت مباشرة الى مدينتي (حماه) حيث تقاطرت علي الوفود الثائرة على الحكم من مختلف المحافظات السورية كما اتصل بي بعض ضباط الجيش والموظفين وبعض المحافظين وكلهم يحتونني على الثورة ضد حكم الهزيمة وان تكون مدينة حماه منطلقها.

كان العدد القليل من البنادق التي وزعها النظام على من يعتقد انهم من انصاره ما يزال في ايديهم وكان الجو مهياً لإعلان الثورة حيث عاد افراد من الجيش السوري بأسلحتهم الى قراهم ومناطقهم وكان هؤلاء الجنود والضباط المنتشرون في انحاء سورية يتحدثون للشعب - كل بأسلوبه وحسب تقديره - عن القيادة التي منعتهم من القتال وحالت بينهم وبين مواجهة الجيش الاسرائيلي.. ولا بد من الاعتراف بانني في ذلك الجو من الهزيمة والاحتلال لم أرد أن أخذ على مسؤوليتي اعلان الثورة على الرغم من توفر كل العوامل لاعلانها لانني لم أكن مقتنعا بإمكانية السيطرة عليها وتوجيهها بعد اعلانها فقد خفت ان تنقلب الى فتن وحرب اهلية.

كنت ما أزال في حماه عندما جاءني عبد الغني قنوت أحد قادة الاشتراكيين العرب وقال لي :

ان الحكومة والاحزاب السياسية بما فيها الحزب الشيوعي وكذلك بعض الشخصيات الوطنية قد اظهروا استعدادهم لتأليف جبهة وطنية تضم جميع الاتجاهات، وعلى الرغم من شكّي الكبير بجدية العرض لمعرفتي بعقلية واخلاق اركان النظام فانني

اظهرت له استعدادي للانضمام الى هذه الجبهة وقلت له: انني في سبيل انقاذ الامة العربية من الاحتلال والهزيمة فاني سوف اتجاهل كل ما ارتكبه هؤلاء الحاكمون.

ولم يمض بضعة ايام على هذا العرض حتى عاد قنوت واخبرني بأن الحكومة تراجعت عن موقفها ونقل الى حرفيا ما يلي:

إن رئيس الحكومة يوسف زعين قال له انه لا يوافق على قيام هذه الجبهة وعلل التراجع بقوله :

هل تودون ان نقيم هذه الجبهة من الناصريين عملاء مصر ومن القومييين العرب عملاء الانكليز ومن الرجعيين عملاء السعودية والامريكان؟ اما انتم الاشتراكيون فانكم اخواننا ورفاقنا ونحن نسمح لكم بالعودة الى صفوف الحزب ولما سألت عبد الغني عن موقف الاحزاب والشخصيات المستقلة قال:

ان جميع الاحزاب والشخصيات المستقلة لا تزال ترى في قيام الجبهة الوطنية التقدمية طريق الخلاص والانقاذ ما عدا الحزب الشيوعي فقد قال له خالد بكداش أنه يعتذر عن الاشتراك في الجبهة الوطنية اذا لم يشترك بها حزب البعث الحاكم، ولا شك أن تظاهر حزب البعث في تلك الفترة بالموافقة على اشتراكه في جبهة وطنية تقدمية لم يكن إلا كسبا للوقت، ولو بالأيام، ليتمكن من جديد من إعادة تشديد قبضته على السلطة.

لقد رفضت عرض يوسف زعين في عودة الاشتراكيين العرب الى حزب البعث -كأفراد- والاشتراك في الحكم لانني بالأساس مع التعددية والديموقراطية و ضد حكم الحزب الواحد و ضد الاشتراك في حكم يسيطر عليه العسكر، كما انني لم أكن مستعدا لتحميل الاشتراكيين العرب مسؤولية هزيمة الخامس من حزيران في الوقت الذي كنت مع غيري من الاشتراكيين العرب قيد المنافي والسجون، لذلك قررت أن أعمل وحدي على

تجميع الفئات السياسية السورية بجهة وطنية في محاولة للحد من تدهور الأوضاع في سورية.

وقبل أن أعاد رحاه الى دمشق، اجتمعت ببعض قيادات العربي الاشتراكي لإعادة تنظيمنا بعد الانشقاق الذي أدى لاشتراك فتحي علوش بحكومة يوسف زعين، وأذكر من المجتمعين عبد البر عيون السود، علي عدي، عبد الفتاح الزلط، فيصل الركبي، وقد قررنا يومذاك إضافة كلمة الديموقراطي الى اسم الحزب لأن غياب الديموقراطية عن الانظمة العربية كان من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى هزيمة حزيران، وقد كلف عبد الفتاح الزلط بوضع وثيقة حول هذا الموضوع، وكان الدكتور وهيب الغانم وقيادات الفروع موافقين على ذلك، ثم سافرت الى دمشق واتصلت بالفئات السياسية التالية :

الاتحاد الاشتراكي ، القوميون العرب، بعض الشخصيات المستقلة امثال أمين النفوري واحمد عبد الكريم وعبد الكريم زهور وغيرهم فاطهروا جميعا استعدادهم للنضال في جبهة وطنية تقدمية ولو عارض الحكم الديكتاتوري العسكري هذه الجبهة فعقدت عدة اجتماعات سرية، وعلى الرغم من الرقابة الشديدة التي فرضتها المخابرات ورغم المداهمات المتعددة لبيتي فقد تمكنا من وضع ميثاق وطني تقدمي لهذه الجبهة وكان النظام في سورية قد شرع يزاود على جمال عبد الناصر ويحمل عليه بسبب قبوله القرار 242 كما رفض هذا النظام الاشتراك في مؤتمر الخرطوم المعروف بمؤتمر اللات وامتنع عن قبول المعونة التي خصصت لسورية في هذا المؤتمر على الرغم من الضائقة الشديدة التي كانت تعانيها سورية آنذاك.

وفي هذه الفترة طلب خالد بكداش رئيس الحزب الشيوعي في سورية الاجتماع بي في منزل عبد الغني قنوت (في المهاجرين) وطلب مني باسم النظام أن تتذكر في أمر الاشتراك بالحكومة المزمع تشكيلها وخلاصة ما قلته له:

انظر يا خالد الى جبل الشيخ المطل مباشرة على دمشق .. ان الاسرائيليين هناك وراء مراصدهم ونحن تحت اشرافهم ورحمتهم فهل تطلب مني ان اشترك في حكومة ترفض قيام جبهة وطنية تقدمية وترفض الارتباط بميثاق وطني يحقق الوحدة ويضع خطة لمواجهة الهزيمة والاحتلال الاسرائيلي؟

لا تنس يا خالد اننا كنا نقيم الدنيا ونقعدها في المجلس النيابي والشارع عندما كان اليمين يرتكب امورا اقل بكثير مما ارتكبه النظام الحالي الذي يتحمل كامل المسؤولية عن هزيمة حزيران واحتلال الجولان.

لقد انفض الاجتماع مع خالد بكداش دون اتفاق فقررت المضي في تأليف الجبهة الوطنية المعارضة ولو لم يشترك فيها الحزب الشيوعي فعقدنا عدة اجتماعات سرية مع ممثلي الاتحاد الاشتراكي (الدكتور جمال الاتاسي) ومع ممثلين عن حركة القوميين العرب (اسامة الهندي) ومع الشخصيات المستقلة احمد عبد الكريم وامين النفوري وعبد الكريم زهور، وفي جو لا يطاق من الملاحقة والمداهمة توصلنا الى صيغة ميثاق للجبهة الوطنية، وضعه الدكتور جمال الأتاسي والاستاذ عبد الكريم زهور، ورغم اعتراضه على صيغته ذات الاتجاه الماركسي فقد وقعته لأنني كنت أعلم ما بوسعي لقيام هذه الجبهة، وقد وقع معي هذا الميثاق الدكتور فيصل الركبي عن الاشتراكيين العرب والسيد أسامة الهندي عن القوميين العرب وعن الناصريين الدكتور جمال الأتاسي وعن المستقلين العقيدان (السابقان) أحمد عبد الكريم وأمين النفوري، وترك المجال مفتوحا لتوقيعه من قبل الجناح القومي من حزب البعث الذي لجأت قيادته الى لبنان.

لقد شعرت السلطة بهذه المحاولة فحاصرت منزلي حصارا دام أكثر من شهرين ، ثم داهمت المنزل بصورة وحشية بقصد اعتقاله الذي نجوت منه بفضل مخبأ سري، بينما لم تنج مكنتي وبعض ما أملكه من وثائق، لذلك اضطررت الى الذهاب سرا إلى لبنان مارا عن طريق بلدة سرغايا السورية وقد



ساعدني على الهرب أحد رفاقنا من الاشتراكيين العرب، وكان موظفا في الجمارك السورية في منطقة الزبداني.

وفي لبنان انضم الي من الاشتراكيين العرب الاستاذ على عدي، المحامي عبد الفتاح زلط، الدكتور فيصل الركبي، المقدم مصطفى حمدون وأخوه الضابط السابق عدنان حمدون الذي نقل الى وزارة الخارجية أيام الوحدة مع مصر والسيد عبد اللطيف سالمة أحد القيادات الشعبية الذي كان برفقتي في فلسطين عام 1948، بينما لم يلتحق بنا في لبنان الدكتور جمال الأتاسي حسب ما اتفقنا عليه، وقد نشرت مشروع الميثاق في بيروت في جريدة المحرر الناصرية وكانت هذه الجريدة موالية ومدعومة من قبل جمال عبد الناصر الذي كان على علاقة سيئة مع النظام البعثي في دمشق.



قبل لجوئي الى لبنان، وخلال مباحثات العمل الجبهوي في دمشق بحث المجتمعون موضوع الاتفاق مع محمد عمران والاستاذ صلاح البيطار الموجودين في لبنان، ولكن أطراف العمل الجبهوي كانت ضد هذا الاتفاق باعتبار ان عمران وصلاح البيطار غير موثوقين لديها، بينما لم يكن لدي أي مانع من التعاون مع صلاح البيطار، أما عمران المهووس بالسلطة فكان يتهمني صراحة بعد انقلاب الثامن من آذار عام 1963 بأنني حلت ومنذ سنوات بين الجيش أو بالأحرى بينه وبين الاستيلاء على الحكم، وهي تهمة حقيقية، فقد كانت المرة الأولى عام 1954 التي تحدثت عنها فيما سبق من هذه المذكرات عندما اجتمع بي ليلة الانتخابات التي جرت في ذلك العام في بيت الدكتور فيصل الركبي في حماه حيث حاول اقناعي بالقيام بانقلاب عسكري بحجة ان اليمين سينجح في هذه الانتخابات وسيسقط المرشحون البعثيون فقلت له :

ان من الافضل كثيرا فشلنا في الانتخابات من أن نقوم بانقلاب عسكري يوصلنا الى السلطة والحكم.

ثم كانت المرة الثانية بعد اعلان مبدأ ايزنهاور خلال عصيان قطنا عام 1956 الذي كان ردا على ما أجراه شكري القوتلي من تغييرات في الجيش هدفها تغيير السياسة التحررية التي كانت تتبعها سورية، وقد تعرضت سابقا وبالتفصيل إلى الظروف السياسية التي أدت إلى هذا العصيان، وكان موقف عمران آنذاك مطابقا لرأي عبد الناصر بوجوب تحويل العصيان إلى انقلاب والاستيلاء على السلطة، ولكنني مانعت في ذلك مما أكسبني لقب "شيخ العقل" لدى الكثيرين من الحزبيين ومن الضباط.

أما المرة الثالثة فكانت موقفي المعارض لمحاولة الانقلاب التي جرت في حلب، آذار 1962، والتي اصطلح على تسميتها بفتنة حلب. وكان على رأسها الضابط محمد عمران وقد شرحت تلك المحاولة بالتفصيل فيما سبق، ثم كانت المرة الرابعة عندما اجتمعت عام 1963 مع رياض عبد الرزاق النائب السابق لمدينة طرطوس، وكنت آنذاك متواريا بسبب ملاحقتي من قبل انقلابيي الثامن من آذار.

في ذلك الاجتماع قال لي رياض عبد الرزاق أنه مرسل من قبل محمد عمران الذي يعرض علي التعاون معه، وان لعمران قواه في الجيش، وكان معروفا عن عمران بعد انقلاب الثامن من آذار انه بدأ يوثق صلاته مع تجار دمشق والأوساط اليمينية في سورية بعكس الاتجاه الذي كانت تسلكه القيادات القطرية.

لقد سجن محمد عمران بعد انقلاب 1966/2/23 هو وأمين الحافظ وصلاح البيطار وعدد من البعثيين، وعندما أفرج عنه وعن أمين الحافظ بعد هزيمة حزيران 1967 ذهب إلى لبنان حيث سكن في مدينة طرابلس في حي القبة، وكان يتردد على بيروت حيث قيل أنه كان يعمل بالتجارة، وقد صادفته مرة في بيروت بعد لجوئي إلى لبنان عام 1968 فلم يتوقف ولم يسلم علي نظرا لرفض المتكرر التعاون معه للوصول على السلطة بانقلاب عسكري.

بعد لجوء عمران الى بيروت ظل على صلة وثيقة مع صلاح  
البيطار وأخذا يعملان معا كفريق واحد، وبعد استيلاء حافظ الأسد  
على السلطة أصبح عمران يعلن أنه سيعود إلى سورية كرئيس  
للوزراء، وقد أخبرني المحامي أسعد الطباع أنه حذر عمران من  
امكان اعتقاله في حال عودته الى دمشق فكان جوابه: إنهم لن  
يجرؤوا على ذلك.

كما أذكر أنه المرحوم صدقي اسماعيل زارني في بيروت  
آنذاك وهو أديب معروف ومن أبناء لواء اسكندرون.

وكان شخصية أدبية مرهفة ومحبوباً من الجميع وعلى  
صلة بكثير من ضباط الجيش، وكانت صداقتي معه ومع أخيه  
الرسام المبدع المرحوم أدهم من الصداقات التي لا يمكن أن  
أنساها.

في تلك الزيارة سألت صدقي عن الأوضاع السياسية في  
سورية كما تحدثنا عن موقف عمران بعد الانقلاب الذي قام به  
حافظ الأسد فقال لي أن عمران يطالب الأسد باستلام رئاسة  
الوزراء ثم أردف قائلاً:

انني أعجب لتفكير عمران فهل يجوز أن يكون رئيس الدولة  
علوياً وكذلك رئيس الوزراء؟

لا شك أن النظام في سورية قد شعر بخطورة تأييد  
الولايات المتحدة والغرب للواء محمد عمران وهذا مما أدى الى  
اغتياله، وهو السبب نفسه الذي أدى الى اغتيال صلاح البيطار  
فيما بعد أوائل الثمانينات في باريس.

لقد تم اغتيال عمران في مدينة طرابلس بتاريخ 1972/3/4  
وكان قد أشيع بادئ الأمر ان زائرة ليلية قد اغتالته ، ولكن قرار  
الاتهام الذي أصدره قاضي التحقيق اللبناني ذكر اسماء عدة  
اشخاص وان الفتاة استخدمت(1) لطمأنة اللواء عمران وجعله

(1) استخدمت الطريقة نفسها في اغتيال السيدة منال الطنطاوي ابنة الشيخ علي الطنطاوي  
وزوجة مسؤول الاخوان المسلمين في سورية السيد عصام العطار، وذلك في آذار 1980 عندما  
فتحت باب شقتها لزوجة حارس البناية حيث تم الاغتيال في المانيا الغربية في مدينة آخن.

يفتح باب شفته، ولكن المتهمين لم يحالوا الى القضاء رغم التحقيق وقرار الاتهام الذي طوي بعد نشر نصه في الصحف اللبنانية، ولا شك أن طي القضية كان بضغط وتهديد من جهة ما رضخت لها الحكومة اللبنانية تجنباً للمشاكل.

### **الجهود التي بذلتها في لبنان لقيام الجبهة الوطنية.**

حاولت بعد لجوئي الى لبنان متابعة الجهود لتجميع الفئات السياسية السورية، حيث كان ممثل القوميين العرب في لبنان السيد جهاد ضاحي كما كان السادة أمين الحافظ، شبلي العيسمي، الياس فرح ممثلين عن القيادة القومية لحزب البعث.

في تلك المباحثات وقع خلاف بين البعثيين من القيادة القومية والقوميين العرب الذي كانوا يرفضون مشاركة البعثيين في الجبهة باعتبارهم مسؤولين عن هزيمة حزيران وعن قيام الحكم العسكري في سورية، لذلك انسحبوا من محاولة تشكيل الجبهة.

كما ظل الخلاف قائماً بين البعثيين والناصريين الذين أرسلوا مندوباً عنهم أحد المحامين من حلب لتمثيلهم، وكان الخلاف انعكاساً للخلاف الحاد القائم في العراق بين البعثيين والناصريين الذين كانوا يدعمون حكم عبد الرحمن عارف الموالي لعبد الناصر مما أدى لانسحاب الناصريين ، وهكذا بقي الاشتراكيون العرب وحدهم يحاولون ايجاد نقاط التقاء للتفاهم مع الجناح البعثي السوري الموالي للبعث العراقي والذي أصبح يطلق عليه اسم القيادة القومية للتمييز بينه وبين القيادة القطرية التي استولت على السلطة بعد انقلاب 1966/2/23.

عقدنا عدة اجتماعات في بيت اللواء أمين الحافظ في بيروت مع ممثلي البعث القومي الذين بدأوا أيضاً بالتملص من محاولة تشكيل الجبهة لأنهم - في تقديري- قد أصبحوا يأملون بالرجوع وحدهم الى حكم سورية، ويبدو أنهم كانوا على علم مسبق باستعدادات البعث في العراق للاطاحة بحكم عبد السلام عارف مما يتيح لهم دعماً بعثياً عراقياً يضعهم في

السلطة كما حدث في انقلاب الثامن من آذار عام 1963، وقد تمت في هذه الفترة تسريحات واسعة في الجيش السوري استهدفت الضباط المواليين للبعث القومي وسرت إشاعات بأنهم كانوا يعدون لحركة انقلابية.

لقد حاولت أن اطمنن ممثلي البعث القومي خلال البحث بقيام جبهة وطنية بأن الاشتراكيين العرب لا يشترطون الاشتراك بالحكم في سورية، وقلت للواء أمين الحافظ انني على استعداد لأعطيك تعهدا بأننا لن نطالب بإرجاع أي ضابط للجيش من المواليين للاشتراكيين العرب، ولكن الحافظ قال لي صراحة:

ان القيادة القومية غير موافقة علي إقامة الجبهة، بينما كنت حريصا جدا على إقامتها لاعتقادي أنها كانت قادرة على احداث التغيير في سورية باتجاه ديموقراطي، وهكذا بقي الاشتراكيون العرب وحدهم في الميدان وفشل مشروع لم شمل القوى السياسية السورية في جبهة وطنية تقدمية.

بعد ذلك الفشل انصرفنا الى تنظيم قوانا في سورية حيث تشكلت قيادة الداخل من المقدم عبد الغني عياش وهو من الضباط الذين تم شطبهم من الجيش خلال عهد الوحدة مع مصر وفرزهم الى الوظائف المدنية، وعندما حدثت حرب حزيران استقال من وظيفته في الخارجية حيث كان قنصلا في ميلانو وجاء الى سورية للعمل معنا في محاولتنا تنظيم الاشتراكيين العرب.

ومثلما كنا نفعل خلال ديكتاتورية أديب الشيشكلي عندما كنا نطبع المنشورات والنشرات الداخلية في لبنان ثم نرسلها الى سورية ، حاولنا أن نرسل الى الاشتراكيين العرب من بيروت نشرة داخلية مطبوعة، ولكن هذه النشرة وقعت في أيدي قوات الأمن اللبناني الذي استدعاني وطلب مني محذرا عدم القيام بأي نشاط سياسي في لبنان ، كما أخبرت بأن عبد الكريم الجندي رئيس المخابرات السورية هدد المسؤولين اللبنانيين  
قائلا :

إن تفجير قبلة في منطقة الحمراء وأخرى في منطقة البرج - وهما المنطقتان اللتان كان يتمثل بهما ازدهار بيروت قبل الحرب الأهلية- يمكن أن يقنع المسؤولين اللبنانيين بمنعهم من ممارسة النشاط السياسي في لبنان.

كما أصبح التهديد والتشهير بنا علنيا في الخطاب الرسمية السورية، وأذكر انني سمعت خطابا لرئيس الوزراء الدكتور يوسف زعين يقول فيه بأننا ذهبنا الى بيروت لقضاء الليالي الحمراء والاتصال بالرجعيين السوريين اللاجئيين الى السعودية أمثال معروف الدواليبي.

ومن الجدير بالذكر أن الدكتور يوسف زعين زارني أواخر الثمانينات في باريس بعد خروجه مريضا من السجن ، أي بعد ما يقرب من عشرين عاما على تلك الأحداث فاستقبلته بترحاب، وكان قد سجن اثر استيلاء حافظ أسد على السلطة كليا حيث قضى في السجن ما يقرب من خمسة عشر عاما.

في تلك الزيارة قال لي الدكتور زعين :

لقد نذرت وأنا في السجن أن أزورك بعد الافراج عني في أول زيارة أقوم بها لباريس، وها أنا أفى بهذا النذر، فلم أعلق على ذلك بكلمة.

لقد كان الدكتور يوسف زعين والدكتور نور الدين الأتاسي والدكتور ابراهيم ماخوس واللواء صلاح جديد، قادة انقلاب 23 شباط 1966 من العناصر النظيفة اليد، ولكنهم كانوا على جانب من الطفولة اليسارية وعدم الخبرة والوعي السياسي والغرور، وقد ذكرت فيما سبق من هذه المذكرات كيف ألغى الدكتور زعين الاتفاقية البترولية المشبوهة التي عقدت مع الشركات البريطانية قبل مجيئة الى الحكم فوفر على سورية ما يقرب من أربعين مليون ليرة سورية، وقد يكون هذا الالغاء احد الاسباب التي ساهمت فيما بعد بالاطاحة بصلاح جديد.



كنا في بيروت على اتصال بتنظيم الاشتراكيين العرب في سورية عن طريق الرسائل المكتوبة بالشفرة، وقد أخبرتني قيادة التنظيم المدني أنها تقوم بتنظيم موال لها في الجيش، ولكنها لم تذكر أبدا أنها تعد لحركة انقلابية، وقد زارتني في تلك الفترة إحدى قريباتي لتخبرني أن انقلابا يعده عبد الغني عياش، وأن قصة هذا الانقلاب على كل لسان في مدينة حماه، وأن الناس ينتظرونه بفارغ الصبر.

لقد قررنا فور سماعنا هذا الخبر ان نستدعي عبد الغني عياش الى لبنان وأن نستبدله بعدنان حمدون، وبينما كان حمدون يعد نفسه للذهاب سرا الى سورية ليبلغ تعليماتنا بعدم القيام بأي حركة عسكرية فوجئنا في الصحف اللبنانية بخبر القبض على عبد الغني عياش ومجموعته من الضباط الموالين للاشتراكيين العرب مع عدد من المدنيين، وقد بلغني حديث جرى مع رئيس المخابرات عبد الكريم الجندي عن صغر تلك المجموعة وعدم أهميتها فكان جوابه:

وهل كنا أكثر عددا منهم عندما استولينا على الحكم في سورية بانقلاب الثامن من آذار؟



لقد ألفت هذه الاعتقالات على كاهلنا في لبنان تبعات مالية أخذت تتزايد يوما بعد يوم فقامت بجمع التبرعات وإرسالها الى عائلات المعتقلين، ولن أنسى المعونة التي أصبح يمدنا بها بصورة منتظمة اللواء أمين الحافظ، وكان ذلك بعد الاطاحة بحكم عبد الرحمن عارف في بغداد ووصول البعث القومي الى الحكم في العراق.

بعد نشر خبر محاولة الانقلاب الفاشلة قام الأمن العام اللبناني بتبليغ السادة على عدي، عبد الفتاح الزلط(2) ،

---

(2) توثقت علاقة الاستاذ عبد الفتاح الزلط قبل ذهابه الى العراق مع الاستاذ ميشيل عفلق في بيروت ولا سيما بعد استيلاء البعث على الحكم في العراق بتاريخ 1968/7/17، وبعد ذهابه

أصبح أثيرا عند رئيس الجمهورية المرحوم أحمد حسن البكر، فكان بمثابة مستشار غير رسمي له يكلفه أحيانا بكتابة بعض خطبه، كما كلف بإلقاء المحاضرات في معهد الاعداد الحزبي، ولا أعرف إذا كان قد انتسب الى البعث القومي.

توثقت علاقة الاستاذ عبد الفتاح ايضا ببعض النافذين من اقرباء البكر وبالمرحوم عبد الخالق السامرائي عضوا القيادتين القومية والقطرية الذي كان على علاقة جيدة مع الاستاذ ميشيل عفلق، وقد سجن السامرائي بتهمة علاقته بالمحاولة الانقلابية التي أقدم عليها بتاريخ 73/7/1 رئيس المخابرات (كزار) لاغتيال رئيس الجمهورية أحمد حسن البكر في مطار بغداد عندما كان عائدا من زيارة للخارج، وكان من نتيجة هذه المحاولة اغتيال وزير الدفاع المرحوم حماد شهاب وإصابة وزير الداخلية سعدون عيدان إصابة بالغة والاثنان من رفاق البكر العسكريين، وقد اصدر ميشيل عفلق في بيروت ، ولم يكن قد أقام في العراق، بيانا بمناسبة المحاولة الفاشلة وقف فيه الى جانب عبد الخالق السامرائي، بينما كادت صداقة عبد الفتاح الزلط للسامرائي أن تودي به لولا موضعه عند أحمد حسن البكر.

كان اعتماد أحمد حسن البكر علي عبد الفتاح، بينما كان الحزب بصورة عامة ملتفا حول صدام حسين، كما كان ميشيل عفلق ضد التنظيم العسكري في حزب العراق بعد التجربة المرة التي جرت للحزب في سورية ومعه بالذات.

بدأ تقليص وضع عبد الفتاح عندما عين على رأس دائرة تشريعية تضم عددا من الحقوقيين العراقيين لها مقر خاص، وبذلك أبعاد عن مكتبه في بناء مجلس قيادة الثورة، ثم أوكلت إليه تصفية أملاك اليهود في العراق أواسط السبعينات وكان موضع استغرابي عندما أخبرني عبد الفتاح أن اليهود من العراقيين الموجودين في اسرائيل ما تزال تصلهم واردات أملاكهم في العراق، كما أخبرني أنه كانت في العراق شركة مؤلفة من رأسماليين يهود ومن الوصي على العرش عبد الإله وبعض أركان النظام السابق لثورة عام 1958، وقد تولت هذه الشركة انشاء شارع المنصور أجمل شوارع بغداد.

توالى تقليص نفوذ عبد الفتاح زلط بعد استقالة أحمد حسن البكر من رئاسة الجمهورية الى أن سحبت سيارته الرسمية ومنع من مغادرة العراق لولا وساطة الاستاذ ميشيل عفلق، ولعل لهذا المنع علاقة بالتنافس بين الشركات التي كانت تطمح الى التزام المشاريع في العراق، فقد كان عبد الفتاح على صلة وثيقة بالمليونير ذي الأصل السوري (من أبناء مدينة بانياس) والجنسية السويسرية السيد عاطف دانيال الذي نفذت شركات يمثلها بعض المشاريع البترولية في العراق ودول نفطية أخرى، وكانت ملايين الدولارات عمولة دانيال من تلك المشاريع مما جعله في عداد أثرياء العالم.



مصطفى حمدون<sup>(3)</sup> وجوب مغادرة لبنان فغادروها الى العراق بينما عاد الى سورية الدكتور فيصل الركبي وعدنان حمدون ونايف جربوع، وكان قد حدث نوع من الانفراج بسبب الخلاف الذي بدأ بين صلاح جديد وحافظ الأسد وبسبب تحسب النظام السوري لما حدث في العراق.



في تلك الفترة، وقبل أن يغادر الاشتراكيون العرب لبنان، بعضهم الى سورية، وآخرون الى العراق، كتبت نشرة مفصلة حاولت فيها تحليل ظروف هزيمة حزيران وأسبابها، وقد تمت الموافقة على إرسال هذه النشرة الى سورية رغم أنها كانت موضعاً لبعض الملاحظات، بداعي أنها تعرضت لموقف الاتحاد السوفيتي كدولة عظمى لها مصالحها في المنطقة العربية ولموقفها من حرب حزيران، وان دعمها للقضية العربية لا يوازي بشكل من الاشكال دعم الولايات المتحدة لاسرائيل، وبداعي ان النشرة تعرضت للموقف الحقيقي لعبد الناصر وليس الاعلامي من القضية الفلسطينية وتلقيه المعونات من الولايات المتحدة لقاء هذا الموقف حيث ورد فيها:

**وحسبنا من دليل ان اسرائيل وحدها، حشدت من قواها العسكرية في عدوان حزيران ضعف ما حشدته سورية والاردن**

---

أذكر انني قلت لعبد الفتاح تعلقيا على استقالة أحمد حسن البكر من رئاسة الجمهورية: ليس أحمد حسن البكر مؤيدا من الجيش؟ قال بلى، ولكن البكر لا يريد تكرار موقفه أواخر عام 1963 فيما يسميه حزب البعث "الردة التشريعية" عندما وقف البكر الى جانب الجيش وعبد السلام عارف تجاه ممارسات البعث والحرس القومي بعدما استولى الحزب على الحكم في العراق في شباط 1963، وفي اعتقادي أنه لو بقي البكر على رأس الحكم في العراق لما وقعت الحرب العراقية الايرانية ولا اجتاح العراقيون الكويت.

(3) اعتمد المرجع احمد حسن البكر على المقدم مصطفى حمدون بتطبيق قانون الاصلاح الزراعي باعتباره وزيرا سابقا للاصلاح في سورية خلال عهد الوحدة فعين حمدون معاوناً لوزير الاصلاح السيد عزت الدوري واستمر عمل حمدون في وزارة الاصلاح عدة سنوات ثم أرسله البكر مندوباً عن العراق برتبة سفير على منظمة الاغذية التابعة للأمم المتحدة.

والعراق ومصر مجتمعة. وان ميزانية وزارة الدفاع الاسرائيلية كانت تعادل مجموع موازنات وزارات الدفاع في مصر والاردن والعراق معا. وان اسرائيل عبات في الحرب جميع قواها البشرية تعبئة عسكرية مؤهلة للقتال بينما لم يتمكن اي بلد عربي حتى من تعبئة قواه العسكرية بالذات.

ولذا يمكننا ان نقرر بكل تأكيد ان العرب لم يحاربوا في الخامس من حزيران حتى يقال انهم هزموا، بل ان الانظمة العربية، التقدمية والرجعية على السواء، هي التي هزمت في هذه الحرب، ومن المؤسف أن الانظمة التقدمية كانت تضع قضية فلسطين موضع المساومة لصالح قضايا عربية أو قطرية اخرى، وتظن انها حين تلعب بورقة فلسطين في لعبة المساومة قد تربح مكاسب محلية أوقطرية دون أن تعرض قضية فلسطين للخطر.

لقد ظنت انها تلعب لعبة ذكية، بينما اثبتت تجارب معركة 1956، ومعركة المياه العربية، وحرب حزيران، أنها كانت مخطئة خطأ فادحا في ممارسة هذه المساومة الخطرة مع الاستعمار الاميركي المرتبط بالصهيونية والخاضع لتوجيهها. ان المسؤولين العرب لم يدركوا حتى الان ان كل مساومة او مهادنة للاستعمار الجديد الاميركي هي في الواقع مساومة ومهادنة للاستعمار الصهيوني في المنطقة العربية.

ففي عام 1956، أهدمت مصر على تأميم قناة السويس كرد على امتناع اميركا عن تمويل السد العالي، وبالرغم مما حققه نظام عبد الناصر من مكاسب وطنية مشروعة، فان اسرائيل حققت انتصارا اكبر بكثير، حين فتحت خليج العقبة امام تجارتها وملاحقتها، وأمنت اتصالها باسيا وافريقيا.

وعندما هادنت مصر سياسة كنيدي بتجميد قضية فلسطين عشر سنوات بداعي ان كنيدي سيجد لهذه القضية حلا في المستقبل، تجاه المعونات المالية وصفقات القمح الاميركي، لم تدر بأنها تهادن السياسة الصهيونية التي كانت تسعى لاستكمال استعداداتها - خلال هذه السنوات العشر - محققة في الوقت ذاته

انتصارها في معركة المياه العربية منسجمة مع مراحل مخططها التوسعي.

وقد يخطي كثيرا من يعتقد أن تغيرا ما قد طرأ على السياسة الاميركية بمجيئ الرئيس جونسون. فسواء كان اغتيال كينيدي لعدم صلاحه لتنفيذ المخططات الصهيونية ام لعوامل اخرى، فان هذا لا يغير شيئا من الحقيقة الماثلة، وهي ان جونسون بدأ بسياسة جديدة تجاه نظام عبد الناصر بعد ان اكملت اسرائيل جميع استعداداتها لتنفيذ المرحلة الجديدة من مخططها التوسعي. ولكن ناصر كان يعتقد ان الورقة الراححة في يده للضغط على اميركا لتبديل سياستها من نظامه، وذلك بتهديده أمن اسرائيل، وما عرف انه سيقع في الفخ المنصوب له.

وهذا الخطأ الاساسي في الظن، المبني على عزل السياسة الاميركية عن تبعيتها للمخططات الاستعمارية الصهيونية، هو الذي جعل الرئيس المصري يعتقد انه صاحب المبادرة في اللعبة، وانه بالتالي صاحب الموقف الاقوى. فكانت النتيجة انزال أفدح الخسائر بقضية فلسطين معركة المصير العربي عموما".

ومن المدهش أن بعض عبارات هذه النشرة التي كتبت عام 1968 تكاد تكون رؤية مستقبلية للواقع العربي فيما بعد فقد ورد فيها :

"وقصارى القول : ان الاتحاد السوفياتي بنى سياسته في المنطقة من خلال علاقته بالانظمة، بقطع النظر عن انحرافاتهما، ولم بين سياسته من خلال علاقته بالشعوب وقواها التقدمية. فمن المحتم اذن ان يعتبر بقاء هذه الانظمة واستمرار وجودها- بعد النكبة - استمرارا لنفوذه ووجوده في المنطقة العربية. كما ان اميركا اصيحت، في الوقت ذاته، اشد حرصا على بقاء هذه الانظمة حتى تحقق الحل السياسي سلما أو بهزيمة اخرى، وذلك بما يقضى على كل ما تحمله هذه الانظمة من شعارات قضاء مبرما، وتحقق اسرائيل مطامعها التوسعية، وتمهد السبيل لردة رجعية

فكرية وسياسية تنقطع فيها أوصال كل تطلع تحرري وكل علاقة بالمعسكر الاشتراكي. وحتى الان لا تزال الامور تسير والاحداث تتسلسل نحو هذا الهدف وكأنه قدر محتوم".

لقد اعتبر بعض الاشتراكيين العرب هذه النشرة جنوحا مني نحو اليمين، تماما مثل اتهامات الناصريين والبعثيين، ففي تلك الفترة كان الالتزام بالاتحاد السوفيتي والمناداة بالماركسية هما مقياس الوطنية والتقدمية، ولذلك امتنع بعضهم في سورية عن توزيع هذه النشرة، والذي ظهر فيما بعد أن الامتناع عن التوزيع لم يكن بالنسبة لهؤلاء إلا وسيلة للانتهاز والاثراء غير المشروع والتقاط فتات السلطة التي رماها اليهم العسكر.



بقيت وحدي في لبنان بعد مغادرة جميع قادة الاشتراكيين العرب ما عدا الأخ عبد اللطيف سالمة الذي كان رفيقا لي في حرب فلسطين عام 1948، وفي تلك الفترة من الوحدة والياس أعلنت في مجلة الحوادث اللبنانية انني تركت السياسة وانني سأنصرف الى كتابة مذكراتي، وبدأت في مقهى الجندول، الذي يقع في الطابق الأرضي من البناية التي كنت اسكنها في منطقة المزرعة مقابل ثكنة الحلو، أقضي الوقت بمطالعة الصحف ورؤية أصدقائي من اللبنانيين الذين استقبلوني بمحبة وترحاب لن أنساهما أبدا.



من ذكريات تلك الفترة أن شخصا فلسطينيا زارني ليقول لي أنه مرسل من قبل عبد الكريم الجندي على رأس مفرزة من عناصر المخابرات هدفها اختطافي وان الخطة الموضوعة هي :

الاتفاق مع أحد العاملين في مقهى الجندول ليضع مخدرا في قهوتي، وعندما يغمى علي تأتي سيارة اسعاف لحملي رأسا الى دمشق، وقد أخبرني ذلك الشخص ان النظام العسكري الحاكم وضع مبلغا تحت تصرف المفرزة لاتمام هذه العملية، كما قال لي أنه على استعداد لفضحها أمام الأمن العام

اللبناني والصحف اللبنانية، ولكنني لم أشأ لذلك الشخص الطيب أن يصبح مطاردا من قبل المخابرات السورية مما يعرض حياته للخطر فشكرته على إخلاصه وشجاعته وقلت له : إن بقاءك في سورية قد يكون أكثر فائدة ، وأن أحسن ما تعمله هو المماطلة في تنفيذ المخطط بينما سأمتنع عن عادتي الصباحية بتناول القهوة وقراءة الصحف في مقهى الجندول .

ومن الجدير بالذكر ان النظام العسكري البعثي، على اختلاف فئاته، قد اختطف من لبنان، وحتى من جزيرتي قبرص ورودس، بعض المعارضين السوريين وفي مقدمة المختطفين الضابط مصطفى خليل مؤلف كتابي سقوط الجولان وملفات الجولان.

وقد كان لهذين الكتابين أوسع انتشار في سورية ولبنان، كما اختطف المخابرات السورية الصحافي السوري زهير الشلق الذي كان من المحتمل أن يبقى في سجون النظام حتى الآن لولا التدخل السعودي، كما أقدم النظام على اختطاف الضابط محمد وداد بشير الذي قام بالقاء القبض على الجاسوس المشهور كوهين وما يزال هذا الضابط في سجون النظام السوري (كانون أول 1993) وقد أخبرني من أثق بصدقه كل الثقة انه كان في بداية سجنه في الزنزانة نفسها التي وضع فيها الجاسوس كوهين، كما تم اختطاف الضابط نزار السمان ابن أخت السيد عبد الغني عياش في لبنان ولم يعثر له على أثر حتى الآن بالإضافة الى كثيرين غيرهم كالسيد حاكم الفايز (عضو القيادة القومية قبل الاطاحة بصلاح جديد) الذي اختطف من بيروت.

بعد ما يقرب من عامين على تلك الأحداث أفرج عن عبد الغني عياش ورفاقه من الضباط والمدنيين في فترة الخلاف بين صلاح جديد وحافظ أسد، وكانت فترة انفراج نسبي حاول فيها كل من الطرفين أن يجمع حوله ما أمكن من المؤيدين، وعندما بلغ الخلاف أوجه بين صلاح جديد وعبد الكريم الجندي من جهة وبين حافظ أسد وأخيه رفعت، أصبحت الصحف اللبنانية مشغولة

بأنباء هذا الخلاف، وكان الاتحاد السوفيتي واليسار عامة، سواء السوري أو اللبناني يؤيد صلاح جديد، كما تؤيده المقاومة الفلسطينية التي وقف الى جانبها بإقحام الجيش السوري لغزو الأردن عندما حدث الصدام بين ياسر عرفات وبين نظام الملك حسين في ايلول 1970، بينما قيل بشكل غير مؤكد أن موقف حافظ أسد كان خلاف ذلك، ولا شك أن دخول الجيش السوري الى الأردن الذي تعارضه الولايات المتحدة واسرائيل والاتحاد السوفيتي وكثير من الانظمة العربية والذي كاد أن يؤدي الى المجابهة بين الدولتين العظميين - كما صرح آنذاك الرئيس الاميركي نيكسون- كان أحد الاسباب التي أدت في تشرين الثاني 1970 الى الاطاحة بصلاح جديد ومجموعته.



وهنا لا بد لي من شهادة فيما يتعلق بأحداث ايلول عام 1970 في الأردن:

كانت الأمور قد وصلت في تلك الفترة الى نقطة الانفجار بين المقاومة الفلسطينية وبين نظام الملك حسين، فقد أصبحت المقاومة في الأردن كما أصبحت فيما بعد في لبنان دولة داخل دولة، كما كانت المزاولات اليسارية لبعض فصائلها مما لا يمكن احتماله بمجتمع عربي اسلامي<sup>(4)</sup>، وكنت اعتقد آنذاك ان الصدام بين المقاومة والنظام الأردني سيؤدي الى كارثة قومية لذلك أرسلت المرحوم كمال ناصر من قيادة فتح، وكان مقيما في بيروت، الى ياسر عرفات أحذره من الصدام العسكري مع النظام الأردني فكان جواب عرفات على هذا التحذير قوله:

انني سأخوض هذه المعركة ولو وصل الدم الى الركب.



كما أنه لا بد لي قبل اختتام هذا الفصل من الاشارة الى واقعيتين:

(4) قيل آنذاك ان صور ماركس علفت في بعض المساجد، وقد قرأت في جريدة الحرية التي كانت تصدر في لبنان للجهة الديموقراطية أنها بدأت بإنشاء سوفيتات في اردب.

الأولى عندما وقع الخلاف بين حافظ أسد وصلاح جديد فقد جاءني الى بيروت الاستاذ سليمان الخش من القيادة القطرية بسيارته الرسمية وكان وزيرا للتربية والتعليم، كنت جالسا أقرأ في إحدى مقاهي الروشة، فسلم علي بود، وبعد حديث طويل تعرض للخلاف بين صلاح جديد وحافظ أسد وتحدث عن المأزق الذي وصل إليه النظام العسكري في سورية وسألني عن المخرج فقلت له :

لا مجال للخروج من هذا المأزق إلا بتبع النهج الديموقراطي والاقلاع عن حكم الارهاب والمخابرات والتسليم بالتعددية الحزبية وضمان الحريات العامة والشخصية فكان جوابه :

إن الديموقراطية ستفسح المجال لعودة عفلق والبيطار الى سورية، كما أن عملاء الاستعمار سيعودون الى الساحة السياسية ، قلت له :

إن الديموقراطية هي حق لجميع المواطنين سواء بالنسبة لعفلق أو البيطار أو لغيرهم حيث السيادة للشعب ولحكم القانون.

أما الواقعة الثانية فهي زيارة المرحوم كمال ناصر لي عندما اشتد الخلاف بين صلاح جديد وحافظ أسد وأصبح على وشك الانفجار.

قال لي المرحوم كمال ناصر : ان حافظ أسد استدعاه الى دمشق وسهر معه حتى الصباح، وطلب منه أن يتصل بي وبمشيل عفلق ويسألنا عن رأينا في الانقلاب الذي سيقوم به ضد حكم صلاح جديد وجماعته، وقبل أن يسمع رأيي قال لي بأن الانقلاب المزمع القيام به هو انقلاب رجعي وغربي وهذا هو رأي القيادة الفلسطينية، فقلت له :

انني لست حريصا على بقاء نظام صلاح جديد الديكتاتوري القائم على أجهزة المخابرات ومصادرة الحريات والتعذيب، ولا تنس محاولة اختطافي أخيرا من قبل مخابرات عبد الكريم

الجندي، فهل تتوقع مني أن أدافع عن بقاء هذا النظام؟ وبالمقابل هل يمكن أن أفتي لحافظ أسد أن يقوم بانقلابه بينما علمتني التجارب أن أي انقلاب عسكري هو ضد مصلحة سورية وضد الديمقراطية؟

انني لست مستعدا لتقديم هذه الفتوى رغم ان الدكتور وهيب الغانم كان يثني على أخلاق وتوجهات الضابط حافظ أسد ، مع العلم أن أي تأييد للانقلاب يعني انني سأشترك معه بالمسؤولية.

قال كمال ناصر:

سأتصل بمشيل عفلق وأبلغه رسالة حافظ أسد وإذا سألني عن رأيك فماذا أقول له؟ أجبته :  
بلغه رأيي كما حدثك عنه.



قابل السوريون انقلاب حافظ أسد على حكم صلاح جديد بتاريخ 1970/11/12 بالتأييد والارتياح لأنهم كانوا يأملون زوال جو الارهاب الذي أشاعه نظام جديد ورئيس مخابراته عبد الكريم الجندي الذي تتضارب الأقوال حول انتحاره أو اغتياله بتاريخ 1969/3/2 وكان رفعت رأس الحربة التي استخدمها أخوه حافظ الأسد بمواجهة صلاح جديد في طريقه الى الاستيلاء على السلطة والقضاء على نفوذ عبد الكريم الجندي.

ومن الجدير بالذكر أن زوجة الجندي "انتحرت" بعد عدة أسابيع من موت زوجها، كما أطلقت الرصاص سيارة مسرعة على سائقه الذي سقط ميتا في الشارع المتفرع من طريق الصالحية والمسمى بستان الرئيس.

كان عبد الكريم الجندي مريضا نفسيا، حاقدا على الناس، ساديا كسائر من يمارسون أو يأمرن بالتعذيب، ولعل من أسباب مرضه النفسي ما كان يشاع عن عجزه الجنسي، وقد ارتكب عمليات جنونية من تعذيب واغتيالات، ومما جعله يتمادى في



ممارساته أنه كان مدعوما من صلاح جديد وجماعته الذين كانوا يعتبرونه هاما للنظام، ويشير باتريك سيل في كتابه عن حافظ أسد، نقلا عن أسعد كامل الياس مدير مكتب يوسف زعين رئيس الوزراء آنذاك، ان زعين بكى عندما بلغه نبأ موت عبد الكريم الجندي وعلق على ذلك بقوله: لقد تيتمنا (كتاب الأسد 1988 - دار الساقى - ص 250).



أواخر عام 1971 ، وبينما كنت منصرفا الى كتابة مذكراتي تردد علي في بيروت شخص مرسل من قبل تنظيمنا في سورية يطلب رأيي في تحديد الموقف الذي يجب أن يتخذه التنظيم تجاه الاتصالات التي كان يجريها حافظ أسد لتشكيل جبهة من مختلف التكتلات السياسية السورية فكان جوابي له ما يلي:

لا ضرورة للاستعجال باتخاذ موقف من الحكم الجديد لأنه في حقيقته انقلاب عسكري كسابقه في الثامن من آذار 1963 أو 66/2/23، ولكن إذا تحقق ما يشيعه عن رفع القبضة الحديدية للمخابرات عن رقاب الشعب وأنه سينهج النهج الديموقراطي فيضمن الحريات الخاصة والعامة للمواطنين، وهو ما يأمله الشعب السوري من النظام الجديد، فإن من الواجب عندئذ دعمه وتأييده كقائد للبلاد باختيار الشعب ورضاه.

كانت آمال السوريين بالانفراج سببا في الاستقبالات الحافلة التي قوبل بها حافظ أسد في دمشق والمدن السورية الأخرى خلال الجولة التي استهل بها عهده، ففي دمشق نحرت عشرات الخراف أمام الجامع الأموي عند أول زيارة له، وعلقت اللافتات التي كتب عليها: طلبنا من الله المدد فأمدنا بحافظ أسد. وكان تجار دمشق الذين يأملون بالانفراج الاقتصادي وراء هذه المظاهر الاحتفالية بعد ضيقهم من سياسة حكومة صلاح جريد الماركسية المقلدة لحكومات المعسكر الاشتراكي.

ومن بين تلك المظاهر الاحتفالية كانت مدينة حماه وريفها من اكثر الأماكن حماسة وحشودا في استقبال حافظ أسد،

ويبدو أن لذلك علاقة فيما تأمله جماهيرها من عودتي الى سورية، وقد سمعت وأنا في بيروت أصغي لوقائع الزيارة من الاذاعة السورية هتاف عشرات الألوف المجتمعة في ساحة العاصي وهي تطالب بهذه العودة، ثم علمت فيما بعد أن وفدا من مدينة حماه وريفها قابل الأسد مطالبا بعودتي وانهاء نفيي الذي اضطررت إليه بسبب الملاحقة الشرسة أيام صلاح جديد، وأن حافظ أسد أجاب على طلب الوفد ببعض عبارات المجاملة نحوي.



لقد تسبب هذا الوضع الجديد بالانقسام الثاني في تنظيم الاشتراكيين العرب الذين أصبحوا بين مؤيد للاشتراك في الجبهة المقترحة من النظام الجديد وعلى رأسهم عبد الغني قنوت وعبد الحلیم قدور وعبد العزيز عثمان، وبين رافض للاشتراك منتظرا ما قد يسفر عنه النظام الجديد، وكان هذا الفريق بقيادة عبد الغني عياش الذي كان حافظ أسد سببا في الافراج عنه من سجنه اثر محاولته الانقلابية الفاشلة على حكم صلاح جديد.

في تلك الفترة كان مصطفى حمدون وعبد الفتاح الزلط قد أصبحا لاجئين في العراق ، ولكن عبد الفتاح جاءني الى بيروت مصرا علي أن أطرد عبد الغني وجماعته من تنظيم الاشتراكيين العرب بحجة تعاونهم مع حافظ أسد باعتبار انني ما أزال متمتعا بالمرجعية الحزبية فرفضت ذلك الطلب.

كان موقف عبد الفتاح معاكسا لموقفه السابق عندما تعاون عبد الغني قنوت وجماعته مع نظام صلاح جديد واشترك فتحي علوش عن الاشتراكيين العرب في وزارة يوسف زعين التي شكلها بعد انقلاب 1966/2/23، نتيجة لمؤتمر عقده الاشتراكيون العرب في غيايبي وانقسم فيه المؤتمرون بين مؤيد للتعاون ورافض له مما سبب الانقسام الأول في حركة الاشتراكيين العرب بين فريق على عدي وعبد الغني قنوت وعبد العزيز عثمان ممن سمو انفسهم باليساريين، وبين فريق

المحاميين: رياض المالكي وبشير الاحمر وعدنان السمان الذين وجهت اليهم تهمة اليمين بسبب رفضهم التعاون مع نظام صلاح جديد والاشترك في حكومته.



بعد أن أعلنت اعتزالي العمل السياسي وإعلان ذلك في مجلة الحوادث اللبنانية انصرفت ولا سيما خلال عام 1972 الى كتابة مذكراتي بهمة لا تعرف التعب، وكنت أقضي في ذلك يوميا عدة ساعات أطالع مجموعات الصحف القديمة ومحاضر مجلس النواب وأعود الى المصادر، وكانت بيروت آنذاك اكثر العواصم العربية ملاءمة لمثل هذا العمل، فقد رحب أصحاب الصحف بإعازتي ما يملكون من مجموعات، ولا سيما المرحوم وديع صيداوي الذي كان لاجئا في بيروت الذي أعارني مجموعة جريدة النصر السورية التي أصدرها بعد الحرب العالمية الثانية، كذلك المرحوم ميشيل أبو جودة الذي كان يعيرني بصورة منتظمة مجموعة جريدة النهار لصاحبها السيد غسان تويني، وعندما اختطفه السوريون استجوب في دمشق عن موضوع إعازتي مجموعة النهار وعن أي مرحلة وصلت في كتابة المذكرات.

كانت أيضا مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت مصدرا هاما لتزويدي من قبل القيمين على المكتبة بما أحتاج إليه من المصادر، وانني لن أنسى مساعدة السيد يوسف الايبش الذي كان دليلي إلى بعضها، وأذكر أنه أطلعني على مخطوطة المذكرات الطريفة للأمير عادل أرسلان الذي عمل وزيرا للخارجية خلال انقلاب حسني الزعيم والتي تحدث فيها عن مفاوضات الزعيم مع الاسرائيليين، وقد ضمنت مذكراتي بعضا مما ورد في تلك المذكرات ، كما ساعدني السيد ايبش أيضا على معرفة تاريخ ميلادي بالضبط عندما أرشدني الى طريقة تحويل التاريخ الهجري الى تاريخ ميلادي.



كانت طريقتي في كتابة مذكراتي إملأها ثم تدقيقها ثم إعادة تبويبها من جديد، وكانت طريقتي في البحث والتوثيق وتدقيق التواريخ وتضمين المذكرات بعض النصوص شاقة مما اضطرني لأن أطلب من زوجتي استئصالها من وظيفتها في مديرية البحوث في وزارة التربية بدمشق والاقامة معي في لبنان بعد أن ترك السيد شريف الراس مساعدتي ولا سيما أنها كانت ممنوعة من مغادرة سورية، وكانت تضطر أحيانا قبل ذلك للهروب الى بيروت عبر الحدود السورية-اللبنانية باللجوء الى مختلف الوسائل.

لقد شعرت بكثير من الارتياح في العمل سوية مع زوجتي بكتابة المذكرات بسبب ما تمتاز به من الصبر وحسن التنظيم والدقة في الرجوع الى المصادر والتواريخ، وهي صفات اكتسبتها من دراستها الجامعية ومن عملها في مديرية البحوث التربوية، وكانت تشعر، مثلما أشعر، بمسؤولية ما يكتب، وقد استمر هذا العمل المشترك طيلة عام 1972 وقسما كبيرا من عام 1973 وهو العام الذي تركنا في أواخره بيروت، عندما لجأت الى العراق بسبب بوادر الحرب الأهلية في لبنان، فأودعت ما كتبت عند صديقي المحامي غالب ياغي الذي أودعها بدوره فترة غيابه عن لبنان عند انسيبائه من آل طيارة، وقد أخبرني الاستاذ غالب ان والدته زوجته رفضت أن تترك منزلها ذات مرة عند اشتداد القصف خلال الحرب الاهلية اللبنانية لأنها خشيت أن تمتد الأيدي الى المذكرات.

في عام 1977 - كما أذكر - جاءني هاتف من بيروت وكنت آنذاك في العراق بأن مكتبتي التي تركتها هناك قد نهبت وان جماعة السيد كمال شاتيل مع المخابرات السورية هي التي قامت بعملية نهب الشقة التي كنت أقيم فيها في الضاحية الجنوبية من بيروت.

كانت مكتبتي غنية بالكتب السياسية وبمجموعات الصحف وبالموثائق التي تتعلق بحركة الشباب في حماه وبتاريخ الحزب العربي الاشتراكي والبعث العربي الاشتراكي، وزاد في

غناها ما زودني به أصدقائي والاشتركيون العرب من وثائق ومجموعات صحف وصور يعود تاريخ بعضها الى ما قبل عام 1936 عندما علموا انني بدأت اكتب مذكراتي، وكان أكثرها قيمة مجموعة كاملة من صور فرقة بدر، وهي المجموعة الفدائية التي شكلتها في حماه وتوجهت معها الى فلسطين عام 1948، ومن حسن الحظ أن زوجتي الحريصة على تلك الصور قد حملتها معها الى بغداد، ولكنني ما أزال حتى الآن أسفا على مجموعتي كاملتين من محاضر مجلس النواب السوري كنت استعرتهما من الاستاذين خليل كلاس وفؤاد قدرى النائبين السابقين بالاضافة الى مجموعة جريدة الصرخة الدمشقية التي كنت استعرتها من أولاد المرحوم أحمد علوش، ولكن أكثر هذه المنهوبات قيمة تاريخية كانت مجموعة مجلة الانسانية التي كان يصدرها في حماه أوائل هذا القرن الشيخ حسن الرزق أحد المصلحين الحمويين في أواخر القرن التاسع.

ان نهب المكتبة لم يستطع - لحسن الحظ- تعطيلي عن اتمام ما بدأت به لأن زوجتي كانت قد حملت معها الى بغداد الأجزاء الأخيرة من محاضر مجلس النواب السوري التي لم أكن قد راجعتها بعد، كما أن مجلة الانسانية كانت قد تمت مراجعتها واختيار بعض نصوصها.

لقد حاولت زوجتي التي سافرت الى بيروت ان تعرف مصير المكتبة المنهوبة فاتصلت على التوالي بالعقيد سامي الخطيب وبرئيس الوزارة سليم الحص، وبالمسؤول عن البعث السوري عاصم قانصوه، وبالسيد كمال شاتيلا، وكذلك ببعض المسؤولين عن المخابرات السورية، وقد تبين لها من هذه الاتصالات ان المكتبة قد تم تقاسمها بين المخابرات السورية وبين السيد كمال شاتيلا الذي أعاد فيما بعد عددا يسيرا من كتبها.



بعد نهب المكتبة شعرت أن بيروت لم تعد مكانا آمنا لمذكراتي، وبالاضافة الى ذلك فقد عزمت - وأنا في العراق - أن

اتم ما كتبه بعد انقطاع طويل سببه العملية التي أجريتها في باريس عام 1977 لاستئصال رثتي اليسرى بسبب ورم فيها، لذلك ذهبت زوجتي من جديد الى بيروت التي كانت تحتلها القوات السورية ومخابراتها في محاولة لإخراج المخطوطة بعد أن أعطيتها اسم أحد أصدقائي من قادة المقاومة الفلسطينية ليقوم بمساعدتها لأن عملية النقل لم تكن أمرا سهلا إذ ان وزن الأوراق المكتوبة مع مغلقاتها كان يتجاوز الخمسة عشر كيلوغراما من الورق ، ولكن صديقي رفض نقلها الى العراق بالذات، مع استعداده لنقلها الى أي مكان آخر في العالم، وهكذا عادت زوجتي دون إتمام ما ذهبت لأجله.

مع قدوم عام 1982 كانت بوادر الاجتياح الاسرائيلي للبنان قد أصبحت أمرا شبه مؤكد، لذلك أضحي نقل المذكرات من بيروت أمرا ملحا، وهكذا سافرت أم جهاد إلى بيروت مرة ثالثة رغم ما في ذلك من مخاطرة بسبب وجود القوات السورية، حيث استطاعت أن تشحن الى فرنسا، بمعونة أحد الأصدقاء ، حقيبة المذكرات التي مرت دون أن تفتح أمام أعين رجال المخابرات السورية المنتشرين في مطار بيروت، كذلك لم ينتبه رجال المخابرات والجمارك الى الحقيبة المملأ بالصور التي كانت تسجيليا حيا لمرحلة هامة من تاريخ سورية والتي حملتها زوجتي معها الى الطائرة، ومن الجدير بالذكر أن شقة صديقي الذي أودعت لديه المخطوطة قد أصيبت خلال قصف بيروت بعد ذلك بأشهر قليلة خلال الاجتياح الاسرائيلي عام 1982 وان النار التهمت الغرفة التي استقرت فيها المذكرات عدة سنوات.

لقد تابعت الكتابة في العراق أحيانا، وبعد ذلك في باريس بشكل متقطع، بسبب انشغالي بما أصدرته من بيانات تحت اسم المعارضة الوطنية الديموقراطية السورية، ولكنني ما لبثت أن انصرفت لهذا العمل نهائيا أواخر الثمانينات ، وساعدني على ذلك سكني في ضاحية هادئة جدا قريبة من مدينة فرساي حيث يوجد فرع لمكتبة باريس الوطنية يضم مجموعات الصحف العربية وغيرها مما يهم الباحثين، ومع ذلك فقد كان ما تضمه

أقل بكثير مما يجب أن تضمه مكتبة بمثل هذه الشهرة، ولما سألت عن السبب قيل لي أن ذلك يعود الى إهمال الصحافة العربية تزويد المكتبة الوطنية الفرنسية بما يصدر من صحف.

كانت جريدة الحياة اللبنانية لصاحبها المرحوم كامل مروة هي الوحيدة تقريبا من بين الصحف العربية التي توجد مجموعاتا بشكل منتظم ومتواصل في المكتبة، بينما كان وجود الصحف الأخرى منقطعا مما جعلني أعتد بالدرجة الأولى على مجموعاتها بالاضافة الى جريدة النهار لتذكر بعض الأحداث وتدقيق تواريخها، وقد دام ترددي على هذه المكتبة مع زوجتي عدة سنوات خلال إقامتنا في فرنسا قبل مغادرتنا الى عمان أواخر عام 1992.

في العراق من عام 1973 الى عام 1983 عندما استنفرت نهائيا في باريس: اندلاع حرب تشرين 1973 بعد عدة أيام من لجوئي الى العراق - كان رأيي أن يشترك العراق في حرب تشرين مخالفا لآراء بعض المعارضين السوريين اللاحئين الى العراق - موقفي المعارض لسياسة القطيعة بين الشعبين السوري والعراقي - محاولة ثانية لتشكيل جبهة معارضة للنظام الحاكم في سورية - اغتيال صلاح البيطار صيف 1980.

تركت لبنان الى العراق مع زوجتي وأولادي أواخر تشرين الأول 1973، فبالإضافة الى مضايقات أجهزة الأمن السورية ، لم أكن واثقا بأن محاولة الخطف السابقة لن تتكرر مرة أخرى مما كان يحد من حرية تصرفاتي، كما أن بوادر اضطراب الأمن في لبنان كانت قد بدأت باغتيال قادة المقاومة الثلاثة كمال ناصر وكمال عدوان ويوسف النجار الذي اغتيل مع زوجته، وكانت العمارة التي تم فيها الاغتيال قريبة جدا من سكني، وبينما كانت الصحف تتحدث عن اختفاء الأشخاص الذين تركوا السيارات التي استعملت في الاغتيال في منطقة الرمله البيضاء، كانت قوات الأمن اللبنانية تعتقل من العمارة المجاورة التي تطل شرفتها على منزلي عددا من الذين قالت الصحف انهم من الذين يشتهر بأنهم اشتركوا في عملية الاغتيال.

لم تكن عملية 1973/4/11 مقتصرة على مقتل قادة المقاومة، وانما هوجمت منطقة الأوزاعي ومنطقة صبرا وشاتيلا ومكتب الجبهة الشعبية وقالت الصحف ان ضحايا الهجوم يفوقون الثلاثين قتيلًا ، بينما صرح ناطق اسرائيلي بأن القوات الاسرائيلية ضربت ثلاث قواعد للفدائيين في بيروت في دائرة قطرها 10كم كما ضربت قاعدة رابعة في صيدا.



أما رئيس الوزراء صائب سلام فقد صرح بأنه يعتقد أن المسؤولين الحقيقيين موجودون في صفوف الجيش بينما كان رئيس الجمهورية سليمان فرنجية يرفض هذا الاتهام. كان كل ما في لبنان يشير الى بوادر الحرب الأهلية.



بعد قليل من سماع نبأ الحرب بين سورية ومصر واسرائيل ، ولم يكن قد مضى على وجودي في بغداد سوى ثلاثة أو أربعة أيام، حضرت اجتماعا في بيت السيد شبلي العيسمي، وكان آنذاك الأمين العام المساعد للقيادة القومية التي حضر أيضا بعض أعضائها، حيث كان الاتجاه العام نحو عدم دخول العراق الحرب الى جانب سورية ومصر، ولكن موقفي كان مغايرا لهذا التوجه بل هددت يومها بأنني سأنهني لجوئي إلى العراق وأعلن إدانتي لموقف القيادة القومية والنظام العراقي، وسأخرج متظاهرا في المظاهرات التي أتوقع حدوثها احتجاجا على عدم دخول العراق الحرب إلى جانب سورية ومصر.

لقد أدى موقفي هذا الى انتقادات من بعض اللاجئيين السوريين ومن بعض اعضاء القيادة القومية وحتى من بعض رفاقنا كالمحامي المرحوم عبد الفتاح الزلط الذي كان أثيرا عند الرئيس أحمد حسن البكر، وكان التساؤل:

هل يجوز لجيش العراق أن يحارب الى جانب حافظ أسد؟  
ألا يعتبر ذلك دعما لنظامه وخذلانا للمعارضة السورية المتواجدة في العراق؟

بعد ساعة من هذا الاجتماع زارني السيد منذر المطلق زوج احدي كريمات الرئيس أحمد حسن البكر بطلب منه ليستطلع رأيي حول دخول العراق الحرب الى جانب سورية ومصر اللتين بدأتها دون أي تنسيق مع العراق أو إطلاعه على نيتهما دخولها، بل كان الأمر على العكس إذ اندلعت حرب إعلامية بين سورية والعراق وسط دهشة الناس الذين لم يروا

لها سببا ظاهرا أو مبررا، ويبدو أن مبررها الوحيد الذي تبين بعد اندلاع حرب تشرين هو أن يبقى العراق خارج هذه الحرب مما يعرض نظامه لنقمة الشعب وإدانته وبالتالي لسقوطه.

قلت للسيد منذر المطلق:

قل للأخ الرئيس البكر ان رأيي هو دخول الحرب دون تردد وبأسرع ما يمكن لنجدة سورية وجيشها.

كان دخول العراق الحرب بعد عدة ساعات من اندلاعها عندما توجهت دبابات الجيش العراقي الى سورية مجتازة مسافة تقرب من ألف كيلومتر على جنازيرها بسبب افتقار الجيش العراقي آنذاك الى عدد كاف من ناقلات الدبابات، وانني لن أنسى ليلة السابع من تشرين الأول 1973 عندما خرج الشعب العراقي رجالا ونساء وأطفالا يودعون الجيش الذاهب لنجدة سورية فغطت زغاريدهم هدير الدبابات التي كان الجنود يعتلونها هازجين فرحين وكأنهم ذاهبون الى احتفال.

قضيت أيام تلك الحرب لصيقا بالمذباغ أتابع تطورها حيث كان الاعلام مختلفا بعض الشيء عما عهدناه في حرب حزيران، فقد كان متحفظا قليل المبالغات، وكنت اعتقد عندما بدأت الحرب تجتاز أيامها الأولى انها ستنتهي الى نصر عربي يؤدي الى حل سياسي مشرف يحفظ الحقوق العربية ويضع حدا للصراع العربي الاسرائيلي.

كنت أزور يوميا القيادة القومية التي يبدو ان ايعازا قد اصدره الرئيس البكر لاطلاعي على تطورات الموقف، كما أرسل إلي المرحوم البكر نسخة - ما أزال أحتفظ بها- عن برقية تلقاها من أنور السادات ، وهي جواب عن استفهام عراقي عن أهداف الحرب، وفيها يقول السادات ان الهدف هو التحرير النهائي لسيناء ، وفيما يلي نص البرقية :

من الرئيس محمد أنور السادات

الى الرئيس أحمد حسن البكر

ردا على استفهامكم عن تصورنا للمعركة :

- 1- تمت المرحلة الأولى من عملية اقتحام المواقع الاسرائيلية عبر القناة بنجاح ويستمر تدعيم رؤوس الجسور.
  - 2- من المتوقع أن تحدث اشتباكات واسعة النطاق خلال الأيام القليلة القادمة مع الاحتياطي الذي يستعد الاسرائيليون لدفعه في المعركة.
  - 3- ستكون المعركة طويلة جدا لأن تحرير الأرض لا يمكن اتمامه في يوم أو اسبوع أو اثنين، وسنعمل على استمرار الحاق أكبر قدر من الخسائر في القوات الاسرائيلية.
  - 4- سنكون مستعدين لوقف اطلاق النار عند انسحاب كل القوات الاسرائيلية من سيناء.
- مع خالص تحياتي لكم.

وقت وتاريخ الارسال الساعة 2 صباح يوم 10/8.

وقد أوعز المرحوم أحمد البكر لوزارة الدفاع العراقية باطلاعي على مذكرات رؤساء أركان الدول العربية عن استراتيجية الحرب القادمة بين اسرائيل والعرب والتي تقضي بالأ يتوقف الهجوم العربي المرتقب على سيناء إلا عند مواقع دفاعية في ممرات متلا والجدي(1) ، وهذا ما كنت أسمعه في مناقشات

(1)

يقول الفريق سعد الدين الشاذلي في مذكراته ما يلي :  
"في خلال شهر ابريل 73 اخبرني وزير الحربية بأنه يرغب في تطوير هجومنا في الخطة لكي يشمل الاستيلاء على المضائق. فأعدت له ذكر المشكلات المتعلقة بهذا الموضوع، وأنه لم يطرأ أي تغيير على الموقف منذ أن ناقشنا هذه المشكلات معا وبعد نقاش طويل أخبرني بأنه إذا علم السوريون بأن خطتنا هي احتلال 10-15 كم شرق القناة فإنهم لن يوافقوا على دخول الحرب معنا. وأخبرته بأن بإمكاننا ان نقوم بهذه المرحلة وحدنا، وان نجاحنا سوف يشجع السوريين للانضمام اليها في المراحل التالية. ولكنه قال ان هذا الرأي مرفوض سياسيا. وبعد نقاش طويل طلب مني تجهيز خطة أخرى تشمل تطوير الهجوم بعد العبور الى المضائق. واخبرني بان هذه الخطة سوف تعرض على السوريين لاقتناعهم بدخول الحرب. ولكنها لن تنفذ الا في ظل ظروف مناسبة ثم اضاف قائلا "فلنتصور مثلا ان العدو تحمل خسائر جسيمة في قواته الجوية - وهو عنصر التهديد الاساسي- وأنه قرر سحب قواته من سيناء. فهل سنتوقف نحن على مسافة 10-15 كم شرق القناة لأنه ليس لدينا خطة لمواجهة مثل هذا الموقف"؟ لقد كنت أشعر بالاشمئزاز من هذا الاسلوب الذي يتعامل به السياسيون المصريون مع اخواننا السوريين. ولكني لم أكن لاستطيع أن أبوح بذلك للسوريين". (منشورات مؤسسة الوطن العربي للطباعة والنشر - باريس 1980 الطبعة الأولى ص 24).

مجلس الوزراء في مصر أثناء الوحدة التي كان يقال فيها أن الممرات هي الموقف الدفاعي الوحيد الذي يمكن منه إحباط الهجوم الاسرائيلي الخاطف الذي كان استراتيجيا اسرائيل في حربها مع العرب، مع العلم بأن اسرائيل لا تحتل حربا طويلة الأمد.

كان يبدو خلال أيام الحرب لمن يتابع جلسات الكنيست الاسرائيلي، على الرغم من التكتم الشديد، ان اسرائيل أصبحت على وشك أن تتقدم بطلب لوقف اطلاق النار، فقد تقدم الجيش السوري في الأيام الأولى الى مشارف صفد كما عبر الجيش المصري القناة ودمر خط بارليف، وأصبحت اسرائيل على وشك الانهيار، ودب الذعر بقياداتها حيث ظهر ذلك فيما بعد في تقرير اللجنة التي ألفت للتحقيق في ملابسات الحرب وقد ترجم هذا التقرير الى العربية ونشر في كتاب تحت عنوان التقصير(2) .

كان من العجيب أن يتوقف هجوم الجيش المصري الكاسح بعد عبوره القناة دون أن يتابع تقدمه الى ممرات متلا والجدي ليتخذ منها مواقع دفاعية كما كان مقررا من قبل رؤساء الأركان العرب، بالاضافة الى أن توقف هجوم ناجح لا يمكن أن تقره أي نظرية عسكرية، مما سمح لشارون أن يستغل هذا الخطأ الفادح في الهجوم المعاكس الذي قام به عبر البحيرات المرة فنجح باجتياز القناة من ثغرة الدفر سوار إلى الضفة الشرقية من القناة، وقد كان معروفا منذ الحرب العالمية الأولى ان القادة الألمان حاولوا اجتياز القناة الى مصر من منطقة البحيرات المرة، وعندما سئل موشى ديان بعد الحرب عن ملابسات فتح ثغرة الدفر سوار واجتياز القناة قال ان الجيش المصري انشغل بعد اجتياز القناة بالتحصينات الدفاعية التي أقامها على الضفة الشرقية، وعلى كل حال فقد كان بتقدير وزير الدفاع القائد السابق للجيش المصري الفريق محمد فوزي وبعض العسكريين المصريين، كما

(2) (بيروت - 1974، 1986، ترجمة مؤسسة الدراسات الفلسطينية).

ذكر محمود رياض في مذكراته، انه كان باستطاعة الجيش المصري سد هذه الثغرة التي سببت تطويق الجيش المصري.

ولكن الذي حال دون ذلك هو أنور السادات عندما طلب وقف اطلاق النار، ومن الجدير بالذكر ان السادات كشف فيما بعد عن تلقيه كتابا من وزير الخارجية كيسنجر، اثر اجتياز الجيش المصري قناة السويس يطلب فيه توقف الجيش المصري بداعي ان استمرار الهجوم سيؤدي الى خروج الحرب عن السيطرة، وكان توقف الحرب من الجانب المصري مقدمة للمفاوضات مع اسرائيل عند الكيلو 101، وعزل مصر عن بقية الدول العربية، ثم زيارة السادات القدس وبعدها معاهدة كامب ديفيد التي أخرجت مصر من الصراع العربي الاسرائيلي.

أما في الجبهة السورية فقد كان مقررا من قبل القيادتين السورية والعراقية، قبل وقف اطلاق النار على الجبهة المصرية، القيام بهجوم مضاد ردا على الهجوم الذي قامت به القوات الاسرائيلية، ولكن الخلاف وقع بين القيادتين اثر قبول الجانب السوري وقف اطلاق النار ايضا، ومن المدهش الانسحاب العراقي السريع بعد ذلك، بينما كان من المحتمل أن يؤدي بقاء الجيش العراقي على الجبهة السورية الى دعم مصر وسورية والى انسحاب الاسرائيليين من الجولان وسيناء، ومن هنا يظهر أن الخلافات بين الانظمة العربية كانت دوما لمصلحة الاعداء على حساب المصلحة القومية، وهذا ما يحمل الحكام العرب مسؤولية كل ما منيت به القضية العربية من هزائم.



## **موقفى المعارض سياسة القطيعة بين الشعبين السوري والعراقي ومن قضايا البترول والمياه بين البلدين.**

لقد اطلعت خلال عهد الوحدة بين سورية ومصر على الوضع الاقتصادي والاجتماعي المصري وما يعانیه من متاعب رغم ما كانت تتلقاه مصر من قروض ومعونات اقتصادية من

الشرق والغرب معا لتنفيذ برامجها الانمائية في مواجهة التفجر السكاني، وكان ذلك من أسباب عجزها عن تنمية قدراتها الدفاعية بما يتناسب وضرورة مواجهة العدو الصهيوني ، وهذا ما دعا جمال عبد الناصر أن يعلن تخليه عن المعركة مع اسرائيل في خطابه المشهور في غزة، ولا بد هنا من الاشارة الى ما جاء في مذكرات محمود رياض الذي تولى مفاوضات الهدنة في رودس اثر حرب عام 1948 بأن مصر كانت تعتبر أن اتفاقيات الهدنة قد وضعت حدا للحرب مع اسرائيل بالحدود التي رسمتها تلك الاتفاقيات.

كان هذا ما جعلني أقدر أهمية قيام الجبهة الشرقية بين سورية والعراق بسبب ما تتمتع به هذه الجبهة من قدرات اقتصادية وعسكرية بالاضافة الى العمق الاستراتيجي. وهذا ما دعاني بعد لجوئي الى لبنان (آذار 1968) ان أقوم بمحاولة مع السوفييت للاعتماد على الجبهة الشرقية ودعمها مثل اعتمادهم على الجبهة الغربية ولا سيما بعد أن استفحلت حرب الاستنزاف بين مصر واسرائيل بينما كانت الجبهة الشرقية ساكنة بل غير قائمة، وهذا ما أنهى حرب الاستنزاف التي شنتها مصر الى الفشل.

كنت اشرح اهمية قيام الجبهة الشرقية مع كل من اجتمع بهم من المسؤولين والشباب والفئات السياسية التي كنت على اتصال معها، وفي أحد هذه الاجتماعات حضر أحد موظفي السفارة السوفيتية في بيروت ، ولا أتذكر اسمه الآن، وقد وجدتها فرصة للقول بأنه على الاصدقاء السوفييت أن يبذلوا كل ما باستطاعتهم لقيام الجبهة الشرقية ودعمها لانه بدون قيام هذه الجبهة فإن اسرائيل ستكون المنتصرة في جميع معاركها مع مصر، ولشد ما فوجئت عندما أجابني هذا الموظف بأن كلامي هذا يتفق مع ما يقوله عملاء الغرب، فأخذتني الحدة وأجبتة:

إن موقفك هذا يتفق مع ما يريده عملاء الغرب، وانني أقول بصراحة، وهذا ما يشعر به العرب، بان الاتحاد السوفيتي مقصر

كثيرا عن الولايات المتحدة فيما تقدمه لاسرائيل من دعم ومساعدة، وكان حاضرا في هذا الاجتماع الاستاذ سهيل يموت وهو من قدامى المنتسبين للحزب الشيوعي في لبنان وعلى صلة وثيقة بخالد بكداش وكان يحاول أن يبذل كل ما يستطيع للمساعدة ويبيدي كل تقدير لحركة الاشتراكيين العرب.

بعد أيام من هذا الاجتماع بلغني سهيل يموت بأن موظفا كبيرا في السفارة السوفيتية يرجو أن يجتمع بك ليطلع على رأيك في موضوع معركة الاستنزاف، وفعلا اجتمعت به في السفارة وتحدثت عن ضرورة بذل كل الجهود لاقامة الجبهة الشرقية بين سورية والعراق مركزا على أهمية العراق الاقتصادية والعسكرية وعلى العمق الاستراتيجي الذي يشكله هذا القطر، وان قيام مثل هذه الجبهة بين سورية والعراق لا بد ان يشجع الأردن على الانضمام اليها في المعركة القادمة ، كما ذكرت بأن المطامع الاسرائيلية تستهدف الجبهة الشرقية لأن الهلال الخصيب هو مستودع الانهار والنفط بينما ليس للصهيونية مطامع تذكر في صحراء سيناء ولا في مصر، وان عدم قيام الجبهة الشرقية يؤدي الى استفراد الجبهة المصرية وانهارها، فلم يعقب المسؤول السوفيتي على أقوالي ، ولكنه لم يكن كسابقه بادي الامتعاض. كما عقيت بانه بإمكان الاتحاد السوفيتي ان يقوم بمساع جديّة لاتفاق النظامين البعثيين في سورية والعراق مما يمهد لقيام الجبهة الشرقية.

لقد كان النظامان البعثيان في سورية والعراق متشابهين الى حد كبير في اعتمادهما على أجهزة المخابرات والارهاب والولاء العشائري والطائفي والجهوي بدلا من اعتمادها على جماهير الشعب وطلائعه المثقفة النظيفة، وقد جاهرت كثيرا، وأنا في العراق، بوجوب تلاقي النظامين، مما كان موضع دهشة بعض اللاجئين السوريين ونقمة بعضهم الآخر.

وقد ذكرت سابقا أن خلافي مع الحكم البعثي في سورية ونظام جمال عبد الناصر لم يمنعني بعد هزيمة الخامس من حزيران من بذل كل ما أستطيع لقيام جبهة سياسية تضم

الاشتراكيين العرب والناصريين وحزب البعث في القطرين، حتى انني أرسلت الاستاذ عبد الفتاح زلط ليجتمع بعبد الناصر ويطلب اليه باسم الاشتراكيين العرب ان يكون قائدا لهذه الجبهة ليعود الوضع الشعبي الى ما كان عليه قبيل قيام الوحدة بين سورية ومصر.

إن الاتفاق بين النظامين البعثيين في سورية والعراق لم يكن فقط ضرورة استراتيجية للوقوف في وجه المطامع الصهيونية ، وانما كان ايضا ضروريا للوقوف في وجه مطامع تركيا وايران اللتين تفتحت شهيتهما القومية بتحريض من الغرب والصهيونية ، للتوسع على حساب الأراضي العربية، ومنذ الحرب العالمية الأولى وبقيادة رضا خان وزير الدفاع الذي نصب نفسه امبراطورا، اغتصبت ايران منطقة الأحواز واستمر هذا التوسع فيما بعد على حساب الأرض العربية خلال حكم ابنه محمد رضا عندما استولت ايران على جزر أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى مع ادعائها بأن البحرين هي أرض إيرانية، ولا شك أن هذا الماضي العدائي كان من خلفية الحرب بين العراق وايران فيما بعد.

أما بالنسبة لتركيا فقد كانت لها مطامعها ايضا في الأرض العربية عندما ادعت اثر الحرب العالمية الاولى أحقيتها بمنطقة الموصل الغنية بالنفط، ولكن بريطانيا الطامعة ايضا بهذا النفط وقفت موقفا حازما أدى الى فشل الادعاءات التركية، بينما تواطأت فرنسا مع الأتراك، عندما كان العالم على أبواب الحرب العالمية الثانية فساعدتهم- لتضمن موقفهم في هذه الحرب- على احتلال لواء اسكندرون السوري ذي الموقع الاستراتيجي الهام والسهول الخصبة الغنية والذي يعتبر ضياعه نكبة عربية لا تقل كثيرا عن ضياع فلسطين، وإذا كانت الانباء حاليا تشير إلى محاولة تركيا الاستفراد بمياه نهر الفرات ، فإنها - ومنذ عشرات السنين قطعت مياه نهر القويق الذي كان يروي مدينة حلب، كما قطعت نهر جفجغ الذي كان يجري في الشمال الشرقي من سورية.



لقد كان من سوء حظ البلاد العربية أن تكون محاطة بأطماع بلدين من المفروض أن يكونا صديقين للعرب بدافع من الجوار والعقيدة الاسلامية، كما كان من المفروض أن يقف العراق وسورية موقفا واحدا من الممارسات التركية لاستغلال القسم الاعظم من مياه نهر الفرات فلا يقدم العراق على تمديد خط بترولي عبر تركيا إلا إذا كان مروره مرتبطا باتفاقية دولية تضمن تقاسم المياه -حسب القوانين والاعراف الدولية- تعقد بين تركيا والعراق وسورية، وألا يكون استيعاب هذا الخط البترولي على حساب خط البترول العراقي المار من سورية.

وما أزال أذكر -وكنت آنذاك نائبا في مجلس النواب عام 1943- انني سألت المرحوم سعد الله الجابري، وكان رئيسا للوزراء، عن هدف زيارة نوري السعيد لسورية فقال لي أن الهدف هو التنسيق بين سورية والعراق تجاه تركيا في سبيل الاتفاق على حصة البلدين من مياه نهر الفرات.

لقد عارضت ضمن ظروف كلاجئ سياسي في العراق، وضمن الحلقة الضيقة لزواري من اللاجئيين السوريين تمديد خط البترول العراقي عبر تركيا، ولكن معارضتي كانت صيحة في واد، كما كنت معارضا بصراحة قطع العلاقات بين النظامين السوري والعراقي واختلافهما دون مبرر ظاهر، بل كان في نتائجه خلافا لمصلحة اعداء الأمة العربية، **وقد انعكس هذا الخلاف على مصالح الشعبين ووشائجهما القومية والمادية اكثر بكثير مما انعكست على النظامين الحاكمين البعثيين.**

لقد أدى تمديد الخط البترولي عبر تركيا، مع الدعاية الواسعة من قبل النظام العراقي لهذا الخط الذي أطلق عليه اسم الخط الاستراتيجي الى أمرين خطيرين:

1- تحطيم القاعدة الاقتصادية المادية بين سورية والعراق بإغلاق انبوب البترول العراقي عبر سورية نتيجة للممارسات التي كان الطرفان البعثيان سواء في العراق أو سورية مسؤولين عنها، وهكذا حرم الشعب في سورية من عائدات

مرور البترول العراقي من القطاع النادر ومن البترول الذي كانت سورية تشتريه بأسعار مخفضة، واتجه النظام السوري الى ايران لتأمين حاجة سورية من البترول (قبل استخراج النفط السوري).

2- استغلت تركيا الخلاف بين النظامين فأقامت سدا ضخما على الفرات ثم اتبعته بسدود أخرى مستغلة استمرار الخلاف بينهما واستولت على القسم الأعظم من مياه النهر خلافا لما هو مقرر في الحقوق الدولية باقتسام مياه الانهر التي تمر عبر عدد من الاقطار المتجاورة.

ومن المضحك المبكي أن تقوم قيادة النظام العراقي باتهام سورية أنذاك بقطع مياه الفرات عن العراق، وفي مقابل هذه الدعاية المضحكة قام النظام السوري بدعاية عجيبة تتهم العراق بمسؤوليته عن انخفاض مستوى نهر الفرات مما سبب أزمة في مياه الشرب في مدينة حلب.



## **محاولة ثانية لتشكيل جبهة معارضة للنظام الحاكم في سورية :**

لقد حاولت عندما كنت لاجئا في العراق، وخلال سنوات امتدت من أواخر السبعينات وحتى عام 1982، تاريخ مذبحه حماه وتشكيل التحالف الوطني لتحرير سورية، أن أقوم بمحاولة جديدة لتجميع القيادات السياسية السورية التي أصبحت مشردة ما بين العراق والجزائر ومختلف الدول العربية والأوروبية بالإضافة الى الأعداد الكبيرة من اللاجئين السوريين الذين أجبرهم نظام القمع على مغادرة سورية، ولكنهم أصبحوا يعانون مختلف الضغوط المادية والسياسية والمخابراتية من أنظمة الدول التي لجؤوا اليها، أقول ذلك ولا أستثني نظاما أو دولة، وحتى الدول الأوروبية التي تبدو وكأنها دول ديموقراطية تصون حقوق الانسان وتحفظ حق اللجوء السياسي فقد كان اللاجئين

السوريون فيها يعانون ضغوط أجهزتها ومحاولة استيعابهم بما يتماشى مع مصالحها.

وفيما يتعلق بالمقاومة الفلسطينية فقد كنت أرى أن من صالحها قيام مثل هذه الجبهة التي تهدف الى قيام حكم وطني ديموقراطي في سورية يكون لها سندا وظهيرا بدلا من أن تكون ورقة يتم استخدامها والتلاعب بمصيرها من قبل الانظمة العربية، وكنت أمل أن تنعكس محاولة العمل السياسي الجبهوي في الخارج على وضع الفئات السياسية داخل سورية مما يؤدي الى التلاحم بين قوى المعارضة الى موقف سياسي قوي في وجه طغيان النظام العسكري الديكتاتوري.

أما القوى السياسية المعارضة داخل سورية خلال السبعينات وأوائل الثمانينات فكانت - بعد تشرذم الاحزاب القومية واليسارية وتعاون بعض أجنحتها مع السلطة - ممزقة بين اتجاهات ثلاثة لالقاء بينها سواء في الايديولوجية أو نهج العمل.

أولها الجماعات الاسلامية التي اخذت تسلك لمقاومة النظام والوصول الى الحكم طريق الارهاب والسيارات المفخخة والاعتقالات الفردية والجماعية ذات الصبغة الطائفية.

كان الاتجاه الثاني ما يسمى بجماعة أو تنظيم "العمل الشيوعي" الذي استقطب عددا كبيرا من الشباب اليساريين الذين اعتقل عدد كبير منهم ولسنوات متعددة حيث تعرضوا الى الاهانة والتعذيب والاحكام الجائرة التي تجاوز بعضها الخمسة عشر عاما ، بينما كان نهجهم العملي لا يتعدى المنشورات والبيانات والتظاهر، ولا بد من الاشارة الى أن كثيرا من المنتسبين الى جماعة العمل الشيوعي كانوا من الطائفة الحاكمة نفسها.

أما الاتجاه الثالث فكان اتجاه الفئات المثقفة المستقلة عن الاحزاب من أدباء وكتاب وصحافيين ومحامين وأطباء ومهندسين وصيادلة الذين حاولوا من خلال اتحاداتهم ونقاباتهم

الوقوف في وجه القمع والتجاوزات، والذين ابتدأ نضالهم اعتباراً من عام 1978 ثم استمر متصاعداً إلى عام 1981 عندما حل النظام السوري نقاباتهم، بعد أن أضربت المدن السورية جميعها استجابة لمطالبهم وتوجهاتهم، كما اعتقل النظام عدداً كبيراً منهم قضى بعضهم في سجون النظام أكثر من عشر سنوات (3).

وفي منتصف الثمانينات شكل الاتحاد الاشتراكي بقيادة الدكتور جمال الآتاسي، وهو الجناح الذي انسحب من الجبهة السياسية التابعة للنظام التي شكلها حافظ الأسد، مع جناح الاشتراكيين العرب بقيادة عبد الغني عياش وهو الجناح الذي رفض من البدء بالتعاون مع النظام مع المكتب السياسي بقيادة المحامي أحمد محفل وهو الجناح الذي انشق عن الحزب الشيوعي السوري. ما سمي بالتجمع القومي الذي نهج لتحقيق أهدافه الديمقراطية والوطنية نهج المعارضة السياسية، ولكن هذا التجمع كان عاجزاً عن إحداث أي تغيير في نظام حافظ الأسد الديكتاتوري المستند إلى المخبرات والتعذيب والقمع.

لقد حاولت بدءاً من عام 1977 مع أدنى قدر من المساعدة العراقية - ولم يكن أمامي غير ذلك - تجميع من تبقى من الفئات الحزبية المعارضة في سورية عن طريق تجميع قياداتها في الخارج، وكان النظام العراقي وحده على استعداد

(3) من الذين اعتقلوا بعد حركة النقابات المحامون: هيثم المالح، بهجت المسوتي، موفق الكزبري، محمد الحموي، محمد عرابي، سمير كحالة، عدنان عرابي، سليم عقيل، عبد المجيد منجونة، ومن المهندسين مأمون السواح، وسليم خير بك وقد قضى الأخيران في سجون النظام أكثر من ثلاثة عشر عاماً.

وقد أصدرت في باريس في شهر آذار 1985، باسم المعارضة الوطنية السورية نشرة خاصة عن انتفاضة النقابات في سورية كانت تحت عنوان:

"بمناسبة الذكرى الخامسة لانتفاضة النقابات السورية في مواجهة طغيان الحكم الديكتاتوري العسكري"

ولا بد هنا من الإشارة إلى الدور الهام الذي كان للمحامي سمير كحالة وزميله الحصري في تحريك النقابات السورية، وهو ابن المرحوم سمير كحالة نائب دمشق في مجلس 1947 الذي ترشح ضمن قائمة الكتلة الوطنية والذي كان يصدر مجلة المضحك الميكبي الساخرة والجديدة في آن واحد التي كان لها دور مؤثر في دعم الحركة الوطنية والديموقراطية في عهد الانتداب الفرنسي، وقد ورث المحامي سمير كحالة عن والده ملكية المجلة فتابع إصدارها كرئيس لتحريرها، ولكنه أوقفها بعد فترة قليلة من انقلاب الثامن من آذار 1963 لاستحالة المتابعة. أفرج عن المحامي سمير كحالة بعد فترة من حل النقابات ففضل أن يعيش في فرنسا حيث ما يزال فيها حتى الآن (1996).

للمساعدة لما بينه وبين النظام السوري من عدا، وكنت أمل أن تحقق المعارضة السورية بعد أن تقف على قدميها قدرا من التوجه المستقل يمكن أن يجعلها مقبولة أمام الكثيرين الذين ينظرون -وهم على حق- بأنه لا اختلاف كبيرا بين النظامين العراقي والسوري، بل كنت أمل أن يستطيع مثل هذا التوجه الذي يجعل المصلحة القومية العربية هدفه الأساس أن ينعكس على النظامين السوري والعراقي معا.

وهكذا أصبحت معارضا في آن واحد للنظامين مع اختلاف في الشدة والاسلوب بالنسبة للنظام في العراق، حيث كنت أعيش كلاجئ سياسي، وهي معارضة ابتدأت حتى قبل محاولتي تشكيل جبهة سورية معارضة.

بدأت اتصالاتي لتشكيل هذه الجبهة في باريس بالاشتراك مع المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوري (الجناح المنشق عن الحزب الشيوعي السوري بقيادة خالد بكداش المتعاون مع النظام السوري) بقيادة الاستاذ أحمد محفل، ومع جماعة المرحوم صلاح جديد، وكان العديد من قيادات هذه الجماعة قد لجأ الى الجزائر، ثم اشترك معنا في هذه الاجتماعات السيد نزار حمدون عن الجانب العراقي وكان رئيسا للمكتب السوري آنذاك، ولكن محاولتي تلك لم يكتب لها النجاح لأنه لم يكن هدف النظام العراقي تشكيل جبهة سورية ديموقراطية معارضة، وإنما كان هدفه احتواء الأحزاب واللاجئين السوريين وجماعة صلاح جديد لخدمة أغراضه وتوجهاته السياسية.

كانت جماعة صلاح جديد تشعر بذلك وتصر على استقلالية المعارضة، بل كانت تخفي ضغينة تجاه القيادة القومية والنظام العراقي، وكان طلب هذا النظام من جماعة صلاح جديد تغيير اسم حزبهم (حزب البعث الديموقراطي) كشرط لاشتراك القيادة القومية في الجبهة أمرا غير معقول، ولهذا استمرت مناقشات الاحتواء ومحاولات تغيير الاسم أكثر من سنة خلال اجتماعات عديدة بين باريس وبغداد والجزائر بين جماعة صلاح

جديد والقيادة القومية بحضور نزار حمدون وشبلي العيسى الامين المساعدة للقيادة القومية، وأحمد محفل ممثلاً عن المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوري ، والدكتورين ابراهيم ماخوس وحبیب حداد ممثلين عن جماعة صلاح جديد، كما حضر بعض الاجتماعات السيد طه ياسين رمضان، وانتهت المحاولة بالفشل لاصرار العراق على موقفه من قيام هذه الجبهة.

كان يبدو - على المستوى النظري - ان المنتمين الى جماعة صلاح جديد هم ماركسيون، وانهم متعاونون تعاوناً وثيقاً مع المقاومة الفلسطينية التي كانت تمدهم بالمساعدة المادية، كما كانوا على صلة قوية بالنظام الحاكم في الجزائر الذي احتضنهم وساعدهم في عهد هواري بومدين واستمر ذلك في عهد الشاذلي بن جديد، وقد وظفت الجزائر العديد منهم بما فيهم وزير الخارجية السابق الدكتور ابراهيم ماخوس وحبیب حداد ورفاقهم.

أما بالنسبة للمقاومة الفلسطينية فقد كانت تحمل موحدة على النظام العراقي لعدم تدخله مع الجيش السوري في أحداث الأردن عام 1970 لذلك كانت ترفض أي عمل جبهوي مع العراق، أو بالأحرى مع القيادة القومية ، ولكنها كانت تبدي كل الاستعداد للتعاون مع الاشتراكيين العرب، لذلك اجتمعت مع الأخ حمدان عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية في زوريخ بسويسرا بحضور الاستاذ أحمد محفل فأبدى - باسم المقاومة كل استعداد للمساعدة دون الدخول في الجبهة التي كنا نحاول تشكيلها. وهكذا لم تثمر جميع الاتصالات التي جرت سواء في الجزائر أو باريس إلا عن تعاون المكتب السياسي بقيادة احمد محفل وبيننا وبين القيادة القومية في العراق.

ولعل ما يوضح موقف النظام العراقي من الوضع السوري أو بالأحرى موقف صدام حسين هو الحديث الذي جرى في بيت الاستاذ شبلي العيسى خلال مأدبة الغداء التي أقامها العيسى في منزله احتفاءً بعودة الاستاذ ميشيل الى العراق

والتي دعيت اليها مع زوجتي. وكان عدد الحضور محدودا جدا مقتصرًا على المحتفى به والفريق أمين الحافظ وزوجتهما ولا أذكر إذا كان أحد من العراقيين موجودًا مع نائب الرئيس صدام حسين الذي كان مدعوا إلى هذه المأدبة وجاء إليها متأخرًا.

قبل حضور صدام حسين افتتح الفريق أمين الحافظ الحديث عن وجوب اهتمام النظام العراقي بالوضع في سورية وبدعم المعارضين السوريين، وقد توجه إلى الاستاذ ميشيل بصفته الأمين العام للحزب الحاكم في العراق طالبًا منه أن يتحدث مع صدام حسين في هذا الموضوع، وبناءً على طلب أمين الحافظ بدأ علق حديثه مع صدام حسين بقوله :

إن الاخوان السوريين يرجون من النظام العراقي مزيدًا من الدعم للمعارضين السوريين ومزيدًا من الاهتمام بالوضع السوري، ولكن صدام حسين الذي كان يجلس وعيناه تتطلعان إلى سقف الغرفة أكثر من تطلعه إلى الحاضرين لم يدع الاستاذ ميشيل يتم حديثه وإنما التفت إلي غاضبًا وهو يقول وكأنه يحقق معي:

من هو الذي تحدث عن ذلك؟ ثم أردف :

انني لن أتدخل بالوضع السوري إلا عندما تصبح سورية على حافة الهاوية!!

لقد فوجئت بهذا التصرف المهين، ولم أعلق على سؤاله بأي كلمة، وإنما أصبحت انتظر بفارغ الصبر وبدون أن اشترك بأي حديث نهاية هذه الجلسة، ولا سيما أنه التفت إلي مرة ثانية مستنكرًا خلال حديث عن المملكة العربية السعودية عندما ردد شبلي العيسمي عن لساني حديثًا سمعه مني وهو انني احترم الملك فيصل واعتقد انه ملك ذكي يعمل لمصلحة شعبه.

وعندما بدأ الحضور بالانصراف لم أمد يدي لمصافحة صدام حسين ولم أودعه بكلمة فالتفت إلي مودعًا بإشارة من يده أحبته بمثلها، فكانت تلك المأدبة آخر مرة أراه فيها في جلسة

خاصة، كما أصبحت أتحاشاه في المناسبات العامة القليلة التي رأيته فيها والتي لا تتجاوز كما أذكر المرتين أو الثلاث مرات.

كان صدام حسين في موقفه من النظام السوري ومن المعارضين السوريين ولا سيما الديموقراطيين منهم منسجما مع نفسه ومع نظامه، فليس من المعقول أن يسمح هذا النظام بتشكيل معارضة سورية تؤمن بالديموقراطية والتعددية، كما أن نظاما ديموقراطيا في سورية لا بد أن ينعكس على الأوضاع في العراق، وإذا عدنا الى الماضي فإن الأوضاع الديموقراطية في سورية والنضال الشعبي فيها خلال الخمسينات قد ساهم مع نضال الاحزاب العراقية ونضال الشعب في العراق بالاطاحة بحلف بغداد المدعوم من بريطانيا والولايات المتحدة، وفي تقديري ان صدام حسين كان حريصا على بقاء النظام السوري بدون أي تغيير فكلاهما، كما أسلفت، متماثلان في اعتمادهما على القمع وعلى أجهزة المخابرات وفي توجهاتهما الطائفية والجهوية، وفي استخدامهما الحزب كأداة للقمع ولافتة يتلظى وراءها رأسا النظاميين لينفيا عن نفسيهما تهمة التفرد والديكتاتورية، وكل ما كان يريده صدام حسين من المعارضة السورية واللاجئين السوريين هو الضغط على النظام السوري لاحتوائه وجعله مواليا له مثلما كانت العلاقة خلال حياة عبد الناصر بين النظام القائم في مصر وحكم عبد السلام عارف في العراق والسلال في اليمن والى حد ما فؤاد شهاب في لبنان.

وفي مجال المحاولات لتشكيل جبهة سورية معارضة لا بد لي من التحدث عن بعض الوقائع التي تندرج ضمن هذا الموضوع :

كان الاستاذ صلاح البيطار خلال السبعينات مقيما في باريس يحاول من جهته تجميع القوى السياسية السورية ولكن باتجاه آخر لم تكن السعودية في تقديري أو الولايات المتحدة



بعيدتين عنه، فقد اتصل بي السيد حمود الشوفي في باريس وكان آنذاك مندوبا لسورية في الأمم المتحدة وأخبرني أن بعض الزعامات السورية تقترح توقيع بيان يقدم الى حافظ أسد يرحي فيه سحب القوات السورية من لبنان، وان هذا البيان يمكن أن يوقع من قبل سلطان باشا الأطرش وصلاح البيطار وجلال السيد، وقد اعتذرت عن توقيع البيان الذي قدمه لي الشوفي مكتوبا لاعتقادي أنه لا فائدة تذكر من هذا البيان وان تقديمه الى الاسد لا يعني سوى الاعتراف بشرعية نظامه الديكتاتوري الذي فرضه على سورية، وقد تراجع الاستاذ البيطار بعد أن كان موافقا على التوقيع وأبلغني ذلك.

ومن المفارقات ان حمود الشوفي استقال فيما بعد من منصبه كمندوب لسورية في الامم المتحدة وكان موضع ثقة حافظ أسد، وانضم الى المعارضة التي يتولى قيادتها النظام العراقي، وعندما جاء الشوفي اثر استقالته الى بغداد تلقاه النظام باستقبال رسمي، ثم أصبح فيما بعد ركنا من أركان ما سمي بالتحالف الوطني لتحرير سورية، وقد قال لي الاستاذ أحمد محفل الذي كان مطلعا على بعض الوقائع المتعلقة بحمود الشوفي ان النظام العراقي يستخدم الشوفي كقناة بينه وبين الولايات المتحدة، وكان يبدو على وضع الشوفي في الولايات المتحدة وكأنه هو سفير العراق ومندوبه وليس السيد صلاح عمر العلي أحد أركان ثورة تموز عام 1968 والذي كان قبل أن ينضم الى المعارضة العراقية المندوب الرسمي للعراق في الأمم المتحدة.

أما الواقعة الثانية فهي الاجتماع الذي تم بيني وبين موظف في السفارة السورية في باريس من جماعة الاستاذ صلاح البيطار، حيث تم الاجتماع في منزله في احدي ضواحي باريس، ويبدو أن الهدف كان تشكيل جبهة لاقامة وضع في سورية برئاسة صلاح البيطار، مؤيد من السعودية والولايات المتحدة، وفعلا فقد قام ولي العهد السعودي فيما بعد بالاتصال بحافظ أسد لاقناعه بتولي صلاح البيطار رئاسة الحكومة السورية

وأن يصبح الشيخ معروف الدواليبي من أركانها، ولكن حافظ أسد رفض المشروع الذي رافقته زيارتان لسورية، الأولى قام بها صلاح البيطار حيث اجتمع مع حافظ أسد عدة ساعات بدون الوصول الى أي اتفاق، كما زارها أيضا الشيخ معروف الدواليبي بدون نتيجة أيضا.

الواقعة الثالثة هي عندما اتصل بي السيد مجاهد سمعان أواخر السبعينات خلال سعبي لتشكيل جبهة من القيادات والفئات السياسية السورية، والسيد سمعان من الضباط الفلسطينيين الذي انتسبوا الى الجيش السوري بعد اصداري قرارا بقبول الفلسطينيين في الجيش عندما كنت وزيرا للدفاع عام 1950، وقد زارني أواخر عام 1965 في بيتي بدمشق، وكان آنذاك مديرا لمكتب اللواء صلاح جديد، مهنئاً إياي باسم جديد بالافراج عني من سجن المزة!! مع العلم أن صلاح جديد كان من الذين صوتوا - كما نمي الي - على سجنني بعد اصداري بيان البترول الذي تحدثت عنه فيما سبق بالتفصيل في هذه المذكرات.

لقد اجتمع بي السيد مجاهد سمعان عدة اجتماعات في باريس مدعياً أنه يمثل منظمة التحرير، ولا أعرف ما في هذا الادعاء من صحة ، وكان يصر على انشاء جبهة من الاشتراكيين العرب وجماعة صلاح البيطار والمقاومة الفلسطينية فقط، والذي أرجحه ان سمعان كان يعمل في الحقيقة ليس لحساب المقاومة بل لحساب السعودية والولايات المتحدة .

لقد شعرت بخطر اتصالات سمعان معي ولا سيما بعد أن عرفت انه يستخدم شخصا من مدينة حماه من عائلة البرازي كما قالت لي زوجته غير عارفة أن زوجها قال لي انه من عائلة السمان، ويبدو أن حدسي واحساسي بخطر الاتصال بمجاهد سمعان كان في محله كما تأكد لي فيما بعد من الملابس التي ترافقت مع مقتل المرحوم صلاح البيطار عام 1980.

**اغتيال صلاح البيطار (صيف عام 1980)**

قبل أن أشير الى بعض الوقائع التي اطلعت عليها شخصيا والمتعلقة باغتيال المرحوم صلاح البيطار لا بد لي من الاشارة الى الخلاف بينه وبين ميشيل عفلق الذي أدى الى استقالته العلنية من حزب البعث، وهي الاستقالة التي نشرتها معظم الصحف اللبنانية عندما ذهب البيطار الى لبنان بعد هربه من السجن وكان قد سجن اثر انقلاب صلاح جديد في شباط 1966، وقد أشرت الى هذه الاستقالة فيما سبق من هذه المذكرات.

كان صلاح البيطار يلقي المسؤولية على ميشيل عفلق بسبب كل ما حدث بعد انقلاب الثامن من آذار عام 1963 من تسلط عسكري وقمع للشعب وقضاء على كل مظاهر الديمقراطية، بينما كان ميشيل عفلق يصرح لمن حوله بأن انقلاب الثامن من آذار وكل ما تلاه كان بالاتفاق مع صلاح البيطار.

لقد اتخذ البيطار، بعد إقامته في لبنان، منهجا مستقلا في معارضته للنظام السوري عن حزب البعث أو غيره من الفئات السياسية، وكانت صلته بالدرجة الأولى بالفريق محمد عمران ، ولم يكن هذا الاتفاق بينهما بعيدا عن دعم السعودية والولايات المتحدة ، وهو دعم له خطورته على النظام في سورية مما أدى الى اغتيال عمران في طرابلس ثم اغتيال صلاح البيطار بعد عدة سنوات في باريس، وفي تقديري أن هذه الاغتيالات كان هدف النظام منها هو افهام السعودية والولايات المتحدة انه وحده النظام الذي يجب اعتماده في حكم سورية.

بعد فترة من اغتيال الفريق عمران ثم نشوب الحرب الاهلية في لبنان توجه البيطار الى فرنسا للاقامة فيها وبدأ يستعد لاصدار صحيفة اسمها الاحياء العربي، وهو الاسم الذي كان متداولاً لفترة قصيرة بين مؤسسي حزب البعث قبل أن يستقر الرأي على كلمة بعث.

لقد تجاوزت في لبنان كل تصرفات ميشيل عفلق تجاهي وتجاه حركة الاشتراكيين العرب، سواء ما كان قبل انقلاب الثامن من آذار أو بعده، وأعدت صلتني بهما، فزرت ميشيل عفلق في

بيروت خلال مرضه كما أصبحت ألتقي أحيانا بصلاح البيطار ولكن هذه الصلات كانت محدودة ولم تتعد إطار المجاملة، ثم مرت سنوات لم أعد أرى فيها صلاح البيطار الذي أقام في باريس بينما تركت لبنان بسبب خطورة الوضع ولجأت الى العراق، ثم كان المؤتمر الذي دعا إليه النظام العراقي تحت شعار عدم الانحياز هو المناسبة التي التقيت فيها بصلاح البيطار في بغداد بعد تلك السنوات.

كنت في باريس عندما صدر عن القيادة القومية في بغداد بيان يدعو الى الحياض الايجابي وعدم الانحياز، وأذكر انني تساءلت مع الاستاذ أحمد محفل عن الغرض من هذا البيان الذي صدر بدون مناسبة ولا سيما أن عددا من الدول العربية وجميع الاحزاب الوطنية التقدمية قد تبنت هذا المبدأ منذ مؤتمر باندونغ، ولم نر تفسيراً لذلك حتى صدرت الدعوة الينا لحضور مؤتمر يعقد في بغداد لتأييد هذا البيان، ودعي الى المؤتمر كل من كان يدور في فلك النظام العراقي من شخصيات وفئات حزبية سواء في لبنان أو مصر أو البلاد العربية الأخرى وكذلك في مختلف المهاجر فكان هذا المؤتمر وسيلة لجمع الانصار والمؤيدين للنظام العراقي والدعاية لشخص صدام حسين.

كانت دعوة صلاح البيطار لهذا المؤتمر مناسبة لإجراء المصالحة واحتواء بعض من حوله من الموالين، ولاسيما بعد أن فشلت كل محاولات النظام لاحتواء البعثيين من جماعة صلاح جديد، وقد ألقى صدام حسين في المؤتمر كلمة أشار فيها باعتزاز الى وجود الاستاذ البيطار ووجودي، وكان يأمل أن يلقي البيطار كلمة تشيد به ولكن صلاح لم يفعل بل اقتصرت كلمته على القضية القومية والحياض الايجابي.

لقد غيب ميشيل عفلق عن المؤتمر وكانت الأوامر قد صدرت -كما يبدو- إلى أعضاء القيادة القومية بالالتفاف حول البيطار والاحتفاء به ودعمه، ولكنه بعد إلقاء كلمته التي لم يتعرض بها للاشادة بصدام حسين لم يعامل في حفلة العشاء بالحفاوة التي عومل بها خلال انعقاد المؤتمر ولم يلاحظ له حضور

مرموق بينما توجه صدام حسين بالحفاوة لي، وطلب مني أن أكون على يمينه خلال حفل العشاء. وفي تقديري أن سبب ذلك هو المواجهة الحادة التي حدثت بيني وبين أحد الشباب اللبنانيين المدعويين الى هذا المؤتمر وأذكر أن اسمه الدكتور سمير صباغ أو ما يشبه ذلك، وكان هذا الشاب قد طالب خلال مناقشات المؤتمر بوجود قواعد سوفيتية في البلاد العربية مما دعاني للرد عليه خارج قاعة المؤتمر التي لم أشأ الرد عليه فيها بسبب عدم دعوتي للكلام مثلما حدث مع صلاح البيطار، وكان مما قلته لذلك الشاب :

إن إقامة القواعد في بلادنا أمر يطيح بسيادتنا وان التعاون مع الاتحاد السوفيتي شيء واقامة قواعد شيء آخر، وان اسرائيل لم تقبل بإقامة اي قاعدة للولايات المتحدة رغم الدعم الاميركي الكبير، وكان هذا موقفي الدائم منذ الخمسينات عندما بدأت سورية بالتعاون مع الاتحاد السوفيتي، وأذكر أنني اختلفت مع خالد العظم وعارضت رأيه بطلب عقد معاهدة عدم اعتداء مع الاتحاد السوفيتي، والظاهر أن موقفي هذا هو الذي دعا صدام حسين للاحتفاء بي بهذه الصورة ، لأن حقيقة التجمع الذي دعا اليه النظام العراقي مما يرضي الغرب والولايات المتحدة.

**لقد كان المشروع الأول الذي تشابكت فيه عوامل داخلية وعربية ودولية هو قيام حكم في سورية يميني غربي مناهض لليسار وللمعسكر الاشتراكي يعتمد على بقايا القوى العسكرية من جماعة محمد عمران بينما يتولى الحكم صلاح البيطار واليمين المدني.**

**بعد فشل هذا المشروع اعتمدت الولايات المتحدة على النظام العراقي والاحوان المسلمين لابعاد النظام في سورية عن الاتحاد السوفيتي الذي كان يدعم هذا النظام سياسة وتسليحا، وليست سلسلة الاغتيالات التي حدثت خلال السبعينات للخبراء السوفيت في سورية إلا حلقة من هذا التوجه.**

كما انه لا بد لي من الاشارة الى أن من اهداف المؤتمر كما تبين من عدم دعوة ميشيل عفلق، وهو الأمين العام، ودعوة صلاح البيطار والطلب منه أن يخطب في المؤتمر، كذلك التغاف الحزبين حوله، أن يعتمد صدام حسين على صلاح البيطار بدلا من عفلق في معركته القادمة مع النظام السوري، وهي المعركة التي أدى الاعتماد فيها على الاخوان المسلمين الى مذبحه حماه فيما بعد.

ومع ذلك فان هذا المؤتمر لم يكن الا مصالحة في الظاهر، لأن صلاح البيطار بقي مستمرا في نهجه المعارض للنظام السوري مستقلا عن النظام العراقي والقيادة القومية، وهو النهج الذي اتبعه في جريدة الاحياء العربي التي أصدرها في باريس والذي كان سببا لمزيد من التقارب بيني وبينه، فقد أصبحت أراه غالبا في باريس لنتذاكر معا في الوضع السوري، وكان يزورني ليعطيني جريدة الإحياء العربي كلما صدر عدد جديد منها.

إن جريدة الاحياء العربي بدعوتها الى الديموقراطية وفضحها ممارسات النظام السوري في القمع والتعذيب والفساد ولا سيما بما كتبه عن مذبحه سجن تدمر (صيف عام 1980) وهي المذبحه التي قتل فيها ما يقرب من ألف سجين انتقاما لمحاولة فاشلة لاغتيال حافظ أسد، قد اصبحت جريدة متداولة في الاوساط السورية التي تعارض النظام السوري كما بدأ تأثيرها يمتد الى داخل سورية مما دعاني لتنبيه صلاح البيطار الى وجوب الحذر من النظام السوري الذي لا حدود لبطشه والذي لم يتوان عن اغتيال كمال جنبلاط في لبنان وغيره من الشخصيات السياسية والاعلامية والثقافية من كل الفئات المعارضة ، كما لم يتوان عن تفجير مكتب مجلة الوطن العربي في بيروت بعدما أدليت لها بتصريح حول ممارساته، وفي شارع ماربوف بالقرب من الشانزليزه كان ضحيته امرأة فرنسية وبعض الجرحى.

لقد ألححت على البيطار قبل اغتياله بعدة ايام الا يغادة منزله الى مكتب جريدة الاحياء وأن يكتب مقالاته في المنزل، كما اتفقت معه، وقد أصبحت اشعر أنا ايضا بالخطر، ان نطلب معا الحماية من الحكومة الفرنسية، وعزمنا على مقابلة السيد ريمون اده الذي ترك لبنان بعد محاولة فاشلة لاغتياله من قبل النظام السوري والطلب منه، بماله من معرفة بالاوساط الفرنسية، أن يسعى لتأمين حمايتنا، وقد اخبرني الاستاذ صلاح أنه حاول الاتصال بريمون اده ولكنه لم يستطع لأن اده كان خارج باريس، وعندما اغتيل البيطار لم يكن مضى على تحذيري سوى ثلاثة أو أربعة أيام.

كان الاستاذ عبد الله عبد الدائم البعثي السابق والقريب من الاستاذ البيطار هو أول من أخبرنا بحادث الاغتيال وطلب من زوجتي أن تذهب الى زوجة البيطار لتكون الى جانبها عندما تتلقى النبأ، فكانت أول جملة تفوهت بها زوجة البيطار عندما رأت زوجتي تزورها بغير موعد : هل قتلوا صلاح؟

نفت زوجتي ذلك أولا ثم بدأت تسرب الخبر تدريجيا الى الزوجة والابنة الوحيدة وأخت الزوجة التي قالت بعفوية: لقد قتله ذلك الموعد.

كان الموعد مع شخص مقيم آنذاك في بريطانيا ويبدو أنه من عملاء النظام السوري اسمه زهير العقاد، وقد قيل لي فيما بعد أنه كان سفيرا لدى النظام السوري، ولكنه حين الاغتيال كان محالا على الاستيداع، كما قيل لي فيما بعد (1995) انه اعيد الى منصبه كسفير في اسبانيا، وهذا الشخص هو أخ لمصطفى العقاد الذي أخرج فيلمين مشهورين هما فيلم الرسالة وعمر المختار، ثم انطفأ ذكره فلم يعد أحد يعرف مكانه أو يذكره.

كان هدف الموعد كما قالت زوجة البيطار أن المخرج مصطفى العقاد يعتزم إخراج فيلم عن حياة عبد الناصر، وهو يريد أن يسجل شهادة للاستاذ البيطار حول هذا الموضوع مما دعا البيطار للذهاب الى مكتب الجريدة بالقرب من الشانزليزه لانه لم

يشأ أن يدل على عنوان منزله الذي انتقل اليه حديثاً، ولكن القاتل الذي كان كامناً وراء باب جانبي لم يمهل حتى يدخل الى المكتب وانما ناوله رصاص الغدر بعد خروجه مباشرة من المصعد ثم اختفى وراء الباب الذي يؤدي الى السلم ذي الحنايا المعقدة والذي يستعمل عادة في حالة تعطل المصعد.



كان مكان الدفن المشكلة التي واجهت زوجة البيطار والقريبين منه، وكان هؤلاء يفضلون دفنه في سورية بينما كانت زوجته مترددة بين سورية والعراق الذي عرض أن يكون في ثراه المثوى الاخير للبيطار، وقد كانت الكلمة الاخيرة للزوجة التي فضلت أن يكون الدفن حالياً في العراق مع قولها أنه لا بد من يوم تستطيع فيه نقل الجثمان الى دمشق حيث ستكون له ايضاً جنازة حافلة، وهكذا دفن المرحوم صلاح البيطار في العراق في مسجد أم الطبول الذي يعتبر من أجمل المساجد الحديثة في بغداد والذي بني بعد الانقلاب على عبد الكريم قاسم ليضم رفات الضباط القوميين من رفاق العقيد رفعت الحاج سري الذين اعدمهم قاسم إثر محاولة الشواف الانقلابية الفاشلة في الموصل رغم انهم لم يشتركوا بها، وكان سبب اعدامهم إذاعة اسمائهم من دمشق عام 1958 خلال عهد الوحدة، وقد تعرضت لهذا الموضوع فيما سبق من المذكرات .

بدأ التساؤل عن ملابسات الاغتيال سواء في أوساط السوريين أو في الأوساط الفرنسية ووسائل اعلامها ودوايرها الرسمية، وقد طلب مقابليتي أحد كبار الموظفين في وزارة الداخلية للتحديث معي في ملابسات الاغتيال فقابلته برفقة الاستاذ أحمد محفل.

لقد أدهشني ان يحاول هذا المسؤول أن يلمح الى دور الفلسطينيين في هذا الاغتيال وهو التلميذ الذي اشارت اليه ايضاً بعض الصحف الفرنسية، وقد نفيت ذلك بشدة مع استغرابي الكبير من هذه التهمة، ولكن زوجتي التي رافقت



زوجة البيطار في الطائرة العراقية الخاصة التي نقلت جثمانه الى بغداد قالت لي انه أثناء حديثها مع الزوجة قد أعربت عن استنكارها تلميح الجرائد الفرنسية عن دور فلسطيني في هذا الاغتيال، ولكن أدهشها ان تؤكد هذا الدور بقولها:

إن الفلسطيني مجاهد سمعان الذي كان سابقا ممثلا لمنظمة التحرير هو الذي طلب، بحكم صلته مع صلاح البيطار، الموعد لزehir العقاد.

لقد زارني بعد حادث الاغتيال بعض رجال الأمن الفرنسيين وعرضوا علي نوعا من الحراسة ولكن أحدهم قال لي متعاطفا معي مع ذكره انه اشتراكي مثلي:

انني لا انصحك بذلك، بل ان الحراسة قد تسبب لك بعض المشاكل وذكروني بمقتل شاهبور بختيار آخر رئيس وزراء للشاه محمد رضا ثم اعطاني بعض الارقام التي يمكن اتصل بها في حالة ارتيابي بأي شخص أو استلامي أي طرد من بريدي.

لقد كان لدي انطباع من مقابلة المسؤولين الفرنسيين انهم يعرفون عن القضية اكثر مما يصرحون، كما أثار استغرابي عدم دعوة زهير العقاد بواسطة الانتربول للشهادة في هذا الموضوع، والذي يبدو أن الحكومة الفرنسية حفاظا منها على وضعها ومصالحها في سورية ولبنان قد أثرت للفة القضية رغم اغتيال سفيرها دولامار، في بيروت ، وعندما اتصل الاستاذ أحمد محفل هاتفيا بزهير العقاد الموجود في بريطانيا والاثنان من مدينة حلب طالبا منه توضيحا لموقفه بعدم التقدم الى الشهادة، حاول العقاد أن يبرر ذلك بأنه عندما أتى إلى الموعد كان البيطار قد اغتيل لذلك أثر أن يعود فوراً الى المطار ويسافر رأساً الى بريطانيا، اما القاتل المباشر فإن بعض الاوساط الدمشقية تهمس باسم أحد ضباط المخابرات الذين كان رفعت أسد يعتمد عليهم، بل أن أحد المطلعين يقول ان القاتل معروف تماما للكثير من السوريين ولكنه قانون الصمت الذي تخضع له سورية مثلما تخضع له جزيرة صقلية خوفا من اجرام المافيا.

لقد تعرضت زوجة البيطار لبعض الضغوط والتهديدات التي كانت تأتيها هاتفيا من مجهول لعدم إثارة القضية في فرنسا وعدم إقامة دعوى، ومن المؤسف أنها خضعت لهذه الضغوط ولا سيما أنها لم تجد أي دعم من النظام العراقي لاقامة الدعوى، كما أنها لم تكن من مستوى اولئك النساء اللواتي يستطعن متابعة سياسة أزواجهن وقد زارتنى قبل أن ينقل الجثمان إلى بغداد عارضة علي استلام تحرير جريدة الاحياء العربي بقولها :

إن الذين يمولون الجريدة، ولم تقل من هم، على استعداد لمتابعة التمويل في حالة استلامك تحريرها ، وكان معروفا ان الجريدة تمول من قبل حكومة الكويت وبواسطة وزير الاعلام جابر العلي، كما عرض علي فيما بعد السيد حمود الشوفي إصدار جريدة تمول من قبل النظام العراقي وذلك بوضع خمسة ملايين فرنك تحت تصرفي وعندما اعتذرت منه متعللا بدواعي الأمن، قال لي إن بالامكان أن تصدر هذه الجريدة في سويسرا وأن تقيم في باريس والمهم ان تصدر باسمك فاعتذرت أيضا.

وفي أربعين المرحوم البيطار أقام النظام العراقي بهذه المناسبة حفلا تأبينيا ألقى ميشيل عفلق فيه كلمة كلها تمجيد بماضي صلاح البيطار الذي هو ماضيه أيضا، وقد سافرت من باريس الى بغداد لحضور الحفل، ورغم الحاح السيد نزار حمدون الشديد بتكليف من القيادة القومية لالقي كلمة فيه فقد امتنعت مثلما امتنعت فيما بعد، رغم الحاح مجموعة من قدامى الحزبيين، عن إرسال برقية تعزية بعد موت ميشيل عفلق لأنني لا أحب أن اكون مداحة نواحة في مثل هذه المناسبات، ولا سيما وان تصرفات عفلق والبيطار بحق الرفاق من الاشتراكيين العرب وبحقي شخصا بعد الثامن من آذار في العزل المدني والاحالة الى المحاكمة بمختلف التهم ثم الاقامة الاجبارية وبعدها السجن الانفرادي وما تلاه من نفي خارج سورية وما فضحته قبل ذلك مباحثات الوحدة الثلاثية التي كانت محاكمة من قبل عبد الناصر لعفلق والبيطار اللذين حاولا تبرئة نفسيهما بالنيل مني بينما ترفع عبد الناصر، الى غير ذلك من التصرفات

التي كانت مسيئة بحق الحرية والديموقراطية في سورية اكثر مما هي مسيئة بحقي، رغم أنه لم يسجل عني، سواء في السر أو العلن، موقف مسيء لهما، بل الأمر عكس ذلك، فحزب البعث لم يسجل أهمية وانتشارا إلا بعد اندماجه بالحزب العربي الاشتراكي، ولولا قبولي - وهذا خطأ سياسي يضاف إلى خطأ الاندماج - بأن يكون ميشيل عفلق أمينا للسر في الحزب الجديد تقديرا لظروف القمع والحكم العسكري خلال عهد اديب الشيشكلي الذي تم فيه الاندماج لما أمكن لعفلق أن يبقى في أمانة الحزب لو تم في ظروف مغايرة، ولا سيما أن الحزبيين من الطرفين كانوا ما يزالون يذكرون الوثيقة المكتوبة الى قدمها عفلق الى حسني الزعيم بعد فترة قليلة من سجنه، والتي يتخلى فيها عن الحزب ومبادئه وعن العمل السياسي، كما ان نجاح صلاح البيطار في المعركة الانتخابية التكميلية عام 1954 مدين الى حد كبير لادارتي هذه المعركة في دمشق بعد نجاح قائمتي بأكملها في الدورة الأولى من هذه الانتخابات في مدينة حماه - ولا شك أن بعض قدامى الحزبيين ما زالوا يذكرون كيف تدفق الرفاق من شباب الحزب العربي الاشتراكي (سابقا) من حماه وغيرها الى دمشق ليدعموا البيطار في هذه المعركة وكيف قضيت ثمان وأربعين ساعة امام الهاتف في ادارتها، كما انه لولا دعمي لصلاح البيطار لما تولى وزارة الخارجية التي بقي فيها اربع سنوات.

ان تصرف هذين الشخصين نحوي يحتاج الى تفسير أجد نفسي احيانا عاجزا عنه، ولعل الأطباء النفسيين يجدون له تفسيراً .

لقد احزنني اغتيال البيطار الذي دفع بدمه ثمن أخطائه وانحرافاته ولا سيما بعد أن قرأت مقاله الأخير الذي دفعه الى المطبعة وقتل قبل أن يراه منشورا في جريدة الاحياء العربي.

كان عنوان المقال الذي يمكن اعتباره أجود ما كتبه صلاح البيطار هو : "عفوك شعب سورية العظيم"، وقد كتبه وهو يشعر

بمسؤولية تأييده لانقلاب الثامن من آذار وما تلاه من مذابح  
وتعذيب وقمع وفساد.

لقد غسل استشهاد البيطار واعترافه بأخطائه واستغفاره  
شعب سورية ما في حياته السياسية من اخطاء كان حب  
السلطة دافعا لارتكابها، فكان استشهاده ثمنا لعودته الى  
الشعب، شعب سورية العظيم.

بعد عشرين عاما من حرب حزيران :

حرب حزيران في النشرات التي أصدرتها مع  
مجموعة من الاشتراكيين العرب في باريس باسم  
المعارضة السورية الوطنية الديمقراطية.

بعد عقدين من الزمن على هزيمة حزيران أصدرت في  
باريس - وكانت سنوات المنفى قد أدت بي أخيرا إليها- العديد  
من النشرات المعارضة للنظام العسكري الديكتاتوري في سورية  
باسم المعارضة الوطنية الديمقراطية ، وكان من بين هذه  
النشرات كتيب صدر في الثامن من آذار عام 1986 تحت عنوان:  
الصراع العربي الاسرائيلي بين التخاذل والتواطؤ، مع ملحقين له  
صدرا فيما بعد، كما كنت قد أصدرت قبل ذلك نشرة ضممتها  
الحديث الذي أجرته معي مجلة أفريك آزي الصادرة في باريس،  
**وقد تحدثت في المطبوعتين عن بعض الجوانب  
العسكرية لحرب حزيران وعن النتائج السياسية لهذه  
الحرب،** وفيما يلي بعض ما ورد في كتاب الصراع العربي  
الاسرائيلي بما يخص الأوضاع في مصر أولا، وذلك لما في هزيمة  
سورية ومصر من اشتراك في بعض أسبابها:

"ان كل من يتتبع مسلسل حرب الخامس من حزيران التي أطلق  
عليها حرب الأيام الستة، يستنتج بأن هذه الحرب كانت صورة طبق الأصل  
عن حرب القناة عام 1956 فالخطة العسكرية التي طبقتها اسرائيل في هذه  
الحرب هي الخطة نفسها التي طبقتها عام 1956، والخطة المقابلة التي  
طبقتها قيادة الجيش المصري هي الخطة نفسها التي طبقتها في السابق.

لقد كان حجم هزيمة مصر في الحربين وخسائرها في الأفراد  
والمعدات باهظا جدا مع اختلاف النتائج التي ترتبت على الهزيمة في هذين  
الحربين، فلقد اعتمدت اسرائيل في العدوان الثلاثي عام 1956 على  
الطيران البريطاني والفرنسي في قصف المطارات والطائرات المصرية على  
مهابطها وأنزلت بريطانيا وفرنسا بعض قواتها في بورسعيد بحجة الفصل بين

القوات المتحاربة، بينما كان اعتماد اسرائيل في الحرب الثانية (حزيران 1967) على طيرانها في تدمير سلاح الجو المصري.

يقول محمود رياض في هذا الصدد ما يلي :

"لقد كان من الممكن ألا تتجاوز الخسائر في الطيران المصري 20% عن طريق توزيع الطائرات بطريقة أفضل وبوجود مظلة جوية لحماية المطارات يوم الخامس من حزيران، علما بأن هذه المظلة الجوية ظلت قائمة في الأيام السابقة عن الخامس من حزيران (المذكرات ص 54).

والذي يظهر بأن الذي منع استمرار قيام المظلة الجوية لسلاح الطيران المصري يوم الخامس من حزيران هو قيام المشير عبد الحكيم عامر في ذلك اليوم بالتوجه بالطائرة الى احدى القواعد العسكرية في سيناء مصطحبا معه عددا من القادة العسكريين، ولعله كان مطمئنا عندما غادر مركز قيادته في الخامس من حزيران، ان هذا اليوم كان موعدا لسفر زكريا محيي الدين الى واشنطن مما أوحى بالانفراج ولو مؤقتا.

لقد كان الضابط أركان حرب، أكرم الديري (من سورية) الذي تقلد خلال عهد الوحدة وزارة العمل والشؤون الاجتماعية في الاقليم السوري مع المشير عامر في طائرة القيادة التي كانت في طريقها لتفقد المواقع في سيناء عندما فوجئت القيادة بالقصف الاسرائيلي للمطارات المصرية. يقول أكرم ديدي:

ان قائد الطيران الفريق محمود صدقي توجه باللوم ووجهه ممتفع الى المشير عامر قائلا له: الم أحذركم من قبل بأنه يجب اتخاذ الاحتياطات اللازمة لحماية الطائرات من هجوم اسرائيلي مفاجئ؟ فلم يجر المشير جوابا على هذا الاتهام.

ومما يدل على عدم الدقة والجدية في تحري اسباب هزيمة حزيران إحالة قائد سلاح الطيران محمود صدقي على المحاكمة ليكون كبش الفداء لكارثة الطيران المصري في الخامس من حزيران.(1)

(1) في مقال نشرته مجلة النوفيل اوبسرفاتور بتاريخ 67/9/20 بقلم الصحفي اللبناني ادوار صعب، حيث تقول المجلة أن مصادر المقال هي عربية واميركية وسوفيتية، يقول كاتب المقال ان حوارا جرى بين عبد الناصر وكبار ضباط الجيش بعد هزيمة حزيران صارحوه فيه بمسؤوليته عن الهزيمة في الحرب اذ كان الاتفاق معهم البدء بالهجوم، وحدد لذلك موعد هو 28 ايار، ولكن تحت الحاج

لقد كررت القيادة المصرية في حرب الأيام الستة الأخطاء نفسها التي ارتكبتها في حرب عام 1956 ، فبعد أن فقد الجيش المصري التغطية الجوية أصدر المشير عامر في السادس من حزيران، أي في اليوم الثاني من تدمير سلاح الجو المصري أمره بالانسحاب الشامل للجيش المصري من سيناء الى غرب قناة السويس على ان يتم هذا الانسحاب قبل صباح اليوم التالي.

يقول الفريق محمد فوزي في مذكراته التي صدرت مؤخرا في مجلة الوطن العربي ما يلي:

"لقد كان تنفيذ هذا الأمر مستحيلا بوجود آلاف الدبابات والعربات ووحدات المدفعية وعشرات الألوف في سيناء بينما الطريق محدودة ووعرة والعبارات في قناة السويس قليلة العدد، لقد كان الانسحاب خلال اثني عشر ساعة هو بمثابة الحكم بالاعدام على القوات المسلحة المصرية ولقد بلغت خسائر الجيش المصري في ذلك اليوم أكثر من عشرة آلاف قتيل وتم تدمير كافة معداته ودباباته الموجودة شرقي المضائق، وعاد الجنود مشيا على الأقدام ومات الكثير منهم جوعا وعطشا، وكان حجم هذه الخسائر اكبر من الخسائر التي تكبدها الجيش المصري في انسحاب عام 1956".

لقد كان من المسلمات لدى الجيش المصري بأن ممرات المتلا والجدي المسماة بخط المضائق، وهي مجموعة من التلال الوعرة تبعد عن قناة السويس شرقا ما بين 20 - 40 كم هي المواقع الدفاعية الوحيدة في سيناء، وكان من الطبيعي اذن بعد ان فقد الجيش المصري التغطية الجوية ان ينسحب الى هذا الخط ويتمسك به حتى يتمكن من وقف التقدم الاسرائيلي، لقد كان اعتبار ممرات المتلا والجدي بأنها المواقع الدفاعية الحصينة الوحيدة في سيناء حقيقة تدرس في الكلية العسكرية المصرية، ومع ذلك فإن الجيش المصري لم ينسحب في حرب سيناء عام 1956 الى هذه الممرات، الامر الذي كلفه خسائر باهظة. ومن العجب ان هذه الحماسة

---

السوفييت. ألا تكون مصر البادئة بالحرب تصرف ناصر بشكل فردي ونقض ذلك الاتفاق الأمر الذي اعتبرته قيادة الجيش خطأ فادحا "فتصرفت بسلبية مجرمة عندما أقام محمود صدقي قائد سلاح الطيران حفلة لضباط الطيران في مساء 4 حزيران، وعندما ذهب اللواء مرتجي قائد القوات البرية ليستجم مع زوجته في الاسماعيلية. ويتساءل كاتب المقال أخيرا : هل لعب الجنرالات لعبة الهزيمة العسكرية ثم جاءوا مساء التاسع من حزيران وهم يعتقدون أنهم حققوا انتصارهم بإجبار ناصر على الاستقالة لمصلحة عامر؟".

العسكرية التي لا يبررها مبرر قد أعيد تكرارها من قبل قيادة الجيش المصري للمرة الثالثة عندما توقف هجوم الجيش المصري الناجح بعد عبور القناة عام 1973 على بعد عشر كيلومترات من قناة السويس في أرض مكشوفة غير صالحة للدفاع بحجة اقامة مواقع دفاعية بينما لو تابع هجومه الى المضائق واتخذها مواقع دفاعية لاختلفت تماما نتائج هذه الحرب.

من نشرة للاشتراكيين العرب في باريس صدرت تحت عنوان: الصراع العربي الاسرائيلي بين التخادل والتواطؤ ص 63-65.



**لقد كان لهزيمة الجيش المصري أثرها في إصلاح بعض جوانب نظام عبد الناصر، ولكن تلك الاصلاحات لم تكن بحجم الهزيمة، فلم تؤلف لجنة للتحقيق بأسبابها لتحديد المسؤولية مثلما جرى في سورية بعد حرب 1948، أو ما جرى في اسرائيل بعد أن نجح الجيش المصري في احتياز القناة وتدمير خط بارليف في حرب تشرين عام 1973، حيث ألفت الحكومة الاسرائيلية لجنة للتحقيق وصدر تقرير حول الموضوع كما صدر كتاب بالاستناد الى نتائج التحقيق تحت عنوان "التقصير".**

**إن النظام الديموقراطي وحده هو الذي يتيح لمثل هذه التحقيقات أن تتم بحرية وموضوعية بحيث يمكن الاستفادة من دروسها وعبرها.**



**كما تحدثت نشرة الاشتراكيين العرب عن انعكاسات هزيمة حزيران على نظام عبد الناصر بما يلي :**

انه يبدو أمرا غريبا أن تتظاهر الملايين في مصر تأييدا للقائد المهزوم مطالبة إياه بالرجوع عن الاستقالة، ولكن الشعب العربي في مصر وفي البلاد العربية الأخرى كان مدركا بأن جمال عبد الناصر هو القائد المؤهل آنذاك لقيادة المعركة المقبلة بين العرب واسرائيل، وتجاه طلب الملايين من أفراد الشعب المصري تراجع عبد الناصر عن استقالته وبدأ على الفور



بإحداث تغييرات هامة على المستوى السياسي والعسكري في نظام حكمه بعد انتحار المشير عبد الحكيم عامر، فاعتقل وزير الدفاع شمس الدين بدران ورئيس المخابرات صلاح نصر كما اعتقل العديد من اركان النظام ومراكز القوى وأحالههم على المحاكمة وأجرى بعض التغيير في التوجه العقائدي والسياسي والاعلامي فأعلن عن سقوط دولة المخابرات التي اعتبرها السبب الرئيسي في هزيمة الخامس من حزيران.

يقول محمود رياض في مذكراته :

"ان جمال عبد الناصر قد أجرى في اجتماعات اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي في يومي 4/3 آب 1967 نقدا ذاتيا شديدا وخاصة بالنسبة للنظام القائم ، وبعد استعراض الاخطاء انتهى الى أن النظام المطلق القائم على الحزب الواحد قد فشل واقترح على اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي إقامة نظام جديد على أساس ديموقراطي يسمح بقيام حزب معارض الى جانب الاتحاد الاشتراكي الذي هو حزب النظام ويكون لهذا الحزب جريدة تنطق بلسانه وتعبر عن رأيه ليتحرر الجميع من الخوف في ابداء الرأي. وذكر عبد الناصر أن مثل هذا النظام الجديد سيحول دون قيام نظام حكم ديكتاتوري في المستقبل يؤدي الى سيطرة فرد أو مجموعة من الأفراد على مقدرات البلد واقترح إجراء انتخابات في شهر ايلول على أساس نظام الحزبين، وأكد ان استمرار النظام القائم سيفقدنا الى طريق مجهول مظلم، ولكن جميع أعضاء اللجنة العليا (للاتحاد الاشتراكي) بعد مناقشات طويلة عارضوا إجراء أي تعديل في نظام الحكم قبل البدء بإزالة آثار العدوان".

**ان الحقيقة التي لا ريب فيها ان جمال عبد الناصر مهما كان جادا ومخلصا في تحقيق الديموقراطية السياسية، بعد أن أعلن سقوط دولة المخابرات فإنه كان عاجزا عن تحقيق ذلك، لأن الحاكم في أي نظام ديكتاتوري يصبح أسير الأجهزة التي أنشأها، وهكذا قبل جمال عبد الناصر بالحجج الواهية التي أوردها أعضاء اللجنة العليا للاتحاد الاشتراكي الذين هم أنفسهم كانوا جزءا أساسيا من النظام. وكانوا مسؤولين أكثر من غيرهم عما جرى من أخطاء وانحرافات.**

ولا بد لنا هنا من أن نذكر ونؤكد بأن أهم أسباب رجحان الميزان الاستراتيجي لمصلحة اسرائيل هو فقدان الديموقراطية وهدر حقوق الانسان في العالم العربي، حيث أصبح الشعب العربي يعيش على هامش القضية في جو من الخوف والقلق وعدم المشاركة في تحمل المسؤولية.

لقد كان من الطبيعي اذن ألا يوافق أعضاء اللجنة العليا للاتحاد الاشتراكي على مقترحات عبد الناصر الجذرية لتطوير نظام حكمه لأن هذه المقترحات تعرضهم لخسارة مراكزهم في النظام الجديد، ولو أمكن لهذه المقترحات أن تنفذ لما تمكن أنور السادات فيما بعد من الوصول الى الرئاسة ومن ايصال مصر الى الطريق المظلم الذي أشار اليه عبد الناصر.

ومن هنا نتبين أخطار حكم الفرد في دولة المخابرات وأهمية الحكم الديموقراطي في البلاد العربية التي تخوض معركة المصير مع أشرس قوى العالم: الصهيونية والامبريالية العالمية.

ومن المحزن، أنه منذ هزيمة حزيران وحتى الان ما تزال تتعاقب في البلدان العربية أنظمة الحكم الديكتاتوري سواء منها ما كان رجعياً أو تقدماً فهي جميعاً تقوم على المخابرات وتضع الشعب في جو من القهر والخوف وفي ظل الاحكام العرفية حيث تعد الجيوش لا لخوض المعارك مع أعداء الامة بل لحفظ نظام الحكم في حال تعرضه لغضب الشعب، وكان من الطبيعي ألا يقتصر خطر أجهزة المخابرات على حياة الشعب السياسية والاجتماعية، بل ينعكس أثرها على قدرة الجيوش العربية وكفاءتها القتالية.

ففي تاريخ 1967/10/20 كتب حسنين هيكل في جريدة الأهرام ما يلي:

"ان أنظمة الأمن داخل بعض الجيوش العربية لا تعطي للقائد الصالح جو الأمان الذي يستطيع فيه ممارسة دوره .. مع أن الجيوش العربية تضم ضباطا لا يقلون كفاءة ومقدرة، إن لم يتفوقوا في أكثر الأحيان، على أعدائهم في الجانب الآخر من خطوط القتال".

ان أجهزة المخابرات هي بطبيعتها شديدة الحذر والحساسية من القادة والضباط الأكفاء في جميع الأنظمة التي أقامتها الجيوش، فهي تخشى كثيرا هؤلاء القادة والضباط بالنسبة لأمن النظام ووجوده.

يقول محمود رياض في مذكراته :

تحدثت مع المشير عبد الحكيم عامر أثر الهجوم الاسرائيلي على قرية السموع والأردن بتاريخ 13/11/1966 عن توقعي لاستمرار الاعتداءات الاسرائيلية واننا قد نجد أنفسنا فجأة في حرب مع اسرائيل فطمأنني عبد الحكيم عامر الى الاستعدادات المصرية، وعندما انتهت من حديثي هذا فاجأني عبد الناصر باخراج ورقة من جيبه قائلا :

ان عبد الحكيم لديه كشف بأسماء عشرة ضباط لنقلهم الى وزارة الخارجية فقرأت الأسماء وأجبتته بأنني سأدرس الموضوع.

لقد شعرت بالقلق في ذلك الوقت فقد كنت أعرف الضباط المطلوب نقلهم الى الخارجية وهم من القادة الاكفاء وكان في مقدمتهم اللواء احمد اسماعيل وكان لنقلهم للخارجية خسارة مؤكدة للجيش المصري في فترة تحتاج فيها القوات المسلحة الى القادة ذوي الخبرة . وقد أصبح أحمد اسماعيل فيما بعد وزيرا للحربية وهو الذي نفذ خطة العبور الى سيناء عام 1973" (ص 34).

"والحقيقة المؤلمة ان أجهزة المخابرات كانت تسعى دائما للتخلص من الضباط الاكفاء بنقلهم الى وزارة الخارجية أو الى وظائف مدنية أخرى أو بتسريحهم وهذا عين ما تعرض له الجيش السوري منذ أوائل الستينات الى ما بعد هزيمة الخامس من حزيران، فقد سرح واعتقل وأبعد الضباط الأكفاء خريجي الكليات العسكرية وحاملي شهادات الاختصاص الذين تفرسوا بدورات تدريبية في الخارج ولا سيما ضباط سلاح الطيران الذين كلف تدريبهم الخزينة السورية الملايين من الدولارات.

ان عددا كبيرا من هؤلاء الضباط الذين سرحوا، لأسباب سياسية أو حزبية، أو فئوية، استبدلوا بضباط الاحتياط من حاملي الشهادات المدنية". (كتاب الصراع العربي الاسرائيلي ص 71-75).



وفيما يتعلق أيضا بحرب حزيران فقد وجهت إلي مجلة (افريك آزي) التي تصدر في باريس هذا السؤال :

إن أحداثا خطيرة وهامة وقعت في مصر إثر هزيمة حزيران فقد قدم جمال عبد الناصر استقالته من رئاسة الجمهورية، وانتحر نائبه ورفيقه وقائد الجيش المشير عبد الحكيم عامر، واعتقل وزير الدفاع شمس بدران، ورئيس المخابرات العامة صلاح نصر، وقائد سلاح الطيران محمود صدقي، كما اعتقل عدد كبير من أركان النظام ومراكز القوى، وجرت بعض التبدلات بالتوجه العقائدي والسياسي والاعلامي، وكان كل ما جرى معلنا ومعروفا في داخل مصر وخارجها، أما ما حدث في سورية اثر هزيمة الخامس من حزيران فلا يزال غير معلن أو معروف، ولا تزال (2) السرية تكتنفه، ولا يزال التعقيم على أسباب الهزيمة وملابساتها مستمرا حتى الآن فهل لك أن تطلعنا على بعض ما تيسر لك الاطلاع عليه آنذاك من أحداث كانت محصلتها وصول حافظ أسد الى السلطة بتأييد عربي ودولي عام 1970).

وقد أجبت على سؤال المجلة بما يلي :

"عندما حدثت هزيمة حزيران عام 1967 كنت مقيما في لبنان وممنوعا من دخول سورية، وكان لذلك المنع أسباب لا بد من ذكرها:

كان الحزب العربي الاشتراكي قد أصدر عام 1965 بيانا ضد الاتفاقية البترولية مع الشركات البريطانية تلك الاتفاقية التي لم

(2) لا شك أن السرية ستكتنف كثيرا من وقائع حرب حزيران، فقد "حدث" في أوائل السبعينات حريق في قسم الوثائق في وزارة الدفاع السورية أجريت حوله بعض التحقيقات التي لم تعرف نتيجتها.

تكن فقط مجحفة بحق سورية من حيث كلفة تمديد خطوط البترول بل قصد منها عدم تمكين سورية من استثمار بترولها بشكل مباشر.. وقد أدت معارضتنا لهذه الاتفاقية الى الغائها بعد حركة 23 شباط ولزم تمديد هذه الخطوط الى الشركات الايطالية بوفر أربعين مليوناً من الليرات السورية.

لقد كان اصدار البيان سببا لاعتقالي مع عدد كبير من قيادات الاشتراكيين العرب ولا يداعنا عدة شهور في زنانات سجن المزة ثم خرجت من السجن بسبب مرضي فسافرت الى فرنسا للعلاج وبعد انتهاء العلاج عدت الى سورية بتاريخ 1 ايس 1966 فجرى اعتقالي من المطار وابعادي الى قبرص.

ان الذي شجعني آنذاك على العودة من فرنسا الى سورية هو السماح لخالد بكداش بالعودة من موسكو الى دمشق حيث جرى له استقبال حافل كما جرى استقبال حافل وشعبي ايضا للشيخ حبنكة بعد عودته من الحج وهو المعروف بعذائه الشديد لحزب البعث.

من قبرص عدت فورا الى لبنان وبقيت فيه حتى هزيمة الخامس من حزيران عام 1967 وفي لبنان كنت قريبا من سورية وعلى اتصال بتنظيم الاشتراكيين العرب الذي حاول الشباطيون اغراء بعضهم لمنعهم من تنظيم صفوفهم والقضاء على حركتهم.

ولا بد لي قبل التعرض للاوضاع السياسية في سورية بعد هزيمة الخامس من حزيران من التعرض للوضع العسكري الذي يثبت مسؤولية البعث عن هذه الهزيمة، وقبل ذلك ساذكر لك ما رواه لي شخصا احد ضباط الاحتياط الذي كان قبل حرب حزيران مفرزا من قبل الجيش ليكون مترجما وضابط اتصال مع هيئة الرقابة الدولية على خطوط الهدنة التي رسمت عام 1948.

قال الضابط :

بعد قبول سورية وقف اطلاق النار كلف مجلس الامن هيئة الرقابة الدولية على خطوط الهدنة السابقة بالاشراف على تنفيذ

وقف اطلاق النار والفصل بين الجيش السوري والاسرائيلي فاتصلت بي هيئة الرقابة لمرافقتها فذهبت بمفردي معهم الى مدينة القنيطرة فلم أر في طريقي من دمشق الى القنيطرة اي اثر للقوات السورية ولم يكن الجيش الاسرائيلي قد تجاوز بعد في تقدمه هذه المدينة.

عندما وصلنا الى مدينة القنيطرة طلب ضباط هيئة الرقابة الاجتماع بالقائد المسؤول في الجيش الاسرائيلي ليشترك في ترتيبات وقف اطلاق النار فأجابهم الاسرائيليون بأن القائد المسؤول غير مستعد ان يجتمع بهم الان وعليهم ان يعودوا اليه بعد اربع ساعات، وقد أدرك ضباط هيئة الرقابة ان امتناع القائد الاسرائيلي عن الاجتماع بهم ما هو الا لاعطاء الفرصة للجيش الاسرائيلي كي يتقدم نحو دمشق ويوسع رقعة احتلاله للجولان فقالوا للضباط :

كم كنا نتمنى أن نرى أية قوة سورية هنا حتى ولو كانت من الشرطة لنعتبر مكان وجودهم الحد الذي يجب أن يقف عنده تقدم الجيش الاسرائيلي. وبالفعل فان هيئة الرقابة عندما عادت وجدت ان الجيش الاسرائيلي قد تجاوز في تقدمه مدينة القنيطرة عدة كيلومترات الى ما بعد جسر الحميدية.

وهكذا يقول الضابط :

ان الجيش الاسرائيلي هو الذي حدد خطوط وقف اطلاق النار في الجولان.

أما الحلقات الأخرى من مسؤولية النظام السوري عن هزيمة حزيران فهي:

1- اصدار قرار الانسحاب الكيفي من الجبهة السورية ومن مرتفعات الجولان دون ان يلتحم الجيش السوري مع الجيش الاسرائيلي في خطوطه الحصينة التي فاقت، في موقعها الحصين وبما بناه الجيش السوري منذ حرب 1948 من تحكيمات، كل الخطوط الدفاعية التي كانت معروفة قبل ذلك في العالم.

2- كان اعلان سقوط القنيطرة يوم الجمعة 9 حزيران بينما جرى احتلالها يوم الاحد 11 حزيران وهذا الاعلان عن سقوط القنيطرة الذي رددته الاذاعة السورية مرارا عديدة كان سببا لتنفيذ قرار الانسحاب الكيفي فقد قال ضباط الجبهة بانهم ظنوا عند سماعهم بالترانزستور من الاذاعة السورية نبأ سقوط القنيطرة ان الجيش الاسرائيلي قد انزل قواته المظلية وراء الخطوط السورية فاضطروا لترك خطوطهم الحصينة ولاذوا بالفرار بفوضى لا نظير لها وتركوا في مواقعهم معظم اسلحتهم الثقيلة.

ولما أعلن المندوب السوري في هيئة الامم المتحدة سقوط القنيطرة واحتلالها من قبل الجيش الاسرائيلي كذبه المندوب الاسرائيلي قائلا :

اننا لم نحتلها بعد.. وقد اثار ذلك ضحك ودهشة اعضاء هيئة الامم المتحدة واستغرابهم.

3- ان سورية برفضها وقف اطلاق النار الذي تقدمت به مصر واقره مجلس الامن ثم قبوله بعد ثلاثة ايام قد اعطى الفرصة لاسرائيل التي لم تكن قد دخلت الحدود السورية كي تتقدم بقواتها دون مقاومة واحتلال مدينة القنيطرة ثم الامتداد الى ما بعدها.

4- ان مسؤولية انسحاب الجيش السوري انسحابا كيفيا وإذاعة بيان سقوط القنيطرة قبل سقوطها، لا يتحملها فقط حافظ أسد الذي كان وزيرا للدفاع وقائدا فعليا للجيش ولسلاح الطيران وعضوا في القيادة القومية لحزب البعث بل يتحمل هذه المسؤولية معه الأمين العام القطري صلاح جديد وحكومة البعث بعد انقلاب 1966./2/23

5- كشف موشي ديان الذي قاد حرب حزيران بعد عامين من الهزيمة العربية ان اسرائيل حشدت معظم قواتها على الجبهة المصرية لتوجه الى الجيش المصري ضربة سريعة وحاسمة وانه لم يكن في خطتها اقتحام المرتفعات السورية وهذا ما يفسر لنا تأخر اسرائيل في حشد قواتها على الجبهة السورية الى ما بعد هزيمة الجيش المصري هزيمة ماحقة خلال ايام معدودات وانه

ليعتري الانسان للوهلة الأولى الشك في صحة كلام موسى ديان لان لمرتفعات الجولان السورية اهمية عظيمة سواء بالنسبة لموقعها الهام او من حيث كونها مستودعا لمعظم مياه الانهار التي تستفيد منها اسرائيل في مشاريعها الاروائية والاستيطانية.

ان موسى ديان لم يكن مراوغا في ادعائه هذا فلا بد ان اسرائيل كانت تنتظر بعد توجيه ضربة ساحقة الى مصر ان تضع سورية والاردن امام خيار واحد وهو الاستسلام دون ان تكلف نفسها اقتحام مرتفعات الجولان الحصينة وقد نفذ النظام السوري هذه الخطة بحذافيرها وكان تأخير قبوله وقف اطلاق النار ثلاثة ايام هو الذي ساعد على تنفيذها.

6- كان عدد قليل من الفدائيين يتسلل من الحدود اللبنانية الى الجليل والحولة قبيل حرب الخامس من حزيران وقد حدثني احدهم عندما كنت لاجئا في لبنان وذلك قبل عدة ايام من الحرب عن دهشته وتعجبه لمشاهدته المستعمرات الاسرائيلية في الجليل والحولة خالية من القوى العسكرية ومن السكان تقريبا كما قال لي بأن الاسرائيليين قد اغرقوا مساحة هامة من سهل الحولة.

فالذي جرى إذن على الجبهة السورية في حرب حزيران كان تسليم قيادة البعث الجولان لاسرائيل دون قتال ولذلك كان الشعب يتندر بسخرية ومرارة بأن البعث قد باع القنيطرة الى اسرائيل وهي مفروشة إشارة الى ما نهبه الجيش الاسرائيلي من أمتعة وأموال من مدينة القنيطرة بعد جلاء السكان المفاجئ عن المدينة.

7- بعد ان هاجمت اسرائيل مصر بشكل مفاجئ فجر يوم الخامس من حزيران اعلنت سورية بعد عدة ساعات الساعة الواحدة ظهرا الحرب على اسرائيل وكان اعلان الحرب مصحوبا بالتعليق التالي باللغة العبرية والعربية: اننا ندعو السوريين الى قضاء فصل الصيف في تل ابيب !



لقد كان من البديهي ان تستنفر سورية فورا طيرانها بعد علمها بالهجوم الاسرائيلي على مصر.. وقد شكى الملك حسين من رفض سورية طلبه المستعجل ارسال الطيران السوري للاردن كتغطية لجيشه في الضفة الغربية.

ان تأخر سورية باستنفر طيرانها قد اتاح للطيران الاسرائيلي ان يصول ويجول في سماء دمشق وان يقصف الطائرات السورية وهي جاثمة في مطاراتها.. ولا بد من الاشارة هنا الى التسريجات الواسعة التي اصابت ضباط سلاح الطيران الذين انفقت سورية على تدريبهم وتجهيزهم مبالغ هائلة كما استغرق هذا الاعداد سنين طويلة استمرت منذ عام 1948.

لقد سرح هؤلاء الضباط بمختلف الحجج الواهية والذرائع الكاذبة مثل: (غير عربي-غير بعثي- حوراني- دمشقي- رجعي- ناصري- انفصالي) ولذلك كان سلاح الطيران السوري ضعيفا جدا عندما شن العدوان الاسرائيلي على سورية في الخامس من حزيران.

8- قبل صدور قرار الانسحاب الكيفي من المرتفعات السورية امرت قيادة الجيش اللواء المدرع(70) وهو من أقوى الالوية السورية تدريباً وتجهيزاً بالانسحاب الى دمشق وقد برر هذا الامر بانه تدبير لا بد منه لحماية النظام التقدمي في سورية بحجة ان هدف اسرائيل هو اسقاط النظام في دمشق قبل ان يكون هدفها احتلال الارض ومن هذا المنطلق صدرت صحيفة البعث صبيحة الهزيمة وقد علا صفحتها الاولى وبخط كبير احمر هذا العنوان:

لقد انتصرنا!

لقد راح النظام بعد هزيمة حزيران وامتصاصا لنقمة الشعب يتظاهر بعزمه على المقاومة وراح يروج لنظرية عسكرية اطلق عليها اسم (بقعة الزيت) بمعنى ان الاسرائيليين كلما تقدموا في احتلال الارض كلما ضعفوا وامكن القضاء عليهم.. ولذلك فان

رئيس الجمهورية آنذاك نور الدين الأتاسي قال في إحدى خطبه بالقرب من الحدود التركية.

انني اتكلم من الخطوط الامامية ! كما شرعت الحكومة على مستوى اعلامي كاريكاتوري بحفر<sup>(3)</sup> الحفر في مدينة دمشق وفي باقي المدن السورية للقيام بحرب المدن فيما لو تقدمت اسرائيل طبقا لنظرية بقعة الزيت.

أما على الصعيد السياسي فان النظام السوري لم يقم بعد هزيمة حزيران بأي مراجعة لما ارتكبه من أخطار وانحرافات بل كان الامر على عكس ذلك.. واذا كان قد انتحر قائد الجيش في مصر، ووضع رئيس المخابرات صلاح نصر وبعض ضباطه في السجن وجرت تبدلات أساسية في الجيش تبعها تغيرات في أعلى المستويات السياسية والاعلامية والايديولوجية والتنظيم الشعبي فان الذي جرى في سورية هو اتساع نفوذ حافظ اسد قائد الجيش وقائد سلاح الطيران ووزير الدفاع وعضو القيادة القومية، كما اتسعت سلطات وصلاحيات مدير المخابرات عبد الكريم الجندي بعد الهزيمة فزج بأعداد كبيرة من مختلف الاحزاب السياسية في السجون حيث لاقت اشد انواع التعذيب بدعوى الاتهام على قلب نظام الحكم، وكان ممن زج بهم في تلك الفترة الدكتور جورج حبش لاتهامه بأن منظمته تولت تهريب السلاح الى الاشتراكيين العرب، كما اصبحت حوادث الاغتيال من قبل رجال المخابرات في الطرقات والاماكن العامة أمرا مألوفا، فقد اعتدي بالضرب المميت على الشاعر الكبير بدوي الجبل (محمد

(3) كان النظام في سورية قد جند الموظفين بمن فيهم موظفي وزارة الخارجية لحفر الخنادق، رغم وجود آليات للحفر، وأذكر ان العقيد دريد المفتي المسرح من الجيش الى الخارجية، وكنت تعرفت عليه سابقا عندما كان قائما للأعمال في اسبانيا، قد طرق بابي ذات يوم غاضبا ثائرا وهو يقول :

أنا عقيد في الجيش السوري، ألم يبق لي من عمل بعد هذه الهزيمة سوى حفر الخنادق؟ لقد قضى هذا العقيد اكثر من سنة في سجن الشيخ حسن الواقع بالقرب من مقبرة الباب الصغير في دمشق، بتهمة إطلاعه - خلال وجوده في وزارة الخارجية كقائم بالأعمال في اسبانيا- على بعض المراسلات التي كانت تتم عن طريق وزارة الخارجية الأسبانية بين النظام السوري والولايات المتحدة خلال انقطاع العلاقات بينهما بعد الخامس من حزيران، تلك المراسلات التي يتعهد فيه النظام السوري بمنع أي عملية ضد اسرائيل عبر الجولان. وقد رأيت العقيد المفتي بعد خروجه من السجن وقد شاب شعره بأكمله، وقص علي يومذاك ما عاناه وما شاهدته وما سمعته من ألوان التعذيب. اغتيل العقيد دريد المفتي بعد ذلك في بيروت.

سليمان الاحمد) ثم القي في الشارع مغميا عليه بعد ان ظن انه مات، وقد ظل في المستشفى عدة ايام غائبا عن الوعي وكان السبب في محاولة اغتياله قصيدته المشهورة التي ورد فيها :

هزم الحاكمون والشعب في الاصفاد ، فالحكم وحده المكسور.

كما جاء فيها وصف للشعب السوري المكبوت المكمم الأفواه :

نحن موتى وشر ما ابتدع الطغيان، موتى على الدروب تسير .

**مقال حول حرب حزيران في مجلة اليوم السابع التي كانت تصدرها منظمة التحرير الفلسطينية في باريس .**

بتاريخ 1987/6/8، بعد عشرين عاما من حرب حزيران اصدرت مجلة اليوم السابع الصادرة في باريس والناطقة باسم منظمة التحرير عددا خاصا بملابسات هذه الحرب وأسبابها ونتائجها وعبرها، وقد طلب مني رئيس تحريرها الاستاذ بلال الحسن المساهمة في هذا العدد، وقدم لمقالي بما يلي:

لعب اكرم الحوراني دورا سياسيا كبيرا في الحياة السورية والعربية، واحتل في فترة من فترات الوحدة منصب نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة، وفي المقال يطرح اكرم الحوراني وجهة نظره في الاسباب التي أدت الى هزيمة 1967 وفي سبل الخروج منها، وهي وجهة نظر جديدة بالمناقشة، وفيما يلي نص المقال.

لقد فوجئ الرأي العام العربي حتى الذهول عندما انتهت حرب الخامس من حزيران بهزيمة منكرة للجيش العربي الثلاثة المصرية والسورية والاردنية، وعلى الرغم من مضي عشرين عاما على هذه الهزيمة فان الرأي العام العربي ما يزال يتساءل ويبحث عن الاسباب.

ان العرب لم يستفيدوا من الامكانات المادية والبشرية التي يملكونها. فمن الناحية العسكرية كانت اسرائيل تخصص لآلتها الحربية ما يزيد على ما تخصصه جميع موازونات الدول العربية لجيوشها منذ عام 1948 وحتى حرب حزيران عام 1967، كما ان تعداد الجيش الاسرائيلي كان يعادل ضعف تعداد الجيوش العربية التي دخلت المعركة، ولم تكن هذه الحقائق مجهولة من قبل الانظمة العربية.

ولكن السؤال عن اسباب الهزيمة يبقى قائما طالما ان الجيوش العربية لم تحارب في الخامس من حزيران بل انسحبت من المعركة عند بدء المواجهة مما دعا الجيش الاسرائيلي لان يطلق على هذه الحزب اسم حرب الايام الستة كي يعطي معنى لانتصاره العسكري.

ما هي اذن الاسباب التي ادت الى ان تكون الهزيمة بهذا الحجم الكبير الذي فقدت فيه الجيوش المحاربة معظم اسلحتها واحتلت اسرائيل نتيجة له من الاراضي العربية ما يعادل ضعف الاراضي التي احتلت عام 1948؟

ان النظام المصري لم يكن متحسبا لمعركة لا بد منها مع الكيان الاسرائيلي فلم يعد لذلك أية استراتيجية او تخطيط، ولقد اعلن ذلك صراحة جمال عبد الناصر في خطابه أمام المجلس التشريعي في قطاع غزة عام 1963 عندما قال ان ليس لديه خطة للحرب مع الكيان الاسرائيلي.

لقد كان النظام المصري منصرفا قبل هزيمة الخامس من حزيران لتنفيذ برامج التنمية فلم يعر تنمية القدرات العسكرية المصرية الاهتمام الكافي، وكانت الدعاية للجيش المصري كقوة ضاربة كبرى في الشرق الاوسط أكبر بكثير من حقيقته. اما في سورية فان النظام لم يفكر اصلا في مواجهة الكيان الصهيوني وانما بدأ يهيئ الجيش للدفاع عن النظام بدلا من الدفاع عن الوطن. ولهذا السبب بقي اللواء المدرع سبعين الذي هو من خيرة الوية الجيش بعيدا عن ميدان المعركة وقريبا من دمشق للمحافظة على النظام، ولهذا السبب صدر امر الانسحاب الكيفي من هضبة الجولان بدون ان يتم اي اشتباك جدي مع العدو.

وفي ما يتعلق بقيادة الجيش المصري والسوري في حرب حزيران 1967 فإن المشير عامر الذي كان ضابطا صغيرا قبل ثورة 23 تموز 1952 قد

رقي بعد هذه الثورة الى رتبة مشير واصبح قائدا للجيش المصري الذي جرت فيه تصفيات تناولت الكثير من ضباطه الاكفاء الذين استبدلهم عامر بالمريدين من جماعته حتى اصبح الجيش المصري بمثابة قطاع خاص للمشير عبد الحكيم عامر.

ان قيادة المشير عامر للجيش المصري كانت من أسباب هزيمة هذا الجيش في معركة القناة عام 1956 عندما اصدر المشير امره بالانسحاب من سيناء الى القاهرة دون ان يجعل من ممرات المتلا والجدى مواقع دفاعية فخسر الجيش في هذا الانسحاب معظم اسلحته واستشهد واسر الالوف من ضباطه مع انه كان معروفا ان الممرات هي المواقع الحصينة التي يجب على الجيش المصري ان يتحصن بها وان يوقف تقدم الجيش الاسرائيلي الى ضفة القناة.

لقد تسببت هذه الخطيئة العسكرية التي لا تغتفر ببدء الخلاف (كما تشير الى ذلك مذكرات عبد اللطيف البغدادي) بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر الذي استمر رغم ذلك ليكرر الخطأ مرة اخرى بعد عشر سنوات في حرب الخامس من حزيران.

كذلك فان الجيش السوري تعرض لتصفيات عديدة منذ عهد الوحدة مع مصر بلغت ذروتها بعد انقلاب الثامن من آذار ، وكانت التصفيات أوسع بكثير مما تعرض له الجيش المصري، فقد سرح من الجيش السوري ضباطه الاكفاء واستبدلوا بضباط الاحتياط من حزبيين ومعلمين وموظفين، وكان التسريح من الجيش السوري يتم استنادا الى مختلف المزاعم (رجعي - ناصري- غربي - انبطاحي) . إن اخطر ما استهدفته هذه التصفيات كان سلاح الطيران الذي انفقت سورية عشرات الملايين على تدريب ضباطه واعدادهم وبالإضافة الى كل ما تقدم فان جهاز المخابرات الاسرائيلي (الموساد) الذي منحت اسرائيل رئيسه اعلى وسام بعد هزيمة حزيران قد كان له دور هام في هذه الهزيمة بعد ان اخترق عملاؤه الانظمة العربية قبل الهزيمة وبعدها.

وبالرغم مما انفقه النظامان السوري والمصري على جهازي مخابراتهما فقد تحولت هذه الاجهزة - بسبب طبيعة النظامين- الى عين على المواطنين بدلا من ان تكون عينا على اسرائيل، كما تسببت في

افساد الحياة السياسية والعسكرية ولهذا اعلن عبد الناصر أول ما اعلن بعد الهزيمة سقوط دولة المخابرات في مصر، اما في سورية فقد ظل جهاز المخابرات مستمرا في قمع الشعب السوري بأشرس مما كان عليه.

لقد أدخل عبد الناصر على النظام في مصر، بعد الخامس من حزيران وبعد انتحار المشير عبد الحكيم عامر، اصلاحات جزرية فأعاد تنظيم الجيش المصري من جديد وعين لقيادته ضباطا اكفاء كمحمد فوزي وعبد المنعم رياض الذي استشهد فيما بعد في حرب الاستنزاف، وعلى الرغم من الاصلاحات التي أجراها عبد الناصر على النظام قبل وفاته فان كل ما حققه من انجازات بعد الخامس من حزيران وكل ما قدمته مصر من تضحيات لم يكن كافيا لوضع حد للهزيمة طالما انه لم يجر اصلاحا ديموقراطيا جذريا مما أتاح لانور السادات ان يكون خليفة له في رئاسة الجمهورية، فأوصل السادات مصر والامة العربية الى قاع الهزيمة، رغم حرب العبور المظفرة بعقده اتفاقية كامب ديفيد.

اما سورية فلم يجر فيها اي اصلاح للنظام ، بل كان رد الفعل على الهزيمة ردا عكسيا فقد شدد جهاز المخابرات قبضته على الشعب فنشر الارهاب وقمع الحريات وملأ السجون بالمعتقلين حيث مارس السجانون الوان التعذيب.

وفي ما يتعلق بقيادة الجيش وتنظيماته فلم يجر النظام أي تعديل وانما رقى هذا النظام عددا من ضباط الجيش المهزومين الى رتب اعلى. كما لو كانوا متنصرين في المعركة بدلا من محاسبتهم لان النظام كان يعلن انه انتصر على اسرائيل في معركة حزيران باعتبارها فشلت في اسقاط حكمه التقدمي، وهكذا اعتبر النظام ان بقاءه في السلطة هو نصر مبين بالرغم من خسارة المرتفعات الاستراتيجية والجولان ومدينة القنيطرة وجبل الشيخ.

لقد خرج هذا النظام من الحرب وهو اكثر ضراوة واستشراء واستمر في تخبطه بصورة هستيرية متخذا من رفع شعار الماركسية شهادة لوطنيته وتقدميته وتجاوزه جميع الانظمة والاحزاب العربية الاخرى وكأنه وحده الذي يملك الحقيقة في العالم العربي.

لقد خرجت الثورة الفلسطينية بعد هزيمة الجيوش العربية لتصبح أمل الشعب العربي بالنصر في مختلف اقطاره، وقد تعاضم هذا الامل بعد معركة الكرامة في الاردن.. ان هذه الثورة قد فتحت امام العرب الطريق الصحيح الواجب سلوكه لمواجهة الصهيونية وتحرير الارض العربية، وهو تبني استراتيجية عربية واحدة لحرب التحرير الشعبية، ولكن رد فعل الانظمة العربية على تعاضم شأن الثورة الفلسطينية بعد هزيمة حزيران كان على عكس ذلك، فقد استبدت الخوف والخشية من اطلاق الثورة الفلسطينية للطاقت الشعبية النضالية فعملت الانظمة، على اغتيالها ومحاولة احتوائها وشرذمتها.

في مصر، لم يكن النظام مقتنعا بالحرب الشعبية، معتبرا ان الجيش الشعبي هو تكرار غير مجد للجيش النظامي بالرغم مما طالب به قائد الجيش آنذاك محمد فوزي، ولكن النظام لم يكن موافقا وقد كتب هيكل عن ذلك بصراحة في الاهرام معبرا عن وجهة نظر النظام.

اما في سورية فقد أهمل النظام قبل الهزيمة وبعدها تشكيل الجيش الشعبي، مع أن لسورية تجربتها الفريدة في العالم العربي خلال اعوام 1956-1957-1958 اي خلال الاعوام التي تنامي فيها المد التحرري العربي الديموقراطي. ان موقف النظامين في سورية ومصر من تشكيل الجيش الشعبي وتبني حرب التحرير الشعبية نابع من طبيعة هذين النظامين وهو موقف حرم الامة العربية من الاستفادة من التفوق العددي الذي تفتقر اليه اسرائيل.

لقد منع الخوف والخشية من الثورة الفلسطينية النظامين العربيين في مصر وسورية من السماح للثورة الفلسطينية بالانطلاق من هذين القطرين، اما رد فعل الاردن على انطلاق الثورة منه فمعروف انه كان للدفاع عن كيانه(4) ووجوده مما أجبرها على تغيير مسارها

(4) بعد حرب حزيران وخلال محاولتي تجميع القوى السياسية السورية كانت فكرة العمل على انشاء تنظيم فدائي تراود الكثيرين من الاشتراكيين العرب وانصارهم، ولكن رأبي كان قاطعا في رفض هذا الموضوع، فمثل هذا العمل يتطلب امكانات مادية نحن عاجزون عنها، كما اننا لسنا على استعداد لطلب الدعم من أي نظام عربي، وبالإضافة الى ذلك فإن العمل الفدائي، كما اثبتت حرب حزيران، يتطلب استراتيجية متكاملة، وكانت الاقطار المؤهلة لمثل هذا التكامل هي سورية والعراق ومصر، وليس لبنان والاردن النقطتين الأضعف في دول الطوق. ومن هذا المنطلق كان حديثي مع جنبلاط في مكتبه الوزاري بحضور السيد محسن دلول أحد أعضاء حزبه والذي اصبح وزيرا للدفاع في وزارة عمر كرامي عام 1991.

## الصحيح وذلك بالانطلاق من لبنان اضعف الاقطار العربية والمهدد بالانقسام الطائفي.

لقد تحدثت يومذاك عن ضرورة الوقوف في وجه انطلاق الفدائيين من لبنان، وكانوا قد بدأوا يتسللون منه الى فلسطين، وقلت لجنبلات بالحرف الواحد:  
ان لبنان بوضعه الهش وطوائفه المتعددة ومشاكله الكثيرة ليس صالحا لانطلاق الثورة الفلسطينية، وان ذلك سيؤدي الى متاعب كثيرة للبنان وللمقاومة وهو باب للتدخل الاسرائيلي الطامع بمياه الليطاني.  
قال كمال جنبلات، ويبدو انه كان مقتنعا بما قلت :  
أنا لست قادرا على منعهم في هذا الجو من التأيد الشعبي.  
قلت له:

لو كنت مكانك وعجزت عن اقناعهم لقدمت استقالتي ولما تحملت مسؤولية ما يمكن أن يؤدي اليه هذا الوضع في المستقبل وغني عن الذكر، ان مثل هذا الموقف آنذاك كان سيكلف صاحبه مستقبله السياسي.  
أما بالنسبة للأردن فقد كانت جميع الأحزاب اليسارية (الشيوعيون وحزبا البعث في سورية والعراق، وجبهة التحرير الشعبية بقيادة جورج حبش والجبهة الديمقراطية بقيادة نايف حواتمه) تنادي وتسعى لاسقاط نظام الملك حسين لصالح المقاومة الفلسطينية وكان الرأي العام مؤيدا لذلك.

كنت في لبنان أتابع ما تنشره صحافة المقاومة ووسائل الاعلام اليسارية وكان أشدها مزادة في اليسارية والماركسية صحيفة الحرية الناطقة باسم الجبهة الديمقراطية التي تطالب باسقاط نظام الملك حسين وتعلن عن عمليات في فلسطين وتسميها باسم ستالين أو لينين، كما حدثني البعض عن ملصقاتها لصورها التي كانت تلتصقها على جدران المساجد.  
كنت في لبنان على اتصال دائم بالشهيد كمال ناصر الذي كان عضوا في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، وفي شهر ايلول على ما اذكر من عام 1975، ذلك الشهر الذي سمي فيما بعد ايلول الأسود، سألتني كمال عن رأبي في المعركة الوشيكة بين المقاومة الفلسطينية والجيش الاردني، فقلت له انقل هذه النصيحة الى صديقنا ياسر عرفات وقل له ألا ينجر وراء المنظمات التي تزاود باليسار والماركسية لأن حصيلة هذه المعركة لن تكون الا لمصلحة العدو الاسرائيلي، فعاد الشهيد كمال ناصر وقال لي ان ياسر عرفات أبغى انه مصمم على خوضها مهما كانت النتائج، ولا شك أن وعود حكم البعث في سورية والقيادة القومية في العراق بتدخل الجيشين السوري والعراقي بجانب المقاومة مما دفع بياسر عرفات لخوض المعركة مع الجيش الاردني المشهود له بالشجاعة والانضباط بين الجيوش العربية.

لقد زارني في هذه الفترة أيضا صديقي المرحوم علي أبو نوار وكان حديثه معي عما ترتكبه المقاومة الفلسطينية من تجاوزات خطيرة على النظام في الاردن مما لا يمكن للملك حسين السكوت عنه، بعد أن كادت المقاومة الفلسطينية تسلب الدولة في الاردن سلطتها وصلاحتها في حفظ النظام وإدارة شؤون البلد، فقلت له انني اشاركك الرأي بخطورة هذه التجاوزات التي يمكن أن تؤدي الى كارثة ، وعندما سألتني عن رأبي في التدبير الذي يمكن اتخاذه من قبل الأردن لتجنب الصدام، قلت له: ان الملك حسين أدري بالموقف الذي يجب اتخاذه تجاه المقاومة وهو أمم خيارين كلاهما مر. ولا حاجة بي للاستطراد وذكر وقائع الصدام بين المقاومة

الفلسطينية والجيش السوري ضد الجيش الاردني، التي انسحب منها الجيش السوري بعد تكديه خسائر فادحة في ألياته.

ومن حسن الحظ أن الجيش العراقي الموجود آنذاك في الأردن، لم يتدخل بالمعركة بأمر من رئيس الجمهورية أحمد حسن البكر وانسحب بعدها الى العراق، وقد تحمل الرئيس احمد حسن البكر مسؤولية عدم اشراك الجيش العراقي في مواجهة الرأي العام العربي والأحزاب اليسارية، القومية والماركسية، ومما يدل على الوضع النفسي لشباب هذه الأحزاب انني قابلت في بيروت عددا من شباب القيادة القومية لحزب البعث كانوا قادمين من بعض جامعات أوروبا للاتحاق بصفوف المقاومة في الأردن لأن الاستاذ ميشيل عفلق قد أصدر أمرا يوميا لشباب البعث ان يلتحقوا بالمقاومة الفلسطينية في معركتها ضد الجيش الأردني.



لقد كان موقف الانظمة العربية من الثورة الفلسطينية ولا يزال نابعا من انحراف هذه الانظمة الذي لا يعتبر الموقف من القضية الفلسطينية صراعا قوميا عربيا مصيريا مع اسرائيل.

ان ضعف الشعور العربي الوحدوي لقادة الانظمة العربية وتنامي الشعور الانتهازي الذي كان هدفه ولا يزال التمتع بالتسلط والحكم هو السبب الحقيقي لما تعانيه الامة.

لقد كان رد الفعل في بعض الاقطار العربية على هزيمة حزيران ذريعة لانقلابات عسكرية في سورية والسودان وليبيا وهي انقلابات هزل لها الاعلام العربي آنذاك واعتبرها رد فعل على هزيمة حزيران مع ان الواقع اثبت فيما بعد ان هذه الانقلابات العسكرية كانت تكريسا للهزيمة.

وفي ما يتعلق بردود الفعل الفكرية والسياسية والحزبية على الهزيمة ، فقد كان أوقح رد هو ما جاء على بعض اللسنة من ان مسؤولية الهزيمة تقع على عاتق المواطن العربي الذي لا يرجى له شفاء من تخلفه ولا حاجة بنا للدلالة على ان هذا الادعاء انما هو تضليل اعلامي اسرائيلي جاء على لسان بعض الحكام العرب، فلقد أثبت المواطن العربي فيما بعد عندما تيسرت له بعض الامكانيات جراته وقدرته على استيعاب اكثر الاسلحة تعقيدا في حرب رمضان.

ان بعض المفكرين قد أرجع أسباب الهزيمة الى غيبية العقل العربي وتعلقه بالدين بالوقت الذي لا تستند فيه قومية الاسرائيليين الا على عنصر واحد هو العنصر الديني الشوفيني. أما على المستوى الحزبي والعائدي فقد كان رد فعل بعض الاحزاب والقيادات السياسية تبنى النظرية الماركسية.

بعد هذا كله فان السؤال الآتي يطرح نفسه :

ما هي الحلول اذن للخروج من الطريق المسدود؟

هل هو الاستسلام للصهيونية والامبريالية، عل الصهيونية تتصدق علينا بكسرة من الغنائم التي استولت عليها من العرب بالحرب او لعل ذلك ينقذ ما يمكن انقاذه من برائث الصهيونية والامبريالية؟

ولكن في اي زمان او مكان كان الاستسلام للعدو احد طرق الخلاص؟ اذن ليس أمام العرب بعد الآن الا ان نبدأ من جديد في سلوك الطريق الصحيح للخلاص، وهو الطريق الذي كان متاحا للعرب اثر هزيمة حزيران.

### **ولكن من أين نبدأ؟**

**ان البدء الصحيح بعد كل الذي جرى هو تغيير الوضع العربي الى وضع وطني عربي ديموقراطي يساهم جديا بانهاء الحرب العراقية الايرانية ويبدأ من جديد بالعمل على قيام اتحاد ثلاثي بين سورية والعراق والثورة الفلسطينية على اساس وضع استراتيجية عربية لتحرير الارض المحتلة.**

**انها ليست بداية سهلة ولكنها ليست مستحيلة التحقيق. هذا هو الطريق الذي يجمع شمل العرب في معركتهم المصيرية وهذا هو الطريق الذي يحرر مصر من اتفاقيات كامب ديفيد ويعيد هذا القطر العربي الى مكانه الطبيعي في قيادة العالم العربي.**



في باريس ما بين 1983-1993: اتصالات مع بعض  
العسكريين من النظام السوري - محاولة اللواء  
محمد الخولي مقابلتي - قابلت فيما بعد مدير  
مكتبه المقدم هيثم سعيد - سؤال من المقدم  
هيثم سعيد عن كارلوس- كيف تعرفت على  
كارلوس في بغداد- اتصال أحد ضباط الجيش  
السوري العلويين بي لمعرفة رأيي بمحاولة  
انقلابية يمكن أن تتم في سورية- رفضي مقابلة  
رفعت أسد.

لا بد لي في نهاية هذه المذكرات من الحديث عن محاولة  
النظام السوري القيام ببعض الاتصالات بي خلال إقامتي في  
فرنسا التي امتدت بشكل متواصل من عام 1983 حتى عام  
1993 الذي قررت فيه الإقامة النهائية في الأردن.

ابتدأت هذه الاتصالات بطلب من اللواء محمد الخولي  
مقابلتي، وكان واسطة الاتصال السيد زهير قنبر أحد  
الاشتراكيين العرب الذين حاولت تجميعهم وتنظيمهم في  
المنفى، ويبدو أنه كان لزهير قنبر صلة بحسن بركات رجل  
المخابرات في فرنسا والمسؤول عن أمن الطيران السوري  
المدني فيها والذي كان له نفوذ في السفارة السورية، وقد تبين  
لي فيما بعد ان بركات هو أحد المؤتمنين القلائل الذين يعرفون  
الوضع الصحي لحافظ أسد في الوقت الذي تتساءل فيه سورية  
جميعا عن هذا الوضع.

عندما طلب اللواء محمد الخولي مقابلتي كانت المرة  
الأولى التي اسمع فيها باسم بركات وأعرف ان لزهير قنبر صلة  
به، ولا بد من الاشارة هنا الى أن الاشاعات كانت تصور اللواء  
محمد الخولي كأقرب المقربين الى حافظ أسد، وكان عند  
محاولته الاتصال بي قائدا لسلاح الطيران، مع الاشارة الى أنه

كان لهذا السلاح مخبراته الخاصة التي يرئسها اللواء محمد الخولي أيضا.

كان طلب الخولي مقابلتي إثر البيان الثاني الذي أصدرته أواسط الثمانينات في فرنسا معارضا النظام السوري بعد سنتين أو ثلاث من مذبحه حماه، وقد قال لي زهير قنبر عندما نقل الي طلب اللواء محمد الخولي ان النظام السوري يرحب بعودتي الى سورية وبالشروط التي أراها، وان حافظ اسد على استعداد لارسال طائرتة الخاصة اشارة الى مقدار التكريم والحفاوة.

لقد حدث خلال الفترة التي طلب فيها الخولي مقابلتي، (وكان قد جاء الى فرنسا لهذا الهدف) أمران هامان لا بد من الاشارة اليهما :

قال لي السيد سركريس سركريس إن السائق الذي استخدمه قابل الملحق العسكري في السفارة السورية الضابط غياث الشرابي الذي طلب منه الحصول علمفاتيح بيتي خلال زيارة تقوم بها زوجتي لزوجة السيد سركريس التي تربطها بي رابطة المحبة والتقدير منذ عشرات السنين عندما ترافعت خلال عملي بالمحاماة في مقتل أبيها طبيب الاسنان الذي قتله شخص من عائلة البرازي، ويقول السيد سركريس ان سائقه جاءه مذعورا ليخبره بطلب الملحق العسكري.

ولعله من قبيل توضيح الأمور ان السيد سركريس بعد سجنه في سورية، وهربه من مستشفى السجن، قد خاض ميدان التجارة والكومسيون الأمر الذي مكنه من تمويل بعض نشرات الاشتراكيين العرب، ومن مساعدة ثلاثة منهم يعيشون في فرنسا بغرض التفرغ للعمل السياسي.

لقد عرضت موضوع طلب اللواء محمد الخولي على اللجنة التنفيذية المنتخبة من قبل المجموعة التي حاولت تنظيمها تحت اسم الاشتراكيين العرب في المهجر وهي المحاولة التي افشلتها الضغوط المخبراتية المتعددة المصادر التي لا يخلو بلد منها ومن بينها فرنسا.

وعندما ناقشت مع اللجنة التنفيذية لتنظيم الاشتراكيين العرب موضوع مقابلة الخولي التي ترافقت مع محاولة الاستيلاء على مفاتيح بيتي كان موقفي كما كان موقف الجميع هو رفض المقابلة التي ترافقت مع التهديد باقتحام بيتي ما عدا زهير قنبر الذي كان واسطة اتصال الخولي بنا والذي أصر وحده على المقابلة، وفي تقديري أن طلب المقابلة الذي ترافق مع قصة سرقة المفاتيح ما هو الا نوع من الضغط على فهالك طائفة خاصة وتكريم، ومن جانب آخر تهديد بالاعتقال كما حدث لصالح البيطار.

والذي يرحح ظني هذا ان السائق عاد الى سورية بدون أن تتعرض المخابرات السورية له، ولو كان الأمر جديا لبقني في السجن حتى الآن، ومن جهة ثانية فقد كان اغتالي من السهولة بمكان فقد كنت أقطن في بارلي دو PAPLY DEUX احدى ضواحي باريس المليئة بالحدائق والغابات حيث كنت اتجول منفردا وكان باستطاعة النظام السوري اغتالي بسهولة، كما أسجل هنا أيضا ما نمي الى عن لسان حافظ أسد عن امكان اغتالي من قبل النظام العراقي، وهذا قول معناه بالطبع ان بإمكاننا ان نغالك ونلصق ذلك بالنظام العراقي الذي كنت معارضا لبعض توجهاته أيضا.

أما الأمر الثاني الذي جرى خلال فترة طلب الخولي مقابلتي فهو مخابرة هاتفية من وزارة الداخلية الفرنسية بطلب مقابلتي وقت تمت المقابلة في منزلي بحضور السيد احمد خطاب الذي يتقن الفرنسية والذي يعمل حاليا في اذاعة مونت كارلو.

كان موظفو الداخلية على علم بمجيئ الخولي وطلبه مقابلتي ولا أدري حتى الآن مصدر هذه المعرفة فقد يكون احمد خطاب نفسه أو زهير قنبر أو حسن بركات الذي وصفه رجال الداخلية يومذاك بأنه ثعلب ، وهذا يدل على معرفتهم به بصفته رجل الأمن السوري في باريس وان كان يقول عن نفسه كما أخبرني قنبر انه من رجال الخولي بالاضافة الى رابطة العشيرة.

لقد تحدثت مع رجال الداخلية عن رفضي مقابلة الخولي وسيف التهديد بالاغتيال مسلط فوق رأسي، وعندما بدأت أشرح تفاصيل التهديد لاحظت من احمد خطاب ترددنا يكاد يكون امتناعا عن الترجمة، وهو أمر احترت في تعليقه أهو خوفه من الخبرات السورية أم ما قد يكون من عدم إعلامه المخابرات الفرنسية، ولكنني أخرجته وأجبرته على الترجمة فقد كان أمرا هاما اعلام وزارة الداخلية الفرنسية بما حدث ولا سيما ان اغتيال صلاح البيطار لم تمض عليه سوى بضع سنوات.

هكذا انتهى موضوع مقابلة اللواء محمد الخولي، مع تسريب بعض الأخبار عن طريق النظام السوري بأن التهديد بالاغتيال كان نتيجة دخول آخرين على قضية المقابلة مع الخولي مع ذكر اسم اللواء علي دوبا الرئيس العام للمخابرات آنذاك.

بعد فترة من طلب اللواء محمد الخولي مقابلتي ثارت أو أثرت بشكل كبير قضية محاولة تفجير طائرة العال في بريطانيا واتهام سورية بالمحاولة مما أدى لقطع العلاقات الدبلوماسية بين سورية وبريطانيا، وقد وجه الاتهام رأسا في صحف الغرب وإذاعاته الى اللواء محمد الخولي، وأذكر انني تابعت على التلفزيون الفرنسي احدى الندوات التي كان يترأسها الاذاعي اليهودي ميشيل بولاك وتدور فيها مناقشات حول بعض القضايا والكتب. في تلك الندوة جرى التعرض لموضوع الارهاب فاذا بفرانسوا كان وهو يهودي ايضا ورئيس تحرير مجلة EVENNEMENT DE JEUDI يصرخ بكل قواه كولي كولي قاصدا اللواء محمد الخولي.

لقد أدت الضجة التي أثرت في صحف الغرب حول الخولي الى قطع علاقات بريطانيا مع سورية والى ابعاد الخولي تدريجيا بعد أن كان قائدا لسلاح الطيران ، كما سرت إشاعات بأن الخولي سيعود من الجيش الى السلك الخارجي وأذكر انني قرأت في جريدة القبس الدولي التي كانت تصدر في لندن آنذاك خبرا صغيرا غامضا على صفحتها الأولى وهو ان الخارجية البريطانية استفهمت، ولم يذكر الخبر ممن استفهمت، عن قضية

تعيين الخولي في الخارجية أي ابعاده عن الجيش وسلاح الطيران.

وفي هذا المجال لا بد من ذكر ما كان يروج من أقوال تشير الى أن الخولي هو الشخص الذي يعتمد النظام السوري بعلاقته مع السوفييت ، بينما كان يشاع أن رئيس المخابرات علي دوبا هو رجل الولايات المتحدة.



بعد رفضي المقابلة بقي الخولي مصرا على الاتصال بي فقد جاء زهير قنبر بطلب من الضابط هيثم سعيد الذي قدمه لي بصفته مديرا لمكتب اللواء الخولي، وقد تمت المقابلة في بيت قنبر وكانت مقابلة قصيرة وجافة، لم استطع فيها أن اتخلص من مشاعري حول ما حدث في حماه وما يحدث في سورية، رغم ان المقدم هيثم سعيد كان شابا خجولا جم التهذيب، ويبدو أن الغرض من المقابلة كان مد الجسور بيني وبين النظام السوري وطرح موضوع عودتي الى سورية وهي العودة التي رفضتها سلفا عندما طرح علي موضوع مقابلة اللواء محمد الخولي، مع اعترافي الآن بأنني ندمت على الرفض، فقد كان من المفيد آنذاك ان أطرح بعض الشروط التي يمكن أن تساعد على تخفيف ممارسات النظام القمعية.

كان سبب اعتذاري عن مقابلة الخولي، بالاضافة الى مشاعري حول استباحة مدينة حماه التي لم تجف دماء ابنائها بعد. هو إبائي أن اكون شاهد زور على ما يمارسه النظام ضد الحريات العامة والخاصة، ثم احتمال وجود نية مبيتة لاستدراجي الى سورية بعد أن أصدرت في باريس العديد من البيانات المعارضة للنظام، وكانت هذه المحاذير جميعا ما تزال قائمة عندما قبلت أن التقى بالمقدم هيثم سعيد.

انني لا أزال أذكر أن المقدم سعيد توجه الي بهذا السؤال

:

أحقا ان كارلوس زارك اثناء وجودك في العراق بعد الخلاف بينه وبين مخابرات صدام حسين وأخبرك عن نيته اللجوء الى سورية وسألك هل في ذلك من خطر عليه، قلت للمقدم سعيد :

ان هذا صحيح، لقد نصحت كارلوس ألا يذهب الى سورية إلا اذا تعهد له حافظ أسد شخصا بالحماية من امكان تسليمه ، ويبدو أن جوابي هذا كان مدعاة لارتياح الضابط سعيد، الأمر الذي ظهر على وجهه.

كانت معرفتي بكارلوس في فترة التقارب بين النظامين العراقي والسوري وعقدتهما الميثاق المشترك اثر رحلة السادات الى اسرائيل وخروج مصر من الصراع العربي الاسرائيلي ، وكان هذا الميثاق الوسيلة الوحيدة للوقوف في وجه العدوان الاسرائيلي على الأمة العربية.

كان الرئيس العراقي احمد حسن البكر والقيادة القطرية لحزب البعث في العراق ونظام حاظ اسد في سورية مصممين على اتحاد فرعي الحزب في سورية والعراق مما يشكل قاعدة صلبة لاتحاد يتولى فيه أحمد حسن البكر رئاسة الاتحاد بينما يكون حافظ الأسد نائبا للرئيس، وكان ميشيل عفلق أمين حزب البعث ونائبه منيف الرزاز مؤيدين لهذا الاتجاه، وهذا ما جعل صدام حسين يشعر بالخطر على مركزه في العراق وهو الذي كان يحلم بأن يخلف عبد الناصر بزعامة الأمة العربية والذي كان ينظر الى حافظ أسد وحزب البعث في سورية على أنهما العقبة دون تنفيذ هذا الطرح، ومن جهة أخرى كان بعض السوريين من اللاجئين الى العراق يشعرون ان اتفاق البلدين هو ضد مصالحهم أو ضد عودتهم الى السلطة في سورية.

هكذا كان الوضع قبيل انعقاد مؤتمر القمة الذي دعا اليه العراق في اوائل شهر تشرين الثاني عام 1978 ردا على الموقف المصري، بتأييد من سورية والعراق وموافقة الدول العربية الأخرى ، وفي هذا الجو ظهر كارلوس علنا في بغداد.



كانت المرة الأولى التي رأيته فيها خلال دعوة للعشاء حضرها عدد كبير من اللاجئين السوريين واللبنانيين في منزل أحد اللاجئين اللبنانيين من حزب البعث، وقد لفت نظري بمجرد وصولي وجود شخص يبدو بشكل جلي أنه أجنبي قال أحد الحضور انه كارلوس، وكان ابيض البشرة شديد الشقرة خلافا للصور التي كانت تنشرها له الصحف والتي يبدو فيها أسمر اللون أسود الشعر مثل معظم سكان أميركا الجنوبية.

لا أذكر أنه دار يومذاك بيني وبين كارلوس أي حديث ولكن بعد فترة قليلة جاء من يطلب باسمه زيارتي فلم أرفض بدافع الفضول لمعرفة هذا الانسان الذي طبقت شهرته العالم ولا سيما بعد احتجاز مندوبي الأوبك في فينا.

كان مجمل حديثي مع كارلوس - الذي أتى برفقة حارس فلسطيني شاب طويل القامة عرفت انه من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - حول القضية الفلسطينية ، وأذكر أن كارلوس طلب مني جهاز ترانزستور وضعه امامه مفتوحا على احدى المحطات مع تخفيض الصوت قائلا ان ذلك كان للتشويش على حديثنا الذي كان يتم في حديقة منزلي في بغداد.

كان رأيي أنه لم يعد أمام العرب بعد خروج مصر من الصراع العربي الاسرائيلي واتفاقية كامب ديفيد إلا التقاء القطرين سورية والعراق واتحادهما لقيام الجبهة الشرقية بالرغم من معارضتي لممارسات النظامين على حد سواء، فعلق كارلوس على هذا الرأي بقوله :

إن نظرتك هذه هي نظرة استراتيجية تتجاوز رأيك بالنظامين وما بينهما من خلاف، كما هاجم النظام السوري وحافظ أسد الأمر الذي جعلني أشعر بخطورة حديثه في هذه الفترة التي يجري بها الاستعداد لعقد مؤتمر القمة الذي سيحضره الاسد، ومما زاد من شعوري بخطورة هذا الحديث ما عرفته عن صلته ببعض اللاجئين السوريين واللبنانيين الذي نشطوا بصورة محمومة لمعارضة الالتقاء مع نظام حافظ أسد

وكان من بينهم السيد سر كيس سر كيس، بل أخذوا يشيعون أن السيد نزار حمدون الذي كان آنذاك مشرفا على المكتب السوري ومن موثوقي نائب الرئيس صدام حسين هو أيضا معارض للتقارب السوري العراقي، وأذكر ان المرحوم منيف الرزاز زارني في تلك الفترة وسألني عن صحة ما يقوله بعض القريبين مني حول هذا الموضوع وهل يعرب ذلك عن رأيي ايضا، فقلت له أن رأيي بالتقاء القطرين قد صرحت به وقدمته في مذكرة للرئيس أحمد حسن البكر قبل أن تستجد ظروف كامب ديفيد التي أدت الى عقد الميثاق بين سورية والعراق في 1978/10/27، اما فلان وفلان فلهم آراؤهم الخاصة ولست مسؤولا عما يشيعون.

وفي الوقت نفسه زارني الصحفي عدنان بدر وقال لي أن سر كيس سر كيس يشيع ان نزار حمدون هو وراء نشاطه ضد مشروع الاتحاد المزمع عقده بين القطرين، كما ألمح الى خطورة الصلة بين كارلوس وبين المعارضين من اللاجئيين السوريين واللبنانيين، فقلت لعدنان بدر :

هل أنت مستعد لمجابهة سر كيس فيما يقوله امام نزار حمدون فأجاب انه مستعد تمام الاستعداد.

بعد ذلك ، استدعيت نزار حمدون وفتحته بالموضوع فأنكر ذلك انكارا تاما وهو بحالة ذعر وانزعاج وقال انه سيحقق بالموضوع، وقد علمت انه استدعى سر كيس وأوقفه عدة أيام في بناء المكتب السوري، لم يلبث بعدها أن غادر العراق نهائيا.

بعد تلك الوقائع زارني كارلوس مرة أخرى ، وكنت قد سمعت بعض الوقائع التي تشير الى وقوع خلاف بينه وبين الاجهزة العراقية فاستشارني بأمر ذهابه الى سورية، وكانت الأضواء التي أحاطت بالميثاق العراقي السوري قد بدأت تخفت وبدأت الخلافات من جديد بين البلدين فنصحته ألا يذهب إلا مطمئنا الى سلامته وحذرتة من أجهزة المخابرات العربية المخترقة جميعا من اسرائيل وقد سمعت فيما بعد أنه غادر العراق الى اليمن الجنوبي ومنها الى سورية.

بعد ذلك بسنوات ، وكنت قد غادرت العراق الى فرنسا،  
أدهشني استدعائي لوزارة الداخلية الفرنسية حيث قابلت أحد  
كبار موظفيها الذي سألني عن كارلوس ومعرفتي به في بغداد  
فأنكرت ذلك، ويبدو أن سبب هذه المقابلة هو زلة لسان صدرت  
عن زوجتي خلال عشاء في بيتي كان مدعوا اليه المعارض  
التونسي المرحوم ابراهيم طوبال مع السيد سيمون ماليه  
اليهودي ذي الاصل المصري الذي كان يصدر في باريس مجلة  
أفريك - آزي القريية من المقاومة الفلسطينية والتي نشرت  
مقابلة مطولة معي في عددين متوالين كما نشرت مقالا آخر  
حول مذبحه مدينة حماه.

لقد حزنت عندما نمي الى خبر القبض على كارلوس،  
وتسليمه في صيف عام 1994 من قبل حكومة السودان الذي  
استقر فيه أخيرا الى الحكومة الفرنسية، فلقد كان كارلوس  
صديقا للعرب ومؤمنا بعدالة القضية الفلسطينية، ولكنه انتهج هو  
ورفاقه من الثوريين اليساريين طريقا خاطئا لا يمكن إلا أن يؤدي  
بدون جدوى الى المزيد من الضحايا الأبرياء.

بعد هذا الاستطراد الذي اقتضاه سؤال المقدم هيثم  
سعيد عن كارلوس ، أعود الى ما تعرضت له في حديثي معه  
حول ما يرتكبه النظام في سورية بحق شعبها من خنق للحريات  
وامتهان للديموقراطية عندما قلت له:

لقد كان ما فعلتموه في مدينة حماه جريمة لن ينساها  
التاريخ، وإن ثورة بضعة مئات من الاخوان المسلمين الذين  
هزمناهم ديموقراطيا في الخمسينات لا يبرر ذبح مدينة بكاملها،  
وعندما أنهيت حديثي بقولي انه لا مخرج لسورية الا  
بالديموقراطية اجابني :

ان سورية من دول العالم الثالث وهي غير قادرة على  
ممارستها ، كما أردف متسائلا :

في حالة وضع ديموقراطي كيف ستكون الأوضاع في  
مدينة حماه؟

ماذا سيقول اولئك الذين فقدوا آباءهم وأزواجهم واخوتهم، بل ماذا سيفعلون؟ قلت له:

ان شعبنا حضاري ووطني وانه لن يتنكر لتاريخه النضالي عندما ناضل عشرات السنين لأجل تحقيق وحدته الوطنية، أما مدينة حماه التي كانت الحركة الشعبية فيها طليعة من طلائع النضال في سورية فإنك ، وأنت باعتبارك من لواء اسكندرون ، أدري بموقف مدينة حماه وبمواقفي من هذه القضية.

كانت المقابلة بيني وبين المقدم هيثم سعيد مقابلة قصيرة جدا وجافة -كما أسلفت- انتهت معها كل محاولة أخرى يمكن أن تتم مع اللواء محمد الخولي.



أما الاتصال الثالث الذي تم مع أحد العسكريين فإنني اوتر أن اضع له أسماء مستعارة وسبب ذلك ليس بحاجة للإيضاح، وكنت قد قابلت قبل ذلك بعام قريبا لذلك الضابط كان منتسبا للحزب العربي الاشتراكي، وكانت لي به صلات جيدة، وأذكر انه نبهني مرات عديدة الى ما كان يحاك ضد الحكم الوطني في سورية ولا سيما الى التدخلات التركية خلال الضغوط والمؤامرات التي كانت تحاك من قبل حلف بغداد في تلك الفترة ضد الوضع الديموقراطي التقدمي فيها. ولقد فضلت يومذاك أن يكون اجتماعي به في بيت الاستاذ احمد محفل زعيم جماعة المكتب السياسي وهي الجماعة التي انشقت عن الحزب الشيوعي

السوري بسبب تبعيته لموسكو وتعاونه مع النظام السوري وقد أحدث هذا الانشقاق في حينه ضجة كبرى في سورية وخارجها ولا سيما في الاتحاد السوفيتي مما دعا المنظرين السوفيت للتدخل في هذا الموضوع ومحاولة حل الخلافات العقائدية بين الطرفين دون جدوى، ولقد فضلت أن يكون الاجتماع في بيت

صديقي الاستاذ احمد محفل لأنني عزمت ألا يعرف الكثيرون عنوان سكني بعد مقتل صلاح البيطار.

في ذلك الاجتماع كان تقييم الزائر للنظام السوري لا يختلف عن تقييمنا له وعن وجوب التغيير الديمقراطي ، بل ان الزائر لمح عن بعض امكانيات التغيير، ولكنني في ذلك الاجتماع كررت موقفي الذي التزمته دائما بعدم أي علاقة لي بأي محاولة عسكرية للتغيير، بل وقفت بحزم ضد الانقلابات العسكرية وهكذا انتهى اللقاء.

بعد مدة قد تقارب العام، وكان ذلك في النصف الثاني من الثمانينات، أخبرت أن الضابط .. يريد مقابلتي لأمر هام فاعتذرت عن المقابلة وقلت انني عزمت ألا أقابل أحدا من العسكريين ، ولو كان ذلك الضابط آتيا بصفته الشخصية لقابلته، وهكذا تمت مقابلتان بينه وبين احد المقيمين في باريس من الاشتراكيين العرب، وفيما يلي أهم النقاط التي تعرض لها الضابط خلال الاجتماعين:

1- ان الوضع في سورية قد وصل الى طريق مسدود وانه لا مخرج من هذا الوضع سوى اكرم الحورني.

2- ان الضابط يقيم نفسه كرفيق للاشتراكيين العرب وهو أت من قبل اللواء .. الذي لديه ما يقدر 30% من القوى في الجيش، وبعض ضباط هذه القوى مفاتحون ومتفقون على نقاط، وانه لم يبق في سورية سوى اكرم الحوراني بغض النظر عن بعض العقد الصغيرة، وان ما كتب في جريدة الاشتراكيين العرب التي صدرها السيد عبد الغني قنوت يعبر عن وجهة نظر هؤلاء الضباط.

ومن الجدير بالذكر أن الجريدة المحددة الانتشار التي صدرها قنوت باسم الاشتراكيين العرب، وهي الفئة المتعاونة مع نظام حافظ أسد، قد نشرت في تلك الفترة وفي أعداد متوالية سلسلة من المقالات حول تاريخ الحزب العربي الاشتراكي وحول دوره في تحرير فلاحى سورية، وأشارت بوصف مفصل الى

المهرجان الفلاحي الكبير الذي أقيم في ناحية الشيخ بدر، بلدة الشيخ صالح العلي، وهو المهرجان الذي توافدت اليه عشرات الالوف من الفلاحين ولا سيما من شتى مناطق جبل العلويين، وكان حدثا هاما في تاريخ الحزب أواخر الخمسينات، وأذكر أن الاستاذ ميشيل عفلق علق على تلك المقالات في جريدة الاشتراكية بأنها تشير الى انقلاب في سورية.

3- قال الضابط ايضا إن في الجيش الآن عدة قوى متناقضة وأضعف هذه القوى هي جماعة حافظ الأسد وأخيه وقال:

نحن نعتبر التناقض حاصل، ونحن على استعداد لاعطاء أكرم الحوراني تواقيع وأسماء الضباط ونفوضه بالاحتجاج على أي اسم، وان اللواء ... على استعداد لارسال اولاده كرهينة، ونحن صادقون وليس لنا مخرج آخر، وإذا كان لدى أكرم الحوراني حل آخر فليدلنا عليه، كما قال :

وفي حالة الموافقة نرجو من اكرم الحوراني ما يلي:

- أ- إصدار بيان يشجب الطائفية من أي مصدر كانت.
- ب- نحن نخاف أن نتصل بالسوفييت فيكشفونا، فاذا كان ممكنا ان يؤمن الاتصال بهم عن طريق المعارضة في باريس.
- ج- هنالك عقبة في دمشق حيث يوجد اثنان من كبار الضباط مباعون، وكذلك معظم الضباط الكبار، وسرعة الحسم مطلوبة في دمشق ، فإذا استطعنا أن نصل الى المقاومة الفلسطينية حيث يوجد عشرات الألوف منهم في مخيم اليرموك فإن باستطاعة هؤلاء ان يعدلوا القوى العسكرية، لأن سرعة الحسم مطلوبة في دمشق، ولها دورها الكبير بعدم تمزق سورية وحصول الحرب الطائفية التي نخاف من حدوثها كما يخاف الاستاذ اكرم والتي يمكن أن يستخدمها حافظ أسد كسلاح، وكنت قد طلبت الى الشخص الذي اجتمع مع الضابط ان ينبهه الى مخاطر الحرب الأهلية.

د- نحن نطلب من اكرم الحوراني ضمان عدم تحرك حماه لأن لدينا معلومات ان حافظ أسد قد عفا عن الاخوان المسلمين لضمان موقف حماه والمدن السورية الأخرى في حالة أي تحرك وطني ضده.

ه- نحن على استعداد أن "نعلن" الحزب العربي الاشتراكي، ولكن مع شيء من التريث، لان الجيش أو بالأحرى ضباط الجيش صاروا كلهم حزيين ، وبصراحة من طائفة معينة، وليس معنا سوى ضابطين من حماه وبرتب صغيرة.

و- ان حزب البعث مدمر كواجهة سياسية ، ونحن في العشرين يوم الاولى اذا حافظنا على هذه الواجهة فليس حبا وتمسكا بحزب البعث ، ولكن مراعاة للجيش الذي تربي ضباطه الصغار على حزب البعث، ولا نعرف وجهة نظركم بعبد الله الأحمر في هذه الحالة.

ز- نحن نعتقد ان محمد الخولي شخص وطني، ولكن ما زلنا نظن، ونحن غير متأكدين، انه ما يزال خيط رفيع بينه وبين حافظ أسد، وإذا كان اكرم الحوراني يريد العودة الى سورية فان محمد الخولي يساعده بالشكل الذي يريد وبالشروط التي يريدها.

هذه هي أهم النقاط التي تعرض لها الضابط، وقد طلبت أن يبلغ ما يلي :

أنا لا أويد أي انقلاب، ويجب أن يوضع امام الأعين ما يجري في لبنان، لأن أي تحرك غير مدروس قد ينقل ما جرى في لبنان الى الساحة السورية، فأنا انظر الى هذا الموضوع من منظور أخلاقي ووطني واجتماعي وانساني.

انني قلت كل شيء في البيانات التي اصدرتها في باريس باسم المعارضة الوطنية السورية الديمقراطية وما يطلبه الضابط هو كما اعتقد ورقة عمل وليس برنامج عمل، وهو يريد أن يدخل في تفاصيل وأسماء نحن على غير استعداد لبحثها، أما برنامجنا

فيمكن تلخيصه بنقاط اذا أنجزها حتى حافظ اسد فنحن متفقون معه، وهذا البرنامج يمكن تلخيصه بما يلي:

1- إقامة نظام ديموقراطي برلماني في سورية.

2- سن دستور جديد لسورية يضمن :

أ- الحريات العامة والخاصة.

ب- تحديد صلاحيات ومدة الرئاسة بشكل يمنع ديكتاتورية كل حاكم.

ج- التعددية الحزبية.

د- فصل السلطات واستقلال القضاء.

هـ- عدم السماح لأي حركة طائفية أو فاشستية أو شبه عسكرية.

و- عدم التراجع عن المكاسب الاشتراكية التي تحققت للفلاحين.

أما في مجال السياسة الخارجية فإن موقفنا من الاتحاد السوفيتي هو موقف ايجابي ولكن على ضوء مصلحتنا الوطنية والقومية.

بعد شرح هذه النقاط قال الضابط ارجو تبليغ الاستاذ اكرم ما يلي:

بالنسبة للبيانات التي صدرت في باريس فقد وصل الينا بعضها ونحن نقرأه وناقشه، كما أننا متفقون معه في جميع النقاط التي ذكرها كبرنامج، ومتفقون كذلك في الخوف من نشوب حرب أهلية طائفية.

وفي نهاية هذا اللقاء أعطى الضابط رقمين هاتفيين طالبا الاتصال به خلال خمسة وعشرين يوما، مع ترشيح أي شخص اذا وافقنا على الاتصال به، فعلق محاوره على طلبه بقوله :



إذا اتصلت أنا بك فمعنى ذلك أنني داخل في الموضوع،  
ورغم أن كل عواطفني معك فإنني ملتزم كل الالتزام بموقف  
الاستاذ اكرم الحوراني.



كانت المحاولة الرابعة لاتصال العسكريين بي هي محاولة  
رفعت الاسد اذا جاز لنا أن نعتبر هذا الشخص من المؤسسة  
العسكرية، لان رفعت عندما حدث انقلاب الثامن من آذار عام  
1963 كان موظفا صغيرا في دائرة الجمارك، وعندما جرى تسريح  
أعداد كبيرة من الضباط بعد ذلك الانقلاب تحت مختلف الذرائع  
واستبدالهم بالمعلمين وغيرهم من ضباط الاحتياط ومن طائفة  
معينة جرى استدعاء رفعت أسد ليكون ضابطا عاملا في الجيش  
السوري، وقد سمعت عندما كنت في بغداد اللواء أمين الحافظ  
يتحدث عن ملابسات انتساب رفعت عندما كان ضباط الثامن من  
آذار يتداولون فيمن يجب تسريحه من الجيش أو الانتساب اليه،  
فقد كان حافظ أسد مترددا بانتساب اخيه الى الجيش ونعته  
بالفاظ ليست في صالحه، مما يستدل ان العلاقة بين الأخوين لم  
تكن علاقة طيبة، ولكن آخرين من الضباط أيدوا انتساب رفعت  
ولعل ذلك من قبيل التزلف.

لقد أصبحت سرايا الدفاع التي شكلها رفعت أسد بدعم  
من أخيه جيشا آخر موازيا للجيش النظامي بسلاحه ومعداته  
المتقدمة وجهاز مخابراته، كما أصبحت وسيلة اعتمد عليها حافظ  
أسد في الارهاب الذي أشاعه سواء في أوساط الشعب أو في  
الجيش، وكانت مذبحه حماه التي يقدر ضحاياها بخمسة وثلاثين  
ألف شهيد كما ذكرنا سابقا إحدى منجزات هذه السرايا، وقد  
اعترف رفعت أسد بذلك صراحة امام إحدى محاكم فرنسا التي  
أبعد إليها بعد خلافه مع أخيه ومع مجموعة من الضباط(1) ، ولا

(1) يشير الى ذلك الكتاب الذي ألفه الدكتور صالح عزيمة أحد رجال رفعت ونشره في باريس، ففي  
الصفحة 412 يقول المؤلف :  
"والحق ان رفعت عندما تناولته أفلام عربية وأجنبية وعرضت به وبدوره في هذه الفتنة لم ينس  
أن يعتز وبياهي بهذا الدور الذي قامت به وحدته في تكسير شوكة الاخوان والقضاء على  
فتنتهم، ثم بياهي مرة ثانية بأنه استجاب لنداء القيادة السياسية والعسكرية في بلاده، وكان

شك أن حافظ أسد قد استخدم أخاه للوصول الى السلطة، ولكن عندما أصبح رفعت مهردا له ومعتبرا نفسه الخليفة الوحيد، وعندما وصلت الأمور بينهما الى نقطة الانفجار بسبب محاولة رفعت الاستيلاء على السلطة خلال مرض أخيه أقدم حافظ على إبعاده من سورية، معتمدا بالدرجة الأولى على الضباط الكبار في الجيش السوري الذين طالما اختلفوا مع رفعت وكان معروفا عنهم ومرويا استحالة قبولهم به خليفة محتملا لأخيه، وقد تلا إبعاد رفعت الى فرنسا حل سرايا الدفاع واستبدالها بما يسمى الآن بالحرس الجمهوري الذي أوكلت قيادته الى ابن أخي زوجة حافظ أسد الضابط عدنان مخلوف.

لقد تابع رفعت في باريس محاولاته للحفاظ على موقعه كخليفة محتمل لأخيه بالإضافة الى ما أتاحت له إقامته في الغرب من مجالات لاستثمار الأموال الهائلة التي حصل عليها بمختلف الطرق غير المشروعة كان أولها أواخر التسعينات قبل استيلاء حافظ على السلطة كليا، فعندما أمم العراق شركة بترول الآي بي سي أممت سورية أيضا خطوط نقل البترول العراقي عبر أراضيها كما "أمم" رفعت أسد لحسابه الخاص كل محتويات المحطات البترولية من سيارات وناقلات ومعدات بلغ تقدير ثمنها آنذاك بمئتي مليون ليرة سورية وقد أحيلت القضية الى مكتب التفتيش المركزي ولكن ايعازا صدر للمكتب بطي القضية، ثم تتابعت صفقات رفعت الذي أصبح وراء كل صفقة تجارية حكومية أو خاصة تتم في سورية، وذلك خلال السبعينات عندما كانت المساعدات الخليجية والعراقية تنهال على سورية لدعمها فيما أطلق عليه آنذاك الصمود والتصدي ، كما أصبح شركاء له الكثيرون من التجار في مختلف المدن السورية، بالإضافة الى صلاته التي وثقها مع السعودية بمختلف الوسائل

---

ذلك أمام المحاكم الفرنسية التي لجأ إليها لتنصفه من الأفلام الباغية" والكتاب صادر في باريس عام 1992 تحت عنوان : تحليل رفعت الاسد عن دار نشر باسم دار الاثني عشر ! ولا شك ان هذا الكتاب صدر بايعاز من رفعت الاسد وهو كتاب يستهدف إثارة العصبية الطائفية بين الشيعة والسنة.

ولا سيما مع ولي العهد الأمير عبدالله بشكل خاص، ولا شك ان السعودية وغيرها من الجهات الخارجية التي اصبحت تدعم حافظ اسد كانت تدعم رفعت ايضا كخليفة محتمل لأخيه أو كعامل ضغط عليه في بعض الظروف السياسية التي تحتاج الى ذلك.

ولا بد هنا من الاشارة الى الصلة الوثيقة التي أنشأها رفعت مع ياسر عرفات الذي كان يسميه صديقي رفعت، كما كان للعراق ايضا اتصالاته مع رفعت الأسد، وعندما أبعده الى فرنسا أخذت صحيفة الطليعة العربية الحزبية التي يمولها النظام العراقي والتي تصدر في باريس بالترويج والدعاية له ، وأذكر انني قرأت مقالا فيها للصحافي عدنان بدر يتحدث عن الوفود التي أخذت تزور رفعت يوميا بعد ابعاده من سورية وذلك لبدء تأييدها وولائها له مما لم يكن له أساس من الصحة.

لقد عومل رفعت خلال وجوده في فرنسا التي ابعده اليها مع عدد كبير من العناصر التي كان يعتمد عليها في سرايا الدفاع كخليفة محتمل لأخيه حافظ، ولا سيما انه بقي محتفظا بصفته الرسمية كنائب لرئيس الجمهورية وعومل على هذا الاساس سواء من السفارة السورية في باريس أو من الحكومة الفرنسية التي دربت بعض عناصره أمنيا كما دربت بعضهم، وفيهم عدد من الفتيات، على الهبوط بالمظلات، وقد نشرت مجلة EVENEMENT DE JEUDI بتاريخ 1993 /3/11 تحقيقا مفصلا عن رفعت أسد مدعوما بالوقائع والوثائق والصور والأرقام والعناوين، وعن وضع الحكومة الفرنسية تجاهه، وعن ثروته الطائلة والشركتين التي اسست احدهما ابنته مع الامير عبدالله ولي عهد السعودية، وأسس هو الأخرى مع ولي عهد الكويت سعد العبدالله ، كما نشرت معلومات عن امبرطوريته العقارية الواسعة التي تمتد من باريس الى ماربيا وبينابولا في اسبانيا عبر سان موريتز ومونت كارلو في فرنسا بالاضافة الى ما يملكه في بريطانيا ، كما يتحدث التحقيق عن علاقته وعلاقة أولاده بالماфия الايطالية في مجال تهريب المخدرات، وتقول المجلة ان مارفن ليفينسكي السكرتير المساعد للدائرة المختصة بشؤون المخدرات في الولايات

المتحدة يؤكد ان رفعت هو اكبر ناقل للمخدرات في أوروبا والولايات المتحدة وأنها وضعت هذه المعلومات امام الجمارك الفرنسية والدوائر المختصة ولكن الحكومة الفرنسية لم تتخذ أية اجراءات تجاه ما كان يرتكب من مخالفات وجرائم.

كان هذا موقف الدولة الفرنسية من رفعت أسد حين أرسل إلي في أواخر الثمانينات طالبا الاجتماع بي الأمر الذي رفضته بشدة، ولكن رفعت بقي ملحا على زيارتي ، بل قيل لي أنه سيأتي الى زيارتي بدون موعد، ولكنني رفضت ذلك أيضا، وقلت لموفده انني لن استقبله، كما نقل الى الموفد تبرؤ رفعت من مسؤولية ما جرى في مدينة حماه وقوله :

إذا تعاون معي أكرم الحوراني فإنه لن ينتظر اكثر من عام واحد للاستيلاء على السلطة في سورية.

في هذه الفترة وبينما كان موضوع اللقاء مع رفعت بين أخذ ورد، زارني موفدون من وزارة الداخلية الفرنسية مع موفدين من وزارة الخارجية، وقد سئلت في هذه الزيارة عن رأيي برفعت فقلت لهم انني أرفض مقابله، ثم سئلت عن رأيي بجميل الأسد شقيق حافظ الأسد الذي شكل جمعيات طائفية في سورية سماها جمعيات المرتضى للتبشير بالمذهب الشيعي، وكان في تلك الفترة مختلفا مع أخيه حافظ مما سبب قدمه الى باريس للاقامة فيها وقد تناقلت الاشاعات ان سبب الخلاف هو إصرار حافظ على معاقبة ابنه فواز الاسد بسبب اغتصاب فتاة ثم قتلها، وكان معروفا للسوريين جميعا ان مدينة اللاذقية تعاني من إرهاب فواز وجرائمه وانه لا يقل شأنًا في تهريب المخدرات عن عمه رفعت أسد.

لقد دهشت عندما سئلت عن رأيي بجميل الأسد ولكن جواب موفد الخارجية كان:

اننا نقصد ابنه فواز، وعندما تحدثت عما يتناقله الناس من قتل واغتصاب، أجبت بشيء من اللامبالاة :

قد يكون ذلك مجرد أقوال.



في الاتحاد السوفيتي الاجتماع الأول بين وفد المتحدة وفد الاتحاد السوفيتي  
ناصر ، الحوراني ، كمال الدين حسين - في الطرف الآخر : خروشوف ، ثم فوروشيلوف



١٩٥٨ أكرم الحوراني يدلي بصوته خلال الاقتراع على الوحدة بين سورية ومصر



أمام قصر الضيافة يوم رفع العلم السوري على قصر الضيافة الذي كانت شرفته المكان  
المفضل لعبد الناصر لإلقاء خطبه



وفد الضباط السوريين يقرأون الفاتحة مع عبد الناصر  
بعد أن أقرؤا معه وحدة سورية ومصر  
الصف الأول من اليمين : عفيف البزرة ، عبد الغني قنوت ، ناصر ، أمين الحافظ ، ..... ،  
عبد الحكيم عامر ، .....  
الصف الثاني من اليمين : بشير صادق ، حسين حده ، مصطفى حمدون، جادو عز الدين ،  
أكرم ديرى، أحمد حنيدي ، جمال الضوفي





وفد الضباط الذين أعلنوا الوحدة :

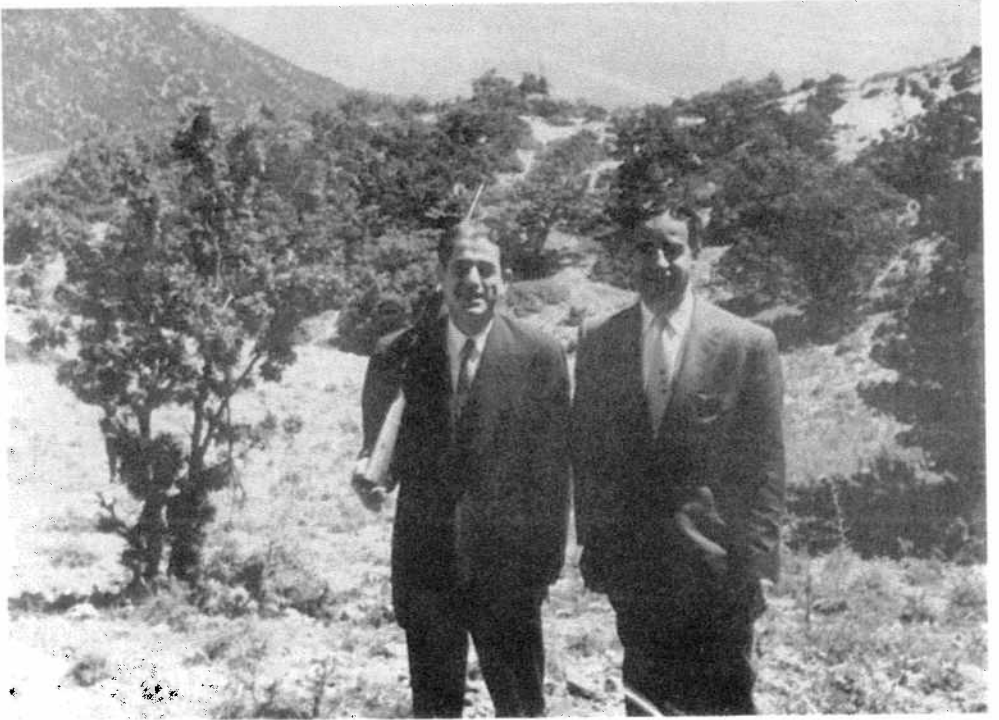
من اليمين الصف الأول : رئيس الأركان عفيف البزرة ، ثم الضباط : محمد النسر ، أمين الحافظ ،

حسين حدة ، عبد الغني قنون ، ياسين الفرجاني

الصف الثاني من اليمين : بشير صادق ، جادو عزالدين ، مصطفى حمدون ، أكرم ديري أحمد جنيدي



أول وفد للمتحدة في الاتحاد السوفيتي في مكتب فوروشيلوف  
من اليمين : ناصر ، الحوراني النائب الأول ، عبد اللطيف البغدادي ، نائب الرئيس ، الوزير  
كمال الدين حسين ، وزير الخارجية محمود فوزي ، الوزير السوري للشؤون البلدية والقرية  
أحمد عبد الكريم



شء من الترفيه في أحراج منطقة صلنفة مع الرفيق عبد الفتاح الزلط



### أول وزارة تنفيذية في سورية بعد إعلان الوحدة

الصف الأول من اليمين : صلاح البيطار ، عبد الوهاب حومد ، فاض الكيالي ، صبري العسلي (نائب رئيس سورية) ، عبد الحكيم (نائب رئيس مصر) ، ناصر ، نائب الرئيس لمصر عبد اللطيف البغدادي ، أكرم الحوراني (نائب رئيس لسورية) ، خليل كلاس وزير الاقتصاد

الصف الثاني من اليمين : أحمد الحاج يونس ، عبد الحميد السراج ، أمين النفوري، سعد خليل جبارة، نور الدين كحالة ، شوكت القنواتي

الصف الثالث من اليمين : مصطفى حمدون ، أحمد عبد الكريم ومعه من المصريين عبد القادر حاتم وأنور السادات



وفد المتحدة - أذربيجان أوائل ١٩٥٨



يوم إعلان الوحدة : رئاسات سورية الثلاث من اليمين رئيس الوزارة صبري العسلي ، رئيس الجمهورية شكري القوتلي ، ثم رئيس مجلس النواب أكرم الحوراني



عام ١٩٥٨ في شرفة قصر الضيافة - خلال إعلان الوحدة

من اليمين : صبري العسلي رئيس مجلس الوزراء الذي أصبح نائباً لناصر ، أكرم الحوراني  
رئيس مجلس النواب الذي أصبح نائباً لناصر ، عفيف البرزة رئيس الأركان الذي أصبح وزيراً ،  
ثم ناصر ، وبعده عبد الحميد السراج رئيس مخابرات الجيش ( المكتب الثاني ) الذي أصبح  
وزيراً للداخلية



بعد يوم من ثورة تموز في العراق عام ١٩٥٨  
وفد الثورة في دمشق - على درجة قصر الضيافة عبد السلام عارف وأكرم الحواني





عام ١٩٥٨ (أوائل عهد الوحدة) خلال رحلة إلي الساحل السوري  
من اليمين شاعر البعث والقومية العربية سليمان العيسى ، زوجة المحامي عبد الفتاح الزلطل ،  
زوجة الحوراني ، الحوراني ، عبد الفتاح الزلطل ، المحامي شفيق سعيد ثم زوجته



قبيل استقالة أكرم الحوراني بيوم واحد من نيابة الرئاسة ..  
خلال الاحتفالات بعيد النصر في بورسعيد والى يمينه زوجة السفير الهندي



عند الاحتفال بمرور أول عام على الوحدة بين سورية ومصر  
خلال توزيع سندات الإصلاح الزراعي  
من اليمين : ناصر ، القوتلي ، وزير الإصلاح الزراعي المقدم مصطفى حمدون



في الملعب البلدي بدمشق  
الحوراني ، ثم أحد الأطفال ، جيوفانكا زوجة تيتو ، ثم ناصر



في الملعب البلدي أوائل عام ١٩٥٩  
تذكري مرور أول عام علي الوحدة



البيгдаدي ، الحوراني ، ثم ناصر  
ونظرة معبرة جداً عن الأوضاع



الرئيس جمال عبد الناصر وبجواره الرئيس سوكارنو وإلى يسار الرئيس أكرم الحوراني ، وفي أقصى اليمين عبد اللطيف البغدادي



الرئيس عبد الناصر و إلي يمينه أكرم الحوراني ، عبد اللطيف البغدادي وعلى اليسار  
عبد الحكيم عامر ثم حسين الشافعي





في الملعب البلدي بدمشق خلال الاحتفال بمرور أول عام على الوحدة  
عبد الناصر يعطي أحد الفلاحين سند تملكه الأرض



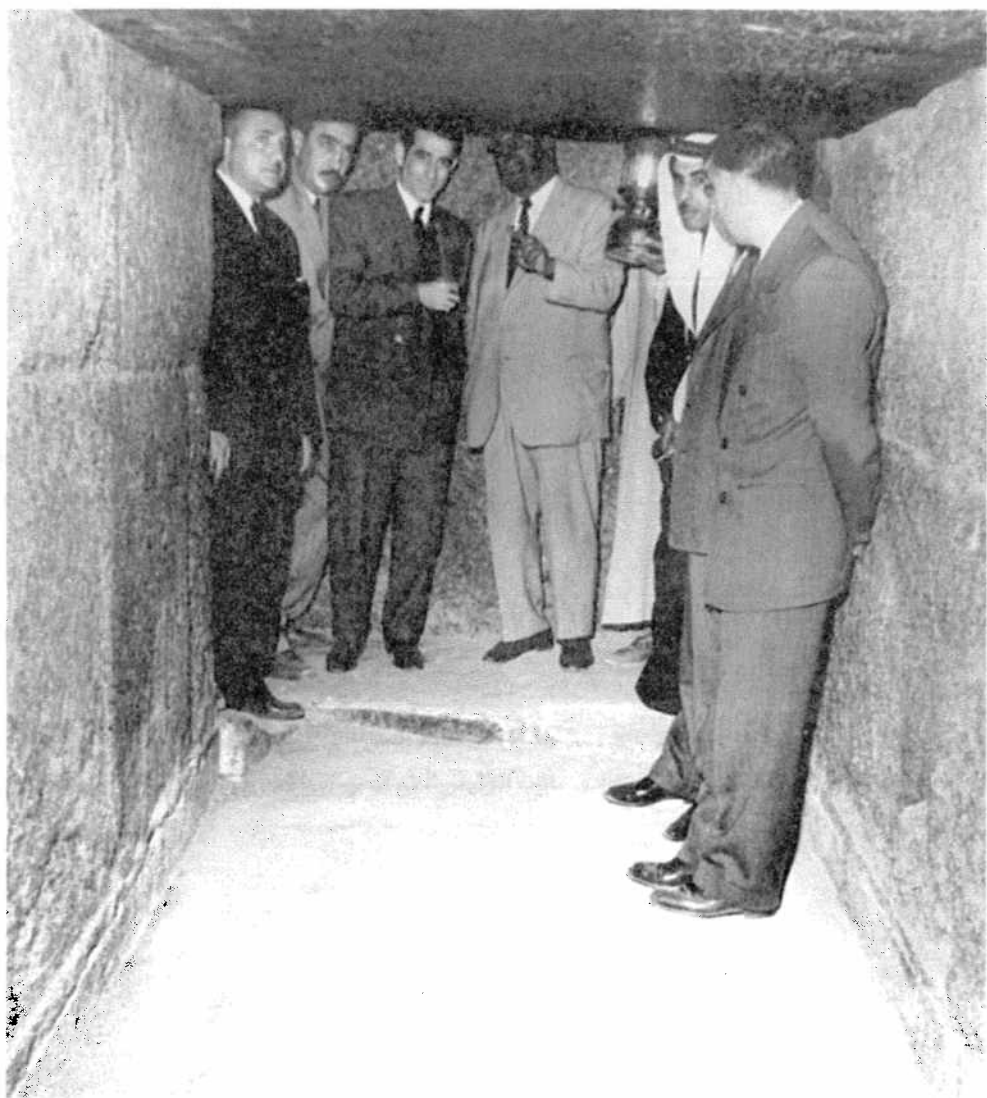
في الملعب البلدي، خلال الاحتفال بمرور أول عام على الوحدة  
الهوراني ، جيوفانكا زوجة المارشال تيتو ، ثم ناصر



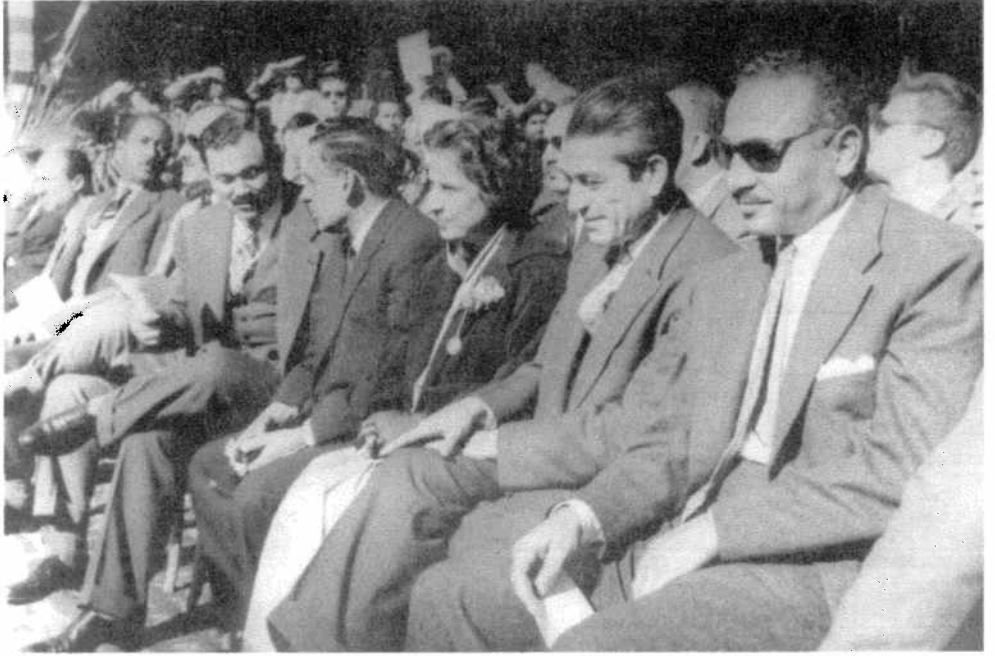
في الملعب البلدي بدمشق خلال الاحتفال بأول سنة على مرور الوحدة  
مصطفى حمدون وزير الإصلاح الزراعي ، الحوراني نائب الرئيس ورئيس المجلس التنفيذي ،  
زوجة تيتو ، ناصر ، القوتلي



من اليمين : ناصر ، أكرم الحوراني ، عبد اللطيف البغدادي



في الأقصر



أواخر عام ١٩٥٠ قبيل استقالة الحوراني بيوم واحد  
من اليمين : عبد اللطيف البغدادي نائب الرئيس ، ثم الحوراني ثم زوجة سفير الهند بمصر



الوفد النيابي في مصر - ١٩٥٦  
من اليمين النواب : أكرم الحوراني ، جهاد الهواش ، رئيس مجلس النواب السوري الدكتور  
ناظم القدسي ، ثم النائب صلاح البيطار



نواب العربي الاشتراكي في مجلس النواب السوري





قصر الحمراء في أسبانيا

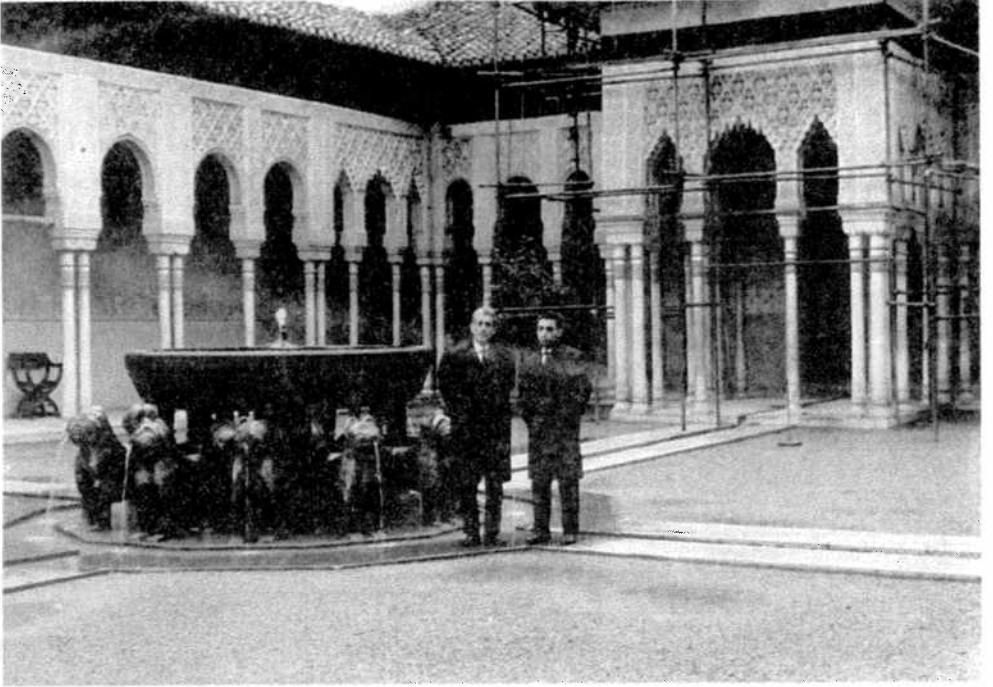
زوجة الحوراني ، الحوراني ، عبد البر عيون السعد رفيق مناضل ومن القادة المهمين في سورية



من اليمين كاتيا زوجة أحمد سليمان الأحمد ، زوجة الحوراني ، الدكتور مأمون حميدان



الهوراني في ستراسبورغ  
من اليمين المرحوم مصطفى الزلمط ، الهوراني ، المرحوم الدكتور هشام السمان



في الحمراء مع المرحوم عبد البر عيون السعد أحد القيادات الهامة في حزب البعث ،  
لم يماشي انقلاب الثاني من آذار ١٩٦٢ ، ولا اتجاه صلاح وميشيل بعد الانفصال عام ١٩٦١  
بقي من اتجاه أكرم الحوراني هذا الاتجاه الذي حاول بعد الانفصال أن يعيد سورية تدريجيًا  
إلى التعددية الديمقراطية



الحوراني مع مجموعة من الشباب في ستراسبورغ



أحمد سليمان الأحمد مع الأستاذ الحوراني



الهوراني مع مجموعة من الأطباء الشباب في ستراسبورغ وغالبهم من رفاق المؤلف



في حمانا صيف عام ١٩٦٦ بعد عودة أبو جهاد من باريس التي ذهب إليها للملاج إثر خروجه  
من السجن . وعندما عاد إلى دمشق مُنِع من الدخول - فذهب إلى لبنان  
من اليمين : شقيق الحوراني المرحوم عبد الحلیم ، الحوراني ، المحامي خليل الكلاس ،  
المحامي عبد الفتاح الزلط





هذه الصورة أخذت عام ١٩٨٨

الجالسون من اليمين : زهير قنبر - يوسف فارس - الأستاذ الحوراني - أحمد العارف -

سركيس سركيس - كمال عجوري .

الواقفات من اليمين : ملك موسى باشا - كلاديس ريشه - زوجة المرحوم الحوراني نزيهة

الحمصي .

